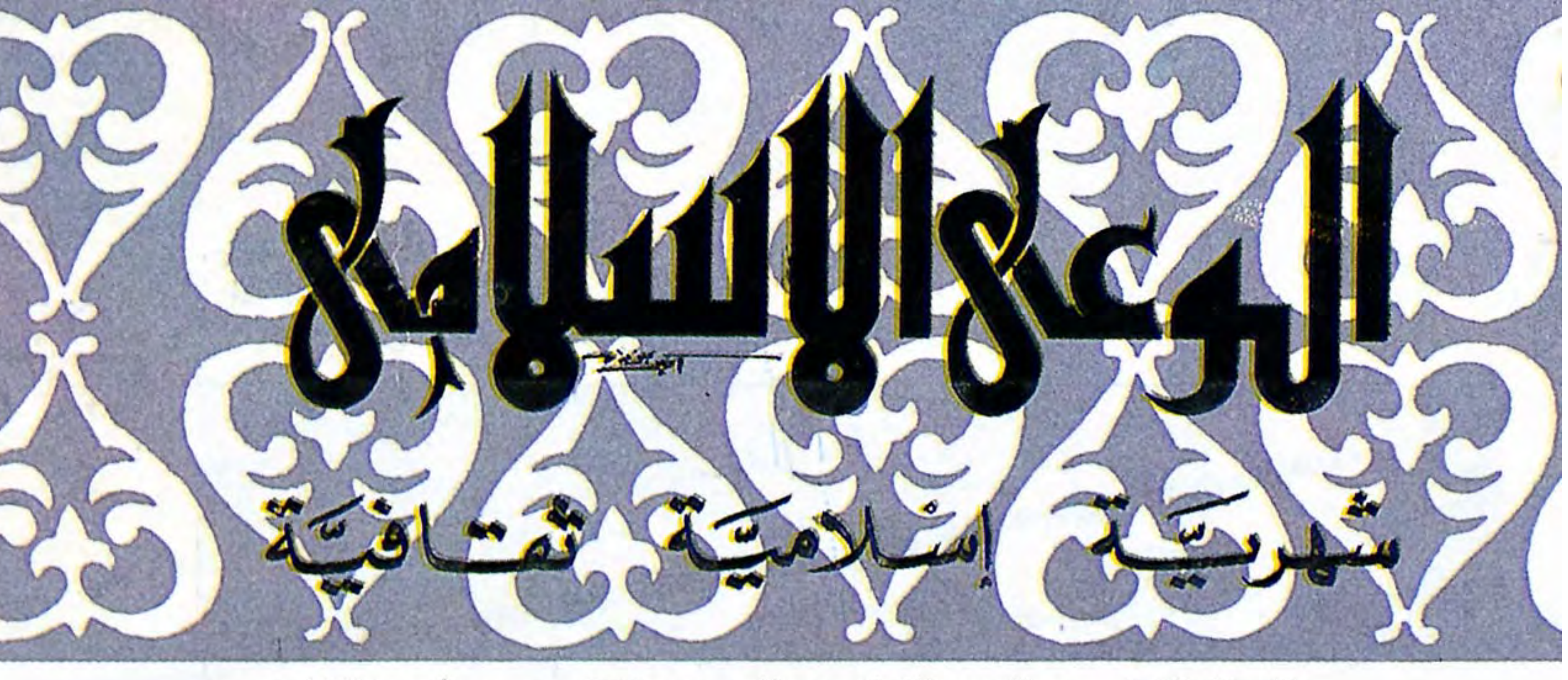


السنة الاولى ☼ العدد الاول ☼ المحرم ١٣٨٥ هـ ـ مايو ١٩٦٥ م



الوعي الإسلامي

شهرية إسلامية ثقافية

تصدرها وزارة الأوقاف بالكويت

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

المشرف العام : عبد الرحمن المجحم

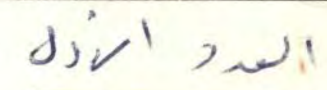
رئيس التحرير : عبد المنعم النمر

مدير التحرير : علي عبد المنعم

سكرتير التحرير : رضوان البيلي

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي
وزارة الاوقاف ـ الكويت ص.ب ١٣
هاتف ٣٣٨٤٩

مندوب المجلة فى القاهرة الاستاذ محمد عبد الله السمان
ص . ب . ١٤٨٣





صورة الغلاف

مسجد الشملان بمدينة الكويت ، ويقع في وسط شارع عبد الله المبارك، أسسه شملان ابن علي آل سيف ، وجددت بناءه دائرة الأوقاف عام ١٩٥٨ .

« فيلم ملون تصوير مصطفى »

الثمن

الكويت ٥٠ فلسا ـ الخليج العربي ١٢ آنة
السعودية ١ ريال ـ اليمن ١ شلن
العراق ٧٥ فلسا ـ لبنان وسوريا ٥٠ قرشا
الاردن ٥٠ فلسا ـ مصر والسودان ٤٠ مليما
ليبيا ١٠ قروش ـ تونس والجزائر ١٠٠ مليم
المغرب ١ درهم ـ

الاشتراك السنوي

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى



كلمة معالي وزير الأوقاف
عبدالله المشاري الروضان

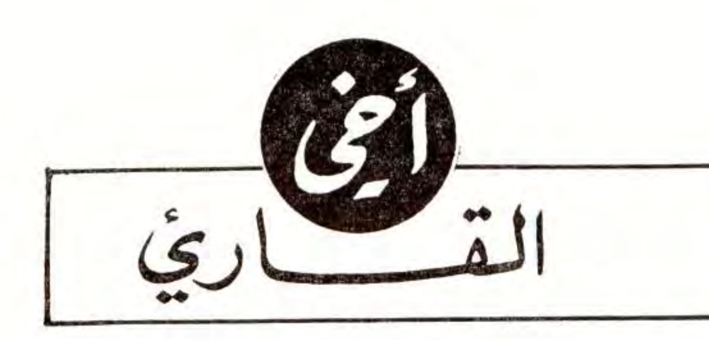
فى مطلع العام الهجري الجديد أحيي اخواني المسلمين فى كل مكان ، وأقدم لهم العدد الأول من مجلة ((**الوعي الاسلامي**)) التي تصدرها وزارة الأوقاف بالكويت ، لِتقف بجانب زميلاتها من المجلات الاسلامية فى المعركة الفاصلة التي اجتمع فيها أعداء الاسلام وخصومه على حربه ، واستخدموا مختلف الاسلحة ـ فى الميادين العقائدية والثقافية والجبهات السياسية والاقتصادية ـ لمناوأته .

وسلاحنا فى هذه المعركة أقلام المجاهدين من قادة الفكر الاسلامي فى كل مكان ..

وان من يمن الطالع ، وبشائر التوفيق ان يقترن صدور ((**الوعي الاسلامي**)) بهذه الذكرى الخالدة ـ ذكرى الهجرة ـ التي نتلقى عنها دروس الايمان والجهاد والتضحية والفداء .

وأسأل الله العلي القدير ان يجعلها لسان صدق ، ودعوة حق ، وأن يهيىء للمسلمين من أمرهم رشدا ، ويحفظ للبلاد أميرها المعظم ويسدد خطاه وخطى حكومته لكل ما فيه خدمة الاسلام والعروبة .

والله ولي التوفيق .



السلام عليكم

كان لا بد للكويت فى خطواتها السريعـة نحو التقدم الحضارى فى جميع مجالاته ، أن يكون لها مجلة دينية بجانب الصحف والمجلات السياسية والأدبية التي تصدر فيها ، لتقوم بدورها فى نشر الثقافة الدينية ، بما تقدمه من عـرض أمـين لتعاليم الاســلام ومبادئه ، وتحديد صحيح لمفاهيمه وقيمه ، ودعوة مخلصة الى رعاية هذه المبادىء والتعاليم،وتجسيد تلك المفاهيم والقيم فى حياة الناس ، حتى يتحقق التوازن الروحي والمادي فى المجتمع الجديد ، ويسير فى طريقه الســليم نحــو نهضته المرموقة ، فلا يتعرض للأخطار التي تصيب كل مجتمع يختل فيه التوازن .

وقد رأت وزارة الأوقاف أن تقوم بعبئها فى هذا المجال ، فأصدرت مجلة « الوعي الاســلامي » التي يصافحك الآن أول أعدادها ، ايمانا منها بأن هذه الأمة لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها ، وأن بناء أية نهضــة لا بــد أن يتــم على الأساس الذى قامت عليه النهضة الأولى للمسلمين .. لنصل حاضرنا الطريف بماضينا التليد .

ومن أجل ذلك وجهت الدعوة الى قادة الفكر ، وحملة الأقلام من رجالات الاسلام المعنيين بالدراسات الاسلامية فى الشرق والغرب ، ليسهموا معها فى تحمل هذا العبء ..

وقد كان اللقاء الفكرى ــ فيما حمل الينا البريد من بحوثهم الضافية ــ أمرا يبعث على التفاؤل بأن هذه المجلة ستأخذ دورهــا الذى نأمله فى نشر الوعي الاسلامي ، وتدعيم القيم الروحية .

ولقد أتيح لي الاطلاع على أغلب المجلات الدينية التي تصدر باللغة العربية كما أسهمت بالكتابة فى الكثير منها ، وهي كلها حافلة بالبحوث والمقالات التي تكشف عن وضاءة المبادىء والتشريعات الاسلامية ، ومحاسنها ، وعــن تاريــخ المسلمين وأمجادهم ..

ومع أن ((الوعي الاسلامي)) ستقوم بدورها فى هذه الناحية الا انني أحس أن القراء لم يعودوا يكتفون بهذا . انهم يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأى الدين فيها .. لم يعودوا يكتفون بتقرير : أن الدين صالح لكل مكان وزمان ، بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها كذلك ..

ان معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والأصوليون كتبهم وقواعدهم ، واستطاعوا حينذاك أن يغطوا كل مشاكل الحياة التي عاصروها ، بل زادوا عليها افتراضات أوجدوا لها حلولا ..

والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال .

وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد ـ ولو بشكل جماعي ـ لمواجهة أساليب الحياة الحديثة وتكييفها من الوجهة الدينية .

فأين الاجتهاد اذن ؟ وأين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة ؟ ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا وما أريد أن أفتح صدر المجلة له ، وأعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو ..

وبعد ..

فهذه المجلة يا أخي مجلتك ، وهي تسعى اليك فى أول أعدادها ، وتحتاج بلا شك الى عونك وارشادك ، ومع أننا بذلنا جهدنا لتقديمها اليك فى ثوب يرضيك ، الا أنني أعتقد انها لم تبلغ ما نريده لها ، على أنني أعدك بأن كل عدد منها سيكون أحسن من سابقه ، بعد أن تضم جهودك الى جهودنا ، وكلنا جندى فى هذا الميدان ، ويد الله مع الجماعة ، وهو الموفق والمعين ..

رئيس التحرير



كان معالي الشيخ خالد أحمد الجسار وزيرا للاوقاف قبل أن تسند اليه وزارة العدل من عدة شهور ، واثناء ذلك عمل على أن تصدر الاوقاف مجلة دينية ، وأخذ موافقة من مجلس الوزراء بتاريخ ٦٤/٩/٢٨ باستثناء وزارته من القرار الصادر بتاريخ ١٩٦٤/٢/١٠ الخاص بايقاف المجلات التى تصدرها الجهات الحكومية ، والتصريح لها باصدار مجلة دينية .. فكانت مجلة « الوعى الاسلامى » التى تسعى اليك الآن .

لذلك رأت المجلة أن تجرى حديثا مع معاليه فرحب وهو مسرور بمشروعه الذى سار فى طريقه الى النور .

قلت لمعاليه : كنتم أول من عمل على اصدار مجلة دينية فى الكويت فما الدوافع التى أوحت اليكم بهذا العمل ؟

قال سيادته : عندما عينت وزيرا للاوقاف أخذت أستعرض ما تؤديه الوزارة من رسالة للمجتمع ، فتبين لي أن أعمالها منحصرة داخل نطاق « روتيني » يمكن ايجازه فى الاشراف على الاوقاف وتحصيل ريعها واحالتها بدورها للجهة المختصة ثم اعطاء الموظفين رواتبهم .. مع الاشراف على المساجد .. مما حدا بانطلاق كثير من الاصوات الى المناداة بجعلها ادارة تابعة لوزارة العدل ، ولكن كانت هناك أصوات أخرى تؤمن بالاصلاح وتنادى بضرورة بعث الروح فى وزارة الاوقاف لتنهض برسالتها الحيوية فى مجتمعنا .

وكنت ولا زلت من الذين يؤمنون بأن وجود وزارة الاوقاف فى البلاد أمر تحتمه الضرورة للحفاظ على قيمنا الروحية ، واذا كانت وزارة الصحة قد وجدت فى البلاد لرفع المستوى الصحى بها ، ووزارة التربية والتعليم وجدت للاشراف على تربية النشء وتعليمه ، فوزارة الاوقاف تأتى فى المرتبة الاولى من ضرورات البلد ، لانها ذات رسالة روحية تعمل على نشر الثقافة الاسلامية وخلق جيل قوى من الشباب المسلم المؤمن بربه ووطنه .

وعالمنا اليوم عالم تغزوه الافكار الدخيلة ، وتتصارع فيه مبادىء طارئة ،

معالي الشيخ خالد أحمد الجسار
وزير العدل
يتحدث عن ميلاد أول مجلة دينية
في الكويت

وهى وان كانت غريبة علينا باعتبارنا أمة اسلامية أصيلة الا أنها تعمل عملها بلا شك فى بلبلة الافكار وزعزعة العقيدة ، ما لم يكن هناك مجهود لصد تيارها وتبديد آثارها ، ونحن أمة ذات رسالة خالدة جاء بها القرآن الكريم ، فأعلن الاخوة العالمية بجانب الاخوة الدينية ، ورفع من مستوى النفس الانسانية ، وأقام دعائم العدالة الاجتماعية بين الحاكم والمحكوم وبين الضعيف والقوى ، والفقير والغنى ، والرجل والمرأة ، وأشاع فى المجتمع معنى التكافل الحق الذى تشيع فى كل نواحيه معانى الحب والسعادة والطمأنينة والسلام .

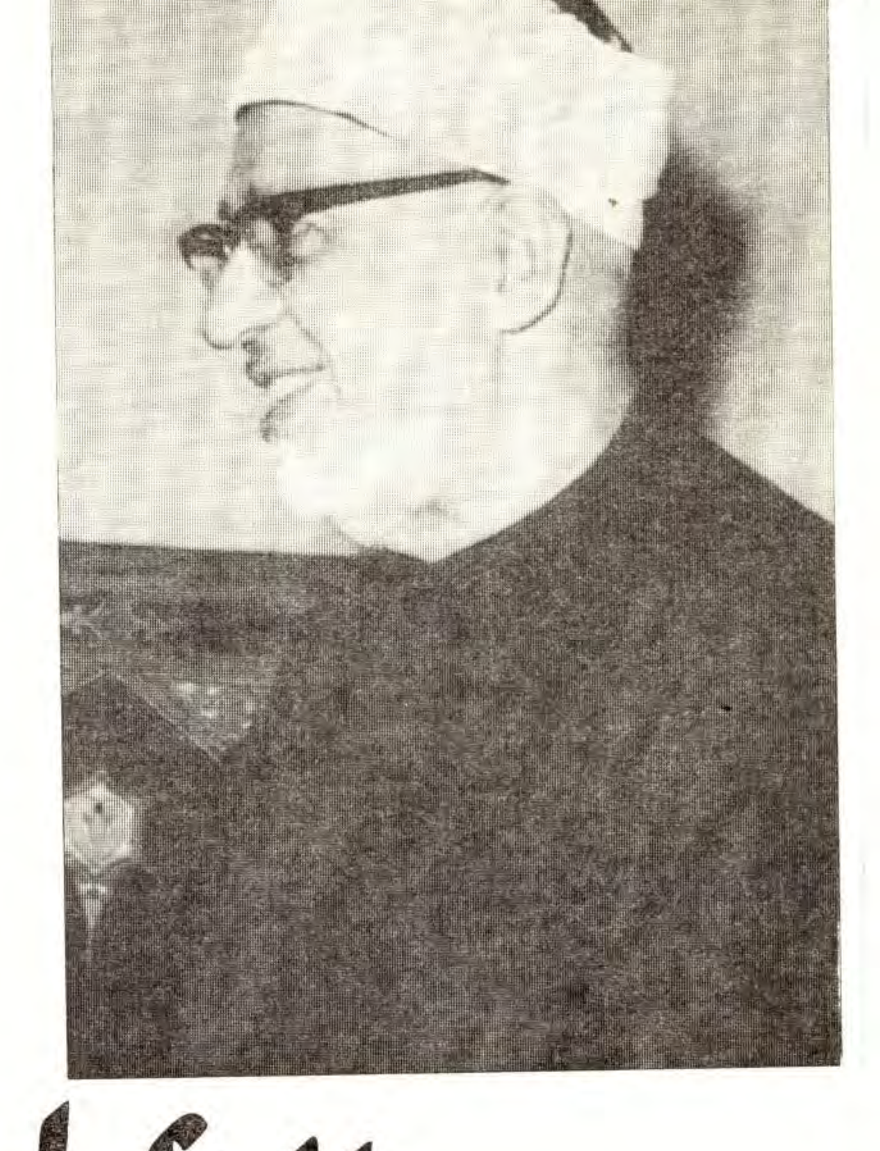
اذن فالدين ركيزة قوية فى دفع كل ما هو خطر على الانسان وخصائصه ومميزاته ، والانسان لن يستطيع أن ينعم فى هذا الكون الفسيح بالرفاهية والسعادة الحقة ما لم يكن على جانب كبير من الحفاظ على قيمه الروحية .

والامة العربية ـ كما نعلم ـ دينها الاسلام ، وهو روحها الذى لا يمكن أن تعيش بدونه ، وهو مصدر سعادتها وسبب نهضتها من كبوتها ، وهو الذى فتح أمامها الآفاق ، ودفع بها الى أقصى المشرق والمغرب تحمل رسالة السماء الى الارض ، رسالة الحق والعدل والاخاء والمساواة ..

هذه الحقائق لا ينازع فيها منازع .. لكن الحقائق لا بد لها من جنود ينهضون بها ويحمونها من المعتدين عليها ، واذا كانت كل وزارة من وزارات الدولة لها رسالتها الخاصة وان كانت تتلاقى كلها فى خدمة المجتمع والنهوض به ، فان وزارة الاوقاف عندنا قد فرضت عليها ظروف الحياة أن تنهض بالرسالة الروحية وتعمل على تدعيم القيم الدينية فى النفوس .

وهذا هو الذى دفعنى ، حين أسندت الى هذه الوزارة ، الى وضع مخطط شامل لاجهزتها يهيئها للنهوض برسالتها كما يجب ، وفى طليعة هذه الاجهزة جهاز الدعوة ، فأنشأت ادارة الدعوة والارشاد وجعلت فى مخططها اصدار مجلة تحمل رسالتها وتوضح أهدافها ، وتساهم فى نشر الثقافة الاسلامية فى الداخل والخارج .

البقية على ص : ١٧



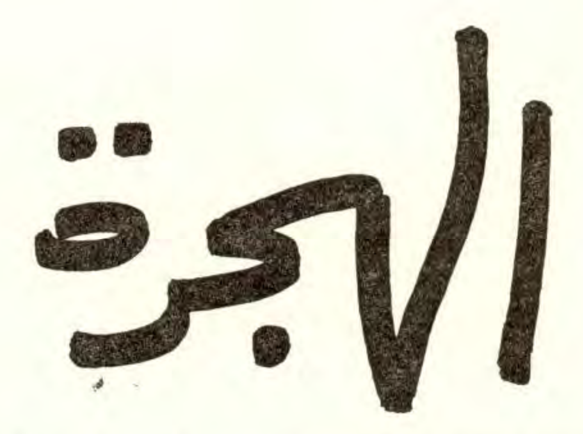
تحيَّة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى مجلة الوعي الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الصادق الأمين .
وبعـد :

فقد سررت أبلغ السرور حينما علمت عن عزم الكويت ذلك البلد العربي الشقيق على اصدار مجلة اسلامية تحمل عنوان (الوعي الاسلامي) وان الأمل فى هذه الدولة الشقيقة التى تعتز بعروبتها واسلامها أن تصدر مجلة اسلامية واعية تحمل الى العالم الاسلامي الفكر الاسلامي فى أرفع مستوياته ، كما أصدرت من قبل مجلة (العربي) تحمل الى بلاد العربية الفكر العربي فى أنبل أهدافه .



من هدى القرآن الكريم





للشيخ عبد المنعم النمر

رئيس تحرير « الوعى الاسلامى »

هذه آيات من القرآن الكريم تتحدث عن الهجرة من مكة الى المدينة ، ولم يكن الغرض منها ذكر تفاصيل الهجرة ودقائقها بقدر ما تهدف الى أن تضع العبرة أمام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأمام كل قارىء لها من بعدهم .. ليصلوا منها الى ما يجب أن يضعوه نصب أعينهم دائما من عبر ومبادىء فى أدوار حياتهم وكفاحهم : —

أولها — أن المكافحين المناضلين الثابتين فى كفاحهم ونضالهم ، لا بد أن يدركوا غايتهم وان طال الطريق بهم ..

وثانيها — أن عون الله ونصره فى ساعات العسرة والشدة ، انما يمد به عباده المؤمنين الذين يؤثرون الله ورسوله على كل ما يعتزون به فى الحياة « ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم .. »

وثالثها — ان الذين يترددون فى ساعة الجد ، ويحجمون عندما يجب الاقدام ، ويجذبهم حبهم للعيش الهنيء الى الاستكانة تحت راية الأعداء ، ويخلدون الى الدعة ، ويؤثرون برد الراحة على لهيب المعركة ، ويفضلون مصالحهم وارتباطاتهم المادية على عقيدتهم وكرامتهم وحريتهم ، هم قوم اختلّت معايير الحياة عندهم ، حتى أصبحت معدتهم أعز عليهم من عقيدتهم ، وحيوانيتهم أسمى من حريتهم وانسانيتهم .. فكانوا من أجل ذلك لا وزن ولا كرامة لهم عند الله « وأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » ولو صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون ..

تحية وتوجيه تسعد بهما أسرة المجلة وترجو من الله أن يوفقها لتكون عند حسن ظن الامام الاكبر وتوجيهاته الكريمـة .

(الوعي الاسلامي)

وليس مصدر سرورنا أن مجلة اسلامية جـديدة تضاف الى عشـرات المجلات الاسلامية التي تنتشر فى سـائر البلاد الاسلامية ، ولكن لأن رجاءنا كبير فى أن تصدر ((الوعي الاسلامي)) جديدة فى منهجها فتعرض الفكر الاسلامي الخصيب النابض بالقوة والحياة معا ، ومن جانب آخر تواجه موجات الالحـاد والانحراف التي زحفت الى عقول بعض الشباب فى العالم العربي الاسلامي لتغزو الاسلام والعروبة فى عقر ديارهما ، وتناوىء عقيدة الاسـلام ومبادئـه ونظمه بأفكار دخيلة مستوردة يمولها الاستعمار عن طريق أذنابه وأبواقه المسخرة .

هذا هـو رجاؤنا فى مجلـة الوعـي الاسلامي التي أشرقت شمسها فى مطلع العام الهجرى ليتوالى صـدورها باذن الله فى أول كل شهر عربي — واني لأنصح المشرفين على هذه المجلة والمسئولين عنها وفيهم عـدد من خيرة علماء الأزهـر أن يختاروا لها الموضوعات الجادة الهادفـة التي تخدم الفكر الاسلامي ، وأن يجندوا لها الأقلام المؤمنة الغيورة على الاسلام وأوطانه ، وأن تجعل التوعية الشعبيـة ضمن برامجها وموضوعاتها لكي تسهم بنصيب فى توجيـه المواطنين بالكـويت واخوانهم العرب فى كل مكان الوجهـة الحسنة ، كما يتطلبها الوضع الدولـي الراهن ، حتى يكون جميع المواطنين على علم بما يدور حولهم فى وطنهم وما يدور فى المجالات الدولية ، ليكونوا على حذر ويقظة لكل من تحدثه نفسه من المارقين وتجار السياسة ، حتى يتمكنوا من اعداد عدتهم لرد كيد المعتدى فى نحره .

وكم يكون جميلا أن تحرص المجلـة على تعليم المواطنين أمور دينهم وتربيتهم تربية دينيـة اسلاميـة حتى يشبـوا ويشيبوا مسلمين فيسعدوا وتسعد بهم أمتهم ، واى سعادة فى دنيانا تفوق تلك السعادة التى يشعر بهـا مسلم يأتمر بأوامر الاسلام وينتهي بنواهيه ، انهـا والحق يقال سعادة الدنيا والآخرة .

والله تعالى هو المسئول أن يحقق أمل المسلمين فى هذه المجلة لتكـون نبراسا يحتذى ، انه نعم المولى ونعم النصير .

شيخ الأزهـر

حسـن مأمـون



قال الله تعالى : « واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » آية (٢٦) سورة الأنفال

وقال تعالى : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » آية (٣٠) سورة الأنفال

وقال تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ... »
آية (٤٠) سورة التوبة

وقال تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » آية (٩٧) سورة النساء

ثمن النصر

والقرآن الكريم حين يدعو المؤمنين ـ بعد أن قوى شأنهم فى المدينة ـ الى ان يذكروا ما كانوا عليه قبل الهجرة « قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس » وما صاروا اليه بعد الهجرة « فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات » لا يريد مجرد المن عليهم ، ولكن يريد منهم أن ينفذوا بتفكيرهم الى ما أهلهم لتأييد الله ، واغداقه الطيبات عليهم ، فيحافظوا على هذه الاهلية ، ولا تبطرهم قوتهم ، او تغرهم كثرتهم ، أو جريان الرزق الطيب عليهم ، فيفقدوا بذلك عون الله ونصره .. وهي دعوة كذلك لاتباع القرآن ان يعرفوا الطريق الذى سلكه المهاجرون : من الاخلاص والصدق فى ايمانهم ، فيحرصوا على سلوكه ، حتى ينعموا ـ كما نعم أسلافهم ـ بالعزة التى يريدونها ، والحياة الطيبة التي يطلبونها . فان عون الله وتأييده لا يعطيان جزافا ، بل ان لهما ثمناً لا بد من الوفاء به ..

ولقد أعلن القرآن فى آية أخرى دفاعه عن المؤمنين « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (١) ووصفهم بأنهم « الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » (٢) وفى آيات أخرى بأنهم « الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » (٣)

وان « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا » (٤) وذلك ليضع أمام المسلمين الصفات التي أهلت هؤلاء السابقين لهذه المنزلة عند الله .

وكذلك حين تدعو الآية « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك .. » (٥) الى أن

(١) و (٢) آيتا ٣٨ ، ٤٠ من سورة الحج
(٣) آية ٨ من سورة الحشر (٤) الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من سورة التوبة .
(٥) معنى ليثبتوك : ليوثقوا كتافك ويلقوك فى السجن فلا تستطيع التحرك منه حتى تموت .

يتذكر الرسول وصحابته والمؤمنون بـه حراسة الله سبحانه له وحمايته من شرور أعدائه ومؤامراتهم ، للقضاء عليه ، حتى يستريحوا منه ومن دعوته ، انما تدعو المؤمنين كذلك فى كل وقت للتأمل فى سنة الله مع رسله ، وعباده المخلصين ، التي تقضي بنصرهم وكفالتهم وحراستهم من أعدائهـم ، وعدم تخليه عنهـم فى وقت الشدة ، حين يحيط بهم أعداؤهـم .. وأن الله طبّق هذه السنة مع رسوله ، حين عزم المشركون على التخلص منه ، وأحكموا تدبيرهم ، وظنوا أنهم بالغـون ما دبروه فأفسد الله مؤامرتهـم ، ورد كيدهم الى نحرهم ،ونجّى رسوله منهم، والله غالب على امره « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وهكذا يحرس الله الحق ودعاتـه ، ويمهّد له ولهم الطريق ، بعد أن يبذلوا كل طاقتهم فى حراسته والدعوة له ..

حَفْزُ الهمم

ثم تأتي الآية « الا تنصروه فقد نصره الله .. » فتذكر بعض حوادث الهجـرة وساعاتها الحرجة التي تخلت فيهـا عن الرسول كل أسباب الأرض ، ومساعدات الأصحاب ، حتى الصاحب الوحيد الذى كان معه ــ وهو أبو بكر ــ احتاج الى أن يزيل عنه الرسول الأعظم ما ألم به من رعب ، وقد أصبحا فى الغار لقمة سائغة ، أو صيدا سهلا لأضعف الناس خـارج الغار .. فى هذه الساعات الحرجة تجلى عون الله ورعايته لرسوله بصورة لا تدع مجالا لأى شاك فى هذا العـون أو هذه الرعاية ، وقد كان الغرض مـن سـياق هذه الآية حفـز همم المؤمنـين للجهاد والتضحية فى ساعات تثاقلوا فيها عـن النهوض للجهاد فى سبيل الله ، والسير فى جيش الرسول للدفاع عن كلمة الله ، فكان من أقوى ما يوجه اليهم فى هـذه الحالة ، هو أن يرجع بهم الى السـاعة الحرجة فى هجرة الرسول مـع صاحبه « اذ هما فى الغـار اذ يقـول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » وكانت الآيـات التي قبـل هذه الآيـة مباشرة تعاتب المؤمنين على موقفهم المتخاذل ، وتهددهم وتقول لهم : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا مـن الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير . الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » الآية .. ولم يكن هناك من دواء وعلاج لحالتهم هذه الا تذكيرهم بهـذا الموقف الذى نصر الله فيه رسوله ، وهو وحده يجابـه قـوة الـكفار فى أوجهـا وعنفوانها وشراستها ، ليعلموا أن اللـه ناصر رسوله ، ولو تخلوا عنه .

فالآيات التي ذكرت الهجرة اذن لـم يكن القصد منها الا التذكير والاعتبـار لمعرفة مدى نصر الله للمخلصين ، ومدى ما يمد به هؤلاء من عز وتمكين لهـم فى دينهم ودنياهـم ، ليداوى بذلـك علل الضعف فى نفوس المسلمين ، ويحفـز هممهم للتضحية والفداء .. فى عهده صلى الله عليه وسلم وعلى مر القرون ..

جزء من ايمانه

ولكي تكمل الصورة ، وتتضح العبرة ، نجد القرآن الكريم يذكر أيضـا أناسـا أخلدوا الى الراحة ، ورضوا ذل العقيدة أو كبتها ، حين استطابوا مكة مقاما لهم فى ظل النفوذ المشرك ، ولم يكن لديهـم من قوة الأيمان مـا يحملهم على الهجرة مع من هاجـروا الى أرض الحريـة فى المدينة ، ذكر القرآن هؤلاء فى صـورة حوار دار بينهم وبين الملائكة حين قال ــ « أن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مسـتضعفين

في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » . ليوضح بهذا عاقبة الضعفاء من المسلمين الذين أحجموا عن التضحية والهجرة الى أرض الحرية ، الى المدينة ، وآثروا البقاء في مكة أذلاء مستضعفين ليظهر الفارق الكبير بذلك بين هؤلاء الذين أحجموا عن التضحية ، ورضوا بالحياة الذليلة ، وبين أقوياء الايمان الذين ضحّوا بكل ثمين لديهم ، وكل عاطفة تمتلكهم في سبيل اعزاز عقيدتهم وحريتهم .

والقرآن بهذا كله يدعو كل مسلم الى أن يجعل حريته في تعبيره عن عقيدته ورأيه جزءا من ايمانه ويضعها في مكان الصدارة من كل ما سواها ، ويعتبر التفريط فيها هدما للأساس فلا يصلح أن يقوم عليه بناء .

هذه هي الحقيقة التي يجب أن يعيها المسلمون الآن ، وفي كل آن ، نستمدها من القرآن ونضعها أمام كثير من المسلمين — ولا سيما أصحاب الرأى والكلمة فيهم — الذين يؤثرون العيش في ظل الاستعباد ويجعلون أنفسهم مطية لأعدائهم ، ظانين أن الاسلام لا يطلب منهم الا أن يصلوا ويصوموا ويتصدقوا .

الا ان هذه كلها فروع واغصان وسيقان . جذورها حرية المؤمن في عقيدته ، وعزته في ارضه ، فاذا فقدت هذه الجذور انقطع عن الساق والفروع والاغصان روح الحياة وصارت لقمة هنيئة للنيران ، او هشيما تذروه الرياح .

معنى الهجرة

وبعد — فلقد كانت الهجرة التي تحدثت عنها هذه الآيات هجرة حسية مكانية فيها انتقال من مكة الى المدينة ، من المحيط المشرك الطاغي المستبد في كفره وشركه ، الى المحيط الاسلامي الذى تتمثل فيه حرية المسلم وشعوره بكرامته .. ومن أجل ذلك جعلها الله حدا فاصلا بين المؤمن الصادق المستحق لرضوان الله ، وبين غيره ممن لايستحقون الا غضبه وعذابه .

وقد استمر الأمر كذلك حتى فتحت مكة وارتفع فيها علم الاسلام ، وسادت كلمة المسلمين ، وأصبحت دار حرية وأمن لهم كالمدينة .. وبذلك لم تعد هناك ضرورة للهجرة منها الى المدينة فقد رفرف عليهما معا علم التوحيد وعطر جوهما نسيم الحرية والعزة ..

ولكن بقي بعد ذلك من الهجرة معناها وروحها . فان روح الهجرة التضحية بالشهوات والعواطف والملذات، ومجاهدة النفس فيما تهواه وتؤثره من راحة بدنية أو ثروة مادية ، أو الابقاء على صلة عائلية ، وأيثار الايمان ومقتضياته على كل ذلك ..

هذا اللب أو هذا الروح من الهجرة هو الذى بقي ، ويجب أن يبقى حيا في نفوسنا ، وقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حين جاءه « مجاشع بن مسعود السلمي » بأخيه « معبد » بعد الفتح ، وقال له : يا رسول الله ، بايعه على الهجرة . فقال صلى الله عليه وسلم : « قد مضت الهجرة بأهلها » .. فقال مجاشع : فبأى شيء تبايعه ؟ قال « على الاسلام والجهاد والخير » وفي حديث آخر له « المهاجر من هجر السيآت » أو « من هجر ما حرم الله » فأصبح معنى الهجرة حينئذ : هجر الانسان لشهواته وملذات نفسه المحرمة، مع فعل الخير والجهاد في سبيل الحق ، وتحمل التضحيات من أجل ذلك كله .

لم يعد من المطلوب منا — اذن — أن نترك بلدنا ، ونتخلى عن مسؤولياتنا ، اذا رأينا فيها فسادا أو اضطهادا ، بل المطلوب أن نبقى ونجاهد ونكافح للقضاء على هذا الفساد ، وعلى الذين يستبدون ويفرضون علينا كلمتهم ، ويتلاعبون بديننا ومصالحنا ومصائرنا .

ان الهجرة المطلوبة من كل بلد اسلامي مغلوب على أمره هي هجرة الروح .

هجر العيش الهنيء والرضا به فى ظل الاستعمار ،وايثار الجهاد والتضحية عليه .

هجر المنصب الزائف الذى يتلاعب من ورائه الاستعمار بمصائرنا .

هجر الألقاب والشكليات التي تغرينا بالراحة وعدم مقاومة الاستعمار ..

هجر الدسائس التي تفرق كلمتنا والشهوات التي تضعف قوتنا ، والاهواء التي تمكن عدونا منا ..

هجر الحاكم صغيرا أم كبيرا ما تميل اليه نفسه من الاستيلاء على محكوميه ، والاستبداد بهم وهضم حقوقهم ، والتهاون فى تحقيق مصالحهم ، وايثار العافية والراحة فى دنياه عليهمافى أخراه .

هجر الغني حبه لماله حبا يستعبده ، ويجعله مملوكا له لا مالكا .

هجر الموظف وكل من يتحمل أمانة عمل من الأعمال ما تركن اليه نفسه من راحة أو عبث أو تفريط فى الأمانة التي حملها .

هجر العالم فى معمله ومخبره أو فى قاعات درسه ، وبين صفحات كتبه ، ترف الحياة ولذائذها فى سبيل أن يقدم لأمته نتاج خبرته وعلمه .

هجر الصانع والزارع والطالب تهاونه وتفريطه فى رسالته ومهمته .

هجر المسلمين جميعا روح الكسل والاهمال ، والتواكل ، والضعف ، والتفرقة والدس ..

ان واقع المسلمين الآن يفرض عليهم الهجرة بهذا المعنى .. فانه واقع مر ، لا يمثل أبدا ما يريده الاسلام لأتباعه ، ولقد كانت الهجرة التي هاجرها الرسول وصحابته جهادا للتخلص من واقع مرير يتمثل فيه الظلم والاضطهاد والكبت فى صورة جلية ، الى واقع تتجلى فيه الحرية . حرية العقيدة وحرية التحرك والتصرف .. ولقد تحمل المهاجرون الأوائل فى سبيل ذلك أقسى وأشد أنواع الجهاد والتضحية ..

والقرآن الكريم حين يذكر المسلمين الأوائل بالهجرة وتضحياتها انما يدعوهم الى المحافظة على ايمانهم القوى الذى كسبوا به عون الله وتأييده ، وحين نقرأ هذه الآيات نشعر كأنها تنادينا وتدعونا الى التأسي بالسابقين لا فى ترك الأوطان يتلاعب بها وبمصيرها الظلمة المستبدون، ولكن فى قوة الايمان ، والبذل والتضحية لتخليص الأوطان من هؤلاء المستبدين ، ولاعزاز العقيدة ، وتدعيم كلمة الدين ، وتوطيد الحرية وتوفير العزة التي كتبها الله للمسلمين ، هذا هو معنى الهجرة المطلوبة منا الآن .

ولكن لا أحب أن أقف عند هذا ، وأبتعد عن ناحية من واقعنا الآن أيضا ، ربما كانت لها صلة بالمعنى الأول للهجرة من بعض نواحيها .. وربما تثير تساؤلا أيضا فى نفس القارىء .

هناك من المجاهدين فى سبيل أوطانهم من يتعرضون للاغتيال أو السجن المؤبد أو التعذيب داخل وطنهم بيد المستعمرين والمستبدين ، ويصبح بقاؤهم فى هذه الحالة بأرض وطنهم عديم الجدوى، فهل لمثل هؤلاء أن يتركوا وطنهم ، ويهاجروا منه الى بلد يستطيعون فيه أن يرفعوا أصواتهم ضد المستعمرين له ، المتلاعبين بمصيره ، بما يتاح لهم من وسائل قد لا تتاح فى وطنهم ؟ أو ان تركهم للوطن يعتبر فرارا من تحمل المسؤولية ؟ .

الواقع أن الحكم فى ذلك لا يمكن أن يكون حكماً كليا . فانّ لكل مجاهد ظروفه ، وطاقته ، التي تختلف عن غيره .. وقد يكون حبس الزعيم المجاهد

البقية على ص : ٩٥

وكم أنا مسرور لنجاح مشروع المجلة ، ولا شك أنني فى شوق لاستقبال العدد الاول منها ... وآمل أن شاء الله أن يكون محققا لما رجوته .

وأحب أن أذكر بمزيد من الشكر والتقدير ما لاقته فكرة المجلة من الترحيب والتأييد والعون الكريم من حكومة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله .. وأنا متأكد أنها ستلقى المزيد من هذا التأييد والعون لتؤدى رسالتها كما يرجو كل مخلص لدينه ووطنه .

فقلت لمعاليه : وهذا يدعونا الى أن نسألكم عن المنهج الذى تختارونه لها وقد اطلعتم على كثير من المجلات الدينية التى تصدر فى البلاد الاسلامية ..

فقال سيادته : ان صدورها فى الثوب الذى أحبه ليس بالشىء الهين الميسور وأنا من الذين يؤمنون بتطور الاشياء ، وأن كل نقص يمكن تداركه ما دام هناك ايمان وعزم وتصميم ، وذلك كله لا ينقصكم والحمد الله .

وأنا أعرف أن كبار الكتاب فى العالم الاسلامى قد لبوا الدعوة للمساهمة فى الكتابة بها مشكورين .. وآمل أن يكون النهج الذى تنهجه مجلتنا الجديدة ((الوعى الاسلامي)) بعيدا عن كل ما يعكر صفو رسالتها ، وأن يكون رائدها الحق ترفع صوته ، وتذود عنه بكل صراحة ووضوح ، وأن تعرض الاسلام فى ثوب قشيب محبب للقراء ، وأن تساهم فى النهضة الفقهية التشريعية التى يتطلبها مجتمعنا ، وأن يعالج كتابها مشكلاتنا الجديدة على هدى من الشريعة حتى يمكن ايجاد حل لهذه المشكلات ..

قلت لمعاليه : هذا أمر مهم جدا فلم تعد المسألة الآن مسألة ترديد أمجاد تاريخية فقط .. بل يجب ان نخطو كذلك للامام ونعمل لنضيف امجادا الى أمجاد فى كل مجال من مجالات الحياة ..

ثم قلت لسيادته : هل راعيتم فى مخططكم حين فكرتم فى اخراجها ان تقوم بنصيب فى تثقيف المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية ؟

قال : نعم . فانا أعرف طبعا أن كثيرا من المسلمين لا يعرفون العربية وفى حاجة الى وعى اسلامي سليم ، ومن واجبنا أن نلبي حاجة هؤلاء الاخوان ومن أجل هذا راعيت فى مخططى للمجلة ولادارة الدعوة ، أن تقوم بنصيبها فى هذا المجال ، وآمل أن يتحقق هذا المخطط على يد المسئولين الآن فى الوزارة ، وأن تتم ترجمة بعض الموضوعات الهامة التى بين دفتيها تعميما للفائدة ، وتحقيقا للهدف المنشود ، حتى تكون الكويت قد ساهمت بقسط فى هذا المجال ..

قلت لسيادته : هذا أمر طبيعى لا بد للمجلة أن تقوم به . وقد كان بودى أن يصدر العدد الاول منها محققا لهذا الواجب لولا ظروف خارجة عن الارادة حالت بيننا وبين ذلك ، لكني آمل أن يتحقق هذا فى المستقبل باذن الله وعونه .. وذلك بالاضافة الى ما يقوم به قسم النشر والترجمة بالوزارة من ترجمة بعض الكتب للغات الحية ، وقد بدأ بترجمة كتاب « شبهات حول الاسلام » للاستاذ محمد قطب وقطع شوطا كبيرا فى الترجمة .

قال سيادته : هذا ما نرجوه وأسأل الله العلي القدير أن يحقق لهذا الوليد الجديد التقدم والاستمرار والتوفيق . وتحياتي وتقديرى لكل من ساهم ويساهم فى تدعيمها وأعان ويعاون فى اخراجها والنهوض بها .. وجزى الله الجميع خير ما يجزى به العاملين المخلصين ..







للشاعر الأستاذ محمود غنيم

أيُّ نجمٍ في سَمَــاء العَــرَبِ ... صارَ في الأُفقِ حديثَ الشُّهبِ ؟
أيُّها التاريخُ بالنــور اكتُــب ... قصَّــة البعثِ لشــعبٍ ونَــبى
ولد المخْتارُ وضَّــاءَ الجبــينْ
يا له فجرا جديــداً ظَهــرا ... روَت التــوراةُ عَنْــهُ خَــبَرا
سائِل الإنجيلَ ماذا سطرا ... عن نبى عــربىِّ النَسَــب
يَغْمُرُ الأرض سناه بَعْد حــينْ ؟
وَلدَتْهُ مولِدَ العافى الفقــير ... حــرةٌ تبكى على فَقْد العشيرْ
فتولته يدُ المولــى القديــرْ ... واحتفــى الرُّسْل به فى موكِبِ
بين حُور قاصراتِ الطرْف عِــينْ
قُلدته الأرض كالــدر الكريــمْ ... وكريمُ الــدرِّ أغــلاهُ اليتيــمْ



البعث

يا لطفلٍ فقدَ القلبَ الرحيمْ　　ما احتواه في الصِّبا صدرُ أب

هزّ في المهد عروشَ الملكينْ

ناشئٌ لم يقضِ في اللهو صباهْ　　عرفَ اللهَ ولم يعرفْ سواهْ

ما انحنى للاّت يوماً أو مناهْ　　دانت الحكمة طرا لصبِي

من قريشٍ لقَّبوهُ بالأمينْ

هل رأت مكة في يومِ الحجرْ　　وعيونُ القوم ترمى بالشررْ

كيف شبتْ فتنةٌ بين الأُسَرْ　　ثم ساد الحِلمُ بعد الغضبِ

حين مدَّ الثوبَ طه باليمينْ

أيها الناسكُ في غار حِراءْ　　أرهِف السمعَ رويداً للنداءْ

هاتفٌ من عند رب العرش جاءْ　　بالصوت من وراء السُّحُبِ

هتَفَ « اقرأْ » باسم ربّ العالمينْ .

حدِّث الفانين عن دار البقاءْ　　وانشر العطفَ وبشرْ بالإخاءْ

واتل فوق الأرض آياتِ السماءْ　　من كتاب ليس مثلَ الكُتُبِ

فيه نورٌ وهدىً للمتقينْ

ويْحَ أهلِ الشِّرك عُبَّاد الصنمْ　　ان دعوا للحق لاذُوا بالصممْ

ساوموا المختارَ في الله فلَمْ　　يرضَ بالجاه ولا بالنشبِ

إنما الزهدُ شعارُ المصلحينْ

رُبَّ عبد في سبيل الله قــــــدْ فَقَدَ المال وضحّى بالولـــدْ
كلما سِيم الأذى قــال أحـــدْ صهروا جثمانَه في اللهـــــبِ
فَوقَى جُثمانَــه بردُ اليقــــينْ

خاب جمع بالرســول ائتَمَـــرَا ولمن أرسَلــه عـــينٌ تَـــرَى
نثَر التُرْبَ عليهــم وانــبَرى فإذا أبصارُهــم فــي حُجُــبِ
ما الذى أغْشَى عيـــونَ المشــركينْ ؟

سائل الصِّدّيقَ ماذا روعـــــهْ وإلهُ العرش في الغار مَعَـــهْ ؟
فضلـــه — سبحانه — ما أَوسعَــهْ حلّ ركب المصطفى في « يَثْــربِ »
فتلقّــوْه لقـــاءَ الفاتحــــينْ

لُحْ علينـــا من ثنيّات الــــوَدَاعْ وادعُنـــا للحـــق يا أكــرمَ داعْ
أيُّهـــا المبعوثُ بالأمر المطـــاعْ ثبْ بنا فــوق الرواســـى نَثِـــبِ
وخض البحـــرَ نخضْــه أجمعــينْ

هتف الخزرجُ والأوسُ معـــــا وعلى حــب الرســول اجتمعـــا
مالهــم صفّــاً وكانـــوا شيعَـــا ؟ أذهب الاسلام ما لم يُذهِــــبِ
قدمُ العهــد من الحقــد الدفـــينْ

والتقَــى الجمعانِ في بـــدْرٍ فمــا ثبَّتَ اللهُ لبـــاغ قَــــدَمَا
أرأيت الشِرْكَ كيــفَ انهزمَـــا ؟ مَنْ بســيف الله يضـــربْ يغلبِ
ولمن ينصرُهُ النصـــرُ المبـــينْ

حدّثي يابـــدرُ عن صيد كُمــاةِ طلبـــوا الموتَ ففازوا بالحيـــاةِ
لم تزَلْ ســيرتُهم بعــد الممـــاتِ قصَصَ الدهــرِ ونجـــوى الحِقَبِ
ولهـــا في مَسمعِ الدنيا رنـــــين

قلم الاسلامُ أظفارَ الطُّغَاه ْ وابْتَنَى للعُرْب جاها أيَّ جاه ْ
ومشى يبعثُ في الأرض الحياه ْ فأظلَّ الأرضَ عصرٌ ذهبي
سائل المأمون عنه والأمين ْ
من رأى شعبا شتيتا من رعاه ْ أصبحت تُحني له الدنيا الجباه ْ
أمَّ في المشرق « كسرى » ففراه ْ وتحدّى قيصرا في المَغْرب
ناشراً أعلامَه فوق السفين
بدويٌّ علّم الدنيا الحضاره ْ تخذ الإنصافَ والشُّورى شعارَه ْ
فإذا الدنيا ابتسامٌ ونضاره ْ يتساوى أهلُها في الحَسَب
لم لا والكلُّ من ماء وطين ْ
في سبيل الله أسلافٌ كِرام ْ رفعوا صرح العلا كيف يقام ْ
شيّدوا المجدَ بأشلاء وهام ْ وطلَوْه بالدم المنسكب
لا ينال المجدَ بالروح ضنين ْ
يابني العُرْب وأشبال الأُلى فسروا معنى التآخي للملا
اجعلوا سيرةَ طه مثلاً تزحَمُوا نجم السما بالمنكِب
إننا شعبٌ له التوحيدُ دين ْ
نحن بالحب وبالخير ندين ْ لانثير الرعبَ بين الآمنين ْ
أرضنا روضٌ وريفٌ وعرين ْ مذهب أكرمْ به من مَذْهب
سنه طه إمامُ المرسلين ْ



للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد

يحرص الاسلام أشد الحرص على استدامة حسن الصلات بين المسلمين ، ويعمل جاهدا على تنقية المجتمع من كل ما يسيء ، أو يكون مصدر اساءة ، وفي الحديث الشريف بيان لصفات المسلم الذى انقاد لأوامر الله تبارك وتعالى ، وأسلم وجهه لله رب العالمين ، فترك هوى نفسه ، وجانب ميولها السيئة ، وكرس كل ما يصح أن يقتنى ويستأثر به فى هذه الحياة ، وصيره تابعا لمرضاة الله استجابة لأوامره وطاعة لرسوله ، وعملا بما ورد فى محكم التنزيل « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » (١) .

فاذا تم للمسلم ذلك الحب الخالص ، وبدأت ثماره تؤتي أكلها ، بادر الى امتثال أوامر الله ورسوله جميعها ، فكف عن أخيه المسلم كل ما يستطيع كفه من شر ، وقيد نفسه بأحكام الاسلام فلا يطاوع نزغات شيطانه ولا وساس نفسه ولا ثوران غضبه بل يطرح كل ذلك وراء ظهره ويكبح جماحه ويقول : أسلمت نفسي وقوتي لله سيدى ومالكى رب العالمين ، وكل امرىء يستطيع أن يزن أموره ويخلص الى الخير وينأى عن الشر بمراقبة هواه حين يتعارض مع رضا ربه ، فيحول اتجاهه بقوة الايمان وينتصر عليه بما استكن فى قلبه من ثقة

(١) الآية ٢٤ من سورة التوبة .

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه)) .

بالله ، وتلك هي الشدة الممدوحة التي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : ((ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب)) (٢)

ولما كانت اليد مظهر القدرة غالبا ، دخل فى السلامة منها السلامة من كل ما يعمل بها وينتج الاساءة كالقتل والسرقة والنهب والسلب والضرب وقطع الطريق وتشمل الاساءة باليد الاساءة بالكتابة والاشارة ، ومثلها العين فى غمزاتها ، ويدخل فى هذا الباب أيضا ، غصب الدور والاستيلاء على ما يخص الغير بغير حق ، واصدار الاوامر للاتباع بعمل ما يضر ، وقدوردت أحاديث كثيرة تجل عن الحصر تحذر عاقبة الاساءة باليد واللسان وسائر الجوارح ، منها ما روى البيهقي عن أم معبد رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((. . اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب وعيني من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)) وروى البيهقي أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((اللهم اني اسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر)) وروى البخارى عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)) فالمرء اذا حفظ لسانه ، وراقب ما يصدر منه وعف عن الناس فلم يخض فى أعراضهم كان مسلما حقا ومؤمنا صدقا ، فمعظم الآفات من اللسان

جراحات السهام لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

فرب كلمة أهلكت أمة ، وأشعلت حربا ضروسا ، وأفسدت ملكا كبيرا ، ولهذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللسان على اليد ، لأن عمل اليد غالبا ما يجيء تاليا لعمل اللسان وناجما عنه أو مترتبا عليه ، وقد حرم الاسلام على المسلم سباب أخيه والعدوان عليه خوفا على روابط المسلمين أن تنماع وتتفكك قال صلى الله عليه وسلم فى حديث متفق عليه ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)) وروى البخارى عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك)) ومن يعلم ما فى القلوب غير علام الغيوب ؟ ! وقد عاب رسول الله فعل من تسرع فى الحاق الأذى بمن نطق بالشهادتين وقال له : ((هلا شققت عن قلبه)) وجاء القرآن الكريم مؤيدا ما قصد اليه سيد الخلق فقال تبارك وتعالى : ((يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى الأرض فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا . .))(١)

ومما حرم الله من الايذاء باللسان . النميمة والغيبة ، فأما النميمة فهي

(١) رواه البخارى .

(٢) الآية ٩٤ من سورة النساء .

السعي بين الناس بالفساد قال صلى الله عليه وسلم: « لا يدخل الجنة قتات » أى نمام (١) واما الغيبة فيكفي فى شناعتها ومجافاتها للطبع السليم وبعدها عن الخلق الكريم، وتردى صاحبها فى الحيوانية والوحشية قول العلي الكبير: « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه » (٢) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا: الله ورسوله اعلم ، قال: ذكرك اخاك بما يكره، قيل: أرايت ان كان فى اخي ما قال ؟ قال: ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » (٣) ولا يظنن احد ان ما يلقى من القول استهتارا ودون ترو لا مسئولية فيه ، لا بل فيه مسئولية وأية مسئولية، قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى نار جهنم » (٤) وعن عقبة ابن عامر قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ما النجاة ؟ فقال: « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » (٥) وعن أبي سعيد (مرفوعا) قال: « اذا اصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تتذلل وتتواضع للسان فتقول: « اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا » (٦) فاللسان اذا فسد أفسد الأعضاء جميعا ، ومن فساده الكذب فى الحديث ينقله ويرويه عن شخص لآخر ليوغر صدريهما ويسيء ما بينهما ويباعد شقة خلافهما ، وقد نهى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فاني أحب أن اخرج اليكم وانا سليم الصدر » (٧) وعن سفيان بن أسد الحضرمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وانت به كاذب » (٨) .

وقصارى القول أنه مهما لقى المسلم من عنت واساءة فيجب عليه الصبر ودفع السيئة بالحسنة ولا يصح له اعتزال الناس ما دام قادرا على القيام بالخدمة النافعة للمجتمع الذى يعيش فيه ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذى لايخالطهم ولا يصبر على اذاهم » (٩) .

ومما يزيد فى تماسك المجتمع الاسلامي وارساء قواعد الالفة بين أفرادهم بعدهم عن الفحش فى القول والعمل ، وهجرهم كل ما من شأنه أن يورث نار العداوة والشقاق ولهذا قال سيد الخلق: « والمهاجر من هجر ما نهى الله » .

والأصل اللغوي للهجرة . الترك مطلقا وقد يراد به ترك الوطن الى غيره ، وفي الشرع مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوفا من الفتن ورغبة فى اقامة الدين ، وفى الحقيقة مفارقة كل مايكرهه الله الى ما يحبه .

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متحول

وتطلق الهجرة على هجرة القلب لما يكون عليه من يخالف فى العقيدة ، وعلى الشرائع الباطلة والعادات المستهجنة التي تهدم الانسانية ، وتنشب معاولها فى بناء الخير الشامخ القوى ، فالهجرة تنتظم الحسية منها والمعنوية ، فلجوء المرء

---

(١) رواه البخارى (٢) الآية (١٢) من سورة الحجرات

(٣) رواه مسلم (٤) رواه البخارى (٥) رواه احمد والترمذى (٦) رواه الترمذى

(٧) رواه أبو داود (٨) رواه ابو داود (٩) رواه الترمذى وابن ماجه .

الى وطن يحميه يعادل لجوء القلب الى الى من يلوذ به وينطوي على وده ومحبته، وكل عند صاحبه حبيب :

وكل امرىء يولي الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

ولما كان من المؤمنين الصادقين من فاتتهم الهجرة الكبرى من مكة الى المدينة . تلك الهجرة التي كانت آية الايمان الراسخ ، والتي أشاد بفضلها القرآن الكريم وأعظم أجر من قام بها ، وحكم لهم بالصدق فى طاعة الله ونصرة رسوله ، قال تعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون » (١) ـ وواضح انه بعد فتح مكة لم يبق من سبيل الى تحصيل تلك الهجرة الخاصة ـ قال رسول الله : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » معلنا أن الفضل فى الحقيقة ليس راجعا الى ترك مكان الى آخر ، وانما المقصود هو الفرار من الافتتان عن الدين والابتعاد عن الوقوع بين براثن الشيطان الرجيم ، وعلى هذا فلا يزال باب الهجرة مفتوحا وان فات مظهره المحسوس وهو الانتقال من دار الكفر الى دار الاسلام ، فالمسلم فى كل أحواله معرض للفتنة ، ووساوس النفس الأمارة بالسوء ، ومنازعة الهوى ، وكلها شرور تحاول الاستيلاء على قلبه حتى تسلبه ايمانه ، فمن تغلب عليها ولجأ الى حمى ربه مستعيذا به فهو مهاجر الى الله قاصد عونه راغب فى رحمته ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وان استنفرتم فانفروا » (٢) وعن عمرو بن عبيد انه سأل عائشة رضي الله عنها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم فقد كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله والى رسوله مخافة أن يفتن عن دينه فأما اليوم فقد أظهر الله الاسلام ، والمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية » (٣) وعن مجاشع بن سعود قال : انطلقت بابني معبد الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الهجرة فقال . انقضت الهجرة لأهلها فبايعه على الاسلام والجهاد » وفى هذه الاحاديث الشريفة ما يدل على أن الهجرة الباقية هي هجرة السيئات ، روى أحمد من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص قال : جاء أعرابي الى رسول الله فقال : يا رسول الله أين الهجرة اليك ؟ حيث كنت أم الى أرض معلومة أم لقوم خاصة أو اذا مت انقطعت ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال : أين السائل عن الهجرة ؟ قال : هأنذا يا رسول الله . قال : اذا أقمت الصلاة وآتيت الزكاة فأنت مهاجر وان مت بالخضرمة » قال : يعني أرضا باليمامة ، وفى رواية « الهجرة . أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، ثم انت مهاجر وان مت بالخضرمة » .

فالله تبارك وتعالى نسأل أن يمكننا من التغلب على هوى النفس وكيد الشيطان وأعوانه من الجن والانس ، وأن يجعلنا ممن هجروا المعاصي وهاجروا فى سبيله.

وقد عرفنا مما مر فى شرح الحديث الشريف كل ما يؤكد المحبة بين الناس ويقوى ألفتهم ، ويغرس روح التضامن والتكافل فى المجتمع الانساني ، وأن من كف يده ولسانه عن اخوانه وعشرائه ومواطنيه فهو معدود فى المهاجرين الذين ينأون عن الدنايا ويبتعدون بأنفسهم عما حرم الله لينالوا رضوانه ويحظوا بمغفرته ويدخلوا جنته وشعارهم دائما « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » (٤) .

---

(١) الآية ٨ من سورة الحشر (٢) رواه البخارى (٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) الآية ١٠ من سورة الحشر .

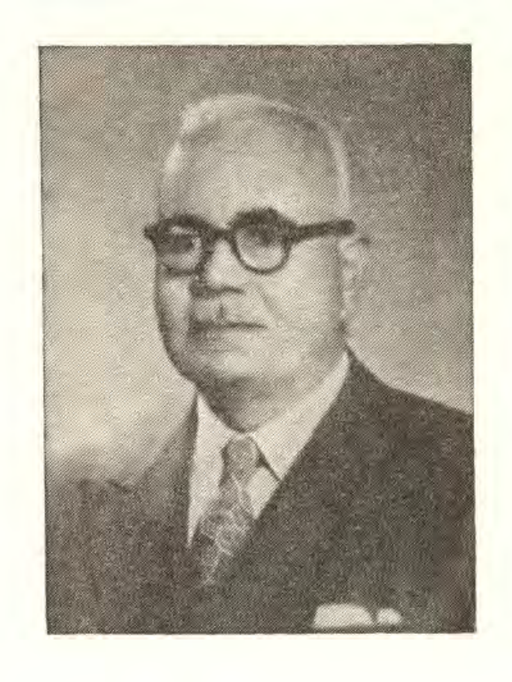


الاسلام والمعاملات المصرفية

أولا ـ الفائدة ورأى الاسلام فيها :

المعاملات المصرفية التى سادت فى البلاد الاسلامية انتقلت بقضها وقضيضها الى البلاد الاسلامية . وأصبح المسلم فى حيرة من أمرها : أيقعد عن مسايرة الركب الاقتصادى المسيطر على عالمنا المعاصر فيكون من الخاسرين فى الدنيا ، أم يجارى التيار الآثم فيبوء بغضب من الله ويكون من الخاسرين فى الآخرة ؟ .

ولما كانت جميع المعاملات المصرفية ليست سواء فى الاثم ، بل منها ما هو خير فى طبيعته محمود فى عقباه ، ومنها ما تشوبه أوزار الربا وآثامه ، فقد أصبح لزاما على كل مسلم أن يعكف على التمييز بين الجانبين ، وأصبح لزاما على كل ذى رأى وخبرة بهذه الشئون أن يلقى ضوء الاسلام على هذه المعاملات .



للدكتور محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

« هذه محاولات محمودة يقوم بهـــا الاستاذ الكبيرالدكتور محمـــد عبـــد الله العربى لتصحيح الاوضاع المالية السائدة فى بلادنا والمستوردة منالغرب ، وذلك على أساس اســـلامى رشيد ، وهى محاولات جديرة بالبحث والنظر نرجو المزيد منها لنخطو خطوة ايجابية نحو اقتصاد اسلامي سليم » .

« الوعي الاسلامي »

ولنبدأ اليوم ببحث الفـــائدة التي تفرضها المصارف على المقترضين منها ، والفائدة التى تدفعهـــــا المصارف الى المودعين أموالهم فى خزائنها .

ـ ١ ـ

لا يستطيع أحد أن ينكر أن البنوك فى وضعها الحاضر تؤدى للمجتمع خدمات قيمة سواء فى ميدان التجارة الداخلية أم ميـــدان التجـــارة الخارجية ، وهـــى تستحق عن هذه الخدمات أجرا ملائمـــا يسمى « عمولة » هي بلا شـــك كسب مشروع لا شبهة فيه .

هذه الوظيفة التي تؤديها البنوك فى ميدان التجارة ـ وهي من أهم مصادر الرزق الحـــلال ـ هى وظيفة مشروعة يجب استبقاؤها ، فالبنوك هنـــا تؤدى عملا يتطلب براعـــة وحذقـــا كبيرين ، والاسلام يفرض فى كل جهد يبـــذل فى نشاط مشروع أن يثاب باذله بأجر عادل لا حيف فيه .

فالبنوك عندما تباشر صفقة تجارية ، أو تصدر خطاب اعتمـــاد ، أو تحصـــل أو تسدد دينا لعميل ، أو تنظم اكتتاب الجمهور فى شركة مســـاهمة ، أو تعطى رأيا فنيا فى تقلبات السوق التجارية .. الخ ـ تؤدى عملا مشروعا يستحق أجرا مناسبا ، غير ان هـــذا الاجـــر يجب ان يصاغ فى شكل « عمولة » تتناسب مع مدى المجهود الفني أو المالي الذى بذله البنك ، ومع مدى المخاطر اذا كان ثمة مخاطر تحملهـــا ، ولا يكـــون فى شـــكل « فائدة » ثابتة على ما يكون قد قدمـــه من قروض اذا كان ثمة قروض اقتضتها هذه العمليات المصرفية .

كذلك عندمـــا يمـــول البنك مشروعا تجاريا أو صناعيا ، **لا بصفته مساهما (لأنه فى حالة المساهمة لا محل لاثارة**

موضـــوع الفائدة) بـــل كممول يقدم قروضا نقدية ، فهنا أيضــا يســتحق البنك أجرا عن الخدمة التى يؤديها . وله أن يحدد الأجر كما يرى ، بشرط ألا يكـــون التحديد بفــائدة ثابتـــة يحصلهــا عن القروض التى قدمهــا ، بصرف النظــر عن نجــاح المشروع أو فشـــله . بل يكون التحديد فى صورة جزء من الأرباح التى يرتجى القائمون بالمشروع اكتســابها ، ويصح أن تكون نســبة مئــوية من الأرباح المــرجوة ، والمرجع فى ذلك الى ما يكون من اتفاق الطــرفين ، وفى نفس الوقت يجب أن يكون متفقا عليه بين الطرفين أن البنك يساهم فى مخاطر المشروع اذا فشل . فان لم ينتج المشروع اى ربح فللبنك أن يســترد مـــن المقترضــين أصـــول القروض التى قدمهــا ــ اذا سمحت بذلك موجودات المشروع ــ كما يسترد أيضا ما تحمله من مصروفات فى عملية تمويل المشروع ، وللبنك بعــد ذلك أن يوجه وعيه وحذره عند توظيف أمواله حتى لا يتعرض لخسارة تؤذيه ، كمــا أن له لضــمان اســترداد أصــل ماله ومصروفاته ــ أن يطلب من صـــاحب المشروع مــا يشــاء مـــن الضـــمانات الموازنة .

هذه العملية فى صميمها مشـــاركة فى الاســـتثمار ، اســـتثمار بالوكالة ، فصــاحب المشروع يقــوم باســتثماره بالاصالة عن نفسه وبالوكالة عن البنك فيما قدمه اليه من رأس مال .

وهذه المساهمة من جانب البنك فى أرباح المشروع وخسائره هي قوام عقد مـــن العقـــود الجائزة شرعـــا ، عقـــد « المضـــاربة » الـــذى عرفه فضـــيلة الأستاذ المرحوم الشيخ احمد ابراهيم، وكيل كلية الحقوق وأســـتاذ الشريعة الاسلامية بها التعريف الآتي (١) :

« المضاربة ــ وتسمى أيضا القراض او المقارضة ــ نوع من انواع الشركة ، يكون فيه رأس المـــال مـــن شخص ، والعمل من شـــخص آخـــر ، ويقـــال للأول صـــاحب رأس المال ورب رأس المال ، ويقال للثاني مضارب ، وهو من العقـــود الدائـــرة بين النفع والضرر ، كسائر انواع الشركة .

« وركنهـــا الايجاب والقبول كغيرها من العقود ، وتنعقـــد بكل عبارة تفيـــد معناها ، كأن يقول شـــخص لآخـــر ، خـــذ هذه النقـــود التي مقدارها كذا واتجربهـــا على ان يكون الربح بيننـــا مناصفة (مثلا) .

« وهي تنقسم الى قسمين : مطلقة ومقيدة .

« فالمضاربة المطلقة هي التى لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا نوع تجارة ولا تعيين من يعامله المضـــارب فى التجارة ، ولا بأى قيد كان .

« والمضـــاربة المقيدة هي ما قيدت ببعض هذا أو كله ، يقـــول رب رأس المال للمضارب : اشتر برأس المال قطنا او فولا او عدسا او قمحا (مثلا) من بلد كذا فى وقت كذا ، وبعه فى جهة كذا فى زمن كذا ، ولتكن معاملتك مع فلان أو فى الجهة الفلانية . . . الخ .

« ويشترط فى رأس المال أن يكـــون من النقود التى يتعامل بها فعلا .

(١) كتاب المعاملة الشرعية المالية : ص ٢١٧ وما يليها .

« ويعتبر المضارب وكيلا بالقبض أولا ثم مضاربا ، ومن هذا تعلم أنه يشترط في المضارب أن يكون أهلا ، وفي صاحب المال أن يكون أهلا للتوكيل، وهذا شرط عام في كل أنواع الشركات.

« ويشترط أن تكون حصة كل من العاقدين جزءا شائعا من الربح كالنصف أو الثلث أو الربع لأحدهما والباقي للآخر ، فان كان ما اشترط لأحدهما مقدارا معينا فسدت المضاربة ، لاحتمال أن الربح لا يأتي زائدا على ذلك المقدار المعين ، فتنقطع بذلك الشركة فيه فيفوت الغرض من المضاربة ، والقاعدة أن كل شرط يوجب قطع الشركة في الربح ، أو يوجب الجهالة فيه ، فانه يفسد المضاربة » .

ولكن من أين تأتي البنوك بالاموال التي توجهها في انجاز عملياتها المختلفة وعلى الاخص في تمويل المشروعات ؟ بعضها يأتي من رأس مال البنك ـ أي من قيمة الاسهم التي اكتتب بها المساهمون ـ ولكن أكثرها يأتي من ودائع المودعين .

ففي النظام الرأسمالي يودع الناس فائض اموالهم النقدية في البنوك ، في مقابل فائدة منخفضة السعر يقررها البنك لودائعهم ، ثم يقوم البنك بالاقراض من هذه الودائع لعملائه بفائدة مرتفعة ، ويكسب البنك الفرق بين السعرين ، ويعتبر البنك ودائع المودعين كأنها رصيد واحد متجدد ، يظل يقرض منه للمقترضين بالفائدة المرتفعة وكلما رد مقترض قيمة قرضه أعاده البنك الى هذا الرصيد ، وكرر المرة بعد المرة : الاقراض منه والاعادة اليه ، ومن هنا تأتي الارباح الضخمة للبنوك في النظام الرأسمالي . وهي بمأمن من كل مخاطرة ، مطمئنة الى استرداد قروضها وفوائدها وهي بمأمن من كل خسارة .

هذه الوظيفة المصرفية يسري عليها في رأيي تحريم الربا ، وهي علاوة على هذا التحريم الشرعي قد ثبت للاقتصاديين أيضا أنها تلحق اضرارا جسيمة بالاقتصاد القومي ، فان البنوك في استغلالها للودائع على هذا النحو انما تخلق « نقودا مصطنعة » هي ما يسمونه بالائتمان التجاري وهي في هذا الخلق تغتصب وظيفة الدولة المشروعة في خلق النقود بما يحف بها وبما يوازنها من مسئوليات .

ولسنا ننفرد بهذا الرأي بل قد أجمع كثير من علماء الاقتصاد في الغرب على ان الائتمان التجاري ، سواء أكان في قروض استهلاك أو في قروض انتاج من شأنه أن يزعزع النظام الاقتصادي ويحول دون استقراره ، ويفضي الى الازمات المتعاقبة التي امتاز بها النظام الرأسمالي ، ذلك لان التعامل في البلاد الرأسمالية لم يعد يجري بالذهب أو الفضة أو بأوراق النقد الا في القليل النادر . أما أكثر التعامل فيجري بالشيكات تسحب على الودائع المصرفية ، وهذه الودائع التي تتمثل في مجرد قيود دفترية في سجلات البنوك ، أصبحت بمثابة عملة نقدية مصطنعة ، تسيطر عليها البنوك ، وبطبيعة الاشياء تميل البنوك الى بسط هذه العملة في اوقات الرخاء والى قبضها في اوقات الركود .

وكما قال الاقتصادي الامريكي (هنري سيمونز) معلقا على الازمة الاقتصادية العالمية التي خيمت على أكثر الدول في سنة ١٩٣٠ وما يليها . (لسنا نبالغ اذا قلنا ان أكبر عامل في الازمة الحاضرة هو النشاط المصرفي التجاري ، بما يعمد اليه من اسراف خبيث أو تقتير مذموم في تهيئة وسائل التداول النقدي . ولا نشك في أن البنوك ـ بمعاونة الاحتكار ـ سوف توالينا بأزمات أشد وأقسى اذا لم تتدخل الدولة في الامر ، فاستعادت ـ في حكمة ومسئولية ـ وظيفتها في ضبط أداة التداول) .

البقية في العدد القادم



وحدة الدين عند الله

ان جميع الرسالات الالهية التىأرسل الله بها الرسل لهداية الناس ، انما يقصد بها أمران :

أحدهما : تقرير الواقع فى شأن الالوهية وما لها من صفات ، وما يصدر عنها من ارسال الرسل، وتنزيل الكتب، والبعث والجزاء .

والآخر : هو التدرج بالناس فىمدارج الكمال ، ومدهم بالاحكام التشريعية التى تصلح بها أحوالهم ، وتستقر بها سعادتهم .

ومن الطبيعي أن تتفق الرسالات كلها فى الامر الاول ، لانه رجوع بالبشر الى شيء متقرر ثابت لا يختلف باختلاف العصور والاحوال ، وأن ينحصر الخلاف فى دائرة المناهج والتشريعات التفصيلية التي تتغير بتغير الزمان،ويتدرج الانسان فى مراتبها بحسب أطواره وبيئاته ودرجة رقيه فى العقل والتفكير .

ولذا كان « الدين » واحدا على لسان كل رسول بعث ، وكانت « الشرائع » مختلفة فى تفاصيل الاحكام والتعبدات ، « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .

وقضية اتحاد الدين على اختلاف الرسل قضية يقررها القرآن الكريم فى كثير من المواضع ، ويكررها على أساليب مختلفة ، لتستقر فى النفوس وتؤمن بها القلوب ، ويعلم الناس أنهم جميعا على كلمة سواء ، وأنه لا مبرر للتفرقة والتنازع والعصبيات .

يقول الله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة — (٦٢) .

وهذه الآية تفيد أن أصول الدين ثلاثة :

١ — الايمان بالله على وجهه الصحيح الذى بين فى آيات أخرى ، بأن يشهد الانسان أن لا اله الا الله ، ولا يعبد الا اياه ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يوالي ولا يعادى الا فيه ، ولا يعمل الا لوجهه .

٢ — الايمان باليوم الآخر ، بأن يعتقد أن الله سيبعث الناس من الاجداث ، ليحاسبهم على ما قدموا من خير أو شر، فيكافىء المحسن على احسانه ، ويجزى المسيء باساءته .

ان الدين عند الله الاسلام

لفضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

٣ ـ العمل الصالح الذى من شأنه أن يسعد المجتمع البشرى ، ويزيل الشرور والفساد ، وينشر الطمأنينة والامن، ويمكن كل انسان من أداء واجبه وأخذ حقه ، على وجه سليم لا يفضي الى نزاع ، ولا يؤدى الى ظلم .

هذه هي أصول الدين التى يتفرع منها كل ما سواها ، وقد تضافر رسل الله أجمعون على تبليغها ، وبذل كل واحد منهم فى سبيل تقريرها والتمكين لها ما ملكه الله من جهد ، وآتاه من عمر ، وتلقوها عهدا من الله يبشر فيه سابقهم بلاحقهم، ويؤيد لاحقهم سابقهم، وفى ذلك يقول الله عز وجل :

« واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ، ومن نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » الاحزاب (٧) .

« واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ؟ قالوا : أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » آل عمران (٨١) .

والقرآن الكريم يسوق لنا قصص الانبياء الذين أرسلهم الله الى أقوامهم ، فنجد الرسالات التى جاءوا بها تكاد تتفق حتى فى الالفاظ التى تحدث بها كل رسول :

ففى سورة هود يقص الله علينا أن هودا قال لقومه :

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون » .

وأن صالحا قال لقومه :

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها » .

وأن شعيبا قال لقومه :

« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » .

ويقص القرآن علينا مثل ذلك أيضا فى سورة الشعراء حين يذكر نوحا وقومه فيقول :

« كذبت قوم نوح المرسلين . اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون . انى لكم

رسول امين ، فاتقوا الله وأطيعون . وما اسألكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين » .

ويذكر بهذا النص نفسه هودا وقومه، وصالحا وقومه ، ولوطا وقومه ، وشعيبا وقومه ، فيبين لنا انه لا اختلاف حتى في التعبير ولذلك يقول الله عز وجل :

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » النحل ــ (٣٦)

وكما نجد هذه الوحدة فيما دعا اليه الرسل ــ وقد تناسقت حتى ظهرت فى الالفاظ والعبارات التي عبر بها عنها ــ نجد أقوام هؤلاء الرسل جميعا يكادون يتفقون فى الرد على هؤلاء الرسل ومعارضتهم فى دعواهم ، وفى مقدمتهم السادة والكبراء :

فالملأ من قوم نوح يقولون :

« ما نراك الا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأي ، وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين » هود ــ (٢٧)

ويصل بهم الامر فى التحدى الى أن يقولوا :

« يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » هود ــ (٣٢) .

وعاد يقولون لنبيهم :

« يا هود ما جئتنا ببينة ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » هود ــ (٥٣) .

وقوم صالح يقولون له متهكمين :

« يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا ، واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب » هود ــ (٦٢) .

وقوم شعيب يقولون ساخرين :

« يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، انك لأنت الحليم الرشيد » هود ــ (٨٧) .

ويصل الامر بهم الى ان يقولوا له :

« يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول ، وانا لنراك فينا ضعيفا ، ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » هود ــ (٩١) .

وهكذا تشابهت قلوبهم ، وتوافقوا على رفض الدعوات الالهية ، بأسلوب واحد ، ومعنى واحد .

ولذلك يقول الله عز وجل :

« وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون» سبأ (٣٤) .

« كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون . أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون»الذاريات (٥٢) ــ (٥٣) .

وما لنا نذهب هذا المذهب فى الاستدلال على وحدة الدين ، والقرآن الكريم نفسه يعلن ذلك على نحو قاطع فيقول :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»الشورى ــ(١٣)

ويقول :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » النساء ــ (١٦٣ ــ ١٦٤) .

بل يذهب الى أبعد من ذلك فى التحديد والتوحيد ، فيعلن أن دين الله منذ كان ، هو « الاسلام » ولن يقبل الله سواه ، وان الذين اختلفوا فيه من أهل الكتاب انما كان اختلافهم بغيا وتجاوزا وكفرا :

« ان الدين عند الله الاسلام ، ومـا اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب . فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن أتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب الأميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البـلاغ والله بصير بالعباد » آل عمران ١٩ ـ ٢٠

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخـرة من الخاسرين » آل عمران ٨٥

والاسلام فى الأصل معناه الانقيـاد والخضوع ، وقـد استعمل بهذا المعنى فى القرآن الكريم :

فكل من « أسـلم لله وجهه وهو محسن » أي استسلم لأمر الله ورضى به وعمل صالحا فهو فى نظر القرآن مسلم . ولذلك جعله الله مقابلا للشرك فى مثـل قوله :

« قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين » غافر ـ (٦٦) .

وجعله مقابلا للكفر فى مثل قوله :

« أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون » آل عمران ـ (٨٠) .

كما وازن بين المسلمين والمجرمين فى قوله : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » القلم ـ ٣٥ .

ووصف الدين القويم بقوله :

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » النساء ـ (١٢٥) .

والقول القويم بقوله :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » فصلت ـ (٣٣) .

وتحدث عن عبـاده المؤمنين الذين سيدخلون الجنة يوم القيامة مـن سائر الامم بقوله : ـ

« يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنـا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون » الزخرف ـ (٦٨ ـ ٧٠) .

وقد جاء فى القرآن الكريم وصف كثير من الأنبياء ومن ارسلوا اليهم «بالاسلام»:

فنوح يقول : ـ

« وأمرت أن أكون مـن المسلمين » يونس ـ (٧٢) .

وابراهيم واسمـاعيل يدعوان ربهمـا قائلين ـ

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومـن ذريتنا أمة مسلمة لك» البقرة ـ (١٢٨)

ويقول الله لابراهيم « أسلم » فيقول « أسلمت لرب العـالمين » البقـرة ـ (٦٧) .

ويصفه الله بأنه «كان حنيفا مسلما» آل عمران ـ ٦٧

ويوسف يدعو ربه فيقول : ـ

« أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفني مسـلما والحقني بالصالحين » يوسف ١٠١ .

وسليمان يكتب الى أهل سبأ : ـ

« أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين » النمل ـ (٣١) .

ويقول لقومه : ـ

« أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين » النمل ـ (٣٨) .

وملكة سبأ تقول : ـ

« وأسلمت مـع سليمان لله رب العالمين » النمل ـ (٤٤) .

وموسى يقول لقومه : ـ

« يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » يونس ـ(٨٤)

وفرعون حين يدركه الغرق يقول :ـ

« آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين » يونس ـ (٩٠) .

وقد وصف الله قرية لوط بقوله :ـ

« فما وجدنا فيها غير بيت مـن المسلمين » الذاريات ـ (٣٦) .

البقية على ص : ٦٧

المهد الأصلي للشعوب العربيّة وحضارتهم الأولى[1]

للدكتور معروف الدواليبي
بيروت ـ لبنان



١ ـ ثبت اليوم لدى علماء الآثار أن معظم السكان الذين استقروا :

ـ فى وادى النيل فى مصر ،

ـ وعلى الرافدين فى العراق ،

ـ وفى بلاد الشام ، أى شمالى شبه الجزيرة العربية حتى جبال أرارات من بلاد الاناضول ، وذلك فى كل من البلاد المعروفة اليوم : بالاردن ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، وديار بكر من تركية، انما هم هجرات كبرى صادرة عن شبه جزيرة العرب ومن جنوبيها بصورة خاصة ، وأنهم خرجوا منها فى موجات متعددة فيما قبل التاريخ وفيما بعده .

٢ ـ فما المهد الاصلى لهذه الشعوب؟
ـ وما حقيقة مستواهم الحضارى فى تلك الاحقاب الموغلة فى القدم ؟

ـ وما الاسم الحقيقى الاصلى لهذه الشعوب ولبلادهم الاصلية ؟

وسوف أقتصر فى هذه الكلمة على الاجابة عن كل من السؤالين : الاول والثانى ، وارجىء الكلام على السؤال الثالث الى فرصة أخرى ، وذلك بالنظر لسعة موضوعه ، وتشعب البحث فى فروعه .

٣ ـ لقد اندفع العلماء بعد اعترافهم بنظرية الجنس العربى (السامى) يبحثون عن المهد الاصلى للعرب، وذهبوا فى ذلك مذاهب :

أولا ـ ذهب فريق منهم الى أن « أفريقية » هي وطن العرب الاقدم لما لاحظوه من وجود صلة بين اللغات العربية والحامية .

ثانيا ـ رأى آخرون أن أرض « أرمينية » حول جبال « أرارات » فيما وراء مملكة « الرها » (أورفة اليوم) من الممتلكات العربية القديمة هي ذلك الوطن الاول للعرب .

ثالثا ـ ظن نفر آخر أن ذلك الوطن الاصلى هو « أرض العاموريين » فى سورية .

رابعا ـ قالت فئة أخرى : ان « أرض بابل » كانت هى المهد الاول للعرب .

خامسا ـ ولكن معظم العلماء البحاثين ذهبوا اليوم الى أن « شبه جزيرة العرب » هي المهد الاول، وأيدوا نظريتهم هذه بأدلة كثيرة : تاريخية ، وجغرافية ، ولغوية ، ودينية .

٤ ـ وهكذا فان الرأى العلمى الذى استقر عليه العلماء اليوم هو القائل « بتكون الاقوام العربية فى شبه الجزيرة العربية » ، وقال فى ذلك قائلهم : « والى أن يثبت أن الساميين (العرب) جاءوا الى بلاد العرب من بلاد غيرها ، يلزمنا أن نعتبر جزيرة العرب الوطن الاصلى للساميين (العرب) ، ولعله من الممكن تحديد هذا الوطن فى القسم الجنوبي من هذه الجزيرة » .

٥ ـ فمن هم هؤلاء الاقوام العربية من الناحية الحضارية ؟

ـ من هم هؤلاء الاقوام الذين كانت بلادهم فى « جنوبى شبه جزيرة العرب » هي الخزان الذى يفيض بما يزيد عن طاقته فى حقب متعاقبة تبلغ الواحدة زهاء ألف عام ، ويقذف بهم الى تلك الاقطار التى أشرنا اليها أعلاه : فيما بين مصر الى العراق ، وفيما بين اليمن الى أعالى بلاد الشام ، بل والى أبعد من ذلك : « الى افريقية الشمالية ، والى جنوبى أوربة فى البلقان وايطالية وأسبانية » كما جزم به علماء الآثار نتيجة لما وصلوا اليه فى السنوات الاخيرة فى البلاد العربية من دراسات حيث قالوا (١) « استطاعت الابحاث الاثرية ان تعد خمس موجات منها ، وأن تؤكد أن آخرها وأقواها كانت موجة العرب المسلمين قبل أربعة عشر قرنا ، وأنه لا ريب قد سبق هذه الهجرات العربية التاريخية خمس هجرات عربية قديمة اخرى قبل التاريخ : امتدت على افريقية الشمالية والبلقان ، وايطالية وأسبانية ، وعرفت بأسماء : موجات البحر الابيض المتوسط » .

٦ ـ لقد حصر ابن خلدون فى كتابه « العبر » أجيال العرب من مبدأ الخليقة الى عهده فى أربع طبقات :

أولا ـ «العرب العاربة» ، أى الراسخة فى العروبة أو المبتدعة لها ، وقد تسمى « العرب البائدة » لانهم العرب القدماء الذين كانوا بعد الطوفان وعصر نوح ممن انقرضوا وبادوا : من عاد الاولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم ومن ينتمى اليهم .

---

(١) مجلة الحوليات الاثرية السورية ، المجلدالسابع سنة ١٩٥٧ ، الصفحة ٤ ، الدكتور سليم عبد الحق مدير الآثار العام .

ثانيا ــ « العــرب المستعربة » أى الذين انتقلت اليهم ممن قبلهم مــــن اقربائهم البائدين جميــع السمـــات والشعائر العربية ، وهم بنو حمير بن سبأ وكهلان واعقابهم من التبابعة ومن انتسب اليهم .

ثالثا ــ « العرب التابعة » ، أىالذين تبعوا أولئك العرب من ابناء اسماعيل : من ربيعة ومضرواياد ونزار وعدنان ومن انتسب اليهم .

رابعا ــ « العرب المستعجمة » ، أى الذين استعجمت لغتهم بعد ذلك على اللسان المضرى الذى نزل به القرآن .

٧ ــ والذى يهمنا من هذه الاجيال العربية الاربعة فى هذا المقام انما هي الاجيال العربية الثلاثة الاولى ممــــن سكن معظمهم جنوبي شــبه الجزيــرة العربية ، وما كان لهم من شأن فىبلادهم مهد العرب الاصلى .

٨ ــ ولكن من المؤسف جدا انه حتى الآن « لا يعرف شيء عن هذه المنطقة قبل عصر مملكتى معين وسبأ التاريخيتين فى جنوبى بلاد العرب » الا ماكان من اخبار فرعية من طريق الشعوب العربية القديمة فى مصر وفى بلاد الشام وفى بلاد الرافدين فىالعراق،اذ لم يعد فرضا بل أصبحثابتا انــه منــذ عــام ٤٠٠٠ قبــل الميــلاد تدفقت موجات من هجرات قادمة من بلاد العربوانتشرت فى بلاد بابل وبلاد الشام ومصر ، ويقول ابــن خلدون فى ذلك : « وكان لهذه الامم ملوك ودول فى جزيرة العرب ، وامتد ملكهم فيها الى الشام ومصر فى شعوب منهم » .

٩ ــ هذا ، وقد أجمع المؤرخون للعرب قبل الاسلام على ان الدولة الاولى التى ظهرت فى هذه الحقبة من التاريخ المعروف عن هذه المنطقة فى شبه الجزيرة العربية انما كانت«الدولة المعينية»).

غير أن هؤلاء المؤرخين اختلفــوا فى تاريخ ظهور هذه الدولــة واندثارها : فذهب البعض الى انها بدأت عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد وانتهت عام ١٠٠٠ قبــل الميلاد ، وذهب آخرون الى انها عاشت بين سنى ١٣٠٠ و ٦٣٠ قبل الميلاد ، ونحن نستبعد الرأى الثانى ، ونعتقــد أنها أقدم من ذلك بكثير ، وربما كانت أقدم من التاريخ الاول فى الظهور .

١٠ ــ ومن الدول التى عرفها التاريخ فى هذه المنطقة :

ــ « الدولة السبئية » ، وينســب العرب تأسيسها الى عبد شمس بــن يشجب الذى يقولون فيه أنه لقب بسبأ لانه أكثر من الغزو فى أقطار العالم وسبي خلقا كثيرا ، وكان يعبد الشمس فسمى عبد شمس ، وهو بانى مدينة « بابليون » فى مصر باسم ابنه « بابليون » الــذى خلفــه واليا عــلى مصر ، وان كلمــة « بابليون » وكذلك « بابل » مأخوذة من لفظ سامى « عربى » معناه« با بايلى »، وكذلك مدينة « ايليون Ilion » كما هو معروف عند اليونان عَلَماً علىمدينة « طروادة » العربية الكنعانية الفنيقية على مدخل مضيق الدردنيل فىالتاريخ القديم .

ــ و « الدولة القتبانية » ، وقــد عاصرت الدولة المعينية .

ــ و « الدولــة الحضرموتيــة » فى حضرموت .

١١ ــ وهؤلاء جميعهم اصحاب دول ومدنيات لها شأنها العظيم فى التاريخ ، ولم يصلنا بعــد من اخبار نظمهــم وشرائعهم الا القليل النادر ، وهى مع ذلك « تنم عن تطور ورقي فى الحيــاة الدستورية ... وتمتاز بصفات النضج الشرعى والبلوغ السياسي ، وتدل على نظام دولة تلوح من خلاله أوضاع الحكم النيابى ، وربما لم يكن فى آثار القــدم السحيقة مايدانيها رقيا » كما جاء فى تاريخ العرب المطول للاستاذ « فيليب حتى » فى الجزء الاول (الصفحة ٦٧ ، طبع بيروت سنة ١٩٥٨) .

١٢ ــ ويقول صموئيل لاينج حول الكلام عن آثار اليمن القديمة وعمرانها : « والامر المهم من ناحية اكتشاف هذه الآثار العربية ليس كونها كشفت لنا عن وجود مملكة عربية عريقة فى القــدم والتمدن والتجارة فحسب ، بل كونهــا بينت لنا انهم أصحاب علم ، ولهم أحرف

هجائية خاصة لا يقل قدمها عن الخطين الهيروغليفى والآشورى » ، وقد أضاف الىذلك : أن الخط الذىوضعه المعينيون أقدم من الخط الفينيقى الذى هو أصل للحروف الهجائية الرومانية واليونانية، وأشار الى أن بعض علماء اللغات يرون أن الفينيقيين نقلوا أحرفهم الهجائية من بلاد العرب .

١٣ ــ ويرون أن هيرودوت المؤرخ اليوناني الشهير (٤٠٧ ــ ٤٨٤ ق .م.) قد زار اليمن ، وانه قد أوحت اليه مناظرها أنها أغنى قطر فى العالم ، وأثار جمال قصورها قريحته فوصفها بما يأخذ الالباب .

وجرى مجرىهيرودوت «أغاثريدس» (١٦٥ق.م .) ، وسترابو (٢٤ق.م.)، وبالغا فى وصف تلك القصور ، وما فيها من جواهر وذهب .

١٤ ــ وأما العرب الذين أتيحت لهم فرصة مشاهدة هياكل تلك القصور فقد بزوا غيرهم فى وصفها ، وذكروا أن قصر غمدان كان مؤلفا من عشرين طابقا ، وان قصر مأربمعجزة المعجزات . وفى الواقع أن مثل هذا كان قبل ألفي سنة أشد روعة فى نظر الناس من بناية « امبير ستيت » بنيويورك « Empire State Bulding ».

١٥ ــ وأن ذلك العمران الحضارى الذى شاهده مؤرخو اليونان والرومان فى شبه جنوبى الجزيرة العربية ، وما شاهدوه فيها من رخاء عجيب ، هو الذى حدا بهم على ان يطلقوا على تلك المنطقة وما جاورها اسم « البلاد العربية السعيدة » ترجمة لكلمة « اليمن » فى ذلك التقسيم الثلاثي الذى قسموا فيه بلاد العرب كما يلى :

أولا ــ « البلاد العربية السعيدة Arabia Felix » ، ومن شعوب هذه المنطقة : المعينيون والسبئيون(١) والقتبانيون والحميريون والثموديون(٢) .

ثانيا ــ « البلاد العربية الصخرية » أى الحجرية Arabia Petraea ، ويدخل فيها مملكة الانباط التى كانت عاصمتها « بطرا » كما سماها اليونان ترجمة لاسمها العربى القديم « سلع » و « سالع » ويعنى الصخر ، وسماها العرب ايضا « الرقيم » من « الرقم » أى الكتابة ، وذلك لكثرة ما فيها من النقوش والكتابة على احجارها المنتشرة فى وادى موسى ، وقد دخلت « بطرا » حين ضعفها تحت نفوذ الرومان فى عهد « تراجان » عام « ١٠٦ق.م » ، واطلقوا عليها اسم « المقاطعة العربية Provincia Arabia .

ثالثا ــ « البلاد العربية الصحراوية Arabia Deserta » ، وتشمل بقية الاجزاء .

١٦ ــ ويتضح مما سبقت الاشارة اليه عن الشعوب التى سكنت المهد الاصلى ، وكانت الخزان الذى يفيض فى القديم بما يزيد عن طاقته من وقت الى آخر ، الى كل من مصر وبلاد الشام وبلاد بابل وآشور وغيرها :

أولا ــ انها لم تكن شعوبا بدائية فى حياتها .

ثانيا ــ انها كانت على جانب كبير من الحضارة والعمران .

ثالثا ــ انها حين كانت تخرجفى موجات متعاقبة مهاجرة الى مواطنها الجديدة كانت شعوبا مالكة لناصية الحضارة ، وحاملة معها أصول المدنية والعمران .

---

(١) وقد جاء فى القرآن الكريم آية ١٥ من سورة سبأ « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » ... « الوعى .. » .

(٢) وقد جاء عنهم فى القرآن الكريم آيات ١٤٦وما بعدها من سورة الشعراء على لسان سيدنا صالح لقومه : « أتتركون فيما ههنا آمنين . فيجنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » « الوعى »

١٧ ــ وهذا هو وحده الذى يفسر لنا سر التقارب فى مظاهر الحضارات القديمة فى كل من مصر والعراق وبلاد الشام ، مما جعل العلماء حينما غفلوا عن وحدة المهد الاصلى الحضارى لهذه الشعوب يتساءلون أولا ، ويبحثون عبثا عن أى من الحضارتين : المصرية والبابلية، هى الاسبق والمؤثر فى الاخرى .

ــ ويجهلون ثانيا الحضارة الاصلية التى قامت فى بلاد الشام فى نفس الوقت الذى كانت الحضارة مزدهرة فيه فى كل من مصر والعراق ، ويظنون خطأ أن الحضارة الشامية لم تكن الا نتيجة التقاء الحضارتين فى ربوعها .

١٨ ــ ولكن الكشف عن المهد الاصلى لهذه الحضارات والشعوب ، والجزم بانه جنوبي شبه الجزيرة العربية فى اليمن السعيدة ، ومشاهدة آثار تلك الحضارة الأم الرائعة فى مهدها ، لا يبقى مجالا لذلك التساؤل حول الحضارتين المصرية والبابلية ، ويقضي على تلك الظنون الخاطئة حول عدم أصالة الحضارة فى بلاد الشام .

١٩ ــ ونرى من المفيد زيادة على ما تقدم ان نلح هنا على التنويه بتلك الحضارة الأم فى تلك البلاد العربية السعيدة ليكون فى ذلك فصل الخطاب .

٢٠ ــ يقول الاستاذ هانرى ماسى H. Massé فى كتابه الاسلام « ان اليمن ، وأعنى بها جنوبي البلاد أو ما يسمونه بالبلاد السعيدة (ترجمة لكلمة اليمن) ، اشتهرت فى كل الازمان بخصبها وغناها ، وان خرائبها تشهد لها بماض سياسي لامع » .

٢١ ــ ويقول هانرى ماسى أيضا عن عمان : « اما عمان الواقعة فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة العرب فهي ايضا بلاد جبلية وخصبة جدا ، وان شاطئها مملوء بالمرافىء ، ومن هذه المرافىء خرج البحارة العرب الذين خلدوا آثارهم فى تاريخ الملاحة . وان مسقط قد حلت مكان العاصمة القديمة الشَّحْر المسماة من قبل بعض الجغرافيين العرب بباب الصين » ، وكان ثمة مستعمرة عربية فى جنوبى الصين قرب « كانتون » فى عهد ما قبل الاسلام (١) ويؤيد ذلك وجود العرب هناك منذ تبع الحميرى حين وصل الصين (٢) .

٢٢ ــ ثم يقول هانرى ماسى : «وأخيرا فعلى طول الخليج الفارسى تمتد بلاد البحرين ، وهى بلاد صيادى الدر ، تلك البلاد التى غدت **ثروتها فى شجر التمر مضرب الامثال » . ؟**

٢٣ ــ ونقل الينا كوستاف لوبون Gustave LeBon فى كتابه مدنية العرب فقال : « حدثنا هيرودوت قبل أربعمائة سنة تقريبا من ولادة المسيح عن البلاد العربية السعيدة ــ اليمن ــ كما يحدثنا عن أغنى قطر فى الكرة الارضية .

ــ « وقالت التوراة عن مأرب ، وهى مدينة سبأ الاثرية : انه كان يوجد فيها قصور فى غاية من العظمة والثراء ، عليها أبواب مذهبة، ومملوءة بأوعية من الذهب والفضة ، وبالاسرة المعدة للراحة المصنوعة من المعادن النفيسة » .

٢٤ ــ وقال كوستاف لوبون أيضا : « ان زها المدن الكبرى فى اليمن ــ أى زينتها وزخرفها ــ كانت نتيجة لقدم صلاتها التجارية وانتشارها .

ــ « ولقد امتدت صلات العرب حتى

---

(١) كتاب نهرو « من السجن الى الرئاسة » ترجمة لكتاب اكتشاف الهند ، الصفحة ١٢٩ ، طبع بيروت أولى سنة ١٩٥٩ .

(٢) كتاب « أسرار ماوراء الستار » للسيد محمد جميل بيهم ، وكذلك كتاب « ذو القرنين وسد الصين » للاستاذ محمد راغب الطباخ ، وكذلك الجزء الخامس من معجم البلدان .

بلغت حدود العالم المعروف ، وابتدأت منذ عهود متأصلة جدا فى القدم ، وتحدثت عنها التوراة » .

٢٥ ــ بل جاء فى كتاب « التيجان فى معرفة الزمان » للامام وهب بن منبه اليمانى : ان الملك الصعب ذا القرنين ابن الحارث من ملوك حمير بعد أن توغل فى الفتح فى افريقية حتى بلغ اقصاها ، جازمنها الى جزيرة الاندلس ، وبنى فيها المنارات فى بحر الظلمات .

وفى ذلك دليل على قدم العرب فى شمال أفريقية ، ولقد كان للاسلام وحده الفضل فى اعادتهم الى العروبة من جديد .

٢٦ ــ وأيد ذلكالاب انستاسالكرملي فى مقالة نشرها فى مجلة المقتطف المصرية فى العدد الثانى من المجلد السادس بعد المائة ، وهي محاضرة القاها فى بغداد فىكانون الاول (ديسمبر) « سنة ١٩٤٤ تحت عنوان » « عرف العرب اميركة قبل ان يعرفها ابناء الغرب » ، واثبت فيها من مصادر غربية : ان العرب منذ اقدم الازمنة وقبل السيد المسيح بكثير كانوا يختلفون الى جزيرة واقعة غربي بريطانية العظمى : تلكم الجزر التى كان يسميها اليونان يومئذ بجزر القصدير Kasseterides ، وانهم قد سبقوا سائر الامم الى معرفة « تيار الخليج » الدافىء الذى يصل الى المكسيك ، وانهم نزلوا فى المكسيك ، ويعرف نزولهم فيها من اسماء الحيوانات التى تحمل حتى اليوم اسماء عربية تعود الى لغة العرب فى تلك العهود القديمة .

٢٧ ــ وان وصول العرب فى تلك العهود الموغلة فى القدم الى اميركة يدل دلالة واضحة على انهم :

ــ كانوا يتقنون فن الملاحة اتقانا عجيبا ، بدليل ما ذهبوا اليه من البلدان النائية .

ــ وكانوا يبرعونفى بناء السفن باحكام عظيم لتتمكن من مصارعة أهوال البحار المحيطة .

ــ وكانوا مبدعين فى الهندسة حتى تمكنوا من بناء الجوارى المنشآت كالاعلام .

٢٨ ــ ولا يجوز ان ننسى فى هذا المقام ما قد اشرنا اليه من قبل واثبتته الكتب العلمية :

ــ من وصول العرب الى شبه جزيرة اليونان، وانهم كما حدثنا عنهم هيرودوت كانوا المنشئين للحضارة اليونانية : فى صناعاتها وفى كتاباتها .

ــ ومن وصول « الايتروسكين » الى شمالىايطالية قبلالرومانيين،وانهم كانوا أول من انشأ الحضارة فيها ، وان هؤلاء الايتروسكين كانوا هجرة عربية ومن أبناء عمومة القرطاجيين العرب فى تونس كما نقله الينا أريستو Aristote .

ــ وكذلك ما أعلنه العلماء من أنعرب بلاد الشام القدماء : هم الذين اكتشفوا جزيرة كريت (اقريطش) وأنشأوا فيها الموانىء والمراكز التجارية ، وهم الذين كشفوا صقلية وأنشأوا موانيها ، وأول من وصل الى شواطىء شبه جزيرة « ايبيرية » ــ اسبانية والبرتغال اليوم ــ وأنشأوا فيها الموانىء والاسواق ، بل أول من وصل الى بريطانية وايرلندة وبلاد الشمال .

٢٩ ــ ونختتم هذا البحث عنحضارة سكان جنوبي شبه الجزيرة العربية بكلمة اخرى وليست الاخيرة لكوستاف لوبون حيث قال : « ولقد ظلت المدن الكبرى فى اليمن مدة تزيد عن ألفي سنة هي المستودعات التجارية الحقة للعالم أجمع ، ولعبت نفس الدور الذى لعبته البندقية فى عهدها الزاهر » .



لفضيلة
الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد
عميد كلية الدراسات العربية بجامعة الازهر
وعضو المجمع اللغوى

اثارني الى الكتابة فى هـذا الموضوع عامـلان لكـل واحـد منهمـا وزنـه وقيمته، ولكل واحد منهما دوافعه واثاره.

اما احدهما فانه قد استقر فى ذهنى مما اسمعه من رجالات الغرب الذيـن قدر لي ان القاهم ، ومن احواننا العرب الذيـن يذهبون الى هنـاك ويتصلون برجالاتهم ، ويعيشون فى مجتمعاتهم ، ثم يعودون الينا ، فينقلون لنا صورة عنهم تمثل أفكارهم وحياتهم، ثم ما أقرأه فيما يترجم لنا من مؤلفاتهم فى الادب والاجتماع ، أن بلاد الغرب تعيش اليوم فى حيرة وفى اضطراب وفى قلق دهني ، وان معنوياتهم وروحانياتهم ومقدساتهم التى عظموها الاحقاب الطويلة ليس لها اليوم استقرار فى نفوسهم ولا ثبات ، وان عوامل كثيرة تتجاذبهم فتميل بهم ذات اليمين مرة ، ثـم تميل بهم ذات اليسار مرة أخرى ، وقد بلغ بهم الحال أن تزلزلت عقائدهم التى استمسكوا بها فترة طويلة من الزمن ، والتي غزوا من أجلها بلاد الشرق غزوا مسعورا ، وقد

تدفعهم هذه الاضطرابات النفسية وهذا القلق وهـذا التأرجح الى البحث عن عقيدة أخرى أدنى الى احكام العقل ، وأقرب الى مسايرة الحياة التى ينشدونها كما قـد يدفعهم كل ذلك الى اطراح العقائد ونبذهـا جملة ، والارتماء فى احضان الالحـاد والفوضى والاباحيـة ، فيصعب العلاج وتنتكس الانسانية ويعود الناس فى العالم أشبه ما يكونون بقطعان من وحوش الغاب .

واما العامل الثانى فانى شعرت بأن النـاس فى الشرق مهبـط الرســالات السماوية قد شرعوا ينفضون عنهم غبار الرقـدة الطـويلة التى فرضـها عليهـم الاستعمـار ، واخذوا يبصرون احوال أنفسهم واحوال الناس من حولهم ، وان دين الاسلام الذى يدين به أكثرهم ، هو فى جملته وتفصيله دين الفطرة السليمة والعقل المستقيم ، فلوصح وعيهم ثـم استقام تفكيرهم ، واحسنوا الدعوة اليه، وقاموا بما اوجبه الله عليهم من التفقه فيه والبشارة به ، وتكاتف ذوو البصر من امرائهم وعلمائهم على الدعايـة له بالحكمة والموعظة الحسنـة ، والجدال المبني على الاساليب الحديثة رجونا من وراء ذلك كله خيرا عظيما .

حاجة البشرية الى الاسلام

رأينا أهل الفكر فى العالم اليوم على أحد حالين : أولهما تردد وشك وحيرة وتفكير طويل ورغبة ملحةفى طلب الخلاص من هذا التردد وهذا الشك وهذه الحيرة. وثانيهمـا : انتفـاض ووعـي وشـعور بالمسئولية ، واحساس خفي بواجب طال اهماله ، فما هو الا أن يتفق اصحاب هذا الانتفاض وهذا الوعي وهذا الشعور وهذا الاحساس على أن يؤدوا ما فرض اللـه عليهم من فهم دينهـم فهما صحيحا ، وعرضه على الفريق الاول ميسرا مجلوا مدعوما ببيان ما تحمله تعاليمه من أسباب العزة والقوة والمساواة والمحبة الـى درجة الايثار ، فاذا هم مقبلون عليـه راغبون فيه لانهم سيتحققون من أنـه الوسيلة التي لا وسيلة غيرهـا لراحـة نفوسهم وثلج صدورهم ، وتخليصهم من أرباق الحيرة والتردد والشك، والوصول بهم الى حياة وادعـة ومعيشـة طيبـة مستقرة .

ورأينا مع ذلك تهافت اصحاب المبادىء المتطرفة على غزو بلاد الاسلام والشرق عامة فى عقر ديارهم طورا باسم الاقتصاد ، وطورا باسم العلم ، لانهم ايقنوا ان الغزو السياسي قد أصبح مما لا مجال له اليوم، وهم فيما بين هذا وذاك يدسون ويكيدون كيدا مستورا ، وقد يستطيعون بدسهم وكيدهم وخداعهم أن يزلزلوا أفكار كثير من أهل الشرق ، وان يميلوا بأفكار قوم آخرين منهم الى حالة من الفوضى والاضطراب والاختلاط ليست بأقل خطرا من حالة الاولين ، فلو أن ذوى البصيرة من المسلمين وأهل الشرق عامة أخلدوا الى الدعة والراحـة ورضوا من الغنيمة بسلامتهم فى انفسهم لأوشك الخطب أن يتفاقـم ، واستحـال بعـد ذلـك رأب الصدع ، ولم يبق فى مقدور أحد ان يتلافى الشر الجارف أو يجنبه نفسه واهله ومواطنيه .

نحن فى بلادنا نتعرض كل يوم لخطر لا نحسه ، لانه يدب فينا دبيبا خفيا ، ونحن أحرياء ان نبحث وندقق فى البحث ونطيل التدقيق ، لئلا يدهمنا الخطر ، ونحن بما فرض علينا من الدعوة للاسلام، وبما انبعث فينا ــ أو فى جماعة منا ــ من الوعي الصحيح ومن الطموح الى اجتذاب النفوس الحائرة ، او التي علـى مفترق الطرق، أحرياء أن نهب هبة عاقلة حكيمة نقيم بها العذر لانفسنا ونعلن بها اننا لم نهن ولم نضعف ، وأن الهبة الكبرى التي هبها أسلافنا الامجاد فملأوا بها العالم نورا وهدى وقوة ، كانت من طبيعة ديننا الحنيف،وأن الركود والاستكانة والجمود التي حلت بنا فى أيام سالفة كانت مجلوبة طارئة يسر لها نسياننا او تناسينا لتعاليم هـذا الدين ، وان الجالب لهـا المدبـر لاسبابها الساعي لبلوغها غايتها هم أعداء هذا الدين من ذوى القوى المادية بقصد ان يموهوا على الناس ويفهموهم ان ديننا

البقية على ص : ٦٠



بقلم الاستاذ احمد مظهر العظمة
رئيس مكتب تفتيش الدولة . دمشق

من المعلوم أن العالم الاسلامي عالم عظيم مترامي الحدود والأطراف ، تسكنه شعوب مسلمة تبلغ نحو خمسمائة مليون مسلم أو تزيد ، لو عرفت كما ينبغي واجباتها ، وقدرت امكانياتها ، لصانت نفسها اولا ، ولغيرت مجرى التاريخ،وعدلت شذوذ الحضارة،ورفعت قدر الانسان ، وصورت سعادته المنشودة التصوير الصحيح الصادق، الجدير بأكرم المخلوقات على الارض .

اهمية البلاد الاسلامية

تنتشر اقطار هذا العالم فى آسية ، وتنتظم سواحل البحر الابيض المتوسط ــ ولهذا البحر خطورته الواضحة من جهات عديدة ــ كما تتوغل هذه الاقطار ايضا فى افريقية ، وتشرف فى بيئات على اوروبا .

فلا يعد بدعا ــ والحالة هذه ــ الا تحدث هزة من هزات السياسة والاجتماع فى العالم الا وتجد فى العالم الاسلامي تأثيرا أو تأثرا بها ، كائنا أو متوقعا .

ولسنا نعني أن يكون هذا التأثير او التأثر كما يجب أن يكون ، كلا ، فقد تسنح الفرصة أو الفرص فلا تغتنم،غفلة وجهالة او خدعة وتضليلا ، ولكن الذى

نعنيه التذكير بمجرد الخطورة تبيانا لفضل المواقع المترامية الاطراف التي لابد لها ان تتأثر ..

ولعل اول ما يخطر فى بال المنكر لذلك ، للطعن فى قيمة هذا العالم ، تباعد ما بين اقطاره ، وحال بعض هذه الاقطار الاليمة سياسيا واجتماعيا . فلا يغربن عن التفكير ان التباعد لا يجعل التعاون المنشود فى كثير من جوانبه متعذرا مع وسائل التواصل السريعة ، كما لا يغربن عن التفكير ان تلك الحال السياسية والاجتماعية تصبح عارضا موليا فتزول كأمس الدابر بتعاون الأخوة تعاونا جديا دائبا ، ولمثل ذلك يكون التعاون فى ظل الاخاء الحقيقي ، فلا تتوعر السبل ، ولا تعضل المشكلات .

قال الله تعالى تبيانا لاخائنا الوثيق : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (١)

وقال سبحانه آمرا بتعاوننا المنشود : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (٢) .

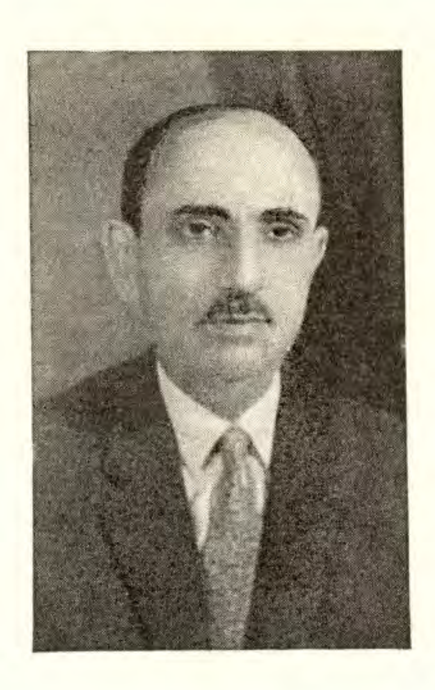
وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه — وفى رواية — ولا يسلمه .

وفيه : ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته » (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام : « من اصبحلا يهتم بالمسلمين فليس منهم » (٥)

وقال عليه السلام : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » قال : يا رسول هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟



قال صلى الله عليه وسلم : « تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه » (٦) .

على ضوء هذه النصوص الالهية والنبوية الثابتة وامثالها ، نقرر جازمين :

وحدة اخوية ووطنية جامعة بين المسلمين وتعارفا وتعاونا يجمعان الشتات ، وينظمان الشمل ، ويحققان الصلاح ، ويديمان الاخاء . ولكن مما نشاهده فى كثير من الاحيان الخطيرة ، عدم المبالاة بجراح الاخوان كأن ألمها لا يعني المسلمين حتى يهبوا ويتعاونوا جديا لمداواتها ، ولو كانت حرية تسلب او دماء تسفك .

وقد يكون هذا بدهيا بعد ان عمل الاستعمار فى عالمنا عمل الارضة فى الخشب ، وبعد ان قلدناه فى كثير من مظاهر حياته الجوفاء،ونظمه المتعاكسة، وقياداته المتشاكسة .

---

(١) سورة الحجرات : ١٠

(٢) سورة المائدة : ٢

(٣) فى الجامع الصغير للامام السيوطي :اخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائي .

(٤) متفق عليه .

(٥) فى كشف الخفاء : رواه الحاكم عن ابن‌مسعود بلفظ (من اصبح وهمه غير الله فليس من الله فى شيء ، ومن اصبح لا يهتم ......)الحديث .

(٦) رواه مسلم .

وقد يكون هذا بدهيا ايضا دون رعاية منظمة لشؤون الاسلام والمسلمين .

ولا شك ان هذا المرض يجب ان يزول ، فيشفى المريض ، ويقوى الجناح المهيض، وتعود كثرتنا كثرة اخاء ومضاء، لا كثرة تفكك وعناء .

ان المنتسبين الى مذهب اجتماعي ليفخرون به ويعتزون بتطبيق أحكامه في أى بلد كانوا فيه ، فكيف تكون الرابطة الروحية الوثيقة التي عقد اواصرها الله اضعف في نفوس بعض اتباعها من روابط المصالح المادية الموهومة ؟ ان ذلك لا يكون الا مع الجهل والفوضى ، ودواء الجهل العلم ، ودواء الفوضى النظام .

ان رابطتنا ينبع خيرها من نفوسنا لا من أجنبي ذى غرض منحرف ، وهي تدفع اهلها من وعيهم الذاتي الى مواطن الفعاليات الكريمة ، للحق والخير والعزة والواجب .

ان هذه الرابطة تحدو بنا الى اصلاح نفوسنا ولم شعثنا وتطبيق تعاوننا وتحقيق (تطورنا) الموزون علميا واجتماعيا واقتصاديا وحضاريا، وفى ذلك استرجاع لعظمتنا الضرورية لعزتنا ، واستئناف لدورنا ــ الذى لا يستطيعه غيرنا ــ فى هداية الامم واسعادها . وان الكوارث تفاجئنا وفى ديننا الحلول الكافية لجميع ما نعانيه من مشكلات سياسية وفكرية واجتماعية واقتصادية . الا يحز فى النفس ان تكون مواقف بعض الدول الاسلامية السياسية من قضية فلسطين الاسلامية العربية ، مواقف حيادية كأن الامر لا يعنيها ؟ او تكون مواقفها منها عدائية كأن (اسرائيل) صديقة عزيزة وفية ؟ هذا مع التذكير بأن اسرائيل مدينة سياسيا وعسكريا وماليا فى بقاء كيانها حتى الآن ، الي الاستعمار الحاقد على الاسلام والعروبة .

ان الاستعمار هو الذى يعمل على الجاء الاقطار الاسلامية ــ ولا سيما التي استقلت منذ عهد قريب ــ الى تلبية رغباته والتنكر للاخاء الاسلامي ، صيانة لما يتوهم انه مصالح سياسية او اقتصادية او اجتماعية .. فهلا استيقظنا من سباتنا العميق ؟ ! .

وهذه فى الجانب الاقتصادى مثلا ــ السوق الاوروبية ، وفيها اسرائيل ، وهي خطر على الكيان العربى والثورة العربية والاسلامية ، فأين الهيئة التخطيطية والتنفيذية العليا لتقابل السوق الاوروبية بسوق اسلامية ؟ .

لقد مني المسلمون فى عهد الرسالة بالسوق اليهودية واحتكارها ومكرها .. فما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم فى حدود البلوى والشكوى ، ولكنه لجأ الى الحل الاقتصادى الذى غاظ اليهود وزعيمهم المعروف كعب بن الاشرف الذى قوض قبة المسلمين وقطع اطنابها لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله لأضربن له سوقا هو أغيظ له من هذا » ومضى الى مكان فسيح حر ملائم، وضرب فيه برجله وقال : « هذا سوقكم فلا يضيق ، ولا يضرب عليه خراج » ..

لقد كانت السوق الاسلامية حرة ، منظمة ، مصنفة : لكل عرض من العروض مكانه الخاص به ، وهكذا عالج الرسول صلى الله عليه وسلم مشكلة اقتصادية هذا العلاج الحكيم ، الذى يحتاج الى مثله العالم العربي الاسلامي اليوم احتياجا شديدا (١) .

هذا مثل من امثلة لا تحصى تبين كيف عالج الاسلام مشكلات المسلمين المعالجة العملية ، ولكن ما نذكر به هو ضرورة الرجوع الى الاسلام العظيم لحل مشكلاتنا على انواعها ، فان لم نفعل استمر التيار الجارف فى مهاجمتنا حتى يأتي على بنياننا من القواعد ، فنحن عالم عظيم يجمع شعوبا لو اتيح ان تؤلف كلا منسجما لقادت التيار الجارف بديل ان يقودها الدخلاء المستصفرون

(١) راجع تفصيل ذلك فى (الاسلام لا شيوعية ولا رأسمالية) للاستاذ البهي الخولي ص ٦٠

الطامعون الحاقدون ، ولكان لها رأيها فى امورها بديل ان يتكلم عنها الاوصياء الغرباء ، كأنها قاصرة لا تملك رأيا ولاتصرفا .

والذى يبدو لي اقتراح اساسي فى هذا الموضوع ، وهو :

العمل على تأليف هيئة تخطيطية وعملية عليا — ذات لجان عديدة اختصاصية — تمثل تمثيلا صادقا الحكومات التي تدين بالاسلام ، كماتمثل الدعوات الاسلامية فى اقطار العالم الاسلامي .

غايتها : دراسة مشكلات العالم الاسلامي على ضوء الاسلام والعلم ، وبيان فتاويها او تقاريرها او آرائها فيها ، فى كتب او نشرات ، بالعربية وغيرها من اللغات الاخرى حسب الاقتضاء .

ثم العمل على تنفيذ كل ما تستطيعه من الامور والوسائل المشروعة فى العالم الاسلامي ، وفى خارجه المتعطش الى دعوة الحق والاصلاح .

وبدهي ان يكون فى مقدمة هذا التخطيط وهذه الدراسة والتطبيق ما يلي من نتائج :

ا — التقريب او التوحيد المذهبيعلى ضوء الكتاب والسنة .

ب — الصلح بين الحكومات والجماعات المتعادية بالاحتكام للحق والعدل ، والاتفاق على جميع وسائل التعاون بينها فى سبيل الاصلاح العام .

ج — النهضة الثقافية والصناعية التي تلبي حاجة اقطارنا ، المتخلفة عن ركب الامم التي تقدمت فى مضمار العلم والحضارة ، وتمهد هذه النهضة للتوحيد او التقريب الثقافي فى اوانه ، فتتقارب المناهج ويسلك ابناء الاسلام سبلا لاحبة من صالح القديم وصالح الجديد ، تؤهلهم جميعا الى بلوغ مقاصد موحدة . ولا ضير بعد الاتفاق على الكليات اذا كان ثم اختلاف فى الجزئيات التي تدعو اليها بعض البيئات والاحوال .

وينبغي ان يعد نشر اللغة العربية والتعاون الاسلامي العربى فى مقدمة وسائل النهضة المنشوده .

د — تنظيم شؤون الدعوة الاسلامية واساليبها وتمويلها .

هـ — رد المفتريات التي يوجهها المفترون نحو ديننا وتاريخنا ولغتنا . . .

و — اقامة المؤسسات الاسلامية الاجتماعية العديدة التي تصور عدالة الاسلام بحرصه على النهوض بالمجتمع ووقايته من الضلالات والجهالات والفقر والمرض .

ز — توجيه كل من الرجل والمرأة فيما يصلحان له من اعمال مجتمعاتنا .

ح — اقامة نظام مصرفى اسلامى بعيد عن الربا والاستغلال ، محقق لحاجات الفعاليات الاقتصادية .

ط — مناهضة الاستعمار السياسي والاقتصادى والانحراف الخلقي وما الى ذلك بكل الوسائل الممكنة .

هذه نتائج ليست وليدة الخيال ، ولكنها ستكون من ثمرات الجد والمضاء، اذا عرف العالم الاسلامي حقا نفسه ، واحسن تنظيم اموره ، واستنفد استعداده ، وتوكل على ربه ، والله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١) ويقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » (٢)

اما الاعتماد على العالم الاسلامي فى كثافة سكانه ، ووفرة خيراته ، وملاءمة مواقعه ، فاعتماد لا يغني شيئا عن التعاون المنشود لنهوضه ، ما لم يرجع جسدا واحدا : اذا اشتكى عضو تداعت اليه اعضاؤه جميعا مهتمة مواسية .

الا هل بلغت ، اللهم اشهد

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥ (٢) سورة النور : ٥٥

الكويت في المؤتمرات الأسلاميَّة

عصر المؤتمرات

يعيش العالم فى عصر يمكن أن نسميه عصر المؤتمرات . وذلك لكثرة ما يعقد فيه من مؤتمرات تستهدف حل القضايا والمشكلات وتحقيق التعاون بين الشعوب والدول فى شتى الميادين .

ومع أن الدول الاسلامية تشارك فى هذه المؤتمرات وتسهم فى انجاحها جنبا الى جنب مع بقية دول العالم .. الا أنها تحس أن لها قضايا خاصة بها تستحق الرعاية والاهتمام ، وتحتم تلاقى الجهود على بحثها ، والوصول الى خطط موحدة تجاهها .. ذلك أن هذه الدول فى نهضتها الحديثة تتعرض لتيارات ضغط خارجي ، من الدول القوية بقصد ابقائها فى دائرة نفوذها ، والحد من انطلاقها لتدعيم شخصيتها وفرض وجودها كدول اسلامية يجب أن يكون لها كيانها وشخصيتها ..

حاجة المسلمين الى التجمع

وهذا الصراع الذى تعيش فيه الدول الاسلامية يفرض عليها أن تتلاقى وتتجمع لتعمل بكل قواها على صيانة وجودها من التيارات الدخيلة عليها ، سواء أكانت فى النواحي الدينية أم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومن هنا بدأت فكرة المؤتمرات الاسلامية ، وأحس قادة المسلمين الحاجة اليها .

ودولة الكويت فى نهضتها الحديثة تحرص على المشاركة الجادة فى كل



رئيس وفد الكويت يقدم مصحفا هدية الى الرئيس سوكارنو

نشاط اسلامي عربي يرجى من ورائه الخير للمسلمين . ففى أوائل عام ١٩٦٤ انعقد مؤتمر وزراء الاوقاف العرب الاول فى دمشق ومثل الكويت فيه وفد برئاسة السيد حسن العسعوسي وكيل الاوقاف المساعد رئيسا وفضيلة الشيخ علي عبد المنعم والشيخ عبدالرحمن الفارس عضوين ، وفى الشهور القليلة الماضية منذ يناير الماضي انعقد مؤتمر اسلامي فى الصومال ضم ممثلين لـ (٣٨) دولة اسلامية ، كما انعقد مؤتمر اسلامي فى باندونج بأندونيسيا ومؤتمر اسلامي فى مكة . .

وفى هذه الأيام ينعقد فى القاهرة المؤتمر الثاني لعلماء المسلمين فى العالم الاسلامي ، وقد دعت اليه الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامي فى الأزهر .

المؤتمر الاسلامي فى مكة
من ١٣٨٤/١٢/١٤ – ١٣٨٤/١٢/٢١هـ

وقد لبت الكويت الدعوة التى وجهتها اليها رابطة العالم الاسلامي فى مكة لحضور المؤتمر الاسلامي العام الذى انعقد بعد انتهاء موسم الحج فى ١٤ من ذى الحجة ١٣٨٤ هـ ولمدة أسبوع تحت رعاية عاهل المملكة العربية السعودية . وحضره كثيرون من ممثلي الدول والشعوب الاسلامية وذلك لدرس المشاكل التي تهم المسلمين ، والتماس الحلول لها بما يقتضيه الصالح العام .

وتكون وفد الكويت من معالي عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف رئيسا ، ومن فضيلة الشيخ أحمد خميس الخلف المستشار بالمحاكم ،

وفضيلة الشيخ أحمد عبد القادر المدرس بالمعهد الديني عضوين .

وقد ألقى معالي رئيس الوفد الكويتي الكلمة التالية تعبيرا عن وجهة نظر الكويت فى القضـــايا الاسلامية وواجب المسلمين نحوها ..

كلمة وزير الأوقاف
فى مؤتمــر
الرابطة الاسلامية بمكة

السلام عليكم ورحمة الله وبعد -

فانه ليسرني ويسر حكومة الكويت أن نشترك معكم هنا فى هذا المؤتمر الاسلامي الذى ضـــم نخبة طيبة من مسلمي وممثلي كثير من البــــلاد الاسلامية وذلك « لدرس المشاكل التي تواجـــه المسلمين والتماس الحلول لها بما يقتضيه الصالح العــام » كما جاء فى بيان الرابطة .

واذا كنا قد اجتمعنا فى ظل هذا الغرض فكم أود باسم الله وباسم حكومة الكويت التي تضع دائما نصب عينيها أن تشارك جادة فى كل الاعمال والجهود التي تعود بالخير والنفع على أمتنا .. أود لو أن كل الجهود الاسلامية قد تلاقت وتعاونت فى هذا السبيل .. بغض النظر عن أى اعتبــار آخر ، واســـمحوا لي أن أقول كلمة بخصوص الدعوة الاسلامية وموقفنا منها ..

ان العمل للدعوة الاسلامية له مجالان :

مجال فى البلاد الاسلامية نفسها ومجال خارج حدود هذه البلاد .

أما فى البلاد الاسلامية نفسها فمن واجبنا أن نعمل على تقوية الروح الاسلامية وتكوين مجتمع مســـلم بقدر الامكان حتى نكون فى واقعنا المسلم صورة طيبة ومثلا كريما يتطلع اليه غـــيرنا .. ويكون هذا المجتمع المسلم نقطة الانطـلاق لنشر الدعوة الاسلامية ، وقد عملنا من ناحيتنا فى وزارة الاوقاف بالكويت على انشاء ادارة الدعوة والارشاد وهي تقوم بنشاطها فى مختلف المجالات الدينيــة كما أننا سنصدر مجلة « الوعي الاسلامي » الدينية شهريا من أول العام الهجـرى الجديد ، وبدأنا العمل فى ترجمة بعض الكتب الاسلامية المهمة الى اللغات الأجنبية لارسالها للبلاد الخارجيـــة ، وأنشأنا كذلك ادارة الشؤون الاســلامية لتعنى بالاتصال بمختلف الهيئات الاسلامية فى الخــارج وتقوم بالدراسات اللازمة عن البلاد الاســلامية وحاجاتها توطئة لمد نشاط الدعوة اليها .

أما الدعوة فى غير البلاد الاسلامية ، وفى المجالات التي تحتاج فعلا لدعوة الاســـلام فكلنا يعلم أن الأمر لم يعد عند غيرنا مسألة دعوة مخلصة الى دينهم بل انهم اتخذوا الدعوة الى الدين شعارا وطريقا لبسط النفوذ والسلطان وليس من المعقول أن ننام وغيرنا يعمــل لا ســيما بعــد أن دخلت الصــهيونية مجـال العمـــل ضـــد الـــدول الاسلامية والعربية بالذات .. ليس من المعقول أن نترك اخواننا المسلمين وهم فى حاجة الى من يعلمهم أمور دينهم ولغة كتابهم .

ليس من المعقول أن نترك المجال أمامنا واسعا لنشر الدعوة الاسلامية وهداية الناس للاسلام ثم نتركهم تتخطفهم الشياطين ، ونهمل واجب الدعوة الذى وضعه الله فى أعناقنا .

ولما كان مجال العمل واسعا ويتطلب جهودا كثيرة من المال والأشخاص فاني أرى ألا تترك دولة واحدة للقيام بهذا العبء وألا يشغلنا العمل داخل بلادنا عن هذا الواجب، بل يجب أن تتضافر عليه الدول الاسلامية ، كل منها تشترك بقدر طاقتها ، وأن يكون بينها تنسيق ينظم العمل ، ويسهل تحقيق الهدف .

اننا فى حاجة لانشاء مراكز اسلامية فى افريقيا وآسيا تشتمل على مسجد ومدرسة ومستوصف أو مستشفى للعلاج ، وفى حاجة بجوار ذلك الى ترجمة كتب عن الاسلام ومبادئه السمحة باللغات الأجنبية السائدة وتوزيعها على الذين لا يعرفون الاسلام .

وفى حاجة لارسال الدعاة الذين يتحدثون عن الاسلام ويكشفون عن محاسنه وعدم تفرقته بين الناس من أجل ألوانهم وأجناسهم .

وكل ذلك يحتاج الى مال والى جهود ثم قبل ذلك وبعده الى تنظيم .

ومن الواجب على كل دولة اسلامية أن تقوم بدورها فى هذا السبيل .

وانه ليسرني أن أقول لكم ان وزارة الأوقاف بالكويت قد تنبهت لهذا الواجب وبدأت تعد له .. ونرجو الله سبحانه أن يبصرنا بدينه ويوفقنا للعمل به وله ، حتى نكون كما أراد الله خير أمة أخرجت للناس ...

وقبل أن أختم كلمتي أرى لزاما علي أن أتوجه بالشكر الى صاحب الجلالة الملك فيصل الذى يرعى هذا المؤتمر والمشتركين فيه بحسن رعايته وكريم ضيافته ، وأسأل الله أن يرعاه ويسدد خطاه ، كما أشكر هيئة الرابطة الاسلامية على جهودها فى تنظيم هذا اللقاء الأخوى وكل الذين شاركوا فيه من جميع الأقطار الاسلامية والله يتولى الجميع بالتوفيق والسداد ... والسلام عليكم ورحمة الله .

وفى مؤتمر اندونيسيا

كما لبت الكويت من قبل الدعوة التي وجهت اليها لحضور المؤتمر الاسلامي الاسيوى الافريقي الذى انعقد فى اندونيسيا وتبرعت له بعشرة آلاف دولار وتكون وفدها له من الأساتذة .

عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس
رئيس قسم المساجد بالأوقاف (رئيسا)

عبد الله عقيل العقيل
مدير الشؤون الاسلامية بالأوقاف (عضوا)

محمد الراشد العمر
مدير مكتب وكيل الأوقاف (عضوا)

واشترك الوفد مع مندوبي ثلاث وثلاثين دولة فى جلسات المؤتمر التي انعقدت فى مدينة « باندونج » من ٦ مارس ١٩٦٥ الى ١٢ منه وقد افتتح الرئيس سوكارنو رئيس الجمهورية أولى جلساته ثم توالت الجلسات التي كان يتناوب رئاستها رئيس المؤتمر السيد أدهم خالد (أندونيسيا) ووكلاؤه السادة

الدكتور محمود حب الله
الأمين العام لمجمع البحوث بالأزهر

والسيد حامد احمد خان
(باكستان)

والسيد الحاج س. يعقوب
(نيجيريا)

واختير السيد احمد شيخو (أندونيسيا) أمينا عاما للمؤتمر .

وقد انفض المؤتمر بعد أن اتخذ



القرارات والتوصيات اللازمة التي ستبلغ للدول المشتركة من قبل السكرتارية الدائمة للمؤتمر التي تم انتخابها واختيار مقرها الدائم فى اندونيسيا .

كلمة وفد الكويت

هذا وقد ألقى الأستاذ عبد الرحمن الفارس رئيس وفد الكويت الكلمة التالية : ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

السيد الرئيس ـ السادة الاعضاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يسر وفد دولة الكويت . أن ينقل اليكم والى الشعب الاندونيسي الشقيق تحيات سمو أمير دولة الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح وحكومته والشعب الكويتي المسلم ، سائلا المولى عز وجل ان يكلل جهودكم بالنجاح . وان يحقق على ايديكم الامال الكبار التي يعلقها المسلمون فى كل مكان على هذا المؤتمر الاسلامي . وان يوفقكم الى تلمس الحلول الناجعة التى بها علاج مشكلات المسلمين . وحل معضلاتهم وجمعهم على كلمة سواء .

ايها السادة المؤتمرون .

ان الكويت بلد اسلامي يعتز بدينه ويفخر بالمشاركة فى هذا المؤتمر ليسهم ببعض الحلول التي يراها كفيلة للنهوض بأمتناالاسلاميةالمجيدة . ومما لا شك فيه ان كثيرا من بلادنا الاسلامية تعاني مشكلات شتى ، وتمر بأحداث جسام . ويرجع معظمها الى عدم ادراك المسلمين لحقيقة



دينهم وعدم فهمهم الدور القيادى الذى يجب ان يمارسوه امتثالا لامر الله تعالى . ولينقذوا الانسانية من المادية التي احاطت بها من كل جانب والتي سدت عليها جميع المنافذ مما سهل لاعدائنا سبل التغلغل فى ديارنا والتسلط على شعوبنا ونهب خيراتنا .

سادتي الاجلاء

لا يخفى على حضراتكم أن اكثر من وطن اسلامي لا يزال يرزح تحت نير الاستعمار وأن أكثر من شعب اسلامي ما برح فى صراع محتدم مع قوى البغى والعدوان . وفى طليعة هذه الشعوب الاسلامية المجاهدة لاسترداد حقها وتأكيد وجودها شعب فلسطين العربية المسلمة الذى تآمر عليه الاستعمار بشتى الوانه وجميع تكتلاته فأخرجه من بلاده وأسكن فيها عصابة الصهاينة وجعل من فلسطين الجريحة قاعدة استعمارية لتنفيذ مخططاته العدوانية التي لا يقتصر خطرها على البلاد العربية فحسب . بل يتعداها الى البلاد الاسلامية كلها . وهذا ما يدعونا لمناشدتكم بأن تطالبوا شعوبكم وحكوماتكم مؤازرة شعب فلسطين فى جهاده لاستعادة ارضه ليعيش كريما بين شعوب



وفد دولة الكويت مع الجنرال عبد الحارث ناسوتيان وزير الدفاع بأندونيسيا

الارض . (والفلسطينيون هم اصحاب الحق فى تقرير ما يشاءون لانفسهم لانهم شعب عريق فى حضارته) ومن الظلم الصارخ انيظلهذا الشعب مشردا ويسكن فى ارضه اخلاط شتى من يهود العالم وشذاذ الآفاق .

يا حضرات السادة

ان دولة الكويت تؤيد كل قضية من قضايا الحرية وتقف دائما الى جانب التحرر من العبودية وتناصر كل حركة لخير الانسانية . فنحن مع شعب فلسطين وهيئة التحرير المنبثقة منه والناطقة باسمه حتى يعود اخواننا الى ديارهم ويطردوا الدخيل من وطنهم ، ونحن مع شعب عمان والجنون العربى حتى يتحررا من مستعبديهم ونحن مع الشعوب الاسلامية المستعمرة فى أريتريا وزنجبار وأوغادين وغيرها حتى تتخلص من مستعبديها ونحن مع الاقليات الاسلامية المضطهدة فى العالم كله حتى يرفع الظلم عنها وتمارس حقها فى حرية العبادة والعمل .

ونحن شعب الكويت وحكومته مع كل مظلوم حتى ينتصر وعلى كل ظالم حتى ينهزم . والى جانب جميع الشعوب المغلوبة حتى تتحرر من قاهريها .

ان المسلمين فى شتى بقاع الارض فى حاجة ماسة الى فهم دينهم . والدعوة الى منهاجه القويم . وتقديم الخير الذى جاء به اسلامهم الى الانسانية كلها . ليسودها الامن والسلام ويعمها الرخاء ولن يتحقق ذلك الا بالكفاح المستمر والعلم المستنير والمخططات المدروسة والبرامج العملية والتربية الاصيلة والتميز الواضح .

ويسرني باسم وفد دولة الكويت ان اتقدم بالمقترحات التالية راجيا دراستها واخذ القرارات والتوصيات التى ترونها وهي : ــ

اولا ــ اعتبار القضية الفلسطينية قضية اسلامية ودعم الشعب الفلسطيني فى كفاحه ضد الصهاينة المغتصبين .

ثانيا ــ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدر كل القوانين والتشريعات فى البلاد الاسلامية .

ثالثا ــ جعل اللغة العربية اللغة الرسمية فى جميع الدول الاسلامية .

رابعا ــ نشر اللغة العربية بين الشعوب الاسلامية التي لا تتكلمها .

خامسا ــ الاهتمام بأمر الدعوة الاسلامية فى افريقيا وآسيا لمقاومة التبشير والاستعمار .

سادسا ــ دراسة احوال الاقليات الاسلامية وتقديم التقارير المفصلة عنها .

السيد الرئيس ــ السادة الاعضاء .

يسرني باسم حكومة دولة الكويت ان اعلن من فوق هذا المنبر تبرع حكومتي لهذا المؤتمر بمبلغ عشرة آلاف دولار .

وختاما فاني اكرر شكري وشكر وفدنا لكم وللهيئات الاسلامية فى اندونيسيا وللشعب الاندونيسي المسلم ولحكومته الموقرة سائلين المولى عز وجل ان يوفق دعاة الاسلام فى هذه البلاد المسلمة الى النهوض بأعباء الدعوة الاسلامية وبخاصة فى هذه المنطقة الهامة من جنوب شرقي آسيا لتقف فى وجه الدعوات الاستعمارية الهدامة المناهضة للاسلام . والله يوفق العاملين المخلصين لدينه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أضواء على المؤتمرات الاسلامية

رأي وانطباعات

للاستاذ عبد الله عقيل

عضو الوفد الكويتي لمؤتمر اندونيسيا

مما لا ريب فيه أن انعقاد المؤتمرات الاسلامية بين فترة وأخرى فى أماكن عديدة وعلى الصعيدين الرسمي والشعبي له أهمية كبرى فى دراسة مشكلات المسلمين وتلمس الحلول الناجعة لها ، وكذلك النظر فى أمر الدعوة الاسلامية وبحث السبل الصحيحة لنشرها ، والعمل على جمع كلمة أهل الرأى منهم للوقوف أمام التحديات الضخمة التي يواجهها الاسلام والمسلمون من خصومهم فى الشرق والغرب .

ولقد كانت استجابة دولة الكويت لحضور مثل هذا المؤتمر نتيجة طبيعية لالتقائها مع شقيقاتها الدول العربية والاسلامية فى العمل على ما من شأنه رفع كلمة الاسلام واحياء أمجاد المسلمين واحتلال مكان الصدارة بين الأمم الحضارية المتقدمة ذات المبادىء السامية والمثل العليا والاهداف البناءة .

كان الوفد الكويتي من أبرز الوفود التي شاركت فى تحديد معالم الطريق لخدمة الاسلام والمسلمين حيث أسهم بالمقترحات والكلمات التي كان لها أجمل الأثر وأحسن الوقع لدى المؤتمرين خاصة والشعب الأندونيسي المسلم عامة .

وكانت مظاهر الحفاوة والتكريم التى يقابل بها الوفد فى كل مدينة يزورها ذات دلالة واضحة على أن الامة الاسلامية مهيأة لحمل أمانة الاسلام والاضطلاع بأعبائه اذا وجدت العناصر الصادقة التي تضع يدها على مكمن الداء وتصف له العلاج .



وفد الكويت فى جلسات المؤتمر . ويظهر فى الصورة السادة عبد الرحمن الفارس وعبد الله العقيل ومحمد العمر وبجانبهم رئيس وفد لبنان وبعض الوفود الاخـرى

ولقد بحث المؤتمر فى جلساته واجتماع لجانه أمورا شتى أهمها حالـة الأقليات الاسـلامية المضطهدة ، ودور الاسلام كعقيدة ونظام فى حـل معضلات الحياة المعاصرة ، وبيان أهمية اللغـة العربية باعتبارها لغة القرآن وضرورة العمـل على نشرها فى كـل مكان ، والاهتمام بقضـايا المسلمين الكبرى كقضية فلسطين التي كان لهـا موضع الصدارة فى بحوث المؤتمر حيث اعتبرهـا المؤتمرون القضية الاسلامية الأولى ومشكلة الساعة فى الشرق العربي المسلم .

كما أن المؤتمر بحث أمر الخلافات التي قـد تقع بين دولتين اسلاميتين ورأى أن حل مثل هذه الأمور يكون من داخل الدول الاسلامية لا مـن خارجهـا .

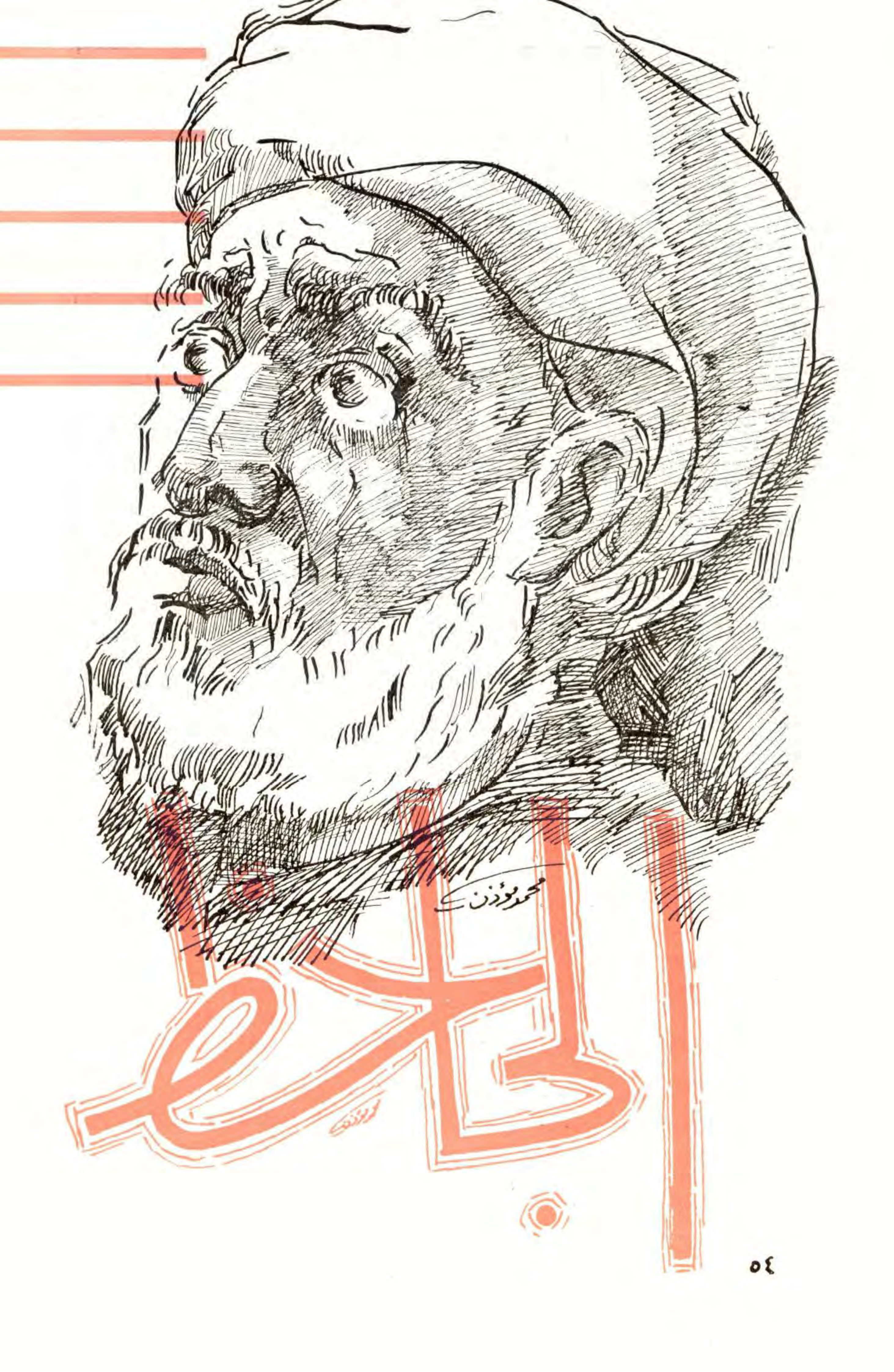
وتناول المؤتمر الحالة الاجتماعية والثقافيـة والاقتصادية للشعوب الاسلامية وأوضح أنه لا بد من النهوض بأحوال المسلمين فى كل المجـالات وتوفير الضمانات التى تهيىء لهم الحياة المستقرة التي ينطلقون منها لنشر الخير الى الناس كافة .

ولعل من المصادفات الجميلة أن يكون وفـود المؤتمر على المستويين الشعبي والرسمي ، وهذا مما ساعد على استجلاء الكثير من الحقائق والوقوف على الكثير من المواضيع التي تشغل بال المسلمين شعوبا وحكومات وافرادا وجماعات .

لقد خرجنا من المؤتمر بتجربة ناجحة هي أن الاسلام . والاسلام وحده هو القادر على الصمود أمام كـل التحديات ، والثبات أمام جميـع التفاعلات ، وفى تضاعيفه تكمن القوة الخارقـة التي اذا ما انطلقت كان فيها خـلاص الانسانية مما هي متردية فيه من مهاوى الغواية والضلال .

ولقد رأينـا بأعيننـا كيف تتفجـر الطاقات المدخرة فى قلوب المسلمين وعقولهم اذا ما سمعوا هتاف الحق ودعوة المجد ونداء القوة والحرية .

البقية على ص : ٦١



كان الجاحظ رافـــدا من روافد الفكر والادب العالمى

أقوى من تصدى للشعوبيةودافع عن العروبة والاسلام

تشوق الخلفاء لرؤيته وتسابق الوزراء لكسب وده

كتب الجاحظ تُعلّم العقل أولا والادب ثانيا

للاستاذ محمد الصالح آل ابراهيم

ولد عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي الملقب « بالجاحظ » فى مدينـة البصرة فى منتصف القرن الثانى مـن الهجرة تقريبـا ، وعاش بدء حياته فى شظف من العيش وضيق من الحـال ، ولكن ذلك لم يمنعه من انصرافه للعلـم وتبتله اليه ،وانهماكه فيه ، بل كان أكبر حافز له على المثابرة والجد .

وما أن تعلم القراءة والكتـابة حتى انصرف الى حلقات المساجد ، وأنديـة العلم ومجتمعات الادب ، وظـل يتردد على « المربـــد » وهو ملتقى الشعراء والرواة واتصل بعلمـاء اللغة وجهابذة الفقه والحديث والكلام ، وخرج الـى البادية يلتقى بأعرابهـا ويستقى من منابعها ، ويجتمع بأصحاب الفصاحـة والبلاغة فيها .

وكان العصر الذى نشأ فيه الجاحظ عصر استقرار وازدهار وتمدن حضارى ورقى علمى وفكرى ، فقد توطدت فيه أركان الدولة العباسية ، واتسع نفوذها السياسى والأدبى وانضمت تحت لوائها أمم كثيرة ، ودخلت فيها عناصر مختلفة

وأصبحت العربية لغة لهـذه الجماعات بعد أن اعتنقوا الدين الاسلامي ، ونتـج عـن ذلك أن شاعت الآراء الفلسفية وظهرت الجماعات الفكرية بعد أن نقلت كتب الفلسفة اليونانية التى كان لهـا أكبر الأثـر فى تغيير أفكار النـاس واتجاهاتهم ، وما لبثت هذه الفلسـفة اليونانيـة والفلسفات الأخرى التى احتضنها المجتمع العربى أن وجـدت عقولا واعية مفكرة تفاعلت معها وتأثرت بها وساهمت فى تكميلها . وفى هـذا العصر دونت علوم الدين واللغة والادب بعد أن كان يُعتمد فيها على الروايـة والمشافهة ، ولقد مال الناس فى هـذا العصر الى الترف الفكرى كما أترفوا فى عيشهم ، ولقد عاش الجاحظ بعيدا عن السياسة وأضوائها متنحيا عن صخبها وضوضائها ، رأى أناسا لعبت بهـم السياسة ،فأعلتهم ثم خفضتهم وأغرتهم ثم أغوتهم فتجنبها تجنب الباصر الخبير وأعرض عنهـا اعراض العارف الأبى ، ولكنه مـع ذلك كان يدارى ولا يشتط ويصانع ولا ينافق ويجامل ولا يتورط ، وقد أقبل على العلوم بكليتـه وانصرف عن زخارف المناصب وبروق المطامع ، واتجه نحو الدرس والمطالعة،همهالبحث والتنقيب والتتبع والاستنتاج ، لا تلهيه رغبة ولا تبعده رهبة . **وقـد تولى**

منصبا كبيرا فى عهـــد خليفة عالم وهو ديوان الرسائل ولكنه لم يستقر فيـه الا ثلاثة أيام ، وقال ســهل بن هارون : (ان ثبت الجاحظ فى هذا الديوان أفــل نجم الكتاب .)

ثاني اثنين اذهما فى التنور

وبلغ من رغبة الجاحظ فى العلم وحبه للاطلاع انه كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيهـــا للنظر لما فيها . وعاش الجاحظ فى رغـــد من العيش بعد أن ألـَّف كتبه ورسائله للخلفاء والوزراء ولما قـــدَّم كتابه عن العباسيين للمأمون أعجب به وأجزل له العطـاء وأثنى على كتابه ، **وقال الجاحظ : (ان فرحي باطراء المامون للكتاب أكثر من فرحي بعطائه .)** ومن هنا يتبين لنا حب الجاحظ للعلم واخلاصه لفنه ، وظلت صـلات الخلفاء بعد ذلك ورسلهم تتوالى عليه ، وشاع ذكره فى الآفاق وعلا اسمه ، وقد عاصر الدولة العباسية فى أوج عزها الى بـدء تضعضعها وضعفها ، ورأى بعينه تقلب الأحوال فيها وتبدلها .

عمر حتى قارب المائة ، وعلى الرغم من أنه لم يشتغل بالسياسة فقد طورد حينما ألقي القبض على « ابن الزيات » وكان صديقا حميما للجاحظ ، وقـــد خلي سبيله بعد ذلك ، ولما سئل عـــن فراره قال : خشيت أن أكون ثاني اثنين اذهما فىالتنور (يعنى ابنالزيات حتىألقاه ابن أبى دؤواد فى التنور) .

عبقريته

يعد الجاحظ شخصية فذة فىتاريخنا الأدبى ، فلم يجتمع لكاتب ولا لعالم ولا لأديبما اجتمع لأبى عثمان من علم وأدب ودراية وبلاغة وفصاحة ، ولم يظهر على مر العصور والأزمان من يدانيه فى قـوة الأسلوب ، وتدفقه ، ولا فى سعة الأفق ورحابته ، ولا فى وفرة الانتاج وكثرته ، ولقد ألـَّف الجاحظ فى كل فن وصنف فى كل علم فكان السابق فى كل ميــــدان والمجلى فى كل حلبة ، ولا غرو فأبو عثمان فلتة من فلتات التاريخ التي لا يجـود بها الزمان الا نادرا ، وتآليفه تربو عـلى الثلاثمائة ما بين رسالة صغيرة ، وكتاب كبير ، وقد ذكر « سبط ابن الجوزي » انه رأى فى بغداد ثلاثمائة وستين مؤلفا للجاحظ ، وكلها تبحث فى أمور هامـَّـة تتصل بالمجتمع والأدبوالعلم والفلسفة، والجاحظ اذا تناول موضوعا أحــاط بجميع نواحيه ، وألم بشتيت أطرافه ، وهو دائما يشرك القارىء فيمـا يبحث وكأنمـا هو قارىء ومؤلف ، لا مؤلف فقط ، ولذلك قال « ابن العميد » **(ان كتب الجاحظ تعلم العقـل أولا والأدب ثانيا)**

وليس فى أدبنــا العـــربي باحث أعمق تفكيرا وأديب أشد تأثيرا وكاتبأكثر اقناعا مــن الجاحظ فى تآليفه ، وهـو اصيل فى فكرته قوى فى حجته ، منطقي فى براهينه ، حر فى فكرتـه يعتمد على العقل فى كل صغيرة وكبـيرة ، ولا يرى التسليم فى شيء الا بعد فحصه وتحقيقه ولا يـدع مسـألة تمـر حتى يناقشها مناقشة دقيقة ويبحثها بحثا مستفيضا وقد بذل من الجهد والتتبع والتنقيب فى تآليفه ما لا مزيد وراءه ، حتى ليعجب المرء من كثرة تآليفه مـع ما فيها مـن اتقان واجـادة ، وابداع وافـادة ، وان كتابا ككتاب (الحيوان) لحرى أن تعجز عنه جماعة الباحثين والأدباء ، فقد جمع فيه من أحوال الحيوان وصفاته وطباعه كل ما يحتاجه العـالم والأديب ، وبنى

أقواله على مشاهدات واقعية ، وأدلة بينة ، واذا ما قرأت له فصلا من هذا الكتاب ، عرفت كيف يتوسع في الموضوع في بحث عميق ، ودراسة وافية ، وتتبع عجيب ، واستخراج طريف ، وكتبه ورسائله الأخرى شاهدة بسبقه في مجالات الفكر والقلم ، ولا شك في أنه أديب بارع ، واجتماعي باحث ، وكاتب مترسل ، وفنان مبدع ، ومفكّر حر ، قال في أحد كتبه : (اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها تعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلما لو لم يكن ذلك الا تعرف التوفيق ثم التثبت ، لقد كان ذلك مما تحتاج اليه ، ثم اعلم ان ان الشك طبقات عند جميعهم ولم يجمعوا ان اليقين طبقات في القوة والضعف) ولعلنا ندرك جيدا من هذه الفقرة المقتضبة آراءه الفكرية الصائبة ، وكأنما سبق « الغزالي » و « ديكارت » في هذه النظرة ، وللجاحظ آراء فكرية قيمة ليست بأقل قيمة من آثاره البيانية ، ولكن المجال لا يتسع لعرضها .

ولقد كان الجاحظ معتزليا يدافع عن مذهبه بكل ما أوتى من قدرة في غير تعصب ، وقد ابتدع طريقة خاصة في الاعتزال سميت « بالجاحظية » ، وقد عارض المعتزلة في بعض مسائلهم ، وكان الجاحظ فنانا حاذقا وهو أول من رسم الصور الكاريكاتورية البيانية في رسائله وكتبه وان رسالة التربيع والتدوير خير مثال على ذلك . وان تصانيف الجاحظ الكثيرة والذى كان الدافع على تأليفها الرغبة العلمية الصادقة والحافز الوجداني العميق لكافية للدلالة على مقدرته في مجالات الأدب والفكر ، وعلى أنه وحيد في فنه وعلمه .

شجاعته الأدبية

ومع كل ما أوتي هذا الرجل من مقدرة ، وما بذل من جهود جبارة في سبيل العلم والأدب لا يرى بأسا من ذكر سقطاته وزلاته ، ولا يرى حرجا من أن يقول للذين انتقدوه في هفواته وعابوه في أخطائه ، لو نظر أولئك بجانب ذلك الى الحسنات الكثيرة ، وقاسوها بالسيئات الضئيلة لما سمح لهم ضميرهم بتتبع تلك الهفوات البسيطة ، وذلك منتهى الصراحة ومبلغ التواضع ، ونحن نرى جل كتابنا في هذا العصر ، رغم قصورهم يأنفون ويشمخرون اذا ذكر واحد بعض أغلاطهم،زاعمين أومتظاهرين بأن الأخطاء لا يمكن أن تلج الى تآليفهم ولا تصل الى كتبهم مؤولين لكل خطأ تأويلا يبعده عن الخطأ ، ويقرّبه للصواب .

أسلوبه

اذا امتاز الجاحظ عن غيره من فحول الكتاب والأدباء بسعة اطلاعه وكثرة علومه ، فان تفوقه في أسلوبه وتخصصه في طريقته البيانية الفذة ، يجعله أعلى منزلة وأرفع كعبا ، وهو بدون شك صاحب الطريقة المثلى في الكتابة والترسل ، وأسلوبه صاف لا يدنسه كدر ، قوى لا يتخلله ضعف ، واضح لا يعتريه غموض ، بليغ لا يشوبه قصور ، ولن تجد كلاما فيه قوة العبارة وانتقاء الألفاظ والتئام الجمل وانسجام الموضوع وطرافة الفكرة ، وحسن الديباجة ككلام الجاحظ ، وهو كالبناء الماهر لا يضع لبناته الا في مواضعها في دقة واحكام ، دون تكلف أو تصنع ، ولا يزال الجاحظ اماما للأدباء وقدوة

للناشئين والكتاب ، ولا زالت طريقته هي المثل الأعلى للقدرة البيانية العالية ، وقد قلده كثير من كبار الأدباء الذين جاءوا بعده وشيخهم فى ذلك « أبو حيان التوحيدى » فقد أراد أن يضاهى الجاحظ فى أسلوبه وبحوثه ، ورغم تمكنه من العلوم والفلسفة واللغة الا أنّه قصر عن الجاحظ فى أسلوبه وفنه ، ذلك أن الجاحظ لا أثر للصنعة والتكلف فى فنه ، أما « أبو حيان التوحيدى » فأسلوبه لا يخلو من تنميق وزخرف .

قال الجاحظ يصف الكلام الحسن (ومتى شاكل أبقاك الله اللفظ معناه ، وكان لذلك الحال وفقا ، ولذلك القدر لفقا ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمنا بحسن الموقع ، وحقيقا بانتفاع المستمع، وجديرا أن يمنع جانبه من تأول الطاعنين ، ويحمى عرضه من اعتراض العائبين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة ، ومتى كان اللفظ أيضا كريما فى نفسه متخيرا من جنسه ، وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حبب الى النفوس ، واتصل بالأذهان والتحم بالعقول ، وهشت له الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على ألسن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره وعظم فى الناس خطره) .

وقال يصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم : (وهو الكلام الذى قلتعدد حروفه وكثرت معانيه ، وجلعنالصنعة وتنزه عن التكلف) ثم استمر فى وصفه الى أن قال : (ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أقصر لفظا ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح معلما ، ولا أبين من فحوى كلامه) وقال يصف التفكير : (مشحذة للأذهان ومنبهة لذوى الغفلة وتحليل لعقدة البلادة ، وسبب لاعتياد الروية وانفساح فى الصدور ، وعزاء فى النفوس وحلاوة تقتاتها الأرواح ، وثمرة تغذو العقل) وليستهذه النبذ اليسيرة كافية للدلالة على تبين ميزات أسلوبه العديدة ، ولكنه يغوص على المعاني الغامضة العميقة فيجلوها بأسلوب جلي واضح يفوح منه عبير الطيب والجمال كالجاحظ ، ولا تزال كتبه معينا للبيان الراقي والعلم والمعرفة . ومع كل ذلك فلا يخلو أسلوبهمن هنات .

مكانته

لقد كان الجاحظ رافدا من روافد الفكر والادب العالمي وان الكلام عن مكانته يفضي عرضا لما أسدى الىالمجتمع الأدبي من مؤلفات وآراء ذات قيمة ، وما بذل من جهود جبارة فى صد تيارات جارفة كالشعوبية ، ويكفيه علوا أن يكون أولمنتصدى للشعوبيين وفند مزاعمهم دفاعا عن الاسلام والعروبة ، وذكر ذلك لا يتأتى بنبذة يسيرة بل يحتاج الى مقال خاص .

أما عن منزلته فى مجتمعه فقد حظي بمكانة رفيعة ونال منزلة عالية بين رجال عصره وما ذلك الا نتيجة لمعرفة أهل ذلك العصر بما يحمل هذا الأديب من فضل وعلم ، وكان الخلفاء يتشوقون لرؤيته والوزراء يتسابقونفيكسب وده، وقد سأله أحد الناس عن حاله فقال : سألتني عن الجملة فاسمعها مني واحدا واحدا ، حالي أن الوزير يتكلم برأيي وينفذ أمرى ويواتر الخليفة الصلات الي وآكل من لحم الطير وأسمنها ، وألبس من الثياب أفخرها وأجلس على ألين الطبرى ، وأتكىء على هذا ثم أصبر

حتى يأتيني بالفرج . فقال له الرجل : الفرج ما أنت فيه قال : بل أحب أن تكون الخلافة لي ويعمل محمد بن عبد الملك بأمري ، ويختلف الي فهذا هو الفرج . وأسلوب هذه القصة لا يخلو من دعابة ظريفة ونكتة بارعةوقد تجلَّت فيها روحه المرحةوتهكمه اللاذع ، ولكن الذى لا مرية فيه أنه كان فى حال يحسد عليها من قبل كثير من رجالات عصره . أما شهرته الأدبية فيكفى أن نسمع قول أبي هفان وقد قيل له : لِمَ لم تهج الجاحظ وقد ندد بك وأخذ بمخنقك ؟ فقال (أمثلي يخدع عقله ، والله لو وضع رسالة فى أرنبة أنفي لما أمست الا بالعين شهرة ، ولو قلت فيه ألف بيت لما طن منها بيت فى ألف سنة) .

هزله

كان أبو عثمان ناتىء العينين ، دميم الصورة ، قبيح الشكل ، وقد هجاه بعض الشعراء بقوله :

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا
ما كان الا دون قبح الجاحظ

ولكنه يحمل روحا مرحة جذابة ، وهو لا يألو جهدا فى اشاعة هذه الروح فى كتاباته وادخال النوادر فى مصنفاته ، والجاحظ فكاهي بالطبع لا يتكلف النكتة ولا يتصنع المرح ، وهو لا يهمه من أين يأخذ النادرة ، ولا من أى النواحي كان مصدرها ، ولكنك لا بد أن ترى طابعه وميسمه الخاص وان كانت لغيره ، ذلك أن ظله الخفيف ، وأسلوبه الرشيق وبلاغته العالية حرية بأن تجلوها بخفة وطرافة ، ولا يرى حرجا من أن يكون موضوعا للنادرة ولا يأنف أن يتندر بقبحه ودمامته ، وخذ مثلا هذه القصة لتعرف مدى تأصل المرح فى نفسه قال :

(أتتني امرأة وأنا على باب دارى فقالت: لي اليك حاجة وأريد أن تمشي معي فقمت معها الى أن أتت الى صائغ يهودى وقالت له : مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال : أتت بفص وامرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت لها : يا ستي ما رأيت الشيطان ؟ فأتت بك وقالت ما سمعت .) وتسمع هذه القصة يرويها الجاحظ عن نفسه بكل بساطة وارتياح وبكل صدق وأمانة، ولا ندرى اذا كانت هذه القصة مقصودة من الصائغ اليهودى ، أو من أعداء الجاحظ ، أم جاءت عفوا ، ولكن الذى نلحظه منها أن الجاحظ أخذها كموضوع ذي طرافة وحيوية دون أن يتأثر بما يتصل به ، وهذا أكبر دليل على تجرده لفنه ، وهو وحيد فى فن النكتة والنوادر لا يجاريه أحد من كتابنا الأقدمين والعصريين الا المازني فانه يشبهه ، الا انك تحس من المازنى أنه احتال على وضع القصة فى بعض الأحيان ، ومع أن المازني أخف روحا من الجاحظ الا أن نوادر الجاحظ ونكته أخف روحا من نكات المازني ونوادره .

وفاته

توالت العلل على الجاحظ فى أخريات عمره وظل مدة من السنين مقعدا بين أكوام من الكتب يتناول منها ما يشاء . وفى سنة ٢٥٥ هـ وافته المنية.ولماوصل نعيه الى الخليفة المعتز أسف عليه أشد الاسف وقال ليزيد بن محمد المهلبي : يا يزيد ، ورد الخبر بموت الجاحظ ، فقال : لأمير المؤمنين طول البقاء ودوام النعماء .

ولقد خلف الجاحظ ثروة من أعظم الثروات الأدبية فرحمه الله خير رحمة ، وأجزل ثوابه على ما قدم لأمته .

هو سبب ذلك الركود وهذه الاستكانة وهذا الجمود ، وفاتهم ان العلة الواحدة لا تكون علة للشيء ولنقيضه ، وأنه قد ثبت ثبوتا لا يحتمل الجدال ان هـذا الدين بتعاليمه الصحيحة قد اخرج أمة من ظلمة الشرك والتقليد ومن تيه الفوضى والضلالة ومن عماية الانحلال والتفكك الى نور التوحيد ، وتمجيد العقل والى جادة النظام والهداية ، والى بصيرة **الوحدة والقوة والتدافع لاحتلال اسمى مكانة وفرض سلطانها على رقعة الكون المعروفة يومئذ ، فمحال ان تكون هذه التعاليم هي السبب فى الرجوع الى ما يزعمون من الفرقة والعجز والفوضى** والاستغلال .

الاسلام دين الفطرة

ان الاسلام دين الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، وهو الدين الذى يتفق وما تقتضيه بدائه العقول البعيدة عن الهوى وما تشتهيه الانفس ، ولن يجد باحث يتخذ العقل معيار أحكامه دينا مجد العقل وجعل له منزلة فوق كل منزلة وندد بمن يميل مع الهوى ومع مألوف العادات والمتوارث عن الآباء والاسلاف ، لن يجد الباحث دينا كدين الاسلام جعل من شرط صحة الايمان بالله تعالى ان يعرف المؤمن الدليل العقلي على وجوده سبحانه ، وعلى اتصافه بصفاته التى يجب أن يتصف بها كالقدرة الشاملة والارادة النافذة ، وقضى أن من لم يعرف هذا الدليل بعقله ويجزم به جزما لا يقبل التردد لا يكون مؤمنا ناجيا ، وأعداء هذا الدين لا ينكرون هذا وهم يعرفونه فى قرارة أنفسهم ، ويؤمنون أن أهل هذا الدين ان رجعوا اليه صافيا نقيا واتبعوا تعاليمه من أعماق قلوبهم حتى خالطت حلاوته شغافها عاد لهم مجدهم وارتفعت كلمتهم ودال سلطان أعدائهم ، هـم يعلمون ذلك كله ، وهم يخشون أن تذهب ريحهم فهم لذلك حريصون على أن يفرقوا كلمة أهل هذا الدين وأن يحولوا بينهم وبين الرجوع الى ما كان عليه سلفهم .

لذلك كان من أول الواجبات على أولى العلم من اتباع هذا الدين ، وعلى ذوى السلطان منهم من الرؤساء والامراء والقادة والزعماء أن يبصروا قومهم ، وان يبينوا لهم دينهم على ما كان عليه رسول الله وأصحابه المهتدون بهديه ، ولذلك رأينا ان نستهل هذه الابحاث بالبحث عن صفات المجتمع المثالي الذى يحبه الله تعالى ورسوله صلوات الله عليه .

ويقتضينا هـذا البحث ان نتعرف الصفات التى اوجب الاسلام على المسلم ان يتصف بها فى ذات نفسه ، وعن الصفات التي أوجب الاسلام على المسلم ان يتصف بها بوصفه فردا من أفراد أسرة ، وعن الصفات التي أوجب الاسلام على المسلم ان يتصف بها بوصفه واحدا من آحاد حي يسكنه جماعة من مواطنيه ، وعن الصفات التي أوجب الاسلام على المسلم ان يتصف بها بوصفه واحدا من آحاد قرية او مدينة من مدن وطنه ، وعن الصفات التي يجب على المسلم أن يتصف بها بوصفه فردا من الامة كلها ، فهذه خمس حالات نرانا مضطرين الى الوقوف عند كل حالة منها وقفة قصيرة لنتدبرها ونبين تعاليم الاسلام فيها ، وسنذكر النصوص الواردة عن الله تعالى وعن رسوله صلوات الله عليه فى كل حالة من هذه الحالات .

ونبادر فنعلن قبل الافاضة فى البحث أننا لم نستوعب استيعابا نستطيع معه أن نقول ان هذه الصفات هي كل ما يريده الاسلام من المسلمين ، ولكنا ذكرنا فى كل حال أوضح الصفات وأظهرها ، وما يعد نموذجا صالحا منها ، وما لعله يعتبر أساسا لما لم نذكره او باعثا حثيثا على التخلق بغيره من صفات الكمال الانساني .

الهدف من التكاليف

وقبل أن نأخذ فى بيان ما تيسر لنا

بيانه نقرر أن المقصود الاهم من التكاليف الشرعية فى دين الاسلام هو تربية الضمير الانساني بصقل النفس وتنقيتها من الاثرة والانانية والجحود والاستغلال والجبرية والميل الى الهوى ، وتعويدها حب الحق وايثاره ، واعلانه ما كان فى اعلانه مصلحه ، وذلك يفضي بها الى أن تعلم أن ما خفي على الناس لا يخفى على الله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، وان الافلات من العقوبة الدنيويه العاجلة قد يكون سببا فى شدة العقوبة فى آجل الحياة أو فيما عند الله، وما لم يجد المسلم عباداته موصلة الى خشية ربه واخباته له واقباله عليه ، وأنها حاملة له على ترك النقائض والابتعاد عن الآثام فليعلم أنها عبادات صوريه لم تنفعل بها نفسه فلم تؤت ثمرتها التي اراد الله تعالى أن تؤتيها وانظر الى قوله سبحانه : ((ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)) .. من الآية ٤٥ سورة العنكبوت .. ، ثم انظر الى قوله جلت كلمته : ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)) .. من الآية ١٠٣ من سورة التوبة. • ثم انظر الى قوله تعالى : ((يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) .. الآية ١٨٣ من سورة البقرة .. فاذا أنت نظرت فى هذه الآيات ونحوها من كتاب الله تعالى وجدت كل عبادة من العبادات التى كلف الله بها عباده قد أراد أن تنفعل بها نفس المكلف حتى يكون لها تاثيرها ، وهي وسيلة من أعظم الوسائل لتهذيبها وتطهيرها ، والله أجل من أن ينظر الى صور العبادات وقد أراد أن تكون مما تقرب منه وتدل على خلوص قلب المكلف له ، ولتفصيل هذا الكلام موضع غير هذا لعل الله جلت قدرته يهيىء لنا ما نوفيه حقه من البحث فى وقت قريب .

وموعدنا لتفصيل الكلام فى الحالات الخمس التي اشرنا اليها فى عدد قادم ان شاء الله .

بقية الكويت فى المؤتمرات الاسلامية

ان هذا المؤتمر لم يكن الأول ولا الأخير من المؤتمرات التي تعقدها الشعوب والحكومات ، واذا كان قد حقق بعض الاهداف التي يرجوها المسلمون فهذا لا يعني أنه قد أدى رسالته وقام بالواجب الملقى على عاتقه ، كما أنه اذا قصر فى كثير من الجوانب التي يجب أن يستوعبها وأن يقتلها دراسة وبحثا فان هذا أيضا لا يحملنا على نفض أيدينا من المؤتمرات الاسلامية بحجة عدم جدواها ، فان ما لا يدرك كله لا يترك جله ولنعمل بقول الرجل الصالح فى قاعدته الذهبية (يعاون بعضنا البعض الآخر فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا البعض الآخر فيما اختلفنا فيه) لأن الخير باق فى الأمة الاسلامية الى يوم القيامة كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ومجلة ((الوعي الاسلامي)) اذيسرها هذا النشاط الذى تعتبره – على أى حال – دليل الحيوية ، تشعر فى الوقت نفسه أنها تعبر عما يملأ قلوب المسلمين جميعا من أمل قوى حين تقول: ان هذه الجهود التي تبذل هنا وهناك يجب أن تتوحد وتصب كلها فى مجرى واحد ، يكون له تياره القوى ، وكلمته الحاسمة فى كل ما يحقق للمسلمين آمالهم ، ويرد عنهم كيد أعدائهم ، وذلك على نسق مؤتمر القمة العربي . فان هذه المؤتمرات الاسلامية ستظل آثارها كلاما يذهب مع الريح ، أو يسطر على الورق ، ما لم تتوحد جهود المسئولين من المسلمين كلهم أو غالبيتهم ، لتحتضن المقررات الاسلامية ، وتعمل على وضعها موضع التنفيذ ، كما يلتزمون بكثير من مقررات المؤتمرات العالمية .

لم نعد بحاجة الى كثرة المؤتمرات بقدر ما نحن فى حاجة لترجمة ما تردد فيها الى واقع ينبض بالحركة والحياة والعمل المنتج ..

الشعوبية في الأدب

بين الأمس واليوم

للدكتور : احمد كمال زكي
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

الاديب بناء ثائر

يتورط كثير من الادباء فى بعض مايصدرون عنه ، ويبلغ التهور ببعضهم حدا يهدرون فيه قيم المجتمع، ثم يزعمون أنهم باسم « الحقيقة » أو « الواقع » يتكلمون .

وعن هذه الطريق تسربت الآراء الغريبة الى الاعمال الأدبية ، واحتلت منها حيز المضمون ، وقد بلغ من سلطانها أن طمست جانب الفن أو الصياغة المحددة لملامح الشكل الخليقة بالتقديم ، وكان هذا فى حد ذاته أحد عوامل القصور الذى يبدو فى أعمال الكثرة من أدباء هذا العصر .

ولقد يقال ان جوهر الادب هو الفكرة فى اطار فني قوامه اللغة ، فنقول وهل ينبغى ان تكون الفكرة مما يدمر الكيان الاجتماعي ؟ نحن نؤمن بأن الاديب الكبير من حيث هو فرد لا يعيش دائما فى انسجام مستسلم مع الجماعة ، وهو من أجل ذلك دائم الاحتجاج ، الا أن الاحتجاج شىء والهدم شىء آخر .

نحن نؤمن بأن الشرط الاول لقيام الأديب الكبير هو سموه على وجدان الجماعة ، وقدرته على (التنبؤ) لهم ، ولكننا نفترض دائما وجود علاقة معينة بينه وبين هذه الجماعة . وهو حين يفارقهم لا يحاول أن يقطع أسباب هذه العلاقة ، بل يكشف لها عما يشهده من صدع فى مجالها الحيوى ويشرح لها ـ بطريقة أو بأخرى ـ احساسه بهذا الصدع ومحاولاته المخلصة للوصول الى رأبه .

هو اذن فى مصاف الثوار البانين ، ويبعد كل البعد عن الثوار الهادمين . ويوم نفهم هذه المسلمة ـ وهى خليقة بأن تتصدر موضوعنا ـ فانه يسهل علينا أن نضع أدباء الرفض فى هذه الايام موضع الشعوبيين الاول، ونحاسبهم فى ضوء الحوافز التى تؤثر فى اتجاهاتهم، وتحدد مجالهم تحديدا يجاوز حد الاحتجاج الى التدمير .

خطورة الرافضيين

وبتلك المسلمة أيضا نريد أن ننبه

يحس الكاتب كما يحس القراء الواعـون خطر بعض الاتجاهات الادبية المعاصرة عـلى القيم الاسلامية العربية ويدق مثلهم ناقوس الخطر . وهذا المقال يكشف عن المخططـات الأدبية الحديثة التى تتـلاقى مع مخططـات الشعوبيين فى عصور الاسلام الاولى فى هدف واحد .. وليس القارىء ببعيد عما كشـف عنه الاستاذ الكبير محمود شاكر فى مجلـة « الرسالة » المصرية .

و « الوعي الاسلامى » تفتح صدرها لكل قلم غيور يساهم فى القاء الاضواء على الاخطار الملفوفة التى تهدد قيمنا الأصيلة .



على خطـورة الرافضيين الذين يجعلون الابداع الأدبي ظاهرة غير مشروطة بقيمة اجتماعية قائمة ، ونقـرر أننا نخـالف الرأى الشائع الذى يجمع على تقـدير أغلب من يسلك فى قائمتهم ، أترى نعنى بذلك أن أصحاب هذا الرأى ليسـوا على الجادة ونوشك نحن أن نعيـدهم اليها ؟ لا ، ولكن الواقع اننا يجب ألا نلزم أنفسنا بأن نسلم بالامر الواقع الا مـن حيث هو عارض الى زوال .

أديب كأدونيس مثلا موجود فى أدبنا المعاصر ، وهو من الرافضيين ، الا أنـه لا يمثلنا . هو يتكلم بلغتنا ، وهو يصدر عن أنماط عربية وقد يفكر أحيانا كمـا نفكر ولكنه فى نهاية الامر ينطق عـن أيديولوجيـة لا نعـرفها ولا نريـد ان نعرفهـا .

وأديب آخر كيوسف الخال ؛ يتحرك بيننا ، وقـد يعـرف مالنا وما علينا ، وربما هتف ببعض شعاراتنا ، غير أنـه يرفض تبريرنا للحيـاة عـلى أسـاس تكوينات مشبوهة سقيمة يقترحها هو أو يقترحها له من وراءه وما وراءه .

أجل ، وهذان فيما نـرى يعيشان بيننا كما عاش مهيار الديلمى قديما وكما عاش بشار بن برد من قبله وابن المقفع ، واذا كان هؤلاء قد مثلوا جزءا من تراثنا فليس ينبغى أن يكون هذا الجزء هـو الذى يدل على صحة وكمال وهو قـد يمتاز بالابتكار ، وقد لا يخلو من الطرافة وقد يسمو على غيره بأخيلته ، ولكنـه مع ذلك لا يمكـن أن ينم عـن عافيـة حقيقية ، وعند الموت كما نعرف تضحك الحياة بغتة وتلمـع الشمس قبـل أن تغـيب !

رافضيو اليوم وشعوبية الامس

نحن اذن نربط بين الرافضيين اليوم وبين الشعوبيين اعداء العرب بالأمس أو قل نحن نجعل أدباء الرفض مضاعفات طبيعية لداء الشعوبية الذى استشرى منذ فَجَّر العرب المسلمون ثورتهم لأول مرة فى أقاليم الشرق الأوسط .

أجل ، وهم يتبعـون اليـوم نفس مادرج عليه الاولون بدعوى التجديد تارة

ومباشرة الحياة تارة اخرى ، وباسم الحقيقة والواقع فى أغلب الأحيان ، فما معالم الطريق ؟ أعني ما المخطط الذى قدمه الشعوبيون لأجيالهم من بعدهم ؟

اننا اذا قرأنا أدبنا القديم نلحظ أن المشتغلين به فى القرن الثاني الهجرى قد خولطوا بالموالى الذين تعلموا اللغة العربية وأجادوها وعكفوا على التعبير بها فى تكوين يجمع بين التشكيل العربي والحس الاجنبي ، ونقول الاجنبي لان هؤلاء الموالى كانوا من الفرس - وهم الاغلبية - والنبط والروم والزنج ، وانتسبوا لقبائل عربية ولكن انتسابهم هذا لم يمنعهم من المفاخرة بمجدهم الزائل ، وفى كنف العباسيين أطلوا على الحياة بجرأة وكأنهم ملكوها حتى قال « درست » البصرى ذات يوم : لولا أنني معلم والمعلم عند الناس أحمق وأنا مولى وليس المولى كالصريح ، لما دعا الناس الى بغض هذه الدولة أحد غيرى ولأزلت أمرهم ولحمست عليهم حتى لايقال بنو العباس !

ورأينا الشعراء من أمثال أبان اللاحقي وبشار بن برد وأبي نواس يمعنون فى التطرف ، فيتيهون بعجميتهم أمام الخلفاء ، أو يتبرءون من نسبهم العربي . ويجرؤ عالم كأبى عبيدة معمر بن المثنى فيعلن أنه يهودى الجد ، فارسى الأصل وسكن آباؤه « باجروان » على التخوم التركية الجنوبية التي يكثر فيها الطورانيون .

واذا كان لنا أن نستنتج شيئا من هذه الظاهرة - وهي أهون ما فى تاريخ الشعوبية - فلا يمكن أن نجاوز تلك الحقيقة التالية ، وهى : أن الكيد والتدبير اللذين ألقى بذرهما منذ العصر الأموى قد قدما ما لا تستطيع الحرب السافرة أن تقدمه ، وأن الموالى وجدوا متنفسا فى نظام الحكم العباسي فصالوا وجالوا وكشفوا عن مخازى العرب فى كتب وضعت ، أشهرها ما ينسب الى أبي عبيدة نفسه ونذكر منها « لصوص العرب » و « أدعياء العرب » الى جانب « فضائل الفرس » الذى يحدثنا عنه ابن النديم .

جدى كسرى وقيصر خالى ...

ويذكرنا كتاب فضائل الفرس بالدور الذى يلعبه الرافضيون اليوم ، وهو الاشادة بالاشورية أو الفينيقية أو الفرعونية فى معرض الحط من الحضارة العربية ، وخير مثل على ذلك فى القديم بائية بشار التى يقول فيها :

جدى الذى أسمو به كسرى وساسان أبي
وقيصر خالى اذا عددت يوما نسبي

وفى أغلب الحديث أشعار أدعياء القومية السورية والفينيقية التى اخترعت الحرف وقهرت البحر وصنعت أوروبا والاغريق بخاصة ، وذلك حين كان الجاهليون العرب يغطون فى سباتهم أو يأكلون الورل والضب !

لقد قلت ان هذا هو أهون شيء فى المخطط الشعوبي ، فاذا حاولنا أن نصل الى الخطير منه قديما قلنا انه محاولة للاطاحة بالحكومة العباسية القائمة ليملك (الاحرار) وهؤلاء طائفة «الازاد مردية» التى تمثلها الارستقراطية الايرانية وأشار اليها القدماء من أمثال الجاحظ فى بخلائه ، والطبرى فى تاريخه وابن المقفع قبلهما فى « كتاب الادب الكبير » كما امتدح بها نفسه كل من بشار واسحاق الموصلي .

ويصف المخطط بدقة أسلوب الاطاحة فلما تبين واضعوه متانته صاح صائحهم :

بني هاشم عودوا الى نخلة لكم
فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فان قلتم : رهط النبي محمد
فان النصارى رهط عيسى بن مريم

وتلقف الصيحة آخر فهدر قائلا :

أبــونا ويــزك وبه أســامى
اذا افتخــر المفاخــر بالولاده

أبونــا ويـــزك عبد رسول
له شــرف الرسالة والزهاده

فاذا علمنا أن الاقــوال تتواتر عــن ان (ويزك) هو اسحاق بن ابراهيم الخليل فهمنا لماذا لم يرتض الشعوبيون ديــن محمد فى « يوطوبياهم » ، فكان لهــم دين عيسى، وكان لهم دين اسحاق ،ولعل الشاعر الثاني – بوصف اسحاق بالزهد – انما كان يريد أن ينال من محمد عليه السلام الذى كان يدعو الى حياة سوية فيها من المتاع ما لا يتفق والرهبنة .

مخطط الحادى

والواقع أن الشعوبيين كانوا يحسون أن العرب أقوياء بدينهم ، ومن ثــم يجب بعث الديانات التي جبها الاسلام ، فانتشر بذلك الالحاد بين الادباء ، ووضع أمثال عبد الكريم بن ابي العوجاء آلاف الاحاديث عن الرسول ، واتهم فى دينــه ابن المقفع وبشار وأبي نواس وابان وابي عبيدة وخلف الاحمر والحمادون الثلاثة والحسين الخليع والعطوى وغيرهم ممن حملوا لواء الفن الى النصف الاول مــن القرن الثالث الهجرى تقريبا .

وما أشبه صنيع هؤلاء بما يصدر عنه الرافضيون اليــوم مســتغلين الرمــوز الاسطورية حينا والاشارات المسيحيــة حينا آخر واجدين فى «الكتاب المقدس» ماشاءوا من ســهام يقصــدون بهــا المتدينين .

ويتضمن المخطــط ايضا – توكيــدا ليوطوبيا الشعوبية (التشكيك فى التراث العربي) كله كلغة وادب ، ففــي جانب اللغة حــطم الموالــي – أو حــاولوا ان يحطموا – القيود التى فرضها العلماء ، وتمسحوا بالخطأ فى كتاباتهم ، وحتــى هؤلاء الذين بلغوا من الفصاحة حـــد الاعجاز كبشار وابن المقفع – نقلت عنهم نقول تكشف عن عمق الهوة التي فصلت بينهم وبين النسيج اللغوى القوى .

لتعقيد اللغة العربية

ومن ناحية أخرى وضعت الكتب التي يدل ظاهرها على العناية باللغة وهي فى تفريعاتها وازجاء المناقضات فيها نموذج على تعقيد لم يكن فى جوهر الاستعمال العربي على الاطلاق ، وبرزت الجوانب التي ظهر فيها الجاهليون على ألسنــة متباينة قد تفرعت عن لغتين مختلفتين هما لغة قحطان ولغة عدنان حتى قال أبو عمرو بن العلاء : « ما لســان حمــير بلساننا » الا ان هذا لا يعنى هذه الفرقة اللغوية الهائلة ، فضلا عن أن احتمــال قبول الرواية نفسها عن هذا العالم الكبير يعدل احتمال رفضها تماما .

شعر مدسوس

واما الشعر وهو جزء من تراث ادبي مد الرواة الموالى يدهــم اليــه بالعبث والتحريف فكلنا يعرف ما أثير حوله من لجاج لا يزال محتدما الى اليوم .

لقد كان العربي يعتز بتراثه الشعرى، يحبه ويقدسه ، ويحفظه ويردد كل ما يتصل به من أحداث، وكان مجرد خدشه يقيمه ولا يقعده، ترى ماذا يفعل لو جاءه أبو عبيدة وروى له :

هم هينــون وأيســار ذوو كــرم
ســواس مكــرمة أبنــاء ايســار

ان يسألوا الخير يعطوه وان خبروا
فى الجهد أدرك منهــم طيب أخبار

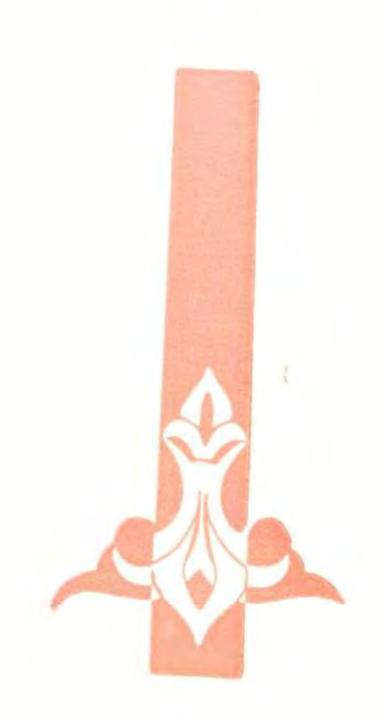
على انها للعرندس الكلابي يمدح بعض الغنويين ؟ ان أبا عبيدة يعلم ان العربى يرفض هذه القالــة لسـبب جوهــرى وضحه الاصمعى العربى بقوله : محال أن يمدح كلابي غنويا لما بينهما من العداوة .

هذا ما يريده ابو عبيدة وامثاله، ان يدور النقاش على هذا النحو من ترديد الشك ، بل ان هذا الرجل لا يني يروى أن خلفا الاحمر قال : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبل ذلك منى ويدخله فى اشعارها ! ولكى يكون الشك أعتى راح يردد : خلف الاحمر معلم الاصمعي ومعلم اهل البصرة ! خلف عند ابي عبيدة حجرة الزاوية، ولما كان وضاعا كذابا فلاعلم اذن لدى الاصمعي - الراوية العربي المحقق - لانه تلقاه عن كاذب ، ولا علم لدى البصريين لأن علم المعلم نفسه مكذوب واذن فالشعر العربي القديم أسطورة ، او هو مختلط مختلق ، وليس من حق العربي أن يزهو به ، ويحرص عليه .

ومثل ذلك كثير ، وهو يذكرنا بكل الشعر الذى ساقه القاصون فى معرض حكاياتهم حتى أضافوه الى آدم وتبع وبينهما أقوام عاد وثمود . ولقد أنكر ابن سلام هذا الشعر وحذر منه وفى الوقت نفسه اعترف بان ما ذهب من شعر الأولين لا يعدله ما يحفظ لهم مما وثقه العدول .

ماذا يريدون ؟

وبعد : فالقول فى مخطط الشعوبية يطول ويطول ، ونحن اذا أخذنا انفسنا بتتبع خطوات تنفيذه - ولو فى دائرة الأدب فقط - راعتنا تلك المحن التى امتحنت بها الامة العربية على مدى التاريخ ، ويستطيع كل من يريد كشفهم وفاته تراثهم - لأى سبب من الأسباب - أن يتعقب فلولهم اليوم ، فسوف يرى ان النتائج التى أفضى اليها منهج قدمائهم لا يمكن ان تخرج عما يثار اليوم من جدل حول موروثنا وقيمته انهم يريدون الاطاحة بالنظم القائمة عن طريق نقض صروح اللغة والدين والتقاليد والشعر ليكون ثمة سبيل الى تحقيق يوطوبياهم فى أطرها الكسيحة المشوهة .



وقص علينا فيما حكاه عن الجن أنهم يقولون : —

« وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا » الجن — (١٤) .

بهذا كله يتبين أن الاسلام على لسان هؤلاء جميعا ، وفى هذه الاستعمالات كلها ، هو الانقياد لله والخضوع له فى العقيدة ، والعبادة ، والعمل ، خضوعا لا يعرف الشرك ولا الواسطة ، ولهذا يعتبر الله جميع الأنبياء وجميع الذين أوتوا الكتاب « مسلمين » بهذا المعنى . فيقول عن الأنبياء : —

« يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا » المائدة — (٤٤) .

ويقول عن أهل الكتاب : —

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين » القصص — (٥٣) .

ويقول عن الذين كفروا بعيسى وزعموا أن ما جاء به من البينات سحر :

« ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام » الصف — (٧٢) .

ولهذا أيضا يقول القرآن الكريم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم : —

« انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين » النمل — (٩١)

ويأمر المسلمين أن يقولوا : —

آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» البقرة —(١٣٦)

ويأمر بتوجيه الدعوة الى أهل الكتاب على هذا النحو فيقول : —

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنامسلمون» آل عمران—(٦٤) .

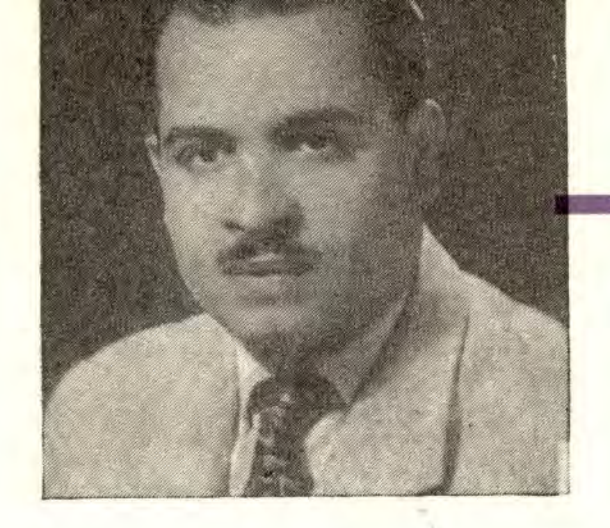
هذا هو دين الله الذى جاءت به كل الرسل ، ونزلت به كل الكتب ، وقد كان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتمة هذه الرسالات كلها ، وهو الذى أثبتها ، ولولاه ما عرف أمر رسول من طريق تطمئن اليه القلوب ، وهو الذى نقاها مما أضيف اليها ، ولولاه ما عرف صحيح من زائف ، وهو الذى أتى بالشرعة الصالحة المناسبة لما وصل اليه الانسانمن رقي العقلوالتفكير والمعرفة، ولولاه لظلت البشرية تتخبط فى ظلمات الأهواء والشهوات والعصبيات ، ولهذا كله تمخض معنى الخضوع لله، والانقياد لأمره على ما رسم لعباده فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فصار لفظ « الاسلام » علما عليه ، وأنبأنا الله أنه هو الذى ارتضاه بقوله فى أواخر ما نزل على الرسول : —

« **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت** عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» المائدة — (٣) .

فلم يعد لأحد من البشر بعد ذلك أن يرفضه زاعما أنه مؤمن بسواه فانه هو الدين وليس له « سوى » ومن آمن به فقد آمن برسالات الله كلها ، ومن رفضه فقد رفض رسالات الله كلها ، تلك هى الحقيقة ، ولن يستريح أهل الأرض حتى يؤمنوا بها ، ويبنوا حياتهم وعلاقاتهم على أساسها —

«قل يأيها الناس اني رسولالله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » الاعراف — (١٥٨) .


قصة العدد
النسيان الصغير



بقلم الدكتور نجيب كيلاني

كان وسيم التقاطيع ، مديد القامة، يوحي مظهره العام ونظراته النافذة بالعناد والاعتداد بالنفس اعتدادا لا حد له . اسمه الحقيقي « النشو » ، لكنه حاول أن يضفى على اسمه غبار النسيان منذ أن تسمى باسم « عبد الوهاب شرف الدين » ، وأبرز ما فيه دهاؤه الذى لا يقهر ، وحسن تدبيره الذى لا يبارى ، وبراعته الفائقة فى التمثيل والظهور بمظهر الرجل البرىء المظلوم ، وحرصه الدائم على أن يبدو مخلصا للسلطان العظيم « الناصر محمد بن قلاوون » وخاصة بعد أن اختاره ناظرا « للخاصة الملكية » وأعطاه من السلطات ما لم يكن يحلم به فى يوم من الأيام ..

وهكذا استطاع أن يستحوذ على قلب السلطان وثقته ، ومن ثم انطلق « شرف الدين » يسلب وينهب ، ويتجر باسم السلطان ، ويفرض الاتاوات ، ويحتكر بعض المواد التموينية ، ثم يبيعها بالثمن الذى يروق له ، حتى عم الغلاء وأفلس التجار ، وركدت حركة الاستيراد والتصدير ..

وبينما كان السلطان الناصر يدلف الى باب قصره اذ رأى ورقة نظيفة مغلفة وقد وضعت بعناية تامة فى طريقه ولم تكن هذه أول مرة يجد فيها مثل تلك الرسائل المجهولة ، بل ان الناصر كان يطرب لمثل هذه الرسائل ، ويعتبرها ترجمان صدق لما يشكو منه الناس ، وخاصة أولئك الذين لا يستطيعون أن يواجهوه بمتاعبهم ، خوفا من بطش شرف الدين ، ومقدرته الفائقة فى التخلص مما يتهم به .. **وانحنى الناصر والتقط الورقة .. ثم فض غلافها . فوجد بيتين من الشعر :**

أمعنت فى الظلم وأكثرته
زدت يا « نشو » على العالم
ترى من الظالم فيكم لنا ؟
فلعنة الله على الظالم

ودارت الأرض « بالناصر » ، اذ ما أقسى أن يثق فى رجل يظلم الناس ،

... وأفلتت دمعة من عين الناصر .. وارتجف جسده كله .. لكم يخاف الله يوم أن يسأله عن سر وثوقه فى هذا الرجل ، وعن عدم تحريه عنه .. وهتف بأعلى صوته :

ـ « جروه الى السجن .. »

فرائصه .. ثم رمى بالورقة فى وجهه قائلا :

ــ « خذ .. اقرأ هذا . »

تمالك شرف الدين أعصابه، وارتسمت على ثغره ابتسامة شاحبة مرتجفة ، وانحنى فى دهاء ثم همس فى ضراعة :

ــ أيسمح مولاى السلطان أن أشرح الأمر ؟؟

قال السلطان فى اصرار :

ــ دافع عن نفسك ..

ــ « أنت ترى يا مولاى أنه ليست هناك وقائع محددة للتحقيق فيها .. ومولاى يعرف أن هناك عددا كبيرا من الحاسدين والواشين .. وهؤلاء لا نستطيع أن نقطع ألسنتهم ، أو نقصف أقلامهم .. ثم لا تنس يا مولاى أن امراء المماليك قد تضايقوا بعض الشيء بعد أن أعدنا توزيع الاقطاعيات بالعدل .. ولم يخفوا غضبتهم بعد أن أصدر مولاى أوامره بالحد من استغلالهم للعامة ..

لم يتزحزح السلطان عن موقفه وهتف :

ــ ولم لا تكون مثل هذه الشكوى من عامة الشعب ..

ــ « عامة الشعب فى أمان وسعادة .. وهذا المكان الذى عثرنا فيه على الورقة لا يدخله الا الأمراء وكبار رجال الحاشية ..

وهدأت نفس الناصر بعض الشيء ، اذ انه يعلم ــ منذ ان ولي الحكم ــ ما يعتمل فى نفوس الحاقدين والمتآمرين من أطماع ونزوات ، هو نفسه قد قاسى من ذلك الأمرين ، ألم يتمرد عليه مماليكه ومماليك أبيه ، وينتهزوا صغر سنه ويعزلوه عن السلطنة مرتين ؟؟ أن ما يراه من تصرفات شرف الدين يناقض تماما ما يشاع عنه ، وليس من رأى كمن سمع ..



والأقسى من ذلك أن ينتقل الاتهام من النشو (شرف الدين) الى الناصر نفسه، وهو السلطان الذى قهر الأعداء من مغول وصليبيين ، وهو الذى خطا بشعبه خطوات موفقة فى طريق النجاح والتقدم والمجد .. وهل ينسى « الناصر » يوم أن تآمر عليه الأمراء وهو صغير السن ، ثم خلعوه عن عرش السلطنة .. وتركوه يعيش منفيا مع أمه ؟؟ وهل ينسى يومذاك التفاف الشعب من حوله ، وتظاهره من أجل عودته ، وارغامه المماليك والأمراء على أن يعقدوا البيعة للناصر محمد بن قلاوون ؟؟ مستحيل أن ينسى ذلك .. فمثل هذا الشعب لايمكن أن يترك فريسة فى يد ظالم كشرف الدين .. واتقدت عينا السلطان ضيقا وحنقا ، واكفهر وجهه ، وسدد الى الى شرف الدين نظرات ارتجفت لها

ومضى السلطان فى طريقه ، بعد أن استأذن شرف الدين وقد هدأت نفسه، واستقبلته زوجه « طفــاى » الجميلــة أجمل استقبال وأروعه .. كان يحبها حبا ملك عليه فــؤاده ، وكــان يجد فى جــوارها الطمأنينة والأمن .. فكثــيرا ما استطاعت ابتسامتها المتألقة أن تبدد كثيرا من الشكوك والأوهام التي تطــرأ على قلبه .. ولم يكد يستقر الى جوارها حتى بادرته قائلة :

ــ ماذا جــرى ؟؟ لقد رأيتــك مــن خلال المشربية وأنت تنهر شرف الدين تنهد قائلا :

ــ انه رجل غريب يا « طفاى » .. صائب الرأى .. اخلاصه لنا لا يبارى .. لكن الناس يكرهونــه ، أصبحت فى حيرة .. أأصدق عيني أم أنصــاع لمــا يردده أعداؤه ؟؟

قالت طفاى وكأنها قد تذكرت أمرا غاب عن بالها :

ــ أوه .. لقــد أحضرت « الســت حدقة » .. مربية مولاى الغالي تاجــرا من تجار الخشب بالأمس يزعم أن شرف الدين يستغل اسم الســلطان ويفرض على التجار شراء صــفقة من الخشــب بثمن باهظ ..

تغيرت سحنة الناصر واستبد بــه القلق ، وقال :

ــ لــو حدث ذلــك حقــا فسأجعل من « النشو » عبرة لكل عابث ..

لم تنم لشرف الدين عين ، كان قلقا من جراء الســخط الشــعبي المتزايد ، واستطاع جواسيسه المنبثــون فى كــل مكان أن يحملوا اليه أدق الأسرار ، بل لقد علم بما فعلــه تاجر الخشــب ، وأسرع شرف الدين بارسال واحد من أذنابــه للتاجر .. وذهب ذلك الوسيط وقــال للتاجر ــ

ــ علمت أنــك ستشترى صــفقة خشب من شرف الدين

ــ انــه يغالي فى الثمــن .. يــريد ألفين من الدنانير ..

ــ أما أنا فسأعطيك ثلاثــة آلاف .. على أن ترجىء الثمن لمدة شهر واحد ..

ــ أتسخر مني ؟؟

اذن فهيــا نكتب عقــد البيــع .. وما عليك الا أن تذهب وتشترى الخشب من « ناظر الخاصة » فورا ..

وتم التعاقــد .. وأسرع الوســيط « بالعقد » الى شرف الدين .. فابتسم ابتسامة ماكرة ثم طوى الورقة ودسها فى جيبه ..

انعقد مجلس السلطان فى الصباح ..

واستقبل الناصر ناظر الخاصــة فى جفاف وخشونة ، وصرخ :

ــ تظلم الناس وتخدعني ..

ــ مولاى ...

ــ كفى .. أحضروا تاجر الخشب ..

ووقف التاجر يبســط شــكواه .. لكن شرف الدين عاد يبتسم فى مــكر ، ثم استخرج العقد وتقدم للسلطان قائلا:

ــ هذا التاجر يبيع الناس بســعر الفائدة .. ولا يخاف الله .. وهو يزعم أني أبيعه بألفين ، وفى ذلك اســتغلال ، فماذا يقول مولاى السلطان اذا علم ان هذا التاجر قد باع نفس الصفقة بثلاثة آلاف ؟؟

لم يكن السلطان بقادر على أن يصدق ما يزعمه شرف الدين ، لكن ما ان وقع بصره على عقد البيع ، حتى أخــذت شكوكه تنجاب رويدا رويدا ، ولــم يستطع التاجر المسكين أن يخلص نفسه مــن المأزق الخبيث الذى أوقعه فيه شرف الدين ، ولم يستطع أن يــدرك حقيقة المؤامرة فى بداية الأمر ، ثم أفاق التاجر على صوت السلطان الذى يهدد غاضبا ، ويطلب له العقاب الصارم جزاء تجنيه على « ناظر خاصته » ..

ـ بالعقل وحده تستطيع أن تصنع المعجزات ..

ـ الله معك يا سيدى ... أعني .. يا مولاى ..

ـ كلنا نستعين بالله .. لا ميزة اذن .. الذى يميزنا هو ذلك العقل الذى يستقر فى رءوسنا ..

وأدرك الخادم أن سيده يعاني من نوبة غرور توشك أن تسلكه فى عداد الكافرين فاستعاذ بالله فى سره ، ثم انصرف ..

الأيام تمضى ، وشرف الدين يزداد عتوا وفسادا ، وثروته تربو وتتضاعف وان تظاهر امام السلطان بالفقر . وتهمس زوجه فى اذنه سعيدة :

ـ لقد طارت شهرتك فى كل مكان .. وأصبحت سيد الناس بحق ..

ـ لم تعد هناك قوة فى الارض تستطيع قهرى .. لم يكن ينقصنى شىء لأكون سلطانا لهذه البلاد .

ـ لا تتمادى فى أحلامك يا زوجى الحبيب ..

ـ ان أروع الانتصارات أيتها الغبية الجميلة هى تلك التي يحققها الانسان دون لجوء الى السلاح .. العقل أمضى سلاح ..

ـ حذار أن تقع يا شرف الدين ..

ـ هذه الرأس ، وفيها ذلك العقل لا يمكن أن تقع ..

ومرض الأمير « يلبغا » وهو رجل طيب يثق فيه السلطان ويحبه أعمق الحب ، وعلم السلطان باحتضاره ، فذهب يعوده ، ولشد ما بكى الاثنان عند اللقاء ، وعندما هم السلطان بالانصراف استأذن الاميركي يبقى بضع لحظات ثم أخذ يقول :



ويعود شرف الدين فرحا بهذا النصر العظيم ، وقد ازدادت ثقته بنفسه وبمقدرته وذكائه ، كما ازداد اصرارا على القضاء على كل مناوئيه ، ومعترضى نفوذه واستغلاله ، ويهتف فى غرور أريد أن استمتع الليلة ..

فينحني خادمه قائلا :

ـ أمر سيدى ..

ـ رقص وغناء وطرب .. أنا اليوم سيد الجميع .. الأمراء يرهبوننى .. المماليك ينحنون هيبة لي .. السلطان قد أسلم لي كل شىء .. أنا السلطان الحقيقي أيها الأبله .. يجب أن تناديني دائما بـ « مولاى » .

ثم أشار الى رأسه ، وكأنما سكر بلا خمر :

ـ « يا خوند » قد عظم احسانك لي ، ووجب علي نصحك .. والمصلحة تقضى بالقبض على « النشو » فالأمراء جميعا يكرهونه ، ويكرهونك بحبك اياه، وما من مملوك من مماليكك الا ويترقب غفلة منك ليقضى عليك انتقاما منك ، لأنك تركت هذا الشخص يعبث بمصالح الناس ..

وتسمر السلطان وهو يستمع الى صديق العمر ، ليس هذا فحسب ، بل انه يستمع الى رجل قد خلصت نفسه من الدنيا ، ولم يعد بينه وبين القبر الا خطوات معدودة ، ان الأمر أخطر مما يتصور ، فلو صدق الأمير المريض لكان معنى ذلك أن السلطان قد عاش مخدوعا طوال هذه الفترة .. وانه قد أساء الى الناس اساءة بالغة تكاد تقضى على كل احساناته وأمجاده ..

وخرج السلطان بنفسه يلتقى بالناس، ويجمع الأخبار ويتلقى الشكاوى ، ثم أمر بالتحقيق عن ثروة « شرف الدين » كي يعرف أهو فقير حقا أم يدعى الفقر ، لكن « ألسنة الخلق أقلام الحق » ، والناس أجمعوا على مظالمه ومفاسده ، وان ثروته من الدنانير والذهب والمجوهرات والأبسطة الثمينة والأثاث الفاخر تقدر بمبالغ ضخمة ..

وأفلتت دمعه من عين الناصر .. وارتجف جسده كله .. لكم يخاف الله يوم أن يسأله عن سر وثوقه فى هذا الرجل ، وعن عدم تحريه عنه وهتف بأعلى صوته : ـ

ـ جروه الى السجن ..

لحظات رهيبة .. « النشو » يساق، والسلاسل فى عنقه ، والعامة فى فرح شامل والطبول تدق ، والحشود تتدفق من كل الأرجاء،ثم يأمر السلطان باعدامه وتكفينه فى كفن لا يزيد ثمنه على أربعة دراهم .. وتقام المآدب والأفراح



بانقشاع الظلام ، وتلهج الألسنة بمدح الناصر ، ويترنم الشاعر قائلا : ـ

ان يوم الاثنين يوم سعيد
فيه لا شك للبرية عيد
أخذ الله فيه « فرعون » جهرا
وغدا النيل فى رباه يزيد

وهكذا انهزمت ارادة انسان مغرور ، أمام ارادة اله قادر ، وقوة شعب لا يقهر ..

هدية

تعد ادارة المجلة العدة الآن لطبع أحد كتب التراث الاسلامي وسترسله هدية لكل مشترك فى المجلة .

الفتاوي

يرحب هذا الباب باسئلة السادة المستفتين ليرد عليهـا هنـا او فى ردود خاصة اذا اقتضى الحال ذلك :

بنك العيون

تلقينا السؤال التالي من وزارة الصحة :

ترغب وزارة الصحة العامة فى انشاء بنك للعيون للافادة منه فى عمليات ترقيع القرنية وذلك بعد أن تحقق نجاح هذه العمليات فى علاج كثير من الحالات التي تستدعي اجراءهـا . وترى الوزارة الحصول على العيون اللازمة لهذا البنك من المصادر الآتية : ـ

أ ـ عيون الاشخاص الذين يوصون أو يتبرعون بها .

ب ـ عيون الاشخاص التي يتقرر استئصالها طبيا ويتبرع بها اصحابها .

جـ ـ عيون الموتى أو قتلى الحوادث الذين تشرح جثثهم .

د ـ عيون من ينفذ فيهم حكم الاعدام .

هـ ـ عيون الموتى مجهولي الجنسية

على أن يشترط فى الحالات المنصوص عليها فى الفقرتين (أ،ب) ضرورة الحصول على اقرار كتابى من الموصين أو المتبرعين وهم كاملو الاهلية ، فاذا كان الشخص قاصرا أو ناقص الاهلية لزم الحصول على الاقرار الكتابي من وليه .

وفى الحالات المنصوص عليها فى الفقرة (جـ) يجب الحصول على اقرار كتابي بالموافقة على استئصال العين من أقرب الاولياء على النفس العصبات الى المتوفى ويراعى فى ذلك مراتب الولاية على النفس وفقا لاحكام القانون ، وفى حالة وجـود اكثر من واحد من العصبات فى مرتبـة واحدة تلزم موافقة أغلبيتهم ،ولايشترط موافقة أحد فى الحالات المنصوص عليها فى الفقرتين (د،هـ) .

وترغب الوزارة قبل التقدم بمشروع قانون انشاء بنك العيون أن تتعرف على حكم الشريعة الاسلامية فى انشاء هذا البنك مـن حيث المبدأ ، وعلى ضـوء المعلومات الخاصة به سالفة الذكر ونرجو أن تصلنا الفتوى الشرعية بهذا الشأن فى أقرب فرصة ممكنة .

الجواب :

ردا على الاستفسار الوارد من وزارة الصحة عن حكم الشريعة الاسلامية فى الانتفاع بعيون الاشخاص الذين يوصون أو يتبرعون بهـا أو العيون التى يتقرر استئصالها طبيا أو عيون الموتى أو القتلى أو المحكوم عليهم بالاعدام او مجهولي الجنسية .

نفيد : بأن الاسلام يحترم الانسـان ويحرم الاعتداء عليه حيا وعلى جثته ميتا ، ولذلك حرم التمثيل بجسده بعد موته ، كما حرم امتهان قبره ، ولكن الشريعة الاسلامية التى تجعل مصلحة الانسان هدفا لها لا ترى مانعا فى شق بطن الميت اذا ابتلع ذهبا مثلا قبل موته لاخراج هذا الذهب منه لينتفع به الحي ، كما لا ترى مانعا فيما يحدث الآن من تشريح جسم القتيل أو الميت بحادثة من الحوادث للتأكد من معرفة سبب قتله او موته لما يترتب على ذلك من ظهور الحقائق التي تفيد التحقيق فى حادثة القتل أو الموت كما لا ترى مانعا من تشريح الجسم ايضا لغـرض تعليمي يفيد متعلمي الطب فى معرفتهم أجزاء جسم الانسان مما يعينهم فى مهنتهم لعلاج المرضى من الاحياء .

وقياسا على هذا لا نرى مانعا ـ من حيث المبدأ ـ من الانتفاع بعيون الموتى لعلاج الاحياء فاقدى العيون لما يترتب على ذلك من مصلحة ظاهرة للاحياء . والامر فى ذلك ظاهر اذا تبرع أصحابها لان ذلك يتم بموافقة منهم كما جاء فى الفقرتين(أ،ب)، من الاستفتاء، اما ما جاء فى الفقرتين (ج،د) خاصا بعيون القتلى او الموتى الذين تشرح جثثهم ولم يحصل منهم تبرع ، أو عيون الموتى المجهولين

فانه يجوز ــ من حيث المبدأ ــ كما سبق ان ذكرنا الانتفاع بعيونهم ــ ولو لم تحصل منهم موافقة ــ ما دامت هناك حاجة ملحة ومصلحة ظاهرة فى الانتفاع بهذه العيون خاصة لان مصلحة الاحياء فى هذه الحالة مقدمة على الاحتفاظ بأجزاء جسم الميت حتى لاتفسد فى التراب ومما لا شك فيه أن مثل هذه المشروعات المستجدة التى تهدف الى مصلحة الانسان مما تحبذه الشريعة وتبارك القائمين به فى الوقت الذى لا يحرم فيه المتبرعون بعيونهم من ثواب يعلمه الله جزاء نواياهم وأغراضهم الطيبة ــ والله أعلم .

لجنة الفتوى بوزارة الاوقاف

زكاة الأرض

الارض المتخذة للسكنى والتخزين

السؤال :

أرض اشتريت لاتخاذ قسم منها للسكنى والتخزين والقسم الآخر للايجار فما الحكم فى زكاتها ؟

الجواب :

هذا السؤال مكون من جزأين فالأرض فى الجزء الاول لا زكاة فيها لان صاحبها اعدها لسكنه الخاص ولم يقصد بها التجارة ، اما الارض فى الجزء الثاني فان الزكاة تجب فى كراها عند تمام الحول اذا بلغ نصابا وذلك بواقع ٥و٢٪ سنويا .

الارض المشتراة للتجارة

السؤال

ارض اشتريت للتجارة وقد بيع قسم منها واديت زكاته ، والجزء الآخر هل تؤدى زكاته على أساس قيمة الشراء أو على أساس سعر اليوم ؟

الجواب :

للاجابة عن هذا السؤال نفيد أن الجزء الاول الذى بيع واديت زكاته ان احتفظ صاحبه بثمنه فان زكاة المال تجب فيه اذا حال عليه الحول بواقع ٥ر٢٪ سنويا . اما القسم الآخر فان الزكاة تؤدى عنه على أساس سعر يوم الاداء وهو اليوم الذى يتم فيه الحول بواقع ٥و٢٪ سنويا .

الارض المستاجرة

السؤال

ما الحكم بشأن العرصات التي يستأجرها الناس من الحكومة على ان يقوم المستأجر بالبناء والاستغلال لمدة خمسين عاما ثم تؤول الى الحكومة . هل تؤدى الزكاة عنها ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

الجواب :

لا زكاة على مستأجر الارض لانه لا يملكها ، وعليه أن يخرج الزكاة عن ربح ما أقامه عليها بقصد التجارة والاستغلال اذا بلغ نصابا وحال عليه الحول بواقع ٥ر٢٪ سنويا .. والله اعلم ،،،



نحو تربية عربية

لقد تطورت أساليب التربية والتعليم فى العالم الى مجالات أوسع مما كانت عليه سابقا ، وأصبحت متشعبة غير مقتصرة على مفهوم ضيق لتعليم الصغار الكتابة والقراءة ، فهل هذا التطور الذى حدث فى العالم المتحضر تبعه تطور آخر فى مجال التربية العربية أم أن التربية العربية ظلت على ما هي عليه ؟ هذا ما أريد مناقشته فى الكلام الآتي :



فالمعروف أن التربية الحديثة تقوم على أساس موضوعي ، اى بعد دراسة نفسية عميقة قبل أن توضع المناهج التي تعطى للتلميذ ، وبعد تجارب كثيرة سواء منها التي أجريت على الانسان أو الحيوان ، وكل خطة لا تقوم على بحث ودرس فانها لا تجدى نفعا فى هذه الايام ، بل تكون دراسة مصيرها الفشل الذريع ، ولقد لاحظ العرب قبل قرون طويلة هذه الناحية،واعطوها كثيرا من الاهتمام بطريقتهم الخاصة التي تنطبق على واقعنا ومجتمعنا ، وأكبر دليل على ذلك : الكتب التي القوها للمبتدئين الصغار وقد راعوا عند وضعهم هذه الكتب السهولة فى التعبير للناشيء ،

للاستاذ صالح العثمان

وكيل ثانوية الشويخ



وهذه تعتبر من أولى النواحي النفسية التي تعنى بها وتراعيها التربية الحديثة ، وهي التدرج في تعليم الصغار من البداية، وتتجلى أيضا هذه المراعاة فيما كان صغارنا يدرسونه فى المدارس منذ زمن قريب ، وعلى سبيل المثال يتعلم الطفل أولا حروف « الخالى ، اليمين ، الوسط اليسار » ثم يبدأ يفهم الجزء الذى سَيَكَوِن هو منه كليات فى المستقبل أى الجمل التي سيكتبها أو يتكلمها . ويفهم هذا الصغير عندما يكبر قيمة الكلمة التي يستعملها على أساس تعليمه الجزئيات «الحروف» وكذلك فى الحساب يبدأ الطفل بحفظ الاعداد من واحد الى عشرة الى عشرين أى من الآحاد الى العشرات الى المئات وهكذا ، ثم بعد ذلك يحفظ جدول الضرب ، ويكون ذلك بمراحل أيضا الى أن يصل الى معرفة القسمة والضرب وقسمة وضرب الكسور ، هذه الناحية قد نظر اليها المربون العرب الاوائل بعد أن عرفوا أن هذا الصغير لا بد أن يركب السلم درجة درجة حتى يصل الى هدفه ، وهم بعد ذلك لا يقسرون هذا المتعلم الناشىء على مادة مُعَيَّنة فهو حر فيما ينتهجه لنفسه ، وهذه الظاهرة هي التي تحاربها التربية الحديثة كما حدث للظاهرة الاولى ، وهي تدعى أى التربية الحديثة انها أتت بشيء جديد ، وكثيرا ما سمعنا عن علماء فى التفسير والحديث وفى اللغة والفلك والجبر والكيمياء والطب وهكذا بدون أن يُرغَمَوا على ذلك .

ولقد أكد العلماء العرب المسلمون فى السابق خاصة فى مجال الشعر بأنَّهُ موهبة ، ولا بد لهذه الموهبة من تمرين وقراءة وحفظ،والموهبة مثل المادة الخام لا فائدة منها الا باستعمالها وتكييفها .

والتربية العربية هي التربية الاسلامية بمفهومها الكبير ، ولا يمكن ان تنفصل التربية العربية عن الدين الاسلامي ، فالعلوم التي ملأت العالم فى يوم من الايام هي علوم اسلامية ، ولم تتبلور العلوم عند العرب قبل أن يحملوا هذه الدعوة التي كان أول صفحات من منهجها تقول : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم » والرجل العربي لما دعاه هذا

القرآن الكريم تفتحت آفاقه على ما له من ذكاء وسرعة بديهة وفهم للاشـياء ، كما يدل على ذلك ما انتجته العقليـة العربية فى ميادين الفكر وما زال يُدَرس فى أغلب جامعات العالم .

وَجّهَ القرآن الكريم هذه الفطرة العربية وفتّح افاقها الى آفاق بعيدة مما جعله يستطيع فى مدة قليلة اذا قيست بتقدم الامم،أن يؤسس حضارة واسعة الاطراف ويبتكر ويتفنن فى علوم متعددة ويناقش أشياء كانت مفهومة ومعروفة عند الامم السابقة ، ويزيد على علوم السابقين علوما أخرى ومجالات أوسع ، والتراث العربي شاهد وموجود المطبوع منه والمخطوط بل المخطوط والذى ضـاع ليس بأقـل من المطبوع . كل هـذا يعطينا صورة واضحة للتربية العربيـة التي تُنْسَى الآن عندما تُذْكر التربية الحديثة ، بل أصبحت لا وجود لها الا بالاسـم فقط فى مجال التربية الحديثة .

ولقد أنفق أسلافنا السابقون على دور العلم والمتعلمين ما يفوق ما يصرف الآن على العلم والعلماء ، لقد كانت الاوقاف على العلماء والمتعلمين تقدر بالملايين : وكل ذلك خدمة للعلم وما زال حتى اليـوم بقايا وآثار تدل على الماضي الحافل .

وكل الذين يجهلون هذه الحقائق انما يجهلون ماضيهم ، وهم يشـكلون خطرا كبيرا فى مجالات التربية فى الوقت الحاضر لأنهم على أسـاس الجهـل بماضيهـم يخططون للتربية بجميع فروعها ،والخطر الداهم الذى نرجو الا يكون ، هو استيراد أشياء ونظم من الخارج بحجة أنها جديدة وحديثة وأننا بحاجة اليها وسبب هذه الحاجة عدم وجودها عندنا ، وكل تفكير من هذا النوع يجعلنـا مرتبطـين بأمم أخرى تابعين لهـا ، ليس لنا كيـان ولا شخصية ، نستجديهم ونطلب منهم أن يضعوا ويخططوا لنا كل جديد ينتجونه

ولا أحب ان يفهم هذا الكلام على أساس خاطىء وأنه حرب للثقافة والعلم وعدم دخولها لعالمنا العربي فان الكـلام بعيد عـن هذا الموضـوع على أنـه اذا كانت الثقافة تؤدى الى ضياع الكيان العربي والى تحطيم شخصيته كما عمل الاستعمار فهذا شيء لا بد أن نحاربه لأنـه يقضي على التفكير ويهدم ما بنيناه قرونا طويلة اذ ان التفكير فى مستقبل التربية لا بد أن يكون على أساس أن هناك بنيان شامخ بنيناه قرونا طويلة وشيدنا منه حضارة عريقة يشهد لها العالم ، وهذا البنيـان الشامخ وهي حضارتنا لم تتزعزع مـع أن الضربات التي وجهـت نحوها مـن أعدائنا بكل أساليبها كافية لأن تهد أكبر من ذلك ، لولا أن رحم ربك ، ثم ما هـو السبيل الى فهم الماضي ما دامت التربية الحديثة بعيدة عنـه لأنهـا تعتمد على المستورد من الخارج ، والمستورد يطمس كل معالم هذا الماضي ، بحجة أنه قديم لا يقـوى على مجابهة هـذا الحديث ، والتربية لا تقوم على هذا الاساس بـل هي ربط الماضي بالمسـتقبل ودراسـة هذا الماضي للانطلاق منه الى المستقبل على أسس متينة . (لا نتـرك الماضي وراء ظهورنـا ثـم نتخبط فى المستقبل لالتماس مبادىء جديدة ، هذا التفكـير لا يفكر به صاحب عقل ينشد مستقبلا ناجحا لأمته ، وهذا هو السبب فى أننـا لم نَرَ حتى الآن كتبا عربية فى موضوع التربية الا القليل النادر أو بعض مقالات قصيرة نشاهدها فى بعض المجلات) .

ولا بد لي مـن كلمة أوجههـا للذين يرسمون الاسس للتربية العربية ويضعون المبادىء التى يتلقاها الصغار،وهي أن يكون هدفهم الاول والاخير تربية جيـل واع فاهم لماضيه ، وأن تكون المناهج دالة لهذا الجيل ومرشدة لـه الى هـذا الماضي المجيد . أما أن نقول للطفل أن لك ماضيا مجيدا ونسكت فما زدناه الا حيرة وجهلا وسنزيد الامة طبقة من الجهال سيقودونها

فى المستقبل ، أما أن يعرف ماضيه بتفاصيله ، بخيره وشره ، ويعتبره نقطة انطلاق الى المستقبل فهذا هو المقصود . وأما أن تكون التربية واقفة سدا منيعا بين نشئنا وبين ماضيهم فانها ستكون وبالا ونقمة على أبنائنا ، والجيل الذى يحمل هذه الامانة هو جيل نفترضه قويا متينا مسلحا بسلاح الفكر والعقل أولا ثم ما شئت من أسلحة بعد ، واذا ما تغيرت من نفوسنا الالتواءات الضارة فى التفكير وبدأنا نفكر على هدى وعلى خط مستقيم فسيكتب لنا النجاح ان شاء الله .

واذا أصررنا على أننا الآن سائرون فى أحسن طريق وعلى أكمل وجه ، فهو الخطر الداهم الذى أحذر منه ، والعقل ينادينا أن نعتبر بالامم التي سبقتنا فأول شيء بَنَتْهُ هي شخصيتها (وهذه الشخصية تتصل بالماضي البعيد ايضا وقد عرفت هذه الامم أن معاول الهدم لا تستعمل للاصلاح وما أسهل الهدم ولكن ما أصعب البناء) لان بناء الحضارة يسبقه بناء أدوات قوية تصبر على التعب والمشقة لتساهم فى بنائها ، والادوات التي أعنيها هي هذا الصغير الذى تبدأ التربية تغذيه وتلازمه حتى يستوى عوده ويقوى .

لا ننكر ما للدراسات النفسية والتربوية (التي قام بها علماء العالم اجمع سواء فى الغرب أو غيره) من قيمة ، وقيمتها تدخل تحت اطار المعرفة الانسانية التي ينتمي اليها الانسان ولكن لكل مجتمع من المجتمعات تكويناته الخاصة وظروفه الخاصة والمجتمع العربي اذا أردنا أن نضع له أسس التربية الصحيحة لا بد أن ندرسه دراسة مستفيضة قائمة على الفهم الصحيح ، ندرس الحاضر كما ندرس الماضي ، وما أصابه من تأخر وما سبب هذا التأخر .

ودراسة التاريخ لهذه الامة من أهم القواعد التي ترتكز عليها دراسته وكل عربي يعلم أنه منذ زمن غير بعيد كانت لنا جامعات ومدارس وحلقات علم وعلماء أجلاء أفنوا حياتهم فى اكتساب العلم وتدريسه ، وبثمرات عقولهم نمت الحركة الفكرية وارتقت فى هذا المجتمع من شرقه الى غربه ، وانتشرت فى العالم وما زلنا حتى الآن لم ننشر الا القليل من الكتب التي ألفت فى زمن التقدم والازدهار وسيجرنا ذلك للبحث عن الأسباب لهذا التقدم الكبير فى مقال آخر ان شاء الله .

صالح العثمان

ذكاء أبي حنيفة :

كان الربيع صاحب المنصور يعادى أبا حنيفة ، فحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع :

« يا أمير المؤمنين . ان أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول : اذا حلف الرجل على شيء ، ثم استثنى بعد ذلك ـ بيوم أو يومين ـ كان ذلك جائزا ، وابو حنيفة لا يجوّز ذلك الا متصلا باليمين ».

فقال أبو حنيفة :

« يا أمير المؤمنين ، ان الربيع يزعم أن ليس لك فى رقاب جندك عهد ولا بيعة » .

قال : كيف ذلك ؟

قال : « يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون ، فتبطل أيمانهم » .

فضحك المنصور وقال :

« يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة » .



إرفَعْ سلاحَكَ يا مُجاهِدْ فالسَّاحلُ القدسيُّ راقد
يغفو على مأساتِه يطْوى الرمَّالَ على المواقِدْ
والبحرُ يزأَر حولَهُ .. والموجُ في بُرْدَيْه راعِدْ
هذا التراب يظلُّ يهتفُ في الأقارب والأباعد
أَبداً يهيبُ بأهْلِه .. الرَّافلينَ على الوسائد ..
التَّائهينَ على الدُّروب الضَّائعينَ على الفَدافِدْ
الآكلينَ لحومَهُمْ .. ما بينْ موتورٍ وحاقِد ..
النّائمينَ على الجراح العابثينَ على الموائد ..
أينَ الزّنودُ .. إلى السّلاح .. إلى الوغى .. أينَ السّواعد
ودع الكلامَ لغيْر طلاّب العُلى ودَعِ القصائد

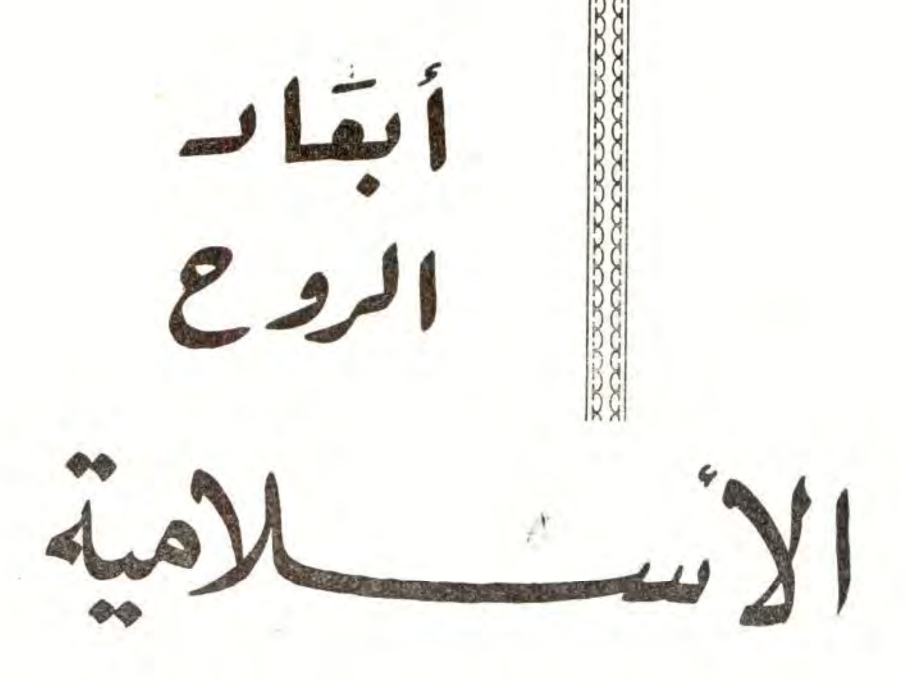
إرفَعْ سلاحَكَ يا أخي يدعوكَ للثّأْرِ السّلاحْ
واحملْ جراحَكَ إنّها .. زادُ المشرَّدِ في الكفاح ..
واطْو الضُّلوعَ على العذابِ .. على الهَوانِ .. على النواح ..
الموتُ أكرمُ موردٍ .. بينَ الشَّواطئِ والبِطاح ..
وارفَع جبينَكَ شامخاً .. رغم التشرد والجِراح ..



للاستاذ راضي صدوق

من أنتَ ؟ .. أنتَ مشرَّدٌ .. تلْهو بخَيْمتكَ الرِّيـــاح
أنّى تكونُ مشرَّداً .. يدعوكَ موطِنُكَ المُبَاح
فابْعَثْ شواظَكَ ، ياأخي ، ناراً تشِطُّ بكلِّ ساح
واضْرِب بساعِدِكَ السَّماءَ فلن تُطاولَكَ الرِّماح ..
وارفَع سَلاحَكَ ياأخي .. يدعوكَ للثَّأرِ السّلاح

إطْلق رصاصَكَ تستَجِبْ من حوْلِنا كلُّ البنادِقْ
وانْهَضْ إلى الوطَنِ الحبيبِ هُناكَ نزرعُهُ خنادق
نحنُ الفداءُ لقُدْسِه .. من كلِّ صاعقةٍ وصاعق
إنْ نحنُ لم نسمَحْ لَهُ دمَنا الزكيَّ على البيارق
من يفْتديه من العدا .. من كلِّ مُغتَصِبٍ وسارق ؟
من يغسلُ التُّرْبَ الحبيبَ من المباذلِ والشَّرانق ؟
من يسحبُ العلَمَ الأبيَّ على المغاربِ والمشارقْ ؟
أطْلِقْ نفيرَكَ يا أخي تُنْزِلْ على الأرْضِ الصَّواعقْ
وتُزلزل الرِّجسَ الدَّخيلَ وتُشعل الدّنيا حرائق
وتعود للوطَنِ السليب إلى الكرومِ .. إلى الحدائق



أبعاد الروح الأسلامية

من أجمل التأملات الممتعة بلا ريب التفكر فى الأبعاد السامية التي تستطيع روح الاسلام أن توصل اليها أصحاب هذا الدين المخلصين .

وفى مقالي هذا سأتحدث عن المشاهد الأخيرة من أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعمر بن عبد العزيز غفر الله له وارضاه ، وصلاح الدين الأيوبي قدس الله ثراه .

بقلم
احمد العناني

كانت الساعات الأخيرة فى حياة كل واحد من الأبطال الثلاثة اشارات الى الأبعاد العالية التي حلقت أرواحهم في آفاقها بما أصابوا من سداد التوجيه ، وحققوا من عظمة الايمان ، وأخلصوا لله حبا ، وأصفوا له أنفسا مقبلة على ربها فى المنشط والمكره ، وفى كل دقائق الحياة ، ومختلف نشاطات دنياها .

معز الاسلام

فأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد احتمل من عبء الفتوح الاسلامية أفدح ما يحتمل الكاهل الجبار ، ثم ناضل فى غمرات المجتمع الجديد الذى انتقل فى بضع سنوات من الفقر والمسغبة الى أروع درجات الغنى والكرامة ، يستلهم كتاب الله وسنة

رسوله وغاية جده واجتهاده فى العثور على الصراط الأقوم للتصرف بالأوضاع الجديدة والحيلولة دون مكاره الفتنة ، حتى ليشقى بمسئوليته ، ويضنى بها فؤاده ، ويكاد ينهد جسمه ويذوي عوده ويدعو ربه ان يقبضه اليه .. ثم تأتي ساعة المؤامرة الأولى الفاجرة على الاسلام ، ويطعن عمر فى غبش الليل من دون الفجر ، سبع عشرة طعنة لئيمة مسمومة ، وينقل مغشيا عليه حتى اذا استيقظ من غيبوبته ، وثاب اليه رشده تخطى الألم الذى يفتك بأحشائه ، ونسى الدم الذى ينزف من جراحه ، وكان أول سؤال يسأل عنه صلاة الفجر هل صلاها الناس،فلا يطمئن حتى يعرف أنهم صلوها وراء عبد الرحمن بن عوف .

وحين قدم اليه اللبن وشربه فتدفق من أماكن طعناته ، ولم يبق ذرة شك عنده فى وفاته بدأ بشؤون الدولة الكبرى يصرفها ، ثم انتقل من الأهم الى المهم فالأقل أهمية حتى اذا انتهى من الناس جميعا ،ولم يبق الا آل الخطاب نهاهم عن الخلافة وزجرهم عن عبء الرياسة ، ثم حين لم يبق الا نفس عمر المقبل على ربه ، انهمك يستغفر لنفسه ويدعو ربه ويرتجف من هول لقائه ، ويرى قطعة التبن ملقاة فيمسك بها بيده الطاهرة ، ويبللها بدموعه ويهتف بها اذ يناجي نفسه : « ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، ليتك كنت تبنة كهذه التبنة ولا تقف لهول السؤال عند الله والحساب » .

ذلك كان عمر بن الخطاب الذى عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد نزول الوحي ، وما غفل منذ آمن عن مراقبة الله فى نفسه وأهله وأصحابه والناس من حوله ، لا يعرف أن عليه تبعة يؤديها الا أداها ، ولا أن عليه واجبا يناديه الا نهض له ، مطرحا دواعي الراحة والأثرة ، ناهيك عن الطمع أو الاهمال ، ومع ذلك يكون حاله فى مشهد الموت كما وصفت لك ، ويكون بعده فى آفاق السمو كما ذكرت .

خامس الراشدين

فأما عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فانه لم يعاصر نبي الله عليه السلام ولم يشهد آيات التنزيل يهبط بها جبريل على القلب الأمين .. ولكنه رجل فتح عينيه على الدنيا ، فاذاهو أمير يجبى اليه الخير ولا يسعى له ، وتتبرج له الدنيا من غير أن يومىء لها ، اذا قصد أباه فى مصر فثمت القصور فى حلوان يستقبل سمعه سجع الأطيار فى حدائقها ، ويهدهد سأمه صداح العز المختال فى أرباضها ، واذا قصد أخواله وأعمامه بيثرب أو دمشق فهناك الأوامر المسموعة والرغبات المحققة ، والحشمة الموفورة والدنيا التي يضحك فيها كل شيء تراه عيناه ... شاب أمير وسيم حتى الغيد الحسان يقلدن مشيته ، وطالب علم فطن أويب حتى المحدث ابن المسيب يمتدح وقفته فى محراب صلاته، وانسان عريق الأحساب فى عمومته وأخواله ، والمطارف الخز مسبلة عند موطىء أقدامه ، وأمير المؤمنين عبد الملك يخطبه هو خطبة الوامق المعتز لفاطمة درة بناته ...

ثم ينطوى ذلك الدهر المفعم بعطايا الحياة الدنيا ، وتفتح صفحة الامارة على المدينة ومن بعدها الخلافة فى دمشق .. فاذا الذى كان بالأمس رجلا ميسورا من الناس ، قد أصبح خليفة فقيرا فى الأرض .. يرد نظره غير آسف ولا متردد عن المال وهو مريب ، وعن القطائع وهي نهب منهوب ، وعن أبهة الحكم الى تواضع الطاعة ..

روح الاسلام أشرقت فى النفس التي ربطت مصيرها بالله فآلى صاحبها لا يفعلن فعلة،ولا يلبسن ثوبا ، ولا يشعلن

البقية على ص : ٩٧



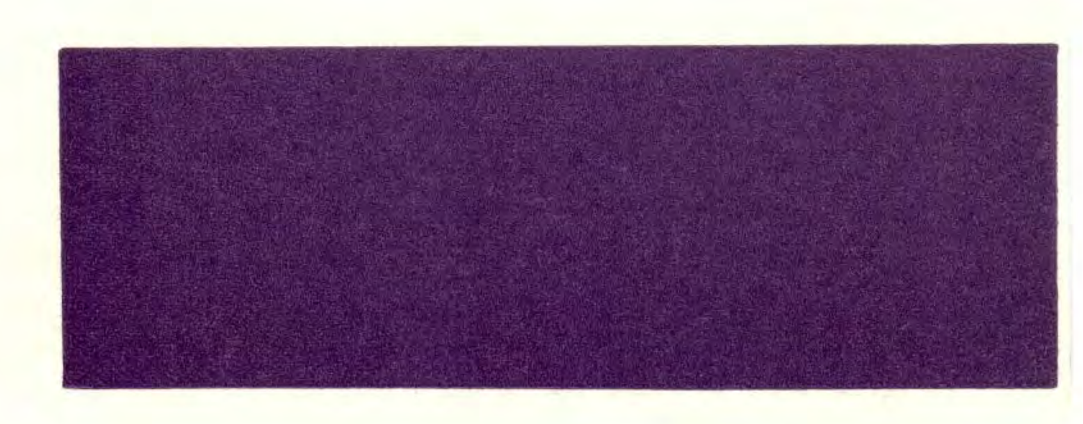
« ان المسلمين فى حاجة حقا الى معرفة وطنهم الكبير باعتبارهم امة واحدة . والدكتور محمد عبد الرءوف مكث مبعوثا للأزهر فى الملايو نحو عشر سنوات حيث كان مديرا للكلية الاسلامية فى «كلانك» وقد رغبت اليه المجلة أن يحدث قراءها عن جزء من وطنهم كما عرفه وخبره هذه المدة الطويلة فحقق هذه الرغبة مشكورا منا ومن القـراء »

«الوعي الاسلامي»

ونعني بعالـم الملايو ذلك الارخبيل المكون من آلاف الجزر المنتشرة فى جنوب شرقي آسيا التي كان يطلق عليها فيما مضى جزر الهند الشرقيـة ، وتنقسم حاليا الى وحدات سياسية كبيرة ، أهمها ـ اندونيسيا وتعداد سكانها حاليا مائة مليون نسمة ، وماليزيا وتعداد سكانها عشرة ملايين نسمة ، والفلبين وسكانها سبعة وعشرون مليون نسمة ، ومن أعظم هذه الجزر سومطرة وجـاوة وبورنيو التى يقال عنها انها أكبر جزر العالم بعد استراليا ، اذا اعتبرنا استراليا احدى الجزر ، وتقع هـذه كلها فى أندونيسيا يضاف اليها جزر كبيرة وصغيرة تبلغ فى مجموعها اربعة آلاف جزيرة مساحتهـا (٧٣٥٠٠٠) ميل مربـع ، ومنها شبه جزيرة الملايو الممتدة جنوب سيام ويحيط بها بعض الجزر الجميلة ويمتاز بعضها بموانىء عالمية هامة كميناء « بنانـج » و « سنغافورة » ، ويفصل الملايو عـن سومطرة بوغاز ضيق يسمى « بـوغاز ملقا » . وتكون الملايو مع ما حولها من جزر صغيرة وجزء من ساحل جزيـرة بورنيو الغربى دولة ماليزيا حاليـا التى تبلغ مساحتها (١٢٨٧٠٠) ميل مربع ، ومن الجزر الكبيرة فى الارخبيل ايضا جزائـر « لوزون وفيزيـاس ومندناو وارخبيل صولو » فى الفلبين التي يقال انها تحتوى على نحو أربعة آلاف جزيرة ايضا مساحتها (١١٥٠٠٠) ميل مربع .

وتقع هـذه الجزر كلها فى المنطقـة

للدكتور محمد عبد الرءوف
وكيل ادارة البحوث الاسلامية فى الازهر



الاستوائية ولذا كان مناخها حارا ولكن يلطف من حرارتـه احاطة المياه بها ، وارتفاعها عن مستوى البحر ، وكثرة النباتات والاشجار التي تغطي سطح هذه الجزر ، بسبب كثرة الامطـار وارتفاع درجة الحرارة على طول أيام السنة ، وتكون غابات كثيفة عالية لا تزال تغطي الجزء الاكبر من مساحة البلاد ، وتخلى أجزاء من هذه الغابات تدريجيا للتعمير والزراعة .

غناه سبب استثماره

والارخبيل غني بحاصلاته النباتيـة والمعدنية مما أدى الى تنافس شديد بين دول الغرب للسـيطرة عليـه منذ بدأ الاستعمـار فى الشرق واكتشف طريق رأس الرجـاء الصالح فى نهايـة القرن الخامس عشر الميلادى ، ومـن أشهـر الحاصـلات : التوابل ومعـادن الذهب والفضة والقصدير والحديد والبترول والاخشاب ثـم المطـاط الذى ادخل الاوروبيون زراعته فى البلاد منذ نحو مائة عام مما زاد فى أهمية البلاد الاقتصادية والاستراتيجية .

والغذاء الرئيسي هناك هو الارز كما هو الحال ببلاد الشرق فى الاعم الاغلب كبلاد الهند والصين واليابان وغيرها لذا كانت زراعة الارز وصيد الاسماك من أهم اعمال السكان الى جانب زراعة التوابل والبن والشاى والنرجيل والموز وقطع الاخشاب ، ثم زراعة المطاط كما ذكرنا ، وقد تنوعت أعمـال السكان الآن حيث

دخلت صناعات حديثة وراجت التجارة الى جانب الصناعات القديمـة المحلية كصناعة النسيج المزركش والحلى الفضية المتازة وتجفيف الاسماك وبناء السفن الصغيرة ، ولا يبذل الفلاح الملايوى كبير جهد فى رى حقله ولا يحتاج فى ذلك الى استعمال آلة الطنبور أو الشادوف مثلا ، بل تتولى السماء سقي مزرعته بأمطارها الغزيرة الوافرة ، وفى كثير من الاحيان تكاد الحياة تقتصر على الجهات الساحلية حيث تتوافر حاليـا الطـرق الزراعيـة وتتيسر المواصلات ، وكان الانتقال فى العصور الماضية بين القرى ــ وتقع غالبا على شواطىء الانهار ــ بواسطة القوارب والسفن الصغيرة لصعوبة عبور الغابات الشائكة ، ويسمي مجموع هذه الجزر بالارخبيل الملايوى تبعا لسكانها .

وسكان ارخبيل الملايـو من العنصر المعروف ببشرته البنية اللامعة واعينـه الجميلة الواسعة وشعره الاسود الفاحم ، ثم هم الى القصر أقرب منهم الى الطول ، وهم شـعب ذو ذوق وأدب ، مسالمون متسامحون ميالون الى الهدوء ، محبون للفنون الجميلة ، وقد غـرس ذلـك فى نفوسهم طبيعة بلادهم الفاتنة ، وهم من أشد الشعوب اعتزازا بالاسلام وتمسكا بالتقاليد ومحافظة على العبادة والشعائر الدينية .

كيف دخلها الاسلام

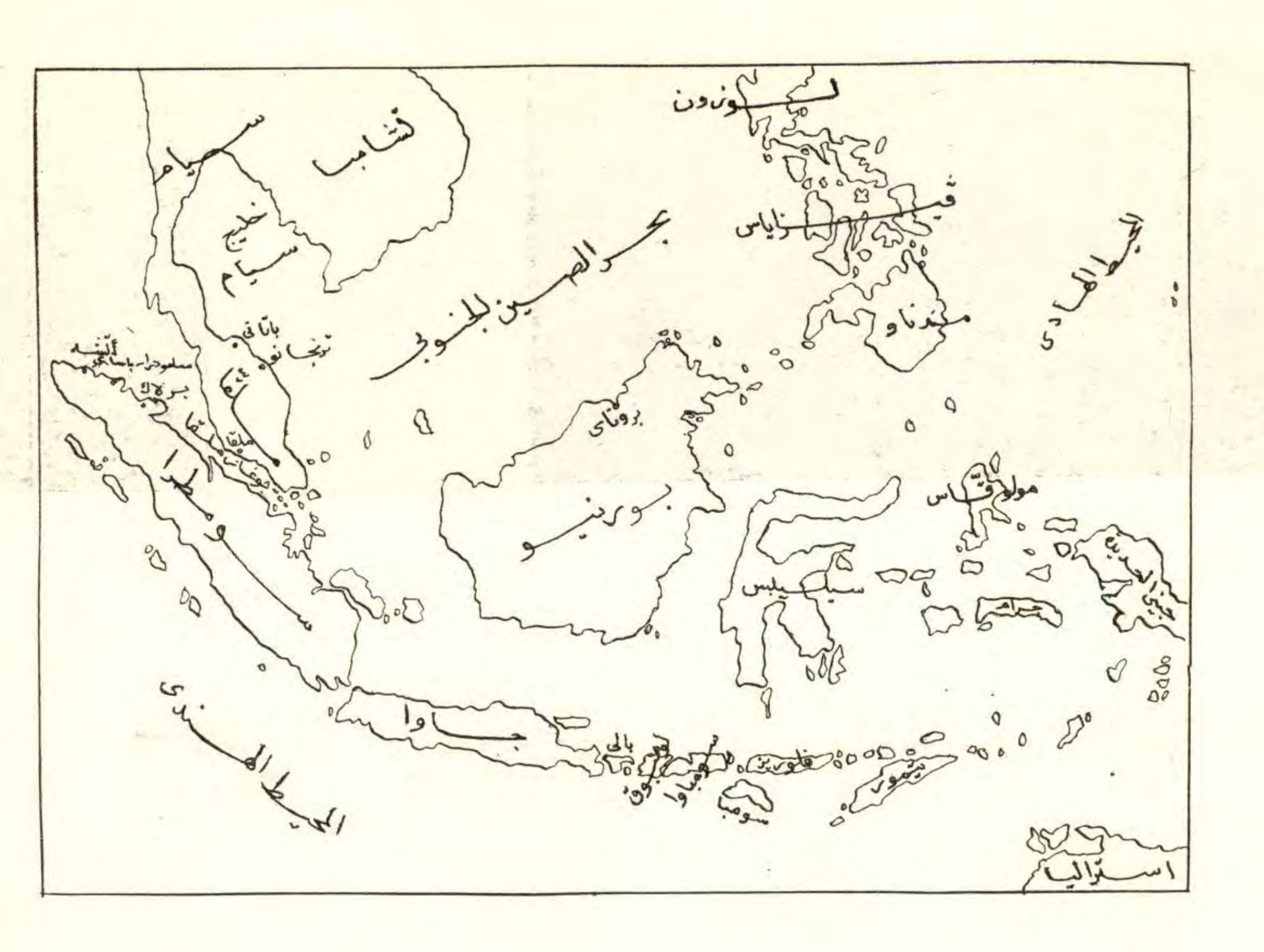
وسنحاول فى السطور الآتية أن نتتبع مراحل دخول الاسلام فى ربوع الملايو وانتشاره هناك ، ثم نتحدث عـن بعض مزايا الاسلام واصلاحاته وأهميته بين هذه الشعوب التي تنبض قلوبها بحبه ، ويربطها بالعرب والعروبة أواصر روحية وثيقـة خالدة مهما بعدت الشقـة أو امتدت المسافات .

كانت تربط الارخبيل بجزيرة العرب صلات تجارية قديمة ازداد شأنها فى القرن الثامن الميلادى (القرن الثانى من الهجرة) ، **ويحدثنا التاريخ عـن وجود جماعات عربية كانت تقطن قبل الاسلام بعض الموانيء هناك بشمال سومطرة ، كانوا يعيشون تحت قيادة شريف عربي على النظام القبلي بشـبه الجزيـرة ، وقد استمرت هذه الصلات التجاريـة التى تبعتها صلات ثقافية على مر العصور والقرون ،** وابان هذه الصلات التجارية والثقافية بزغت شمس الاسلام على قلب شبه الجزيرة العربي ، وتم اعتناق العرب جميعا لهذا الدين الحنيف قبل انتقال الرسول ــ صلوات اللـه عليه ــ الى الرفيق الاعلى عام ٦٣٢ م .

وكان الهم الاكبر للتجار العرب الذين كانوا يجوبون جـزر الملايو فى القرون الاولى للاسلام هـو الكسب والتجارة وتبادل السلع ، ولكنهم مع ذلك كانوا يقيمون شعائرهم الدينية حيثما وجدوا على مسمع ومرأى من أهل البلاد ، فقد كانوا يؤدون الصـلاة ويؤذنون لهـا ، ويحتفلون بالمناسبات الاسلامية ، ويجلبون أحيانا مـن الدعاة المتصوفة ومشايـخ الطرق من تناقلت الالسنة الحديث عن كراماتهم وبركاتهم ، وعقدوا بين المسلمين حيث طاب لبعضهم المقام حلقات الذكر ومجالس الوعظ والارشاد ، وقد لفت نظر أهل البلاد ما اشتهر به بعض هؤلاء من تأثير روحاني وخاصة فى شفاء المرضى ودفع الاذى من مثل لدغ الثعبان ، وكان لما يكتبون من أحجبة وتمائم للحفظ من الضر أو لجلب المنفعـة أو المحبة غايـة التقدير والتأثير .

تأثره بحضارة الصين والهند

وقبل أن يسمع عالم الملايو عن الاسلام وقبل أن ينبث المسلمون بينهم فى العصور الاسلامية الاولى ، مضى عليهم عهد أن طويلان ، يبدأ الاول منذ بدأ الارخبيل فى القدم يعمر بالمهاجرين من « يوشان » فى جنوب الصين ، ويمتد هذا العهد حتى



القرن الاول من ميلاد المسيح ، ويعرف بالعصر البدائي حيث سيطرت الخرافات وسيطر الاعتقاد فى السحر والشعوذة على العقول ، واما العصر الثاني فهو عهد رواج التجارة بين الهند والصين ذاتي الحضارتين الشرقيتين العريقتين ، فتعرض الارخبيل الملايوى للتأثر بثقافتيهما ، حيث يقع على هذا الطريق التجارى ، وخاصة بثقافة الهند التي شملت المعتقدات والعادات والتقاليد ، فانتشرت الهندوكية بين شعوب الملايو ، وكثرت معابدها وأوثانها فى أنحاء الجزر ، وتفشت العادات الهندية فى الطعام واللباس ، وفى مناسبات الميلاد والزواج ، وتقاليد القصور ، وكثرت الكلمات السنسكريتية (لغة الهند القديمة) فى لغة الملايو .

ماء السلامة

ورغم انتشار الاسلام فيما بعد فلا تزال هناك آثار وبقايا من كلا العهدين يمنعنا من شرحها وتعدادها هنا ـ مع ما لها من طرافة واغراء ـ خشية التطويل والخروج عن المقام ، ولا يفوتنا مع ذلك ان نذكر ان بقايا العادات الهندوكية لا تزال تتبدى بصفة خاصة فى مراحل الزواج الطويلة وفى مراسيم القصور الملكية ولا سيما عند تنصيب سلطان جديد على العرش فى ولايته ، **فترى العروسين يوم الزفاف مثلا ، يجلسان فى مقصورة أقيمت لهذا الغرض عليها أجمل الزينات وقد لبسا المزركش من الثياب ووضعا التاج على رأسيهما ، لا يتحدثان ولا يبتسمان ولا يلتفتان، ثم يقبل القرابة**

البقية على صفحة ٩٦



تنطوى النفس البشرية على عالم داخلي من الغرائز تصطرع فيه قوى الخير والشر للسيطرة على سلوك الانسان ، ومن داخل النفس تملي القوة الغالبة فى نزعتي الخير والشر ارادتها على صاحبها ليكون طوع أمرها فيما يأتي ويذر ، واذا كان هذا الصراع الداخلي تتفاعل عوامله بين طيات الصدور فانه يتحول بعد أن يولد ويبرز فى عالم الوجود الخارجي الى عراك عام مع سائر الناس على حقوق الانسان التي استقرت فى الفطرة البشرية منذ بدء الخليقة . والحفاظ على حقوق الانسان هو الغاية النبيلة للحياة الانسانية حتى تظل سليمة الفطرة ، ينال كل فرد فى مجتمعها حظه دون أن يعتدى على حقوق الاخرين ، فيعيش الجميع فى أمن وسعادة ، ينعمون بالعدل والمساواة والحرية فى جو يعبق بالحب والاخاء والمرحمة والبر ،ويعشق الفضائل والقيم الاخلاقية ، وأى انسان يتجاوز حقه انما يعتدى على حق غيره ، ويعتدى كذلك على الحق الانساني العام ، فالظلم اعتداء على المظلوم وعدوان صارخ على العدل ، والتعالى انتقاص من قدر المتعالى عليه واهدار لحق المساواة ، والاستعباد وأد للمستعبد واغتيال للحرية ، وهكذا دواليك .

وقد شاء الله ان يمتحن الفطرة البشرية بتعرضها لبلاء الحياة ، وجموح الأهواء ، فى صلة الانسان بأخيه حتى يميز الخبيث من الطيب ،ووجدت بذور الشر أرضها الخصبة فى صدور أولئك الذين يجتالهم الشيطان ، فيحيدون عن الجادة ، ويمسخون الانسانية بأهدار كرامتها والسطو على مقوماتها ، ولذا كان الناس منذ فجر البشرية فى حاجة الى ضوابط للسلوك الانساني تحفظ لكل انسان حقه ، وتأخذ على يد العابثين المنحرفين ، كي يستطيع المجتمع البشرى أن يتفيأ ظلال الأمن ويتذوق طعم السعادة وهذا ما يسمى بالتشريع ، وكانت الرسالات السماوية هي الوحي الالهي الذى يتنزل على رسل الله لتنقية الفطرة من شوائب الشرك ، وتقويم ما اعوج من الخلق والسلوك . وكثيرا ما يعن للناس سد هذه الحاجة التشريعية بالقوى الفكرية ، والدراسات العلمية التي تسن الأنظمة والقوانين فى شعب

قوة التشريع في حياة الضمير

للأستاذ مناع القطان
المدرس بكلية الشريعة بالرياض

تثبت بالاحصاء الدقيق كثرة العصيان والتمرد وتزايد الخروج على القانون ، وربما لجأت الدولة فى محاربة بعض الجرائم الى العنف ومضاعفة العقوبة . كما فعلت بعض الدول فى محاربة المخدرات ففرضت الغرامة المالية الباهظة والسجن المؤبد ، فلم يغير ذلك من الواقع شيئا .

ان هذه الظواهر فى أوج الحضارة الانسانية عند الناس لا يجد المرء علة لها ـ اذا أمعن النظر ـ سوى العجز عن الوصول الى الداء الدفين فى ضمير الانسان ، فالضمير الانساني هو مركز الثقل فى توازن الطباع البشرية وتربيتها على حب الخير والحق والجمال ، وأى اصلاح لجانب من جوانب الحياة يخطىء هذه العلة انما يخطىء المرمى الذى يجب أن تصوب اليه السهام ، ولم تستطع ولن تستطيع القوى الفكرية بعلومها وقوانينها وأنظمتها وفلسفاتها أن تنفذ الى الضمير الانساني فتتولاه بالرعاية والتربية حتى يصير ضميرا حيا يهيم بالقيم الانسانية ، ويكون أمينا عليها ، حارسا لها ، وهيهات لها أن تنفذ اليه ، فان قصارى ما تستطيعه هذه القوى أن تتحكم فى الحياة الظاهرة للانسان فتسن له الطريق وتراقب سيره عليه وتردعه بالعقوبة الشديدة اذا حاد عنه ، وللانسان حياة باطنية أخرى هي التي

الحياة الدستورية والادارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والخلقية .

وازدهرت الحياة العمرانية وآتت أكلها فى بلهنية العيش والرقي المادى ولكن العالم أخذ يعاني من تفاقم الشذوذ ومآسي الجريمة وانتشار الذعر ما لا قبل له به ، لقد تقدمت الانسانية وبلغت شأوا بعيد المدى فى العلوم التجريبية والعلوم النظرية ، ولكن هذا التقدم عجز عن الوصول الى حل ناجع لمشكلة السلوك ، فالدراسات النفسية الواسعة التي شملت مراحل تطور الانسان وبواعثه النفسية فى كل طور ، وأصبح كل فرع منها مستقلا ببحث كعلم نفس الطفل وعلم نفس المراهق وعلم النفس التربوى وعلم النفس الجنائي ، والدراسات الاجتماعية فى البيئة والوراثة والتقاليد والأسرة والمجتمع والقرية والمدينة والبادية والحضر ، والدراسات القانونية فى الادارة والتنظيم والعقوبة والسياسة والملك والأحوال الشخصية والعلاقات الدولية والمعاملات المدنية . هذه الدراسات وتلك لم تخط خطوة ناجحة فى سبيل مكافحة الشر واستئصال الجريمة ، بل ان التقارير فى انحاء العالم

ترسم له سلوكه وتحدد وجهته ، وهي حياة تعتمل فى حنايا الصدور وتخفي فى طياتها ما لا يطلع عليه بشر ، فأية قوة بشرية تستطيع أن تتحكم فى هذا الضمير الخفي ؟

تمرد

وفى طبيعة البشر ان يتمردعلىالبشر ، انه يستشعر ازاء سائر الناس انه انسان وأنهم أناس ، وأن هذا الاشتراك فى البشرية يقتضي أن يكون الجميع سواء فى كافة الحقوق ، فعلام يدين بالولاء والطاعة لقانون من وضع البشر ؟ أيدين له فرارا من جزاء مخالفته بحرمان دنيوى أو عقوبة دنيوية ؟ اذاً فالخطب غير عسير ، ففي استطاعته أن ينقض عرى هذا القانون الوضعي عروة عروة ويهدم بناءه لبنة لبنة فيغفلة من حراسة القانون ورجال الأمن ، وليس للسلطة القانونية شعاع يثقب حجب الغيب ويتعرف على الجرم الخفي ، وليس لها كذلك من أمر الحياة الآخرة شيء حتى يخشاها المرء سرا كما يخشاها علانية رغبة فى ثواب أو رهبة من عقاب ينتظره بعد الموت ، وهو أمر مرجعه الى الضمير وحده ، ومن هنا كان قصور القوانين الوضعية والأنظمة البشرية فى ضبط السلوك الانساني وتوجيهه .

أما التشريع السماوى فانه يستمد سلطته من الله الذى خلق الخلق وهو أعلم بهم ، ويعتمد فى سلطته على وازع الضمير الذى يوجه الانسان ويتحكم فى تصرفاته ، والاسلام يتولى تربية الضمير الانساني ، ويبعث فيه الحياة التي توقظه بالرقابة الالهية المطلعة عليه فى الغيب والشهادة ، والفرس الأول الذى يغرسه الايمان بالله فى النفس البشرية يقوم على الايمان بالقوى الغيبية (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) فطاعة التشريع السماوى من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يكفي فى تحقيقها السلوك الظاهرى فى مرأى الناس بل لا بد فيها من خشوع القلب واطمئنان النفس والانقياد لها بين حنايا الضلوع ، فعين الله ساهرة ، والافلات من عقوبة الدنيا بالتستر والمخاتلة لا يغني فتيلا عن عقوبة الحياة الآخرة ، وقد ذكر الله فى القرآن الكريم من آيات علمه البينات ما يجعل ضمير المؤمن حيا يرعى حرمات الله فى الاسرار والعلانية ، فالله هو الذى بدأ خلق الانسان من طين وجعل نسله من ماء مهين يعلم مستقر البدء والنسل ويحيط خبرا بالتقوى والجحود (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولا يتأتى للخالق أن يجهل دقائق خلقه (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) يستوى فى علمهالاسرار والاعلان (يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) ولن يكون بمنجاة عن علمه هؤلاء الذين يتناجون سرا بمنأى عن الناس جميعا (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) ووسوسة النفس المترددة فى الجوانح تحت احاطته القريبة من صاحبها (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وأفعال العبد محصاة عليه سطر صغيرها وكبيرها فى سجله (وكل شيء فعلوه فى الزبر ، وكل صغير وكبير مستطر) ومن أوصاف المتقين أنهم ينيبون الى الله ويخشونه بالغيب (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلبمنيب) وتصل الرقابة الالهية ذروتها فى ضمير

المسلم عندما يرى نفسه مبعوثا فى يوم النشور وقد جمعت له سريرته (أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور ، وحصل ما فى الصدور ،انربهم بهم يومئذ لخبير) .

واذا كانت المناهج البشرية قد صنفت فى قوانينها الجرم فان خبث الطوية لا يعدم الحيلة التي يمرق بها من حجاب القانون ويهتك حرماته ، وتحت أجنحة الليل تستتر الجريمة . وفى غفلة من حراسة الحق تعبث الأيدى الآثمة ، ولن يجدى القانون أمام هذا الدبيب الخفي ، والاسلام فى مثل هذه الحالة يستل من الضمير الانساني الحي سيفا مصلتا يقضى على جرثومة الشر قبل انتفاضتها ويقتل جنينها فى مستقره ، فسلطة الضمير أقوى من السلطان الخارجي ، ولدغته على اكتساب الاثم أشد على النفس من طعن السنان. والنفس الحرة يرمضها جمر المعصية قبل أن تلم بها ، وهذا المعنى هو ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعريف الاثم (والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

والتشريع الاسلامي يعيش فى قلب الضمير المؤمن الحي ليطهره من أدران السيئة ولو كان فى مأمن من العقاب ، فهو يتابع الجريمة الخفية التي لم يرها أحد ليأتي صاحبها طائعا معترفا يلح فى الاعتراف مرة بعد أخرى حتى يقام عليه حكم الله فى معصيته ويطهر نفسه من وزرها . فالمرأة الغامدية جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له : « اني زنيت فطهرني » وقد ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة بعد أخرى الى أن ولدت وجاءت بولدها وفى يده كسرة خبز فأمر برجمها « فأقبل خالد ابن الوليد فرمى بحجر رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سبه اياها ، فقال : مهلا يا خالد فوالذى نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت » وفى رواية عمران بن حصين أن عمر قال : « تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله ؟ » .

ولما جاء ماعز معترفا قال : يا رسول الله « اني زنيت ، واني أريد أن تطهرني » ورده الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك ثلاث مرات حتى أصر على اعترافه فى الرابعة فرجم ، وما كان يرجم لو لم يأت معترفا ، وكانت لديه مندوحة مع اعترافه أن يراجع نفسه فى الثانية أو الثالثة أو الرابعة لينجو من الحد . ولكن ضميره يريد منه أن يتطهر .

ويتابع الاسلام ايقاظ الضمير الحي فى كل اعتداء على الحقوق الانسانية مهما كان أسلوب التخلص من مسئوليته ، فان القاضي لا يعرف بواطن الخصوم ولا يعلم الغيب ، وانما يقضي بظواهر الأدلة ، وفى اللحن البليغ والمنطق القوى فسحة لأولئك الذين يسترون الحق بالبيان العذب ، ويستبيحون حرمته بطلاقة اللسان . وفى مثل هذه الحالة يصور الاسلام المنفعة المرجوة التي يطلبها الالحن بحجته الجائرة فى صورة النار الملتهبة التي تندلع ألسنتها لاحقاق الحق فى التقاضي لدى أحكم الحاكمين وعلام الغيوب،وهذا هو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سمع خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال : « انما أنا بشر ، وانه يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن من بعض ، فأحسب أنه صدق ، فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعةمن النار فليأخذها أو ليتركها»

البقية على ص : ٩٨

خبر... وسؤال

الخبر : تورع أحد أثرياء المسلمين عن أخذ فوائد أمواله الكثيرة المودعة فى أحد المصارف الأجنبية ، فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية .

السؤال : هل من الممكن شرعا أن تؤخذ هذه الفوائد وتستغل فى المنافع العامة للمسلمين ، وما أكثرها وأشد حاجتها ؟! بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين ؟

تتوجه « الوعي الاسلامي » بهذا السؤال الى علماء المسلمين المعنيين بالدراسات الفقهية والاقتصادية فى كافة البلاد الاسلامية ، ويحضرنا منهم الآن الأساتذة :

- فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون
- فضيلة الاستاذ احمد حسن الباقورى
- الاستاذ أبو الأعلى المودودى
- الاستاذ أبو الحسن الندوى
- فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة
- فضيلة الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى
- فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف
- فضيلة الشيخ علي الخفيف
- فضيلة الشيخ احمد هريدى
- الاستاذ مصطفى الزرقا
- الدكتور محمد عبد الله العربي
- الاستاذ عيسى عبده
- الشيخ الفاضل بن عاشور
- الدكتور عبد الكريم زيدان

وستفتح المجلة صدرها لنشر جميع الاجابات التى ترد اليها من السادة المذكورين ومن غيرهم .

غضبة للإسلام

يشترك فيها الشعب الكويتي والحكومة ومجلس الأمة

فى الايام الاخيرة نشرت بعض المجلات فى الكويت رسومات ((كاريكاتورية)) وعلقت عليها بآيات من القرآن الكريم تعليقا لا يناسب قدسية القرآن وطهارته ، مما أثار الرأى العام حكومة وشعبا ، حفاظا على مقدسات الاسلام .

وقد كان لهذا أثره فى مجلس الامة الكويتي بجلسته المنعقدة بتاريخ ٤ من ذى الحجة ١٣٨٤ هـ الموافق ١٩٦٥/٤/٦م ، حيث أثيرت مناقشات وتعليقات انتهت بالمطالبة باغلاق المجلتين اللتين نشرتا هذه الرسوم وتطبيق أقصى العقوبات على اصحابها ، وعلى كل من يسيء الى القرآن الكريم وتعاليم الدين الحنيف .

وقد أعربت الحكومة للمجلس عن استيائها مما نشر وتجاوبها مع الاعضاء فى شعورهم الكريم ، وأعلنت أنها أحالت المجلتين الى المحاكمة فكانت جلسة اسلامية ظهر فيها معدن الشعب الاسلامي الاصيل ، وتجلت فيها الغيرة على الدين وصيانته من كل عبث ...

ويسر المجلة أن تنقل للقارىء ملخصا لما دار فى هذه الجلسة لأهميته :

تحدث النائب ابراهيم خريبط فطالب باغلاق مثل هذه الصحف ومعاقبة اصحابها ، وحذر من غضبة الشعب لدينه اذا لم يتخذ اجراء حاسم فى هذا الموضوع .

وقال النائب أحمد الفوزان : بما أننا نواب الشعب فيجب أن نبدى رأينا للملأ ، وحمل وزارة الارشاد المسئولية .

وتحدث النائب عبد العزيز الصقر (رئيس مجلس الامة السابق) فقال : انني أومن بحرية الصحافة ، ولا شك أن هناك قانونا كفل للصحافة حريتها ، وهناك طرق لسلوكها واتجاهاتها حسب القوانين ، ثم قال : « ان ما شاهدناه فى الاسبوع الماضى على صفحات الصحف انما هو شيء يخزى ويندى له الجبين ، وأنا ألوم وزارة الارشاد لانها بسكوتها تغذى هذه الصحف .. ولو كان هذا الموضوع جرى فى أى بلد فلن يمر بسلام » .

ثم تحدث معالى السيد يوسف هاشم الرفاعي وزير الدولة فقال : ان الحكومة بحثت هذا الموضوع فى مجلس الوزراء ، وكلفت معالي وزير الارشاد أن يطبق القانون بالنسبة للجريدتين المخالفتين ، وقد أحيلتا الى المحكمة، وتشارك الحكومة مجلسكم الموقر اهتمامه بهذا الامر .

وتساءل النائب السيد عابد فقال : ما هو عمل وزارة الارشاد والانباء التى تقوم بالمحافظة على التراث الديني الاسلامي ، وأين دفاعها ومحافظتها على الحق والشريعة الاسلامية ، لقد سكتنا حتى بلغت الجرأة بالفضوليين حد الاستهتار بأقدس مقدساتنا ، وكان على الحكومة عندما نشرت هذه الصحف مثل هذا أن تغلقها .

وتحدث النائب مبارك الدبوس . فطالب باغلاق هاتين المجلتين ، كما طالب الصحف النظيفة بأن ترد على الصحف التى هاجمت الدين الاسلامي .

واستنكر النائب حمد الحميدة . تهجم المجلتين على الدين ، وقال انه يؤسفني أن ترتكب بعض صحفنا هذه الامور التى تهدف الى خلق البلبلة والتعريض بالدين الاسلامي .

وقال النائب حسن جوهر : سميت الصحافة « بصاحبة الجلالة » نظرا للرسالة السامية التي تحملها ، لكن بعض هذه الصحف لا تستحق هذا اللقب ، لأنها لا تحترم القانون . وطالب سيادته المجلس بالاهتمام بهذا الامر الخطير الذى أهاج الشعب .

وحمل النائب راشد التوحيد على وزارة الارشاد التى تركت هذه الصحف تتهجم على الدين .

ورد معالي السيد يوسف هاشم الرفاعى وزير الدولة فقال :

ان الغيرة على الدين مشتركة بين كل الاعضاء والمسئولين ، وكل من يقول لا اله الا الله ، وقد اتخذنا قرارا فى هذا الصدد .

وتحدث معالي الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية فقال : كنت أتمنى أن أكون حاضرا من بداية الجلسة لأستمع الى كل ما قاله النواب ، وأود أن أقول : اننا نشارك السلطة التشريعية استنكارها لما كتب حول هذا الموضوع ، والقضية بين يدى النيابة .

وقال معالي الشيخ خالد أحمد الجسار وزير العدل : أحب أن أقول انصافا للحق : انه بمجرد أن صدرت الجريدتان درس مجلس الوزراء موضوع ما جاء فيهما ، وأحالهما الى المحاكمة ، وقد تصرفت الحكومة فى ظل القانون .

وقال النائب نايف الدبوس : ان أى شخص يشتم الاسلام فاننا سنتخذ معه اجراءات رادعة حاسمة ، لان اتخاذ مثل هذا الاجراء هو جهاد فى سبيل الله ، وقال . اننا طالبنا عند وضع الدستور بأن يحافظ على الشعائر الدينية ، وعندما سألنا الخبير الدستورى قال : ان الدستور يكفل ذلك مائة فى المائة .

وقال النائب راشد الفرحان : يدور خلاف بين روسيا والصين حول العقائد ونحن أمة اسلامية ، ويجب أن نتحدث عن عقيدتنا الاسلامية السمحة ، ولا يجوز لنا أن نسكت أو نداهن أو نداور فيما يمس الدين ، ثم قال ان على المجلس أن يقترح ، وعلى الحكومة أن تتخذ الاجراءات المناسبة لتصون الاسلام فى حدود واجباتها الدستورية ، وأود أن أذكر الحكومة بهذه المناسبة أن العقيدة والدين والكرامة قد أهينت فى مجالات عديدة ، وعليها أن تتحرك بعد أن رأت الثورة تتحرك ، وأن تنادى بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، يجب أن تتحرك الحكومة لتصون كرامة الشعب ...

وفى نهاية الجلسة تلي اقتراح برغبة : يقضي باتخاذ أقصى العقوبات مع المجلتين والاسراع فى محاكمتهما .. ووافق المجلس على القرار بالاجماع ..

وقد تقرر ايقاف المجلتين حتى ينتهي التحقيق ويصدر الحكم بشأنهما .

ومجلة « الوعي الاسلامي » اذ تبدى اسفها لما نشر ترجو ألا تتورط فى مثله صحافتنا المسلمة ، فان وقتنا كله صحافة وشعبا وحكومة يجب أن يكرس لخدمة الاسلام والدفاع عنه ضد المغيرين عليه من خارج أبنائه ، ومهمة الصحافة الاولى هي تثبيت المعانى والقيم الروحية فى النفوس ، وتحصينها ضد التيارات المادية والالحادية الزاحفة علينا ..

بقية من هدى القرآن

أو حتى قتله بيد المستبد أقوى فى اثارة الشعب ودفعه للجهاد من هجرته وخطبه ومقالاته خارج بلاده ، وان اضراب المجاهد عن الطعام فى سجنه وتعرّض حياته للخطر يهز الآن ضمير مئات الملايين من غير أبناء وطنه ويثيرهم على المستبدين ، فيضطروا تحت سطوة الرأى العام الى التراجع ..

وهناك بلاد يفترس فيها المستبدون فرائسهم من المجاهدين ، ولا يسمع لهم خبر ، وبالتالي لا يهتز من أجلهم ضمير .. هنا تكون الهجرة مستحبة بل قد تكون واجبة الى بلاد يستطاع فيها فضح أساليب المستعمرين والمستبدين واثارة العالم عليهم .. وان فى تاريخ البلاد العربية الماضي والحاضر زعماء هاجروا من أوطانهم الى حيث وجدوا حريتهم فى كشف الاستعمار وتوجيه الضربات له ، وأفلحوا فى ذلك ، ومنهم من عاد وتصدر مكان الزعامة والقيادة والحكم ، وجنى ثمرات جهاده .. عرفت بعضهم فى القاهرة حين كانوا مهاجرين وقرأت عن الآخرين ..

وهناك مع هؤلاء من يصطنع الجهاد والزعامة ويلعب بعواطف مواطنيه ويفر من مواجهة الواقع فى وطنه ــ وهو قادر على مواجهته ــ خوفا من اذى يصيبه ، ويستغل موقفه المصطنع فى العيش المرفه على حساب عواطف شعبه والمخدوعين فيه ..

نعم لا يمكن الحكم كليا « وانما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

« والله من ورائهم محيط »

بقية الاسلام فى عالم الملايو

ثم الاصدقاء واحدا بعد الآخر يبعثرون حبات الارز ويرشون على العروسين ((ماء السلامة)) وتسمى هذه العادة باسمها فى اللغة السنسيكريتية وهو ((برساندينج)) كما اننا لازلنا نجد الالقاب والاساليب الهندوكية سائدة بالقصور الملكية ، ونشاهد المراسيم الهندوكية تمثل فى دقة وعناية بين يدى السلاطين فى شبه جزيرة الملايو فى المناسبات الهامة، مع أنها قد تكون غريبة فى بعض تفاصيلها عن العادات والتقاليد الاسلامية . وخلاصة القول انه حتى بداية ظهور بعض المسلمين بين شعب الملايو منذ القرن الاول للهجرة (القرن السابع الميلادى) كانت الوثنية تسيطر على العالم الملايوى كله ، سواء أكانت تتمثل فى عبادة الاجداد والاسلاف ابان العهد البدائي أم فى الهندوكية ومعابدها ومراسيمها منذ سيطرة النفوذ الهندى .

كيف تحولوا عن الوثينة الى الاسلام

هذا وما كنا ننتظر عند ظهور المسلمين من التجار بين شعب الملايو أن يبادر الملايوى الى طرح وثنيته واعتناق دين الاسلام رغم فضل الاسلام ومزاياه فللدين والتقاليد على العموم سيطرة عجيبة منذ صباه ولا يدرك ما قد يكون فيها من خطأ أو تعارض ، ولا يدرى بما تجره اليه من جهل وعمى وضلالة ، بل انه لينفر من كل جديد أول الامر مهما كان الجديد على درجة من السلامة والمنطقية أو الصراحة والوضوح ، **أضف الى ذلك أن التجار المسلمين لم يبذلوا — فيما يبدو — جهودا ايجابية واضحة أول الأمر نحو نشر الدين ، حيث كان جل همهم التجارة وتبادل السلع ،** لذلك كله مضت القرون السبعة الاولى من الهجرة دون أن ينتشر الاسلام بين شعب الملايو بشكل واضح ، وانما اسلم أفراد هنا وهناك نتيجة لجهود بعض الدعاة أو لاختلاط التجار المسلمين ببعض العائلات المحلية والزواج **من نسائهم ، ولكن ما أن أقبل القرن الثامن الهجرى حتى شهدنا تحولا عجيبا فترى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، وتنشأ سلطنات وممالك اسلامية قوية هنا وهناك ، وفى فترة يسيرة ترى عشرات الملايين من سكان الارخبيل العظيم ، وقد استبدلوا بالكفر أيمانا ، وبالوثنية والضلال توحيدا وهداية ، وبالجهل والامية نورا وعرفانا .**

أما كيف تم هذا التحول والعوامل التى أدت اليه فسوف يكون موضوع مقالنا القادم ان شاء الله .

من كتاب العدد القادم

الاستاذ احمد حسن الزيات
الدكتور احمد الحوفي
الشيخ احمد الشرباصي
الاستاذ البهي الخولى
الاستاذ جواد شبر
المقدم حسن فتح الباب
الدكتور عبد الحليم محمود
الاستاذ عبد العزيز العلي المطوع
الدكتور عبد الكريم زيدان
الاستاذ فتحي يكن
الاستاذ كامل شاهين
الدكتور محمد اديب صالح
الشاعر محمد التهامي
الشيخ محمد الصادق عرجون
الشيخ محمد الغزالي
الدكتور مصطفى زيد

وغيرهم من كبار الكتاب

وذلك عدا الابواب الثابتة والجديدة ..

مصباحا ، ولا يصاحبن أحدا الا أن يكون مطمئنا الى رضوان الله في ذلك كله ... زوجه لا يقر لها رابطة الزواج الا أن تعيد الى بيت المال حليها المغصوب ثمنها ذات يوم من مال المسلمين ، وأولاده لا يرى لهم طعاما يطهونه الا أنه يشابه طعام العسر والفقر ، وحتى اللحم الذى فى عارضيه لو استطاع انتزعه وأعاد ثمن الدم الذى جرى فيه الى أصحابه ، وأهل قرباه يحملهم على المحجة الصحيحة يمزق سجلات اقطاعهم ، ويكسر موجة بغيهم ، وتهدده عمة له ولهم من يوم يضيقون فيه الخناق عليه ثأرا لمالهم ومراكزهم فيهتف بها : « ان يوما أخافه من دون يوم القيامة فلا نجاني الله منه » .

وحين تحين ساعة الوفاة يستعرض أولاده وهم جماعة غير قليلة وتأخذه بهم رأفة الأب لما يعلم من فقرهم ويتمتم : « بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم » ، ويصيح صديقه وصهره ، صديقه الوحيد الذى بقي على ولاء الحق من أبناء عمه ، مسلمة ابن عبد الملك : هذه مئة ألف من مالي تملكها الآن يا أمير المؤمنين وأوص منها ، يزجره عمر ويأمره أن يردها الى مستحقيها فى بيت المال ...

ذلك أبو حفص عمر بن عبد العزيز الذى واجه تحديات الفساد واختلاف أخلاق الناس وضرورات ما يسميه الشيطان بمنطق الواقع ، وحطم الحدود وكسر القيود وانتصر على نفسه ، وأسلم الروح شهيدا للجهاد الأكبر ضد نوازع الطغيان فى النفس، ودواعي الايثار للأهل والولد والزوج ، ذلك المؤمن الذى ارتقى به روح الاسلام الى أبعاد تباهي بها الأمم الى آخر الزمان ، ذلك زينة العدالة الاجتماعية ، وبطل فى طرازه وبين العائشين فى مثل أحواله لن ترقى البطولة الى السامق الباذخ من ذراه ، وهيهات بغير صدق اسلامه أن يرتقى الى مستواه .

قاهر الصليبين

فأما الرجل الثالث فقد مضت ثمانية قرون على وفاته ، لكن الدنيا تعيد اسمه كأنه ما يزال حيا غضا لم يسلم الروح من لحظة .. ان السلطان الناصر صلاح الدين بن نجم الدين بن أيوب ، فارس عصامي مؤمن صدق الله ما عاهده عليه فأجزل الله له عطايا النصر ، ورفع به من وهدات الذل كرامة الشرق ، ورد به كيد الأمشاج الهمجية من قطعان البرابرة الصليبيين المعتدين .. فارس عصامي من أهل السنة واجه مؤمرات الباطنية ، ورواسب كراهية الفاطمية ، وعقدة الضيق والأنانية فى صفوف الاقطاعية ، وجابه حدة العدوان وتنظيمات الشر لفرسان الداوية والهيكلية ، وجيوش أوروبا الجرارة تزف الملوك والسوقة والأفاقين والقتلة وشرور المتاجرين بالجهل ، والمحرضين على القتل .. صلاح الدين الذى صمد لروح الانخذال وضعف الحال ، وتضعضع الأنصار واستبداد الأطماع .. وما زال يسهر على الخطة ويحكم التدبير ، ويقود بنفسه هجمات الفدائيين ويذيب فى محاجره آلام جنده المخلصين، ويلاحق وراء ظلمات الآفاق وضباب الأحزان أمل النصر وثقة بالله فى القلب ، كما يلاحق البحار الباسل مغارب النجوم وراء الآفاق ، حتى أطلت حطين واستسلمت القدس ، ودالت دولة الظلم ، وتطهرت الأرض ، وعاد العائدون ورجع اللاجئون وقرت بالوطن العيون ...

وحين حانت ساعة الموت فى دمشق أجال النظر فى أولاده وكانوا سبعة عشر ولدا ، وبنتا واحدة فاذا الذى خلفه لهم دينار صورى واحد وأربعون درهما ... لم يأسف ولم يستشعر رهبة ولا ندما فلقد كانت صناعته أن يذيب الدنيا للآخرة ، ويميت مطامح الطمع فى محاريب الجهاد .

وروح الاسلام لم تنتج العمرين العظيمين فقط ، وانما أنتجت أجيالا

ثرة العطاء من الرجال الربانيين ، وخضبت تراب الأرض بدماء الشهداء المناضلين ، ولولاها ما قامت حضارة الاسلام الأبدية تحمل لأهل الدنيا رسالة العلم التجريبي الذى ينفع الناس ويمكث فى الأرض ، وتصارع حضارات الشيطان، التي تعبد الشهوات وتقيم من دون الله الأرباب ، وتمجد الربا ليقوم عليه الاستغلال والاستغفال ، ولينهض منه البطش والفتك والطغيان .

والقرآن ما زال باقيا غضا كساعة نزل به جبريل عليه السلام ، لم يتبدل منه حرف ، ولم تتغير حركة ولا كلمة ، وسنة الرسول واضحة معالمها بينة جهاتها ، والروح الحي أبدا برعاية الله سوف تكتسي أشجاره ورقا ، وتجدده خضرة وربيعا ولو تكالب عليها كل الناعقين من غربان الشر وأبالسة الانس .

لقد كان فى الوجائع التي نجمت عن تحريف ارادة الله فى عدالة الحياة الاسلامية ، وتوازن أوضاع الأمة ما استفز تلك الروح فى عمر بن عبدالعزيز فاذا الأمر ذلك اليوم كأنه أمر بدر والأحزاب ، واذا رجل يشن حربا ظافرة تعيد الى العيون القلقة قرارة الهدأة وسعادة الأمن .

وكان فى وجائع العدوان الأوروبي الصليبي الغادر ، ولواسع المصائب التي ابتلي بها المسلمون ما أثار روح الاسلام فى صلاح الدين ، ورد كيد الظالمين الهمج الطامعين ...

ومهما تضطرب العواصف فى فترة التحول الراهنة فى العالم الاسلامي فان الروح المرتجى قيامها من جديد مثبتة وجودها الحي الخالد بأمر الله ...

ان فى الأسماع لقصف رعود ، وفي الجو غيوم حال جديد ، وان بشائر الروح الخالد قادمة مقبلة لا شك فيها باذن الله الحي القيوم ...

بقية قوة التشريع

وبهذا الضمير الحي الذى رباه الاسلام اكتسب التشريع الاسلامي قوة جعلت ذلك المسلم الذى استحوذ على تاج كسرى يخفيه ، لا طمعا فيه ، ولكن اخلاصا منه حتى يكون له شرف تقديمه لخليفة رسول الله ، فأى منهج من مناهج البشرية يصل الى هذا السمو ؟

ان المجتمع لا يسعد الا بانسانيته ، وان الانسانية لا تعيش الا فى الضمير وان الضمير لا يحيا الا بالاسلام ، فهل آن لهذه المجتمعات التي انحرفت عن جادة الحق وأعرضت عن كتاب ربها وسنة نبيها فأورثت الشقاء للانسانية وأماتت ضميرها أن تنيب الى الله وتحتكم الى شريعته ؟ (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) ..

شكر واعتذار

تشكر مجلة « الوعي الاسلامي » قادة الفكر الذين استجابوا لدعوتها وأمدوها ببحوثهم القيمة ، وهي اذ تعتذر عن عدم اتساع هذا العدد لنشرها كلها تعد بنشرها تباعا فى الأعداد القادمة ، وتأمل من الأساتذة الكتاب أن يوالوها بالمزيد من نتاج أفكارهم .



احد اسواق الكويت القديمة



اقرأ فى هذا العدد

الوعي الإسلامي

شهريّة إسلاميّة ثقافيّة

السنة الاولى * العدد الثاني * غرة صفر ١٣٨٥ هـ - يونيو ١٩٦٥ م



حضارات
اسلامية



فن المعمار فى المسجد النبوي بالمدينة

الوعي الاسلامي

شهرية اسلامية ثقافية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

العدد الثاني

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

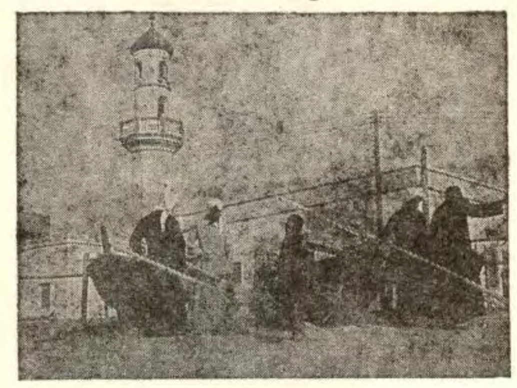
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



المسجد الجامع فى جـزيرة فيلكا الكويتية التى تبعد عن الشاطىء ١٥ ميلا . وقد اسس عام ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م وسكان هذه الجزيرة نحو ثلاثة آلاف يشتغل كثير منهم بالصيد وقد عنيت بهـا الحكومة فأنشأت عـدة مدارس ومساجد ومستشفى فيها مع كثير من الاصلاحات

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العـراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
المغـرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الاوقاف
الكـويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٣٣٨٤٩



هذه سبيلنا

للاستاذ عبد الرحمن المجحم
وكيل الـوزارة
والمشرف العام على المجلـة

باسمك اللهم نفتتح العدد الثاني من ((الوعي الاسلامي)) .
وهي تتقدم اليك ـ عزيزى القارىء ـ فخورة كل الفخر بغايتهـا مملوءة ثقة بربها مؤمنة بتقدير قرائها . واثقة بمعاونتك لها لتظل دائما كما تحبها وتريدها .

وقد كان لنا من اقبالك على العدد الأول اقبالا تجاوز ما كنا نقدره ، أكبر باعث على مضاعفة العمل وبذل الجهد فى سبيل تقدمها ورقيها ، ... وسنسير باذن الله وعون كتابها ومؤازرة قرائها فى الطريق الذى رسمناه لأنفسنا حتى نصل بها الى المنزلة التي نأملها .

و ((الوعي الاسلامي)) وليدة ارادة قوية وعزيمة صادقة تستمـد قوتها وصدقها من ايمانها ورغبتها المخلصة فى خدمة دينها وأمتها ..

ومن أجل هذا الهدف المشترك نوجه نداءنا الى شبابنا الناهض من زملائنا فى أن يساهموا معنا فى وعيهم الاسلامي . ونحن كما نعلم فى أشـد الأوقات احتياجا الى تضافر الجهود ، وتجميع القوى لاصلاح ما فسد من شؤوننا وتقويم ما اعوج من عقائدنا وآرائنا وذلك على هدى من مبادىء الاسلام الذى سار على هديه السلف الصالح حيث كان دينك يا أخي خير دين لأفضل امـة .

ان الاسلام يريدنا أن نقيم مجتمعا فاضلا متآلفا يؤمن بربه ويحقق السعادة لنفسه وللبشرية جمعاء ولهذا دعا الى ربط القلــوب والأرواح برباط الايمان والتفاهم والتعاطف ورسم لنا طريقا واحدا ومبدأ واحــدا وأمرنا أن نجاهد فى سبيله لتبقي كلمة الله هي العليا .

وعلى هذا سارت الأمة الاسلامية فى الصدر الاول فحققت لنفسها ما تصبو اليه من مجد وعز ، وتركت وراءها من التراث الحضــارى ما لم تتركه أمــة غيرها .

وعلينا ــ نحن الآن ــ أن نجاهد ونعمل لنعيد تاريخ أسلافنا عــلى هدى من نور الله .. وما أشق هذه الرسالة وما أعظم تلك المهمة وخاصة فى هذا العصر . ولكن صعوبة هذه المهمة تهون فى جانب النصر الذى تكفل الله به لعباده المؤمنين العاملين ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) .

هذه سبيلنا ودعوتنا فى هذا الميدان رسمناها لك عزيزى القارىء لتحمل معنا نصيبك من عبئها وشرف العمل من أجلها وتضع يدك فى يدنا لنعمل جميعا فى سبيل الوصول الى الغاية النبيلة .

والله اسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنــه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الألباب .

بسم الله الرحمن الرحيم





تحية أحس من قلبي أنني مدفوع اليها حينما ألقاك بعد شهر ، تظل فيه كل يوم من أيامه ، بل كل لحظة من لحظاته مالئا علي كل وقتي وتفكيري : كيف ألقاك ؟ وماذا أقول لك وأقدمه اليك ؟ وأنا أعرف فى الوقت نفسه أنك تعيش معي كذلك وتنتظر هذا اللقاء ..

واذا كانوا يقولون ان حماس الجماهير للخطيب يلهب مشاعره فيزداد ابداعا واتقانا ، فان اقبال القراء على المجلة يلهب كذلك نشاط كتابها والقائمين عليها ، ويضاعف من جهودهم ، ليقدموا لك فى كل عدد من خلاصة أفكارهم ما يسرك ويرضيك .

ونحن نحمد الله على انك استقبلت العدد الاول استقبالا كريما ، أكد ايماننا بالروح الاسلامية الأصيلة لهذا الشعب ، وملأنا ثقة بنتيجة الجهود المبذولة ، والنوايا الخالصة .. أحسسنا ذلك من رسائل عديدة جاءتنا من الكويت والعراق والبحرين ، وامارات الخليج ، ومصر ، وسوريا والأردن ، وليبيا . وكلها تفيض بالشعور الطيب والاستقبال الكريم والأمل المرتجى لمجلتنا الوليدة . ومع اعتزازنا بهذا وتقديرنا له ، فاننا نحب أن نسمع من ذوى الآراء ما يرونه من نقص ، حتى نعمل على تلافيه . أو ما يحبونه من كمال حتى نجاهد فى سبيل الوصول اليه .. «ورحم الله امرأ أهدى الى عيوبي » .

أخي :

من بين الرسائل العديدة التي وصلتنا رسالة من كاتب اسلامي صديق ، رأيت أن أشركك معي فى الاطلاع على بعض ما جاء فيها . —

يقول — « لقد قرأت اليوم بالصحف اعلانكم عن مجلة « الوعي الاسلامي » فقفز له قلبي من الفرح ، أرأيت جيشا محاربا تخذله عوامل كثيرة ، وتتوفر لخصمه عوامل الامداد والتقوية ، واقبال الظروف ؟ ، وفيما هو يعاني كربته لاح فى الأفق فيلق ينادى بندائه ويضرب بسلاحه ذلك كان شعورى حين قرأت الاعلان .

فالماركسية الآن مباحة كفلسفة لا كنظام حكم ، ولا كعقيدة فى الالحاد، مباحة كنظريات اقتصادية ذات صلة بالمجتمع ومستقبل البشر . الماركسية على هذا الاعتبار تعرض نفسها الآن بأقلام دارسة هاضمة فاهمة ، لها قدرتها على دراسة اوضاعنا العربية الجديدة من وجهة نظرها .

لقد قرأت فى اعلان « الوعي الاسلامي » أنها مجلة الثقافة الاسلامية الأصيلة ففرحت ، وقلت لنفسي : لعل صديقي أحس ما نحسه ، فحقق للثقافة الاسلامية الأصيلة على معهوده فيما يكتب ويفهم كتيبة راشدة .. لم أقرأ للآن من موضوعاتها شيئا ولكن ثقتي بفهمك وتحررك من الجمود جعلني أحس النصر من ناحية « الوعي الاسلامي » .

تلك ومضات أو جذوات من رسالة صديقى الملتهبة غيرة ورغبة فى تجنيد الأقلام الواعية ، لخدمة الثقافة الاسلامية ، كما تنشط أقلام أخرى لخدمة الماركسية والتقدمية ..

وقد دفعني الى أن أقدم اليك هذه الومضات ، أنها تعبر تعبيرا صادقا عما تنفعل به نفسي ، وتتجه اليه رغبتي فى أن يكون كتاب المجلة « كتيبة راشدة » فعلا كما يقول الصديق .. وأن يوجهوا جهودهم فيما يكتبون الى حماية جيلنا ـ والشباب منه بنوع خاص ـ من غزو الأفكار المستوردة لعقله وقلبه .. وأن يتابعوا فيما يكتبون تطور الأفكار وحاجتها للغذاء المناسب ويتناولوا المشاكل التي نعيش فيها بالدراسة الموضوعية ، ويقللوا ما أمكن الكتابة فى الموضوعات التي تناولها الكتاب من عدة سنين ، الا اذا أتوا فيها بجديد يجذب القارىء اليها ، ويضيف الى ثقافته ثقافة جديدة .. ومن أجل هذا قلت فى افتتاحية العدد الاول .

« ان القراء يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأى الدين فيها ، انهم لم يعودوا يكتفون بتقرير : ان الدين صالح لكل زمان ومكان ، بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها كذلك . والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال .. وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد ـ ولو بشكل جماعي ـ لمواجهة أساليب الحياة الحديثة ، وتكييفها من الوجهة الدينية .

فأين الاجتهاد اذن ؟ واين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة ، ذلك هو ما أريد أن يحاوله كتابنا ، وما أريد أن أفتح صدر المجلة له ، وأعرضه للمناقشة ، لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نامل ونرجو » .

هذا ما رجوته من كتابنا الأفاضل وأملي كبير فى أن يستجيبوا له ..

لا أريد أن يشغلنا الدفاع عن بعض القضايا ، عن الجبهات الاخرى التي يفتحها الأعداء . لقد شغلونا كثيرا بتعدد الزوجات والطلاق ، وما شابه ذلك من القضايا التي ركزنا قوانا للدفاع عنها ، ويخيل لي أنهم يشغلوننا بذلك ، ليلتفوا حولنا ، ويطوقونا من النواحي الأخرى ..

فلنأخذ حذرنا ـ اذن ـ ولنتحرك حتى لا نبقى باستمرار فى مواقف الدفاع ، تاركين لغيرنا اختيار مواقع الضرب والهجوم ...

والله مع العاملين »»

رئيس التحـرير

هم العدو .. فاحذرهم

قال الله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » .

الآيات ١ و ٢ و ٣ من سورة الممتحنة

أخي

فى هذه الأيام التي تمر بنا الآن نحن المسلمين ، ووسط الأحداث والمؤامرات الكبرى ، والتيارات الجارفة التي نتعرض لها ، وفي أوقات المحن التي تمتحن بها عزائمنا وصمودنا ، ويظهر من خلال توهجها معدننا ، وتبرز من بين دخانها معالم شخصيتنا ، ومدى اصرارنا وحرصنا على صنع مستقبلنا ، وفرض وجودنا وهيبتنا .

أقول فى خلال هذا كله ، يحسن بنا أن نرجع الى هدى القرآن الكريم نتفيأ ظلاله ونسير على هداه ، ونتبين على نوره مواقع أقدامنا ، ونستعين به على أعدائنا وأنفسنا ، فان من التمس الهدى فى غيره أضله الله ، ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم .

نعم اننا فى لجة الأحداث التي تمر بنا ، سواء أكانت من صنع أيدينا أم أيدى أعدائنا ، فى أشد الحاجة الى عون من الله والى رعاية منه تجبر كسرنا ، وتهدى نفوسنا وتطهر قلوبنا ، وتجمعها على محبته ، وبذل الجهد والنفس والنفيس فى طاعته ، حتى يبدل خوفنا أمنا ، وضعفنا قوة ، واختلافنا وحدة ،

وهزيمتنا نصرا ، وذلتنا عزا « ولينصرن الله من ينصره » « وعد الله لا يخلف الله وعده » .

وفى هذه الآيات الكريمة ، وفى آيات كثيرة من القرآن الكريم ، يحدد الله لنا معالم الطريق التي نسلكها مع أعدائنا ، الذين يعتدون علينا ، ويتربصون الدوائر بنا ، ويتحينون الفرص للقضاء علينا ..

أمة لها كيان

ومن الطبيعي أن القرآن الكريم فيما رسمه من خطط ، وما حدده من علاقات لنا مع هؤلاء . انما يريد منا ان نكون أمة تحافظ على كيانها ، وتعمل على تماسكها، حتى تستطيع الدفاع عن نفسها ، ورد كيد المعتدين عليها ، واعزاز دينها وعقيدتها ، وتدعيم هيبتها ومكانتها .. ولم يقصد القرآن شيئا سوى ذلك : من الجور والظلم والاعتداء ، فان الله لا يحب المعتدين .

ونحن نلمس أن كل حي تدفعه طبيعته للدفاع عن نفسه ، وتأمين حياته، فلا عجب اذن ان يشرع القرآن للمسلمين ما يتمشى مع الفطرة الانسانية السليمة ، دون تجاوز لحدود العدل لأن الاسلام هو دين الفطرة البريئة من الشوائب .

ومن اجل هذا نرى الآية الكريمة تبدأ باثارة روح الايمان القوى فى نفوس المؤمنين،فتناديهم بوصفهم الذى يشرفهم. ويحبه الله ويحبونه «يايها الذين آمنوا» وحين يوجه لهم النهي لا يذكره مجردا عن أسبابه بل يذكر دواعيه ودوافعه .. وهي دوافع تثير فى روح كل انسان كوامن الحفاظ على النفس ، وعلى الكرامة ، وعلى الكيان والشرف والعقيدة ..

فما بالك بأناس أصحاب رسالة آمنوا بالله ، وباعوا أنفسهم اليه ، بجنة عرضها السموات والأرض .. وقد علمهم كتابهم أنه لن يصيبهم الا احدى الحسنيين الاستشهاد والجنة أو النصر والغنيمة . ان القرآن الكريم وضع أمام المؤمنين ماضي أعدائهم وهو ماض يفيض بالشر والاعتداء . وهم - أعني المسلمين - لا يزالون يذكرون ويقاسون كل يوم بل كل لحظة آثاره وعواقبه .. ولكنها الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .. كما وضع أمام أعينهم ما لا يزال يملأ قلوب أعدائهم من الحقد عليهم ، والرغبة فى ابادتهم ، حين يظفرون بهم ..

ومن أجل ذلك لا يوجد مبرر أى مبرر لمسلم أى مسلم أن تحمله مطامعه الشخصية على الاتصال بهؤلاء الأعداء وافشاء أسرار المسلمين اليهم ، أو الاقدام على عمل من شأنه أن يقوى جبهتهم ، ويمكن سلطتهم ، أو يمد حبل وجودهم على الأرض ، يمثلون القوة الخطرة على المسلمين وكيانهم ..

هم العدو

(١) فهؤلاء أعداء الله ، المفسدون فى الأرض ، الذين يرفضون الاعتراف بالله الواحد القهار ، ويحاولون اخفات كل صوت يؤمن به ويوحده ، ويخضع لتعاليمه ، وينشر ألوية الحق والعدالة والمساواة ، ويمكن لها فى النفوس.. وهم أعداؤكم الذين تفننوا فى ايذاء الرسول وايذائكم ، واستعملوا كل الأساليب الدنيئة للاجهاز عليكم ، وعلى عقيدتكم ،

وحرموكم من الاستقرار بين أهليكم ، وفى أرضكم .. واستولوا على أموالكم ودياركم . ولم يفعلوا ذلك معكم ، لأنكم جناة آثمون مفسدون ، بل ذنبكم الوحيد عندهم أنكم تقولون ربنا الله ، وتنبذون الانحراف معهم الى عبادة الأصنام ، والاعتراف بنظامهم الفاسد فى الحياة ..

وأناس هذا شأنهم مع الله ومعكم ، وموقفهم الصريح الواضح منكم ، لا يجوز لمسلم أن ينسى أو يتناسى ماضيهم، أو يعمل على مناصرتهم والتجسس لهم ، أو تقوم علاقة مودة بينه وبينهم ، أو يكون فى قلبه ميل أى ميل اليهم ان كنتم حقيقة صادقين فى ايمانكم ، وأنكم حين أثرتم الهجرة مع رسول الله ، وضحيتم باستقراركم فى وطنكم ، قد فعلتم ذلك اخلاصا منكم لدينكم ، وايثارا لله ورسوله على ما تحبونه من مال وأهل ومصالح ..

انه منهم

(٢) ومن ينحرف من المسلمين عن هذا الموقف ، ويحاول أن يخدم الأعداء على حساب أمته ومصالحها وكيانها ، فانه يكون قد ضل الطريق المستقيم ، وخرج على صفوف المسلمين « ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين » « ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه » .

فى الآخرة

(٣) ولتعلموا أن الله مطلع على سرائركم لا تخفى عليه منكم خافية ، ولئن أمن الخائن أن ينكشف أمره للناس فى الدنيا ، ويلقى جزاء خيانته ، أو لم يبال بمصالح الامة واستطاع أن يفلت من حسابها العسير لكان عليه أن يحذر حساب الله له يوم القيامة يوم لا ينفعه مال حصله ، ولا منصب او جاه حماه ، ولا أولاد أو أقارب حملته الشفقة بهم أو الحرص على مصلحتهم على خيانة الله ورسوله والتخلى عن مبادىء دينه وتعاليمه والحاق الضرر بأمته « لن تنفعكم أرحامكم ولا اولادكم . يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » .

فى الدنيا

(٤) على أن المسلم اذا لم يتق الله فى دينه ولا فى أمته ، ولم يخش عقاب الله له على تفريطه وخيانته فليعمل حسابا لمستقبله ومصيره ولا يظن أنه حين يقدم لأعدائه يدا سيحفظونها له أو يردونها اليه ، أو تقل عداوتهم وحقدهم عليه ، يوم يظفرون به ،لأن حنقهم عليكم يجرى فى دمائهم،ولن يرضوا عنكم حتى تستسلموا لهم ، وتسيروا فى ركابهم وتعتنقوا افكارهم .. وهم يتحينون كل فرصة ، ويستعملون كل وسيلة لانزال الضرر بكم ، والقضاء عليكم وعلى دينكم ووطنكم، ويوم يظفرون بكم ، ويتمكنون من رقابكم لا يرحمونكم ، ولا يراعون أية مبادىء انسانية فى معاملتكم ، بل يستذلونكم وينزلون الهوان بكم .. ويقضون على وجودكم ، ويعبثون بعقيدتكم ومقدساتكم « أن يثقفوكم (أى يجدوكم ويظفروا بكم) يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ».

فليخش المسلم اذن ما ينتظره هو وأمته من هوان وذلة فى الدنيا ، ان هو تساهل مع أعدائه ، أو عمل عملا يمكنهم منه ومن جماعته ، ان لم يكن عنده خوف من الله وحسابه يوم القيامة .

وهكذا يقرن الله الحكم بأسبابه ويضع أمام بصائرهم حيثياته ، ليعلموا أن الله لا يكلفهم ما يضرهم ، ولا يحملهم فوق طاقتهم ، ولا ينهاهم عن شيء فيه مصلحة لهم ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) ، ((ان الله بالناس لرءوف رحيم)) .

السبب حادث تجسس

واعتقد أن معنى الآيات وهدفهما يزدادان وضوحا حين نعرف الحادثة التى نزلت من أجلها . فقد روت كتب السنة بأسانيد صحيحة ان قريشا حين نقضت العهد الذى كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتدت على حلفائه ، قرر أن يهاجمهم ويقتص منهم ، ويخلص البيت الحرام ، من سيطرتهم ، واصدر أمره بالاستعداد لذلك .. ولكنه أراد أن يعمى الخبر على أعدائه ، حتى يأخذهم على غرة « والحرب خدعة » فأعلن أنه يريد التوجه الى خيبر ، ولكن بعض أصحابه كانوا يعلمون نيته ، ومنهم « حاطب بن أبي بلتعة » وكان من المهاجرين ، وممن شهد بدرا .

الا أنه كان له بمكة مصالح شخصية ، فعمد الى امراة من قريش كانت بالمدينة ، فأعطاها وهي راجعة كتابا الى زعماء قريش يخبرهم بعزم الرسول وغادرت المرأة ومعها الكتاب ، فأعلم الله رسوله بأمره ، فأرسل فى أثرها « عليا والمقداد والزبير » رضي الله عنهم ، وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا « روضة خاخ » فان بها امرأة معها كتاب ، فخذوه منها ، فانطلقوا حتى أدركوها ، وطلبوا منها الكتاب فأنكرته ، وأخيرا اضطرت الى اظهاره تحت تهديدهم لها بتفتيشها ، فأخذوه ورجعوا الى رسول الله به .

وانكشف أمر حاطب للرسول والصحابة ، فأرسل الرسول اليه وسأله . ما حملك على ما صنعت ؟ .. فقال معتذرا ومعترفا : يا رسول الله لا تعجل علي ، اني كنت امرأ ملصقا فى قريش ، وكل من معك من المهاجرين لهم اهل وقرابات يحمون أهليهم هناك ، فاحببت ان فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم (عند قريش) يدا يحمون بها قرابتي . وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام .. فقبل الرسول منه عذره وقال : ((لقد صدقكم . لا تقولوا له الا خيرا)) فقال عمر رضي الله عنه . انه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه . فقال صلى الله عليه وسلم ((أليس من أهل بدر ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم)) فدمعت عينا عمر ، وقال : ((الله ورسوله أعلم)) .

وهذه هي الحادثة التي نزلت من أجلها الآيات ، وهي حادثة يمكن أن نسميها بالتجسس والعمل لحساب الأعداء ، ومع أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد قبل اعترافه واعتذاره ، وعفا عنه ، تقديرا لماضيه وجهاده فى معركة بدر ، ولم يخل بين عمر الحازم الشديد ، وبين ما يريد ، حتى لا يقال : قتل محمد أصحابه ، ولا سيما بعد اعتذاره وتوبته،

الا أن الله سبحانه لم يترك هذه الحادثة تمر ، دون أن ينزل فيها قرآنا ينبه المسلمين الى خطر ما قد يقعون فيه من الاتصال بأعدائهم ، وكشف بعض أسرار المسلمين لهم ، مما يعرض الجبهة الاسلامية للانهيار ، والجهود الحربية للفشل ، ليظل ذلك القرآن ماثلا يتردد على ألسنتهم ، ويملأ قلوبهم الى يوم القيامة ، محددا ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين المسلمين وبين أعدائهم المحاربين لهم ..

آيات متشابهة

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة مشابهة لهذه الآية ، وكلها تركز على نهي المسلمين عن الاتصال بالأعداء ، أو الثقة بهم،واتخاذ الأولياءوالاصفياءمنهم،حفاظا على وحدة الصفوف والمصالح الاسلامية **((يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر))** ١١٨ آل عمران .

((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون)) ٢٣ التوبة .

((لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياءمن دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ..)) ٢٨ آل عمران .

((يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء)) ٥٧ المائدة .

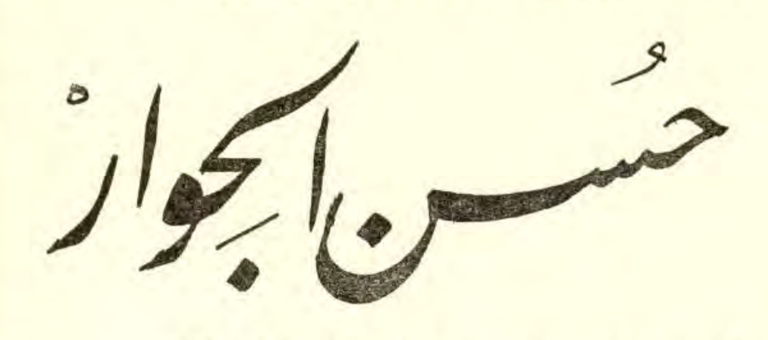
وقد بين الله معنى كلمة **((أولياء))** **فى سورة الممتحنة بقوله ((تلقون اليهم بالمودة)) و ((تسرون اليهم بالمودة)) ويعبر القرآن عن هذا فى آية أخرى من سورة المجادلة فيقول ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهمأو اخوانهمأو عشيرتهم..)) ومعنى ((يوادون)) ينشئون علاقات مودة معهم تستتبع حتما افشاء أسرار المسلمين اليهم ولا شك أن وجود أناس فى صفوف المسلمين تربطهم بالأعداء علاقة مودة،أمر يكسر الجبهة الاسلامية ، ويعرضها للانهيار وفي هذا من الخطر ما يجب تلافيه ، والقضاء على أسبابه ودواعيه .**

والاسلام لم يتجن بتشريعه هذا الحكم ، ولم يقرره لمجرد أن هؤلاء لا يدينون بدين الاسلام ، بل لأنهم أعداء محاربون ، لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة، يسخرون بالاسلام ورسوله وكتابه ، ويجندون القوى لحربه ، والقضاء عليه ، وعلى أتباعه ، ماديا ومعنويا ، فلا بد من معاملتهم بالمثل : معاملة الأعداء . سواء أكانوا مشركين ، ام من أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى .. لا ننظر اليهم الا من خلال نظرتهم لنا ، وعملهم ضدنا .. وذلك هو ما تسير عليه كل الدول التي تحافظ على كيانها . شرعة الانصاف والعدل : المعاملة بالمثل ..

والمسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وقديما صاحت مسلمة مجهولة على حدود الروم ((وامعتصماه)) فهزت الخليفة فى بغداد ، وحركت الجيش الى

البقية على ص : ٦٣

من هدى السنة





لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم

مدير تحرير « الوعي الاسلامي »
ورئيس قسم الثقافة الاسلامية بوزارة الاوقاف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه

ـ تمهيد ـ

١ ـ تدور عجلة الزمان دون توقف ،ويتعاقب الملوان فى حركة دائبة ، وتمضي الأيام الى غايتها المحتومة ، ونهايتها التي لاتستطيع التخلف عن بلوغها ، تلك سنة الله فى الكائنات ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ومرور الليل والنهار ينسى ، وبه تتضاءل حيوية الأشياء بعد قوة ، وتذبل بعد نضارة ، وتضعف بعد شدة ، وقد تتلاشى فتصبح أثرا بعد عين ، وتصير ذكريات تخلف الحقائق ، وأوهاما عابرة تلي وعياراشدا .

٢ ـ وقد مرت بالمسلمين أربعة عشر قرنا الا خمسة عشر عاما منذ أن أشرقت على الوجود شمس الرسالة المحمدية باذن ربها ، وشرعت تمسح بريشة أشعتها الذهبية جبين الحياة المكتئب ، فتقشع ظلامه ، وتبيد آلامه ، وتقضي على علله وأدوائه، وتضع حدا لحيرة الانسانية البادية فى آراء فلاسفتها ومفكريها ، وتصيح بهم ((يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ..)) (١)

وحملت الأمانة ـ فى أول عهدها بالوجود ـ نفوس قوية ، وقلوب فتية ، بثتها فى وضوح وجلاء ، وطبقتها فى حزم وقوة ، وعضت عليها بالنواجذ ، فأرست أحكامها نظاما متكاملا ، سعد به كل مكان يمكن أن يوجد فيه انسان ، ... وكمال الشريعة الاسلامية كمال يأخذ بالألباب ، ويستولى على مجامع القلوب ، ولا غرو فمصدرها العليم بكل ما دق وما جل .. « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل » (٢) .

(١) الآية ٢٤ ـ من سورة الانفال

(٢) الآية ١٠٢ ـ من سورة الانعام

٣ ـ ... ولكن ـ ما أقسى الاستدراك ها هنا ـ ... منذ أمد طويل وأعداء الانسانية يكيدون لها محاولين اخماد جذوة الاسلام بتناوش المسلمين من بعيد ، وسلكوا معهم مسلك الخفاش الذى يقال انه يهبط على النائم فيتغذى بدمه ، حتى اذا شعر بآلام الامتصاص وبدأ يصحو ، حرك الخفاش أجنحته يجلب للنائم الهواء الذى يعود به الى سبات عميق ثم يتركه ويختفي .. ، وهكذا استطاعوا تنحية الاسلام عن ميادين الحياة العملية ... وطال الرقاد ... ولم يبق من نور الشريعة الغراء الا أضواء خافتة تتراءى بين الفينة والفينة هنا وهناك ، وأظلمت دنيا المسلمين من حولهم واكفهرت أجواؤهم ، وأصبحوا يتخبطون على غير هدى ... « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » فساروا وراء عدوهم الكاشح يتلمسون طريقهم على ضوء ما يريد هو ، فأودى بهم وأرداهم ، وصدق فيهم قول الله تبارك وتعالى .. « .. فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا .. » .. وكان من أسباب مرض القلوب الجهل والنفاق والشك والارتياب والحسد والضغينة الى غير ذلك مما يفسد الاعتقاد والاخلاق ويدع أحكام العقل فى اضطراب ...

٤ ـ واليوم ـ وقد أخذت أحوال المسلمين تتحول الى الاتجاه الصحيح ، وأخذوا يفيقون على قرع الحوادث فى المناطق التي يعيشون فيها ـ لا بد لنا من جولة حاسمة نثبت فيها وجودنا ، ونبدؤها باصلاح أنفسنا على ضوء تعاليم قرآننا وهدى نبينا ، حتى نمحو ما ران على القلوب لطول ما بعدت عن مرامى الاسلام وأغراضه ـ وحقا ـ لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ... فاذا تكون المؤمن القوى ، وزحفت الى مجتمعاتنا طلائع الشباب المسلم الفتي ، أمكننا أن نقف صفا واحدا يتقدم جموع الدنيا الحاشدة برسالة السماء فيقودها الى ما يسعدها ويحول بينها وبين ما يشقيها ..

٥ ـ وحين نحاول اماطة الأذى من طريق الاسلام ليسير الركب ، ويمضي قدما فلا نجد خيرا من توجيهات رسوله الأمين المتمثلة فى سنته الشريفة بعد هداية القرآن العظيم ، ... وتربية الفرد المسلم تربية واعية ، وأخذه بوحي الله يغنيه عن التلفت الى سراب الغرب والشرق ... وحديث واحد من أحاديث رسول الله لو فهم كما يجب أن يفهم ، وطبق كما يحق له أن يطبق ، لكان أجدى على الدنيا من محاولات المفكرين والمصلحين الذين يعتمدون على تجارب تخطىء وتصيب ، وقواعد يهزها ضعف البشر وقصورهم ..

مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم

ولنتأمل كيف وضع رسول الله للمجتمع الاسلامي نظامه ، ولنلمس جانبا واحدا من جوانب متعددة ، تقوى روابط هذا المجتمع ، وتضم صفوفه بعضها الى بعض ، وتوحد اتجاهاته الخيرة وتدعمها .. ذلكم الجانب هو **حسن الجوار .**

١ ـ والجوار ضرب من ضروب القرابة ، فهو قرب بالمكان والمسكن ، واندماج فى الطريق والعمل ، وقد تقوى وتشتد رابطة المرء بجاره أكثر مما تقوى وتشتد

بمن جمعه به نسب واحد ، والأمة الاسلامية عند الشارع الحكيم أسرة مترابطة الأفراد ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنفك معه لحمة ، والتعاون فى الحياة ينير دياجيرها ، ويفتح مغلقها ، ويعين على قطع مفاوزها ، وكل ذلك يثمر مدنية فاضلة وأمنا وسعادة ، وتراحما ومودة .

٢ ـ والاسلام لم يدع شيئا يحقق التعاون الكريم المنتج النافع الا حث عليه ووكده وجعله من صلب الدعوة وأسسها ، ولهذا ، حث كثيرا على حسن الجوار وعمل جاهدا على توثيق العلائق الكريمة بين الجيران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره » وجعل الاحسان الى الجار دليلا على صدق الايمان وكماله فقال عليه السلام « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » فلا يتم الايمان حتى يتحقق هذا الشرط ، وهذا أمر له منتهى الخطورة فى حياة كل امرىء مسلم ، اذ الايمان غاية كل متدين ، وعلى مقدار ثباته ورسوخه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة ، فاذا توقف ذلك على كف الأذى عن الجار وعلى السعي فى ايصال الخير اليه سارع كل من آمن بالله ورسله واليوم الآخر الى تحقيق هذا الشرط فى أعماله وأقواله .

القرآن والجار

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بتوحيده، والاحسان الى الوالدين وذوى القربى واليتامى والمساكين ، ثم أدرج مع هؤلاء فى وجوب الاحسان اليهم ، الجار ذا القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب .. فقال سبحانه « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ... » (١) .

والجار ذو القربى هو الذى يدلى مع جواره بصلة القرابة القريبة ، والجار الجنب هو الذى تربطك به قرابة بعيدة والصاحب بالجنب هو رفيق السفر أو المنقطع الى صاحبه المؤمل فى فضله .

وتختم الآية الكريمة بالنهي عن الكبر والخيلاء والتفاخر ، لأن الفخور المتكبر المختال حقير عند الله ممقوت عند الناس ، لأنه لا يقوم بعبادة ربه ولا يلين قلبه لذوى قرباه ولا لجيرانه ، وانما المتوقع منه الاساءة وكفران النعمة ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، (٢) فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، فقال عليه السلام : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق (٣) وغمض الناس (٤) » .

موقف الاسلام من الجار غير المسلم

فى الاثر أن الجيران ثلاثة أقسام

(١) الآية ٣٦ من سورة النساء
(٢) بطر الحق ـ رده وعدم قبوله .
(٣) غمض الناس ـ احتقارهم وازدراؤهم رواه أبو داود والترمذى عن ابن مسعود .

« جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق .

فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الاسلام وحق القرابة ، وحق الجوار . والذى له حقان هو الجار المسلم ، فله حق الاسلام وحق الجوار ، وصاحب الحق الواحد هو الجار غير المسلم فله حق الجوار فقط ، وأعظم به من حق (١) .

وقد حث الاسلام على مبادلة أهل الكتاب بالزيارة ، ومشاركتهم فى أفراحهم وأتراحهم ، وأباح الاكل من طعامهم ومصاهرتهم ، وورد معظم ذلك فى محكم القرآن الكريم .. قال الله تبارك وتعالى « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ... » (٢) وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد ابن جاره الكتابي حين مرض ، وذبح ابن عمر شاة فجعل يقول لغلامه أهديت الى جارنا الكتابى ؟ ، أهديت الى جارنا الكتابي ؟ فقال الغلام كيف تقول هذا ؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنهسيورثه » (٣) ولم يخصص الجار بالمسلم بل اطلقه فشمل الاحسان الى كل جار مهما كانت عقيدته ونحلته .

نماذج من حقوق الجار

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتدرون ما حق الجار ؟ : ان استعان بك أعنته ، وان استنصرك نصرته ، وان استقرضك أقرضته ، وان افتقر عدت عليه (أى واسيته بمالك) . وان مرض عدته (أى زرته) ، وان مات تبعت جنازته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ، ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها،وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل ، فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

فانظر رعاك الله أيها المسلم الذى غفل عن حقيقة دينه واتبع هواه حتى داهمته مدنية فاجرة قطعت الاواصر ، وفككت الروابط ، وفرقت المجتمع ، وكادت تأتى على كل الفضائل الانسانية فى غيبة التشريع الاسلامي القويم ، وتأمل كيف أقام الاسلام علاقات الجوار ، وكيف وطدها ، وبسط القول فيها حتى جعل الجار شريكا فى كل خير مادى وروحي وأدبي ، وهكذا يستل الاسلام بتوجيهه السديد سخائم النفوس ويمكن للتراحم والتعاطف بين الناس جميعا .

---

(١) أخرجه البزار فى مسنده
(٢) الآية ٥ من سورة المائدة
(٣) رواه البخارى

مثل" اسلامية عملية تطبيقية

١ ـ تحرى هـذا الأدب الكريم المسلمون الأوائل فكانوا يتحرجون من مقابلة أذى جيرانهم بمثله ، جاء رجل الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال : ان لي جارا يؤذيني ويسبني ويضيق علي ! فماذا أصنع معه ؟ فأجابه ابن مسعود : ان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه ، ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ، فلعل التغابي عن أذى الجار يحمله على الندم والارعواء .. يقول الله تبارك وتعالى « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .. ولو قوبلت كل اساءة بمثلها لتصدع بناء المجتمع وسرى فيه الوهن والانحلال ، ولهذا كان حصر الخلاف فى دائرة ضيقة أولى من تركه يستشرى ويتسع نطاقه .

٢ ـ بلغ عبد الله بن المقفع أن جارا له شرع يبيع داره فى دين لزمه ، وكان من عادة ابن المقفع أن يجلس فى ظل دار جاره هذا ، فلما تحقق الخبر قال : ما قمت اذن بحرمة ظل دار جارى ان باعها لفقره وعدمه وحاجته وأنا أستطيع حفظها عليه : وبادر من فوره الى دفع الدين وأبقى الدار لصاحبها .

الخلاصة

ونخلص بعد استعراض الآيات والأحاديث والآثار التى مرت آنفا الى النتائج الآتية :

١ ـ أن مرور القرون المتطاولة والمسلمون يرزحون تحت نير الاستعمار أبعد الشريعة الغراء ـ نصا وروحا ـ عن مسرح حياة المسلمين فلم يعد لتعاليمها أثر لا فى البيت ولا فى المدرسة ولا فى المحكمة ولا فى السوق بل غفلوا غفلة تامة عن فهمها وادراكها وولوا وجوههم شطر ثقافة دخيلة ماكرة مجرمة لا يراد بها الا مزيد من حبس الاسلام فى قماقم محكمة الاغلاق .

٢ ـ أنه عندما تفتح هذه المغاليق وتعود تعاليم الاسلام الى مسرح الحياة وتطبق أحكامه ، يوجد المجتمع المثالي الذى تنشده الانسانية الفاضلة ، والذى لبث الفلاسفة والمفكرون يحلمون به دهرا طويلا .

٣ ـ أن أهم ما يساعد على تفهم حقائق الاسلام هو حسن عرضها بالصورة والأسلوب اللذين يناسبان العصر ، وما أحسنها لو عرضت مقارنة حتى يتسنى للناشئة ـ معرفة الغث من السمين وتبين النافع من الضار ، وحينئذ يميز الله الخبيث من الطيب ويسفر الصبح لذى عينين .

والله الموفق والمستعان ،،،

* * *

المبادئ المثالية التي تضمنتها

عبقرية الاسلام هي ذلك الاشراق الالهي الذي انبثق من غار حراء ، فكشف للرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ عن أطوار النفس البشرية في طوايا الغيب ، فدعا دعوته الخالدة الى تكريم الانسان ، وتنظيم العمران ، وتعميم الخير ، وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمؤاخاة ، والمساواة والحرية والسلام .

فالتوحيد سبيل القوة ، والمؤاخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء ، وتلك هي الغايات التي ترجو الانسانية بلوغها عن طريق العلم والمدنية ، فلا تتكشف امانيها بعد طول السرى وفرط اللغوب الا عن سحاب خلب ، وسراب خادع .

هذه المبادىء المثالية التي تضمنتها دعوة الاسلام ، معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف .

فالتوحيد ركن من أركان الدين وعنوان من عناوينه ، وهو من الكلم الجوامع التي وعت جوهر الاصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة ، وهو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا ،

وشواهد التوحيد مذكورة فى كتاب الله لا يختلف فى مدلولها أحد .

وفكرة الوحدة الانسانية هي مزية الدعوة المحمدية على كل دعوة ، وفى سبيلها صدق الاسلام بكل دين أنزل ، وبكل نبي أرسل ودعا الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا الى خطة واحدة وكلمة سواء ، ثم وصل الدين بالدنيا ، وكانت اليهودية والنصرانية تفصلان بينهما ، فالأولى كان همها الصفق والاجتراح ، والأخرى كان سبيلها الرهبانية والتنسك ، ولكن الاسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسد ، فلا تعمل الا بوحيه ، ولا تسير الا بهديه ، ثم آخى بين المؤمنين ، ليجتمعوا على صدق المودة ويتعاونوا على لأواء العيش ، فلا يبغى قوي ، ولا يبخل غني ، ولا يظلم متسلط .

بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج ، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، ثم توثقت عرى الاخاء بين المجاهدين فى سبيل الله حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وأصبح هؤلاء القلال الضعاف فى بضع سنين أئمة للناس وورثة لكسرى وقيصر .

كذلك فى سبيل الوحدة الانسانية والأخوة الاسلامية ، فرض الاسلام الزكاة وشرع الحج ، وأمر بالاحسان والبر ، ثم سوى بين الناس على اختلاف

دعوة الإسلام

بقلم أحمد حسن الزيات

السنتهم وألوانهم فى الحقوق والواجبات بمحو العصبية الوطنية ، وقتل النعرة الجنسية ، وجعل التقديم والتكريم للتقوى ، فقال الرسول الكريم فى خطبة الوداع :

« ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

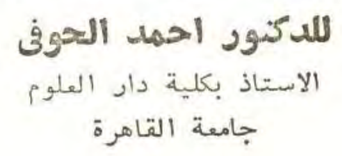
المسلمون وحدهم هم الذين يفهمون الانسان بمعناه الصحيح ، لأنهم أتباع محمد ، ومحمد وحده هو الذى أعلن حقوق الانسان بهذا المعنى لأنه رسول الله ، والله وحده هو الذى ألهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة .. أرسله رحمة للذين استضعفوا فى الأرض لقلة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالموالي ، أو لضعف النصير كالأرقاء ، أو لطبيعة الخلقة كالنساء ، فكفل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن العز للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، وأعطى الحق للمرأة بالمساواة .

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالته ممن لم يكونوا من جنس مبين ، ولا من وطن معين ، انما كانوا أمة من أشتات الخلق ، وانحاء الأرض ، اجتمع فيها العربي والفارسي ، والرومي والتركي ، والهندى والصيني ، والبربرى والحبشي ـ على شرع واحد هوالاسلام ، وتحت تاج واحد هو الخلافة ، والاسلام الذى يقول شارعه العظيم « ولقد كرمنا بني آدم » لم يخص بالتكريم لونا دون لون ، ولا طبقة دون طبقة ، انما ربأ ببني آدم جميعا أن يسجدوا لحجر أو شجر أو حيوان ، وأن يخضعوا مكرهين لجبروت كاهن أو سلطان .

وفى هذه الأصول الاسلامية ـ كما ترى ـ أفضل ما فى الديمقراطية ، وأجمل ما فى المدنية ، فهي حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا . ولقد كانت كذلك يوم كان لحملتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتنقيها يقين ، فلما دالت الدولة وخشع الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا فى فدافد الأرض ، لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى ، ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الاسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه ، فليت شعرى متى يتاح لدعوة محمد من يجدد حبلها وينشر فضلها ، ويقول لأولئك الذين يحاولون أن يرفعوا قواعد العالم على أساس جديد ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم)) .

الايمان بالقضاء قوة دافعة





للدكتور احمد الحوفى

الاستاذ بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

ليس من شك فى أن موضوع القضاء والقدر مشكلة قديمة غامضة ، شغلت كثيرا من المفكرين على اختلاف أديانهم وتباين منازعهم ، ولم يهتد أحد الى رأى حاسم فيها، تطمئن اليه النفوس جميعا.

ولست أزعم انني فى هذه العجالة سأبلغ ما لم يبلغه السابقون ، ولا أني سأعرض المشكلة كلها ، واناقش الآراء المتشعبة فيها ، بل اني ساقتصر على دفع الفرية التي افتراها علينا ـ نحن المسلمين ـ فريق من أعدائنا ، اذ زعموا ان تخلفنا الاخير راجع الى عقيدتنا فى القضاء والقدر .

ويقتضيني الموضوع أن أمهد بكلمة عما نريده بعلم الله تعالى ، لتكون اساسا فى دراسة المشكلة ، وفى دفع الفرية .

علم الله وعلم البشر

أرأيت الى المهندس الذى اخترع آلة استقل بصنعها ، كيف يعلم تفاصيل اجزائها ، وكيف يعلم طريقة عملها وسيرها ، ويعرف مقدار قوتها ومدى صلاحيتها ؟

أرأيت الى صانعى الاقمار الصناعية والصواريخ الدوارة والموجهة كيف يعلمون علم اليقين اتجاهها وسرعتها والمناطق التي ستمر بها ،ويحددون أزمان مرورها على المدن والاصقاع ، وكيف يعرفون ما يشبه ذلك معرفة دقيقة يندر أن يتخلف شيء منها ؟

فكيف ينكر عاقل ان الله سبحانه وتعالى وهو الخلاق العظيم والبصير العليم يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السماوات أو فى الارض ؟

فلا عجب اذن فى أننا نعتقد اعتقادا جازما أن بارىء الكون ورب الكاشفين والمخترعين يعلم علما لا يتغير ، ويقدر تقديرا لا يتبدل .

واذا كان من صفات علم الانسان أنه

« القضــاء والقدر وصلتهما بحرية الانسان موضوع ثار الجدل حولـه بــين الكتاب والباحثين ، ولم يصلوا الى نقطـة حاســمة يقف عندهـــا الجميع .. وكثيرا ما قرأنا وســمعنا شبها يرددها أعداء الاسلام يريدون أن يلصقوا بالايمان بالقضاء والقدر تهمــة تخلف المسلمين .. ومــع أنها تهمــة زائفة ينسفها تاريخ المســلمين الاول وما صنعه الاسلام الحق من حضـــارة ومجد ، الا أننا لا نزال فى حاجــة الىتجلية الغبار عن هذا الموضوع وعرضه عرضا يتفق مع الفهم الصحيح له ليكون قوة دافعة . ومع أنه موضوع شائك كما نعرف الا أن الاستاذ الفاضل الدكتور الحوفى اختار أن يرتاد لقرائنا هـذا الطريق » .

« الوعى الاسلامي »

محدود قاصر فان من صفات علم الله انه لا حدود له ولا قصور فيه ، لانه العلم الكامل الشامل .

كذلك يتصف العلم الانساني بأنه لا يتعلق الا بالاشياء الموجودة فعلا ، لأنه نتيجة لها وأثر من آثارها ، على حين ان العلم الالهي يشمل حاضرها ومستقبلها ، لانه السبب فى وجودها ، فهو يعلــم الاسباب ويعلم النتائج علما أزليا أبديا خاصا به وحده .

لهذا كان علم الغيب مقصورا عــلى الخالق سبحانه ، قال تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » (١) وقال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبــة فى ظلمــات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (٢) وقال تعالى : « وستردون الى عالــم الغيب والشهــادة فينبئكــم بمـــا كنتـــم تعملون » (٣) .

وبدهى ان العقل الانساني لا يستطيع ان يعرف حقيقة علـم اللــه للاشـيـاء المستقبلة ،لان هذا العقل عاجز عن معرفة حقيقة الذات الالهية ، فمن الطبيعي ان يعجز عن معرفة صفات الله تعالى ، بل أن العقل الانساني عاجز عن معرفة كثير من أحوال الجســم الانساني والنفس الانسانية ، وكثير من ظواهر الكون التي يشهدها ، فهو أحرى بأن يستبين عجزه عن معرفة ما وراء المادة ، وعــن ادراك صفات الله سبحانه .

واذا كان الانســـان يفـرق بين علمه للماضى وعلمه للحاضر وظنه فىالمستقبل، فان هذه التفرقة تنطبق على الانسان وحده ، وليس من الجائز ان تنطبق على علم الله لان علمه أزلي أبدى ، وكل شيء من المستقبل خاضــع لعلمه كالحاضر ، وهو تعالى يعلم الامور المستقبلة علمــه للحاضر .

معنى القضاء والقدر

١ ــ لا شك اذن فى ان علم الله واسع

(١) سورة النمل ٦٥ (٢) سورة الانعام ٥٩ (٣) سورة التوبة ١٠٥

قوة دافعة

شامل محيط بما كان وبما سيكون ، وبما ظهر وبما استتر ، لانه سبحانه وتعالى هو الخالق ، ولانه أكمل الموجودات فلا بد أن يكون له من الصفات أكملها واعلاها، ولا بد ان يكون علمه أوسع علم وادق علم، بحيث لا تتصور العقول علما يداني علمه ، كما انها لا تستطيع ان تتصور وجودا يدنو من وجوده .

ومعنى هذا ان مالك الكون عليم بما يحدث فى ملكه علما سابقا للاحداث والوقائع ، فلا يقع فى ملكه حدث الا موافقا لارادته ، وهذا هو المعنى المختار للقضاء والقدر .

فالقضاء الحكم والارادة ، والقدر التقدير والترتيب والتنظيم .

وقد يطلق القدر على القوانين التي اودعها الله فى الكائنات ، لتسير على مقتضاها الأحياء،وتخضع لها الجمادات، كرسوب بعض المواد فى الماء وطفو بعضها فوقه ، وتمدد المعادن بالحرارة ، وتبخر الماء بالتسخين ، وتجمد السوائل بالبرودة .

فالمراد من ان كل شيء بقضاء الله وقدره أنه يوجد مطابقا لحكمه وارادته وترتيبه الازلي على النحو الذى علمه واراده .

وهذا المعنى يتردد فى آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (١) . ومنها قوله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٢) وقوله تعالى : « وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » (٣) .

وقوله تعالى : « انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى امام مبين » (٤) .

وقوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (٥) .

والاحاديث النبوية تجرى على هذا النسق ، كقوله صلى الله عليه وسلم : مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالى : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ،ان الله عليم خبير

وقوله صلى الله عليه وسلم : كل شيء بقدر حتى العجز والكيس .

٢ ـ وقضاء الله حتمى لا يتخلف ، قال تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله » (١) .

وقال تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم » (٢) .

وقال تعالى : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . انهم لهم المنصورون . وان جندنا لهم الغالبون » (٣) .

---

(١) سورة الانعام ٥٩ — (٢) سورة الرعد ٨ ـ ٩ — (٣) سورة النمل ٧٤ ـ ٧٥
(٤) سورة يس ١٢ — (٥) سورة الحديد ٢٢ — (١) سورة الانعام ٣٤
(٢) سورة الانفال ٦٨ — (٣) سورة الصافات ١٧١ ـ ١٧٣

وهذا بدهى لا يحتاج الى تعمق فى التفكير ، لان رب الكون لا يمكن ان يقع فى ملكوته شيء لم يعلمه ولم يرده أزلا ، والا كان – تعالى عن ذلك علوا كبيرا – غير محيط بما يحدث فى ملكه ، او مكرها على ما يقع فيه .

لماذا نؤمن بالقضاء

انه من الطبيعي اذن ان نؤمن نحن المسلمين بقضاء الله وقدره ايمانا لا يتزعزع .

١ – لاننا نؤمن بعلم الله وقدرته وارادته، وندين بما يلائم عظمته وجلاله ، ونصدق بكتابه وبأحاديث رسوله ، وبما تضمناه من قضاء الله وقدره .

٢ – ولان هذا الايمان يعصمنا من الغرور اذا ما حالفنا نجاح وظفر ، فقد تسول للظافر نفسه أنه بجده وحده ظفر ، فيتمرد ويطغي ، وينسى ان يشكر ربه ، ويتعامى عن حقوق من حوله،كما فعل قارون ، اذ ابطره ثراؤه ، وزعم انه كسب المال الكثير بعلمه ونسى حق الله فيه ، فجعله الله نكالا وعظة كبيرة قال تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين . قال انما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هوأشد قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون . فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين . واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا وى كأنه لا يفلح الكافرون » (١) .

٣ – على ان هذا الايمان اذ يعصمنا من الغرور يبعد عنا الخور والضعف واليأس والسخط ان نزلت كارثة ، او حدث اخفاق ، لان المؤمن بالقضاء يصبر على ما نزل به ، ويستمد من صبره قوة على مغالبة عوامل القنوط والاستسلام ، فيستأنف حياته فى جد مثمر ، وبعزيمة قوية ، وأمل متجدد ، وقلب متفتح .

٤ – ثم ان ايماننا بقضاء الله وقدره يبعث فينا كثيرا من الفضائل ، اذ ان المؤمن بالقضاء شجاع ، لانه يعلم انه لن يصيبه الا ما سبق فى علم الله من موت او حياة ومن سلامة او اضطهاد ، ومن نفع او ضرر .

والمؤمن بالقضاء أبي عزيز النفس لا يذل لأحد ،ولا يدنس ضميره اوكرامته لقاء ثمن ، لانه يعتقد ان النفع والضرر بيد الله ، وقد سبق به علمه وقضاؤه ، فلو اجتمع الانس والجن على ان ينفعوه أو على أن يضروه فانهم لا يستطيعون شيئا سوى ما سبق به علم الله وقضاؤه.

والمؤمن بالقضاء راض دائما ،مستبشر دائما ، متفائل فى جميع حالاته ، لانه مطمئن الى رحمة الله ولطفه وعدله .

٥ – ولا شك ان الايمان بالقضاء يحفظنا من رذيلة الحقد والحسد والسخط ، لان الذى يحسد غيره على

---

(١) سورة القصص ٧٦ – ٨٢

قوة دافعة

نعمة أنعم الله بها عليه ساخط على قضاء الله ، والذى يحقد على ذى نعمة متبرم بحظه من الحياة ، والذى يسخط نصيبه من الدنيا ضعيف الثقة بقضاء الله .

٦ ــ ونحن نؤمن بقضاء الله ، لأن الله تعالى اذ أوجب علينا الايمان به ، أوجب علينا أن نعمل وأن نسعى وأن نتخذ من الاسباب والوسائل ما يحقق الغايات المشروعة ، فلا كسل ولا تكاسل ، ولا خمول ولا تواكل .

ولهذا نهانا سبحانه وتعالى عن تعريض انفسنا للهلاك فى قوله : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (٢) .

وأمرنا بالدفاع عن الدين والوطن فى قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (١) وفى قوله سبحانه : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (٢) .

وأمرنا بالسعي والعمل للحصول على الرزق ، قال تعالى :« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » (٣) ، وقال تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (٤) .

وهكذا تتكرر الاوامر فى آيات كثيرة مؤكدة هذه المعاني وامثالها .

٧ ــ ونحن نؤمن بالقضاء لان الاحداث قبل ان تقع سر محجب عنا ، لا يعلمه الا الله الذى قضى وقدر ، وليس فى استطاعة مخلوق ان يعلم المقدور .

وكيف يتطلع احد الى معرفة الغيب ، مع ان النبي صلى الله عليه وسلم امره الله ان يقول : « ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » (٥) .

ولهذا نعى الله على المشركين اعتذارهم عن شركهم بانه قدر من الله ، ونعى على من يعتذرون بالقدر فى انصرافهم عن الخير واقبالهم على الشر ، قال تعالى « سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » (٦) .

وقد قال سراقة بن مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله بين لنا ديننا ، كأننا خلقنا الآن ، فيم العمل ؟ أفيما جفت به الاقلام ،وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل ، قال رسول الله :فيما جفت به الاقلام وجرت المقادير .

قال ففيم العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، وكل عامل بعمله .

---

(٢) سورة البقرة ١٩٥ (١) سورة آل عمران ٢٠٠ (٢) سورة الانفال ٦٠
(٣) سورة الجمعة ١٠ (٤) سورة الملك ١٥ (٥) سورة الاعراف ١٨٨
(٦) سورة الانعام ١٤٨

وروى عن علي بن أبي طالب قال : كنا فى جنازة ، فأتانا رسول الله ، فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس وجعل ينكث بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا يا رسول الله : أولا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ، ومن كان من اهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة . ثم قرأ قوله تعالى « فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . واما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » (١) .

والاحاديث النبوية كثيرة فى تأكيد هذا المعنى ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز . وان اصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله ، ما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعت على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك » .

٨ ـ لهذا كله كان الايمان بالقضاء والقدر نعمة على البشر ، لانه ظل من الطمانينة وارف ، ونعمة من السكينة الراضية بقضاء الله ، ولانه حافز الى قوة العزائم ، وباعث على العمل والعزة والشجاعة والصبر ، ووقاية من الشرور التي تصيب الافراد والجماعات ، كالحسد والاثرة والشماتة والنفاق والجزع والياس .

ولست أريد ان اكرر ما سبق من آيات واحاديث فى الدلالة على هذه المعاني ، بل أريد ان اذكر ان المنافقين كانوا يتخلفون عن مشاركة رسول الله فى صد العدوان على الاسلام ، وكانوا يودون فى اعماق نفوسهم أن ينهزم الرسول ، ليفرحوا بهزيمته ، وليبرروا تخلفهم عن نصرته ، فأنزل الله تعالى على رسوله ان المسلمين الصادقين لا يأبهون بما يجول فى نفوس المنافقين ، لانهم مؤمنون بان ما يصيبهم قد سبق به قضاء الله وقدره ، وهم قد ارضوا ربهم وارضوا نفوسهم بجهادهم الباسل فى حماية العقيدة والوطن ، فاذا انتصروا لم يبطروا ، وان انكسروا لم ييأسوا .

قال تعالى : « ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون . قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٢) .

أما بعد فلعله قد تبين ان ايماننا بالقضاء ليس مدعاة الى ضعفنا ، ولا باعثا على تأخرنا ، كما يزعم بعض خصومنا ، بل هو دافع قوى الى العمل والى بذل الجهد ، وحافز الى الجهاد والتضحية ، وينبوع للفضائل ، ووقاية من الرذائل ، وهو الى هذا كله ايمان بعلم الله وقدرته وارادته ، واطمئنان الى حكمه فيما قضى وقدر .

أما علاقة القضاء والقدر بالحرية فموضوع المقال القادم ان شاء الله .

---

(١) سورة الليل ٥ ـ ١٠ (٢) سورة التوبة ٥٠ ـ ٥١



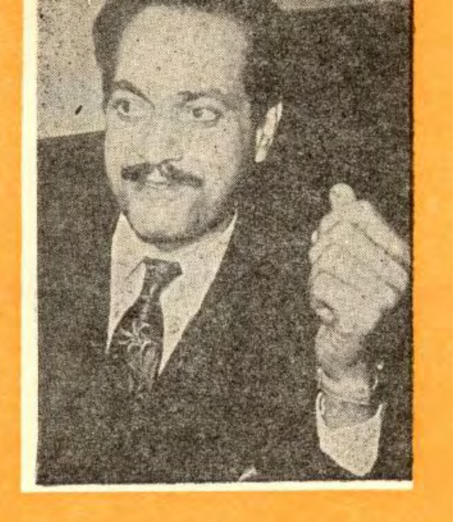
« والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس »

« قرآن كريم »

حَطّتْ كالنّغْمـةِ في أُذُنـي
صفـراءُ ، صداها يلسَـعُني
ويَصُـبُّ أسـاها في بدَنـي
ناراً بالرحمـة تَسقيـني
بثُمالَـة كـأسٍ مفتـونِ
يترنَّـحُ فـي كـفِّ السـاقي
ويميـلُ بِفَضْلَـة أرزاقِ
لـم تَلْـقَ جُرْعتهـا كاسـا
فأتَتْ تتلمَّـسُ أنفَاسـا
مِنْ صـدرٍ يَخْفِـقُ فـي كفَـنِ !

***

لـم أَلْقَ بهـا قطـرةَ عَـرَقٍ
ممـا أغدقْتُ علـى طـرُقـي
من دمـع يوقـظُ لى رَمَقـي
ويَغِـطُّ بآهـة مسـكينِ
تتضـوّر فـيَّ وتشـويني . .
تتبرّجُ فـي ضـوء جـاثٍ
كشـعاعٍ مـرّ بأجـداثِ



للشاعر
محمود حسين اسماعيل
مراقب عام البرامج الثقافية باذاعة القاهرة

عــــــرّاها زاداً لـــــــــــــلأزلِ
ولهاثـــــــــا حـدّق للأجـــــــــلِ
وانقـــــضّ ليشــربَ مِنْ حُـــرقى ! !

***

تتحــــــدّرُ من كفٍّ عُليـــــــــا
خاشـــعة الوخـــزة .. كالدنيـــــــا
سكبتْ لــيَ وهْمــاً يُغريـــــــــنى
وربيـــــعَ ريـــاءٍ ... يَرْويـــــنى
وإذا .. ببقايـــــا تَغْرفُهـــــــــــا
من كلِّ يمـــينٍ تنزِفهـــــــــــــا
لِتَبُـــــلَّ بها صـــدأ البُــــــؤْسِ
وترشَّ علـــى كَمَـــــد النَّفـــسِ
ذلا بغيــــاهبــــــــه أحيـــــا..

***

كالــــرُّوح أتتنَى ، كالبغْتَـــــــــهْ
تتســـاقط حوْلـــى من نَبْتَـــــــهْ
كاذبـــــةِ الرحمـــة ، مُنْبَتَّــــــهْ

تابـــع
الصدقة
المتبرجة

نفـــذَتْ بالحسْـرةِ في كبـــــدى
أغلالاً تقبَــــــعُ كالأبَــــدِ ..
تُعْليِــه ، وتخفِـــضُ نظَراتـــى
وتضـــــىء الـــرِّق بدَعَواتــى
هالاتِ ريـــاءٍ لأخيهــــا ..
ولمَــنْ للأعْـــيُنِ يُعْطِيهـــا
لتجــــوبَ الأرضَ علَــى لفتــه!!

***

حَطَّــتْ ، وسـمِعْتُ لهــا زَجَــلاَ
صَــيَّرنى عَبْــداً مُبتهــــلا
ودُعــاءً مقْهــــورا ، وَجِــلاَ
يدعُــو ليَمين تعطيـــــنى
ولقطـــرةِ ذلٍّ تكويـــنى
وأنــا الظمـــآن إلى حَقِّـــى
فــى دَرْبٍ لا يعــرف رِقِّـــى
ســأواصل خَطــوى لأراهُ . .
حـــراً لا تطـــرفُ عَيْنَــاهُ ..
وســواه لا أعـــرف بَــدلاَ !!



الكويت تمنع الخمر

لفضيلة الشيخ احمد الخميس
المستشار بمحكمة الاستئناف العليا بالكويت

« أصدرت حكومة الكويت قانونا يعاقب كل من باع أو اشترى أو تناول أو قبل التناول أو حاز بأي صورة كانت بقصد الاتجار أو الترويج خمرا أو شرابا مسكرا .

ويعاقب كل من تعاطى فى مكان عام ، أو فى مكان يمكن رؤيته فيه ، أو فى ناد خاص خمرا ، أو شرابا مسكرا ، وكل من جلب الى المكان المذكور الخمر أو الشراب المسكر لشخص بقصد تناوله فيه .

ويعاقب كل من وجد فى حالة سكر بين ، وكل من أقلق الراحة بسبب تناوله الخمر » .

والوعي الاسلامي تحيى الكويت الدولة العربية المسلمة وتأمل أن يحذو حذوها سائر الدول العربية الاسلامية .

فى كل عصر نجد الاسلام آية كبرى ، ومعجزة تدل على أنها فوق مستويات القدرات البشرية ، فجميع أحكامه وسنته ومناهجه وتعاليمه قائمة على أصول راسخة رسوخ الجبال الشامخات ، فمنذ ألف وثلاثمائة وثمانين سنة ونيف ارتفع صوت الاسلام على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعلن للانسانية أن الخمر عدوة العقل والجسم والاخاء ، وأنها أم الخبائث ومصدر الجرائم ومستنقع السموم ، ولقد نزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟ . » وبعد هبوط الوحي بالتحريم القاطع بنص الآية الكريمة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى : يعلن تحريمها على المسلمين فاستجاب المسلمون لذلك وعكفوا على دنان الخمر يكسرونها ويهرقون ما فيها ، وبذا حفظ الله أمة الاسلام من هذا الشر الخطير والوباء العظيم .

واليوم ونحن نستبشر خيرا بما قرره مجلس الامة مستجيبا لنداء الامة ومشاعر الشعب . واليوم ونحن نجد مجلس الوزراء يجتمع متضامنا مع مجلس الامة على منع دخولها الى هذا البلد المسلم لا يسعنا الا أن نرفع أسمى آيات التقدير لمجلس وزرائنا ، ونسأله تعالى أن يجعلهم أبدا ودائما مثالا للخير وسبيلا لاسعاد هذا الشعب الكريم والمحافظة على دينه ومثله وأخلاقه ، وليس بعجيب أن تنتصر ارادة الخير على ارادة الشر ،

وارادة العقل على ارادة الجنون والطيش، وارادة الحياة على ارادة الانتحار .

أيها المسلمون لقد أجمع أساطين الطب ، وأجمع علماء النفس ، وأجمع علماء الاجتماع ، وأجمعت طبقات الناس على أن الخمر طريق للشر ، بل هي الشر والفتنة ، فلا غرابة أن ترتفع أصوات الالوف من الناس فى الكويت المسلمة المؤمنة برسالة القرآن مطالبة بمنع الخمر ، ومن حقها الآن أن تشكر أولي الامر على تلبية النداء ، واجابة طلباتها .

والآن نستطيع أن نقول لكم عودوا الى اسلامكم ، عودوا الى ايمانكم ، عودوا الى ساحات الجهاد الاسلامي والنضال الاخلاقي تعد لكم الكرامة والعزة والالفة والمودة ، واستمعوا الى صوت محمد صلى الله عليه وسلم يقول ((تركتكم على بيضاء نقية . ليلها كنهارها . لا يضل عنها الا هالك)) وذلك مصداق قوله تعالى ((وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) .

أيها الآباء انكم تتحملون متاعب الحياة، وتتعبون ، وتشقون ، وتجاهدون ليلا نهارا ، فاذا مرض أطفالكم ذهب النوم عن أجفانكم ، واذا تأخروا عن موعد الحضور عم قلوبكم الخوف والقلق والذعر ، هؤلاء الابناء الاعزاء حشاشة النفس وأكباد المجتمع لا يصح أن ندعهم فريسة الالحاد وفريسة للخمر ، هؤلاء زهرات حياتنا لا يصح أن نتركهم تفسد عقولهم وأرواحهم وضمائرهم أقدام الكفر والمجون والاستهتار بالاخلاق والقيم ، هؤلاء الاطهار الفطريون لا يجوز أن نتركهم عزلا بدون سلاح ، يعتدى عليهم دعاة الفساد ، ويجرهم زحف الاباحية ، هؤلاء أعز ما نملك أمل أمتنا الباسم ، أمل ديننا وفرقاننا واسلامنا يجب أن نفتح آفاق الثقافة الاسلامية لنقيهم من أضاليل وأكاذيب ما يسمعون .

أيها الوزراء أيها القادة يا من بيدهم مقاليد أمور هذه الامة المسلمة ، أنتم تحكمون شعبا مسلما وأمة مسلمة ، والمسلم وفى لمن يحسن اليه ، والخمر أم الكبائر والآثام وقد عقدتم العزم متضامنين مع مجلس الامة بمنع استيرادها فشكرناكم . شكرتكم النخوة والمروءة ومكارم الاخلاق يا أصحاب المعالي ان من الصفات المميزة للحاكم المسلم أن يكون الاسلام أقرب الى نفسه من الحياة وما فيها قال تعالى ((ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره)) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر)) ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه)) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر)) .

وفق الله المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



للاستاذ عبد العزيز العلي المطوع

الايمان هو منة الله العظمى على عباده المستعدين لاستقباله اذ هو قوة نورانية فاعلة ، تستمدها وتشعها أجهزة صالحة قابلة ، كما تستمد المشاكى الصالحة النور من الكهرباء لتقضي على الظلام ، (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) . والانسان الصالح جهاز صالح ملزم بالاتصال والتفاعل مع النور والخير عن أهلية واستحقاق (والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) ، وعلى العكس من ذلك الخفافيش العمياء عن النور ، والأجهزة الفاسدة التي لا تستقبل النور ولا تشعه (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) . ومن المعلوم أن الأرمد لا يبصر نور الشمس ، ولا يشعر المريض بطعم الماء ولا المزكوم بشذى الورد .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

***

وما ضر الورود وما عليها
اذا المزكوم لم يطعم شذاها

والايمان ضرورى للانسان ، بل انه لفي مقدمة ضرورات الحياة التي لا يستغنى عنها الانسان فى حال من الأحوال ، اذ هو الحب الصادق ، والاخلاص الكامل ، والاطمئنان بكل معانيه ، وهو الجاذبية التي تكون من الأفراد مجموعة صامدة تؤدى رسالتها فى الحياة . والانسان مهما حاول المكابرة فهو مفطور على الايمان بالقوة المبدعة لهذا الوجود والقدرة الأزلية اللانهائية التي يقرها العقل ، ويؤمن بها العلم ، ويخر لها العلماء سجدا ، (انما يخشى الله من عباده العلماء) ، ولذلك أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ليتم نعمه على الناس ظاهرة وباطنة ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولله سنن كونية فى خلقه كسنن النور والظلام ، فالنور يمحق الظلام وعلى قدر ما يخبو من النور يحل الظلام (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) . وتنازع البقاء بين الامم وتنافسها ضروريان لاصلاح الأرض وعمارتها ، ولا بد للعالم

من توحيد كلمته على كلمة التوحيد يوما ما ، (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) .

قصة واقعية تؤيد التقاء الناس على كلمة التوحيد

لقد جمعتني احدى المصادفات مع ملحد يدافع عن الشيوعية ويجادل منكرا الألوهية ، ويحاول تحكيم المنطق فى جدله ، ومما قلت له فى أثناء الحديث : هل تعلم أنك تؤمن بالله شئت أم أبيت ؟ قال : وكيف ذلك ؟ فكان جوابي ، اذا كنت تنكر الألوهية الحقة فبم تؤمن ؟ قال : أومن بالانسان وبالعلم ، فقلت له : انك ترى هذه الأرض وما فيها من خيرات وترى هذا الفضاء وما فيه من ذرات ومجموعات وأسرار ، هل كان لهذا الانسان يد فى ابداع ذلك أو نصيب فى تنظيمه ؟ بل وفى خلق نفسه وتكوين دقائق جسمه ؟ فقال ، لا ، قلت : اذن هناك قوة وراء ذلك أبدعت هذا الوجود ونظمته ، وهذه القوة هي الله الذى نؤمن به ونعبده ، اذ اننا لا نعبد جرما محدودا فى زاوية من زوايا الكون الواسع ، بل نؤمن بالقوة اللانهائية التي لم يكن هذا الكون بالرغم من سعته الا جزءا من اجزاء مخلوقاتها ، وحلقة فى قبضتها فقال : الطبيعة هي التي أوجدت الكون ، فقلت : اننا نعبد القوة الخفية التي أوجدت هذا الكون فان سميتها الطبيعة ، فنحن نسميها الله ، ولا خلاف بيننا الا بالتسمية، ولا شك انك تشاركني فى ان المبدع المنظم خالق العقل والسمع والبصر وسائر الطاقات لا بد وان يكون سميعا بصيرا قادرا عالما موصوفا بجميع صفات الكمال التي تنبغي لهذا المبدع الجبار العظيم ، أما اذا قلت كما يقول الآخرون : أن الطبيعة صماء عمياء عاجزة، فاعلم ان فاقد الشيء لا يعطيه ! .

واغتنمت فرصة سكوته مبهوتا ، فعرجت على موضوع الشيوعية وبادرته بقولي : ان الشيوعية فى نظرى متأخرة كثيرا عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هي فى طريقها الى ذلك وسوف تلتقى معنا اذا كانت المصلحة رائدها كما يدعي مؤسسوها وذلك بعد ما يمر عليها من تضحيات مريرة وتجارب قاسية ، بدليل أن الشيوعية تتضمن أمرين كما يقولون ، **الأول :** نفي الألوهيات، **والثاني :** التطور مع المصلحة .

والاسلام سبقها الى ذلك ، حيث أن مفتاح الايمان عندنا هو لا اله الا الله ، اذ بنصف الجملة الأولى (لا اله) نفي الألوهيات فى كل ما اتخذه الانسان من عبادة أخيه الانسان حيا فى صومعته أو قصره أو ميتا فى تمثاله أو قبره ، وغير ذلك من عبادات النور والنار والكواكب والبحار والأحجار والحيوان والأشجار ، وبنصف الجملة الثاني (الا الله) ، استثناء للقوة الأزلية القادرة العالمة المبدعة .

وكل ما قاله لي محدثي بعد ذلك : ان كان هذا هو الاسلام ، فالعقل يقبله وهو ضالة العلماء والحيارى ، ولكني أرى أعمال المسلمين تخالف ذلك ولا تظهر الاسلام بهذا المظهر المقبول لأن الكثيرين ينظرون الى العقيدة من خلال أعمال اتباعها الذين هم ثمراتها .

قلت له : معك حق فى ذلك ، ولكن أرجو أن لا يغيب عن بالك أنه قد اندست على هذا الدين فئة من ألد أعدائه بقصد تشويه الحقائق فيه فكان لهم نصيب مما أرادوا ، فكنا كما ترى نهبا بين الأمم ولكن السر فى صمودنا رغم ذلك ، أن كل منتصر علينا اذا لم يذب فينا فلا

نذوب فيه والمغول والأتراك قد اعتنقوا ديننا رغم انتصاراتهم علينا ، ولم تستطع فرنسا اذابة الشعب الجزائرى فيها رغم اعتبارها الجزائر جزءاً من فرنسا طيلة مائة وثلاثين سنة ، وجعلها اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية ولغة المدارس فيها ، ولا بد لنا بعد هذه الفترة المريرة والبلاء العظيم من عودة الى النهج القويم والصراط المستقيم لتستهدى الدنيا برسالتنا الحقة المثلى ، واني اعتقد بانك تشاركني الرأى بان اتحاد المسلمين سيكون هو القوة الفاصلة بين معسكرى الشرق والغرب ، المرجحة للجانب الذى ترضى عنه ، وعقيدتنا الوسطى بين الرأسمالية والاشتراكية ومركزنا الاستراتيجي الوسط وثرواتنا الطبيعية ، كل ذلك يؤهلنا لنكون الأمة الوسط ويخاطبنا قرآننا العظيم موجها ايانا لهذا المركز الهام بقوله : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

قال محدثي : فليكن ذلك وليلتقي العالم شرقه وغربه فى النقطة الوسط ، وبذلك الخير للعالم لو تم ، ولكن متى ؟ فقلت له أرجو أن يكون ذلك قريبا ، وليس بيننا وبين ذلك الا أن يصلح الفرد فيصلح المجموع ، لأن الميدان الأول لكفاح الانسان نفسه .

ومن خلال هذه المحاورة ، يظهر أن أبعد أهل العالم عن الايمان باله يلتقون مع كلمة (لا اله الا الله) ، فكيف بأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لا سيما وأن الفاتيكان منذ عهد البابا « بيوس الثاني عشر » وهو يمهد للاعتراف بالاسلام كدين سماوى جدير بالحياة ، والآية القرآنية الآتية تؤيد ذلك (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) والآية الثانية (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقوله جل شأنه (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

وهذا ما حدا بي الى التنبيه لمقاييس الايمان الخالي من شوائب الردة التي هي الرجعية والجاهلية ، ليعرض كل فرد منا نفسه على هذه المعايير كي يضمن لنفسه الفوز ولأمته النصر ويكون جديرا بهذا الوعد العظيم ممن لا يخلف الميعاد ومن كفر فان الله غني عن العالمين (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

فلو صدقنا الله لصدقنا فتلك سنة كونية ولن تجد لسنة الله تبديلا .

مقاييس الايمان

يقول المولى عز وجل مخاطبا الذين آمنوا من الرعيل الأول فى المدينة المنورة وكل مؤمن بعد ذلك الى آخر الأزمنة مبينا مقادير الايمان ومعايير الرجحان

والخسران بهذه الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) ... نعم .. هذه صفات المؤمن الموعود بالاستخلاف فى الأرض وهي صفات خمس .

الأولى : الحب من الله ولله وفي الله ، ومن حب الله اتباع رسله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

الثانية : ذل المؤمن على أخيه المؤمن عن حب وتكافؤ لا عن ضعف أو خوف والمقصود به هو التواضع وخفضه الجناح لأخيه المؤمن ، يقول المولى سبحانه مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ويأمر سبحانه المؤمن بخفض الجناح للوالدين بقوله (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)أى لا من الضعف ولا من الخوف.

الثالثة : عزة المؤمن على الكافر ، والكافر هو الجاحد لله ورسله وكتبه واليوم الآخر عن عمد ومكابرة ، وهو لغة الذى يوارى الحق بالباطل عن قصد ، لهذا قيل فى الزراع انهم كفار لأنهم يغطون الحب بالتراب والكفر (بفتح الكاف) هو المزرعة وتستعمل هذه الكلمة حتى يومنا هذا فى بعض البلاد العربية ، والعزة المطلوبة هي العزة الرشيدة الحكيمة التي لا يخالطها بغي أو كبرياء .

الرابعة : الجهاد فى سبيل الله ، وهو شرط من شروط الايمان ، حيث لا عزة لأمة بدون جهاد ولا كيان لها بدون منعة ودفاع .

الخامسة : المؤمن الكامل الايمان لا يخاف فى الحق لومة لائم .

هذه هي المقاييس الخمسة التي يجب على المؤمن عرض نفسه عليها لمعرفة مقدار حقيقة ايمانه والشوائب التي تشوب ذلك من ردة أو رجعية نتيجة لما ينقصه من هذه الصفات ، ولقد عرض الرعيل الأول نفسه عليها فنجح وسادت رسالته جزءاً كبيرا من العالم وشع نورها على الدنيا بأسرها ، أما نحن فدرجاتنا دون النجاح ، ولا شك ، واذا كان هناك تفاوت بيننا فهو بمقدار درجات السقوط ، اذ علامة النجاح العزة الكاملة التامة ، والجهاد الكامل ، وميراث الأرض وخلافتها باتحادنا ، وسيادة فكرتنا ، وقد آن الأوان لأن يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ليتبدد الظلام بانبثاق النور من مشاك صالحة ، ويزهق الباطل بظهور الحق على أيد عاملة ، ويعم العالم الخير والسلام .

وما من شك فى أن واجب العرب فى هذا المضمار كبير ومسؤوليتهم عظيمة وباتحادهم وعزتهم عزة للاسلام مصداقا لمأثور القول : « لا يعز آخر هذه الأمة الا بما عز به أولها » ، فقد جعل الله ختام الرسالات الربانية والكتب السماوية فينا ، وفي لغتنا ، واصطفانا لذلك بقوله سبحانه : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) .

اللهم ايت بهم واجعلنا منهم — والسلام على من استنار بالحق فاستهداه وعرف واجبه فأداه ورحمة الله وبركاته



رعاية المصلحة في الشريعة الاسلامية

الدكتور عبد الكريم زيدان
مدرس الشريعة الاسلامية
بكلية الحقوق بجامعة بغداد

١ ـ تمهيد

من خصائص الشريعة الاسلامية انها عامة فى المكان والزمان ، بمعنى انها عامة لجميع البشر فى كل مكان وزمان ، وبهذا نطق القرآن الكريم ، قال تعالى : ((قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)) (١) وقال : ((وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا))(٢) وعموم الشريعة الاسلامية غير مقصور على عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، بل هو يمتد الى يوم القيامة ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين . قال تعالى : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ... (٣) وبختم الرسالة والنبوة انقطع الوحي . وبانقطاع الوحي أمتنع نسخ الشريعة ، لان الشريعة الاسلامية وهي وحي الله لا ينسخها الا وحي الهي ، وحيث لا وحي بعد رسول الله فلا يتصور نسخها ولا تبديلها ...

واذا كان ما قدمت يعتبر من الامور الواضحات ، فان من لوازم ذلك ان تكون الشريعة الاسلامية ذات قابلية للبقاء والعموم ، محققة مصالح الناس فى كل زمان ومكان ، اذ لا يجوز فى العقل ان تكون الشريعة كما وصفنا وهي عاجزة عن مصالح العباد ...

٢ ـ ابتناء الشريعة على رعاية مصالح العباد .

يقول الفقيه الشجاع العز بن عبد السلام « ان الشريعة كلها مصالح اما درء مفاسد او جلب مصالح (٤) ويقول الامام الكبير ناصر السنة النبوية شيخ الاسلام ابن تيمية : ومعلوم ان الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان » (٥) .

ويقول أيضا : « فان الله تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها (٦) .

---

١ ـ سورة الاعراف الآية ١٥٨ ٢ ـ سورة سبأ الآية ٢٨. ٣ ـ سورة الاحزاب الآية ٤٠.
٤ ـ قواعد الاحكام للعز بن عبد السلام ج١ص (٩١) .
٥ ـ منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ١٤٧ . ٦ ـ منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٠ .

« هـذا البحث يبين للقارىء الى أى حد راعت الشريعة المصلحة العامة ويكشف عن قدرتهـا على معالجة المشاكل المستجدة .. هذا أمر مسلم به عنـد الجميع . والذى نوده أن تكون هناك خطوة ايجابية لاستعمال هذه القاعدة فى علاج المشاكل الحديثة التى نجابهها الآن وتتعدى بذلك نطاق البحث التاريخى الى علاج الواقع .. والمجلة ترحب بكل بحث فى هـذا الصدد وتعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك الى ما يحتاجه المسلمون الآن » . « الوعي الاسلامي »

ويقول الفقيه المحقق ابن قيم الجوزية: « ان الشريعة مبنـاها واساسها على الحكم ، ومصالح العبـاد فى المعاش والمعاد » (١) .

ويقول الامام الشاطبي : (والشريعة ما وضعت الا لتحقيق مصالح العباد فى العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم (٢) .

فهذه النقول عن هؤلاء الائمة الاعلام ، صريحة فى ان الشريعة بنيت على أساس رعاية مصالح العباد فى الدنيا والآخرة ، وسواء أكانت هذه المصالح جلب منافع، أم درء مفاسد لان درء المفاسد وجه من وجوه المصلحة .

٣ ـ أدلة ابتناء الشريعة على رعـاية المصالح .

وما ذهب اليه هؤلاء العلماء هو الحق عين الحق ، وعليـه يدل اسـتقراء النصوص ونهج المشرع فى تشريعه الاحكام، وتشـهد له أصول الشريعة المقطوع بصحتها ونذكر من ذلك على سـبيل التمثيل لا الحصر ما يلى : ـ

أ) جاء فى القرآن الكريم فى تعليـل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم « وما ارسلناك الا رحمـة للعالمين » (٣) ومـن الواضح ان الرحمة هذه تتضمن رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم .

ب) تعليل الاحكام بجلب المصلحـة ودرء المفسدة اعلام للمكلفين بأن تحصيل المصالح هو مقصود الشارع الحكيـم ، وان الاحكام ما شرعت الا لهذا الغـرض فمن ذلك قول الله تعالى « ولكـم فى القصاص حيـاة يا أولي الالباب لعـلكم تتقون (٤) فتشريع القصاص مصـلحة مؤكدة للناس ، لأن فيه زجراً وردعا لمن تسول له نفسه الاعتـداء على أرواح الناس ، فتحفظ حياتهـم بذلك وقول الله تعالى فى تعليل النهي عن الخمـر والميسر : « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العـداوة والبغضـاء فى الخمـر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعـن الصلاة فهل انتم منتهـون (٥) فالنهى عن الخمر والميسر يحقق مصلحة مؤكدة هي دفع ما يريد الشيطان ايقاعه بـين المسلمين من عداوة وبفضاء وصـد عن ذكر الله وعن الصلاة . . . .

---

١ ـ أعلام الموقعين لابن القيم ج ٣ ص ١ .
٢ ـ الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ٣٧/٦ .
٣ ـ سورة الانبياء الآية ١٠٧ .
٤ ـ سورة البقرة الآية ١٧٩ .
٥ ـ سورة المائدة الآية ٩١ .

ج) من أصـــول الشريعة المقطوع بصحتها رفع الحرج عن الناس وارادة اليسر بهم ودفع العسر عنهم ، قال تعالى: (يريد الله بكـــم اليسر ولا يريد بكـم العسر) (١) . وقـال تعالى : « يريد الله ان يخفف عنكـــم وخلق الانسان ضعيفا » (٢) وقال عز وجل : « ومـا جعل عليكم فى الدين من حرج » (٣) ولا شك ان رفع الحرج والعسر وارادة اليسر بالعبـــاد والتخفيف عنهم كل ذلك من مظاهر رعايـة المصـــلحة فى التشريـع الاسلامي .

د) تشريع الرخص بالنسـبة لذوى الاعذار كالمرضى والمسافرين والمضطرين والمكرهين وجه بارز من وجوه رعـــاية المصلحة وعدم ارهاق الناس ، فالمريض يفطر فى رمضان ، وكذا المسافر ، والمكره على كلمة الكفر لا يكفر بقولها ، والمضطر يباح له تناول المحرمات مـن مطعوم أو مشـــروب لان الضـــرورات تبيـــح المحظورات . . .

هـ) وتشريع الاحكام فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بنهج التدرج فلم تأت أحكامه دفعة واحدة وانمـــا جاءت متدرجة من حيث زمان تشريعها ، ومن حيث انواعها رعاية لمصالح العباد ورفع الشقة عنهـــم ، وترويضهم على تقبل الاحكام شيئا فشيئا .

٤ ــ بين الشريعة والقوانين الوضعية .

واذا كانت الشريعة الاسلامية قـــد راعت بجميع احكامها مصالح العبـــاد ، وان القوانين الوضعية من أسس وضعها مراعاة مصالح الناس ، فان بين الاثنين مـــع ذلك فرقين جوهريين لا يجوز اغفالهما .

الاول :

ان القوانين الوضعية لا تهتـــم الا بمصالح الناس فى الدنيا ولا يمتد نظرها الى ما وراء هذه الحياة . اما الشريعـة الاسلامية فهي تنظر الى مصالح العباد فى الآخرة ــ وهي الظفـــر بنعيم الجنة ، والنجاة من عذاب النار ــ هي الأهـم والاكثر رعاية فى الشريعة الاسلامية لانها هي الباقية اما مصالح الدنيـــا فهي الفانية وشتان بين ما يفنى وما يبقى . *

الثاني :

أن القوانين الوضعية قاصرة عـــن تحقيق المصالح على الوجه الاكمـــل المطلوب ، لان واضعهـا بشر والبشر لا ينفك عن الجهل والهوى ونقص الادراك ، فقد يرى ما هو مفسدة مصلحة وما هو مصلحة مفسدة فيشرع من الاحكام مـا يفوت المصلحة ويجلب المفسدة .

وقد يدرك المصلحة ولكن ما يشرعه من احكام يقصر عن تحصيلهـــا وسر المسألة أن صفات الصـــانع تظهر على صنعته ومصنوعه ، وحيث أن الانسان مهما يكمل فهو ناقص ومهما يصف فهو لا يخلو من هوى ومهما يؤت من علـــم فهو قليل . فان هذه الصفات تنعكس

١ ــ سورة البقرة الآية ١٨٥ . ٢ ــ سورة النساء الآية ١٣ .
٣ ــ سورة الحج الآية ٧٨ .

* **المجلة . . . .**

هذه وجهة نظر . . . ولكن هناك وجهة نظـــر أخـــرى تعتبر ان ما خصصه الله من ثواب فى الآخرة للمحسنين وعقاب للمسيئين انما هو لتحسين أعمال العباد فى الدنيا وصرف هممهم الى السعي لتحقيق مصالحهم وتحسين ســـلوكهم . وجزاء الآخرة أهم وأبقى .

على ما يشرعه ... اما شريعة الاسلام فهي من صنع الله جل جلاله مبرأ من كل نقص فله الكمال المطلق ، فما يشرعه من احكام يأتى مبرأ من النقص والهوى ، صالحا للعباد ، محققا لهم الخير والفلاح، لانه من صنع الخالق العظيم العالم بما يصلح لعباده « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٤) .

٥ ــ المصلحة دليل من ادلة الاحكام .

والشريعة فى منهجها فى التشريع وبناء الاحكام على المصلحة ، قد دلت على ان رعاية مصالح الناس دليل من أدلة استنباط الاحكام ، وهذا ما فهمه علماء الاسلام فجعلوا المصلحة أصلا من اصول استنباط الاحكام فكل مصلحة تظهر وليس لها حكم فى الشريعة فان الشريعة الاسلامية تأذن للمجتهدين بتشريع الحكم الملائم لتحقيقها وعلى هذا الاساس سار فقهاء الصحابة الكرام فى استنباط الاحكام دون انكار فيكون ما ذهبوا اليه اجماعا سكوتيا والاجماع حجة ... فأبو بكر رضى الله عنه جمع القرآن لما رأى المصلحة فى ذلك ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى قتل الجماعة بالواحد ، واتخذ السجن ، ودوّن الدواوين ، وقاسم ولاته فى أموالهم التي اكتسبوها بجاه السلطة وجعلها لبيت المال وعلي رضى الله عنه قال فى تضمين الصناع ما يهلك فى أيديهم من اموال الناس « لا يصلح الناس الا ذاك » الى غير ذلك من اجتهادات الصحابة المبنية على المصلحة (١) .

٦ ــ ولا يعكر ما قلناه من اعتبار المصلحة أساسا للاستنباط اختلاف الفقهاء فى حجية المصلحة وصلاحيتها لاستنباط الاحكام ، فان هذا الخلاف يحكي فى كتب أصول الفقه على نحو واسع ، ولكن لا نجد آثاره بهذه السعة فى كتب الفقه ، فالفقهاء المنسوب اليهم انكار حجية المصلحة وجدت لهم اجتهادات قامت على أساس المصلحة كما سنذكره بعد قليل ولكن مما لا ريب فيه ان هناك فريقا من الفقهاء أنكر على المصلحة صلاحيتها لابتناء الاحكام عليها ، ولكن هذا الفريق من الفقهاء محجوج بنهج الصحابة القويم فى رعاية المصلحة . وبما قلناه عن ابتناء الشريعة على رعاية المصلحة واما ما احتجوا به فى انكارهم حجية المصلحة فى استنباط الاحكام من ان الشارع الحكيم شرع لعباده ما يحقق مصالحهم، وانه لم يترك مصلحة بلا تشريع والا كان ذلك قدحا فى الشريعة ومناقضا لقول الله تعالى « ايحسب الانسان ان يترك سدى » (٢) .

فان هذه الحجة ضعيفة لا تنهض دليلا لانكارهم . فالشريعة حقا ، قد راعت مصالح العباد ، وشرعت من الاحكام ما يوصل اليها ، ولكنها لم تنص على جميع جزئيات المصالح الى يوم الدين وانما نصت على بعضها ، ودلت بمجموع احكامها على ان المصلحة هي مقصود الشارع وغرضه من الاحكام ، وان للمجتهدين ــ بناء على ذلك أن يستنبطوا الاحكام لتحقيق المصالح المستجدة والمسكوت عنها . وهذا المسلك من الشريعة فى عدم النص على جميع جزئيات المصالح من محاسن

---

١ ــ سورة تبارك الآية ١٤ ...
٢ ــ الطرق الحكيمة لابن القيم ص ١٤ وما بعدها .
٣ ــ سورة القيامة الآية ٣٦ .

الشريعة لا من مثالبها ومن دلائل صلاحيتها للبقاء والعموم لان جزئيات المصالح تتغير وتتبدل ، وان كان اصل رعاية المصالح قائما ثابتا لا يتغير ، فليس اذن من الضروري عدّ جزئيات المصالح مقدما وتشريع حكم خاص لكل واحدة منها على حدة . وعلى هذا فاستنباط الاحكام على اساس المصلحة لا يكون افتئاتا على حق الشارع العظيم في التشريع ولا يدل على ترك الخالق لعباده سدى ، لانه هو الذي أرشدنا الى رعاية المصلحة والاخذ بها .

والحكم المستنبط على اساسها هو من احكام الشريعة وما عمل المجتهد في هذا النوع من الاجتهاد الا من قبيل الكشف عن حكم الشريعة لا من قبيل التشريع ابتداء .

٧ ـ ضوابط الاخذ بالمصلحة .

والاخذ بالمصلحة ، والاعتداد بها ، واعتبارها من مصادر التشريع لا يكون خلوا من كل قيد مطلقا من كل ضابط . فالواقع ان العلماء وضعوا ضوابط للمصلحة المعتبرة التي تكون اساسا للاستنباط ، فاشترطوا لها ان تكون ملائمة لمقاصد الشارع فلا تخالف أصلا من اصوله ، ولا نصا من نصوصه ، بل يجب ان تكون من جنس المصالح التي قصد الشارع تحصيلها او قريبة منها ليست غريبة عنها . كما اشترطوا لها ان تكون معقولة بذاتها بحيث لو عرضت على اصحاب العقول السليمة ، لتلقتها بالقبول وفضلا عن ذلك ، اشترطوا أن تكون المصلحة مؤدية الى حفظ ما هو ضروري وهو حفظ الدين او النفس او العقل او العرض او المال ، او تحقيق رفع الحرج عن الناس(١) .

وبناء على هذه الضوابط فكل اجتهاد او قول او افتاء او رأي بني على مصلحة متوهمة مخالفة لنص شرعي ، لا يكون هذا الاجتهاد الا باطلا ، لانه اجتهاد في معرض النص والقاعدة الفقهية تقول (لا مساغ للاجتهاد في معرض النص) (٢) ومن هذا النوع من الاجتهادات الباطلة القائمة على مصالح متوهمة ما ذهب اليه بعض الناس من جواز تحريم تعدد الزوجات او مساواة الذكر والانثى في الميراث او اشتراط اذن القاضي لصحة وقوع الطلاق ...

٨ ـ أمثلة من اجتهادات الفقهاء المبنية على المصلحة .

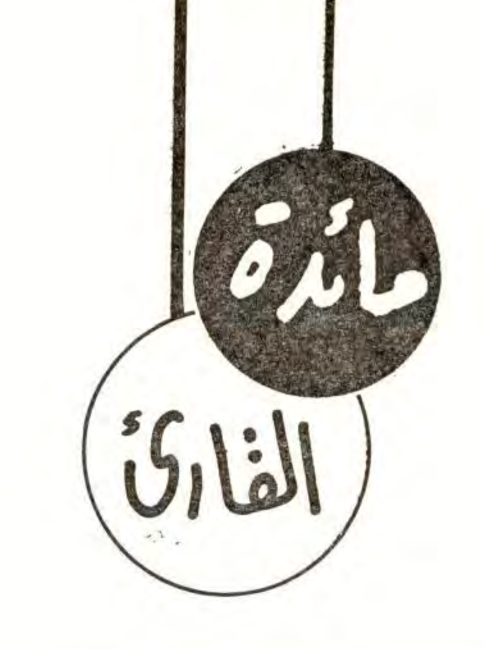
أفتى المالكية بجواز فرض الضرائب على الافراد القادرين عند الحاجة وضعف بيت المال ، فقد جاء في تهذيب الفروق « توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ، ولا شك عندنا في جوازه وظهور مصلحته في بلاد الاندلس وفي زماننا لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين سوى ما يحتاج اليه الناس وضعف بيت المال عنه ... الى آخر ما قال (٣) واجازوا شهادة الصبيان

البقية على ص ٥٥

١ ـ الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٣٠٧ ـ ٣١٤ وكتاب الامام مالك لاستاذنا الشيخ محمد ابي زهرة ص ٤٠٢ .

٢ ـ كتابنا المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص٩٥ .

٣ ـ تهذيب الفروق والقواعد السنية في الاسرار الفقهية للشيخ محمد علي بن الشيخ حسن مفتي المالكية ، وقد نقل المؤلف ما ذكرناه في الصلب عن الشيخ المالي المالكي بعد ان ذكر عن الشاطبي انه ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس عند الحاجة ج ١ ص ١٤١ .



عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قـــال سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول : قال الله تعالى : « يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ..

يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقـرابها مغفـرة » .

«رواه الترمذي .. وقال حديث حسن صحيح»

« ما عرف التاريخ حاكما أعدل ولا أرحم من العرب »

« جستاف لوبون »

المصلح

« ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ فهذا سهل ميسور حتى للحمقى ، ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده »

« مصطفى صادق الرافعي »

لا تبكوا علي

مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب سنة ٢٠ هـ فى خلافة عمر بن الخطاب وكان قد حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام وعندما حضرته الوفاة قال لمن حوله : « لا تبكوا علي فانى لم انتطف بخطيئة منذ أسلمت » .

أشباه رسول الله

كان فى بنى عبد مناف خمسة رجال يشبهون فى خلقتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) ابن عمه جعفر بن عبد المطلب قال فيه الرسول : (اشبهت خلقى وخلقى) .
(٢) ابن عمه وأخوه فى الرضاعة أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .
(٣) ابن عمه قثم بن العباس وقد استشهد وهو يجاهد فى سمرقند ودفن فيها .
(٤) السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم جد الامام الشافعي .
(٥) حفيده الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهما .

كيف يكون التواضع

قال بكر بن عبد الله :

« اذا رأيت من هو أكبر منك ، فقل : سبقني الى الايمان والعمل الصالح . واذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقته الى الذنوب فهو خير مني . واذا رأيت اخوانك يعظمونك ويصفونك فقل : هذا فضل أحدثوه . واذا رأيت منهم تقصيرا فقل : هذا ذنب أحدثته » . .

وفـاء

قام صلى الله عليه وسلم على الصفا يدعو الله بعد الفتح فأحدقت به الأنصار وقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها . فلما فرغ من دعائه سألهم عما كانوا يقولون فأخبروه، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الانصار المحيا محياكم والممات مماتكم » .

أين المفر ؟

تمثل معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموت لا منجى من الموت والذى نحاذر بعد الموت أنكى وأفظع

ثم قال ــ

« اللهم فأقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وعد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ، ولم يثق الا بك ، فانك واسع المغفرة ، يا رب : أين لذى الخطأ مهرب الا اليك »

انما يعرف الفضل ذووه

علم سفيان الثورى فى مكة بان امام أهل الشام عبد الرحمن الأوزاعي قادم الى مكة . فخرج منها يستقبله حتى لقيه بذى طوى فأخذ بزمام بعيره ووضعه على رقبته وسار به . وكان اذا مر بجماعة يشغلون الطريق قال : الطريق للشيخ .

من أنت فتزار ؟

دخل رجل على داود الطائي ، فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : زيارتك .

فقال : أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت . ولكن أنظر ، ماذا ينزل بي اذا قيل لي : من أنت فتزار ؟ أمن الزهاد أنت ؟ لا والله . أمن العبّاد أنت ؟ لا والله . أمن الصالحين أنت ؟ لا والله .

ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقا ، فلما شخت صرت مرائيا . والله للمرائي شر من الفاسق.



والمعاملات المصرفية

-٢-

للدكتور محمد عبد الله العربى

عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

« تحدث الدكتور العربى فيما نشر من مقاله بالعدد السابق عن المضاربة الشرعية وعن حكم ما تأخذه البنوك من فائدة نظير ما تقدمه من قروض وما يمكن أن يترتب على عملية البنوك هذه من منافع أو مضار .. وهنا يكمل حديثه عن هذا الموضوع ثم يتقدم بما يراه من اقتراحات » .

ان الثابت بحكم الواقع المعاصر هو ان البنوك ـ بالدور الذي تقوم به فى احلال الائتمان المصرفي محل العملة النقدية اعتمادا على رصيد الودائع التي لديها واطمئنانها الى استمرار تدفقه ـ تؤدى للمجتمع نفعا فى تيسير التعامل التجاري ، ولكنها فى الوقت نفسه تلحق به ضررا بليغا ، ينشأ على الاخص من مصدرين : ـ الاول ما تصيبه هي من غنى غير مشروع بسبب حصولها المحتوم على فوائدها المقررة على المقترضين ، واجتنابها المساهمة فى مخاطر مشروعاتهم . الثاني ميلها فى اوقات الرخاء الى التوسع فى الاقراض بفتح الاعتمادات التي تربو على رصيدها اضعافا مضاعفة ، وميلها فى اوقات الركود الى التضييق فى الاقراض او الكف عنه خوفا من احتمالات الخسارة والعمل على استرداد قروضها وارغام المقترضين على السداد ، فهذا البسط والقبض الذى تتحكم فيه ارادة القائمين على البنوك ، هو من أهم العوامل التي تهز الكيان الاقتصادي ، وتفضي الى تتابع الازمات .

فالبنوك فى المجتمعات الراسمالية ، بتمويلها للمشروعات عن طريق ارصدة الودائع تستحدث نفعا وتستحدث ضررا فى آن واحد . والنظام الاسلامي حريص كل الحرص على اتقاء الضرر ودفعه ، واجتلاب النفع واستبقائه . فكيف نهتدي بالاصول الاسلامية فى مواجهة هذا الموقف ؟

وهذا هو اقتراحنا ، نستند فيه الى القاعدة الاصولية فى « الاصلاح الاجتهادي » اقتراح يحتمل الخطأ والصواب ، نعرضه فى جملته لاستبانة وجه الحق فيه : ـ

الودائع النقدية التي يوعها الافراد فى البنوك على نوعين : ـ

النوع الاول : ـ الودائع التي تودع بقصد الاحتفاظ بها فى مكان أمين ، ويجري المودع السحب منها تباعا . وهذا ما يسمى فى العرف المصرفي بالحساب الجاري ، « ودائع تحت الطلب » وهذه لا تدفع عنها البنوك اية فائدة الا فى النادر الذي لا يقاس عليه وتحصل عليها عمولة مقابل تكاليف الحفظ وتكاليف الرصد فى الدفاتر ... الخ .

هذا النوع من الودائع يخرج عن موضوع بحثنا ، اذ لا تجري عليه فائدة للمودع .

أما النوع الثاني من الودائع : ـ فهو الذي يكون ذا أجل معلوم ، اى ليس تحت الطلب الابعد فترة معينة يحددها المودع عند ايداعه ، ولذايملك البنك التصرف فيه خلال هذه الفترة على ان يرد مثله عند انقضائها . وهنا يقرر البنك للمودع فائدة على المبلغ المودع منه على هذا الوجه ، فائدة ضئيلة تتراوح بين ١/٢ و ٣/٤ و ١٪ على الاكثر من رأس المال المودع . وبالمبالغ التي تتجمع من هذه الودائع يقوم البنك بالاقراض منها بفائدة مرتفعة لعملائه الذين يسددون للبنك أصول قروضهم مع الفوائد المفروضة عليهم ويكرر البنك هذه العمليات تباعا ، فالقروض تخرج من هذا الرصيد تباعا وترتد اليه تباعا .

هذه العمليات ـ سواء من المودع الذي يكسب فوق اصل ماله فائدة منخفضة السعر ، او من البنك الذي يقرض عملاءه ويكسب فوق اصل القرض فائدة مرتفعة السعر ـ وهي فى رأيي عمليات ربوية، فالزيادة فى أصل المال جاءت بغير مساهمة من المودع أو من البنك فى مخاطر اى استثمار بل تحملها المقترض وحده فيما باشره من استثمار مكنه من أداء الفائدة المفروضة عليه ، ولم يكن فى نية المودع وهو يودع ماله فى البنك ، ولا فى نية البنك وهو يقرض عملاءه أن يساهما فى هذا الاستثمار بطريق توكيل المقترض فى مباشرة الاستثمار نيابة عنهما ، فانه يمنع قيام هذه النية عندهما انهما لم يعتزما من البداية المساهمة فى مخاطر هذا الاستثمار ، بل كان تقديم رءوس الاموال الى المقترضين ـ من المودعين بطريق غير مباشر ،ومن البنك بطريق مباشر ـ على اساس اداء فوائد معينة ، سواء نجحت المشروعات موضوع القرض أو فشلت .

كيف نستعيض عن هذا كله باجراءات تكفل نفعه ، وتدفع ضرره ، وتمحق اثمه ، وتستقيم مع حكم الشرع الاسلامي ؟

الآن نتقدم باقتراحنا ونلخصه على الوجه الآتى : ـ

١ ـ الودائع ذات الاجل ـ أى ودائع النوع الثانى السالف الذكر ـ التى يودعها الأفراد لدى بنك أو أى مؤسسة مالية بأى اسم تسمت يودعونها بنية توجيهها واستغلالها فى استثمارات مشروعة فيكونون بذلك هم « رب المال » فى عقد « المضاربة » والبنك من جانبه (او المؤسسة) يكون هو « المضارب » فى هذا العقد ، ثم يمضى البنك فى استثمارها بتوجيهها بدوره فى المشروعات التي يتخيرها ، أى ان عقد المضاربة اتخذ هنا الصورة المطلقة التي اشرنا اليها من قبل ، والتي تجيز للمضارب ان يوكل مضاربا آخر من باطنه فى هذا الاستثمار .

والبنك يعتبر جميع الودائع التي لديه رصيدا متجدد الامتلاء ـ بحسب توالى ايداع الودائع وخروج القروض منها ثم ارتداد هذه القروض الى اصول الودائع عند السداد ـ ويضم البنك الى رصيد الودائع ما يكون نقدا سائلا من رأس ماله . ويجعل من هذين المصدرين رصيدا

مشتركا ، يقدمه قروضا واعتمادات الى افراد او هيئات تباشر او تعتزم مباشرةمشروعات استثمارية او التوسع فى مشروعاتهم القائمة .

ويساهم البنك مع اصحاب هـــذه المشروعات فىالربح المرتجى وفى الخسارة المحتملة بنسبة يتفــق عليهـا الطرفان ، وتحديد هذه النسبة موكول الى فطنة القائمـــين على البنـــك والى محض اختيارهم .

١ ــ هذه المشروعات الاستثماريـــة بعضها قد ينجح نجاحا كبيرا ، وبعضها قد ينجح نجاحا معتدلا ، وبعضها قــد يفشل فلا يأتي بأى ربح ، وقد تتغير هذه النتائج من سنة الى اخرى ففي كل سنة مالية ، أو اذا استقر العــرف المصرفي على اجل أقصر ، يقوم البنــك أو المؤسسة المالية بتسوية شــاملة بين أربــاح وخســائر جميــع المشروعــات الاستثمارية التي وظف فيهــا اموالا من هذا الرصيد المشترك .

والصافي بعد هذه التسوية يخصم البنك منه أولا مصاريفه العمومية بما فيها الاحتياطيات القانونية . ثم يحدد نصيب الربح الذى يستحقه حملة أسهم البنك . ثم يوزع الباقي على المودعين بنسبة مبالغ ودائعهم ، والأجل الــذى بقيته هذه الودائع فى حوزة البنـــك وساهمت بمقتضاه فى هذا الاستثمار .

وليس من المتعذر ــ من وجهة الفن المالي ــ تدبير معايير عادلة تهتدى بهــا البنوك فى اجراء تفصيلات هذه التسوية بين الأرباح والخسائر ،وتفصيلات توزيع هذا الصافي بين مستحقيه ــ من حملة اسهم البنــك والمودعــين ــ بنســـبة استحقاقهم .

وهذا أيضا اشتقاق سليم من عقــد « المضاربــة » الــذى اجــازه الشرع الاسلامي .

هذا مجمل اقتراحي فى هذه الناحية من نشاط البنوك والمؤسسات الماليــة المماثلة . ولا أنكر أنه فى التنفيذ العملي يخالطه بعض التعقيد . فلا شــك ان النظام القائم فى البنوك الآن ــ من تحديد فائدة معلومة للمودع وتحصــيل فائدة معلومة من المقترض ــ أيسر فى التنفيذ. ولكن شيئا من التعقيد يعدل البعد عن شبهة الربا والنجاة من آثامه ، على ان هذا التعقيد الذى يخشى منه فى البداية سوف يتضــاءل تدريجيــا ، ويجــرى تبسيطه شيئا فشيئا ، كلما درجت عليه البنوك ، ورسمت له المعايير الواضحة ووسائل التبسيط الملائمة ، وكلما ألفه الناس عامــا بعد عــام فى معاملاتهـــم المصرفية .

ولا نــرى حرجا (تطبيقــا لقاعــدة الضرورات تبيح المحظورات) فى تدبير فترة انتقــال ــ لتكن خمس ســنوات مثلا ــ يتحول فى خلالها نظامنا المصرفي ــ فى مباشرته لهــذه الوظيفة بالذات ــ من الوضــع القائم الى الوضع المقترح ، حتى تنتهي الارتباطات القائمــة وحتى تهيأ الترتيبات الفنية والتنفيذية الملائمة.

الى هنا كنا نعالج « الفائدة » مــن حيث فرضها على قروض انتاجيـــة تتقدم بها البنوك الى عملائها ، لتعاونهم بها فى ميادين الانتاج .

القروض الاستهلاكية

وبقي الآن ان ننظر فى أمر القــروض الاستهلاكية التي تقدمها البنوك محملة بالربا الى محتاجين يستعينون بها على مطالبهم المعيشية .

فى هذه الوظيفة المصرفية أقترح أن تكف البنوك عن الاضطلاع بها ، كي يبقى نشــاطها دائما فى دائـــرة التنميـــة الاقتصادية .

وأرى ان تستأثر بهذه الوظيفة منشآت حكومية تتولى جباية الزكاة ـ كلها أو بعضها وتوجه حصيلة ما تجبيه منها الى مستحقي الزكاة فى مصارفها المعروفة .

أما غير المستحقين للزكاة ، ممن كانت تدفع حاجاتهم المعيشية الوقتية الى الحصول من البنوك على قروض ربوية قصيرة الأجل . فان منشآت الزكاة تستطيع ان تمدهم ـ بغير فائدة ـ ببعض قروض ذات آجال قصيرة ، يستعينون بها على تفريج كربتهم العارضة على ان يبادروا بردها الى رصيد الزكاة . ويحملهم على الاسراع فى سدادها علمهم بانها سترتد الى رصيد مخصص لمستحقي الزكاة ، علاوة على ما قد تطلبه منهم المنشأة من ضمانات الوفاء .

كذلك نلاحظ ان رصيد الزكاة سوف يتغذى بمورد آخر فياض : فانه ما دام المجتمع الاسلامي قائما بالقسط على أداء ما تفرضه الملكية من التزامات ايجابية وسلبية . فان رصيد الزكاة سوف يتغذى باستمرار بتبرعات متوالية من المنفقين فى سبيل الله . وقد يتألف من هذه التبرعات ذخر ثمين يساعد منشآت الزكاة على مواجهة هذه الوظيفة الثانية : **اقراض غير المستحقين للزكاة بغير « فائدة » .**

يتضح مما قدمت فى اقتراحي هذا ان الفكرة الغالبة فيه هي احلال التكافل الوثيق بين طبقات المجتمع الاسلامي بالنسبة للقروض الاستهلاكية ،والتعاون المثمر بين رأس المال والعمل بالنسبة للقروض الانتاجية ، محل بعض وظائف النظام المصرفي السائد فى الاقتصاد الغربي .

فالزكاة ، والانفاق فى سبيل الله ، سوف يقضيان على الحاجة الى عقد قروض استهلاكية ربوية .

أما فى القروض الانتاجية فالمال الذى اودعه صاحبه فى بنك لن ينال عنه « فائدة » ثابتة تتسم بسمات الربا المنهي عنه ، بل ربحا عادلا يتكافأ مع الدور الذى أداه ماله فى التنمية الاقتصادية وهذا بلا شك تشجيع كاف لكل مدخر على موالاة الادخار ـ العنصر الأساسي فى تكوين رأس المال القومي .

والبنك من جانب آخر ـ بما فيه مساهموه ـ سينال ربحه المشروع ، جزاء وفاقا على ما بذل من جهد بصبر وفطنة واعية فى توجيه مال المساهمين ومال المودعين فى استثمارات مجزية .

هذه الروح التعاونية التي تجمع بين رأس المال والعمل فى تحالف سليم هي روح اسلامية خالصة . وقد بدأت بعض الدول الاسلامية ـ وجمهوريتنا العربية المتحدة فى طليعتها ـ فى سعيها الى بعث اقتصادى شامل : بدأت تجعل لهذه الروح التعاونية بين العمل ورأس المال المقام الأول فى برامجها الاقتصادية . فأنشأت البنوك التعاونية فى اهم ميادين الانتاج ، ووجهت البنوك القائمة فى هذا الاتجاه التعاوني ، كما جعلت المؤسسات التعاونية تباشر وظائف مصرفية على هذا النهج التعاوني ، وبثت فروع هذه المؤسسات المختلفة فى أرجاء البلاد .

واني اقترح ـ متى قامت هذه المؤسسات التعاونية فى كل بلد اسلامي، وعم توجيه البنوك القائمة فيه هذا الاتجاه التعاوني ـ ان يقوم من بين هذه المؤسسات جميعها « بنك تعاوني » للعالم الاسلامي ، تساهم فى رأس ماله جميع البنوك والمؤسسات ذات الصبغة التعاونية فى سائر الاقطار الاسلامية ، لكي يؤدي الرسالة التي نكث عن القيام بها البنك الدولي للانشاء والتعمير (او قام بها فى بلدان دون بلدان أخرى) .

وعندما نتذكر مصادر الثروة الضخمة الكامنة فى الاقطار الاسلامية ، والتي لا يزال اكثرها مغمورا عقيما ينتظر فيضا من رؤوس الأموال لاستثماره ، لا يخالجنا شك فى ان انشاء هذا البنك التعاوني العالمي الاسلامي سيكون نقطة التحول فى بعث الأمة الاسلامية .



الإسلام ومقومات الحضارة

– ١ –

ان الحضارة السليمة : هي الحضارة التي استكملت جميع مقوماتها ، ولا خلاف بين ذوى الآراء المستنيرة فى أن مقومات الحضارة الأساسية انما ترجع الى أربع : العلم ، ومما لا شك فيه ، أنه لا يتأتى أن تقوم حضارة بدون علم ، والعلم اذن : هو الأساس الأول الذى تبنى عليه الحضارات ، بل انه قد تقوم حضارة ما على العلم وحده ، فيكون العلم : هو المقوم الوحيد لهذه الحضارة ، ولكنها تكون حضارة ناقصة ، بل تكون حضارة بتراء .

والمقوم الثاني للحضارة الذى لا تقل أهميته عن أهمية العلم ، والذى اذا وزنا الأمور بمقاييس الروح وقسناها بموازين اسعادالانسانية ، يَفضلُ العلم المادى ، هو الجانب العقدى .

والعقيدة اذن هي : المقوم الثاني للحضارة ، فاذا ما انتفت العقيدة ، وزالت فقامت الحضارة على العلم وحده، فان الانسانية تشقى بها شقاء لا يعوضه ما تجد من ترف مادى يكفله لها العلم المادى .

بيد أن العقيدة اذا ما أصبحت شكلا ورسما ، أو صورة وهيكلا ، فانها لا تفيد كثيرا فى أن تسم الحضارة بسمة الروح الحقة ، أو تطبعها بطابع الانسانية الكريمة . . .

ولا بد اذن من الجانب الثالث وهو الأخلاق ، وما من شك فى أن الاخلاق بدون عقيدة ، لا تقوم لها قائمة ، وانما تكون سفسطة ، لا غناء فيها ، أو فلسفة جدلية ، لا تنبع من القلب ، ولا تثبت أمام تيارات الأهواء .

ان الرحمة والاخاء ، وان المودة والتعاون وان الشجاعة والكرم ، وان الفضيلة على وجه العموم ، وان الخير فى صوره المتعددة ، ان كل ذلك لا يكون وليد دراسات فلسفية ولا نتاج جدل كلامي .

والأخلاق التي تكون مقومة للحضارة اذن ، مؤثرة على القلب ، غامرة للكيان

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

عميد كلية أصول الدين

جامعة الأزهر

الانساني : انما هي الأخلاق الدينية ، فاذا ما انفصلت الاخلاق عن الدين ، فانها لا تساوى ، فى موازين الرحمة والاخوة ، أو بتعبير أدق فى عالم القلوب والارواح قلامة ظفر .

ان الانسان لا يخضع فى سلوكه الأخلاقي للفلسفة ، وهي متعارضة مختلفة ، وهي تذهب فى الشرح والتعليل والتوجيه كل مذهب ، وهي تنقض اليوم ما أبرمته بالأمس ، وتنقض غدا ما أبرمته اليوم .

ان الفلسفة ــ هكذا وجدت ، ونمت وتطورات ، واستمرت ــ متأججة ، لا دوام لها على رأى ، ولا استقرار لهاعلى حال .

واذا كانت العقيدة التيتعنيها ويعنيها المصلحون ، كمقوم للحضارة : انما هي عقيدة من وحي السماء ، فان الأخلاق التي نعنيها والتي يعنيها المصلحون المخلصون انما هي من وحي السماء .

أما المقوم الرابع ، فانه التشريع العادل : والتشريع العادل ، هو التشريع الذى يلم واضعه بظروف الانسان وطبيعته وفطرته الماما كاملا ، فيصدر التشريع على علم تام ، ولا يتأتى ذلك لبني البشر ، وتشريع بني البشر ــ حسبما شاهد المشاهدون ــ لا يقود الناس للخضوع له عن طواعية واختيار ، بل يقودها للطاعة رهبة القانون ، وهي كلما أنست من نفسها استطاعة الفرار من طائلة القانون أخلت به ، وكلما انست من نفسها المقدرة على هدم أسوار القانون هدمته . . . .

ولا بد أذن من تشريع تنقاد له الانسانية طواعية واختيارا وهو التشريع الالهي :

العلم ، والعقيدة ، والأخلاق ، والتشريع : تلك هي مقومات الحضارة السليمة ، وكل حضارة لا تتوفر فيها هذه المقومات ، فانما هي حضارة ناقصة بمقدار نقص مقوماتها .

ــ ٢ ــ

فلننظر الآن فى الاسلام فى ذاته ، وفي الاسلام من خلال التاريخ حتى نتبين مدى تضمنه لهذه المقومات ، ومدى تحقيقه لها على مر الزمن مقارنين كل ذلك بالحضارة الحديثة .

ونبدأ بالعلم . ولا ريب فى أنالحضارة الحديثة ، بدأت فى قوة جارفة بمنهجين فى العلم يختلفان ويتعارضان ويتنازعان

أحدهما : المنهج الحسي التجريبي ، أو المنهج البيكوني .

والثاني : المنهج العقلي البدهى ، أو المنهج الديكارتي أو المنهج الحدسي حينما نفسر الحدس ، كما فسره المناطقة بأنه انتقال الذهن الى المطلوب بسرعة .

وكل من المنهجين نشأ معارضا ، لمنهج القياس الأرسطى :

وكل منهما يرى أن القياس الأرسطي : انما يعني بالصورة والشكل ، ولا شأن له بالحقيقة والجوهر ، بل ولا شأن له بالواقع والتطبيق . ومن أجل ذلك سمي بالمنطق الصورى : أى منطق الصورة لا الجوهر .

والمنهج البيكوني : هو منهج علمي .

أما المنهج الديكارتي : فانه منهج فلسفي .

وسنتحدث عن منهج ديكارت ان شاء الله ، حينما نتحدث فى مقال تال عن العقيدة أما الآن فسنقصر الحديث على المنهج التجريبي :

انه منهج الاستقراء أى تتبع الجزئيات ـ عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة ، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة ـ للوصول الى الحكم عليها فى صورة من صورها حكما كليا أو ـ بعبارة أخرى ـ للوصول الى اكتشاف القوانين العامة ، أو للوصول الى معرفة نواميس الكون .

ومجال الاستقراء : انما هو الطبيعة ، لأنه ملاحظة جزئيات فى عالم الطبيعة .

وأداته الحس ، فهو ملاحظة محسوسات .

ـ ٣ ـ

وعلى أساس من هذا المنهج قامت الحضارة الأوروبية الحديثة بكل ما فيها من صناعة فى الطبيعة ومن اكتشافات فى الكيمياء ، ومن قوانين فلكية ، من اختراعات فى جميع المجالات المادية والحسية .

وعلى أساس من هذا المنهج أيضا ستتطور هذه الحضارة وترقى وتتسع كما وكيفا الى ما شاء الله .

وهذا المنهج فى المشهور المتعارف يدين فى وجوده الى « فرنسيس بيكون » ولكنه عند الدارسين لتاريخ الفكر الأوروبي يدين « لروجر بيكون » ، أكثر مما يدين لغيره ، والملاحظون الدارسون للعلوم يرون أن روجر بيكون كان أدق وأعمق فى بيان المنهج وفى تطبيقه .

بيد أن روجر بيكون ـ على خلاف مواطنيه ـ يعترف فى صراحة لا لبس فيها ، وفى وضوح لا شائبة فيه انه مدين فى منهجه للعرب وللحضارة العربية .

وهذه الحقيقة التي حاول الغربيون جاهدين أن ينكروها ، ويخفوها فيما مضى يعلنها الآن بعض المنصفين منهم ، فها هو ذا الأستاذ « بريفولت » يتحدث فى كتابه : « بناء الانسانية » عن أصول الحضارة الغربية فيقول :

ان روجر بيكون درس اللغة العربية ، والعلم العربي ، والعلوم العربية ، فى مدرسة اكسفورد ، على خلفاء معلميه : العرب فى الأندلس .

وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون : الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى اوروبا المسيحية ، وهو لم يَمَلَّ قط من التصريح : بأن تعلم معاصريه للغة العربية ، وعلوم العرب : هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي . هي طرف من التحريف الهائل ، لأصول الحضارة الأوروبية .

وقد كان منهج العرب التجريبي ، فى عصر بيكون : قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكب الناس فى لهف على تحصيله فى ربوع أوروبا .

ويقول بريفولت أيضا :

« لقد كان العلم ، أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث : ولكن ثماره كانت بطيئة النضج .

ان العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب فى اسبانيا . لم تنهض فى عنفوانها الا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام .

ولم يكن العلم وحده : هو الذى أعاد الى أوروبا الحياة ، بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية : بعثت باكورة أشعتها الى الحياة الأوروبية[١] .

أخذت أوروبا المنهج العلمي المادى عن الاسلام باعتراف واضع هذا المنهج نفسه ، وباعتراف المنصفين من المؤرخين وليس بعد اعتراف واضع المنهج نفسه مقال لقائل .

ومع ذلك فان المنهج الاسلامي ، أكمل وأتم ، وأشمل ، وقد أخذته أوروبا ناقصا ، وفي المقال التالي ان شاء الله ، سنتحدث عن موقف الاسلام من العلم وعن المنهج العلمي فى الحضارة الاسلامية فى عمومه وشموله .

وبالله التوفيق

---

١ ـ انظر كتاب التجديد الديني فى الاسلام للدكتور اقبال ترجمة الأستاذ عباس محمود .

الإسلام دين ودنيا

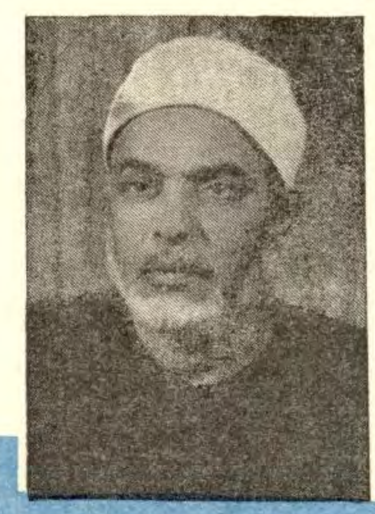
الاسلام شريعة الله الخالدة التي ختم اللهبها شرائعه السماوية، ودستوره الأعظم هو القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة الثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو فى هذين الأصلين العظيمين ـ القرآن والسنة ـ نراه دينا عمليا ، ينظر الى الحياة نظرة اجتماعية ، تثيرفىالناس عوامل التسابق الى الخير والتنافس فيه .

والعمل للدنيا اذا قام على أصول الهداية الشرعية ـ يراه الاسلام تدينا وعبادة ، يحث عليه حثا شديدا ، ويطلبه طلبا مؤكدا ، ولم يقيد الاسلام الناس فى طلبهم الدنيا والعمل لها باكثر من أن تكون حلالا طيبة ، ولم يقيد العمل لها باكثر من الاخلاص وحسن النية .

وقد فهم المسلمون الأولون من الصحابة والتابعين الذين كانوا يحكّمون الاسلام فى حياتهم وكان الاسلام يعيش معهم ممثلا فى أعمالهم ـ الدين هذا الفهم الواعي ، فلم يعطلوا سنن الله فى الحياة ، ولم يقعدوا عن العمل لاصلاح دنياهم ، منقطعين فى صوامع التعبد ، تاركين السعي فيما ينفعهم ، وينفع أمتهم ، بل شمروا عن سواعد الجد فى العمل للدين والدنيا ، وكانوا يرون أن فى العمل للدنيا عصمة للدين وعدة المجاهدين ، فاستثاروا خزائن الارض ، وضربوا فى أرجائها ، ومشوا فى مناكبها يبتغون من فضل الله استجابة لداعى ارشاده فى قوله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » وعملا على تقدير انعامه ، وشكرا لمنه فى قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وتمجيدا لنعمة تسخير قوى الطبيعة لمنافع الناس وحاجاتهم ، مما امتن به القرآن الكريم على الانسان تحقيقا لخلافة الله فى الارض فى قوله تعالى « وهو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » وقوله تعالى « الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » .

وفى هاتين الآيتين من الحث على العمل للدنيا ما لو عمل به المسلمون لكانوا



لفضيلة الشيخ محمد صادق عرجون
وكيل المدير العام للمعاهد الازهرية

يعرض هذا المقال لحقائق مبسوطة فى القرآن والسنة ، منذ عرفهما المسلمون ، ولكن غفلتهم عن هذه الحقائق وبعد حياتهم عن الأخذ بها ، وكثرة التهم التي توجه للاسلام من أجل سلوك أهله ، كل ذلك أحوجنا الى أن ننبه الى هذه الحقائق ، حتى يقيم المسلمون حياتهم عليها ، ويستمدوا نهضتهم ووثبتهم منها ، ليكونوا دائما فى رحاب الله ...
« الوعي الاسلامي »

اليوم فى الرعيل الاول ، وطليعة الامم الراقية علما وقوة وكمالا .

وليتأمل القارىء من الآيتين قوله تعالى « خلق لكم » وقوله « سخر لكم » ليرى بنافذ بصيرته أن الله الذى خلق الطبيعة ، وأودع فيها من القوى والاسرار ما حير العقول ، وأدهش العلماء قد بسط سلطان السيادة عليها للانسان ، وجعلها مخلوقة لأجله ، ومسخرة له ، ليكشف عن سرائرها ، ويستخدم قواها فيما ينفعه ويرفع شأنه ويرفه عيشه ، وفى هذا من أسرار المعارف الانسانية ، ومطارحات الأفكار ومدارك العقول ما يعد فى نظر العلم من أعظم معجزات القرآن الكريم — ولكن المسلمين منذ أعرضوا عن العمل للدنيا ، وانقمع سلطانهم عن خلافة الله فى الارض ، فتقوضت دولتهم الموحدة لم يفهموا من اسرار القرآن العلمية وبارع حكمه فى آياته الآفاقية ما كان يفهمه الصدر الأول من أسلافهم الذين لم يضيعوا الدين للدنيا ، ولم يطرحوا الدنيا للدين .

وقد كان صفوة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغلون بالتجارة والزراعة ، ويحترفون شتى الصناعات ، وكانت لهم أموال نامية ، وثروات طائلة ، يؤدون فيها حق الله تعالى وحق القرابة ، وحق الجار والصديق ، وحق الوطن وأخوة الاسلام .

النشاط الاسلامي ينهض بالمجتمع

وقد تولى أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الخلافة وهو يحترف التجارة . روى البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما استخلف أبو بكر الصديق قال : لقد علم قومى أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي ، وشغلت بأمر المسلمين ، فسيأكل آل ابي بكر من هذا المال ، ويحترف فيه للمسلمين . وروى ابن سعد قال ! لما استخلف ابو بكر رضي

الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رأسه أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنهما ، فقالا : كيف تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ قالوا : نفرض لك، ففرضوا له شطر شاة .

وكذلك كان عمر بن الخطاب تاجرا يعمل فى التجارة عمل المجتهد القوى حتى كان يقول:ألهاني الصفق بالاسواق، يعني الخروج للتجارة ، ولما تولى الخلافة أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : اني كنت امرأ تاجرا ، وقد شغلتموني بأمركم هذا ، فما ترون أنه يصلح لي من هذا المال ؟ فقالوا : لك ما يصلحك ، ويصلح عيالك بالمعروف . ليس لك من هذا الأمر غيره .

وكان عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن ابن عوف ، والزبير بن العوام : وطلحة بن عبيد الله من أكثر تجار المسلمين فى الصدر الأول أموالا ، وأوسعهم ثراء حتى قيل ان ربع الثُمُنِ فى تركة بعضهم بلغ ثمانين ألفا .

وكان الأنصار أهل غرس وزراعة ، يعملون فى حوائطهم ومزارعهم بأنفسهم فكثرت منها أرزاقهم واتسع ثراؤهم ، فواسوا اخوانهم المهاجرين ، وأيدوا دعوة الاسلام ، وأنفقوا فى سبيل الله . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أقبل من تبوك استقبله معاذ بن جبل ، فصافحه فأحَسَّ النبي صلى الله عليه وسلم فى كفه خشونة ، فقال له : كبنت يداك — أى غلظت —. فقال معاذ : نعم أحترث بالمسحاة ، وأنفقه على عيالي ، فقبله وقال يد لا تمسها النار . روى البخارى عن ابى هريرة قال يقولون : ان أبا هريرة يكثر الحديث ، والموعد الله، ما للمهاجرين والانصار —لا يحدثون مثل أحاديثه ؟ وان أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق ، وان اخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل اموالهم ، وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، فأحْضُر حين يغيبون وأعى حين ينسون .

ومن عظيم عناية الاسلام التي تجعل العمل للدنيا من الدين أننا نجد القرآن الكريم يحث على الاخذ بأسباب الرزق والمرابحة فى مواطن العبادة ومواسم الطاعة ، قال الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) قال ابن عباس أي فى مواسم الحج روى البخارى فى سبب نزولها عنه قال : كان ذو المجاز وعكاظ متجرى الناس فى الجاهلية ، فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك — فنزلت الآية .

العمل للدنيا من الدين

وليس أدل على تقدير الاسلام للعمل للدنيا من أن الله تعالى جعل التجارة باعثا من بواعث الحج ، وحكمة من حكمه فقال (ليشهدوا منافع لهم) قال مجاهد: المنافع هنا هي التجارة ، وجعلها من آياته الدالة على عظيم قدرته ، وباهر عظمته ، لما فيها من التقلب والتصرف فى البر والبحر ، والحل والترحال ، فقال عز شأنه : (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) ، وقد وصف القرآن بها المؤمنين فى مقام التنويه بما هي عليه من عمل الخير ، وجعلها من فضل الله، فقال جلت حكمته : (وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله) . وقد عظم النبي صلى

الله عليه وسلم منزلة التاجر الصدوق فقال : (التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين) .

وكما عني الاسلام بالتجارة - وهي من أهم أعمال الدنيا - عني بالزراعة وحض عليها ، ورغب فيها روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يغرس مسلم غرسا ولا زرعا ، فيأكل منه سبع أو طائر أو شيء الا كان له فيه أجر) وذكرها القرآن فى معرض الامتنان والتدليل على بديع صنع الله تعالى فقال (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟) .

وكذلك عظم الاسلام شأن سائر الصناعات والحرف على اختلاف فنونها. روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نظر الى رجل يقال له أبو رافع يحترف الصياغة، فوجده يقرأ ويصوغ فقال له : يا أبا رافع أنت خير مني ، تؤدى حق الله تعالى ، وحق مواليك - وروى أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سألهم : ما المروءة فيكم ؟ قالوا العفة والحرفه ، وكان عمر بن الخطاب اذا نظر للرجل فأعجبه سأل : اله حرفة ؟ فاذا قالوا : لا سقط من عينه.

ومن تعظيم الاسلام لمرافق الارزاق ومجامع الاموال ، واعتبار العمل للدنيا من الدين انه جعل التجارة والزراعة ، وسائر أصناف الصناعات من فروض الكفاية التي يجب على الامة القيام بها ، والتي لا بد ان يوجد فى أبنائها من يسد حاجتها ، ويكفيها أمرها حسبما يقضي به عصرها ، ولا سيما الصناعات العلمية وصناعات الدفاع وحماية الأوطان . قال الله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) - ونحن فى عصر تتسابق فيه الامم لترقية صناعاتها ، وتنمية تجاراتها واكثار مزروعاتها ، ولا يمكنا اللحاق بها الا اذا نافسناها فى طرائقها ، وأعمالها فى حدود تعاليم ديننا وشريعتنا .

وقد كان المسلمون الأولون فى عصر الصحابة والتابعين من أحرص الناس على استصلاح أموالهم وما خوَّلهم الله من نعمة الدنيا ، لعرفانهم قدرها فى حفظ الدين والكرامة وعزة الاوطان ، ومواساة الاخوان ، وأداء الحقوق والواجبات ، واكتساب المودات . قال سعيد بن المسيب وكان يتجر فى الزيت - ولأني عتبه بن ابي سفيان ماله بالحجاز فقال : تعهد صغير مالي يكبر ، ولا تجف كبيره فيصغر فانه ليس يمنعنى كثير ما فى يدى من اصلاح قليل مالي ولا يشغلني قليل ما فى يدى عن الصبر على كثير ما ينوبني .

وكان زياد بن أبي سفيان يقول : لو ان لي الف الف درهم ولي بعير أجرب لقمت به قيام من لا يملك غيره . وقال عمر بن الخطاب : أصلحوا أرزاقكم ، فان فى الأمر متنفسا ، ويروى أن قوما أتوا قيس بن سعد الانصارى يسألونه حَمَالة (اى دية يحملها عنهم) - وكان أحد أجواد الاسلام ، فصادفوه فى حائط له يتتبع ما يسقط من الثمر ، فيعزل جيده ورديئه ، فقاموا حتى فرغ ، فكلموه فى الذى جاءوا له ، فبذل لهم ما أرادوا ، فقال بعضهم : صنيعك هذا مناف لما رأينا من فعلك ، فقال لهم قيس رضي الله عنه : بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم .

فليتأمل أبناء وطننا واخواننا فى أقطار الاسلام صنيع أسلافنا الاماجد وما كانوا

عليه من العمل للدنيا مع العمل للدين ، وقد ملكوا الدنيا وسادوها ، وما يطالعنا به تاريخهم من الحرص الموفق في مباشرة تثمير دنياهم واستصلاح أموالهم ، ليؤدوا فيها الحقوق والواجبات ، ويرفعوا بها شأن أمتهم وأوطانهم .

كلكم خير منه

والاسلام حارب البطالة والكسل ، وطارد الاستجداء والتعطل ، وحث على الجد والعمل ، بل جعل العمل للدنيا فى سبيل الكرامة والعزة أفضل من أمهات العبادات فى التطوع .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن قوما قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان فلانا يصوم النهار ، ويقوم الليل ويكثر الذكر : فقال أيكم كان يكفيه طعامه وشرابه فقالوا : كلنا . قال : كلكم خير منه . روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى‌الله داود عليه‌السلام كان كان‌يأكل‌من عمل يده) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((لأن يحتطب أحدكم‌حزمة على‌ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه ، أو يمنعه)) .

روى أبو داود فى سننه قال : أتى‌رجل من الانصار يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أما فى بيتك شىء ؟ قال : بل حِلْسٌ نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء ، فقال ائتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما اياه ، وأخذ الدرهمين ، فأعطاهما للانصارى ، وقال له اشتر بأحدهما طعاما ، فانبذه لأهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ، ثم قال له اذهب ، واحتطب ، وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ففعل ، ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضهما طعاما ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ، هذا خير لك من أن تجىءالمسالة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، ان المسألة لا تصلح الا لذى فقر مدقع ، أو لذي غُرْم مفظع ، أو لذي دم موجِع .

الفراغ مفسدة

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : أحذركم عاقبة الفراغ فانه أجمع للمكروه . ويقول: ان كان الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة . ويقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض ، وكان عمر يحب القوة فى العمل ويكره التماوت والاستضعاف . روى أنه نظر الى رجل يتخاشع،ويتماوت ويظهر نسكا وتعبدا، فخفقه بالدرة وقال : لا تمِتْ علينا ديننا ــ أماتك الله ، وكان يقول : يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، لا يزيد الخضوع على ما فى القلب . وكان ينصح المسلمين بعلو الهمة فيقول : اجتهد ألا تكون دَنِيَّ الهمة ، فانى ما رأيت شيئا أسقط لقوم من تدانى الهمة ، ويقول : ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا أو عمل للدنيا وترك الآخرة ــ ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه .

بعضهم على بعض فى الجراحات للمصلحة لانه لا يشهد لعبهم ـ عادة ـ غيرهم وان لم يتوافر البلوغ وهو من شروط قبول الشهادة (١) .

وقال الشافعية بجواز اتلاف الحيوانات التى يقاتل عليها الاعداء واتلاف اشجارهم اذا كانت مصلحة الظفر بالاعداء والغلبة عليهم تستدعى ذلك (٢) ، وعند الحنفية من ضروب الاستحسان ، الاستحسان بالمصلحة ومنه تضمين الصناع ما يهلك تحت أيديهم من أموال الناس مع أن أيديهم أيدى امانة . ومن اخذهم بالمصلحة ما ذهب اليه ابو حنيفة ، فقد قال ابو يوسف عنه ، « قال ابو حنيفة رضى الله عنه : (واذا أصاب المسلمون غنائم من متاع او غنم فعجزوا عن حمله ذبحوا الغنم وحرقوا المتاع ، وحرقوا الغنم كراهية ان ينتفع بذلك اهل الشرك) (٣) وذهب الامام احمد بن حنبل الى نفى أهل الفساد الى بلد يؤمن فيه من شرهم (٤) ، كما افتى بجوار تخصيص احد الاولاد بالهبة لمصلحة معينة كأن يكون مريضا ، أو صاحب عيال ، أو طالب علم او محتاجا (٥) ، وقال الفقهاء الحنابلة ان لولي الامر ان يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند حاجة الناس اليه ، وله ايضا ان يجبر اصحاب الحرف والصناعاتالتى يحتاجها الناس على العمل بأجر المثل اذا امتنعوا عن العمل .

٩ ـ ومن هذا كله يتبين لنا عظيم مكانة المصلحة فى الشريعة الاسلامية ومدى رعايتها ، فقد قامت الشريعة على اساس تحقيق مصالح الناس وارشدت المكلفين الى اعتبارها وعدها من اصول الاستنباط الفقهى ، وعلى هذا النهج سار فقهاؤها العظام فتركوا ثروة عظيمة من الفقه المبنى على المصلحة ومهدوا الطريق لمن يأتي بعدهم للسير على نهجهم دون تهجم على الشريعة ولا تجاوز للحدود المرسومة للاجتهاد المصلحي ،

والله الموفق للصواب

يشكو الفقر

شكى بعضهم فقره الى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اهتمامه به ، فقال له :

« أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ قال : لا

قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة الاف درهم ؟ قال : لا

فقال له : أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا ؟ »

---

١ ـ بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٨٤ .
٢ ـ الاشباه والنظائر للسيوطي ص ٦٠ ـ ٦١ .
٣ ـ الرد على سير الاوزاعي للامام ابي يوسف ص ٨٣ .
٤ ـ المغنى لابن قدامة الحنبلي ج ٦ ص ١٠٧
٥ ـ الطرق الحكيمة ص ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

اعرف

عدوك

قصة اليهودية كاملة

للاستاذ : فتحي يكن

رئيس تحرير مجلة المجتمع الاسلامي ـ بلبنان

حقيقة يكشفها التاريخ في وقائعه المثيرة وصفحاته الكثيرة .. بين أمسه ويومه .. ومن خلال ماضيه وحاضره ..

حقيقة لا تزيدها الأيام الا رسوخا ..ولا تكسبها الأحداث الا وضوحا .. انها الاتهام العريض الذى يكشف عن (الدور) الذى تلعبه اليهودية من وراء الأحداث والمؤامرات والفتن ، فى أرجاء الأرض وعلى مر العصور ...

الحقيقة التي تدمغ (اليهود) بأبشع ما يحتوى عليه القاموس من نعوت وأوصاف.

الحقيقة التي حكى عنها (القرآن) ، وتكلمت عنها الأديان ، وتحدث عنها التاريخ ، وشهدت مآسيها وآلامها ودموعها (فلسطين) أرض الأنبياء والرسل ، مهد عيسى ، ومسرى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . *

(اليهودية) وراء كل مؤامرة ... خلف كل فتنة .. سبب كل مأساة ..

(اليهودية) تتحكم بما يملكه أصحابها من امكانيات مادية واعلامية فى مقدرات الدنيا جميعا ، وتخضع لمصالحها السياسات جميعا ، وتفرض وجودها على الدول الكبرى جميعا ...

شهادة القرآن :

ولنبدأ الكشف عن هذه الحقيقة من الأول ..

لقد حكى القرآن الكريم أغرب القصص عن طبيعة هذا الشعب (بني اسرائيل) الناد عن أمر الله ، المتمرد على أبسط قواعد الانسانية والكرامة ...

تحدث عن مجانبتهم الحق ، ومعاندتهم وتكذيبهم وقتلهم الأنبياء والمرسلين والمصلحين وتلذذهم بسفك الدماء .. فقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب

منطق القرآن
منطق التاريخ
منطق الأحداث

وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (١) .

« ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم » (٢) .

« لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ، وأرسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » (٣) .

الجحود والبهتان

وقصَّ القرآن الكريم قصة جحودهم وبهتانهم بما يصمهم بالخزي والعار أبد الآبدين ... لقد كفروا بأنعم الله وفضله عليهم ، اذ اخرجهم من أرض الذل والعبودية (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) (٤) وخلصهم من بطش فرعون وجنوده (واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون) (٥) ولكن النفوس الوضيعة والطباع اللئيمة لا يزيدها المنُّ والفضل والكرم الا لؤما واعراضا واستكبارا .. فما كاد موسى يتركهم لميقات ربه ، حتى ارتدوا عن دينهم ، وكفروا بربهم ، وعبدوا العجل من دون الله (واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) (٦) .

حرصهم على الحياة

ولقد ذكر القرآن الكريم مدى حرصهم على الدنيا ، وحبهم للمال ، وسعيهم لجمعه وكنزه عن أى طريق وبأية وسيلة (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة .. ومن الذين أشركوا ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر ، والله بصير بما يعملون (٧) .

بالمال يشترون الذمم .. وبالمال يثيرون الفتن .. وبالمال يحيكون المؤامرات .. وبالمال يهتكون الأعراض .. وبالمال يتحكمون فى سياسة العالم أجمع ..

شهادة الاسلام :

ومكائد اليهود للاسلام ولرسول الأسلام امتلأت بها صفحات التاريخ الاسلامي

١ – ٨٧ سورة البقرة ٢ – ٢١ آل عمران ٣ – ٧٠ المائدة ٤ – ٤٩ البقرة
٥ – ٥٠ البقرة ٦ – ٥١ ، ٥٢ البقرة ٧ – ٩٦ البقرة

فى كل عصر من عصوره ، وفي كل قطر من أقطاره ...

ففي عصر النبوة حاولوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر من مرة .. ولقد ذكر (ابن هشام) : أن الرسول خرج الى (بني النضير) فىسنة ثلاث ، يستعينهم فى دية قتيلين من بني عامر قتلا خطأ .. فأتمروا به (أى بنو النضير) ليقتلوه وقالوا : مَنْ رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام راجعا الى المدينة .

وهم الذين حزبوا الأحزاب على المسلمين سنة خمس .. فخرج نفر من بني النضير وبني وائل الى قريش ، فدعوهم الى حرب رسول الله ، وقالوا : انا سنكون معكم حتى نستأصله .. ولما قال لهم المشركون : يا معشر يهود : انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ أجابوهم بكل قحة وضلال (بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه) فنزل فيهم قول الله ، وحقت عليهم لعنته وعذابه (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا ، هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) (١) .

شهادة التاريخ :

وصفحات التاريخ تلاحقهم باللعنات ، لأنهم كانوا أعداء الانسانية أعداء الحق أعداء الخير ..

فالعداء بينهم وبين (المسيحية) عداء قديم .. فنظرة (التلمود) الى المسيح حقا مؤلمة .. **فهناك شتائم سفيهة فى التلمود لعيسى بن مريم عليه السلام.. فقد زعموا فيه (ان ولادة المسيح غير شرعية ، وكالوا الاهانات لوالدته العذراء .. ووصفوه بأنه ساحر ، وخارج عن الايمان ، ومحروم وخاطىء ، ومسير الجماهير الى الخطيئة ، ومختلس لاسم « يهوه » المبارك من قدس أقداس الهيكل. لينعم بالحياة الهانئة ، ويعاقب فى جهنم الى الأبد وسط الأقذار الفائرة) .**

وفى التلمود أيضا صلاة يرددها اليهود ثلاث مرات فى كل يوم هذا نصها : « ليهلك النصارى وعبدة الأصنام فى لحظة .. ليحذف اسمهم من كتاب الحياة ، وليحسبنهم الرب فى عداد غير الصالحين » ...

وعندما استولى الفرس على مدينة القدس وأخذوها من البيزنطيين عام ٦١٤ م قتلوا عددا كبيرا من سكانها المسيحيين بتحريض من اليهود . وتقول المخطوطات المسيحية التي كتبت باللغة العربية سنة ١٠٤٠ م وسنة ١٣٢٨ م أن عدد المسيحيين الذين تسبب اليهود فى قتلهم يبلغ (٦٥٠٠٠) مسيحي منهم (٢٤٠٠٠) القي بهم أحياء فى بركة (ماميلا) أو الكهف المجاور لها ..

من فمكم ندينكم :

وقد لا نحتاج الى كثير عناء اذا أردنا التدليل على ما ذكرنا بوثائق من كتبهم ..

---

١ ـ ٥١ سورة النساء

يقول التلمود (ان اليهود قد خلقوا ليحكموا العالم ، ولكن سيادتهم لا يمكن أن تبدأ قبل انتزاع السيادة من زعماء الشعوب الحاكمة ، وقبل أن تنتهي الامبراطورية المسيحية التعسة الدنيئة) . ويقول (لقد خلق الله غير اليهود في صورة انسان مع أنهم متساوون مع الحيوان لكي يخدموا اليهود ليل نهار) .

من شريعة موسى

جاء في تثنيه ح ٢٠ع : (أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك فلا تستبق منها نسمة .. ثم حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك) .

من مزامير داود

وجاء في المزمور (١٤٩) من مزامير داود (ليبتهج بنو صهيون بملكهم كي ينزلوا نقمتهم بالأمم وتأديباتهم بالشعوب ويأسروا ملوكهم بقيود ، وأشرافهم بأغلال من حديد ، وينفذوا فيهم الحكم المكتوب) .

من بروتوكولات حكماء صهيون

أما عن بروتوكولات حكماء صهيون فحدث ولا حرج .. ويكفي أن ننقل هنا تعليق جريدة (التايمس) اللندنية بعددها الصادر بتاريخ ٨ أيار سنة ١٩٢٠ على هذه البروتوكولات ليدرك القارىء مدى ما انطبع عليه اليهود من لؤم وشر واجرام .. **تقول الصحيفة : (نظم اليهود منذ أجيال تدبيرا سياسيا دوليا .. يشتم من ذلك التدبير رائحة البغض التقليدى الدائم للدين المسيحي ، وجشع التسلط على العالم . ان الغاية التي سار اليها اليهود خلال الأجيال هي تهديم الدول والحكومات والاستعاضة عنها بحكم دولي يهودى .. وهذا الحكم الدولي اليهودى الجديد يرى أن الجماعات قطعانا حقيرة من الماشية ، وأن الزعماء السياسيين في الشعوب الأخرى (الخوارج) هم ألعوبة بأيدى حكماء اسرائيل ،ومن السهل استعبادهم بالتملق والتهديد والمال في سبيل السيطرة اليهودية ..**

والواقع أن المقررات الصهيونية السرية هي خطة جديدة محكمة سياسية واقتصادية لسيادة العنصر اليهودى على كل ما عداه من العناصر الأخرى .

ففي البروتوكول الخامس (ان الله نفسه قد اختارنا لنحكم العالم) .

وفي البروتوكول التاسع (يجب ألا يكون لطمعنا حد ، ولنكن شديدى التعصب والانتقام لأنفسنا ، انتقاما عديم الشفقة تتأجج فيه نيران البغض) .

وفي البروتوكول الحادى عشر (ليس الخوارج (أى غير اليهود) **الا** قطيعا من الغنم ونحن الذئاب) .

البقية على ص : ٦٣

عجمة القلب واللسان

للدكتور محمد أديب صالح
المدرس بجامعة دمشق

لا يخفى على باحث منصف ، يريد الحقيقة ، لا يبغي عنها حولا - أن الأمة الاسلامية قد تفردت من بين سائر أمم الارض بانها قد وضعت - وبشكل مبكر - منذ اثنى عشر قرنا أو تزيد ، علما متكاملا يرسم معالم استنباط الاحكام من النصوص ، والاجتهاد فيما لم ينص عليه - هو « علم اصول الفقه » بدأ ذلك الامام المطلبي « محمد بن ادريس الشافعي » رحمه الله المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، ثم تتابع البحث من العلماء توسعا وتحقيقا .

فلم يكن لأمة خلت من قبلنا ، ولا لقوم جاءوا من بعدنا مثل هذا العلم ، الذى قام على أساس متين من ضوابط اللغة ، وقواعد الشريعة ومقاصدها ، واحترام الرأي ، وتقدير المصلحة ضمن حدود مرسومة معلومة ، مع افساح المجال لمراعاة الواقع ، وتقديم الحلول لما يجد من وقائع ؛ لان النصوص تتناهى ، والوقائع لا تتناهى .

وكان من لب هذا العلم وجوهره مناهج وضعها علماؤنا لبيان معانى النصوص وتفسيرها ، وطرائق دلالتها على الاحكام .

وكان من ذلك قواعد تتناول اللفظ من حيث شموله ، أو عدم شموله أو اشتراكه ، بحثوا ذلك تحت عناوين : العام والمشترك والخاص ، وكان طبيعيا أن يكون كل من الامر والنهى نوعا من أنواع الخاص الذى يدل على معنى واحد على سبيل الانفراد ، أو على كثير محصور .

ولقد عني أئمتنا عليهم الرحمة والرضوان عناية بالغة بمباحث الامر والنهي ، لأن أكثر أحكام الشريعة انما تقوم على : طلب الفعل وطلب الكف (افعل ، لا تفعل) .

وذلك قول شمس الأئمة « السرخسى » - وقد بدأ كتابه « الاصول » بالأمر والنهى - : (أحق ما يبدأ به فى البيان ، الأمر والنهى ، لأن معظم الابتداء بهما ، وبمعرفتهما تتم معرفة الاحكام ، ويتميز الحلال من الحرام) .

واذا لاحظنا الدقة المنطقية فى مسالك الاستنباط عند أولئك الأئمة ، وما اتسمت به مناهجهم للتفسير والبيان من ادراك كامل لمدلولات اللغة ، ومفهومات الشريعة ، والعلاقة التى تربط بين العربية والشريعة ، تلك الشريعة التى جاءتنا وحيا وبيانا بلسان عربي مبين .

اذا لاحظنا ذلك كله ألفينا الانساق الواضح فى موقفهم من الأمر والنهى ، ما دامت الاحكام التكليفية اكثرها قائم على طلب الفعل أو طلب الكف ، فالطلب ، أمرا كان أو نهيا ، قدر مشترك مبثوث فى نصوص الاحكام من الكتاب والسنة ، حيث ترسم معالم التكليف للمخاطبين .

ولعل من الخير أن نذكر أن الأمر والنهي ، من حيث مداهما والحكم على مدلولاتهما الشرعية كان لهما كبير الأثر فى علم الاجتهاد ، حيث تعددت الانظار فى الاصول وانبنى على ذلك كثير من الاختلاف فى الاحكام والفروع .

هذا : الى ان خروج المكلف من العهدة لا يمكن أن يكون الا بادراك المدلول الذي كان به التكليف ، ولا يتم ذلك الا بضبط الاوامر والنواهي ، بحيث يكون هـذا المكلف على بينة من أمره فى اداء المأمور به ، واجتناب المنهى عنه ، وقوفا عند حدود الله .

وانها لجهود مشكورة مبرورة قام بها علماؤنا حين بحثوا ـ فى مجال الامر ـ ماهيته وموقعه من التكليف ، ودلالته ، ومداه من حيث الوجوب أو غير الوجوب، من حيث المرة او التكرار والامر بعد الحظر فى حالتي الاطلاق والتقييد ، الى غير ذلك من مباحث لم تدع شاردة ولا واردة الا تناولتها بالدرس والتمحيص . وقد فعلوا مثل ذلك فى النهي وعرضوا بعده الى أثر النهي فى المنهى عنه ، وما يقتضيه من فساد أو بطلان ، وما الى ذلك مما كان له اكبر الاثر فى الفروع الفقهية عند التطبيق الامر الذى يدعو الى المزيد من التقدير والاعجاب .

مخططات المستشرقين للتشكيك فى الشريعة

واذا كانت الحقيقة فى واقعها امتحانا للنفوس ، فان عظمة التشريع الاسلامي كانت مثار تلمظ شديد حرك كوامن الحقد عند اعداء الاسلام فكان له فى مناهج المستشرقين ومخططاتهم الرامية الى تحقيق اهداف واضحة لكل ذى عينين ، مكان مرموق فى الدس عليه والانحراف فى فهم قواعده وتأويل نصوصه أسوأ تأويل . هذا المستشرق « جولد تسيهر » لايعفى نفسه فى كتابه « العقيدة والشريعة » من الحديث عن الامر والنهي فى الفقه الاسلامي . ولكن كيف كان ذلك ؟ .

ان جولد تسيهر كان مشفقا على المسلمين من قسوة النصوص فى الكتاب والسنة وهو أمر ، أدركه العلماء ـ كما يرى ـ من قبل فكان لا بد من سلوك سبيل يسهل معها التحلل من القسوة التي تبدو فى بعض النصوص .

ولقد كان ذلك فى تنوع مدلولات الأمر والنهى ـ على حد زعمه ـ ذلك التنوع الذى يراه أثرا من آثار التحلل من القسوة الآنفة الذكر .

لقد قرر جولد تسيهر ان العلماء حركوا ذكاءهم؛ ليجدوا مخرجا من المواضع الصعبة التى تمليها على المسلمين نصوص الاحكام القرآنية ، فبعض الامور كانتتخفف أو تطرح ـ كذا ....ـ بواسطة التوسع فى شرح النصوص ، وبواسطة التفسير يرجح الوجوب ، أو المنع فى الفقه .

وزيادة فى ايضاح ما حرك العلماء ذكاءهم من أجله يقرر جولد تسيهر : أن عبارة الأمر او المنع تستخدم للتعبير عن الرغبة والاستحباب ، او الكراهة وارتكاب ما أمر به فى النصوص ، أو نهي عنه لا يعاقب عليه ، ولا يعد تخطيا للقانون .

وقد مثل لذلك بقوله تعالى : ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . (الانعام ١٢١). جاعلا اختلاف الفقهاء فى بعض الاحكام يرتد الى الحرص على التحلل من الالتزام بمدلول النهي ، وايجاد المخرج منه .

جولد تسيهر المزيف

هكذا يحكم جولد تسيهر فى قضية من أخطر قضايا الاصول وكأنه من أبناء اللغة وأئمة الشرع . ولو عدنا نحن الى قواعد الامر والنهي نجد أثر اللغة والعرف الشرعي فى مسالك الاستنباط ، وتخريج الفروع على الاصول باديا واضحا .

وقد قرر علماؤنا ان الاصل فى الامر الوجوب ؛ لان الامر فى اصل العربية التي بها نزل الكتاب حقيقة فى جزم الطلب ، فأهل اللغة متفقون على ذم من يخالف الامر كما يظهر من الاستعمال .

وجاء الشرع ، فأمر ، ورتب على ترك المأمور بهالمؤاخذةوالعقاب ـ وهكذا كانت دلالة الامر على الوجوب نابعة من اللغة والشرع معا . قال السعد التفتازاني : (الامر حقيقة لغوية فى الايجاب بمعنى الالزام وطلب الفعل وارادته جزمـــا ، وحقيقة شرعية فى الايجاب بمعنى الطلب، والحكم باستحقاق تاركه الذم والعقاب لا بمعنى ارادة وجود الفعل ....) .

ولم يكتف علماؤنا بذلك ، بل أوردوا كثيرا من النصوص ، وفهوم الصحابة والسلف من بعـدهم التى تدل على ان الاصل فى الأمر الوجوب ، كمـا يرى فى قوله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الاحزاب ٣٦ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لولا أن اشق على امتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

وليس أبين من استعمال كتاب الله وســـنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما فهمه السلف الصالح ، وأدركوه . وهكذا يقرر علماؤنا آنه لا يصرف الامر عن الوجود الى غيره من ندب أو اباحة .... الا بقرينة ، فاذا توفرت هذه القرينة، فلا مانع من ذلك ، والا فلا .

وكما فعل العلماء فى الامـر فعلوا فى النهي ــ وهو يقابل الامر ــ فأقاموا الادلة من اللغة والشرع على ان الاصـــل فى النهي ، أنه للتحريم الا اذا قامت قرينة تصرفه عن التحـــريم الى الكراهة او الاباحة ... فاذا توفرت القرينة صرف النهي الى ذلك الوجه الذى دلت عليه ، والا فلا .

ولكن ما شأن هذا كله وشأن جولـد تسيهر ، انه يحاول ان ينصب نفســـه للحكم فى قضايا لها اكبر المساس بلغـة غير لغته ، وبيان جاء بغير لسانه ، فلقد أراد ان ينقل القضية من ميدانها العلمي حيث تقوم الضوابط على مفاهيم اللغة وقواعد الشريعة ، الى ميدان الاخـــلاق والسلوك ، ليتهم العلمـــاء بالانحراف بحيث يحولون وجوههم عن الوجوب الى غيره فى الامر ، وعن التحريم الى غيره فى النهي ، جريا وراء الهوى وارادة التحلل من قسوة النصوص .

وما أحسبني أظلم الرجـــل اذا قررت أن أي باحث توفر له التجرد والاخلاص للمعرفة ، يرى بيقين ان من أهم ما تميز به الاستنباط فى الشريعة الاسلامية تلك الضوابط التي ضمنت ســـلامة الاتجاه فى أخذ الاحكام من النصوص .

وان كنا لا نزعم ــ والحمد لله ــ العصمة لأحد بعد الانبياء . على ان الأئمة الذين يرى المتتبـــع لآثارهم ما يرى من الاستقصاء والدقة ، كانوا على أعز جانب وأغلاه ، من خشية الله تعالى فيمـــا يأخذون ، وفيما يدعون ، وان مما يتنافى مع أوليات الانصاف والتجرد فى البحث العلمي ان يحكم على أمثال هؤلاء الرجال بمفاهيم قد يقوم كثير منهـــا على الانحراف والتزوير ، ولكن لا غرابة فهـــذا التجريح جزء من رسالة كثير من المستشرقين .

والآن صحيحان قواعدنا فى الاستنباط ــ وهي مما تفردتبه امتنا ــ قد اثبتت، وسوف تثبت وجودها من جـــديد فى ميدان الفقه والقانون ، ولكن لا بد مــن اليقظة الواعية التي نشم معها رائحـــة ما فى النفس من حاجات وندرك عـــــن طريقها ولو جـزءا من تلك المخططـات الرهيبة التي ترصد لهـــا كل الطاقات المادية والمعنوية ، والتي يراد من ورائهـا تشكيك هذه الامة بشريعتها ولغتها .

ولن يكون ذلك الا من طريق المعرفة الصحيحة التي تهدينـــــا الى التقويم الصحيح لثروتنا التشريعية الاصـــيلة الخالدة ، ثم الوعي لكل ما يدور حولنا ، لا يغرنا البريق المزيف ، ولا تفتننا المظاهر الخادعة ان علينا ان ندرك ذاتنا وان نقيم حياتنا الفكرية على أساس من الايمان والمعرفة والثقة بمـا لدينا مــن ثروة تشريعية لم تعرف الانسانية لها مثلا .

وللحديث صلة .

بقية المقال عن هدي القرآن الكريم

الحدود وجندت كل قوى المسلمين لانصافها ، وتأديب المعتدين عليها ، وتأكيد هيبة المسلمين فى النفوس .

كتاب من الله ، وتاريخ صنعه الأجداد العظام ، كلاهما يبعثان فى النفوس الحماس والحمية واليقظة لبناء أمة عظيمة يحرسها أبناؤها بقلوبهم وأرواحهم

ولكن الى متى نظل بعيدين عن هدى كتابنا ، وحمى تاريخنا ؟ وكل منا يدعي الغيرة على الاسلام ؟ !

هؤلاء المسلمون الذين تكتشفهم دولهم حينا بعد حين يتجسسون لحساب الأعداء .

هل تجردوا من دينهم ومن عاطفتهم نحو أمتهم ؟

هؤلاء الذين ينامون مستريحين منعمين .. وفى العالم حولهم مسلمون مستعبدون ومشردون يصيحون ويستنجدون .

هؤلاء الذين ينقطعون بأحاسيسهم عن أحاسيس المسلمين ومصالحهم ، ولا يهمهم الا أنفسهم ومصالحهم الخاصة ..

هؤلاء الذين ينشئون علاقات مودة وحسن تفاهم ، مع الذين شردوا المسلمين ، وطردوهم من ديارهم ومع الذين ساعدوا على اخراجهم ، ويسيمون اخوانهم سوء العذاب فى مستعمراتهم .

الى هؤلاء جميعا والى كل مسلم أسوق الهدى من كتاب الله ..

((يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء)) ((ومن يتولهم منكم فانه منهم))

بقية قصة اليهودية

وفي البروتوكول الرابع عشر (متى أصبحنا أسياد العالم فلن ندع في الوجود سوى ديانتنا ، لأننا نحن شعب الله المختار ، ولأن مصيرنا قرر مصير العالم) .

هذه هي الحقيقة الصارخة .. الحقيقة التي ينبغي أن يدركها الجميع ..

ليدركها النصارى حين يودون توقيع وثيقة التقارب بينهم وبين اليهود بتناسي الأحقاد والخلافات وتبرئتهم من دم المسيح * ...

ولتدركها الدول الكبرى حين تتقدم بمساعداتها العسكرية والفنية والمادية لاسرائيل ...

وأخيرا ليدركها العرب فى كل مكان حين يتركون الأفعى تنفث السموم فى كل قطر من أقطارنا العربية والاسلامية عن طريق عملائها وأجرائها ، دون أن يوجهوا الضربة القاتلة الى الرأس فيحطموه .. والى الدمل فيفقأوه .. والى السرطان فيستأصلوه ..

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

---

* ومجلة « الوعي الاسلامي » تحب أن تنبه الى أن بتبرئة اليهود من دم المسيح **لا يقرون طبعا انه** قرار التبرئة لما جاء فى الاناجيل من انهم قتلوه من اليهود بقصد تبرئتهم .. **مما يجعل قرار** المسلمين حين يغضبون لمشروع القرار القاضي قتل ، ولكنهم ينظرون الى مغزى الوثيقة ومخالفة وصلبوه بعد ما قامت حملة اعلامية وغير اعلامية التبرئة استجابة لما يريد اليهود وسيرا فى تيارهم.



الى هواة التقليد

جاء فى اذاعة الكويت فى يوم الجمعة ٩٦٥/٤/٣٠ صباحا

فى الملايو يعملون على اصدار قوانين لمنع استيراد ادوات التجميل والذهاب الى الحلاق ، وذلك من أجل المحافظة على الجمال الطبيعي للمرأة . وحدا من انطلاقها وراء تقليد للغرب دون وعي وتفكير .

وشىء آخر لا أريد أن أتحدث أنا عنه ولكنني أترك المجال للفتـــاة المثالية المصرية « منى صلاح ذو الفقار » التي عاشت فى الوسط الامريكي مائة يوم بدعوة من صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » عادت لتقول عن البنات والمجتمع فى امريكا .

« جيل انفلت . هذا اذا نظرت اليهم من زاوية تقاليدنا الشرقية ، أما اذا أردت أن أحكم عليهم بتعبير آخر فهم « جيل ضاع » فالبنات فى امريكا عندهن كل الحرية لفعل أي شىء ولخوض أي تجربة . ومن سن الثانية عشرة تبدأ الفتيات تجاربهن مع الشباب فى قصص حب قد تذهب الى أقصى المدى ، وهم يعتقدون أن مدرسة التجربة أقوى المدارس . ولكني أرى أنها مدرسة بلا معلم بلا مرشد . فالاب والام مشغولان بعملهما وليس عندهما الوقت لارشاد ابنتهما ، ولأن البنت تعودت الاستقلال فانها تنفر من تدخل الام اذا حاولت أن تتدخل .وهذا هو الخطر . لا رقيب ولا حساب والبنات يدخن ويسهرن : ويعربدن وان كانت هناك أسر محافظة لكنها قليلة .

والنتيجة !

نتيجة الحريات ، ونتيجة الحياة المادية التي تحياها الاسرة أن امريكا اصبحت تعيش بلا حنان فالبنت تعرف أن أمرها لا يعني أمها ولا أباها ، والام تعرف ان ابنتها فى بحث دائم عن قصة حب أو عن عريس ، والاب فى عمله والام كذلك ، ولقاءات الاسرة قصيرة والاسرة مفككة ، ولهـــذا تفتقد لمسة الحنان فى البيت الامريكي . والحياة العائلية محدودة ، فالاسرة هناك هي الاب والام والاولاد . وقلمـــا يتحدث هؤلاء عن أقاربهم . ونادرا ما يتزاور الاقارب على خلاف ما عندنا .

كل شىء بالثمن عند الفتى الامريكي . اذا دعا فتاته الى سينما فهذا بثمن واذا دعاها للعشاء فهذا بمقابل . واذا اكتشف انها فتاة مهذبة قال عنها انها باردة ، وباردة عندهم معناها « ذات فضائل وخلق » .

فما رأي دعاة أو **هواة التقليد .**

هذا الذى قالته الفتاة ، قرأنا وسمعنا مثله كثيرا عن المجتمع الغربي ، ومع ذلك نجد من يتعلق به ويدير ظهره لمجتمعنا الشرقي الاسلامي ، ويعيب تقاليدنا ويقول عنها رجعية ، ويدعونا للتحرر من واجبات الدين ، والانطلاق وراء هوى النفس بحجة اننا فى عصر الفضاء ..

هل الدين حال بينهم وبين أن يكونوا رواد الفضاء ؟

أم أنها الثرثرة من اناس ليس لهم الا لسان ..

حرية أم فوضى ؟!

مجلة وقعت فى يدنا أخيرا ، وهي تصدر فى لبنان لحساب القوميين العرب ، وفى هيئة تحريرها وكتابها بعض الاسماء الاسلامية مع الاسف !!

هذه المجلة تستهين بشعور المسلمين ـ مسؤولين وغير مسؤولين ـ وتتهجم على الاسلام ورسوله ورجاله وهيآته بأقـذع الالفاظ التى يتورع عنها الســوقة ، ولم تبق على ناحية يعتز بها المسلمون الا تناولتهـــا بالسخرية والتجريح .. بأسلوب ركيك ورخيص ..

لو أن ما كتبه الكاتب المتحلل يتناول قضية ويناقشها مناقشة موضوعية لكان بالامكان الرد عليه . ولكنه يشتم ويسب ويجرح ويهذى هذيان السكارى ، ومثل هذا لا يناقش وانما له أسلوب آخر يرد به عليه وعلى المجلة التي سودت صفحاتها بسخائمه وشتائمه ..

ومما لا شك فيه أن المجلة تعمل حسب مخططها المرسوم لها وتخدم الاغراض التي وجدت من أجلها .. ولكن ألا يوجد فى لبنان من يغار لدينه ؟ اننا نؤمن بحرية الصحافة الهادفة . اما الحرية المتحللة فلا . **فكيف تطلق لها الحرية حتى تصل الى هذا الحـــد من الاساءة الى شعور الملايين من المسلمين فى لبنان وخارج لبنان ؟**

وكيف تدعي المجلة والقائمون عليها والمحركون لها أنها تنطق باسم العرب وتخدم العرب وهي فى الوقت نفسه تهاجم الاسلام الذى يدين به العرب ويفتدونه بأرواحهم .

لو أن هذه المجلة أو غيرها تعرضت بالسب والتجريح لبعض الرؤساء لتحركت القوانين والقوامون عليها لردعها ومحاكمتها .. أما أن تتعرض للاسلام ومقدساته بمثل هذا الاسلوب فأمر لا يمس القانون ولا يعني القائمين عليه !!!

فهل الامر هكذا أيها السامون المسئولون وغير المسئولين فى لبنان

رجل مات

وافتنا الانباء الواردة من الهند مؤخرا بوفاة داعية كبير من الدعاة المسلمين فى أوائل ابريل الماضى .. هو مولانا محمد يوسف أمير جماعة التبليغ ، التي بلغت آثارها وجهودها كل انحاء العالم ..

عرفته حين كنت بالهند ودعيت الى اجتماع اسلامي كبير عقدته الجماعة فى مدينة بهوبال ولمست مدى اخلاصه وما يتمتع به من صفات الداعية المؤثر الذى يطبع تأثيره على قلوب الملايين . كان اذا تحدث مكث ساعات يفيض على السامعين من حلو حديثه حتى تمر الساعات وكأنها لحظات. **تولى قيادة الجماعة بعد أبيه مولانا الياس الذى أسس الجماعة ورعاها حتى نمت .. وهذه الجماعة لا تعتمد على تنظيم جماعى ، ولا حزبى ، ولكنها تعتمد على روح الاخلاص فى الدعوة ، وجذب المسلمين الى برامجها التى تقوم اولا على أصلاح المرء لنفسه ، ثم انطلاقه بعد ذلك مع بعض اخوانه ، ليسيحوا فى الارض ويدعوا الى الله بعملهم وعلمهم على حسابهم الخاص .**

فى هذا الاجتماع الذى حضرته فى « بهوبال » والذى ضم خمسة عشر الفا من انحاء الهند . جلست على المنصة معه ، ومع الاخ مولانا أبى الحسن الندوى ، وبعض كبار العلماء ، نودع الجماعات المنطلقة الى العالم ، تدعو الى دينها ، وكان منها العالم ، والطبيب ، والمهندس ، والموظف ، والعامل ، والزارع ، وكل منهم أخذ اجازة من عمله ، ليعمل شهرا أو شهورا من أجل الدعوة الدينية .. كان منهم الذاهب الى اوروبا وامريكا وشرق افريقيا ، وشرق آسيا ، غير الذاهبين الى الهند وباكستان والبلاد الاخرى ..

وتساقطت من عيني دموع الفرح بهذه الروح القوية التي تسود هذه الجماعة ، وتدفعها للعمـــل والتضحية من أجل دينها وعقيدتها ..

لقد فقدت الجماعة حقا قائدها ، ولكني أعتقد أنها سوف لا تهتز ، بعد أن أصبحت فكرة الجماعة تعيش فى قلوب الملايين . رحمه الله . واجزل له الثواب .

((الخارج على الجماعة))

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ـ

(من خرج على الطاعة وفارق الجمـــاعة مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبة أو يناصر عصبة ، فقتل فقتلة جاهلية . ومن خرج على أمتى يضرب برّها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي بعهـــد ذى عهدها ، فليس مني ولست منه) .

العروبة بين الجاهلية والإسلام

للاستاذ
البهي الخولي

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » سورة الجمعة (٢) .

- ١ -

فى هذه الآية الكريمة ثلاث حقائق واضحة .

(الاولى) تبين ما كان عليه العرب قبل الاسلام ، وما صاروا اليه بعده ...

(الثانية) توضح أن تاريخ الرسول عليه السلام هو نقطة التحول فى تاريخ العرب ، وفيما كان لهم من حياة نفسية وعقلية .

(الثالثة) تنص على أن سر التحول هو فى تلك الرسالة التي بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم .

- ٢ -

وكثير من الناس لا يكلف نفسه اطالة النظر فى معنى تلك الأمية التي كان عليها العرب قبل الاسلام ؛ اكتفاء لما يبدو للنظرة الاولى أنها أمية القلم ، او أمية القراءة والكتابة فحسب .. ولكن الامر أوسع من ذلك ، فالقراءة وسيلة لتحصيل الافكار المكتوبة ؛ ليستنير بها القلب ، وينتفع بها الذهن ... والأمية جهل برموز الكتابة وكيفية استخلاص ما فيها من المعاني ، وهي بذلك حجاب دون انتفاع الانسان بما هو مكتوب من خير ورشد .

ومن الناس من يقرأ دون أن ينشرح صدره ، أو تنهض همته بما قرأ من معاني الخير والفضيلة ، فهناك حجاب منع روح هذه الحقائق أن ينفذ الى

السريرة ، فظل محروما من خيرها وبرها . ومثل هذا الذى لم تنفعه قراءته وكتابته يستوى فى النتيجة هو والامي الذى لا يقرأ ، ولا يكتب ، ويجوز اطلاق وصف الأمية عليه ، مادامت القراءة والكتابة لم تؤدله حقيقة الغرض منها ؛ اذ لا خير فى قراءة وكتابة يظل القلب من ورائها فى ظلام أميته كما أنه لا ضير من أمية يكون القلب من ورائها حيا مستنيرا بالوان العبر والحكمة التي يحصلها من كل ما يسمع ، أو يرى على صور الحوادث وصفحات الكائنات ، فالمعول عليه فى الحقيقة هو أمية القلوب لا أمية الجهل بمصطلحات الرموز والحروف .

وقد يتامل انسان فى زهرة ... أو فى طائر ... أو فى كوكب ، فينكشف لقلبه من معاني الآيات ما تشف به النفس ويرق له الفؤاد ... وقد يقرأ انسان آخر من كتب الحكمة ما لا نظير له ، فلا ينفذ منها شعاع واحد لانارة ظلام قلبه

« واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقرا ، واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ، وَلَّوْا على أدبارهم نفورا » .

فالامية — على هذا أميتان : —

أمية سطحية ، وهي أمية الجهل بالقراءة والكتابة ... وأمية نفسية باطنة ، هي أمية القلب الذى يحجبه الهوى وسلطان المادة عن حقيقة المثل العليا ، وما فى الكون من عبر وحكمة وخير أصيل ... ، وهي أمية تصدق على كثير ممن نسميهم علماء ... وقد لا تصدق على كثير ممن نسميهم أميين أو جهلاء ..... وقد يستطيع ذلك الذي يجهل القراءة والكتابة أن يقرأ على صفحات الكائنات بنور قلبه من حقائق العلم وسر المعرفة ما يبهر به ذوى الاجازات الدراسية العليا ، والالقاب العلميية الضخمة وهي القراءة التى كشف سرها لبصيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد يكون — اذا — من الأميين علماء ، وقد يكون من العلماء أميون ... وقد نعى الله على أحبار بني اسرائيل أنهم يَعلَمون الخير ، ويُعلِّمونه الناس دون أن يَعمَلوا به ، فقال سبحانه :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟ »

وسماهم سبحانه — من أجل ذلك — فى آية أخرى — أميين اذ قال :

« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون ، فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ... »

قال الامام ابن عباس — رضي الله عنهما — فى معنى هذا : « الأميون قوم لم يصدقوا نبيا — أرسله الله ، ولا كتابا أنزله الله ، فكتبوا كتابا بأيديهم ، وقالوا هذا من عند الله — الى أن قال رضى الله عنه « ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله » (١) وذلك من ومضات القرآن بخفايا الحقائق واسرار النفوس لمحتها بصيرة الامام الحبر الذى علمه الله التأويل ، ولم يلتفت اليها سواه .

— ٣ —

وأمية العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أمية قلم ، وأمية قلب معا ... اذ كانت أمية القلم فاشية حيث لم يكن منهم من يخط بيمينه الكتاب الا القليل ... أما أمية القلب فحسبنا منها ما نعرف من عقائدهم

(١) تفسير ابن كثير

وعاداتهم وتقاليدهم فى السلم والحرب ، وقد أجمله الحق سبحانه بقوله :

((وان كانوا من قبـل لفي ضـلال مبين)) ...

وهي الامية التـي صقلها وازالها ، رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تلا عليهم من كتاب ، وبما زكاهم به من علم وحكمة ... فلما صاروا الى ما صاروا اليه من هدى ومعرفة ، رفع الله عنهم وصف تلك الامية وأبدلهم بها وصـف الايمان فقال سبحانه :

((لقد من الله على المؤمنـين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) .

فمتن هذه الآية ، ومتن الآية التـى صدرنا بها هذا المقال واحد ، غير انهما يختلفان فى الصدر ، فصدر الاولى يقول ((هو الذى بعثفى الأميين رسولا ...)) .

وصدر الآية الثانية يقول ((لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا ...)) ونريد أن نسأل ماذا كان العرب فى الناس قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وماذا كانوا بعده ؟ ....

لا يستطيع أحد أن يزعم انهم كانوا فى العالم شيئـا مـذكورا بالحضـارة والعـلم والمنعـة والسيادة ...

لقد كان ينقصهم نور القلب والذهن معا ـ ونور القلب انبعاث الى فضيلة ، وهمة الى مجد وسعي الى مثل عليا ... ونور الذهن معرفة وعلم ، ومصباح يهدى سواء السبيل ... فكان ينقصهم بذلك كل أسباب الحضارة ، ومقومات الدولة الراشدة القوية ...

ولا نريد بهذا أن نسلبهم ما كان لهم من خصائص نفسية طيبة ، واستعداد حسن لمعالي الامور ، ويكفي أن تلـك الخصائـص الكريمـة بلغت من صفـاء معدنها وسلامة فطرتها مارشحهـا لان تكون أصلح مهاد يتلقى نور الله فى الارض، وأشرف نفوس تحمل هدى اللـه الـى الناس ، ولكنا نقول ان ذلك كله كـان مخبوءا، أو كامنا تحتركام الجاهلية ، فلم يكن يبدو مـن وميضه الا لمحـات تتمثل فى سير بعض عظمائهم وأبطالهم دون أن يبلغ ذلك حد الشيوع الـذى تقوم به حضارة متألقة ودولة ذات بأس وغنـاء ...

فاذا قلنا ان أحدا لا يستطيع أن يزعم أن العرب كانوا فى العالم قبل البعثـة شيئا مذكورا بالعلم والحضارة والمنعـة والسيادة ، فانما نعني واقـع التاريخ ، دون أن نعني المساس بما هـو مقـرر لسلامـة الفطـرة ونفاسـة الجوهـر الثمين ...

ولا شك ان العرب صاروا بعد محمد صلى الله عليه وسلم أساتذة العالم هداة راشدين وعلمـاء راسخـين ، وحكمـاء ملهمـين عـلى خـلاف ما كانت عليـه جاهليتهم . وكذلك كان شأنهم السياسى بين الامم ، فكانوا فى مكة مثلا ـ وهـي أم القرى ـ قانعين بنصيب المتفرج على ما يدور من حروب بين فارس فى الشرق والروم فى الغرب دون أن يكترث لهـم أحد من أهل الشرق أو الغـرب ... كانوا قانعين بهذا الدور التافه ، يقولون : غلبت الروم ، اذا كانت فارس هي الغالبة ... أو غلبت فارس اذا كانت الروم هي الغالبة ، دون ان يكون لهم أثر ، أو رأى

فى توجيه ما يحدث حولهم من أحداث ، وكانت دولهم الراقية قد فقدت استقلالها وعزتها ، فخضعت دولة المناذرة فى الشرق لنفوذ كسرى، وخضعت دولة الغساسنة فى الغرب لنفوذ قيصر ..

كان هذا شانهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يلبثوا من بعده أن ورثوا ملك كسرى وقيصر ، وجمعوا فى أيديهم زمام المشرق والمغرب ، وصاروا القوة الوحيدة التي توجه التاريخ ، وترسم للعالم مستقبله ومصيره . هذا – كان – شأن العرب قبل محمد صلى الله عليه وسلم وبعده ... وما كان له عليه السلام من أثر فى ذلك الا أنه بلغ عن ربه فاحسن البلاغ ... وما كان للعرب من فضل الا أنهم تقبلوا الكرامة من مولاهم ، فاحسنوا بها الى أنفسهم ، ورعوها فى الناس حق رعايتها .. والفضل كله لله سبحانه ، اليه يرجع الامر من قبل ومن بعد :

((ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا)) .

– ٤ –

هذه حقيقة تاريخية ، لا سبيل لاحد الى جحودها ، ولا فضل لأحد فى بيانها وتقريرها ، فهي صوت الواقع ، وسجل التاريخ ... ونريد أن نسأل الآن ما مكاننا اليوم من هذا كله ؟ أو ما مكاننا من الرسالة التي آمنو بها ورعوها حق رعايتها ، وما مكانها من حياتنا ؟ .. مكاننا من هذا كله يبينه اليوم مكاننا فى الارض من شعوب العالم ، فما لنا فيهم من قوة ، وما لنا فيهم من أمر أو نهي ، ... مكاننا من هذا كله أننا المأرب الذى تطمع أبصار الاقوياء فى الشرق والغرب الى اقتسامه واغتنامه

... مكاننا اليوم من هذا كله تبينه أمية كثيفة ورثناها من عهود ضلال ، وانحلال، وفرقة ، تنتسب الى الاسلام بالاسم والى الوثنية بكل خصائص الجهل والهوى ، حتى تداعت علينا الامم تداعي الاكلة النهمين الى قصعتهم الحافلة....

وقد يطول البكاء على ما ورثناه من تبدد الهمم ، والاستغراق فى الأثرة ، وعبادة المنفعة ، والولع بلذة الجوارح ، وشهوة الحس ، وسذاجة الفهم ، وعزلة الفكر ، أو تخلفه عن مقومات العصر الذى يحيا فيه ، والاستسلام لعبث التنافس على ما هو وهم فى بصيرة العقلاء ... ولكن البكاء لا مجال له – طال ام قصر – فنحن فى طور بعث ويقظة نريد أن نأخذ مكاننا الجدير بنا فى موكب الانسانية المتطور الزاحف الى أسباب القوة والحياة .. فماذا يغنينا فى ذلك ؟

فينا من ينادى اليوم بالبعث العربي ، واحياء القومية العربية ، فأى شيء هذه القومية ، وعلى أى شيء يكون هذا البعث ؟ احياء لشيء هامد ، ونشور لكيان ميت ، فاذا كان قصارانا من عدد البعث ان نضع الفاظا براقة ، وندبج عبارات الثناء ، والغناء لما كان لنا من مجد أو أمجاد ، فهو جهد من يضعون لافتات الترحم على أجدات الموتى ، واذا كان قصارى بعض مثقفينا من الحزبيين – فى البلاد التي أبقت على الحزبية – أن يلفق لنفسه منهاجا يأخذ له مزقة من

البقية على صفحة ٧٨

حول انتشار الإسلام

كيف يعلل المبشرون

الاسلام شهادة بأن الله حق ، وشهود لآثار الوهيته فى صحائف الكون ، وصوغ للحياة النفسية والاجتماعية وفق ما أوحى الله لرسله ، واعداد أجيال البشر الحاضرة والمستقبلة للسير على هذا الصراط ، ما نبض فى أبدانهم عرق ، وخالج أفئدتهم شعور .

والاسلام من قبل ذلك علاقة عامة بين الكائنات كلها وبين بارئها الأكبر جل جلاله ، فالعلم من عرشه الى فرشه فقير أبدا الى ربه ، قائم به ، خاضع له عان لأمره ، وتلك حقيقة علمية لا يمارى فيها الا أحمق .

ومن ثم فان التمرد على الله شذوذ مستغرب ، والازورار عن دينه خطأ مبين ، « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها ، واليه يُرجعون(١) ؟ » .

ان الاسلام لله هو الصلة الطبيعية الفذة بين المخلوق والخالق .

واذا كان البشر فى هذا العصر يتواضعون على حقائق هندسية وكيماوية وفلكية مقررة ، ففي صدر هذه الحقائق يجب أن يعرف أن الله واحد ، وأن السيرة التي يرتضيها من عباده دلالة على انقيادهم له ، وتحقيقا لما يحبه لهم من خير ، هي سيرة محمد بن عبد الله ، فهو الانسان الكامل الذى التقت فى شخصه المثل الرفيعة للانسانية كلها .

ان الشهادة بأن الله واحد بيان لحق الخالق على المخلوق .

والشهادة بأن محمدا رسول الله بيان للطريق التي يسير فيها المخلوق كي يرضي الخالق ، وهاتان الشهادتان هما الدعامة الأولى للاسلام .

وقد فهم المسلمون من نصوص دينهم، أن صاحب الرسالة الخاتمة جاء متمما لما مهد اخوانه الرسل والأنبياء السابقون

---

١ — سورة آل عمران الآية ٨٣



لفضيلة الشيخ محمد الغزالي
مراقب عام الدعوة بوزارة الاوقاف

والمستشرقون سر انتصار الإسلام

وأن هؤلاء كانوا دعاة للاسلام بمعناه الشامل العميق .

وان مَرّ الزمان وتفريط الأتباع طمسا معالم الرسالات السابقة ، وأتاحا للغلو والابتداع والتحريف أن تعدو على طبيعة الدين ووجهته .

فلم يكن بد من رسالة عامة ثابتة تعيد الحق الى نصابه ، وترد الكلم الى مواضعه ، وتجلو كل ما غشى وجه الفطرة من خرافة وهوى ، وتضمن ألا يتكرر فى المستقبل ما حدث فى الماضي من زيغ وشذوذ .

فكان هذا القرآن الذى غلب الزمن ، وبقي محفوظا من كل ريبة . وكان رسوله الذى نشر الحق الى أبعد مدى يبلغه جهد بشر ، والذى صدع أركان الباطل ، فمادت بعد لأى « تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك ، فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ، ولهم عذاب اليم . وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون(١) » .

منهج الصحابة فى نشر الدعوة

وانطلق صحابة محمد وأتباعه فى أقطار الأرض يحملون البلاغ السماوى الأخير . وانطلق الصوام القوام الخاشعون المخبتون الى كل فج عميق ، يعرضون الاسلام على الناس ، باللغة العالمية التي يفهمها أهل الأرض كلهم جميعا ، لغة الخلق الزكيّ ، والسلوك العالي . نعم ان الجيل الذى حمل الاسلام ، وعبر به الأبعاد الشاسعة أرى الناس من نفسه نماذج رائقة ، فدخل الناس فى دين الله عن أعجاب ورغبة .

وما كادوا يتعمقون فى هذا الدين ، ويتعرفون دخائله ، حتى صاروا حراصا على دعوته العامة مثل العرب الذين جاءوا به ، أو أشد !! ..

١ – ٦٣ ، ٦٤ من سورة النحل

وقد وقع قتال فى أثناء سعى العرب لتحرير الشعوب السجينة ، وفك الاغلال عنها . وهل كان يمكن قمع الاستعمار القديم ، أو الحديث الا بالسلاح .

ان أنبل قتال وقع على ظهر الأرض ، هو ما خاضه أتباع محمد لرد «الرومان» الى أوروبا من حيث جاءوا ، ولكسر شوكة المجوسية فى فارس .

والا فكيف يتصور امرؤ راشد أن أربعة آلاف عربي مثلا يصلحون قوة غازية لفتح مصر وتوطيد الاسلام فيها جيلا بعد جيل ؟

انه لولا انبهار الأمم بالدين الجديد ، وتجاوبها معه ، واحساسها بأنه هدية الأقدار اليها ، ما دانت لأهله ، ولا دخلت فيه .

ماذا عسى يصنع أربعة آلاف رجل فى قطر كمصر ، أمام عشرات الألوف من جند الرومان ومشايعيهم ؟ .

وهب أنهم جن فى الوغى ، وان خصومهم هباء ، ما الذى جعل جماهير الشعب تسالم الوافدين ، ثم تنشرح صدرا بعقائدهم ، ثم تهب هي لنصرتها بعد ما اعتنقتها ؟ .

انها طبيعةالحق عندما يحسن عرضه، وتنزاح العوائق أمام الرغبة فيه .

وما مصر الا مثل لشقيقاتها التي كانت عانية فى أسر الرومان ، ثم شاعت أنوار الصدق فى هذا الدين ، فهوت اليه قلوبها ، ثم حملت لواءه الى يوم الناس هذا عن اعتزاز وحب .

لا اكراه فى الدين

وعمر الباطل يطول بين الناس بمقدار ما تطول غيبة الحق عنهم ، ولعل لهم عذرا فى البقاء عليه ما داموا لا يعرفون غيره .

وقد كان الناس على نحلهم الأولى قبل الاسلام بين راض بها عن قصور ، أو راض بها عن اقتناع . فلما ظهر الدين الجديد وتيسرت المقارنة والمقابلة ، بدأ التحول العظيم ، يشمل سواد الشعوب هنا وهناك ، فما مضى قرن على البعثة حتى كان الاسلام ملء السمع والبصر ، وكانت أجهزة الدولة الاسلامية ترقب هذا التحول من بعيد وهي دهشة ، بل ان بعض الولاة استبقى ضريبة الجزية على من يدخل فى الاسلام !! كأن وظيفة الحاكم تعويق الناس عن الايمان لا اغراؤهم باعتناقه .

وما نذكر هذه القصة الا لنشير الى كذب من يزعمون أن شائبة اكراه وقعت فى انتشار الاسلام .

أن الدولة لم تستخدم قط ، أداة قسر على ترك دين واعتناق آخر كما وقع ويقع فى أقطار أخرى لخدمة أديان أخرى .

وما حاجة الاسلام الى الاكراه ، ومبادئه تنساب الى القلوب من تلقاء نفسها لأنها الفطرة ؟ وتعاليمه تنساق الى العقول كما تنساق البديهيات التي يلقاها الفكر السليم ، ولا يستطيع أمامها مراء .

ان البيئة الحرة أخصب مكان لازدهار الاسلام ، ولولا شقوة الناس ، ما نصبوا العوائق أمام رسالته ولتركوها تبين عن طبيعتها فى هدوء . .

مستشرق يزيف الحقائق

ومنذ أيام وقع فى يدى كتاب من هذه

الكتب التي يؤلفها المبشرون والمستشرقون ويملأونها بالطعون فى الاسلام ، والضغن على نبيه ، ولما كنت قد ألفت تهجم القوم ، فاني لم أفزع لما ورد فى الكتاب من تهم ، أعرف ويعرف غيري قيمتها .

لكن الكتاب الذى قرأته تضمن عبارات فى التعليق على انتشار الاسلام أرى من المصلحة اثباتها لأنها ترد نجاح الاسلام ، وارتفاع شأنه الى خلل طارىء على القوى المعارضة لا الى صلاحيته الذاتية ، وأصوله النفسية والفكرية .

قال المؤلف المذكور ـ

اذا أنعمنا النظر فيما كتبه مؤرخو الكنيسة منذ القرن الثالث للميلاد ألفينا حال الأمة النصرانية لذلك العهد بعيدة جدا عما وصفها به بعض المصنفين من تقوى وصلاح .

وذلك أنها فضلا عن كونها لم تكن مؤيدة بالعقيدة الفعالة والغيرة والتقوى ، ولم تكن راسخة على أساس التعليم الصحيح ، وعلى الاتحاد وثبات الايمان ـ كان رعاتها مشتغلين بالمطامع الشخصية يتخذون العويص من مسائل الدين ذريعة للمشاجرات والمماحكات . وقد انقسموا فيها الى فرق وبدع لا تعد ، ونفوا من صدورهم ما ندب اليه الانجيل من الموادعة والمحبة والمؤاساة ، وعدلوا الى المناوآت والضغائن وسائر المفاسد ، حتى انهم بينما كانوا يتماحكون فى أوهامهم فى الدين أضاعوا جوهر الدين نفسه ، وكادت مشاجراتهم فيه تستأصله .

ومعظم ما ننكره الآن على بعض فرق النصرانية من باطل العقائد ، انما نشأ وتأصل فى تلك الأعصر المظلمة ، فعاد بالنفع على الاسلام ، وأعان على انتشاره .

ونخص من تلك العقائد بالذكر عبادة القديسين والصور ، فانها قد بلغت وقتئذ مبلغا يفوق كل ما نراه اليوم عند بعض فرق النصارى(1) .

اما الكنيسة الشرقية ـ فانها أصبحت بعد انفضاض المجمع النيقاوى مرتبكة بمناقشات لا تكاد تنقضي ، وانتقض حبلها بمماحكات الأريوسيين والنساطرة واليعاقبة وغيرهم من أهل البدع .

الصراع على منصب الأسقفية

أما الكنيسة الغربية : ـ فقد كان فيها من تهالك داماسوس واورسكينوس فى المشاجرة على منصب الأسقفية ـ أى أسقفية روما ـ وما أفضى الى احتدام نار الفتنة وسفك الدماء بين حزبيهما ، حتى ان الوالي لما رأى أنه لا قبل له بقمع هذا الشر انصرف عن المدينة وترك المتنازعين وشأنهما ، وكان الفوز بعد ذلك لداماسوس .

قيل استمر القتل فى الناس فى هذه النازلة حتى بلغ عدد القتلى فى كنيسة سيكينيوس وحدها مائة وسبعة وثلاثين فى يوم واحد .

ولم يكن من العجيب أن يشتد حرصهما على تبوء ذلك المنصب المهم لأن من يتبوأه يصبح ذا دنيا عريضة ، وينال من صلات السيدات الرومانيات ثروة وافرة فيخرج فى المواكب والأبهة بالمركبات والمحفات ـ مسرفا فى ترف العيش أكثر من اسراف الملوك خلافا لما

---

1 ـ لا تزال التماثيل تملأ الكنائس فى الشرق والغرب الى يومنا هذا ، وهي تماثيل ترمق برهبة وحب ، وتقبل أقدامها التماسا للبركة .

كان عليه أساقفة المدن الصغيرة من الاقتصاد والزهد ولو بعض الشيء .

ثم قال « فلما فشا فى أولياء الأمور وأرباب الدين هذا الفساد فى العقائد والأخلاق والسيرة نشأ عنه بالطبع فساد سيرة العامة من الناس فأصبحوا على اختلاف طبقاتهم وليس لأحدهم هم سوى جمع الأموال من الوجوه المحللة والمحرمة ثم اتلافها فى سرف العيش وانتهاك حرمات الله(١) » .

«هذا ما كان عليه حال النصرانية فى غير بلاد العرب » .

فى بلاد العرب

« أما حالها فى بلاد هذه الأمة التي هي موضوع بحثنا ـ يقصد بلاد العرب ـ فلم تكن خيرا من ذلك . فقد اشتهرت هذه البلاد منذ القديم بكثرة البدع ، ولعل ذلك ناشيء عن حرية القبائل واستقلالها » .

« فكان فى نصارى العرب قوم يعتقدون ان النفس تموت فى الجسد ثم تنشر معه فى اليوم الآخر ، وقيل ان (اريجانوس) هو الذى دس فيهم هذا المذهب . »

« وكم وكم من بدعة انتشرت فى جزيرة العرب ولا نقول نشأت فيها .

فمن ذلك بدعة كان أصحابها يقولون. بألوهية العذراء (مريم) ويعبدونها كأنما هي الله(١) .

وفضلا عن ذلك فقد اختلط بالعرب ايضا فى جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة لجأوا اليها هربا من اضطهاد القياصرة . فأدخل محمد كثيرا من عقائدهم فى دينه كما سنرى(٢) .

أما اليهود الذين كانوا فى سائر البلاد أذلاء لا يعتد بهم ، فقد قويت شوكتهم فى بلاد العرب حيث لجأ كثير منهم اليها على أثر خراب بيت المقدس ، وهو دوا كثيرا من ملوك العرب وقبائلهم .

ولذا كان (محمد) فى باديء امره يداريهم حتى انه اخذ عنهم كثيرا من مقالاتهم ورسومهم وعاداتهم تألفا لهم لعلهم يشايعونه ، لكنهم جريا على سننهم المألوفة فى العناد لم ينقادوا له بل ناصبوه العداوة ، وكانوا من أشد خصومه ، يحاربونه ويكايدونه دائما ، ولم يتأت له قهرهم الا بعد المشقة والعناء وتعريض نفسه لمهالك أودت بهم آخر الامر (٣) .

---

١ ـ هذه حال جماهير الناس فى أوربا اليوم . ان المذاهب المادية تسيطر على أخلاقهم وأحوالهم ، وفنون الاباحة تجعلهم عبيد شهواتهم . والسر فى ذلك عدم وجود « الايمان الصحيح » الذى يملأ فراغهم النفسي والفكرى . وهذا المؤلف وأمثاله يطعنون مع ذلك فى الاسلام بدل ان يخلوا له الطريق ليحل المشكلة .

يا بارى القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس باريها

٢ ـ هذه البدعة التي يرى المؤلف انها انتشرت بين العرب قديما ، ليست فى الحق من مخترعات القدماء وحدهم بل ان العصر الحاضر شهد مجمعا مسكونيا فى روما جعل مريم فوق البشر !! .

٣ ـ هذا هراء يشيع بين جمهرة المبشرين والمستشرقين والبراهين متكاثرة متضافرة على تفاهته .

٤ ـ الاسلام يحسن الى اهل الكتاب جميعا ما دامت مسالكهم معتدلة فاذا أبوا الا اهانته او اساءته فلا بد من ان يدفع عن نفسه « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .

وما ذكرناه من شدة بغضهم له ولّد فى قلبه آخر الأمر بغضا شديدا لهم فصار يعاملهم فى باقي عمره بأقبح مما كان يعامل به النصارى ويكثر الطعن فيهم فى قرآنه .

وقد تابعه المسلمون على ذلك الى يومنا هذا فهم يفرقون بين اليهود والنصارى ، ويعدون اليهود أحقر أمة على وجه الأرض وأذلها .

المسلمون بين الفرس والروم

وقد قال بعض من اشتهر بسداد الرأى فى السياسة : انه لا يتسنى لأحد أن يسود قوما وينشيء دولة ما لم تساعده الفرص . فاذا علمت هذا جزمت بأن اختلال احوال النصرانية كان من الفرص التي أعانت محمدا من الجهة الواحدة على نيل مآربه - كما أن وهن قوى الروم والفرس أطمعه من الجهة الأخرى فى الظفر بمراده فيما يقدم عليه من هاتين المملكتين اللتين كانتا قبل ذلك من القوة على ما هو معلوم ، ولو كانتا باقيتين على بأسهما لكانتا ولا شك حطمتا الاسلام وهو فى مهده ، وهم ينسبون فوزهم ذلك الى دينهم الجديد، والعون الالهي الذى وصل اليهم بسببه.

مسكين هذا المؤلف !! انه يحاول حجب الشمس بكفه ، كيف يتصور عاقل أن العرب من غير الاسلام كانوا يستطيعون هزم الروم والفرس مهما ضربت الحرب بينهما واشتد الخلاف ؟ لنفرض ان بين الروس والامريكان نزاعا ، فهل معنى ذلك ان تستطيع المكسيك مثلا الاستيلاء على الدولتين الكبيرتين ؟ .. ان الاسلام خلق العرب خلقا جديدا ، وبه وحده وقعت معجزة الفتح .

مشكلات التثليث

ان الرجل ينسب انتشار الاسلام على حساب الرومان خاصة الى ما ساد بينهم من اختلاف مذهبي وشهوات بدنية ونفسية . ويرى ان هذا الاختلاف لفظي لا حقيقي ، وأن تلك الشهوات موقوتة لا دائمة .

ونحن نصدقه فى نصف ما قاله ، ونخالفه فى النصف الآخر ، او نصدقه فيما قاله ونخالفه فى العلل التي ذكرها .

ان التثليث مولد ذاتى للخلاف على تراخى العصور .

ومشكلاته حقيقية لا شكلية .. وذلك بخلاف التوحيد المطلق الذى قرره الاسلام . ثم أن الانسانية بعد نموها الفكرى الظاهر ، الذى لم يعهد مثله فى تاريخها الأول تحتاج فى اقناعها العقلي وتربيتها النفسية ، وتنظيمها الاجتماعي والسياسي الى دين يكافىء هذا الامتداد فى مواهبها وخصائصها .

دين يشبع تعاونها الروحي ، وتألقها الذهني ..

انها بحاجة الى الدين الذى تعاون النبيون جميعا على ابلاغ أصوله وتوطيد أركانه ، ثم جاء صاحب الرسالة الخاتمة، فأعطاه صورته النهائية الحقيقية المشبعة.

واذا لم تعترف أوربا بهذا الدين ، فستبقى آخر الدهر فريسة المذاهب المادية شرقية كانت أم غربية . وستبقى صريعة الشهوات التي تغتال الطهر فى الانفس ، والعدل بين الامم ...

والله الامر من قبل ومن بعد .

قرارات المؤتمر الإسلامي بمكة

ذكرنا فى العدد الماضي أن الكويت قد اختارت الوفد الذى يمثلها فى المؤتمر الاسلامي الذى انعقد فى مكة بعد انتهاء فريضة الحج برياسة سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف ، ونشرنا أيضا كلمة الوزير فى العدد الماضي وكانت تدور حول واجبنا نحو الدعوة الاسلامية ، وقد عاد الوفد بعد انتهاء المؤتمر الى الكويت بعد ان اتخذ المؤتمر قرارات نذكر منها :

أ ـ ما يختص بلجنة الدعوة الاسلامية وأهم قراراتها :

١ ـ تأسيس معهد مركزي للدعوة والارشاد بمكة أو المدينة مهمته تكوين الدعاة .

٢ ـ تأسيس مجمع اسلامي يضم مجموعة من العلماء المسلمين لدفع الشبهات التي تثار ضد الاسلام وبيان حلول الاسلام للمشكلات المعاصرة .

٣ ـ تأليف واختيار الكتب التربوية النافعة وبشتى اللغات لتعميمها على المدارس الاسلامية فى العالم والاتصال بالدول الاسلامية للاتفاق على وضع مناهج تربوية صالحة .

٤ ـ تشجيع الصحف والمجلات والكتب الاسلامية التي تخدم الفكرة الاسلامية .

٥ ـ الاهتمام بأجهزة الاعلام وتقوية البرامج الدينية فيها ووضع المناهج الموحدة للدعوة الاسلامية .

٦ ـ اعتبار لغة القرآن الكريم لغة عالمية لجميع الشعوب الاسلامية مع وجوب تعليمها لأنه لا يمكن فهم دين الاسلام فهما صحيحا الا بها .

٧ ـ توحيد خطة الدول الاسلامية والعربية فى مقاومة النفوذ الصهيوني والمؤامرات التبشيرية والشيوعية والقاديانية والبهائية والماسونية واي حركة هدامة .

٨ ـ تنظيم دعاية قوية بافريقيا ، مضادة للدعايات التى يقوم بها الاستعمار وارساليات التبشير ومراكز الصهيونية لتشويه سمعة الاسلام والمسلمين .

٩ ـ ارسال المدرسين والوعاظ من الدول الاسلامية لافريقيا وغيرها من الاماكن المحتاجة للدعوة وتخصيص منح دراسية للطلاب المسلمين من جميع البلاد وكذلك تشجيع المهندسين والاطباء المسلمين على العمل فى افريقيا وحث الحكومات الاسلامية على تقديم الهبات والقروض وتأسيس المستشفيات والمدارس الاسلامية فيها .

١٠ ـ ضرورة اقامة الصلوات فى المدارس وتعويد الطلاب عليها وتخصيص اماكن للصلاة فى جميع المدارس ولجميع المراحل الدراسية . واتخاذ موقف حازم فى ذلك وعدم الاختلاط بين البنين والبنات فى مراحل التعليم الابتدائي والثانوى والجامعي .

ب ـ أما اللجنة الثقافية فقد اتخذت القرارات الاتية : ـ

١ ـ اقامة نظام ثقافي موحد الاساس والروح يشترك فيه جميع المسلمين ليحررهم من غزو الانظمة الثقافية والفكرية لمبادىء الاسلام وعقائده ويكون مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ تقرير تدريس حاضر العالم الاسلامي وجغرافيته فى الجامعات والمعاهد فى البلاد الاسلامية ، والعناية الخاصة بتدريس تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية ، والعمل على احياء التراث الاسلامي وتأليف لجنة من علماء التاريخ المسلمين لوضع تاريخ اسلامي مبرأ من الانحرافات والتشويهات الموجودة فى كثير من الكتب المترجمة والمؤلفة .

٣ ـ اعداد البيت المسلم وتهذيب الفتاة المسلمة وتعليمها تعليما اسلاميا صحيحا وتحرير التعليم النسوى من تقليد الانظمة التعليمية الأجنبية واقامة نظام تعليمي نسوى خاص منفصل فى جميع مراحله وتركيز جهود المدرسين فى المدارس والآباء

فى البيوت والوعاظ فى المساجد للوصول الى التزام المرأة لباس الحشمة الذى يرتضيه الاسلام .

٤ ـ اقتصار الدراسة فى الخارج على الدراسة فوق الجامعية على أن يختار الطلاب من ذوى السلوك الحسن والعقيدة الراسخة واقامة بيوت للطلبة ليعيشوا فى جو اسلامي صحيح وخاصة فى المدن التي يكثر فيها تجمع الطلاب المسلمين كباريس وميونخ ولندن .

ج ـ وفيما يختص بلجنة التضامن الاسلامي اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

١ ـ تبنى مشروع الدعوة الى مؤتمر قمة اسلامي واتخاذ الخطوات والاجراءات اللازمة لذلك .

٢ ـ تكوين لجنة من كبار العلماء وأهل الرأى مهمتها المبادرة دائما الى حسم الخلافات وحقن الدماء بين المسلمين .

٣ ـ تصنيف دليل مطبوع للعالم الاسلامي ينشر بعدة لغات ويشتمل على المامات عامة مركزة عن احوال المسلمين فى مختلف الاقطار وعن المنظمات الاسلامية العاملة وضروب نشاطها وعناوين مراسلتها واسماء القائمين عليها .

٤ ـ انشاء جهاز عامل متفرغ يقوم عليه عدد من الاكفاء من مختلف الاقطار تكون مهمته الاستفادة الى ابعد مدى ممكن من منافع الحج كل عام وتهيئة فرص اللقاء والتعارف والتعاون العلمى بين مختلف اهل الاختصاص ممن يؤمون البيت من علماء ومهندسين واطباء ورجال قانون واقتصاد واجتماع وغيرهم .

وزارة الاوقاف تحتفل بعيد الهجرة

احتفلت وزارة الأوقاف بعيد رأس السنة الهجرية ليلة الأحد أول المحرم ١٣٨٥ هـ الموافق ٢ مايو ١٩٦٥ ، وذلك فى مسجد السوق الكبير .وقد أمَّ الحفل عدد غفير من الوزراء وأفراد الشعب حتى ضاق بهم المسجد على سعته .. وبعد افتتاح الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، ألقى سعادة وزير الأوقاف كلمة أشار فيها الى عبرة الهجرة وهنأ المسلمين جميعا بالعام الجديد راجيا لهم فيه كل تقدم وتوفيق ..

ثم تتابع الخطباء والشعراء ، فتحدثوا عن التضحيات الكبرى التي أحاطت بالهجرة ودعوا المسلمين الى التأسي بالرسول وصحابته فى قوة الايمان والتضحية واختتم الحفل بآيات من القرآن الكريم ..

وقد نقلت الاذاعة والتلفزيون هذا الحفل الكريم ...

ومما جاء فى كلمة معالى الوزير

أذا كان لكل أمة من الأمم أعياد وذكريات تحتفل بها وتذكرها وبطولات وأمجاد تخلدها وتنشرها ، فان الهجرة النبوية تنشر أمام الأجيال أروع ما حفظ التاريخ من أنباء الجهاد فى سبيل الحق والعقيدة والايمان .

وجدير بنا ونحن نحتفل بذكرى الهجرة النبوية ونستعرض أسبابها وآثارها أن نستلهم منها العظة والعبرة ، فقد مضت سنة الله فى الأمم أن يعزها وينصرها ما اعتزت بايمانها واستمسكت بحقها ، وحرصت على حريتها ، وبذلت فى سبيله أموالها ودماءها .

واني أنتهز هذه المناسبة الكريمة فأهنىء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بحلول العام الجديد ، وأسأل الله أن يجمع شمل العرب والمسلمين ، وأن يعلي كلمة الحق والدين ، وأن يؤيد بعونه وتوفيقه سمو أمير البلاد حفظه الله .

الشرق ومزقة من الغرب ، ومزقة من حيث لا ندرى فهو على أنه جهل بأذواقنا، وطبيعة بلادنا ، وأصول تراثنا ، جهل بطبيعة البعث ومعنى الاحياء ، فان الاحياء ليس فى خطة سياسية او اقتصادية ، انما هو استمداد روحي ينشىء خصائص المثل فى النفس الهامدة، ويبعث نوازع الهمم فى الطبع الراكد الآسن ... ثم يأتي بعد ذلك دور المناهج والخطط .

نعم فلسنا بحاجة الى منهاج ينظم لنا سيرنا ، بل بحاجة قبل ذلك الى رسالة تعيد لنا ايماننا بعقائدنا ، وترسم لنا أهدافا راقية كريمة ،وغايات روحية عليا ، وتضع لنا مناهج الأخذ بها والتنشئة عليها ، وتقيم لنا من قادتنا هداة عاملين لها ، مبشرين بها ، ممثلين لمبادئها فى كل ما يقولون من قول ، وينهجون من سيرة .

نعم نحن بحاجة الى رسالة تزيل عنا أمية الهوى ... والرياء والنفعية التي قطعت الاواصر، وأضلت الاذهان ، وقبلت الهوان ، وخنقت كل خصوصية كريمة فى النفوس ... هذا أولا ، وليكن بعد ذلك من شأن السياسة والاقتصاد ما يكون فمردها كما أعتقد الى ما آمن به الناس من هذه الرسالة .

ما قيمة القومية العربية اذا هي تجردت من حوافز الحياة ونوازع الروح، وقوة الايمان بالمثل العليا ؟ ...

انها بدون ذلك تغدو أمشاجا من اللحم والدم ، وطائفةمن سلاسل النسب لا تغنينا فى قليل ولا كثير ، اذا هي نمتنا الى أبائنا الاولين من عدنان وقحطان ... وهي لفظ بدون معنى اذا أنت لم تجعله عنوانا لما كان للعرب فى التاريخ من أمجاد لا تساميها أمجاد ... وهي معنى تافه اذا أنت لم تلحظ فيه حقيقة الخصائص النبيلة التى رشحتها لان تحمل بأمر الله الى الانسانية أكرم رسالة فى هذه الأرض ...

فيا شباب العرب ان الزمان قد استدار فى سياسته كهيئته حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم :

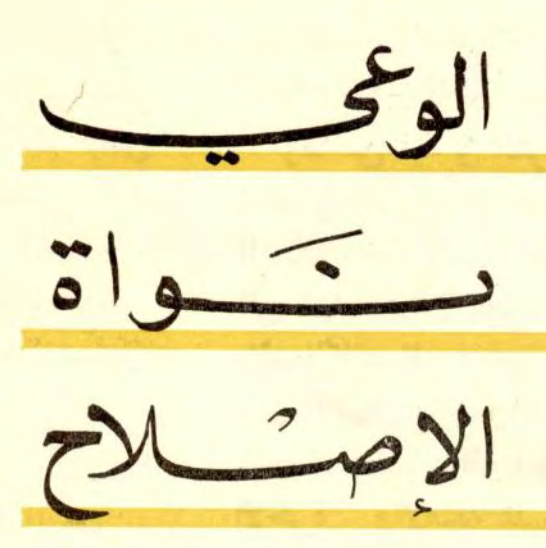
كتلتان تتنازعان العالم : شرقية وغربية ... ونحن نتفرج ونتساءل ـ كما تساءل أسلافنا من قبل : ألشرقَ أم الغرب ؟ لا .. لا شرق اليوم ، ولا غرب ، ولكن عروبة واسلام كما اختار القدير العزيز لاسلافنا من قبل .

يا شباب العرب انكم تدعون الى مختلف الدعوات فمن دعاكم الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعاكم الى مجد العروبة الصادق وذكرها الذى ليس فوقه ذكر والله سبحانه يقول : ـ

((لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ؟)) ..

أما اذا لم يؤمن الداعي بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو اما جاهل بحقيقة مجد العرب ، او عدو فى ثياب صديق ، يحاول صرفنا عن أسباب عزتنا ومجدنا ... وأن لكم والحمد الله ـ من الألمعية وصدق النظر ما تعرفون به حقيقة الدعاة وما يدعون اليه ... والله يتولانا واياكم وهو نعم المولى ونعم النصير .

* * *



الوعي نواة الإصلاح

للسيد الاستاذ جواد شبر

من أعذب الكلمات على السمع والروح كلمة « الاصلاح » انها خفيفة على المشاعر ، لطيفة فى الأحاسيس يترشفها السامع ، ويتمنى تحقيقها ، ويتغنى بها المجتمع ، ويهوى تطبيقها ، لكن تختلف الآراء فى الطريق المؤدية اليها والوصول الى اهدافها . فالبعض يرى طريقها التهذيب والتعليم ، والقضاء على الأمية ، وآخر يرى ذلك منحصرا في تسليم القيادة الى موجه حكيم ، وهو الذي يقود الأمة الى ساحل السلامة والنجاة .

أما عقيدتي فهي أن أقرب الطرق الى الاصلاح هو ايجاد الوعي العام فى الأمة ، واليقظة فى الشعب ، والعمل على ان يشعر الكل بواجب المسؤولية ، ولا يتحقق ذلك الا عن طريق الكتابة والخطابة ، وتعاون الفرد والجماعة فـ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

وقال صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ ، قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وكان من أساسيات الاسلام السهر على تهذيب النفوس ، وتثقيف العقول ، وتلك هي الغاية من ارسال الرسل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) .

أهداف العبادات

ان الطاعات البدنية ، والعبادات الاسلامية على فضلها وعلو منزلتها ، في نظر الشارع وسائط لا غايات ، انما يراد بها تكميل الأخلاق ، وتربية النفوس ، انظر الى قوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا !! »

فنبه الأمة الى أن الصلاة ليست

ركوعا وسجودا فقط ، دون أن يكون هناك أثر على النفس ، كما أن الصيام ليس عطشا وجوعا ، (رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) لأن الصوم فى فلسفته تربية للملكات ، وسيطرة على النفس ، وضبطها عن الاسترسال فى الشهوات ، وكفها عن الانغماس فى المشتهيات .

فالعبادة انما تقع موقعها من رضا الله تعالى اذا أدت الى تزكية النفس ، وتطهير الأخلاق،وحسن القيام بالواجبات مما يؤدى الى عظمة الأمة ، وثبات أمرها، ونفوذ سلطانها ، وفى هذا يقول بعض علمائنا المتقدمين ، أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم، ولا فى الصلاة، ولكن فى الكف عن اعراض الناس .

وقد نبه الشارع الأعظم فى غير حديث الى تفضيل الأخلاق على العبادات بنسبة ما لها من الأثر البين ، والنفع الظاهر فى مصالح البشر ، وسعادة حالهم .. من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ، عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة ، اصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » .

وكما أن الشارع فضل مكارم الأخلاق على مجرد عبادة الجوارح ، كذلك فضل دراسة اسرار التشريع الاسلامي على مجرد العبادة ففي الأثر : عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد . هذه الأحاديث الشريفة ناطقة بأن مكارم الأخلاق ، وتكميل النفس بالعلم الصحيح،وممارسة الواجبات الشخصية والاجتماعية عبادة، بل قد تكون أحيانا خيرا من العبادة ، على حسب ما لها من حسن الأثر فى نفع الأمة وتوفير الخير لها .

وما من آية فى القرآن ذكر الله فيها (الذين آمنوا) الا أضاف اليهم (وعملوا الصالحات) اشارة منه سبحانه وتعالى الى أن الايمان يجب أن يكون مقرونا بالعمل الصالح ، فهو مظهره وثمرته . وأن الايمان بالله والعمل الصالح يترتب عليهما مرضاة الله ، ومكافأته فى الدار الآخرة . والأمثلة على ذلك ما جاء فى القرآن فى مواضع متعددة كقوله تعالى .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » (١) .

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٢) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (٣) .

ولهذا كان الايمان حائلا بين المرء واقتراف المعاصي ، لأن الانسان فيما يفعل ، وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته ، يقول صلى الله عليه وسلم « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » لأن الايمان الكامل يأبى على المؤمن أن يفعل ما ينافيه ، أو يترك ما يقتضيه .

أثر الايمان فى التربية

والايمان بالله ينير لنا ظلمات هذه الحياة ، ففي ساعة العسر يتذكر المؤمن أن هناك ملاذا يلوذ به ، فليس هناك ما يدعوه الى اليأس والجزع ، فتطمئن

---

١ ـ سورة البينة (٧) . ٢ ـ سورة البقرة ـ ٢٥ ٣ ـ سورة الكهف ـ ٣٠ .

نفسه ، وتصغر أمامها الأهوال ، وتهون المصائب (وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وان الايمان المصحوب بالعمل الصالح وسيلة الى تحصيل السعادتين ، ومثوبة الدارين (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (١) .

قل لي بربك – علام يتهالك هذا البشر ، ويتزاحم ، ويتنازع ؟ .

أليس كل ذلك من أجل لذة عاجلة أو آجلة . والآية تضمن لعامل الخير هاتين اللذتين .

قال الامام علي بن الحسين زين العابدين : افعل الخير الى كل من طلبه منك ، فان يكن أهله فقد أصبت موضعه، وان لم يكن أهله كنت أنت أهله .

وقال رجل بحضرة الامام : المعروف الى الكرام يعقب خيرا ، والى اللئام يعقب شرا ، فقال عليه السلام . كن كمثل المطر يصيب الأرض الطيبة والسبخة .

اننا نشاهد البعض من بني الانسان وهو يسمو بروحه ونفسه حتى يفضل على الملائكة ، وآخر يهبط وينحط حتى عن صف البهائم (اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا) .

من الناس من يولد وينشأ ، ويعيش ويموت ، من غير أن يشعر به أحد ، فهو يشبه الزرع الذى ينمو عفوا فى الربيع ، لأنه لم يفد المجتمع فائدة تذكر .

ومن الناس من يشبه النبات السام الذى يبتعد عنه كل حي، لكيلا يصاب منه بضرر ، واذا دنا منه أحد فهو لكي يستأصل جذوره ، واذا زال واضمحل فرح بزواله كل من يريد الخير لنفسه وغيره ، وهذا النبات صورة أولئك الناس الذين لم يوجدوا على الأرض الا ليضروا الخلق ، فاذا ماتوا فرح الجميع بموتهم ، واستراحوا منهم ، لأنهم تخلصوا من شرهم وخطرهم .

وهناك أناس يشبهون الدوح الذى لا ثمر فيه ، بل هو يفيد الأحياء بظله الوارف ، وظله يزول بزواله ، وهو يشبه أولئك الرجال أصحاب النفوذ والثروة والجاه والسطوة ، فاذا قضوا نحبهم زال معهم اسمهم ، لأنهم لم يخلدوا آثارا تذكر .

وأما الرجال الأعلام الذين يضاهون الشجر الطيب الثمر الذى يؤتي أكله ، فيتمتع به الناس ، ويرتاحون لمنظره ولطعمه (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (٢) .

رجاء

للأساتذة الكتاب أن يرسلوا بحوثهم الينا مكتوبة على الآلة الكاتبة ما أمكن تيسيرا للعمل وتفاديا للخطأ .

وشكرا ،،،

١ – سورة النحل – ٩٧ ٢ – سورة ابراهيم – ٢٦٧ .

صيحة الاسلام فى وجه الصهيونية والصليبية الآثمة

للشاعر الاستاذ « محمد التهامى »
المستشار بالجامعة العربية

إن قال داعِى الحقِّ من يتقدمُ ... فأنا الحقيقة كلُّها ، أنـا مُسْلم
ومُعَلِّمى فـى العالمين محمـد ... صلى عليه الأنبيـاءُ وسلمـوا
وتخيَّـروه لهم إمامـاً صادقـا ... لمـا اصطفاه لنا الإلهُ الأعظمُ
وجدت شرائعُهُم يُكمِّل بعضُها ... بعضاً وتدرُجُ للكمـال وتَعْظُم
حتى تبلَّجَ فجرُها فاذا بـه ... خيرُ الأنـام بدينِه يتقـدم
فَطَوَوْا رسالاتٍ لهم وتزاحمـوا ... خلفَ النبى وبايعوه وأَسْلموا
شهدوا وهم رُسلُ الأنام بديننـا ... وبأنـه نَهْجُ الحياةِ الأقـومُ
نرضاهم رسلا تألق هـدْيُهُم ... ويتمّه طـه الحبيـبُ ويختـمُ
ونحبهم حب الجدود بَنَوْا لنا ... لنتم رهن مشيئة تتحكـم
فالبـدر في كَبِدِ السماء تَزُفُّه ... وتَرُوح تسبقُه هناكَ الأنجُـمُ
إنا عبادَ الله ملء قلوبنـا ... طه وموسى والمسيحُ ومريـمُ
وجميع أصحابِ الكتـاب طلائعٌ ... منا على النَّهْج القويـم تَقَدَّموا
لانحمـل الضِّغْن الشقىَّ لبَعضهم ... أبدا ولا نبغى ولا نَتَهجَّـم
بالكلْمة البيضاءِ كـلُّ دُعَائنَا ... والله يهدى من يشـاء ويُلْهِمُ
هذا دعاءُ المسلمين وإنـه ... من كـل أدواء التعصب بلسـم
وبلادُنا دار الجميع فكلُّهـم ... متقلب في خيرها يتنعـم
كم دق ناقوسٌ وصاح مـؤذن ... ومَعَ السلام صداهُمَا يترنَّـم

أنا مسلم

هذا سلام القادرين بـــدارهـــم دارُ العـــروبة حُرَّةٌ لا ترغـــم
نحمى الحقوقَ نصونُها ونردُّها لِذوَى الحقوق وحقُّنَا لايُهْضَمُ
لانظلمُ الناسَ الحقوق تـــرفعـــا لكننا لا نُسْتَضَامُ ونُظْلَـــمُ
من شاءها حرباً فنحن جنودهـــا حتى يثوبَ المعتـــدون ويندمُوا
وإذا السلام الحرّ لاح وميضـــه فلَدَى هُدَى القرآنِ ماهُوَأسْلَمُ

***

واذا جُرِحْنَا في المعارك مَـــرَّة فالأُسْدُ في وهج المعامع تُكْلَمُ
هذى فلسطينُ الأبيةُ ما انحنـــت يوما وإن غطى شوامِخَهَا الدَّمُ
إنا لنعلنها إليهـــم مُـــــرّة فالحق لا يخفـــى ولا يُتَكَتَّـــم
لولا ذئابُ الغرب خَلْف عدوّنا ما اسطـــاع أن يسعى إلينا المُجْرِمِ
أشلاؤنا اللائى تركنا خلفنـــــا قَتْلـــى واسرائيلُ تفزعُ منهم

***

إنا نريـــد الحقّ لا نرضـــى بـــه مَنًّا ولا نشكو ولا نَتَظلَّـــــمُ
لانَعْرِض الجرحَ العميقَ عليهم إنا لنَعْرف أنهم لن يَرْحَمُوا
لكننا نُزْجِـــى إليهـــم عِبْرَةً من صانعى التاريخ تنْبِئ عَنْهُمُ
هـــذا صلاحُ الدينِ تحت ترابِه أسدٌ عـــلى أرض المعامع يَجْثُم

القيادة الادارية فى سيرة الرسول

« من العلوم التى بدأت تأخذ مكانها فى الدراسة الآن باهتمام علم الادارة أو الشؤون الادارية ويبد لكثير من الناس أنه جديد . وقد يكون جديدا ف تسميته .. والكاتب الفاضل يحاول بما له من دراية بالادارة والاسلام أن يقدم للقراء عرضا جديدا يربط بين ما يعرفه المحدثون من هذا العلم ومصطلحاته وبين الاسلام ونهج حكامه فى ادارة شؤون الرعية ومعاملتهم وبدأ هذه المحاولة بهذا البحث » .

الوعي الاسلامي

للمقدم حسن فتح الباب
أركان حرب معهد الدراسات العليا
لضباط الشرطة بالقاهرة

تزايد الاهتمام فى عالم اليوم بأبحاث الادارة العامة ودراساتها المتشعبة حتى أصبحت علما قائما بذاته ، لا غنى عن الالمام به لكل من يعنى بشؤون الجماعة ، ويعمل على اصلاحها .

ويمكن تعريف علم الادارة العامة بأنه دراسة نشاط العاملين بالأجهزة التنفيذية للدولة فى سبيل تحقيق أهداف عامة مرسومة يعبر عنها بالسياسة العامة .

فالادارة العامة ـ بوصفها عملا جماعيا ـ تقوم على دعامتين متكاملتين لا قوام لاحداهما بدون الأخرى : تتمثل الاولى فى الافراد المكلفين بخدمة الجهاز التنفيذى ، وتتمثل الثانية فى العمل الذى يضطلع به هؤلاء الافراد . ومن ثم فان نجاح الادارة العامة يرجع الى حسن اختيار القائمين عليها ، وتدريبهم لرفع كفايتهم الانتاجية ، ثم وضع كل منهم فى المكان اللائق به ، حتى يستطيع القيام بأعباء الوظيفة التي تؤهله لها كفاءته ، والى تنسيق المهام المنوطة بهم ، وتعاونهم على الاضطلاع بها ، وفقا لأعلى مستوى من الأداء .

ومعنى التعاون هنا هو خلق حركة ونشاط منظم لم يكن ليتأتى اذا قام به فرد واحد أو أفراد متفرقون يعملون بلا نظام ولا خطة محكمة .

والقائد الادارى الناجح : هو الذى يستطيع أن يدفع العاملين معه الى العمل فى الاتجاه الصحيح ، بحيث يخلق منهم وحدة ادارية منظمة ، تقوم على التعاون الايجابي الذى يؤدى الى استمرار النجاح ، والوصول الى الأهداف المنشودة . فهو لا يقيم سلطته على الارهاب والعقاب أو التهديد به ، وانما يعتمد على قدرته فى استنباط الأصول النظرية وتطبيق القواعد العملية التي ترفع الروح المعنوية بين معاونيه ، وتزيد شعورهم ، بالمسئولية ، وتقديرهم لها حتى يقبلوا بأنفسهم مختارين على تنفيذ ما يعهد لهم به ، بدافع من ايمانهم بالواجب ، فلا تشل حركة الادارة في غيبته ، بل يستمر الجهاز فى عمله مواصلا سيره فى طريقه المرسوم .

واذا رجعنا الى تاريخ الدولة الاسلامية فى عصورها الاولى تبين لنا بوضوح أن القيادة الادارية الحكيمة كانت من أهم القواعد التى بنى عليها نظام الحكم ، ومن ثم كانت عاملا رئيسيا فى ازدهار الدولة وسيادة عقيدتها وحضارتها فى معظم أرجاء العالم .

وقد ضرب الرسول الكريم لأصحابه ـ بما أثر عنه من أقوال وأفعال ـ أعظم المثل لما ينبغي أن يتحلى به القائد الاداري من مناقب وسجايا ، اذ كان يحمل على عاتقه من الأعباء الجسام ما تنوء بهالطاقة البشرية بحكم تلك الأمانة العظمى التي حملها لهداية الناس من الظلمات الى النور .

اهم المبادىء

وقد اقتضته تلك المسئولية الكبرى أن يختط أقوم السبل ـ بوحي من الله تعالى ـ للاضطلاع بها . فكان تأصيل التعاون في نفوس المؤمنين برسالته عدته فى نشر الدعوة ، ثم تثبيت دعائم الدولة الاسلامية الجديدة . فلا غرو أن يكون الحض على التعاون والتآخي من أهم المبادىء التى تضمنها الدستور الاسلامي وصدع بها الرسول . قال تعالى ـ

« انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم(١) »

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (٢) » .

وقال الرسول الكريم :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

القدوة

ولقد وحد النبي أتباعه ، وساوى بينهم على اختلاف أنسابهم وألوانهم ولهجاتهم ، وتباين مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، وبدأ بنفسه فكان أسلوب عمله مطابقا لقراره ، ونزه ذاته عن الترفع والتعالي فى ادارته لشؤون الاسلام دينا ودولة ، مصداقا لقوله تعالى :

« وانك لعلى خلق عظيم (٣) » .

وقوله عليه السلام :

« أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

لم يجنح ـ عليه السلام ـ الى العسف فى الحكم أو الصلف فى المعاملة ، وصدق الله العظيم .

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (٤) » .

ومن آيات تواضعه مشاركته للرعية فى شؤونها واسهامه فى حمل أعبائها ، ومن ذلك أنه كان يعمل مع المسلمين يدا بيد فى حفر الخندق . وما أملى قرارا دون أن يمهد له بوسائل الاقناع المناسبة والتوجيه السليم ، فكانت المشورة سبيله ، والقيادة الجماعية أسلوبه في سياسة الدولة . وآية ذلك أنه يأخذ بآراء يبديها بعض صحابته ، حيثما يتوسم فيها الأصالة والسداد .

ومما أثبته التاريخ فى هذا الصدد ـ كما أورده المرحوم الاستاذ عباس العقاد أن سلمان الفارسي هو الذى أشار على الرسول بحفر الخندق عند المنفذ الذى خيف أن يهجم منه المشركون على المدينة، فأخذ الرسول بمشورته .

ومن المعروف فى أصول القيادة الادارية الحكيمة فى العصر الحديث أن القائد الكفء هو الذى يهيىء الفرص لرجاله كي يستنبطوا القرار الذى يريد ، فيصدر عنهم ولا يملى عليهم ، فمن شأن ذلك أن يؤكد ثقتهم بقدرتهم على الحسم فى الأمور . وبذلك تنشأ صفوف جديدة واعية من القادة تسد ما قد ينشأ عند غيبة الصف الأول

البقية ص : ٩٨

(١) ١٠ : سورة الحجرات . (٢) ٢ : المائدة . (٣) ٤ : سورة القلم . (٤) ١٥٩ : آل عمران



درس فى مسجد

تقدم الشيخ « أبو حازم » ، مطمئن النفس ، مضطرب الخطو ، ساهم البصر ، مختلج العضـــلات ، حتى اذا حاذى « اسـطوانته » فى جامـــع الفسطاط ، استوى على كرسيه ، فأقبل عليه طلابه ، بين مسلم ومحتشم ، وآنس بروح الشيخ وهائب .

وأجال الشيخ بصره فيهم يتفرس الوجوه ، فلـم يجد بينهم حواريه أبا أمامة ، فكأنما استوحشت نفسه ، وساورته الشكوك ، فان أبا أمـامة لم يفارق مجلسه منذ خمس عشرة حجة .

وأطرق الشيخ ، ثم رفع رأسه ، وانطلق صوته عميقا رقيقا مشفقا :

ـ أعندكم خبر عن أبى امامة ؟ .

فأجابه مجيب :

أطال الله عمر الشيخ : لقد تركناه ضحى اليوم ، وقد فرغ من دفن ابنته أمامه . وانه من فراقها لفي أسى يطويه وينشره ، فلعله قد أنساه الكمد ، أو تغشته نعسة من طول ما أصابه من رهق .

فاسترجع الشيخ طويلا ثم قال :

وما جزع المرء مما هو لا بد لاقيه ؟ ! وما نحن الا ركب يتلاقى بعد حين بطاؤه وسراعه فالعجلان والمستريث يجتمعان بعد حين ليس بالطويل ...

ورب راغب فى الموت ، برم بالبقـاء ، صادق فى هـــذه الرغبة صدق غيره فى حرصه على الحياة ، وتشبثه بالبقاء ، أو ما سمعتم قول شيخ المعرة :

---

* مسجد الفسطاط أول مسجد أسس فى مصر فى المنطقة التى نزل فيها المسلمون عند الفتح وضربوا خيامهم فسميت المنطقة لذلك بالفسطاط وهومعروف الآن بمسـجد عمـرو بن العـاص بمصر القديمة .

« الوعي الاسلامى »

القسطاط



للاستاذ كامل السيد شاهين
المفتش بالمعاهد الازهرية

دعـا لي َ بالبقــاء أخو وداد
رويــدك انمــا تدعو عَليَّا
وما كان البقــاء لي اختيــارا
لو ان الأمــر مــردود اليَّــا

والتفت القوم ، فاذا أبو أمامة يتجه اليهم بخطو كأنه العدو ، ثم يقبـل على الشيخ كالمـرأة الواله ويحتوش يـديه المعروقتين فى يديه ، ويكب عليهما بفمه كأنه يريد أن يرشفهما .

ويسكت أبو أمامة ليتكلـم دمعـه المنسـجم ، ونفسـه المضطرم ، وقلبـه الخفاق .

وينتزع الشيخ يديه فى رفق رفيق ، ويتلو فى خشوع قول الله تعالى :

((وبشر الصابرين، الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون)) .

فكأنما صـب على قلب أبي أمامـة المحرور ، ذَنوبا من ماء برود . وقال : والله لقد كانت أمامة أيها الشيخ واحتى التى أسكن الى ظلالها فى تيهاء هـذه الدنيا ، كانت ريحانتى التى تتنفس طيبا تنشق منه نفسى ، ويسكن اليه قلبى ، فاذا كربتنى الحياة ، أقبلت عليها أشمها وأضمها وألثمهـا ، فتنفرج كربتي ، ويذهب بثي ، فالآن ... ثـم وقـف الكلام فى حلق الرجل المفئود ، لا يرتقى صعدا ولا ينزل. فلما ذهبت غصته قال متمثلا :

ليـت نفسـي قـدمت
للمنـــايا بدلـك

فتمثل الشيخ :

يمـوت قـوم وراء قـوم
ويثبت الواحـــد العزيز
كـم هلكت غـادة كعـاب
وعمـرت أمهـا العجوز
يجوز أن تبطىء المنايـا
والخلد فى العقـل لا يجوز



وتتجه الجماعة الى الشيخ ، يسألونه عن حقيقة الموت ، فتنفرج شفتاه عن بسمة رقيقة تنم بالوثوق والتمكن قال :

الموت خلوص الروح من الجسد، فاما الجسد فتعرفونه ، يدا تبطش ، وعينا ترى ، ورجلا تسعى .وأما الروح فقد تحدث عنها القرآن الكريم :

((ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا)) السائل اليهود ، وما كان سؤالهم الا لاحراج الرسول ... وكان جواب الله تعالى جده ــ أن الروح أمرلا يوصف، فهي حقيقة تتعاصى على العقل الانساني، والاستعداد البشرى ، فلا سبيل الى معرفتها لقصور الافهام ... فهذا تأويل .

وتأويل آخر : هو أن الروح من أمر الله ، والله يعطي من العلم ما شاء ، ويمنع ما شاء ، فما بالكم تلجون فى أمر الروح هذا اللجاج ، مع ان العلم البشرى علم ضئيل ، فما جهل أمر الروح الا جرى على الاصل فى معرفة الناس لأسرار الكون والحياة ، فهذا هو الجانب الأكثر .

وفى قوله تعالى « أوتيتم » اشارة الى أن العلم ايتاء فهو توفيق وتيسير،وليس أمرا يحصل لكل راغب .

فليس لنا أن نقول : مم تتركب الروح ؟ فسبيلنا الى ذلك سبيل واحد هو ما وردت به صحاح الأحاديث ، **وانما نعرف الروح بآثارها . فبها حركة الجسم واحساسه ، وبها ادراكه ووعيه، وبها علمه وتفكيره ، وبها عزمه وتدبيره ، وبها حبه وبغضه ورضاه وغضبه .**

واذا كان اتصال الروح تترتب عليه هذه الآثار ، فان انفصالها يوجب فقدان هذه الآثار .. وهو ما يعرف بالموت .

فأما الجسد فعناصره عناصر الطين . **(واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، فقعوا له ساجدين) .**

فالجسم الانسانى : كربون،وفسفور، وحديد ، وجير ، وبوتاس ، وملح ، وسكر ، ومغنيسيوم وكبريت ، والطين ــ يا بني ــ كذاك .

والشعراء قد دعوا ذلك ، فقال أبو ماضى :

نسي الطين ساعة انه طين حقير
فصال تيها وعربد
يا أخي لا تمل بوجهك عني
ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

وقال آخر يبرر جبنه وفرقه من ركوب البحر :

لا أركب البحر أخشى
عليّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماء
والطين فى الماء ذائب

فابتسم الطلبة فى خبث وظنوا أن الشيخ يبعد بهم عن مزالق الكلام الى ممهوده فابتدره طالب مسنون الوجه حاد الصوت ، كان يجلس فى اقصى الحلقة :

ولكنا نرغب أيها الشيخ أن تحدثنا عما تتميز به روح الانسان عن روح الحيوان وهل هما شيء أحَد أم هما مختلفان ؟

قال الشيخ : ما رأيت كاليوم امعانا فى التضييق ، **فاما اذ كنتم ولا بد** سائلين فان روح الانسان لا تكاد تفترق عن روح الحيوان ، الا فى الاستعداد للعلم **« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة . »**

فذكرت الآية أن منافذ العلم وأسبابه ثلاثة : السمع والبصر والعقل ، وأداة العقل اللسان ، وأثر اللسان اللغة ، فهى تعطيك تصوير التجارب وتختزنها فى قوالبها وتبنيها مقدمات ونتائج ثم تجعل النتائج مقدمات مسلمات تصل منها الى نتائج أخرى أعلى . وهكذا يترقى العلم حالا بعد حال فى الانسان ، ويقف فى الحيوان عند التجارب البسيطة التى لا تتقدم وعلى هذا الأصل يقول اخوان الصفاء **« ان النفس لا تعرف شيئا الا بتوسيط الجسد »** .

وكان فى الحلقة شيخ قارح كأن عثنونه حديدة فاس ، يسقط منظاره على أرنبة أنفه ، فتحرك تحرك الثعبان طواه البرد، ونشره الدفء ، ثم قال :

ولكن ابن سينا يرى غير ما يقول الشيخ : فالنفس عنده كانت تعرف كل شيء قبل حلولها فى الجسد وانما معرفتها تذكرها ، فاذا رأت شيئا فى عالمنا ، تذكرت ما رأته فى عالمها الأعلى قبل هبوطها الى الارض وأنت تقول أنها تعلم بالتعليم لا بالتذكر ، فالى أىّ القولين نصير . ؟

فما تحرك من هيئة الشيخ شيء ، وقال ذلك أيها الحيوان الناطق رأى لم يبتدعه ابن سيناء وانما تبع فيه أفلاطون، فهي عنده تعرف الحقائق بالتذكر ولا يحجبها عنها الا حجاب الجسد وضلال الحس والشهوة وقد تبين ذلك فى عينية ابن سيناء التي مطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تدلل وتمنع
محجوبة عن كل رؤية ناظر
وهي التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كرهٍ اليك وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع

. . . الخ . . ولكن ذلك ليس له موافقة من كتاب الله ، ولا سند من سنة رسول الله صلوات الله عليه . قال أبو أمامة : وما برح فكره يدور حول ابنته التى اعتُبِطت من ليلة : ولكن ما حكمة الموتَ أيها الشيخ : وماذا ضر لو عاش الناس الى نفخة الصور . ؟

قال الشيخ : الحياة يا أبا أمامة ــ هم وتكليف ، والموت اقالة من الهم والتكليف **(لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الأنسان فى كبد)** والكبد أبلغ المشقة ولقد صدق أبو العلاء اذ قال :

لعل الموت خير للبرايا
وان ضاقوأ به وتهيبوه

وأوضح منه ما جاء فى مرثيته الدالية :

تعب كلها الحياة فما
أعجب الا من راغب فى ازدياد

وقد التمس ابن الرومى علة خيالية مليحة لبكاء الطفل عندما يستهل صارخا لدى ولادته، أن ذلك اشفاق مما يستقبله فى الحياة النكدة :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها
لأوسع مما كان فيه وأرغد

قال أبو أمامة :

أفترى أيها الشيخ أنه كلما سارع الموت الى الحي كان ذلك من سعادة حظه وآية رحمة الله به وأننا ينبغي أن نتمنى الموت الباكر الذى يعتبطنا شبابا على غير مرض ولا هرم .

قال الشيخ :

ان هذا المذهب لبعض المتشائمين .

ومن اليمن للفتى أن يجىء المو
ت يسعى اليه سعيا صريحا
ولم يمارس من السقام طويلا
ومضى لم يكابد التبريحا

غير أننا نهينا عن تمني الموت مهما يبلغ ما نلقى من كبد فى هذه الحياة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((لا يتمنين احدكم الموت لضر اصابه اما محسنا فلعله أن يزداد احسانا واما مسيئا فلعله أن يقلع عن اساءته)) .
أو كما قال .

قال أبو أمامة : ولكن المرء قد يبلغ به العجز والمرض حدا يحول بينه وبين القيام بحقوق الله ، فلا يزداد الا اساءة .

قال الشيخ : حاش لله : ((**لا يكلف نفسا الا وسعها**)) على أن مرض المرء وعلته وهمه وغمه ، كل أولئك تتحات به خطاياه ، كما قال رسولنا صلوات الله عليه :

((ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم و لاغم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه)) .

فتنفس أبو أمامة ، كانما أزيحت عن صدره صخرة تثقله .

وابتدر الفتى المسنون الوجه ، الحاد الصوت ، يقول للشيخ :

كنت تحدثنا عن حكمة الموت ، ثم انسرب الكلام بنا الى موت الهرم وموت الفتى ، فهل للموت من حكمة اوضح وأتم ؟ .

قال الشيخ :

ان الآية ((**لقد خلقنا الانسان فى كبد**)) كالجذع ينبثق عنه فروع وعساليج . أو ليس من الرحمة أن الرجل اذا تنفس به العمر وكان ذا مال وسعة ثقل على أهله الذين ينتظرون حينه ، لتنطلق ايديهم فيما تحت يده وهكذا الدنيا .

تملكها الآتي تملك سالب
وفارقها الماضي فراق سليب

فان كان معدما كان على أهله أثقل ، وكانوا به أشد تبرما ، أو ما ترى أن من الرحمة أن ينتهي الملىء والمعدم ، حتى لا يرى الجحود والنكران والشر ممن غمرهم بخيره ، ورصد لهم حياته وشبابه ؟ ثم انك ترى الرجل يكون ملء العين قوة وخفة ونشاطا ، ثم يصيبه الهرم بالضعف فيستند الى العصا فتعينه أجلا ، ثم لا تنفع العصا ، فينوء ولا يكاد ينهض :ـ

على الراحتين مرة وعلى العصا
أنوء ثلاثا بعدهن قيام

والله تعالى يقول :

((الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)) قال الطالب الحاد الصوت :

فذلك الضعف ، فما باله قد قرن اليه الشيب . ؟

قال الشيخ :

يجمعهما النقصان يا فتى فهذا نقصان فى كمال القوة ، وهذا نقصان من كمال الشكل وان كان الشعراء على عادتهم لا يرغبون عن اللهو وان جللهم الشيب :

لقد جل خطب الشيب ان كان كلما
بدت شيبه يعرى من اللهو مركب

ولقد بادل ابن قيس الرقيات عاذلاته لوما بلوم :

بكر العواذل فى الصباح يلمنني وألومهنه
ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه
لا بد من الشيب فدعن ولا تطلن ملامكنه

ولكن الحكم ليس للشائب ، بل الحكم لمن يرضاه صاحبا أو خليلا هذان أمران وأمر ثالث ايها الفتى — فما من امرأة ترى بعلها قد فترت همته ، وقلت نهضته الا فركته ، وجعلت تشاره ونهاره وتدعي عليه الذنوب :

قد أصبحت أم الخيار تدعي
على ذنبا كله لم أصنع
ما أن رأت رأسي كرأس الاصلع
أمشي كمشي الاهدأ المكتع

بلى ! فان مجرد الانصراف عن المرأة جدير بأن يكشف قناعها ، ويهدد حياءها

فقد روى عن محمد بن معن الغفاري قال :

أتت امرأة الى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين :

ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل . فقال لها : نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر هذا القول ويكرر عليها الجواب . فقال له كعب الاسدي :

يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها فى مباعدته اياها عن فراشه ، فاذا كان هذا حال المرأة مع الرجل القادر فأى غم يركب الرجل اذا أعجزته الشيخوخه ، أو قعدت به العلة ؟

وقد قال أبو الطيب :

وما صبابة مشتاق على أمل
من اللقاء كمشتاق بلا أمل

دع ذا ، وخبرني عن الرجل اذا ألحت به علل البطن ، فاصيب بالكباد ، أو داء المعدة فلم يهنأ بطعام ، ولم يسترح فى شراب ، وأصبح من جوعه فى ألم ، ومن طعامه فى ألم ، فأى حياة تطيب ، وأى عيش يلذ ؟ .

تلك — أيهذا السائل — بعض فروع الكبد وعساليجه ومن ورائها ما لا ينحصر من أمثالها وسبحان من أوجز فأعجز ((**لقد خلقنا الانسان فى كبد**)) .

وانه لمن الطريف أن يعد الموت من النعم التي يتفضل الله بها على العباد ويبكت الانسان بالغفلة عن حقيقة النعمة فيه ، ويرمي بالجحود . ترون ذلك فى قوله سبحانه :

((قتل الانسان ما أكفره ! من أى شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فاقبره)) .

فجعل الموت من جلائل النعم التي يوجب جحدها العجب غاية العجب من شدة نكرانه وكفرانه وصدق الله العظيم .

فقام أبو أمامة وقبل من الشيخ يمينه وجبينه ، وانقلب الى بيته والدنيا أهون عليه من الغبار الذي ينفضه عن حذائه أو ردائه ! .

الفتاوى

« يرحب هذا الباب بأسئلة السادة المستفتين ويرد عليها هنا أو فى ردود خاصــة اذا احتــاج الامر لذلك »

الكوافير والصلاة

تسأل احدى السيدات هل يمكنها أن تصلي دون أن تغسل شعرها خوفا عليه من الماء بعد أن دفعت مبلغا كبيرا عند الكوافير لترتيبه ، علما بأن عملها العام يستدعى ذهابها الى الكوافير كــل اسبوع مرة على الاقل ؟

الاجابة

نحب أولا أن نشكر للسائلة بحثها عن مخرج تستطيع به التوفيــق بين أداء فرض الله ومقتضيات عملها كما تقول . ولكننا نقول لها ــ الكوافير أو الحلاق ما ضرورته ؟ ان كشف الشعر حرام ، ثم جلوس المرأة أمام الحلاق الرجل ،وقيامه بتصفيف شعرها ، أمر يخالف مخالفة صريحة تعاليم الاسلام ... وذلك فوق ضياع الوقت الطويل .. والمال الكثير .. والقيل والقال مما يتسبب عنه الكثير من الفساد الذى تحدثت عنه المجلات والصحف وحذرت منه .

وبعد ــ فالسيدة السائلة التى تريد أن تصلي نقول لها بالنسبة للوضــوء يكفي فى الشعر أن تمسح بضع شعرات من أى جزء من رأسها ، وبالنسبة للغسل من أجل التطهير يجب عليها أن تعمــم جسمها جميعه بالماء بحيث يصل الى منابت شعرها ، وهذا باجماع المذاهب الاربعة .

اليمين والكفارة

اذا حنث شخص فى اكثر من يمين فهل يكفر عن كل يمين منها على حدة أو يكفر عنها جميعا بكفارة واحدة ، وأيهما أفضل ، هل يصوم ثلاثة أيام أو يطعم عشرة مساكين ؟ وهل يشترط التتابع فى الايام الثلاثة للكفارة أم لا ؟

الاجابة

المقسم حين يقسم بالله أو بصفة من صفاته العليا أو باسم من اسمائه الحسنى يكون مستحضرا عظمة الله وجلالــه ، مستشعرا الوهيته وربوبيته فيضع بهذا اليمين الذى يحلفه سدا منيعا بينه وبين المحلوف عليه فهو لا يقتحمه ولا يتجاوزه خوفا من الله تعالى .

فاذا ما حنث فى يمينه وفعل المحلوف عليه فكأنه اقتحم هذا المانع القوى وغفل عن مراقبة الاله الحق الذى اقسم به ، ولهذا يعتبر الحنث ذنبا وخطيئة تحتاج الى عمل يكفرها ويسترها .

ولهذا شرع الاسلام الكفارة لمن يحنث اذا وقع فى يمينه فهذه الكفارة تطهــير للانسان من خطئه وتجديد لأمله فى الله وتقريب له من مولاه، وفيها خير للمجتمع باشاعة البر والتعاطف بين أفراده .

ويوجب الاسلام على الانسان الذى يحنث فى يمينه اطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهــم بما يستر ابدانهم أو عتق رقبة مملوكة ، فمن لم يقدر على الاطعام أو الكسوة أو العتق فكفارته صيام ثلاثة أيام ويكفي صومها متفرقة والافضــل التتابع .. وتتكرر الكفارة بتكرار اليمين والحنث فيه ..

الطبيب والمرأة

أنا مريضة وزوجي يريد أن يأخذني الى طبيب للكشف علي ولكني أرفض ، فهل يجوز ذلك شرعا ؟

الاجابة

من القواعد الاصولية فى الشريعة الاسلامية ان الضرورات تبيح المحظورات .. ومن المعروف أن المرأة لا يجوز أن يظهر منها الا وجهها وكفاها وما دعت الضرورة الى رؤيته والنظر اليه ، قال تعالى (ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) ذلك أن الاسلام حريص على أن يصون المرأة وأن يحفظ لها حرمتها ، وأن يحوطها بسياج قوى عن أعين الاجانب .

والاسلام اذا كان حريصا على كرامة المرأة وعرضها فهو حريص كذلك على صحتها وعلى تخليصها من الامراض والعلل .

فاذا كان فى النساء طبيبات بارعات فى الطب ، يستطعن علاجها ، ويسهل الوصول اليهن ، كان ذلك أكرم لها وأستر ، ووجب عليها حيئذ أن تذهب اليهن ، ويحرم عليها أن يراها طبيب رجل .

أما اذا كان هذا المرض لا يستطيع علاجه الا الرجال ، أو يصعب الوصول الى طبيبات ، فحينئذ يبيح لها الاسلام أن يرى منها الطبيب العدل بقدر الضرورة ما لم يبحه فى غير هذا المقام وعلى هذا يجوز للسائلة الفاضلة أن تذهب الى طبيب للكشف عليها اذا دعت الضرورة الى ذلك ، والله أعلم ،،،

الضمان فى البنك

لي صديق تاجر أراد أن يقترض مالا من أحد البنوك ولكنه احتاج الى ضامن فهل يجوز لي أن أضمنه ؟

الاجابة

حث الله تبارك وتعالى المسلمين على التعاون فى الخير ونهى عن التعاون فيما يعود عليهم بالاثم، فقال تعالى ــ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه) .

والتعاون فى سبيل المعيشة مما يحتمه الدين ويأمر به الا انه حرم التعاون فيما يعود بالاثم ، فاذا كان هذا التاجر الذى سيقترض المال سيقترضه بفائدة كما هو الشأن فى معاملات البنوك فهو معاملة بربا ، وقد حرم الله تبارك وتعالى الربا على آخذه ومعطيه وكاتبه وشاهده ، كما أشار الى ذلك الحديث الشريف حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه) .

وعلى هذا فلا يجوز للسائل ضمان هذا الصديق لانه سيكون معينا له على ارتكاب الاثم وشريكا له فيه ويستطيع هذا الصديق أن يعاون صديقه باقراضه من ماله الخاص ان كان فى سعة من الرزق وبذلك يتحقق التعاون الذى أمر به الدين .. والله أعلم ،،،

قصة العدد

كعب بن مالك

بقلم الاستاذ محمد لبيب البوهي

بدأ الفجر ينشر أرديته الوردية على بطحاء مكة ، فيغمر الكون المنتشى بتسبيح ربه ، الخاشع في صلاته بضوء شفيف ، وقد بدت معالم دار كعب بن مالـك تتبدى تحت لمسات النور الوليد ، وقد راح كلب الحراسة ينبح نباحا عاليا متصلا ليس له بـه عهد من قبل ، حتى أقبلت راوية الجارية تعالج أمره ، كانما تخاطبه فتقول : ياللك من كلب تظهر شجاعتك في غير ميدان ، فقدعهدناك جبانا رعديدا في حضرة اللصوص ، فيا لك من ماكر خبيث لا تستحق كسرة الصباح .

... وكان طاهر اليعقوبي الفتى المـراهق ابن أحد الشهداء الراقدين في البقيـع قد انتهى من صلاتـه ، فالتفت اليهـا قائلا : ((دعيه فانه ينبح ، لأنه يرى الشيطان .. لقد دخل الشيطان لأول مرة هذه الدار .. انظرى : ان صاحب الدار لم ينهض اليوم لصلاة الفجر ، ولم ينشط لتـلاوة قرآنه المشهود كعادته كل صباح ، وبذلك حق للشيطان أن يفرح ، وان الكلب ليراه ، فهو لذلـك ينبح ... وذهب الفتى يقـرأ بعض آيات الكتاب المبين ، وبدأ نباح الكلب يتلاشى ، وأخذت الجارية العجوز تضرب كفا بكف مذهولة مما تـرى .. ثم التفتت الى الفتى وهي تغمغم : لقد أشرقت الشمس ولم ينهض السيد بعد من نومه .

فأجابها الفتى وهـو يغالب أسـاه : ذلك ما لست أدرى له سببا .

ومالت راوية على أذنه تهمس : لقد ظل شهورا مسهدا قلقا يسـعى للزواج من (أميمة) الحسناء ، التـي امتنعت على كثيرين من كبار القوم ، فلما نالهـا حق له ان يهدأ هذه الليلة ويستريح .

قال الفتى : تعنين أن المرأة قد أنسته ذكر الله .. ؟ بئس هذا الزواج اذن .. الذى يفتح الباب للشيطان .. ان هـذا الشر لن يكون الأول والأخـير ، فالكتاب يقرأ من عنوانه ، ولكل بداية نهاية ، واني لجد مشفق على كعب بن مالك .

ثم انصرف عنها ، والأفكار تتزاحم في ذهنه ،



ولقد بدأ لأول مرة يتنكر للحياة فى هذه الـدار التي أحبها ، والتي علمه صاحبها تلاوة القرآن ، وأسمعه كثيرا من أحاديث الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، وكان ما ينفك يذكر لهقصص الشهداء الذين رفعوا لواء الدين ، وكيف ذهبت كل أسرة تفاخر الأخرى بعدد مـــن استشهدوا فى سبيل الحق من أبنائها ، حتى كانت تلك المعانى تمـلأ نفسه رضى وسعادة ، اذ يذكر أنه ابن رجل شهيد وأن أباه قد مات وهو يجاهد ، وأن ذلك الشرف عند الله والناس عظيم ، حتى كان القوم اذ يرونه يشيرون اليه معجبين يتهامسون .. هذا طاهـــر اليعقوبي .. انه ابن رجل شهيد ، فكانت هذه الكلمات تقع فى نفسه أكثر عذوبة مما لو قالـوا عنه انه ابن قيصر ، أو سليل الأباطرة ، وانه ليعد الأيام والشهور حتى يشب عن الطوق ، وحتى يصبح أهلا للجهاد ، ولقد أحب كعبَ بن مالك ، لأنه كان يتعهد هذه المعانى فى نفسه ، فيزيدها قوة وتثبيتا .

ولقد كان كعب من المجاهدين الذيـن لـم يتخلفوا عن غزوة من الغزوات ، وكان من عادته أن يهش للفتى ، ويتبسط معه ، ويخفض لـــه جناحه ، ويدعوه معه الى صلاة الجماعـــة والى تلاوة القـــرآن ، ولكن الفتى قد رآه فى الأيـام الأخيرة منصرفا عنه لا يكاد يلقى اليه بالا ، ولقد ذهب بالأمس يسأل « راوية » الجارية العجـــوز عن سر هذا التحول ، فربتت كتفيـــه وهدهدت حزنه وقالت : لا عليك من ذلك يا طاهر فانمـا كان صاحبك يخلو اليك ، ويتبسط معك حـــين كانت حياته ملك نفسه ، أما اليوم فقد اتخذ لـه شريكة ذات جمال ، وقد أسكره جمالها عن نفسه وعن الناس ، فلا تدع للهم سبيلا الى نفسك ، وانما دع الأمور تجرى وفق سجيتها ، فان للزواج الجديد السعيد روعته ، وان لهذه الفتنة أجلها وان أيامها ستنتهي حتما . ما من ذلك بد ، ثـم يعود صاحبك الى القرآن والى أصحابه واليك ، يستمع منك ، ويتحدث اليك ، ويفرح بك ...

قال الفتى : انى أصدقك القول يا أماه: اننـــي لجد حزيـن ، فمـا كنت أحب لصاحبي أن تصرفه امرأة عن نفسه، وعن حياته ، وعن صلاة الفجر ، فقد علمني كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : « ان هــذه الدنيــا لا تعدل عند الله جناح بعوضة » فكم تعدل هذه المرأة من جناح البعوضة التي هي الدنيا ؟ واذا كان للجمال هذا الســـحر فانني لا أرى لصاحبته تلك من جمال ، وما أراها تمتاز عن بنات جنسها بشيء .. فأجابت المرأة ضاحكة : انما ذلك يا بني شيء يدعونه الحب .. فقال وهــو يعجب من قولها : ان الحب لا يمكن أن يلد الشر .

★★★

فأجابت وهي تعاود الضحك من سذاجته : عن أى حب تتحدث يا فتى .. ؟ قال .. أعنى الحب الذى هو سر الوجود .. الحب الذى هو الفنــاء فى الله وأن يحب المرء انسانا آخر من أجل الله .

قالت : يا صغيري ، ذلك شيء قلما يكون بــين الرجال والنساء ، انما يحب صاحبك امرأته لا من أجل الله وانما من أجل هذه العيون النجلاء ، ومن أجل هذا الجسد البض الناعم ، ومن أجل ذلك الشعر الذهبي المسترسل كسبائك الذهب .. انه لا يرى امرأة بين نساء العالمين تعدلها ، ولقد كان من قبل منصرفا عنها لا يعــرف غــير القرآن والصلاة ، ولقد تبدت له مرة ، فأعــرض عنها ، فعز عليها أن يفلت انسان واحد من أسر سحرها ، فأقسمت أن توقعه فى حبائلهــا ، وأن تتيه على صاحباتها ، اذ تنال زوجا عـــز عليهن مطلبا ، وشغلته عبادته عن لذته وشهواته ، ولكنها كرست لذلك ذكاءها ، وان المرأة فى ذلك لخبيرة ، حتى تدله العابد فى حبها ، ومن هنا ترى الحكمة فى منع الرجال عن النساء فانما ذلك يعني حجــز الفتنة من الانطلاق ، ولقد تزوجهــا كعب بكلمــة الله ، ولكنه اذ نالها سكر بخمر الانتصار ، فدعه يا بنى حتى يفيق .

فأجاب الفتى .. وهو يهز رأسه أسفا ..

ليست هذه هي كل القصة ، انما هي بدايتها .. لقد سمعت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدرهم .. تعس عبد المرأة .. واني أعيذ صاحبى أن يكون عبدا لامرأة .. لقد تزوجها .. وليس فى الزواج من حرج ، انما الحرج كل الحرج فى هذه الأحوال التي بدت فى هذه الدار من يومين ، فانطوى المصحف ، وخفتت أصــوات الفجر التي كانت ترتل القرآن ، وأفسحت مكانها لهذه الأغانى التي تنشدها « أميمة » آناء الليل واطراف النهار !

قالت « راوية » : لقد نسيت يا فتى أن صوت « أميمة » جميل ساحر ، فهى تتغنى به قال طاهر ليس الذنب ذنبها ، وانما هو ذنب كعب ، فلــو أنه علمها القرآن لوجدت له فى صوتها هذا الجميل حـــلاوة ..

وانه ان لم يفعل ، وان لم يبسط على امرأته ظل شخصيته ، فهيهات أن تسعد بضعفه ، وسيندم حين تنفلت عن طاعته ، فانما بكل امرأة ضعف ، وانما الرجل مكلف بتكملة ضعفها وارشادها الى واجبات دينها .

فأجابت راوية .. يا لك من فيلسوف صغير

قال : كلا يا أماه ليست هذه فلسفة ، وانما هي الرجولة ، وهي تعاليم الاسلام ، وقد قـــال الرسول صلى الله عليه وســلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

وسكت قليلا ثم أردف وهو يتحول الى داخــل الـدار :

ليس لي أن أقيم بعد اليـــوم فى دار دخلهــا الشيطان ، وأنا ابن رجل مات شهيدا .. اني راحل .. قالت الجارية . الى أين ؟ فأجاب : الى الله .. الى وجهه الكريم فى هذا الفضـــاء العــريض .

فأمسكت به راوية وقالت : انــك فتى قـــد تأدبتَ بآداب الاسلام ، فما يليق بك أن ترحـــل

حتى ينهض صاحبك ، وحتى تلتمس منه الاذن بالرحيـل .

فغمغم بصوت كظيم : سأنتظر حتى ينهض السيد مع الضحى .

★★★

تنفس الصـبح ، وراحت الشـمس تعتلى كبد السماء ، ومـا يـزال الفتى يرقب فى حسرة نافذة حجرة كعب ينتظر فى لهفة مجنونة أن يسمع صوته حـين ينهض من النوم ، وظل يرتب فى ذهنه هذه الكلمات القلائـل التـي سيتحدث بها اليه يشـكره على فضـل رعايتـه ، ويطلب اذنه ، كي يذهب مع الذاهبـين الى الجهاد . فقد علم أن النبي صلى الله عليه وسلم يتهيأ لغزوة جديدة ، وأنـه قد أمر الناس بالاستعداد . وانه ليحلم منذ أمد طويل بهذا اليوم لينال الشرف الذى ناله أبوه من قبل ، كما ناله هؤلاء الذين ترقد أجسادهم الآن فى البقيـع ، وفى غير البقيع بينما تسبح أرواحهم فى جنات الله ، وترد حياض الجنة على هيئة طيور خضر تأكل من ثمارها وتأوى الى ظلالها ، أولئك الذين قال الله فيهـم : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقـون ، فرحين بمـا آتاهـم اللـه مـن فضلـه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم مـن خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

وظل الفتى سابحا فى أفكاره تلك ، حتى جاءت الجارية العجوز تدعوه الى السيد الكبير ، فذهب الفتى ، وعليه من الهم علامات لم يخطئها كعب بن مالك الناقد الخبير ، فتلطف اليه ، وتبسـط كعادته وقال : كيف أنت يا غلام ؟

انني على شر حال أيها السيد !

قال كعب بن مالك وهو مأخوذ : ولمَ .. ؟

قال : لقد كنت أصلى الفجر مأموما بك كـل صباح ، أما اليوم فقد انتظرتك طويلا ، ثم صليت وحدى قبل أن تبزغ الشمس .. ففام وجه كعب ، وتلعثم لسانه ، وقد رأى صبيا يافعا يذكره بأمر دينه ، فلم يدر بماذا يجيب .

وتكلمت أميمة الجميلة تريد أن تلتمس لزوجها عذرا ، فقالت وهي تعالج الضحك : انما هذا هـو الصباح الأول يا فتى لزواجنا .. فأغضى طاهر حيـاء ، ثـم لم يحر جوابا .

كان بوده أن يقول لا بـورك فى زواج ينسى المرء واجب ربه ، ويخرجـه عـن طاعته ، انما الزواج نعمة يسوقها اللـه وانما من حق النعمة شكر المنعم عليها .. كان بوده أن يقول هذا ، ولكن الحيـاء شل لسانه .. والحياء على كل حـال طبع كريم ، فهو شعبة من شعب الايمان ، ولذلك أغضى الفتى ، ولم يتكلم ، وجاءت راوية بعد قليل تعلن الى سـيدها أن بالباب أعرابيا قد تقدمت بـه السـن ، واستبد به الضعف وبان عليه الهزال ، وقد طننته طالب صدقة ، فبذلتها له ، ولكنه أعرض عن الصدقة والطعام والشراب وقال : انما هو على سفر ، وانما يريد أن يراك .

البقية فى العدد القادم

من فراغ ، فلا تتخلخل الجبهة ولا يضطرب أمر القائمين بالتنفيذ .

ومن شأن ذلك أيضا أن يضيق من المسافات التي تفصل بين الرؤساء والمرؤوسين ، اذ ترتفع معنويات المرؤوس فيطمح الى درجة أعلى ، فيضاعف من جهده لتحقيق غايته المشروعة تلك ، وينعكس ذلك كله على الانتاج زيادة وتحسينا ، وتتحقق المصلحة العامة على خير وجه .

على أن الحوافز الروحية المنبثقة من العقيدة الاسلامية السمحة كانت أهم العوامل والدوافع التي رفعت الروح المعنوية فى نفوس المسلمين ، فكان كل صحابي يتفانى فى سبيل كسب مرضاة الله ورسوله والمؤمنين ، فلا يدخر وسعا فى بذل كل جهد لخدمة الجماعة ، حتى كان ذلك البذل يسمو الى مرتبة الاستشهاد .

وكان السبيل الذى اتبعه الرسول عليه السلام لارساء أسس القيادة الحكيمة هو : افساح المجال أمام أصحابه للتجربة فى ميدان الحكم والادارة . فمن خلال التجربة تكتسب الخبرة وتزيد الكفاءة وتنجز أعظم الاعمال . فلا غرو أن كاد دأبه ــ عليه الصلاة والسلام ــ الحث على اعمال الفكر وممارسة حرية الرأى .

لقد هدى الله نبيه الكريم الى أقوم أسلوب فى التعامل مع الناس أعداء وأنصارا على السواء حتى دخل العرب فى دين الله أفواجا . وبقيام الدولة الاسلامية الاولى فى المدينة برئاسة النبي صلى الله عليه وسلم ، أخذ عليه السلام يدعم بنيانها ، ويوطد أركانها بما وهبه الله من مآثر القيادة الناجحة ومقوماتها ، فعلم المسلمين حسن السلوك ، وعلم ولاته حسن الادارة ، وعاونهم بعظاته ووصاياه فى تطوير أنفسهم لتحقيق الخير والرفاهية للجماعة ، وتكييف سلوكهم بما يتفق مع القيم الاسلامية المثلى . لقد لقنهم ــ بالقول والفعل ــ هذه التعاليم وعودهم على اتباعها ، حتى رسخت فى وجدانهم فلقنوها الرعية ، وفى مقدمة هذه المبادىء الشعور بالمسئولية تطبيقا لقوله تعالى :

((كل امرىء بما كسب رهين))

وقوله عليه السلام :

((كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته))

وكانت عملية نقل الأفكار وتأصيل القيم تتم عن طريق المناقشة الحرة المفتوحة والحوار الفكرى المستنير ، وبذلك استطاع القائد الادارى العظيم أن يدرب المسلمين على السلوك الديني والاجتماعي والادارى السليم .

فالرعية تحسن معاملة بعضها البعض فى مودة ومحبة وايثار ، والراعي يعامل الرعية بالعدل والمساواة ، ويحسن التصرف فيما يعرض له من مواقف ، وما يواجهه من مشكلات ، وهو يستجيب لمطالب المحكومين بما يرضي الله ورسوله، ويلتزم الحزم فى اقامة حدود الشريعة الغراء ، ولا يجنح الى التفرقة ، أو الهوى والغرض .

فلا غرو أن ينجب الاسلام جيلا بعد جيل من القادة الصالحين ، وأن تواصل هذه العناصر القيادة الدعوة لدين الله فى ايمان لا يتزعزع ، وثقة بالله لا تضعف ، وشعور بالمسئولية لا يهن ، حتى ارتفعت أعلام الاسلام فى كل مكان وامتدت تعاليمه وثقافته الى مختلف أرجاء العالم، وتحققت على أيدى هؤلاء الرواد والأبطال هداية الناس الى الحق والخير والسلام ، وما زالت شريعته السمحة وحضارته الخصبة الزاهرة منارا لأبنائه ، ولكل من يتطلع من البشر الى المعاني الفاضلة ، والقيم الروحية الرفيعة .



على
شاطيء
الـكويت



اقرأ في هذا العدد :

مطبعة حكومة الكويت



السنة الاولى * العدد الثالث * ربيع الاول ١٣٨٥ هـ يوليو ١٩٦٥ م



صورة لجانب من العمارة الحديثة فى الحرم المكي

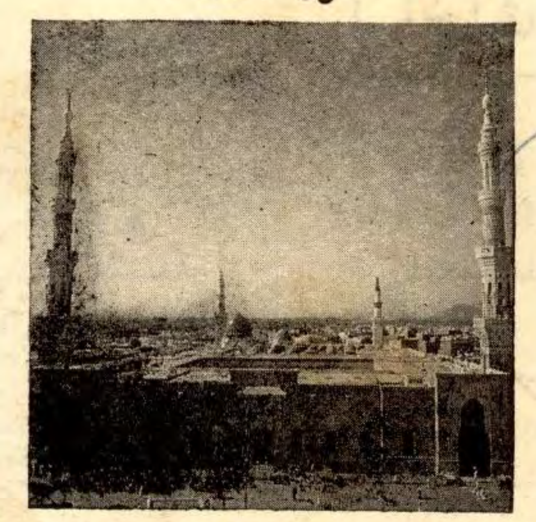
الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



الحرم النبوي الشريف
تصوير : عبد الناصر شقره

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧

اقرأ فى هذا العدد

جاءنا من مكتب فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر رد لجنة الفتوى بالازهر على الأستفتاء الذى نشرناه بالعدد الاول الخاص بحكم التصرف فى فائدة الاموال المودعة فى البنوك وسننشره فى العدد القادم فنلفت اليه الانظار .



كلما أطل علينا شهر ربيع الأول تنسمنا من ذكرياته العطرة ذكرى مولد النور والهدى مولد سيدنا محمد صفوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ..

واذا كان للأماكن أن تفخر بمن نبتوا على أرضها ، ودرجوا بين أحضانها فان الجزيرة العربية ليحق لها أن تفخر بأنها أنجبت خير رسل الله.

واذا كان للأجناس أن تعتز بمن أنجبت من الأبطال ، والعظماء الذين غيروا مجرى التاريخ فان العرب ليرفعون رءوسهم على كل الاجناس بان خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول الله الى الخلق أجمعين كان عربيا ..

واذا كان لأية لغة أن تتيه بما سجل بها من أفكار وآثار كانت اشعاعا هاديا للعقل البشرى ، فان اللغة العربية لتقف على رأس اللغات جميعا فخورة بأن الله قد اختارها لغة كلامه وكتابه المنزل على رسوله ، ليكون دستورا خالدا وعاما للبشر أجمعين .

ولكن رسول الله عليه الصلاة والسلام علم أمته منذ بعثه الله رحمة للعالمين الا تلتمس الفخر بمكان ولا جنس ولا لغة ، ولكن بطهارة القلب ، وحسن الخلق واتقان العمل ..

وعلى هدى هذه المبادىء والتعاليم سرى الاسلام فى النفوس العطشى الى العدل والخير .. ونهض بالعرب ، ووحد كلمتهم ، وجمع على الحق أهدافهم ، فصاروا دولة بعد أن كانوا شتاتا ، وسادة بعد أن كانوا نهبا لمن حولهم ، فهدى الله بهم أمما كثيرة ، ونعموا على أيديهم بالحكم العادل والخلق الفاضل . وهكذا رفع الله من شأن العرب برسول منهم « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

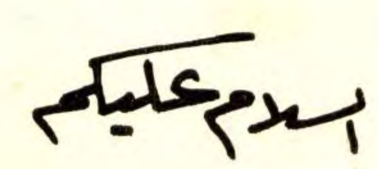
ان الأمم التي تتصدى لحمل رسالة تظل قيمتها فى الحياة منوطة بما تؤديه من رسالتها .. والمسلمون وفى مقدمتهم العرب لن يتخلوا عن وجودهم ولا عن رسالتهم . فان أمة لها مثل هذا الرصيد من المجد وأمامها هذا الهدى من كتاب الله وسنة رسوله لا يمكن أن تبعثر أمجادها ولا أن تتنكر لماضيها ، أو تغمض عينيها عن النور الذى يضيء لها الطريق ..

« يأيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

المشرف العام

بسم الله الرحمن الرحيم





ثلاث حوادث جسام سجلها التاريخ فى شهر ربيع الأول فى مدى ثلاث وستين سنة : مدة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الأرض : مولده ، وهجرتــه ، ووفاتــه .

ولكن حادثة واحدة طغت على ما عداها فظل هذا الشهر مقترنا بها فى نفوس المسلمين ، حين يذكرونه بانه شهر الميلاد ويحتفلون به ، ويعددون افضال الرســول على الانسانية كلما جاء من السنة موعده . وان كانت ذكراه عليه الصــلاة والسلام تعمر بها دائما قلوبنا ، وتلهج باسمه وفضائله ألسنتنا واقلامنا ، فى كل لحظة تمر بنا .

ولكن الذكرى ــ أصدق الذكرى ــ لا تكون بمجرد المظاهر والكلام ، بــل باحياء تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، والأخذ بها فى انفسنا ومجتمعنا .

والا فهل يكفي ان نذكره بقلوبنا ، وأن تجرى الالسنة والأقــلام بتعداد مآثره ، وفضائل الدين الذى جاء به من ربه ، دون أن نعني ــ كأفراد بلغوا مئـــات الملايين ، ودول زادت عن العشرين ــ بالاسلام كروح ونظام شامل للحياة ؟ .

سيقال : ان فينا غيرة على الاسلام ، والمساجد بحمد الله قائمة بيننا ، والقرآن يتلى ويعتني بطبعاته الفاخــرة ، وتذاع الأحاديث الدينية ، والتصريحات الرســمية بمحاسن الاسلام ، والدساتير تنص على أنه الدين الرسمي ــ الخ ــ ...

ونقول : نعم . هذه المظاهر موجودة وطيبة فعلا .

ولكن الاسلام ليس مجرد مظاهر وكلام ... انه عقيدة وعمل .. نظام وتشريع وآداب .. فما مدى تفاعل حياتنا معه ، وأين واقعنا منه ؟ .

لقد طارده الاستعمار فى دياره حينا من الدهر ، وسلط عليه معاوله وأساليبه الماكرة ، في كل بلد مسلم حل به ، وكنا نقول ويقول التاريخ معنا : ذلك منطق العدو ، وتلك خططه لبلوغ أهدافه .

ولكن ذهب الاستعمار ، وامتلكت الدول الاسلامية زمام أمرها وأخذت ترسي دعائم استقلالها ونهضتها ، وحكامها ليسوا غرباء عنها ، بل من صميم الشعب المسلم .

فماذا كان نصيب الدين عندها من هذه الدعائم وهو فى الحقيقة أصلها وركيزتها ؟

هل انصفته ، وردت اليه اعتباره فى المجتمع ، أم أنها تركت الروح التي خلفها الاستعمار تعمل عملها في اقصائه عن حياتنا . وتشجيع التمرد عليه فى مجتمعاتنا ؟

هل عنيت هذه الدول بغرسه فى نفوس الشباب ، وتربيتهم على تعاليمه منذ صغرهم ، ليشبوا على احترامه والغيرة عليه فى كبرهم ؟ .

لقد وجدناها تعني بالرياضة والفنــون فجعلت فى مدارسنا وجامعاتنا قاعات

فاخرة للسينما ، وساحات واسعة للرياضة .. ومع ذلك لـم تجعل فيهـا مسـاجد للعبـادة !!!

وكان الدين الى عهد قريب غير مقرر على الطلاب ، ثم قرروه ، ولكنه ظل كالغريب بين المواد المدرسية ، لا يحفل حتى بما تحفل به مادة الرسم من اهتمام !!!

ومع ذلك ، فالأمر ليس أمر مادة تقرر ، وكتاب يدرس ، ولكنه أمر تربية ، يجب الا تقتصر العناية بها على المادة والكتاب ، بل تكون روحا تسري فى كل مادة ، وهدفـا لكل توجيه ..

كان يقال لنا فى عهد الاستعمار : تلك هي خطته فى عدم العناية بالدين ، بل فى حربه كوسيلة من وسائله للوصول الى مآربه .

فماذا يمكن أن يقال الآن ؟

لقد نجح الالحاديون فى تربية أجيال من الشباب على الالحاد ، والتعصب له ، والتضحية من أجله ، وذلك بفضل الأساليب التي اتبعوها لانتزاع الايمان بالله مـن نفوسهم ، منذ نعومة أظفارهم ــ ومن شب على شيء شاب عليه ــ وكانت ولا تزال أجهزة الدولة كلها تسخر عندهم لخدمة هذا الالحاد .

أفلا تكون عندنا ــ نحن المسلمين ــ غيرة ونشاط لخدمة ديننا ، وغرسه فى نفوس الناشئة من ابنائنا كغيرة هؤلاء على الحادهم ؟!

وهل يوجـد عندنا ــ نحـن المسـلمين ــ أقـوى وأسلم من تشريع الله أساسا لنهضتنا وقوتنا ، وعلاج مشكلاتنا ؟ .

فلنترك المظاهر جانبا ، ونحدد خط اتجاهنا : الى أين نسير ؟

واحدة من اثنتين :

اما أن نختار الاسلام طريقا لنا ، وأساسا فى بناء نهضتنا ، ووصل ماضينا بحاضرنا ومستقبلنا ، وحينئذ يجب اتخاذ طريق حاسم وجاد لاحيائه فى نفوس الجيل الجديد ، وجعله روحا واساسا لتشريعاتنا ، وصبغة عامة لمجتمعاتنا .

واما أن تكون الأخرى .. وهي القاصـمة .. وحينئذ فـلا داعي لاسـتمرار الخداع .. وللشعب المسلم فى كل مكان أن يرفع الحجاب عن عينيه ويختار طريقه ..

ان المسالة ليست مسألة دين فقط يجب الحرص عليه ، ولكنها مع ذلك مسألة مصير ومستقبل وبعث لهذه الأمة لا بد أن نخطط له ، ونعمل جادين من أجله .

فهذا الشـباب الـذى يربى الآن فى المدارس والجامعات سيكون منـه الطبيب والقاضي والضابط والمهندس والموظف والحاكم الذى يوجه شؤون الدولة .. فماذا يكون أمر الدين على يديه اذا شب على اهماله ، وعدم العناية به ، والغيرة عليه .. بل على سوء النظرة اليه ؟ .

بل ماذا يكون مصيرنا ومصير تراثنا بعد أن نترك الجيل الجديد حائـرا تتلقفه الدعوات الخطرة ، وتنتزع منه روحه الاصيلة ، وتتخذه حربا على دينه ومجتمعه ــ اذا قام واحد أو جماعة منه فتملكوا زمام أمره ؟!

ذلك ما يجب أن يفكر فيه كل واحد منا ، ويتحمل مـع المسـئولين فى الدول الاسلامية تبعته أمام الله والأجيال القادمة « وليسألن الله كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيعه » .

وصلى الله وسلم على صاحب الذكرى ، ووفق امته للسير على هداه ... ""

رئيس التحرير

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))



١ – نشر الاسلام السلام بين الناس ، وحضهم على الألفة والمحبة ، وجمع كلمتهم ، ووحد صفوفهم ، ودعا الى ترك العداوات والمنازعات ، ومحا الاحن من الصدور ، وأزال البغضاء من القلوب ، واستل السخائم من النفوس ((وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم)) وأنصف مظلومهم من ظالمهم ، وآخى بين أتباعه المختلفي الأجناس والألوان ، ومنع اعتداء قويهم على ضعيفهم ، وأعطى كل ذى حق حقه كاملا غير منقوص ، واقام بهذا كله مجتمعا فاضلا تظله راية ((لا اله الا الله محمد رسول الله)) .

٢ – وميزان التفاضل ومقياس الدرجات فى الاسلام هو ((التقوى)) : ((ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) والتقي من الناس هو اكثرهم التزاما لحدود الله ، وأعظمهم تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشدهم ملازمة لطريقته وشريعته وهديه ، ومن سنن الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة والرفق ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)) ، والتفاني فى العمل لخير الانسانية جمعاء ، واقتلاع بذور النفار والعداوة ، وبث روح التعاون والتآلف والتآزر ، واستخدام مختلف الوسائل لتركيز الخلق الطيب بين المسلمين حتى يصير ملكة راسخة فيهم : ((انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) .

---

* الوئام فى اللغة : التكافل والتوافق ، ورد فى لسان العرب ، واءم فلان فلانا وافقه ، وئاما ومواءمة ، وفى المثل العربي « لولا الوئام لهلك الأنام » .
ويدور حديث اليوم حول الوئام كما يؤخذ من تعاليم الاسلام ، وكما يرسم خطوطه العريضة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فى سنته وما أنزل عليه من الذكر الحكيم .

٣ ـ فيأمر بصلة الرحم ، ويقول : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » ويبين سيدنا علي كرم الله وجهه مزايا صلة الأرحام فيقول : « من يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يدا واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ، ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله ما أنفقه فى دنياه ، ويضاعف له فى آخرته ، واعلموا ان لسان صدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال ، فلا يزداد أحدكم كبرياء ولا عظمة فى نفسه ، ولا يغفلن أحدكم عن القرابة ان يصلها بالذى لا يزيده ان أمسكه ، ولا ينقصه ان اهلكه » .

٤ ـ ثم يامر الاسلام باحسان معاملة الاخوان بل المؤمنين عامة فهم اخوة فى الدين ، وأخوة الدين نفس وروح ، وأخوة النسب لحم ودم ، وفرق شاسع ما بينهما ، ويدعو الى العفو عن الهفوات التي تبدر من البعض فيقول جل وعلا : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ويقول سبحانه وتعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

٥ ـ ويبرز القرآن الكريم صفات الرسول العظيم التي آنست الشارد ، وآمنت الخائف ،وقربت النافر فيقول عز من قائل : (.. فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) ثم يشهد له بشهادة منقطعة النظير فيقول « وانك لعلى خلق عظيـم » .

٦ ـ وان تعاليم الاسلام لتأمر باحسان معاملة البعيدين عن ساحة الاسلام ، وهو الذى يتبادر الى الفهم أن اساءتهم مطلوبة ، لأنهم خصوم ، ولكن يقول الله تعالي « وجادلهم بالتي هي أحسن » ويقـول الرسول الكريم « من آذى ذميا فأنا خصيمه يوم القيامة » بل أوجب القرآن برهم والاقساط اليهم اذا كانوا مواطنين صالحين « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهـم وتقسطوا اليهم ... » فاذا سالمك غير المسلم ولم يؤذك فى دينك ولم يعمل على اخراجك من وطنك فاعمل على نفعه واكرامه وبره ... ، وذلك حتى يشعر الذين يظلهم الاسلام بالأمن والطمانينة على أنفسهم وأموالهم وأبنائهم ، فلا يسعون بالفساد فى المجتمع العام الذى يؤويهم ويرعاهم ، وحتى لا توجد ثغرة ينفذ منهـا العدو البعيد الذى يتربص الدوائر بالاسلام والمسلمين .

٧ ـ والانضواء تحت راية التوحيد يجعل المؤمنين اخوة على تنائي ديارهم وتباعد أقطارهم ، فالمحبة بين المؤمنين شرط الايمان الكامل « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » وسائر الفضائل الايجابية شيء لا بد منه لدعم المجتمع الاسلامي ، والتمكين له بالثبات والدوام فلا بد من حسن المعاملة ، والعطف على الفقراء والمحتاجين وتفريج أزمات المكروبين ، ولا بد من ترك التنابز بالألقاب ، وتجنب السخرية بالناس ، قال تعالى « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » ويقول عليه السلام « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا » ، « لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ،وخيرهما الذى يبـدأ بالسـلام » .

٨ ـ وينهى عن العداوة بين أمم الاسلام جميعا ، فالمسلمون أفراد أسرة واحدة بل جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ، ولا يستقيم أمرهم الا بالاتحاد والتكتل وجمع الكلمة ومحو أسباب الفرقة والخلاف ، ومن خرج على اتحاد المسلمين فهو مارق وجزاؤه النار يوم القيامة ، ولا يصح أن يقف المسلمون أفرادا وجماعات موقفا سلبيا بعضهم من بعض ، بل لا بد من العمل الايجابي لما ينمي روابطهم ويزيد فى هيبتهم وقد حض الاسلام على ذلك بوسائل شتى من أبرزها ، أنه جعل ركنه الركين وهو الصلاة حين تؤدى جماعة أفضل وأكمل وأعظم أجرا من أدائها فرادى ، كما أمر باقامة جماعة اسبوعية أشمل من جماعة الأوقات المعتادة يوميا هي صلاة الجمعة وجعلها فرض عين على كل مسلم ، وأخرى

حولية فى صلاة العيدين ثم المؤتمر الأعظم الذى يجمع المسلمين من أنحاء الأرض وشتات المعمورة وهو الحج وحتمه على القادر المستطيع صحيا وماديا ، حتى يضم وجوه المسلمين وقادتهم ليتشاوروا فى شؤون بلادهم التى تجمعها كلمة التوحيد ، وليعلم بعضهم أحوال بعض حتى يتقووا ويقفوا صفا واحدا أمام اعدائهم الكثيرين وبذلك تتجمع قوتهم ولا تتفرق ويعزون ولا يذلون ... « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

٩ ـ كل هذا فضلا عن الزام المسلمين بالمسارعة الى تبادل المنافع العمرانية ، وتوثيق الوشائج الأدبية والعلمية ، والمبادرة الى نجدة المستغيث فى حالتي السلم والحرب ، ففي التقاعس عن نصرة المعتدى عليه فى أى بقعة كان وفى أى واد حل انما هو انحراف عن أوامر الله تعالى ، وما ذاك الا لأن الاعتداء على البعض اعتداء على الكل ، وضياع دولة يؤدى الى ضياع أخرى حتى يصبح المسلمون أثرا بعد عين ، وما المثل القائل « أكلت يوم أكل الثور الأبيض » عنا ببعيد .

١٠ ـ وبعد . فالأمم الاسلامية اليوم على مفترق الطرق فاما أن تحزم أمرها وتأخذ حذرها وتعد لكل نازلة عدتها ، وتدرع بالمحبة والوئام ، وتعتبر بالماضي الماثل فى الأذهان والمتجسم فى الأندلس ، والحاضر البادى للعيان والمتمثل فى فلسطين المحتلة ، وبهذا تحتل مكانها اللائق بها تحت الشمس ويحسب لها حسابها فتجلى الغاصب عن أرض الوطن المحتلة ، وتعيد المشردين الى وطنهم الحبيب وتمحوا العار الذى لطخ جبين العرب والمسلمين عامة ، واما أن يسدر كل فى غيه ويظل بعيدا عن الصف ويزيد عماية وجهالة .
وهنا ـ لا قدر الله ـ الطامة الكبرى والبلاء الأعظم ، وأعتقد أن هذا لن يكون ان شاء الله وفى المسلمين الرجال الذين أرى ويرى العالم الآن .

والخلاصة

١ ـ أن مكارم الأخلاق تحمل على التغاضي عن كل اساءة من القريب أو البعيد وأن هذا هو الطريق الوحيد لجمع الشمل ، والقوى هو الذى يتحمل الاساءة ويصمد لها ولا يقابلها الا بالصمت والابتسام « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » وقديما قال الشاعر .

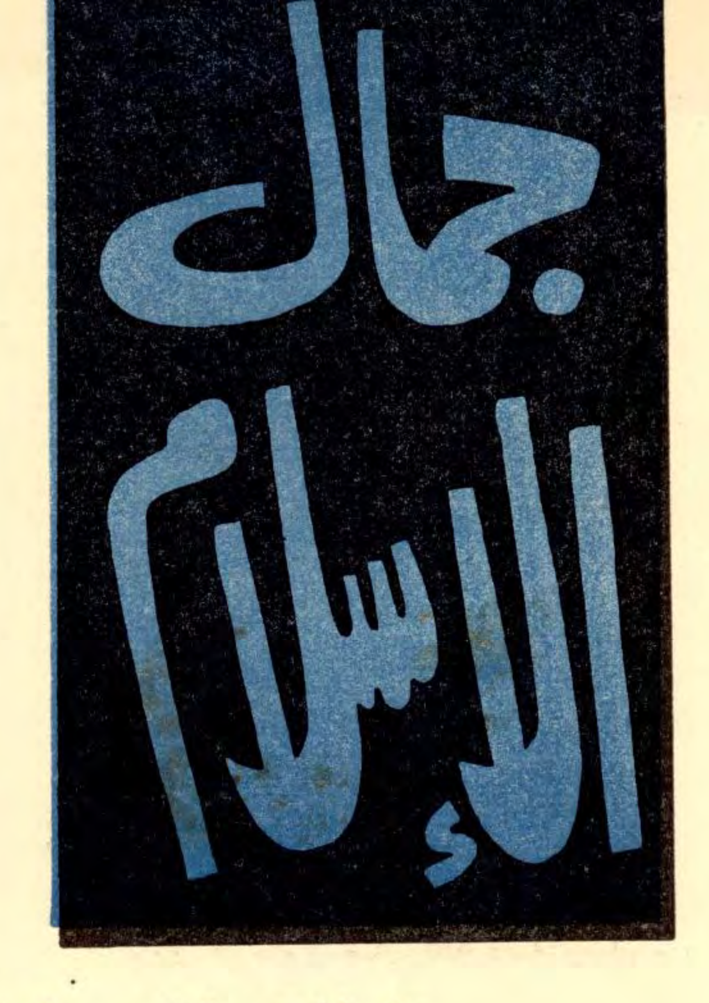
فان نهشوا عرضي وفرت عروضهم ... وان هووا غيي هويت لهم رشدا

وقال آخر

وذى رحم قلمت اظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم
يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندى أن يحل به الرغم

٢ ـ أن ابن آدم خطاء والله غفور رحيم ، والعصمة كما يقولون لا تكون الا لنبي وليس الشديد بالصرعة ، انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب .

وأخيرا باللين والتعاطف ومراعاة الرحم وحقوق الوطن وحسن تفهم الأمور يلتقي أبناء الأمة جميعا على كتاب الله وفيه الخير كل الخير ، ويقتدون بسيد الخلق وفيه صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة ، وبهذا نعيش فى الوطن الواحد فى أمن وسلام وطمأنينة ووئام رائدنا جميعا خدمة ديننا ورفعة وطننا وسعادة مجتمعنا ، والله الموفق والمستعان .



للدكتور
حسن هويدي

ظن كثير من الناس سوءاً بالدين ، ولقد كان ذلك نتيجة لاسباب متعددة : منها ثورة اوروبا على دينها فى القرون الوسطى ، ومنها نشوء المذاهب المادية التي لا تعترف بالروح ولا تنظر الى السماء ، ومنها غلبة الشهوات على النفوس حتى امست لا ترضخ لعقيدة ولا تستكين لنظام ، واستمر هذا التيار عبر الزمن ، وسرى الى اكثر البلاد ، فظن الناس فى بلادنا أن (الدين) هو (الدين) فى كل عصر ، وكل مصر ، ورأوا لأوروبا نهضة عارمة ، وقوة غالبة ، فتوهموا أنها ما كانت الا للتجرد من الدين وليس عليهم ـ ازاء هذه النظرة الساذجة ـ الا ان يثوروا على دينهم ، ويعطلوا أحكامه حتى ينهضوا كما نهض غيرهم .

ولقد امسى هذا المفهوم السطحي لدى كثير من شبابنا ـ بكل أسف ـ امرا مسلما به ، بل اصبح ـ فى نظرهم ـ الدليل على التقدم والعلم ، بل تعداه الى كثير من الغرور، وايغال فى الجهل والجور، حينما انقلب مفهوم الاستغناء عن الدين اشمئزازا منه ، وتكبرا عليه وحربا لا هوادة فيها اعلنت عليه من كل جانب .

حدث كل ذلك والبلاد العربية والاسلامية تغط فى نوم عميق من التاخر العلمي والخلقي ، وليس فيها اولئك الأفذاذ من العلماء ، ولا الفطاحل من الحكماء ، يدفعون عنها العاديات ، ويبصرون أبناءها بما يرد عليهم من الطامات ، فاخذت الأمة على غرة ، واقتنص فيها الدين على حين غفلة ، وليس الأمر واحدا فى أمة تهاجم وهي قوية مستعدة ،واخرى تهاجم وهي ضعيفة غافلة ، وهكذا تهيأت أسباب الهجوم على الدين من كل جانب ، فهوجم الاسلام فى عقر داره ، فوصف بالخرافة وهو العقل السليم ، وبالقسوة وهو اللين والسهولة ، وبالقبح ، وهو المشرق الجميل .

غير أن العاقل الذى يحترم نفسه ، ولا ينساق مع الهوى ، ولا يكون حكمه تبعا للشائعات يأبى الا ان يفكر قبل ان يحكم ، وان يتجرد من الهوى ، ولا يطلق الحكم قبل الاطلاع على الأمر والاحاطة به من كل جانب . **فهل الاسلام مثل تلك الأديان التي اطرحتها الشعوب ؟ وهل فى الاسلام عسر لا يطاق ؟ وهل فى عباداته ومعاملاته وتشريعه ما تشمئز منه النفوس وتعافه الفطرة السليمة ؟ ام ان فى تشريعه الخلقي والاجتماعي من الجمال ، واليسر ،والحكمة ما يسحر الألباب ، ويأخذ بمجامع القلوب ؟**

لا ريب أن العاقل لا يحتاج الى كبير جهد لكي يميز الاسلام عن سائر الأديان بما يتجلى فيه من التوحيد ، والانسجام مع العقل وتمجيد العلم ، والبحث عن المصلحة ، والمرونة التي يقتضيها الزمان والمكان ، وانكاره الشديد على كل ما يشين الرشد : من الخرافة والكهانة والسحر ، وما ينقص الخلق : من الظلم والكذب والغدر والخيانة .

ومن الواضح أننا لا نستطيع فى مثل هذا المقال ، أن نمعن فى التفصيل ، استيعابا لفضائل الاسلام ،ولكننا نتحرى فى قواعد الاسلام ، وأركانه الأساسية ما يظهر الحق جليا لمن تسمم فكره بتلك المفاهيم المشوهة عن الاسلام ، حتى يدرك جمال الاسلام وكماله ، وافتراء الخصم وضلاله .

لا مشقة ولا حرج

أما عن رمي الاسلام بالمشقة والعسر ، كبقية الأديان ، حتى أظهره الخصوم شبحا مخيفا مرعبا ، فان الاسلام قد اتخذ السهولة واليسر قاعدة أساسية ، وأصر عليها حتى بدت آثارها واضحة فى العبادات ، والمعاملات ، والحدود . واليك الأدلة من الكتاب والسنة .

قال الله تعالى فى محكم كتابه :

(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (البقرة ــ ١٨٥)

(هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (الحج ــ ٧٨)

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (البقرة ــ ٢٨٦)

(لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) (الطلاق ــ ٧)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفروا) متفق عليه

(ان الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا) البخارى .

وفى الصحيح انه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما . واذا ثبتت هذه القاعدة الأساسية الجميلة فى الاسلام فما هي تكاليفه فى المأمورات ، والمنهيات، والمعاملات على وجه الاجمال :

أما فى المأمورات فيقول صلى الله عليه وسلم : (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وحج البيت ، وصوم رمضان) فهي عقيدة تدعو الى الايمان بالخالق الأعظم الواحد ، وأى عقل يستطيع أن يصبر على الجحود اذا فكّر وانصف وهل يسيغ العقل للعاقل أن يعتقد بأن الوجود قد انبثق من العدم ؟ أو أن الوجود بغير موجد ؟

أو أن التدبير المحكم المتناسق بغير مدبر ؟ (١) .

ان العقل السليم قد الزم العاقل أن يعتقد بخالق الوجود ، فأى حرج اذن يصيب العقل من الدعوة الى ذلك ؟ بل ان الحرج الشديد من تكلف اعتقاد العكس لأنك حينئذ تدعو العقل الى الايمان بالمستحيل ، حيث تدعوه لأن يؤمن بأن الشيء خلق من لا شيء ، وأقبح به من اعتقاد متناقض مشين .

والدعوة هنا أيضا الى توحيد الخالق ، وهذا التوحيد الخالص أصر عليه الاسلام ، وامتاز به ، وجعله الأساس الأول ، وذلك هو الذى ينسجم مع العقل فى أكثر من برهان ، حيث يبطل العقل كل قول بالتعدد ببراهين كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ، وقد أشارت اليها الآيات الكريمة التالية مظهرة استحالة التعدد وبطلانه :

قال تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (الأنبياء ــ ٢٢) .

وقال تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (المؤمنون ــ ٩١) .

التوحيد نداء الفطرة

اذن فعقيدة التوحيد هي ضالة العقل المنشودة ، وهي أمنية النفس فى صميم فطرتها ، اليها تأوى ، وبها تطمئن . وانها لتبقى حائرة معذبة بغير الايمان بالخالق ، يائسة مضطربة بغير التوحيد الخالص ، فهذا تكليف جميل انسجم مع نداء الفطرة الأصيل ، وهل أجمل من تلبية النداء العميق الملح بتحقيق مطلبه ، وايصاله الى هدفه ، (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) وان الفرق يبدو واضحا بين ثبات المؤمن (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفي الآخرة) ، واضطراب الملحد (يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) حينما يشتد عليهما البلاء ، وتحيط بهما الكوارث ، فيسخر الملحد قوته ، ويستنفد حيلته ، فلا ينفرج البلاء ، وتضيق به المذاهب ، وتسود الحياة فى عينيه ، وينفد صبره وينقطع أمله ، ويتحمل من جراء ذلك فى شعوره ، من الضنك، والحيرة والقلق، والوجل ، ما يعجز عن وصفه القلم فينتحر أو يُجَن (ومن أعرض عن ذِكرِي فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (طه ــ ١٢٤) فان كان انتحارا افضى الى الموت فهي المصيبة . وان كان انتحار القلب فهو ميتة فى كل لحظة ، وهي اكبر مصيبة .

ولسان حاله حينئذ يقول :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا ان يكنَّ أمانيا

أما المؤمن فيأخذ بالأسباب ، ويبذل الجهد ، غير منكر لسلطان الأسباب التي فطر الله الطبيعة عليها ــ فان لم يبلغ غايته ، ولم تنفرج عنه كربته ، تعلق بمسبب الأسباب ، وركن الى رب الأرباب فكان له فى قلبه اجمل العزاء ، وانجع

---

١ ــ من أراد التفصيل فى هذا الأمر فليراجع رسالة (الوجود الحق) طبعة المكتب الاسلامي ببيروت ــ دمشق .

الدواء ، بل ربما قنع من الغنيمة بالاياب ذلك أن تعلقه الجميل بمولاه العظيم ، يجعله يزهد فى طلبته ، ويستمرىء ألم مصيبته ، راضيا بتقدير خالقه وحكمته، وربما قال كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (يا أرحم الراحمين .... الى من تكلني : الى عدو يتجهمني،أم الى غريب ملكته امرى ، ان لم يكن بك علي سخط فلا أبالي) .

ومن اعتاد النظر الى الأمور من جميع الوجوه ادرك أنها نسبية ، فرب مكروه محبوب ورب ضار نافع . والمهم فيها بعد الحيطة حصول الرضا ، فانه الذى يورث الراحة والسكون ، ويهب القلب السرور والاطمئنان . وهذا هو الفرق بين من يسير على بصيرة وفى طريق مستقيمة ، ومن يمشي مكبا على وجهه ، لا ينظر الى أبعد من أنفه يتردى فى ظلمات من التردد والحيرة ، وضلالات من الريب والشبهة ، لا يهتدى الى منار، ولا يقر له قرار : (افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم) (الملك ـ ٢٢) .

العبادات شكر وتربية

والصلاة لو استعرضت ما فيها عقلا لوجدته فنونا من الجمال ومعارج من الكمال :

فهي نظافة ورياضة ، ونظام ، وجد ، وتهذيب وندم على الذنب،وعهد مع الرب على الا نطغى ، ولا نسيء ، وأن نحسن ونصلح ، وهي مع الجماعة : مساواة ، وطاعة ، ووحدة ، يتجلى فيها المجتمع منسجما ، متماسكا : عنوانه المحبة والوئام وسبيله الطاعة والنظام . ونحن لا نريد بذلك تجريد الصلاة من كونها عبادة للخالق الأعظم الذى يستحق العبادة ، ولكنه سبحانه لم يكلفنا ما لا نستطيع ، بل التكليف فى حدود الطاقة مقترنا بمصلحة الانسان ، متصفا أبدا بالكمال والجمال ، منسجما مع العقل الحر السليم .

والصيام من فوائده الجسمية والخلقية ، كما هي مدونة فى كتب الفقه، والطب ، والاخلاق ، وكما يصفه علماء العصر فى المجال الصحي ، والخلقي ، والفلسفي ، كل حسب اختصاصه ، يكاد يكون غنيا عن البيان . ولعل جماله يبرز فى قوة الارادة عند طلوع الفجر ، وجو الفرح والبهجة عند غروب الشمس وحين يتجلى النظام فى المجتمع : فيحجم فى ساعة واحدة ، ويقدم فى ساعة واحدة ، مما تعجز عن تصميمه فى ظاهره وباطنه أنظمة الدنيا :

ومن جميل عدالته وعميق حكمته انه اذا سافر المرء أو مرض ، أو حاضت المراة ، أو عجزت من حمل أو رضاع ، (فعدة من أيام أخر) ، فان لم يستطع المريض القضاء ، فعليه الفدية ، فان لم يجد ، فلا شيء عليه ، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

والزكاة التي يتجلى جمالها فى موقف الغني تجاه الفقير ، وجعل ذلك القسط من المال حقا فى أموال الأغنياء ، يؤدونه بغير منٍّ ولا أذى ،(والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج (٢٤ ـ ٢٥)

(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) (البقرة ـ ٢٦٧) .

وبذلك وغيره من التشريع الاقتصادى فى الاسلام يتحقق التوازن المالي، وتنعدم الطبقية المقوتة ، وتزول ظواهر البؤس القاتل ، ولقد مر على المسلمين زمن كانت الزكاة تنقل فيه من بلد الى بلد فلا تجد

من يقبلها . ولم يكلفنا الاسلام فى ذلك مالا نطيق سوى تلك النسب المعلومة المقبولة (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولايسألكم أموالكم . ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) محمد ٣٦ ، ٣٧ . وذلك من يسر الاسلام وشدة تلطفه بالنفس البشرية .

وقارن بين هذا التشريع الاقتصادى العادل ، وبين المذاهب الاقتصادية الحديثة تجد الفرق كبيرا بين يسر راعى كوامن النفس وضمن لها الحرية ، وعسر ارهقها وحملها مالا تطيق وقضى عليها بالعبودية ؟ .

فاين مثل هذا الجمال الكامن فى هذا النظام الرباني الذى يكفل العدالة الاجتماعية ، ويصون الحرية ، ويوزع فيه المال برا وقسطا ، وتنقاد اليه النفوس طوعا وحبا ، بغير اكراه ولا ارهاق ولا تعسف .

والحج تلك العبادة الخالصة، والسياحة الرائعة ، ومواقف المساواة الكاملة ، بين الغني والفقير ، والمأمور والأمير حتى لكأنه الحشر بين يدى السميع البصير ، وانك لتدرك انصاف الخالق للمخلوق فى جميل قوله تبارك وتعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) (آل عمران ــ ٩٧) معلقا ذلك على الاستطاعة ، وتلمس اليسر والسهولة فى جعله مرة واحدة فى العمر ولم يجعل الاقتصار على مرة واحدة مفروضا ، بل جعل باب الحرية مفتوحا أمام القادر اذا أراد أن يستكثر من الخير .

ولا بد أن يلوح للمستبصر ما يشتمل عليه ذلك المؤتمر السنوى العام من فوائد جمة ، ومنافع متنوعة ، حيث تبحث شؤون الأمة ، وتتوثق عرى المودة ، وتتجلى آيات الرحمة ، فهل تجد رحمك الله فى انظمة الدنيا جمالا يضارع هذا الجمال ، فى جميل اللقاء ، وتقوية الأواصر ، وشحذ الهمم ، وعمق النظر ، وبعد الأثر ؟

المحرمات خبائث

واذا كانت تلك هي تكاليف الاسلام فيما أمر ، فما هي تكاليفه فيما نهى ؟

يطول بنا البحث جدا لو استقصينا جميع المحرمات لنظهر وجه المصلحة فى حكمة التحريم ، ولكننا نعلم أن البشر متفقون على كراهة الظلم فى نفوسهم ، ولذلك لا نجد مشرعا يبيح الظلم أو يقول به ، والاسلام قد حرم قتل النفس ، وشهادة الزور ونقض العهد ، والزنا ، والربا ، والكذب ، والخيانة ، والخمر ، والميسر ، والسرقة ، ... وانك لو تحريت الأساس الذى تبنى عليه جميع هذه المعاصى لوجدت الظلم فيها جميعا .

واذا غاب عن ذهن القارىء أن شرب الخمر ظلم فليعلم أن شارب الخمر ظالم لجسده ولماله ولأسرته ولذريته ، لان سوء الخمر ممتد اليها جميعا لا محالة . واذا تساءل عن سر كون الزنا ظلما فليستمع الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرا الحكمة فى التحريم ، ومبينا أن الزنا ظلم للناس لا يرتضيه المرء لنفسه . روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال :

يا نبي الله اتأذن لي فى الزنا . فصاح الناس به .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم (قربوه : ادن) فدنا حتى جلس بين

البقية على ص ــ ٣١

اشراقة الإسلام

محمد مرزوق

كانت بالدعوة إلى العلم

فى غضون ليلة من ليالي رمضان ، وفى ظلمة غار موحش برأس الجبل كانت اشراقة الوحي على النبي الأمى بدعوته الى القراءة .

وفى هذه الدعوة المفاجئة ايذان بأن القراءة وسيلة المعرفة ، وايحاء بأن الثقافة عماد الانسانية ، وتوجيه علوى الى أن الحياة الجديدة التى هبط جبريل يحمل مصباحها الى محمد ابن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى حياة العقل الراشد ، والمعرفة الفياضة ، والاهتداء بالعلم فى آفاق هذه الدنيا .

أو هى حياة الوعى الانساني فى أكمل أطواره .. أو هي حياة الاسلام وكفى .. !

ثم يكون هذا الأمر فوريا ، ليس معلقا على شىء ولا مرجأ عن تلك الساعة الراهنة ....

وكيف ومحمد بن عبد الله أمى : لا يعرف كيف يقرأ ، ولايدرى وسيلة لتعلم القراءة فى ليلته الرهيبة ؟

وهنا يتلهف محمد ويعتذر : ما أنا بقارىء .. ما أنا بقارىء : ثلاث مرات .

ثم يتكفل الله برفع الحرج عن مصطفاه ، ويلقنه جبريل الأمين بقية وحيه الأول .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق » وبهذا يعلمه .

أن بدء القراءة يكون بذكر التسمية لله ذى القدرة على خلق الانسان من علقة هينة الشأن .

ثم ينتقل به نقلة ثانية الى التوجيه نحو العلم .. والعلم لاشك ثمرة القراءة للانسان .

ويشيد بالقلم ، لأنه الأداة الحتمية لقيد العلم ، وتدوين بنوده ، وضبط شوارده ، ليكون عماد الانسانية ، وثروة الدنيا ، ووسيلة الحضارة على تعاقب الأزمان والأجيال ، كما ينشد الاسلام فى دعوته **الى العالم كله .**

ولم يكن القلم كذلك بالنسبة للنبى المبعوث بهذه الرسالة ، لأن الله كرمه عن الحاجة الى القلم ، وتعهده بالوحى من عنده ، ورفعه عن بهتان الأفاكين ، واتهامهم له بأنه ينقل عن انسان سواه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » فالأمية فى شأنه تمام الكمال له صلى الله عليه وسلم .

ثم لتنظر بعد ذلك : هل العلم المطلوب نوع واحد ؟ أو كله مستمد من جانب خاص ؟؟

الذى نعهده ـ أولا ـ أن العلم يكون فيضا محضا من جانب الله ، وهذا رسالة الله الى خلقه من طريق الوحى الى رسله .. وذلك علم الدين .

أو هو علم كسبى يهدى الله اليه من يشاء : ممن توافرت لهم المواهب ونبهت فيهم القرائح ، ونشطت منهم العزائم فطرقوا أبواب العلم من جهاته المتعددة ، والتمسوه بالحواس ، وبالعقول ، والتجارب ، وأغراهم النجاح بمواصلة السير فى آفاقه فأسلست لهم المعرفة قيادها ، ولا تزال فى طريقها الفسيح الممدود .. وذلك فى علوم الدنيا .

لفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء بالازهر

وعلى جوانب العلم الصحيح نبتت معلومات أخرى لاتعتبر من علم الدين ، ولا من علوم الدنيا ، وانما هى فى الحقيقة كالطفيليات ، تنجم فى مجارى الماء وعلى متون الحقول ، فيحسبها البسطاء فصائل من النبات ، وليست بنبات مفيد .

ومنها كهانة الكهان . وهى تراث قديم مزيف ، ولا تزال شائعة بين الناس .

فأن يكن العلم ـ على اطلاقه ـ مستمدا من الوحى ، أو كسبا بالمواهب الرشيدة فالكهانة غير ذلك كله .

والذى نعهده : أن الكهانة فى قديمها وحديثها تخمين مصطنع وتظاهر جرىء بمعرفة الغيب الذى لا يعرفه الناس .

وبيانها فى ضوء القرآن والسنة : أن الله ـ سبحانه ـ يعلم الغيب وحده ، وأنه لايبدى غيبه الا اذا شاء ، ولمن شاء من ملائكته ورسله .

فعندَ ما يبرز شيئا من غيبه لملائكته ، ليتهيأ كل ملك منهم لتنفيذ ما يتعلق به من شؤون الدنيا وأهلها يتحدث الملائكة بهذا فيما بينهم .

وقد جعل الله للشياطين من الجن قدرة على محاولات لايطيقها الانسان . . فكان من دأب الجن أن يصعدوا الى السماء فيقتربوا منها ليتسمعوا احاديث الملائكة ، ثم ينزلوا على خبثاء الناس الذين يلابسونهم فى الأرض ويلقوا اليهم بما سمعوا ، ويخلطوه بالكذب الكثير من عندهم .

ثم يتحدث هؤلاء الكهان الى الناس بما عرفوا أو يزيدون فيه أو ينقصون منه ويبدلون .

فاذا اصاب الكهان صدفة فى بعض مايقولون حسب الاغرار من السامعين أن الكهان يعرفون الغيب المكنون عند الله .

وعلى هذا راجت الكهانة ، ولا تزال مقبولة عند أناس ، وهى فتن شيطانية تفسد عقائد مصدقيها ، وتزعزع ثقتهم فى علم الغيب .

وكان هذا فاشيا قبل الاسلام . . ولكن الله أعجز الشياطين عن الكثير من هذا أو عن أكثره فلم يعد لهم كَبير تأثير فى هذا منذ نزل القرآن ، وبعث به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وان يكن هناك قليل من هذا فأنه لاختبار الناس فى تدينهم ، وفى تصديقهم للاكاذيب على ربهم .

والله يقول « **هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون** » .

ويحكى عن الجن قولهم (**وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**) ، وذلك أن الملائكة تحرس السماء من محاولات الجن .

فاذا حاولوا كعادتهم تبعتهم بالشهب النارية فتحرقهم أو تطاردهم فيعودوا فاشلين .

وبهذا نعلم أن الله كفانا شرا كبيرا من محاولات الجن ، وعلمنا أن لهم ضلالات ، لنتحفظ من الكهان ، ولا نطيع الاباطيل التى يستخدمون فيها الفنجال والودع ، وضرب الرمل ، واستحضار الشياطين .

مجمع البحوث الإسلاميّة

للدكتور عثمان خليل
عضو المجمع والخبير الدستوري لمجلس الأمة بالكويت

لعل الكثيرين من المسلمين الذين طالعتهم الصحف تباعا بأنباء المؤتمر الاسلامي الذى عقد فى المدة الأخيرة بالقاهرة لا يعرفون الا القليل عن فكرته وأعماله ، بل لعل منهم من لا يعرفون الا القليل كذلك عن ذات « المجمع » الداعي لهذا النوع من المؤتمرات .

لقد انشيء هذا المجمع ضمن ما استحدثه التنظيم الجديد للأزهر الشريف سنة ١٩٦١ ، مستهدفا الجمع فيه بين علوم الدين التي عرف بها الأزهر منذ نيف وألف عام — وعلوم الدنيا التي أصبح لا مندوحة لعالم فى هذا العصر من الاحاطة بقدر منها ، بل والتخصص كذلك فى أحد فروعها . وبغير هذا المزيج من علم الدين وعلم الدنيا يخشى تخلف الأزهر عن ركب الزمن ، وتخلف رجال الدين الاسلامي عن متطلبات عصر الذرة والفضاء ، فيتركون الصدارة والقيادة الفكرية الى الصفوف الخلفية السائرة الى بطون التاريخ . ولذلك جاء بتوصيات المؤتمر الأول الذى عقده المجمع فى مارس من العام الماضي ١٩٦٤ ، أنه « **يسجل تقديره للخطوة التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة للنهوض بالأزهر ، ويرى فيها خطوة على الطريق الصحيح لاعداد رجل الدين المزود بالعلم وبالخبرات الفنية والعملية التي تمكنه من أداء رسالته الدينية والانسانية .**

بهذه الروح وفي خضم ما استحدث من تطوير للأزهر الشريف جاء انشاء « **مجمع البحوث** الاسلامية » وحل محل الهيئة المعروفة من قبل باسم « هيئة كبار العلماء » مع تغيير شامل من حيث التكوين والاختصاصات ، فلم يقتصر تكوينه على علماء الأزهر وحدهم ، ولا على علماء الجمهورية العربية المتحدة وحدها (من أزهريين وغير أزهريين ، بل ضمت الى هؤلاء وهؤلاء مجموعة مختارة من العلماء والباحثين البارزين فى العالم العربي والاسلامي ، فأصبح المجمع بهذا الوضع أقدر على الاجتهاد فى أمور الاسلام من العلماء متفرقين أو متلاقين فى نطاق محدود ، ويكفي فى هذا المعنى أن يلاحظ ان عدد الحاضرين فى كل من المؤتمرين المنعقدين سنة ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٥ قد جاوز المائة عضو يمثلون ما يقارب الاربعين دولة اسلامية .

اختصاص المجمع

أما من حيث الاختصاصات فقد أصبح المجمع « الهيئة العليا للبحوث الاسلامية » يقوم بالدراسات فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، ويضطلع بالخدمات الأساسية فى مجال الثقافة الاسلامية وبالتماس الأسباب لتعميمها ونشرها وتيسير وسائلها . وقد فصلت من وراء هذا الاجمال ، عشر واجبات للمجمع على وجه الخصوص هي : —

١ — البحث العميق الواسع فى الفروع المختلفة للدراسات الاسلامية .

٢ — العمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب ، وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص .

٣ — توسيع نطاق العلم بالاسلام وبالثقافة الاسلامية لكل مستوى وفي كل بيئة .



اثناء انعقاد احدى جلسات مؤتمر مجمع البحوث ، ويرى فى مقدمة الصورة
الدكتور عثمان خليل والشيخ علي الجسار مع بعض الوفود الاخرى

٤ ـ تحقيق التراث الاسلامي ونشره .

٥ ـ بيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية .

٦ ـ حمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

٧ ـ تتبع ما ينشر عن الاسلام والتراث الاسلامي من بحوث ودراسات فى الداخل والخارج ، للانتفاع بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد .

٨ ـ رسم نظام بعوث الأزهر الى العالم الاسلامي ومن العالم الاسلامي .

٩ ـ المعاونة فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية فى جامعة الازهر ، والاشراف على هذه الدراسات ، والمشاركة فى امتحاناتها .

١٠ ـ العمل على تنظيم القواعد وتوحيد الأسس التي تقوم عليها المسابقات وتقديم المنح العلمية والجوائز المالية لهذا الغرض ، وللمجمع فى سبيل تحقيق أغراضه أن يصدر توصيات الى العاملين فى مجال الثقافة الاسلامية من الهيئات العامة والخاصة والأفراد فى حدود اختصاصه .

ويرأس المجمع فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر ، وللمجمع مجلس يجتمع تباعا مرة على الأقل كل شهر ، فى حين يجتمع المؤتمر مرة فى العام ، وللمجمع كذلك أمانة عامة تسهر على انجاز أعمال المجلس والمؤتمر وعلى تنفيذ قراراتهما ومتابعة هذا التنفيذ ، الى غير ذلك من الأعمال الفنية والادارية .

تتضح من هذه العجالة فكرة « مجمع البحوث الاسلامية » كهيئة من هيئات الأزهر فى تنظيمه الجديد ، تبين مهمة « المؤتمر السنوى » كهيئة من هيئات المجمع المذكور ، ومظهر نشاطه . فعلى أى نحو تم حتى الآن عمل المؤتمرين الأول والثاني ؟

المؤتمر الأول

لقد اصدر الأزهر (وأعني بالذات المجمع) كتابا شاملا لأعمال المؤتمر الأول - يقع ن أربعمائة صفحة ، ضم الكلمات التي ألقيت عند افتتاحه (يوم ١٩٦٤/٣/٧) ثم البحوث المقدمة له ، منها اثنان عن « الاجتهاد » (أحدهما للشيخ محمد نور الحسن والآخر للشيخ الفاضل ابن عاشور) واثنان عن التلفيق بين أحكام المذاهب (واحد للشيخ محمد فرج السنهوري والثاني للشيخ عبد الرحمن القلهود) ، وأربعة بحوث عن « الملكية » (أحدها عن « الملكية الفردية وتحديدها في الاسلام » للشيخ علي الخفيف ، وثانيها عن « الملكية الخاصة وحدودها في الاسلام ، للدكتور محمد عبد الله العربي ، والثالث عن « الملكية الفردية في الاسلام » للاستاذ عبد الله بن كنون والرابع عن « ملكية الأفراد للأرض ومنافعها في الاسلام » (للشيخ محمد علي السايس) ، ثم سبعة بحوث أخرى عن « الموارد المالية في الاسلام (للشيخ عبد الرحمن حسن) ، وعن « حق الفقراءفي أموال الأغنياء » (للدكتور ابراهيم اللبان) وعن « العلاقات الدولية في الاسلام » (للشيخ محمد أبو زهرة) ، وعن « فلسفة الحرية في الاسلام » (للشيخ نديم الجسر) ، وعن « نظام الحسبة في الاسلام » (للدكتور اسحق موسى الحسيني) ، وعن « عوامل انتشار الاسلام » (للشيخ علي عبد الرحمن الأمين) وعن « العرب وانتشار الاسلام » (للدكتور سليمان حزين) .

وليس يخفى أن ما قدم ويقدم من بحوث على هذا النحو يظل رأيا فرديا وشخصيا لصاحبه ، حتى يقبله المؤتمر ويقره ويتبناه ، فينسب حينئذ اليه ويحسب عليه . ولذلك كان من المناسب (دفعا لكل لبس) أن يكتب على البحوث - قبل اقرار المجمع لها - أنها تعبر عن رأى صاحبها لا عن رأى المجمع ، وقد حرصت على ذكر هذا المعنى بعض الجامعات بالنسبة الى رسائل الدكتوراه حتى بعد قبولها ومنح صاحبها درجة الدكتوراه عنها .

وقد جرى المؤتمر الأول (وتابعه المؤتمر الثاني) على نهج طيب ، تقسم بمقتضاه مدة المؤتمر السنوى الى مرحلتين ، تستمر كل منهما اسبوعين (أو حوالي الاسبوعين) ، وتكون الأولى في شكل هيئة عامة تضم جميع المدعوين (من أعضاء وممثلين أو مندوبين) وتعرض فيها الى جانب كلمات الافتتاح والكلمات الختامية بعض البحوث السابق اعدادها لتناقش مناقشة عامة بحيث لا تكاد تجاوز جلسة او اثنتين لكل بحث وتلقي هذه المناقشة العامة أضواء على الموضوعات تستشف منها الاتجاهات الاسلامية المختلفة حول كل موضوع ، بحيث يتابع المجمع (المقصور على الأعضاء الدائمين) على هديها دراسة الموضوعات دراسة علمية عميقة خلال الفترة الثانية لكل مؤتمر ، وليس حتما أن يبت المجمع في أى موضوع خلال أى من هاتين الفترتين ، ولا خلال أى مؤتمر من المؤتمرات ، انما يتوقف ذلك على نوع الدراسة التي يتطلبها كل موضوع ، وقد يقتضي الموضوع الواحد من هذه الدراسة ، عدة اعوام ، في حين أن من الموضوعات ما يمكن البت فيه في جلسة واحدة .

وترتب على تقسيم مدة كل مؤتمر الى مرحلتين على النحو السابق ، أن ما يصدر عن أعمال المرحلة الأولى انما يصدر في شكل توصيات ، بينما تصدر عن الثانية « قرارات » وفي الأولى معنى التعميم والتوجيه ، وفي الثانية معنى التخصيص والاجتهاد .

توصيات المؤتمر

أما التوصيات التي صدرت في أعقاب المرحلة الأولى من المؤتمر في عام ١٩٦٤ فقد تضمنت دعوة المجمع لأن يختص بمزيد العناية والبحث في المرحلة الثانية من ذلك المؤتمر الأول وفي أعماله المقبلة سبعة موضوعات هي : -

١ - وضع خطة ايجابية لتكوين الشخصية المسلمة على أساس من المبادىء الاسلامية التي تدعو الى العزة والحرية والكرامة ، وتمكن

المسلمين من مواجهة قضاياهم ، وتهيئتهم لرد أي عدوان على حقوقهم فى أى قطر من الأقطار .

٢ ـ تعريف المسلمين فى مختلف أنحاء العالم بخطر قيام اسرائيل على الاسلام والمسلمين ودعوتهم الى مؤازرة شعب فلسطين فى حقه فى العودة الى وطنه السليب باعتبار ذلك كله واجبا دينيا مقدسا .

٣ ـ وضع خطة محكمة للدعوة الى سبيل الله ومقاومة التحديات التي تواجه الاسلام ودحض الشبهات التي تثار حوله .

٤ ـ تشخيص مواطن الضعف فى المجتمعات الاسلامية والعمل على علاجها .

٥ ـ العمل على اصدار الفتاوى والأحكام المستمدة من أصول الاسلام وتعاليمه فى المشكلات التي جدت وتجد فى حياة المسلمين حتى تسير نهضتهم على هدى من دينهم الحنيف .

٦ ـ اتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة عناية الشعوب الاسلامية جميعا باللغة العربية لغة القرآن ، عناية تيسر لهم الوقوف المباشر على ما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية وما وصل اليه ائمة الدين .

٧ ـ العمل على دعم الروابط بين المسلمين وتوثيق صلاتهم بمجمع البحوث الاسلامية .

قرارات المؤتمر

اما القرارات التي انتهى اليها المؤتمر الاول للمجمع فى نهاية مرحلته الثانية فقد ضمنها البيان المفصل (الذى أشار الى انه كان بمثابة « عملية مسح واستبانة لا بد أن يكون لها أثرها عند التصدى لعلاج مشكلات المجتمع الاسلامي المعاصر وهذه القرارات أربعة وهي :

١ ـ دعوة المسلمين افرادا وجماعات ودولا لأن يجاهدوا بالمقاومة الجادة المستمرة الاستعمار والصهيونية حتى يتم تحرير المسلم قلبا وضميرا ووطنا ومعرفة ، واعتبار كل تقصير فى مقاومة هذين العدوين عصيانا لله تعالى وإثما كبيرا .

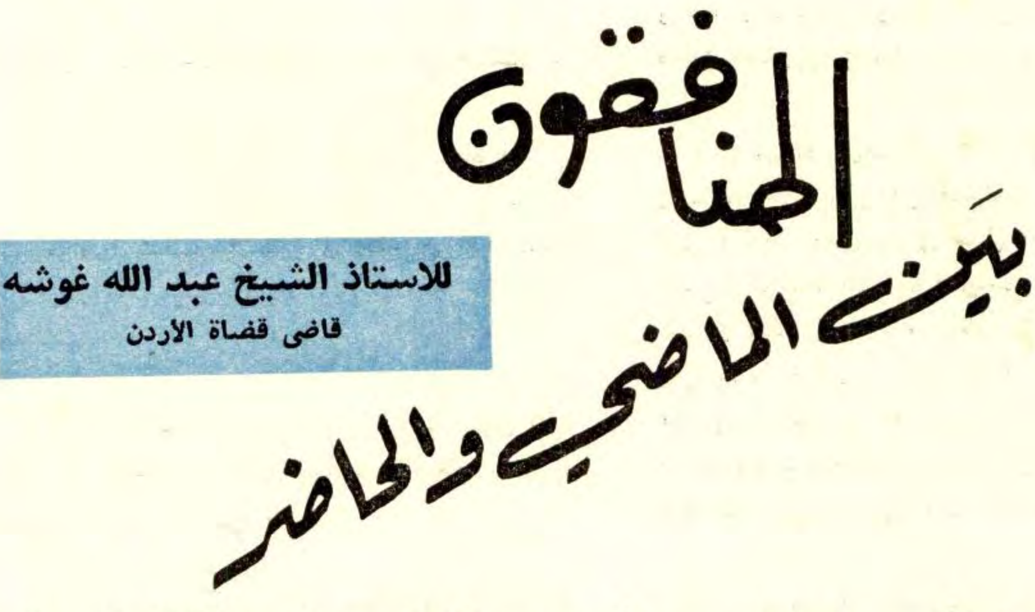
٢ ـ ان الاجتهاد لاستنباط الاحكام من الكتاب والسنة حق لكل من استكمل شروط الاجتهاد المقررة وكان اجتهاده فى محل الاجتهاد . وان السبيل لمراعاة المصالح ومواجهة الحوادث المتجددة هي أن يتخير المجتهد من احكام المذاهب الفقهية ما يفي بذلك ، فان لم يكن فى احكامها ما يفي به الاجتهاد الجماعي المذهبي كان الاجتهاد الجماعي المطلق ، وينظم المجمع وسائل الوصول الى الاجتهاد الجماعي بنوعيه ليؤخذ به عند الحاجة .

٣ ـ ان حق التملك والملكية الخاصة من الحقوق التي قررتها الشريعة الاسلامية وكفلت حمايتها كما قررت ما يجب فى الاموال الخاصة من الحقوق المختلفة ـ وأن من حق أولياء الامر فى كل بلد أن يحدوا من حرية التملك بالقدر الذى يكفل درء المفاسد البينة وتحقيق المصالح الراجحة .

٤ ـ أن على المجمع تلمس الوسائل لتوثيق الصلة بين المسلمين فى شتى بلادهم ، وأنه من الضرورى أن يبادر المجمع الى استكمال اجهزته الكفيلة بنشر رسالة الاسلام ، وتجلية حقيقته ، والدفاع عن مثله ، وتخطيط الوسائل لهذه الواجبات وتمويلها ورسم منهجها والاعداد لها .

المؤتمر الثاني

المؤتمر الثاني للمجمع (١٩٦٥) استمرت المرحلة الاولى لهذا المؤتمر من ١٣ الى ٢٢ مايو ناقش خلالها بحوثا تتعلق بالتأمين ، وبالمعاملات المصرفية ، وبالزكاة والصدقات ، وبفلسطين وخطر اسرائيل على الشعائر الاسلامية ومصالح المسلمين ، كما عرض المؤتمر لموضوع الدعوة الاسلامية فى البلاد الاخرى وبخاصة فى القارتين الافريقية والاسيوية ، وقد بدأت بعد ذلك المرحلة الثانية للمؤتمر الخاصة بالاعضاء الدائمين للبحث فى توصيات المؤتمر والمشكلات السابقة . وان العالم الاسلامي كله لينتظر ما تصل اليه بحوث هؤلاء العلماء الاعلام ولا سيما ما يمس منها مشكلاتنا المعاصرة .



للاستاذ الشيخ عبد الله غوشه
قاضى قضاة الأردن

المنافقون حيث يوجدون ـ داء يجب الحذر منه والقضاء عليه

القرآن يتصدى لهم ، ويفضح نواياهم

قال الله تعالى : (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون . ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) .

صدق الله العظيم

«هاتان الآيتان من سورة التوبة وهما مدنيتان»

وسورة التوبة تسمى **الفاضحة** لانها فضحت انواع النفاق ، وكشفت احوال المنافقين ، والمنافقون هم الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، ويقولون مالا يفعلون ، ويعدون ولا يوفون ، والمنافقون فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يضمرون الكفر والشرك ، ويظهرون الاسلام والايمان .

كانوا اذا قابلوا المؤمنين تظاهروا بالايمان والانقياد لاوامر الله تعالى ورسوله ، واذا خلوا الى انفسهم أو اخوانهم ظهروا على حقيقتهم ، واستهزأوا بالمؤمنين ، وبيتوا لهم ، وتربصوا بهم الدوائر .

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون. الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

لقد قاسى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الأمرين من هؤلاء المنافقين ، وتحملوا كثيرا من الصعاب والشدائد فى سبيل الصبر عليهم ، الى أن نزلت الآيات الكريمة مبينة احوالهم ، ذاكرة ما هم عليه من مكر وخداع وباطل وضلال .

من صفات المنافقين

والمنافقون يجمعون بين الكفر ومخادعة الله والمؤمنين وغشهم يقول الله تعالى : **(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) .**

ومن **صفات المنافقين عامة** انهم فى المعارك كانوا

يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، وينتظرون ما يحدث لهم من كسر أو نصر أو خير أو شر ، فان كان النصر والظفر والفتح للمؤمنين ادعوا انهم كانوا معهم ، وانهممنهم يستحقون مشاركتهم فيما أصابهم من خير ونعمـة .

وان كان النصر لاعداء المؤمنين منوا عليهم بأنهم كانوا أعوانا لهم بتخذيل المؤمنين واضعافهم ، والقاء الفوضى والاضطراب فى صفوفهم ، والقعود عن القتال معهم ، فهم يستحقون الجزاء الموفور على موقفهم الذى ساعدوهم فيه ، يشير الله تعالى الى ذلك بقوله . **(الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتحمن اللهقالوا الم نكنمعكموان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم مـن المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) .**

كان المنافقون يتربصون بالمؤمنين وباعدائهم حسب مقتضيات الموقف ، وهكذا كانوا يخادعون الفريقين ويأكلون على المائدتين .

« مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الـى هؤلاء » ، وهكذا شان المنافقين فى كل زمان ومكان ، وفى كل مناسبة وحادثة ، فهم لا يخلصون فـى الانتساب الى واحد من الفريقين ، لانهم يطلبون المنفعة ، ولا يدرون لمن تكون العاقبة ، فهم يميلون الى اليمين تارة ، والى الشمال تارة اخـرى ، فمتى ظهرت الغلبة التامة لأحـد الفريقين ادعوا انهم منه ، وكانوا معه ، يؤيدونه على الفـريق الآخـر .

ولقد تضمن قوله تعالى (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) الآية بيان صفة من الصفات القبيحة السيئة التي كان بعض المنافقين يتصف بها .

وهذه الصفة هي انهم كانوا يغمزون النبي صلى الله عليه وسلم ويلمزونه بالقول ، ويعيبون عدالته فى توزيع الزكاة والصدقات ، ويدعون انه كـان يحابى فى قسمتها ، ويؤثر بها من يشاء من اقاربه واهل مودتـه .

روى البخارى عن ابي سعيد الخدرى رضـي الله عنه ، قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال : اعدل يارسول الله ، فقال : (ويلك ومن يعـدل اذا انا لم اعدل ، قد خبت وخسرت ان لم اكـن اعـدل) . ونزلت الآيـة .

وهناك روايات اخرى فى سبب نزولها ، وكلهـا تدل على أن اشخاصا من منافقي المدينة قالـوا ذلك لحرمانهم من العطيـة .

والآية تدل على فساد اخلاق المنافقين وسـوء طباعهم ، فهم لشدة شرههم الى أخذ الصدقات عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنسبوه الى الجور فى القسمة ، مع انه كان أبعد خلق الله تعالى عن الميل الى الدنيا ، بل هو المعصوم ذو الخلق العظـيم .

ولم يكن قول المنافقين فى الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم غضبا للعدل ، ولا احقاقا للحق ، ولاغيرة على الدين ، انما يقولونه لحساب ذواتهم واطماعهم ، وحماسة لمنفعتهم وانانيتهم ، فاسباب هذا اللمز ومنشؤه هو حرصهم على حطام الدنيا (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منهـا رضـوا) . ولم يبالوا بالحـق والعدل والدين (وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) .

ثم بين الله تعالى الطريق الذى يجدر بالمؤمـن الصادق اتباعه فقال : (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) أى لكان ذلك خيرا لهم .. فان المؤمن الصادق يرضى بقسمة الله ورسوله رضى تسليم واقتناع،لا رضى قهر واكراه ، ويكتفي بالله والله كاف عبده ، ومن يتوكل على الله فهـو حسبه ، ويرجو فضـل الله ورسوله ويرغب فى الله رغبة خالصة من كل طمع دنيوى او كسب مادى .

قال الضحاك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بينهم ما آتاه الله من قليل المـال وكثيره ، وكان المؤمنون يرضـون بما أعطـوا ، ويحمدون الله عليه ، وأما المنافقون فان اعطـوا كثيرا فرحـوا ، وان اعطوا قليـلا او لم يعطـوا سخطوا ، فرضاهم وسخطهم لطلب النصيب فقط، اذ لا هم لهـم ولا حظ من الاسـلام الا المنفعـة الدنيوية .

فى كل مجتمع

ان مثل هؤلاء المنافقين موجود فى كـل عصـر ومكان ، وفى كل امة ودولة ، فهم لا يعرفون الحق ولا ينظرون اليه ، ولا يأبهون به ، ولا يمدحون او يذمون اى امر من الامور ، أو عمل من الاعمال ، الا بمقـدار ما يستفيدون من ذلـك الامـر ، او يتضـررون .

فان أصاب أحدهم خير من ذلك العمل سر به ومدحه وأطراه، والا .. ذمه وعابه، وألصق به ما يختلقه من عيوب . فهذا النوع يصدق عليه قوله جل جلاله : **(ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) .**

ان هؤلاء المنافقين يكون حكمهم على الامور تبعا لهواهم، والنفوس المريضة كنفوس المنافقين لا تدرك الحقائق الا بمنظارها الخاص، ولا تحكم عليها بالخير او الشر او الحسن او القبح الا بنسبة ما يصيبها او يلحقها من نفع دنيوى، او ضرر مادى ولا يهمها ان تتجرد فى حكمها عن المصلحة الشخصية والغاية الذاتية لتكون احكامها مطابقة للحق والعدل .

ان المؤمن الصادق الذى يعتمد على الله ويخافه ولا يخاف سواه، يضع امام عينيه مراعاة الحق والعدل فى الحكم على الامور جميعها، ويتقي الله فى احكامه واقواله وافعاله، فلا يحكم على امر ما بأنه حسن أو غير حسن، نافع او ضار الا بنسبة ما يصيب المجموع من هذا الامر من نفع او ضرر .

ولا تكون للمصالح الخاصة والمنافع الذاتية، ولا للاغراض الدنيوية أى تأثير عليه فى حكمه على الأمور . **فالفرق بين المؤمن والمنافق ان المؤمن يهمه مصلحة الامة العامة، ويتجرد عن مصالحه الشخصية، ويضع تقوى الله تعالى امام عينيه فى حكمه .**

اما المنافق فلا يهمه خير المجتمع، ولا مصلحة الامة العامة، وانما يهمه امره ومصلحته لاغير، ولذلك يكون حكمه على الامور تبعا لمنفعته الشخصية فقط .

ان مثل هؤلاء الناس من المنافقين الذين يجعلون احكامهم على الاشياء تبعا لهواهم ومصالحهم يجب ان يحذرهم الناس ويكونوا منهم على حيطة .

هدامون

ومن صفات المنافقين أنهم لايعرفون الا الهدم والانتقاد، ويعترضون على اعمال المؤمنين مهما كان نوعها وشكلها، ويسخرون منهم، فاذا طلب منهم العمل وأداء الواجب تأخروا، وتهربوا، وانتحلوا الاعذار الواهية للتخلص من هذا الواجب .

فاذا كان الواجب عليهم ان يبذلوا من اموالهم فى سبيل الله فانهم لا يبذلون، ومع ذلك لا يكتفون بقبض يدهم عن البذل والانفاق، ولا بكسلهم وتوانيهم عن اداء الواجب الذى عليهم، بل انهم يعترضون على كل فاعل للخير، ويسخرون من كل باذل من ماله فى سبيل الله قليلا او كثيرا .

وقد اشار الله تعالى الى هذا النوع من المنافقين فى قوله جل جلاله : **(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم) .**

روى المفسرون روايات عدة فى سبب نزول هذه الآية : روى ابن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم، وحث على أن يجمعوا الصدقات، فجاءه عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال : كان لي ثمانية آلاف درهم، فامسكت لنفسي وعيالى أربعة وهذه الاربعة اقرضتها ربي .

وجاء عمر بنحو ذلك، وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر، وقال : أجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى نخيله، فاخذت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما لعيالي، وأقرضت الآخر ربي، فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات، فقال المنافقون على وجه الطعن ما جاءوا بصدقاتهم الا رياء وسمعة، وأما ابو عقيل فانما جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر، والله غني عن صاعه فانزل الله تعالى الآية السابقة .

والمراد من (المطوعين فى الصدقات) اولئك الاغنياء الذين أتوا بالصدقات الكثيرة، وبقوله : (والذين لا يجدون الاجهدهم) أبو عقيل وامثاله من الفقراء حيث جاء بالصاع من التمر .

واخراج المال ابتغاء مرضاة الله تعالى قد يكون واجبا، كما فى الزكاة وسائر الانفاقات الواجبة، وقد يكون نافلة وهو المراد من هذه الآية .

والذى يأتى بالصدقة النافلة قد يكون غنيا، فيأتي بالكثير كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، وقد يكون فقيرا كابي عقيل فيأتي بالقليل، وهو جهد المقل .

ولا تفاوت بين البابين فى استحقاق الثواب، لان المقصود من الاعمال الظاهرة كيفية النية واعتبار حال الدواعي والصوارف .

وقد يكون القليل الذى ياتي به الفقير اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذى ياتي به الغني، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت

يارسول الله اى الصدقة افضل قال (جهد المقل وابدأ بمن تعول) فالصدقة مع قلة المال ثوابها عظيم ، لان المتصدق بها يجاهد نفسه فى ايثار الغير عليها .

وفى الحديث الشريف .

(سبق درهم مائة الف درهم ، قالوا وكيف ؟ قال رجل له درهمان فاخذ احدهما فتصدق به ، ورجل له مال كثير فاخذ من عرض ماله مائة الف فتصدق بها) .

والعرض : الجانب ، فلما كان الاول قليلا وتصدق بنصفه كان من جهد المقل ، وفاق الدرهم مائة ألف ، بخلاف الثاني – وأن عظم فانه لا يشق عليه .

لقد تقول المنافقون على المؤمنين الذين انبعثوا الى الصدقة عن طواعية نفس ، وطيبة خاطر ، واطمئنان قلب ورغبة فى المساهمة فى البذل ، كل قدر طاقته وغاية جهده .

فقالوا عن المكثر الغني انه يبذل رياء ، وعن المقل انه يذكّر بنفسه ، فلا يسلم من عيبهم وتجريحهم وانتقادهم احد من الخيرين الباذلين المؤمنين . ذلك ، وهم قاعدون متخلفون ، منقبضو الايدى ، شحيحو الانفس ، لا يبذلون الا رياء ، ولا ينفقون الا وهم كارهون .

لان الباعث على الانفاق عندهم لا ينبعث من قرارة النفس واعماق الضمير ، انما يدفعون الى الانفاق دفعا ، ويشعرون انهم مسخرون ، ويعدون هذه النفقات مغارم تضرب عليهم ، ينتفع بها المؤمنون ، وهم ليسوا منهم ، فلا نفع لهم بما انفقوا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، لانهم لا يؤمنون بها .

ان امثال هؤلاء المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات موجودون فى كل عصر وامة فهم لا يحسنون الى الناس ، ولايقومون بواجبهم لانحو الفرد ولا الجماعة ولا الامة ، همهم ان يسخروا من الناس ويذموهم ، وينتقدوا اعمالهم ، خيرا كانت ام شرا ، فلا يسلم من شرهم وانتقادهم احد ، همهم الهدم والتخريب لا البناء والتشييد .

١ – فاذا انشأ شخص مستشفى لمعالجة المرضى وتخفيف ويلات المصابين ، قالوا : فعل ذلك للرياء والسمعة .

٢ – واذا اعان دارا للايتام بقسط وافر من ماله ، او بنى دارا للايتام ليخفف عنهم شدة اليتم والبؤس قالوا : ما فعل ذلك الارياء وسمعة ودعاية لنفسه وللشهرة .

٣ – واذا دعا الداعي الى التبرع لمصلحة خيرية محضة كالتبرع لبناء مسجد او معهد او ملجأ فتبرع شخص ما بالكثير من ماله ، أقسموا كذبا وبهتانا انه لم يتبرع بهذا المبلغ الكبير الا ليظهر نفسه امام الناس ، وليقوم بالدعاية الشخصية ، أو ان المال الذى تبرع به مال حرام اغتصبه من الناس ظلما وعدوانا .

واذا تبرع فقير بجزء قليل وهو فى الواقع كبير بالنسبة لماله ، قالوا ان الله غني عن صدقته وما هي الفائدة التى سيجنيها هذا المشروع العام من هذا المبلغ الضئيل ، لقد كان الاولى به ان ينفق ذلك على نفسه .

ان هذا النفر من المنافقين الذين لا يسلم من شرهم وأذاهم احد ، لو انهم ينتقدون عمل الناس ويعملون الافضل ، لقلنا انهم ينتقدون ، لانهم يبغون الاصلح والانفع ، ولكنهم لا يبذلون ولا ينفقون ، ومع ذلك يذمون ويسخرون وينتقدون .

ان من شأن المؤمن الا يسخر من احد والا ينتقد الا انتقادا بريئا نزيها خاليا من الغرض لا يدفعه اليه طمع مادى او عرض دنيوى ، فهو يقول للمحسن أحسنت ، وللمسيء أسأت ، ناظرا فى ذلك الى مصلحة الامة العامة ومنفعة المجموع .

واذا دعي الى التبرع لجهة خيرية تبرع بما يستطيع ، لا يتوانى ولا يتقاعس عن هذا الواجب ، وشكر الآخرين على تبرعاتهم مهما كان قدرها وصفتها ، دون ان يسخر من احد ، او يستهزىء بمخلوق .

المؤمن بناء لا هدام ، فعال لا قوال ، صادق لا موارب ، مصلح لا مفسد ، ناصح لا مخاتل ، حازم لا متردد ولا مرتاب ، باذل لا قابض ولا شحيح ، مقبل على البذل والانفاق فى سبيل الله وفى انشاء المؤسسات العامة ، واعانة البؤساء والمحتاجين ، غير مبال بأقوال المنافقين الذين يسخرون من الناس ، ويثبطون الهمم ، ويضعفون العزائم واذا كان كل مجتمع يصاب بمثل هؤلاء المنافقين ، فان قوة الايمان فيه تنحيهم بعيدا وتعزلهم عن الجماعة وركبها المنطلق فى اخلاص للبناء والتعمير هكذا كانوا مصيرهم فى ايام الرسول صلى الله عليه وسلم وهكذا يجب أن يكون مصيرهم فى كل مجتمع .

العلم والدين

من الأزهر انطلقت الدعوة

ظلت بلاد الشرق العربي الاسلامي بضعة قرون تخيم عليها سحابة من الجهل والتأخر والبعد عن ميادين العلوم الحديثة ، خلال الحكم التركي ، بعد أن كان العرب روادا لهذه العلوم فى عصر النهضة الاسلامية وأساتذة لها ، على حين كانت أوروبا فى ظلمات الجهل فى القرون الوسطى تغط فى سبات عميق .

ولم يعدم الشرق العربي الاسلامي فى خلال هذه الغيابات صوتا يدعو الى العلم الحديث ، وينبه النيام ليصحوا من رقدتهم . وكان للأزهر الذى شع العلم منه زمنا فضل الجود ببعض عقليات أزهرية نيرة مرنة غير جامدة ، دعت ــ فى خلال ذلك الظلام ــ الى العودة بالعلوم الاسلامية العربية الى مسائل العلم الطبيعي التجريبي ، تحقيقا لدعوة القرآن الكريم الى النظر والتفكر فى ملكوت السموات والارض .

الشيخ حسن العطار والعلوم الحديثة

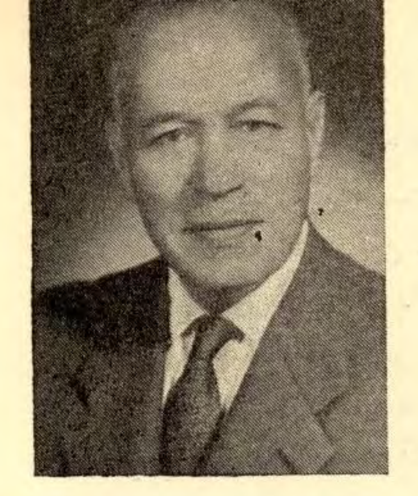
وكان للشيخ حسن العطار ــ شيخ الازهر عقب الحملة الفرنسية ــ فضل القيام بهذه الدعوة فقد اتصل الرجل بعلماء الفرنسيين الوافدين مع نابليون فى حملته على مصر ، وعرف كثيرا من أسباب نهضة الغربيين وقوتهم ، كما شاهد بعينيه بعض ابتكارات الفرنسيين العلمية والصناعية .

ورأى الشيخ الازهرى المصلح أن عليه واجبا نحو امته ، وأن هذا الواجب يحتم عليه ألا يسكت ما دام قادرا على أن يقول شيئا ، كأنما كان حافظ ابراهيم يعنيه بعد مائة وعشرين عاما بقوله فى تكريم احمد شوقي :

فأن كنت قوالا كريما مقالة

فقل في سبيل الشرق شعرك أودع

فاتجه الشيخ حسن العطار الى الكتب الازهرية فى عهده ، ولم تكن هناك مدرسة اسلامية عربية كبرى غير الازهر ، فوجدها واقفة لا تتجدد ، ولا تسير مع الزمان ، والدنيا من حولها تتحرك وتسير قدما ، ولم تكن فى الشرق



للاستاذ : محمد عبد الغني حسن

للعلوم الحديثة

العربي يومذاك صحافة او صحف يطالع فيها الناس بآرائه ، فلم يجد غير مؤلفاته الازهرية ، يدخل فيها بعض هذه الآراء هنا وهناك ، ففي احدى حواشيه على كتاب من كتب الفقه المقررة فى الازهر يستطرد الى نقد الكتب الازهرية التي طال عليها المدى وهي جامدة كما هي . ثم يوازن بين العلماء السابقين وعلماء عصره ، فيجد ان السابقين ـ مع رسوخ قدمهم فى العلوم الشرعية لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم .

ولقد أعجب الشيخ العطار بالكتب الاجنبية التي ترجمت الى العربية فى عصر محمد علي ، لما فيها من علم وصناعات ، واصول هندسية ، وعجب كيف لم تدخل هذه الكتب ، ولم تعرف طريقها الى الازهر حتى بعد عودة اعضاء البعثات العلمية من اوروبا .. وندعه هنا يقول بعبارته الدقيقة ، وأسلوبه المرسل الذى خالف به الاساليب المتكلفة فى وقته : (ان مسألة الخلاء ـ يعني الفراغ ـ ومسألة اثبات الميل فى الاجسام من مسائل العلم الطبيعي وبتحقيقها يظهر للفطن اسرار غريبة ..

وعليها يبنى كثير من مسائل جر الاثقال ، وعلم الحيل « الميكانيكا » واختراع الآلات العجيبة . وقد عربت كتب فى زماننا من كتب الفرنجة ، وفيها اعمال كثيرة ، وأفعال دقيقة ، واطلعنا على بعضها ، وقد استخرجت تلك الاعمال بواسطة الاصول الهندسية والعلوم ، وفي تلك الكتب تكلم القوم فى الصناعات الحربية ، والآلات النارية ، ومهدوا فيها قواعد وأصولا ، حتى صار ذلك علما مستقلا ذا فروع كثيرة . ومن سمت به همته الى الاطلاع على غرائب المؤلفات ، ظهرت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم ، وتنزهت فكرته ـ ان كانت سليمة ـ فى رياض الفهوم » .

جهود رفاعة الطهطاوى

ولم يضع صوت الشيخ حسن العطار هباء ، فقد جاء بعده تلميذه الشيخ رفاعة الطهطاوى الذى كان أزهريا ، وأوفد اماما للبعثة التعليمية المصرية فى فرنسا ، وادرك من قيمة العلوم الطبيعية .. الحديثة ما أشار اليه أستاذه وما رآه هو رأى العين فى خلال اقامته بباريس فلما كتب كتابه المشهور : « مناهج الالباب المصرية » لم يفته أن يدعو

بحرارة الى ادخال العلوم الكونية الحديثة فى برامج الازهر ، واستدل على قوة العلم بقوة قدماء المصريين وعظمة دولتهم . ورأى ان اكمال العقول بالعلوم الطبيعية أمر ضروري لتقدم الامم ، ولام حكومة مصر فى عهد اسماعيل على ترك علماء الازهر يتقنون الاحكام الشرعية العملية الاعتقادية والعلوم الآلية كعلوم العربية الاثنى عشر ، والمنطق ، وآداب البحث والمقولات ، وعلم الاصول ، ويتركون ما عداها من العلوم النافعة : (غير أن هذا وحده لا يفي للوطن بقضاء الوطر ، والكامل يقبل الكمال كما هو متعارف عند أهل النظر ...)

واستشهد رفاعة الطهطاوى بنخبة كريمة من علماء الازهر شاركوا فى العلوم الطبيعية والطبية ومهروا فيها ، كالشيخ على الزعترى والشيخ احمد القرافي والشخ عبد الفتاح الدمياطي والشيخ سلامه الفيومي ، والشيخ عبد الجواد المرحومي، والشيخ حسام الدين الهندى، والشيخ احمد الشرفي ، وغيرهم ، بل استشهد بأستاذه حسن العطار « الذى كان له مشاركة فى كثير من هذه العلوم حتى فى العلوم الجغرافية » .

وتقدم الزمن خطوة فظهر فى السنة الاولى من مجلة « المقتطف » سنة ١٨٧٦ وفى الجزء السادس بالذات ـ مقال علمي عن دوران الأرض بقلم المحرر العالِم الدكتور يعقوب صروف ، ولم يكن هذا البحث أول ما نشرته المقتطف من بحوث علمية ، فقد سبقته بحوث عن الشمس والمطر ، والحرارة والميكروسكوب ، والهواء الجوى وعلة ملوحة البحر وغيرها.

وتقدم محرر المقتطف خطوة ، فكتب مقالا افتتاحيا فى العام نفسه بعنوان ((العلوم الطبيعية)) . فند فيه مزاعم الجامدين القائلين ان العلوم الطبيعية مضرة وانها تشكك فيما أوحت به الكتب السماوية ، وعجب من تقاعس علماء العرب فى عصره عن هذه العلوم ، مع انها كانت فخرا لأقطاب علمائهم وتساءل فى سخرية حكيمة : ماذا يقول ابن سينا لو وقف بيننا اليوم ، وسمع أكثرنا يعوذ بالله من شر علماء الطبيعة وعلمهم ؟ وكيف يشعر القزويني لو سمعنا نقول عن عالم فى الحيوان ان هذا طبيعي كافر ؟ وماذا يقول البنانى والطوسي ، والنيسابورى لو علموا ان علم الهيئة قد صار فى خبر كان ، بعدما شيدوا دعائمه بين امة العرب ؟ .

وأبان الدكتور صروف خطأ الذين يقرون بمنافع العلوم الطبيعية ، ولكن يحسبونها مضرة بالدين كما أبان ضلال الذين يعتقدون صحة هذه العلوم ونفعها ، ولكن ينكرون الوحي لاجلها ، بعدما ظهر من التوفيق العظيم بين الوحي والعلوم الطبيعية .

وهنا دخلت القضية فى طور جديد .. فلم يسكت رجل الدين المسيحي « غبريل جباره » أرشمندريت الكرسي الانطاكي ببيروت ـ على القول بدوران الارض ، وانكره انكارا شديدا ، واكد بالادلة التوراتية ثبوت الارض وعدم دورانها ، وقرر أن دوران الارض يناقض ما فى الكتب المنزلة ...

وشغلت هذه المسألة الرأى العام العربي فى ١٨٧٦ ، ودخلت فيها مصر

والشام بمفهومه الواسع الموحد قبل تفريقه ـ واشترك فيها كثيرون بين مؤيد ومعارض ...

عبد الله فكرى وعلم الهيئة

ودخل اديب عالم مصري فى المعركة ، وهو عبد الله فكرى باشا الذى كان وكيلا لوزارة المعارف فى ذلك الحين ، فكتب بحثا ضافيا فى موضوع « المقارنة بين الوارد فى نصوص الشرع ، والوارد فى الهيئة » وبعث به الى المقتطف التي كانت حينذاك فى بيروت ، ونشره الدكتور صروف بعنوان : « العلوم الطبيعية والنصوص الشرعية » وقدم له بأسطر قليلة ذات دلالة كبيرة يقول فيها : (رأينا فيها ما يدهش الالباب من المنطق وحسن البيان ، فبادرنا الى اقتطاف بعض ثمارها ، اظهارا لموافقة علم الهيئة لدين المسلمين ، واجابة لما طلبه منا الكثيرون ..) .

وبلغ هذا البحث من نفوس القراء فى العالم العربي ما اريد له ورأى عبد الله فكرى ـ وهو أزهري النشأة والثقافة والتحصيل ، مجدد فى تفكيره ـ رأى أن يوسع ميدان نشره ومجال انتشاره فنشره كاملا غير منقوص فى صحيفة « وادى النيل » وفى مجلة « روضة المدارس » وهي من أقدم المجلات فى العالم العربي ـ فى عددها الخامس من شهر ربيع الاول ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م .

ولا ينكر منصف أن هذا البحث الجليل لعبد الله فكرى كان من العوامل القوية الموجهة لحركة ادخال العلوم الطبيعية فى الفكر العربي الحديث . واذا كان صوت الدكتور يعقوب صروف من الاصوات العربية الأولى التي كتبت فى العلم الطبيعي وقدمته الى العرب المعاصرين والحديثين ، فان عبد الله فكرى الكاتب الشاعر الازهرى كان من الاصوات القوية الاولى فى الدعوة نفسها ، وفى التنبيه بالادلة الشرعية الى ضرورة العلوم الطبيعية وخطرها .

الغزالي يقول بكروية الأرض

وقد قامت رسالة عبد الله فكرى هذه على أساس مناظرة او مناقشةدارت بين فقيه من رجال الدين ، وعالم طبيعي من علماء الهيئة ـ اى الفلك ، واستند عالم الهيئة فى خلال المناظرة الى كلام للامام الغزالي يفيد فى قضية الدين والعلم وعدم تعارضها ، فالغزالي معتقد بكروية الارض وبالاسباب الجغرافية الفلكية للكسوف والخسوف ، والغزالي يؤكد أنه (من ظن المناظرة فى ابطال هذا من الدين وضعف أمره فان هذه الامور عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة ...) .

ولم يكن دخول عبد الله فكرى فى المعركة التي دارت حول دوران الارض يرمي الى القول بالدوران وحسب ، ولكن مرامي بحثه العلمي الفقهي العظيم كانت تتجه الى مسألة اهم من هذا ،وهي مسألة التوفيق بين العلم والدين، واثبات عدم المخالفة بينهما ، حتى لا يقف هذا التخالف حجر عثرة فى طريق التقدم

العلمي المطلوب ، وتتحجر المعارف العلمية الى ما يشبه الجمود ... ولقد أدرك عبد الله فكرى بذكائه ولطف مدخله ، وسعة اطلاعه على تاريخ علم الهيئة ، والتفسير والشرع ، الهدف من مراميه البعيدة فى ذلك البحث الذى تقبله — فى ذلك الحين — أنصار الجديد بقبول حسن وأيقنوا أنه جاء في حينه مناسبا ، ولو قته ملائما تأييدا من السماء ، بل من رب السموات لقضية الوحي السماوى والعلم الطبيعي .

على ان الطريف فى القضية ان عبدالله فكرى اثبت فى بحثه الرصين ان القول بدوران الارض حول نفسها كل يوم ، وحول الشمس كل عام ، ليس قولا جديدا كما يزعم الجامدون والمتشبثون بأذيال المحافظة ، وان القدماء فى بلاد الاغريق والرومان كانوا يقولون بدوران الارض ، ثم هجر هذا القول الى القول بثبوتها على يد بطليموس الروماني ، ثم جاء « كوبرينكس » فى القرن السادس عشر الميلادى ، فعاد الى القول بدوران الارض ، وتابعه عليه الناس الى وقتنا هذا ...

ودارت الارض هذه المرة دور سريعة عجيبة فاذا بنا نرى من عجائب العلم الحديث ما حملنا على أن لا نتخلف — نحن العرب — عن السير فى طريقه ، والأخذ بأسبابه ، توصلا الى رؤية الله عن طريق العلم ، كما قال شاعرنا شوقي وأجاد :

لو يرى الله بمصباح لما
كان الا العلم جل الله شانا

عن ابي موسى الاشعرى — رضي الله عنه — : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » .
« رواه مسلم والنسائي »

***

عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات) قالوا : بلى يا رسول الله .
قال : اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة . فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » .
« رواه البخارى ومسلم »

قالوا . « من حسن الأدب ألا تغالب أحدا على كلامه ، واذا سئل غيرك فلا تجب عنه . واذا حدث بحديث فلاتنازعه اياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا تره أنك تعلمه .
واذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك ، فحسن مخرج ذلك عليه ، ولا تظهر الظفر به . وتعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الكلام » .

***

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :
« قلت لأبي : أى رجل كان الشافعي ؟ فاني سمعتك تكثر من الدعاء له »
فقال : يا بني ، كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن ، هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض ؟

يديه ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : (أتحبه لأمك) فقال . لا ، جعلني الله فداك .

فقال : (كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . اتحبه لابنتك ؟) قال . لا ، جعلني الله فداك ، قال (كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم . اتحبه لأختك ؟) . وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة لا ، جعلني الله فداك ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول . كذلك الناس لا يحبونه ، وقالا جميعا فى حديثهما « فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال . (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ،) رواه الامام احمد باسناد جيد .

افترى يا أخي القارىء أن الاسلام كان جميلا حينما حرم هذه المظالم لكي يحفظ لك مالك ، وعرضك وكرامتك ، وحريتك ، وصحتك ، أم انه قبيح مخيف كما يدعي الخصوم عدوانا وظلما . ؟ .

هل ترى يا أخي من الصواب او الجمال فى شىء : أن نحل الخيانة محل الأمانة ، والكذب محل الصدق ، والغدر محل الوفاء ، والزنا محل العفاف ، والميوعة محل الرجولة ؟

وانك اذا ادركت مواطن القبح والجمال من جميع هذه الخصال ، أدركت بلا شك أن الاسلام فى الذروة من الجمال فى كل ما أمر به ونهى عنه .

جمال المعاملة

واذ يتجلى لنا الاسلام جميلا فيما امر به وفيما نهى عنه فانه يتجلى لنا اجمل فى أدب المعامنة مع الناس حيث يظهر العفو ، والتسامح ، وكظم الغيظ والاحسان ، والتواد ، والحرص على العدل حتى مع الخصوم : يقول الله تبارك وتعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت ـ ٣٤ .

(ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) المؤمنون ـ ٩٦ .

(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين) آل عمران ١٣٤ .

(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) العنكبوت ـ ٤٦

(وقولوا للناس حسناً) البقرة ـ ٨٣.

الآيات فى ذلك كثيرة ، والصور التي انزلت بها جميلة ، حتى ليكاد المطلع لا يغادر منها آية الا اوردها ولا صورة من حسن المعاملة الا سجلها ، فهل ترى حسنا يضاهي هذا الحسن أو يدانيه ، فى سلوك الانسان تجاه أخيه الانسان ، بل انك لتجد كمال الحسن فى معاملة العدو حين يحرص الاسلام على ايصال حقه اليه ، ويجعل تفويت حقه جريمة وظلما ، وفى ذلك يقول تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) المائدة ـ ٨ .

وقد وردت فى حسن المعاملة ومكارم الاخلاق ، أحاديث كثيرة فى السنة الصحيحة ، لم تدع زيادة لمستزيد من درجات الكمال ، ولا لطامع فى صور البهاء والجمال ، يقول صلى الله عليه وسلم :

(اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة

الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) احمد والترمذى . حسن صحيح .

(اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلق أخاك ووجهك منبسط اليه) ابو داود والترمذى .

(ما من شيء اثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق) الترمذى حسن صحيح .

(ان من أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا) الترمذى حسن .

وقد ورد فى الأثر (صل من قطعك واحسن الى من أساء اليك ، وقل الحق ولو على نفسك ..)

جمال المظهر

ومن جملة ما شرعه الاسلام للناس ــ بعد تنظيم المعاملة ، واضفاء ذلك البرد الجميل عليها من العدل والتسامح ، والعفو ، والتراحم ، واظهار النعمة ، والتمتع بالزينة ، فالمسلم فى تحقيق الاسلام جميل فى باطنه ، جميل فى ظاهره :

يقول تبارك وتعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) الضحى ــ ١١

(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف ــ ٣٢ وفى الحديث (ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) الترمذى وحسنه .

فهل تجد مثل هذا التوجيه فى دين آخر ، أو نظام من نظم البشر ، بمثل هذا الضبط وعمق النظر ؟ انه ضبط يلتزم بالاعتدال، فلا يميل الى البطر والاسراف، ولا ينحرف الى التقتير والالحاف ، وهذه حسنة كبرى من حسنات هذا الدين الجميل ، حرص عليها وجعلها أساسا فى كثير مما شرع : يقول الله تبارك وتعالى :

(والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) الفرقان ــ ٦٧ .

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً) الاسراء ــ ٢٩ .

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة ــ ١٤٣ .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام فى الاعتدال بالعبادة ، والاقتصاد فى الطاعة .

(ان المنبت لا ارضا قطع ، ولا ظهرا ابقى) روى من طرق ، ورجح البخارى ارساله .

وحينما قال أحد الرهط الثلاثة : انا اصلى الليل ابدا ، وقال الثاني . وانا اصوم الدهر ابدا ، وقال الثالث . وانا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكني أصوم وافطر واصلي وارقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

افلا ترى يا اخي ان الجمال ضربة لازب على هذا الدين ، وان الاعتدال يلازم أمره ونهيه ، وان اليسر مزيته ، وان العقل قرينه ، وان حسن الخلق اساس معاملته ؟

واحب قبل أن اختم المقال ، ان الفت النظر الى انه ما من مجتمع بشرى يعيش بغير نظام ، واذا كان ثمة نظام ، فثمة تكليف لا محالة ، فالطامع فى الحرية المطلقة التي ليس لها قيود ولا حدود ، انما هو طمع فى السراب ، وتيه فى الخيال، ذلك أنه اذا اطرح الناس كل نظام ، هبطوا الى مستوى الحيوان ، وعاشوا عيشة الذئاب ، وعانوا الأهوال من شريعة الغاب .

وان رجعوا الى الحرية النسبية التي تنتهي فيها حرية الفرد حيث تبدأ حرية الآخرين ، فقد رجعوا الى انسانيتهم واعترفوا بالتكليف سببا لسعادتهم وعزتهم وكرامتهم .

وان التاريخ لم يذكر لنا مجتمعا يلهو ويلعب نال حظا من الكرامة والعزة ، أو تسلق مرقى من المجد والسؤدد ؟ .

واذا كان لا بد من التكليف ، فقارن بين تكليف الاسلام كما رايته ، وبين تكاليف أى نظام أو دين فى الدنيا تجد الفرق كبيرا فى السهولة واليسروالعدالة والانصاف ، والانسجام مع العقل ، والمرونة الباقية مدى الدهر . ورحم الله من قال :

لم يمتحنا بما تعيا العقول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

هذا هو الاسلام . توحيد خالص ينسجم مع العقل ، وتطمئن به النفس ، وعبادات سهلة فيها صلاح الروح والجسم ، وتهذيب الخلق وتوجيه الغريزة ، وهي ضمن نطاق القدرة ، فلا تكليف بما لا يطيق العقل ، او لا يستطيعه الجسد ، ومحرمات اثبت العقل والعلم والطب ضررها ، وخطرها ، وظلمها ، فالجمال والكمال فى تركها والابتعاد عنها.

ومكارم أخلاق فى معاملة الناس هي زينة الدهر في تاريخه ، وفخر الانسانية فى سجلات الخلود ، فالمسلم حين يلقاك باسلامه عاقل لا تلج الخرافة الى عقله ، عالم لا يصل الجهل والسفه الى حلمه ، يزينه التواضع، وتعلوه البشاشة ، ويملأ صدره الحلم والتقى ، وتغشى جسمه الوضاءة والبهاء ، وهو مع كل ذلك قوى فى غير قسوة ، متواضع فى غير ذلة ، عزيز بغير استكبار ، فهو بحق صورة الجمال وعنوان الكمال .

ولا غرابة فى ذلك فهو ثمرة الدين الرباني الذى أنزله الحكيم العليم رب الكمال والجمال ، وأرسل به محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهمالخبائث ويضع عن النفوس اصرها ، ويحطم أغلالها ، ويبدد شكوكها ، وأوهامها ، يخرجها من الظلمات الى النور ، كما قال تعالى . (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يامرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم ، والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذ ىأنزل معه ، أولئك هم المفلحون) الأعراف ـ ١٥٧ .

جعلنا الله من المفلحين ، ووفقناجميعا لاتباع ذلك الرسول الكريم ، ولنصرة الدين القويم ، وتبليغه الى الناس كافة ، لكي تستنير القلوب بنور الايمان ، وتستضيء الدنيا من جديد بشمس الاسلام .

أيها الشرق

هذه قصة المجد

سائلِ الأفْقَ عن سَناه المنضّرْ   أيُّ صبحٍ على محيَّاه أسفَرْ ؟
وسلِ الطيرَ عاكفات على الرو   ضِ ، تُغاديه بالنشيد المُعَطَّرْ ؟
ضجَّ في سمعها الغداةَ هتافُ الـ   ـكون ينسابُ بين ناي ومِزْهَرْ
وقف العالمُ المحطَّمُ حيرا   نَ ، قلوباً إلى السموات تَجْأرْ
وعيونا تسائل الغيبَ : ماذا   من وراء الهلال يخفى ويَظْهَرْ ؟
ليتَ شعري ماذا يخبئه الغيبُ :؟   وماذا يُخفي القضاءُ المُسَطَّرْ ؟
ربِّ باركْ آمالنا ، وابعث النو   رَ نَسِرْ في هُداكَ لا نَتَعَثَّرْ
نشوةٌ تغمر الحياةَ وذِكرى   تستفزُّ الوجودَ في كل مَظْهَرْ
هي صوتُ التاريخ ، فلتسمع الـ   ـدنيا لصوت من السماء تَحدَّرْ
مولد المصطفى ونور هداه   كل نور خياله ليس يذكر

***

من ذلك الداعي إلى الحق فيـ   ـهم لايخاف الردى ولا الأسْدَ تزْأرْ
من ترى ذلك الغريبُ بأرض   هي أوطانُه وبالأهل تزخَرْ ؟
أنكرتْهُ والحقُ فيها غريبٌ   ليس بدعاً أن يُستباح ويُنْكَر
أرهف الليلُ سمعَهُ لخُطاه   هامسات مما يخاف ويحذر
واحتواه الظلام سرا من الله ،   عليه عينُ العناية تسهرْ
ورمالُ البيداء مستبقاتٌ   وقعَ أقدامه زحاماً لِتَظْفَرْ

للاستاذ حسن جاد
الاستاذ بكلية الدراسات العربية ـ جامعة الازهر

كـاد اشـراقُه يَدل عليـــه بمـُحيـاً في فحمـة الليـل أَقمَرْ
والفضاءُ الفسيحُ يُنْبِىءُ عنـهُ بعبيـر يفوح منـه وَعَبْهَـرْ
ربِّ أنتَ النصيرُ إنْ عَقَّنِي الأهل، وَمَنْ يعتصمْ بحبلك يُنْصَرْ
وطن الحق موطنـى ، فلك الأمـر كما شئتَ والقضاءُ المقدَّرْ

★★★

من تُرى ذلك الذى غير التاريخَ فتحـاً ، وهزَّ كسرى وقَيْصَرْ ؟
من تُرى الفارسُ الذى زلزل الأرضَ وفي كفه اللواءُ المُنشَّرْ ؟
من تُرى الفاتح الذى طالـعَ الوادي بجيش من الشعاب مُجَرَّرْ ؟
ذاك أُمَّ القرى طريدُك بالأمس ، ومن يصطبر على البأس يَظْفَرْ
ان للحق ساعةً يقهر الباطـلَ فيها مهما طغى وتجبَّرْ
اسمعى ياشعابَ مكة هذى هتْفَةُ النصر للنبيِّ المُؤَزَّرَ
واشهدى ياسماء ، قد زُلزل الشرك ، ودوَّتْ في الأفق ، اللهُ أكبرْ

★★★

أيها الشرقُ هذه قصة المجد ، فلا يزدهيك مجدٌ مُزَوَّرْ
قد وعاها الاسلامُ عاماً فعاماً عِظَةَ الدهرِ والمفاخرُ تُؤْثَرْ

الاسلام قوام هذه الأمة

الاسلام بمعناه العام هو الانقياد لله ، بامتثال كل ما يأمر به ، واجتناب كل ما ينهى عنه ، واخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، ومعناه الخاص هو هذا الدين الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، وقال الله فيه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » فهو الدين الكامل ، والنعمة التامة ، والرسول الذى بعث به هو الرحمة العامة ، كما يفهم من قول الله فيه « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

وقد كان من يمن طالع هذه الأمة ، ومن بشائر رحمة الله بها وبغيرها أو بها قبل غيرها ، أن يهبط اليها ابراهيم عليه السلام ، ويدع فيها ولده اسماعيل بواد غير ذى زرع ثم يعود اليها والى ولده فيها ليرفع معه قواعد البيت ، ويقولان ما يحكيه القرآن « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » فقد تفتحت لهذا الدعاء أبواب السماء ، فجعل الله من ذريتهما أمة مسلمة ، وبعث فيهم رسولا منهم ، وكان من مظاهر قدرته ورحمته فى هذا النبي الأمي أن يتلو عليهم ـ وهو أمي ـ آياته ـ ويعلمهم ـ وهو أمي ـ الكتاب والحكمة ، ويزكيهم بما تتسع له كلمة التزكية من معاني التربية الرشيدة الصالحة . والتوجيه السديد السليم ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال » .

لولا الله ما اهتدينا

أما الضلال المبين الذى كان عليه العرب قبل الاسلام . فيكفي فى تصوير جانب منه أن نذكر ما قاله جعفر بن أبي طالب للنجاشي فى الحبشة ليرد به كيد الكائدين ووشاية الواشين اذ قال (كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا من الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به) ..

هذا الى أن معنى كلمة الضلال يسع اكثر مما ذكره جعفر رضي الله عنه ، كالحيرة والضياع ، والجهل ، والبعد عن طريق الحق والصواب .

وقد كانت هذه الأمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، وكان اليهود يعيرونها بما يحكيه القرآن عنهم اذ يقول الله فيهم « ويقولون ليس علينا فى الاميين سبيل » وكانت كذلك حائرة لا تعرف لها طريقا الى الألفة والوحدة وتكوين كيان عام ، ثم كانت ضائعة يخضع بعضها لسلطان الفرس فى العراق ، وسلطان الروم فى الشام ، ونفوذ الحبشة فى اليمن .

أما مجتمعها فى داخل هذه الجوانب المحتلة المستذلة فكان كما وصفه جعفر بن أبي طالب ، قبائل يقتل بعضها بعضا ، ويأكل بعضها بعضا ويتربص بعضها ببعض ، ثم تداركها الله بالاسلام وبالرسول الذى بعث به وقال الله فيه « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » فجمعها بعد فرقة ،

بقلم الاستاذ عبد الرحيم فوده

وقواها بعد ضعف ، وجعلها كما يقول الله فيها « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ولم تمض مدة قليلة حتى كانت هذه الأمة فى القمة التي لم تصل اليها أمة ، وحتى انتهت اليها مقادة العالم فى كل شيء كان يعرفه العالم ، وكل ما وصلت اليه من عزة وكرامة ، ونهضة وحضارة ، وعلم وحكمة ، كان هو التفسير الكبير لقوله تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ..

مسئولية هذه الامة

وقد ناط الاسلام بهذه الامة مهمة لم يكلها الى غيرها من الأمم وهي مهمة تبليغ الدعوة الاسلامية الى الناس كافة ، والجهاد فى سبيلها ، والكفاح دونها ، لأن الاسلام الذى دانت به وتلاقى أبناؤها عليه وأشربت قلوبهم حبه ، لم يكن لها دون غيرها، وانما هو الدين الذى اكمله الله وجعله صالحا لكل زمان ومكان ، وأتم به نعمته على جميع خلقه، وقال فيه **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »** ومن ثم كان واجبا على هذه الأمة فى عهده ، ومن بعده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، أن تجاهد فى سبيله ، وتعمل على اعلاء كلمته ، لأن الله اختارها لذلك ، وأمرها بذلك ، كما يفهم من قوله تعالى « وجاهدوا فى الله حق جهادههو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » .

على أن نزول القرآن بلغة العرب كان له أثره الكبير فى تعريب المسلمين ، وبذلك كسب العرب ما لم تكسبه امة أخرى ، وصارت لغتهم وعاء لكل العلوم العربية والاسلامية ، ولا شك أن المسلمين كما يقول الله فيهم « انما المؤمنون اخوة»

وكما يقول صلى الله عليه وسلم « تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وأن الاساس الذى جعله الاسلام المقياس الذى يتفاضل به الناس على اختلاف السنتهم هو التقوى كما يفهم من قوله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقوله صلى الله عليه وسلم « ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى » ولكن تبعة المسلمين العرب ازاء هذا الدين اضخم واعظم ، فقد حفظ لهم لغتهم وجعلها اللغة الرسمية لجميع المسلمين ، لأنها اللغة التي أنزل بها القرآن ، ولأنها لغة حديث النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم لأن العلوم العربية والاسلامية نبتت حول القرآن ، واستمدت منه ، وقامت عليه ، وألفت بلغته .

الاسلام وحده سبيل العزة

على أن الاسلام من قبل ومن بعد هو السبيل الى العزة والكرامة والحياة الطيبة ، كما يفهم من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وقوله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » وقوله جل شأنه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

ومن ثم يتبين لنا مدى ما تنطوى عليه الدعوة الى « العلمانية » او الى تنحية الاسلام عن حياة الامة العربية من خطر يتهدد كيان هذه الامة بخاصة والمسلمين بعامة .

وأى شيء يبقى لهذه الامة من مفاخر ومقومات حياة اذا هي استجابت لهذه الدعوة الخبيثة المدمرة وتركت دينها وعلومها ، ولغة كتاب دينها وهو كما يقول الله فيه « وانه لذكرلك ولقومك وسوف تسألون » **وكما يقول جل شأنه** « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » .

ان قوام هذه الامة هو الاسلام ، وقيمة هذه الامة بالاسلام ، وكرامة هذه الامة بالاسلام ، وصدق الله اذ يقول « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » .

خواطر من هنا وهناك

صبرا

بعض اخواننا الأساتذة الكتاب الذين بعثوا الينا ببحوثهم مشكورين ، قلقون لعدم نشرها فى الأعداد الأولى من الوعي الاسلامي ، ويرون من حقهم أن يلومونا . ولو عرفوا الظروف التي تحيط بنا لالتمسوا العذر لنا .. فقد استجاب لنا كثير من الكتاب فى جميع انحاء العالم الاسلامي ، وأرسلوا الينا ببحوثهم الممتازة فى موضوعات متعددة .. ثم لا بد فى كل عدد من التنسيق بين الموضوعات المتنوعة والأقطار المتعددة ، وصفحات المجلة المحدودة ..

ومن أجل ذلك قد تتأخر بعض البحوث مع أهميتها ، وحرصنا على نشرها .. وليس معنى تأخير نشر مقال لأحد اخواننا الكتاب أن يمسك عن ارسال مقالات أخرى ، حتى ينشر ما أرسله ، فقد يكون حظ المتأخر أحسن من المتقدم ، نظرا لموضوعه ، ثم ان وجود المقالات أمامنا يتيح لنا ترتيب ادراجها فى الأعداد المقبلة .

والسادة الكتاب الذين أرسلوا المقالة الأولى من سلسلة مقالات لهم حول بحث واحد ، نحب ألا تكون هناك فجوة زمنية بين ما ننشره لهم ، ولذا نرجو أن يكون لدينا رصيد من هذه المقالات ، حتى يتمكن القراء من متابعتها ..

وشيء آخر .. هو رجاء الا يحرجنا بعض الكتاب بارسال مقالات سبق نشرها لهم فى كتاب أو مجلة ، أو مقالات خفيفة الدسم ، اتكالا على شهرتهم ، مما يضطرنا الى تأخيرها أو حجزها عن النشر ، محافظة على سمعة الكاتب ، وعلى مستوى المجلة معا ، على أن المجلة بعد ذلك تفتح صدرها لكل انتاج جيد .

لا تقرها الأديان ولا الفطرة السليمة

الرضوخ للواقع والاستسلام له أمر ينافي الطبيعة البشرية ، وحكمة ارسال الرسل بالأديان السماوية ، ويقضى على سنة التطور والتقدم والحركة ، التي هي أمور طبيعية فى حياة الكائنات ..

نعم لو كان الرضوخ للواقع أمرا طبيعيا لما جاءت الأديان تغير وتبدل منه ، وتنقله الى حالة أحسن من واقعه ، ولما سعى الانسان وكد وتحمل كل صنوف الارهاق ، ليحسن واقعه ، ويصل الى مستوى أرقى وأفضل منه ، ولما فكر المفكرون ووصل العلماء بأفكارهم وتجاربهم الى ما تنعم به البشرية من تقدم فكرى وصناعي .

ولو كان الرضوخ للواقع أمرا طبيعيا ، حتى فى الكائنات الصامتة ، لما أودع الله فى البذرة الصغيرة قوة المقاومة لما فوقها : من تراب وطين ، حتى استطاعت أن تشقه وتصدعه ، لتخرج من واقعها المظلم فى باطن الأرض الى حيث النور والهواء .. والحركة والثمار والأزهار ..

هل كان يمكن لشعب أن يتقدم لو رضخ للواقع ؟
هل كان يمكن أن يتحرر شعب من الاستعمار لو استسلم لجلاديه ؟

وهؤلاء الذين يدعون العرب للاستسلام والرضوخ للواقع ، وللذل والمهانة ، الا يقولون ويفخرون أنهم كافحوا فى سبيل تغيير الواقع ، الذى خلفه الماضي فى بلادهم ؟ بل ان هـذه الدعوى هي رأس مالهـم ورصيدهم عند الشعب ..

فلماذا يفاجئون العرب في أوج فورتهم بهذا « الدش » البارد ، وهذه التي يسمونها فلسفة وطريقة فى الحيـــاة ؟

وهل هذه طريقة للحياة أو الموت ؟

ألا انها فلسفة المهانة والعبودية اذا كان للمهانة فلسفة ! !

ألا انها الطريق المؤدية فعلا الى المقابر .. مقابر الشعوب ! !

ليس هناك من يستسلمون للواقع الا الذين فقدوا أرواحهم وأخذ أهلوهم يحفرون لهم المقابر بـين الأسى والدموع ..

هؤلاء فقط هم الذين يستسلمون للواقع لأنهم فقدوا كل باعث على الحركة والمقاومة فهل يريد الداعون لرضوخ العرب للواقع أن يجعلوهم أمة من أصحاب القبور .. وأن تتحول البلاد العربية كلها الى « جبانة » كبيرة لأهلها يحفرونها بأيديهم ، ويهيلون على أنفسهم التراب دون أن يكلفوا عدوهم قطرة من العرق ؟

ما رأينا كائنا حيا استسلم للواقع ورضي به حتى الدجاجة تحت شفرة السكين فانها تقاوم لتتخلص من مصيرها .. وتظل تصرخ وتضرب الأرض ، وتعلو وتهبط ، حتى تسكت أنفاسها .

فماذا يريد بنا الداعون الى الرضوخ للواقع والاستسلام له ؟

ان من المفارقات العجيبة أن يغضب العرب من ألمانيا الغربية لمجاملتها اسرائيل على حسابهم ، ثـم يأتي واحد من العرب ولا يكتفي بتدليله المانيا ، بل يدلل معها اسرائيل كذلك ! !

لماذا يختلفون ؟

نعم لماذا تختلف الدول العربيـــة فى الوقت الحرج الذى تتحداهم فيه اسرائيل وتعتدي عليهم ، وأمامهم هدف كبير لا ينال الا باتحاد القلوب وجمع الصفوف . لا أريد أن أجيب عن هذا السؤال ولكني أترك الجواب لفيلسوف التاريخ والاجتماع العلامة ابن خلدون الذى يقول فى مقدمته .

« اتفاق الأهواء على المطالبة ، وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة من الله فى اقامة دينه ، قال تعالى « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم » وسره أن القلوب اذا تداعت الى أهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس ، وفشا الخلاف .. واذا انصرفت الى الحق ، ورفضت الدنيا والباطل ، وأقبلت على الله اتحدت وجهتها ، فذهب التنافس ، وقل الخلاف ، وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك ، فعظمت الدولة .

وقال : « ان الصبغة الدينيةتذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية ،وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم ، وهم مستميتون عليه ، وأهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل ، فلا يقاومونهم وان كانوا أكثر منهم ، بل يغلبون عليهم ، ويعالجهم الفناء بما فيهم من الترف والذل .. وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام فى الفتوحات ، فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعة وثلاثين ألفا فى كل معسكر ، وجموع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية ، وجموع هرقل — على ما قاله الواقدى — أربعمائة ألف ، فلم يقف للعرب أحد من الجانبين ، وهزموهم ، وغلبوهم على ما بأيديهم » .

يا قوم : عدوكم فى البيت ! !

بين الفقه والولاية

للاستاذ عبد العزيز العلي المطوع

الفقه والفهم

فى الاثر عن سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ما معناه ـ اختتم الله وحي النبوات برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبق بعد القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم الا فهم منهما يؤتيه الله عبدا من عباده مصداقا لقول الرسول الكريم « رب مبلغ أوعى من سامع » وقوله (صلى الله عليه وسلم) « رب حامل فقه الى من هو أفقه منه » وقوله (صلى الله عليه وسلم) « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » ، وآيات القرآن العظيم تحثنا على التبصر والتفكير والنظر فى آيات الله والوعى لاحكامه ، وقد رأى بعض المسلمين المتقدمين اغلاق باب الاجتهاد خشية أن يدخل أصحاب الأغراض والأمراض على الدين من هذا الباب ما ليس منه ، وفريق آخر رأى اطلاق الرأى واستعمال الفكر ، أما القسم الثالث فقد حث على الاجتهاد بشروط خاصة ، وعلى التفكير والنظر والاعتبار والغوص على المعاني والمفاهيم القيمة فى حدود الكتاب والسنة وهذا هو القسم الوسط الذى نؤمن به وندعو له ، واننا نجد مع ذلك كثيرا من الفقهاء يحفظون فقه المتقدمين ويتورعون عن التفكير فيما عدا ذلك من التزود فى الفقه والفهم والتفكير فى كتاب الله وسنة رسوله ، والغوص على المعاني المفيدة المتجددة مع الزمن . والحقيقة أن مثل هؤلاء العلماء المتقيدين بأقوال المتقدمين والحافظين لها غيبا لا فرق بينهم وبين من يملك نسخا من الكتب التي يحفظونها للرجوع اليها كلما اقتضت الحاجة . ومن البديهي ان الذى يحفظ كتاب الله غيبا اجدر منهم باسم العالمية (اذا صح ان نسمي الحفظة للعلم المتقدم بالعلماء) مع أن الذى لا يحفظ كتاب الله غيبا يستطيع قراءته بين دفتي المصحف ، فطالب العلم الجدير بهذا الاسم هو الذى يكون مع الاستفادة والاستنارة بما حفظه مما كتبه المتقدمون من علوم ودونوه من معارف عامة يغوص على المعاني القيمة والمفاهيم المفيدة بفهم سليم وفقه مستقيم يرجو به الدرجات العلى عند الله فى الكتاب والسنة .

ولقد جاء فى مستهل العدد الاول من مجلة الوعي الاسلامي فى كلمة رئيس التحرير تحت عنوان « أخي القارىء » عبارات تؤيد هذا المعنى وهي « ... والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بان باب الاجتهاد قد اغلق للأبد او ان الأوائل لم يتركوا للأواخر شيئا كما يقال ، وأصبح الباحثون الاسلاميون يؤمنون بضرورة الاجتهاد ولو بشكل جماعي لمواجهة اساليب الحياة الحديثة ، وتكييفها من الوجهة الدينية ، فاين الاجتهاد اذن واين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكل جديدة ، ذلك هو ما اريد ان يحاوله كتابنا وما أريد أن افتح صدر المجلة له وأعرضه للمناقشة ، لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نأمل ونرجو ، ... » .

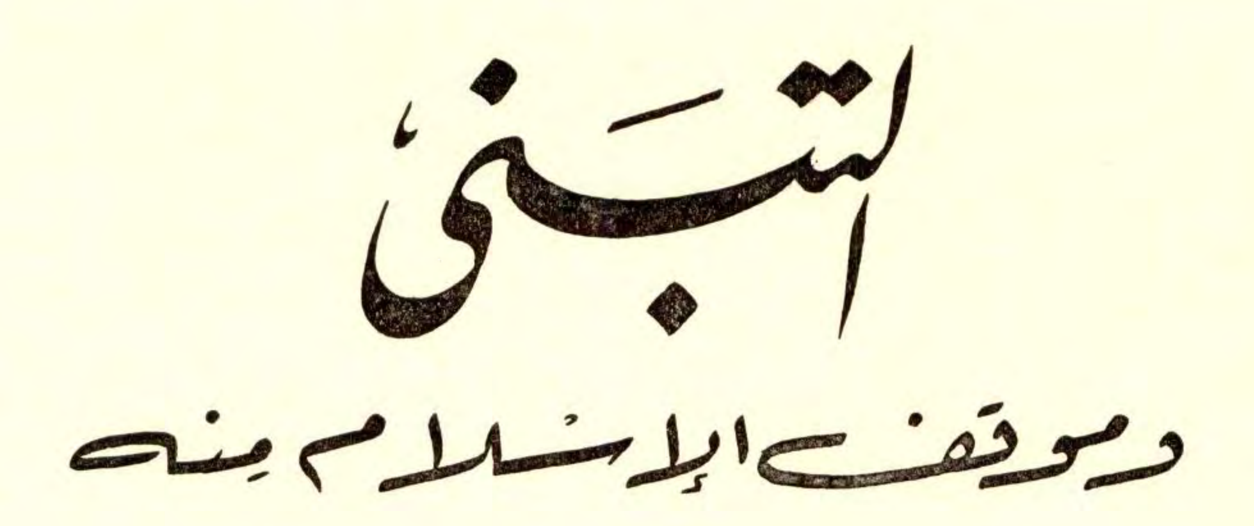
الولايـــة

الولاء ضد العداء والموالي ضد المعادى والله هو ولينا والمؤمن المتقي ولي الله : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور،والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات»،ويقول سبحانه « الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » فقد بين المولى سبحانه وتعالى ان كل مؤمن تقي ولي لله ، نسأله سبحانه أن يوفق جميع المسلمين الى الايمان والتقوى ليفوزوا بالولاء والمحبة ، فالولى قد لا يعرف نفسه وقد لا يعرفه الناس ، والولاء هو الحب لله ومن الله وفيه ، وقد بينت فى كلمة لي بالعدد الثاني من هذه المجلة الغراء صفات المؤمن المحب المحبوب والعزيز المجاهد الذى لا يخاف فى الله لومة لائم وعلامته الاستخلاف فى الارض واصلاحها ونشر العدالة فيها ، .

أما اقتصار اولياء الله على عدد من الاموات شيدت لهم القبور وزخرفت ، وقالوا هؤلاء هم اولياء الله فليس من الدين فى شيء على ما اعتقد ، وقد راجعت القاموس (المنجد) لانظر المعنى اللغوى للولي فكان مما قاله « ان الولي عند المسلمين بمثابة القديس عند المسيحيين » ، فجزمت ان المعنى هذا مأخوذ من عقائد أهل الكتاب المتقدمين ودخيل على الاسلام ، والتماثيل عند المتقدمين والمتأخرين ترمز الى رجال خدموا بلادهم وامتهم ودينهم فاتخذت لتخليد ذكراهم والتقرب بها الى الله ، ومعاذ الله ان يتخذ مسلم يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر الاضرحة قربة الى الله ، أو يحلها محل التماثيل عند المتقدمين ، لا سيما وان ميزة الاسلام على الاديان الأخرى انه لم يجعل واسطة بين العبد وربه يقول سبحانه « واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » ويقـول سبحانه « والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ويقول سبحانه « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت » ويقول سبحانه « أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دوني اولياء » . ويقول سبحانه « ان وليى اللـه الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » .

والكويت منذ عرفت ليس فيها أضرحة خاصة ، والكويتي يعمل بالســنة وهي اعادة تراب القبر عليه ورشه بالماء لقوله : (صلى الله عليه وسلم) « خير القبور الدوارس » والآن وقد وفد على الكويت الكثير من ابناء البلاد الاسلامية المجاورة أخذنا نرى تفاوتا بين القبور وأبنية بعضها ، واني مع وضوح رأيي كذلك استفتي لجنة الفتوى الموقرة فى وزارة الأوقاف ، فان قالت بالتحريم أرجو ان يمنع التمادى فى زخرفة القبور منعا باتا لتبقى الكويت على ما كانت عليه سدا للذرائع وبعدا عن المزالق واتقاء للشرك الذى هو أخفى من دبيب النمل وقد جاء فى الملتقطات « لسيدى العم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي » فى الجزء السادس «قال الله تعالى » الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

فالولي بينه الله وهو المؤمن المتقي بقلبه ، ان كل مؤمن اتقى محارم الله فهو ولي ، وليس بعد تعريف الله شيء . فالأرض مملؤة بأولياء الله ولا تنخدع بقول المخرفين الذين يقولون « ان الولي هو الذى يمشي على البحر وتطوى له الأرض ويؤدى صلاته فى الحرم الشريف ، أما البشرى لهم فى الحياة الدنيا » فهي كما جاء بقوله تعالى « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » ، وأما فى الآخرة فهي بشرى الملائكة بقوله تعالى « ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » .



للدكتور مصطفى زيد
رئيس قسم الشريعة بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

اذا كانت الجاهلية الأولى قد عرفت التبني ، وأقرته ، ورتبت عليه حقوقا لا تثبت الا للأبناء النَّسَبِيِّين ـ فان هذا العصر قد اعترف ـ هو أيضا ـ بالتبني ، وأقره ، ورتب عليه بعض الحقوق ! ..

اذا كانت الجاهلية الأولى قد عرفت التبني ، وأقرته ، ورتبت عليه حقوقا لا تثبت الا له حينذاك ـ فما عذرنا نحن المسلمين فى هذا العصر ، ونحن نتلو ونسمع فى كتاب الله آيات صريحة فى ابطال آثار التبني ، وفى تحريمه ؟ !

من اجل هذا نعالج اليوم موضوع التبني ، فنبين موقف الاسلام منه ، وأدلة هذا الموقف . غير انا نرجىء الى مقال تال دليلا واحدا من هذه الأدلة ، لأنه جدير أن يفرد بمقال ، وأن يبسط القول فيه بما يدحض مفتريات المستشرقين على قصته . انه زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها ، وهي مطلقة زيد بن حارثة الذى كان ـ قبل التحريم متبنى للرسول ، حتى لقد كان يدعى زيد بن محمد ! ..

فالى لقاء قريب عند هذه القصة ان شاء الله .

أما الآن فهيا بنا الى الموضوع ..

١ ـ روى البخارى فى صحيحه ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كنا ندعـوه الا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله» (١)

وروى ابن هشام فى السيرة أن (حكيم ابن حزام بن خويلد قـدم من الشـام برقيق . فيهم زيد بن حارثة وصيف ، فدخلت عليه خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فقال لها . اختارى يا عمة ، أى هؤلاء الغلمان شئت فهولك . فاختارت زيدا فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله

(١) صحيح البخارى جـ ٣ ص ١٧٤ ـ باب سورة الأحزاب من كتاب التفسير)

عليه وسلم وتبناه ، وكان ذلك قبل أن يوحى اليه . وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل ؟
فوالله ما أدرى واني لسائل
أغالك (١) بعدى السهل أم غالك الجبل؟
ويا ليت شعرى هل لك الدهر أوبة
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل !
تذكر نيه الشمس عند طلوعها ..
ويعرض ذكراه اذا غربها أفل !
وان هبت الأرواح هيجن ذكره
فيا طول ما حزني عليه وما وجل !
سأعمل نص العيش فى الأرض جاهدا
ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل !
حياتي أو تأتي علي منيتي
فكل امرىء فانٍ وان غره الأمل !

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى لزيد) « ان شئت فأقم عندى ، وان شئت فانطلق مع أبيك » فقال . بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله ، فصدقه وأسلم وصلى معه . فلما أنزل الله عز وجل « ادعُوهُم لآبَائِهِم » قال (أنا زيد ابن حارثة .)

٢ — من هذين الخبرين (وكلاهما صحيح ثابت) نعلم يقينا **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة قبل أن يبعث نبيا** ، وما كان هذا من محمد خروجا على عادات قومه ، فقد كان التبني معروفا للعرب فى الجاهلية ، شائعا بينهم ، بعد ان انتقل اليهم عن الرومان . وظل كذلك بعد الاسلام حتى نزل القرآن بتحريمه ، وكان ذلك فى أواخر العام الرابع بعد الهجرة ، فى سورة الأحزاب .. فكيف عالجت هذه السورة ظاهرة التبني وقضت عليها ؟ ...

٣ — ان ثلاث آيات فى صدر هذه السورة تتولى عرض هذه الظاهرة ، وتقرر بطلانها ، وتقدم الأدلة على هذا الحكم حيث تقول .

« ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا » . (٢)

وان كل آية من هذه الآيات لجديرة بأن نقف عندها طويلا ! لنتبين ما تقرره من حكم ، أو دليل ، وما تشرعه للمسلمين من مبادىء تكفل لمجتمعهم السلام ، والعدل ، والحياة المستقرة ...

٤ — فأما الآية الاولى فهي تقرر ثلاث حقائق ، الأوليان منها تمهدان للثالثة ، وجميعها من الأمور البدهية التى لا



(١) يقال غاله اذا أهلكه . (٢) سورة الاحزاب : ٤ ، ٥ ، ٦

تحتـاج فى اثباتها الى دليل .. هـذه الحقائق البدهية هي .

« وما جعل الله لرجل من قلبين فـي جوفـه » .

« وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم » .

« وما جعل أدعياءكم أبناءكم » .

وبعد هذه الحقيقة الثالثة يقول الله عز وجل تعقيبا على دعاواهم الباطلة .

« ذلكم قولكم بأفواهكم ، واللـه يقـول الحق ، وهو يهدى السبيل » .

٥ ـ ولا بد لنا ـ قبل الحديث عـن كل من الحقائق الثلاث ، فى الآية الاولى ـ من وقفة قصيرة عند بضع كلمات تحتاج الى بيان المراد بهـا .

من هذه الكلمات كلمة (جعل) التي جاءت فى تصوير الحقائق الثلاث ، مع أن المراد بها فى الحقيقـة الاولـى . خلـق وأوجد ، وفى الحقيقة الثانية والثالثة . صير وحول ، بمعنى أن الظهار من الزوجة لا يحولها من زوجة الى أم ، وادعاء البنوة لا يصير المتبَنَّى ابنا كالابن من النسب ؛ كما لم يخلق الله لرجل واحد قلبين فى جوفـه ! ..

ومن هذه الكلمات كلمـة (قلبين) ، وهي مثنى قلب ، والقلب هـو ذلـك العضو الذى يحتل مكانا خاصا من صدر كل انسان ، والذى يستقبل الدم مـن الأوردة ليقوم بتنقيته ثم يعيـده الـى الجسـم بطـريق الشرايين ، ليعـود ، فيستقبله من الأوردة ، وهكذا ، والذى لو توقف عن أداء وظيفته هذه لانتهت حياة صاحبه ، والذى لا يكون الا واحدا فى جسم كل انسان ، بل فى جسم كـل حيوان عموما ...

كذلك من هـذه الكلمات كلمة (جوفه) والجوف هو ذلك التجويف الذى يحيط به هيكل الانسان ، ويضم معظم الأجهزة الداخلية التي تتوقف على وجودها حياة الانسان بوصفه حيوانا يأكل ، ويشرب ، ويتنفـس ، وانسانا يعقـل ، ويفـكر ، ويتدبر ..

ومن هذه الكلمات أخيرا كلمة الأدعياء، وهي جمع دعي . والدعي هو من ينسب الى غير أبيه ، أو يزعم ما ليس له ، كما يقال . شاعر دعي . والمراد هنا هو أول المعنيين بالطبـع ..

٦ ـ نعود الآن الى الحقائق الثلاث ، لنتبين معنى كـل منها ، والسر فى ذكـرها هنا . وقـد أسلفنا أن الحقيقتين الأوليين تمهدان للثالثة ، فعلى أى أساس بنينا حكمنا هذا .

ان الحقيقة الأولى ، تقرر أن الله عز وجل لم يخلق لرجل قلبين ، فكل رجل يعيش بقلب واحد. وهذه بدهية لا خلاف فيها ، فقد أثبتها التشريح ، لا بالنسبة للانسان وحده فضلا عن الرجل ، بل بالنسبة لكل حيوان .

والحقيقة الثانية ان زوج الرجل لا يمكن أن تكون هي أمه ، لمجرد أنه قال لها أنت علي كظهر أمي ، فان أمه هي التي ولدته ، ولها عليه حقوق الأم على ولدها . أما الزوجة فهي تلد له أولاده نتيجة لزواجه بها ، وله عليها حقوق كحقوق أمه عليه . ان واجبه أن يطيع أمه ، وان يبرها وأن يحسن رعايتها ، بمقتضى ولادتها له وقيامها عـلى تربيته طفلا وصبيا . وحقه أن تطيعه زوجه ،وان تقوم على شؤون منزله وتحسن اعداده له ، ان لم يكن بنفسها فبالاشراف على خدمها . وشتان ما بين انسان يجب عليك أن تطيعه ، وانسان يجب عليه أن يطيعك ، فكيف يكونان انسانا واحـدا بكلمة تلفظهـا ؟ .

ليس ممكنا اذن أن يكون لرجل قلبان فى جوفه ، ما دام كل رجل يعيش بقلب واحد . فليس ممكنا كذلك أن يكـون لانسان واحـد أبوان كـل منهما يعتبر والدا له . وانه ليستحيل أن تكون زوج الرجل هي أمه ، وبين الأم والزوج مـا بينهما من الفروق ، فغير ممكن كذلك أن

يكون متبني الطفل أبا له ، مع أن له أبا هو الذى استولد أمه اياه . .

٧ ــ هنا تجيء الحقيقة الثالثة فى الآية فتقول . « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » فما دام الطفل دعيا لرجل فهو ليس ابنا له ، لأن له ــ أيا كان ــ أبا يجب أن ينسب اليه . وما ينبغي له وهو دعي أن أن يمنح حقوق الابن ، فتباح له الخلوة بزوجة متبنيه على اعتبار أنه ابنها ، وبناته على أنه أخ لهن ، وبأخواته وأخوات زوجه على أنهن عماته وخالاته ، وهكذا . ويحرم عليه الزواج بأى منهن لأنها محرم له ، ويرث بعد وفاة متبنيه مثلهم ، كما يرثونه هو اذا مات . . . لكن العرب كانت ترتب كل هذه الحقوق على التبني ، وكانت تمنح المتبنَّي ما تمنح الابن من الحقوق ، فجاءت هذه الآية لتقرر أن المتبنَّى ليس ابنا ، ثم لتبطل بناء على هذا كل الحقوق التي كانوا يمنحونه اياها . .

٨ ــ وتعقب الآية على الحقائق الثلاث بقول الله عز وجل « ذلكم قولكم بأفواهكم » والاشارة الى ادعاء بعض المنافقين أن لمحمد صلى الله عليه وسلم قلبين ، وما كان شائعا فى الجاهلية من الظهار ، والتبني ، وما كانوا يرتبونه عليه من الحقوق . والدعاوى الثلاث باطلة ، ولذلك صورها الله عز وجل أدق تصوير حين وصفها بأنها مجرد قول بالأفواه ، لا يعبر عن الحقيقة ولا يصفها . ثم بين بطلانها حين قابلها بقوله . « والله يقول الحق » فهي اذن ليست حقا ، وانما هي زور وباطل ، وانحراف لا يغير من الحقيقة شيئا . « وهو يهدى السبيل » ، اذ يبين الحق ، ويبطل تلك الدعاوى الزائفة التي تناقض الواقع ، وتخالف الحقيقة مخالفة صارخة .

٩ ــ بعد ابطال التبني ، والنهي الضمني عنه ، وتقرير أنه انحراف عن حكم الفطرة ، وزيغ عن منطق الواقع ــ وهو بعض ما يفهم من الآية الاولى ــ تجيء الآية الثانية لتبين ما ينبغى فى شأن المتبنين ، من حيث نسبتهم الى آبائهم ، اذا كان هؤلاء الآباء معروفين . ومن حيث أخوتهم فى الدين اذا كانوا مجهولي النسب . ذلك اذ تقول « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم . وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما » .

فهذا اذن هو حكم الشارع ، وحله لمشكلة التبني . ان المتبنَّي يجب أن ينسب الى أبيه ، لأن هذا هو العدل فى حكم الله ، وهو الذى يتفق مع الواقع ، وتقضي به الفطرة السليمة . لكن الآباء ليسوا معروفين فى جميع الاحوال ، فهناك اللقطاء ، الذين لا يعرف لهم آباء ولا أمهات ، اما لأنهم ولدوا لغير رشدة ، وجاءوا نتيجة انحراف جنسي ، واما لأن أهليهم فقراء تحجرت قلوبهم ، وضاقت بهم سبل العيش الكريم ، فتخلصوا منهم ، واما لسبب غير هذين ... وهؤلاء يجب أن يعاملوا على أنهم اخوتنا فى الدين وفى الانسانية، وعلى أنهم أولياء لنا ونصراء ...

١٠ ــ وكما عالجت الآية حال معرفة الآباء ، وحال جهالتهم ، وبينت ما يجب فى كلتا الحالتين ــ عالجت كذلك فرضا محتمل الوقوع هو أن العادة قد تغلب الانسان ، فيسبق الى لسانه الخطأ ، فيدعو هؤلاء الأدعياء للذين تبنوهم دون قصد منه ، ولا تعمد . وفرضا ثانيا هو : قد يتعمد الانسان ويقصد دعاءهم لغير آبائهم ، ابقاء على ما كان قبل ابطال التبني . ثم بينت حكم كل من هاتين الحالتين اذ قالت « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم » .

والجناح (بضم الجيم) الحرج والاثم، فمعنى ليس عليكم جناح . لا حرج عليكم ، ولا عقوبة ، لأنه لا اثم ولا معصية ! .

وانما انتفى الجناح لانتفاء نية نسبتهم الى متبنيهم ، بدليل قوله بعده « ولكن ما تعمدت قلوبكم » ، واذن فدعاء الأولاد الى الذين تبنوهم دون قصد ، ولكن انسياقا مع حكم العادة ، وجريا على ما

الفوه من قبل ، واعتادته ألسنتهم ــ خطأ لا حرج على من يقع منه ، فلا عقاب فيه . ودعاؤهم الى الذين تبنوهم عن عمد وتشبثا بما كان رغم نهي الله ، وقصدا الى بقاء الماضي واستمراره ــ فيه الحرج والاثم ، وعليه العقاب ! . .

وفى فاصلة الآية يقول الله عز وجل « وكان الله غفورا رحيما » ومعناه أن غفران الله يتسع لجميع الذنوب ــ عدا الشرك ــ اذا صدقت النية ، ففي وسع من تعمد دعاء المتبنى لغير أبيه أن يتوب من ذنبه هذا ، وأن يستغفر الله عما تورط فيه ، وسيغفر الله له ، ويرحمه ما دام قد أخلص التوبة ، وثبت عليها ! .

١١ ــ والآن ، لعل من حق القارىء العزيز علينا أن يسأل . وأين الدليل من القرآن الكريم على كل هذا ؟ . .

لقد بينت الآية الاولى ان التبني يخالف الواقع ، ويجافي منطق الفطرة ، ثم قدمت له مثلين . ان الله لم يخلق لرجل واحد قلبين ــ وتخصيص الرجل بالذكر لأنه هو الذى يتبني ــ وأن الظهار من الزوجة لا يجعل منها أما لزوجها فكذلك التبني لا يجعل من المتبني ابنا ما دام له أب ، ولكل انسان بالطبع أب هو الذى ولده ! . .

وجاءت الآية الثانية ، فأمرت بأن يدعى المتبنون لآبائهم ان كانوا معلومين لنا ، والا فهم اخوتنا فى الدين وفى الانسانية . ثم بينت حكم من يدعو متبنى لغير أبيه خطأ وعمدا ، وفتحت الباب للتوبة أمام المتعمدين للمخالفة .

ومن الآيتين كلتيهما نستنتج الحقيقة التي تعلن عن نفسها . ان التبني لا يثبت قرابة لمن ليست له قرابة ، فلا يترتب عليه جواز الخلوة ، ولا حرمة المصاهرة ، ولا التوارث . . . أما دليل هذا كله فتقدمه الآية الثالثة التي يقول الله عز وجل فيها . « النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين . الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا » .

وفى هذه الآية ــ كما فى الآية الاولى ــ ثلاث حقائق . أولاها ان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والثانية أن أزواجه أمهاتهم ، والثالثة أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين . . .

١٢ ــ وقد تبدو الحقيقتان الاولى والثانية غريبتين فى هذا السياق ، لكن هذه الغرابة لا تلبث أن تزول حين نذكر قصة تبني الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة ــ وقد صدرنا بها هذا المقال ــ وحين نذكر موقف الرسول من زيد بعد نزول الوحي عليه بحكم التبني . لقد نهي عن أن يدعى زيد بن محمد ، وأمر بأن يدعى زيد بن حارثة ، مع أنه بوصفه رسول الله أولى بكل مؤمن من نفسه التى بين جنبيه ، لا من أبيه وأمه فحسب . ومع أن أزواجه أمهات للمؤمنين ، فى حرمتهن عليهم ، وفيما يجب لهن من احترام وتوقير .

فهذا هو الدليل الاول ، وهو دليل عملي تضمنته هاتان الجملتان الاوليان فى الآية . .

انه لو كان يسوغ لأحد أن يتبنى احدا ، لكان محمد أولى أن يسوغ هذا له ، لا بالنسبة لزيد وحده ، ولكن بالنسبة لكل مسلم غيره معه . وماذا يدل عليه التبنى فى عرف الذين كانوا يبيحونه ؟ انه يدل على ان المتبنِّي أولى بالمتبنَّى من أبيه ، ولا يدل على أنه أولى به من نفسه . لكن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بكل مؤمن من نفسه ، فضلا

عن أبيه وامه ، اذ لا يعتبر مؤمنا الا من كان النبي صلى الله عليه وسلم أحب اليه من كل شيء ، وكل انسان فى هذه الحياة ، بل أحب اليه من الحياة نفسها ، ومن نفسه التي يعيش بها ويحس ، ومن كان هذا حاله كان أهلا لأن ينسب كل مؤمن اليه دون غضاضة ، واعتبر ابا للمؤمنين جميعا ، كما أن أزواجه قد اعتبرن — فعلا — بمنزلة أمهاتهم فى التحريم وفى الاحترام .

ومع هذه المكانة التي ينفرد بها ، أمر بأن ينسب زيد الى أبيه ، ونفذ هذا دليلا على أن التبني باطل لا يثبت به حق، وحرام لا ينبغي لمسلم أن يتورط فيه ؟ ..

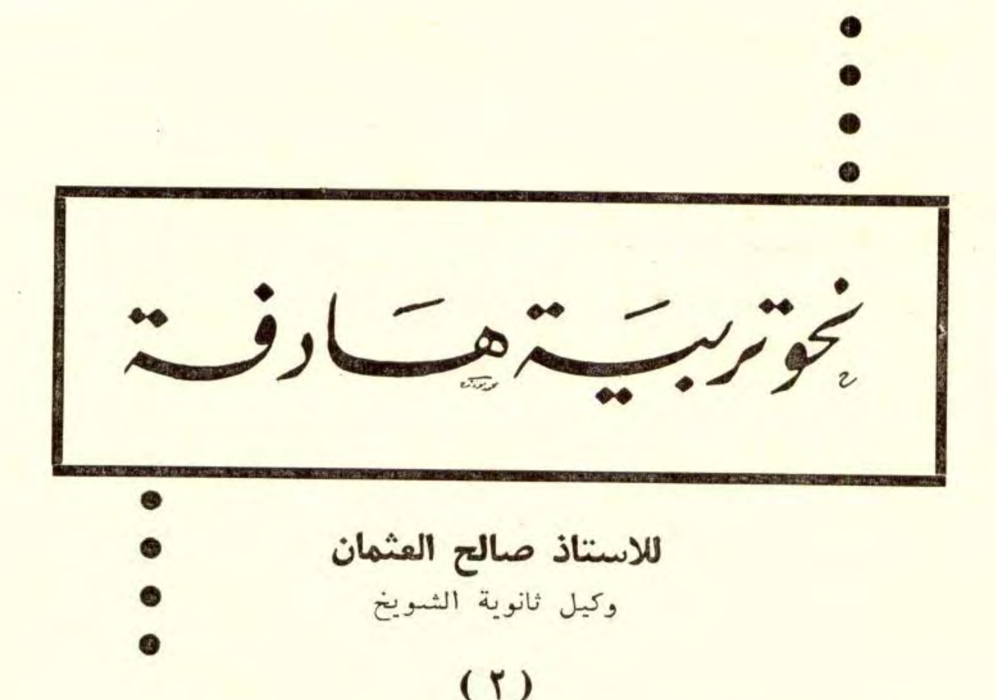
١٣ — على أن ثمة دليلا ثابتا تذكره الآية ، حيث تقول « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » ، ومعنى هذا أن الأقرباء بعضهم أولى ببعض ، بشرط الايمان والهجرة . فاذا كان الله عز وجل قد أباح الخلوة لرجل بامرأة ، فهو انما أباحها للرجال بمحارمهم ، أى بامهاتهم وجداتهم ،وعماتهم وخالاتهم ، وأخواتهم ، وبنات أخواتهم واخوتهم، وبناتهم وابنائهن ، وبنات أبنائهم ، من النسب ومن الرضاع ، ثم بامهات زوجاتهم وجداتهم ، وبناتهن منهم ومن غيرهم ، ثم بأخوات زوجاتهن ما دمن زوجات لهم ، وكذلك الشان فى عمات الزوجات وخالاتهن .. وسائر من يحرمن عليهم بسبب النسب ، أو الرضاع ، أو المصاهرة .

واذا كان الله عز وجل قد شرع الميراث وجعله حقا للاقارب — فقد حدد من هؤلاء من يرثون ، ونصيب كل منهم من تركة المتوفي . وليس المتبنى على أى حال من بينهم ، كما أنه ليس ممن تجوز له الخلوة بقريبات أو زوجة متبنيه . لأنه بالنسبة لهن — وبناء على التبنى وحده — ليس من أولى الأرحام ! ..

وقد قلنا :ان ولاية بعض أولى الارحام ببعض قد اشترطت لها الآية الايمان والهجرة ، وهذا يستفاد — فى فهمنا — من تعلق (من المؤمنين والمهاجرين) بكون عام ، يعرب صفة لاولى الارحام . فكأن أصل هذه الجملة : واولوا الارحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، أى فى شرعه وحكمه . لا كما قد يتبادر من كونه هو المفضل عليه ، بحكم ذكره بعد اسم التفضيل الذى هو (أولى) .. ونعتقد أن ما قررناه بشأن هذا الجار والمجرور هو الصواب الذى لا ينبغي سواه ، ولا يصح ! ..

١٤ — وأخيرا ، تقرر الآية أن أولوية أولى الأرحام بعضهم ببعض لا تقتضي لونا من ألوان الحجر على تصرفات كل منهم ، اذا هو أراد أن يحسن الى انسان ليس من ذوى رحمه . ولا تقتضي لونا من ألوان القسوة على المحتاجين بحرمانهم معروفا ، يريد ذو مال وثراء ان يسديه اليهم ، فان لكل انسان — بل عليه — أن يفعل المعروف ما دام يستطيعه ، ويجد السبيل اليه ، وسيان أصاب هذا المعروف قريبا له أو أجنبيا عنه لا تربطه به صلة قرابة — فان فعل المعروف أمر يحرص عليه الشارع ، ويحبب فيه ، ويدعو اليه فى قوة . وانه لخير بديل للتبني،فكيف اذا ذكرنا الى جانبه مظاهر رعاية الشارع لليتيم حتى لو كان غنيا ، وللقيط رغم أنه لا يعلم له أب ؟ ...

واذ تصل الآية فى الحرص على كرامة الانسان ،وفى الرحمةبه، الى هذا الحد — تقرر ان هذا هو ما سطر فى الكتاب منذ الأزل ، وأن فيه الخير للانسان ، خليفة الله فى الأرض ....



للاستاذ صالح العثمان

وكيل ثانوية الشويخ

(٢)

ذكرت فى المقال السابق طرفا ضئيلا من التربية العربية ، وقلت لك : أن التربية العربية هي التربية الاسلامية بمعناها الشامل ، وأن العرب لما حملوا هذه الرسالة اختطوا لأنفسهم تربية تلائم عقيدتهم أولا ، وتلائم مجتمعهم وظروفهم ثانيا . وكثير من المربين الآن يجهلون او يتجاهلون على حد سواء فضل العرب على التربية ، وقلت لك ايضا ان التربية الحديثة تنسى أو تتناسى ـ وهما على حد سواء ـ فضل التربية العربية الاسلامية فى القرون الماضية ، وكأن العرب لم يكن فيهم نشء صغار تعلموا ، أو تربوا على أيدى علماء « مربين » كبار ، بل أكثر من ذلك ما تدعيه التربية الحديثة على لسان بعض المربين بأن التربية مقتصرة على مجال ضيِّق عند العرب كما عهدناها فى عصور التأخر فى المدارس الصغيرة التي لا يتعلم فيها الصغير سوى الكتابة أو الحساب أو الخط بابسط الصور . وهذا فهم خاطىء للموضوع ، فالأمة العربية لها نصيب كبير فى تقدم التربية اذا ألقينا بِعَصْر التأخر جانبا ولم نعتبره مقياسا نقيس به تربيتنا وتقدمنا كأمة.

ولا يكون لنا كيان يحترمه الناس الا اذا وضعنا أنفسنا موضعا لائقا نستحق عليه التقدير من كافة افراد العالم ، وتربيتنا الآن قائمة على فهم الحاضر بكل صوره السيئة والحسنة ، والموجود عندنا والمستورد ، بل المستورد يزحف ويكاد يغطي الموجود ، فالمتعلمون الناشئون يعرفون الشيء الكثير عن شعراء وكتاب مشاهير الغرب أكثر مما يعرفونه عن شعرائهم ومشاهيرهم ، وجغرافية البلدان العربية والاسلامية أغلبها ، نكاد نجهلها جهلا تاما ، ونعرف أوربا وغيرها معرفة صحيحة .

وسبب ذلك هي التربية الحديثة التي ضَيَّعت الشيء الكثير ، وأعمتنا عن واقعنا ، وجعلتنا ننظر الى المستقبل نظرة بعيدة عن واقعنا . ومعرفة الواقع ليست معرفة الاسم كما يفهم البعض ، فقد يقول البعض ان المناهج مملوءة ومحشوة بالشعر والنثر ، والحِكَم والامثال الى غير ذلك ، ولكن هذا لم أَقْصده ، فليست التربية هي مادة الدراسة فقط ، وما مادة الدراسة الا جانب واحد من الجوانب التي ترتكز عليها التربية ، وهي أى مادة الدراسة : جانب مساعد للتربية ، وليست هى كل شيء ، وليس أدل على ذلك الا هذا المثل البسيط ، وقد لا يحسه كثير من المربين فى الحاضر، ففي مدارسنا العربية يقضي الطالب الناشىء فى مدى اثنتي عشرة سنة الساعات الطويلة فى تعلم اللغة العربية ، وبعد ذلك يتخرج وهو لا يجيد هذه اللغة كما ينبغي أن يجيد القول بها ، ويتعثر فى كتابة رسالة لصديقه ، واذا كتب فكتابته مملوءة بالاغلاط . والدارسون الاجانب للغة العربية لا يستغرقون هذا الوقت الطويل فى تعلم هذه اللغة ، ونراهم ـ اى الاجانب ـ يجيدون لغتنا العربية

اجادة تامة . وضعف التلميذ فى مدارسنا العربية يسرى مفعوله على بقية المواد وليست اللغة العربية الا مثلا لهذا الضعف .

طرق التعليم

ولقد اشرت فى المقال السابق الى التربية المستوردة ، وأزيد الامر وضوحا هنا ، فالتربية المستوردة والتي دخلت فى أساليب التعليم عندنا مثل الطريقة فى تعليم الصغار القراءة والكتابة — لها خطر كبير على الصغار ، وهو الذى حدث فى السنوات الاخيرة بصورة كبيرة فى مدارسنا العربية، ونحن نشاهد كل يوم طريقة جديدة . وتنوع الطرق وتغيرها كل يوم يجعل الامر غير واضح أمام النشىء .

ونحن عندما استوردنا هذه الطرق لم ننظر الى المعلم الذى سيلقنها هذا الصغير فى تعليمه القراءة والكتابة . علاوة على انها غير صالحة . فالآف من المعلمين غير متفقين ولا يوافقون على هذه الطرق ، وفريق آخر مقتنع وفاهم وفريق مقتنع بِحُجَّة التجديد وغير فاهم لها ، فتكونت عندنا مجموعات من المعلمين غير متفقين على طريقة توصيل المعلومات لابنائنا ، وهذا الاختلاف ينطبع على اذهان الصغار ، وهم فى دور تكوينهم ، وتتكون عند الصغار فى أذهانهم أفكار ومعلومات قلقة غير مستقرة ناتجة عن تردد المعلم ، والصغير لم يبلغ سنا يجعله يميز بين الصحيح والفاسد، ويكبر هذا الصغير وهو يحمل معه فى ذهنه عدم التركيز والفهم الصحيح ، ولا يستطيع ان يبتّ فى اموره لان التربية التي تلقاها فى صغره (سن التكوين) تربية مترددة متأرجحة غير متأكدة من نفسها ، تربية فيها كثير من التجربة المستوردة على حساب عقلية النشىء ، وهذا من اسباب انحطاط مستوى التعليم فى بعض المواد — ان لم يكن كلها — عندنا فى المدارس .

واللغة العربية ببيانها وبلاغتها وبنحوها وصرفها لا تفهم اذا تركت على ما هي عليه فى مدراسنا العربية . فالسبيل الى تراثنا القديم (وهو تاريخنا طبعا) لا تهدى اليه التربية الحديثة ، بل التربية الحديثة الآن تقف بمثابة سد منيع بين هذا القديم (التراث) وبين وصوله الى أذهان ابنائنا ، واذا توصل البعض بذكائهم وتعبهم فقد لا يوفقون ، لأن ما تعلموه لا يساعدهم على ذلك . فلتبادر اذن التربية الحديثة الى وضع الاسس الصحيحة لفهم الماضي ، ولتراجع نفسها : أية طريق تسلكها .

والواجب ان تسلك التربية الحديثة أسلم الطرق للوصول الى الاهداف التى تنشدها الامة العربية ، ومن الواجب ايضا ان تنصب التربية الحديثة على الطفل وان تعطيه الغذاء الكامل من المعرفة .

وكل تربية فى العالم وليدة المجتمع الذى تكونت فيه ونشات وليدة ظروف وملابسات خارجية ، وتربيتنا تتميز عن كل تربية فى العالم ، كما تتميز كل تربيات العالم عن بعضها ، فهي — أى تربيتنا يجب ان تكون نابعة من ظروفنا وواقعنا ، ولا بأس ان تكون الآن فى اطوارها الاولى فما نريد ان نحققه من اهداف لا يتحقق بالسهولة التى يظن بعض المربين ان يحققوها ، ولا نمد يدنا الى الخارج فى مجال التربية الا اذا أيقنا ان هذه اليد التى نمدها قادرة على ان تأخذ كل صحيح ، لا ان تاتي بالصحيح والفاسد عن جهل بالاثنين ، ثم نجعل من كليهما تربية يتربى عليها صغارنا ، وهم أمل المستقبل وعدته ورجاله .

ولا بأس ان تمر التربية عندنا باطوار النمو التى تبدأ من المهد الى ان تصل الى أعلى مراقي التربية ، وما علينا فى ذلك من عار ، ولسنا نريد ان نلحق بالامم الراقية ، وفى نفس الوقت نتخذ طرقا فاسدة لا توصلنا الى اقل المستويات ، فان كل نظام مستورد فى التربية ، لا ينفع — مهما كان صالحا — ما دمنا نظن أنه أحسن الموجود ولذلك استوردناه بدون فلسفة لقبوله وبدون تخطيط قبل استيراده ، وحجتنا أنه أحسن الموجود فى العالم ، وقد نجح فى البلاد الاخرى ، فلماذا لا ينجح عندنا هنا ؟ وهذا هو الخطر الداهم ، فكل نظام فى العالم لا ينجح بمجرد انه نظام وهذا ما يجب ان يفهمه المربون عندنا ؟ فالنظام مرتبط اولا بالمجتمع الذى اوجده ومرتبط كذلك بالذين يقومون على

البقية على ص : ٥٩

مع الغزالي

محمد موذن

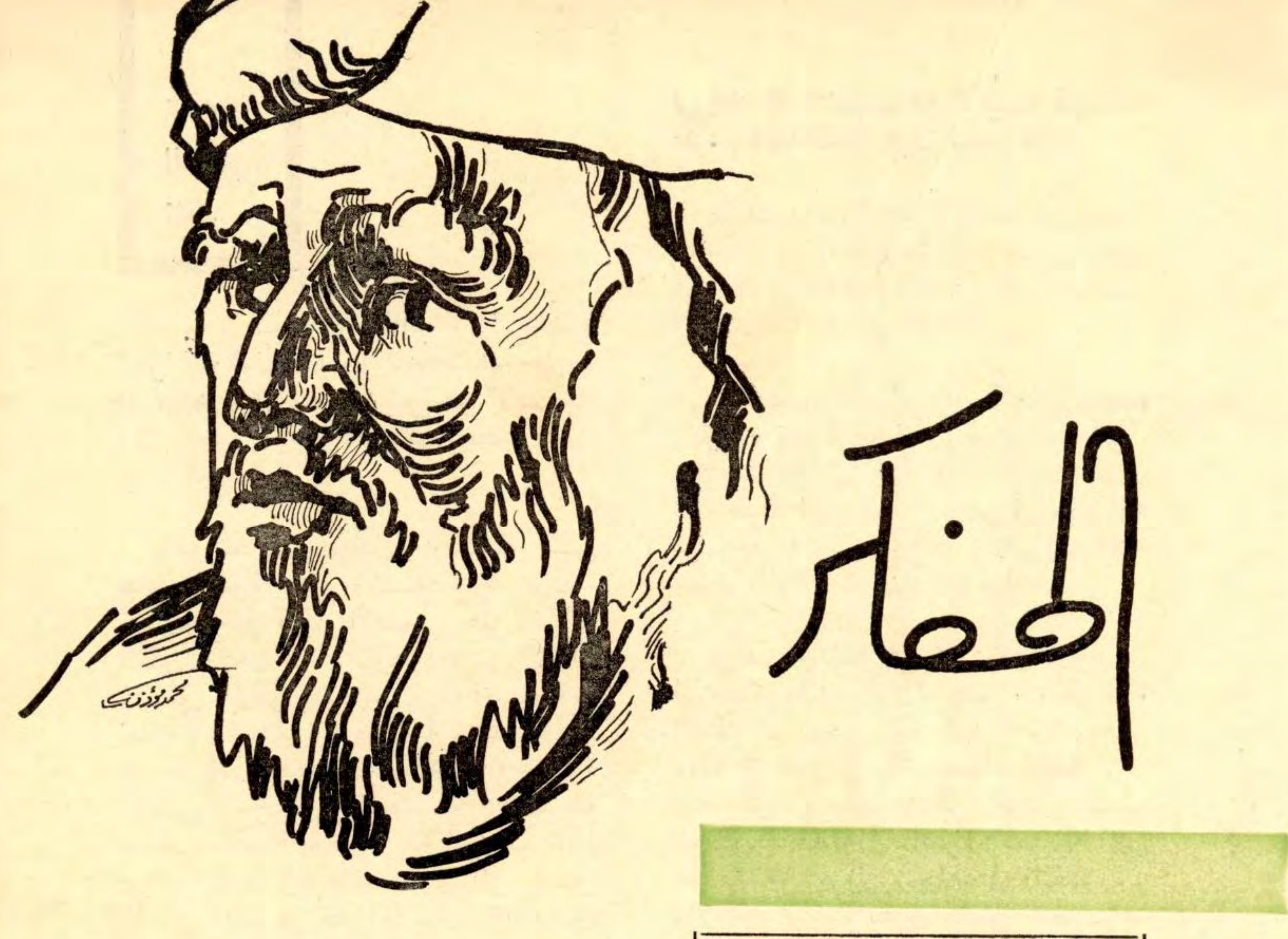
ملامح تفكير الغزالي :

الغزالي علم من أعلام الفكر الاسلامي والفكر الانساني ، وهناك من الباحثين من يضع الغزالي الى جانب سقراط وافلاطون من اليونان ، والى جانب القديس اوغسطين والقديس توماس من اللاتين ، والى جانب ديكارت وبسكال من المحدثين .

واستطاع الغزالي أن يبلغ هذه القمة من قمم الشوامخ فى تاريخ الانسانية ، لأنه كان عقلا كبيرا من جهة ، وكان طالب علم من الطراز الأول من جهة أخرى ، فقد حاول ـ صادقا ومجاهدا وباذلا اقصى جهده ـ أن يعلم كل شيء ، فدرس ما عند الفيلسوف والملحد والزنديق والمبتدع ، والسني والشيعي والباطني والفقيه والمتكلم والصوفي ... الى آخره .

وليس هناك ابلغ من قوله يصور نهمه الرائع الى المعرفة : « لا أغادر باطنيا الا وأحب أن أطلع على بطانته ، ولا ظاهريا الا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما الا واجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا

*** الامام الغزالي ولد ببلدة « طوس » سنة ٤٥٠ هـ وسلك طريق العلماء المبرزين ، وخلف لنا ثروة نعتز بها ونضعها فى مقدمة تراثنا الاسلامي الفكرى فى شتى مجالاته حتى عرف بحجة الاسلام . وبعد أن طاف بالبلاد الاسلامية وأخذ من علمائها وبذل من علمه ، وافته منيته بالبلدة التي ولد فيها « طوس » سنة ٥٠٥ هـ .** **(الوعي)**



للشيخ أحمد الشرباصي
المدرس : بالازهر الشريف

الا وأحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا الا وافترض ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا الا واتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته » .

« وقد كان التعطش الى درك حقائق الأمور دأبي وديدني ، من أول عمري وريعان شبابي : غريزة وفطرة من الله وضعتا فى جبلتي ، لا باختيارى وحيلتي»

ومن الملامح البارزة فى تفكير الغزالي أنه تنبه الى وجوب قلة الثقة بالحواس لأن عينيه مثلا ترى الظل واقفا ساكنا ، ولكنه بعد ساعة يراه قد تغير فهو أذن متحرك ، وهي ترى الكوكب فى السماء بقدر الدينار ، ولكنه فى الواقع أكبر من الأرض التي يسير عليها .

شك يبلغ اليقين

ومن الملامح الفكرية عند الغزالي أن الشك عرض له فى وقت مبكر ، وكان شكه صاحب فضل عليه ، لأنه هو الذى دفعه الى البحث وطلب الحقيقة وتلمس الايمان فدرس كل العلوم الدينية والفلسفية والمذهبية الموجودة فى عصره ، وكان يفهم ما يسمع ويناقش ما لا يفهم ، ويتطلب الحجة والدليل على ما يلقى

مع
الغزالي
المفكر

اليه أو يسمع به أو يطالعه ، ولا يخضع لخرافات أوتزييفات أوتأثيرات أوزخارف أو تقليد ، ولا ينخدع ببريق الأسماء ولا بشهرة الرجل ، بل هو يتطلب الحق أينما كان .

وهو يحاور ويجادل ، ويستقى من ينابيع المعرفة بنهم وشغف وشوق ، مع الحاح فى طرق الأبواب على خرائد العلم الصحيح الذى يؤدى به الى الايمان واليقين ، وهو يكسب من وراء استخدامه لعقله ، واستمراره فى طلبه ، وتثبته من كل ما يؤمن به ، خبرة بالحياة ، وخبرة بالناس ، وخبرة بالمجتمع ، فلما بلغ شاطىء النجاة بعد صراعه العنيف مع امواج الشك والبحث ، أوى الى جبل حصين منيع هو جبل الايمان والاطمئنان الذى تألقت على قمته أضواء التصوف الاسلامي ، وهنا كان ايمان الغزالي مكينا وطيدا ، لأنه لم يتكون الا بعد طول السهر وعمق البحث ودقة التأمل ، وشمول التدبر .

ولذلك نجده يقول : فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب ، لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ، ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهاره بطلانه ـ مثلا ـ من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا ، لم يورث ذلك شكا وانكارا ، فانني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل : لا بل الثلاثة اكثر بدليل أني اقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك بسببه فى معرفتي ، ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه ، فاما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ، ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني .

واذا كان الغزالي قد شك ليبلغ اليقين ، فهو لم يشك فى جميع الحقائق ، بل صاحبه الى قمة هذا الجبل حقائق لم يتطرق اليها شكه ، وهي : وجود الله عز وجل ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والبعث عند اليوم الآخر .

ويبدو أن الغزالي قد أوغل فى الشك الى عمق بعيد وغور سحيق ، ولكن هذا الشك لم يهجم عليه بشدته وقسوته دفعة واحدة بل بدأ خفيفا محتملا ، ثم أخذ يقوى ويعنف وتثقل وطأته ، ثم بلغ ذروة حدته فى الفترة العصيبة التي غير عندها الغزالي اتجاهه فى التفكير .. والاعتقاد ، ووجد فى حمَى التصوف هدوءه وراحته واطمئنانه .

وانتهى الغزالي مع هذا الى ما نستطيع أن نسميه الوسطية فى المنهج والتفكير . لقد رضي « علم الكلام » وسيلة للتفكير العقلي فى توضيح العقيدة والدفاع عنها ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يجعل هذا العلم غاية لذاته .

وبحث الفقه بسعة ، ولكنه عد أحكامه ضوابط لسلوك الانسان وتعبده ، ومعاملته الظاهرة ولا بد مع هذا الظاهر من ضمير ، وروح ، وقلب .

وأدنى مسائل « الفلسفة » من الأفهام بكتابه « مقاصد الفلسفة » وعد الفلسفة محاولة ذهنية لادراك مغزى الوجود ، ولكنه أزال الهالة التي كانت تحيط بالفلسفة حينما نقدها ونقد رجالها بكتابه « تهافت الفلاسفة » .

وهو قد دعا الى الزهد ، والى احياء العنصر الأخلاقي فى تصرفات الانسان ، ومع ذلك تحدث عن اباحة التمتع بطيبات الحيـاة .

وهـو قد حـارب فـكرة « وحـدة الوجود » ومع ذلك قال : ان ما فى الكون آثار لله تعالى ، ومن هذا يتضح لنا أن الغزالي لم يكن من أصحاب العناد العقلي أو « اللجاج الفكرى » حيث يمضي الواحد منهم معفكرةتتراءى له ، وتخطف بصره فيظل وراءها يلح فى تلمس الأسباب الى تأكيدهـا وتوطيدهـا بـلا اعتـدال أو اقتصاد ومن ثـم يوجد الشـطط فى الرأى ، والاسراف فى الحكم والنأى عن القصد .

ونستطيـع أن نستعرض المراحـل الفكرية التي مر بها الغزالي فى حياتـه ، فنجد أولا المرحلة التي سبقت شـكه ، كان يطلب العلم ويكون شخصيته الفكرية ثم المرحلة التي ظهر فيها الشك وقد جاء الشك ــ كما عرفنا ــ خفيفا ، ثم اشتد وقوى بعد ذلـك وتلـك مرحلـة طالت وامتدت ، ثم المرحلةالتيأعقبت الشك ، وهي مرحلة الهدوء والاطمئنان والوقوف على الحقيقة عن طريق التصوف ثـم مرحلة التأمل والتدبر على انفراد فى اثناء عزلته بدمشق وطوس ، ثم مرحلة العودة الى عرض ما يعلم ويـرى عـن طـريق التدريس والتوجيه الديني ، ثم مرحلة الممارسـة للتصوف والزهد فى أواخـر أيامه بطوس .

الغزالي والقديس أوغسطين

وفى الباحثين من يحلو له أن يقـارن فى ميدان التفكير بين حجـة الاسـلام الغزالي والقديس أوغسطين ، لوجـود طائفة من وجوه الشبه بينهما ، فالغزالي أكبر عارض ، لصور التفكير الاسلامي . والقديس أكبر عارض لصـور التفكـير المسيحي ، والغـزالي أتى بعد أكثر مـن أربعة قرون مـن ظهـور الاسـلام ، والقديس أتى بعد أكثر من اربعة قرون من ظهور المسيحية ، وكل مـن الغزالي وأوغسطين ، أرخ لنفسه ، وكتب سيرته بقلمه وعبر عن تجربته الروحية التـي بدأت بالشك وانتهت باليقـين حسـب اعتقاد كل منهما .

وكل منهما كتب هـذه السـيرة أو التجربة وقد جاوز العقد الرابع من عمره بسنوات ، فكتبها وهو فى السادسـة والأربعين ، وكتبهـا الغـزالي وهـو فى الخمسين .

وكـل منهما هاجـم الفلسـفة ونقد الفلاسفة ، وكل منهمـا عارض الذيـن قالوا : ان العالم قديم .

والملاحظ أن هذه الوجوه من الشـبه تدنو مـن حمى المصادفات العرضـية والمشابهات العفوية أذ ليس هنـاك أى دليل على أن الغزالي تأثـر بالقديس فى التفكير أو المنهج .

ومثل هذا أو قريب منه يمكن أن يقال عن وجـه الشبه بـين الغـزالي و « ديكارت » (١) فالغزالي قد تقدم على ديكارت بخمسمائة سنة فى تعرفـه الى قواعد البحث العلمي ، وطلب الحقيقـة والوقوف على العلم اليقيني المجرد مـن الغلط والوهـم والريب .

وكتاب « المنقذ من الضلال » للغزالي يذكرنا بكتاب «بحث فى المنهج » لديكارت حيث نلمح فى كل منهمـا الحـرص على

البقية على ص : ٦٠ ــ ٦١

١ ــ فيلسوف فرنسي صاحب مذهب يقتضي التجردعند البحث من كل المعلومات السابقـة وقد بدأ بالشك وانتهى باليقين وقال : ان آلة الشك هيالفكر فالفكر اذن موجود فالمفكر اذن موجود ، أنا أفكر فأنا اذن موجود ...

معهد الإمامة والخطابة بالكويت

أول معهد من نوعه بالشرق الأوسط

إعداد : محمد ابو غوش

« ان حكومتي ايمانا منها برسالة الدين فى اصلاح المجتمع تواصل انشاء المساجد داخل المدينة ، وفى المناطق السكنية الجديدة والقرى ، مع مراعاة البساطة والاقتصاد فى النفقات والحفاظ على المظهر اللائق بها ، والسهر على راحة الائمة والمؤذنين » .

« كما قررت انشاء معهد للامامة فى احد المساجد ، واستقدام بعض الوعاظ المتخصصين لرفع مستوى الائمة ، وتمكينهم من اداء رسالتهم الروحية فى المجتمع ، وتثقيف الجمهور بالثقافة الاسلامية المفيدة وتعاليم الدين الحنيف » .

(من الخطاب الاميرى فى افتتاح مجلس الامة عام ١٣٨٤ – ١٣٨٥ هـ)

للمساجد دورها وخطرها فى توجيه الرأى العام وتوعيته ، فمن مآذنها السامقة تنبعث الدعوة الى الصلاح والفلاح ، وفى رحابها الطاهرة يجتمع المسلمون لعبادة الله وذكره ، وفى ساحاتها الفسيحة ينصت العابدون الى كتاب الله الكريم وسنة رسوله العظيم ، ومن فوق منابرها يستمعون الى الموعظة الحسنة الموجهة ، فتصفو نفوسهم ، وتطهر قلوبهم ، وتزكو أرواحهم ، ويتفقهون فى دينهم ودنياهم ، وقد كان المسجد ولا يزال مركز الاشعاع والهداية ، والجامعة الشعبية الاسلامية الكبرى التي يتلاقى فيها المسلمون على تقوى من الله ورضوان ..

وامام المسجد وخطيبه موجه فكرى ومصلح اجتماعي ، ورائد خلقي ، ومرب روحي ، وقائد رباني ، اليه يلجا المتشككون فيزيل شكوكهم ،



فضيلة مدير الدعوة والارشاد اثناء اجتماع مع المشرف على المعهد وبعض هيئة التدريس

والمنحرفون فيعالج انحرافهم والمتخاصمون فيصلح ذات بينهم والمحرومون فيدعو الى عونهم ومساعدتهم .

مصابيح هداية

واذا ذكرنا ائمة السلف الصالح الذين تصدروا لامامة المسلمين ووعظهم وافتائهم ، ذكرنا علمهم الغزير ، وذهنهم المتفتح ، وورعهم عن الدنايا ، وتخلقهم بأمهات الفضائل واعتزازهم بكرامة العلماء واخذهم انفسهم بالسير وراء الامام الأعظم سيدنا رسول الله ، وتلقفهم مشاكل عصرهم محاولين حلها واستنباط احكامها من كتاب الله وهدى رسوله ، ولهذا كانت الأمة لا تنهج فى الحياة منهجا الا بموافقتهم ، وكانوا قمة فى الأمة وهامة فى المسلمين .

البعثة الازهرية

ولقد رأت دولة الكويت أن تعيد الى المساجد بهاءها ورواءها ، فمدت اليها يد الاصلاح والتعمير وقامت وزارة الأوقاف بتشييد عدد من المساجد فى الجهات التي انتشر فيها العمران حتى بلغ عدد المساجد ١٧٠ مسجدا وكان من الضرورى أن توجه عنايتها الى ائمة المساجد وخطبائها وتدريبهم وتاهيلهم للقيام بدورهم الطبيعي فى التوعية والتوجيه ، فاستقدمت لذلك بعثة من علماء الأزهر الشريف ، وانشأت ادارة الدعوة والارشاد التي يديرها فضيلة الشيخ عبد المنعم النمر رئيس البعثة ، وكان من انجح مشروعات الوزارة التى قامت بها البعثة انشاء معهد الامامة والخطابة تنفيذا لما جاء فى الخطاب الأميرى ووضع المناهج والخطة الدراسية لهذا المعهد ، وما كاد يعلن عن افتتاحه حتى انهالت عليه طلبات الانتساب من الائمة والخطباء والمؤذنين ، تحدوهم الرغبة الصادقة فى الاغتراف من مناهل الثقافة الاسلامية .

افتتاح المعهد

وقد افتتح معالي خالد احمد الجسار وزير الأوقاف السابق الدراسة بالمعهد فى أول شعبان ١٣٨٤ هـ ، وبلغ عدد المنتسبين اليه مائة من

معهد الامامة والخطابة

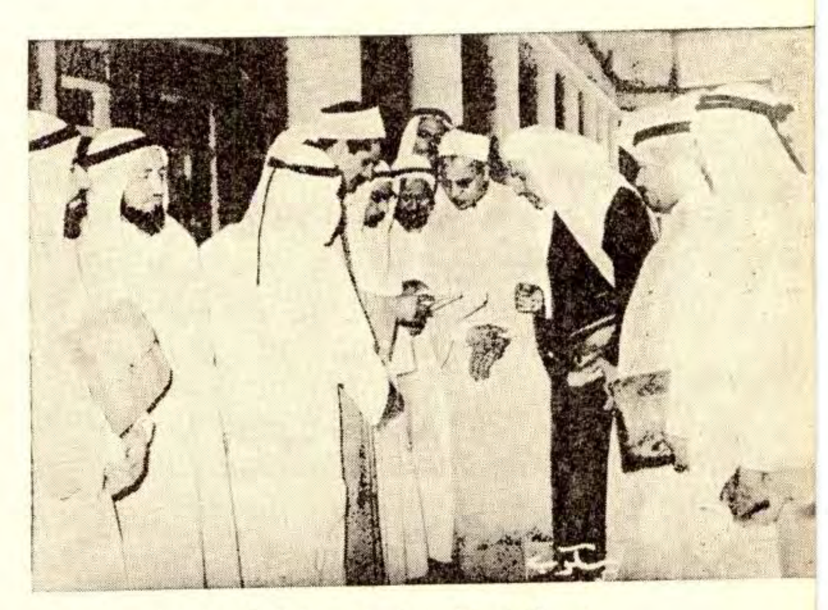
الائمة والخطباء والمؤذنين وقام بالتدريس فيه أعضاء البعثة الأزهرية المكونة من المشايخ عبد المنعم النمر ورضوان البيلي واحمد جلباية ومصطفى عيد وجابر منصور ومحمود وهبه بالتعاون مع بعض علماء الكويت وعين الشيخ علي عبد المنعم مشرفا على المعهد بالاضافة الى قيامه بالتدريس فيه ايضا .

مواد الدراسة

ويدرس به التوحيد والتفسير والحديث والفقه والسيرة والخطابة والنحو وأحكام التجويد، وزود المنتسبون للمعهد بالكتب والمذكرات ، وكان لاقبالهم على الدرس وشوقهم الى العلم أثر واضح ملموس فى رفع مستواهم العلمي وتنمية مواهبهم وقدراتهم وانعكاس هذا الأثر على الوعظ والخطابة فى المساجد .

امتحان المعهد

وقد عقد لهم امتحان فى آخر العام الدراسي وبلغ عدد المسموح لهم بدخوله ٧٤ طالبا تخلف منهم أربعةونجح ٥٤ وكان أول الناجحين الشيخ



حتى اثناء الاستراحة . الطلبة مع بعض الاساتذة

زكي عبد الله يوسف القدومي وسيعقد للمتخلفين والراسبين دور ثان فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٥ ، وتبدأ السنة الدراسية الجديدة فى ٢ أكتوبر .

مسابقة صيفية

وقد أعلنت الوزارة عن مسابقة صيفية بين الأئمة والخطباء فى تفسير الجزء الأخير من القرآن الكريم وكتاب اسلامنا للشيخ السيد سابق وسيمنح الخمسة الأوائل فى المسابقة مكافأة تشجيعية ، كما أن الوزارة ستمنح جميع الناجحين فى امتحان آخر العام مكافأة سخية تحببهم فى العلم وتبعث فيهم روح التنافس والأقبال على الدرس والتحصيل .

تطوير المعهد

وازاء هذا النجاح العظيم الذى حققه المعهد اتجهت اليه أنظار المسؤولين وانبعثت الرغبة الصادقة فى النهوض به وتطوير مناهجه ، وقدمت عدة مقترحات حول هذا الموضوع ـ يتناولها المختصون بالبحث والدراسة، وقد رأينا أن نستطلع رأى بعض المسؤولين والمعنيين بشؤون الدعوة عن مبلغ ما حققه المعهد من نجاح ، والحاجة الماسة الى تطويره .

مع فضيلة مدير الدعوة

قال فضيلة الشيخ عبد المنعم النمر مدير الدعوة والارشاد ان المعهد بصورته الحالية حقق نجاحا كبيرا ، وليس ادل على ذلك من نتيجة الاختبار الذى أجرى أخيرا لطلبته .. أما عن التطوير فان لجنة من الأساتذة قامت بوضع المناهج لتطوير معهد الامامة بحيث يكون معهدا على غرار كلية المعلمين الموجودة بيننا فى الكويت .. يغذيه حملة الشهادات المتوسطة من المعهد الديني أو المدارس وذلك لتخريج فئة متخصصة تقوم برسالة المسجد حاليا على انه من الممكن أن ينشأ بعد ذلك دراسة عالية للمتخرجين من المعهد . وهذا كله يتوقف على مدى اقبال ابناء الكويت على الدراسة الدينية ، وأعتقد أن من واجب الدولة أن تقدم كل الوسائل لجذب الطلاب لهذه الدراسة سواء أكان أثناء طلبهم العلم أم بعد تخرجهم ، وهذا أمر لا

يقل اهمية عن النواحي الأخرى ان لم يزد عليها ، ومن واجب الدولة ـ أن توليه من العناية والاهتمام ما يتفق ومكانة الدين فى النفوس .

مع فضيلة المشرف

اما فضيلة الشيخ علي عبد المنعم المشرف على المعهد فقال ان امثل طريقة لتطوير المعهد تكون بفتح باب المعهد لحملة الشهادة المتوسطة من المدارس وتستمر الدراسة فيه اربع سنوات ويوضع له المنهج المناسب الذى يكون الداعية الواعي الواسع الثقافة ذا الخلق الاسلامي الممتاز، ولا يقتصر على أبناء دولة الكويت فقط بل يسمح بدخوله لأبناء الخليج العربي وغيرهم ، وبعد اتمام الدراسة بالمعهد ارى ان تنشا كلية للتخصص يلتحق بها أوائل المتخرجين فى المعهد .

مقترحات مدير الشؤون الاسلامية

وقال الاستاذ عبد الله العقيل مدير ادارة الشؤون الاسلامية ، ان الحاجة ماسة لمعهد الامامة والخطابة ، وتطويره حتمي ليستطيع بعد ان يتحقق هذا التطور فى منهاجه تخريج دفعات من القادة المؤمنين القادرين علىتوجيه جماهير المسلمين

واقتراحاتي حول منهج الدراسة هي ـ

١ ـ اعادة التوسع فى المناهج المقررة مادة وأسلوبا .

٢ ـ محاولة عرض الأفكار الاسلامية بالأساليب المشوقة التي تبين جمال الاسلام واسهامه فى كل مجال من مجالات الحياة ، وتوضح نظرته للانسان والكون والحياة .

٣ ـ بيان الحلول الاسلامية لمشكلات الحياة المعاصرة .

ومن المسلم به ان الشريعة الاسلامية قد جاءت لاسعاد البشرية فى دينها ودنياها ، وعلاج العلل الاجتماعية . ومما لاشك فيه ان درجة النجاح فى العلاج تتوقف على الطبيب الماهر أعني العالم المؤمن الواسع الاطلاع . وهذا مانرجو أن يقدمه لنا معهد الامامة والخطابة .



فى المكتبة

مع رئيس قسم المساجد

وتحدث فضيلة الشيخ عبد الرحمن الفارس رئيس قسم المساجد وأحد المتخرجين فى كلية الشريعة من كليات الجامعة الأزهرية فقال .

كانت المساجد تعاني نقصا فى الكفايات العلمية، وكنا نحس مسيس الحاجة الى ائمة وخطباء يحملون لواء الدعوة الى الله ، ويسايرون روح العصر الحديث ويخاطبون الشبان المسلمين الذين يترددون على المساجد بأسلوب يلائمهم ويقنعهم ، حتى انشىء معهد الامامة والخطابة فى هذا العام والتحق به الائمة والخطباء والمؤذنون الذين يقيمون الشعائر بالمساجد ، .. وعلى الرغم من أنه لم يمض على انشاء المعهد الا سنة دراسية فان باكورة نتائجه تبشر بخير كثير .

ولا يفوتني ان اذكر ان الوزارة ترعى هذا المعهد بعين الاهتمام وتكافىء المتفوقين من طلبته ، والمعهد يرحب بجميع الكويتيين الذين يرغبون فى الانتساب اليه ، ولهم اولوية التعيين فى الوظائف التي تخلو بالمساجد . اما من حيث تطوير المعهد فان الشيء يبدأ فى أول امره صغيرا ثم يأخذ فى النمو تدريجيا . هذه سنة الحياة وطبيعة الوجود والله ولي التوفيق ››››

مع استاذ التفسير

أما فضيلة الشيخ رضوان البيلي سكرتير

معهد لامامة والخطابة

تحرير مجلة الوعي الاسـلامي ومدرس التفسير بالمعهد ، فقد كان أوسع مطلبا في اقتراحاته لتطوير هذا المعهد فيقول ، اقترح على المسئولين أن تنشأ مدينة الدعاة بها معهد متوسط وآخر ثانوى وكلية للدعاة ، وبها مساكن للطلبة ومسجد وناد وصالة للمحاضرات ومطعم ، ويفتح باب الانتساب لأبنـاء المسلمين عامة وخاصة أبناء الجنوب العربـي وافريقيا وآسيا ، ويراعي تدريس اللغات السائدة في هذه البلاد كاللغة السواحلية والاوردية ودراسة تاريخ هذه البلاد السياسي وجغرافيتها الاقتصادية والديانات السائدة فيها .

واعتقد ان نجاح هذا المشروع لو اخذ به يتوقف على هيئة التدريس والهيئة التنفيذية لادارة المدينة ومبلغ ايمانها بالفكرة ، وتقديرها للمسئوليـة واستجابة المسؤولين للاعتمادات المالية اللازمة . والى ان يتم هذا المشروع فاني ارى ان يستمر المعهد لتاهيل المنتسبين الحاليين والذين ينتسبون مستقبلا اليه .

مع بعض طلبة المعهد

والتقينا ببعض منتسبي المعهد لاستطلاع رايهم في معهدهم ومدى استفادتهم من دراستهم فقـال



اصغاء للدرس



درس في الخطابة

السيد راتب الشويكي « لا شك فاننا قد استفدنا كثيرا من الدراسة بالمعهد ، وهذا راجع الى اخلاص المدرسين وجد الطلبة ، وتعدد الكتب الاسلامية المقررة علينا .. اما الشيخ محمود دقة فقـال ان الاستفادة في المعهد مسألة نسبية ، تختلف بين طالب وآخر ، وهذا يعود الى مدى الاسـتعداد والمقدرة على الاستيعاب .. اما السيد حمـد المبارك فاكد ان الفائدة يمكن ان تتم اذا ما طالت مدة الدراسة في المعهد لتكون اكثر شمولا وايضاحا وفهما ، لأن الدراسات الاسلامية شاملة واسـعة تحتاج الى جهد وبحث ووقت .

لقاء مع الاستاذ وكيل الوزارة

ثـم كان لنـا لقـاء مع الاستاذ عبـد الرحمن المجحم وكيل الوزارة للتحدث في شان المعهد وعرض بعض المقترحات عليه ، وسيادته من شباب الكويت الذين اتموا دراستهم العالية في كليات الازهـر الشريف ، وتمرسوا في الميدان الوظيفي مـدة اكتسبوا فيها خبرة واطلاعا وعلما وتفهما للمسئولية وقد استهل سيادته الحديث فقال : مما لا شك فيه أن مهمة الامامة والخطابة مهمة شاقة جسيمة حساسة لها اثر بالغ عظيم على المجتمع والامة . والوزارة حرصا منها على دعم رسالة الاسلام ، وتقديرها لاهمية عرض الدين بما يتناسب وعظمة الاسلام وسماحته ، كنظام اساسي للحياة ، فقـد حـرصت على دعـم جهاز الوعظ والارشـاد ، فاستقدمت بعثة من علماء الازهر ليقوموا متعاونين

مع أئمة وخطباء الكويت بمهمة التوجيه والوعظ الديني ، وانشات معهد الامامة والخطابة ، الذى أصبح وجوده ضرورة حتمية لتخريج دفعات من الدعـــاة الصالحين لتوجيه جماهير المسلمين لما فيه خير دينهم ودنياهم .

قلت لسيادته : « فى الواقع هذا وصف دقيق لرسالة المسجد وتحليل صائب لما يجب أن يكون عليه من يتولى مهمة الوعظ والارشاد ، ولكنني اعتقد ان الضرورة تستلزم تطوير هذا المعهد بما يتفق والمهمة التي انشىء من اجلها لتخريج طائفة من الموجهين المرشدين فى حقل الدعوة الاسلامية .

فأجاب سيادته : لقد بدأنا فعـــلا فى هـذه الخطوة فالفنا لجنة من المختصين لوضع منهج دراسي شامل مناسب ، وقد انتهت اللجنة مـن وضع مقترحاتها وتوصياتها بهذا الخصوص ، واملنا كبير فى أن يكون هذا المعهد عند حسن الظن ، صالحا لتخريج نخبة طيبة من العلماء تضطلـــع بهذه المهمة العظيمة .

قلت لسيادته :

لعل فى تقديركم لاهمية المعهد ، وما تعلقون عليه من آمال ، ما يحفزني على أن اعرض على سيادتكم بعض المطالب والرغبات ، وكلي أمل فى انها ستلقى من قلبكم الكبير كل عناية واهتمام .

فاجاب سيادته ببشاشته المعهودة ، بعد أن استعرض المطالب ووقف عند كل مطلب منها بتان وتفحص : يجب أن نضع فى الاعتبار ان كل حق يقابله واجب وأن زملائي الأئمة والخطباء اذا أدوا واجبهم كمـا ينبغي واخلصـوا ، فسـيكون جزاؤهـم متناسبا مع ما يقدمون من جهد ، وما يظهرونه من كفاءة ومقـدرة ، واما الوظائف والترقيـات فان القوانين العامة للدولة تنظمها وتضبطها وسنعمل من جانبنا ما وسعنا العمل على انصافهم وتحسين حالهم ، ومنح المتفوقين منهم مكافآت تشجيعيـــة مجزية فوق منـح جميع المواظبين على الدراسة بالمعهد مكافآت كذلك .

وهنا ضاق مكتب سيادته بالموظفين واصحاب المصالح فاستاذنت شاكرا له هذه الروح الطيبة . وهذا النشاط الملحوظ والنهضة المباركة التـي حققتها الوزارة انما تمت بفضل اخلاص المسؤلين فيها وعلى راسهم معالي السيد عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف .

بقية ـ نحو تربية هادفة

تطبيقه ، وهم لا يصلحون الا لبيئتهم ، وقد يستفاد منهم لبيئات اخرى ، لكنها بقـدر لا يسـاوى مقدرتهم وتمكنهم فى بيئتهم . وارتباط النظـم التربوية بالبيئات والمطبقين لها نستفيد منه لتشريع نظم وقوانين جديدة .

ويتجلى ما اقوله فى التربية اكثر مما يظهر فى المجالات الاخرى لان التربية تبني النفوس التـي ستحمل على كواهلها جميع اعباء هذا المجتمـع من صغيره وكبيره وهي التي سوف تسن وتشرع القوانين والنظم ، فاعداد هذه النفوس صعب جدا اذا استسهلناه وصعب جدا اذا اعطيناه كـل جديد بحجة انه جديد فقط . والنظام الجديـد الذى ننشده لتربية عربية صحيحة ليس نظاما موجودا قائما نأخذه ونطبقه ونستريح بعد ذلك ، انما هو شعور واحساس فى قلب من ينتمي لهذه الامة ، ثم دراسة طويلة نابعة من هذا الشـعور وهذا الاحساس الصادق ، ووضع المبادىء والاسس هي مرحلة العمل الاولى ويتخلل ذلك اصطراع فى وجهات النظر باسلوب ديمقراطي واضح ـ لا مواربة فيه ولا دجل ـ ينبثق من التعاون التام بين افراد الامة العربية وخصوصا بين الاسـرة التعليمية وعلى المربين وضع الاسس الصحيحـة وليسوا مطالبين بنتائج ، وانما التاريخ هو الذى سيحكم على اعمالهم بنتائجها ، كما حـكم عـلى الحضارات الماضية وسيحكـم على الحضـارات الحاضرة بكل أوضاعهـا .

ان الصغير عرضة للتيارات الجارفة اذا لم يحدد له الطريق الذى يمشي فيه بعد ارشـــاده لأسـلم الطـرق ، وكـل اختلاف فى مجال رسم الطريق السليم فى التربية سيؤدى ـ الى ابشع الصور التي تنطبع فى عقـل الصغـير ، والاتجاهات المختلفة فى مجال التربيـة مهما كـان مصدرها وسواء كانت اتجاهات ثقافية او غير ثقافية فانها ستقضي على النشء الصغير وتلقيه فى متاهات لا يستطيـع التخلص منها مستقبلا .

السعي وراء المعرفة فى خطة ايجابية صادقة .

ومع كل هذا يصعب علينا أن نؤكد أن ديكارت قلد الغزالي أو تابعه ، ولن يضيف مثل هذا التأكيد - أذا فعلناه - الى الغزالي فضلا يحتاج اليه .

اعترافات الغزالي

وبعض الافرنج يقولون عن كتاب الغزالي « المضنون به على غير أهله » انه أعترافات تشبه اعترافات « جان جاك روسو (١) » وهذا القول يحتاج الى نظر، لان اعترافات روسو شملت كل شئونه المالية والمعنوية والعقلية ، على حين أن كتاب الغزالي يدور حول ما قاساه من أجل استخلاصه الحقيقة .

والغزالي نفسه يصرح بهذا حيث يقول فى فاتحة كتابه : المنقذ من الضلال : فقد سألتني أيها الأخ فى الدين ، أن أبث اليك غاية العلوم وأسرارها وغائلة المذاهب وأغوارها ، وأحكي لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفارق ، مع تباين المسالك والطرق ، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار ، وما استفدته أولا من علم الكلام ، وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام ، وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف ، وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف . وما انجلى لي فى تضاعيف تفتيش عن أقاويل الخلق من لباب الحق وما صرفني عن نشر العلم ببغداد ، مع كثرة الطلبة ، وما ردني الى معاودتي بنيسابور بعد طول المدة ، فابتدرت لاجابتك الى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك» .

والغزالي يتبع الطريق العلمي السليم فى بحوثه ، فهو أولا : يقدم لموضوعه بمدخل يمهد الطريق أمامه ، ثم هو يستعرض جوانب الموضوع المختلفة ، ويذكر وجهات النظر المتعددة فيه كأن يذكر المضار والمنافع ، أو المحاسن والمساوىء ، ويذكر أدلة المختلفين فيه ثم يعقب على ذلك بعرض رأيه الشخصي، سواء أوافق رأى من سبقه أم خالفه .

وهو يستند فى بحثه الى الحس والعقل والتجربة الذاتية والتذوق والادراك والالهام ، واذا كان الغزالي قد آمن بطريق القلب فى المدركات الدينية - وخاصة عقب تصوفه - فانه لم ينكر الحقائق العلمية ، وقد فرق بين العلم والدين حين قال : ان العلم يستند الى العقل والدين ينبعث من القلب وفى الوقت نفسه يؤكد أنه لا تناقض بين العلم والدين .

الغزالي والعقل

كان الغزالي فى صدر حياته يظن أن العقل هو الملكة العليا ، وأنه اذا تحرر وانطلق استطاع أن يدرك الحقائق ويعرف الأصول ، ولذلك كان يؤكد أن التقليد والجمود والتعصب والهوى حواجز تمنع من المعرفة الصحيحة والتفكير الحر .

وعلى الرغم من أن الغزالي قال : ان الذين اعتقدوا الدين تقليدا وسماعا من أبويهم من غير بحث عن الطرق البرهانية

---

(١) مفكر فرنسي فيلسوف مهد مع فولتير للثورة الفرنسية وكان يقول بضرورة التعاهد الاجتماعي الكافل لحقوق الجميع . ورشح الافكار لمذهب الرومانسية فى القصة ، وكان يعتقد فى حسن طينة الانسان ..

هم المسلمون حقا . فانه كان يكتب بعقل وتفكير بدليل أننا نراه فى كتابه « أحياء علوم الدين » يفرق بين ايمان العوام الذى يستندالى التقليد فقط . ويجعل هذا أقل درجات المعرفة ، وايمان المتكلمين وهو يعتمد على نوع من الاستدلال وهو أعلى من ايمان المقلدين ، وايمان العارفين الذى ينهض على المشاهدة المؤدية الى اليقين .

ولكن الغزالي لم يحصر طريق المعرفة فى العقل ، بل هو يجعل طرق المعارف ثلاثة أنواع : حسية ، وعقلية ، ودينية . يبدأ الانسان بادراك العالم الظاهرى الحسي بالحواس الخمس ، ثم يتحرك عقله وينمو فيدرك به المعقولات ، كالواجبات والجائزات والمستحيلات ، كما يدرك به المعاني الكلية والحقائق العقلية المستترة خلف المحسات .

ومن وراء العقل عين أخرى تدرك المعارف الدينية ومنها يدرك الانسان الأنوار الغيبية وهذا يتمثل فى النبوة . ويربط الغزالي هذا بالحديث الذى يقول : « ما من عبد الا ولقلبه عينان » فاذا أراد الله تعالى بعبد خيرا فتح هاتين العينين ليرى بهما ما هو غائب عن بصره .

ومعنى هذا أن الغزالي يقول بحاسة سادسة يمكن ان نسميها « الحاسة الدينية » « ويرى أن محل هذه الحاسة هو القلب » وهو حسب تعبيره « اللطيفة الربانية الروحانية التي لها بالقلب الجسماني تعلق » .

وهذا القول يذكرنا بما يذهب اليه الفيلسوف « وليم جيمس » فى كتابه : « تعدد التجارب الدينية » حيث يرى أن التجارب الدينية تختلف باختلاف الطبائع والأمزجة والثقافات والبيئات لأن مرد التجربة الدينية الى « الشعور » فاذا استطاع الانسان أن يغوص فى أعماق نفسه انعقدت بينه وبين ربه صلة هي ما نسميه بالتجربة الدينية ، ويصور الانسان هذه التجربة بحسب ما يحسه فى نفسه ، ولذلك تختلف التجارب هنا وتتعدد .

وهذا القول يشبه ما ذهب اليه الغزالي من القول بالحاسة السادسة « الحاسة الدينية » من ناحية الاعتماد على التجربة أو التذوق ، واختلاف التجارب وتفاوت المراتب وان كان بين الاثنين بعد هذا من الاختلاف ما بين الغزالي المتصوف وجيمس الفيلسوف .

والغزالي يرى الجمع بين نور الشرع ونور العقل ، وأن العقل المنزه عن الخبث الذى لا تشوبه عاطفة مريبة يشبه العين السليمة ، والشرع يشبه الشمس التي تغمر بنورها الأشياء فتكسبها الألوان وبذلك يمكن رؤيتها ، ونحن نحتاج الى العين والى الشمس معا ، وهو يرى ان الرجل الذى يقبل على القرآن الكريم دون أن يستخدم عقله فى تفهمه يكون كمن أغمض عينيه ونظر الى الشمس فهو لا يرى شيئا كما أن من أعرض عن الشرع واعتمد على العقل وحده ، يفسد طبعه ويضل فى طريقه .

والغزالي يشير الى ان طاقة العقل محدودة ، وان هناك اشياء كثيرة تغيب عنه فلا يدركها ، وليس معنى هذا أنها معدومة ، فينبغي لصاحب العقل أن يتواضع ، ففوق كل ذى علم عليم ، ومهما صال العقل وجال فسيبقى الكثير مما يبعد عنه أو يعلو على طاقته ، وليس هناك أجهل ممن يظن أنه قد أحاط علما بكل شيء ..

يقول الغزالي عن علم المكاشفة : فاياك أن يكون حظك من هذا العلم انكار ما جاوز قصورك ، ففيه هلك المتحذلقون من العلماء ، الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول ، فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الأمور ..

« للبحث بقية فى العدد القادم »

علم الفلك والقرآن

من نواميس الطبيعة وقوانينها التى لا تتبدل أن كل ما على الأرض من أشياء خاضع لعوامل التغير والفناء ، ولهذا يقال : ان دنيانا ليس فيها اثبت من التغير ، وسبحان من لا يتغير . ولهذا ايضا لا يمكن ان تخلد معجزة على الارض الا اذا كانت على هيئة كتاب يتلى ، او تحفظه الصدور وله صفة الاعجاز فى كل عصر من العصور ، ولا عجب اذاً ان تكون معجزة خاتم النبيين كتابا يوجه الكلام الى ذوى الألباب فى وقت نضج فيه العقل البشرى وأصبح عصر العلم على الأبواب .

وقديما ـ وحديثا أيضا ـ أعجز القرآن الكريم العرب بحجته الدافقة وبلاغته وفصاحته واسلوبه الأخاذ ، وما جاء به من اخبار صادقة تتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل ، وأحكام وتشريعات ونظم فيها صلاح البشرية . وفى القرآن الى جانب كل هذا العديد من الآيات التي تكشف عن حقائق الكون واسراره ، سواء فى عالم الجماد او عالم الأحياء . ولا يقل عدد مثل هذه الآيات عن (٧٥٠) آية ، يتضمن بعضها كثيراً من التفاصيل العلمية الدقيقة التي تثبت قطعا انه وحي من لدن الخالق العليم .

ولقد مر ـ ولا يزال يمر ـ المسلمون على الكثير من هذه الآيات مر الكرام ، ولكن كلما تقدم بنا ركب العلم ووصل الناس الى درجات ارفع من المعرفة والحضارة ، كلما تفتحت أمامهم المعاني ، وظهر اعجاز القرآن العلمي الرائع .

ولما كانت رسالة القرآن للناس كافة ، فان واجب المسلمين اليوم توصيل هذه الرسالة الى الغرب عن طريق الترجمة السليمة ، واظهار الاعجاز العلمي للقرآن ، وكيف انه سبق ركب المدنية بقرون عديدة ، وذلك لأن العلم هو المقياس الذى تقاس به الشعوب اليوم ، وهو السلاح الذى تغذى به العقول والقلوب ، ويقتنع بحججه الناس فى عصرنا هذا .

ويخاف فريق من المسلمين الخوض فى

للدكتور محمد جمال الدين الفندى
استاذ الطبيعة الجوية ـ جامعة القاهرة

اظهار الحقائق العلمية التي فى القرآن بحجة أنه قد تتغير النظريات من آن الى آخر ، ولكن ردنا على أمثال هؤلاء أننا نفرق بين الحقائق والنظريات العلمية .

فالحقيقة العلمية هي ما استقر عليها الرأى ، فوصلت مرتبة اليقين : اما عن طريق التجربة السليمة ، أو عن طريق الجزم بالبراهين ، مثل : الجاذبية العالمية ، وسبح الكواكب من حول الشمس ، وانعكاس الضوء وانكساره ، وانخفاض درجة حرارة الغاز بالتخلخل ، أو تقليل الضغط الواقع عليه ..... ونحن نستخدم الحقيقة الأخيرة فى تبريد الهواء وفى الثلاجات الكهربائية ونحوها ، كما تستخدمها الطبيعة فى تكوين السحب والمطر والبرد ... لأن الهواء عندما يصعد ، ويقل الضغط الواقع عليه تنخفض درجة حرارته ، وتقل قدرته على حمل بخار الماء العالق فيه تدريجيا ، فيتحول هذا البخار الى أية صورة من صور التكاثف المعروفة ومثل هذه الحقائق هي التي نعتمد عليها فى تعليقاتنا العلمية على آيات الذكر الحكيم . أما النظريات العلمية فهي تتغير وتتبدل ، كما هو الحال مع نظريات الضوء ونشوء الكواكب وأصل الحياة ونظرية التطور ... وكثيرا ما تحتاج بعض هذه النظريات من أجل تدعيمها الى ادخال بعض الفروض التي لا مبرر لها ، كما سنوضح فى سلسلة مقالاتنا هذه ان شاء الله . ولهذا لا نستطيع أن نتخذ من مثل هذه النظريات حجة أو دليلا فى تعليقاتنا العلمية . ومهما يكن من شيء فان أغلب هذه النظريات انما تتصل بالنشأة الأولى التي لم تتح لنا فرصة مشاهدتها . ويعبر القرآن الكريم عن ذلك فى ايجاز معجز اذ يقول :

« ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ... » (٣٣) سورة الكهف .

وعندما نكتب عن علم الفلك والقرآن يكون من الطبيعي أن نبدأ بذكر القواعد الأساسية التي تتماسك أجرام السماء فيما بينها ـ تبعا لها ـ وتحتفظ بأوضاعها النسبية ، وسط الفضاء الفسيح الذى يفصلها عن بعضها البعض: « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ... » (٣٣) سورة الأنبياء .

« ويمسك السماء أن تقع على الأرض ...... » سورة الحج من آية ٦٥ .

ان اجرام السماء ممثلة فى المجرات والسدم والنجوم والشموس والكواكب والأقمار والمذنبات والشهب والنيازك كلها تسبح فى الفضاء الكوني المترامي الأطراف ، وتتماسك فيما بينها حسب نظم معينة ،وقواعد ثابتة ، يمكن تلخيصها فى حقيقتين :

أما الحقيقة الأولى فهي : أن كل جسم مادى يجذب الجسم الآخر (خصوصا القريب منه) بقوة تتناسب مع حاصل ضرب كتلتيهما (أى مقدار ما تجمع منهما من مادة) . ولهذا السبب تتساقط الأجسام الى الأرض ، لأن كتلتها كبيرة جدا بالنسبة الى كتلة ما عليها من الأجسام . ويمثل مركز الأرض النقطة التي تتجمع فيها هذه الكتلة . وتبعا لقانون الجاذبية هذا ، تمسك الشمس سائر أفراد المجموعة الشمسية ، ومنها الكواكب السيارة ، وتنطلق بها فى الفضاء بسرعة تساوى نحو (١٢) ميلا فى الثانية . ويعبر القرآن الكريم عن انطلاق الشمس بهذه الصورة فى اعجاز رائع اذ يقول فى سورة يس « والشمس تجرى لمستقر لها » .... (٣٣) . والشمس هنا يمكن ان تمثل بالقطار الذى يجرى بينما يتجول الركاب داخله ذهابا وايابا .

وأما الحقيقة الثانية فهي أن كل جسم يتحرك فى مسار منحن أو مقفل ـ مثل الدائرة والاهليلج أو القطع الناقص ـ يخضع لقوة طرد مركزية . ومن أبسط التجارب التي نستدل بها على قوة الطرد المركزية هذه قطعة الحجر عندما نلفها أو نجعلها تدور فى طرف خيط مشدود الى اليد .

اننا عندما نفك الخيط ينطلق الحجر مارقا كالسهم تحت تأثير قوة الطرد المركزية . وتعمل هذه القوة على منع أجرام السماء من التساقط بالجاذبية . وفى معنى آخر تتعادل القوتان وتظل الأجرام تسبح الى ما شاء الله محافظة لأوضاعها النسبية .

ونحن نستطيع أن نعرف المجرات بأنها : وحدات الكون العظمى ، وهي تبني من النجوم والشموس المختلفة الحجم والصفات ، وما قد يتبعها من كواكب تدور من حولها على غرار مجموعتنا الشمسية . وتأخذ المجرات أشكالا متباينة فى السماء ، أشهرها ما هو على هيئة القرص ، وما هو كالحلزون ، وما هو يشبه المغزل ... وهي تدور وتسبح فى الفضاء .

ومجرتنا بالذات التي توجد بهاشمسنا كالقرص الذى يزيد قطره على ٧٠ الف سنة ضوئية ، والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء فى سنة كاملة ، أى نحو عشرة ملايين الملايين من الكيلومترات . ولا تنتشر النجوم بانتظام داخل مجرتنا ، بل نجدها تتكدس فى بعض أجزائها فيما يسمى « الطريق اللبني » أو « طريق التبانة » لشبه بينه وبين الطريق الذى يتناثر عليه التبن أثناء نقله .

وعندما نرسل بصرنا على طول هذا الطريق يكون بصرنا ممتدا على طول قطر من أقطار قرص المجرة ، وتوجد شمسنا

على بعد نحو ٣٠ ألف سنة ضوئية من نهايته ، وهي تجرى بسرعة تماما كما تقول الآيةالكريمة «والشمس تجرى..»

وحتى عندما نتخذ الأرض محورا أساسيا لقياساتنا وأعمال رصدنا ، نجد أن الشمس تتحرك ظاهريا بالنسبة الينا ، رغم أن الواقع كما نعلم هو أن الأرض تسبح حول الشمس فى مسار متوسط نصف قطره نحو ٩٣ مليون ميل ، وتتم دورتها فى سنة كاملة .

وتبلغ المسافات بين النجوم حدود الخيال ، مما يجعل احتمال تصادمها أمرا مستحيلا تقريبا . وأقرب النجوم الينا فى طريق التبانة يصلنا ضوؤه فى بضع سنين ، ويعرف باسم النجم (قنطورس) وهناك العديد من النجوم فى هذا الطريق يصلنا ضوؤها بعد آلاف السنين ، أى أنها تبعد عنا بآلاف السنين الضوئية ، والصورة التي نراها اليوم هي صورة السماء منذ آلاف السنين .

وتتعدد السدم والمجرات فى الفضاء الفسيح ، ويتكرر وجودها كلما خرجنا الى خضم الفضاء ، وتقبل الينا أضواء تلك المجرات خافتة لعظم بعدها عنا ، فأقربها الينا يصل بعدها عنا نحو (٧٠٠) ألف سنة ضوئية ! .

وتعطينا هذه الأرقام الضخمة فكرة سليمة لأبعاد نجوم السماء عنا ومواقعها فى المجرات المختلفة التي يعج بها الكون ، حتى اذا ما وصلنا حدود الكون المرئي كانت ابعاد نجومه تقدر بنحو ٥ آلاف مليون سنة ضوئية ، مما جعلها جديرة بأن يقسم بمواقعها الخالق العليم ، اذ يقول فى سورة الواقعة ((فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم)) .

والعجيب أن أحدا من البشر لم يكن يقدر قيمة هذا القسم قبل عصر النهضة . اذ كان الناس يعتبرون النجوم بمثابة الفوانيس أو الحلية التي تزين كبد السماء ، ولم يكن أحد يحلم بأن مواقعها تبلغ من العظم هذا القدر فهل بعد هذا من اعجاز ؟ !! .

وبهذه المقدمة الموجزة أقدم للقارىء الكريم حديثي الأول عن موضوع علم الفلك والقرآن ، لأظهر جانبا من الاعجاز العلمي لآيات الذكر الحكيم .

وقد يبدو الموضوع صعبا غير سهل التتبع لأول وهلة ، الا أنني سوف أعمد ان شاء الله تعالى الى عمل تفصيل أكثر فى سلسلة مقالاتي القادمة .

والله الموفق .

أى الناس أفضل ؟

قيل : يا رسول الله ، أى الناس أفضل ؟

فقال :

« مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله »

قالوا : « ثم من » ؟

قال :

مؤمن فى شعب من الشعاب ، يتقي الله ويدع الناس من شره » .



اعداد
عبد اللطيف خريشي

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اغتنم خمسا قبل خمس .. شبابك قبل هرمك .. صحتك قبل سقمك .. فراغك قبل شغلك .. غناك قبل فقرك .. حياتك قبل موتك .

* عندما يخطيء رامي السهام هدفه .. ينظر لنفسه ليعرف لماذا أخطأ .. وهكذا دائما اذا أردتم الوصول الى هدفكم فأصلحوا أنفسكم .

(روكفلر)

أيهم تختار ..

* نشرت صحيفة انجليزية كبرى المسابقة التالية :

« لنفرض أن بالونا يحمل ثلاثة من اشهر رجال العالم النافعين للبشرية : برتراند راسل العالم الرياضي والفيلسوف .. والكسندر فلمنج مخترع البنسلين .. و ت . س . اليوت الشاعر الناقد . وتعرض البالون لعاصفة بحيث يجب القاء احد الركاب الثلاثة من البالون فبأيهم تضحي ؟ »

وتلقت الصحيفة اجابات لا حصر لها وفي كل منها يوازن القراء بين قيمة الشخصيات الثلاثة ونفعهم للبشرية . ولكن الذى فاز بالجائزة غلام فى الثانية عشرة كانت اجابته :

« يجب القاء اثقل الثلاثة وزنا » .

الاعمار بيد الله ..

* كان سيجفريد عاملا فى أحد المناجم حين انفجر المنجم أما هو فقد نجا وقتل ستة من زملائه العمال .. اثنان منهما كانا يتحدثان اليه ويعملان معه على عربة واحدة .

وبعد سنة ونصف تقريبا حدث انفجار آخر قضى على عاملين وأصيب سيجفريد برضوض وجروح بسيطة فى ساقه . وارتحل الى السويد حيث عمل فى مصنع للديناميت فى مدينة غيتورب . وهناك حصل الانفجار الثالث . طنان من الديناميت انفجرتا على بعد ٢٠ مترا من المكان الذى يقف فيه .. قتل فى هذا الحادث ٢٦ شخصا وأصيب ٢٢ بجراح خطيرة ولم يصب سيجفريد سوى خدوش فى ركبتيه وجرح بسيط فى كتفه .. ذو عمر عجيب ..



لكنه انا

* قال طلحة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

ـ والله ما أدرى أنت الخليفة أم عمر ؟

فقال : بل عمر .. لكنه أنا .

اذا أعطيت رجلا سمكة .. فانك تطعمه يوما واحدا ..
أما اذا علمته كيف يصطاد .. فستطعمه أياما كثيرة .

(مثل صيني)

الصبر مفتاح الفــرج ..

* سأل شاب رجل اعمال عن السبب فى نجاحه . فقال له : الصبر هو سر نجاحي . ان أى شيء فى الدنيا يمكن عمله اذا تذرع المرء بالصبر .

فقال الشاب : ولكن هناك شيء واحد لا يمكن عمله مهما كان الانسان صبورا .. وهو نقل الماء بواسطة المنخل . فرد عليه رجل الاعمال فى الحال :

ــ حتى هذا يمكن عمله اذا انتظر الانسان حتى يجمد الماء .

من بني آدم

* ادعى رجل أنه يحفظ نسب اسرته الى النبي صلى اللــه عليه وسلم ويعرف سلسلة النسب من النبي الى أبي البشر « آدم » وجعل يفاخر بأنه أصيل النسب من مبتدئه الى منتهاه ، فقال له رجل : « اننا نقر لك بانك من بني آدم ، دون حاجة منك الى اثبات » .

الشاكر والصابر فى الجنة ..

* كانت زوجة نعمان بن حطان الأموى جميلة وهو قبيح ، فقالت له يوما انهــا واثقة مــن أن نهايتهما الجنة ، فقال لها ولماذا ؟

قالت ــ لأنك اعطيت مثلي فشكرت .. وأعطيت انا مثلك فصبرت .. والشاكر والصابر فى الجنة .

ثروتي للمجانين ..

* مات فى فرنسا محام عن ثروة كبيرة أوصى بها كلها لانشاء مستشفى للمجانين لأنه على زعمه لم يجمع تلك الثروة الا من المجانين الذين كانــوا يلجأون اليه كلما وقع بينهم خلاف أونزاع .. وقد سعى أهله وورثته لابطال وفسخ تلك الوصيــة الغريبة بحجة أن المحامي نفسه كان مجنونا .

مواعيد عرقــوب

* (عرقوب) هو رجل من العمالقة أتاه أخ له يسأله : فقال عرقوب : اذا اطلعت هذه النخلة فلك طلعهــا .. فلمــا اطلعت أتاه للغــــد .. فقال عرقوب : دعها حتى تصير بلحا .. فلما ابلحت قال : دعها حتى تصيرزهوا .. فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا .. فلما ارطبت قال : دعها حتى تصير تمرا .. فلما اتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل فقطعها ولم يعط أخاه شيئا .. فصار مثلا فى خلف الوعد والمواعيد .

* دخل أعرابي بلغ من العمر فوق المائة على امير المؤمنين « معاوية » فاراد معاوية ان يتعرف منه تجربته للحياة ، فقال له : « صف لي الدنيا » فأجاب الاعرابي : « سنة رخاء ، وسنة بلاء ، يولد مولود ، ويهلك هالك ، فلولا المولود باد الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الأرض » .

حكــــم

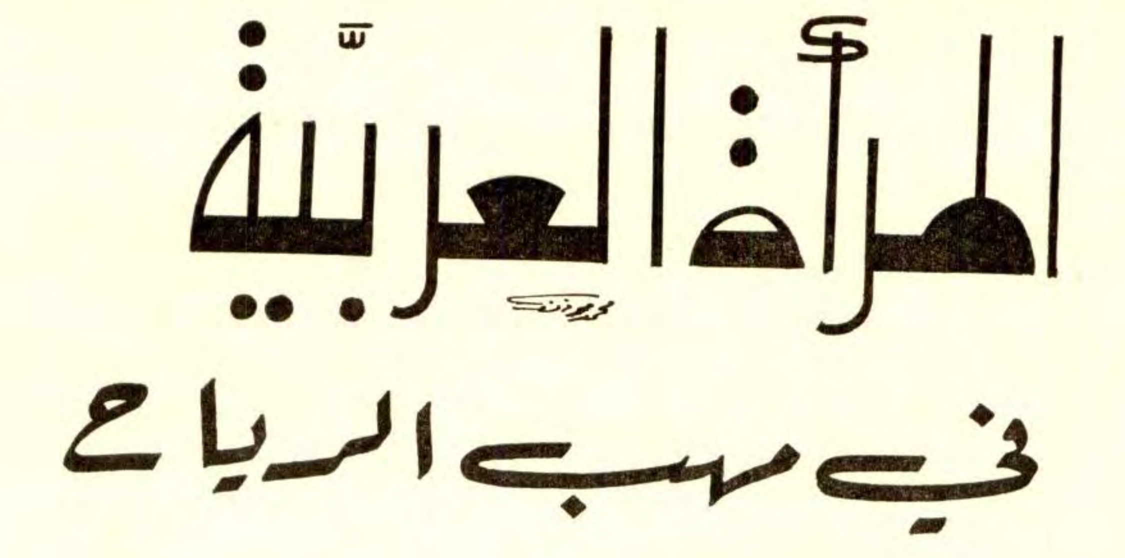
١ ــ رب عالم قد قتله جهله وعلمــه معه .. لم ينفعه

٢ ــ المعرفة الصحيحــة تجبر عــلى العمل .

علاج الاخوان والصبر عليهم

قال محمد بن ابان ــ

اذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ وكنت أجازيــه فأين التفاضل
اذا ما دهاني مفصـــل فقطعته بقيت وما لي للنهوض مفاصل
ولكن أداويــه فان صـــح سرني وان هو أعيا كان فيــه تحامل



الصياد والنعامة

هنـاك مـن يصطنـع الحيـاء أو الكبريـاء ، فيستنكف أن نبث الشكاة ، أو نجأر للمأساة التي نزلت بالمحيط النسائي العربي ، ان على هؤلاء ان يستيقنوا أن الصياد مبصر بالنعامة التي تخفي رأسها الصغير ، وتترك جسدها الكبير فى العراء ، وأن يعلموا أن من الخير أن نسبق (الغير) الى معرفة أخطائنا ، واكتشاف دوائنا ، وأن نعترف بها ، ونصلحها قبل أن يعيبها علينا (الآخرون) ويتفضل بارشادنا الى اصلاحها وتقويمها .

لقد قرأت فى مجلة (العرب) التي تصدر فى باكستان رسالة موجهة من سماحة المفتي السيد محمد شفيع عميد جامعة دار العلوم بكراتشي الى علماء المسلمين ، من العرب خاصة ، يشرح فيهـا ما تسلل الى ديارهم من فساد خلقي ، والحـاد ديني ، وما انتشر بين شباب المسلمين وطلابهم من خلاعة ومجون ، وجهالة فاضحة بقواعد الاسلام ومبادئه وآدابه ، ثم يحثهم على النهوض لاعـلان كلمة الله ، والدعوة الى سبيله .

ويقول العلامة الاستاذ ابو الاعلى المودودى امير الجماعـة الاسلاميـة فى باكستـان ، فى كتابـه ((الحجاب)) ص ٥و٦و٧ :

((كنت أشعر بواسطة الجرائد والمجلات التي كانت ترد الينا من البلاد العربية . بأن المـرأة هناك قد بلغت من تعديها لحـدود الشريعـة وانسياقها وراء الحضارة الجديدة درجة لـم تبلغها المرأة حتى فى بلادنا نحن . فكنت لذلـك اجـد فى نفسي من القلق والاضطراب ما طالمـا أقض مضجعي ، وأجرى الدموع من عيني ، ثـم انه لما قدر لي زيارة بعـض البـلاد العربيـة ، وشاهدت هناك بعيني مابلغه حقا تبذل المـرأة العربية المسلمة ، وتبجحها بالعرى والفتنة وشدة ولوعها باقتفاء آثار أختها الغربية ازددت قلقـا واضطرابا اكثر من ذى قبل .)) ..

ثم يقول الاستاذ المودودى .

((اننا مسلمي باكستان والهند رزحنا تحت نير الاستعمار البريطاني مئة وتسعين عاما متواليا، وكان ولا يزال ٩٩٪ من افرادنا على جهل تـام باللغة العربية التي جاء بها القرآن والسنة . وعلى الرغم من ذلك فان حضـارة اهل الغرب لم تتغلغل فى بـلادنا ولم تؤثر فى حياتنا مثل ما تغلغلت فى بلاد العرب وأثرت فى حياتهم ، فالنساء فى بـلادنا وان كنا دائمـا نسكب الدمـوع عـلى انجرافهن فى تيار الحضارة الغربية فانهن عـلى جملة علاتهن ومساوئهن يربأن بأنفسهن أن يرتدين الملابس الافرنجية الا القليلات منهن ، وقلما توجد واحدة من ألف امرأة منهن تتبـرج فى الطـرق والأسواق ، وتتعرض للرجال وجسدها مكشـوف فوق كعبيها أو يداها مكشوفتان الى منكبيها)) ..

واخيرا يقول الاستاذ المودودى .

(اني والله كثيرا ما اسائل نفسي ، ان اخواننا العرب الذين شرفهم الله تعالى ببعثة رسوله فيهم ومنهم ، والذين لغتهم لغة القرآن والسنة ، والذين لا يعوقهم شيء عن معرفة احكام الله ورسوله فى كل شأن من شؤون حياتهم اذا شاءوا .. ماذا عساهم يؤولون به رواج الملابس الافرنجية البحتة بين نسائهم وتبرجهن فى الاسواق والأندية والمجامع بل وسواحل البحـار ، ومسابح الملاهي كاسيات عاريات) ..

وهكذا يقوم علماء باكستان الغـير ، بواجب التنبيه والتوجيه ، ازاء فاشية الانحلال الديني والخلقي التي عمت المجتمعات العربية المسلمة ، ونحن العرب المسلمين بين أيدينا كتاب اللـه

للاستاذ أحمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى
مكة المكرمة ـ السعودية

وحديث رسوله نقرأهما بلغتهما العربية ، ونفهمهما جيدا ، ولكننا نهمل العمل بهما ، معتذرين بحركة التطور ، ودعوة التحرر وضرورة العصر .

طبيعة الأنوثة

وقد رأيت أن اكتب عن مأساة المرأة العربية المسلمة مبتدئا برأى القرآن والحديث النبوى عن دقائق الانثى وحقائق الانوثة ـ ثم اورد بعضا عن دراسات وتجارب الحضارة الغربية فى هذا الصدد .

وساجتزىء ببعض الآيات القرآنية التي تتحدث بايجاز بليغ عن دقائق الانثى وحقائق الانوثة بما يثبت تأييد المكتشفات الحديثة فى علمي النفس والجنس ، ان المرأة غير الرجل تكوينا واعطاء واخذا فى مجال العمل والمعاملة ، وان دعاة المساواة بينهما فى التعليم والتشغيل .. فساق مؤتمرون بالاسرة العربية سوءا ، ومتربصون بالبيت المسلم الخراب .

يقول القرآن حكاية عن امراة عمران « وليس الذكر كالانثى » ان هذه الآية تؤكد الامر الواقع ومكتشفات علمي النفس والجنس ، وليس هذا فى دين الاسلام فحسب ، بل انه فى دين اليهودية والنصرانية قبل ان تحرفا وقبل ان يرتكب حكامهما جريمة فصل الدين عن الدولة فقصة الآية الكريمة مروية عن امرأة عمران التي نذرت ما فى بطنها لخدمة الدين فى المعبد ، وعندما شاء الله تبارك وتعالى ان يجىء مولودها انثى اعتذرت عن تحقيق نذرها « قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالانثى » وفى موضع آخر يقول القرآن .. « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » ويقول فى موضع ثالث « واذا سالتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن » . وفى موضع رابع يقول القرآن « لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا ، الا ان تقولوا قولا معروفا » .

واكتفي بهذه الآيات الأربع عن آيات اخرى تأمر الرجال والنساء معا بغض الأبصار وحفظ الفروج وتنذر الذين يتصدون للنساء المحصنات الغافلات باتهام او تشنيع باللعنة فى الدنيا والآخرة ، وبالعقوبة الدنيوية المعجلة .

ان هذه الآيات الاربع والاخريات التي اشرت اليها تتحدث بوضوح عن دقائق الانثى وعما يجب للانوثة من صون عن الزلة وعون على العفاف ، اذ هي كالزجاجة كسرها لا يجبر ، بل هي كالجوهرة وكالزهرة لا تحتمل العنف والتناول الشديد والتداول المرهق ، ولا بد للاحتفاظ بشرفها ورقتها وسمعتها وكيانها الدقيق الرقيق .. من صيان ثابت وامان حصين .

هي كذلك ـ أى تلكم الآيات القرآنية ـ تؤكد ان الانوثة جذابة مؤثرة متاثرة فى وقت واحد ، ومن اجل تجنيب الانثى الزلل الذى لا يغفر فى مجتمعها، والكسر الذى لا يجبر فى سمعتها ، نبه القرآن النسوة انفسهن الى عدم ترقيق الكلام وتليينه فى مخاطبة الرجال ، لئلا يطمع فيهن مرضى القلوب بحب حرام او شهوة آثمة .

ونبه القرآن فى ذات الوقت الرجال الى ضرورة الابتعاد عن مغريات الجمال فى النسوة الاجنبيات وذلك بمخاطبتهن من وراء حجاب ، وأكد لهم بأن ذلك أطهر لقلوبهم وقلوبهن وحتى فى محادثتهن بشأن الزواج بهن ، نبه القرآن الى التزام الأدب والوقار معهن فقال « ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا » وذلك من اجل ما يجب لطبيعة الانوثة الرقيقة الدقيقة من صيان وامان .

* * *

أما ما تحدث به رسول الاسلام عن دقائق الانوثة وحقائق الانثى فجزيل نكتفي بالاشارة الى بعضه . كقوله عليه الصلاة والسلام « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة الا ومعها محرم لها » وقوله « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها محرم » ونحن نرى اليوم بعض فتياتنا يسافرن الى الخارج باسم اتمام الدراسة وتكملة التعليم ،وحيدات بلا محارم لهن .

.. ومن احاديثه صلى الله عليه وسلم .

ـ « لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك والثانية عليك » .

زوجات وأمهات

ثم ماذا ؟ لا شيء . بعد ذلك . من قال الله ، وقال الرسول فالعصرية والتقدمية وحتمية التاريخ وعجلة التطور برغم الزاعمين منا نحن العرب المسلمين ـ هي التي تحكمنا ، ويجب أن نخضع كما يدعون ويدعون للأمر الواقع من مطالب العصر الحديث .

اذن فالى عصريتهم وتقدميتهم حتمية تاريخهم وعجلة تطورهم ـ نحاكمهم ، ونحتكم واياهم الى التجارب والوقائع والاعترافات التي سجلتها الحضارة الغربية عن تطور المرأة وتحررها .

يتحدث الدكتور بيران وولف فى كتابه « افضل سنوات المرأة » عن المشكلة الخامسة التي تواجه المرأة الحديثة التي تبدو لنفسها فى نظر العالم ناجحة ، ولكنها وهي فى مخدعها بعد يوم حافل بالعمل تلقي برأسها المرهق على الوسادة متسائلة « وماذا بعد كل هذا ؟ » لقد بكت فى الليلة الماضية ، بعد مشاهدة فيلم عاطفي وتجد نفسها احيانا تنظر فى شغف الى الاولاد الصغار على دراجاتهم فى احدى الحدائق المجاورة لبيتها ، وهي تسأل نفسها . هل كان يساوى شيئا ذلك النجاح الذى اشتريته بكياني وتراثي كأنثى ، ثم يقول الدكتور وولف لهذه المرأة العاملة الناجحة « يجب ان تواجهي المشكلة قبل ان يفوت الوقت ، فلا الشهرة ولا المال يستطيعان وحدهما ان يحلا مشكلتك » .

وفى مواضع اخرى من الكتاب يقول الدكتور وولف « ان النساء اللاتي ينافسن الرجال فى ميدان العمل ينسين انهن اناث ، وينبغي ان يكن زوجات وامهات ، اذ ليس فى العالم ما يمكن ان يحل محل لذة الامومة وسعادة البيت الذى اعدت المرأة من الناحيتين البيولوجية والسيكولوجية لادارته وصيانته » .

ويقول الدكتور بيرن هاردى فى كتابه « الحب والمرأة » عندما تصدى للحديث عن الغناء والموسيقى « ان الغناء يسحر حواس المرأة ومشاعرها ويشعل جذوات الحب والهوى مثل النار ، مهما كان المغني غير فنان ، ولكن سيتضاعف تأثير الغناء على المرأة عندما يكون المغني وضيئا جميلا ، فتندفع اليه وتتأثر به وبخاصة اذا كان المغني يروى فى اغانيه قصص الهوى وتباريح الوجد وما يلاقيه فى سبيل الحب من الاحزان والافراح » ثم يقول .

« كم من النسوة ذوات شرف وكرامة تركن ازواجهن واولادهن وانفصلن عن الاسرة العائلية وراء هوى المغنين ، وقد كن يعشن قبل ذلك حياة البهجة والطمأنينة » ، ويتحدث المؤلف الغربي عن تأثير الموسيقى فيقول « من الواضح كل الوضوح ان التوقيع الموسيقى ، وان كان بدون التغني يقضي على طمأنينة القلب وهدوء النفس ويحدث فى الأهواء الشهوانية هزة عنيفة . ويثير العواطف الحيوانية ، وقد تأملت انطباعات التوقيع الموسيقى فوجدت تأثر المرأة به أعظم وأوقع من تأثر الرجل » ..

الرقص المختلط

ويقول الدكتور بيرن عن (الرقص المختلط) (ان تماس اجسام الرجال والنساء اكبر عامل فى احداث موجة عنيفة فى الميول النفسانية والرغبات الشهوانية ، وكل واحد منهما ينقل الى الآخر الشهوات والنزوات وهما لا يشعران) ويضيف المؤلف الغربي بعد ذلك (ان السفور الخليع والاختلاط البشع هو السلاح الفريد الذى يمكن به اغراء عواطف الانسان وميوله الشهوانية بالنظر حيث تبدو اجساد الفتيات مكشوفة الى الآباط وأرجلهن معراة الى السيقان ، بل الفخوذ، فتستهدف البصر ، وقد اصبح هذا التبرج خطرا جسيما يهدد بانتكاسة اجتماعية وخلقية)

وروى المؤلف ان اساقفة نيويورك طالبوا بوقف هذا السرطان الجديد الذى الم بالجيل النابت ، فكتبوا يقولون .

« انه يجب على الحكومة ان تمنع على الفور الملابس الضيقة الفاتنة والكتب الماجنة والصور الفاضحة بدون تأخير ولا تهاون فان الجيل الناشيء مهدد بتعود الرذيلة والفاحشة والمجون والانحلال الخلقي منذ نعومة أظفاره » .

كما يروى المؤلف بيانا اصدرته جماعة من الاطباء الامريكيين جاء فيه «لقد سبقت امريكا دول العالم فى نشر الكتب الماجنة والفضائح الاخلاقية والافلام السينمائية القذرة ، وقد تعدت هذه الاعمال الاجرامية امريكا الى اوربا فالى الشرق .. واننا ننذر البلاد الآسيوية ونحذرها من هذه الحضارة الساخرة والا فستكون اسوأ حالا وأبشع مآلا من الغرب .

إلى الباحثين عن الصراط ...

للاستاذ حمدي رشيد حنبلي
كلية المعلمين ـ الكويت

اخلاق وايمان

جلست مع صديق قادم من الغرب .
فسألته : ما الذى اعجبك هناك ؟

قال لي الصديق : اخلاق الناس .
فاستفسرت عما يعني بالأخلاق ؟

فقال : سأروى لك حادثة حدثت معي ، وعليك انت أن تنظر فيها لترى العبرة فى ذلك ، وتخرج بنتيجة مما اقول ، وتفهم ما اعني .

قلت : هات ما عندك ....

فعدل من جلسته ، واقبل على بهيئته ، وثبت عينيه على وجهي ، وكأنه أراد أن يصب كلامه فى نفسي صبا قال بصوت هادىء : ـ وقفت بسيارتي فى أحد مواقف السيارات هناك ، وتركتها مقفلة لقضاء حاجة لي فى شارع قريب ، ولما عدت بعد حين ، وجدت ورقة موضوعة فى الجزء الأسفل من الزجاج الأمامي . فرفعتها من مكانها لاقرأها ، فوجدتها مكتوبة بقلم رصاص ، وبخط رديء نوعا ، كأن صاحبها كتبها على عجل منه ، كتب لي صاحب الورقة ـ « انه كان يقف بسيارته فى الموقف خلف سيارتى ، ولما أراد الخروج صدم سيارتي من الخلف . ولما كان مستعجلا ولا يجد فرصة لانتظارى فهو يعتذر عن ذلك ، ويرجوني ان اتفقد سيارتي قبل الركوب فيها ومن ثم طلب مني ان اعرض السيارة على اى مرآب اشاء ، وانه مستعد لدفع تكاليف تصليح جميع الاضرار وما يترتب على ذلك . وان كانت السيارة ستتعطل حتى يتم اصلاحها فأنه على استعداد لاعطائي سيارته ان احببت ، أو دفع تكاليف أجر أية سيارة ان كنت أفضل ، خلال تعطل سيارتي فى المرآب ، واعتذر للمرة الثانية فى نهاية رسالته ، وترك اسمه وعنوانه ورقم هاتفه ، واتصلت به هاتفيا ، فحدد لي موعدا جاءني فيه وكرر ما سبق ان كتبه .....

... وما ان انتهى من سرد روايته علي حتى تفحص رد الفعل على وجهي وسألني مستفسرا .. كيف ترى القوم ؟ هل تستطيع ان تقارن بين ما نحن فيه وما هم فيه الآن ؟

قلت : لا تحكم على قيم الأمة من خلال واقع أجوف .. مفروض عليها فرضا ... فيجعلها تبدو كأنها كارثة على الحضارة ... تشبه ذوى النعمة المحدثة من اغنياء الحرب ...

ان امتنا الأسلامية ذات نظام اسلامي كامل متكامل جامع شامل .. منظم لجميع علاقات الأفراد سواء بعلاقاتهم ببعضهم البعض او بعلاقاتهم مع اولى الأمر منهم وكذلك لهم وجهة نظر محددة تجاه الله والكون والأنسان والحياة .

قال صاحبي : ولكن يوجد فرق بين « هناك نظم وقيم » ، وبين « يوجد الآن بشر هذه اخلاقهم وتلك صفاتهم » .

فقلت له : لعل من القول المعاد ان نقول ان هذه الاخلاق التي تعجبك فيمن رأيت ، لاتجدها عند الغربيين اذا ما تركوا بلادهم ، وذهبوا للامم المتحدة للنظر فى قضية فلسطين او الجنوب المحتل

او كشمير او غيرها من القضايا الحساســة فى العالم . حتى فى اتفاقياتهم السرية مثل اتفاقية « سايكس ــ بيكو » والاتفاقيــة السريــة بين « اديناور مستشار المانيا الغربية السابق وبــن جوريون » لتزويد دولة العصابات اليهوديــة فى فلسطين المحتلة بالسلاح . بل ولا تجدها فى معاملة الغربيين للأمم التي استعمروها ..

فهناك تجد الخلق الذى اعجبك قد اتخذ زى المصلحة القومية او الاقتصادية او اى تفســير آخر ... وسيبقى هذا الخلق المتلون الذى يسعى للمصلحة ويجرى وراءها اينما كانت فلا صداقة مستمرة ، ولا عداوة دائمة ، انما هنــاك مصلحة قائمة .

ان اخلاقهم داخل بلادهم تختلف عنها خارجها . ان الفرد منهم يتمسح بالخلق الذى يساعده على التكيف الاجتماعي ... ولن يتعدى ذلك الى اية غاية ابعد من المنفعة الاجتماعية .

موقف الاسلام من السلوك

ولكي اوضح وجهة نظرى علي ان ابين موقف الاسلام من السلوك والافعال التي تصدر عــن بني الانسان .

ان الاسلام يقوم على اعتقاد ان « لا الــه الا الله » ...

هــذا التوحيد بداية الطريق ومنتهاه ايضا ، فهـــو اعلى مــراتب الايمان واول درجاتـــه ، فان آمن الناس به دخلوا زمرة المسلمين ، ويكون لهـــم ما للمسلمين وعليهــم نفس واجباتهــم ، ويؤكد هذا الحديث الذى رواه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فى صحيح مسلم ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (مــن مات وهــو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة) ان هذا النص يعنــي :

اولا : ان التوحيد هو المقوم الاساسي الاول والحقيقة الاساسية فى العقيدة الاسلامية . وقد اجمل الاســتاذ سيد قطــب معنى التوحيــد (١) بما يلي :

١ ــ التوحيد يعني اسلام الوجه لله وحـــده .

٢ ــ واتباع منهج الله ــ وحده ــ فى كل شئون الحياة .

٣ ــ والتلقي من الله ــ وحده ــ فى هذه الشؤون .

٤ ــ والعبودية لله وحده بطاعة منهجه وتشريعه ونظامه .

٥ ــ والعبادة لله وحده ســواء فى الشعائر التعبــدية او فى نظام الحيــاة الواقعية .

٦ ــ فالله منفرد بالألوهيــة .. وما عداه فهو من مخلوقاته ....

ان توحيد الله وتفرده بالالوهية وخصائصها ، واشتراك ما عدا الله ومن عداه فى العبوديــة ، وتجردهم من خصائص الالوهية ... أن هــــذا معناه ومقتضاه « ألا يتلقى الناس الشرائع فى امور حياتهم الا من الله . كما انهم لا يتوجهون بالشعائر الا لله ، توحيدا للسلطان الذى هو اخص خصائص الالوهية ، والذى لا ينازع الله فيه مؤمن ، ولا يجترىء عليه آلا كافر » ..

ثانيا ــ ان العلم بوحدانية الله يلزم المــرء بالعمل بذلك . فالله تعالى يقول فى محكم تنزيله ــ (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون .) (٢) فالقول بالشهادة بوحدانية الله يلتــزم الفعــل والعمل بحقها ــ .. اذ انه نفس الطريقة التي ربى بها الرسول صحابته . وورد فى الجزء الاول مــن تفسير ابن كثير (صفحة ٣) عن ابي عبد الرحمن السلمي انه قال ــ . (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن انهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، كانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلموا القرآن والعمل جميعا) .

وقد اجمع الأئمة على ان الايمان « ما وقر فى القلب وصدقه العمل » وانه قول وعمل (فتــح البارى فى شرح البخارى ، الجزء الاول) .

ولهذا كان عذاب العالم الذى لم يعمل بما علم ولم يستفد من علمه ، اقول كان عذابه اشـــد من عذاب غيره ...

---

١ ــ (خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، القسم الاول ص ٢١٣) ٢ ــ (٣) سورة الصف

فالمسلم الذى يشهد ان لا اله الا الله يؤمن بان له ربا قادرا ، يجازى على الاعمال ، فهو يخشاه فى سره وخلوته التي يغيب فيها عن الناس ، لعلمه باطلاعه عليه . كما يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) فهو سبحانه الموجود الحق الذى يستمد منه كل موجود وجوده ويبدأ منه كل مبتدىء بدءه (ظلال القرآن . الجزء الاول صفحة - ١٤ -) .

فالمسلم مطالب بالعمل الذى يفرضه عليه مقتضى ايمانه بوحدانية الله .. اذ عليه ان يراقب جميع افعاله ويزنها بميزان الحلال والحرام ، عليه ان يرجع اليه بكافة ما يعن له من مشاعر وافكار وقيم وتصورات فى مجرى حياته الواقعية كذلك عليه ان يزنها عنده ، ويعرف حقها من باطلها وصحيحها من زائفها ...

هذان الامران : الايمان بوحدانية الله الذى ينعكس على كل ما حوله ،حيث الايمان بانفراد الله سبحانه وتعالى بالالوهية وبخصائصها - السلطان والحاكمية والتشريع .... - والامر الثاني ان هذا الاعتقاد يلزم الفرد العمل بمقتضاه .

فالمسلم يتطلع دائما الى مثل عليا ، اعلى من الفرد ، وأكبر من انانيته ، وأرقى من حدوده الذاتية .. ويلزم سلوكه بذلك .

وسلوك المسلم مرتبط بما يأمر الله ويثيب عليه، لا لمصلحة عابرة ، ولا اشباعا لغرائز بهيمية . لهذا السبب نرى ان اخلاق المسلمين هي الجانب العملي لعلمهم بوحدانية الله وايمانهم بذلك . وعلى هذا الاساس تعرف المؤمنون بربهم عبر التاريخ .

وكمثال لما نقول استشهد برواية وردت فى البداية والنهاية لابن كثير قال ، ان احد الصحابة اشترى بيتا من اخيه بمبلغ محدد . وبعد بضع سنين تعرض البيت للهدم ، وبينما الصحابي يهدم البيت اذ وقع المعول على جرة فى احد الاركان داخل الجدار فتناثر منها الذهب ، فجمع هذا الصحابي الذهب وحمله لاخيه الذى اشترى منه البيت من قبل .

قال له : عندما هدمت البيت وجدت هذا الذهب . وانا اشتريت منك بيتا ولم اشتر ذهبا . فخذ ذهبك بارك الله لك فيه .

فرد عليه اخوه فى الله : يا اخي لقد بعتك البيت بما فيه ولم احدد ، فهذا الذهب لك وليس لي فيه حق .

واختلفا لمن الذهب ورفع الامر لمن هو افقه منهما حتى يجد لهما حكم الله فى الارض .

هذا الامر فى القديم ، ولا نعدم فى الحديث قصصا لا نحب ان نذكر اسماء اصحابها اذ انهم احياء يعيشون بين ظهرانينا .

فهذا تاجر يتحرى الحلال فى معاملاته . اتصل به احد التجار هاتفيا وسأله عن سلعة عنده واتفق الاثنان هاتفيا على ان يبيع صاحبنا هذا ما فى مخزنه من تلك البضاعة وان يكمل بقية المطلوب منه بعد ان تصل بضاعة له كان قد اوصى عليها من قبل من الخارج ، على ان يكون الدفع مؤجلا .

وقبل ان تصل البضاعة غلت الاسعار ، وتكلف صاحبنا اكثر من السعر الذى باع به وما ان وصلت البضاعة حتى سلمها الى زميله الشارى بل اشترى منه بعضها بالسعر الذى وصلت اليه فى السوق .

فهذا التاجر لم يقبض ثمن بضاعته ولم يحرر عقدا بذلك ولم يكن من شهود على البيع انما اتفاق شفوى تم على الهاتف فوفى ببيعه لانه احترم عقدا وان كان شفهيا امام الله .

وهذا حمال لا يملك من حطام دنياه الا قطعة ارض لا تزيد على السبعين مترا مربعا فى احدى المدن الاسلامية - وكانت المدينة تغلي وتتعرض لامور فى غاية الخطورة ذات اهداف بعيده تكيد للدين الاسلامي - فجاءه نفر بعضهم ذوو مكانة فى بلده ليساوموه على قطعة ارضه وما عليها من اطلال متهدمة . وارتفعالثمن . ووصل السعر لحد خيالي لا يكاد المرء يصدقه ، اذ سيرفع الحمال لطبقة اصحاب الالوف المؤلفة . ورفض الرجل المؤمن بالله كل مساومة . وتعرض من اجل ذلك لمحن نفسية شاركها الجسد فى بعض الاحيان ، وتعرض افراد العائلة للجوع من جراء ذلك . ولم تلن قناته . ونراه يذهب فى تحديه لكل ذلك فيرفع الآذان خمس مرات فى اليوم فوق أطلال

البقية على ص ((٧٩))

من نفحات الاندلس :

يوسف بن تاشفين

للشاعر
فاضل خلف

قل للمشارق والمغاربْ   أنسيتُمُ بطل المواكبْ
أنسيتُمُ رجلَ الجهاد وقائدَ العرب المُحارِبْ
أنسيتُمُ البطل العظيم — أبا المعاجزِ والعجائبْ
هَلاَّ ذكرتمْ فضله   فالذكر — للعظماء واجبْ
هو يوسف الأمجاد — ذو العزمات قهّارُ الكتائبْ
في مغرب الأمجاد أسس دولة تأبى المثَالِبْ
وقضى على المتمردين ذوى المطامع والمآربْ
فغدا به الاسلامُ منصوراً ومرهوبَ الجوانبْ
فتطلعت فى الأفق أندلُسٌ وكانت فى غياهبْ
واستصرخت حامى حِمَى الاسلامِ فى صدِّ المصائبْ
ألقت اليه زمامَها   واستنفرتْهُ على النَّوائبْ
شمسُ الخلافة قد توارت عن مرابعها النَّجائبْ
وتصارعت في أرضها   شتّى العقائدِ والمذاهبْ
وبها الملوك طوائفٌ   يتناحرون على المناصبْ
كلٌ يحاول جاهداً   أن تستقر له المراتبْ
يتزلفون الى العدو ويدفعونَ له الضرائبْ
صاروا دُمى لخصيمهم   وغدَوا عبيدا للرغائبْ
وغدا العرينُ ممزّقاً   يختالُ فيه كلُّ غاصبْ
والخصم بالمرصاد يصرعهم ويحتل المضاربْ
أيصم هذا الليثُ سمعها عن نداءاتِ الأقاربْ
وهو الأبيُّ الشهم — حقا — وهو للنّجَدات صاحبْ

(بطل عظيم من المغرب العربي ، اعز الله به الاسلام ، فوحد المغرب والاندلس في دولة مرهوبة الجانب ، وبقيت الاندلس بعد يوسف بن تاشفين اربعمائة عام بعد ان كانت مهددة بالسقوط المبكر . حكم ٥٠ عاما وتوفى سنة ٥٠٠ هـ وعمره ٩٠ عاما .

كـــلا فمــا خُلِـــق الفــتى الا لنجـــدة كــل طـــــالبْ
لــبّى النــــداءَ مسـارعــا ومضــى لتهيئـــة الركــائب
وأعــد جيشـــا صـــادقَ الايمـــان يزخـــر بالمنـــاقبْ
عــبر المضيـــقَ فجـــدّد التـــــاريخُ أمجـــاداً غـــوَاربْ
أمجـــاد طــارق فارس الميــــدان والليـــث المغــــالبْ
فتطلـــع التـــاريخ لليّــث الجديـــد أخـــى المـــراهبْ
وغـــدا يسجـــل صفحـــةً غراء شامخـــة الـــذوائـــب
هــى صفحـــة من وحـــى يــوم خـــالد أهــــدى الأطـــايبْ
يــوم (الزلاقة) إنـــه . عـــزّ المشـــارق والمغـــاربْ
يــوم تحقــق نصـــــرُهُ يـــومٌ صفَــتْ فيــه المشـــاربْ
فــتراجع الخصـــم المبـــين وصــــار مدحـــورا وخــائبْ
فاهــتز وانتعــش الحِمَـــى بعــد الضوائــق والمصـــاعبْ
لكــنّ ليــث المغـــرب العربـــى قـــد وجـــد الغرائـــب
وجـــد الغـــرائب فــي الملـــوك فخــاف من ســوء العــــواقب
ظلمـــوا البـــلاد وأهلَهـــا وتَشَتَّتُـــوا فـــى كل جــانبْ
وتفرقـــوا شيَعـــاً ففـــى كل القـــرى ملــكٌ وحــاجبْ
أمــرٌ يُشيـــع الحـــزن فــى نفــس المحب عـــلى الحبــائبْ
فمضـــى يشــل عـــروشهـــم ويشيـــد مجدا غـــيرَ كـــاذبْ
فغـــدا الحمـــى متمـــاسكــاً في وحدة حبّبت المطـــالب
يا يـــوسف الأمجـــادِ ذكــــرُكَ عـــاطرٌ في القلبِ دائـــبْ
تمضـــى القــــرون وانـــه متـــلألئٌ مثــل الكــــواكــب
والشـــعر صـــدّاح بمـــا حققتـــه بحمـى القـــواضـــبْ



نيجيريا

اعداد ـ ادارة الشؤون الاسلامية بوزارة الأوقاف

اتحاد نيجيريا

ذلك البلد الذى يقع فى القسم الغربي من افريقيا ... الذى يحده الأطلسي من الجنوب .. وهو بين بلدين افريقيين هما داهومي فى الشرق والكاميرون فى الغرب .. أما فى الشمال فهناك جمهورية النيجر .. ويقع هذا الاتحاد على مساحة تقدر ب ٩٦٥ ألف كم أى ثلاثة أضعاف مساحة الجزر البريطانية التي كانت تسيطر على هذه البلاد .

طبيعة البلاد

فى الجنوب تمتد سهول تكثر فيها المستنقعات والبحيرات المالحة ، ويزيد فى خصوبتها نهر النيجر الذى يعتبر ثالث الأنهار فى افريقيا بعد النيل والكونغو ، حيث تصعب المواصلات ، ويقل فيها النقل . أما فى الشرق ... فهناك جبال الكاميرون البركانية السوداء ..

وفى الشمال نجد مرتفعا يصل الى ٢٠٠٠ متر ، يقف جبارا يستقبل الأمطار والمياه .. فيصبح بذلك ذا فضل على المنطقة بكاملها ..

وأما بقية البلاد فعبارة عن مجموعة من السهول الزراعية الخصبة تنتشر فيها الأنهار الكثيرة ..

سكان البلاد

تعتبر نيجيريا اكبر دولة افريقية من حيث السكان اذ يبلغ تعدادها ٥٥ مليون نسمة .. ويختلف السكان هناك اختلافا بينا من حيث الجنس واللغة والدين والعادات الاجتماعية .

وقد دخل الاسلام من شمال البلاد ـ فى فترات مختلفة ، وخاصة أيام المرابطين أثناء حكم يوسف ابن تاشفين .. وما زال ينتشر فى هذا القسم حتى ساد ، وبدأ يغزو الجنوب ويبلغ عدد المسلمين اليوم ٣٤ مليون مسلم .

واذا كان المستعمرون قد وقفوا فى وجه الزحف الاسلامي للقضاء عليه ، فجندوا المبشرين والمدارس التبشيرية ، واستعملوا وسائل القوة ، واستغلوا جميع وسائل الاغراء . الا أنهم لم يفلحوا فى ذلك ، وقد أعلنوا عجزهم أمام التقدم المستمر الذى يحرزه الاسلام .

أما المسيحية فقد دخلت من الجنوب عن طريق الانجليز، أو عن طريق الذين دخلوا البلاد لامتصاص ما استطاعوا من دماء وأخذ ما قدروا عليه من غنائم وأرباح .

وقد عمل المبشرون طاقاتهم ، وساهم المستعمرون بعظيم جهدهم فى سبيل انتشار المسيحية فى تلك الأرجاء .

وعلى الرغم من انتشار المسيحية فى الجنوب فما زالت هناك قبائل وثنية لم تستطع قبول عقيدة التثليث لما فيها من تعقيد وصعوبة .

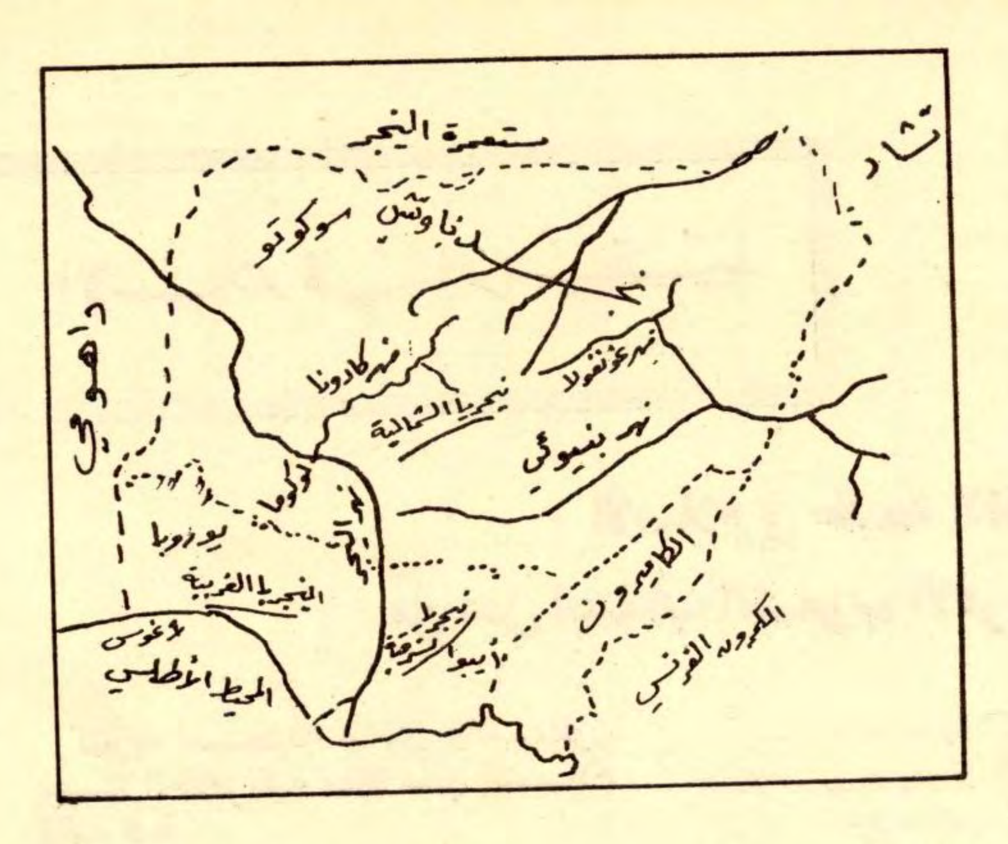
وبينما نرى عادات الشمال وقد تأثرت بالعادات العربية والاسلامية فى كل مظاهرها ، نجد الجنوب تأثر بالاستعمار الغربي وعاداته ..

الثروات

اكتشف الفحم الحجرى فى جنوب شرقي البلاد وكذلك القصدير فى الشمال ، وقد حاولت الشركات المستغلة الغربية ابعاد العمال المسلمين عن العمل فى شركاتهم واستبدالهم بأبناء دينهم ، ولكنهم عجزوا فى النهاية عن ذلك لما يتمتع به المسلم من مستوى رفيع فى الثقافة والتفكير بالنسبة للمسيحيين والوثنيين ..

شعوب الاتحاد وقبائله

ليس فى نيجيريا شعب واحد بل يوجد فيه عدة شعوب ، وتضم مجموعات قبلية تزيد عن ٢٠٠



قبيلة اتحدت مع بعضها ، وشكلت جمهورية نيجيريا الاتحادية ..

وأهم هذه القبائل :

١ ـ اليوروبا : وتقع فى الجنوب الغربي من البلاد ، وأكثرها من المسلمين .

٢ ـ الأيبو : وتقع فى الشرق ، واكثرهم وثنيون، وكان احد المبشرين واسمه (نواكوى) يدعو للمسيحية هناك واذا به يلتقى فى احدى جولاته فى السنغال باحد العلماء المسلمين ، ويعتنق الاسلام على يديه آلاف الناس وقد اطلق على نفسه اسم الحاج (ابراهيم يناس) تيمنا باسم الزعيم السنغالي المسلم الذى هداه الله على يديه وابراهيم يناس النيجرى هو الذى زار الكويت مؤخرا .

٣ ـ قبائل الهاوسا ... وهي تستوطن الشمال الغربي من البلاد .

وقد اعتنقت هذه القبائل الاسلام واصبحت داعية له ...

حتى أن اكبر مدينة فى نيجيريا هي مدينة سوكوتو .. وتسكنها هذه القبيلة . .

وهذه القبائل على درجة كبيرة من الجهل .. غير أن بعض المصلحين من امثال السيد نائبي سليمان الذى درس اللغة العربية والانجليزية بمدرسة الشريعة فى مدينة كافو .. ثم زار السودان ، وعرف التنظيم الاسلامي ، بدأ يحرر زاوية خاصة فى جريدة الصدق الحكومية ، ويترجم فيها الاحاديث النبوية الى لغة الهاوسا .

الاستعمار : ـ

فى الوقت الذى كانت تظن اوروبا أن جهنم فى تلك المناطق الحارة فى افريقيا .. كان العرب والمسلمون يجوبون أقطار افريقيا بالتجارة والرحلات .. وقد اعتنق كثير من الافريقيين الاسلام ، وأسس المسلمون هناك دولا ومراكز فى تلك البلاد المتأخرة ..

فقامت مملكة زنجبار على يد السلطان ماجد بن سعيد الذى وسع ملكه حتى امتد الى دار السلام فى تنجانيقا .

وفى افريقيا الوسطى والشرقية قامت لهم ممالك بفضل (حامد بن محمد) الذى التقى بأكثر الرحالة الأوروبيين ، وقدم لهم المساعدات الكبيرة ، فهو الذى أرشد فاسكودى غاما الى الطريق بعد أن ضل السبيل الى الهند ، وهو الذى صحب ليفنجستون حتى غرب بحيرة تنجانيقا . وكذلك الرحالة الانجليزى كاميرون .. الذى أوصله الى انفولد . والرحالة البلجيكي ستانلي .. والرحالة الألماني هرمان .

وهكذا فهم الأوروبي اليوم أن الحضارة هي فى تسخير البشر ومص الدماء ، وقتل الأبرياء . هذه هي اخلاقهم فى القرن العشرين .. وتلك أخلاقنا منذ مئات السنين .

وحين امتدت اوروبا بانظارها الى خارج بلادها

البقية على ص : ٩٨

الاسلام فى طليعة الكفاح
من أجل اجتذاب الشعوب الافريقية الناهضة

نشرت صحيفة ((ذى واشنطون بوست)) الامريكية مقالا عن الاسلام قالت فيه :

ان الكفاح من أجل استمالة العقول واجتذاب القلوب فى افريقيا الناهضة ليس ميدانه فى دواوين الوزارات والاجتماعات العمالية فحسب ، بل هناك ميدان آخر ، ميدان أقل ذيوعا ، وشهرة ، تخوض معتركه المسيحية والاسلام ، المسيحية التي تجعل من يعتنقها يأخذ بالأنماط الغربية ، والاسلام الذى يرفض الغرب .

وتعترف البعثات التبشيرية المسيحية بأن ستة أشخاص يعتنقون الاسلام فى مقابل كل شخص يعتنق المسيحية . ومن المستحيل الحصول على أرقام دقيقة ، ولكن أى دراسة للأمر تبين أن ٦ ــ ١ هي أقرب النسب الى الحقيقة .

ولقد كان تقدم الاسلام الى الجنوب من منطقة الصحارى بطيئا حتى هذا القرن الذى انتشرت فيه كلمة النبي كالموجة فى افريقيا السوداء . ولا يزال المد آخذا فى الارتفاع بسرعة .

ففي عام ١٩٠٣ كان حوالي نصف سكان نيجيريا الشمالية ، البالغ عددهم وقتذاك ١٢ مليون نسمة ، يدينون بالاسلام . أما اليوم فان ٨٠٪ من سكانها البالغين ٢٩ مليون نسمة مسلمون . وقد تحولت قرى بكاملها فى غرب نيجيريا الى الاسلام فى بحر سنوات قليلة . وفى فولتا العليا اعتنق الاسلام موغونابا (ملك الموسي) مع مئات من رعاياه .

ومنذ الحرب العالمية الثانية تقدم الاسلام تقدما مماثلا فى ليبريا وساحل العاج والكونغو . ويوجد الآن فى السنغال وجامبيا وغينيا ومالي وموريتانيا والصومال وزنجبار والنيجر وتشاد اكثر من ٨٠٪ مسلمون. ونفس الشيء تجده فى شرق افريقيا . فقبل الحرب كان ٢٥٪ من سكان تنجانيقا مسلمين، أما الآن فقد ارتفعت النسبة الى ٥٠٪ .

(أسباب تفوق الاسلام)

ويذكر المراقبون عدة اسباب رئيسية لتفوق الاسلام على المسيحية فى استمالة الناس فى افريقيا ، منها :

١ ــ ان الاسلام اكثر بساطة ، اذ ليس فيه ((اسرار مذهبية أو تعذيب للضمير ، وهو يطيق الطقوس التقليدية الافريقية . فالاعتقاد بالله واحد وبمحمد نبيا هما الشرطان الاساسيان فى الاسلام .

٢ ان الاسلام يجيز تعدد الزوجات واقتناء الجوارى والعبيد ، أما الكنيسة فكثيرا ما تجبر البالغين من اتباعها على ترك زوجاتهم وعلى اعتبار بعض ابنائهم ابناء غير شرعيين .

٣ ــ ان الاسلام اكثر ملاءمة لافريقية ، أما المسيحية فتنتمي من الناحية السيكولوجية الى ثقافة أخرى .

٤ ــ ان الاسلام يمنح لقبا هو لقب الحاج لجميع الذين يذهبون الى مكة ولهذا اللقب اعتبار

كاعتبار لقب الفروسية ، مثلا ، فى بريطانيا ، حتى فى نظر الوثنيين والمسيحيين(١) .

أما رحلة المسيحي الى الضريح المقدس فى بيت المقدس فلا تدخله فى السجل البابوى .

وقد طلب كثير من القساوسة الافريقيين ، من الكاثوليك والبروتستانت على السواء اتخاذ موقف اكثر تسامحا تجاه بعض التقاليد كتعدد الزوجات، واقترحوا تقديس التمائم والطلاسم واعطاءها نفس الاعتبار كأوسمة القديس كريستوفر .

وتدعي الكنائس المسيحية فى العادة أن المسيحيين فى افريقيا السوداء يبلغ تعدادهم ٤٠ مليون نسمة فى مقابل ٦٠ مليون مسلم . غير أن هناك احصاء كاثوليكيا اكثر دقة يحدد العدد بخمس وعشرين مليونا . ويعترف رؤساء الكنائس أن الكثير من هؤلاء انما هم مسيحيون بالاسم دخلوا المسيحية من اجل المدارس . لذلك فيحتمل ان يكون هناك عشرة ملايين فقط من المسيحيين الحقيقيين فى افريقيا السوداء . نصفهم فى جنوب افريقيا .

وقد بلغ تقدم الكنيسة ادنى حد له الآن ، اذ يقول كثير من القساوسة المجدون ان واحدا او اثنين فقط يعتنقون المسيحية فى العام الواحد فى مناطق الغابات المترامية ذلك أن المسيحية مقترنة بالحكومات الاستعمارية والتمييز العنصرى ، كما كان القساوسة فى احيان كثيرة جواسيس غير رسميين للحكومة ، وكان قليل منهم حتى عهد قريب يعامل الافريقيين على قدم المساواة مع البيض . هذا وان محاولات الكنيسة للاشتراك فى الحركة القومية كثيرا ما جاءت متاخرة ، رغم ان كثيرا من القساوسة لا سيما الشبان منهم ، كانوا ولا يزالون اعداء حقيقيين للاستعمار .

(١) الحج عبادة من العبادات الاسلامية كالصلاةوالصوم ، وليس فى الاسلام لقب خاص يكتسبه من يؤديها ولكن ذلك مما تعارف عليه المسلمون . هذا ولم تذكر الجريدة عنصرا أو سببا هاما لانتشار الاسلام وهو المساواة .

الى الباحثين عن الصراط (بقية)

تلك البقعة الطاهرة لتكون مسجدا لله يصلي فيه عباد الله فيفوز برضوانه تعالى .

يا اخى لولا اني اخاف ان اطيل عليك ، لرويت لك الكثير – ولكن الغالب عندنا هو اللون القاتم بعد ان انتصر علينا الغرب فى كثير من ميادين الحياة وخاصة الفكرية منها ... فصبغنا بصبغته ...

انك يا اخي لو امعنت النظر لرأيت كثيرا من الرذائل قد عششت وباضت فى الغرب ولكنهم يعملون بالمثل القائل ان سرقت فلا تسرق الا جملا ولذا فهم يسرقون قطارا فيه اكثر من مليون جنيه استرليني او يهربون هيروينا بتسعين مليونا من الدولارات ليحصل بضع افراد منهم على فوائد فردية يحطمون بنتيجتها حياة الآلاف من الشباب من بني جلدتهم .. وليس معنى هذا انني أقر كل ما عليه كثير من المسلمين اليوم من بعد عن الاخلاق التى يرسمها لهم دينهم ولكني أقول ان فينا خيرا وفى ديننا كل الخير وفى تراثنا الشواهد القائمة على ذلك . وعلينا ان نستمد منه المثل الرفيعة فى حياتنا .

وقانا الله من عقدة (الخواجا) والشعور بالدونية تجاه اناس عمدوا الى ابعادنا بكل قواهم وما امدتهم به حضارتهم من طاقة لابعادنا عن منابعنا الاصلية والى تشويش ايماننا بالله ....

يا أخي ستجد كل رذيلة مرتبطة بكل مبتعد عن الله . وستجد كل فضيلة متساوقة مع القرب من الله .

اخلاقنا يا اخي تنبع من ايماننا بالله . واخلاقهم مصلحة نفعية مؤقتة تزول بزوال اللذة والنفع والمغنم .

وهذا هو الفرق بين اخلاقنا ، واخلاقهم .

في
جوار
الله

الشيخ محمد البشير الابراهيمي

وافتنا الأنباء مؤخرا بنبأ وفاة كبير علماء الجزائر الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، وقد اتيح لي فرصة التعرف على العالم الكبير عن قرب حين اقامته فى القاهرة فرأيت فيه العالم المجاهد المتبحر فى علوم الدين واللغة والاجتماع فوق احاطته بقضايا العالم الاسلامي .. وكنت كلما رأيته واستمعت اليه يخوض فى كل فن وعلم ويتحدث فى كل موضوع حديث العالم البصير ورأيت الكبر وبوادر الضعف يتغلبان على جسمه النحيل تمثلت الخسارة الكبيرة .. وحين رجع الى وطنه بعد أن نال استقلاله كنت اتابع السؤال عنه ممن يأتي من هناك .. حتى جاءتنا الأنباء بوفاته فى يوم ٢٠ المحرم ١٣٨٥ هـ ، ٢١ مايو ١٩٦٥ م ، بعد أن ترك وراءه تاريخا ضخما من الكفاح والجهاد فى سبيل دينه ووطنه .. وقد شيعت جنازته الى مقره الأخير فى احتفال رسمي وشعبي مهيب وكان مما ألقى على قبره كلمة للشيخ محمد خير الدين ، ترى ((الوعي الاسلامي)) من حق الفقيد عليها وحق عارفيه ومقدرى جهاده أن تسجلها هنا عن جريدة ((الشعب الجزائرية)) تحية لذكراه . رحمه الله ، وطيب ثراه ، وجزاه خير ما يجزى به العاملين .. قال الشيخ محمد خير الدين تحت عنوان .

هوى آخر نجم من الرعيل الأول

شيعت الجزائر يوم الجمعة ١٩٦٥/٥/٢١ عالما جليلا من أعظم وأجل علمائها الذين سخروا علمهم وفكرهم وقلمهم لخدمتها وخدمة ثقافتها وقوميتها حوالي نصف قرن من الزمان .. ذلكم هو محمد البشير الابراهيمي رفيق ابن باديس ، وصحبه فى الكفاح والنضال ، وخليفته فى قيادة الحركة الاصلاحية والتعليمية العربية فى الجزائر منذ الربع الاول من هذا القرن حتى قيام ثورة اول نوفمبر فى عام ١٩٥٤ .

لقد اختطفت يد المنون منا فضيلة الامام الابراهيمي وغاب الى الابد بجسمه وجثمانه ، ولكنه بالرغم من ذلك سوف يبقى حيا بيننا بروحه وافكاره حيا بيننا بمبادئه وارائه الجريئة الهادية، حيا بيننا بالمثل التي آمن بها ودعا اليها ، وناضل فى سبيل تحقيقها طيلة حياته المديدة .

ان الشيخ البشير الابراهيمي ليس رجلا عاديا فى تاريخنا المعاصر تموت بموته كل ماله من ذكريات وآثار او مآثر ، كلا ، فالشيخ البشير ككل عظيم وكل شريف ، وكل مجاهد قدس المثل الانسانية العليا ، ووهب نفسه وروحه فداء فى سبيلها لن يغيب اذا غاب عن الناس الا بجسمه وشكله فقط اما روحه ، اما اعماله ، اما جهاده ونضاله ، فهي باقية حية ما دام فى الارض اناس يقدسون الفضيلة ، ويؤمنون بالقيم الانسانية العليا .

انه سيبقى حيا بيننا باعماله الضخمة العظيمة فى سبيل هذا الشعب وحيا بيننا بجهاده المتواصل

طيلة نصف قرن من اجل عروبة هذا الشعب ودينه ولغته وقوميته وتاريخه العريق المجيد .

سيبقى الابراهيمي حيا بيننا بما تركه فى طول هذا الوطن وعرضه ، سيبقى حيا بيننا بالافكار التي ناضل من اجل نشرها وسط هذا الشعب بدروسه فى التفسير والحديث ، ووعظه فى المساجد والمدارس ، ومقالاته فى الصحف والمجلات ، وخطبه البليغة المؤثرة فى النوادى ، ووسط الجموع الحاشدة فى كل مدينة وقرية من مدن وقرى هذا الوطن .

سيبقى حيا بيننا بما تركه من ورائه من تراث فكرى وعلمي وادبي غزير تمثل فى آلاف الابحاث والدراسات والمقالات المنشورة فى الصحف والمجلات التي كان يديرها او يشرف عليها او يساهم فى تحريرها .

سيبقى حيا بيننا بعشرات المدارس العربية التي اسستها الجمعية التي كان يرأسها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بعد وفاة صديقه ورفيقه فى الجهاد والنضال الامام عبد الحميد بن باديس فى عام ١٩٤٠ حتى قامت فرنسا بتجميد نشاط هذه الجمعية بعد قيام الثورة فى عام ١٩٥٤ ، تلك المدارس التي عملت على المحافظة على لغة هذا الشعب وبعثها من جديد فى هذا الوطن بعد ان عمل الاستعمار اكثر من قرن على محاولة قبرها الى الابد .

سيبقى حيا بيننا بروحه الكبيرة الثائرة التي غمرها حب هذا الوطن وحب كل ما له من قيم وفضائل وامجاد وتراث عربي عريق ، فعاش مكافحا من اجل تحريره من النير الاستعمارى ومكافحا من اجل الدفاع عن هذه القيم والمثل العربية والاسلامية بقلمه وعمله ، ومكانته العظيمة لدى الجماهير ولم تهدأ له روح ، ولم يستقر به مطاف حتى رفرفت راية الحرية والاستقلال عالية خفاقة فوق ربوع هذا الوطن وجباله ووهاده ، واصبحت العربية هي اللغة الرسمية للدولة ، واصبح الدين الاسلامي هو دين الدولة الرسمي ، وعادت الجزائر الثائرة المؤمنة الى ارومتها العربية من جديد . بعد هزيمة الاستعمار واندحاره الى الابد فى بلادنا .

وكان الشيخ البشير الابراهيمي قرير العين بكل هذه الاحلام التي تحققت وكل هذه الاماني التي تجسمت ، وبكل هذه الآمال التي اصبحت واقعا حيا تعيشه الجزائر فى حياتها اليومية .

لقد كان فضيلة الامام الشيخ البشير الابراهيمي قرير العين بكل ذلك لانه عاش حتى رأى بنفسه تحقيق ما كان خصومه ومناوئوه يستكثرون عليه ان يطالب به هذا الشعب ، ويتعب من اجله ويضحى فى سبيله بكل غال ونفيس وهو شيخ كبير قد ناهز السبعين من العمر .

لقد رأى الاستقلال . ورأى الحرية ورأى رحيل الاستعمار من الجزائر الى الابد .

وبعد ان رأى كل ذلك بعينيه وعاشه طيلة ثلاث سنوات اسلم روحه الى بارئها وهو مطمئن بأن للبيت ربا يحميه وان للسفينة قادة مهرة يقودونها الى شاطىء النجاة والامان ، وان للبلاد جيشا وحزبا وحكومة تسهر على امنها ورفاهيتها وتقدمها وازدهارها من كل مستعمر وكل طامع ، وكل غادر .

لقد مات بموت فضيلة الامام الشيخ البشير الابراهيمي احد قادة البعث العربي الاسلامي فى مشرق الوطن العربي ومغربه .

وليست هذه الكلمة القصيرة تعزية فى وفاة الامام الراحل وتعديد خصاله واعماله فهي اقل من ان تفي بها وانما هي دمعة وفاء وحرقة قلب ونفثة قلم افجعها هول وفاة المصاب الجلل الذى حل بهذا الوطن فى فقد احد علمائه الاجلاء المجاهدين سطرها باستعجال ريثما تزول الصدمة ويخف الوطء كي يكتب عن الامام الابراهيمي الدراسة التي تليق بمكانته وتاريخه وجهاده .



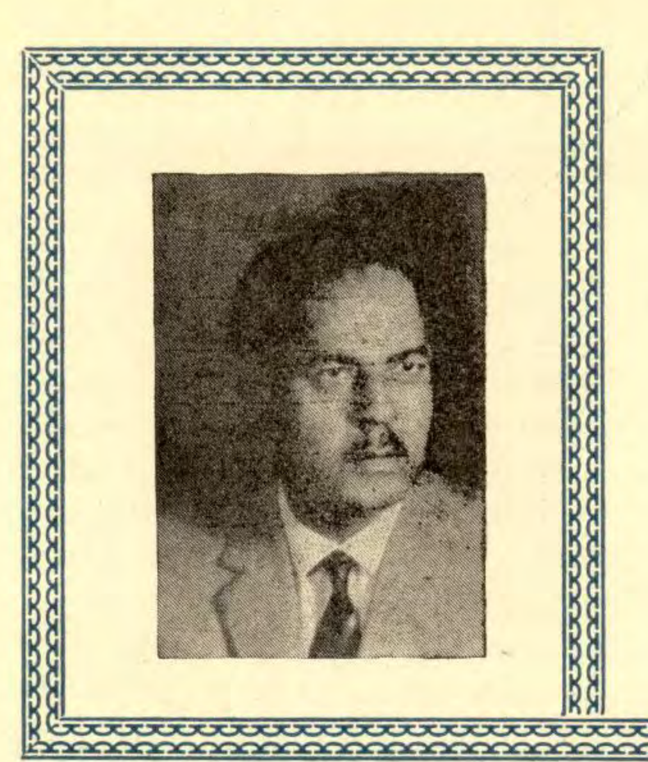
القصص القرآني في منطوقه ومفهومه

الكتاب يقع فى «٤٢٦» صفحة من القطع الكبير ، مقدمة فى عشر صفحات، ومدخل للبحث فى ست وعشرين صفحة ، وقد قدم المؤلف دراسة بعد ذلك فى تسعة ابواب تناول فيها : القصة ومفهومها فى القرآن، عناصر القصة فى القرآن، الحركة والحوار ، القوى الغيبية فى القصص القرآنى ، القدر وحسابه فى القصص القرآنى ، الصراع فى القصص القرآنى ، التكرار فى القصص القرآنى ، الرمز والقصص القرآنى ، ثم منهج فى دراسة القصة وتعقيبات على القصة .

القصة أول رفيق للانسان

اشار المؤلف فى مقدمة البحث الى أن القصة كانت أول رفيق صحب الانسان منذ خطواته الاولى على هذا الكوكب الارضى كما كانت أقدم ما عرف ذلك الانسان من تصورات عقله وطوارق احلامه ، وهواجس رؤاه ، والدين فى صورته الاولى لم يكن سوى القصة أو الحكاية أو ممثلة على مسرح الحياة فى خطوات الانسان الاول ، وفى خطواته ووساوسه وأوهامه ، ويمكننا أن ندرك بعض المرامى التى قصد اليها القرآن الكريم من هذا القصص الكثير ، ففى هذا القصص يلتقى الانسان مع أقوى دوافعه وعواطفه التى ولدت فى ضباب طفولته .

كما أشار المؤلف أيضا الى أن دراسته محاولة للكشف عن أسلوب من أساليب القرآن فى تبليغ الرسالة السماوية ، **فالقصص هو أحد الاساليب التى حملها القرآن ليحاج بها الناس ، وليقطعهم عن الجدل والمماحكة ، شأنه فى هذا شأن**



تأليف عبد الكريم الخطيب
نقد وتعريف محمد عبد الله السمان

ما جاء فى القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز والوعد والوعيد والتهديد ... وغيرها .

واقعية الصور الادبية

وفى مدخل المؤلف الى الدراسة تناول نقطتين :

الاولى : القصة فى الحياة العربية ، واشار الى أن حياة الامة العربية وحظها من الاحداث ، والفواجع كان موفورا ـ كانت قصة طويلة مثيرة فى صراعها العنيف المرير مع الحياة ومطالب **العيش من ناحية ، وفى صراعها الدامى** المتصل فيما بين أفرادها وجماعاتها من ناحية اخرى .

والنقطة الاخرى : القصة فى الادب العربى، واشار المؤلف الى واقعية الصور الادبية عند العرب سواء ما كان منها **شعرا أم نثرا ، وذكر أن هناك اقتراحين لا ثالث لهما . فاما أن يكون الادب العربى** قد اهتم بالخيال فى دور مبكر من حياته دور الرؤى والاحلام فكان هناك شعر مفرق فى الخيال يصور المواقع الحربية على نحو ما فعل شعراء اليونان ، ولكن هذا الشعر قد ذهب به النسيان ، وهذا الافتراض لم يقم له شاهد من شواهد التاريخ . واما أن الطبيعة العربية لم تكن تتقبل احلام اليقظة هذه ، حتى فى دور طفولتها الاولى وانها كانت فى وعي دائم تحت ظروف الحياة القاسية ، وهذا **الافتراض مال اليه المؤلف وأخذ به فى** التعليل لخلو الادب العربى من قصص الاساطير ، وشعر الملاحم .

بناء القصة القرآنية

فى الباب الاول تناول المؤلف القصة **ومفهومها فى القرآن ، فالقصص القرآني كله عرض لاحداث تاريخية مضى بها الزمن** ، وهو وثيقة تاريخية من أوثق **ما بين يدى التاريخ من وثائق ، المؤلف فى دراسته هنا للقصة القرآنية** لا يقف كثيرا عند هذه الحقيقة ـ يعنى واقعية القصص القرآنى ـ من حيث أنها ذات قيمة كبيرة فى الدراسات التاريخية، لان الذى يعنيه منها أولا ، ذلك الاثر الذى لها فى الجو الفني للقصة ، بمعنى ان القصة الادبية فى القديم والحديث لم

تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها ، بل اعتمدت على عنصر الخيال الذى من شأنه أن يكسو الاحداث بألوان غير ألوانها ، وهناك سؤال : هل اذا اعتمدت القصة اعتمادا كليا على الحقيقة المطلقة – كما فى القرآن – يمكن أن تكون قصة بالمعنى المفهوم للقصة ؟ وان المؤلف أرجأ الاجابة للصفحات التالية ، الا انه اشار الى أنه من المقرر أن القصة فى القرآن بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة التى لا يطوف بجمالها طائف من خيال ، ولا يطرقها طارق منه ، ثم هى مع هذا قصة ، حيث سمى القرآن كل ما جاء على هذا النحو قصصا : **« نحن نقص عليك أحسن القصص »** **« ان هذا لهو القصص الحق »** .

عناصر القصة القرآنية وحركتها

وفى البابين : الثانى والثالث ، تناول المؤلف عناصر القصة فى القرآن من حيث القالب والمضمون واسلوب العرض ، والزمان والمكان والاسماء والمسميات ، والمرأة فى القصص القرآنى .

كما تناول الحركة فى القصة بوجه عام ، فهي أعم من أن تكون حركة مادية، ينتقل بها أشخاص القصة من مكان الى مكان ، أو تختفى شخصية لتحل مكانها أخرى ، اما الحركة فى القصة القرآنية فالذى لا ريب فيه أن القصص القرآنى يستخدم الحركة استخداما لم تستطع اللغة – أى لغة – أن تبلغ شيئا مما بلغه القرآن فى هذا المجال ، فهو يحرك الاحداث من أعماقها فتتجه الى غايتها اتجاه السهم الى الرمية ، ذلك ان القرآن يمسك بها من جميع أطرافها ويستولى على كيانها كله فلا يكون هناك تخلخل بين ظاهر الشخصية وباطنها .

القوى الغيبية فى القصص القرآنى

وفى البابين الرابع والخامس : تحدث المؤلف عن القوى الغيبية فى القصص القرآنى ، فناقش قضية المعجزات والخوارق ، فالمعلوم أنها دخلت القصة، وليست من تدبير الانسان ولا من عمل الطبيعة ، وانما هي من تدبير الله وتقديره ، ولهذا فان هذا العنصر يدخل دخولا مفاجئا مباغتا لا يتوقعه أحد ممن يشتركون فى الصراع المحتدم على مسرح الاحداث ، وان صدق الحدث الذى تحمله المعجزة معها وواقعيته ، هى التى تجمع الناس عليه ، وتمسك بهم ليشهدوه .

كما تحدث المؤلف عن النظم القرآنى ، فهو فى ذاته قوة غيبية ، أشبه بتلك القوى الحسية التى نشهدها فى الحدث الاعجازى ، ذلك لان نظم القرآن جاء على صورة معجزة متحدية فى مجال الكلمة ، وفى مقام البلاغة والبيان .. بالاسلوب الكلامي .

كما تناول المؤلف ، القدر وحسابه فى القصص القرآنى ، فأشار الى أن أبرز صورة يلتزم فيها القصص القرآنى رعاية الاصول التى قامت عليها الشريعة الاسلامية ، هى التى تحتكم الى القدر على الوجه الذى صورته له ، وأقامت مفهومه عليه ، ومنطقة القدر تتسع وتضيق حسب ما عند الناس من علم ومعرفة ، ومع هذا فستظل هناك منطقة فسيحة للقدر ، لا يستطيع الانسان أن يرى فيها رؤية كاشفة مهما بلغ من معرفة .

أسرار التكرار فى القرآن

وفى البابين : السادس والسابع ، تناول المؤلف الصراع فى القصص

القرآني ، وأثر القرآن في هذا الصراع ، كما تناول التكرار في قصص القرآن ، فناقش أصحاب الاهواء الذين وجدوا في التكرار مدخلا ملتويا للنيل من البلاغة القرآنية ، وأشار الى أن هناك أسرارا كامنة وراء هذا التكرار، فكل مرة تعرض فيها القصة تكشف عن جانب من جوانبها، أو تجسم صورة من صورها .. الامر الذي لا يمكن أن يتم في عرض واحد مستقل .

مع الفن القصصي في القرآن

وتعرض المؤلف لكتاب « الفن القصصي في القرآن » للدكتور محمد أحمد خلف الله ، الذي تناول قصص القرآن تناوله للنصوص الادبية ، وحكم فيه مقاييس الفن ، وألحقه بالقصص الاسطوري ، أو التمثيلي دون اعتبار أن القرآن كلمات الله تجمع الى الصدق المطلق الجمال المطلق ، وان ما في آيات الله من جمال ، انما هو جمال الصدق لا جمال الصنعة وتهاويل الفن ...

دفع الرمزية

وفي البابين الاخيرين: الثامن والتاسع، ناقش أصحاب الرمزية الذين يحاولون دفع الرمزية الى ساحة القرآن ، وهي باطل الاباطيل ، من حيث أنها في ذاتها لا تصلح أن يستقيم عليها أي فن من فنون القول، لانها لا تعترف للغة بمدلول كلماتها ، ومفهوم أساليبها .

منهج في دراسة القصة

وعرض المؤلف بعد ذلك لمنهج في دراسة القصة القرآنية ، في وقفات مع قصة آدم وخروجه من الجنة ، وختم الدراسة بتعقيبات على القصة ، تناولت آدم ومادة خلقه ، والانسان وهل هو مخلوق سماوي أو أرضي ، والقرآن وخلق آدم ثم الشجرة التي أكل منها والجنة التي أهبط منها .

ملاحظات

وبعد :

فما من شك في أن المؤلف الاستاذ عبد الكريم الخطيب ، قد قدم لنا دراسة ممتعة ، وعلى جانب من الدقة والخطورة ، وهو في دراسته صاحب منهج ، وصاحب رأي أيضا ، لا يكتفي بأن يستنير بآراء الاقدمين ، ولكنه يدلي برأي جديد ، لاثبات وجوده .

ولكني كنت أود :

أولا : أن يركز عناصر القضية التي يتناولها كمدخل لها بدل أن يبذل معظم جهده في بسط عام للقضية تكاد تختفي مع هذا البسط حيثيات حكمه في القضية نفسها .

ثانيا : في محاولته مثلا للكشف عن أسرار التكرار في القصص القرآني وردشبهات أصحاب الاهواء قدم لنا نموذجا من قصة موسى وعرض منها صورا عديدة وكان خيرا لو أنه عرض أكثر من نموذج مكتفيا بتقديم صورة أو اثنتين من كل قصة .

ثالثا : أن بعض تفاسير القرآن المبسطة القت كثيرا من الدخل على القصص القرآني وكانت هذه التفاسير معينا لاصحاب الاهواء على أن يجدوا مدخلا للطعن في القصص القرآني ، والعجيب أن المؤلف لم يهتم في دراسته بما استوعبته كتب التفاسير من اسرائيليات ذهبت بموضع البلاغة من القصة القرآنية وأهدافها من العظة والعبرة .

هذه بعض ملاحظات عابرة ، لا تقلل من أهمية هذه الدراسة التي قدمها لنا المؤلف في دقة وعمق عن القصص القرآني .

قصة
العدد
٢

ملخص ما نشر

كعب بن مالك من كبار المجاهدين ، تثاقل مرة عن صلاة الفجر ، ليلة عرسه ، فعز ذلك على نفس طاهر ، الصبي الذى يرعاه كعب فى بيته بعد استشهاد أبيه ، وعاتبه على تثاقله عن الصلاة . وأحرج كعب، لكنه أعجب بالصبي ... وأثناء ذلك أقبلت خادمته تخبره بأن رجلا بالباب يطلبه ..

كعب بن مالك

بقلم الاستاذ محمد لبيب البوهي

فأذن له كعب .. وجاء الرجل ، فألقى فى وقار تحية الاسلام ثم اردف : يا كعب بن مالك ان الجنة قد فتحت أبوابها اليوم ، اذ أزمع النبي صلى الله عليه وسلم خروجا للجهاد فى سبيل‌الله ، وقد دعا كل قادر من المسلمين الى

الخروج معه ، فهيا بنا فانها ان تكن الشهادة فهى الجنة وان تكن العودة فهي سعادة الدنيا . . ان اليوم يوم الجهاد . . وان الجهاد لذروة سنام الاسلام، لا يناله الا خيار الناس ، كما قال رسول الله ، وكما قال أيضا صلى الله عليه وسلم عن نفسه « لوددت أن أجاهد فى سبيل الله حتى أقتل ثم أحيا فأجاهد حتى أقتل ، ثم أحيا فأجاهد حتى أقتل » . . هيا يا كعب لا تدع لحظة واحدة تمر دون أن تسرع الى تلبية نداء الله . . . وسكت الرجل قليلا ، ثم استطرد . .

لم اكن أعلم مكان دارك حتى مررت بها اليوم ، فجئتك كي تعينني بدابة وسلاح ، وكي أذكرك بأمر الجهاد ، فقد أمرنا ان يذكّر بعضنا بعضا ، فان الذكرى تنفع المؤمنين ، وامرنا ان نتواصى بالحق وان الجهاد حق وها أنذا أوصيك به ، واذكرك . . هيا يا كعب بن مالك ضع يدك فى يدى ، ولنذهب على بركة الله ! .

وقام كعب الى الرجل ، فقبله ، فقد تأثر باسلوب الكلام ، وان الاسلوب الطيب فى الخطاب ليستنهض الهمم ، ويستفز العزائم ، وصاح بخادمه يطلب اليه ان يعد راحلتين ، وأن يهيء عدة القتال ، ثم اتجه كعب صوب امرأته التي تزوجها بالامس يريد أن يزف اليها بشرى خروجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها بصبرها على فراقه أيام الجهاد انما تنال أجر الصابرات من المؤمنات ، فنظرت اليه اميمة نظرة تفيض بالحزن العميق ، وقد اخضلت عيناها بالدمع الذى تكاظمه ، وبان على وجهها الأسى العظيم ، وراحت تندب سوء حظها ، اذ تزف الى رجل بالأمس ليدعها اليوم .. ورات فى ذلك اهانة لها ، وفرارا منها ، وطلبت اليه ان يعيدها قبل ان يذهب الى اهلها ..

واضطرب كعب ، وزاغت منه الأبصار وراح قلبه من الاضطراب يدق دقا عنيفا كانها دقات الطبول ، فقد كان يحب امرأته كل الحب .

وقد كان كعب بن مالك شغوفا بامرأته تلك مأخوذا بهذه اللذة المنهومة التي لم يتذوقها الا بالأمس - وعز عليه أن يدعها تذهب كما أرادت الى حال سبيلها ، فقام بينه وبين شيطان الفتنة جدل كبير ، وللشيطان أسلوب رائع فى التماس المعاذير قال الشيطان فى صدره وهو يوسوس له . . ماذا عليك يا كعب لو تخلفت عن هذه الغزوة . . ؟ ألم تذهب مع النبي فى جميع غزواته السابقات . . ؟ ألست على استعداد للخروج معه فى المرات القادمات ؟ . اذن فلم العجلة ، وأنت تعلم أنك ستعوض فى الغد ما يفوتك اليوم . . ان المسلمين ألوف غيرك وألوف، وما أنت الا فرد واحد ، وان الدنيا لن تنهار اذا تخلف من المسلمين انسان محب . . هيا يا كعب . . عد الى هذا الاعرابي الذى جاء اليوم يطرق بابك ، فاعتذر اليه بمرضك ، وأعنه بدابة وسلاح ، ودعه يذهب وحده . وبعد قليل جاء الخادم يعلن أنه أعد الراحلتين ، وأنه أعد عليهما عدة القتال من ذخيرة وزاد . . وظل كعب صامتا لا يجيب، ففي صدره أتون يشتعل من الحيرة . . وحرب مستعرة الأوار بين الاقدام والاحجام ، بين شرف الجهاد ، وبين هذه المتعة التي تبذلها له امرأته الحسناء

وعاد الخادم يقول .. ايها السيد بماذا تجيب .. ؟

فتحرك كعب بوجه متجهم ، وسار مضطرب الخطى ، والشيطان من حوله فى كوكبة من أعوانه يزفونه حتى جاء الأعرابى ، فقال له كعب : أى صاح .. انما أنا مريض ، فلا تلمنى اذ أتخلف عنك .. اذهب ، فاعتذر بمرضى عند رسول الله .

وحملق طاهر الفتى اليعقوبي فى وجه صاحبه كعب ، ثم فاضت عيناه بالدموع ، اذ أدرك الصغير هذه الهوة من النار التي يوشك أن يتردى فيها

صاحبه .. لقد تخلف عن النبي ويا لذلك من ذنب عظيـــم !

وأطرق الأعرابي ، ولم يجب ، وذهـب يضرب فى الارض وحده يحث الخطا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونوره يسعى بين يديه ، وملائكة السماء تهلل من حوله وتكبر .

ونظر كعب بن مالك ، فرأى الفتى الصـغير يهرول عنه مسرعا الى الأعرابي ليلحق به فى طريق الجهـــاد .

فاغضى كعب خجلا وحياء ، وهـــو يغوص الى أذنيه فى عاره ، وخيل اليه أنه يسمع من بعيد ضحكات عريضة مجهولة لا يدرى مصــــدرها ، لأنها كانت ضحكات الشيطان .

***

مرت الأيام تباعا سراعا ، بعد أن خرج الرجال والفتيان الى الجهاد ، ولم يبق من الناس الا الغلمان والمرضى والعجزة والنساء . وهؤلاء جميعا يقضون بياض نهارهم وسواد ليلهم فى صلاة دائمـة ، ودعاء متصل لله سبحانه أن ينصر جنده، ويعلى بهم كلمته ، ليعيش الناس جميعا فى ظل الدين الحنيف الحياة السـعيدة الحقة ، فان السعادة سـعادة القلـوب والأرواح ، وأما الذين يعيشون من أجل لذاتهم وشهواتهم انما يمتعون أجســادا مصيرها حتما الى التراب ، ثم ينالهـم من ورائها عذاب غليظ .

وخرج كعب بن مالك لبعض حاجته ، فركبه مما رأى عار كبير ، اذ رأى القرى خالية من الرجال ، فلم يصادف فىطريقه الا المرضى والغلمان ، وكانالقوم اذ يرونه ينظرون اليهشذرافىازدراء متهامسين .. .. انظروا ، هذا رجل قـوى فيه مـن الصحة ما يكفى لمصارعة الفيلة ، ثم هو يرضى لنفسه أن يكون قاعدا متخلفا عـن رسول الله .. فيا للخزى العظيـم .. ويقبل عليه من يعرفه متسائلا : مـاذا دهاك يا كعب بن مالك ، انك يا رجل لـم تتخلف عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم مرة واحدة ، وانا لا نـرى بـك مرضا ، ولا نحس عليك بأسا ، فمـاذا أصابك أيها الرجل الرشيد .. ؟

ولا يجد كعب بن مالك ما يجيب به السائلين ، فهو لا يريد أن يكذبهم مرة أخرى بعد أن كذب على رسول الله ، فيستمر فى طريقه صامتا كأنه قطعة من حجر تتحرك فى الطريق ، يريد لو يتخذ فى الأرض سربا يلوذ به من سخرية الساخرين .

ومر فى طريقه ذات يوم بصبية يلعبون فقـال قائلهم : أيها الصغار لقد كنتم تبكون اذ أردتـم أن تخرجوا مع آباءكم وأجدادكم الى القتــال ، فردكم الرسول الكريم ردا كريما ، ودعا لـكم بالخير ، وانكم من تخلفكم لصغر سنكم لفى حزن عميق .. هيا انظروا هذا الذى ارتضى لنفسـه القعود عن فريضة يتنافس من أجلها الصالحون ، فاذا بالصبية لا يجدون له وقارا ..واذا بالاشقياء منهم يرمونه بالاحجار حتى يضطرونه الى جدار يلوذ به من أذى الصبية فتنقذه من بين يديهـم امرأة كانت تعبر الطريق .. ثم اجتمع الصبية حول المرأة يسألونها الدعاء ، ويقبلون يديهـا ، ويهشون لها ، ويبتسمون .. فقد علموا أنها فقدت زوجها ووحيدها فى غزوات سابقات ، فلا غـرو اذا أقبل الصبية حـــولها يستمعون لنصحها ، ويتركون كعب بن مالك فى ذلـــه وعاره يستأنف المسير .. فذهب يمشى ذليلا لم يغن عنه مالـه الكثير ، ولا جاهه العريض ، ولا صيته البعيد ، كان كعب من أكرم الناس حين كان من أتقاهـم ، أما وقد أهان نفسه ، فقد صارت على النـــاس أشد هوانا ، ولم تعد له من كرامة عندهم .

لقد رفعه الله مكانا عليا ، اذ اختار طريق الله وسبيل الرسول ، أما وقــد أخلد الى اللذات

والشهوات ، فقد انهارت منزلته . وها هو يحس بخزى لم يشعر به من قبل .. خزى يشمله من قمة رأسه الى أصابع قدميه ، وتصور الشيطان وهو يمشى معه يحف به من أمامه ومن خلفه ، ومن يمين ومن شمال ، يهزأ به ، ويسخر منه .

وفى سيره لم يعد يلقى بالا الى الطريق ، فهو ذاهل عن كل شيء ، حتى انحرف بالرغم منه الى حقل قام على حراسته كلب كبير ، فما راعه الا والكلب يهاجمه ، ويأخذ بتلابيبه ، فاستخلص نفسه منه بجهد جهيد ، وعاد يتفكر فى شأن هذا الكلب القائم على حراسة حقل سيده لا ينى عنه لحظة .. ويرى كعب بن مالك أن الله تعالى قد أقامه كما أقام غيره من المسلمين حارسا على دينه الحنيف ، ولكنه اذ رأى الكفار يريدون بهذا الدين شرا لم يخرج مع الخارجين ليدفع اذاهم ، لقد خان الأمانة بينما هو يرى هذا الكلب لا يخون أمانة صاحبه .. ان الكلب يغار على الحقل أكثر مما يغار هو على دينه ، فيا له من عار .

وعاد الى داره كئيبا حزينا ، واستقبلته امرأته الحسناء بوجه عبوس ، ثم أقبلت عليه تعاتبه .. أراك يا كعب نادما أو كالنادم على أننى قد قمت بينك وبين الخروج مع رسول الله ، وقد صددتك عن واجبك صدودا .. أجبني يا كعب ، أليس هذا ظنك وزعمك .. ؟

قال كعب : أجل أميمة .. انما يراودني هذا الخاطر وبودى لو كنت خرجت مع القوم ، واستجبت لنداء الله والرسول .. فازورت عنه قائلة : لقد بدا لي الآن ضعفك يا كعب ، واني لأشعر من ضعفك هذا بخزي عظيم .. انك قد أطعتني فى عصيان الله والرسول ، وما يسر المرأة أن يكون رجلها خوار العزيمة ، ينزل عند كل رغبة من رغباتها .. أجل يا كعب ان المرأة قد ترضى بهذا قليلا ، ولكنها تحزن حين تستبين حقائق الأمور ، وترى أن رجلها لم يميز الخبيث من الطيب ، ولم يفرق بين الحق والباطل ، ولم يدرك النافع من الضار ، ان المرأة لا تريد من الرجال الا ذوى البصائر بعواقب الأمور ، فاذا أرادات أن تثنى زوجها عن أمر عظيم قال بكل قوته : لا ثم ذهب يقنعها بالحجة والبرهان .. ان بعض النساء يا كعب كالطفل الصغير ، فالطفل قد يمد أصبعه الى النار وهو لا يدرك خطر ذلك ، بل يظنها لهوا ومسلاة ، فنحن نرده عن ذلك ردا حكيما ، لا نلقى بالا الى صراخه وشكاته ، انما أزلك الشيطان ، فلا تلم يا كعب الا نفسك واعلم أنك بضعفك هذا قد جنيت على دينك وعلى نفسك وعلى رجولتك ، وأضعت ثقتي فيك ، فان من يفرط فى حق الله لحقيق بعد حين أن يفرط فى حق امرأته ، انني أشعر من عملك هذا وتخلفك ذاك بعار كبير .

ونظر كعب فاذا كل شيء يولى عنه ويدبر .. الناس يهجرونه ، والصبية فى الطرقات يحصبونه ، وهو يسخر من نفسه ، وهذه أميمة الجميلة الحسناء التي نزل عند رأيها تضمر له الازدراء .. ومرت على ذلك ايام وايام ، وعاد الرسول ومن خرج معه من غزوتهم تلك .. منهم من استشهد فنال أجر الشهداء فى جنات عرضها السموات والارض ، ومنهم من عاد من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر . جهاد النفس ضد شهواتها .

***

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بالمسلمين فى مسجده شكرا لله سبحانه اذ نصر عبده ، وأعز جنده ، حين جاء المنافقون صفوفا صفوفا ممن تخلفوا عن النبي يقدمون أعذارا كذابا، ومن عادة هؤلاء أن يجتمعوا كالذباب حول كل صاحب رسالة أو دعوة أو جاه يوالونه فى أوقات السلم والدعة ، ويحيطون به الليل والنهار ما أشرقت له شمس الدنيا ، فاذا بدأت الأحوال تتبدل فان لهم حاسة يتشممون بها ريح الشدائد المقبلة ، فيتخففون من ملازمتهم له ، ويتجنبونه هونا ما ، حتى اذا حلت الشدائد ، وابرقت الأزمات ، اختفوا من الطريق تماما كأنما انشقت الارض فابتلعتهم ، وظلوا فى جحورهم يرقبون الظروف ، فاذا عادت رخاء كما كانت ، برزوا من مكانهم وعادوا سيرتهم الأولى من التملق والاعتذار، وانهم لفلاسفة كبار فى التماس الاعذار ، يبررون بها تخلفهم ويأسفون أشد الاسف لتلك الصعاب الشداد التي أقعدتهم ، ثم يجددون العهود ، ويؤكدونها بأغلظ الايمان على صدقهم وصفاء



نفوسهم ، هؤلاء هم الذين قد تعجبك أقوالهم فى الحياة الدنيا ، ويشهدون الله على ما فى قلوبهم ، والله يعلم انهم لك من الد الخصام .. وان كعب بن مالك ليرى جموعا منهم فى الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه ليعلم أنهم يعتذرون بين يدى النبي باعذار مفتعلة كذاب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم على علم بامرهم ، ولكنه كان يتقبل أعذارهم الظاهرة ، ويكل أمرهم الى الله .. وقد جاء أحدهم الى كعب بن مالك يقول : خير لك يا كعب حين تقف بين يدى الرسول أن تدعى المرض ، وان تقسم على ذلك ، وان تتخذني على هذا اذا اردت شهيدا ، كي تفوز بعفو الرسول ، وكي يستغفر لك الله .. فنظر اليه كعب ، واغضى الى الارض دون أن يجيب حتى اذا كان بين يدى الرسول ابتسم له النبي صلى الله عليه وسلم ، وقربه اليه وسأله عما أقعده ، فارتعش كعب بن مالك ، واضطربت أوصاله ، حتى لكأنه ريشة تضربها الرياح الهوج ، واشتد وجيب قلبه ، وارتفعت ضرباته ، واكتسى وجهه اصفرارا ، وأغضى حياء ، ثم تكلم بصوت خافت هامس مرتجف كأنما يتكلم من جوف بئر سحيق ، قال : **والله يا رسول الله حين دعوتني للجهاد لم يكن أحد أشد مني قوة ، ولا أهدأ بالا ولا أكثر مالا ، ولم يكن بي من بأس قريب أو بعيد ، وانما هي نرغة من نزغات الشيطان ، واني لأرى أني قد أتيت منكرا من الفعل ، ولن يخفف عني عذاب النفس وألم الضمير الا أن تأخذني يا رسول الله بعقاب شديد، وأن تجعلني درسا من بعدى لكل من تحدثه نفسه بالجبن والقعود .**

وغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبان فى وجهه الغضب ، اذ علم أن تخلف كعب بن مالك لم يكن لعذر قاهر ، ثم أشاح عنه ، ونظر المسلمون الى كعب نظرتهم الى رجل قد أغضب اللهورسوله، ولقيه من المنافقين قوم قالوا له يا كعب ألم نقل لك التمس عند رسول الله عذرا غير ذلك كما فعلنا ، فاعرض عنهم ، وذهب فى طريقه كئيبا حزينا يردد : والله ما كان لي أن أكذب على رسول الله مرتين .

وتهامس الناس جميعا بغضب النبي على كعب ابن مالك وعلى اثنين آخرين اعترفا مثله بذنبهما ، فكان القوم اذ يرون كعبا من بعيد يظنونه انسانا آخر ، فاذا تبينوه أعرضوا عنه ، واجتنبوه ، ورمقوه بنظرات الازدراء والتحقير ، اما الصبية ، فكانوا يسيرون خلفه يسخرون منه ، ويضحكون وما ان وصل داره فى يومه ذاك وقد ولى النهار حتى لقيته امرأته الجميلة الحسناء التي كانت سبب تخلفه وبلائه ، وقد سبقته اليها الشائعات تردد غضب رسول الله من بعلها ، فأشاحت عنه ، وقد تهيأت للانصراف قائلة : انك رجل قد باء بغضب من الله ورسوله ، وما كان لي كامرأة مسلمة ان أقيم مع رجل هذا شانه ، انني منصرفة الى أهلي ، وجاء خدمه وأتباعه يتقدمون اليه واحدا بعد واحد يعتذرون عن البقاء الى جوار رجل غضب عليه الله والرسول .. وقام كعب بن مالك فى وحدته يصلى ، ودموعه تسيل على وجنتيه من الندم انهارا ، ومرت الأيام بغيضة ثقيلة ينوء بحملها كأنها أحجار ثقال تنحط فوق كاهله حتى وقع بعد أيام فريسة المرض والحمى ، فارسل فى طلب الطبيب ، فاعتذر اكثر من طبيب عن مداوة رجل أغضب الله والرسول ... وهجره أهله وجيرانه ، وفر منه أقرب الناس رحما اليه ، فلم يعد له من سبيل الى البقاء فى داره ، فاعتزم بيعها والرحيل عنها الى مكان بعيد يجتر احزانه ويتغذى بهمومه .. ويتفرغ للتوبة والندم حتى يأتى أمر الله .

ولكن أحدا لم يرض أن يشترى دار رجل عاص ، ولا أن يتعامل معه ، ولا أن يبيعه شيئا مما يباع ، ومرت أيام وأيام ، وجاء قوم من اليهود يطرقون بابه قائلين: يا كعب بن مالك ، ان قومك ليذيقونك العذاب ألوانا فانت تلقى منهم التحقير صنوفا ، وانك مع هذا لصاحب فضل عليهم ، وصاحب جاه فيهم ولقد تنكر محمد وأصحابه لك ، وانك اذا انضممت

الينا ، فسنجعل منك سيدا ، وسنقيمك زعيما علينا ، وسيكون لك الأمر وعلينا الطاعة ، واذا قام محمد فى وجهك حاربناه حتى ننصرك عليه .. فاقبل يا كعب رجاءنا ، فان الدنيا قد جاءت اليك تسعى، فمد لها يدا لتنال من السعادة ألوانا ، فاربد وجه كعب بن مالك ، وقد رأى الهوان يمعن به اسفافا حتى أصبح موضع مساومة أعداء الله ، وادرك أن الشيطان ما زال يحيك حوله الشباك فطردهم من داره واغلق عليه بابه ، وقضى ليله محموما يبكى حتى اذا جاء الصباح كان مالك قد اعتزم امرا جديدا ، فتخلى عن كل شيء ، وترك كل ماله ، وخرج يهيم على وجهه حتى آوى الى كهف فى الجبل يجتر احزانه .

وامتدت به الايام فى هذا الظلام الكثيف ، وذاب جسده كما تذوب الشمعة من النار ، وشحب لونه ،وزاغت عيناه ، ولم يقو على عناء السهر المتصل، فأخلد ساعات الى النعاس المضطرب ، فلاحقته الأحلام المخيفة ، لتواصل عذابه فى النوم ، فهو يرى الحيات تطارده ، وهو يفر منها فوق رؤوس الجبال يصرخ صراخا عاليا ، ويرده الصراخ الى اليقظة التي ينهشه فيها ضميره حتى ابيضت عيناه من الحزن ، واضطرب عقله من الهم ، وشفت نفسه من الاستغفار والندم ، وتطهر قلبه بالتوبة الصادقة النصوح ، وانه ليصلى الفجر ذات صباح اذ يسمع صوتا هادئا خافتا يهمس باسمه .. يا كعب بن مالك .. يا كعب بن مالك .. فيجفل،ويرسل اذنيه مع الريح يتسمع هذا النداء ، وقد ظنه من صنع الشيطان ، فقد كان اللعين يوسوس له احيانا وينصحه بالانتحار خلاصا من هذا العذاب ، يريد ان يهلكه بهذا الاثم الكبير ، فيستعيذ بالله من الشيطان ، ولكن الصوت الخافت لا ينتهى وانما يزداد قوة ووضوحا .

بل ان النداء ليقترن بكلمة اخرى حبيبة الى نفسه يتمناها ، ولو دفع ثمنها حياته .. انه يسمع قائلا يردد .. أبشر أبشر يا كعب .. أبشر .. أبشر .. وينهض مسرعا يندفع الى باب الكهف ينظر فى لهفة يمينا ويسارا ، فيسمع النداء بالبشرى يشتد ويرى شبحا حبيبا مقبلا نحوه .. لقد كانت امه العجوز هي التي اسرعت مهرولة تريد ان تسابق الريح ، فتقع على احجار الجبل ، ولكن الفرحة تدفعها ، فتنهض مبهورة الانفاس ، لتستأنف السير كي تزف البشرى الى ولدها الحبيب وتقدمت اليه باسطة ذراعيها تمسح بوجهه الناحل المريض دمعها الغزير الهتون ، ومن خلفها قوم من صحابه جاءوا الى الجبل أفواجا يزفون اليه بشرى قبول توبته والعفو عنه ، وأن الله تعالى قد أنزل فيه ، وفى هلال بن أمية ومرارة بن الربيع قرآنا خالدا ما دامت السموات والارض ... (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) .

تلك قصة رجل عرف كيف يدفع الشيطان عن نفسه ويعود الى طريق الله.

الفتاوي

« يرحب هذا الباب بأسئلة السادة المستفتين ويرد عليها هنا أو فى ردود خاصة اذا احتاج الامر لذلك »

العقيقة

السؤال :

لي أربعة أولاد ، لم أعق عن واحد منهم ، وأريد أن أعرف العقيقة وحكمها ، وهل يجب علي أن أعق عنهم بعد ما كبروا واذا لم أفعل فهل يخشى عليهم من ذلك .

الاجابة :

العقيقة هي الذبيحة التى يتقرب بها أهل المولود بمناسبة ولادته الى الله عزل وجل ، شكرا له على هذه النعمة الكبرى التي أنعم بها عليهم ، واعلانا للناس بهذا النبأ السعيد ، وتعبيرا عن الفرحة التى غمرت قلوب الابوين والاقارب والمحبين .

والدليل على مشروعيتها قول الرسول صلى الله عليه وسلم « كل غلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ، ويماط عنه الاذى » .. وجمهور الائمة رضوان الله عليهم يرون أن العقيقة سنة ، وليست بفرض ، وذهب الامام أحمد وأبو حنيفة الى أنها ليست فرضا ولا سنة ، ولكنها تطوع ومباحة .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن العقيقة : « لا أحب العقوق ومن ولد له ولد ، فأحب أن ينسك عن ولده فليفعل » .

ولقد كانت هذه العادة موجودة فى الجاهلية ، فاستحسنها الاسلام ، وأدخل عليها شيئا من التعديل وكان يلطخ بدمها رأس الطفل ، فعمد الاسلام الى عمل أدعى الى النظافة وأرفق بالمساكين .. فسن حلق شعر الطفل يوم السابع والتصدق بزنته فضة ، عن أبي بريدة قال : كنا فى الجاهلية اذا ولد لاحدنا غلام ذبح شاة ولطخ رأسه بدمها ، فلما جاء الاسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطخه بزعفران . وروى الامام مالك فى الموطأ أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقت شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ، وتصدقت بزنة ذلك فضة .

والصحيح أنه يعق عن الذكر والانثى ، ويتأدى أصل السنة عن الغلام بشاة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين كبشاً كبشا . ولا يجوز للولي ان يعق من مال اليتيم لان العقيقة تبرع وهو ممنوع من مال الصغير . ووقت ذبحها هو وقت الاضحية ، وهو ضحى اليوم السابع من الولادة . ويجزىء فيها ما يجزىء فى الاضحية شاة على أن تكون خالية من العيوب (يهدى منها الثلث الى الاقارب والمحبين ويتصدق بالثلث على الفقراء والمساكين والثلث الباقي لاهل المولود) . ويسن طبخها فى بعض المذاهب كسائر الولائم بخلاف الاضحية لما روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنه السنة .

واذا عرفنا ذلك تبين لنا أن العقيقة سنة للقادر عليها ، ومحددة باليوم السابع من ولادة الطفل.. واذا كان الوقت قد فات فلا موجب لفعلها ، وتبين كذلك أنها قربة الى الله ، وأن تركها لا يضر صاحبها بشيء ما فى نفسه أو بدنه .

الشغار

السؤال :

هل يجوز لأحد أن يزوج ابنته أو اخته لآخر على أن يزوجه ابنته أو اخته. وليس بينهما صداق ؟

الاجابة :

هذه المسألة تسمى بنكاح الشغار .. وهو منهي عنه ،ولا يجوز باجماع العلماء ، فقد صح النهي عنه بأحاديث كثيرة . منها ما روى فى صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

« لا شغار فى الاسلام » وفى حديث ابن عمر ، الشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس فيهما صداق .

وفى حديث معاوية - رضي الله عنه - أن العباس بن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - زوج عبد الرحمن بن الحكم ابنته ، وزوجه عبد الرحمن ابنته . فكتب معاوية الى مروان يأمره بالتفريق بينهما ، وقال « هذا الشغار الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وجمهور الائمة يرى أن هذا الزواج باطل ، لأن الأصل فى النساء التحريم الا ما أحله الله بشروطه ، أما الأحناف فذهبوا الى صحة العقد ولكن يجب لكل واحدة منهما مهر المثل .. والسبب فى النهي جعل كل واحد من العقدين شرطا فى الآخر وجعل كل واحدة منهما مهرا للاخرى ، فلا يرجع المهر اليها بل يعود الى وليها . وهذا ظلم لكل واحدة من المرأتين ، واخلاء لزواجها عن مهر تنتفع به .. وهذا كله اذا لم يكن لكل منهما صداق ، وكانت كل واحدة منهما مهرا للاخرى . أما اذا سمى لكل منهما مهر فلا شيء فى هذا الزواج . وبهذا تظهر حكمة النهي .

من يملك الصداق

السؤال :

هل يجوز للأب ان يأخذ صداق ابنته كله أو بعضه لنفسه دون أن يعطيها اياه ؟

الاجابة :

ان صداق المرأة ملك لها وحدها ، وليس لأحد حق فيه . ولها الحق فى أن تتصرف فيه كيف تشاء بحكم أن الشرع أباح لها حرية التملك والتصرف . فاذا رأت أن تسهم به أو ببعضه فى تأثيث بيت الزوجية كان اسهاما مشكورا ، وليس واجبا عليها الا على رأى الامام مالك .

واذا كان بعض الآباء يعلل أخذ صداق ابنته بأن ذلك فى مقابل تربيتها فالواقع أن هذا التعليل لا سند له .. وتربية الأولاد سواء اكانوا ذكورا أم أناثا أمر تفرضه الشريعة على الآباء وتحتمه الطبيعة وتوجبه الفريزة والعاطفة . والا فأى مقابل لتربية الذكور ؟ ولماذا نريد أن نأخذ أجرا فى تربية البنت دون الابن ؟ بل المعروف الآن ان الأب هو الذى يدفع لابنه صداق خطيبته من جيبه وبطيب خاطر .

فالصداق حق للمرأة وعطية ، ولا يجوز لأحد من الأولياء أو الأزواج أخذه أو أخذ شيء منه الا برضاها والا اذا طابت نفسها بذلك ، والله تبارك وتعالى يقول (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئا) قال بعض المفسرين وهذا الخطاب يجوز أن يكون للآباء ويجوز أن يكون للأزواج ويجوز أن يكون للمسلمين عموما .

من المسئول ؟

ورد الى المجلة سؤال من السيد / عبد الله الوحيدى بالهفوف بالسعودية يقول فيه :

ان لباس المرأة القصير مخالف للشرع فمن المسئول عن ذلك وهل يطلق الرجل زوجته اذا نصحها ولم تمتثل مع العلم بأن لها أولادا منه ؟

الاجابة :

الجانب الاكبر من الاثم يقع على المرأة المخالفة باعتبارها مكلفة ، ولا شك أن الرجل بسكوته على هذه المخالفة يصبح شريكا للمرأة فى الاثم ومن الواجب عليه أن يتخذ كل الوسائل الممكنة لارجاعها الى حكم الشريعة من نصح وزجر .. الخ ..

ولم تطلب الشريعة من الزوج أن يطلق زوجته لانها وقعت فى معصية السفور .. بل تأمره أن يأخذها بالرفق والاقناع بأن رضا الله خير وأولى من رضا الناس ومسايرتهم فى المعاصي ولا سيما اذا كان له منها أولاد فان الطلاق فى هذه الحالة يترتب عليه من المضار لهما وللاولاد والمجتمع اكثر مما يترتب على الملابس القصيرة ومن القواعد العامة فى الشريعة أن الضرر لا يزال بالضرر .

على أن هذه المسئولية الفردية على الزوج لا تخلى الحاكم المسلم من مسئوليته تجاه أوامر الشريعة لان المفروض فى الحاكم أن يرعى حدود الله وتعاليمه ويعمل على تنفيذها فى رعيته ، كما يعمل على تنفيذ القوانين التي تسنها الدولة . فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .. والامام راع ومسئول عن رعيته ..



بريد « الوعي الاسلامي » زاخر بشتي المقالات والبحوث ،والدراسات التي تقاطرت على المجلة من كافة أنحاء العالم الاسلامي .

وانها لبادرة طيبة ، أكدت المعنى الاسلامي العميق الذى يوحد قلوب المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها .

ويسرنا ان نستعرض مع الاخوة القراء ، مقتطفات من بعض الرسائل التي وردت الى المجلة ... ونعتذر للسادة الذين لم نستطع فى هذا المجال الضيق تقديم رسائلهم معربين لهم عن بالغ شكرنا وتقديرنا وأملنا كبير فى أن تكون « الوعي الاسلامي » عند حسن ظن الجميع بها

بعث السيد الحاج عبد الحميد نعمان سفير الجمهورية العراقية بالكويت برسالة رقيقة نشكره على تمنياته الطيبة ونرجو أن نكون عند حسن ظنه ، قال سيادته :

« تلقيت بمزيد الشكر هديتكم الثمينة مجلة الوعي الاسلامي ، قرأتها بامعان ، فوجدتها طافحة بالبحوث المفيدة والتوجيهات الصافية السليمة بأسلوب أدبى رائع فأهنئكم ... داعيا الله تبارك وتعالى أن يأخذ بأيديكم الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين وأمتنا العربية المجيدة » .

يقول الاستاذ احمد ابو القاسم ابو فارس بالجامعة الاسلامية بليبيا بمناسبة صدور مجلة الوعي الاسلامي .

« انها انطلاقة كبرى فى محيط الثقافة الاسلامية والبلاغة القرآنية ونشر الدعوة الاسلامية وصورة رائعة فى مجال الأدب والحكمة ، ونور ساطع ينير ويقضي على كل انحراف ويقوم كل اعوجاج ، فالى الامام وسيروا على بركة الله » .

يقول الاستاذ الكبير السيد محمد كلانتر عميد جامعة النجف الدينية : ـ

« لا شك أن نشر الوعي الاسلامي والتوجيه الديني الصحيح هو خير أداة لتهذيب السلوك الفردى والجماعى ، وقلع جذور الفساد من المجتمع .

والخطوة المباركة التى تقوم بها ادارة الدعوة والارشاد بوزارة الاوقاف الجليلة فى دولة الكويت تبعث على كثير من السرور والامل .

ونأمل من الهيئة المشرفة على المجلة . أن تحاول دائما أن يكون سير المجلة توجيها اسلاميا خالصا ، وتجند امكانياتها الفكرية لمواجهة الدعوات غير الاسلامية والفئات التى تحاول ان تقضي على أصول العقيدة والفكر الاسلامي ....

وستحاول « جامعة النجف الدينية » أن تقوم بنصيبها فى هذا المجال ... ونكرر الدعاء لكم بالتوفيق والسداد .. والسلام عليكم » .

ويقول الاستاذ الفاضل البهي الخولي مراقب عام الدعوة والارشاد سابقا بوزارة الاوقاف المصرية : ـ

« انه مما يسر كل مسلم أن يظهر فى كل أفق اسلامي ضـوء من كتاب الله ينير السـبيل ، ويحيي القلب ، ويقدم للنفوس زادها الحق من المعرفة والعبرة .. لـذا سرني أن تصدر وزارة الأوقاف بالكويت مجلة اسلامية فى البلد الكريم ، تذكر بالحق وتدعو اليه ..

وأسـأل الله تعالى أن يؤيد جهودكم فى اعلاء كلمته . وأن يوفق قـادة الكويت العزيز الى ما فيه نفع العروبة والاسلام فى الكويت وخارجه . والسلام عليكم » .

ومن رسـالة بعث بها الدكتور محمد عبد الله العربي عميد معهد الدراسـات الاسلامية بالقاهرة يقول فيها : ـ

« اني ليسعدني أن تصدر وزارة الأوقاف بدولة الكويت مجلة اسلامية شهرية تعنى بشؤون الثقافة الاسلامية فى شتى نواحيها على مسـتوى أصيل ورفيع . فان عالمنا الاسلامي فى حاجة ماسة الى مزيد من أدوات الاعلام فى نطاق الهداية الاسلامية .

بل ان عالمنا المعاصر ـ الذى يضـطرب بين مذاهب وضـعية تنكرت للهـداية الالهية ـ فى أشد الحاجة الى ابراز التعاليم الاسلامية لتنقذه من الهاوية التي ينحدر اليها ، ولتقوده الى شاطىء الأمن والسلام ، ثم لتنقذ أبناءنا من الغزو الثقافي الدخيل .

واني ليسعدني أن اسهم فى تزويد مجلتكم ببحوث شهرية فى هذا المجال ، كما اني على استعداد لتلبية ما يعن لكم من اقتراحات فيه » .

وفى رسالة بعث بها الاستاذ عبد الله زكريا الأنصارى الملحق الثقافي بسـفارة الكويت بالقاهرة يقول : ـ

« لا شك أن توجيها ثقافيا اسلاميا ، سليما من البدع التي كثيرا مـا يختبىء وراءها دعـاة الاصلاح لتضليل الناس والهائهم عن الأغراض الشخصية الخبيثة التي يرمون اليهـا ، لا شـك أن توجيها من هذا النوع سيساعد على توعية الناس فى الكويت بحيث تتميز الخبيث من الطيب ، لا سيما فى هذا البلد الذى أخذت فيه المـادة تطغى بشكل مخيف » .

ويقول الاستاذ محمد أحمد بمدرسة الرازى بالكويت : ـ

« لا شك أن اصدار مجلة دينية شهرية ثقافية لهو حدث يدعو للاعتزاز والفخر ، خاصة ونحن فى ظرف اكثر ما نحتاج فيه الى ثقافة دينية أصيلة تقف صامدة لمواجهة تيارات الالحاد والاباحية والكفر ، هذه التيارات التي تريد أن تعصف بالاسلام . ولكن الاسلام نور لن تطفئه قوى الظلام مجتمعة » .

ويقول الاستاذ محمد علي ضناوى فى رسالة بعث بها من طرابلس ـ لبنان : ـ

« فقد سرني اصدار مجلة اسلامية تهتم بقضايا الفكر على مستوى رفيع وأصيل . والحقيقة أن العرب والمسلمين فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخهم ، بأمس الحاجة الى عمل فكري كهذا العمل يخدم قضاياهم فى الاهتداء الى ما اختلف فيه الحق . ولعل ابرز ما فى العمل أنه يصدر عن مصدر رسمي فى دولة الكويت العربية ، وانها لسنة حسنة نرجو أن تتبعها بقية الوزارات فى العالمين العربي والاسلامي .

وانني اذ اقدر هذه الخطوة المباركة ، أدعو الله العلي القدير أن يوفقكم فى اصدارها ، ويؤتي ثمارها ، ويجعلها منارة هدى وارشاد ، ويبارك لكم فى جهودكم ويجزيكم عن دينه خير الثواب » .

من أخبار العالم الإسلامي

* أصدر الدكتور حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد بالجمهورية العربية المتحدة قرارا يحظر فيه حظرا تاما أن يتضمن أى عمل فني فى المسرح أو السينما أو التلفزيون أو الاذاعة تناول رجال الدين أو اظهارهم فى صورة غير لائقة أو عـرض الشعائر الدينية على نحو لا يتوفر فيـه الاحترام .

ـ شكرا .

* تم ترجمة بعض كتب الاستاذ سيد قطب الى اللغة التركية مثل كتاب(هذا الدين) وكتاب (العدالة الاجتماعية) كما ترجمت بعض مؤلفات الأستاذ ابى الأعلى المودودي مثل كتاب « نظام الحياة فى الاسلام » وكتاب « الدين الحق » ، و « الربا » ، و «الحجاب» ، و « تفسير سورة النور » بالاضافة الى ترجمة كتاب « شبهات حول الاسلام » للاستاذ محمد قطب ، و « الاسلام دين ودولة » للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي ، وكتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للاستاذ ابى الحسن النـدى .

ـ وعي اسـلامي مشـكور نرجو له الاطـراد والازدهـار ..

* تتخذ وزارة التربية فى الكويت العدة لانشاء تفتيش خاص بالدين فى مدارسها زيادة فى العناية بدراسته .

ـ اتجاه أصيل نرجو أن يتم فى أول السنة الدراسية القادمة .

* تبرعت دولة الكويت بمبلغ ٢٠ ألف دينار لبناء مركز اسلامي فى مدينة « مانيلا » عاصمـة الفيلبين .

* أسرة الصحافة فى الكويت استقبلت فى أوائل شهر صفر مجلة أسبوعية سياسية هي مجلـة « السياسة » ولقد لفت نظرنا اليها ما جاء فى افتتاحية العدد الأول منها « ان منطق هـذه الجريدةفىرسالتها التوجيهية والاعلامية والتثقيفية يرتكز أول ما يرتكز على قاعدة فكرية واضحة نحدد على ضوئها حملتنا فى نشر الوعي الثقافي وعيـا كاملا على كل شأن من شؤون الحياة .. أما هذه القاعدة الفكرية فقد قالت المجلة عنها بعد ذلك « أنها الأسلام الذي أراده الله دينا للبشرية جمعاء وسيرتفع صوتنا مدويا لا تحرر ولا انطلاق بدون قيادة فكرية متميزة أساسها الاسلام » .

ـ هذا اتجاه جديد فى المجـلات السياسيـة ولكنه أصيل يجب أن تتخذه مجلاتنا وصحفنـا دائما دستورا لها فى كل ما تكتب .. واننا نرجو للسياسة النمـو والانتشار كمـا نرجو لهـا ان تستمسك دائما بهذا الدستور . وتكون مثلا ناجحا لما نرجوه لصحافتنا ..

* تأسست فى الرياض مؤسسة للدعوة يديرها الأستاذ عبد العزيز بن عبد المنعم وقد أصدرت المؤسسة أول العام الهجري جريدة « الدعـوة » تحمل رسـالة الاسـلام مبسطة نقية الى الناس ويرأس تحريرها الأستاذ عبد الله بن ادريس .

مرحبا بزميلة الجهاد فى سبيل الاسلام مـع تمنيات التوفيق .

* زار الكويت فى الشهر الماضي السيد ابراهيم نياس الزعيم المسلم النيجيري الذي أسلم وأسلم معه حوالي ١٢ ألفا مـن أتباعه وكان مـن كبار القسـس فى شرق نيجيريا وهـو يطـوف البـلاد الاسلامية لفرض المساعدة فى بناء مسجد ومدرسة ومستشفى للمسلمين هناك .

* زارت الكويت أيضا الزعيمة المسلمة السيدة سانجداوسيا التى ترعىالحركة النسائيةالاسلامية فى تايلاند .. وقد اعتنقت الاسلام بعد دراسته وهي تطوف البلاد الاسلامية لجمع معونات تساعدها

على اتمام مشروعاتها الاسلامية هناك وتبرعت لها الحكومة بستين ألف دولار كما تبرع الشعب بعشرين ألفا ..

* مع الأسف حجزت حكومة سوريا العدد الآول من مجلة « الوعي الاسلامي » فى المطار ولم تفرج عنه حتى آخر الشهر . ولذا اضطررنا لعدم ارسال العدد الثاني الى سوريا فنعتذر للقراء والكتاب الذين كتبوا الينا من سوريا يسألون ، وفى الوقت نفسه طلبت أقطار عربية متعددة مضاعفة الكميات التي ترسل لها فاستجبنا لها ، ونفدت فى القاهرة بعد ساعتين من نزولها كما وافانا مراسلنا هناك وشركة التوزيع .

* كون مؤتمر علماء المسلمين الذي انعقد فى القاهرة خمس لجان .

لجنة التشريع الاسلامي وقد عهد اليها دراسة المعاملات الحديثة ، وتقنين الفقه الاسلامي وبحث مشكلات الطلاق والزواج ، وتنظيم الاسرة ورعايتها فى ظل الاسلام .

لجنة البحوث الاسلامية ، وقد عهد اليها دراسة المشكلات المذهبية ، والتطورات الحديثة فى حياة المجتمع الاسلامي ، ومشاكل التأمين والمعاملات المصرفية ونظام البنوك والادخار .

لجنة نشر الدعوة الاسلامية ، وقد عهد اليها التخطيط للدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج ، وبحث موضوع انشاء المراكز والمؤسسات الاسلامية فى الخارج ، واعداد دعاة للاسلام فى مختلف بلدان العالم ، وتنشئة الشباب على أساس العقيدة الاسلامية .

لجنة احياء التراث الاسلامي وقد عهد اليها دراسة الوسائل التي يتم بها عرض الاسلام فى مجالات الثقافات العالمية .

لجنة تنظيم العلاقات الاسلامية ، وستحدد وسائل الاتصال بالعالم الاسلامي ودعم الروابط التي يجب أن تقوم بين المسلمين فى جميع انحاء العالم .

● ذكرت جريدة الاوبزرفر أن مجلس الفاتيكان قرر وضع مشروع تبرئة اليهود من دم المسيح على الرف فى جلسته الختامية التي ستنعقد فى سبتمبر القادم وقيل أن سبب ذلك هو حرص الفاتيكان على علاقاته الودية مع الدول العربية .

● أقامة سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير اوقاف الكويت حفل غداء للسيد احمد توفيق المدني وزير اوقاف الجزائر الذى يطوف البلاد العربية للوساطة فى حل مشكلة اليمن دعا اليه بعض كبار المسئولين والمعنيين بالشئون الاسلامية .

* قرر مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بشأن المعاملات المصرفية ان الفائدة بكل أنواعها محرمة كما قرر ان تعدد الزوجات والطلاق مباح دون حاجة الى اذن القاضى وانه لا يصح وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل ودعا الى الاهتمام بتربية الشباب تربية دينية واشاعة الايمان والخير فى قلوبهم وجعل التربية الدينية جزءا أساسيا من مناهج التعليم فى جميع معاهد المعلمين والمعلمات وأعلن ان الدفاع عن فلسطين فرض على كل مسلم .

* زار الكويت فى الفترة الأخيرة الاستاذ عيسى عبده ابراهيم أستاذ الاقتصاد بجامعة عين شمس بالقاهرة وذلك بدعوة من جمعية الاصلاح الاجتماعي وقد ألقى الدكتور ثلاث محاضرات .

١ ـ الاولى بدعوة من جمعية الاصلاح الاجتماعي وموضوعها « الزكاة وأثرها فى النشاط الاقتصادى » وذلك بقاعة ثانوية كيفان .

٢ ـ الثانية بدعوة من وزارة الاوقاف وموضوعها « الاسلام والمعاملات الحديثة » وذلك بقاعة دار الثقافة والتوجيه بالشامية .

٣ ـ الثالثة بدعوة من الجمعية الطبية الكويتية وموضوعها « اصول الاقتصاد من القرآن الكريم » وذلك بنادى الجمعية الطبية بالصليبخات .

وقد أقبل الجمهور عليها اقبالا منقطع النظير لغزارة مادتها وحسن عرضها .

* وافق مجلس الامة الكويتي على المشروع المقدم من النائبين المحترمين حمد المشارى وراشد الفرحان الذى يقضي بأن تقوم وزارة الاوقاف بنشر الدعوة الاسلامية فى العالم وخاصة فى افريقيا لمقاومة الافكار المستوردة والنشاط التبشيرى الاستعمارى والصهيونية العالمية .

كما وافق المجلس على احتضان مشروع الموسوعة الفقهية الاسلامية .

وقد تضمن الرد على الخطاب الاميرى هذه الموافقة .

ـ شكرا ، والله يسدد خطى العاملين .

بقية : اعرف وطنك نيجيريا

.. كانت غايتها محاربة الاسلام أولا .. واستغلال البلاد بجميع مواردها وطاقاتها ثانيا ..

واستعانوا على ذلك بمختلف الوسائل .. فحاربوا الاسلام واللغة العربية ، وفرضوا القيود والغرامات على تدريس القرآن الكريم .

بدأ الأوربيون يدخلون افريقيا لشراء الرقيق ، ليحلوا محل الهنود الحمر فى امريكا .. فأخذوا يشترون اولئك العبيد بأرخص الأثمان ، ويسترقونهم بأبشع الطرق ، وينقلونهم بأخس الأساليب ، ويعاملونهم بأبشع الصور .

وحين شعرت بريطانيا بمزاحمة المصانع الامريكية لها ، والتي تديرها الأيدى العاملة الزنجية الرخيصة ، بدأت حملة باسم الانسانية لتحريم الرق .. وعلى الرغم من القوانين النظرية فى هذا الصدد الا أن نظرة الاوربي الى سكان افريقيا لم تتغير وهي نظرة السادة الى العبيد ، وقد جاء ذلك فى اقوال مصلحيهم امثال (مونتسيكيو) رائد الفكر الغربي ، فيقول فى كتابه (روح القوانين) .

« ان لنا حقا مكتسبا فى أخذ الزنوج خدما وعبيدا .. فما هذه الشعوب الا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس الى اخمص القدم ، ولا يمكن أن نتصور أن الله وهو ذو الحكمة يضع روحا طيبة فى مثل هذا الجسم الاسود » ..

وهكذا دخل الاستعمار الى افريقيا .. وبدأ بالتوسع والانتشار والتعرف بشؤون البلاد ، وجاء الانجليز الى نيجيريا منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت البلاد فى تلك الفترة قسمين :

الجنوب والشمال . ففرق ليسود .. ولكن الوعي العام تنبه أخيرا الى خطر الاستعمار الذى سام ابناء البلاد سوء العذاب ، فناضل وكافح حتى كتب له الاستقلال ، وتكونت بذلك الجمهورية النيجيرية الاتحادية ، وهي تتكون الآن من اربعة اقاليم .

١ ـ نيجيريا الغربية ، وسكانها ٨ ملايين ، خمسة ملايين منهم مسلمون .

٢ ـ نيجيريا الشرقية ، وسكانها ١٢ مليونا ، ونصف ، مليونان منهم مسلمون .

٣ ـ الشمالية وسكانها ٢٩ مليون نسمة ، ونسبة المسلمين فيهم ٩٨٪ .

٤ ـ لاغوس .. وفيها عاصمةالدولة الاتحادية .

التحرير والنضال

ان اهم احزاب نيجيريا هو حزب هيئة الشمال .. ورئيس **هذا** الحزب هو الحاج احمد بيللو رئيس وزراء الشمال ، وقد **رفض هذا الزعيم المسلم أن ينحني لارادة الاستعمار الانجليزى ، فلقد رفض رفضا قاطعا زيارة وزيرة خارجية اسرائيل لبلاده ، وقال ان بلده اسلامي ، ولا يسمح شعبه المسلم لمن دنس حرمة فلسطين ومناطقها المقدسة أن يدخل بلاده .**

ومن زعماء هذا الحزب أبو بكر تفاوه وهو رئيس الوزراء الاتحادى . وقد ساهم مساهمة فعالة فى دعم استقلال البلاد ، وبفضل هذا الحزب وبقية الجماعات ، حصلت البلاد على استقلالها فى ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٦٠ .

مسؤولياتنا : ـ

ونحن بحكم موقفنا كأمة آمنت بالاسلام الذى لا يعرف الحدود ، نشعر بثقل الواجب الذى نيط بنا .. فهذه الشعوب الافريقية قاب قوسين منا . وكلها يميل الى الاسلام ، ومعظمها يعتنقه . ويقف رجالها من أمثال بيللو وسيكوتورى وعبد الله عثمان وغيرهم ليدافعوا بحرارة الايمان الذى فى صدورهم عن الحق الاسلامي فى فلسطين ، ويقولوها صريحة مدوية (ان قضية فلسطين قضيتنا) وهي ليست قضية عربية فقط ، بل هي اوسع وأشمل لأنها اسلامية تخص المسلمين جميعا .

فعلينا أن نقابل التحية بأحسن منها .. وأن نشعر بالواجب فنؤديه .. وأن نقدر العقيدة التي تطالبنا بنصرة قضايا الاسلام فى افريقيا . فى نيجيريا وفى الصومال وفى اريتريا وفى كل مكان .

ولا بد من وعي كامل لذاتنا ولامكانياتنا البشرية والاجتماعية .. حتى نتمكن من الاسهام فى تاريخ الانسان الحديث على اساس حضارى ذاتي سليم .

وحتى لا نبني قصور الاوهام والاحلام على تموجات الاثير الذى يحمل الينا فى كل صباح صدى خطب السياسيين الرنانة وتصفيق الجماهير البلهاء ... !

وان فجر الاسلام قريب والمستقبل لهذا الدين الخالد باذن الله .



مسجد حديث
فى احد الأحياء
القديمة فى الكويت

بريشة محمد مؤذن



احد الاحياء القديمة فى الكويت

لوحة بريشة : **محمد**

الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة الاولى * العدد الرابع * ربيع الثانى ١٣٨٥ هـ ـ أغسطس ١٩٦٥ م



قصة العدد « الفارس الاسير » ص ٨٨



صلاح الدين الايوبى محطم الصليبيين

اقرأ فى هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

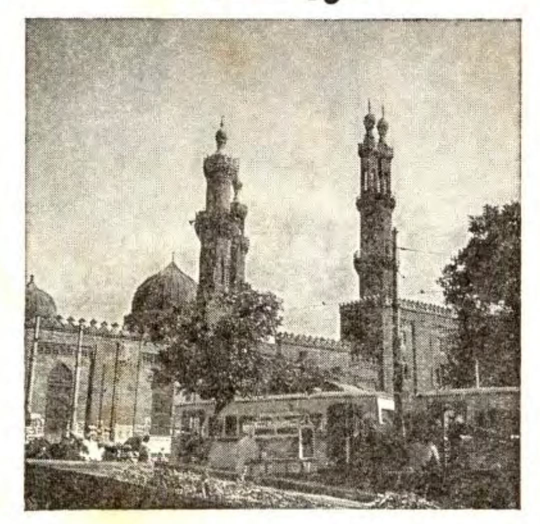
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلى

صورة الغلاف



الجامع الازهر
قبلة العلماء وطلاب المعرفة والعلم
من اقطار العالم الاسلامى

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فىالكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٣٢٢٧

معالى وزيـر الأوقاف



يتحدث فى ذكرى المولد النبوي الشريف

الكلمة التى القاها معالى عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف :

أيها الاخوة الكرام . احييكم اكرم تحيـــة . واهنىء المســلمين فى مشارق الارض ومغاربها بذكرى ميلاد سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى اصطفاه ربه سبحانه وتعالى ليحمل اعظم رسالة وافضل هداية واحسن توجيه الى الناس كافة . « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » فحمل الرسالة ، وادى الامانة ، وبلغ كما امره الله ان يبلغ .

كان صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى للانسانية الكاملة الفاضلة . والقدوة المثالية فى كل خير . « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

حققت تعاليم الاسلام التى بلغها رسول الله فى الارض العدل بـين الناس والتراحم بين العبـاد وحسن الصلة بقيـوم السموات والارض ، وكانت تعاليمه بردا وسلاما وراحة وامنا فى الحياة الاولى ودرجات عالية ورضوانا من الله فى الدار الآخرة .

والمسلمون فى كل عام يحتفلون بمولد رسول الله ، ويحيون ذكراه ونسأل الله ان يوفقنا جميعا للسير على سنته صلى الله عليه وسلم ، وان يعيد هذا اليوم المبارك الكريم على امة محمد وهى مطبقة لاحكام شريعته عاملة بتوجيهه سائرة على نهجه . وحينئذ نكون قد اعطينا هذه الذكرى حقها من الاحتفال بها على اكمل وجه .

كما نسأله سبحانه وتعالى ان يديم لبلادنا التوفيق والخير ، ويحفظ لها قائدها ورائد نهضتها صاحب السمو امير البلاد المعظم .

ويسعدنى ان اكرر التهانى لكم جميعا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتــه .



السلام عليكم

شخصية الامة لا تكتمل بمجرد استقلالها السياسي ، بل لا بد لها مع هذا من الغاء تبعيتها لغيرها فى مجال الثقافة والتشريع ، حتى تكون كل مقوماتها أصيلة غير مستوردة .

ولقد بهرنا ــ نحن الامم الاسلامية التي بليت بالاستعمار ــ أننا نجحنا فى الحصول على استقلالنا السياسي ، واعتبرنا ذلك غاية النصر ، فعكفنا على التغني به ، وشغلنا عن مخلفات الاستعمار الأخرى التي تعيش بيننا ، وتتحكم فينا ، غافلين عن ضرورة التخلص منها ، حتى يكون لنا كياننا القائم على الأسس الأصيلة من ديننا وتقاليدنا ..

من هذه المخلفات التي لا تزال تتمتع بسيطرتها علينا : بعض القوانين المستوردة التي نبتت فى جو غير جونا ، وأملتها تقاليد غير تقاليدنا ، ونظرة فى الجريمة والعقاب تخالف نظرتنا المستمدة من ديننا .. ومن هنا كانت الفجوة العميقة بينها وبيننا .. لأن القانون ــ أى قانون ــ يجب أن يكون نابعا من ضمير الأمة ، وملائما لتقاليدها ، ومتسقا مع روحها حتى يتحقق له الاحترام والهيمنة على النفوس ..

ذلك امر نحسه ونلمسه من واقعنا ، ونرى حتى مفكرى الغرب كذلك يقررونه ، فيقول الفيلسوف نبتام « متى صارت الأمة من حزب القانون قل أمل المجرمين فى الهرب من العقاب » وذلك لأن الأمة فى هذه الحالة ستكون حارسة للقانون بروحها وتحملها يقظتها واخلاصها على متابعة المجرم وتضييق فرص النجاة من العقاب أمامه . ويقول ايضا : « ان ميل الأمة او نفورها ربما كان أعظم الأشياء التي تجب مراعاتها عند وضع القوانين » وذلك ليكون للقوانين احترامها والخضوع لها ..

ولذلك كان من فضل الله على هذه الأمة ، أن الاسلام لم يقتصر على تقرير العقيدة السليمة ، والوصايا الخلقية لها ، بل أقام على العقيدة تشريعا كاملا لتنظيم الحياة وضبط سلوك الفرد والجماعة فيها ، ووضع العلاج المناسب لأمراضها ، وجعل ذلك من مقومات الايمان فى المسلم « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

ولم يكن ذلك الا لحكمة عليا هي ضمان الاستقرار للأمة الاسلامية وتوفير الأمن والهدوء لها عن طريق احترام القانون الذى يحكمها ، فان المسلم كلما أحس أن هذا القانون انما هو قانون الله الذى يعلم السر والنجوى ، واليه المرجع والمصير ، وأنه لا مفر من العقاب على مخالفته ان لم يكن فى الدنيا ففي الآخرة حمله احساسه هذا على احترام القانون والالتزام به وذلك على العكس من القوانين التي تنبعث من رأى الفرد ولا تتلاقى مع حكم الله ، ويترك أمر حراستها لرجال الشرطة .. فان للانسان ألف حيلة وحيلة في التخلص منها ، والتمرد عليها .

ومن هنا كان من مصلحة الحاكم الذى يرغب جادا فى توفير الأمن والاستقرار لأمته ان يربط بين قوانينها ودينها ، حتى تحظى القوانين بالاحترام الذى يضمن لها السيادة والنفوذ .. وحتى يكون العقاب على المخالفين هو حكم الله العادل الذى لا مفر من التسليم به ..

ذلك كلام نقوله بصدد القوانين عامة .

ثم نقترب من الهدف الذى نرمي اليه بكلمتنا ، وهو تلك المواد التي جاءت فى باب هتك العرض والزنى وصدر بتنفيذها قرار من الحكام المسلمين !!

في هذه المواد مفارقات وتناقضات أو فجوات عميقة بينها وبين دين الأمة وتقاليدها وروحها الاسلامية الأصيلة . وهذه المفارقات ضرورية لأنها مواد مستجلبة نبتت فى جو غير جونا ، وما كان لها أن تعيش بيننا طويلا لكنها ـ مع الأسف ـ عاشت فى جو مصطنع ولا زالت تعيش بين الغفلة منا والتدليس ..

قامت هذه المواد أصلا على أساس أن الزنى وهتك العرض مجرد اعتداء شخصي على حق الفرد دون اعتبار لحق الله وحق المجتمع ..

ولهذا كان لا عقاب فى قوانين بعض الدول الاسلامية على من يهتك عرض انثى برضاها اذا تجاوزت الثامنة عشرة ، أى سن الرشـد لأنه تم برضا الاثنـين !! فان كانت أقل مـن ذلـك وكان برضاها عوقب الرجل لمجرد أنه غرر بفتاة قاصرة !!!

أما الزوجة فتعاقب بالسجن اذا زنت في أى مكان .. ولا يعاقب الزوج الا اذا زنى فى منزل الزوجية ولا يجوز له فى هذه الحالة ان يرفع دعوى الزنى على زوجته .. لأنها فعلت كما فعل !!!

والزوجة لا تعاقب الا اذا رفع الزوج دعوى عليها .. لأنه الذى وقع عليه الاعتداء وهو حر يرفع الدعوى أو يقبل ويسكت .

وبمقتضى هذا يجوز له أن يوقف الدعوى أثناء نظرها ، او يوقف تنفيذ العقوبة لأنه ـ كما قلنا أو قال القانون الفرنسي ـ صاحب الحق وحده ، أما حق الله ، حق المجتمع ، ما يترتب على ذلك من شيوع الفساد واختلاط الأنساب وفتح باب الفرص لكل « ديوث » متهاون في عرضه أو متكسب به .. أما ذلك كله فلا اعتبار له في نظر القانون الذى استوردناه !!!

ومن العجب ـ غاية العجب ـ ان نجد لهذا القانون سدنة وحماة يدافعون عنه ويعملون على ذيوعه وانتشاره في بلاد اسلامية . ولم نجد مع الأسف الشديد من يحمل لواء الهجوم عليه والعمل الجـاد لتغييره ، اللهم الا أصوات فردية حملها اخلاصها لدينها ومجتمعها على المناداة بالغائه ، ولكن ضاعت هذه الأصوات فى زحمة الأصوات المتحمسة له ..

بل اننا ـ مع الألم المرير ـ نسمع حملات واعتراضات عنيفة على فكرة الأخذ بالشريعة الاسلامية فى قوانيننا ولا نسمع مثل هذه الحملات والاعتراضات على هذا القانون المستورد المتنافر مع روحنا وتقاليدنا والذى يعتبر وصمة عار في جبيننا !!

فالى متى يستمر هذا الوضع الشاذ ؟! الى متى تبقى هذه الوصمة ومن المسئول عن بقائها ؟ ! بصراحة أرجو أن يتقبلها الجميع : ان المسئولين من حكام المسلمين وأعضاء المجالس النيابية ، هم الذين يتحملون أولا تبعة بقاء هذه القوانين بيننا ..

ولا عذر لهم يبيح السكوت عليها فان روح المجتمع الاسلامي فى كل بلد تمقتها ولا تعترف بها ، وعلى الشعب المسلم في كل مكان أن يقوم كذلك بمسئوليته ، ويسلك كل الطرق المشروعة لتغييرها ..

من هدى القرآن

العبرة الكبرى

محمود زهران

اذا قلبت الكتاب الكريم ظهرا لبطن ، وتتبعت آياته طردا وعكسا ، ورجعت البصر كرتين بعد كرتين ، متأملا متبصرا ، فانك لا تجد من بين الامم كلها ، قديمها وحديثها ، الا امة واحدة شغلت جزءا كبيرا من القرآن الكريم ، لم تشغله امة غيرها من الغابرين والحاضرين ، وكذا لا تجد نبيا من انبياء الله الكثيرين ، شغل جزءا كبيرا من القرآن ، مثل نبي هذه الامة ، فقد حظى من العناية بما لم يحظ به نبى غيره ، وخصه الله بمزية لم يشاركه فيها سواه .

ولعلك ادركت ان هذهالامة هي امةبني اسرائيل، وان نبيها المراد هو كليم الله موسى عليه السلام . هذه الامة تعرض القرآن لها منمبدأ تكوينها ، وأخذ يقص علينا احداثها ، من اول يوم تكونت ، الى مبعث خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام .

نشأة موسى

وكذلك شرح القرآن أحوال رسولها من يوم مولده ، الى وفاته فى صحراء التيه ، وكيف دبر له العليم الخبير المراضع ، فى بيت عدوه الذى اشتد فتكه ببنى جنسه (بنى اسرائيل) ، يقتل أبناءهم ، ويستحيى نساءهم أقرأ قوله تعالى « وأوحينا الى ام موسى أن أرضعيه ... » آية (٧) الى آخر آية (١٣) من سورة القصص .
وكيف فر موسى من مصر الى مدين خائفا يترقب ، فزعا من ان يناله فرعون بسوء ، واقرأ فى هذا قوله تعالى « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى .. » (آيتي ٢٠ و ٢١) من سورة القصص .

ثم بين كيف استأجره رجل مؤمن من آل مدين، على رعي غنمه عشر سنين ، على ان يزوجه احدى ابنتيه ، واقرأ الآيات (٢٣) الى آخر (٢٨) من سورة القصص .

وبعد ان أتم مدة السنين العشر قفل راجعا الى مسقط رأسه ، يسوقه الحنين الى عشيرته عله يتنسم ريحها ، ويطرب لاخبارها ، اذا لم يستطع ان يلقاها فى الخفاء وهو آمن ، فأزمع الرجوع الى مصر .

وكيف حاول معالجة قسوة البرد ، ومتاهة ظلمة صحراء سيناء ، حين اوشك ان يضل الطريق ، او يهلك هو واهله من زمهرير الجبال ، واخذ يتلمس الهادى الى سواء السبيل (١) ، ويتحسس جذوة نار يصطلى بها (٢) .

بعثته

ثم كيف فاجأته العناية الالهية بالنعمة العظمى ، والمنزلة الرفيعة ، التى اختص بها سبحانه قلة من خلقه الذين اصطفاهم ، واعدهم لها ، تلك هى منزلة السفارة بين الله وخلقه ، هذه المنزلة هى الوحيدة التى لا تنال بجد ، ولا تعب ، ولا بكثرة الضراعة ، ولا مشقة العبادة ، كما قال الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » آية ١٢٤ من سورة الانعام ، وكما قال المرحوم اللقانى فى جوهرته :

ولم تكن نبوة مكتسبة
ولو رقى فى الخير أعلى درجة

---

(١) « أو أجد على النار هدى » آية (١٠) من سورة طه .
(٢) « أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » آية ٢٩)من سورة القصص ، اى تستدفئون لدفع البرد .

لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

كليم الله

ولم يكتف القرآن بهذا الاجمال ، بل بين كيف كان وحى الله سبحانه لنبيه موسى نوعا خاصا به لم يشاركه فيه احد من اخوانه الانبياء ، ذلك انه كلمه مباشرة من وراء حجاب بدون واسطة من ملك ، او ايحاء يلقى فى القلب او رؤيا صادقة ، كما فعل مع خليله ابراهيم عليه السلام حين امره بذبح ولده اسماعيل ، اقرأ قوله تعالى : « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا » آية ٥١ من سورة الشورى ، وقوله تعالى : « يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » آية ١٤٤ من سورة الاعراف .

وكذلك لم يحدثنا القرآن عن معجزات كثيرة لنبى من الانبياء ، وكرر ذكرها فى القرآن كما حدثنا عن معجزات رسول بني اسرائيل ، قال سبحانه : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » آية ١٠١ من سورة الاسراء ، وقال : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين (١) ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » آية ١٣٠ من سورة الاعراف ، وقال : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل(٢) والضفادع والدم آيات مفصلات » آية ١٣٣ من سورة الاعراف .

موسى يواجه فرعون

وايضا نراه سبحانه لم يترك موسى يواجه فرعون وقومه اعزل من سلاح حجته ، منتظرا ان يطلبوا منه دليل صدقه فيقدمه اليهم كما فعل سبحانه مع كل الرسل قبله ، لم يفعل سبحانه ذلك مع موسى ، بل سلحه ببرهان صدقه من اول لحظة ارسلهفيها ، فأراه ما يفعل حتى تصير عصاه حية تسعى ، انظر قوله تعالى : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا .. » آية ٣١ من سورة القصص .

موسى وهارون

ولم يكتف سبحانه بذلك بل قص علينا ما ظهر من خوف موسى عند تشريفه بهذه الرسالة ، وكيف طمأنه سبحانه فقال : « واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون . قال رب انى أخاف أن يكذبون . ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون » الآيات من ١٠ وما بعدها من سورة الشعراء .

وايضا لم يكتف سبحانه بذلك ، بل قص علينا كيف علم موسى ما يقوله لفرعون لفظا ، وكيفية ، فقال : « فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بني اسرائيل » آيتي ١٦ و ١٧ من سورة الشعراء ، وقال : « اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا فى ذكرى . اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى » آيات ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ من سورة طه ، وقال : « هل أتاك حديث موسى . اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى . اذهب الى فرعون انه طغى . فقل هل لك الى ان تزكى . واهديك الى ربك فتخشى » آيات ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ من سورة النازعات .

ثم تابعه القرآن من اول لحظة واجه فيها فرعون، واقام حجة المعجزة المفحمة على صدقه ، مفصلا كل ما دار بينهما من نقاش سلك فرعون فيه القسوة على موسى تارة ، والاستهزاء به تارة اخرى ، من ذلك قوله : « قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين . قال لمن حوله الا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الاولين. قال انرسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين » آيات ٢٣ الى ٢٨ من سورة الشعراء .

---

(١) المراد بها القحط .

(٢) جمع مفرده قملة بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة وهى حشرة صغيرة تتلف الزرع .

وقال : « ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم آنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين » آيات من ٥١ الى ٥٤ من سورة الزخرف ، وقال : « وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد » آية ٢٦ من سورة غافر .

ثم بين القرآن بعد ذلك كيف لج فرعون فى العناد والغرور حينما خشى ان يفلت من يده زمام الامور، فطفق يجمع كبار قومه عارضا عليهم طريق التخلص من هذا الكاذب الساحر ، كما زعم ، وكيف ارسل فى المدائن حاشرين يدعون له كبار السحرة فى دولته، ثم رتب كيفية لقاء هؤلاء السحرة بموسى على مشهد من قومه أجمعين ، اقرأ ان شئت من اول آية ٥٦ الى آخر ٦٩ من سورة طه ، ثم بين سبحانه كيف ركب فرعون متن التضليل والتمويه عندما هزت كيانه سطوة الدليل ، وبطل سحر الساحرين، الذين آمنوا فى الحال برب موسى وهارون ، اقرأ من آية ٧٠ الى ٧٣ من سورة طه .

ركب فرعون متن التضليل ، فتوارى تحت ستار التعمية والتمويه بعد تهديد السحرة بالقتل ، فنادى مظهرا السخرية بهذا الاله الذى يزعمه موسى فقال : « يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان (١) على الطين (٢) فاجعل لى صرحا (٣) لعلى اطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين . واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق » آيتي ٣٨ و ٣٩ من سورة القصص .

ملاحظة هامة

يعلم كل من اطلع على جبروت فرعون هذا انه كان صاحب صولة وقوة ، وانه سبق ان اثخن بني اسرائيل قبل مجيء موسى وبعده تقتيلا وتعذيبا ، وانه كان يملك من السلطان ما يمكنه من الفتك بموسى الذى يقف امامه اعزل من كل سلاح معروف عند الناس ، فما هو الذى غل يديه عن ذلك وألجم فمه عن الامر بقتل موسى ، وجعله يلجأ الى المداورة والمحاورة الكلامية علة يستتر بهما ضعفه ، وحقيقة أمره أمام قومه .

فرعون يرهب موسى

نقول : السر فى ذلك واضح جاءت الاشارة اليه فى القرآن نفسه ، ذلك هو ان فرعون اذعن من صميم قلبه ان موسى رسول الله حقا ، وان ما جاء به من المعجزة الكبرى يستحيل ان تكون من صنع البشر ، لانها ليست مما عهدوه من السحر الذى يعتمد على التعليم والتعلم ككل الصناعات التي يستعان بهـا على التمويه والتخييل مما كان معروفا عند فرعون ، انظر قوله لسحرته عندما آمنوا بموسى : « انه لكبيركم الذى علمكم السحر » آية ٧١ من سورة طه ، وقول الله سبحانه : « فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى » آية ٦٦ من سورة طه .

وايضا كان فرعون يعلم انه من المستحيل ان تدخل جميع تلك الاجسام الضخام من الحبال والعصى التى اعدها سحرته فى حيز جسم صغير كعصى موسى مع بقائها على حجمها ، اقرأ فى كل ذلك قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » الى قوله : « فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا . قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض » آيتي ١٠١ ، ١٠٢ من سورة الاسراء ، وقوله تعالى : « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين. وجحدوا (٤) بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا » آيتي ١٣ و ١٤ من سورة النمل .

---

(١) هامان كبير وزراء فرعون

(٢) المراد بالطين هنا القوالب التى تصنع من الطين فاذا جفت بفعل الشمس توقد عليها النار فتصير آجرا احمر .

(٣) الصرح هو البناء العالى .

(٤) الجحود هو انكار الشيء مكابرة مع اليقين به فى قرارة النفس كما قال سبحانه لنبينا صلى الله عليه وسلم : « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبوك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » آية ٣٣ من سورة الانعام .

من كل هذا نعلم ان فرعون كان موقنا انه لو حاول ان يمس موسى بسوء فانه يهلك لساعته ، كما حصل للجبابرة قبله من قوم عاد وثمود وغيرهم ..

ليته فعل

ولا يظن ان خروجه هو وجنوده وراء موسى وبنى اسرائيل كما سيأتي كان لقصد قتل موسى ، كلا ، بل كان لأمور أخرى منها منع بني اسرائيل من الخروج من سلطانه حتى يقضى عليهم خوف ان يكثروا ويستعينوا عليه بقوم آخرين ، فينتزعوا منه ملكه . ومنها انه اراد ان يسترد اموال المصريين التى استولى عليها بنو اسرائيل بطرقهم المعروفة ، وترى ذلك واضحا فى ضخامة اموال قارون الذى هو من قوم موسى كما قال سبحانه : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه (١) لتنوء (٢) بالعصبة اولى القوة » آية ٧٦ من سورة القصص .

غرق فرعون

ثم تابع القرآن بعد ذلك الحديث عن موسى فأشار الى فراره وقومه من فرعون على غفلة منه ، ولم يدركهم فرعون الا وسط البحر فاندفع خلفهم، وكان فى ذلك هلاكه ، فقال سبحانه فى ذلك : « ولقد اوحينا الى موسى أن أسر(٣) بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى . فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » آيتي ٧٧ و ٧٨ من سورة طه ، وقال فى ذلك ايضا : « وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون » الى ان قال : « فأتبعوهم مشرقين . (٤) فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون . قال كلا ان معى ربى سيهدين . فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا(٥) ثم(٦) الآخرين(٧) وأنجينا موسى ومن معه اجمعين . ثم أغرقنا الآخرين » آيات من ٥٢ الى ٦٦ من سورة الشعراء .

والى هنا انتهى الحديث عن موسى وما حصل له مع فرعون وبقى ما حصل له مع قومه وهو لا يقل غرابة عما حصل مع فرعون ان لم يكن اغرب كما ستعلمه بعد ، ولا تعجب ايها القارىء الكريم من اختيارنا هذا الموضوع فى هذا الوقت بالذات ، فانا اردنا قطع ألسنة قوم يتشدقون بأنهم شعب الله المختار ، وانهم وحدهم هم أولياء الله واحباؤه ، ويوهمون بسطاء المسلمين بأن القرآن مليء بالتنويه بشأنهم ، وتفضيلهم على العالمين ، وقد يخفى على كثير ممن يقع تحت تضليلهم ان الله سبحانه لم يغدق عليهم تلك النعم حبا فيهم بل ليزدادوا طغيانا وكفرا فيزيدهم غضبا ونكالا الى يوم الدين .

هذا ما سيمر بك فيما يأتى ، ومنها تعلم علم اليقين ان ما ظنوه خيرا لهم انما هو وبال عليهم كما قال سبحانه : « ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » آيتي ٥٥ ، ٥٦ سورة المؤمنون . وقال : « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » آية ١٧٨ آل عمران .

وستعلم ان ما مر عليهم من فترات رفعوا فيها رءوسهم بعد هذا الوعيد مدة تطول نسبيا وقد لا تطول فما هي فى قياس الزمن الا صحوات محموم ، لا يكادون يتمتعون بها حتى تلاحقهم صواعق غضب جبار السموات والارض ، وهكذا دواليك حتى امسوا فى يد القدر كالكرة يتقاذفها الولدان لا يتركونها تستقر حتى تلاحقها ضرباتهم ...

والى اللقاء ان شاء الله .

---

(١) المفتاح جمع مفتح ، بفتح الميم وسكون الفاء ، بوزن مرصد ، وهو المخزون ، قال ابن عباس — مفاتح قارون هى خزائن امواله واوعيتها .

(٢) تنوء بالعصبة اى تثقل عليهم اذا أرادوا حملها يقول العربي : ناء بفلان الحمل اذا أثقله حتى أمال ظهره .

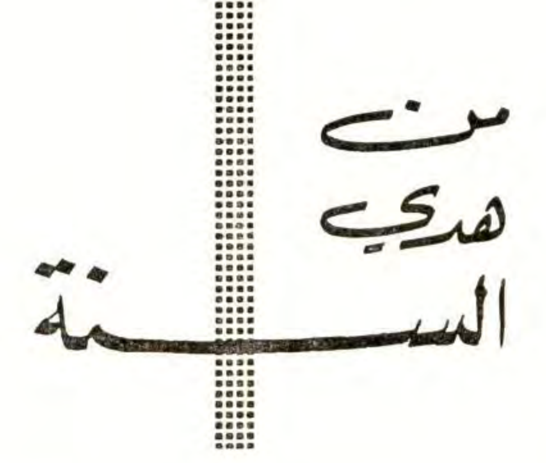
(٣) أسر أى سر فى الليل .

(٤) المشرق هو الداخل فى وقت الشروق .

(٥) اى قربنا الى وسط البحر .

(٦) ثم أى هناك فى وسط البحر .

(٧) الآخرين هم فرعون وجنوده .



لفضيلة الشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد

حقوق وواجبات بين الآباء والأبناء

تمهيد

الأولاد هم أشهى ثمرات الحياة ، يدرك ذلك من وهبه الله اياهم ومن ابتلاه بالحرمان منهم ، عليهم عمارة الدنيا ، وبهم سيادة الأمم قال تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وقال صلى الله عليه وسلم (الولد ثمرة القلب) ، وحب الولد كامن فى طبيعة الانسان كمون النار فى الحجر الصلد ، علت درجته فى الانسانية أو هبطت ، يستوى فى ذلك صفوة الله من خلقه وهم الانبياء والمرسلون ، ومن عداهم من سائر البشر ، فقد تضرع سيدنا ابراهيم عليه السلام الى ربه أن يهب له ذرية صالحة « ... رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم » (١) ونادى زكريا ربه نداء خفيا « ... واني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا .. » (٢) .

وقد قرر الاسلام حقوقا تقابلها واجبات لكل من الوالد والمولود قبل الآخر تضمن استمرار حسن العلاقات بينهما ، كما تقيم أسرة قوية متماسكة تبني مجتمعا فاضلا ، يشيد أمة عزيز صالحة للقيادة والسيادة ، وسأحاول ــ مستعينا بالله ــ رسم الخطوط العريضة لما يجب أن تقوم عليه الصلة بين الوالدين والمولودين مستمدة من كتاب الله تعالى وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أولا : ــ حقوق الأبناء على الآباء

١ ــ أول ما يجب على الوالد حيال أولاده قبل أن يوجدوا ، هو أن يختار أمهم ذات خلق ودين وعفة ومروءة ، قال عليه الصلاة والسلام (حق الولد على والده أن يحسن موضعه(٣) وأن يحسن

(١) الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ من سورة الصافات .
(٢) الآيتان ٥ ، ٦ من سورة مريم .
(٣) أى يختار والدته من اصل طيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اعدلوا بين أولادكم فى النحل(١) كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر والعطف)) (٢) .

اسمه وأدبه) وقال عليه السلام : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) وقال رجل يمن على أولاده :

وأول احساني اليكم تخيري
لماجدة الأعراق باد عفافها

٢ : ـ فاذا برز الولد الى الوجود وهبط من مستقره فى بطن أمه الى الأرض بدت حقوقه على والديه قوية واضحة فهو فى مهده محتاج الى عطف والديه وحنانهم ، وعندما يدرج على البسيطة يستحق الرعاية والتوجيه الى الآداب المحمودة ، روى ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اكرموا اولادكم واحسنوا أدبهم) وروى الشيخان(٣) ((.. أن أناسا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا : هل تقبلون صبيانكم ؟ فقال : نعم . فقالوا : لكنا والله ما نقبل . فقال النبي صلي الله عليه وسلم : أوأملك ان كان الله قد نزع الرحمة من قلوبكم ..))

٣ : ـ ومن حسن رعاية الولد العناية بطعامه وشرابه ، روى البخارى (.. يقول الولد أطعمني. الى من تدعني ؟) وروى أبو داود والحاكم واحمد فى مسنده (... كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت) .. واذا تعدد الأولاد وجب العدل بينهم فى العطف والعطاء ، روى الطبراني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعدلوا بين اولادكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر والعطف) وفى قصة يوسف عليه السلام مثال واضح لما أثاره الشعور بتفضيل يوسف على اخوته من شقاق ونفار بينه وبينهم ، ولننصت الى القرآن الكريم وهو يحكي طرفا مما كان من أمرهم (... اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ..) الآيات الكريمة . ومنعا لأسباب الشنآن والعداوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ولو فى القبلة) . وأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم التمييز بين البنين والبنات فى المعاملة حتى لا يحملهم التمايز على عقوق الآباء وجفوتهم فقال عليه السلام (ساووا بين أولادكم فى العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء) . وكان صلى الله عليه وسلم اذا رآى فاطمة الزهراء رضي الله عنها مقبلة قام لها عن مجلسه وأخذ بيدها فقبلها ، وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنها قالت ، (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلممع أبي وعلي قميص أخضر فقال صلى الله عليه وسلم (حسنة حسنة(٤) . قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة ، فنهاني أبي ، فقال رسول الله : دعها ، ثم قال : أبلىوأخلقى، أبلى وأخلقى) (٥) .

٤ : ـ ومن الواجب على الوالدين أن يوجهوا أبناءهم الى باريء الكون سبحانه ويغرسوا فيهم الايمان بقدرته وقيوميته ، ايمانا مبنيا على الاستدلال لا مجرد التلقين ، وقد رسم القرآن الكريم الطريق الواضح فى وصية لقمان لابنه حيث يقول (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) (٦) ثم يمضي

---

(١) النحل بضم النون المشددة وسكون الحاء المهملة ـ العطاء ، مصدر نحله ينحله نحلا أى أعطاه والنحلى بوزن الحبلى العطية .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) البخارى ومسلم .
(٤) يمتدح ثوبها وهى يومئذ طفلة .
(٥) دعاء لها بطول العمر والسعادة
(٦) الآية ١٣ من سورة لقمان .

معه مستدلا على قدرة اللـــه بالبرهان العقلي (يا بني أنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بهـــا الله ان الله لطيف خبير) (١) ثم يأمره بعبادة الله وحده والتجرد له والتفاعل الكريم مع المجتمـع الذى يعيش فيه وتحمل الآلام فى سبيل الله نشرا للفضيلة واجتثاثا للرذيلة (يا بني أقم الصـلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) (٢) ثم يدله على الخلق الكريم الذى يمكن له فى قلوب الناس ويجعل منه القدوة الممتازة الصالحة فى السلوك القويم (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشـــيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصـــوت الحمير (٣) .

٥ : ـ كما يجب أن يتناول الوالدان طعامهما مع أولادهما فى مواعيد منتظمة ايناسا لهم وقياما بحق رعايتهم وتمكينا للآداب الاجتماعية الاسلامية فيهم ، فعن سفيان رضى الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة ، ويجمـــع الفضل قول رسول الله صلى الله عليه وسـلم (ما نحل والد ولده من نحل أفضل من خلق حسن) وقال حكيم عربي : (لاعب ولدك سـبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم اجعل الحبل على غاربـه) .

٦ : ـ وحب الأولاد يغرى الانسان بالحيـاة ، ويحمله على القيام بواجباته حيالهم ميله الفريزي اليهم ، قال الأحنف لمعاوية وقد غضب يومـا على ابنه يزيد فهجره « يا أمير المؤمنين ، انما أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورها ونحن لهم ســماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، وبهم نصول عند كل جليلة، ان غضبوا فأرضهم ، وان سألوك فأعطهم ، وان لم يسألوك فابتدئهم يمنحوك ودهم ، ويحبـــوك دهرهم ، ولا تنظر اليهم شزرا ، ولا تكن عليهـــم ثقيلا فيتمنوا موتـك ، ويكرهوا قربـك ، ويملوا حياتك » .. وقال ابو تمام :

وانمـــا أولادنـــا بيننـــــا
أكبادنا تمشـــي على الارض
لو هبت الريـــح على بعضهم
لامتنعت عيني عـــن الغمض

ثانيا : ـ حقوق الآباء على الأبناء

١ : ـ اكد القرآن الكريم حقوق الوالدين على أولادهم تأكيدا قاطعا حيث قرن الله ســبحانه طاعته بطاعتهم ، والايمان به بالاحسان اليهـم ، فقال تبارك وتعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » (٤) وقال عز من قائل « وقضى ربـك ألا تعبـدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقـل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٥) .

٢ : ـ وأوجب لهما حق الطاعة ولو كانا كافرين مالم يأمرا بما يخالف قواعد الاسلام « وانجاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » (٦) فقد تحملا كثيرا من المشقات والآلام فى سبيل ولدهما ، وتبرز بعض الآيات الكريمة فضل الأم وتبين مقدار ما تحملت وحدها من متاعب وما لاقت مـن صعاب فى حمل الولد جنينا فى بطنها وما تكبدته فى ولادته وارضاعه مما يوجب لها حقا زائدا على حق الوالد وان كانا حقيقـــين ببر الولد ومعروفه جـــزاء وفاقا على

---

(١) الآية ١٦ من سورة لقمان .
(٢) الآية ١٧ من سورة لقمان .
(٣) الآيتان ١٨ ، ١٩ من سورة لقمان .
(٤) من الآية ٣٦ من سورة النساء
(٥) الآيتان (٢٣ ، ٢٤) من سورة الاسراء
(٦) الآية (١٥) من سورة لقمان .

ما أسلفا له من خير ، قال تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرهـا وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي فى ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » (١) وقد استجاب الله دعاء مـن فعل هذا مع والديه وأعد له الثواب العظيم عنده وهيـأ له المكان اللائق فى الجنة فقال جل شـأنه « اولئك الـذين نتقبل عنهم أحسن مـا عملـوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » (٢) .

٣ : ـ ثم حذر الله تبارك وتعالى مـن عقوق الوالدين وأنذر من أساء اليهما بالعذاب الأليم ، وخسران أعماله ، واستحقاقه لغضب الله وعقابه قـال تعالى « والـذى قـال لوالديه أف لكمـا أتعدانني أن أخـرج وقد خلت القرون مـن قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين . أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين . ولكل درجات ممـا عملـوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » (٣) ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن كل قول أو عمل يجر الاهانة والايـذاء اليهمـا ولـو بسبب بعيد لا يكونان فيه الهدف المباشر فقـال عليه الصلاة والسـلام « ان مـن اكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديـه ؟ قـال يسب الرجل أبـا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه » .

٤ : ـ وهكذا نجـد الاسـلام السـمح الكريم يحافظ كل المحافظة على علاقة الآباء مع الأبناء فى صـورة نقية طاهرة عفـة توثـق روابط الأسرة ، ويحكمها أحكاما تاما لا يتسرب اليه الخلل أبدا ، لينشأ فتيان الاسلام وفتياته فى ظل أبوة رحيمة حانية وأسرة قوية مترابطـة ، فيشـبوا متزنين يقودون أمتهم الى العزة والمجد، ويفقهون دورهم القيـادى على الأرض فى ارشـاد العالم الى الله تعالى، وبالتالى الى السعادة الدائمة فى الدارين والسلام الحقيقي فى الدنيا، وليكونوا فى الآخرة (اخوانا على سرر متقابلين) فالدار الآخـرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون . فاللهم فقهنا فى دينك ووفقنا لاتباع سنة نبيك وهدى حبيبك المصطفى ، وخـذ بأيدينا الى ما يرضـيك انك أنت وحدك الهادى الى سواء السبيل (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) .

فاصنع ما أحب الله :

تفيظ عبد الملك بن مـروان عـلى رجاء بن حيوة فقال :

« والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا »

فلما صار بين يديه قال له رجاء ابن حيوة :

« يا أمير المؤمنين ، قد صنع الله ما أحببت ، فاصنع ما أحب اللـه » فعفا عنه ، وأمر له بصلة .

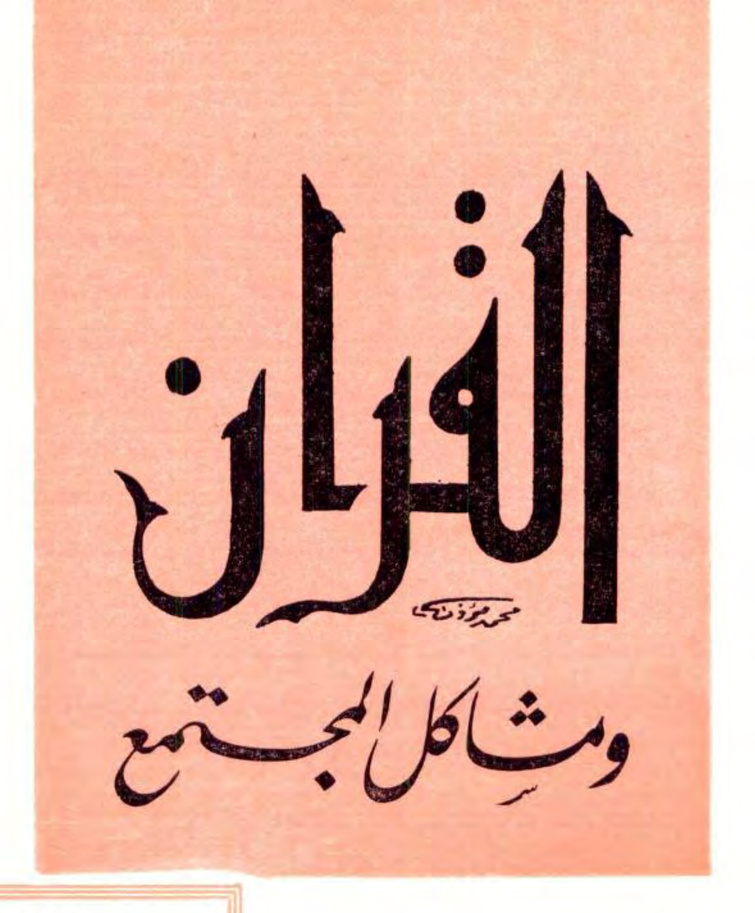


عن شـداد بـن أوس ـ رضـي اللـه عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلك على سيد الاستغفار

(اللهم أنت ربي لا اله الا أنت .
خلقتني ، وأنا عبدك .
وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت .
أعوذ بك من شر ما صنعت .
أبوء لك بنعمتك عليَّ .
وابوء بذنبي ، فاغفر لي ، فانه لا يغفـر الذنوب الا أنت ، وارحمني فانك أنت الغفور الرحيم) .

« أخرجه البخارى »

(١ ، ٢ ، ٣) الآيات (١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) من سورة الاحقاف .



للدكتور : محمد بيصار

استاذ مساعد بكلية اصول الدين جامعة الأزهر ووكيل كلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية فى ليبيـا

فى أسعد ساعة من ساعات التاريخ ، وعلى أطهر بقعة من بقاع الأرض ، وفى أشد أوقات الانسانية احتياجا الى اصلاح ما فسد من شؤونها ، وتقويم ما اعوج من أمورها ، وتصحيح ما زاغ من عقائدها وآرائها ، بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة مبلغا عن ربه رسالة السماء .

وكانت كلمة الله الجامعة التي خاطب بهـا رسوله عليه السلام وضمنها كل مقومات هـذه الرسالة وما اشتملت عليه من تصحيح عقائد الناس ، ثم تنظيم علاقاتهم بخالقهم أولا وعلاقات بعضهم ببعض ثانيا ، هي (القرآن الكريم) ثم مـا اوحاه الله اليه أو وجهه به من تفسير للقرآن وبيان لمغلقه وتوضيح لمتشابهه مما تمثل فى سنته عليه السلام ، قولية كانت أو عملية أو تقريرية .

مهام القرآن

وحيث كان من مهام القرآن الكبرى ووظائفه الضرورية تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض أفرادا كانوا أو جماعات ، بجانب مـا رسمه من قوانين وقواعد لتنظيم علاقاتهم بربهم ، كان مـن الطبيعي أن يواجه مشاكل الاجتماع الانساني ، وأن يضع لهـا الحلول والحدود ، وأن يعرض لمعالجتها فى محيط المبادىء الانسانية التيرسمها ، وعلى ضوء التوجيه الآلهي الصادر من لدن الحكيم العليم بأمراض النفوس البشريةونزواتها الطبيعية، الخبير بأدوائها وعلاجاتها .

ولما كان من أهم ما يحرص عليـه الناس فى حياتهم الاجتماعية انما هو :

١ ـ العقيدة ٢ ـ والنفس ٣ ـ والعـرض ٤ ـ والملكية ٥ ـ وبناء الأسرة .

فقد اعتنى القرآن بوضع الأسس والتشريعات التي تضمن لهم حرية الاعتقاد بعد أن صححه لهم . والمحافظة على حق الحياة وحرمتها ، وصيانـة العرض والعفاف ، واحترام الملكيات المشروعـة

بعد أن نظم شؤونها ، وبين حدودها ، وسلامة الوطن والدولة ووضع النظام للأسرة الى غير ذلك من مشاكل تتصل بهذا أو ذاك من قريب أو من بعيد .

قواعد كلية

والقرآن وان لم يعرض لكل التفاصيل الجزئية المتعلقة بذلك عالج هذه المشاكل على وجه كلي . وبقواعد عامة ، تاركا للمشرعين والمجتهدين والمصلحين استعمال عقولهم فى تطبيقها على مختلف المجتمعات ، كل بما يناسبه ويتلاءم مع مقتضيات حاجاته الضرورية وظروفه الخاصة ما دام ذلك التطبيق لا يتنافى مع أصل من أصول الاسلام ، أو نص قاطع من نصوص القرآن ، أو يقضي على فوائد أهم ، أو مصالح أنفع للجماعة الاسلامية .

ولم يقتصر القرآن فى تشريعاته بهذا الصدد على الأحوال والمشاكل التي تطرأ على العلاقات بين المسلم والمسلم ، أو تعترى صلات أفراد المجتمع الاسلامي أو طوائفه بعضها ببعض فحسب ، وانما بجانب ذلك تناول العلاقات الانسانية كلها بالتنظيم والتهذيب على أساس من الاخاء العام ، والحب الأكيد ، والتعاون المتبادل على حفظ الحقوق المتقدمة ومراعاة حرماتها بصرف النظر عن فوارق اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين ، أو الموقع الجغرافي ، وما شاكل ذلك من حدود مصطنعة وفواصل طارئة من شأنها أن تصرف عن التعاون ، وأن تحد من التعارف الانساني والألفة الطبيعية ، التي هي فى الحقيقة مفتاح كل تعاون ، وباب كل تفاهم بل هي الطريق الأوحد لأن يفهم الناس بعضهم بعضا ، وأن يتبادلوا فيما بينهم المعارف والمنافع والآراء ، لينتفع جاهلهم من عالمهم ، ومتأخرهم من متقدمهم ، وغبيهم من ذكيهم ، فيكمل الناس بعضهم بعضا ، ويستعيض كل عمّا فيه من نقص ، بما قد يكون عند الآخر من كمال .

وهذا هو الذى عناه القرآن الكريم بقوله :

... (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) فأصل الناس جميعا واحد هو آدم وحواء ، ولهذا كانت المساواة فى النشأة والاشتراك فى الأصل ، فلا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى **(كلكم لآدم وآدم من تراب)** .

ولكن طبيعة الحياة تقضي بأن يختلف الناس ، وأن تتكون مجتمعاتهم ، وتنمو وتتطور طبقا لبيئاتهم ، وتبعا لعوامل متعددة ، بحيث تكون كل جماعة صورة ناطقة للعوامل التي أثرت فيها ، والبيئة التي نشأت بها ، طبيعية كانت هذه البيئة أو غير طبيعية ، وراثية كانت هذه العوامل أو مكتسبة .

ولكن ذلك كله لا ينبغي – فى نظر القرآن – أن يضع الحدود والفواصل بين الانسان وأخيه الانسان ، وانما يجب أن يعمل الناس على تحقيق **وحدة الأصل فى نهايتهم ، فيلتقوا معا كذلك على أصول واحدة ، كما نشأوا معا من أصل واحد ،** على أن يكون ذلك اللقاء وهذه الوحدة فى الهدف لخير الانسانية جمعاء ، ولتبادل المنافع بين الانسان والانسان ، وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ما عناه القرآن الكريم فى آيته المتقدمة بقوله عليه السلام : **(المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس)** .

١ – مشكلة التدين

وقد عالج القرآن المشكلة العقدية والدينية ، وما ذهب اليه الناس من انحرافات فى شؤون العقيدة عند مختلف المذاهب ومتعدد المعتقدات .

فمن الناس من تصور الاله على صورة مجسمة وأضاف اليه بعض صفات المخلوقين . ومنهم من جرده تجريداً كليا حتى عن الصفات الايجابية التى لا بد منها لكماله وجلاله ، ومنهم كذلك من ألحد فأنكر الالوهية مطلقا وفكرة التدين كلية .

ولكن القرآن الكريم لكي يرد الناس جميعا الى العقيدة الحقة ، عقيدة الايمان بوجود الله وبوحدانيته ، واثبات صفات الكمال لذاته الأقدس نبههم أولا الى فطرتهم ، وذكرهم بأن التدين مركوز فى طباعهم ، ناشىء من اصل خلقتهم ، لا يمكن أن يتخلى عنه انسان كامل الانسانية أو ناقصها .

فالدين فى الانسان كوجوده وحقيقته ، ذاتي له لا يستطيع مهما كابر وجحد أن ينفك عن الاحساس به ، والشعور بهاتفه فى نفسه والائتناس بقوة عليا ، وأصل أساسي لكل ما فى هذا الوجود من

حركات وسكنات وتصرفات . (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها**) (١) .

وبعد أن يقنع القرآن الناس بضرورة الدين للمجتمعات البشرية يتدرج بهم شيئا فشيئا ويرقى بهم سلما سلما من دركات الحس والمادة الى سمو العقل والوجدان ، متخذا من آثار قدرة الله فى الكون المحسوس ، ودلائل رحمته بخلقه ، دليلا على وجود خالق لهذا الكون ، اليه يستند فى أصل نشأته ، وفى احكام تدبيره ، واتقان تسييره . وفى ذلك قوله جل وعلا :

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (٢) .

وقوله تعالى « ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين » (٣) .

وقوله تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (٤) .

وقوله تعالى « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » (٥) .

ولا نطيل الاستطراد من ذكر الشواهد من القرآن الكريم على تصحيح عقائد المجتمع الانساني بدعوتهم الى عبادة اله واحد قادر مدبر للكون ، محيط به ، خبير بأسراره وخالق لكل ما فيه من نواميس وقوانين ونظم .

ولكن الذى يسترعى الانتباه أن القرآن الكريم لم يكتف بتصحيح عقائد المجتمعات الانسانية المنحرفة فى تدينها ، وانما وضع نفسه موضع الحكم بين عقائدها المختلفة ودياناتها المتصارعة ، فخاطب اليهود والنصارى طالبا اليهم أن يتركوا النزاع والتنابذ ، وأن يرجع كل منهم الى دينه الحق ، الى التوراة كما أوحى بها الى موسى ، والى الانجيل كما أوحى به الى عيسى . وهذا هو نداء القرآن الكريم فى هذا الصدد .

(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) (٦) ثم يقول « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » (٧) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم للمجتمعات الانسانية العقيدة الحقة والدين القويم المتضمن لكل مقومات الحياة الانسانية عقدية كانت أو تشريعية أو أخلاقية أو سياسية أو اقتصادية .. (ذلك الدين القيم) وهو دين الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام » وقد صدق الله تعالى حين قال فى محكم كتابه . « ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » (٨) .

٢ ـ مشكلة حق الحياة

أما مشكلة حق الحياة فقد عالجها القرآن بما يهيء لكل فرد من أفراد البشر حياة الأمن والسلام ، وبما يوقر فى نفسه أن حياته ودمه وكل أعضائه الظاهرة والباطنة مصونة من الاعتداء، محفوظة حرماتها من الانتهاك ، فقد سنَّ القرآن الحدود الزاجرة والعقوبات الرادعة على مختلف الجرائم ، ولكنه كان أكثر صراحة وأعنف تشددا فى تحديد العقاب على جريمة القتل لما يترتب عليها من انتشار الفزع فى المجتمع وارتفاع الثقة من بين أفراده ، مما يؤدى لا محالة الى انهياره

---

(١) ٣٠ سورة الروم (٢) ١٩٠ ، ١٩١ سورة آل عمران (٣) ٣ سورة الجاثية
(٤) ١٨٤ الاعراف (٥) ٣٧ : سورة فصلت .
(٦) ١١٣ سورة البقرة (٧) ٦٨ : المائدة (٨) ٩ : الاسراء .

وتحلله وذهاب سطوته وبأسه ، وقد جاءت النظرية القرآنية فى تحديد العقوبات عامة ، وفى العقوبة على جريمة القتل خاصة ، متفقة مع طبائع البشر ، ملائمة لأسمى ما وصلت اليه القوانين الوضعية الحديثة ، بل تجاوزتها سموا وتقديرا للأمور وعمقا فى معرفة الأسرار والدوافع والكشف عن البواعث النفسية التي تدفع الى الجريمة ، روعي ذلك وأكثر منه فى دستور القرآن وشريعته منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام .

هذه المبادىء التي راعتها شريعة القرآن فى علاج مشكلة حق الحياة هي :

أولا : ــ أن الجريمة مرض ينتاب المجرم ، وعلى هذا فالعقوبة قصد بها أحد أمرين أو هما معا . (١) علاج المجرم من مرض الاجرام (٢) حماية المجتمع من أضراره وما يترتب عليه من مفاسد .

وثانيا : ــ أن القصاص مصلحة اجتماعية .

وثالثا : ــ اذا تطرق الشك الى أدلة اثبات للجريمة لا يدان المتهم بل تسقط عنه العقوبة

ورابعا : ــ مصلحة المجتمع مقدمة على مصلحة الفرد ، حين تتعارض المصلحتان .

وعلى ضوء هذه المبادىء وضع القرآن الكريم العقوبة على جريمة القتل وعلى جريمة الاعتداء على أى عضو من أعضاء البدن ، وتعطيل أى جهاز من أجهزة الفرد الضرورية حسيا كان أو معنويا .

وقد رهن القرآن حياة المجتمع كله ، وأوقفها على تنفيذ العقوبات المفروضة على هذه الجرائم بدقة ، ولهذا قرر أن يضحي بحياة فرد من أفراد المجتمع فى سبيل الابقاء على حياة المجتمع وصيانة سلامته كله .

يعبر القرآن عن هذا المعنى تعبيرا واضحا فى الآيتين الكريمتين ، وهما قوله تعالى :

« ولكم فى القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون (١) .

وقوله « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » (٢) .

وتحريا للعدالة فى تطبيق العقوبة وتفريقا بين القتل الناشيء عن قصد ورويَّة وبين القتل الناشيء عن خطأ ، ومن غير قصد اليه أو ارادة له ، قسم القرآن القتل الى هذين النوعين ، وشدد فى عقوبة النوع الأول ، فجعلها القتل لقوله **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى »** . بينما جعل عقوبة النوع الثاني دفع الدية من القاتل أو أوليائه الى أولياء المقتول ، ما دام القاتل لم يصدر فى تصرفه عن حب للجريمة أو ميل اليها بل لم يقصد اليها . وانما جاء ذلك منه عفوا وبغير قصد . فكانت الدية بمثابة تطييب لخاطر أولياء الدم أو تعويض لهم عن بعض ما فقدوا بفقد عائلهم من مورد رزق أو ايناس بصحبه .

أما العقوبات التي حمى بها أعضاء أفراد المجتمع وحافظ بها على كمالهم الجسماني ليظل كل فرد عاملا حيا وعضوا نافعا ليس معطل الحركة ولا مشلول النشاط فلم يهملها القرآن ، وانما شرعها وميَّز بين انواعها المختلفة فى تكييف الجريمة والحكم عليها وتحديد العقوبة لها . وقد جمعت العقوبة على تعطيل حاسَّة من حواس الجسم أو وظيفة من وظائفه الظاهرة أو الباطنة فى قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له » . (٣) كان ذلك مكتوبا فى التوراة وأقره القرآن فصار شريعة لنا كذلك .

---

(١) ١٧٩ سورة البقرة (٢) ٣٢ : المائدة . (٣) ٤٥ سورة المائدة

ولما كان ايقاع القصاص بقتل القاتل أو قطع عضو من أعضاء الجاني نظير ما قطع أو عطل من أعضاء غيره ، قد تترتب عليه أضرار اجتماعية أو يلزمه ارتكاب خطيئة أكبر فى حق الغير ، فتح القرآن لصاحب الحق فى العقوبة باب العفو ان رأى ذلك وفضله لاعتبارات اجتماعية ، ولتفادى أضرار قد تلحق بالجماعة كلها أو ببعض أفرادها اذا ما استمسك بحقه فى تنفيذ القصاص . ومن أجل أمثال هذه الحالات لم يوجب القرآن عقوبة القتل كما لم يوجب القصاص بالمثل فى غيره وانما جعل ولي الحق مخيرا بين القصاص وبين العفو فى مقابل دية من القاتل او القاطع يدفعها لأولياء المقتول أو المقطوع وفى هذا يقول القرآن الكريم

« فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » (١) . ثم يزيد ما عناه فى تلك الآية السابقة ايضاحا فيقول « فمن تصدق به فهو كفارة له » .

هذه هي عقوبة القرآن فى دنيا الناس ، وعلى أساس الأحكام الظاهرة التي يجريها القضاء ، أو يقضي بها الحاكم طبقا لما ظهر من شواهد ، وما اتضح عنده من بينات . فقد يهتدى الحاكم فى قضائه الى الحق ، وقد يجانبه ذلك بسبب ما يضلّل به من شواهد ، أو يزيف عليه من بينات يضلّل به من شواهد،أو يزيف عليه من بينات وأدلة، ولذلك يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر »

وهذه الولاية من الله سبحانه لسرائر الناس قضت بأن يلحقهم العقاب فى الآخرة ، مهما أفلتوا منه فى الدنيا ، ولهذا سن القرآن العقوبات الأخروية بجانب الدنيوية أو بدلا منها على الخلاف فيما اذا كانت الحدود زواجر أو جوابر . فقال جل من قائل .

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » (٢) .

هذا هو موقف القرآن الكريم من مشكلة حق الحياة . عالجها بحكمة وواجهها بصرامة وصراحة ووضوح فأحاطها بما يحول بين الناس وبين اهدارها أو الاستهانة بها ، وكان فى كل حكم شرعه أو عقوبة سنها أو تحذير وجهه لا يراعى الا مصلحة الجماعة والحفاظ على ترابطها وقوة تماسكها وسلامتها من الأمراض الفتاكة والعلل المهلكة ، والآفات الاجتماعية التي تهدد حياة المجتمعات الانسانية وتزلزل كيانها وتجعل مصائرها فى متناول الأنواء ومهب الأعاصير .

أما حق الملكية فله حديث آخر .

نغمة العفو

قال الاصمعي :

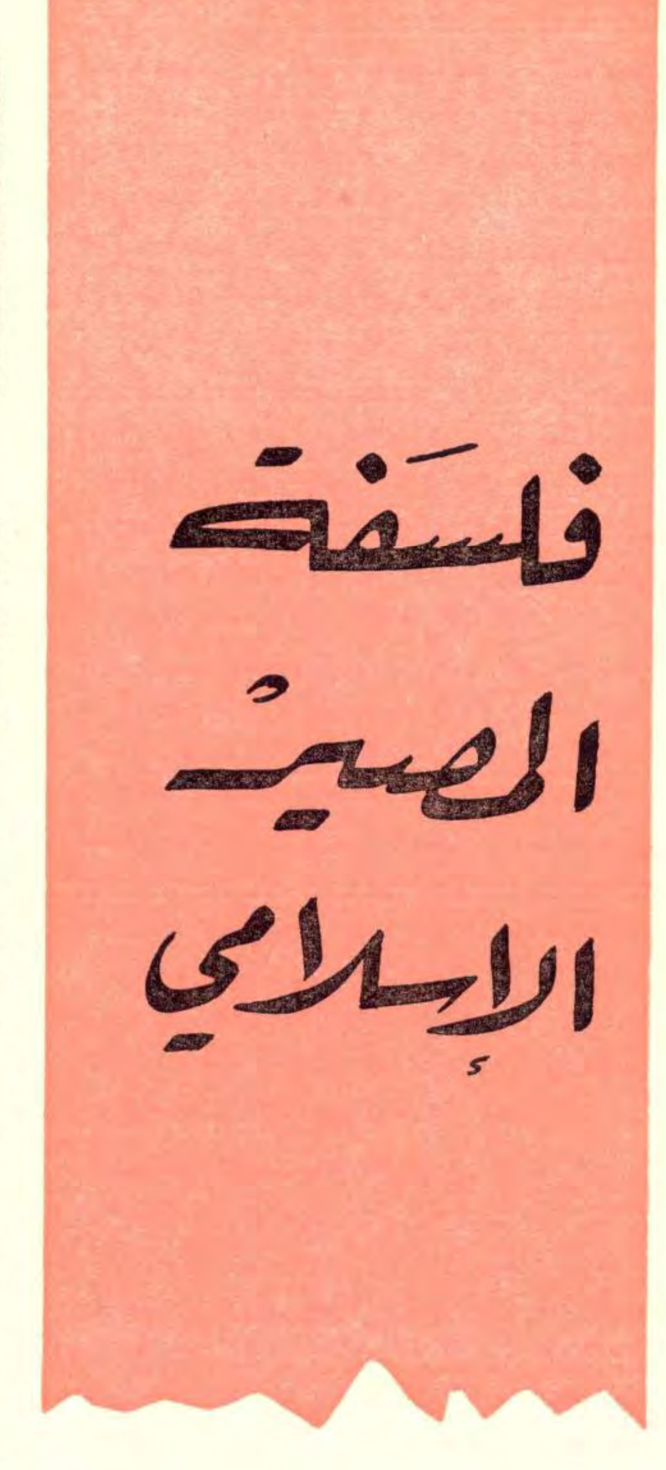
سمعت أعرابيا يقول فى دعائه وابتهاله: « آلهي . ما توهمت سعة رحمتك الا كانت نغمة عفوك تقرع مسامعي ، أن قد غفرت لك ، فصدق ظني بك ، وحقق رجائي فيك ، يا الهي » .

كم صديقا لك ؟

قيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟ قال لا أدرى . الدنيا مقبلة علي والناس كلهم أصدقائي ، وانما أعرف ذلك اذا أدبرت عني .

---

(١) ١٧٨ سورة البقرة (٢) ٩٣ سورة النساء .



للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة
بجامعة دمشق

يتساءل رجال الفكر الاسلامي اليوم : كيف ، ومتى ، والى أين يسير المسلمون فى ركب الحياة المعاصرة ، وما هو طريق الاصلاح المنشود ، وما هي الدعائم التي تحقق الأمل المرتجى ، وما هي الوسائل التي يستطيع بها المسلمون السير وفق خطة موضوعية متكاملة شاملة لجميع مرافق الحياة ؟

هذه أسئلة تجول فى أذهان الناس ، وعلى لسان كل مسلم غيور على دينه ، متطلع الى مستقبل أفضل لهذا الدين ، بحيث يصبح الرائد الأول لجميع الاتجاهات ، والحاكم الفاصل فى كل القضايا وشؤون الحياة .

وفى رأيي أن الطريق واضحة وأنه يمكن للمسلمين القيام بدور ايجابي فى معالجة أوضاع المجتمع الحديث ، على أساس من الاتزان والاعتدال ، وفى روح متجردة ، وفى اطار تربوي سليم يتلاءم فى نهجه وهدفه مع تغير الزمان والمكان ، وأحوال المدنية الجديدة ، ويمكن تحقيق ذلك من جانبين :

الجانب الأول : ـ

تأصيل وتقرير الفكرة الاسلامية وابراز القانون الاسلامي واثارة الوعي الديني الصحيح ، عن طريق نشر الثقافة الاسلامية ، وتركيز أهدافها من قبل أولئكم الرجال المخلصين « المحايدين » الذين لم يقعوا فى أسر فئة معينة أو حزب معروف ، او ممالأة السلطات الحاكمة .

الجانب الثاني : ـ

مساندة السلطات الاسلامية لرجال الفكر الاسلامي الناضج ، بتشجيعهم ، وتبني آرائهم ، وتنفيذ مخططاتهم ، وتكليفهم فى ظل دولة ـ كدولة الكويت الفتية الغنية ـ بوضع نظام اسلامي شامل لجميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية .

وبهذين الجانبين يمكن السير قدما الى الأمام ، اذ لا يكفي الاعتماد على العواطف المجردة ، والتفكير السطحي ، والذهاب مع الخيال ، وترديد



مثل قولهتعالى: « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» أو قوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ».

والى أن يتم تحقيق مثل هذا الحلم أبين شيئا عن الخطوط العامة لتفاعل الاسلام مع الحياة .

الاسلام أساس المجتمع الفاضل

الدين الاسلامي باعتباره دين الفطرة يعتبر نظاما قائما بذاته وشاملا لجميع ميادين الحياة ، بل هو عصب الحياة ، وأساس كل مجتمع انساني سليم ، فليس الدين قاصرا على الفرد ، ودور العبادة أو الزوايا أو التكايا ، وانما هو طريق السعادة الاجتماعية ، والحارس الأمين على مصالح المجتمع ، وتنظيم العلاقات بين الأفراد فى معاملاتهم وسلوكهم وفاعلياتهم المادية أو الاقتصادية .

والسر فى تأثير الدين ـ فضلا عن أنه من لدن حكيم خبير ـ هو ما ينطوى عليه من مثالية وقوة روحية وسلطان قلبي ، ودافع ذاتي ، يدفع الناس الى التزام جادة الأخلاق ، والخشية من الله وحده ، وطهارة القلب ، وعلو النفس ، ويقظة الضمير ، والشعور بالواجب .

الدين والضمير

واذا انحسر الدين عن الحياة ـ لا سيما فى أوساطنا العربية ـ اضطربت الجماعة ، وسادت الفوضى ، وانتشر الفساد والقلق بين العباد ، وهذا هو تعليل الضعف الذى ندركه فى مجال القوانين والتشريعات الوضعية ، التي يسارع الناس فى كل فرصة للخروج على مقتضياتها وأحكامها بكل جرأة وصراحة وعلانية ، وسبب ذلك هو أن القوانين تنظم فقط العلاقاتالاجتماعية بين الأفراد ، وتترك علاقة الفرد بربه ، وعلاقته بنفسه ، فكان الاسلام ـ دون تعصب ـ هو الدرع الواقي من كل انحلال خلقي ، أو تعثر مسلكي وسياسي ، بما تجسد فى مبادئه ومقدساته من ضوابط عامة ، ورقابة متلازمة نابعة من الضمير ، وخشية الله وحده وبما تهيأ فى تشريعه الخالد من تنظيم لعلاقات الانسان الثلاث : علاقته بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بمجتمعه .

كما أن الاسلام ليس دينا روحيا فقط ، ولا دينا ماديا فقط ، وانما هو دين روحي ومادى معا ، فهو يعني عناية أصيلة بتربية الفرد ، بحيث تقوى نفسه وروحه ، وتعلو همته ، وتحفظ كرامته ، فاذا انطلق الى المجتمع كان عضوا صالحا ، نفاعا لغيره ، قائما بالخيرات ، مبتعدا عن الشرور والسيئات ، متفانيا فى القيام بواجبه .

وقد كان توفيق الاسلام بين الحاجات الروحانية ، والمطالب المادية على أساس شريف مثالي عملي ، فلم يهمل الاسلام فى تشريعه المطالبة بالعمل من أجل الحياة ، قال الله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين » وقد ورد فى الأثر عن بعض الصحابة ما هو معروف من قول سيدنا علي كرم الله وجهه : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ، كما أن هناك نصوصا كثيرة فى مصادر التشريع الاسلامي تطالب بالزراعة والتجارة والصناعة ، وتعتبر ذلك من فروض الكفايات ، لأن المجتمعات تكون قوية بقوة أفرادها العاملين ، وغنى المجتمع يؤدى بدوره الى توفير الغني للدولة وتقويتها والحفاظ على هيبتها ومنعتها وكرامتها أمام الأعداء ، قال عليه السلام : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » .

واذا كان الانسان مفطورا على حب الذات، والسعى وراء مطامعه الشخصية وأهوائه الخاصة ، الا أن ذلك فى تقدير الاسلام لا ينبغي أن يؤدى الى طغيان مصالح الفرد على مصالح الجماعة ، أو تحقيقها على حساب المجتمع ، لأنه اذا كان من حق الفرد توفير حريته وكرامته وانسانيته ، فان وظيفة التشريع : أن يوازن بميزان دقيق بين مصالح الأفراد : وأن ينظم علاقات الناس بحيث يهيء لكل موهبة فردية أو طاقة انتاجية سبيل الازدهار والنمو فى اطار المصلحة العامة ، حتى انه يعتبر الاعتداء على الجماعة بمثابة الاعتداء على كل فرد بعينه ، وهذا ما سلكه الاسلام .

والدين ليس عبئا على المجتمع كما يظن بعض الناس ، كما أنه ليس قيدا على حرية الفرد كما يظن بعضهم الآخر ، وانما وظيفة الدين : هي صقل النفوس وتهذيب الأخلاق ، للحفاظ على مصالح الفرد والجماعة كما بينا .

ومما يثبت أن الاسلام دين اجتماعى : أنه جعل

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر باعثا على الفضائل ، ورقيبا على الاعمال ، ومذكرا بالخيرات ، فمن راقب الله وخشي بطشه وعقابه أقبل على فعل المعروف والنفع العام ، وأحجم عن الشر والمنكر وارتكاب القبائح ، وكان فى عمله ومهنته رحيما بغيره ، محبا لأبناء وطنه وجنسه ، متعاونا مع بني قومه : لأن الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله .

وكذلك العبادات فى الاسلام تجعل من الديـن مظهرا اجتماعيا ، فالحج فى أساسه وجوهره أمر اجتماعي ، ولا يصح أن يكون بشكل فردى خاص ، وهو أكبر مؤتمر اسلامي يجتمع فيه المسلمون على صعيد واحد ، تتوحد فيه مشاعرهم ، وتأتلف قلوبهم ، ويتذاكرون فى مصالحهم ، وينظمون فيه جهودهم وجهادهم نحو العدو .

والصوم ايضا ظاهرة اجتماعية، يصوم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فى يوم واحد ، وشهر واحد ، ولهم عيد واحد ، وهو ليس عبادة فقط ، وانما فيـه جانب تربـوى عظيـم ، بحيث يعتبر مدرسة لتعليم الفضائل ، وتنمية المثل العليا، اذ انه منهاج أصيل فى تهذيب النفس ، وترقية الغرائز ، وضبط الهوى والشهوة ، وحفظ اللسان وصيانة السمع والابصار ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وبالصوم يصفو الفكر ، وتقوى الارادة ، وتشحذ العزيمة ، ويتغلب حكم العقل على حكم الهوى ، لأن شهر الصوم شهر الصبر ، وما أحوج المسلمين والعرب اليوم الى تقوية عزائمهم واحكام ارادتهم ، لتطهير بلادهم من العدو الدخيل .

وفى شهر الصوم باعتباره شهر المواساة : تنمو عواطف الخـير ، وتـزداد الأحاسيس والمشاعر ، ويشـعـر النـاس بضرورة العطف على الفقـراء والمساكين ، ومسح دموع الأرامل والمحتاجـين ، وكأن الصوم محطة لتعبئة القوى الروحية طيلة أيام السـنة .

والزكاة أيضا ظاهرة اجتماعية كما هو واضح ، لانها تشرك الفقراء فى أموال الاغنياء ، وتقيم التوازن بين مختلف فئات الناس ، وتخفف من حدة تكديس الأموال والثروات الضخمة بيد طبقة معينة .

ومـا أجدرنا ان نذكـر اليـوم قولـه تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصـلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسـوله أولئـك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » .

أسباب التخلف

واذا كنا نشـاهد فى وقتنـا الحاضر بعض التهـاون فى أحكـام الـدين ، فذلـك يرجع لعـوامل كثيرة منهـا : عامل تاريخي : وهو أن الناس يعشقون بطبيعتهم كل جديد ، وينفرون من كـل قديم ، غير أنهم فى هذا بالنسـبة لأمـر التدين آثمـون مخطئون ، لأن التديـن فطرى أيضا فى النفوس ، ودين الاسلام لا تبلى جدته ، لأنه تنزيل مـن حـكيم حميد .

ومنهـا : الاسـتعمار : فقد حـاول المستعمرون اضعاف الدين عند الناس ، وأغروهم بالخروج على شعائره ومقدساته باسم المدنية والحضارة وتطور الزمان .

ومنها : تأثير الثقافة الغربية : وهـذا واضح فى مدارسنا وأفكار الكثـير مـن شبابنا ورجال التعليم فينا ، فقد غزانا الغرب بثقافاته وأفكاره ، وشوهوا لنـا جمال صورة الاسلام النقية ، عن طريق الدعايات ، والمسـتشرقين ، والتأثـير فى طـلاب البعثات الى أوروبـا ، فكانت النتيجة اقتناع المثقفين والناشئة بزخرف الحياة الغربية وهجران تعاليم الاسلام .

ومعالم الاصلاح واضحة أولا ـ فى مجال القوانين والتشريعات الوضعية ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وثانيا : ـ مجال التوجيه الصحيح ونشر الثقافة الاسلامية الناضجة ، وافهـام الناس بحقيقـة الاسلام ، وتصحيح مفاهيمهم ، واصلاح اخطائهم وتصوراتهم عن منهج الاسلام ، وذلك فى دور التعليم والتربية والمدارس والجامعات .

وثالثا : ـ يجب تغيير ما بالنفوس ، وتقويـة الايمان ، وارساخ العقيدة ، والايمان برسالـة الاسلام عن بينة وحجة وبرهان . وصدق اللـه تعالى حيث يقول :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » .

حقوق الانسان

للشيخ عبد الحميد السائح

كل سنة تحتفى دول العالم فى ١٠ ديسمبر ، استجابة لقرار الامم المتحدة بيوم حقوق الانسان .

والامم المتحدة نشأت وتكونت سنة ١٩٤٥ ، وفى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة وثيقة حقوق الانسان ، وفى سنة ١٩٥٠ تقرر ذلك اليوم ميعادا لاحتفال عالمي .

وتلك الوثيقة التي كانت نتيجة عصارة اكبر ادمغة فى هذا العالم ، تمثل معظم تلك الدول التي كانت اذ ذاك ممثلة فى هيئة الامم ، احتوت على ثلاثين مادة ، تدور حول الحريةبانواعها ، والمساواة فى الحقوق والواجبات ، والعدل فى المعاملة ، وان يكون قوام الحكم مشيئة الشعب .

وانا لا اريد ان اكون متجنيا ولا متزمتا ، ولا متحيزا ، وانما اريد ان اكون منصفا الانصاف كله ، متخليا من كل ميل او عاطفة ، تجرني الى رأى غير سديد ، او قول يجافي الحقيقة .

ان وضع تلك الحقوق ، بقرار اجماعي ، يصدر عن دول تمثل معظم شعوب العالم ، خطوة ايجابية محمودة ، ومرحلة اجتماعية هامة .

ولكن الذى اريد ان اتعرض له هنا نقطتين ، اولاهما : اى الدول اشد حاجة الى تطبيق تلك المبادىء ، وتنفيذ روح تلك الحقوق ؟ واخراهما : هل سبق الامم المتحدة غيرها فى اقرار هذه الحقوق او لا ؟ .

اما الجواب عن النقطة الاولى ، فواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، ذلك ان جميع الامم مهما كانت انظمة الحكم فيها ، تحتاج الى تقنين او تعارف ، يحول دون الظلم فيها ، او منها على غيرها ، ولكن هذه الحاجة فى الدول الكبرى ذات البطش الشديد والقوة والبأس ، أشد واكثر ضرورة .

الحاجة الى التطبيق

ودليلنا على ذلك ، ان الظلم بانواعه يقع فى تلك الدول ويصدر عنها اكثر من الدول الصغيرة ، فان اميركا مثلا ، وهي من اعظم دول العالم قوة وثراء ، وبسطة فى النفوذ ، لا يزال حتى الآن والى الغد ، فيها تمييز بين اسود وابيض ، وفيها ظلم من الابيض على الاسود ، وفيها اعتداء صارخ على ابسط الحقوق البشرية ، ومنها يتكرر الظلم باساليبه وانواعه ، بتأييد الاستعمار والعدوان ، ودعم الطغيان ، سواء فى اسرائيل التي خلقوها على ارض عربية اسلامية ، وأيدوا طرد اهلها من ارضهم التي ولدوا وعاشوا عليها ، وحرمانهم من معابدهمالتيحرصوا علىالتردد اليها ، وأمدوها بالسلاح والاموال للامعان فى عدوانها ، وتأييد باطلها وتسليح ظلمها ، أما فى غير اسرائيل من البلاد التي فيها بعض الخلافات والنزاعات ، فان اميركا وتسندها احيانا انكلترا والمانيا وغيرهما من دول الاستعمار ، ينحازون لفريق دون آخر ، ويحرضون فريقا ضد آخر ، ويمدون فريقا بالاعتدة والسلاح ليعتدى على الفريق الآخر .

وقل مثل ذلك بالنسبة لسائر الدول الكبرى ، مهما كان نظام الحكم القائم فيها ، اذن فهذه الحقوق التي اقرتها الوثيقة ، تشتد حاجة الدول الكبرى الى تطبيقها ، لا لمصلحتها وحسب ، بل لمصلحة السلم العالمي ، ولمصلحة سائر الدول

الصغرى ، ولمصلحة المنطق الانساني والحق الانساني المحض .

والواقع المشاهد ان الدول الكبرى فى هيئة الامم ، لا تترك للدول الصغرى حريتها فى ابداء الرأى الذى تريد ، ولا تدعها تدعم العدل المطلق الذى تعتقده ، بل تستعمل معها وسائل الاغراء والتهديد ، لحملها على رأى معين ولو خالف رأيها ، وحملها على دعم ما تعتقده ظلما وعدوانا !!

فما هذه الحقوق المدونة على ورقة بيضاء او صفراء او زرقاء أو حمراء ؟ وما قيمة هذه الوثيقة اذا لم يصن حقوقها اكابر واضعيها ، وهم القوة المحركة الفعالة فى هيئة الامم وفى معظم لجانها وتشكيلاتها ؟

وهنا يتضاعف واجب الدول الصغرى ، فى ضرورة تماسكها لمحاربة هذا الظلم ، ومقاومة هذا الطغيان ، حتى تحمي نفسها ، وخير للامم الصغيرة ان تغلب لبعضها فى بعض الحقوق والحدود غير الجوهرية ، من ان تترك للكبار حق التسلط والنفوذ ، فان ما يضيع منها فى الحالة الاولى قد تعوضه فى مناسبة او اخرى ، واما فى الحالة الثانية فان ما يضيع منها عزيز وغال ، وهو حريتها وكرامتها وعزها وحق انسانيتها .

هل سبق الامم غيرها

اما النقطة الاخرى وهي : هل سبق الامم المتحدة غيرها فى وضع هذه الحقوق وتشريعها ؟؟؟

نعم ، ان بعض الاديان في القديم حاول دعوة الناس الى المحبة ، والى وضع حدود بين ما هو حلال وبين ما هو حرام ، ثم ظهر افراد فى التاريخ ممن شعروا بظلم صارخ احاط بهم ، فلم يطيقوا صبرا دون ان يحاولوا اشعار الناس بالانصاف ، وهنا نذكر حلف الفضول حيث تحالف جماعة من قريش قبيل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها ، او من غيرهم من سائر الناس ، الا كانوا معه حتى ترد اليه مظلمته ، ثم اخذ بعض المصلحين هنا وهناك يكتبون وينبهون ، والناس فى كثير من انحاء العالم فى اغراق من الغفلة والمظالم ، ثم فى سنة ١٦٨٨ حصلت ثورة فى انكلترا ، نتج عنها اقرار حق الشعب ، وان رأى البرلمان الممثل للشعب مرجح على رأى الملك .

ثم فى سنة ١٧٨٩ قامت الثورة الفرنسية ، التى نشأ عنها اعلان الحريات والحقوق الانسانية على الوجه المبين فى ميثاقها .

وكثير من الناس ينسبون هذه الحريات التي يتمتعون بها والتسوية فى الحقوق والواجبات الى الثورة الافرنسية ، ثم الى وثيقة الامم المتحدة ، ولكن هذا او ذاك تجاوز على الحقيقة واغراق فى البعد عنها ، وذلك لان الاسلام عالج هذه الحقوق معالجة جذرية وقررها فى غير لبس ولا ابهام ولا مداورة .

حرية العقيدة

اما الحرية بانواعها ، فان القرآن الكريم وهو دستور المسلمين الخالد ، الذى لم يتطرق اليه التغيير والتبديل ، قد تكفلها ، وسيرة الرسول واصحابه قد دعمتها بما لا يبقى معه مجال لاحتمال . من ذلك : ـ

١ ـ قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » الآية (٢٥٦) من سورة البقرة .

اخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي عن سعيد بن جبير قال : كانت المرأة من الانصار اذا كانت نزرة او مقلاة ، تنذر لئن ولدت ولدا لتجعلنه فى اليهود ، تلتمس بذلك طول بقائه ، فجاء الاسلام ، وفيهم منهم . فلما اجليت النضير ، قالت الانصار يا رسول الله ، ابناؤنا واخواننا فيهم ، فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : «لا اكراه فى الدين».. الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد خير اصحابكم ، فان اختاروكم فهم منكم ، وان اختاروهم فهم منهم فاجلوهم معهم) .

٢ ـ وقوله : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ... الآية (٩٩) من سورة يونس .



حريــة الرأى

٣ ـ كان اصحاب رسول الله يتمتعون بحرية تامة فى مجالس الرسول ومخاطبته ، حتى ان الحباب بن المنذر اشار على الرسول فى غزوة بدر ان ينزل فى مكان غير الذى نزلوا فيه اول الامر ، ثم يتغوير الآبار وبناء حوض للشرب لا يصل اليه المشركون ، فقبل الرسول اقتراحه واخذ برأيه .

وكذلك فى غزوة الخندق حين استشار الرسول اصحابه فاشار سلمان الفارسي بحفر الخندق ، عند المنفذ الذى خيف ان يهجم منه الاعداء على المدينة فقبل الرسول رأيه وامر بحفر الخندق .

وكان اصحابه يعترضون على بعض اعماله ، حين توزيع الغنائم مثلا ، ويستوضحون منه أى امر غمض عليهم:فلم يمنعهم الرسول من حرية الرأى .

٤ ـ حينما شكى فتى قبطي الى عمربن الخطاب، ابن عمرو بن العاص ، الـذى كان ابوه حاكـم مصر ، قال عمر لعمرو قولته المشهورة (منذ كم يا عمرو استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) .

المساواة

واما المساواة فى الحقوق والواجبات ، فـان الاسلام اقرها فى عدة مجالات ، من ذلك : ـ

١ ـ قوله تعالى : يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ـ الآية ١٣ من سورة الحجرات ـ

٢ ـ قوله تعالى : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » ـ الآية (٦٤) من سـورة آل عمران ـ

٣ ـ خطب رسول الله فى حجة الوداع فقال : ايها الناس الا ان ربكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ، ولا لاحمر على اسود ، الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

٤ ـ حينما سرقت امرأة من بني مخزوم (وهم من اشراف قريش) ووصلت قضيتها للرسول ، اراد ان يعاقبها ، فعظم على قومها ذلك ، وارسلوا أسامة بن زيد شفيعا للرسول ـ (وكان محببا اليه ومقربا لديه) ـ فقال الرسـول لاسامة : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم دعـا الناس وخطبهم ، وقال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا الحد عليه ، والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ـ رواه البخارى ـ .

٥ ـ قال عمر بن الخطاب فى وصـيته لسـعد ابن ابى وقاص : ان الله ليس بينه وبين أحـد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهـم ووضيعهم فى ذات الله سواء :

٦ ـ غضب ابو ذر الغفارى من بلال بن رباح ، فقال له يا ابن الحمراء ، فشكاه الى الرسول ، فغضب صلى الله عليه وسلم وقـال لابي ذر : انك امرؤ فيك جاهلية يا ابا ذر : ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود ، الا ان تفضله بعمل صالح .

٧ ـ اسلم جبلة بن الايهم وكان زعيمـا فى(١) قومه ، وحينما كان يطوف حول الكعبـة ، داس ازاره شخص من بني فزارة ، فلطمه جبلة، وحينما رفع الامر الى عمر بن الخطاب ، أمر ان يقتص من جبلة جزاء عدوانه على الفزارى ، فاستعظم جبلة ان يقتص منه لشخص عادى ، فقال له عمر : الاسلام سوى بينكما .

٨ ـ كان لذلك التشريع الالهي اثره العميـق الايجابي فى نفوس المسلمين وتصرفاتهم ، حتى ان علي بن ابي طالب حينما جلس مـع يهـودى متخاصمين بين يدى عمر بن الخطاب ، انكر علي عمر ان يناديه بلقبه ابي الحسن ، حيث ينادى خصمه اليهودى باسمه ، وكان الخليفة يجلس مع بين يدى القاضي ليطبق عليهما حكم الاسلام .

---

١ ـ كان ملك الغساسنة ، وأسلم مع خمسمائة من قومه ثم ارتد بسبب رفض سيدنا عمر التمييز بينه وبين الفزارى .

معنى المساواة

والمساواة التي اقرها الاسلام هي ان يحوز الانسان المجد ، ومظاهر الحياة والسلطان ، ونعمة المال والمناصب والوظائف حسب جهده واستعداده ، وكفايته لا يحول دون ذلك ضآلة نسب ، ولا معابة لون،فالعربي والعجمي والاسود والابيض لهم ان يتمتعوا حسب نصوص الاسلام بالحقوق العامة كحق الحياةوحق الملكية والحقوق الاخرى من غير تفريق ، ويسرى القانون عليهم جميعا من غير تمييز .

وليس القصد من المساواة ان يكون الناس متساوين فى الثروة ، لا غني ولا فقير لا عامل ولا صاحب عمل ، فان ذلك يجافي الطبيعة البشرية ويصرف ذوى الجد والذكاء ، والملكات عن استخدم قواهم ومواهبهم فى ترقية الحياة وتقدمها بالابتكارات والتفكير والنشاط .

العدل

واما العدل فى المعاملة فان الاسلام اقره بصورته المطلقة الواسعة ويتضح ذلك مما يلي : ــ

١ ــ قول الله سبحانه : ((ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا أعدلوا هو اقرب للتقوى)) ــ الآية (٨) من سورة المائدة .

٢ ــ قوله تعالى : ((يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا)) ــ الآية (١٣٥) من سورة النساء ــ . أى لا يجوز ان يحملكم عداوة قوم او كرههم على ان تظلموهم فى المعاملة او فى الشهادة ، فان العداوة والصداقة والمحبة والكراهية ، والقرابة وعدم القرابة والغنى والفقر والمركز والجاه واللون والجنس والدين ، تستبعد كلها : حين التعامل وحين التقاضي وعند الشهادة ، والواجب هو العدل المطلق باوسع معانيه واكمل مشتملاته .

٣ ــ قوله سبحانه : ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)) ــ الآيــة (٨) من سورة الممتحنة ــ .

٤ ــ قال الامام ابو يوسف : وحدثني عمر بن نافع عن ابي بكر قال : مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل ، وهو شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عمر عضده من خلفه ،

وقال : من اى اهل الكتاب انت ؟

فقال : يهودى .

قال : فما الجأك الى ما أرى ؟

قال : اسأل الجزية والحاجة والسن .

فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله واعطاه ما تيسر ، ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، قال تعالى : ((انما الصدقات للفقراء والمساكين)) ، والفقراء هم المسلمون ، والمساكين اهل الكتاب وهذا منهم .

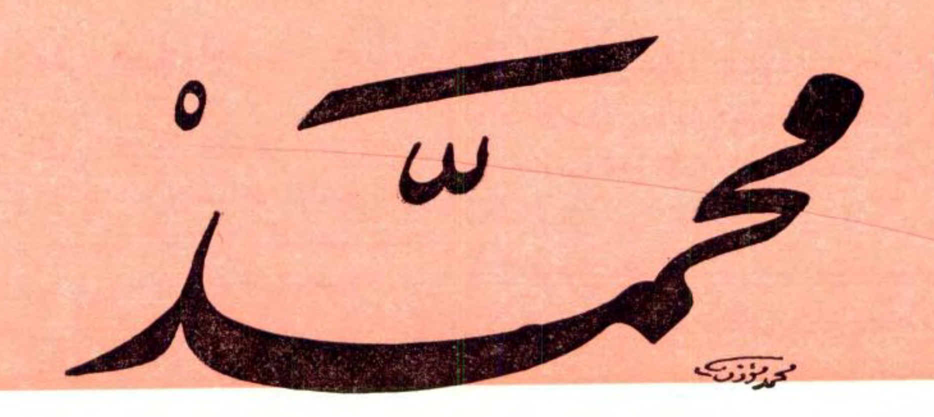
٥ ــ وقال ابو يوسف فى وصاياه لامير المؤمنين هرون الرشيد ((وينبغي ان تتقدم فى الرفق باهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ، والتفقد لهم حتى لا يظلموا ، ولا يؤذوا ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من اموالهم الا بحق يجب عليهم ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته فانا حجيجة)) .

وقال ايضا : ((وحدثني بعض المشايخ المتقدمين يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم انه ولى عبد الله بن ارقم على جزية اهل الذمة ، فلما ولى من عنده ناداه ، فقال : الا من ظلم معاهدا ، او كلفه فوق طاقته ، او انتقصه ، او اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فانا حجيجه يوم القيامة)) . ــ انظر كتاب الخراج صفحة ١٢٥ ــ ١٢٦ ــ .

٦ ــ قول الرسول : ((اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه)) .

وهو هدي ظاهر فى ضرورة العدل والرفق فى معاملة الخدم وعدم ظلمهم او تحميلهم من العمل

البقية على ص ٣٠



الدين عندك ملـــةٌ ســـمحاءُ والحـق نارٌ في الـورى وضيـاءُ
ياصاحب الديـن الحنيف تحيـةً تُجـزى بها آلاؤُك الغـرّاء
لما حملـتَ البينات تـلألأت في الخافقيْن من الهـدى أضـواءُ
وشرعْتَ منهـاج الصـوابِ وطالما ضل الطريـقَ مُشَـرِّعٌ وقضـاء

* * *

حطمت أوهام العبيـد فكلُّـهم والمالكـون رقابُهـمْ أكْفـاء
ما ضـرَّهم أن قد تفـرَّقَ لونُهـم فجميعهم فيما شـرعْتَ سـواء
لا القـوة الرعْنـاءُ تحكُمُ بينهـم أبدا ولا تتحكَّـمُ الأهـواء
فالناس كلٌّ النـاسِ فـردٌ واحـد لافـرق الا تلكـمُ الأسماء

* * *

لا الفقـر يُزْرى بالفقـير ولا الغِنَى يُطْغِي الغَنِيَّ فتَهْلِكُ الفقـراء
فالمـال في عنـق الغـنيِّ أمانـةٌ يسعى بها فيمـا سعى الأمنـاءُ
فعليـه من حق الزكـاة فريضـةٌ ولِكلٍّ من طلب العطـاءَ عطاءُ
حتى إذا أعطى فَسِـرٌّ مُغْلَـقٌ يُودِي بجُـل ثوابـه الإفْشَـاءُ
وإذا أقام المـال عن إنفـاقه فلـه إذا حـل الحسـابُ جـزاء
فالمـالُ مالُ اللـه في عليـائه والناس في ملك الـورى شـركاء

* * *

وفَرَضْتَ أيام الصيـام ليلتقـى أهـلُ الغِنَى في الجوعِ والبؤسـاءُ

للاستاذ محمد التهامي

وجعلْتَ للحج المناسكَ يلتقى في ظلها وجلالها الغرباء
ولديك للآباء من أبنائهم في غير كفر طاعةٌ عمياءُ
والأسرة البيضاء تخلق أمةً في أصلها وفعالِها بيضاءُ

***

حالفْتَ أصحاب الكتاب فضمَّهُم والمسلمين تعاهدٌ واخاءُ
وأخذت للحلفاء كلَّ حقوقهم ممن هديت فكلُّهم نظراء
سيان عندك في القضاء أميرُكم والعبدُ إن ضم الجميعَ قضاءُ
ومشى القوى لدى لوائك صاغراً لما احتمى بلوائك الضعفاء

***

وإذا أصر الجاهلون فما لهم الا الصراع وأخْذَةٌ نكراء
ما حيلة الهادين في متجاهل في قلبه مَطْوِيةٌ صماء
وإذا تَركْتَ الحربَ لا تَنسى لها عُدداً ولا تدع السلام يُساء
أوْعَيتَ حين جمعت كل فضيلة والفضل ما شهدت به الأعداء

***

يا سيدى حَنّتْ إليكَ جوانحى وتدلهتْ في حبك الأحناءُ
واهتاجنى أنى لدى غسق الدجى اذ ما ذكرتُكَ فالظلامُ ضياء
يا سيدى إنا نسير بقفَرة زاد الهجيرُ بها وقل الماء
يا سيدى كن للنجاة شفيعَنا يا خيرَ من شهِدتْ له الشفعاء

بقية ـ حقوق الانسان

ما يشق عليهم ، وقد كان ابو ذر الغفارى رضي الله عنه يلبس خادمه مثل ما يلبس ، فلما سئل عن ذلك ، ذكر الحديث .

الشورى

واما الاعتماد على ذوى الرأى ، واستشارة ذوى المعرفة من الشعب والامة ، فان الله سبحانه ذكر في القرآن آيتين كريمتين تعتبران هما الاساس الاول في الشورى وهما قوله تعالى : « وشاورهم في الامر » الآية (١٥٩) من سورة آل عمران ، وقوله : «وأمرهم شورى بينهم» ـ الآية (٣٨) من سورة الشورى ـ وان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستشير اصحابه فيما لم ينزل عليه بخصوص وحي كما حصل يوم بدر ويوم احد ويوم الاحزاب وفي مناسبات اخرى كثيرة .

وكذلك استشار ابو بكر يوم اقترح عليه عمر ابن الخطاب جمع القرآن ، كما استشار في حوادث كثيرة .

وعمر كان يشاور اصحاب رسول الله ،ويناظرهم حتى ينكشف الخفاء ، ولذلك صارت غالب قضاياه وفتاواه متبعة في مشارق الارض ومغاربها ، كما ذكر في(حجة الله البالغة جزء ١ صفحة ١٠٥ ،) وكان يعارض بعض الآراء ولكنه يعدل عن معارضته حين يعلم ان مصدر الرأى هو الشورى ، ويتضح ذلك من الحادثة التالية :

علم ان جيش المسلمين بالشام قرر الانتقال من حمص الى دمشق ، فكتب الى واليه ابي عبيدة ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر امير المؤمنين الى ابي عبيدة بن الجراح ، والى الذين معه من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ، والمجاهدين في سبيل الله .

سلام عليكم ، فاني احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو . اما بعد ، فقد بلغني توجهكم من ارض حمص الى ارض دمشق،وترككم بلادا قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها لعدوكم ، وخرجتم منها طائعين، فكرهت هذا عن رأيكم وفعلكم ، وسألت رسولكم أعن رأى من جميعكم ذلك ؟ فقال ان ذلك من رأى خياركم واولى النهى منكم وجماعتكم ، فعلمت ان الله لم يجمع رأيكم الا على صواب ورشد في العاجلة والآجلة فهون ذلك علي ما كان دخلني من الكراهية قبل ذلك لتحولكم ، وقد سألني رسولكم المدد لكم ، واني ممدكم قبل ان يقرأ عليكم كتابي هذا ...

والامام علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله ، الامر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيه عنك سنة ، قال : اجمعوا له العالمين : او قال : العابدين من المسلمين ، فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد .

الى غير ذلك من الحوادث الكثيرة والتعاليم المتعددة في الاعتماد على الشورى والاخذ بها .

القرآن وثيقة حقوق الانسان

بعد هذا الاستعراض ، تبين لنا أن الاسلام سبق العالم طرا فيدعوتهالصريحة للمساواة والحرية ، والعدل في المعاملة ، واقراره الحقوق الانسانية ، بصورة لا تدع مجالا لريب او تردد ، وان العالم يوم يسود دوله ومجتمعاته التخلي عن الاعراض والامراض الفتاكة والاهواء القاتلة والانحرافات الجارفة ، يعلن هذه الحقيقة ، ويقرر ان الاحتفال بيومحقوق الانسان هو يوم الاسلام ، يوم انبثق نوره ، ورست قواعده ونشرت اعلامه ، ورفرفت راياته ، ذلك اليوم ، هو اليوم الذى اقرت فيه حقوق الانسان من لدن حكيم خبير ، وان تلك الحقوق سجلت في دستور المسلمين الخالد ، الذى لا يعتريه التغيير والتبديل ، وان تأثير آياته ونوره في العالم الاسلامي قديما وحديثا ، أفعل الف مرة من ميثاق الامم المتحدة او أى تشريع آخر .

ونحن نرى في هذا العصر ان مشكلة الزنوج في امريكا ، ومشكلة المنبوذين في الهند مثلا لا تزال من العقد البارزة ، وانه رغم ما سنت حكوماتهما من تشريعات صارمة ، ورغم الاحكام التي صدرت عن المحاكم والتوجيهات من الزعماء ، فلا يزال التمرد قائما ولا يزال التمييز بارزا ، ولا تزال المشاكل متوالية ، وانا اعتقد انه لا يحل هذه

المشاكل وامثالها الا الاسلام ، يوم يعتقده هؤلاء دين المساواة الحقيقية ، وانه ليس من وضع البشر ، ولا يمكن التخلي عن مبدأ أقره « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ـ الآية (٦٥) من سورة النساء ـ .

والاسلام فى عصوره الزاهرة كان المثل الاعلى فى تنفيذ حقوق الانسان ، لا يفرق بين لون ولون ، او بين دين ودين ، واذا وقع فى التاريخ الاسلامي حوادث تنافي ذلك ، فانما هي نتيجة الانحراف عن المبادىء الاسلامية او الجهل بها ، والبعد عن ادراك معناها ومغزاها .

حاجة العالم الى الاسلام

وكما كان العالم حين بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى امس الحاجة الى رسالة عامة تنقذ البشرية من الضلالات الفاشية ، والمظالم الطاغية ، فان العالم اليوم فى اشد الحاجة الى نشر مبادىء الاسلام ، واذاعة تعاليمه والتوعية بها وازالة الحجب الكثيفة التي احاطت بها وخلقتها المطامع والاهواء والانانية .

وحينئذ تتضح معالم هذا الدين بانه الملجأ الوحيد للهداية البشرية الذى يحفظ للناس حقوقهم كاملة .

وقد قال الكاتب الانكليزي الكبير برناردشو :

كنت ولا ازال اتناول دين محمد فاقدره تقديرا عظيما ، بروحيته العجيبة وحيويته العظيمة ، انه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير ، وملاءمة الازمنة ، فهو الحرى بان يكون دين الجميع فى كل دور وطور ، لقد تنبأت عن دين محمد انه سيكون مقبولا وملائما لاوروبا فى الوقت الحاضر ، ان قساوسة القرون الوسطى اما لجهلهم المطبق واما لتعصبهم الاعمى ، قد رسموا الدين الاسلامي بالوان سوداء .. الخ .

العصر الاسلامي الأوربي

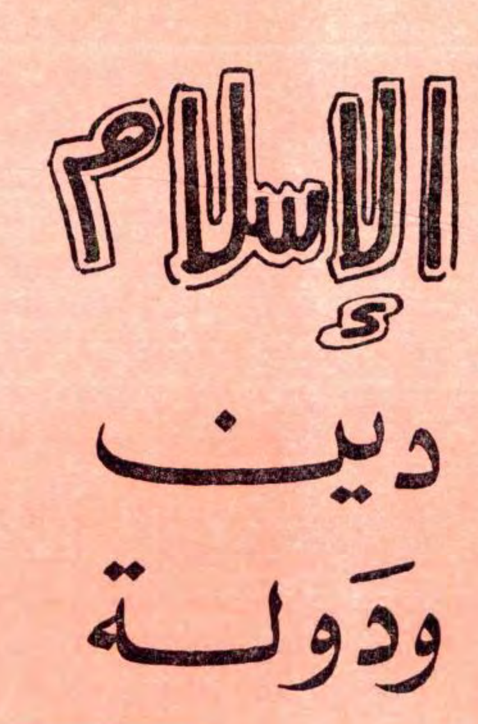
ثم قال ان اوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد وانها بادئة فى عشق دينه وفلسفته ، كما انها ستبرىءالعقيدة الاسلامية عما اتهمت بهمن اراجيف رجال اوروبا فى القرون الوسطى ، سيكون دين محمد النظام الذى تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ، ويستند على فلسفته فى حل المعضلات وفك المشاكل والعقد ، ان كثيرا من مواطني ومن الاوروبيين يقدسون تعاليم محمد ولذلك يمكنني ان اؤكد نبوءتي فاقول : ان بوادر العصر الاسلامي الاوروبي قريبة لا محالة .

وان السير توماس ووكر آرنولد ، الذى شغل اول كرسي للدراسات العربية بكلية الدراسات الشرقية فى جامعة لندن ، وضع عدة مؤلفات عن الاسلام ومحاسنه واشهر مؤلفاته كتاب « الدعوة الى الاسلام » الذى ألفه سنة ١٨٩٦ وكتاب « تاريخ الخلفاء من البداية الى النهاية » .

ويقول المطلعون ان اهمية السير توماس لا تعود الى سعة اطلاعه فى الشئون الاسلامية والى مؤلفاته العديدة بقدر ما تعود الى الروح العلمية الاسلامية التي بثها فى نفوس طلابه النابهين الذين اصبح الكثير منهم طليعة المجتمع الاسلامي النير وفى مقدمتهم المرحوم الشاعر والمفكر الاسلامي الكبير محمد اقبال .

واني اختم كلمتي بدعوة شبابنا ورجالنا ونسائنا الى المطالعة ، والدأب على البحث العلمي النزيه ، ليصلوا الى النتيجة التي توصل اليها غيرهم نتيجة بحثهم ، وحينئذ يشعرون بضآلة اذا هم تمسكوا بأى مذهب ومبدأ ينافي تعاليم الاسلام ،ويدركون الخجالة التيتحوطهم، حين تتفتح لهم كنوز المعرفة ، وقد كانوا بعيدين عنها ،وهيكنوز آبائهم واجدادهم وثمرة حضارتهم ، ونتاج جهودهم، وهذا كله اذا كان القصد الوصول الى الحقيقة المجردة ، ولم تستولى فكرة المكابرة والجحود وفى مثل هذه الحالة لا تنفع الحجج ولا تفيد البراهين .

وقانا الله جميعا شر العناد المطغى وهدانا سواء السبيل ، انه سميع مجيب



كيف طغت القوانين الوضعية على الشريعة الاسلامية فى البلاد العربية :

للمستشار علي علي منصور
الرئيس السابق لمحكمة استئناف مصر

ظلت الشريعة الاسلامية تحكم البلاد الاسلامية ، ومنها البلاد العربية قرابة أربعة عشر قرنا ، وكان المفروض ألا تحكم البلاد الاسلامية بقوانين وضعية الى الآن امتثالا لقول الله تعالى **(ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون)** وفى آية ثانية **(هم الظالمون)** وفى ثالثة **(هم الكافرون)** . وقوله تبارك وتعالى **(فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)**.

ولقد كانت سماحة الاسلام سببا فى الاعتداء على شريعته ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون انتشار هذا الدين عن تدبر واقتناع ، ليكون الايمان به وطيدا وضيئا يملاء القلوب نورا. وأبى سبحانه وتعالى أن يكره الناس على ذلك **(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)** ، **(افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** ، **(لست عليهم بمسيطر . الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر . ان الينا ايابهم . ثم ان علينا حسابهم)** .

ولذلك أمرنا أن نترك أهل الكتاب من الذميين والمستأمنين وما يدينون ، فكانوا يتحاكمون فى أقضيتهم فى الاحوال الشخصية ان أرادوا الى دينهم ، وكان لهم بالاندلس قاض منهم يدعى القومس ، بدأ هذا النظام تسامحا ومنة من الاسلام والمسلمين ، ولما ضعفت الخلافة الاسلامية فى آخر عهد سلاطين آل عثمان اعتبره الاجانب امتيازا ، وتوسعت هذه الامتيازات فشملت الاقضية المدنية

والتجارية ، فأخذوا يتحاكمون فيها الى قناصل دولهم ، وتنكب هؤلاء أحكام المعاملات فى الشريعة الاسلامية ، وغدوا يطبقون أحكام قوانين بلادهم الاصلية وازاء ضعف الولاة فى الولايات العربية الاسلاميةفى أواخر عهد الدولة العلية انتزعقناصل الدول الاجنبية من المحاكم الشرعية سلطة الحكم فيما يقترفه رعاياهم من جرائم سواء وقعت على أجانب أو وطنيين ، وبذلك تقلص اختصاص المحاكم الشرعية – بل زال – فى قضايا الاحوال الشخصية،والقضايا المدنية والتجارية وفىالجرائم

ومما زاد الطين بلة أن اضطر الوطنيون فى البلاد العربية الاسلامية لكي يحصلوا على احكام بحقوقهم ضد الاجانب . اضطروا – الى رفع دعاواهم أمام المحاكم القنصلية . ومن عجب أن أحكام تلك المحاكم القنصلية كانت تستأنف أمام المحاكم العليا فى البلاد الاجنبية الاصلية ، فأحكام قناصل دولة اليونان مثلا تستانف فى أثينا وكان على المصرى مثلا الذى حكم ضده لصالح فرنسى، أن يرفع استئنافه فى باريس . وفى ذلك مافيه من العنت والمشقة والحرج ، مما حمل بعض الحكام فى بعض الولايات الى اتخاذ هذه الفوضى ذريعة الى التوسع فى ادخال القوانين الاجنبية واستقدام قضاة أجانب ، ومن هؤلاء المخادعين «نوبار باشا» الذى ولى رئاسة الوزارة فى مصر وهو ارمنى الاصل فرنسى الثقافة، حيث فكر فى انشاء محاكم مختلطة يجلس فيها قضاة أجانب، يمثلون جميع الدول المتمتعة بنظام الامتيازات الاجنبية ، ويحكمون وفق قوانين وضعية نقلت عن القوانين الاجنبية ، وعلى الاخص القانونين الفرنسيوالايطالى بموافقة الدولالاجنبية التىكانت تحرص على ان يكون التشريع الموحد لهذه المحاكم المختلطة غير اسلامي ، وافتتحت هذه المحاكم المختلطة فى مصر سنة ١٨٧٦ م .

سد باب الاجتهاد وتكالب الاستعمار على بلاد الاسلام :

وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، بلغت الدولة العلية من الضعف والهوان ما حمل سكان أوربا على أن يطلقوا عليها اسم (الرجل المريض) ، واشتد المرض ، وبلغ بصاحبه حالة النزع والاحتضار ، وتنكب المسلمون اوامر ربهم واحكام دينهم ، فصدقت فيهم مقالة نبيهم ، وتداعت عليهم ذئاب الاستعمار كما تتداعى الاكلة الى قصعتها ، ولم يكن ذلك عن قلة فيهم ، ولكنهم كانوا كغثاء السيل يعيشون على هامش الحياة ، وتطلعت الدول المستعمرة المسيحية الى تركة الرجل المريض فرنت انجلترا الى العراق ومصر والسودان والجنوب العربي ، وتاقت فرنسا الى سوريا ولبنان والجزائر وتونس ، حتى ايطاليا طمعت فى ليبيا ، واسبانيا طمعت فى المغرب . وانتهى الامر بموت الرجل المريض والقضاء على الخلافة الاسلامية وأخلفت الدول الغربية وعودها للدول العربية واقتسمت التركة فيما بينها .

وفى هذا الليل البهيم خشى المسلمون على دينهم وشريعتهم ، حيث كانوا قد عموا بجهالة ، فخافوا عليها من أن يفتى فيها من ليس اهلا للاجتهاد ، فنادى الكثيرون فى معظم البلاد الاسلامية العربية باغلاق باب الاجتهاد . وكان ذلك سببا فى الاتجاه الى التشريعات الاجنبية ، بل والارتماء فى أحضان القوانين الوضعية . وأنشئت فى مصر محاكم وطنية على غرار المحاكم فى فرنسا ، ووضعت لها مجموعات من القوانين الوضعية الغربية عنشريعتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، ولم يبق للشريعة الاسلامية من سلطان سوى الحكم فى قضايا الاحوال الشخصية للمسلمين فقط ، وانتقلت هذه المحاكم الوطنية بقوانينها الوضعيةالىمعظم البلاد العربيةالاسلامية كسورياوالعراق والاردن وليبيا والجزائر وتونس .

التناقض مدعاة الى اليقظة :

قديما قالوا : بضدها تتميز الاشياء . ولم يطل العهد بالمسلمين فى البلاد العربية حتى تنبهوا الى هذه الحكمة ، فهم بعد النكبة التي حلت ببلادهم بدأوا يحسون بأن الاستعمار الغربى والشرقى يريدهم ان ينسلخوا من تقاليدهم واخلاقهم وشريعتهم ، ولا يرتضى منهم دون ذلك ، شعر المسلمون العرب بأن ما يفرض عليهم من قوانين ، ونظم أجنبية باسم الحضارة والتقدم يخالف فى الكثير أحكام دينهم وشريعتهم ، وبدت الحاجة ملحة الى وجوب المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، وهيأ الله لهذا الامر نفرا من فقهاء المسلمين جمعوا بين الثقافتين الشرعية والوضعية ، فاستطاعوا بذلك أن يثبتوا كمال ما انتهى اليه الخالق فى شرعه ، ونقص ما انتهى اليه المخلوق فى وضعه .

البقية على ص ٤٧

من مفاخر التشريع الإسلامي

للدكتور عبد العزيز عامر
رئيس محكمة القاهرة

أرسل الله خاتم النبيين بخير دين ، رحمة وهدى للعالمين ، وبه كمل الدين ، وتمت النعمة ، ولما كان دين الاسلام هو دين الدنيا والآخرة ، والباقي الى يوم القيامة ، فقد رسم الله للمسلمين طريقهم نحو العزة والكرامة ، وسن لهم من التشريع ما يمكنهم من بلوغ غاياتهم نحو خير الدنيا والآخرة ، وابقى بين ظهرانيهم كتابا فيه هدى ونور ، وسنة تهديهم الى سواء السبيل ، من تمسك بهما ، فقد عصم من الضلال . يقول صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما انْ تمسكتم به فلن تضلوا من بعدى أبدا : كتاب الله ، وسنتي ... »

وقد جمع تشريع الاسلام من الاحكام ما يضمن له الدوام ، ولا عجب فهو من صنع أحكم الحاكمين الذي يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، فلا غرو أن يأتي هذا التشريع متفقا مع طبائع البشر ، متمشيا مع كل زمان ومكان ، صالحا لاقامة أعظم دولة وأحكم نظام .

وقد امتاز هذا التشريع فى نواح كثيرة بأحكام فريدة ، لا يغض منها ان كثيرا منها تعرض لهجوم غير المسلمين ، ولنقد من بعض المسلمين ممن لم يعلمهم الله علم هذا الدين ، ففتنوا بالغرب ، وبما عند الغرب .. لهذا فسأحاول على صفحات هذه المجلة الغراء أن أبرز بعض المفاخر التي امتاز بها التشريع الاسلامي ؛ لعل فيها ردا على اعداء الاسلام ، ونورا لمن لا يفهمها من المسلمين ، وأختار فى هذه المقالة موضوع « تعدد الزوجات »

تعدد الزوجات

الاقتصار على زوجة واحدة من المسلّمات في جميع القوانين الغربية فى الوقت الحاضر ، وهذا الامر كان قديما مبدأ من مبادىء تنظيم الزواج فى القانون الروماني ، وقد أخذ به المسيحيون ، فأضحى بتأثير المسيحية من سمات الحضارة الاوربية .

فعلى سبيل المثال تنص المادة ١٤٧ من المجموعة المدنية الفرنسية على انه :

(لا يجوز عقد زواج ثان الا بعد انحلال الاول) فاذا عقد قبل ذلك كان باطلا ، وفضلا عن بطلان الزواج الثاني ، فان القانون الفرنسى يجعل ابرام الزواج الثاني أثناء قيام الزوجية السابقة ، ومع العلم بقيامها جريمة يعاقب مرتكبها بالحبس والغرامة .

وفى القانون الايطالي تعتبر الزوجية القائمة مانعا من الزواج ، واذا تم الزواج مخالفا لهذا المنع كان باطلا (المواد ٨٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ من المجموعة المدنية الايطالية) .

والحال كذلك فى القانون اليوناني ، ففيه يمتنع ابرام زواج جديد ممن يرتبط بزوجية سابقة ، واذا أبرم هذا الزواج كان باطلا (المادتان ١٣٥٤ ، ١٣٧٢ من القانون المدني اليوناني) .

أما فى الشريعة الاسلامية فان الامر يختلف عن ذلك ، اذ تعدد الزوجات فيها مباح ، وهو مقصور على أربع زوجات ... ، والاساس فى هذا الامر قوله تعالى :

« وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى

**وربـاع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة
ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)) .**

هور المفسرين والفقهاء على أن هذه الآية
عدد الزوجات ، ولكنها تقصره على أربع .
فى تعدد الزوجات متشعب ولكن الذى
فى هذا المقام هو الكلام فى بعض مسائل
د .

العدل والقدرة على الانفاق

ل هذه المسائل ما يشترط لاباحة التعدد ،
تفق الفقهاء على أنه يشترط لذلك العدل بين
ات ، واختلف فى شرط آخر هو شرط القدرة
لانفاق :

: ـ اما شرط العدل بين الزوجات عند
د فسنده قوله تعالى ، : (.... فان خفتم
دلوا فواحدة ....) ومقتضاه أن من خاف
ر اذا عدد لزمه أن يقتصر على العدد الذى
ن فيه الخوف من الجور ، فان لم يكن ذلك
الاقتصار على واحدة ، لزم أن يقتصر عليها .

كن هل يوجد تعارض بين الآية المذكورة وقوله
: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو
تم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) .

مهور المفسرين على أن المقصود بالعدل فى الآية
ى هو العدل فى القسم والنفقة ، فقد قال
م القرطبي : انها منعت من الزيادة التي تؤدى
ترك العدل فى القسم ، وحسن العشرة ، وقال
صاص : ان العدل المطلوب فى هذه الآية هو
دل الظاهر ، وهو القسم بين الزوجات
ساواة فى الانفاق ، والمساواة فى المعاملة
هرة ، وليس هو العدل فى المحبة الباطنة ، فان
أمر غير مستطاع والله تعالى يقول : (لا يكلف
نفسا الا وسعها) .

ما الآية الاخرى فالعدل المنصوص عليه فيها
العدل فى المحبة : قال الزمخشري : قيل معناه
عدلوا فى المحبة ، والنبي صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه ، فيعدل ، ويقول : (هذه
متي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ، ولا
ك) يعني المحبة ، لان عائشة رضى الله عنها كانت
ب اليه . ، والقرطبي يقول فيها أيضا : ان
ى ميل الطبع فى المحبة والجماع والحظ من
لب ، فالبشر بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم
الى بعض دون بعض ؛ ولذلك فانه تعالى لم ينه عن الميل هنا لانه خارج عن طاقة البشر ، والذى نهى عنه هو كل الميل فى قوله تعالى :
(فلا تميلوا كل الميل ، فتذروها كالمعلقة) .

العدل المادي لا العاطفي

وبناء على ما تقدم يكون هناك عدل فى المسائل المادية الظاهرة ، من مثل القسم بين الزوجات والنفقة ، فهذا كله مستطاع ، ويجب توافره فيمن يعدد الزوجات ، وليس ذلك فقط ، بل ان الخوف من عدم توافره موجب لعدم التعدد .

أما العدل فى ميل القلب والحب ، ومسائل العاطفة التي لا يستطيع البشر التحكم فيها ، فلا يمكن التكليف به ؛ لانه لا يستطاع ؛ لخروجه عن الطاقة ؛ وأقوى دليل على ذلك أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يقدر عليه ، وفضلا عن ذلك فالمرأة بطبيعتها تحب أن تستولي على عاطفة الرجل ، كما انها تغار من الأخرى بالفطرة ، فميل القلب غير مستطاع العدل فيه ؛ اذ من المحال أن يكون واحدا لجميع الزوجات لاختلاف طبائعهن .

واذا كان ميل القلب غير مقدور عليه ، فان الميل كل الميل فى هذا السبيل منهى عنه لقوله تعالى : (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) . وقد حثت هذه الآية على الاصلاح ، وان لم يكن هذا الاصلاح ، وكان الميل كله ، فان الطلاق دواء لهذه الحالة ، والله يعطى كلا من يحبه ، والله تعالى يقول : (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما) .

وبما قلت يوفق بين الآيتين الكريمتين ، أما عدم التوفيق فليس من القرآن، وليس من الاسلام، وليس عليه أحد يعتد له برأي ، والقرآن كله يفسر بعضه بعضا ، وقد تولى النبي صلى الله عليه وسلم البيان على ما ذكرت ، وليس بعد بيانه بيان ،فهو صاحب السلطة فى تبيين القرآن لقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم) .

ثانيا : ـ واما شرط القدرة على الانفاق، فسنده قوله تعالى : (.... فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) ، وقد فسرها الامام الشافعي : بألا يكثر عيالكم ، ووجهه: عال الرجل عياله يعولهم ، كقولهم ما نهم يمونهم اذا أنفق عليهم ؛ لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم،



وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب ، وحدود الورع ، وكسب المال والرزق الطيب . وقد انحاز الزمخشري الى ما ذهب اليه الشافعي ، وقال ان كلامه حقيق أن يحمل على الصحة والسداد ، وألا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا . وقد سلك القرطبي مسلك الزمخشري فقال : ان تفسير الشافعي المذكور أخذ به الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة ، فالعرب تقول : عال يعول وأعال يعيل ، أي كثر عياله . وقال الثعلبي المفسر : قال استاذنا ابو القاسم بن حبيب : سألت أبا عمر الدورى عن هذا ، وكان اماما فى اللغة غير مدافع ، فقال : هي لغة حمير ، وأنشد :

وان الموت يأخذ كل حي
بلا شك وان أمشى وعالا

فعلى تفسير الامام الشافعى يكون للتعدد شرط آخر هو ان يكون راغب التعدد قادرا على الانفاق على زوجاته بعد التعدد ، وعلى ما يحتمل له من أولاد كثيرين بسببه فضلا عن قيامه بالنفقة على من تجب عليه نفقته من أقربائه ، بصفة كونه عضوا فى اسرة ، أما عند من قالوا ان معنى العبارة : ذلك أقرب ألا تميلوا فيكون شرط التعدد الوحيد هو عدم خوف الجور .

واني اميل الى الرأي الاول ، فالشافعي رضى الله عنه كان عليما بلغة العرب ، عليما بمعانى القرآن الكريم ، وكلام العرب واشعارهم يؤيد ما ذهب اليه ، فضلا عن أئمة المفسرين ، وعلى ذلك تكون القدرة على الانفاق بالوجه السابق شرطا فى التعدد يضاف لشرط العدل .

أثر تخلف الشرطين

ولكن جرى علماء الفقه مع ذلك على ان شرطى التعدد ليسا من شروط الصحة ، فالزواج بدونهما يقع صحيحا ، لكن من يعدد هنا يأثم ، وتلحقه العقوبة الأخروية . وبناء على ذلك لا يمكن – قضاء – الحكم بفسخ عقد الزواج بدعوى عدم تحقق أي من الشرطين المذكورين .

ومرد ذلك ان خوف الجور أمر نفسى لا يجرى عليه الاثبات القضائي ، فلا يمكن تبعا أن تجرى عليه أحكام القضاء ، فالقضاء لا يتغلغل فى النيات الباطنة ، بل له الظاهر . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (انكم تختصمون الى ، ولعل

بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض
له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت
أخيه بشيء ، فانما أقطع له قطعة من ا

والذى يقال فى خوف الجور يقال ف
استطاعة الزوج الانفاق !! كما ان
الزوجات قد يترتب عليه انخفاض فى
المعيشة معيشة المعدّد مع بقاء ما يكفي
فهنا لا يمكن أن نمنعه من التعدد
العيش الهنيء ، لان هذا قد يدفعه ال
وقد يؤدى لمفاسد لا تحصى .

سلطة القضاء

ولا يمكن التسليم بجعل التحقق من
الشرطين المذكورين من سلطة القضاء ، ف
تكن عليه الامة الاسلامية من لدن النبي
عليه وسلم حتى الآن ، لم يشذ عن ذلك
يعتدله برأي ، فضلا عن انالاثبات هنا مت
الامر بباطن النفس ، ولضعف الوازع ال
الشهود ، وفى ضمير الناس مما يجعل مه
صعبة ، ان لم تكن مستحيلة . وزيادة
فان ترك الامر للقاضيليس حلا عمليا، بل
عليه أخطار شنيعة : منها أن من يمنعه ا
الزواج بثانية مثلا قد يلجأ الى مخادنت
أو التزوج بها عرفيا .

صيحات مستوردة

ولقد قامت فى بعض بلاد العالم الاس
هذه الايام دعوات ملحة لتقييد تعدد الز
ومنها ما يطالب بمنع التعدد وفى اعتقادى
الدعوات غريبة عن عالمنا ، واردة لنا من
بلادنا ، ذات تقاليد ودين يختلف عن تقا
ودينا ، وذلك فى الوقت الذى أخذ فيه
الغرب يؤمنون بحكمة التعدد ومزاياه ، وأ
من شيوع العلاقات الجنسية غير المشروع

وقد تأثرت بعض التشريعات بهذه النظر
التشريع الفرنسى الذى جعل جريمة التعد
بعد أن كانت حتى فبراير سنة ١٩٣٣ ج
يعاقب مرتكبها بالاشغال الشاقة ، وفضلا
فانه فى القانون الفرنسى يمكن الاعتراف ب
الشرعي لاولاد يولدون من علاقة غير شرعي
الزواج ، وهذا يعتبر تسليما جزئيا بالتعد

ولا يمكن التذرع فى هذا السبيل بان الناس قد ساء فيهم التعدد ، لان الاحصائيات تدل على ان التعدد لا يعدو نسبة مئوية ضئيلة عندنا ، وتدل أيضا على ان هذه النسبة آخذة على مر الايام فى النقص ، وزيادة على ذلك فان الشرائع لا تغير لمجرد اساءة الناس استعمالها ، والقانون الحكيم فى ذاته لا يبدل من أجل جهل الناس به أو اساءتهم تطبيقه، ولكن يجب أن يعلّم الناس لكي يحسنوا تطبيقه ، وذلك يكون بنشر الوعي الديني لدى جماهير المسلمين ، وتبصيرهم بما لهم وما عليهم ، حتى يسيروا فى الطريق السوى ، ويكونوا أهلا لتحمل ما عليهم من تبعات بدلا من فتح باب التقاضى فى أمر التعدد ؛ فان فى هذا من المضار أكثر مما فيه من المنافع .

تساؤل

والى هؤلاء الذين يهاجمون التعدد كنظام مشروع فى الاسلام أقول :

١ ـ أيهما أفضل : تعدد محدود على النظام الاسلامي ، يصان فيه العرض والشرف ، وتحفظ فيه الانساب ، أم تعدد الى غير حد فى علاقات غير شرعية ينـدى لها الجبين ، وثمرتها أبناء غير شرعيين ، ليس لهم من والد ينسبون اليه ، ولا من يقوم على شئونهم وتربيتهم .

٢ ـ ان الدين الاسلامي جاء للاحمر والابيض والاسود والاصفر من الناس ، وجاء دينا باقيا الى يوم القيامة ، وختمت به جميع الرسالات ، والناس على طبائع شتى ، وهو يخاطب الجميع فكان لا بد من مخرج لبعض الناس ، حتى لا تستبد بهم طبيعتهم فتلقى بهم فى المهالك ، وتوقعهم فى الزنى ..

٣ ـ والتعدد قد يكون علاجا لحالات نقص الرجال ، فهم بطبيعتهم معرضون للفناء اكثر من النساء ، ومن طرق فنائهم الحروب التي تعصف بالكثير منهم ، وأكبر شاهد على ذلك ما كان فى الحربين العالميتين الاخيرتين ، فقد نقص عدد الرجال فى بعض البلاد الاوربية لدرجة كبيرة ، حتى ان الرجل يقابل فيها عددا من النسوة ، فالتعدد يعالج هذا الاختلال فى الميزان بين الجنسين ، وبه تجد المرأة من يعولها ، ويكثر النسل ، فيعوض ما أكلته الحروب .

٤ ـ والتعدد مفيد لمن تقبل الزواج على أخرى، لانها ترى ان فى هذا الوضع خيرا كثيرا لها دفعها الى قبوله على ما فيه . اما بالنسبة للزوجة التي يحصل الزواج عليها ، فكثيرا ما يكون بها ما يدعو لهذا الزواج من عقم أو مرض أو غير ذلك ، فخير لها ان تظل مع زوجها على التعدد من ان تكون غير ذات زوج .

ويمكن لمثل هذه الزوجة أن تشترط على زوجها حال الزواج بها ألا يتزوج عليها ، فان فعل يكون لها حق الفسخ لعدم الوفاء بالشرط ، وهذا سائغ فى مذهب أحمد ، بل ان هذا المذهب خصب جدا فى الشروط ، ويمكن الاقتباس منه فى كثير من أحكامه مما يساعد على حل كثير من المسائل ، ونصوصه مستفيضة فى هذا المجال ، والزوجة ان اشترطت هذا الشرط ، وأخل به الزوج ، فان رضيت بالحال الجديدة فبها ونعمت ، وان لم ترض بها استعملت مقتضى الشرط ، فلها أن تطلب الفسخ ، وبه تتحلل من هذه الرابطة .

ولما كان اعمال الشرط هنا فى جميع الاحوال قد يضر بثمرة الزوجية فيستحسن أن يكون مجال تطبيق مثل الشرط المذكور فى حالة عدم الدخول ، أو بعده حين لا يكون هناك أولاد ، أما فى حالة وجود ذرية منهما فيكون اعطاء حق الفسخ للزوجة حينئذ مما يجعل الحياة الزوجية تحت رحمتها ، وفى ذلك ما فيه من مضار .

واخيرا لا يتبادرن الى الذهن ان الاسلام يدعو لشيوع التعدد ، بل ان عدم التعدد هو النظام المفضل ، اذ يلتزم فيه الشخص الجانب الآمن ، ويكون فى منأى عن عدم العدل ، ولا يكون معرضا لامتحان فى عدالته ، كثيرا ما تكون نتيجته الاخفاق، فيجب على كل من أشرب قلبه بهذا الدين ألا يقدم على التعدد الا اذا تحقق من توافر شروطه ، وكان هناك من الاسباب ما يبرره ، كمن يتزوج عن قدرة ليعف نساء مسلمات ، وينفق عليهن ، ويعف نفسه، أو لمرض زوجته مرضا مستعصيا ، أو لانها عاقر .

وبعد فلست مبالغا ـ اذن ـ اذا قلت ان نظام تعدد الزوجات لا يمكن أن يؤخذ على شريعة الاسلام ، ولكنه يعتبر بحق من مفاخر هذه الشريعة ، ومن الادلة على حيويتها ، وانها استهدفت فى أحكامها مصالح الناس .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه.

عقيدة التوحيد وأزمة المثقفين

وأثرها فى الاصلاح السياسي والاجتماعي

لا يغيب عن الباحثين اليوم ما يعرفونه عـــن الأزمات العقلية والعقدية حول معرفة الله والايمان به ، تلك الازمات التي يعانيها كثير من المثقفـين وشباب الطلاب،ولهذه الازمات مظهر يهم موضوعنا هذا ، وأعنى به تأثير دراســات المستشرقين على الفكر الدينى لدى شبابنا الجامعي ، الشباب الذى يتجه الى المصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الاسلامية الشخصية ، وتأثير الدراسات الفلسفية فى أقسام الفلسفة بالجامعات ، وهـــي تميد بأفكار الطلاب الى معان وعقائد قد لا تكون من الاسلام فى شيء ، وليس لدى هؤلاء الطلاب من المعارف الاسلامية ما يقاوم ، أو يوازن هـــذه النظريات العقدية التى يتلقونها ، فيبيتون حيارى أمـــام مـــا يعرفونه مـــن العقائد الموروثة وبـــين ما يتلقونه .

والشباب المسلم المثقف يرى نفسه مضطرا الى أن يلجأ الى مصادر المؤلفـين الاجــانب خضوعا لمقتضيات عقلية جديدة ، ولعله يقدر الى حـــد كبير منهجها الوضعى الديكارتى ، ومـــن العجب أن نذكر ما تتمتع هذه الافكار من مجاملة .

كان لهذه الأمور أثرها فى وهن العقائد الدينية الذى أصاب يقظة الضمير ، والقى بالظـــل على بواعث المراقبة مما قد يعزى اليه الســـبب فى العزوف عن أحكام الدين وعقائده وآدابه .

وانه ليبدو أن تعقيد المسائل الدينية العقدية عند ما تعرض على النحو الذى بحثت به منذ نشأ فن التوحيد ، ومدى ما انتهى اليه أمر هـــذا الفن على يد الفرق الكثيرة ، وما أصابه مـــن نزعاتهم وأهوائهم ، ثـــم خلطه بالفلســـفة ابان تطوره . يبدو أن ذلك قد أضل الأفكار الديكارتية،

ويبدو كذلك معه ان الشباب ما زال بلا شـ مزعزعا امام المشاكل التي تشتمل على ربط أم متباينة كمذهب الوحدانية ووحدة الوجود ، وكذ تلك الآراء المشتجرة حول المسائل العقدية الكث كالجبر والاختيار وخلق الافعال ، ومثل هذه الح تثيرها عصور الاضطرابات السياسية والاجتماع والخلل الروحي ، وهي التي تخلق الصراع بـ العلم والدين وتثير محافز النشاط الفكرى لانتز الآراء ، والتشكيك فيما يكون قد صح من حقائ اجابة لصرخات الأهواء والأغراض التي تنبعث م أعماق نفوسهم .

أعاصير الفتن

يؤيد هذا ما حدث فى آخر عصر عثمان بن عفا رضي الله عنه وعند قتله ، فقد اشرأبت أعناق الفتنة ، وكان من العاملين عليها ومن النافخين ف أبواقها عبد الله بن سبأ الذى كان يهوديا فأسلم وغلا فى حب علي كرم الله وجهه حتى زعم أن الل قد حل فيه ، وزعم أنه الأحق بالخلافة من عثمان الذى نفاه وظل الى عصر علي يتابع دعوته ، فنفاه الى المدائن ، وكان رأيه جرثومة لما حدث مـــن مذاهب . فنبتت نابتة الشيطان فى حقول الرأى والعقيدة ، وشغل الناس بالرأى والجدل وباللدد والخصام ، وشققوا الـكلام بالرأى والهـوى ، فنشأت بوادر من النظر ، وعندئذ نجم الخلاف ، وانتهى الخلاف الى الجرأة ، فتصدع بناء الجماعة وانفصمت عرى الوحدة ، وتفرقت بهم المذاهب ، وأخذت الاحزاب والفرق فى تأييد ارائهم كل ينصر رأيه على رأى غيره بالقول والعمل . وكانت نشأة الاختراع فى الرواية والتأويل ، وغلا الخــوارج فكفروا من عداهم ، وغلا بعض الشـيعة فرفعوا

لفضيلة الشيخ محمد محمد رمضان

عليا وبعض ذريته الى مقام الألوهية أو ما يقرب منها ، وتبع ذلك خلاف كثير فى العقائد ، وكانت أول مسألة ظهر فيها الخلاف مسألة الاختيار واستقلال الانسان بارادته وأفعاله الاختيارية ومسألة من ارتكب المعصية ، وقد اختلف فيها واصل بن عطاء وأستاذه حسن البصرى وقد اعتزله يعلم أصولا لم يكن قد أخذها عنه ، ثم امتد الخلاف الى غير ذلك ، ثم تفرقت السبل بأبناء واصل وهم المعتزلة ، وقد نشأت الفرق السفسطائية ، واختلطت مسائل هذا الفن بالنظر الفلسفي . لقد نجمت هذه المسائل التي خرجت بعلم التوحيد عن سبيله القصد وعن مسلكه فى القرآن الكريم كنتيجة كما قلنا للاضطراب السياسي والاجتماعي ، والاخلال الروحي ثم للانطلاق الفكرى البعيد المدى الذى دعا اليه القرآن .

ثم يؤيد هذا أيضا ما ظهر بعد الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب العالمية الثانية من العقائد أو أبراز بعض العقائد القديمة فى عرض حديث ، ثم خروج هذه العقائد من مجالها الذهني الى مجالاتها الخارجة كالوجودية والشيوعية الماركسية والفوضوية ، ثم ما انبعثت منها فى ظل الاستعمار لافساد الدين كالقاديانية ، وكذلك التطورات التصوفية ونزوع بعضها الى الغلو الروحي الذى لا أثر له فى الدين ، ثم ما كان من انسياقها فىخدمة الاستعمار فى شمال افريقيا فهذا كله ايضا ظاهرة من ظواهر الاضطراب السياسي والاجتماعي .

هذه الاعاصير التي تعصف بقواعد العقيدة فى القلب والعقل وتحصب آثارها خارج مجالاتها العقلية والذهنية من الاحكام والاخلاق والمعاملات هي التي تحفز لاعادة النظر فى بحوث هذا العلم لأن العقيدة الصحيحة كانت دائما أساسا لدعوة قادة الفكر الاسلامي . فالايمان بالله وملائكتهوكتبه ورسله واليوم الآخر هو الركن الشديد والأصل الأصيل الذى تنهض عليه أحكام الدين أوامره ونواهيه وكل ما يتصل بتعاليمه ، وكل ما يتم من الاحكام الشرعية على غير اساسه باطل لا نفع فيه .

وكذلك كل ما يتصل بقضايا الحياة قضايا العمران والاجتماع اذا لم ينهض على أساس من الايمان بالله فهو الى الضياع ، وما اضطراب الحياة فى العالم وعدم الامن والطمأنينة على المستقبل البشرى الا نتيجةلفقدالعقائد الصحيحة.

لقد كان لتأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني كما قلنا أثر كبير فى ايجاد الأزمات العقدية وفى هذه الهزات التي خلخلت أصولها فى القلب . فالنهضة الاسلامية كما قلنا تتلقى كل افكارها واتجاهاتها عن الثقافة الغربية ، وانه مما يثير العجب أن نرى كثيرين من الشباب المسلم المثقف يتلقون اليوم معتقداتهم الدينية وأحيانا دوافعهم الروحية نفسها من خلال كتابات المتخصصين الأوروبيين ، وقد أوغل الاستشراق فى الحياة العقلية للمسلمين محددا لها بذلك اتجاهها الى درجة كبيرة .

الحقد الأعمى

تلك هى اسباب الازمة الخطيرة التى يعانيها شباب الاسلام اليوم والتي تدفعنا الى أن ننحى جانبا هذه الاساليب التي أبتدعها الاستشراق ، فأحدث مفاهيم جديدة لحقائق العقائد الدينية مدفوعا بالهوى السياسي الدينى ، ولم يكن الاب لامانس الذى ظل نموذجا للمستشرق الطاعن على الاسلام ورجاله ــ الحالة الوحيدة التي يمكن أن نلحظ فيها العمل الصامت لتقويض دعائم الاسلام ، فقد كشف هذا الرجل عن بغضه الشديد للقرآن الكريم ولمحمدصلى الله عليه وسلم، وأزاح الستار عن الاتجاهات الاستشراقية التي لا يعنيها الموضوع العملي المجرد بقدر ما يعنيها الحط من كرامة الاسلام . نعم انه لحق لمن يريد أن يصل الى الحق فى أمر عقائده أن ينحى هذا الاسلوب الاستشراقي الذى خبث نبعه ، ويعود الى أصوله المستقيمة وينابيعه الصافية فذلك كفيل بادراك

البقية على ص ٨٦

وجهت المجلة سؤالا فى العدد الاول منها لاقطاب الرأى والفكر فى العالم الاسلامى حول بيان حكم التصرف فى فوائد الاموال المودعة فى المصارف .

وقد تفضلت لجنة الفتوى بالازهر بالاجابة ، وننشر فيما يلي ما ورد الينا بهذا الشأن.

فوائد الأموال المودعة فى المصارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهر
مكتب الامام الاكبر
شيخ الازهر

السيد الاستاذ الكبير المشرف على مجلة الوعى الاسلامى
وزارة الاوقاف ـ الكويت ـ ص.ب. (١٣)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فقد ورد استفتاء بالصحيفة ٩٢ من مجلة الوعى الاسلامى بالكويت ـ العدد الاول من السنة الاولى والصادر فى شهر محرم سنة ١٣٨٥هـ مايو سنة ١٩٦٥ عن مصير فوائد اموال احد المسلمين المودعة فى احد المصارف والذى تورع عن أخذها فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية ، هل من الممكن شرعا ان تؤخذ هذه الفوائد وتستغل فى المنافع العامة للمسلمين بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين .

وقد عرض الاستفتاء على لجنة الفتوى بالازهر الشريف فأصدرت اللجنة فتواها الى نرسلها رفق كتابنا هذا .

وانا نشكر للقائمين على أمر هذه المجلة الفتية حرصهم على أمور دينهم ، وسعة صدرهم لمثل هذه الاستفتاءات،راجين التكرم بنشر هذه الفتوى على صفحات المجلة ليكون المسلمون على بصيرة من أمر دينهم.

والله نسأل ان يوفقكم لخدمة الاسلام والمسلمين بالسير على هدى الدين الاسلامي وتعاليمه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

١٣ من صفر ١٣٨٥هـ
١٣ من يونية ١٩٦٥ م

مدير مكتب
شيخ الازهر
محمد متولى الشعراوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهـر : (لجنة الفتوى)

السؤال من : مجلة الوعى الاسلامى
بالكويت

تورع أحد أثرياء المسلمين عن أخذ فوائد أمواله الكثيرة المودعة فى أحد المصارف الاجنبية فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية .

هل من الممكن شرعا ان تؤخذ الفوائد وتستغل فى المنافع العامة للمسلمين ، وما أكثرها وأشد حاجتها ؟ بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ـ امــا بعـــد : ـ

فنفيد بأن هذه الاموال التى تجمعت من الربا سبيلها أن تصرف فى مصالح المسلمين وطريق ذلك ان يتناولها المودع لينفقها فى المصالح العامة ، وفى الصدقات على المساكين او يدفعها الى الحاكم المسلم ليتولى هذا بنفسه ـ وصرفها هكذا هو ما نص عليه الفقهاء فى المذاهب الاربعة عند الكلام على مصارف المال الحرام ، ونص عليه أئمة التفسير كالامام القرطبى عند تفسيره لقول الله تعالى « وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم » .

وليس معنى هذا ان المال الذى استولى عليه المودع دخل فى ملكه ـ لان المفروض انه حرام، وانما هذا توصل الى حفظ المال من الضياع ، والى صرفه فى مصرفه الشرعى بارتكاب أخف الضررين، كما أنه لا يقتضى اباحة التعامل الربوى بوجه ما .

والله تعالى أعلم .

تحريرا فى ١٩٦٥/٦/١٢

رئيس لجنة الفتوى بالازهر
عبد اللطيف السبكى

منعت السلطات البريطانية التصريح للمركز الاسلامي بلندن باقامة مسجد جديد فى العاصمة البريطانية ، وكان سبب المنع أن مئذنة المسجد ستكون طويلة . وقد أثار هذا استياء المسلمين الذين اجتمعوا فى المركز الاسلامي للاحتفال بالمولد النبوى الشريف ـ قد بدت البغضاء مـــن أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ـ

خواطر

من هنا وهناك

المدارس التبشيرية

لا يزال يوجد الى الآن فى الكويت الدولة المسلمة الخالصة لأهلها مدارس أجنبية تنفث سمومها فى صدور أطفال العرب المسلمين ، ومن العجيب أن هذه المدارس ظلت — الى اليوم — لا تخضع لرقابة ، ولا لتفتيش وزارة التربية ، وليس لأحد عليها هيمنة ولا اشراف سوى القائمين بشؤونها .

وكلنا نعلم مدى خطورة هذا النوع من التعليم على عقيدة الجيل الصاعد وتربيته ، وهو الذي سيئول اليه مصير هذا البلد بعد سنوات معدودات .

وليست الكويت وحدها هي البلد الوحيد الذى ابتلى بهذا النوع من التعليم ، بل لقد ابتليت بلاد المسلمين بهذه المدارس الأجنبية حين كانت هذه البلاد تعيش فى عصور الضعف والتخلف والتبعية كما ابتليت بالمستشفيات الأجنبية التى تستغل ضعف المرضى النفسي والمادى فتجمعهم فى أفنيتها وتغريهم بأداء الطقوس والصلوات المسيحية قبل الكشف عليهم ، وتتصيد منهم المرضى الذين انهارت اعصابهم واختل توازنهم العقلى تحت تأثير الألم والفقر ، فتحملهم بمختلف الأساليب على الارتداد عن الاسلام واعتناق المسيحية ، وتتعهدهم فى فترة النقاهة ، وتلاحقهم بعد الشفاء ، وتوطد صلاتها بهم ، وتعقد لهم الندوات وتمطرهم بالنشرات والمصورات والرسائل التبشيرية وتمد لهم يد العون الخبيث والمساعدة المغرضة ، فتسعى سعيها الجاد لالحاق العاطل منهم بعمل فى المؤسسات الأجنبية أو فى الدوائر الحكومية بواسطة أصحاب النفوذ فيها من أبناء عقيدتهم ، وكم شهدنا من حوادث ورأينا من حالات فضحت نوايا هؤلاء الذين يلبسون مسوح الرهبان ، ويدعون أنهم ملائكة الرحمة ، ورسل العلم ، ويذيبون السم الناقع فى العسل ..

ولا يخفى أن لهذه المنشآت التعليمية والصحية مخططا تبشيريا ضخما . ترسم سياسته ، وتنفق على تنفيذه منظمات غنية تعمل ليلا ونهارا لتشكيك المسلمين فى دينهم، وزحزحتهم عن عقيدتهم وغزوهم فكريا وثقافيا . وهذا أخطر أنواع الغزو الحديث ، وأمضى سلاح لتذويب شخصية الأمة الاسلامية ، والقضاء على معنوياتها ومقوماتها .

وقد تنبه كثير من الدول الاسلامية التى استقلت حديثا الى مدى الخطر الذى يصيب ابناءها من جراء ترك هذه المدارس تعمل دون رقابة ولا قيد ، فسنت التشريعات لاخضاعها لرقابتها والزمتها بتدريس الدين الاسلامى والتاريخ واللغة العربية لأبناء المسلمين الذين يلتحقون بها ، وأشرفت على وضع مناهج هذه المواد واختيار مدرسيها ، وأنشأت تفتيش المدارس الأجنبية فى وزارة التربية ، ومهمته مداومة تفقد سير الدراسة بها حتى تسير فى الاتجاه الذى لا يسىء الى دين البلاد وتاريخها ولغتها .

وما كنت أظن أن هذه المدارس الأجنبية بقيت — الى اليوم — فى الكويت تعمل غير خاضعة لوزارة التربية حتى طالعتنا صحيفة الرأى العام الكويتية بمقال تحت عنوان مفكرة فى العدد (١٠٠٢) بتاريخ ٥/٧/٦٥ جاء فيه .

وهنا فى الكويت .. البلد الاسلامى .. البلد العربى .. الذى بلا شك يحرص جيدا على التمسك بتعاليم دينه .. وبالقيم الروحية

والاخلاقية .. فى هذا البلد .. تقوم مدارس التبشير .. أى نعم .. مدارس التبشير بيننا .. ونحن لا نحاول أن نعمل أى شىء لايقاف هذه المدارس عند حدها أو على الأقل لجعلها تسير فى الخط الذى لا يسيء الى كويتنا الحبيب .

وبعيدا عن الحديث عما يجرى داخل هذه المدارس .. فاننى أود من المسؤولين أن يستعيدوا فى أذهانهم قصة المدارس الأجنبية فى الجمهورية العربية المتحدة وعندها – واننى لعلى يقين من ذلك – عندها سيتقدمون أكثر من خطوة الى هذه المدارس .. ثم ستجد حتما منهم القوانين التى تحفظ للكويت قوته وعروبته ودينه .

أن الأعداء الذين يكيدون للاسلام وأهله كثيرون لاينامون ، ولا يبخلون ولا يألون جهدا فى بلبلة عقول المسلمين .. وأذكر أنه منذ شهر تقريبا امتلأت جميع صناديق البريد الخاصة فى الكويت بنشرات ورسائل تبشيرية قوبلت بالاستهجان والاستنكار والسخط .. وكانت وقودا للنار (أن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون) .

ولا يفوتنى أن أوجه أنظار الآباء وأولياء الأمور الى أن يتقوا الله فى أبنائهم ودينهم ووطنهم ، فلا يزجوا بأطفالهم الاغرار الأطهار فى هذه المدارس (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) .

الأمراض الجنسية

نشرت منظمة الصحة العالمية فى صحيفتها الصادرة فى ابريل ٦٥ تحقيقا أعده الدكتور امبروز كنج رئيس الاتحاد العالمي لمكافحة الامراض الجنسية عن الزهرى والسيلان بين الاحداث ، ولهذا التقرير اهمية خاصة اذ انه يتناول مشكلة الانحراف بين الشباب والفتيات الذى يزداد بصورة مخيفة يوما فيوما فى البلاد المتحضرة ، ويشغل بال كثير من المعنيين بشؤون التربية الصحية . فعلى الرغم من العقاقير الجديدة وتطوير وسائل العلاج الحديثة فان الاصابات بالامراض الجنسية تزداد بشكل مقلق ملحوظ بين صغار السن ، وهذه الاحصائية الطبية التي قام بها الاخصائيون لا تصور العدد الحقيقى لحالات الزهرى والسيلان فان كثيرا من الحالات تعالج بمعرفة اطباء خصوصين ولا تظهر في الاحصائيات التي تم اعدادها من البيانات المسجلة فى العيادات العامة .

وهذه المشكلة الصحية الخطرة ترجع فى اصلها الى مشكلة اجتماعية واخلاقية ، اذ ان موجة العبث بالقيم والمثل اصبحت شائعة تبعا للتغييرات الاجتماعية الواسعة التي طرأت على المجتمع الانساني .

وقد تعرض التقرير للاسباب التي تكمن وراء جذور هذه المشكلة ، فذكر ان ضعف الايمان يعتبر سببا لازدياد العبث بالاخلاق ، وان الايمان بالدين يعتبر رادعا قويا ضد هذا الانحراف وان انفلات المرأة وتحررها من كل القيود قد اثر بالتأكيد على المشكلة ، فلم تعد الفتيات تخضع للرقابة بل اصبح الشباب يجتمعون فى جلسات خاصة بدون رقابة ، وفى اماكن تدار فيها كؤوس الخمر ، وان الاهمال وعدم الاهتمام من جانب الوالدين – الذين يكونان فى بعض الاحيان مثلا سيئا جدا فى الاداب والاخلاق – ساعد الابناء على اشباع نزواتهم ، هذا فضلا عن ان ما يعرض على الجمهور من كتب وقصص وتمثيليات وافلام فى الاذاعة والتلفزيون قد ادى الى هذه الكارثة الخلقية .. وان الفكرة القائلة بأن الرادع النفسي فى العلاقات الجنسية يؤدى الى الكبت الذى يلحق الضرر بالشخصية – هذه الفكرة التي يحملها كثير من الناس خاطئة من اساسها،وان الاخصائيين النفسيين المسئولين لا يؤيدون وجهة النظر التي تقول : ان ضبط النفس فى هذه المسائل يربك الميزان العقلى ويسبب القلق .. بل ان ضبط الاهواء ، والسيطرة على النزعات امر يجب التعود عليه طوال الحياة لمصلحة الفرد والمجتمع ، وتطالب النشرة الحكومات والهيئات الدينية والاخصائيين النفسيين ان يقوموا بدورهم فى علاج هذا الانحراف الذى يهدد الانسانية .

ونرى ان التربية الدينية هي الكفيلة بتنشئة الاجيال على الخلق والفضيلة ، وتكوين الوازع النفسي الذى يعصمهم من التردد فى الرذيلة .. وان الحدود الاسلامية هي العلاج الحاسم لردع المنحرفين ، وترويض الشاذين .. فهل من عودة الى حكم الله ، وتنفيذ لما أمر الله ؟

الدعوة الإسلامية

بين وضوح البرهان وقوة السيف

دعوة الحق والاصلاح فى كل وحين تتركز دائما حول تكوين الخلق الكريم وتدعيم بنائه ، واحاطته بسياج حصين يمنع عنه عوادى الضعف والوهن ، وليست الاخلاق سلعة يمكن ان تباع وتشترى حتى يتبادلها الناس فيما بينهم اينما شاءوا وكلما أرادوا .. ولا هي كساء ظاهرى يمكن ان يخلعه الانسان حينا ويلبسه حينا آخر ، ولا هى نص من نصوص القانون الوضعى يمكن ان يخضع تأويله للهوى والفرض حتى يتستر بعض الناس فىمسوحه ويقوموا بتنفيذ هيكله دون روحه .. ولكنما الاخلاق صفات أصيلة فى النفوس ترجع فى اساسها الاول الىقوانين السماء ، ويتوارثها الابناء والاحفاد عن الآباء والأجداد ، وتؤثر فيها عوامل البيئة والتربية منذ فجر الحياة ، كما تتأثر الشجرة بطبيعة الارض واعتدال الجو وحسن الرعاية منذ تنفلق بها الحبة والنواة .

منهج الدعوة

وطريق المصلحين الى تكوين هذه الاخلاق طريق طويل داجى الجوانب مليء بالمتاعب ، ذلك بأن النفس الانسانية امارة بالسوء نزاعة الى الشر ، وثقل الانسان المادى يساعد على الانـزلاق الى الرذيلة وكثيرا ما يعوق عن الصعود الى مستوى الفضيلة ، ومن اجل ذلك كان لزاما على من يسلك طريق الدعوة الى الحق والاصلاح ان يتخذ الاسباب الموصلة ، ويتزود بالزاد النافع ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » فهذه الآية الكريمة ، وهذا الامر الالهى للنبى من لدن العليم الخبير يضع لنا المشاعل المضيئة على طريق الدعوة ، ويعلمنا ان قوة البيان ووضوح البرهان اجدى وانفع من قوة السيف فى الوصول الى الغرض وتحقيق الهدف ..

والدعوة الاسلامية وهي دعوة الحق والاصلاح ، ودعوة الخلق الكريم لم تقم على صليل السلاح والتراشق بالاسنة والرماح ، وانما قامت على الحجة البينة والمنطق السليم والبرهان الواضح ، وما كان السيف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بل وفى سائر ايام الفتوحات الاسلامية الا لرد الظلم ، او الدفاع عن النفس او تأمين حرية العقيدة حتى ينضوى تحت لوائها من يشاء دون خوف من اضطهاد وفتنة ..

القتال ضرورة

فأما عن القتال فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان من يتتبع الآيات القرآنية فى هـذه الناحيةيتجلى له انها تتجه الى مثلهذه الاغراض ، فلقد نزل عن غزوة بدر وهي اول غـزوة وقعت بين رسول الله وبين المشركين قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الارض

للشيخ محمد الطيب النجار
المدرس بكلية الشريعة ببغداد

أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » . وفى هذه الآيات يظهر السبب الذى من اجله فرض القتال على المسلمين وهو انهم ظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق ، .... ثم ينبه الله المؤمنين الذين اذن لهم فى القتال الىما يجب ان يفعلوه اذا هم انتصروا على عدوهم وهو : ان يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عــن المنكر حتى يكونوا خير دعاية لهذا الدين الحنيف .

ثم تتابع نزول آيات القتال بتتابع الاسباب التي كانت تدعو اليه ، فنجد الله سبحانه يأمر المسلمين بعد انردوا الظلم والعدوان الذى اصابهم من قريش بأن يقاتلوا كل من يعترض لهم بسوء ، او يبدؤهم بشر فيقول فى سورة البقرة « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتديــن . واقتلوهــم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهــم عند المسجد الحــرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » .. ثم يأمرهم بالقتال لتقرير حرية العقيدة والبعد بها عن الاهواء والاغراض ، كى يكتمل لها الجو الملائم فلا يصد عن الاسلام من يريد الدخول فيه ، ولا يفتن من دخل فى الاسلام عن دينــه ، وذلــك بقوله فى السورة نفســها : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » وقوله فى سورة الانفال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنــــة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بمــا يعملون بصير » .

مرحبا بالسلام

ثم يأمر الله بالجنوح للسلم متى جنح لها أعداء الاسلام ، لان الغرض هو تأمين الدعوة وألا تكون فتنة والسلام كفيل بذلك فيقول سبحانه فى سورة الانفال : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » ويبين الله فى كتابه الكريم ان المسلمين لا سبيل لهم على من يعتزل الفتنة من المشركين ، ويترك القتال ويلقى للمسلمين بالسلام فيقول « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم الســـلم فما جعل الله لكم عليهم ســبيلا ، اما اذا لم يكن ميلهم للسلام حقيقيا بل كانوا مذبذبين مخادعين فعلى المسلمين ان يقاتلوهم حتى يستأصلوا الشر ، ويقطعوا دابر الفتنة ، وفى ذلك يقول الله سبحانه : « ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفـــوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » .

وكان الامر بالقتال مقصورا على قريش ومن يعاونهم من يهود المدينة ، فلما اتحدت قبائل العرب المختلفة على المسلمين امر المسلمون بقتال المشركين من كافة القبائل فقال سبحانه : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلوكم كافة » .

وبهذه الآيات التى سقناها من الكتاب الكريم يتبين لنا ان الاسلام لم يشرع القتال للمسلمين الا للدفاع عن انفسهم ، ولتأمين الدعوة من ان تقف الفتنة فى طريقها ، وحسبنا برهانا على تلك الروح الطيبة المسالمة ، ان الاسلام لا ينهى عـن البـر والاحسان لمن يخالفوننا فى الدين ما داموا هادئين مسالمين ، وفى ذلك يقول عز وجل فى سورة الممتحنة « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وقد كانت جميع الغزوات التي غزاها رسول الله صلى الله عليهوسلم متمشيةمعهذه المبادىء ، بل كانت تطبيقا عمليا لها ، فلم يعرف عن الرسول الكريم انه كان يبدأ أعداءه بعدوان أو اساءة ،.. وليس هذا مجرد ادعاء ولكنه الحق الذى لا ريب فيه ، وسوف يتأكد لنا ذلك حينما نعرض للدوافع والاسباب التي ادت الى غزوات الرسول جميعا فى مقال قريب وفى تفصيل يوضع به الحـــق فى نصابه ان شاء الله ..

واما عن الفتوحات الاسلامية التي وقعت بعد عهد الرسول . فقد وضـــع الرســـول بذرتهـا الاولى حينما كتب الى الملوك والرؤساء يدعوهم الى الاسلام ، ومنهم هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والنجاشى ملك الحبشة ، والمقوقس حاكم مصر ، وقد تجلت فى هذه الكتب روح المسالمة ووضح للعالم كله ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يريد ملكا وسلطانا ، ولا بغيا وعدوانا ، وانما يريد ان ينفذ امر الله فى تبليغ الدعوة الاسلامية لجميع الناس .. ، الا ان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تطل بعد ذلك حتى يشرف بنفسه على تبليغ الدعوة الى الامم والشعوب فى سائر الارجاء ، فاصبح من واجب الخلفاء ان يبلغوا هذا الدين الى الناس كافة لانه دين العالمين ، ولكن بدا من ظلم الحكام الذين لا يدينون بالاسلام فى ذلك العصر ، انهم يريدون ان يطفئوا نور الله فأوصدوا دونه الابواب ، واقاموا الحواجز القوية بين المسلمين وبين تلك الامم التى كانت مغلوبة على امرها ، والتى كانت تعانى من جور هؤلاء الحكام وطغيانهم ، ومن هنا كان لا بد مـــن الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية ..

الحروب الاسلامية حروب تحرير

فالفتوحات الاسلامية اذن لـم تكـن حبـــا فى السيطرة والغلبة ، ولا طمعا فى الدنيا ومتاعهـــا القليل ، وانما كانت تحريرا من العبودية وانقاذا من الفساد وسموا بالانسانية ، ولو ان المسلمين لم يبادروا الى فتح تلك البلاد وانقاذها مما كانت تتخبط فيه لما سكت حكامها الطغاة عنهم ، بل كانوا سيجتمعون ويتجهون الى الجزيرة العربية لخنق الدعوة الاسلامية التى تنادى بالحرية والعـــزة واحترام حقوق الانسان .. ولو ان هؤلاء الملوك والرؤساء فى ذلك العصر ظهر منهم من حسن النية ما يطمئن المسلمين على مستقبل الدعوة الاسلامية فى هذه الارض ففتحوا الابواب وأزالوا الحواجز ، وتركوا المجال للعقائد تسرى فى جو حر طليق ، لما كان للمسلمين سبيل الى الحرب والقتال ، بل لأصبح قتالهم لهذه الدول ظلما وعدوانا يبرأ منه الله ورسوله ..

وقد ظهر بطريقة عملية ان المسلمين حينما كانوا يفتحون تلك البلاد لم يرغموا احدا على اعتناق الاسلام لان تعاليم دينهم تنادى بأنه (لا اكراه فى الدين) وتقول (فمن شاء فليؤمن ومنشاء فليكفر) وتقول (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ..

وبعد : فان وضوح البرهان فى الدعوة الاسلامية، كان وحده السيف القاطع الذى مكن الله به للمسلمين فى الارض ، والامل وطيد ان شاء الله فى ان يكون « الوعى الاسلامى » مجالا واســـعا تزدهر فيه الدعوة الاسلامية ببرهانها الواضـــح وآياتها البينات .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

بقية (الاسلام دين ودولة)

وضربنا لكم الامثال :

ونكتفى مؤقتا فى هذا الصدد بان نضرب مثلا يظهر مدى التناقض البين بين ما وضع لنا من قوانين وضعية ، وبين شريعتنا .

اما مسألة التناقض فتتمثل فى قانون العقوبات الذى وضع فى مصر نقلا عن القوانين الغربية ثم نقل عنها الى كثير من البلاد العربية الاسلامية، كسوريا والعراق وليبيا ، فقد أهمل الحدود المنصوص عليها فى الشريعة الاسلامية فالاتصال الجنسي مثلا مباح فى عرف القانون الوضعى ما دام لا اكراه فيه ، وكان التراضي **على اقتراف هذه الجريمة بين ذكر وانثى غير متزوجة فوق سن معينة هي ١٨ سنة (تراجع المادة ٢٦٩ عقوبات).**

ومعنى ذلك ان القانون الوضعى أحل الزنى فى ظروف معينة ، ولا عقا بالا فى حالة الاكراه أو صغر السن ، أما الزوجة المحصنة فأمر ارتكابها للجريمة لم يترك للجماعة والنيابة العامة انما ترك لرغبة الزوج ، فان أراد مؤاخذة الزوجة أبلغ الأمر الى النيابة ، وان بدت له فكرة العدول أثناء التحقيق أوقفت النيابة التحقيق وأخلى سبيل المرأة ، فان بقى مصرا على بلاغه ووصلت الزانية الى المحكمة ، فينص القانون الوضعي على عقابها بالحبس دون الرجم وهو الحد الشرعى .

والقانون المصرىالوضعى فرقحتى فىمقدار العقوبة فى الجريمة الواحدة ، فعقوبة الزاني لا تزيد على ستة أشهر المادة ٢٧٧ وعقوبة الزوجة الزانية الحبس مما لا يزيد علىسنتين م ٢٧٤،ويمكن القول بان الزنى فى القانون الوضعى معناه خيانة العلاقة الزوجية ـ بينما الشريعة الاسلامية تعتبر الزنى كل صلة جنسية محرمة بين رجل وامرأة ـ ويصح للقاضى أن ينزل بعقوبة الحبس الى حد وقف التنفيذ ، فان كان الحبس مع النفاذ ساغ للزوج أن يتنازل عن حقه ، فتخرج المرأة من الحبس رغم صدور حكم نهائي عليها . وكذلك الزوج الزاني لا يجوز محاكمته ما لم تقدمالزوجة شكوى وتطلب محاكمته «المواد ٢٧٣ و ٢٧٤ عقوبات و ١٣٢ اجراءات .

ومن عجب أن التناقض بين قانون العقوبات الوضعى والقانون المدنى ظاهر، اذ ان الاخير يجعل المرأة غير أهل للتصرف فى القليل من مالها الا اذا بلغت سن الواحدة والعشرين ، وأباح لها قانون العقوبات ان تسلم فى عرضها متى بلغت سن ١٨ سنة ، فالعرض فى شرع القوانين الوضعية اهون من المال !!!

ولقد شهدت لجنة تقرير القانون الهولندى الجديد ، بأن عقوبات الحبس والفرامة فى جرائم الزنى غير زاجرة .

ومن عجب ان القانون الفرنسى ينص فى المادة ٣٣٩ عقوبات على ان الزوج المحصن اذا زنى لا يعاقب الا اذا زنى غير مرة فى منزل الزوجية بامرأة أعدها لذلك ، **فالنص كما هو ظاهر لا يعاقب على جريمة الزنى ، بل يعاقب على امتهان الزوج لحرمة بيت الزوجية ، بشرط ان يتكرر منه ذلك، فله ان يزنى بمن شاء ، وكلما شاء خارج منزل الزوجية** ولكي يعاقب يشترط القانون ان يعد امرأة معينة كعشيقة ، او خليلة ، ويزنى بها أكثر من مرة فى منزل الزوجية ، والعقوبة التى نصت عليها المادة تافهة ، فهى غرامة مالية بين مائة فرنك ، والفى فرنك ، أى تتراوح بين عشرة قروش ومائتي قرش فى حين تنص المادة ٣٤٠فرنسي على معاقبة الزوج الذى يعقد زواجه بأخرى قبل انحلال زواجه الاول بالاشفال الشاقة ،فتعدد **العشيقات والخليلات كما يبدو أحب الى القانون الفرنسى من تعدد الزوجات .**

وكذلك فان القاتل فى قوانينا الوضعية لايقتص منه بالاعدام الا اذا اقترن بالجريمة جريمة اخرى ، كالسرقة او الزنى ، او اذا اقترنت بظروف مشددة كسبق الاصرار والترصد ، وعلى ذلك تعطل احكام الشريعة الاسلامية من حيث وجوب القصاص منالقاتل عمدا ، هذا ورأىالمفتى فى تنفيذ الاعدام واجب أخذه ، ولكنه استشارى، غير ملزم لمحكمة الجنايات .

وحد الخمر ايضا معطل بحكم القوانينالوضعية، مع ان بلادا غير اسلامية كأمريكا حرمت الخمر فترة طويلة ، فى حين ان القانون المصري أباح شرب الخمر والاتجار بها (١) ، الا انه جعل عقوبة من يتجر فى المخدرات كالحشيش وغيره الاشفال الشاقة المؤبدة ، رغم ان الخمر حرمت بنص القرآن ، والمخدر حرم قياسا عليها .

للبحث بقية

(١) أصدرت حكومة الكويت قرارا بمنع شرب الخمر والاتجار فيها ـ (الوعي الاسلامي) .

اعمال تذكر فتشكر

في سبيل الدعوة الإسلاميّة

للاستاذ عبد العزيز العلي

أولا : ــ اقترح السيدان الفاضلان حمد المشارى وراشد الفرحان ، عضوا مجلس الأمة الكويتي ، أن يصدر المجلس الى الحكومة رغبة يوصيها فيها بالاسهام فى نشر الدعوة الاسلامية فى الخارج ، وفى خدمة الدين الحنيف فى مختلف المجالات . ولذلك يستحق هذا الاقتراح أن يسجل بالشكر الجزيل والثناء الكبير وفيما يلي نص الاقتراح المذكور .

سعادة رئيس مجلس الامة الموقر :

« نظرا لكون الكويت دولة اسلامية فى واقعها وبصريح دستورها ، ونظرا كذلك لأن شعوبا كبيرة فى القارتين الافريقية والآسيوية لا تزال على الفطرة دون اعتناق لدين معين ، وقد تفتحت قلوب هذه الشعوب لتقبل الدعوة الدينية ، فقد أصبح واجبا علينا وعلى سائر البلاد الاسلامية حمل رسالة الدين الاسلامي الى تلك البلاد وهذه الشعوب .

لذلك أرجو أن يتفضل المجلس الموقر بالموافقة على هذا الاقتراح برغبة الى الحكومة ، بأن تمد ادارة الدعوة والارشاد بوزارة الأوقاف نشاطها الى الدول والشعوب المشار اليها ، مستعينة على ذلك بما يرصد فى ميزانيتها السنوية لهذا الفرض ،وبما يقدمه المواطنون من زكوات وتبرعات ، على أن تخصص الوزارة لهذه المهمة الجليلة صندوقا خاصا ، وأن تنشىء هيئة من موظفيها المختصين وبعض أهل الرأى من المواطنين المهتمين بمثل هذه الرسالة .

وأعتقد أنه لا يخفى على أحد مقدار ما يبذل من جهود لحساب التبشير بالديانات والملل الأخرى بل والمبادىء الهدامة ، وليس بخاف على حضرات الأعضاء الكرام ما تبذله الدعاية الصهيونية ضد العرب فى البلاد الاسلامية والعقيدة الاسلامية التي يدينون بها ، متخذة من هذه البلاد مراكز انطلاق للمؤامرات اليهودية العالمية ضد القومية العربية والاسلام ، فنشر الاسلام فى تلك البلاد الافريقية فريضة على كل مسلم ، وهو هداية دينية لعشرات الملايين من البشر ، وعصمة لها من الانزلاق وراء الدعايات والمبادىء الهدامة .

ثانيا : ــ يذكر بالشكر لحضرة صاحب السمو الأمير المحبوب ولحكومته الاهتمام الواضح بالشؤون الدينية ، مما عبر عنه الخطاب الأميري الذى افتتحت به الدورة النيابية الثالثة لمجلس الأمة حيث جاء بالخطاب المذكور ما يلي : ــ

وان حكومتي ايمانا منها برسالة الدين فى اصلاح المجتمع ، تواصل انشاء المساجد داخل المدينة وفى المناطق السكنية الجديدة والقرى مع مراعاة البساطة والاقتصاد فى النفقات والحفاظ على المظهر اللائق بها ، والسهر فى الوقت نفسه على راحة الأئمة والمؤذنين . كما قررت انشاء معهد للامامة فى احد المساجد واستقدام بعض الوعاظ المتخصصين لرفع مستوى الأئمة والوعاظ وتمكينهم من أداء رسالتهم الروحية فى المجتمع وتثقيف

الجمهور بالثقافة الاسلامية المفيدة وتعاليم الدين الحنيف .

وتولي الحكومة «الوقف» عنايتها باستثمار امواله تحقيقا لقصد الواقفين ، كما أنها معنية بدراسة احياء التراث الاسلامي الذي يبرز معالم الثقافة الاسلامية والسبق العلمي الذي عرف به مفكرو الاسلام قديما وحديثا وانشأت قسما للترجمة والبحوث الاسلامية .

ثالثا : – يذكر ويشكر كذلك ما جاء في رد مجلس الأمة على الخطاب الأميري من دعوة صريحة للحكومة للعمل على نشر الدين الحنيف في الخارج وتمكين جذور العقيدة الصحيحة بين المسلمين كافة . فقد جاء في هذا الرد الذي رفع الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد ما يلي –

« .. يود المجلس أن تلحق مكتبة دينية ثقافية بكل مسجد لكي يتسنى للجمهور الاطلاع على الكتب الثقافية والدينية ، ولهذا تكون المساجد قد أدت جانبا هاما من رسالتها الدينية والثقافية، وتكون الكويت بذلك قد عممت مراكز التثقيف في جميع انحاء البلاد .

... وان المجلس ليبارك عناية الحكومة بالوقف واستثمار أمواله تحقيقا لقصد الواقفين ، كما أنه يشجع الحكومة على أحياء التراث الاسلامي الذي يبرز معالم الثقافة الاسلامية قديما وحديثا ، ويدعو المجلس وزارة الأوقاف للقيام بواجبها الديني ، وهو واجب المسلمين كافة نحو بث الدعوة الاسلامية السمحاء في البلاد الافريقية الحديثة الاستقلال التي حال المستعمر عهدا طويلا دون دخول الاسلام اليها أو انتشاره فيها ، وأن تسهم في نشر الدين الاسلامي في هذه البلاد وتزويدها بالمصاحف والكتب الدينية المبسطة باللغة العربية واللغات المحلية قدر المستطاع ، وأن تعنى الوزارة بالاسهام في نشر موسوعة للفقه الاسلامي على المذاهب الاسلامية المختلفة ، لكي تكون مرجعا باقيا لهذا الفقه الأصيل الذي يخشى ضياعه بتناقص العلماء والمختصين في التشريع الاسلامي .

والآن ، ما هو واجب وزارة الأوقاف بعد هذه التوجيهات وازاء تلك الرغبات ... ؟

انه مما يستحق الذكر بالشكر كذلك ما تبذله وزارة الاوقاف – في صمت وايمان – لتمكين الدين القيم في النفوس، ولتمسك المجتمع بالقيم الدينية التى ساد بها المسلمون العالم قديما ، والتى هى سبيلهم الكفيل باعادة مجدهم الغابر . ولسنا بصدد تعداد مظاهر اهتمامها ببيوت الله ، انشاء وتعميرا وصيانة ، وبغير ذلك من الأمور الاسلامية التي تقوم هذه الوزارة عليها ، ولكنا بصدد المطالبة ببرنامج للعمل مستقبلا بالاضافة الى مهامها الحالية المشكورة . ان الآمال معقودة على أن تتحقق تلك الرغبات والتوجيهات السامية التي سبق ذكر جانب منها ، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور الآتية –

١ : – تنظيم هيئة بالوزارة تضم الى جانب كبار موظفيها عددا كافيا من ذوى الرأى المعنيين بالشؤون الدينية من أبناء الكويت لمعاونة الوزارة فى رسالتها المتزايدة يوما بعد يوم ، وبخاصة فى شأن الدعوة الاسلامية فى الخارج .

٢ : – مضاعفة الاهتمام بالوعي والارشاد الديني فى الكويت عن طريق المساجد والمحاضرات ومختلف وسائل النشر ، من اذاعة وتلفزيون وصحافة ، بحيث تكون هذه الوسائل اداة لتمكين العقيدة والخلق الاسلامي ومحاربة كل مظاهر التحلل الخلقى التى تهدد الاجيال الصاعدة والنشء الذى عليه مستقبل الأمة .

٣ : – بذل كل عون مستطاع لشد أزر الداعين للاسلام فى الدول الافريقية والآسيوية التى لم تبلغها الدعوة الاسلامية بعد ، وانشاء المراكز الاسلامية التي تقوم على هذه المهمة السامية ، والاستعانة بالوفود الموثوق بها الى تلك البلاد تحقيقا لهذه الغاية وتوطيدا لروابط الاخوة بين البلاد الاسلامية عامة .

٤ : – زيادة العناية بمجلة الوزارة (الوعي الاسلامي) التي أحسن المسلمون استقبالها بزيادة حجمها ومضاعفة الكميات المطبوعة منها ، وترجمة بعض موضوعاتها الى اللغات الحية وغيرها من اللغات كالاوردية والسواحلية وغيرها وارسالها الى جميع الأقطار ، وطبع النافع المفيد من كتب التراث الاسلامي .

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » .

صرح مصدر كبير مسئول فى الوزارة بأن رسالتها الاصيلة هى نشر الدعوة الاسلامية وهى لا تألو جهدا فى سبيل تحقيق هذه الغاية السامية بمختلف الوسائل والأساليب ، وقد أنشأت حديثا ادارة الدعوة والارشاد وادارة الشؤون الاسلامية .



للشيخ محمد محمد خليفة
المفتش بالازهر

كانت الدعوة الى الله أول اشراقة من نور الحق ، انفرج عنها فم محمد صلى الله عليه وسلم، فى بلد الوثنية ، لتصل الناس برب الناس ، ولتبدد ما ران على النفوس من الارجاس ، لتبعدها عن الزلفى الى تلك الآلهة التي صنعتها يد الباطل، ونحتتها حماقات البشرية معبودات تساق لها القرابين ، وتخر لديها الجباه .

أدبني ربي

صنع الله صاحب الدعوة ، فجعل من حياته قبل بعثته دروسا له تؤهله لخطر تلك الدعوة، فعلمه يتمه الرحمة ، وعلمه فقد الكفيل والعائل العمل والسعي ، وعلمه فقد الامومة الحانية الصبر وقوة الاحتمال ، وعلمته الوحدة التفكير الذى نما معه ، وسما عن محيط البشرية فارتقى به الى التكفير فى صانع البشرية ، وعلمه رعي الغنم رعاية الرعية ، وكيف يسوسها ، ويوجهها الى الخير ، ويجنبها مراتع الهلكة ، ويذود عنها ضراوة النفوس المتذئبة ، وعلمته التجارة حب الكسب الطيب والصدق والأمانة .

وقد تضافرت كل هذه الدروس وغيرها ، فخلقت فيه صلوات الله وسلامه عليه نفسا لا كالنفوس الطينية التي ارتبطت حياتها بالأرض ، وعاشت مستعبدة لمن عليها وما عليها ، وما يخرج منها ، ولكنها النفس السماوية المتألقة بصفاتها وفضائلها . النفس التي أعدتها قدرة الله لتحمل الى الوجود أعظم دعوة عرفها الوجود ، فكانت فيها قوة الاشعة الشمسية تمتد من عالمها السامي الى البصائر ، فتنفذ اليها لتبدد ظلامها وتنشر فيها نور الحق ، وتشرق فى دنيا الناس ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)) .

يأيها المدثر

وحينما شاء الله أن يبعثه مست رسالته قلب المدثر تأمره أن ينذر العاكفين على الاصنام والمتخبطين فى الخطايا بأس الله وعذابه ، وتأمره أن يكبر ربه الذى خلق كل شيء ، وأن يطهر روحه من كل ما يعلق بها من دنيا البشر ، فانتفضت روحه حين مسها تيار الحق ، ثم قرت له ، فسكن فيها ، وامتزج بها ، وخلق فيها طاقات من الايمان به تتحرك قواها فى المجتمع ، فتولد حرارتها الايمان العامل فى كل نفس بشرية مستها . وكما خلق فيها ، تلك الطاقات المؤمنة خلق فيها كذلك حب البذل والتضحية والاستهانة بالدنيا وبكل اسلحة الشر وما تعبىء وحشية الجبارين للنيل من ايمان المعتصم بالله .

فكان الداعي الأول الى الله قوة تعمل لتصنع خير أمة ، كمالا من الفضائل يقف على النفوس فيرسل فيها ينابيع الحق تطهرها من خطايا الجاهلية ، ويربيها أحسن ما تكون التربية ويهيؤها للقيادة الروحية ويعدها لحياة حربية لأعداء الكمال الانساني ، ويخلق فى كل نفس ما يجعل منها أمة تعمل حيثما كانت فى كل مجال .

وكان صلوات الله وسلامه عليه الامام الذى ترى فيه كل فضيلة مثلها الحي ، ويرى فيه كل مسلم الحكمة التي تنساب روحها فى المجتمع كما ينساب الغدير فى الصحراء الصادية فيرويها ويحولها الى جنات وارفة الظلال يانعة الثمار .

مدرسة النبوة

ويرى فيه كل مسلم كذلك المعلم الذى وهب حياته لله وللدعوة الى الله ، فكانت دار بني الأرقم فى مكة أول معهد للدعوة تتلمذ فيه عشرات من السابقين الأولين ، وكان مسجده فى المدينة المعهد الثاني او الجامعة التي تخرج فيها الألوف من اليثربيين ومن الوافدين من آفاق الجزيرة ، لينبعثوا بعد ذلك فى العالم انبعاث الربيع ينشر الجمال الروحي ، ويحول صخب الدنيا الى الدعة والوداعة اللتين تحب أن تعيش فيهما الحياة .

وكانت دعوتهم الى الله قوة تستمد قدرتها على العمل من الله ، وتصنع من الايمان به سلاحا تعجز عن مجابهته أسلحة الباطل ، ولن يجابه عتاد الباطل الارضي سلاح الحق السماوى .

وتلقى الدعوة عنهم أقوام ومن بعدهم أقوام عاشوا جميعا مع الزمن ، يبعثون فيه الحياة فكانوا فى أجيالهم رواد الخير ، وقواد النفوس الى الحق، ومرشدى التائهين فى خضم المادية الى مرافىء السعادة الحقة ـ السعادة الروحية ـ فى ظلال الخير الخالص ، ثم وارى الزمن هؤلاء الدعاة وأولئك « فخلف من بعدهم خلف » « نسوا الله فأنساهم انفسهم » وخافوا كل سلطان ، فأضاعوا من أيديهم كل سلطان ، وعاشت الدعوة فى أفواههم الفاظا لا روح فيها ، وهم وان أهلتهم حياتهم ودراستهم للدعوة الا أنهم ربما كرهوا المشقة فى سبيلها ، وربما كرهوا التضحية بالجهد والعافية والمال فى سبيل ما قد تكسبه الدعوة .

الايمان والرجال

فما أحوج الاسلام اليوم ، وما أحوج دعوته الى دعاة مخلصين لله يسلمون وجوههم اليه ، ويستمسكون أبدا بحبله ، ثم الى كرماء يبذلون ، وينفقون كلما دعاهم داعي البذل فى سبيل الله .

ما أحوج الاسلام الى داعية يسيح فى الأرض لا يتقيد باقليمية يحتبس فيها نشاطه بل يؤمن بوجوب الدعوة عليه للناس كافة ، فليس للدعوة الاسلامية وطن محدود تعيش فيه ، وتعمل داخل حدوده ، وانما عليه أن يضرب فى الأرض حاملا مشعل دعوته لا ترهبه الأدغال ولا تثنيه ظلمة

البقية على ص ٩١





للدكتور احمـد شوكت الشطي

الفروسية فى الاصل حذق أمر الخيل وما يتصل به ، وقد وسـع مدلولهـا ، فأريد به ايضا مجموعـة المزايا التـى يجب أن يتحلى بها الفرسان ـ خاصـة منهم فرسان الحرب ـ من جرأة وشجاعة، ورباطة جاش ، وثبات جنان ، وصولة واقدام ، يضاف الى ذلك اخلاق كريمة كاغاثة الملهوف وتلبية المستجير وحماية الضعيف ورحابة الصدر وكرم النفس واليد ، وما الى ذلك من الصفات ،ونبل الاهداف والغايات .

ولقد تحلى العرب بالفروسية فى جاهليتهم كما يشهد بذلك كثير من قصصهم ، ثم جاء الاسلام فهذ بها ، ووجهها شطر الانسانية والخير ، حتى أصبحت حديث الخاص والعام ، تسطر للعرب مفاخر لم يبلغ مستواها غيرهم من الامم فى يوم من الايام ، وكان منها وصفهم بان التاريخ لم يعرف ارحم منهم فاتحا ، ولا أكثر منهم متسامحا ، والواقع ان فى تاريخ فرسان العرب فى الاسلام من الاعمال مالايكاد يصدق من معالجة النفس الانسانية معالجة جملتهم بتلك الصفات النبيلة والبطولات الخارقة التى زخر بها صدر الاسلام،وفيها من ضبط النفس وتوجيهها شطر التضحية والاخلاص للمبادىء ما يحسن بنا ان نتذكرها ، ونذكرها لانها امثلة معجبة لا يتمالك الانسان من ان يحدس فى ضميره وطيات وجدانه ليتساءل عما اذا كان فى مكنة بشر ان يفعل ما فعله فرسان العرب ؟

هذا علي بن ابي طالب يمكنه الله من احد أعدائه واحد اعداء الاسلام فى احدى المواقع ، حتى ليجلس على صدره ، ويأخذ بسيفه ، ثم ينهض عنه ويتركه ، طليقا ، ويعجب رجل كان يشاهد الحادث ، ويسأل عليا لم تركت عدو الله ! وقـد امكنـك الله منه فيقول : حينما هممت ان احتز رأسه بصق فى وجهي فخشيت ان أنا فعلت أكون قد قتلته غضبا لنفسي لا لله (١) .

---

(١) راجع للتوسع كتاب الانسان بين المادية والاسلام ص ١٣٢ و ١٣٥

ان عليا يعرف أن من اطلقه قد يعود ، فيقتله ، ولكن فروسية الاسلام أدبته ، فبلغته من ضبط الجسم والنفس ان نسى الاول ـ الجسم ـ غرائزه حتى كأنه ليس من لحم ودم ، ونسيت الثانية ـ النفس ـ العواطف وحوافزها حتى كأنها ليست نفس انسان بل لها صفة تتميز بها ملائكة الرحمن .

وفى قصة أبي محجن الثقفى ، مظهر من مظاهر الفروسية والاخلاص للمبدأ ينسيه كل شيء مما تجيش به خفايا الانفس الا الاخلاص للدين القويم ، والهدى العظيم ، وابو محجن الثقفي هذا ، احد ابطال المسلمين فى فتح فارس كان صاحب خمر فى الجاهلية ، وظل يتغنى بها حتى بعد أن جاء الاسلام ، فحبسه سعد بن أبي وقاص فى داره ، ووضع القيد فى رجليه ليستتيبه مما قال .

ويخرج سعد لقتال الفرس ، وأبو محجن حبيس فى داره، ثم يمرض القائد، فلا يستطيع ركوب فرسه ، وتملؤه الحسرة ان يعجز عن الخروج بنفسه الى المعركة والقتال مستعر . وأبو محجن يسمع ذلك ويرى وهو حبيس ، فلا يطيق أن يقعد عن نصرة دين الله ورسوله ، فيرجو سعداً ان يطلقه ، ليقاتل ، فلا يفعل ، ويلح فى الرجاء ، ولكن سعداً لا يستجيب ، ولكن أبامحجن لا ييأس . انه يحاول لدى امرأة سعد ! ويستعطفها ان تفك قيده ، ليخرج الى القتال . ويعدها ـ أن هو لم يستشهد فى المعركة ـ ان يعود اليها ويضع هو نفسه القيد فى رجليه ! ورق قلبها له ، فأطلقته ! فأخذ فرس سعد وانطلق بها الى القتال . وهجم على العدو هجمة صادقة ، فرجحت كفة المسلمين . حتى اذا اقبل المساء عاد : عاد البطل المنتصر الى دار سعد ، فربط الفرس ، ثم وضع القيد فى رجليه كما وعد من قبل !

وظل على ذلك ثلاثة ايام حتى كتب الله النصر المؤزر للمسلمين ، وسعد يطل على ميدان المعركة من نافذته ويقول لامرأته : رأيت فارسا على البلقاء يضرب كأحسن ما يكون الضرب ، ولولا محبس ابي محجن لقلت هذا أبو محجن ! فتقص له امرأته قصته ، فيناديه اليه ويقول : اذهب : فما أنا مؤخذك بشيء تقوله حتى تفعله ! فيرد أبو محجن قائلا : لا جرم والله لا أجيب لساني الى وصف قبيح ابدا .

لقد كان ابو محجن فى حل من القتال وهو حبيس وكان مستطيعا ـ وقد حارب وانتصر ـ ان يتحلل من وعده ومن محبسه . ولكنها بطولة نفسية خارقة ، وفروسية امرهاعجيب، وحديثها عجاب أيقظها الاسلام فى اغوار الوجدان وأعماق الضمير ، فكان من الثقفى ما كان .

واذا كانت امثلة هذه البطولات النفسية قد تواترت فى صدر الاسلام ، فانها لم تنقطع بعد ذلك على مر العصور . وهذا صلاح الدين يصل فى معاملته لاسرى الصليبيين اعدائه فى الدين وفى الحرب ، الى درجة جعلت أولئك الصليبيين انفسهم يكتبون عنه القصص المبدعة ويصوغون حوله الاساطير !

صلاح الدين ينقذ قلب الاسد

وقد كان الصليبيون يعاملون المسلمين بوحشية لا مثيل لها . وكانوا يهجمون



عليهم فى بيوت الله ، فيحولونها بركا من الدماء . وكان المسلمون فى حل من أن ينكلوا بهم اطاعة لامر السماء : (ولكم فى القصاص حياة يا أولي الالباب) ، (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) . ولكنهم لم يفعلوا ، بل ان صلاح الدين يتطوع ليمرض اسيراً وقع بين يديه ، ويسهر عليه حتى يتماثل للشفاء !!

يقول فى هذا الشأن غوستاف لوبون مقارنا بين فظائع الملوك الصليبيين وفروسية صلاح الدين : لقد وفر دماء الصليبيين فى فلسطين ، وقدم لكل من فيليب أوغست وقلب الاسد فى مرضهما الاغذية والمرطبات ، فأظهر نبله هذا ، الفارقَ الكبير بين رجل السلطان المتمدن الانساني ، وصاحب السلطان المتوحش الاناني .

واليك قصة عن فروسية صلاح الدين هي أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة كأنها حكاية من الاساطير ، ولكن العدو وصفها ، فلا بد من تصديقها خاصة وان امثالها كثير فى سيرة الابطال من المسلمين العرب .

جاء فى الكتب الى بحثت عن الفتح القدسي انه وصلت فى مركب ثلاثمائة امرأة افرنجية مستحسنة استخلص الملك ريكاردوس قلب الاسد احداهن لنفسه فكانت تقوم على خدمته وتعني براحته مع اخته وزوجته ، فاخلصت له كل الاخلاص ، فكانت عينه على اقرانه واذنه بين قواده . فعلمت من طريقها الخاص أن فريقا من القادة قد ضاقوا بحدة طبعه ، وشراسة خلقه ، فتآمروا على قتله . فاخبرته بما علمت ، فاتهم الخبر ، وأبى أن يصدق أن احدا من خلق الله يجرؤ على مواجهته بالسيف .

وكان من عادة ريكاردوس ان يطوف بالليل على قواده واجناده ، ليتعرف حالهم ، ويطمئن بالهم ، فافتقدته الفتاة فى خيمته ذات ساعة من الليل ، فلم تجده . فخرجت تبحث عنه ، فضلت الطريق، ودخلت فى معسكر العرب . فظنها أحد الحراس جاسوسا ، فرماها بسهم ، فسقطت على الارض تتلوى ، وتئن ، واتفق حينئذ ان مر صلاح الدين فى طوافه بهذا المكان ، فسمع الانين ، فاقترب من مصدره ، فاذا الفتاة مضرجة بالدم فاقدة الوعي ، فاحتملها على ذراعيه الى أول خيمة فى المعسكر . ودعا لها بطبيب أخرج النصل من فخذها ، وتعهدها بالعلاج حتى برئت ، وكان صلاح الدين يسأل عنها الحين بعد الحين ،وانزلها على الرحب من عطفه. وفى احدى الاماسي عرض قواده عليه بعض كبار الاسرى وهو فى خيمته ، فعرفت الفتاة من بينهم قائدا من خواص قلب الاسد ، فاستأذنت السلطان ان تتحدث اليه ، فاذن . فلما سألته عن مولاها أخبرها أنه سمع اليوم اثناء المعركة أن خصومه من الفرنسيين والانجليز قد قرروا اغتياله فى هذه الليلة . ولولا أنه وقع فى الاسر لذهب اليه يخبره ويحذره . فجزعت الفتاة على ملكها ولم تملك سوابق دمعها ، فاسترسلت فى البكاء فسألها صلاح الدين عما بها وعما قال الاسير لها ، فافضت اليه بجلية الامر (١) .

لو لم يكن صلاح الدين مطبوعا بحكم نشأته وعقيدته على خلال الفروسية العربية لاغتبط بهذه المؤامرة التى ستكفيه شر عدوه ، وهو عماد الحرب الصليبية وفارسها الاول ، ولكنه فعل ما نشر فى آفاق الغرب فضله ، وخلد على وجه

---

(١) مجلة العربى ع ٣٦ ص ٢٤

الزمان ذكره ، فأرسل الى مكان المؤامرة الذى عينه الاسير سرية من اشجع الفرسان، لينقذوا الملك من كيد خصومه وكان قلب الاسد قد خرج على عادته بعد المعركة يتفقد احوال جنده ، وكان قد خرج فى هذه الليلة وحده لأن القواد الثلاثة الذين كانوا يرافقونه فى جولاته أسر أحدهم وقتل الآخران فى اليوم نفسه . أخذ يمشي فى ساحة القتال ساهما حزينا يتسمع الانات ، فيترحم على القتلى ، ويتألم للجرحى ، وينحني على من يعرفه منهم فيودعه بالرحمة او يشجعه بالامل ،حتى رأى قائد مكبا على وجهه ، فجثا على ركبتيه يقلبه ، فعرف فيه قائدا فرنسيا كان يقدمه ويكرمه ، فاشتد حزنه عليه وأطال وقوفه عنده . فلما أدار ظهره ، لينصرف نهض عن رقدته ، ونفخ فى بوق صفير ، فاذا رجال يقومون من بين القتلى ، ويحدقون بريكادوس ، وقد شهروا السيوف ! فدهش الملك من المفاجأة أول الامر ، ثم تذكر سيفه ، فاعمله فيهم ، وكاد يأتي عليهم لولا أن احتوشوه فى الظلام ، وطوقوه بالكثرة ، فايقن انه هالك . وفى هذه اللحظة الحرجة جاءته نجدة صلاح الدين فصرعتهم من حوله . ثم طلبوا اليه ان يصحبهم الى السلطان ، فسار معهم مطمئن القلب لاعتقاده ان الملك الذى ينقذ عدوه من القتل يستحيل عليه ان يسلم ضيفه الى الاسر . وكان لقاء السلطان للملك جميلا نبيلا ، وكأنهما لم يقتتلا طوال اليوم ، ولن يقتتلا طوال الغد ! وبالغ صلاح الدين فى اكرام ضيفه ، فدعا بالفتاة اليه ، فلما رآها تخرج من خيمة السلطان خالجه فيها الشك ، وساوره عليها الغضب ، ولكن بطل العرب والاسلام ورمز الفروسية أخبره بما كان منها وبما حدث لها . فقدر الملك اخلاصها ، وخرج بها معززا الى معسكره ليعيد سيرته فى الكر والفر على صلاح الدين . (١)

لبيك أيتها الجارية

ويحلولي ان اتابع البحث عن الفروسية فى طيات التاريخ العربي الاسلامي لارى فيه النجدة والمروءة من ذلك ما روى عن المعتصم(٢) حين وقف عليه رجل وقال له يا امير المؤمنين ، كنت بعمورية (٣) وجارية من احسن النساء سيرة قد لطمها علج(٤) فى وجهها ، فنادت ، وامعتصماه ! فقال العلج : وما يقدر عليه

(١) يخيل الى ان القارىء متهمى بفقدان الصلة بين العنوان والبحث عن صلاح الدين ما لم اثبت عروبته . والى المتتبع ادلتى : جاء فى الجزء (٦) ص (٣) من كتاب ملوك مصر والقاهرة ان جد صلاح الدين هو مروان من أولاد خلفاء امية وأكد هذا الكتاب النفيس ذلك ثانية فثبت نسب صلاح الدين ودرجه الى نزار بن معد بن عدنان ، وتلاه على صلاح الدين فاقرّه . زد على ذلك توجيه الحديث الشريف الى التعريف بالعربى حين انكر رجل من الاعراب على سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى ان يكونوا عربا بقوله ان الرب واحد والاب واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى ، فاذا اردنا أن نستمد من هذا القول تعريف العربى جازلنا أن نقول : هو من تكلم العربية وتشربت نفسه بحب بلادها ومبادئها وأخلص لها وعلى هذا الاساس يكون صلاح الدين عربيا بَيِّنَ العروبة .

(٢) خليفة من اعاظم خلفاء الدولة العباسية وهو فاتح عمورية سنة ٢٢٧هـ .

(٣) بلدة كانت بالروم .

(٤) العلج : الواحد من كفار العجم

المعتصم ؟ أيجيء على ابلق وينصرك ! وزاد فى ضربها .

فقال المعتصم : وفى أى جهة عمورية ؟ فقام الرجل وأشار الى جهتها : ها هى ذى ، فـرد المعتصـم وجهـه اليها ، وقال : لبيك أيتها الجارية ! لبيك ! هذا المعتصم بالله اجابك ، ثم تجهز اليها فى اثني عشر الف فارس على خيول بلق ، وحاصرهـا .

ثم عاد الرجل الذى بلّغه الحديث ـ حديث الجارية ـ فقال له : سربي الى الموضع الذي رأيتها فيه ، فسار بـه ، واخرجها مـن موضعها ، وقال لهـا : ياجارية ، هل اجابك المعتصم !!

ويذكـر ارفينـغ واشـنطن (١) فى كتابـه الشهـير عـن قصص الحمـراء فروسية العرب ، فيقول فيها : لقد كان العرب فى بدء توسع ملكهم غزاة من انبل الغزاة ، متحلين بكرم لا مثيل لهوبتسامح لا حد له ، تفوقوا بهما على جميع القوى التي حاولت محاذاتهم ، وعلى جميـع الامم التي نافستهم . حتى ان رجـال الحرب فى البلاد الغربية قصدوا المدن العربية ليتعلموا من مدارسها العسكرية تعاليم النبل فى الكفاح،وامجاد الفروسية فى المعارك والبطاح ، ولقد ذكر رنول فى كتابه (تاريخ الجيش الفرنسي) ان الفرنسيين خاصة والاروبيين عامة اخذوا عن العرب فكرة الفرسان كما اخـذوا عنهم فكرة الفرسان المجردين من الدروع والاسلحة الثقيلة .

العرب وملكة قشتالة

وينسب سيديو (٢) الى العرب ابتكار قصص الفروسية التى انتشرت من بعدهم فى اسبانيا. ومما يروى عن نبل الفرسان العرب ، وتعففهم عن ايذاء الضعفاء ، والتعرض للنساء ، ما حدث سنة ١١٣٩ ميلادية عندما حاصرت جماعـة منهـم احدى القلاع الاسبانية ، وكانت توجد بها ملكة قشتالة زوجة الملك الفونسـو السابع ، فأرسلت اليهم تعاتبهم على مهاجمة قلعة تدافع عنها امرأة ، فمس فيهم ذلك العتاب وترا حساسا ،وألهبت نخوتهم العربية ، فاكتفوا بأن التمسـوا منها ان تطل عليهم من شرفتها . فلما فعلت ، قدموا لها اسمى ضروب الاحترام وفكوا عنها الحصار ، ورحلوا على الفور.

وقد روى هذه القصة نفسها غوستاف لوبون فى كتابه الشهير عن مدنية العرب، ولكن بتفصيل اوسع فقال (٣) :

---

(١) Erving wachington : أديب اميركي عاش فى اسبانيا طالبا وسفيرا ، سكن حمراء غرناطة فأعجب بقصورها وبالعرب مشيديها فوضع فيهم كتابا اسماه قصص الحمراء

(٢) Sedillot : بحاثة مشهور عن تراث العرب

(٣) Le walie de Cordue ayant en 1139 assiege Tolèdi, la reine Bérangère, qui était enfermée. lui envoya un héraut pour lui dire qu'il n'etail pas digne d'un chevalier brave, galant et genereux d'attaquer une femme. Le général arabe se retira aussitôt demandant pour toute faveur l'honneur de saluer la reine.

حاصر والي قرطبة طليطلة، وكانت السيدة « به رانجير » (١) ملكة عليها ، فأرسلت الى أحد فرسانه بطاقة تذكره فيهـــا بفروسية العرب وفرسانهم ، وما عليهم من كرم النفس ، وانه لا يليق بواحـــد منهم ان يهاجم امرأة ، فما كان مـــن القائد العربي الا التشرف بتحية الملكة وتقديم الاحترام لها وفك الحصار عن قلعتها والانسحاب من حولها .

واأسفاه على الفنسو

ولقد جاء ايضا فى كتاب لارفينـــغ واشنطن عند الكلام عن فروسية يوسف ابي الحجاج ان يوسف المذكور حـــاول تجديد الهدنة مع ملوك الاسبان بعـــد وقعة سالاد ، فرفضوا ، بل هاجم عدوه ملك قشتالة مدينة جبل طارق العربية وحاصرها حصارا شديدا مما اضطـــر يوسف الى محاربته ، وكانت ريح الحرب فى جانبه ، وسمـــع آنذاك بان خصـــمه العنيد مات متأثرا من الطاعون ، فلـــم يعـــول على الاستفادة مـــن اضطـــراب الجيش بموت قائده وانزعج من الخبر بدلا من ان يسر به وقال : جملة مشهورة ليس فى الموت شماته وا أســـفاه علـــى الفونسو ، فقد خسرناه ملكا كاملا يفرض احترامه على محبيه واعدائه على السواء وحزن حزنا شديدا على فقده ، وقـــد امر الملك يوسف فرسانه بفتح الثغور أمام موكب الملك الراحل ودعا قواده الى المساهمة فى تشييع جنازة الملك وتحية النعش لدى مروره فى الاراضى التابعة له وذلك مابين جبل طارق واشبيليه ، هذا مع العلم ان خصومه كانوا يستغلون مثل هذه الظروف لمصلحتهم الحربية .

عروس فى المعركة

وللعربيات المسلمات قصص فروسية تعطر تاريخ المرأة العربية على كر الايام ، فتحلهن فى حلبة الفروســـية والوفـــاء والمجد والولاء اسمى مقام، من ذلك ما روى عـــن ابان بـــن سعيد بـــن العـــاص الذى اصابه سهـــم فمات على اثره ، وكانت له زوجة وهى بنت عم له قريبة عهد بعرسها لا يزال الخضاب فى يدهـــا ورائحة العطر تفوح من رأسها .

وكانت امرأة من أهل الشجاعة والبراعة والغيرة فبلغها وفاة زوجها ، فاتته تهرع(٣) مسرعة تتعثر(٢) فى مشـــيتها ، لـــما اصابها حتى وقفت فـــوق رأسه ، ونظرت اليه والناس ينظرون ماذا تقول : فصبرت ، واحتسبت مصيبتها ، وملكت عبرتها ، ولم يرتفع لها صوت غير انها قالت مهنئة له بما نال من الشهـــادة ورضوان الله : هنئت بمـــا اعطيت ، ومضيت الى جوار ربك الذى جمـــع بيننا ، ثم فرق . ولأجهدن (٤) حتى الحق بك ، وانى لمشوقة اليك ، حرام علي ان يمسني بعدك احد ، واني قد حبست نفسي فى سبيل الله على ان الحق بك وارجو ان يكون ذلك عاجلا . ثم حفر له ، ودفن مكانه ، وصلى عليه خالد بن الوليد، فتركته مدفونا ، ولم تقف على قبره بل أخذت سلاحه ، ولحقت بالجيش ، ولم تعلم خالـــدا بذلك وقالت : على أى باب قتل بعلي ؟ فأشير اليه ، فاختلطت بالقاتلين ، وقاتلت قتالا لم ير مثله وابلت بلاء حسنا ، وكانت ارمى النـــاس بالنبال ، فلا يقع سهم منها على الارض حتى لقيت وجه ربها .

هذه شابة من الشواب العربيات المسلمات فى

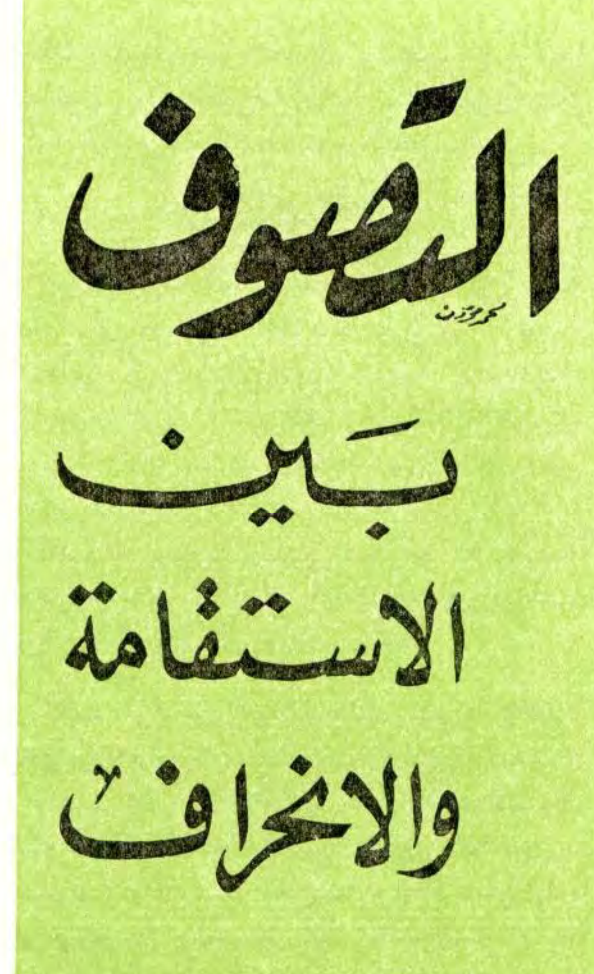
البقية على : ص ٧١

١ ـ Bérangére

٢ ـ تتعثر : عثر الرجل فى ثوبه يعثر عثارا أو عثورا (مصباح) .

٣ ـ تهرع : هرع وأهرع اذا اعجل على الاسراع (قاموس) .

٤ ـ لأجهدن : الجهد بالضم والفتح الوسع والطاقة .



للاستاذ عبد الحكيم نعناع
مدير المكتب الفني للادارة العامة
للمعاهد الأزهرية

التصوف فى حقيقته جزء جوهرى من الدين الاسلامي الذى ارتضاه الله سبحانه دينا للبشرية عامـــة .

ويخطىء كل الخطأ من يتصور أنه أمر غريب او مبتدع أضيف الى الاسلام ، ذلك لأنه يستمد أصوله مباشرة من مصدرين أساسيين . هما كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مـن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والسنة النبويـــة المطهرة ، مع خلوص النية ، وصدق الاخـلاص فى العمـل .

والتصوف فى الاسلام هو الكمـال فى الايمان ، والكمـال فى العمل ، هـو لب الدين وثمرة اليقين .

انه الآفق الأعلى للدعوة الاسلامية ، والوجـــه المشرق لآدابها ومثلها العليا .

انه أسمى صور الايمان فى العقيدة الاسلامية ، يعيش صاحبه تحت ظل التوحيد النقي الصافي ، فيرى الله فى كل شيء ، ويراقبه فى حركاتـــه وسكناته ، بل يراقبه فى كل نفس من أنفاسه، لأنه يؤمن به ، مطلعا على خواطر القلب ، وهمســات النجوى « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » .

وعلى هذه الصـورة الوضيئة ، عاش ســيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ودعا اليها وورثها أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، فمنهم جمع كبير نهج نهجه ، واقتفى أثره ، وتخلقوا بخلقه الرباني ، وتجملوا بكماله النفسي ، وتبعهم فى هذا السلوك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه مـن التابعين وتابعي التابعين ، يدعون اليـــه ، ولا يحيدون عنه .

وهؤلاء جميعا هم قادة التصوف الاسلامي قبل ان يطلق عليهم اسم « الصوفية » وان كان قد اطلق عليهم اسم العباد او الزهاد .

ومن هنا كان وجود التصوف والصوفية سابقا لهذه التسمية بقرن على الأقل ، وقائما فى عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده .

ولما اتسعت الفتوحات الاسلامية ، وانفسحت رقعة العالم الاسلامي ، وتعددت شعوبه وأممه ، وترجمت كتب اليونان وغيرهم ، وتسربت فلسفتهم الى المسلمين ، وبعد ما بينهموبينالوحي والرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ودخلت الدنيـا على الناس ، وأخذت الشهوات والنزوات والمطامـــع والأهواء تلعب دورها ، وتنحرف بالقلوب عـــن عقيدتها ، لما كان ذلك كذلك هب فريق من هؤلاء

العباد والزهاد ، يحفظون حدود الله ويذودون عن جوهر الاسلام وروح العبادة ، ويدعون الى المثل العليا التي ورثوها عن اسلافهم الصالحين ، وتميز هذا النفر بالطائفة الصوفية ، وعرفوا بهذا الاسم قبل المئتين من الهجرة النبوية ، يقومون على الحق ، ويهدفون الى تزكية النفوس ، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الاسلامية الرفيعة والمحبة الخالصة لله .

قال ابن خلدون فى مقدمته عن التصوف : « .. وأصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم « الصوفية » .

أثر التصوف فى نشر الدعوة

ولقد كان للتصوف اثر بعيد فى سيادة الايمان وصيانة العقيدة ، وفى نشر الاسلام . فقد استطاع ايام ازدهاره ان ينشر الدعوة الاسلامية بدون غزو او سلاح ، والصوفية هم الذين اشاعوا نورها وحملوا هداها بين ربوع افريقية التي لم تفتحها الجيوش الاسلامية ، وكان لهم الفضل الأكبر فى نشر كلمة التوحيد فى اندونيسيا والفلبين والصين وغيرها من الأقطار النائية ينشرونها بالقدوة الطيبة ، والعمل الصالح ، والخلق الكريم ، وكان الكثير منهم من المرابطين الذين عاشوا على حدود الدولة الاسلامية ، يصدون عنها غارات الأعداء .

والتصوف هو الذى وقف صامدا فى وجه تيارات الالحاد ، وغزوات الانحلال ، وهو الذى وقف حصنا منيعا يدفع عن شعوب الاسلام وثنية التتار ، وعصبية الصليبيين ، وطغيان الاستعمار .

فهذا صاحب تاريخ بغداد يذكر ان الخليفة المتوكل حينما عصفت الحروب بالدولة العباسية ، نادى أهل الفتوة الصوفية ، فهرعوا اليه من كل مكان ، فكانوا جيشه الكبير الذى حمى ديار الاسلام وصان حدوده .

والجبرتي يحدث ان هزيمة الفرنسيين فى مصر انما كانت على أيدى رجال المقاومة الشعبية من أبناء الصوفية وشيوخها .

وقبل ذلك كان لهم الفضل الأكبر فى هزيمة الصليبيين فى معركة حطين ، وفى أسر قائدهم لويس التاسع فى بيت ابن لقمان بالمنصورة .

ولا يزال التصوف يحمل ميراث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ينير البصائر ، ويفتح القلوب على معرفة الحق ، ويعمرها بصدق العبودية لله رب العالمين ، ويربط عليها وسط تيارات الالحاد والانحلال .

مدارس التصوف

وكما نشأت مدارس الحديث، ومدارس التفسير ومدارس الفقه ، ومدارس علم الكلام ، ودونت قواعدها وحددت أصولها وفروعها ، مستمدة من الكتاب والسنة ، نشأت كذلك مدارس التصوف ، واجتهد علماؤه ، ودونوا معارفهم فى العبادات والأخلاق ، ومناهجهم فى السلوك وعلل النفوس ، ونوازع الخير والشر ، وأنواع الذكر ، ومقومات الشخصية الاسلامية الكاملة .

وكان مستمدهم فى هذا كله الكتاب والسنة ، وحسن المتابعة للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى ميراثه الروحي ، لا يحيدون أبدا عما تلقوه عن أسلافهم .

يقول الجنيد — سيد هذه الطائفة وامامهم كما يقول القشيرى : ((من لم يحفظ الكتاب ، ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، وقال : علمنا هذا مقيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)) . وقال : ((الطرق كلها مسدودة على الخلق ، الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، واتبع سنته ، ولزم طريقته)) .

وسهل التسترى — وهو من هويين أعلام الصوفية — يقول معبرا عن اصول التصوف : ((أصول طريقنا سبعة ، التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ،

وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصي ، ولزوم القربة ، وأداء الحقوق)) . وأبو يزيد البسطامي يقول : ((لو نظرتم الى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتقي فى الهواء ، فلا تغتروا به حتى تجدوه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة)) .

وهكذا نجد التصوف الحق يعتصم بالكتاب والسنة ، ويدعو الى الاستمساك بهما من غير زيغ ولا خروج عن جادة الدين .

القوة الثالثة

ولقد أثار التصوف الاسلامي منذ تميز — ولا يزال — جدلا وحوارا فى الفكر الاسلامي وفى الحياة الاسلامية ، وكانت له خصومات تنكر منحاه فى التربية ، ومنهجه فى السلوك ولا تزال .

وليس ذلك بغريب فالأمر فيه كما يقول ابن السبكى فى طبقاته — ((الناس أعداء ما جهلوا ، فكل فريق يخاصم من الآراء الرأى الذى لم يعرفه ، والعلم الذى لم يتذوقه)) .

وتلك كلمة حق فنرى أهل السنة — وهم يقولون : ان الدين نص تفسره أسباب النزول واللغة والرواية ، والمعتزلة يقولون : ان الدين نص يفسره العقل ويوضحه ، نراهما قوتين اسلاميتين تتخاصمان وتصطرعان قبل ان يتميز التصوف كعلم وعمل ، وكلتاهما تنكر على الأخرى مسلكها ومنهجها ، وهما معا تنكران على الصوفية مسلكهم ومنهجهم ، حين أصبحوا القوة الثالثة فى دنيا الاسلام ، لا هي نصية فقط ، ولا هي عقلية فقط ، ولكنها الى جانب ذلك بصيرة وضاءة ، وروح صافية .

وقد ورد فى كتب التصوف ، وأثر عن بعض اعلامه عبارات وأقوال اثارت جدلا وانكارا . وفى هذا المجال يقول الامام الشعراني فى طبقاته الكبرى دفاعا عن محيي الدين بن العربي : ((وما انكر من انكر عليه الا لدقة كلامه لا غير ، فانكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفا من حصول شبهة فى معتقده يموت عليها لا يهتدى لتأويلها على مراد الشيخ)) .

ذلك أن ((من ذاق عرف)) ومن هنا نجد الذين لم يتذوقوا علم التصوف ، ولم تتهيأ استعداداتهم لفهم حقيقته ، يرمون التصوف وأهله بادعاءات باطله فى علومهم ومعارفهم ، وفى أذواقهم ومشاربهم ومواجيدهم فيما بينهم وبين ربهم ، وفى نظرتهم السامية العميقة فى هذا الوجود ، وحقائقه .

ولو أن هؤلاء أخذوا انفسهم بمثل ما يأخذ به الصوفية أنفسهم من تقواهم لله حق تقاته ، ومن اخلاصهم العبادة لله سبحانه فى ظل قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : ((اعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك)) لو أنهم فعلوا ذلك ما أنكروا وما رموا هؤلاء الأعلام بما يرمونهم به ، وحسبهم أن شيخ التصوف الأكبر (محيي الدين بن العربي) هو الذى يقول : لقد أجمع أهل التصوف جميعا على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله عليه ، وانما هو فهم يعطى فى القرآن لرجال الله ، كما ثبت من حديث علي بن ابي طالب ، وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه فألهمه وجعل له نورا)).

ما دخل على التصوف

ولا جدال فى ان التصوف الاسلامي قد دخل عليه فى عصوره الأخيرة ما ليس منه ، وطاف فى سماء مناهجه الأصيلة كثير من الضباب والغبار ، كما أصابه ما أصاب حياة المسلمين من جمود وضعف ، وعادات وتقاليد شوهت جماله ، وذلك وضع لم يسلم منه أمر من أمور المسلمين .

وان الأمة الاسلامية قد أخذت تنفض عن كاهلها غبار ماض بغيض فرضه عليها طغيان الاستعمار ، وبغي الصهيونية ، وعداوة الصليبية ، ومشت فيها روح جديدة تنبه القوى الغافية ، وتوقظ الأحلام ، فالتفتت الى ما ضيعها توقظ آمالها وتحيي تراثها .

وانها فى بعثها الجديد لفي أشد الحاجة الى ان تتسلح بزاد الايمان وروح الاسلام ، وقوة اليقين ، وصفاء العقيدة .

وجماع ذلك كله التصوف ، فالتصوف فى حقيقته هو الايمان فى أوضح اشراقاته ، والخلق فى أعلى مثله ، والعلم فى أصفى موارده ، والجهاد فى أقوى ذراه ، وتلك هي الدعائم التي ارتكزت عليها دول الاسلام فى أقوى نهضاتها ، واستندت اليها شعوبه فى أمضى وثباتها ، وهي الملامح الأصيلة لاعظم القوى الروحية فى العالم ، وأطهر الدعوات النبوية فى التاريخ .



للأستاذ علي الجندي

آيات الرجاء فى القرآن

آيات الرجاء كثيرة فى القرآن ، منها قوله تعالى « قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

وسبب نزولها أن قوما قالوا : (يا رسول الله ، أيغفر لنا ربنا ان أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره) .

ويقول ثوبان لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم : « ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية » .

ومعنى الآية أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب .

ويقول علي كرم الله وجهه : انها أرجى آية فى القرآن .

وقيل : أرجى آية « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

وقيل : ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما .

وقال زين العابدين رضي الله عنه : « أرجى آية قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

فان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لا يرضى وواحد من أمته فى النار

أفضل آية

عن علي كرم الله وجهه انه قال : ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى ؟ قالوا بلى ، قال قوله تعالى « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير » . ثم قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ما أصابك من بلاء أو عقوبة ، او مرض فى الدنيا فبما كسبت يداك ، والله اكرم من ان يثنى على عبده فى الآخرة العقوبة ، وما عفا الله عنه فى الدنيا ، فالله اكرم من ان يعود بالعقوبة بعد عفوه .

قال الواحدى : ولذلك قالوا : ان هذه الآية أرجى آية فى القرآن ، لأنه جعل تعالى ذنوب المؤمنين صنفين . صنف تكفيره بالمصائب ، وصنف عفا عنه ، وهو ــ جلا وعلا ــ كريم لا يعود فى عفوه .

القرْن

القرن : بفتح فسكون ، أربعون سنة ، أو عشرة : أو عشرون ، أو ثلاثون ، أو خمسون ، أو ستون ، أو سبعون ، أو ثمانون ، أو مائة ، أو مائة وعشرون ، والأصح أنه مائة لقوله صلى الله عليه وسلى لغلام « عش قرنا » ، فعاش مائة سنة .

ومن معانى القرن : الخصلة من الشعر ، ومن الشمس ناحيتها أو أعلاها أو أول شعاعها ، ومن القوم سيدهم وكل أمة هلكت فلم يبق منها أحد ، وأهل زمان واحد ، وأمة بعد أمة .

وميقات أهل نجد ، وهى بلدة عند الطائف ، أو اسم الوادى كله ، وغلط الجوهرى فى تحريكه ، كما غلط فى نسبة (أويس القرنى) اليه ، لأنه منسوب الى قرن ــ بوزن قمر ــ ابن رَدْمان ــ وزن شعبان ــ ابن ناجية أحد أجداده .

الرسول ينشد الشعر

تمثل النبى صلى الله عليه وسلم بقول الشاعر :

ان تغفـر اللهـم تغفر جمـا
وأى عبـد لـك لا ألمـا

وصار من جملة الأحاديث : أورده السيوطى فى جامعه الصغير .

وعن الحاكم فى الايمان ، والتوبة عن ابن عباس ، وقال المناوى فى شرحه الكبير : يجوز انشاد الشعر للنبى صلى الله عليه وسلم ، وانما الممنوع انشاؤه .

دين القوة

نظرت السيدة عائشة رضى الله عنها الى رجل متماوت فقالت : ما هذا ؟ فقالوا لها رجل من القراء .

فقالت : كان عمر بن الخطاب سيد القراء ، فكان اذا قال أسمع ، واذا مشى أسرع : واذا ضرب أوجع !!

ونظر عمر رضى الله عنه رجلا مطأطئـا رأسه ، فقال ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض !!

ورآى رجلا متماوتا يظهر النسـك ، فخفقه بالدرة ، وقال لا تمت علينا ديننا أماتك الله ؟؟

شدة الصوت

قال ابن عطية : رأيت مـن بعض أقويـاء العرب انـه كان يمكـو (يصـوت) على الصـفا ، فيسـمع صوته مـن حـراء ، وبينهما أربعـة أميـال .

لطف العلماء

كان للامام ابن الجـوزى زوجة تسمى « نسيم الصبا » وكان يحبها حبا شديدا ، فاتفق أن حدثت بينهما جفوة ، فحصل له قلق شديد وهيام حتى كاد يشرف على التلف !!

وفى يوم من الايام حضرت الزوجة مجلس وعظه ، فسر بهـا واستبشر وسرعان ما حضرت امرأتان وجلستا أمامـه ، فحالتا بينه وبـين رؤيتها ، فأنشد ابن الجوزى متمثلا :

أيا جبلى نعمـان باللهخليـا
نسيم الصبا يخلص اليّ نسيمها
فان الصبـا ريح اذا ما تنسمت
على قلب مهمومٍ تجلت همومها

والبيتان لمجنون ليلى

واحدة بواحدة

جاء رجل الى الأعمش وهو جالس على شاطىء خليج وعليه فروة خلقه فأقامه وركب فوقه ، وقـال عدّنى هذا الخليج ثم تلاقولهتعالى « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنـا لـه مقرنين » .

فمضى به الأعمش حتى توسـط الخليج فرمى بـه وهـو يتلو قولـه تعالى « رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » .

ومعنى « مقرنين » أى « مطيقين »

أرجى وأحسن

قال أبو بكر رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر فيه آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « قل كل يعمل على شاكلته » . فانه لا يشاكل العبد الا العصيان، ولا يشاكل المولى الا الغفران !

وقال عمر رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر أرجى وأحسن مـن قولـه تعالى « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » . فانه قدم غفران الذنب على قبول التوب .

وقال عثمان رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم » ، فقدم الغفران والرحمة على أليم العذاب .

وقال علي رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

وقال القرطبي : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسو' ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

وقال الشيخ عبد الرحمن الصفورى : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى » .

لبيك وسعديك

قال العلماء يجوز استعمال لبيك وحده . وأما سعديك فلا يستعمل الا تابعا للبيك .

المتوكلون من اصحاب الحرف

أفتى ابن عباس رضىالله عنهما فيمن أوصى للمتوكلين بأنهم الزراع فيصرف لهم ما أوصى به الموصى ، وذلك لأن الزراع يحرثون ويضعون البذر فى الارض ، فهم المتوكلون على الله تعالى فى ذلك .

ويؤيده ما رواه البيهقى والعسكرى من أن عمر بن الخطاب لقي أناسا من أهل اليمن فقال من أنتم ؟ فقالوا متوكلون !! فقال كذبتم !! انما المتوكلون رجال القوا الحب فى التراب ، وتوكلوا على رب الارباب !

وبهذا أفتى بعض فقهاء بيت المقدس قديما .

وقال الرافعى والنووى : احتج من فضل الزراعة على غيرها من الحرف بأنها أقرب الى التوكل .

الرجوع على الاعقاب

فى حديث السيدة أسماء رضى الله عنها « آتى على حوضى حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دونى ، فأقول يا رب أمتى ومن أمتى، فيقول ما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » .

قالوا احسن ما قيل فى هذا الحديث « أنه يتعلق بمن ارتدوا بعد رسول الله وكفروا فتتخطفهم النار » .

وعليه يحمل حديث مالك فى الموطأ الذى جاء فيه « فيذاد رجال عن الحوض . . »

وكان ابن أبى مليكة اذا ذكر هذا الحديث يقول : « اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا !! »

مزية الشبان

فى الحديث الشريف « وسعوا للشبان فى المجالس وافهموهم الحديث » .

وكان عمر اذا نزل به معضل دعا الفتيان واستشارهم وقال : هم أحَدُ قاوبا .

الصلاة تضاف الى وقتها

كل صلاة تضاف الى وقتها، تقول صلاة الغداة « الصبح » وصلاة الظهر ، وصلاة العصر ، وصلاة المغرب ، أو صلاةالعشاء الأولى ، وصلاة العشاء الآخرة . واعراب البادية يقولون : صلاة العتمة ، وقد جاء فى الآثار كراهة ذلك ، فقد ورد « لا يغلبنكم الأعراب على صلاتكم العشاء » .

سورة التوديع

قال البغوى فى تفسيره عن الحسن ، علم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اقتراب آجله من قوله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح .... » السورة .

قال قتادة : عاش النبي بعدها عامين .

وقيل : انه عليه السلام لم يضحك فى هذين العامين .

وهذه السورة تسمى سورة التوديع ((



الكِيا الهَرّاسي

للاستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائي

بغداد

من هو الكيا الهراسي

هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الطبرى الملقب : «عماد الدين» المعروف «بالكيا الهراسى». والكيا بهمزة مكسورة ولام ساكنة ثم كاف مكسورة بعدها ياء ، معناه الكبير بلغة الفرس ، والهراسي براء مشددة وسين مهملة لا تعلم نسبته لأى شيء (١) .

ولادته وموطنه

يقول ابن خلكان « وكانت ولادة الكيا فى ذى القعدة من سنة خمسين واربعمائة (٢) وتوفي يوم الخميس وقت العصر مستهل المحرم سنة اربع وخمسمائة ببغداد ، ودفن فى تربة الشيخ أبي اسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى ، وحضر دفنه الشيخ ابو طالب الزينبى وقاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغانى ، وكانا من مقدمى الحنفية وكان بينه وبينهما فى حال الحياة منافسة وتنافر ، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال ابن الدامغاني متمثلا :

وما تغني النوادب والبواكي
وقد اصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبي

عقم النساء فلا تلدن شبيهه
ان النساء بمثله عقم

تعليمه الأول

لقد بقي الكيا فى طبرستان منذ ولادته حتى بلغ الثامنة عشرة وهناك تلقى تعليمه الأول قبل أن يخرج الى نيسابور .

ولكن تعليمه فى هذه المدة لا نعرف عنه شيئا ، ولعل السبب فى ذلك أن الاهتمام بالعلماء يأتي دوما بعد اكتمال تحصيلهم العلمي وبروزهم ، أما قبل ذلك فهم عرضة لعدم الاهتمام .

لذا فنحن لا نجد فى ترجمة أكثر العلماء ما يكشف عن مقتبل حياتهم وأيام تعليمهم الأولى الا اليسير ، وهكذا كان شأن الكيا ، فنحن لا نعرف كثيرا عن عائلته وبيئته أو شيوخه الذين تتلمذ لهم الا أننا نفهم أن دراسته فى طبرستان أهلته لأن يكون بين طلاب امام الحرمين ، وأن يكون مستعدا للأخذ عنه ، وهو شيخ الشافعية فى زمنه والذى جاب الآفاق ، ثم عاد الى بلده (نيسابور) ليمكث اكثر من ربع قرن مدرسا وواعظا وخطيبا ، ولعل من النافع أن نذكر نبذة مختصرة عن حياة هذا

١ ـ شذرات الذهب لابن العماد جـ ٤ ص ٨ .

٢ ـ وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٤٨

* تتلمذ لإمام الحرمين
* شارك الغزالي فى الدرس
* ولد بطبرستان وتعلم بنيسابور ، وعلم فى بغداد
* هل كان باطنيا اسماعيليا ؟
* ما معني ((الكيا)) و ((الهراسي)) ؟
* كاد أن يقتل فنجا بتوسط الخليفة !
* هل استفاد من شهرة الغزالي أم خسر؟

الشيخ الذى كون لنفسه - على ما يبدو - مدرسة فكرية كان من تلامذتها النجباء الامام الغزالي والكيا وكثير من امثالهم . فمن هو شيخ الحرمين ؟ ؟

امام الحرمين

هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد ابن عبد الله الجوينى النيسابورى امام الحرمين ابو المعالي .

ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة (٤١٩) .

يقول السبكى فيه (١) : ((ولا شك أنه كان أعلم أهل الارض بالكلام والأصول والفقه واكثرهم تحقيقا ، بل الكل من بحره يغترفون .. توفي والده وسنه نحو العشرين وهو مع ذلك من الأئمة المحققين ، فاقعد مكانه فى التدريس، فكان يدرس ، ثم يذهب بعد ذلك الى مدرسة البيهقي حتى حصل الأصول عند استاذه ابي القاسم الاسكافى الاسفراييني .

قال عبد الغافر الفارسى الحافظ فيما نقله السبكى(٢) : ((فاضطر الى السفر والخروج عن البلد وخرج الى بغداد - ثم جاور بمكة اربع سنين يدرس ، ويفتي ، ويجتهد فى العبادة ونشر العلم .. ثم عاد الى نيسابور بعد ولاية السلطان (ألب أرسلان) ... فبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور ، وأقعد للتدريس فيها ، واستقامت امور الطلبة ، وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، مسلما له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس الذكر يوم الجمعة والمناظرة ، وهجرت المجالس من أجله ، وانغمر غيره من الفقهاء بعلمه وكسدت الاسواق فى جنبه ، ونفق سوق المحققين من خواصه وتلامذته ، فظهرت تصانيفهوحضر درسه الاكابر والجمع العظيم من الطلبة ، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو ثلثمائة رجل من الائمة والطلبة ...الى أن قلد زعامة الاصحاب ورياسة الطائفة وفوضت امور الأوقاف اليه ، وقوله فى الفتوى مرجع العظماء والاكابر والولاة .. وبدت عليه مخايل الموت وهو فى ليلة الاربعاء بعد صلاة العتمة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ونقل فى الليلة التى توفي فيها للبلد ، وقام الصياح فى كل جانب ..

١ - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٢٤٩
٢ - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٢٤٩

وكسر منبره فى الجامع (المنيفي) .. وكان الطلبة فيه ما بين اربعمائة نفر يطوفون فى البلد نائحين عليه مكسرين المحابر والأقلام مبالغين فى الصـــياح والجزع » .

الكيا فى نيسابور

بعد أن امضى الكيا (١٨) سنة من عمره فى طبرستان سلك ما كان يسلكه أكثر الطلبة آنذاك من الهجرة لطلب العلم على وفق ما وردت بهالسنة من اعتبار هذه الهجرة جهادا ، وبما يعود على الطالب نفسه من العلم الوفير والشهرة والصيت ، لذا رأينا الكيا يغادر طبرستان الى نيسابور ، ولا شك أنه سمع بشهرة امام االحرمين ، فتطلعت نفسه الى لقيـــاه والتتلمذ عليه . يقول ابن عساكر (١) : « ورد نيســابور فى شـبابه وقـد تفقه ، وكان حسن الوجه مطابق الصوت للنظر مليح الـكلام ، فحصــل طريقة امــام الحرمين ونبغ فيها ، وصار من وجـوه الاصحاب ورءوس المعيدين فى الدرس ، وكان ثان الفزالي ، بل املح واطيب فى النظر والصوت ، وأبين فى العبـــارة والتقدير منه ، وان كان الفزالي أحد وأصـــوب خاطرا وأسرع بيانا وعبارة منه ، وهذا كان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به ، وكان مواظبا على الافادة والاستفادة ، ثم اتصل بعد مـــوت امام الحرمين بمجد الدين ، وحظي عنده ، ثـم خرج الىالعراق،وأقام مدة يدرسببغداد فىالمدرسة النظامية الى أن توفي فيها » .

أما السبكي (٢) فيترجم له بنفس هذه المعاني فيقول : « أحــد فحــول العلماء ورءوس الائمــة فقها وأصولا وجدلا وحفظا لمتون احاديث الاحكام ، ولد خامس ذى القعدة سنة خمس واربعمائة ، وتفقه على امام الحرمين وهو أجل تلامذته بعــد الغزالي ، وحدث عن امام الحرمـــين وابي علي الحسن بن محمد الصفار وغيرهما ، روى عنــه السلفى وسعد الخير بنمحمد الانصارى وآخرون.

قال فيه عبد الغافر « الامام البالغ فى النظر مبلغ الفحول ، ورد نيسابور فى شبابه » ثم ينقل النص السابق الذى ساقه ابن عساكر .

اما ابن خلكان (٣)) فهو الآخر ينقل ما نقلــه غيره باختصــار فيقـول « ...وكان من أهـــل طبرستان ، وخرج الى نيسابور ، وتفقه على امام الحرمين ابي المعالي الجويني مدة الى أن برع ... ثم خرج من نيسابور الى (بيهق) ودرس بها مدة ، ثم خرج الى العـــراق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد الى أن توفى » .

من كل ما تقدم يمكننا أن نستنتج أن الكيا كان فى نيسابور طالبا مجدا كل الجد، وأنه كان يحفظ العلوم ويكررها وفق طريقة ذكرها بنفسه ، ونقلت عنه ، وملخصها : « كانت فى مدرسة سرهنك بنيسابور قناة لها سبعون درجة وكنت اذا حفظت الدرس أنزل القناة ، وأعيد الدرس فى كل درجــة مرة فى الصعود والنزول ، وكذا كنت أفعل فى كــل درس حفظته » (٤) .

ثم صار من كبار تلاميذ امام الحرمين حتى أنه كان يقوم باعادة دروسه على كثير من اخوانه حتى تخرجوا عليه . وعلى هذا النحو بقي فى نيسابور الى أن توفى شيخه (٤٧٨) فانتقل الى بيهق .

الكيا فى بيهق

بعد أن اكمل الكيا تحصيله على يد شيخه امام الحرمين ، وبعد أن اصبح قادرا على اعـــادة دروس شيخه،وبعد وفاةهذا الشيخ الجليل ،خرج الكيا من نيسابور ميمما وجهه شطر (بيهق)، وكان الوقت مناسبا ليظهر علمه هناك ومنهجه الـذى تلقاه على امام زمانه ، ومما لا شك فيه أنه حاول ابراز موهبته وغزارة علمــه حتى لفت أنظـــار الولاة هناك اليه الا أن المصادر لا تزودنا عن هذه الفترة التي بقي فيها من سنة ٤٧٨ الى ٤٩٢ حيث دخل بغداد .

١ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٢٨٨
٢ ـ طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص (٢٨١ ـ ٢٨٢)
٣ ـ ابن خلكان / وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٤٤٨ .
٤ ـ طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص ٢٨٢ ومرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٧ .

فهذا ابن خلكان يقـول : « كان من أهـل طبرستان ، وخرج الى نيسابور .. ثم خرج من (٢) نيسابور الى بيهق ودرس بها مدة ، ثم خـرج الى العراق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد الى أن توفي » .

ثم يعود ابن خلكان لينقل عن الحافظ عبدالغافر قوله : « ثم اتصل بخدمة الملك بركيا روق بن ملكشاه السلجوقي ، وحظي عنده بالمال والجاه ، وارتفع شأنه ، وتولى القضاء بتلك الدولة .. » وقد نقل ابن العماد هذا الخبر كذلك .

ويذكر الاستاذ الداغستاني نقلا عن الكامل فى حوادث سنة ٤٩٢ قوله (٣) : « هـذه السـنة من شعبان وصل الكيا ابو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراسي الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيا روق الى الخليفة .. » (والخليفة فى هذه المدة هو المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدى بامر الله المتوفى سنة ٥١٢) .

ثم يعلق الاستاذ الداغستاني بقوله: « ومن هذا نرى ان الكيا قد عظم شأنه،وأنه بعد أن درس مدة فى بيهق اختير قاضـيا فى سـلطنة بركيا روق السلجوقي وعظمت صلته بالسلطان وثقة السلطان به حتى اختاره للسفارة بينه وبين الخليفـة ببغداد » .

ومن الطبيعي..بعد أن تستشرف نفس الكيا بعد الدراسة فى طبرستان ونيسابور وبيهق أن تتوجه الى بغداد حيث سوق العلم والعلماء نافقة فيعرض بضاعته وفطنته وحذاقته .

الكيا فى بغداد

لقد وصل الكيا بغداد فى شعبان من سنة ٤٩٢ وهو يحمل رسالة بركيا روق الى الخليفة كما يقول ابن الاثير،ومن الطبيعي أن تخدمه هذه المهمة الدبلوماسية فتعرفه أولا على حاشية الخليفـة ، وتجعله أهلا للاحترام ، لذلك يذكر ابن الاثـير ان مجد الملك البلاساني اعتنى به ، أما الوزير عميد الدولة (ابن جهير) فقد قام له عندما دخل عليه ـ وهو الذى كان أكبر متكبر يعد كلامه عدا ولا يكلم أحدا .

ثم تسكت المراجع عن ذكر ما صار للكيا بعـد ذلك خلال عام الى ان تعود له مرة أخرى عند تعيينه مدرسا (بالنظامية) سنة ٤٩٣ فيقول ابن شهبة فى طبقات الشافعية : «وتولى النظامية فى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين واربعمائة واستمر بها عظيم الجاه، رفيع المحل، يتخرج عليه الطلبة الى أن توفي فى المحرم سـنة اربـع وخمسـمائة (٥٠٤) (١) .

هل كان الكيا باطنيا

من غريب ما حدث للكيا ما تناقلته بعض الكتب من أنه اتهم بالباطنية والاسماعيلية وأنه رجم أو كاد وأن المستظهر حماه ، وسوف ننقل بعض هذه النصوص ونناقشها .

١ : نقل السبكي فى طبقاته دون أن يسند الخبر لأحد أنه: « من غريب ما (٢) اتفق له أنه أشيع أن الكيا باطني يرى رأى الاسماعيلية فنسبت له فتنة هائلة وهو برىء من ذلك ، ولكن وقع الاشتباه على الناقل فان صاحب اللاطوت ابن الصباح الباطنى الاسماعيلي كان يلقب بالكيا أيضا ثم ظهر الأمر ، وفرجت كربة شمس الاسلام رحمـه الله تعالى ، وعلم أنه أتى من توافق الكنيتين (الكيا لقب وليس كنية) .

فالسبكي يعرض القضية على أساس ان ابـن الصباح يلقب بالكيا وهو باطنى معروف، وأن الكيا الهراسي يلقب أيضا كذلك فحصل اشتباه ، ثـم انجلى الأمر ، وانتهى كل شيء عند هـذا الحد فلننظر ما يقول غيره .

٢ : أما ابن القيم(٣) فقد عرض القضية بصورة اخرى دون أن يسمي المصدر الذى نقل عنه أيضا فقال : « وقـدم بغـداد ودرس بالنظامية ووعظ وذكر مذهب الاشعرى فرجم ، وثارت الفتن واتهم بمذهب الباطنية فأراد السـلطان قتله فمنعـه المستظهر وشهد له » .

---

١ ـ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٨ .
٣ ـ مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٥٠٨ .
٥ ـ مرآة الزمان لسبط ابن القيم ج ٨ ص ٣٧
٢ ـ مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٥٠٨ .
٤ ـ طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ٢٨٢ .

فان صح هذا الخبر فهو يختلف عما نقله السبكي اذ يحدد ان الكيا تكلم فى الامام الاشعرى بما لا يرضى مما أهاج الناس، فسبب ذلك نقمة السلطان الذى اراد قتله لولا شفاعة المستظهر والشهادة لـه .

٣ : وقد ذكر الخبر من المتأخرين الزركلي (٤) وكأنه ينقله عن مرآة الزمان باختصار فيقول « وسكن بغداد فدرس بالنظامية ووعظ واتهم بمذهب الباطنية فرجم واراد السلطان قتله فحماه المستظهر وشهد له » .

ومن يمعن النظر فى هذه الأخبار يجد أن ما ذكره ابن القيم أقرب للقبول، ذلك أن الكيا قد درس على امام الحرمين فيما درس علم الكلام ، وكان يناظر فيه ويناقش ، فمن غير المستبعد ان يرفض بعض آراء الامام الاشعري وينبرى لمناقشتها ، وحيث ان التنافس بين العلماء أمره معروف ـ فمن المحتمل أن آراء الكيا نشرت بين الناس فهاج الناس لهذا النقد ، وربما رجموا صاحبه وطالبوا السلطان بقتله وأن المستظهر شهد له وحماه .

اما أن لقبه هو الذى جنى عليه ـ كما يرى السبكي ـ فامر نستبعده لأن الكيا شخصية معروفة، وهو استاذ فى النظامية ، وابن الصباح مشهور معروف ولا لبس فى القضية كما نتصور من هذه الجهة .

أما انه اسماعيلى فذلك امر مستبعد ايضا ، لأنه لو عرف بذلك لما استطاع أن يصل الى مدرس فى النظامية، ولو عرف عنه ذلك فى النظامية لما استطاع البقاء فيها مدرسا حتى وفاته .

كما أن دراسته السابقة واكتمال تحصيله يباعدان بينه وبين أمثال هذه الافكار ، فهو شافعي لم يخرج عن نطاق المذهب . وكتبه تشهد له ولا سيما « احكام القرآن » الذى سنتكلم عنه بعد قليل .

شيوخه

لقد عاش الكيا للعلم فمنحه حياته ، وقد جد واجتهد حتى صار « شيخ الشافعية » فى بغداد ، وتطلعت اليه العيون ولكن مع هذا كله فنحن لا نعرف من هم شيوخه فى طبرستان او نيسابور ، وكل الذى يزودنا به السبكي (١) قوله : « وتفقه على امام الحرمين وهو أجل تلامذته بعد الغزالي ، وحدث عن امام الحرمين ، وأبى علي الحسن بن محمد الصفار وغيرهما » هذا كل ما نجده ولكن من هم هؤلاء « الغير » لا نعلمهم للأسف .

ومثل هذا يقال عمن أخذ العلم عن الكيا، فنحن لا نعرف كثيرا ممن تتلمذوا له ، وان كان السبكى يذكر أحيانا عند ترجمته أن « فلانا » أخذ العلم عن الكيا ، الا أن جل هؤلاء هم ممن تتلمذ له فى « نظامية بغداد » أما الذين درسوا على يديه فى « بيهق » مثلا فلا ذكر لهم .

تلاميذ الكيا

١ : عبد السلام بن الفضل ـ أبو القاسم الجيلي اقام ببغداد مدة متفقها بالمدرسة النظامية على الكيا وولي قضاء البصرة وسمع بمكة صحيح مسلم من الحسين الطبرى ، وكان فقيها أصوليا توفي فى جمادى الآخرة ٥٣٤ . (طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص ٢٥٤) .

٢ : عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الغزالي ـ الفقيه ابو منصور تفقه على الكيا الهراسي ، وسمع الحديث من أبى الغنائم بن المأمون وغيره ، روى عنه السلفي ، مات فى رجب سنة ٥١٣ .

٣ : عبد الله بن محمد بن غالب ـ ابو محمد الجيلي تفقه ببغداد على الكيا ثم انتقل الى الأنبار واستوطنها ومات سنة ٥٦٠ .

٤ : علي بن أحمد بن محمد ـ أبو المكارم البخارى تفقه ببغداد على الكيا الهراسى، وولي قضاء واسط، وكان يدرس الفقه بجامع واسط مات سنة ٥٣٠ .

٥ : الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن عماد الموصلي ـ الشيخ ابو البركات شيخ ابن الصلاح ولد بالموصل سنة ٤٧٧ ، وتفقه ببغداد على الكيا والشاشي وأسعد المهيني ومات بالموصل سنة ٥٢٩ .

---

١ ـ الاعلام لخير الدين الزركلي جـ ٥ ص ١٤٩ الطبعة الثانية .
٢ ـ طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ٢٨١ .

٦ : الخضر بن نصر بن عقيـــل ــ ابو العباس الاربلي تفقه ببغداد على الشاشي والكيا ، وكان من الائمة، وصنف فيالتفسير والفقه ومات سنة ٥٦٧.

٧ : سعيد بن محمد بن عمر بن منصـور ــ الامام ابو منصور ابن الرزاز من كبار أئمة بغداد فقها وأصولا وخلافا ولد سنة ٤٦٢ وتفقه على الغزالي وصاحب ابي بـــكر الشاشي والــكيا الهراسي وأسعد المهيني ، توفي ٥٣٩ .

٨ : شافع بن عبد الرشيد بن قاسم ــ أبو عبد الله تفقه على الكيا الهراسي وابى حــامد الغزالي وســـمع بالبصرة ابا عمــر النهاوندى القاضي ... وكان من أئمة الفقه ، له بجامع المنصور حلقة للمناظرة يحضرها الفقهاء كل جمعة توفي سنة ٥٤١ .

رأى العلماء فى الكيا

تقدم رأى الحافظ عبد الغافر فى الكيا وهو شريكه فىالدرس على امام الحرمين،كما تقدم وصف السبكى له ، وهو من أطال كثيرا فىوصفه وان كان جل نقله عن عبد الغافر .

أما أبو طاهر السلفى (١) فينقل موازنة بـين الكيا والغزالي يتناقلها فقهاء بغداد عن امـــام الحرمين فيقول « سمعت الفقهاء ببغداد يقولون كان ابو المعالي الجويني ــ امـام الحرمــين ــ يقول فى تلامذته اذا ناظروا التحقيق للخوافـي والجريان للغزالي والبيان للكيا » .

أما البهنسي فيقول(٢) : «انه تفقه ببلده وقصد امام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى برع فى الفقه والأصول ، وكان هو والغزالي والخوافي اكبــر تلامذته ومعيدى درسه . وكان اماما نظارا قـوى البحث دقيق الفكر،ذكيا فصيحا جهورى الصوت.

وقد نعته ابن شهبة فى طبقاته عـــين النعوت وكذا ابن خلكان(٣) وابن عساكر(٤) وابن العماد(٥) الحنبلي والسبكي(٦) وسائر مـن ترجموا للـكيا الهراسي وسبب ذلك أنهم جميعا ــ على ما يبدو ــ نقلوا عن مصدر واحد هو « تاريخ نيســـابور » للحافظ عبد الغافر الفارسي الذى كان معاصرا للكيا ومن تلاميذ امام الحرمين .

لهذا جاءت اخبار الكيا كلها متشابهة ما عدا بعض فروق صغيرة .

مناظرات الكيا

كانت المناظرات فى القرن الرابع وما بعده تعقد فىالمسائل الفقهية الخلافية التي كانتبينالمذاهب ، ذلك أن الجرأة على الاجتهاد والاستقلال بالبحث واعلان الآراء المخالفة لائمة المذاهب ــ صار غـير مقبول الى حد ما . ولم تكن هناك الجرأة الادبية التي تدفع بصاحبها الى هذا المقام ، حتى كبار العلماء ــ لم يحاولوا الاجتهاد المطلق مع توفـر الامكانيات لديهم ، بل اكتفوا بالتصريح بمتابعتهم لأحد الائمة وان استقلوا احيانا بالبحث والموازنة ، لهذا نرى المناظـــرات بعد ان كانت تخوض فى موضوعات شتى كالعقائد وعلم الكلام ، أو المناقشة بين المجتهدين فى المسائل الاجتهادية ، صارت فى القرن الرابع وما تلاه تكاد تنحصر فى دائرة الفروع الفقهية وبين انصار المذاهب الذين تحزبوا لمذاهبهم وهبوا للدفاع عنهــا .

واكثر ما نجد هذه المناظرات بين الاحنـــاف والشافعية ، حيثكانتالمنافسة علىاشدها ، وقد سجل ابن خلكان (١) جانبا من هذا النقاش عند ترجمته للكيا فقال : « وحضر دفنه الشيخ ابو الطالب الزينبي وقاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني ، وكانا من مقدمي الحنفية وكان بينه وبينهما فى حال الحياة منافسة وتنافر ... »

وقد سجل السبكي (٢) للكيا مناظراته كما سجل وصفا له وهو يناظر فقال : « وكانت فى الكيـا

---

١ ــ مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٤٨١ .
٣ ــ وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٤٤٨ .
٥ ــ الشذرات لابن العماد جـ ٤ ص ٨
٧ ــ وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٥٢

٢ ــ مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٤٨١ .
٤ ــ يلاحظ كذب المفترى ص ٢٨٨
٦ ــ طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢٥٥ .
٨ ــ طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٨٢ .

لطافة عند مناظرته ربما ناظر بعض علماء العراق فأنشـــد :

ارفق بعبدك ان فيه يبوســـة
جبليـــة ولـك العـــراق وماؤه

فتاوى الكيا

ينقل بعض الذين ترجموا للكيا نتفا من فتاواه . ومن هؤلاء ابن خلكان الذى نقل اجابة الكيا عـن سؤال فى ايقاف شخص كتبه هل تدخـل كتب الحديث ام لا ؟

كما ينقل فتواه حول يزيد بن معاوية وهل هو مسلم ام غير مسلم ، وبعد أن ينقل رأى الكيا يذكر رد الامام الغزالي عليه . (فمن يرغب فى الاطلاع على ذلك فليراجع وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٤٨ – ٤٥٢) .

مؤلفات الكيا

ذكر السبكي بعد ترجمة الكيا اسماء الـكتب التي ألفها وهي :

١ : شفاء المسترشدين – ووصفه بأنه اجـود كتب الخلافيات (طبقات الشافعية ج ٤ ص٢٨٢) .

٢ : نقد كتاب مفردات الامام احمد (المرجـــع السابق) .

٣ : كتاب فى اصول الفقه – ثم زاد على ذلـك بقوله ((وغير ذلك)) (المصدر السابق) .

وقد سمى كحاله الكتاب الأخير باسم ((التعليق فى اصول الفقه)) (معجم المؤلفين لكحاله ج ٧ ص ٢٧٠) .

اما حاجي خليفة فقد ذكر من كتب الكيا أ – التعليق فى اصول الفقه ب – شفاء المسترشدين جـ – لوامع الدلائل فى زوايا المسائل (يلاحـظ كشف الظنون على التوالي ج ١ ص ٢٢٣ ، ج ٢ ص ١٠٥٦ ، ج ٢ ص ١٥٦٩) .

وزاد البغدادى كتابا آخر وهو أهم كتب الكيا ((احكام القرآن)) (يلاحظ هدية العارفين جـ ١ ص ٦٩٤) .

كتاب احكام القرآن

هو نوع من التفسير المذهبي عرف بعد تحزب اصحاب المذاهب لمذاهبهم ، فراحوا يفسرون آيات الاحكام وفقا لقواعد المذهب مع محاولة تأييد وجهة نظرهم جهد الامكان ، ويذكر حاجي خليفة ان الامام الشافعي كان أول من سبق الى هذا التفسير ، وقيمة ((احكام القرآن)) متأتية من ناحية كونه يبرز النظرة الشافعية للأحكام ، ومحاولة فهم الآيات من خلال هذه النظرة ، وان كان هذا النوع من التفسير غير محمود لأنه يفرض على صاحبه نظرة مسبقة فهو يحاول أن يستشهد بالقرآن على سلامة نهجه ونهج امامه ، بنظريات مثبتة لا أن يحاول فهم القرآن مستقلا عن هذه الآراء ، فالقرآن حجة على هذه الآراء وأصحابها لا محجوجا ، وهو متبوع لا تابع ، وهذا المنهج هو الأســـلم – كما اعتقد – والأبعد عن الشطط والتعسف وغرابة التأويل .

ومع كل ذلك فان قيمة الكتاب تتأتي من النظرة المذهبية لآيات الأحكام ، وكيفية فهمها والتزام قواعد المذهب فيها دائما . وتوجد نسخة خطية جيدة فى مكتبة الأوقاف ببغداد .

وفى الختام

لا ندرى هل استفاد الكيا من شركته للغزالي فى الدرس على امام الحرمين ام ان شهرة الغزالي غمرته ودفعته بعيدا عما يستحق من الصدارة فى العلم والاهتمام ؟ ؟ وهل هناك توافق فى المنهـج بين الغزالي وشريكه ام هما مستقلان منهجا ؟ ؟

لقد بقي الكيا الى اليوم مغمورا مجهولا وقـد سمعت أن كتابه ((احكام القرآن)) فى طريقـه الى الطبع فعسى أن يتحقق ذلك فينصف الرجل بعد اهمال طويل .

كيا آخر

خلال مطالعتي لكتاب طبقات الشافعية وجدت شخصا آخر يحمل لقب ((الكيا)) وهو ((علي بن ابي الحسن بن أبي هاشم بن محمد الاملي الطبرى ثم الجرجاني – المعروف بالكيا من اهل جرجـان تفقه على عمر السلطان وتوفي بقرية (بشـــق) ليلة الجمعة الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة احدى وستين وخمسمائة ذكره ابـــن أبي باطيش)) (طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ٢٨٤) .

بقية ـ فروسية العرب

صدر الاسلام تخرجت من مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، وعملت بتعاليمه ، فأرتنا نتاج مدرسته ، فحق لابناء امثال هذه المرأة ان يحكموا العالم ويثلوا العروش الطاغية ، وينالوا المجد المؤثل ما داموا درجوا من بطون تلك الامهات .

آداب الحرب فى الاسلام

ولقد كان من آداب الحرب والفروسية عند العرب وفى الاسلام ان وجههم الى الافراج عن الاسير فى حالات كثيرة : منها المبادلة والفداء ، كما جعل الاسلام تعليم اطفال المسلمين وسيلة لتحرير الاسير ، وحبب الى الناس اكرام الاسير بشتى الوسائل ، فعدّ القائمين بذلك فى زمرة الابرار ، وذلك بالآيات الكريمة (١) « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبهمسكيناويتيما وأسيرا »(٢) ، مسلما كان او غير مسلم او مشركا فأن اطعام المشرك مما يتقرب به الى الله تعالى(٣) ، كما انكر الاسلام قتل الرهبان وان قاتلوا ، وانكر قتل النساء والاولاد ولو احتمى بهم العدو وغير ذلك من مبادىء فروسية العرب فى الاسلام ، مبادىالرسول وخلفائه فى غزواتهم التى ما زالت كلماتهم ابلغ ما يمكن ان يقال فى هذا الميدان البطولي ، اذ عممت الرحمة الى الانسان والنبات والحيوان ، ان توصياتهم لقوادهم كلمات خالدة يجب انيهتز لها رجال السلام ، وهل من قول فى حرب ينم عن الرحمة والفروسية ابلغ من قول الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه من بعده حين تعقد الالوية على امراء الجيوش : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفى شن الغارات ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فىالصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا ، اندفعوا باسم الله ، وامضوا بتأييد الله بالنصر ، وبلزوم الحق والصبر ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .

ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : لا تقتلوا عسيفا ولا اسيفا . أى : لا تقتلوا الشيخ ولا الاسير ، وفى حديث علي رضي الله عنه : لا يتبعمدبر ، ولا يقتل اسير ، ولا يذفف على جريح ، وقد قال احدهم مشيدا ، بفروسية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خليفة الاسلام الثانى وكأنه يخاطبه :

وقفت أمام الجيش ترفد أسه
وتضرم فى تلك العواطف خابيا
تقول لهم : لا تحملوا غير زادكم
ولا تفسدوا عذبا من الماء جاريا
ولا تهلكوا زرعا ولا تهتكوا حمى
ولا تستبيحوا نسوة أو ذراريا
ولا تحرقوا باللائذين كنائسا
ولا تهدموا باللاجئين مغانيا
ولا ترهقوا الاسرى فرب محارب
الى الحرب يسعى مكرها لا معاديا

تلك هى صور وألوان من فروسية العرب الشجعان سطرت نبذا منها فى هذه المجلة الراقية شاكرا القائمين عليها دعوتي الى الاسهام بها والسلام

---

١ ـ سورة الانسان آيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

٢ ـ وقد خصّ الثلاثة لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم فان المسكين عاجز عن الاكتساب لما يكفيه ، واليتيم ماتمن يعوله ويكتسب له، مع نهاية عجزه بصغره ، والاسير لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة .

٣ ـ تفسير القاسمي ج ١٧ ص ٦٠١٢ قال فى الاكليل : والآية تدل على ان اطعام المشرك مما يتقرب به الى الله تعالى لقوله سبحانه « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة » .

الإسلام والطبيب



هـل للاسلام علاقة مباشرة مع الطبيب ؟ وهل وضع للطبيب آدابا وسـلوكا معينا ؟ .. وما مسؤولية الطبيب امام الله ؟ ..

نعم لم يغفل الاسلام ناحية صغيرة او كبـيرة فى حياة الانسـان دون ان يحيطها برعايته ، فيضع لها أسسا عامة أو قواعد تفصيلية ..

هذا الطبيب الذى تخرج اليوم بعد ان قضى اعواما مرهقـة فى احدى كليات الطب .. يستقبل المريض وقد منح الحق فى فحصه ومعالجته ووقايته من المرض .. ويقف امام الناس وجها لوجه يعمل ويقدم لهم خدماته .. كيف يسلك ؟ وأى وجهة هو موليها ؟ ..

طبيبنا المسلم يقرأ علومه فى كليات الغرب ، او كليات أسست على قواعد غربية .. وهو يتعلم شيئا فى السلوك الطبي .. ولا بد انه قد قرأ قبلا أصول معاملة النـاس فى دروسه فى المدارس قبل كلية الطب .. ولعل بعض هؤلاء الاطباء قد طالع شـيئا من كتب الاجتماع والفلسفة وكتب الاخلاق ، فامامه عديد من النظريات ، لمجموعات مـن الشخصيات ... أى واحد معه الحق ؟.. وأية هذه الآراء الصائبة ؟ .

وما هي غاية الطبيب من عمله ؟ أهي جمع المال ؟ أم أرضاء الضمير ؟ ام أرضاء للناس ؟ أم أداء لواجبات المهنة وادابها فحسب ؟ .

انا لا أناقش هذه الاراء الفلسفية ومـدى صلاحيتها للطبيب أو لغيره ، بل لا أرى أن مجرد الاعتماد على ما يسمى بالضمير يصلح ان يـكون طريقا صحيحا لسلوك البشر ، فالضمير كما قال عنه احد الفلاسفة (انه لا يولد مع الشخص انما يكتسب بالخبـرة والعقيدة والاعراف والتقاليد للمجموعة التي يكون الشخص احد افرادها (١)) وفى رأى آخـر (ان الضـمير ما هو الا عـادة لطيفة (٢)) ..

(1) Overolser Hand book of Psychiatry.

(2) Siddiqi After Sccularism W0at.

بقلم الدكتور وجيه زين العابدين
طبيب اختصاصي
بغداد ـ العراق

اذاً لينظر الطبيب المسلم فيرى ماذا أعد له الاسلام ، أو اى نور يقدمه الله عز وجل يضيء له الطريق ! ..

واني احاول بما ساكتب ان ابين ما استطعت قبسات من هذا النور ، واتوخى اعلام الطبيب ان دينه (الاسلام) قد جاء بهدى ينقذه من كل ضلاله ، فاذا ما عمل بما قرأ وسمع ، صارت له شخصية مستقلة هي شخصية الطبيب المسلم الذى لا يقدم على خطوة الا ظهر للناس ان هذا من عمل المسلمين ، اى ان يكون الطبيب اسلاما متحركا حيا بين الناس ، وسيرى عاقبة ذلك خيرا كثيرا .. هذا الخير الذى اكرمني الله به خلال اكثر من عشرين عاما منذ ان كنت طبيبا احب ان ينال اى أخ لي او اى طبيب يتبع هذا النور ، فيحيا الحياة الطيبة فى هذه الدنيا وتكون له خالصة يوم القيامة .

من هو الطبيب

الطبيب هو ذلك الشخص الذى يمنح شهادة من احدى كليات الطب تؤهله ان يتحمل مسؤولية معالجة وفحص المريض ووقايته .

ولعل ايبو قراط (١) من السابقين الاولين فى وصف الطبيب حيث وضع له سبع صفات خلقية (٢) .

وتعني كلمة الطب عند العرب الاصلاح .

قال الشاعر :

واذا تغير من تميم امرها
كنت الطبيب لها برأى ثاقب

وتعني كذلك الحذق .. قال الشاعر :

فان تسالوني بالنساء فانني
خبير بادواء النساء طبيب

وورد الطب بمعنى السحر يقال رجل مطبوب أى مسحور .

قال ابن الاسلت :

الا من مبلغ حسان عني
أسحر كان طبك ام جنون

وسمي الطبيب حكيما ، والحكيم هو الذى يضع الشيء في محله « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » .

وأول من علم الطب للناس من غير اولاده هو ايبو قراط من حكماء اليونان القدماء ، اذ كان تعلم الطب مقصورا على اولاد الطبيب فقط وذريته . وربما كان فردريك الثاني اول امبراطور فى اوروبا وضع قانونا يلزم كل من يتعاطى مهنة الطب ان يأخذ دروسا معينة وذلك سنة ١٢٢٤ ميلادية(٣) ، ولعل أول من أسس مدرسة للطب هو الملك روجرز من صقليا(٤) ،بينما كانت الامبراطورية

(١) ايبوقراط Hippocrates اول طبيب يوناني قام بتدريس مهنة الطب وسمي بابي الطب وله قسم مشهور لا يزال متبعا فى معظم جامعات العالم .
(٢) من اراد المفصل عن هذه الصفات فليراجع (عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعه) وكتاب الطب عند العرب (أمين اسعد خير الله) .
(٣) Hadfield law & Eihics for Doctors
(٤) Kineth Walker Patients & Doctors

الاسلامية قد سبقت اوروبا بقرون فى تأسيس مدارس الطب .

الطبيب والناس

١ : القاعدة العامة :

للطبيب علاقة مع الناس بصورة عامة ، ومع المرضى الذين هم قسم من الناس ، وكذلك له علاقة مباشرة مع زملائه الاطباء وغيرهم من ذوى المهن الطبية كالصيادلة والموظفين الصحيين والمرضات .. الخ . وقد وضعت النقابات الطبية قواعد عامة فى سلوك الطبيب ولست بصدد ذكرها وبحثها ، وانما اقول ان الاسلام قد جعل قاعدة عامة فى هذا السلوك وهي انه يقبل أى ارشاد او اوامر تصدرها النقابات للاطباء ان كانت مستمدة من الشريعة الاسلامية او لا تتعارض مع نص من نصوصها معارضة صريحة او مع روح الشريعة ... وارى ان الواجب على الطبيب المسلم ان يعلم القواعد العامة للنظام الخلقي فى الاسلام وكذلك يتعرف على تفصيل للاسس التي وضعها الله تبارك وتعالى بالنسبة الى مهنته ، فعليه ان يسأل اهل الذكر ان لم يكن يعلم ، واى دولة تدعى أنها مسلمة مطلوب منها تدريس هذه القواعد الكلية فى مدارسها الطبية وذلك لبناء مجتمع يتميز فيه الفرد بانسانيته المسلمة، الانسانية التيتنقاد الى امر الله، وتسلم له من دون اقل حرج : كمال قال عز وجل (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . وكذلك يقبل اى تعليمات فى سلوك الطبيب جاءت عن طريق العرف او العادة او التقاليد ما لم تكن متعارضة بصورة واضحة مع اصول الشريعة الاسلامية .

٢ : الطبيب صاحب مهنة :

فالطب حرفة وعلم وفن ، فهو حرفة لانه يعمل بيديه وهو علم يدرسه فى كلية خاصة ، وهو فن يكتسبه الطبيب بالتجربة وعلى مر الاعوام ...

والاسلام الذى يكرم صاحب المهنة ويجعل كسبه من افضل الكسب (١) يطلب من الطبيب ان يؤدى حق المهنة باتقانها (٢) وبكسب حلال حتى يتم له الفضل فالاسلام يريد من الطبيب ان يخدم مهنته كفاية ويسعى لرقيها وتطورها .. لا لأجل الحصول على المال فقط ...

ولأجل ان يؤدى حق المهنة على الطبيب ان يهيء العدة لذلك ، فهذه عيادته يجب ان تحتوى على كل الالات والوسائل اللازمة لفحص ومعالجة المريض على الوجه الاكمل ، والا فاهماله مخالفة للاسلام .. كما انه ملزم بتهيئة ما يؤمن راحة المريض .. ولا يجوز أن يكون فى عيادة الطبيب المسلم صور خليعة او غير لائقة يملأ الطبيب فيها جدران عيادته .. او يكون فيها من المجلات او الجرائد او الكتب المبتذلة التي تنشر الفساد او تثير الفريزة الجنسية .. ولا بأس أن يكون فىغرف الانتظار من الكتب والمجلات ما تفيد المراجع فائدة علمية أو خلقية أو طبية ، كما اني لا أرى صوابا وضع الايات القرآنية او الاحاديث النبوية فى اطارات واماكن بارزة فى العيادة غشا من الطبيب اء خداعا للمريض او حسب اعتقاده تبركا وتفاؤلا فانما نزل القرآن ليعمل به لا لتزخرف آياته فى اطارات ذهبية او فضية ... ويجب ان تكون غرفة الانتظار للنساء منفصلة عن الرجال فان الاسلام لا يقبل اختلاط الرجال بالنساء من غير ضرورة شرعية .

٣ : الطبيب والمريض :

هذا المريض او اى مراجع امام الطبيب فى عيادته ... يجب على الطبيب المسلم ان يتبع احدث الوسائل فى فحصه .. هذا من الناحية المادية ، وما ضره أن يقول فى سره او جهره (باسم الله) عند الفحص او عند اجراء العملية أو التداوى ، وبذلك يحصل على القوة المعنوية ، القوة الروحية مع المادية ، تلك القوة التي تكون له نعم العون فى الشدائد ووقت الحيرة ..

---

(١) عن المقداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما كسب احد طعاما قط خير من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود عليه السلام كان ياكل من عمل يده) اخرجه البخارى .

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه) اخرجه البيهقي فى شعب الايمان .

فليستعن بالله وليسأل الله لطفه وعونه وليدع لمريضه بالشفاء ، وليدع الله ان يشرح صدره ويعينه فى فحصه وعلاجه وتشخيص مرضه (١) .

اخي الطبيب .. استقبل مريضك بوجه طلق باسم ، قد يكون ذلك مما تتعلمه من خبرتك وتجاربك ، مهلا انه امر اسلامي نطق به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو لك عبادة وهو مندوب بل واجب يعتبر عند الله صدقة لك ، والصدقة تطفىء غضب الرب (٢) كما قال عليه الصلاة والسلام .

واذا كان الاسلام قد سمح للمريض ان يكشف من جسمه ما يعين الطبيب على معرفة الداء فان ذلك لا يخرج الطبيب من القواعد الاخلاقية العامة فى غض البصر وعدم رؤية العورة ولذلك لا يجوز مطلقا ان يرى او يلمس الطبيب من جسم مريضه اذا كان امرأة اى عضو وجزء الا لضرورة الفحص والعلاج فقط .

وفى هذا العصر اصبحت الالة شيئا مهما فى تشخيص المرض كالاشعة واجهزة التحليل واجهزة فحص القلب ... وغير ذلك .. وقد يلجأ كثير من الاخوان الاطباء الى هذه الوسائل ، وهذا صحيح ولكن الذى ارجوه ان لا يكون الاعتماد على الماكينة كليا وعلى حساب الحواس .. لقد اعطانا الله هذه الحواس لنفحص بها المرضى ونستعين اولا بما يتيسر من الآلات الصغيرة فى العيادة كالسماعة مثلا ومقياس الحرارة .. ومن بعد نلجأ الى الاشعة والتحليلات المرضية .. والا فاهمال هذه الحواس كفران بنعمة الله علينا ، عدا ما يصيب المريض من عنت وتعب فى اجراء فحوصات لا ضرورة لها .. اضافة الى ضياع المال وضياع الوقت حيث يكون الطبيب المسلم مسؤولا امام الله عن هذا الضياع وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك(٣) ، أما أن يتعمد الطبيب ذلك لقاء عمولة او محاباة لصديق له صاحب اشعة أو محلل ، فان ذلك يعتبر فى نظر الاسلام خيانة للعهد الذى بين المريض وطبيبه وغشا له (٤) .

واذا زرت المريض فى بيته فما ضرك لو سألت الله العون فدعوت فى سرك (اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج) او قلت (اللهم ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) ان فى ذلك قوة روحية عظيمة تعينك فى كل عمل لك ..

اخي الطبيب وانت تفحص مريضك فلا تنظر عيناك هنا وهناك الى النساء او الى المتاع والاثاث او اى شيء آخر مما لا علاقة له بمهنتك .. صحيح انك قد تحتاج ان تنظر نظرة عامة الى البيت لتقرر ما تراه فى معالجة المريض مثلا هل تنقله الى المستشفى لعدم صلاحية داره ، كما اني اذكرك ان لا تخوض بحديث لا ينفعك فى المعالجة او يفيد المريض او ذويه من الناحية الطبية او الاجتماعية (٥) .

---

(١) ارجو الا يظن القارىء الكريم انني ادعو الى التداوى الروحي فقط ، فهذا قد يكون له بعض الفائدة فى حالات معينة نفسية ولكنه ليس القاعدة ، بل ان الاصل هو ادماج القوة المادية والمعنوية فى التداوى حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما رواه اسامه بن شريك (يا عباد الله تداووا فان الله ما انزل من داء الا وانزل معه الدواء الا الهرم) أخرجه مسلم .. واما حديث (سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) والذى اخرجه البخارى فاني اراه مؤكدا وجوب التداوى وعدم التواكل على القضايا الروحية فقط بل يجب التوكل على الله وذلك باتباع سننه وهو التداوى ..

(٢) عن حديث اخرجه الترمذى . عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يصبح على كل سلامي من بني آدم صدقه) اخرجه البخارى .

(٢) عن حديث اخرجه الترمذى . عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يصبح على كل ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) اخرجه الشيخان .

(٤)عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من غشنا فليس منا) اخرجه الطبراني فى الاوسط.

(٥) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) اخرجه الترمذي .

وفى كلامك وسؤالك للمريض او ذويه تخير الكلمات اللائقة والمعبرة بصورة غير مباشرة خاصة مع النساء فتقول مثلا كيف العادة بدل الحيض.. هذا الادب الذى ادبنا الله عز وجل به فى القرآن الكريم وعلى لسان سيد الخلق مثل استعمال الملامسة والمباشرة كناية عن الجماع واستعمال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كلمة (تطهرى) .

وقد (كتب الله الاحسان على كل شيء (١) كما قال نبينا الاكرم ولذلك يجب على الطبيب الرفق بمريضه وعدم نقله الى محل آخر او تكليفه باشياء او طلب ذلك من ذويه ما لم يكن فى ذلك ضرورة قصوى .

واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا أدب عيادة المريض اذ هي مطلوبة من العائد فان ذلك مطلوب من الطبيب ايضا الذى هو عائد لمريضه وذلك عند تيسر الظرف المناسب لادائه .. كان النبي الأعظم حين يزور المريض يجلس بجانبه ويضع يده الشريفة على رأس المريض ويقرأ المعوذتين ثم يدعو له (٢) ويقول (اللهم رب الناس أذهب البأس اشف فانت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) (٣) وكان عليه السلام يشجع المريض ويصابره ويقول له كيف ان الصبر على المرض فيه أجر عظيم وكفارة للذنوب (٤) بل ان الصبر على مرض لا يرجى شفاؤه ثوابه الجنة (٥) .

وعلى كل فان أقل ما يطلب من الطبيب هو التشجيع والتنفيس عن المريض (٦) وان يكون متفائلا ولو كان مخطئا خير من ان يكون متشائما الا فى حالات ضرورية تستدعي اخبار اهل المريض عن المرض ليكونوا على بينة من امرهم .

وفى العلاج على الطبيب المسلم ان يتحرى اعطاء أقل ما يمكن من الادوية اذ ان الزيادة عدا كونها مضرة بالجسم فهي اسراف وتبذير ، وضياع للمال يكون الطبيب مسؤولا عنه أمام الله ، وعليه أن يختار العلاج الذى فيه أقل عنت او اذى فمثلا يفضل الحبوب على الابر ان كان ذلك موافقا للمعالجة الصحية .

وبالنظر لوجود طبيبات وممرضات فارى ان لا يجوز معالجة الرجل للمرأة عند وجود طبيبة بمثل كفاءته تماما وقد نالت ثقة المريضة .. اما عند وجود الطبيبة التي هي أقل من الرجل كفاءة فى معالجة هذا المرض فيجب على المريضة مراجعة الطبيب .. وقد ورد بذلك حديث شريف سنأتي على ذكره وبيانه فى موضوع مسؤولية الطبيب الجنائية ..

وكذلك اذكر القارىء الكريم ان الاسلام قد اجاز للمرأة فحص الرجل المريض ومعالجته فعن أم عطيه قالت (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اخلفهم فى رحالهم واصنع لهم الطعام واجيز على الجرحى واداوى المرضى) .. اخرجه مسلم ..

---

(١) من حديث اخرجه الشيخان عن شداد بن اوس .

(٢) اخرج هذا الحديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) اخرج هذا الحديث الشيخان . واحمد .

(٤) ما من مسلم يصيبه نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه) اخرجه الشيخان .

(٥) عن عطاء بن ابي رباح قال قال لي ابن عباس الا اريك امرأة من اهل الجنة قلت بلى قال هذه المرأة السوداء اتت النبي فقالت يا رسول اني اصرع واني اتكشف فادع الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة ... فقالت اصبر) اخرجه الشيخان .

(٦) قال صلى الله عليه وسلم (اذا دخلتم على المريض فنفسوا له من اجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب بنفسه) اخرجه الترمذى .

الفجر الأخضر

للشاعر عبده بدوى

أورق الفجر واستدارت عليه قطرات رضيعة من ضياء
أيها الفجر قد نظمت نشيدا من خلود في القبة الزرقاء
وبهرت العيون في كل أرض فاستراحتْ على جبين السماء
قد رآك الراعى فصفَّق للخصب وللدفء في القرى الخرساء
ورآك الفلاح أغمار قمح ذهبى ... متوج بالحياء
ورآك الفقير في بيته الخبز وهمساً من شمعة شقراء
ورآك اليتيم من سجف الدَّ مع حنانا ، وجنة من عطاء
ذلك الفجر قد تدلَّى على صَدْ ر الدياجى من كرمة الأنبياء
فاستفاق الوجود ! واخضرت الر وح ! ودبَّ الحنين في الصحراء

★★★

علم الناس كيف عاشوا كراماً فالوجوه السمراء كالبيضاء
ورعى الخلق في حنان رطيب فاق فيه رعاية الآباء
.. أيها الشرقُ كم طلعت على الدنيا بنور معطر ، وإخاء
أنت أهديت للوجود منارًا فتباهى ، وعشت في الظلماء
قد ضللت الطريق للنبع حينا فتلفت لعله في الوراء
إن أردت السلام يمشى على الأرض بزيتون أخضر ، ونماء
فاذا ما شدا مع الصبح قلب غردَّ النور في ضمير المساء
وإذا ما جاعتْ يد ليتيم ملأتها الأشجار بالانحناء
.. فاقبس الهَدْىَ من هتاف منير يتعالى من مآذن بيضاء
ينبع الخير في حنان وديع من وجوه شرقية سمراء
ذلك الدين رقَّق الناس حتى لتراهم من التقى في بكاء
لكأنى أحس من كل صوب بوجوه مَكِّيَّة غراء
حملت رهبة التقى في الدياجى فهى لونُ السكينة السمحاء
... انى سامعٌ صليلَ قلوب يغمر الأفقَ عند غارِ حراء
أأرانى أرى على كل أرض عودة للنبى تحت اللواء

اعرف وطنك ٢

الإسلام في عالم الملايو

للدكتور محمد عبد الرءوف

وكيل ادارة البعوث الاسلامية بالازهر

تحدثنا فى المقال الماضي عن العلاقات بين عالم الملايو وشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وتبين لنا كيف كانت هذه العلاقات ـ تجارية وثقافية ـ وسيلة لتعرف عالم الملايو على الاسلام منذ انتشر فى البلاد العربية ، ولكنه مع ذلك لم ينتشر ببلاد الملايو انتشارا محسوسا ابان القرون السبعة الاولى من الهجرة ، وان كان قد اعتنقه أفراد متفرقون فى الارخبيل هنا وهناك .

وقد كانت هذه الحقبة الطويلة من التاريخ بمثابة فترة اعداد وتمهيد لانتشار الاسلام السريع بين الملايويين فيما بعد ، فقد طال اختلاطهم بالقادمين عليهم من تجار المسلمين ، وتكررت مشاهداتهم لاقامة الشعائر الاسلامية ، واستماعهم للادعية والاذكار الدينية ، وبطول العهد أصبحوا يألفونها ، ولا يزهدونها ، ويأنسون اليها ولاينفرون منها ، وقد شجع على ذلك ما أشرنا اليه من قبل من نشاط الصوفية وكبار المرشدين ، وما أذيع بين الخاصة والعامة عن كراماتهم وعجائبهم ، ثم ما كان يتمتع به المسلمون من نجاح فى تجارتهم ، وتفوقهم فى الذكاء وفى مستوى المعيشة ، فلما تيسرت الأسباب وتوافرت العوامل فى نهاية القرن السابع الهجرى لانتشار الاسلام بالجملة ـ ان صح هذا التعبير ـ بادر الناس بالدخول فى الاسلام أفواجا عن رغبة واقتناع وحماس ، وطرحوا الوثنية الى غير رجعة ، وآمنوا عن فهم وادراك ووعي ، لا عن اكراه وقسر ولا عن جبر واضطرار ، وأصبح الاسلام هديهم فى حياتهم ، وسادت تعاليمه بينهم فى سهولة ويسر ، وأضحى مميزا من مميزاتهم ، وخاصة من خصائصهم .

كان من أهم تلك الأحداث التي كانت بمثابة عوامل مباشرة أدت الى هذا الفتح السلمي الكبير للاسلام فى الشرق ـ هجرة الكثيرين من المسلمين الى البلاد النائية ، ومنها جزر الارخبيل الملايوى، فرارا من ويلات الحروب التي شنتها على دولة الاسلام قبائل المغول ، والتي قضت على الخلافة العباسية فى بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨) م ، وقد أدت هذه الهجرة واقامة الكثير من المهاجرين المسلمين ببعض الجهات الساحلية هناك بصفة دائمة يزاولون اعمال التجارة ـ الى جانب نشاطهم الديني باماكن العبادة التي بنوها لانفسهم وسموها بالزوايا أدت الى خلق جو اسلامي فعال تضاعفت فيه جهود الدعاة ، وخاصة من بين رجال الطرق الصوفية .

اسلام سلطان برلاك

وقد توجت جهودهم باسلام حاكم ولاية صغيرة بشمال سومطرة كانت تعرف باسم « برلاك » Perlak وعند اسلام هذا الحاكم اطلق على نفسه لقب « السلطان » ذلك اللقب الاسلامي « الذى اختاره من قبل الامراء الغزنويون فى افغانستان وامراء الهند فى دلهي ، وقد تلا اسلام هذا الحاكم اسلام رعيته لأن الناس ـ كما يقال ـ على دين ملوكهم .

نشرنا المقال الاول فى العدد الاول من مجلة الوعي الاسلامي

كان انتشار الاسلام فى ولاية « برلاك » قبيل نهاية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) حيث سجل ماركو بولو Marco Polo الملاح الايطالي الشهير فى مذكراته عن رحلاته فى تلك الاصقاع عام ١٢٩٢ م (٦٩١ هـ) انه وجد ولاية « برلاك » تدين بدين محمد وحدها دون ما حولها من ممالك ودويلات ، ويعتبر اسلام حاكم هذه الولاية بحق حجر الزاوية فى انتشار الاسلام السريع، وقيام سلطنات اسلامية كثيرة أخرى فى شتى أنحاء الارخبيل وبداية عصر اسلامي زاهر بالبلاد ، علا فيه شأن الاسلام والمسلمين ، وساد سلطانهم ، وعزت فيه كلمتهم ، وراجت فيه تجارتهم ، كما قامت فى أثنائه حركة علمية اسلامية ممتازة .

اسلام حكام الولايات

فلما اسلم حاكم برلاك عمل على اسلام جيرانه من الحكام ، ونجحت جهوده لدى حاكم ولاية « ساموديا » Samudra الذى كان يسمى باسم هندوكى هو « مره سيلو Morah Silu » فلما اسلم صاهو سلطان برلاك وتسمى باسم « الملك الصالح » وقد توفى الملك الصالح هذا عام ١٢٩٧ م فخلفه ابنه الملك الظاهر الذى زار قصره الرحالة الاسلامي الشهير ابن بطوطه عام ١٣٤٣ م وتحدث كثيرا عن تدين هذا السلطان ، وتفقهه على مذهب الشافعية .

وبطريقة مماثلة اسلم حاكم ولاية « باساى » Pasai بسومطرة ايضا ، وتسمى حاليا باسم « اتشه Achah » فنجحت جهوده بدوره فى اسلام حاكم « ملقا » الواقعة على الساحل الغربي بشبه جزيرة الملايو حوالي عام ١٤١٠ م وكان الاسم الهندوكى لهذا الحاكم « ماهارسوار Mahareswara فلما اسلم تسمى باسم السلطان مجات اسكندر شاه « واسس مملكة عظيمة قوية تتابع السلاطين على عرشها من اسرة الاسكندر شاه ، وأخذ السلاطين على عاتقهم بث الدعوة الاسلامية بالطرق السلمية على يد الدعاة والمرشدين .

ومن قبل دخول ملقا فى الاسلام كانت للاسلام دولة فى شرق شبه جزيرة الملايو يشهد لذلك حجر عثر عليه اخيرا منقوش عليه تعليمات اسلامية رسمية يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر الميلادي .

ملقا بغداد الأرخبيل

ومنذ اسلمت ملقا بدأت عهدا زاهرا مجيدا زهاء قرن من الزمان راجت فيه تجارتها الى أبعد مدى ، وجلبت لها الخيرات من كل مكان ، واستمتع اهلها المسلمون بحياة تشبه فى رغدها ما كانت عليه بغداد ايام الرشيد ، غير ان ملقا حملت راية الاسلام ، فبعثت بالدعاة والمرشدين مع سفنها أينما ذهبت فأدت جهودها الى نشر الاسلام فى كثير من سائر بقاع الملايو وسومطره وجاوه وبورنيو وسيليليز وغيرها وبذا اصبحت لملقا امبراطورية اسلامية عظيمة فى الشرق يهابها جيرانها وارتَبَطَتْ بصلات ودية مع امبراطور الصين ، فكان لهذه الصلات اثر طيب فى حماية حدود الامبراطورية شمال شبه جزيرة الملايو ضد تحرشات سيام (تايلاند) التي كانت كثيرا ما تحاول مناواة ملقا ، وتخشى عاقبة اتساع نفوذها .

هذا ولم تلق الدعوة الاسلامية مقاومة مسلحة فى الارخبيل الملايوى كله الا من قِبَل امبراطورية « ماجاباهيت Maja Pahit » الهندوكية بجاوة ، وقد كان يتبعها عدد من الامارات فى جاوه وبورنيو ، وقد حدث أن أسلم أمراء هذه الدويلات التابعة لماجاباهيت على أيدى الدعاة ، ثم نشأت خصومات سياسية بين هؤلاء الامراء والامبراطور الهندوكى أدت الى تضافر هؤلاء الحكام ضده ، وقامت معارك دموية انتهت فى عام ١٤٧٨ م بهزيمة ماجاباهيت ، وبذا تحطم اكبر معقل للوثنية فى الارخبيل .

دخول الاسلام فى الفلبين

وكان من خيرة من أبلى بلاء حسنا من الدعاة فى الارخبيل « مخدوم ابراهيم الاكبر ابن جمال الدين

البقية على ص ٨٧

اعرف عدوك

أعداء الانسانية

للاستاذ محمد محمد ابو شهبه

قال الحق تبارك وتعالى « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم »(١) .

هذا اعلام من الله سبحانه صادق بأنه سيسلط على اليهود الى يوم القيامة من ينزل بهم اشنع العذاب واسوأه اذا ما ضلوا ، وفجروا ، وعاثوا فى الارض فسادا ، وذلك لان الله جلت حكمته سريع العقاب لمن عصاه ، وغفور رحيم لمن أطاعه ، واناب اليه .

وكما كتب الله على اليهود تسليط الغير عليهم بسبب عصيانهم وافسادهم فى الارض ، كتب عليهم ان يفرقهم فى الارض بددا ، وان منهم الصالحين ، وكثير منهم الطالحون المفسدون ، وان الله سيبتليهم بالخصب والجدب ، والصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والغنى والفقر ، لعلهم يرجعون عن غيهم وافسادهم ، وتطاولهم على الانبياء ، واسرافهم فى قتلهم والنيل منهم ، قال عز شأنه « وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون(٢) » .

وما ذكره القرآن الكريم على لسان نبينا الصادق الامي الذى لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يعرف عنه انه أخذ عن احد من اهل الكتاب والعلم بالتواريخ شيئا ، هو الحق الذى ايده التاريخ الصحيح ، وشهدت به الوقائع الجارية ، فهم من قبل موسى عليه الصلاة والسلام والله يسلط عليهم بين الحين والحين من يقتص منهم ويسومهم سوء العذاب ، وقد نجاهم الله على يد موسى مما اصابهم من فرعون وقومه ، ولكنهم لم يشكروا هذه النعمة الجلى ، وغيرها ، وكفروا بالله ، وبما جاء به الانبياء والمرسلون ، وما كان ربك لليهود ظالما ، فسبحانه ثم سبحانه من ان يكون ذلك « وما ربك بظلام للعبيد » ولكنهم قوم مرنوا على سفك الدماء ، وانتهاك الاعراض ، واغتصاب الاموال ، والسعى فى الارض بشتى أنواع المفاسد، وهم ان قدروا ، أو ملكوا لا يراعون الاً ولا ذمة ، ولا يلتزمون بشريعة ، ولا يحترمون حقا ، ولا عرفا ، ولا خلقا كريما ، ويضربون بالمقررات والحقوق الانسانية عرض الحائط ، وان ضعفوا وذلوا كانوا اداة غدر وخيانة ، ودسائس ومؤامرات ، وعوامل تخريب وافساد وشر .

عصابة متمردة

وقد وصفهم نبى الله موسى عليه السلام فى التوراة بانهم متمردون ، ورقابهم صلبة ، وقلوبهم قاسية ، واخبر انهم بعد موته سيكونون اشد تمردا وعصيانا ففي سفر التثنية الاصحاح ٣١ فقرة ٢٤ — ٣٠ (٢٤) فعندما كمل موسى كتابة هذه التوراة فى كتاب الى تمامها (٢٥) امر موسى

(١) سورة الأعراف : ١٦٧ — وتأذن : أعلم .

(٢) سورة الاعراف : ١٦٨ .

اللاويين حاملى التابوت عهد الرب قائلا (٢٦) خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب عهد الرب اليكم ليكون هناك شاهدا عليكم (٢٧) لانى انا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هو ذا وانا بعد حي معكم، اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى (٢٨) اجمعوا الي كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات ، وأشهد عليهم السماء والارض (٢٩) لاني عارف انكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام،لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال ايديكم (٣٠) فنطق موسى فى مسامع كل جماعة اسرائيل بكلمات هذا النشيد الى تمامه » .

وقد جاء القرآن الصادق المهيمن على الكتب السماوية السابقة بتصديق ذلك وأفاض فى ذكر مثالبهم ، وتعداد مساوئهم وتجرئهم وسفاههم على ربهم ، وعلى انبيائه ، وعلى الناس قاطبة ، فالله سبحانه حينما يسلط عليهم من يخزيهم ويذلهم انما يجازيهم بأفعالهم ، ويؤاخذهم بجرائمهم ، وصدق الله حيث يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » (١) .

لقد سلط الله عليهم لما طغوا وتجبروا « بختنصر » البابلى فقتلهم ، وخرب ديارهم ، واسر الكثيرين منهم ، واذلهم حينا من الزمان ، ثم لما قووا ، وعلوا فى الارض ، واكثروا من الافساد وقتل الانبياء سلط الله عليهم ايضا من ملوك فارس والروم « كطيطوس » النصراني فأذل كبرياءهم ، واسام وجوههم وتبر ديارهم ، وعاشوا مستذلين حقبا من الزمان .

واليك قول الحق تبارك وتعالى فى هذا : « وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا.ان أحسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا . عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »(٢) .

فتأمل معي فى قوله سبحانه « وان عدتم عدنا » يعنى ان عدتم الى المعاصى والافساد عدنا الى تسليطنا عليكم من يذلكم فى الدنيا ، هذا عدا ما ندخره لكم من عذاب أليم فى الآخرة .

الاعداء الالداء

هذه بعض جرائمهم(٣) ، وهذه بعض عقوبات الله لهم على يد عباد من عباده قبل مجيء خاتم الانبياء ، فلما جاء الاسلام ، وهاجر النبي عليه الصلاة والسلام الى المدينة أحسن اليهم، وأقرهم على دينهم ودنياهم ، ولكنهم قابلوا الاحسان بالاساءة ، والتسامح بالخديعة ، والعفو بمحاولة القتل ، وألبوا عليه الاعداء ، ونقضوا العهود وأرادوا غير مرة طعنه وأصحابه من الظهر ، وأسفوا اسفافا لا يرتضيه انسان فيه بقية من حياء أو خلق ، فما كان من الرسول والصحابة الا أن أذلوهم وهزموهم شر هزيمة ، وأجلوهم عن الارض الطيبة ــ أرض المدينة ــ الى خيبر وغيرها ، ثم لم يلبث يهود خيبر وما جاورها أن غدروا وأفسدوا ، فحاصرهم المسلمون وأذلوهم ، فلم يجدوا بدا من النزول على حكم الله ورسوله ، وبذلك آدال الله دولتهم ، وأذهب عزهم ، وقضى

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٢) سورة الاسراء ٤ ــ ٨

(٣) ومن أعظم جرائمهم قتل أحد ملوكهم يحيى عليه السلام من اجل امرأة بغي ومحاولتهم قتل عيسى عليه السلام ومكرهم به لولا ان أنجاه الله منهم ورفعه اليه ورميهم السيدة العذراء مريم بالزنا فهل نسيت دول الاستعمار اليوم وهى مسيحية هذه الجرائم ؟!!

على سلطانهم فى الجزيرة العربية، وعاشوا فى خيبر وما جاورها أذلاء صاغرين ، ثم تولى الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة ، فأجلاهم عن أرض خيبر وما جاورها ، وبهذا طهر أرض الحجاز من رجسهم ، وغدرهم وخيانتهم ، وشرهم المستطير وكما ابتلى اليهود فى القديم بمن أذلهم ، وشردهم ، ابتلوا فى العصر الحديث بحكام ألمانيا النازية فساموهم سوء العذاب ، وطردهم من بلادهم شر طردة ، وشردوهم فى الآفاق .

ان موعدهم الصبح

وقد لاحت لهم بارقة أمل فى هذا العصر لما احتضنهم المستعمرون ، أعداء الاسلام ، وأعداء العرب ، وأعداء الانسانية ، ووعدوهم بالوطن القومى ، وجمعوهم من الآفاق ، وأسكنوهم فى الأرض المباركة أرض فلسطين الشهيدة ، وأمدوهم بأسلحة الهلاك والدمار ، والغدر والخيانة ، فذبحوا وقتلوا العرب الآمنين ، أهل البلاد الاصليين ، وانتهكوا الأعراض ، واغتصبوا الاموال، ثم كان ما كان من اجلاء العرب أبناء البلاد ، وتمتع المغتصبين بخيرات البلاد وبركاتها ، وبقىأهل البلاد مشردين فى الصحراء والعراء ، يفترشون الارض، ويلتحفون السماء ، وهد من كيانهم الجوع والعرى والبرد والحر ، كل ذلك على مرأى ومسمع من العالم الحر ، عالم القرن العشرين ، ولئن عز عليهم عدل أهل الارض ، فلن ييأسوا من عدل السماء، وصدق الله العظيم : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (١) » .

ان الباطل مهما علا وتجبر فلا بد أن يكون مآله الىالعفاء والفناء ، والحقمهما ضعف وتوارى وراء حجب الباطل فلا بد له يوما من الظهور والاستعلاء ، وما يتراءى لاسرائيل اليوم من قوة ومنعة فانما هى فورة قدر ، سرعان ما تزول ، وسحابة صيف عن قريب تقشع ، ودولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة وهذه سنة الله فى الكون ، ولنتجد لسنة الله تبديلا ، وصدق الله : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الامثال(٢) » « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا »(٣) « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »(٤) .

أيها المسلمون : لقد سمعتم فى القرآن الكريم – الذى هو ذكركم وشرفكم – كيف قرن الله سبحانه بين علوهم علوا كبيرا ، وافسادهم فىالارض أفسادا كبيرا ،وسمعتم أناليهود لما علوا واستكبروا فى الارض ، سلط الله عليهم فى كل مرة من أذلهم وتبر ديارهم ، وسمعتم ما أوعد الله به من تسليط من يسومهم سوء العذاب الىيوم القيامة ، وسمعتم قوله : « وان عدتم عدنا » فهل بعد ذلك يشك مؤمن معتز بدينه وعروبته فى أن الله القوى القاهر سيديل – على أيديكم – دولتهم ، ويكسر شوكتهم، ويصيرهم مثلا وعبرة فى الآخرين ؟ لقد وعدنا الله سبحانه ، ووعدهم بلفور وأعوانه ، فأين وعد بلفور المتجنى الآثم . من وعد الله الحق الصادق ؟ لقد سمعتم أن الله سبحانه جرت سنته مع اليهود أن يدعهم حتى يبلغ أفسادهم وظلمهم المدى ، وحينئذ يأخذهم بأيدى عباد له أشداء أخذ عزيز مقتدر ، وان هذا اليوم لقريب ان شاء الله اذا ما سار المسلمون فىالطريق اللاحب(٥)،طريق الوحدة، وجمع الكلمة ، ولم الشمل ، وأخذوا أنفسهم بهدى القرآن من اعداد العدة ، وأخذ الاهبة للاعداء ، وعقد العزم على ارجاع الحق المغتصب وصدق الله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما

(١) سورة ابراهيم ٤٢
(٢) سورة الرعد ١٧
(٣) سورة الاسراء ٨١
(٤) سورة الأنبياء ١٨

تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون))[1] .

لقد لاحت أضواء الفجر ، وبدت بواكير النصر ، وذلك بعقد المؤتمرات والمشاورات بين ملوك العرب ورؤسائهم وقادتهم ، وستؤتى أكلها قريبا بأذن الله سبحانه ، وان غدا لناظره قريب ، انأملنا ورجاءنا كبير أن ينصر الله الفئة المؤمنة على الفئة الكافرة الغادرة،وأن ينصر أهل الحق علىأهل الباطل،وأهل الصلاح على أهل الفساد ، ولكن لذلك ثمنا غاليا، أننعتز باسلامنا كأقوى ما يكون الاعتزاز ، ونهتدى بهدى شريعتنا التى صيرت من العرب خير أمة اخرجت للناس ، واذا تآزر الاسلام والعروبة فقل على المستعمرين والباغين العفاء .

ولا يسعنى الا أن اختم مقالى بهذا الحديث النبوى الشريف ((روى الامام مسلم فى صحيحة بسنده عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهود من وراء الحجر ، والشجر ، فيقول الحجر او الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفي فتعال فاقتله)) .

الهجرة الصهيونية

فتحت السلطات اليهودية ابواب فلسطين لليهود بعد عام ١٩٤٨ ، وفيما يلي صورة عن هذه الهجرة بين عامي ١٩٤٨ - ١٩٦٠ حسب البلاد التى قدم منها المهاجرون .

أوروبا

رومانيا	١٤٥ر٠٠٠
بولندة	١٣٠ر٠٠٠
بلغاريا	٠٣٩ر٠٠٠
هنغاريا	٠٢٧ر٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٠١٨ر٠٠٠
يوغوسلافيا	٠٠٧ر٥٠٠
الاتحاد السوفيتى	٠٠٥ر٠٠٠
اقطار اوروبية اخرى	٠٤٥ر٠٠٠
المجموع	٤١٦ر٥٠٠

أميركا

الولايات المتحدة	٠٥ر٠٠٠
أقطار أميركية اخرى	١٠ر٠٠٠
المجموع	١٥ر٠٠٠

آسيا

العراق	١٢٠ر٠٠٠
اليمن	٠٥٠ر٠٠٠
تركيا	٠٣٦ر٠٠٠
ايران	٠٣٣ر٠٠٠
الهند	٠٠٥ر٥٠٠
المجموع	٢٤٤ر٥٠٠

افريقيا

الجزائر ، تونس ، مراكش	١٥٠ر٠٠٠
ليبيا	٠٣٢ر٠٠٠
ج٠ع٠م٠	٠٢٥ر٠٠٠
المجموع	٢٠٧ر٠٠٠
أقطار لم تحدد	٠٢٢ر٠٠٠
المجموع العام	٩٠٥ر٠٠٠

(نقلا عن نشرة فلسطين التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء بالكويت)

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم .
(لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)
((رواه مسلم))

١ - سورة الانفال ٦٠

كتاب الشهر



تأليف ـ محمد عطية الأبراشي
تقديم ـ الأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الذى نشرته دار القلم بالقاهرة ، والذى يقع في اكثر من ثلثمائة صفحة ـ دراسة طيبة عن عظمة الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جاءت فى ثلاثة عشر فصلا :

فى الفصل الأول عرض المؤلف للعرب قبل الاسلام ، فقدم صورة واضحة المعالم عن أخلاق العرب فى تلك الفترة ، حيث قامت على أسس من الظلم والأنانية والفساد ، وامتهان العبيد ، وتجاهل المرأة ، وان لم تخل مما طبع عليه العرب من خلق الوفاء والاباء والنجدة والمروءة والكرم .

وفى الفصل الثاني والثالث عرض المؤلف لحياة الرسول عليه السلام قبل البعثة ، فتحدث عن نشأته طفلا صغيرا ، وشابا يافعا ، ورب أسرة مخلصا متفانيا ، كما عرض لوجوده قبيل الرسالة فتحدث عما امتاز به من اخلاق رفيعة ومثل عليا ، وتحدث عن خلوته فى غار « حراء » ، وتهيئته لحمل أعباء الرسالة .

وفى الفصلين الرابع والخامس ، عرض المؤلف للموقف بين قريش والرسول ، واحتمال الرسول وصحبه لأذى قريش واضطهادها لهم ، ومؤازرة ابي طالب له ، وهجرة البعض الى الحبشة ، واسلام كل من حمزة وعمر ، فأعز الله الاسلام والمسلمين المستضعفين بهما ، كما عرض لحادثة الهجرة ، وكيف كانت مرحلة تحول خطير فى تاريخ الدعوة المحمدية .

أما الفصل السادس ، فقد عرض المؤلف فيه لجوانب العظمة فى شخص الرسول ، مستشهدا بالتاريخ من ناحية ، ومن ناحية أخرى بأقوال بعض من كتاب الغرب المنصفين ، كسير وليام موير فى كتابه « سيرةمحمد » حيثقال :« لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ، ويسر دينه ، وأنه اتم من الأعمال ما يدهش الألباب ، فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة كما فعل محمد » .

وكاللورد هدلي الذى قرر أن رسالة محمد رسالة الهية صادقة لا ريب فيها ، جاءت مخففة لصرامة احكام التوراة مكملة لكتاب المسيح .

وأما الفصل السابع ، فقد تناول المؤلف أثر الاسلام فى الحياة العربية ، والحياة غير العربية بعد أن تم له فتح الامبراطوريتين الشاسعتين ، الرومانية والفارسية ، وأشار الى المبادىء المثالية فى الاسلام ، فى جوانب الاخلاق والسياسة والاجتماع ، وأكد أن الاسلام انما انتشر بمبادئه الانسانية وآرائه المنطقية ، وأن المسلمين لميتخلفوا اليوم فى مضمار الحضارة والتقدم بسبب دينهم ، وانما بسبب انحرافهم عن مثل دينهم الرفيعة ، وقيمه العليا ، فاذا أراد المسلمون اليوم أن يستعيدوا مجدهم القديم ، فليس أمامهم الا أن يتخلقوا بأخلاق أسلافهم ، ايمان قوى بالله ، وثقة بالله لا نهاية لها ، وتضحية فى سبيل الله يهون

حيالها كل مرتخص وغال ، وتضامن وتعاون شاملين ، واخاء قائم على الحب والعدل والمساواة.

أما الفصلان الثامن والتاسع ، فقد عرض المؤلف لدعائم الاسلام الخمس ، وهي : الشهادتان ، والصلاة،والزكاة ، والصوم،والحج . كما عرض للايمان بالله ، فهو أساس الاسلام وسر القوة الاسلامية ، وأشار الى ما يتطلبه الايمان الحق بالله ، من عبادة خالصة لوجه الله ، وطهارة وصفاء واخلاص وعمل عن عقيدة صادقة .

ويعرض المؤلف فى الفصل العاشر لمكانة المرأة وحقوقها فى الاسلام ، فيشير أولا الى مكانتها التي لا تحسد عليها قبل الاسلام فى الجزيرة العربية ، حيث لم تكن الا كمًا مهملا ، ومتاعا هينا ، وجزءا من ميراث الأب والزوج على السواء ، وفى اليونان بلاد الحضارة والمدنية من قديم الزمان ، حيث كانت المرأة فى أثينا سلعة تباع وتشترى ، ورجسا من عمل الشيطان ، وفى دولة الرومان ، حيث كانت المرأة متعة جسدية رخيصة ، وعند اليهود حيث كانت المرأة فى منزلة الخدم والرقيق ، وعند الفرس ، حيث عاشت المرأة مجهولة القدر ، مهضومة الحق ، وجاء الاسلام فأنصف المرأة ، واعترف لها بكيانها كاملا .

وفى الفصول الثلاثة الأخيرة ، الحادى عشر والثاني عشر ، والثالث عشر ، عرض المؤلف لموقف الاسلام من تعدد الزوجات ، ومن الطلاق ، ومن تعليم المرأة ، فأشار الى أن تعدد الزوجات قبل الاسلام كان بغير تحديد ، والى أن الاسلام لم يأت ولم يبتكر نظام تعدد الزوجات ، وانما حدده ، وارتفع به عن الفوضى التي كانت تشمله ، ولقد ناقش المؤلف افتراء الكاتب المتعصب ، ادوارد وليم لين فى كتابه « الأخلاق والعادات للمصريين المحدثين » حيث ذكر فى كتابه أن كثيرين من المصريين يتزوجون فى عشر سنين بأكثر من عشرين أو ثلاثين من زوجات صغيرات فى السن ، وأنه قد سمع عن رجال اعتادوا أن يتزوجوا زوجا جديدة كل شهر تقريبا .. كما فند المؤلف بعد ذلك مطاعن المستشرقين على زواج النبي .

وتحدث المؤلف عن قضية الطلاق ، فأشار الى أن الاسلام قد أباح الطلاق بقيود عادلة ، ثم تحدث عن الاسلام ودعوته الى تعليم المرأة ، فأشار الى النابغات من النساء المسلمات ، كالخنساء الشاعرة ، والسيدة سكينة الأديبة الناقدة ، والسيدة عائشة بنت طلحة ناقدة الشعر والغناء ، وممن اشتهرن فى علم الحديث ، كريمة المروزية ، وسيدة الوزراء ، وكانتا من أهم راويات أحاديث البخارى ، هذا وقد أشار الى أن الحافظ ابن عساكر ذكر أن عدد شيوخه من النساء ، كان بضعا وثمانين استاذة .

هذا وقد عرض المؤلف لرأيين متناقضين تجاه تعليم المرأة فى الاسلام ، رأى يقول بتعليم المرأة القرآن والدين ليس غير ، وينهى عن تعليمها الكتابة والشعر لأنها ناقصة عقل ودين ، ومن أصحاب هذا الرأى القابسى الفقيه القيرواني ، وهو رأى ـ كما يقول المؤلف ـ يسيء الظن بالمرأة المسلمة .

أما الرأى الثاني فينادي بتعليم المرأة المسلمة ، وهو رأى سديد يستمد قوة عظيمة من استناده الى أحاديث نبوية تشجع على تعليم المرأة ، وهذا ما حدث فعلا ، يوم أن وصلت المرأة المسلمة الى أسمى درجات العلم والأدب والثقافة ، وكتب الأدب مزدحمة بشهيرات النساء المسلمات العالمات الأديبات ، واذا تجاوزنا بعض أمهات المؤمنين فان هناك زبيدة زوج هارون الرشيد ، وشهدة الملقبة بفخر النساء فى القرن الخامس الهجرى ، والتي كانت تلقي فى جامع بغداد على الجمهور دروسا فى الأدب والتاريخ ، والخيزران امرأة المهدى الخليفة العباسي الثالث ، وبوران زوجة المأمون ، وقطر الندى زوجة المعتضد بالله وأم المكتفي العالمة الفذة الخبيرة بالشريعة الاسلامية والقضاء ، والشاعرة النابغة عليه بنت المهدى ، وغير هؤلاء كثيرات .

وبعد :

فهذا عرض موجز للكتاب ، ولا نكران أن فى الكتاب عرضا واسعا لكثير من المعاني الاسلامية ، ولفتات ذهنية خصبة ، مثال ذلك ما أشار اليه المؤلف من أن كل عظيم هو روح عصره ، ومتجاوب بيئته ، ففي الصين وفارس والهند ، حيث أخذت هذه البيئات جميعها بنصيب منحرية الفكر ، ظهر فلاسفة عظماء ، مفكرون أحرار ، أمثال كونفشيوس ، وزرادشت ، وغوتاما ، كما ظهر فى قرطاجة والتتر وفرنسا عظماء القواد أمثال : هانيبال وجنكيزخان ونابليون ، لأن بيئاتهم كانت تميل بفطرتها الى الغزو والفتح ..

أما محمد ـ صلوات الله عليه ـ فلم يكن جاريا على هذه السنة ، فقد ظهر والعرب قد سقطوا فى هاوية الانحلال الاجتماعي والخلقي ، ولا يمكن أن تنتج مثل هذه البيئة عظيما كمحمد ، ذلك الذى رفع أمة من الحضيض وأنشأ دولة من العدم ، وتلك هي العظمة الحقة ، التي ليس للبيئة أي فضل فى انتاجها .

ولكن اذا أردنا أن نطابق بين عنوان الكتاب وموضوعاته لم نجد مكانا لهذا التطابق الا فى صفحات معدودة من أكثر من ثلثمائة صفحة ، وكان من الممكن أن يكون لهذا الكتاب أى عنوان الا عنوانه هذا ، فالقارىء ينتظر من عنوان ((عظمة الرسول)) تحليلا دقيقا شاملا لسلوك الرسول الشخصي ، لا يتعداه الى غيره من الموضوعات العديدة ، التي يصلح كل منها أن يكون كتابا ، ولو أن هذه الموضوعات من الموضوعات التي لم تطرق او التي أضيف اليها جديد ، لهان الأمر ، ولكنها موضوعات مطروقة ، تناولتها كتب السيرة القديمة والمؤلفات الحديثة عشرات المرات .

فصل واحد من فصول الكتاب الثلاثة عشر ((عظمة الرسول)) يمكن ـ مع التساهل ـ أن يكون تطبيقا على عنوان الكتاب .

فالمؤلف استغرق اكثر من ثلثي الكتاب فى موضوعات لا ترتبط ارتباطا وثيقا بالعنوان ، كدعائم الاسلام الخمس ، وأثر الاسلام ، والايمان بالله ومكانة المرأة ، والطلاق وتعدد الزوجات .

ثم ان المؤلف ـ وهو أديب عالم ـ جارى كتب السيرة فيما أتخمت نفسها من روايات يجب أن تتنزه عنها الدراسات المتصلة بعظمة الرسول ، ومنها ما حدث فى ليلة ميلاد الرسول ، وفى أثناء ولادته ، وهي روايات لا تستند الى مصدر موثوق بـه .

هذه ملاحظات لا نضيف اليها الا اغفال المؤلف رواية الأحاديث التي استشهد بها ، ودرجتها ، ولا سيما الأحاديث التي استشهد بها مؤيدا لرأى أو معارضا لـه .

بقية (عقيدة التوحيد)

الحق فى أمرها ، وما من سبيل أقوم الى الايمان الحق سوى القرآن ، ولكن كيف يكون القرآن سبيلا للمعرفة والتوحيد وكيف يسيطر على العقول والفهوم ؟ وكيف تخضع له الافكار وتطمئن له القلوب فى مواجهة النظر الديكارتي ، ان ذلك لن يكون الا اذا ثبت أن القرآن معجز وأنه ليس من كلام البشر ، وثبت ثبوتا قاطعا أنه من عند الله ، عند ذلك يجب أن يكون القرآن هو المصدر الأعلى للايمان والتوحيد لدى المنصفين بل لدى أصحاب الفطر التي لم تزغها الأهواء ولم تصرفها عن مقتضاياتها .

انك اليوم حينما تجادل فى أمر العقائد مستندا الى القرآن الكريم فانما يقول لك من تجادلهم : هبنا غير مؤمنين بالقرآن أو هبنا غير مصدقين بأنه من عند الله . من أجل ذلك وجب أن نسير أولا فى اثبات أن القرآن من عند الله ، مستندين الى القضايا العقلية والحقائق الواقعية والى الظروف والملابسات التى لابست اعلان القرآن ، فاذا انتهت بنا الى اليقين بأن القرآن من عند الله وأنه ليس من نوع كلام البشر ، وأن حامله الى الناس لا يستطيع الانباء به من عند نفسه ، وأنه ليس له من العلم مثل ما أخبر عنه القرآن فانه يجب بحكم هذا أن يكون القرآن مصدر المعرفة والتوحيد ووجب أن تعنو له جباه العقول والافكار لا لشيء سوى أنه الحق المفروض والواجب المحتوم الذى تتقبله الفطر رضية به منقادة اليه .

ان الرجوع على القرآن بعد الذى قررنا أمر يريحنا من التكلفات العقلية والنظرية والتشككات الفلسفية والسوفسطائية ، ويسد الباب عن ذوى الاغراض الذين يتسترون وراء العقائد التي يبتدعونها لتحقيق هذه الاغراض ، ويسد الطريق على الغرب الذى يجعل من مستشرقيه الطلائع الاولى لانهاك القوى الاسلامية عن طريق التشكيك فى أمر العقيدة باسم الدراسات العلمية الحرة ، وهم لا يريدون الا نقض العقدة الاسلامية التي تكتل المسلمين أمام الغزو الصليبي ، وتحول دون سيطرته السياسية والاقتصادية والفكرية .

بقية الاسلام فى عالم الملايو

الحسينى » وقد زاول نشاطه فى الدعوة للاسلام فى مجموعة جزر صولو « Sulu » التىهى جزء من دولة الفليبين حاليا ، وقد اسلم على يـــده خلق كثير فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى وقد تبعه داعية آخر من سومطرة يسمى « ابا بكر » وقد نجح فى اقامة سلطنة اسلامية هناك وتوفــى عام ١٤٨٠ م ،وكان من هؤلاء الدعاة الناجحين ايضا « الشريف مولانا ابراهيــم » وهــو ابن الشريف مخدوم ابراهيم الاكبر المذكور آنفا وقد كان لمولانا ابراهيم هذا فضل فى اسلام عدد من امراء الولايات التابعة لامبراطورية « ماجاباهيت » الهندوكيــة وقد توفى عام ١٤١٩ م ، وكان من بين الولايـــات التى دخلت فى الاسلام على أثر هزيمة ماجاباهيت دويلة « بروناى Brunai الواقعة على الساحل الغربى لجزيرة بورنيو وقــد اسس امــير عربي سلطنتها عام ١٥١٠م ولا زالت اسرته تتوالى على عرشها حتى الآن ، وقد كان مفروضا ان تنضم هذه السلطنة الى ملاييزيا التى قامت عام ١٩٦٣م ولكن لم يتم ذلك لاسباب سياسية ، فبقيت وحدهـــا محمية انجليزية ، ورغم صغر هـــذه السلطنة فى مساحتها الا انها ذات ثراء عظيـم بسبب آبــار البترول الغنية بها .

ومن أهم هؤلاء الدعاة أيضا « الشريف محمد كيبنجسوان kabungsuan» الذى رحل من الملايو الى جزيرة « مندناو Mindanao » بالفيلبين حوالى عام ١٤٧٥ م ونجح فى اقناع خلق كثــير مـن الوثنيين باعتنــاق الاســـلام ، وحفر لهم بئرا فكان لا يقبل اسلام أحد الا بعد أن ينغمس فى الماء ليتطهر ، وينتشهد ، ولا تزال آثار هذه البئر باقية حتى الآن ، كما نجح فى اقامة سلطنة اسلامية عظيمة امتد نفوذها الى انحاء الجزيرة الكبيرة ، ومن مندناو وصولو انتشر الاسلام فى سائر الجزر التي تكون الفيلبين حاليا .

وسوف لا نرهق القارىء بذكر اسـماء سائر الجزر والجزيرات وتاريخ انتشار الاسلام فى كـل منها ، فحسبنا أن نعلم انه ما كاد ينقضى القرن التاسع الهجرى (الخامس العاشر الميلادى) حتى اصبحت كلمة الله هي العليا فى ربوع الارخبيل الملايوى كله ، ودانت البلاد كلها لدولة الاسلام

وهكذا تحول عالم الملايو كله فى مدى قرنين–الثامن والتاسع الهجريين – من الوثنية الى التوحيد ، ومن الفوضى والوحشية الى النظـام والحضارة والمدنية ، ومن الجهل والامية الى نور الهداية والعلم والعرفان .

سر انتشار الاسلام

وكان من اهم العوامل التي ادت الى هذا الانتشار السلمي السريـع بساطة الاسلام وتقدميتــه ، والــف الســكان للشعائر الاسلامية التى كان يؤديها من خالطهم من المسلمين على مراى ومسمع منهم ابان القرون الاولى من الهجرة ، ثم ما كان يتمتع به الكثير من هؤلاء المسلمين من شخصية ممتازة ونجاح مرمــوق فى تجاراتهم ، ثم الهجرة فرارا من ويلات الحروب المغولية والصليبية ، ثم نجـاح الدعاة مــن ذوى النزعات الصـوفية فى اقناع الحكام والولاة الذيــن اثــروا على رعيتهم ، وقامــوا بدورهــم بالدعايـة للاسلام مع امثالهم من الحكام عن طريق الدعاة والمصاهرة .

بقي الحديث اذن عن الخصومة حول من كانلهم الفضل فى نشر الاسلام فى ربوع الملايو أهم العرب ام المسلمون من الهند ؟ وهو نزاع أثاره فىالسنوات الاخيرة بعض المستشرقين لنوايا فى انفسهم نشك فى موضوعيتها ، كما بقي الحديث عن الاصلاحات التي احدثها الاسلام فى عالم الملايو ، ثم عــن الاستعمار الغربي وموقفه من الاسلام فى الشرق منذ بدأ باحتــلال البرتغاليين « جوا Goa » بالهند ، ثم ملقا بالملايو عام ١٥١١ م ، ثم عين أهم التطورات والاحداث منذ ذلك الحــين وموقف الاسلام منها حتى نصل الى الاوضاع الســائدة فى الوقت الحاضر ، ولعلنا نواصل الحديث عــن ذلك كله فى الاعداد القادمة ان شاء الله تعالى .

قصة العدد

الفارس الأسير

د. نجيب الكيلانى

دق « الفارس الصليبي » الأرض بقدميه في جنون ، وأخذ يشد شعره في عنف ، ثم يضرب رأسه في الحائط ، ويرفع سيفه ، ثم يهزه هزات عشواء فكأنما كان يطارد أشباحا غير منظورة ، وعاد ينظر الى مرافقه ويقول في ثورة :

« مستحيل .. مستحيل أن تسقط طرابلس في أيدى قوات صلاح الدين .. ان حصونها ورجالها الأشداء ، ومجدها الزاهر الذى شيدناه فى ظلال سيوفنا منذ عشرات السنين ، مستحيل أن تدوس ذلك كله أقدام المسلمين » .

طأطأ المرافق رأسه حزينا ، وانسكبت على خده ولحيته الشقراء قطرات من دموع على الرغم منه ، وتمتم :

ـ « أنا لا أصدق .. الحقيقة مريرة كالعلقم يا مولاي..ولكن الذى حدث هو أن قواتنا تبددت في مشارف « عين جالوت » .. وانتصر العرب .. وها نحن محصورون فى القصر .. فى انتظار السطور الدامية لنهاية المأساة » .

ونظر الفارس العظيم ، والشر يتطاير من عينيه وهتف :

ـ معنى ذلك أننا أسرى الآن ؟؟

ـ « أجل » .

ـ « وصلاح الدين لن يتركنا أحياء .. آه .. ضاع كل شيء .. لقد قتلنا من المسلمين سبعين ألفا في بيت المقدس يوم دخلناها فاتحين منذ سنين طويلة .. لم نرحم شيخا ولا طفلا ولا امرأة .. كانت حرب ابادة .. انها قسوة لن ينساها العرب ، وقد حان وقت الأخذ بالثأر .. سيقتلنا صلاح الدين .. يا للمصيبة ! ! زوجتي تنتظرني في بيت المقدس .. وأولادي ينتظرون .. لا أريد أن أموت » .

ثم أمسك بتلابيب مرافقه وصرخ :

ـ « أتسمعني ؟؟ لا أريد أن أموت .. لتذهبوا جميعا الى الجحيم .. لتسقط مملكة بيت المقدس أولا تسقط .. ليسحق صلاح الدين الصليبيين أو يأخذهم أسرى .. المهم حياتي .. انني أرفض



أن اموت .. ما جئت هنا لكي أبعثر سنوات عمري فى هذه الحرب الطائشة » .

ونظر اليه المرافق فى حنق وقال :

ـ « ليس لنا فى الأمر حيلة .. لقد سقط ملك بيت المقدس فى الأسر .. وسقط كذلك قائد فرسان « الداوية » .. والثغور ، استولى عليها صلاح الدين .. والعرب المتنافرون أصبحوا كتلة واحدة .. ولا ينتظر أن تصلنا أية نجدة .. انها النهاية يا مولاي » .

قال الفارس الأمير وسيما الجنون على محياه :

ـ « لا بد من الهرب » .

ـ « كيف » ؟؟

وعندئذ أطبقت عليهم كوكبة من فرسان المسلمين مدججة بالسلاح ، وشحب وجه الفارس ، وسقط السيف من يده ، وارتعشت مفاصله ، وهتف ضارعا ، وقد ذابت كل شجاعته :

ـ « الرحمة .. بالله لا تقتلونا .. »

وابتسم قائد العسكر قائلا :

ـ « نحن لا نقتل الأسرى » .

ـ « أنتم تخدعوننا .. لا تنسوا أنني ملك طرابلس » .

ـ « نحن نعرف .. وثق أننا لا نكذب .. اننا نحمل سيوفنا دفاعا عن الشرف وكرامة الانسان.. ... ومن ثم فمن العار أن نسفح دم الفضيلة ، لم نحارب الا لنسترد أرضنا من أيدى الغزاة الطامعين » .

وبعد فترة صمت قصيرة قال قائد العسكر :

ـ « هيا بنا .. »

قال الفارس مرتجفا :

ـ « الى أين ؟ ؟ »

ـ « صلاح الدين يطلبك » .

ومشى الملك مطأطىء الرأس ، واجم النظرات ، يفكر فى الماضي فى الحروب الصليبية الدامية ، والحملات المتكررة التي قادها ملوك أوروبا وفرسانها ورهبانها ، وكيف احتلوا أغلب أراضي الشام وبيت المقدس ، منتهزين فرصة تشتت العرب وتناحرهم من أجل الأطماع الشخصية .. وكيف اقاموا الممالك والامارات فى أرض العرب ، وغرقوا فى الخيرات والنعيم .. حتى أنهم أيقنوا أن الأرض أرضهم .. وأن خروجهم من هذه الديار أمر مستحيل .. ونظر الفارس الأسير فرأى عساكر العرب يملأون شوارع طرابلس وأزقتها وساحاتها .. ورأى القصور والمقاصر والبساتين التي كان ينعم فيها الغزاة منذ أيام واجمة حزينة .. يجللها أسى عميق .. ورأى جنوده ـ ورموز الصلبان على صدورهم ـ يمضون منكسي الرءوس لا حول لهم ولا قوة .. كل شيء قد تغير بين عشية وضحاها .. انهار المجد الكبير .. تحول الحكام المستبدون والفزاة المتجبرون الى أذلاء أصاغر .. وهمهم « أكذوبة .. أكذوبة كبرى .. تلك الحياة » وعاد الفارس يفكر فى مصيره .. أمن المعقول الا يقتله صلاح الدين ؟ ؟ وماذا ستقول زوجه فى بيت المقدس عندما يبلغها نبأ نهايته المفجعة ؟ ؟ آه .. وأولاده الصغار .. مساكين سينتظرونه حتى يعود .. ولكنه لن يعود .. يا له من غر أحمق .. لماذا أتى من أوروبا ؟ ؟ ولماذا حارب ؟ ؟ أمن أجل الدين كما يقولون ؟ ؟ وتمتم « ما الدين الا ستار أخفينا وراءه مطامعنا .. تلك

هي الحقيقة البشعة .. ولماذا نظل نكذب ؟ ؟ لو خدعنا الناس وخاصة جنودنا البلهاء.. فمستحيل أن نخدع أنفسنا .. ان هزيمتي قد كشفت القناع .. أزالت كل الأكاذيب والشعارات الجوفاء التافهة .. لم نكن غير مستعمرين .. سكرنا بخمرة النصر الذى حققناه بأقذر الوسائل والذى حققه أجدادنا .. وما أن جاءتني صفعة صلاح الدين حتى أفقت الى نفسي .. »

كان الفارس الأسير يمضي ذاهلا شاردا ، حينما همس فى أذنه قائد المعسكر قائلا :

ــ « أفق من ذهولك .. أنت فى حضرة صلاح الدين » .

لم يصدق الفارس الأسير عينيه ، وهو يرى رجلا بسيطا هادئا ، لا أثر على وجهه لانفعالات الشماتة والحقد ، ولم يصدق أذنيه ، وهو يستمع الى كلمات صلاح الدين التي تفيض بالأمن والرحمة والايمان ، وخيل اليه أنه فى حلم حينما أجلسه صلاح الدين الى جواره وطلب له الماء البارد .. لحظات غريبة مرت بالفارس المشدوه ، عاد ــ بعدها ــ اليه الاطمئنان ، وفكت عقدة لسانه ، فأخذ يفاوض صلاح الدين ، ويبحث معه أطراف المشكلة . ولم يستمع الى صلاح الدين بكل حواسه وهو يقول :

ــ « اننا لا نجني من وراء قتل النفوس شيئا ذا بال .. ويؤسفني أن يطول أمد المعركة بلا مبرر ، وخاصة أن نصرنا قد تدعم ولا جدوى من مقاومتكم فى القدس .. فيا حبذا لو سلمتم حقنا للدماء .. ثم لا تنسى أننا أصحاب الأرض الشرعيين .. »

لم يكن الفارس يفكر فى كلمات صلاح الدين الكبيرة ، بقدر ما يفكر فى خلاص نفسه ، وعجب صلاح الدين حينما سمعه يقول :

ــ « ان لي زوجة وأولادا فى بيت المقدس ، وكل ما أتمناه أن تطلق سراحي ، وتأمر بحمايتي حتى أصل هناك .. وعندما أصل فاني سأجمع أولادي وزوجتي ونرحل الى أوروبا .. وأعدك وعد رجل شريف لرجل شريف ألا أبقى فى بيت المقدس أكثر من ليلة واحدة .. أعرف أن قانون الحرب يعطيك الحق فى اذلالي وسفك دمي .. لكني أضرع اليك .. ان عفوك عن ملك صغير مثلي ــ مجرد فرد أعزل ــ لن يؤثر فى نتيجة المعركة .. »

هز صلاح الدين رأسه فى ثقة ووقار

ــ « ليلة واحدة فى بيت المقدس ؟ ؟ »

ــ « أقسم على ذلك .. »

ــ « لك ما شئت .. »

لم تكن « بيت المقدس » قد سقطت فى يد العرب بعد ، وان كان ملكها قد وقع أسيرا فى يد صلاح الدين قرب عين جالوت ، والصليبيون قد تجمع عدد كبير منهم داخل المدينة المقدسة محتمين بقلاعها وحصونها وما بقى ــ بعد المعركة السابقة ــ من جنودها ، وهرول « الفارس الصليبي » الى بيت المقدس مبتهجا سعيدا ، لم يكن يصدق أنه قد نجا بجلده ، وكتبت له الحياة من جديد .. ومع ذلك فقد كان يذكر الهزيمة المرة التي مني بها ، ويذكر الأرض الخضراء ــ أرض طرابلس ــ التي أخرج منها طريدا شريدا كما طرد ابليس من جنة الله ــ .. فيستشعر الحقد والمرارة .. لم يفكر فى مرافقه ولا فى رجاله وجنوده الذين تركهم وراءه بقدر ما كان يفكر فى لقاء زوجه وبنيه ..

وتنفس الفارس الصعداء حينما دخل شوارع بيت المقدس .. ها هو يحيا من جديد .. لكن الناس المذعورين يتحلقون حوله ، مستنجدين مستغيثين وقد عرفوا فيه أمير طرابلس .. لقد شعر الضائعون الذين أسر ملكهم .. أن هذا الرجل يمكن أن يهبهم الأمن والثقة ، أن يحل محل ملكهم حتى تتغير الأحوال .. وأحاط به خلق كثير ، يتكلمون ويستفسرون ، فقال ورنة الحزن والأسى بادية فى صوته :

« لسوف آخذ أهلي وأرحل ، ولن أبقى بينكم أكثر من ليلة واحدة .. »

ــ « ونحن ماذا نفعل ؟؟ »

ــ « سلوا ملككم »

ــ واين هو ؟؟

ــ أسير عند صلاح الدين .

وهدر صوت الجموع .. القساوسة والرهبان وفرسان الداوية وبقايا الجنود .. والمتعصبون .. هدروا قائلين :

« أنت ملكنا .. »

ــ « ملك بيت المقدس ؟ ؟ »

ــ « أجل ... »

البقية على ص : ٩٤

بقية الدعوة والدعاه

الكهوف أو شواهق الجبـال ، ويجب أن يعيش معه ايمانه برسالته فوق ظهر البحر الى المجـال الذى يراه خصيبا لدعوته ، وبين أحراش افريقيا وأدغالها وصحاريها وبين سهول آسيا وجبالها قبل قراها ومدنها ، كما عاش ذلك الايمان مـع أسلافه الدعاة وهم يجتازون المخاطـر فى الهند والصين وفيما وراء الهند والصـين ، وان الله يحتسب له كل خطوة خطاها ، ويأجره على كـل عقبة تخطاها ، ويثيبه على كـل مشقة احتملها ، وصبر عليها وكل كلمة قالها ، وعمل أداه ، وهـو مصيخ أبدا الى نداء ربه « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهـم بالتي هي أحسن » وهو حيث يكشف دعوة الحق ، ويصور سبيلها للخلق ويقف بأرواحهم على مبادىء الاسلام وآدابه وسماحته ، ينادى فيهم « هذه سـبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان اللـه » .

المـال

ثم ما أحوج الدعوة الى مال يكفل للدعاة سبل العيش والأسفار ، ويشق للدعوة الطريق بـين الارساليات التي ألبستها المسيحية أثواب الدين والعلم ، وبعثتها توطد أقدام الاستعمار ، وتمهد له حيثما كانت أسباب الحياة .

وما أحوج الدعوة الى مال كذلك تشيد بـه المساجد والمعاهد حيثما لقيت الدعـوة الآذان والقلوب .

وان خزائن أثرياء المسلمين فى العالم وخزائـن الدول الاسلامية لن تعجز عـن امداد الدعـوة وامداد منظماتها - التي ينبغي أن تكون - بالمال الذى يفتح للدعوة الآفاق المقفلة وما أكثر الثروات التي تئن مـن ثقلها خـزائن المسلمين فى اسـيا وافريقيا .

والدعوة الى الله خير ما ينفق فى سبيله المال وهذه النفقات هي الصالحات الباقيات . ألا ليت هذه الصيحات تطرق مسامع المسلمين ، فتتجاوب معها القلوب ، وتنتفض المشاعر ، وتهتز الأريحيات للبذل فى سبيل الله .

وليتها تجمع قلوب العاملين للاسلام فى مشارق الارض ومغاربها وتحفزهم الى العمل لا الى الكتابة والخطابة فى عصر انطلقت فيه الوف المبشريـن بالمسيحية تعمل لنشرها فى البلاد المتخلفة وجمع القلوب من حولها . ونحن أولى من هؤلاء بالدعوة الى دين الله « ان الدين عند الله الاسلام » .

وان الدعوة الى الله ليست وقفا على العلماء وحدهم والانفاق عليها ليس وقفا على الاثريـاء وحدهم بل على كل مسلم ومسلمة تجب الدعوة ويجب الانفاق عليها .

ولقد حمل رسالتها الداعي الأول وحده وبعد ثلاث وعشرين سنة من بدء دعوته تجاوز المؤمنون بها مئات الألوف ، فما لنا ونحن الألوف من الدعاة نهز المنابر ، ونكاد نشق الحناجر ، فلا يستجاب لنا ولا نضيف الى عدد المسلمين فى قرن بل فىقرون قدر ما كسبه الرسول فى قرابة ربع قرن ، ان الدعوة الى الله التي دعا بها محمد صلى اللـه عليه وسلم هي الدعوة التي ننادى بها ولكن أين ايماننا من ايمانه ؟ وأين اخلاصنا لها من اخلاصه؟ وأين تضحيتنا وتفانينا من تضحياته وتفانيـه ؟ وأين المنفقون منا من انفاق أصحابه فى سبيلها ؟ .

اننا يوم نؤمن ونخلص ونضحي وننفق كايمان محمد صلى الله عليه وسلم واخلاصه وتضحيته وانفاقه هو وصحابته ويوم ننتصر على الماديـة والانحلالية واللادينية سنسود الدنيا كما سادها اسلافنا الأولون ، ونخضع هامات الجبارين كما اخضعوها ، ونقود العالم يومئذ الى ظلال الحـق والخير لا تفرقة بين الجنسيات ولا الألوان بلتلتقى الانسانية كلها لتعيش تحت ألوية الأخوة والمحبة والرحمة والسلام ، « وما ذلك على الله بعزيز » .

الفتاوي

« يرحب هذا الباب بأسئلة السادة المستفتين ويرد عليها هنا أو فى ردود خاصة اذا احتاج الامر لذلك »

التخلف عن صلاة الجمعة

السؤال :ـ

أنا طبيب مسلم حريص على أداء الصلوات لاوقاتها ، وأعمل بمستشفى حكومي بالتناوب مع زميل لي ، وقد تقتضي النوبة احيانا أن أعمل في يوم الجمعة من الصباح حتى المساء ولا أستطيع الخروج أثناء النهار لاداء صلاة الجمعة .

فهل يجوز لي ترك صلاة الجمعة وأصلى بدلها ظهرا)

وما الحكم اذا أدركت الامام في الركعة الاخيرة هل أكملها جمعة أم ظهرا ؟

الاجابة :ـ

فرض الله صلاة الجمعة على كل مسلم بالغ عاقل حر ذكر صحيح مقيم ، وهي من أفضل الصلوات لاجتماع الناس لها ، ولما جمع في يومها من الخير والبركة قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ».

ولقد نص الفقهاء رحمهم الله على أن خوف الانسان على نفسه او على ماله او عرضه يعتبر من الاعذار المبيحة له للتخلف عن صلاة الجمعة ، فيجوز لمن خشى تعطيل المصالح العامة أو الحاق الاذى أو الضرر به أن يتخلف عن أداء صلاةالجمعة ويصلي الظهر بدلا منها ، وعلى هذا فاذا كان خروج السائل لصلاة الجمعة سيترتب عليه ضرر يلحقه فى العمل ، او يخشى حدوث اخطار للمرضى تنجم عن خروجه أو تأخير اسعاف او غير ذلك فقد اباح له الشارع الحكيم التخلف عن صلاة الجمعة واداء الظهر بدلا عنها،فالدين يسر ولايكلف الله نفسا الا وسعها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا).

وأما حكم من فاته ادراك الامام في أول ركعة من الجمعة فان ادرك معه الركعة الثانية اتمها جمعة وان لم يدرك معه الركعة الثانية بان ادركه بعد قيامه من الركوع فانه يتم صلاته ظهرا وعند الامام ابي حنيفه رضي الله عنه انمنادرك الامامفى أي جزء من صلاته فقد أدرك الجمعة وعلى هذا يجوز له أن يتمها جمعة على مذهب ابي حنيفة .

تعاطى المخدرات

السؤال : ـ

لي صديق يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ، ويتقي الله فى جميع اموره ، ولكنه يتعاطى المخدرات ولما كلمته فى ذلك قال: ان المخدرات لم يرد بتحريمها نص من كتاب او سنة فهل قوله صحيح ؟ أرجو بيان ذلك ...

الاجابة : ـ

لقد كرم الله الانسان على كثير من خلقه ، ولم يكرمه من حيث هو جسم فقط ، أو روح فقط ، وانما كرم فيه عقله الذى هو مناط التكليف ، وبه يعرف الخير من الشر ، ويميز الهوى من الضلال فاذا عطل الانسان عقله بوسيلة من الوسائل كان بذلك معطلا لوجوده كانسان .. ومن أجل هذا حرم الله الخمر تحريما قاطعا لا شبهة فيه بأى وجه من الوجوه فقال تعالى « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

والخمر هي كل مادة تخامر العقل وتغلبه ، ولا عبرة بخصوص المادة التي تسبب الاسكار ، فكل ما أسكر يعتبر خمرا ، سواء كان مأخوذا من العنب أو من غيره ، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ان من الحنطة خمرا ، ومن العسل خمرا ، وأنا أنهى عن كل مسكر) .. ومن المسلم به شرعا أن تحريم الخمر ليس أمرا تعبديا لا يدرك الانسان سر تكليفه به ، بل السر فى تحريمها يرجع الى المحافظة على العقل الذى يصل الانسان بربه ، ويأخذ بيده الى طريق الله .. وعلى هذا فكل شيء يخامر العقل ويغلبه يعتبره الشارع خمرا مهما كان نوع هذا الشيء ، مشروبا كان أو مأكولا ، أو مشموما لقوله صلى الله عليه وسلم (كل مسكر حرام) . ولما كانت المخدرات تخامر العقل وتغلبه، ولها من المضار الصحية والعقلية والروحية مثل ما للخمر كان تحريمها أمرا مفروضا لا سبيل الى انكاره بحال من الأحوال ..

أما ما يزعمه صديقك من أنه لم يرد نص يحرم هذه المخدرات بأسمائها فهذا ليس بشيء لأن المخدرات لم تكن موجودة بأسمائها فى عهد الرسول أو الصحابة أو التابعين بل ظهرت فى العالم الاسلامي فيما بين المائة السادسة والمائة السابعة من الهجرة .. ولما كان الاسلام قد نهى عن الخمر واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمرا كانت المخدرات بجميع أنواعها كالخمر يحرم تعاطيها وبيعها وشراؤها .. والله أعلم ....

كفارة اليمين

السؤال : ـ

ما الحكم اذا حلف الانسان وحنث فى يمنيه وتكرر منه الحلف والحنث .

الاجابة : ـ

المسلم حين يقسم بالله تعالى أو بصفة من صفاته العليا ، أو باسم من اسمائه الحسنى يكون مستحضرا عظمة الله وجلاله ، مستشعرا ألوهيته وربوبيته ، فيضع بهذا اليمين الذى يحلفه سدا منيعا بينه وبين المحلوف عليه ، فهو لا يقتحمه ولا يتجاوزه ، خوفا من الله تعالى .

فاذا ما حنث فى يمينه وفعل المحلوف عليه فكأنه قد اقتحم هذا المانع القوى ، وغفل عن مراقبة الاله الحق الذى أقسم به . ولهذا يعتبر الحنث ذنبا وخطيئة تحتاج الى عمل يسترها ويكفرها .

وقد شرع الاسلام الكفارة اذا حنث الانسان فى يمينه ، وهذه الكفارة تطهير للانسان من خطئه وتجديد لأمله فى الله ، وتقريب له من مولاه ، وفيها خير للمجتمع باشاعة البر والتعاطف بين أفراده .

وقد نهى الاسلام عن الحلف بغير الله ، قال صلى الله عليه وسلم (ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع رجلا يقول : لا والكعبة فقال – لا تحلفوا بغير الله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من حلف بغير الله فقد أشرك) واليمين بغير الله لا تنعقد ولا كفارة فيها ، ويجب على الانسان أن يحنث فى يمنيه اذا حلف على الامتناع عن فعل الخير ، قال تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت التي هي خير وليكفر عن يمنيه) .

والكفارة المطلوبة هي اطعام عشرة مساكين وجبتين مشبعتين أو كسوتهم بما يستر أبدانهم أو عتق رقبة مملوكة ، فمن لم يقدر على الاطعام أو الكسوة أو العتق ، فكفارته أن يصوم ثلاثة أيام ، ويكفي صومها متفرقة والأفضل أن تكون متتابعة وتتكرر الكفارة بتكرار اليمين والحنث فيه ... والله أعلم »»

الاصبع الزائدة

السؤال : –

ولد لي ولد ، فى كل كف من يديه ست أصابع ، والاصبع الزائدة كالخرقة متدلية وقد أشار علي بعض أصدقائي بقطعها بواسطة الطبيب لأنه لا فائدة فيها فضلا عن أن منظرها يشوه المولود .. فهل يجوز ذلك شرعا .

الاجابة : –

ما دامت هذه الاصبع زائدة غير ثابتة وليست متماسكة ، بل هي تتدلى وليس لها عصب يحركها مع الأصابع ومنظرها يشوه الكف – فاننا نرى أنه لا بأس من قطعها لعدم فائدتها ولانها تؤذى ولدك وخاصة بعد كبره ، « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

بقية (الفارس الاسير)

ان احلام المجد الذاهب تراوده .. وعار الهزيمة يلاحقه .. حتى عطف صلاح الدين وحدبه عليه أصبح يثير فى نفسه الاحتقار والضيق والمرارة .. ورائحة بساتين طرابلس المثيرة ما زالت تتسلل عبر خياشيمه .. وثورة المطامع والأمجاد تتحرك فى قلبه من جديد .. فيضرب بعهده مع صلاح الدين عرض الحائط ، ويهتف فى جنون .

– «لن نستسلم لصلاح الدين.. وسنحارب ..»

ويستغرق فى اعداد الجنود ، وتجهيز الحصون ، مستسلما لنشوة الحقد ، تطغى على قلبه وعقله وشهوة الانتقام ، والأمل الكاذب يراوده من جديد ...

لكن مواقع الصليبيين تتساقط فى يد صلاح الدين واحدا بعد الآخر ، والدائرة تضيق حول بيت المقدس : والملك الأسير يرسل الى أهل المدينة كي يستسلموا حقنا للدماء فيرفضون .. ويتقدم صلاح الدين الى الأسوار الشاهقة .. أسوار المدينة الخالدة .. وسيوف الحق فى أيدى رجاله تلتمع تحت وهج الشمس الساطعة .. وصلاح الدين ينتقل بجواده من مكان الى آخر باحثا عن ثغرة يتسلل منها جنوده .. وما أن يفعل ذلك .. وتكاد المدينة تقع فى قبضته حتى يهرول فارس طرابلس الغادر بارسال المكاتبات والرسل الى صلاح الدين طالبا التسليم .. ويعتذر عن غدره ..

ويبتسم صلاح الدين عندما يلقاه فيهتف الفارس الحزين :

– أعترف بجريمتي ..

فيرد صلاح الدين :

– « ها قد التقينا .. »

– « نحن رهن يمنيك .. فلتفعل بنا ما شئت » .

– « من أراد أن يرحل فليدفع الفدية البسيطة المقررة عشرة دنانير .. ومن أراد ان يبقى فليدفع الجزية .. ومن يثبت عجزه قمنا عنه بالسداد..»

– « وأنا ؟ ؟ »

– « أأدفع عشرة دنانير وأرحل » .

ويبتسم صلاح الدين ثانية ويقول « لك ذلك .. الراحمون يرحمهم الله » .

بريد الوعي الإسلامي

باشراف ــ محمد أبو غوش

بادرة طيبة

سررنا كثيرا حينما علمنا بصدور مجلة « الوعي الاسلامي » وانها وايم الحق بادرة طيبة يفرح لها كل مسلم غيور يبتغي مرضاة الله ، هذه البادرة الطيبة التي نسأل الله ان يجعلها الدعامة القوية لرفع راية الاسلام ، والعمل على تطبيق شريعته.

نبارك لكم هذه الخطوة سائلين الله ان يكلل مساعيكم بالنجاح ، وان يأخذ بيدكم للعمل على مرضاته .

(رئيس جمعية المكتبة الاسلامية ــ البصرة ــ العراق) .

تلقى بريد الوعي الاسلامي مئات الرسائل من السادة القراء في مختلف الاقطار الاسلامية، وقد أفصحت هذه الرسائل عن ايمان عميق الجذور ، ووعي ناضج ، وأمل كبير في ان تقوم هذه المجلة التى ولدت عملاقا بدورها الايجابي الفعال فى التوجيه السليم وجمع كلمة الامة .

ويسرنا ان نستعرض مقتطفات من بعض هذه الرسائل ، ومعذرة للاخوة الذين لم نتمكن من نشر رسائلهم لضيق المجال .

المجد الخالد

ارسل الينا السيد احمد أبو المجد عيسى من الجمهورية العربية المتحدة قصيدة بعنوان « المجد الخالد » نقتطف منها هذه الابيات :

جلال الحق يشرق فى سناه ... ونور الله باد فى هداه
أطل فشع في الآفاق فجر ... به لمح السعادة من رآه
ضياء من سنا الرحمن يسعى ... بأرض الله تشرق صفحتاه
سرى أملا بمكة فى ظلام ... من الاوهام قد أرخى دجاه
فأحيا أمه وأنار شعبا ... دهاه من الضلالة ما دهاه
محمد خير خلق الله طرا ... وأكرمهم اذا فخروا وتاهوا
له ذكر على الايام باق ... يعطر صفحة الدنيا شذاه
يردده الزمان نشيد مجد ... أجل بشاشة الدنيا صداه
ومن في الناس أكرم من نبي ... بآى الذكر جبريل أتاه ؟!
بآى مشرقات رائعات ... تخر لذكرها الحلو الجباه
بها أروى قلوبا ظامئات ... شجاها من هواها ما شجاه
سقاها عزة فعلت وعزت ... بملك أدهش الدنيا مداه
على الايمان أسسها صروحا ... فعز بناؤها ممن بناه
وليس المجد ما يبنيه فرد ... ويهدمه على عجل سواه
ولكن في البناء على اساس ... على الأزمان عالية ذراه
وقد شغل الزمان به وحيدا ... كأن الله لم يخلق عداه

وتلقينا الرسالة التالية من القاهرة بعث بها فضيلة رئيس التحرير .

« كانت تأتيني الرسائل من القاهرة فأقرأ عن تقدير القراء لمجلتنا . وحرصهم على اقتنائها وتعبهم فى الحصول عليها ولو بأضعاف ثمنها فكنت أسر وأحمد الله الذى لا يضيع اجر العاملين ، وأحس أن هذه أول مجلة اسلامية تأخذ هذه المكانة بعد العددين الاول والثاني من صدورها ، وأنها بذلك حطمت الاسطورة السائدة عن عدم اقبال القراء على المجلات الاسلامية فكان هذا كله يملا نفوسنا سرورا وشكرا لله ويدفعنا الى مزيد من الجهد والتضحية .. حتى لمست على الطبيعة مكانة المجلة وتلهف القراء على الحصول عليها ، عرفت ذلك من شركات التوزيع هنا .. ومن متعهدى الصحف . من المكتبات . من القراء .. وكان من اعجب ما سمعته ما حدثني به مفتش فى وزارة الداخلية حين كان يفتش فى احدى عواصم الصعيد ، ولجأ الى مأمور المركز كي يساعده لدى متعهد الصحف هناك فى الحصول على العدد الثاني من المجلة .. ومع ذلك لم يحصل عليها لان ما وصل منها قد نفد ساعة وصوله . ان هذا مما يزيد ثقتنا فى الله ويضاعف من شكرنا له ويحملنا من الاعباء ما نرجو من الله العون عليها والتوفيق للقيام بها .. »

ومن باكستان بعث السيد أ . حسين بمقال تحت عنوان : نحو وحدة اسلامية جاء فى مقدمته :

« رحب العالم اجمع بالمؤتمر الاسلامي العالمي الذى انعقد فى مكة المكرمة فى اعقاب حج هذا العام وقد حضره زعماء المسلمين فى كثير من الدول التي تدافع بقوة عن قضية الوحدة الاسلامية . وكل مسلم غيور يرجو عقد مؤتمر ذروة لكافة الدول التي تدافع بقوة عن قضية الوحدة الاسلامية . وكل مسلم غيور يرجو عقد مؤتمر ذروة لكافة الدول الاسلامية يعمل على تمهيد الطرق لرأب أى صدع فى وحدة العالم الاسلامي . وليس بمستبعد أن يشهد موسم حج العام القادم اجتماعا لرؤساء الدول الاسلامية بغية تحقيق اماني كل مسلم غيور .

ونحن اذ نشكر السيد حسين على اهتمامه بالوعي الاسلامي ، فانا لنرحب بما يصلنا من انتاجه وانتاج الكتاب فى شتى الاقطار الاسلامية .

ردود قصيرة

*** السيد على عبد الرحيم ملكاى ــ الاردن**

ــ يمكنك الكتابة مباشرة الى وزارة التربيةذات الاختصاص فى هذا الموضوع

*** السيد مكرم السيد احمد ــ العراق**

ــ يرجى ارسال المقال كاملا ، اذ يتعذر علينا الحكم على المقال من مقدمته .

*** السيد ناصر محمد حريد ــ خيطان ــ دولة الكويت .**

ــ شكرا على اقتراحك الذى قمنا بتنفيذه ابتداء من هذا العدد .

*** السيد غانم محمود شهاب ــ الموصل العراق**

ــ وكيل التوزيع فى العراق ــ هو السيد قاسم محمد الرجب ــ مكتبة المثنى ــ بغداد .

*** السيد بدر عبد الله المديرس ــ ص.ب ٥٥٨٩ الكويت .**

ــ وصلتنا رسالتك ، وأرسلنا لك الاعداد .

*** السيد عبد الله احمد اسماعيل عبد العال المنامة ــ البحرين .**

ــ المجلة تباع بالاسواق ، ووكيلها بالبحرين السيد فاروق ابراه ــ المكتبة الوطنية وفروعها .

*** السيد محمد كاظم ــ العراق**

ــ ستنشر المجلة فى اعدادها المقبلة تحقيقات مصورة عن الاثار والاماكن الدينية فى العالم الاسلامي ، اما « أخبار العالم الاسلامي » فهي زاوية ثابتة ابتداء من العدد الثالث .

*** السيد عبد الله محمد الحافظ ص.ب ٣٩٠١ كويت : أرسلنا لك المجلة على العنوان المذكور .**

وأما اقتراحك حول الترقيم فقد احلناه الى اسرة التحرير لدراسته .

*** السيد عبد الرحمن قني ــ الاسكندرية .**

ــ يمكنك الاتصال بالموزع لتزويدك مباشرة بالمجلة، ولا داعي لارسالها من الكويت .

*** السيد محمد القاضي ــ راس بعلبك ــ لبنان .**

ــ ترسل قيمة الاشتراك الخارجي (١٥٠ او ١) بحوالة بريدية او بشيك الى ادارة المجلة .



احتفال وزارة الاوقاف بذكرى المولد النبوى الشريف

احتفلت الكويت حكومة وشعبا فى الشهر الماضى بعيد المولد النبوى الشريف . جريا على عادتها كل عام وشاركت الصحافة والاذاعة والتلفزيون واجهزة الاعلام المختلفة فى هذه الاحتفالات ، وقد اقامت وزارة الاوقاف حفلها فى مسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء يوم الجمعة ١١ من ربيع الاول الموافق ٩ من يولية ، وحضره عدد كبير ، يتقدمهم معالي عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف ومعالى وزير الصحة وكثير من اعضاء السلك السياسى والعربى ، وقد افتتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم ، ثم القى معالى وزير الاوقاف كلمة هنأ فيها العالم الاسلامي بهذه المناسبة الكريمة ودعا فيها الى العمل بكتاب الله والتأسى بالرسول الكريم والتزام سنته والسير على هداه .

ثم تعاقب الخطباء والشعراء فتناولوا تاريخ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة ، وهدايته للبشرية ، وفضله على الانسانية واهابوا بالمسلمين ان يستمسكوا بمبادىء الاسلام ، ليتصدروا موكب الحضارة ، كما فعل اسلافهم الفر الميامين .

وقد اختتم الحفل بآيات من القرآن الكريم . وقامت الاذاعة والتلفزيون بنقل برنامج الاحتفال، اعاد الله هذه الذكرى المباركة على الامة الاسلامية بالامن والامان .

طهران

غادر طهران فى الشهر الماضي البروفسور بديع الزمان فيروز عميد كلية العلوم الاسلامية فى جامعة طهران قاصدا الكويت فى زيارة استغرقت اسبوعا، وقد زار سيادته وزارة الاوقاف واجتمع بسيادة الاستاذ عبد الرحمن المجحم وكيل الوزارة، وتحدثا فى كثير من القضايا الاسلامية ، وقد استغرق الحديث حول معهد الامامة والخطابة الذىانشأته الوزارة فى العام الماضي وقتا طويلا ، وقد أعجب سيادته بفكرة المعهد ومهمته وتمنى له التقدم والازدهار .

الكويت

زار الكويت فى الشهر الماضي وفد نيجيريا برئاسة السيد احمدو بللو رئيس الوزراء بدعوة من سعادة الشيخ جابر الاحمد الجابر وزير المالية والصناعة والتجارة ، واستغرقت الزيارة خمسة أيام جرت اثناءها محادثات اقتصادية بين الجانبين الكويتي والنيجيرى ، حول المسائل ذات المصالح المتبادلة بين البلدين وساد المباحثات جو من الصداقة والنوايا الطيبة .

« وتعاونوا على البر والتقوى » .

بغداد

نشرت صحيفة المنار العراقية تصريحا لفخامة المشير الركن عبد السلام محمد عارف جاء فيه ان العلاقات بين البلدين الشقيقين الكويتوالعراق هي علاقات اخوة ومصالح مشتركة وستزداد قوة ورسوخا بمرور الزمن .

الكويت

قام سمو الشيخ صباح السالم الصباح ولى عهد دولة الكويت ورئيس مجلس الوزراء بزيارة ودية للمملكة العربية السعودية ، وكان يرافقه صاحب السعادة وزير الخارجية ، وكان لهذه الزيارة اثرها فى توطيد المحبة والاخوة والتعاون

بين البلدين والشعبين الشقيقين،وتأكيد العزم على استمرار العمل من اجل كل ما من شأنه ان يدعم الروابط الاخوية القائمة ويزيدها وثوقا .

* تصادر دولة الكويت شهريا عددا كبيرا من الصحف والمجلات الاجنبية التي تقوم بترويج الدعاية الصهيونية ، وقد طالبت مجلة الهدف وزارة الارشاد والانباء بمنع هذه الصحف والمجلات من دخول البلاد نهائيا .

* وافقت الكويت على الاشتراك بالمركز الثقافى الاسلامى بلندن اسوة ببقية الدول العربية الاسلامية المشتركة فيه . وسيكون نصيب الكويت فى هذا المركز مبلغ ٣٠٠ جنيه استرليني تدفع سنويا .

المؤتمر الاسلامي العراقي الاول

عقد المؤتمر العراقي الاسلامى الاول فى بغداد فى الفترة بين ٢ ربيع الاول ١٣٨٥ الى ٦ منه وقد حضره اكثر من ٥٠٠ عالم من علماء العراق كما دعي اليه فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر وسماحة مفتي الاردن وسوريا ، وقد القى الشيخ هاشم الاعظمي رسالة السيد عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية فى حفل الافتتاح جاء فيها : ــ

يسرني ان ارحب بكم جميعا وارجو النجاح التام لمؤتمركم الاسلامي الاول الذى ينعقد فى بغداد عاصمة الرأى والتشريع ويسرني ان يصادف انعقاده يوما خالدا فى ذكريات العراق حيث اندلعت ثورة العشرين فى مثل هذا اليوم قبل خمسة واربعين عاما وكانت تستند الى الروح الاسلامية التى لا ترضى الهوان ولا تصبر على حكم الظالم المستعمر .

ان الاسلام يستند الى العدل والمساواة ، ومحبة الانسان لاخيه الانسان وجمع الشمل ، ويحترم الاديان جميعها وعلى اسس هذه المثل السامية التي يتحلى الاسلام بها آمل ان تتوج مقررات مؤتمركم بالتوفيق والكمال .

ثم القى سماحة الحاج نجم الدين الواعظ مفتى الجمهورية العراقية كلمة شكر فيها أعضاء المؤتمر على حضورهم ، كما شكرهم على اختياره رئيسا للمؤتمر ، ثم تتابع العلماء ممثلو الالوية العراقية والقوا كلمات مناسبة وفى ختام حفل الافتتاح القى فضيلة الاستاذ الاكبر كلمة اعرب فيها عن سروره بما رأى من الاخوة بين كافة المسلمين فى العراق وقال : ان الخلافات الفرعية والجزئية لا يمكن ان تبعد المسلم عن اخيه المسلم ، ودعا فضيلته بالتوفيق للمؤتمر وتحقيق وحدة المسلمين والوفاق فيما بينهم .

قرارات المؤتمر وتوصياته

وقد اتخذ المؤتمر فى جلسته الختامية القرارات والتوصيات الاتية : ــ

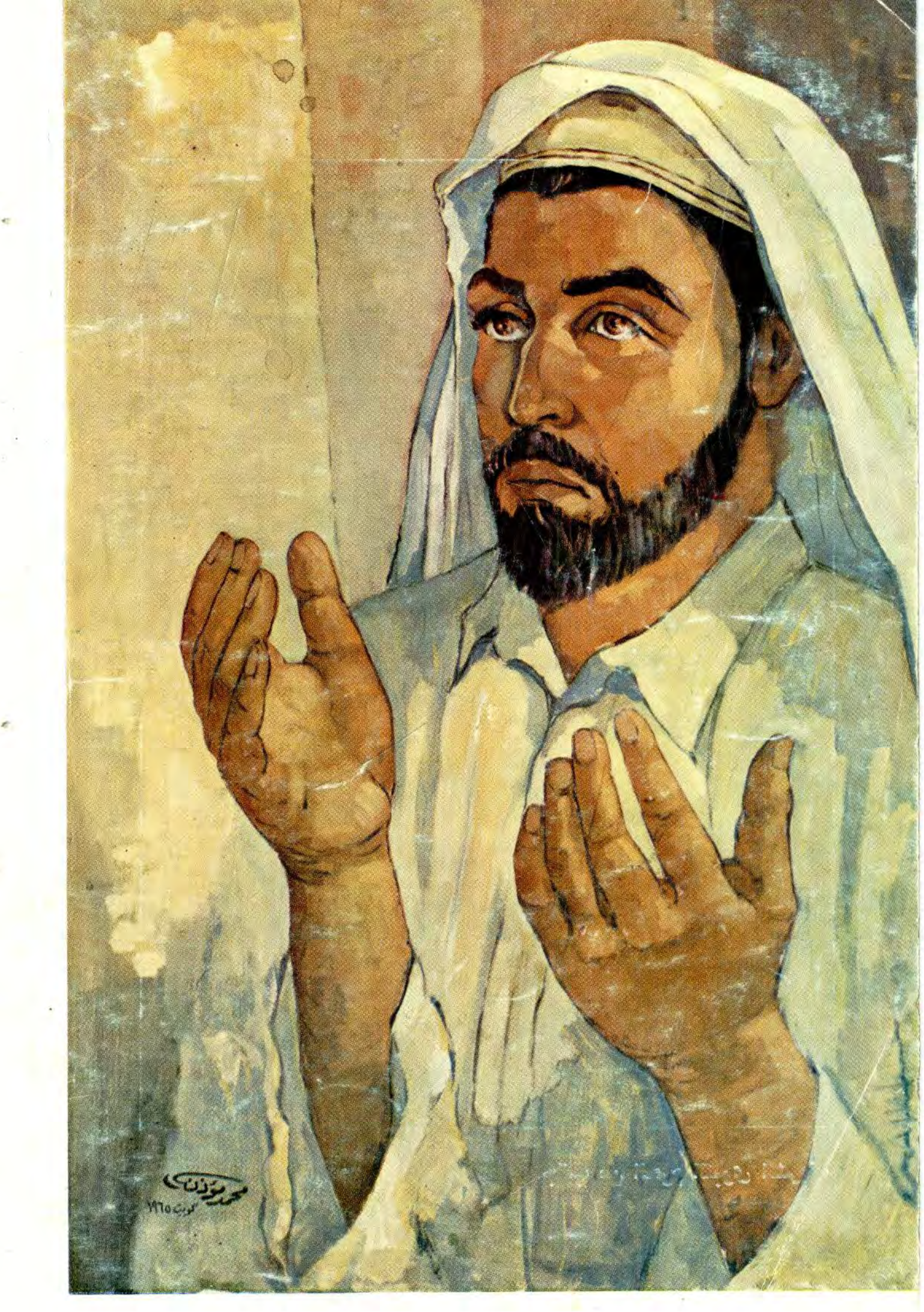
تأييد الوسائل الاعلامية السلمية والتي تتذرع بها الدول العربية والاسلامية للقضاء على المسخ الصهيوني الذى فرضه الاستعمار على ارضنا الاسلامية . ومؤازرة الكفاح العدني والعماني ضد الاستعمار الانكليزى ، كما قرر العمل على ايقاظ مسلمي القارة الافريقية على خطر التغلغل الصهيوني فى مرافقهم العامة وحياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية لايقاف تياره والاجهاز عليه .

وفى مجال الثقافة الدينية قرر المؤتمر : تأليف مجلس اسلامى اعلى لرعاية البحوث الاسلامية يلزم بطبع وترويج الآثار الفكرية التى تخدم التراث الاسلامى ، واستقدام ابرز رجال الفكر الاسلامى من الخارج لالقاء المحاضرات الموسمية عند الحاجة ، وتنظيم بعثات دينية لخريجى معاهد الشريعة الاسلامية فى العراق للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه فى الفلسفة والشريعة من جامعات البلدان الاسلامية . وقرر المؤتمر ايضا تدعيم علاقات الود والاخوة الصادقة بين علماء الدين فى العراق على اختلاف مذاهبهم بتبادل الزيارات ووجهات النظر ليكونوا قدرة حسنة لابناء الشعب ، كما قرر تنسيق الجهود المبذولة لتحقيق التقارب بين المسلمين فى جو يسوده الاحترام والتسامح بعيد عن الحقد والتعصب ليكون ذلك ممهدا للتعاون على البر والتقوى .

وقد اعلن العلماء المسلمون الاكراد تضامنهم مع اخوانهم العلماء المسلمين العرب فى شجب الحركة الانفصالية فى شمال الوطن ودعوا القائمين بها الى القاء سلاحهم فورا والاستجابة لنداء المؤتمر الاسلامي .



جانب من الحرم النبوى الشريف


كويت ١٩٦٥



السنة الاولى * العدد الخامس * جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ * سبتمبر ١٩٦٥ م



بشر الحافي يتحدث الى عامرة الجاريــة

اقرأ فى هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد الامام علي – كرم اللـه وجهه – بالنجف الأشرف ، وتظهر فى الصورة المنارتان والقبة وهي مغطاة بطبقة من الذهب .
(تصوير مجلة العربي)

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي – وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ – هاتف ٢٣٢٢٧



السلام عليكم

أحببت ان يكون حديثي معك هذا الشهر عن مجلتك ((الوعي الاسلامي)) بعد ان صدر منها اربعة اعداد ومضى من عمرها الطويل ان شاء الله اربعة شهور .

وحديثي معك هنا ليس حديث خيال او حديث امل ولكنه حديث حقائق جمعتها من الواقع الذى مر بنا خلال هذه الشهور الاربعة وما سبقها من شهور كنا نرسم فيها ونخطط ونعمل لاصدار العدد الاول منها ....

لقد كان فى ذهننا حينذاك ما تلقاه المجلات الاسلامية من رواج محدود لدى طبقة معينة من القراء وكانت الخبرة الطويلة التي مرت بنا فى الحقل الاسلامي والصحفى والاجتماعي تكاد تضع أيدينا على الاسباب التي تجعل هذه المجلات قليلة الرواج بالنسبة للمجلات الاخـــرى ..

واستعرضنا من جديد ـ هذه المجلات ـ ولم تكن غريبة عنا فأكثرها أسهمنا فى الكتابة بها ودرسنا اتجاهاتها وبحوثها واخراجهـا . وخرجنا من ذلـك كله بحصيلة وضعناها بجانب الهدف الذى نرمى اليه من اصدار مجلة اسلامية .

لم يكن الهدف مطلقا ان يقال ان الكويت تصدر مجلة اسلامية تزيد عدد هــذه المجلات ، وان وزارة الاوقاف بها تقوم بهذه المهمة ـ بل كان الهدف ان نصدر مجلة تغزو الاوساط التي لم تتعود على قراءة المجلات الدينية ـ ان نكسب نوعا جديدا من القراء ونجذبه الى الثقافة الاسلامية التي ظل بعيدا عنها او قليل الاكتراث بها ..

وكان هذا يقتضى منا ان نجعل المجلة تتفاعل مع النفوس ومشكلاتها على اختلاف مستوياتها ، وتعيش مع الناس فى أفكارهم وآمالهم ، وتعمق حبهم لدينهم ، وتصــل حاضرهم الذى يبنونه بماضيهم الذى يتغنون بأمجاده ، وتتصدى للوباء الوافد عليهم من الغرب والشرق ، وتقضي على جراثيمه لتحميهم من العدوى بها ، وتنزع من الافكار بعض الصور المشوهة التي علقت بالاسلام وهي دخيلة عليه ...

ولم يغب عن ذهننا بجوار ذلك ان اسلوب العرض والاخراج له تأثـير كبير على نفسية الناس فى كل شيء تعرضه عليهم .

وعلى هدى هذا كله سرنا فى اصدار المجلة ، وظهر العدد الاول منها وانتظرنا حكم القراء عليه ولم ننتظر طويلا حتى توالت علينا الرسائل وكلها تعتبر المجلة مفاجأة سارة جذبت انتباههم وانتزعت اعجابهم وتقديرهم .. وان كنا نحن من جانبنا لم نعده مطلقا كما حسبوه بل اعتبرناه خطوة على الطريق الصاعد الذى وطدنا العزم على ان نسلكه ونجتاز عقباته حتى نصل الى قمته ..

وجاءت الاعداد ـ الثاني والثالث والرابع خطوات كذلك على هذا الطريــق ـ شجعنا على خطوها عزمنا على الاجادة ، وخلوص النية فى العمــل ووضوح الرؤيــة للهدف . والتصميم الحازم على الوصول اليه .. بجانب ما سمعناه من تقدير وما وصل الينا من مئات الرسائل التي اعتبرت المجلة فتحا جديدا فى عالم المجلات الاسلامية .

ولأول مرة فى تاريخ المجلات الاسلامية بل وغير الاسلامية تنفد اعداد المجلة مـن القاهرة مثلا بعد اقل من ساعتين من ظهورها .

ولأول مرة تصلنا الرسائل بأنها تباع فى السوق السوداء بضعف ثمنها ، ويقابلني زميل فيشكو الي بأنه اشتراها يوم ظهورها فى القاهرة بعشرة قروش بعد أن تعب فى البحث عنها . وتنهال علينا مئات الرسائل تطلب العدد الأول منها ، وتتقدم شركة التوزيع تطلب كذلك اعادة طبعه استجابة لما تلقته من طلبات متعهديها فى الاقطار الاسلامية .

ولأول مرة فى مجلة اسلامية تضغط شركة التوزيع لزيادة المطبوع منها حتى وصل ما طلبته من العدد الرابع ضعف ما طبعناه من العدد الاول .

وحين سافرت للقاهرة وجدتها فرصة سانحة للدراسة على الطبيعة ، فمررت على اكشاك باعة الصحف بعد ساعتين من توزيعها فلم اجدها .. لقد نفدت سريعا ومن هنا ادركت السر فيما سمعته من كثيرين من أن المجلة لا تنزل للسوق ... انهم يتأخرون فى طلبها بعض الوقت فلا يجدونها .

وقابلني كثيرون وتلقيت محادثات هاتفية كثيرة وبعضها من قراء مثقفين ما كان من المعهود فيهم عنايتهم بالمجلات الاسلامية .. وكلهم يهنئون الكويت ووزارة الاوقاف على اصدار هذه المجلة ويطلبون ما صدر منها من اعداد حتى يحتفظوا باعدادها كاملة .

وكان مما اثر فى نفسي حقيقة محادثة من قارىء أعـرف اسـمه لأنه من كبار الموسيقيين فى الاذاعة والتلفزيون يرجو الحصول على العدد الاول .. ولم املك امـام هذه الروح الجديدة الطيبة الا أن اعده به . فكان فرحه بهذا الوعد اضعاف سروري بهذا الطلب .

انها اذن الروح الاسلامية الاصيلة الظامئة للمعرفة والثقافة الاسلامية . انه الوعي الاسلامي المتفتح الذى رأى فى مجلة الوعى ضالته وصورته . انها القوة الاسلامية الكامنة فى هذا الشعب المسلم الذى يحتضن العمل الجاد المثمر ويباركه وينميه .

لقد قلت فى افتتاحية العدد الثانى « اذا كانـوا يقولون ان حماس الجماهـير للخطيب يلهب مشاعره فيزداد ابداعا وايقانا فان اقبال القراء على المجلة يلهب كذلك نشاط كتابها والقائمين عليها ويضاعف من جهودهم ليقدموا لك فى كل عدد من خلاصة افكارهم ما يسرك ويرضيك » .

ونحن نحمد الله على هذا التجاوب الطبيعي الذى قضى على اسطورة عدم رواج المجلات الدينية او عدم اهتمام الناس بها ، ونرى من واجب الوفاء للوعد الذى قطعناه والهدف الذى رجوناه ان نضاعف نحن وحضرات السادة الكتّاب من الجهود المبذولة لتكون المجلة دائما ميدانا للبحث العلمي الجديد الهادف ، ومنارا للعاطفـة الاسلامية الصادقة .. والله وحده هو الموفق والمعين .

رئيس التحرير

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدني

ألفاظ حرفت معانيها

ألفاظ كثيرة حرفت عن مواضعها ، وفهمت على غير وجهها ، وما زال أهل العلم ، وأرباب الحصافة والفهم ، فى جهاد مع الناس فيها يجادلونهم عنها ، ويردونهم الى الله ورسوله فى شأنها ، ولكنها مع ذلك تجاوزت الينا القرون بعد القرون ، حتى كأن احدا من المسلمين لم يعلم علمها ، ولم يكشف عن مواطن الزيف فيها . ذلك بأن الحلف المعادى للاسلام من الجهل والكيد والفتنة واعجاب كل ذى رأى برأيه قد وقف للمسلمين بالمرصاد ، وأرجف عليهم بخيله ورجله ، وما بثه من روايات مدخولة ، وآراء مأفونة ، وما حرص عليه من بلبلة الأفكار ، وزلزلة العقول ، وافساد الحقائق بالأوهام ، فطالت المعركة بين الحق والباطل ، وتعددت ميادينها ، وكانت الحرب فيها سجالا بين المصلحين والمفسدين ، فى كل شعب ، وفى كل زمان .

* فمن ذلك لفظ « الايمان » .

ان بعض الناس يظنه ذلك الاذعان السلبي الصامت الذى لا يكلف صاحبه عملا ، ولا يبعث فى قلبه خشية ، ولا يؤثر فى خلقه تهذيبا ، ولا يدعوه الى مشاركة فى بر ، أو معاونة على اصلاح أو خير ، انما قصاراه فى نظره أن يؤدى صور العبادات المفروضة ، ويحرص على المظاهر الجوفاء ، ويتشدق بكلام أهل التقى والصلاح ، ويرائي بالغيرة أحيانا ، وبالعبرة أحيانا ، ولا يبدو الا فى زى الصالحين ، وسمت المتقين !

يظن بعض الناس أن مثل هذا الايمان مقبول عند الله ، موصل للنجاة ، وهم يتلون الكتاب ، ويعرفون ما وصف الله به عباده المؤمنين فى كثير من آياته .

فالقرآن يعرف المؤمنين مستيقنين غير مرتابين، ويعرفهم مجاهدين صابرين، ويعرفهم أصحاب رأى ، وأهل غيرة على المجتمع ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويعرفهم متحابين لم يفسد قلوبهم الغل ، ولم تفرقهم الأهواء ، ويعرفهم أقوياء بالحق « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » ويعرفهم خاشعي القلوب، غير مستكبرين على أمر الله « اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » ويعرفهم حراصا باقامة الصلاة على توطيد صلتهم بربهم ، وبايتاء الزكاة على تحصين كرائم اموالهم ، ويعرفهم بغير ذلك من أوصاف الخير والبر التي لا صلاح الا بها ، ولا استقامة الا عليها

« اولئك هم المؤمنون حقا » فى نظر القرآن « وأولئك هم المفلحون » .

* ومن الناس من يخطىء فى فهم « بركات الايمان » حين يقرأ مثل قوله تعالى « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » ويظن أن الله يحابي قوما من خلقه لمجرد انتسابهم للايمان ، ويخذل فريقا من خلقه لمجرد أنهم منسوبون الى الكفر ، وقد أصيب المسلمون من جراء هذا الوهم الذى سيطر على كثير من العامة فى مختلف الشعوب ، بمصائب جمة ، حيث سهل عليهم أن يفرطوا فيما أمروا به من أخذ الأهبة ، واعداد العدة ، والتمسك بأسباب القوة ، اعتمادا على ما يسمونه « الأمل فى وجه الله » و « الثقة فى نصره للمؤمنين » ، حتى لقد حدثنا التاريخ أن شعبا من المسلمين كان يستغيث من شدة الاعداء ببركات الأولياء ، وأن قوما آخرين قابلوا صولة عدوهم الضارى ، بالاجتماع لقراءة البخارى !

هذا مع أنهم أيضا يتلون كتاب الله ، ويعلمون منه أن للنصر اسبابا وللخذلان أسباباً ، وان سنة الله فى خلقه جارية على أن يربط بين الأسباب ومسبباتها ، ولذلك أمرنا بأن نكون أقوياء لنرهب عدو الله وعدونا ، والا نتنازع فنفشل وتذهب ريحنا ، وأن نذكر الله ليذكرنا ، وننصره لينصرنا ، « اذكروني اذكركم » « وأوفوا بعهدى أوف بعهودكم » « ولينصرن الله من ينصره » .

هذه وأمثالها تعاليم القرآن ، ووصاياه التي يزجيها لأهل الايمان ، ولكن الناس مع هذا متأثرون بما زيف عليهم من أقوال ، وخيل اليهم من أوهام ، ولو كان من مقتضيات الايمان ـ كما يزعمون أن نهزل وأعداؤنا جادون ، وأن نكتفي بالآمال الحمقاء وأعداؤنا عاملون ، وأن ننتظر خوارق السماء ونحن عما سخره الله لنا فى الأرض معرضون ، لما كان الايمان ـ وحاشاه ـ الا نكبة يختص بها المؤمنون .

*** ومن الكلمات التي حرفت عن مواضعها كلمه « الصبر » .**

لقد ذكر الصبر فى كتاب الله عز وجل اكثر من تسعين مرة، عرف الله فيها عباده بثمراته الطيبة وما له من عاقبة حسنة ، فى الدنيا والآخرة ، وأنه أساس من أسس الدين ، وينبوع لكثير مما سواه من الأخلاق الفاضلة ، والصفات الشريفة .

فما هو الصبر ؟

أهو الاستسلام والخضوع وقبول النكبات والمصائب قبول الترحيب والرضا ؟

أهو الركود والبلادة والاقامة على الضيم ، والاذعان للخسف ؟

كذلك تصوره الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وكذلك صوروه للناس ، فرضي الفقير بفقره باسم الصبر ، ورضي المريض بمرضه باسم الصبر ، ورضي الذليل بذله باسم الصبر ، ورضي المظلوم بظلمه باسم الصبر .

والشعوب وما أدراك ما الشعوب ؟ لقد أضلوها السبيل فعلموها أن جور أهل الجور قضاء وقدر ، فيجب أن يصبر عليه ، وأن ظلم أهل الظلم مظهر من مظاهر التأديب الالهي ، فعليهم أن يتقبلوه بالرضا ، وأن الفقر والغنى قسمة ونصيب لا فكاك منهما ، ولا ارادة لأحد فيهما ، وهكذا أضعفوا الهمم ، وثبطوا العزائم ، وأدخلوا فى روع الناس أن الصبر واليأس مترادفان .

فهل هذا هو الصبر الذى يعرفه القرآن ؟ وهل يمكن أن يكون الله تعالى قد أراد هذا المعنى حين أمر عباده بالصبر ، وأثنى عليه ، ورغب فيه ، وضمن حسن عاقبته ، وأعلن أنه يحب أهله ، وأنه سيوفيهم أجورهم بغير حساب .. الخ ؟

لا ورب البيت ! فما كان الصبر الذى يعرفه القرآن ، ويأمر به منزل القرآن ، الا خلقا عمليا ، يهدى الى الأعمال الصالحة وتقوى به النفوس المؤمنة .

ان الصبر حقا هو مجاهدة النفس وحبسها عن الضجر والتبرم ، ولكن مع اطراد العمل والسعي وعدم الانكماش والانكسار ، ولذلك كان الصبر هو المعنى الباطن فى كثير من الأخلاق العلمية ، والصفات الايجابية وان عبر عنها بأسماء أخرى .

فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد .

والجود هو الصبر على بذل المال والمعروف .

والكتمان هو الصبر على المثيرات والمحفظات .. وهكذا .

ان الانسان بالصبر يكون شبيها بالآلة القوية المتينة الصنع ، الأصيلة فى مادتها وتركيبها ، اذا اعتراها خلل لم تسارع بالوقوف والتعطل ، ولكنها تقاوم بقوتها ، وتستمر فى عملها ، وتحتمل .

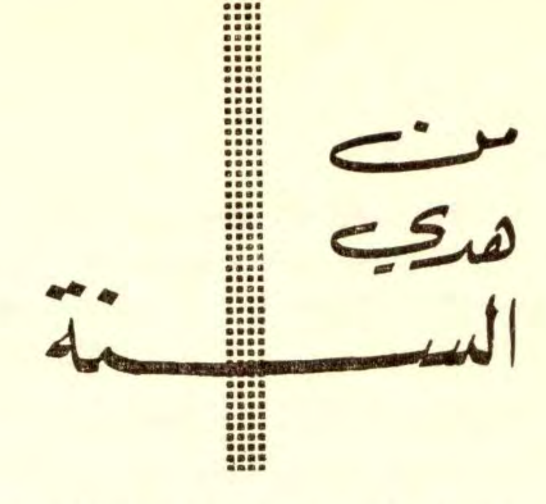
أما تلك الآلة الضعيفة الخفيفة الضئيلة الرخيصة التي تتعطل لأوهى الأسباب ، وتقف عند أول احتكاك فما أشد تفاهتها ، وما أشبهها بذلك الانسان الذى لا يعمل ، ولا يثمر الا اذا كانت الحياة على ما يحب من الاستقامة والاطراد ، وهيهات أن تستقيم الحياة أو تطرد على ما يحب الناس ولو كانوا من الأنبياء المرسلين ، أو من الأتقياء الصالحين .

وقد قص الله علينا قصة داود وجالوت حين احتربا ، وكان « جالوت » على الباطل و « داود » على الحق ، فلما رأى اصحاب داود ما عليه جالوت وأصحابه من القوة والكثرة ، وقال قائل منهم « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله وهم الصابرون على أمر الله الماضون لما ندبهم اليه « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين » .

لم تهلهم الكثرة الساحقة ، ولم تذهلهم القوة التي تبدو ماحقة ، ولم يتعللوا بعدم التكافؤ فيعودوا من حيث أتوا ، ناكصين على أعقابهم ، ملتوين عن قصدهم ، ولكنهم مضوا فى طريقهم عالمين أن القوة انما هي قوة الأرواح لا قوة الأشباح ، وأن القلة المتماسكة ، خير من الكثرة المتفككة ، وأن الله مع الصابرين ، وبذلك انبعثوا ،فلم يكن صبرهم رضوخا ولا استسلاما ، وانما كان شجاعة واقداما «ولما برزوا لجالوت وجنوده» لم يغتروا ، ولم ينسوا ربهم ، ولم يغفلوا عن تقوية أنفسهم بدعائه ، والاعتماد على قوته ومعونته ، والتوثق بنصره وتأييده ولكن « قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة » وكذلك يجزى الله الصابرين .

هذا هو حظ الايمان والصبر من تحريف المحرفين ، ولا نكاد نعرف لفظا من الألفاظ الاسلامية التي أرادها الله للناس خيرا ورشادا واصلاحا ، الا وقد أصابه مثل هذا التحريف : التقوى ، التوكل ، الزهد ، الصلاح ، القضاء ، القدر ، بركات الطاعة ، شؤم المعصية ، التعبد بتلاوة القرآن ، الاستشفاء بآيات القرآن ، الرقي ، التعاويذ ، الاستخارة ، التوسل ، التبرك بالأولياء .. الخ .

كل هذه ألفاظ ذات حقائق فى الشريعة تتفق وما جاءت به من عقائد صحيحة ، وأحكام راشدة ، ولكن الناس حرفوها عن مواضعها ، ولعلي أوفق ان شاء الله الى تحريرها فى الحين بعد الحين ، وبيان الحق فيها بيانا يشفي صدور المؤمنين ، وبالله التوفيق ، ،



لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد

العلم والعلماء

محمد موكرن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(طلب العلم فريضة على كل مسلم) * .

١ : ــ العلم النافع هو أفضل مطالب العقلاء ، وأجل ما يقصد فى هذه الحياة ، اذ هو غاية الغايات لحاملي مشاعل النور الذين يضيئون بجهادهم مسالك الدنيا ، ويطهرون دروبها مما يعوق السير فيها الى الأهداف الكريمة والغايات النبيلة التي تخدم الانسانية ، وتمضي بها قدما الى السمو والكمال .

وطلب العلم فى الاسلام ليس نافلة ولا امرا كماليا ، بل هو فرض وضرورة ، ضرورة الغذاء والشراب والهواء ، ولهذا نرى الرسول الكريم يصرح بذلك تصريحا لا مجال فيه للتأويل فيقول صلوات الله عليه : طلب العلم فريضة على كل مسلم .

٢ : ــ وللعلم رجال أفنوا أعمارهم فى طلبه ، واقتحموا المصاعب فى سبيله ، ودافعوا كل العوائق سعيا وراء تحصيله، جابوا كل فج ، وخاضوا كل لج ، أولئك نخبة من البشر ايقنوا أن للعمر حدا لا يعدوه، وللأجل نهاية يقف عندها، فاغتنموا كل فرصة ، واستغلوا كل لحظة منذ أن عقلوا ، ولم يثنهم عن مقاصدهم الحميدة معوق مهما عظم ، .. بذلوا النفس والنفيس حتى أربوا على المقصد ، وضربوا أروع المثل للجهاد العلمي الخالص من علائق المنافع الشخصية التافهة ، فذوت أجسادهم وذبلت ، فى الوقت الذى قويت فيه عقولهم واستقامت ، فعظمت آثارهم وخلدت .

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

٣ : ــ وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم على العابد ، فعن أبي أمامة الباهلى، قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان احدهما عابد والآخر عالم فقال « فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم » ثم قال صلى الله عليه وسلم « ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت

---

* وزاد شراح الحديث « ومسلمة » وهي داخلة فى الخطاب دون حاجة الى النص كما هو الشأن كثيرا فى الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة .

ليصلون على معلم الناس الخير » وفى حديث رواه الامام احمد والترمذى وأبو داود وابن ماجــه والدارمى ، يقول رسول الله صلى الله عليــه وسلم « .. وان العلماء ورثة الأنبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » ومـن حديث رواه الامام مسلم فى صحيحه « .. ومن سلك طريقـا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم اللهفيمن عنده، ومن بطأبهعملهلميسرع به نسبه ».

٤ : ــ وقد وعى التاريخ أسماء كريمة لفحول العلمـاء ذوى الهمم القعســاء فى الدرس والتحصيل ، ومن هؤلاء الذيـن ارغموه على أن يفتح لهم أوسع أبـوابه ليلجوا خالدين ما دامتالسموات والأرض تتناقــل الأعصر أخبارهــم وتتدارس الرجال آثارهم . أئمة الفقه والتشريـع فى الاسلام(١) الذين دونت ثمار عقولهم فى مجلدات ومجلدات ، وعاش على فتات موائدهم العلميــة ألوف وألــوف ممن جاءوا فى الأعصر التالية لعصورهم .

وفى مجال الحديث الشريف الحافظ ابن أبي حاتم ، فقد قدم القاهرة ليتلقى عن شيوخها ما عز عليه تحصيلهفىمسقط رأسه فمكث فيها عشرة أشـهر كاملـة لم يجد خلالها وقتا يهيىء فيه لنفســه طعاما خاصا ، وكان يطوف نهـاره على وعاة ما حضر من أجله ، ويسطر ليلـه ما حصل من علومهم . وقد رحل أبـو ايوب الأنصارى من المدينة المنـورة الى عقبة بن نافع فى مصر ليروى عنه حديثـا واحدا ، ولما قدم مصر ترجل عن راحلته ولم يفك رحلها فسمع الحديث وقفـل راجعا الى المدينة ، وكـان سـعيد بن المسيب يسير الأيـام والليالي الطـوال فى طلب الحديث ، وكذلك كان يفعــل الامام البخارى .

٥ : ــ وروى عن الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا فى تاريخه الذى أملاه بنفسه أنه لم ينم عن مذاكرة العلم ليلــة كاملة منذ عقل ، ولم يملأ نهاره بسوى تدوين ما درس ، وكان يقول « لازمت العلم ، وكنت كلما أتحير فى مسألة أتــردد على الجامع وأصلي ، وأبتهل الى مبدع الكون حتى ينفتح لي المنغلق ويتيسر المتعسر ، وأرجع بالليل الى دارى وأضــع السراج بين يدى ، وأشتغل بالقراءةوالكتابة ، واذا اخذني النوم أحلم بالمسائل بعينها حتى ان كثيرا منها اتضحت لي وجوهــه في المنام ، ولم أزل كذلك حتى استحكمت لي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان البشرى » .....

وأما العالم ابن رشد فلم يترك النظر والقراءة منذ شب عن الطوق الا ليلــة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله !! .

٦ : ــ ولم يقتصر طـلاب العلـم على البحث عنه فى مواطن نشأتهم بل استقلوا ظهور المطايا وضربوا آباط الابل الى مظان وجود شيوخه الاعلام ، وما عم العلم ولا انتشر فى ربوع العالم الاسلامي فى عهوده الزاهرة الا برجال كبرت هممهم فى طلبه فساحوا فى بلاده ، ولاقوا العناءفىرحلاتهم القاسية الشاقة المضنية فى دروب غـير ممهدة وعلى ظهور دواب بطيئة السير ، ومن هؤلاء الأفذاذ أولي القوة والأيــد أسد بن الفرات وأبو الوليد الباجي وأبو بكر بن العربي وابــن خلدون وياقــوت الحموى وغيرهم كثيرون .

٧ : ــ وطالمـا سـعد هؤلاء واثلجت صدورهم واطمأنت قلوبهم حـين تغلبوا على معضلة علمية ، وكلما ارتقوا درجـة فى سلم المعرفة الانسانية ومنهم القائل :

سهري لتنقيح العلوم ألــذ لي
من وصل غانية وطيب عنـاق

وأين وصل الغـواني وطيب العنـاق الذى تتخلـف عنــه الحسرات والآلام وتتجرع النفس بعــده غصص الفـراق

البقية على ص ٢٣

(١) منهم الامام جعفر الصادق وابي حنيفة ومالـكوالشافعي واحمد رضي الله عنهم جميعا .



موقف

أخـذ كثير مـن باحثي الفرنجة على الاسلام أنه أباح الرق ، وأنه بذلك قـد أهدر آدمية طائفة مـن بني الانسـان ، وجردهم من جميع مظاهر الحرية المدنية ، فليس للرقيق أهلية فى مباشرة العقود ، ولا تحمل الالتزامات ، وليس له الحـق فى التملك ، بل ان القانون لينظر اليـه هو نفسـه على أنـه ملك لغيره بالمعنى الحقيقي الكامل لكلمة الملك .

وردنا علـى هؤلاء يتلخص فى ثـلاث نقـاط : أولاهـا أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تكتنف العالم فى العصر الذى ظهر فيه الاسلام كانت تحتم على كـل شـارع حكيم أن يقر الرق فى صورة ما ، وتجعل كل محاولة لالغائـه الغاء سريعا مرة واحدة أمرا مقضيا عليه بالفشل والاخفاق .

والثانية أن الاسلام لم يقر الـرق الا فى صورة تؤدى هي نفسها الى القضـاء عليه بالتدريج .

والثالثة أن الشريعـة الاسـلامية لم تهدر آدمية الرقيق ، ولم تجرده مـن جميع الحقوق المدنية كما فعلت الشرائع الأخرى السـابقة لهـا ، بـل اعترفت بانسانيته ، وأبقت على كثير من حقوقه .

١ : ــ فقد ظهر الاسلام فى عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الانتـاج فى معظم شـعوب العالم . فلم يكن من الاصلاح الاجتماعي فى شيء أن يحاول مشرع تحريمه تحريما باتا مرة واحدة ، لأن محاولة كهذه كان مـن شـأنها أن تعرض أوامـر المشرع للمخالفة والامتهان . واذا أتيـح لهـذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به ارغام العالم على تنفيذ ما أمر به فانه بـذلك يعـرض الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدى تشريعه الى أضرار بالغة لا تقل فى سوء مغبتهـا عما تتعرض له حياتنا الحاضرة اذا ألغي بشكل فجائي نظـام البنـوك ، أو حظر استخدام العمال ، وقضى على كل مالك أن يعمل بيـده ، أو استخـدام السكك الحديديـة . أو استخـدام البخـار . فالرقيق كان بخار الآلة الاقتصادية فى تلك العصور .

٢ : ــ لذلك أقر الاسلام الرق ، ولكنه أقره فى صـورة تؤدى هي نفسـها الى القضاء عليـه بالتدريج بدون أن يحدث ذلك أى أثر سيىء فى نظـام المجتمـع الانساني ، بل بدون أن يشعر أحد بتغير فى مجـرى الحيـاة . والوسـيلة التي ارتضاها للوصول الى هذه الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة . وهي تتلخص فى العمـل على تضـييق الروافد التي كانت تمد الرق ، وتغذيه ، وتكفل بقاءه ، وفى توسـيع المنافذ التي

بقلم الأستاذ الدكتور
علي عبد الواحد وافي

من نظام الرق

تؤدى الى العتق والتحرير . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بجدول كثرت مصباته، وانقطعت عنه موارده التي يستمد منها الماء . وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف . وبذلك كفل الاسلام القضاء على الرق فى صورة سلمية هادئة، وأتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئا فشيئا من هذا النظام .

٣ : – وفى انتظار جفاف هذا الجدول لم يترك الاسلام الرقيق تحت رحمة القوانين القاسية التي كان يسير عليها نظامه، والتي كانت تهدر آدميته، بل استبدل بهذه القوانين قوانين أخرى تفيض بالعطف عليه، وتحترم انسانيته، وتمنحه كثيرا من الحقوق المدنية نفسها .

هذا هو مجمل موقف الاسلام من الرق . وسنبين فيما يلي كل ناحية من نواحي هذا الموقف بشيء من التفصيل .

مصادر الرق فى الجاهلية

أولا : – موقف الاسلام حيال روافد الرق . كانت روافد الرق فى العصر الذى ظهر فيه الاسلام كثيرة متنوعة يرجع أهمها الى سبعة روافد . أحدها الحرب بجميع أنواعها، فكان الأسير فى حرب خارجية أو أهلية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق .

وثانيها : – القرصنة والخطف والسبي، فكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب فيضرب عليهم الرق، ويباعون بيع الرقيق .

وثالثها : – ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والزنا والسرقة، فكان يحكم على مرتكبها بالرق لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجني عليهم أو أسراتهم .

ورابعها : – عجز المدين عن دفع دينه، فكان يحكم عليه بالرق لمصلحة دائنه .

وخامسها : – سلطة الوالد على أولاده فكان يباح له فى حالة عوزه وعسرته أن يبيعهم بيع الرقيق .

وسادسها : – سلطة الشخص على نفسه، فكان يباح للمعوز أن يتنازل عن حريته ويبيع نفسه لقاء ثمن يفرج به أزمته .

وسابعها : – تناسل الرقيق، فكان ولد الجارية ذكرا كان أم انثى يولد رقيقا ولو كان أبوه حرا، ولو كان أبوه السيد نفسه .

وكانت هذه الروافد تقذف كل يوم فى تيار الرق بآلاف مؤلفة من الأنفس حتى ان عدد الأرقاء كان يزيد فى كثير من الأمم زيادة كبيرة على عدد الأحرار .

الاسلام يضيق مجال الرق

جاء الاسلام وروافد الرق على هذه الكثرة والغزارة والقوة ، فحرمها جميعا ما عدا رافدين اثنين وهما . رق الوراثة وهو الذى يفرض على من تلده الأمة ، ورق الحرب وهو الذى يفرض على الأسرى . وعمد الى هذين الرافدين نفسيهما فقيدهما بقيود تكفل نضوب معينهما بعد أمد غير طويل .

فمن أهم القيود التي قيد بها رق الوراثة أنه استثنى منه أولاد الجوارى من أسيادهن . فقرر أن من تأتي به الجارية من سيدها يولد حرا ، ويلتحق نسبه بالسيد . واذا لاحظنا أن الغالب فى أولاد الجوارى أن يكونوا من مواليهن أنفسهم ، لأن الأغنياء ما كانوا يقتنون الجوارى الا لمتعتهم الخاصة ، تبين لنا أن هذا القيد الذى قيد به الاسلام رق الوراثة ، وانفرد به من بين جميع الشرائع السابقة له ، كفيل بالعمل على جفاف هذا الرافد نفسه ونضوب معينه بعد أمد غير طويل .

ومن أهم القيود التي قيد بها الرافد الثاني وهو رق الحرب أنه استثنى منه الذين يؤسرون فى حرب بين طائفتين من المسلمين ، فقرر أن هؤلاء لا يجوز أن يضرب عليهم الرق سواء أكانوا من الطائفة الباغية أم من الطائفة الأخرى . أما الحروب التي تنشب بين المسلمين وغيرهم فانها لا يمكن أن تؤدى الى استرقاق من يؤسرون فيها بحسب قواعد الاسلام الا بشروط كثيرة من أهمها أن تكون الحرب شرعية أى يجيزها الاسلام وتنفذ وفق قوانينه ويعلنها خليفة المسلمين . وحتى مع توافر هذه الشروط فان الاسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر ، بل يبيح للامام أن يمن على الاسرى بدون مقابل ، أو يطلق سراحهم فى نظير فدية . بل ان القرآن قد تحاشى أن يذكر الرق من بين الأمور التي يباح للامام أن يعامل بها الأسرى ، واقتصر على ذكر المن والفداء ، فقال تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » . وفعل الرسول عليه السلام فى غزواته يدل على أنه كان يؤثر المن أو الفداء على الاسترقاق .

ومن هذا يظهر أن الاسلام قد سلك حيال رق الحرب المسلك نفسه الذى سلكه حيال رق الوراثة . فقد قيده بقيود تكفل القضاء عليه . فهو لم يجعله نتيجة لازمة للحرب ، بل جعله مسلكا من المسالك التي يصح أن يتخذها الامام . ولم يرغب فيه ، بل رغب فى غيره وفضله عليه . هذا الى أنه لم يجز الالتجاء اليه الا بشروط لا تكاد تتوافر الا فى الحروب التي اضطر اليها الاسلام فى مبدأ ظهوره . أما بعد استقراره وتنظيم العلاقات بين أممه والأمم الأخرى فيندر أن تتوافر هذه الشروط ـ ومعنى هذا أن الاسلام لم يبح هذا النوع من الرق الا لأجل معلوم .

هذا ما فعله الاسلام حيال روافد الرق ـ قضى عليها جميعا ما عدا رافدين اثنين ، وقيد هذين الرافدين بقيود تكفل نضوب معينهما بعد أمد غير طويل .

الاسلام يفتح ابواب الحرية

ثانيا : ـ كانت منافذ العتق قبل الاسلام ضيقة كل الضيق ، فلم تكن له الا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى فى تحرير عبده . فبدون هذه الرغبة كان مقضيا على الرق أن يظل هو وذريته راسفين فى أغلال العبودية أبد الآبدين . هذا الى أن معظم الشرائع كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده الا فى حالات خاصة وبشروط قاسية وبعد اجراءات قضائية وطقوس دينية معقدة كل التعقيد . وبعضها كان يفرض على السيد ، فضلا عن هذا كله ، غرامة مالية كبيرة يدفعها للدولة ، لأن العتق كان يعد تضييعاً لحق من حقوقها .

جاء الاسلام وهذه حال العتق فى ضيق منافذه وقسوة شروطه . فحطم كل هذه

القيود ، وفتح للرقيق أبواب الحرية على مصاريعها ، وأتاح لتحريرهم آلافا من الفرص ، وتلمس للعتق من الأسباب ما يكفى بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل .

فجعل الاسلام من أسباب العتق أن يجرى على لسان السيد ، فى أية صورة لفظ يدل صراحة على عتق عبده ، حتى لو كان مكرها أو هازلا أو غير قاصد له أو فاقدا لرشده بفعل الخمر وما اليها من المحرمات فى رأى كثير من فقهاء الاسلام . ومن هذا يظهر أن الاسلام يتلمس أوهى الأسباب لتحرير الرقيق .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يجرى على لسان السيد فى أية صورة لفظ يفيد « التدبير » أى يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده . فبمجرد أن تصدر من السيد عبارة تفيد هذا المعنى تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يأتي السيد من جاريته بولد . ففي هذه الحالة يعتبر الولد حرا من يوم ولادته ويلتحق نسبه بالسيد كما تقدم بيان ذلك ، وتصبح الأم نفسها مستحقة للحرية بعد وفاة سيدها .

ومن أسباب العتق فى الاسلام كذلك أن يكاتب السيد عبده أى يتفق معه على أن يعتقه اذا دفع له مبلغا من المال . وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من العبيد وسائل الحصول على المال فى صورة تدل أوضح دلالة على شدة حرصه على الحرية . فأباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار ، فيبيعوا ويشتروا ويتاجروا ويعقدوا العقود ويتملكوا العقار والمنقول، حتى يستطيعوا أن يجمعوا المبالغ التي كوتبوا عليها فتحرر رقابهم . وحث جميع المسلمين على مساعدتهم ، فقال تعالى « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ويدل ظاهر القرآن فى هذه الآية على أنه لا يصح للسيد أن يمتنع عن قبول المكاتبة متى أبدى العبد رغبته فى تحرير نفسه لقاء مبلغ يدفعه . وقد سأل ابن جريج عطاء بن أبي رباح فقال « أواجب علي اذا طلب مني مملوكي الكتابة أناكاتبه ؟ » فأجابه بقوله « ماأراه الا واجبا » واستدل بالآية الكريمة السابقة .

وفضلا عن هذا كله ، فقد عمد الاسلام الى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء التي يكثر حدوثها وجعل كفارتها تحرير الرقيق . فبينما كانت الجرائم فى الشرائع السابقة للاسلام تؤدى الى استرقاق الأحرار اذا بها تصبح فى شريعة الاسلام مؤدية الى تحرير العبيد . فجعل الاسلام تحرير الرقيق تكفيرا للقتل الناشيء عن خطأ وما فى حكمه ، وللحنث فى اليمين ، وللافطار العمد فى رمضان بدون عذر ، ولمراجعة المرأة اذا أوقع عليها زوجها ظهارا بأن قال لها أنت علي كظهر أمي أو عبارة من هذا القبيل ، على ما هو مبين فى مؤلفات الفقه الاسلامي وما ورد بصدد ذلك فى القرآن الكريم(١) .

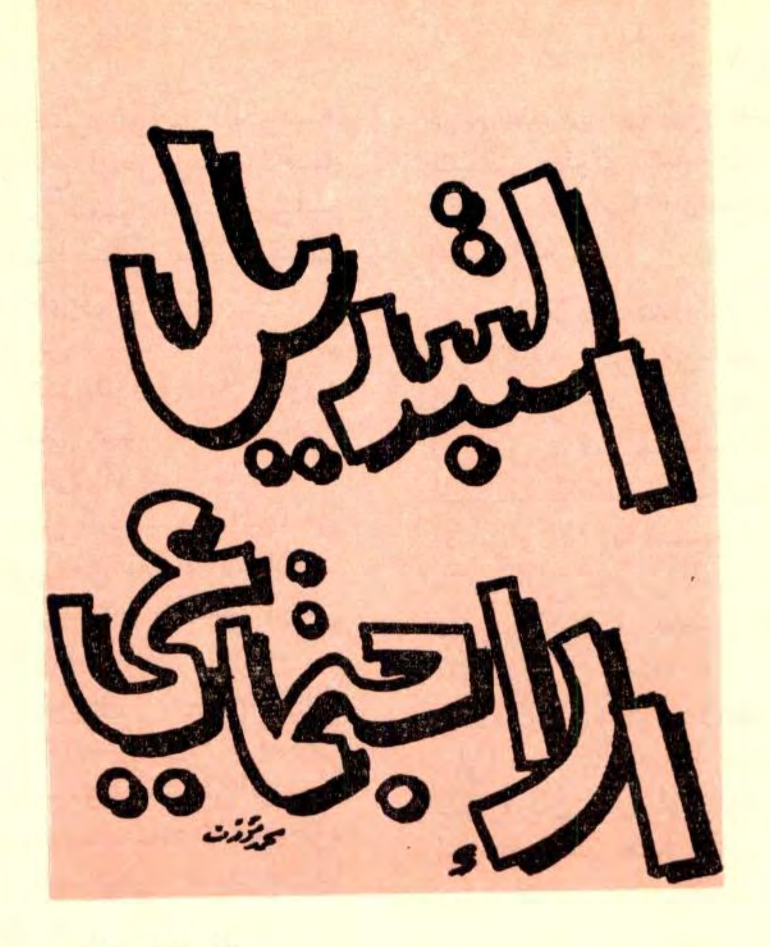
وبجانب هذا كله حبب الاسلام الى الناس تحرير الرقيق وجعله قربة يتقرب بها المؤمن الى الله تعالى، حتى ان الرسول عليه السلام ليضرب به المثل فى جلال العمل وعظم الأجر ، فيقول « من فعل كذا فكأنما أعتق رقبة » أو « يكون ثوابه عند الله ثواب من أعتق رقبة » .

دور الدولة فى تحرير الرقيق

ولم يكتف الاسلام بهذا كله ، بل خصص كذلك سهما من مال الزكاة ، أى جزءا من ميزانية الدولة الاسلامية ، للانفاق على تحرير العبيد وتخليصهم من الرق ومساعدة من يحتاج منهم الى مساعدة فى سبيل تحريره كالمكاتبين ومن اليهم ، فقال تعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب » أى فى فك

البقية على ص ٣٤

(١) انظر مثلا آية ٩٢ من سورة النساء ، وآية ٨٩ من سورة المائدة ، وآية ٣ من سورة المجادلة .



بقلم الاستاذ محمد الحسناوى

المجتمع الاسلامي هو التجسيد المادى للاسلام فى الصحة والاعتلال . ولما كان الاسلام مثلا أعلى فى الكمال والصحة ، ولما كانت الشبهات التي تثار حول الاسلام ، والحملات التي تجيش ضده ، وانحسار ظله الحقيقي عن ثغوره ، والحيف الذى حاق به عبر التاريخ .. انما يرجع اكثر ذلك الى المسلمين أنفسهم ، الى الذين هانت نفوسهم ، وانشقت عصاهم بجهلهم لدينهم ، وانصرافهم عنه ، وجمودهم على رسوم جوف لا تغني ولا تسمن من جوع ، ولا تدفع ظلما ولا تبني مجدا ، فضلا عن أن تقيم حضارة جديدة ، وتسعد انسانية ، ولما كان اهتمام الدعاة الأكبر الى يومنا هذا منصرفا الى عرض الاسلام روحا وفكرا وتشريعا وتاريخا .. لهذا كله ـ وجب الالتفات الى المجتمع الاسلامي الحديث ، لتيسير تطبيق الاسلام وبناء مجتمعه الأمثل على أسس راسخة وتخطيط واع .

ميزة الحركات الاسلامية

وهذا لا يعني أن المسلمين ، بما فيهم العاملون ، قد غفلوا عن المجتمع تماما ، بل ان الميزة الأولى للحركات الاسلامية فى عصر النهضة هذا .. هو ذلك الاحتفال المتعاظم بالاصلاح الاجتماعي ، والاهتمام الواضح بأحوال المسلمين فى شرق الأرض وغربها ، لكنه اهتمام الجريح بالجريح تأسيا وتسلية ، لا اهتمام المغيث بالمستغيث على الأغلب ،

لاعتبارات كثيرة (١) . ومن نافلة القول أن نشير الى أن الاستعمار ودوائر استخباراته وحركات التبشير على وعي تام ومعرفة كاملة بالمجتمع الاسلامي واتجاهاته وظروفه وثغراته ، وعلى أساس من هذا الوعي والمعرفة يتلاعب الاستعمار والتبشير والصهيونية بمجتمعاتنا ومقدراتنا واتجاهاتنا ايما تلاعب(٢) . فلا أقل من أن نعرف أنفسنا بقدر معرفة أعدائنا بنا .

طريق الاصلاح

أما دراسة المجتمع الاسلامي لاصلاحه ، فليست بالأمر السهل ، ولكن الذى يسهل الدراسة شق الطريق واقامة الصوى والسير الحثيث المستقيم . وأول مرحلة موضوعية من مراحل الدراسة التعرف على الشيء المدروس تعرفا أوليا واضح المعالم والأبعاد ، وحسبنا ما عانى العاملون من الخوض فى المجتمع على غير هدى كالخابط فى الظلام أو الحارث فى البحر ، وهل وعظ بعض الوعاظ وخطب نفر من الخطباء الا من هذا القبيل ؟

ان احدنا اذا دعي الى قيادة سيارة ، ولم يكن قد مارس قيادتها من قبل ، يجد نفسه بحاجة الى معرفة أجزائها وأجهزتها وأساليب توجيهها ، ان لم نقل بحاجة الى دورة تدريبية عليها . هذا اذا كانت السيارة سليمة صالحة للسير ، فهل يعرف الداعية المسلم مجتمعه مثل هذه المعرفة ، وهل مر بدورة تدريبية على فن الدعوة والاصلاح والتربية ، مع العلم أن السيارة آلة جامدة لا تعصي قائدها ما أمرها ، على حين أن تكوين الانسان الفرد أكثر تعقيدا وأشد مراسا ، فكيف بالمجتمع الذى هو مجموعة أفراد ومجموعة صلات متشابكة تزداد صعوبة وتعقدا فى أحوال الضعف والانحلال .

وان هناك نفرا من الناس ــ صالحين او طالحين ــ قادرون على التأثير البعيد فى المجتمع ، كاللاعبين المهرة فى لعبة الشطرنج . وما مخطط الشطرنج الا مثل مبسط لمخطط المجتمع . فتبديل حجر بحجر قد يعني الفوز الباهر ، كما يعني الخسارة الفادحة ، وعلى قدر احاطة اللاعب بدور كل حجر وبموضعه وعلاقته بغيره سلبا وايجابا فى الحاضر والمستقبل .. تتحدد النتيجة . وكما أن المهارة فى فن من الفنون كلعب الشطرنج ترجع الى واحد من اثنين ــ الموهبة أو الخبرة المكتسبة ، ومثل ذلك التبديل الاجتماعي . لكنما مصير المجتمع لا يعلق ، ولا يجوز أن يعلق بظهور الموهوبين ، لأن خسارة شوط الشطرنج ليست كخسارة مجتمع بأسره . فالحريص على الفوز فى لعبة الشطرنج ازاء منافس ماهر .. تراه يستعين بالأنصار والمشيرين فاذا الكثرة تغلب الشجاعة كما يقال . فلنتعرف على مجتمعنا ، ولنتبين سبلنا خلال شعابه ومفازاته .

عناصر المجتمع

ان المجتمع أى مجتمع كل يتألف من أجزاء ومن مجموعة علاقات وصلات متراكبة متشابكة تخضع لقوانين معتبرة على الرغم من صعوبة التقنين والتأويل

(١) انظر (الاسلام فى القرن العشرين) لعباس محمود العقاد . و (واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم) لابي الأعلى المودودى . و (حاضر العالم الاسلامي) لشكيب ارسلان ولوثروب ستودارد . و (المسلمون فى الهند) لأبي الحسن الندوى .

(٢) انظر كتاب (التبشير والاستعمار) لفروخ والخالدى . و (الاستعمار الفرنسي فى افريقيا السوداء) لفيليب فونداسي .

فى العلوم الانسانية (وتتلخص هذه العلاقات فى تفاعل فرد مع آخر أو مع الجماعة أو مع الثقافة القائمة ، وهو مؤثر فيها أو متأثر بها . هذا وتمتد هذه العلاقة الى تبيان أثر الجماعة فى جماعة أخرى ومدى تأثرها بها) (١) .

ولكي نتجاوز النظرة الكلية الى المجتمع خشية أن نصدم بشكل عام مبهم تنطبع عليه أوهامنا وتصوراتنا الخاصة المسبقة انطباع الناظرين الى بطاقات (رورشاخ) (٢) فنقع فيما وقع فيه نفر من المسلمين فتفاءلوا كثيرا ، أو تشاءموا فيئسوا فماتوا غيظا أو انقلبوا على الأعقاب . . علينا أن ننظر نظرات تحليلية احصائية موضوعية متفحصة ، ولنطبق منجزات علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي على مجتمعاتنا العربية والاسلامية ، فاذا مجتمعنا يتألف من فرد وأسرة وحي وقرية ومدينة وقطر ، كما يتألف من مؤسسات عامة وخاصة مثل مؤسسات التعليم والارشاد والاعلام والنقابات والنوادى والطوائف الدينية والعنصرية والقطاعات المدنية والعسكرية وما الى ذلك . واذا تركيب كل من هذه الأجزاء والمجموعات يختلف من واحدة لأخرى بحسب البيئة والثقافة والسلوك، فمنها البسيط والمعقد ، ومنها الوارد والشارد ، ومنها الصحيح والعليل ، واذا بنا نقف على تناقضات وعوالم طريفة كلما ازددنا بحثا وتمحيصا ، مع العلم أن غايتنا أبعد من غاية العالم الاجتماعي الذى يكتفي بالوصف والاحصاء والتقرير فنحن نمضي معه حيثما يمضي تمهيدا لوضع الحلول وتأليف تركيبات اجتماعية أصلح وأفضل بعد الافادة من معطيات المجتمع الواقعية وقوانين الاجتماع المضطردة .

وفى طريقنا سنصادف أنماطا شتى من السالكين اللابسين لباس الاصلاح عن حسن نية أو سوء طوية ، فالانقلابيون يعششون فى الجيش ، والانتهازيون يتهافتون على أبواب الحكام أو على أعمدة الصحافة وأجهزة الاعلام ، على حين يربض الاحتكاريون فى ميادين الاقتصاد ، والماركسيون فى الاحياء العمالية وأكواخ الفقراء ، فأين ميدان دعاة الاسلام بالضبط ؟

منهج الدعاة

الحق أن الاسلام رسالة عامة شاملة لا تنحصر بزمان أو مكان ولا بجنس أو فئة أو طبقة ، وواجب دعاته ايضاح ذلك ، وميدانهم هو المجتمع بأسره . المجتمع العربي والاسلامي أولا ، والمجتمع الانساني الكبير ثانيا . وهذه مهمة شاقة لا ينهض بها الا الرجال أولو العزم والقوة البريئون من الأغراض والمطامع ،الواهبون نفوسهم لله . فاذا كان المجتمع كله ميدانا للدعاة فهل يعني ذلك أن يعملوا على قلة العدد والعدة فى الجبهات جميعا ؟ أو يعني أن يختاروا بعض الميادين دون غيرها ، أو بعض الأساليب دون سواها ؟ والجواب على هذا السؤال يختلف من وطن الى وطن ، ويتأثر بامكانيات الدعاة من جهة وبظروف البيئة نفسها من جهة ثانية ، حتى اذا كانت البيئة متقلبة لا سيما من الناحية السياسية لزم تلاؤم العمل الاسلامي وكل ظرف جديد لا تلاؤم التبعية ولا تلاؤم الانتحار ، بل تلاؤم الذكي الذى يشق دروبه الوعرة بوعي وأناة ، فاذا انسد بعضها انطلق فى بعضها الآخر . يتيسر هذا التكيف الحي بسرعة للعاملين اذا كانوا على معرفة مسبقة بالعناصر التي يتركب منها

---

(١) من كتاب (علم النفس الاجتماعي) لفؤاد البهي السيد ـ ص ٧٧ . وانظر (علم النفس الاجتماعي) لأوتوكلينبرغ ترجمة الجمالي .

(٢) وهي بطاقات عليها بقع من (الحبر) غير محددة الأشكال يفسرها الناظر فيها تفسيرا معبرا عن نفسيته بشكل عفوى ، وقد يختلف تفسيره قليلا أو كثيرا عن ناظر آخر ، مما يخدم التحليل النفسي .

المجتمع وباحتمالات تبدلها عاجلا أم آجلا . وعلى الرغم من ذلك تضطرد أمور عامة ثابتة ، يحسن أن يفطن اليها الدعاة على اختلاف الأوطان منها ما يلي : —

١ : ــ ليذكروا أن عليهم اختيار ميادين اكثر جدوى وأبعد أثرا وأكثر ملاءمة لدعوتهم ، وبالمقابل ألا يغفلوا عن الميادين الأخرى التي يغزوها عدو خطير ، وليكن دور الاسلام فيها على الأقل دور الدفاع .

٢ : ــ المجتمع الاسلامي قد ابتعد عن الاسلام ببطء ، ولن يعود اليه بسرعة أو بطفرة أو بقسر أو بمغامرة ، بل بالتربية والاقناع ، سيما وأن الجيل المتقدم الذى نشأ على أصل معوج يصعب تقويمه ، وهذه المقدمات تسلمنا الى الاهتمام البالغ بالجيل الجديد الناشىء وبأجهزة التعليم ــ مناهج وأساتذة وطلابا للبناء ، وبأجهزة التوجيه والارشاد كالمساجد والنوادى الثقافية للدعم ، وبأجهزة الاعلام للتنشيط أو للدفاع على الأقل .

٣ : ــ رصد الفرص والمناسبات لخطوات اجتماعية واسعة ، ذلك لأن المجتمع على اتساعه وكثرة اجزائه وتعقيده يهتز ويتأثر بأدنى تبديل يطرأ على جانب من جوانبه كمثل الجسد الواحد ، أو كمثل كفتي الميزان . فالتحكم بالمناسبة المواتية ضرب من التحكم بدفة المجتمع بأسره . والعقبة الكأداء قد تصبح فرجا مفاجئا ، والقوة القاهرة قد تنقلب الى قوة صديقة بحسن تدبر . فالانسان القديم حين اعترض النهر سبيله ولم يقدر على اجتيازه ألقى بجذع شجرة يابسة على صفحته وركبها . والذى يداهمه ثور هائج فى مكان ضيق ربما حطم قرنيه بقفزة الى أعلى أو يمين أو شمال .

٤ : ــ التصدى لقضايا المجتمع الكبرى بعد استقراء مشاكل قطاعات المجتمع جميعا ، مثل الاستقلال والسلم والحرب ، والاقتصاد والدستور .

٥ : ــ تهيئة قادة اجتماعيين بالاصطفاء والاعداد للتخطيط أو للقيادة ، فرب فرد أغنى مالا يغنيه عدد كبير من الناس .

٦ : ــ مراقبة حركات الخصم ومواقعه (الاستراتيجية) لا سيما المدارس التبشيرية والصحافة المشبوهة، والتشهير الدائم بها .

٧ : ــ التوسع بالدراسات الاجتماعية لمعرفة نفسية الجماهير ، وتشكل الرأى العام،وصفات الزعيم ونفسية الجمهرة ، وحركات الجماعة ، وعوامل ازدهارها واندثارها .

٨ : ــ ليس المجتمع الاسلامي مادة غفلا أو بمعزل عن التيارات الخارجية بل هو كأى مجتمع آخر يتأثر بما حوله ، وهو كباقي مجتمعات آسيا وافريقيا النامية الواقعة ضمن دائرة نفوذ الحضارة الغربية .

٩ : ــ تبني الدعوة الى استقلال مجتمعاتنا عن مجتمع الحضارة الغربية فى العادات والمثل العليا والأخلاق حفاظا علىشخصيتنا ووجودنا ، وتمهيدا لانشاء حضارة جديدة أسمى من حضارة الغرب العرجاء .

ولعلي أخيرا أكون قد وفقت الى لفت نظر اخواني العاملين الى امر لم يغفلوا عنه كل الغفلة ولكنهم لم يقدروه حق التقدير ــ وهذا حسبي .



لفضيلة الشيخ
احمد الخميس

الزواج طمأنينة

عني الاسلام باظهار الاهداف الروحية من الزواج ، وقد جعلها الركائز التي يقوم عليها بناء الحياة الزوجية والدعائم التي تحقق الألفة والمودة ، وتتمثل فى سكون النفس مع اضطرابها الجنسي الفطرى بالحب بين الزوجين وتوسيع دوائر المودة والألفة بين العشيرتين بالمصاهرة واكتمال عواطف الحنان والرحمة الانسانية وانتشارها بين الزوجين لتنتقل الى البنين والبنات ، والى هذه المعاني الروحية يرشدنا تعالى بقوله ((ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) .

الصلة الجسدية

ومع هذا لم يغفل الاسلام الجانب الجنسي والعلاقة الجسديةبين الزوجين، فقد هدى بها الى أقوم سبيل ، وأرشد طريق ، لتحقيق أهداف حق الفطرة الفريزية ، وبذلك تجنب الانحراف والاعوجاج ، فقد كان اليهود والمجوس يبالفون فى التباعد عن المرأة حال حيضها ، والنصارى كانوا يجامعونها فى الحيض ولا يبالون ، وعرب الجاهلية تأثروا باليهود فى هذه الناحية ، فكانوا اذا حاضت المرأة لا يؤاكلونها ، ولا يشاربونها ، ولا يجالسونها على فراش ، ولا يساكنونها فى بيت ، لذلك توجه بعض المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم للسؤال عما يحل لهم وما يحرم عليهم فى معاملة الحائض فنزلت الآية الكريمة «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وفهم بعض الأعراب أن الاعتزال ألا يساكنوهن ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم لهم المراد من الآية وقال انما

أمركم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ، ولم آمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم ، فلما سمع اليهود ذلك قالوا هذا الرجل يريد ألا يدع شيئا من أمرنا الا خالفنا فيه .

واذا رجعنا الى الطب الحديث نجده قد كشف النقاب عما يوجد فى افرازات الحيض من مواد سامة تضر بالجسم اذا بقيت فيه،وكذلك كشف عن سر الاعتزال أثناء الحيض ، فالأعصاب التناسلية تكون فى وضع احتقان والأعصاب مضطربة بسبب افرازات الغدد الداخلية فالاختلاط الجنسي يضرها ضررا بليغا وربما كان سببا فى منع نزول الحيض ، وقد يكون سببا فى التهاب الأعضاء التناسلية .

وفى الآية تشبيه للقاح الجنسي بالانبات وان الغاية من الحرث والزرع هو الانتاج، وكذلك الغاية من اللقاح الجنسي هو التوالد والتناسل ، ومكان ذلك معلوم ، وما عداه فهو محظور ممنوع منهي عنه ، ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى الرجال عن اتيان المرأة فى غير المكان الطبيعي الذى أعد لذلك وقال لا تأتوا النساء فى أدبارهن ، وقال لعن الله من أتى امرأة فى دبرها ، وقال فى الذى يأتى امرأة فى دبرها هو اللوطية الصغرى .

حفظ اسرار الزوجية

وقد أثنى القرآن على المرأة التي تحفظ السر بالغيب فقال سبحانه « قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » وفى جملة الغيب الذى يجب أن تحفظه المرأة بل هو فى طليعة ذلك ما كان من أسرار الزوجية ، فلا يصح أن تذكره فى المجالس وتجعله مادة لسمرها مع صويحباتها ، وكذلك يجب على الرجل ما يجب على المرأة فى هذا المضمار من كتمان للسر وحفظ للحاجات والمتع الزوجية ، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم أقبل علينا بوجهه ، فقال : مجالسكم .

هل منكم الرجل اذا أتى أهله أغلق بابه ، وأرخى ستره ، ثم يخرج ، فيحدث ، فيقول : فعلت بأهلي كذا ، وفعلت كذا ؟ فسكتوا ، فأقبل على النساء ، فقال : منكن من تحدث فجثت فتاة كعاب على احدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسمع كلامها فقالت : أى والله انهم يتحدثون ، وانهن يتحدثن ، فقال عليه السلام : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟ ان مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة ، فقضى حاجته منها ، والناس ينظرون اليه .

وفى هذا التشبيه ما فيه من تحقير وازدراء لهذه العادة الخسيسة والحماقة الوضيعة .

المعاشرة الزوجية

عقد الزواج عهد وثيق ربط بين قلب الرجل وقلب المرأة ، وبذلك أصبح كل فرد منهما أليفا للآخر ، ويسمى زوجا بعدما كان فردا لأن كل واحد من الرجل والمرأة يمثل أليفه وخليله ، ويحمل بين ضلوعه وحناياه آماله وآلامه .

وقد صور القرآن الكريم قوة هذا الرباط بين الزوجين وعظمته فقال تعالى « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » وهو تعبير بليغ معجز يكشف عن مقدار الاندماج والستر والحماية والطهر والجمال الذى يحققه كل منهما لصاحبه، ومن أجل ذلك كان على كل من الزوجين حقوق وواجبات للآخر ينبغي تحقيقها والنزول عند رغباتها وأهدافها كما قال تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال علين درجة » وقد سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : ما حق زوجة أحدنا عليه قال : أن تطعمها اذا طعمت،وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح ، ولا تهجر فى المبيت . فلا يجوز للزوج المسلم أن يترك زوجته بلا نفقة وبلا كسوة ومسكن ، وفى

الحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ، ولا يجوز أن يضرب وجه زوجته لما فيه من اهانة واحتقار ومذلة للانسان مع ما فى ذلك من خطر جسيم على أجمل عضو فى الانسان ، فالوجه هو جماع محاسن الجسم البشرى وفيه حواس الذوق والشم والبصر .

واذا كانت الشريعة الاسلامية أجازت للمسلم عند الضرورة أن يؤدب زوجته الناشزة المتمردة الخارجة على بيت الزوجية وعش الحياة فهي لم تبح له مع هذه الضرورات ضربها ضربا مبرحا مؤلما يصيب وجهها أو مقاتلها ، وكذلك لا يجوز للمسلم أن يهين زوجته بأن يؤذيها بلسانه ، ويسمعها مر الكلام كأن يقول لها قبحك الله ، وما شابه ذلك أو شاكله من الكلمات الجارحات المؤذيات .

وللزوج كذلك على المرأة حقوق ، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد فى الدخول الى بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج منه وهو كاره ، ولا تطيع فيه أحدا ، ولا تعتزل فراشه ، ولا تضربه اذا كانت أقوى منه جسدا ، وبذلك تسعد فى حياتها ، ويرضى عنها ربها ، وتكون لها الدرجات العلى .

سياسة البيت

وعلى المسلم أن يصبر على زوجته اذا رأى منها ما يكره من تصرفاتها العاطفية ، فالمرأة سريعة الغضب سريعة الانفعال سريعة الرضى ، ويجب أن يذكر حسناتها وما تقوم فيه من الخدمة المنزلية وتربية الأبناء وادخال السرور على الجميع فى حالات الرضى ، و فى الحديث لا يفرك (لا يبغض) مؤمن مؤمنة ان سخط منها خلقا رضي منها غيره .

وقال تعالى « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » وكذلك أوجب الاسلام على المرأة أن تسترضي زوجها ، وتدخل عليه السرور والسعادة ، وتكون معه فى أزمات الحياة ، وحذرها من أن تدع زوجها يبيت وهو غاضب عليها ، وفى الحديث ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤسهم شبرا رجل أم قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصادمان (متخاصمان) .

وطالما أن الرجل سيد البيت وقطب الرحى وهو محور لسعادة الأسرة ونقطة ارتكازها فعلى المرأة ان تطيعه أولا فان تمردت ، وعصت ، وخرجت عن طاعته فسدت الشركة ، واضطربت سفينة المنزل وقد تغرق طالما تسير بدون ربان وبدون قيادة .

واذا لاحظ الزوج على زوجته آثار النشوز ومظاهر العصيان والتعالى ، فعليه أن يحاول اصلاحها بما يقدر وبما يستطيع من صبر وأناة وكلمات طيبات ومعاملة رقيقة فان لم تنجح هذه المعاملة فى اصلاحها هجرها فى المضجع فان لم تفد هذه التجربة القاسية عمد الى تأديبها بالضرب غير المبرح ، وهو علاج قد يجدى احيانا فى بعض النساء ضعيفات المعرفة والعقل ، ومع هذا الذى اباحه الاسلام فنجد أن الضرب غير مرغوب فيه فهو الضرورة القاسية والعلاج الأخير الذى لا يعمد اليه الا بعد أن تعجزه الحيلة ، وينفد الصبر ولات مناص ، فقد نفر الرسول من الضرب فقال : يضرب احدكم امرأته ضرب العبد ولعله ان يجامعها آخر اليوم فان لم تنفع جميع هذه الوسائل فعلى المجتمع الاسلامي أن يتدخل وعلى أهل الرأى والخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ان يتدخلوا للاصلاح فيبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها لعل الله يوفق بينهما .

وفى هذا كله قال تعالى « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا . وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » .

وتباريح الفصام وعظم الوزر ، من ذكر حسن لا يبلى وخلود ما تعاقب الجديدان لعالم اكتشف حقيقة كونية أو أزاح النقاب عن خبيئة علمية استعصت على غيره فاهتدى بها الحائرون وسار على ضوئها المدلجون واطمأن فى حماها الحيارى والتائهون ؟ .

٨ : ـ واقتضت حكمة مبدع السموات والأرض وخالق الليل والنهار اختلاف الميول وتباين الاتجاهات فى طلب العلوم ، وتفاوت الاستعداد لها ، ومن هنا نشأت الفنون المختلفة والصنائع الكثيرة وتعددت أنواعها لينتظم أمر الحياة ، وتتوافر وسائل السعادة فيها .

ومن أروع الأمثلة التي رواها التاريخ لسادة من العلماء نسلوا من أبوين ، وشبوا فى بيئة واحدة ، ودرجوا فى جو واحد ، ومع هذا اختلفت ميولهم الى أنواع العلوم ، فسبق كل منهم فى العلم الذى صادف هوى فى نفسه ، ووجه اليه همته ، وألقى فيه دلوه .. أبناء الاثير الثلاثة نصر الدين الذى برع فى الأدب وتحرير الرسائل وهو صاحب كتاب (المثل السائر) . فى الوقت الذى جلى فيه اخوه محمد مجد الدين فى الحديث وعلومه وألف كتاب (النهاية فى غريب الحديث) وكتاب (جامع الأصول فى أحاديث الرسول) . وأما ثالثهم فهو الامام الذى لا يشق له غبار في الفراسات التاريخية وتفصيل أحوال الأمم .. مؤلف كتاب (الكامل فى التاريخ) ذلكم العلم الشامخ هو علي عز الدين ... وسبحان من خالف الميول لينتظم أمر الكون ... وفى عصرنا نجد من الاسرة الواحدة المتخصص فى الطب والبارع فى الهندسة ، والمتعمق فى العلوم البحتة وتلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

٩ : ـ ومن الصفات التي لازمت العلماء العاملين ، ويجب أن يتسم بها كل باحث عن الحقيقة هي خلة الامانة واحترام السابقين مهما كانت درجتهم العلمية ، وقد أحسن كثيرا ابن مالك النحوى المشهور بألفيته التي سار بها الركبان ، حين أثنى فى مقدمتها على سلفه فى نفس العلم فقال فى ابن معطي .

وهو بسبق حائز تفضيلا ... مستوجب ثنائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة ... لي وله فى درجات الآخرة

ولو ذهبنا نستقصيهم واحدا واحدا ، ونسجل دلائل أمانتهم وشديد حرصهم على تنقية العلوم من الشوائب الدخيلة لطال المقام ، والأمثلة فى الماضي والحاضر كثيرة لمن يطلبها .

وأخيرا

فانا نأمل أن ينسج أبناؤنا على منوال السابقين فيقبلوا على الارتشاف من مناهل العلوم الصحيحة بهمم وثابة ، وعزائم قوية ، ورغبة صادقة ومثابرة لا تنقطع وقرائح نقادة ، نفاذة الى اللباب الخالص فقد قيل... (العلم لا يعطيك بعضه الا اذا أعطيته كلك واذا أعطيته كلك فأنت من اعطائه البعض على خطر) . فاطرقوا ـ معاشر الابناء ـ أبواب العلوم بقوة وعزم يبلى الملوان وهو صارم صقيل ، واحرصوا على تحصيله حرص البخيل على درهمه ، حرصا لا يشفى الفليل معه الا أن تفترفوا من العلوم وتعبوا من أنهارها بكأس دهاق ، ففوصوا على دررها ولآلئها ، ولا تدعوا وعورة المسلك تحول بينكم وبين أهدافكم وبلوغ غاياتكم ، ولا تتهيبوا طول الطريق وبعد الشقة فلولا الصعاب والعقبات ما برز الرجال ولا لمعت بالتاريخ أسماء ، فالحرص الحرص على ما ينفع أمتنا ، بل الأمم جميعا ، فما كان ولن يكون العلم ملكا لقوم دون آخرين ، ولا وقفا على جماعة دون جماعة ، وبالجد والصبر والكفاح تخصب بلادنا وتنتج عبقريات ممتازة ، كما هي منذ عصور الاسلام الأولى منابت الخالدين ، ومطالع القادة فى كل ميدان .

وما سمت الانسانية ، ولا تقدمت الدنيا ، ولا قطعت الحضارة أشواطها البعيدة فى سبيل المعرفة الحقة الا بالعلم وجهود العلماء ، وما اكثر ما حث القرآن الكريم ورسول الله الهادى الأمين على التأمل والبحث حتى تنتشر الهداية فى الدنيا ، ويأخذ الناس طريقهم الى الله عن معرفة ويقين مصدرهما البرهان والاستدلال فاعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم ومن سار على الدرب وصل ... والله سبحانه هو الهادى الىسواء السبيل .

يا ابنة الشرق

للاستاذ ابراهيم محمد نجا

سافرى .. حولكِ المُنَى البسّامه ... ثم عُودِى .. مصحوبةً بالسّلامهْ
يدرك المجدَ من يشمّر للمجـ ... ـد ، فيمضى على هدىً واستقامه
واغترابُ النفوس حق عليها ... حين تبغى بين النجومِ إقامه
أنتِ أهلٌ لكلِّ مجدٍ عظيمٍ ... ورقىٍّ وعزةٍ وكرامه
عملٌ دائبٌ ، ونفسٌ طَموحٌ ... بالمعالى مشغوفة مستهامه
وذكاء تَوهّجَ النورُ منهُ ... فرأينا في نوره إلْهامَهْ
ونبوغٌ يهدى النفوسَ ، فلا تمـ ... ـلكُ الا تقديرَه واحترامَه
ومَضاءٌ في كل أمرٍ ، وحزمٌ ... ليس يلقى صعبا يفُلُّ حُسَامه
وخلالٌ مثل الربيع تجلى ... فكسا الكونَ رقةً ووَسامه
أوكشمس الصّباح تُشرِقُ بالنو ... ر ، فتجلو عن الوجودِ ظلامَه
أو كزَهْرِ الرياضِ يحلم في الليـ ... ـلِ ، ويُهْدِى في عطرِه أحلامَه
هكذا أنتِ .. بَلْ أجل وأسمى ... من قصيدى .. مهما أجدتُ نظامَه
فاعذرِينى اذا سموتِ عن الوصـ ... ـفِ ، فأوجزتُ بدءَه وختامَه
لو أفضْتُ الكلامَ فيكِ لأعجز ... ت قصيدى .. فلم أجد أنغامَه
فاقبلى صمتىَ البليغَ ، ففى الصم ... ـتِ على قوة الشعورِ علامَه

***

يا ابنة الشرق .. ياابنة النورِ والإشـ ... ـراقِ .. يا رمزَ مجدِه وقوامَه

« قيلت فى حفل وداع عائلي اقيم لسيدة شرقية مسلمة .. تسافر الى الغرب مع زوجها المسافر فى بعثة دراسية » .

حَدِّثى الغربَ أننا قد نَهضنَا   فملكنا من كل مجد زمامَه
وملأنا الأيام عزا ، وكانت   يوم هُنَّا ذليلةً مُسْتَضَامه
وجعلنا الاسلامَ أسمى شعارٍ   ورفعنا القرآنَ نورًا أمامَه
وحده يجمع الشعوب لتقوى   وله وحده تكون الزّعامَه
وبنينا بالعلم صرحا مكينا   وجعلنا الأخلاق فيه الدعامه
وملكنا من قوة الخير والاصـ   ـلاح ما يهدم القوى الهدامه
فاذا ما أراد حربا ... فحرب   أو سلاما .. فما نرد سلامه
نحن نبغى الحياة غصناً نضيرا   تتغنى على ذراه حمامه

***

يا ابنة الشرق ، والرحيل قريب   فاذكرى الشرق ، واذكرى ايامه
نحن في موقف يجل عن الوصـ   ـف ، ويقصى عن البليغ كلامه
نبصر البشر قائما يتغنى   ونرى الحزن ناشرا أعلامه
ولقد تبسم القلوب وتبكى   انما القلب .. دمعة وابتسامه

***

يا ابنة الشرق لا أقول وداعا   بل لقاء يعطى البعيد مرامه
سافرى .. حولك المنى البسامه   ثم عودى .. مصحوبة بالسلامه



كان المجتمع الانساني فى جزيرة العرب وما حولها قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعا مضطربا بعيدا عن الاستقرار والاعتدال والمثالية ، يقل فيه التعاون على البر ، والتناصر لمصلحة الجماعة . ويسوده التفكك فى صلة أبنائه بعضهم ببعض ، والانحلال فى الاخلاق والروابط ، وتتغلب على أفراده نوازع الأثرة وحب الذات : لا يعرف أكثرهم الا ما يرضى نفسه وحسه ، والا ما يشبع غرائزه الدنيا وعواطفه الفردية ويكثر فيه بغى القادرين على العاجزين ، وانتقام الأقوياء ممن دونهم ، وطغيان ذوى السلطان والنفوذ على من حرموا من ذلك . اعتزازا بمالهم من قوة أو جاه ، أو كثرة عددية ، أو عصبية قبلية .

كان الفرس والروم ـ وهما دولتا العالم المتنازعتان على سيادته اذ ذاك ـ تعمهما الفوضى ، وتسيطر عليهما الأهواء ، وتحكمهما الشهوات ، وتجرى بينهما المعارك التي يستهان فيها بالدماء والأرواح ، وتستباح فيها الأموال والأعراض والحرمات : كل واحدة منهما ترجو أن تكون هي الغالبة ، وأن تكون هي صاحبة الكلمة النافذة والراية الخفاقة على الارض ، ارضاء لشهوة ، لا نشرا لفكرة ، ولا دفاعا عن عقيدة .

مجتمع جاهلى

وكان العرب ـ بين هاتين الدولتين ـ امة قد وقعت بين أبنائها الفرقة ، واختلفت الكلمة ، وانحلت عرى الألفة ، وعزّ أن تخضع لمنطق أو تدين بقانون ، أو تعترف لأحد بسلطان تنقاد لنفوذه وتعمل على تثبيته . واصبح أبناء القبائل من أجل ذلك لا يعرف احد منهم لأحد حقا ، الا ما اثبتته القوة ، أو ما أملته العصبية أو النعرة الجاهلية .

كانوا ـ فى الأعم الأغلب من أحوالهم ـ متدابرين

للشيخ عبد العزيز محمد عيسى

متقاطعين قلما تقرب الرحم قلوب بعضهم الى بعض ، أو ينعطف الجوار باحسان أحد الى أحد . كانوا يتنادون الى السلاح أن سفه أحد رأى غيره ، أو غلبت فرسه فرسه فى سباق أو نحوه ، أو ذكر واحد بعض ما كان بين الأسلاف من ترات ومعارك ، وتدور بينهم الحروب السنين الطوال ، تهلك شبابهم وشيبهم،وتأتي على أخضرهم ويابسهم، لاحقر الأمور وأتفه الأسباب . وفيما حدثت به مصادر التاريخ مما كان فى حرب البسوس التي استمرت أربعين عاما والسبب قتل كليب بن ربيعة ، ناقة البسوس بنت منقذ ، ومما كان بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء ، وهما فرسا الرهان ، والسبب صد أحد الفرسين عن الغاية ليسبق الاخر ، ومما كان فى أيام معاركهم ووقائعهم كيوم بعاث بين الأوس والخزرج ، وغيره من أيامهم ما يشهد على ذلك ويفصح عنه .

وكانوا الى ذلك خاضعين فى حياتهم العامة والخاصة لأفكار رديئة ، أفقدتهم ارق العواطف الانسانية وأحسنها ، وحرمتهم آثارها الطيبة بالنسبة الى الأفراد والمجتمع ، وسلكت بهم سبلا بعيدة عن التهذيب والاعتدال . الم يكن من دأبهم الاندفاع للأخذ بالثأر فى غير عدل ولا عقل ، وحرصهم على ذلك مهما طال الزمن وتغيرت الاوضاع ؟ الم يكن فيما كان من تصرفاتهم المعيبة قتل أولادهم سفها بغير علم ، ووأد بناتهم خشيةعار متوهم وخوف املاق مظنون ؟؟

نعم كان العرب ـ بين هاتين الدولتين ـ كذلك وأكثر من ذلك زمنا تعاونت فيه ظروف الاحوال على تضييع معالم الرسالات السابقة وآثار هداية السماء . ثم شاءت حكمة الله تعالى ـ على حين فترة من الرسل ـ رحمة بعباده ، وسيرا بهم على الصراط السوى ، وأخذا بيدهم الى ما يريد لهم من الصلاح والخير : أن ينتشلهم من البلاء الذى تورطوا فيه ، وينقذهم من الآلام التي ألقوا بأيديهم اليها . فأرسل اليهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق . بكتاب عربى مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم .

فنادى فيهم كما أمره ربه : « يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » ، فآمنوا ، فنقلهم ذلك الايمان من صفات الشر التي كانوا عليها الى خلال الخير التي هداهم الاسلام اليها ، وأخرجهم من ظلمات الشرك والجهل الى نور التوحيد والمعرفة ، وأبدلهم من القسوة والغلظة وحب الانتقام وجمود العواطف ، رقة ورحمة ، ولينا ومودة ، وايثارا واخوة ، ليكونوا بذلك أسوة لمن عاصرهم ، ومثلا لمن يجىء بعدهم ، وليجعلهم خير امة أخرجت للناس ، وخير قدوة لمن أراد الاقتداء . ثم امتن عليهم بذلك فكان أبرز ما لفت الانظار اليه فى هذا الامتنان ما منحهم من صفة الاخاء : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

نعم جعلهم اخوانا متحابين ، بعد أن كانوا أعداء متحاربين، جعلهم أبناء مجتمع متعاون متكافل متضامن : يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، بل يحب له أكثر مما يحب لنفسه ، بعد أن كانوا ذوى أنانية وشح وأثرة ، ونبه فيهم عواطف الأخوة الانسانية ، وبواعث المودة واللين والرحمة ، بعد أن كانت عواطفهم غليظة قاسية ، لا تعرف أخوة ، ولا ترق لبنوة : ولا تخضع لانسانية .

ثم حدثهم القرآن عن أخوة الاسلام وما ينبغى لها ، ليظل معنى الاخاء آخذا



بأنفسهم ، ماثلا أمامهم متمكنا من حنايا صدورهم ، ولتكون أعمالهم وتصرفاتهم فى دائرة ما يحفظ هذا الاخاء وينميه ويعين عليه ويرعى بقاءه « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » . « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله . » « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » .

وحدثهم الرسول الأمين صلوات الله عليه عن هذه الأخوة فى المناسبات المتعددة حديثا مستفيضا موجها ، ليظلوا حرصاء عليها ، ممكنين لها ، ساعين فى تعزيزها ، راغبين فى تحصيل ثمارها ومغانمها : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » . « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره » . « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » . « من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » . « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . « المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل احداهما الاخرى » .

التشريع يدعم الاخاء

وجاءت تشريعات الاسلام فى عباداته ومعاملاته تؤكد معنى الاخاء ، وتعلنه ، وتقوى عاطفته ، وتحمل على رعايته والاعتزاز به .

فالصلاة تدعو اليه حين يحاذى بين المناكب فى صفوفها الحاكمون والمحكومون ، والواجدون والمحرومون ، والأقوياء والضعفاء ، والشباب والشيب ، لا حواجز ولا مراتب ولا درجات ، وتعلن عنه حين ينتظم الجمع خلف واحد منهم يقومون بقيامه ، ويركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ولا يخرجون من صلاتهم قبل خروجه .

ان هذا لمظهر رائع من مظاهر الأخوة يطامن من أنفس المتعالين ، ويلفت نظرهم الى تماثلهم مع غيرهم فى هذه الاخوة حينا بعد حين ، فيقربهم اليهم ، ويقبل بهم عليهم ، وهو فى الوقت نفسه يرفع من أنفس الاخوة الآخرين ، ويعلى من معنوياتهم حين يشعرهم بالتساوى مع أولئك الذين تحاول مظاهر الحياة الدنيا أن تبعدهم أو تبعد عنهم معانى الاخوة ، وتحمل الناس على نسيانها .

والصيام يعزز معناه ويبرزه ، حين يسوى فى فريضته بين العامة والخاصة ، والسادة والسوقة ، والرجال والنساء ، والأغنياء والفقراء . وينادى به حين يرى الكل أنفسهم سواء أمام فريضته ، وسواء أمام نظامه وأحكامه : لكل منهم أن يأكل ، ويشرب حتى يتبين له الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر . فاذا تبين ذاك كان الامساك فريضتهم جميعا الى الليل يستوى فى ذلك كل من لزمه الصوم ، ووجب عليه أداؤه . من العامة كان أو من أصحاب الجاه والسيطرة . لا يفتدى أحد منهم نفسه من ذلك بمال ، ولا يتميز على غيره بمنزلة أو سلطان .

والزكاة تعاون وتكافل واشتراك أو اشتراكية ينبعث عن هذه الأخوة ويجرى بَيْنَ الناس أثراً لها واستجابة لعاطفتها ودواعيها .

←

والحج يفصح عن ذلك ، وينادى بـه فى شعائره ومظاهـره : فى الاحـرام على طراز واحد ، والطواف حول بيت واحد ، والسعى فى مكان واحد ، والوقـوف فى صعيد واحد ، والرمى فى اتجـاه واحد ، والتلبية والدعاء على نظام واحد ، والتوجه بذلك كله الى اله واحد ، ليشعروا من ثنايا ذلك وهديه بمعنى الاخاء ، ويستجيبوا اليه ، وتـكون تصرفاتهم فى اطـاره وفى دائرة ما يحققه ، ويرفع من شأنه .

وفى جانب المعاملات ورد النهى عن أن يبيع الرجل على بيع أخيه حتى يتـرك البائـع قبله أو يأذن ، أو أن يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن . وروى الأئمة : « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفىء ما فى انائها ، فانما رزقها على الله » ولكل ما قدر لها ، ولو تتبعنا أنواع العبـادات والمعامـلات أو اكثرها لوجدناهـا تهدف الى تحقيـق معنى الاخاء ، وتأخذ الناس به ، وتحملهم عليـه .

وقد كان عمله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه خير ما يمكن فى هذا الشأن ، وأعظم قدوة يقتدى بها . تنفيذا للسياسة الاسـلامية الحكيمة فى اعلان شعار تجتمع الأمة حوله ، وتخير مبدأ قويم تلتقى عنده ، يربط بين قلوب أبنائها ، ويوجه الى هدفها المقصود ، ويدعو الى فكرتها السـامية ، ويبعد عنها معانى العصبية والجنسية واللونيـة والاقليمية . فكان ذلك هو الاخاء الذى أرسى دعائمه رسول الله صلى عليه وسلم منذ أن استقر فى المدينة المنورة ليجمع به كلمة المسلمين ، ويقضى به على كل خلاف كان أو يكون بينهـم على مـر السنين .

ولهذا آخى صلوات الله وسلامه عليه بين الأوس والخزرج مؤاخاة عامة ، وهما قبيلتا يثـرب الكبيرتـين المتنازعتـين ، المعروفتين بمعاداة كل منهما للأخـرى ، الى أن جاء الاسلام . كما آخى هـذه المؤاخاة العامة بين المهاجرين والأنصـار وهم أهل بلدين مختلفين ، لم يسـبق أن كان بينهما وفاق أو اشتراك فى خير . الى أن كانت هذه المؤاخـاة ، فكان مـن حسن تقبل الانصار لها ، وجميل تصرف المهاجرين فى أمرها ، ما جعلها المثل الاعلى فى الصلّات الانسانية ، وما جعل القرآن الكريم يشيد بها فى قوله تعالى : « والذين تبوُّوا الدار والايمان من قبلهم يحبـون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسـهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شـح نفسه فأؤلئك هم المفلحون » .

وزيادة على هذه المؤاخاة العامة . دعا رسول الله صلى الله عليه وسـلم الى التآخى فى الله : اثنين اثنين ، فكان هو وابن عمه علي بن ابى طالب أخويـن ، وعمه حمزة بن عبد المطلب ومولاه وحبه زيد بن حارثة الكلبى أخوين . وصدّيقه أبو بكر بن أبى قحافة وصاحبه خارجة ابن زيد الانصارى أخوين ، وعمـر بن الخطاب العدوى القرشى وعِتْبان بن مالك العوفى الخزرجى أخوين ، وسـعد بـن الربيع الانصارى وعبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى أخوين .

اباء وشمم

ويجمل بنا ونحن نتحدث عن الاخاء ، ونذكر ما كان من المؤاخاة بين سعد بـن الربيع وعبد الرحمن بن عوف أن نشير الى مـا روى البخارى فى شأنهمـا مما يتحدث عن الايثار فى أكمـل مظاهـره ، وعن علو الهمة ، وعدم اغتنام الفرصـة

→

التي قد يرنو اليها آلاف الرجال ، ترفعا بالنفس أن تكون كلا على غيرها .

ذلك أن عبد الرحمن لم يكن يملك بالمدينة أول مقامه بها مالا ولا غيره ، وأن سعدا كان من سراتها واصحاب الثروة فيها ، ومن اكثر الانصار مالا ، وقد عرض على عبد الرحمن نصف مالـه ـ على وفرته ـ يعطيه اياه طائعا مختارا دون بـدل أو عوض . كما عرض عليه ـ وفاء بحق الاخاء ـ أن يطلق من أجله احدى زوجتيه أو أعجبهما اليـه . حتى اذا حلت تزوجها . فأبى عبد الرحمن شاكرا داعيا . قائلا له : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، وطلب الى الحاضرين أن يدلوه على سوقهم فدلوه على سوق بني قينقاع : سوق المدينة اذ ذاك فأخذ يتردد عليه ، ويتابع الغدو والرواح اليه ، يبيع ويشترى ، مبتدئا ببعض أصناف الطعام ، ثم لـم يلبث كثيرا حتى صار من كبار التجار ، وأخذت رواحل تجارته وقوافلها تجوب نواحي الجزيـرة العربية بالسلع المختلفة ، وترجع اليه بالمال الوفير من كل جهة ، وأصبح من أغنياء المدينة ، يتزوج احدى بنات الأنصار ، ويمهرها وزن نواة مـن ذهب ، ويتصدق بنصف ماله ، ثم يتبع ذلك بأربعين ألف دينار من النصف الباقي له ، ثم يحمل للجهاد فى سبيل الله على خمسمائة فرس وخمسـمائة راحلة ، ثم يعتق عشرات الآلاف من الأرقاء شكرا للنعمة وابتغاء لوجه الله .

استطردت بالاشارة الى ذلك لألفت النظـر الى هذا اللون من الاخاء الذى بلغ هذا الحد مـن الايثار ، والى هذا اللون من الاباء والعزوف عـن ثروة غير منتظرة ، ونعمة غير مترقبة ، ترفعا بالنفس وعلو همة كانا طريقا قصـيرة ممهدة الى الغنى العريض والثروة الواسعة ، والعمل الكريم .

وأعود بعد ذلك الى هذه المؤاخاة الثنائية التي دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم وشـارك فيها . لقد أراد صلوات الله وسلامه عليه بهذا اللون من المؤاخاة أن يكون كل واحد من أبناء الامة عضوا فى خلية ثنائية متنقلة متكررة تبذل طاقاتها لصالح المجتمع ، وتعمل له ، وتسعى لخيره ، وتدرأ عنه الشر والفساد وعوامل السوء ، ولعله أراد أن يلفت نظر المسلمين بعد عصره اليها ، ليحققوا فى مجتمعاتهم ما حققته فى المجتمع الاسلامي الاول ، من اسعاد ابنائه ، واصلاح امرهم ، والترفيه عنهم ، وتحقيق التعاون بينهم على البر والتقوى . ولعل أبناء الامة الاسلامية الآن يحيون هـذه المؤاخاة الثنائية فى الله على نحو ما كانت يوم شرعها رسول الله ، ويتحلون بها ، ويحققون معانيها ، فيسعد بهم مجتمعهم ، وتنهض بهم أمتهم ، ويصبحوا يدا على من سواهم .

أخوة عامـة

وامعانا فى الدعوة الى الاخاء ـ شارة المجتمع الاسلامي وشعاره ـ نبه الاسلام أبناءه على الأخوة الانسـانية وزينهـا فى قلوبهم ، فبين لهم أن الناس سواسية ، وأنهم جميعا من جنس واحد : من سلالة من طين ، وأنهم يرجعون الى اصل واحد ، لا يفضل أحدٌ منهم فيـه أحدا : كلهـم لآدمَ وآدم من تراب . لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على عجمى الا بعمل ينفع المجتمع ويرفه عنه « يأيها النـاس انا خلقناكم مـن ذكـر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وجه الاسلام أبناءه الى هذه الأخوة الانسانية العامة ، ترفعا بهم عن معانى العصبية البغيضة ، وتقريبا للقلوب ، وليدفع عنهم سيطرة الغرائز الحيوانية الدنيا ، وما تدعو اليه من الأثرة والغيرة والشك ، وحب السيطرة والتغلب على المخالفين للمبدأ والفكرة ، وليحملهم بذلك على الاسهام فى ايجاد مجتمـع مثالى نظيف متعاون متكافـل ، يسوده العقل ، ويسيطر عليه العـدل ، وتصرف شئونه عواطف الخير والمحبة والانصاف ، ويتلاقى

الناس فيه على أنهم جميعا خلق اله واحد ، وأبناء أب واحد ، وأصحاب أهداف متقاربة ومصالح متشابكة .

ولعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى أقر الأسس وأوضح المعالم فى هذا الشأن حين جاء فى تعاليمه بالنسبة الى مخالفيه من أهل الكتاب : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وحين ترفع عن العنصرية فأجاز أكل ذبيحة الكتابى ، وأوجب قتل المسلم بالذمى . بل حين ترقى ، فأذن للمسلم أن يتزوج الكتابية ، مع تركها حرة فى بقائها على دينها ، واباحته لها أداء تكاليفه والتعبد على طريقتها فى كنيسته وحين وجه أبناءه عامة أن يترفقوا بهؤلاء ، ويحسنوا اليهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » .

هذا هو الاخاء كما يدعو اليه الاسلام وانه لمبدؤه الخالد ، وشعاره الواضح ، وعمل أهله الذى لا ينكر ، منذ ألف وأربعمائة عام ، وعلى امتداد هذا التاريخ الطويل ، دون ما تنكر له أو أغضاء من شأنه أو انحراف عنه او خروج على قواعد تطبيقه من جانبهم ، مع ترفع عن مقابلة الشر بالشر أو الاساءة بمثلها .

فأين من ذلك ما يزعمه الفرنسيون بعد أن قاموا بثورتهم المشهورة وما يتفنون به ويتغنى به كتابهم وذوو الأقلام فيهم من أنهم أصحاب مبدأ الاخاء ، والداعون اليه ، والمنادون به منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وقد عرف العالم كله ما لهم من فظائع تبطل دعواهم وتطعنها فى الصميم . وفيما كان من أمر البلاد التي شقيت بحكمهم لها واستعمارهم اياها ، وفيما خضبت به أرض الجزائر من دماء الشهداء : رجالهم ونسائهم وشبابهم وكهولهم ، على مدى سبع سنوات شداد ، بله ما سبقها ما يرد على هؤلاء الزاعمين ، ويسكت أصوات المتفنين .

وأين منه كذلك ما تتمدح به أرقى الأمم حضارة من اعلانها حقوق الانسان واحتفائها بذكرى هذا الاعلان كل عام ، وهي التي يقع تحت سمعها وبصرها وفى ديارها وفى البلد الذى اتخذته مقرا لها . ما يلقاه الزنوج على يد البيض من مطاردة ومقاطعة وتحقير ، وهم جميعا أبناء وطن واحد ، ودين واحد ، وجنسية واحدة ، وثقافة واحدة ، وحضارة واحدة .

ان المآسى المعروفة الناتجة عن قضايا الأجناس والالوان ، وقضايا سيطرة الاوربيين على من لا يزالون يئنون من وجودهم بينهم واغتصابهم حقوقهم وأموالهم ، وتدخلهم فى شئونهم وبلادهم ، وهم أبعد الناس عنا . ان هذه المآسي مخجلة لأمم الحضارة . دالة على نقص كبير فى عقول القائمين على أمرها والمصرفين لسياستها . وعلى أن غرائزهم ما تزال بعيدة عن معانى السمو ، ومعانى الانسانية العالية الرشيدة ، وأن علوم هذه الحضارة ومعارفها وكل ما أوجدته لم يهذبها التهذيب الحقيقي ، ولم يصقلها الصقل الذى يشعرها بالأخوة الانسانية ، اذ لم تصل بعد الى ما وصل الاسلام بأبنائه اليه فى مجتمعاتهم ، وفى البلاد التي افتتحوها ، منذ أكثر من الف عام ، وما تزال تلك طريقتهم والحمد لله .

أليس يحق لنا من أجل ذلك كله أن ندعو العقلاء على اختلاف نحلهم وعقائدهم أن يتدبروا بحق تعاليم الاسلام ، ويرجعوا الى هدى الاسلام ؟ ! انهم ان استجابوا حلوا جميع مشاكلهم وأصبحوا مع الناس اخوة متساوين فالاسلام وحده هو دين الاخاء .

خواطر
من هنا وهناك

وانا له لحافظون :

فى سنة ١٩٦٠ قامت العصابات الصهيونية بطبع الوف النسخ من القرآن الكريم ، بعد ان عمدت الى تحريفه وتزييفه ، فأسقطت منه بعض الآيات ، وغيرت فيه بعض الحروف والكلمات ، ثم قامت بتوزيعه فى كثير من الدول الافريقية والآسيوية بعد ان طبعت عليه الشعار الاسرائيلي المعروف .

وقد اثار هذا العمل الاجرامي يومئذ ثائرة المسلمين فى جميع أقطار الأرض ، وفزعوا له واحتجت الدول والهيئات الاسلامية فى العالم على هذا العدوان على كتاب السماء الوحيد الذى بقي سليما محررا الى يومنا هذا وتناقلته الاجيال عبر القرون الماضية نصا وأداء كما أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

وكان هذا الاجتراء على كتاب الله احد الاسباب التي دعت الجمهورية العربية المتحدة الى الاسراع فى تسجيل المصحف المرتل وطبعه وتوزيعه على اذاعات الدول الاسلامية وغيرها ... وكان هذا مظهرا من مظاهر الحفظ والصون التي خص الله بها هذا الكتاب العزيز ※ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ※ .. انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ※ .

وقد تناقلت الصحف فى هذه الايام نبأ مفاده انه نمى الى الدول العربية أن العصابات الاسرائيلية شرعت فى اعادة طبع المصحف المحرف الذى سبق ان قامت بطبعه فى سنة ١٩٦٠ .

وهذا العمل الخسيس الذى مرنت عليه اليهودية من قديم الزمان وسجله عليهم القرآن الكريم ※ فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ※ فبما نقضيهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ..

هذا التحريف والتزوير يؤكد للعالم كله ، لجميع الاجناس والشعوب، لجميع الملل والنحل ان الصهيونية بلاء عالمي يهدم القيم الروحية والمثل الاخلاقية ويهدد الانسانية بالتفسخ الديني والخلقي والاجتماعي ، ولا يتورع عن استخدام اسوأ الوسائل كالتحريف والتدليس والدسائس والمؤامرات والذهب والنساء لاشاعة الرذيلة وافساد الاخلاق .

ويؤكد مرة اخرى ان اليهودية المزيفة التي يعتنقها الصهاينة دين متعصب حقود يلعن الاديان كلها ويسعى لافسادها للتخلص منها .

ان اصرار الصهاينة على تحريف كتاب الله يؤكد ان القضية الفلسطينية ليست صراعا بين مليونين من العرب أخرجوا من ديارهم واموالهم بغير حق وبين مليونين من اليهود حلوا محلهم واغتصبوا ديارهم واموالهم ... ليست القضية قضية قطعة من الارض المقدسة اغتصبها هؤلاء من اولئك انما هي قضية عقيدة ، قضية دين ، قضية الاسلام الذى يعتنقة أكثرمن ستمائة مليون مسلم تسعى اسرائيل لازالته من الوجود بطمس حقائقه واطفاء نوره وماذا يبقى من الاسلام وماذا يبقى للمسلمين اذا حُرِّف كتاب الله . . يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فما يقول بعد هذا المسلمون الذين يريدون ان يصفوا القضية الفلسطينية على اساس الاعتراف بالامر الواقع مع مجرمين محترفين قطع الله الامل فى اصلاحهم ... أفتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

والى متى تستمر حملات السباب والمهاترات بين المسلمين واعداء الله الذين قاتلوا الانبياء منذ العصور الاولى يسعون جاهدين ليردوكم عن دينكم ان استطاعوا .. ؟

وقف الاعراس :

نشرنا فى هذا الباب من العدد الرابع تحت عنوان المدارس التبشيرية صورة من صور الخير المزيف ولونا منالوان البر المزور ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، ونعرض اليوم صورة مقابلة .. صورة مشرقة تمثل البر فى ارقى معانيه والمعروف بوجهه الحسن الوضاء ... صورة للعاطفة الانسانية الرحيمة كيف يسمو بها الاسلام الى مستويات مثالية تظل من يحيا فى محيطها بظلال حانية رحيمة .

وانا نستهدف من وراء نشرها ان تهتز اريحية مياسير المسلمين لامداد هذا النبع الصافى الذى كاد يجف بعد ان كان ثراراً يرده العافون من كل حدب وصوب .

وهذا النبع يتمثل فى نظام الوقف الخيري الذى شرعه الاسلام وأمده المسلمون السابقون بفيض اموالهم فقد كان كثير من اغنيائهم يجعل لله نصيبا مما رزقه يرصده للانفاق فى وجوه الخير العام لتشييد المساجد والمدارس واقامة المستشفيات ابتغاء المثوبة والقربة عند الله تبارك وتعالى ووفاء بحق المجتمع واداء للحقوق الواجبة له واسهاما مع الدولة فى تحقيق العدالة الاجتماعية لافراد الامة التي هو جزء منها وعضو فيها .

وقد تطورت الجهات الموقوف عليها تطورا كبيرا تبعا لاختلاف البيئات وتقدم الزمن وحاجة المجتمع . فبعد ان كانت الارض والعقارات تحبس على حفر بئر او سبيل للسقيا ، او على توزيع صدقات

البقية على ص ٩٦

بقية موقف الاسلام من نظام الرق

قيود الرق عن رقاب الرقيق . والمقصود بالصدقات فى الآية الزكاة التي كان يتألف منها أهم جزء من موارد الدولة . فبينما كانت الشرائع السابقة للاسلام تفرض على من يعتق عبده غرامة يدفعها الى الدولة ، اذا بالشريعة الاسلامية تخصص جزءا من ميزانية الدولة للانفاق منه على تحرير العبيد .

ومن هذا يظهر صدق ما قلناه من أن الاسلام لم يقر الرق الا فى صورة تؤدى هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج . وذلك بأن ضيق روافده، ولم يسمح ببقاء ما أبقاه منها الا لأجل معلوم ، ووسع منافذ العتق الى أبعد الحدود . وبذلك أصبح الرق كما قلنا أشبه شيء بجدول كثرت مصباته وانقطعت عنه موارده التى يستمد منها الماء . وخليق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره الى الجفاف .

الاسلام ينصف الارقاء

ثالثا : ــ موقف الاسلام حيال حقوق الرقيق ــ وفى انتظار جفاف هذا الجدول لم يترك الاسلام الرقيق تحت رحمة القوانين القاسية التي كان يسير عليها نظامه والتي كانت تهدر آدميته ، بل استبدل بهذه القوانين قوانين أخرى تفيض بالعطف عليه ، وتحترم انسانيته ، وتمنحه كثيرا من الحقوق المدنية نفسها .

فمن ذلك أن الاسلام قد أقر أن يكون للرقيق أسرة بالمعنى القانوني الكامل لهذه الكلمة ، وأباح للرقيق الذكر الزواج من أمة مثله ومن حرة ، وأباح للأمة الزواج من رقيق مثلها ومن حر ، بنفس الأوضاع والشروط والعقود التي يتزوج بها الأحرار ، فيما عدا اشراف السيد على عقد الزواج لعبده أو أمته . ويذهب الامام احمد بن حنبل أنه اذا كان الرقيق بالغا عاقلا فان السيد لا يملك اجباره لأنه يملك الطلاق فلا يجبر على النكاح .

وقد كانت الشرائع السابقة للاسلام لا تعترف لطائفة الرقيق بحق الزواج ولا بالحق فى أن تكون لهم أسرة بالمعنى القانوني الكامل . وكان الاتصال بين ذكورهم واناثهم لا يعتبر زواجا ، وانما كان يتم باختيار مواليهم وفى صورة يقصد منها مجرد التناسل وتكاثر عدد الرقيق كما يحدث بين الأنعام . وكان يحظر على الحر أن يتزوج أمة ، وعلى الحرة أن تتزوج رقيقا . بل ان معظم هذه الشرائع كانت توقع على الحرة التي تتزوج رقيقا عقوبة قاسية وصلت في بعض هذه الشرائع الى حد الاعدام (القانون الروماني مثلا) .

ومن ذلك أيضا أن الشريعة الاسلامية جعلت طلاق زوجة العبد من حقه هو نفسه لا من حق مولاه . فقد روى ابن ماجه فى سننه عن ابن عباس أنه قال . جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم رقيق وقال له . « يا رسول الله» سيدى زوجني أمته ، وهو يريد أن يفرق بيني وبينها » . فقال عليه السلام « أيها الناس ما بال أحدكم يزوج عبده أمته ، ثم يريد أن يفرق بينهما ؟ ! انما الطلاق لمن أخذ بالساق » . ويقصد بذلك أن حق الطلاق فى هذه الحالة لا يكون الا للزوج نفسه لا لسيده .

ومن ذلك أن الاسلام جعل الامان الذى يعطيه عبد مسلم من المقاتلين ملزما للجيش كله وواجبا احترامه كالأمان الذى يعطيه الحر سواء بسواء عملا بقوله عليه الصلاة والسلام « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم » وروى البلاذرى فى كتابه « فتوح البلدان » أن المسلمين قد حاصروا حصنا فى بلاد فارس حتى أوشكوا أن يفتحوه ، ولكن عبدا مسلما فى جيش المسلمين كتب من نفسه أمانا لأهل الحصن ، ورمى به اليهم فى سهم ، فكتب المسلمون بذلك الى عمر ابن الخطاب ، فكتب اليهم يقول « ان العبد المسلم من المسلمين ، ذمته كذمتهم، فلينفذوا أمانه » .

القلم إطانة

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

وصف الجاحظ الكتاب وصفا كاشفا مجليا ، لا نحسب أن احدا من الكتاب قد سبق « الجاحظ » او لحقه في الكشف عن تلك السمات المشرقة الوضيئة التي عرضها للكتاب فى هذا الوصف المستقصي والرائع معا .

« والجاحظ » بهذه الصورة الكريمة التي عرض فيها للكتاب ، وبهذا التصوير البليغ الدقيق له ـ قد فتح للكتاب طرقا كثيرة مستقيمة الى العقول والقلوب ، وجعل له فى الناس شهوة يتشهونها لكل متعة من متع الجسد ، أو رغيبة من رغائب النفس والروح ، فيجدون فى طلبها ، ويبالغون فى الحصول عليها .

ولا نكذب الواقع اذا نحن عزونا الى الجاحظ ، والى هذا الأثر الخالد الذى تركه فى وصف الكتاب بصفة خاصة ـ فضلا ظاهرا فى خلق تلك الحركة القوية الدائبة التي شملت الحياة الأدبية فى عصره ، والتي كان جمع نفائس الكتب واقتناؤها واستنساخها اللون الغالب فيها ، لا فرق فى ذلك بين الخاصة والعامة ، ولا الأدباء وطلاب الأدب . . وكان من ذلك ظهور تلك المكتبات العامة والخاصة التي عمرت بنفائس الكتب ، ومذخورات العلوم والفنون عند العلماء والأمراء والوزراء والقادة ، فضلا عن الخلفاء وأبناء الخلفاء ، وكان وصف الجاحظ للكتاب ـ على ما نحسب ـ هو الذى أغرى الناس باقتنائه ، وعده ذخرا كريما يكسب من يضمه اليه مجدا وشرفا ان يكن قد أعياه اطلاع منازل المجد والشرف ، على حين **يزداد به أصحاب الوجاهة والعزة وجاهة وعزة .**

ولا نريد أن نعرض هنا تلك الرائعة من روائع الأدب العربي الجاحظي في وصف الكتاب ، فهي أشهر من أن يدل عليها عند كل من اتصل بالأدب العربي من قريب أو بعيد .

ولكن الذى أريد أن أحدث لك منه ذكرا من أمر هذه الرائعة الجاحظية هو

أنها على ما ضمت عليه من آيات البلاغة وسطوة البيان لم تبلغ غاية الوصف الحق للكتاب .. فالكتاب شيء عظيم ، يقصر عنه كل وصف ، ويستخزى دونه كل واصف ، ولو كان الجاحظ فى بيانه المبين ، وبلاغته البليغة المشرقة ! .

ولا تعجل فترمي بكلمة « الغرور » اذ تحسب أننا نريد أن نتناول القلم من يد الجاحظ فنسطر به وصفا للكتاب خيرا مما سطر ، ونرسم به صورة للكتاب أحسن مما صور ، حتى نقيم من ذلك الوصف الذى قلنا ان الجاحظ لم يبلغ به ما ينبغي أن يوصف به الكتاب ! .

وكلا ، فما تحدثنا النفس بشيء من هذا أبدا ونحن فى مواجهة أدب الجاحظ ــ ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقرر أننا نجد بين أيدينا صورة للكتاب تقف منها الصورة الجاحظية موقف الحصا من الدر ، والتراب من الذهب ، والأرض من السماء .

ومهلا مرة أخرى ، ولا تلق بكلمة « الجهل » حين يكبر فى صدرك أدب الجاحظ ــ وهو أهل لأن يكبر وأن يعظم ــ فتقول وهل وراء بلاغة الجاحظ بلاغة ، وهل فوق بيانه بيان ؟ .

ولا نريد أن نعطيك الجواب على هذا ، فهو متروك لك تضعه ايجابا أو سلبا ، بعد أن نفرغ معا من هذا الحديث .

منزلة القلم فى القرآن

ذكر القرآن الكريم « القلم » في موضعين منه .

المرة الأولى .. فى أول آيات استفتح بهن الوحي الالهي الرسالة الاسلامية « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .. فهذه الآيات الكريمات هن أول دفعة من دفعات غيوث الرحمة التي تنزلت من السماء .. هدى ورحمة للعالمين .

وأنت ترى أن أول كلمة من كلمات السماء تقدمت هذا الموكب العلوى الالهي هي كلمة « اقرأ » ولواحقها ، ثم تلتها كلمة « خلق » وتوابعها ، ثم كلمة « علم بالقلم » ... فالقراءة ، والخلق والتعليم بالقلم هن طلائع هذا النور الالهي ، وهن رائدات هذه الحملة السماوية المرسلة من رب الناس الى الناس ، وما في محاميلها الا الخير والرحمة والنور .

والقراءة لا تكون الا من كتاب ، والكتاب لا يكون الا مما يسطر ويخلق القلم !

وكما خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء بالكلمة « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وكما خلق جل شأنه الانسان ، وأنشأه على تلك الصورة الكريمة .. من علق .. من نطفة .. من ماء مهين كذلك يخلق الانسان بالقلم الذى وضعه الله تعالى في يد الكاتبين من عباده ، وأقدرهم على التصرف به ــ كلمات سويات الخلق ، تخلقن من رؤى ، وخواطر ، وأمشاج مختلطة من الرؤى والخواطر .. فكنّ علما ، وكنّ حكمة ، وكنّ أدبا !

ولا تنظر الى علم اللسان ، وما تتحرك به الشفتان فهو من وراء علم القلم ، ومن جنى ثمره ، وداني قطوفه .. اذ أن علم

القلم هو العلم الذى يمسك بأحسن معطيات العقل وأكرمها .. انه العلم الذى يأتي عن روية ،وتدبر ، وتفكير .. انه العلم المنخول المتخير الذى يتخلى عن الرأى الفطير الذى لم ينضج ويتجاوز سقط الكلام وسفسافه ، ولا يرضى من صاحبه ان يمسك به الا على حذر واشفاق من أن يخط بيمينه ما يسجل عليه الحماقة ، والسخف والجهل ، ففي ذلك عار الدهر ، وسبة الأبد ، وخزى الوالد وما ولد ! اذ أن ما يخطه القلم من زين أو شين ، وما يسطره من حسن أو قبيح هيهات أن تمحوه الأيام ، أو تذهب به السنون .

القلم عصمة لصاحبه

ان القلم هو عصمة لصاحبه من كثير من الهفوات والسقطات والعثرات ، وما عثر صاحب قلم مرة الا كان عثاره بلسانه أضعاف ذلك مرات ومرات .

وقد يبدو القلم عند كثير من الناس أنه مجرد أداة عاملة متحركة فى يد الكاتب بلا تقدير ولا حساب ، يضرب به يمينا وشمالا حسبما يشاء ، دون أن يعوقه عائق أو يصده عن ذلك صاد .

وكلا .. فان القلم رقابة حكيمة واقية، تدفع عن الممسك به كثيرا من الزلات والعثرات التي كان جديرا أن ينزلق اليها لو أنه أسلم نفسه لمعطيات لسانه ، ووصل شفتيه بما يجرى فى خاطره .. فحين يمسك صاحب القلم بالقلم تجتمع اليه خواطره المشتتة ، ويضيء اليه رأيه العازب ، ويتعطل لسانه عن الثرثرة ، ان كان من أصحاب الثرثرة ، ثم اذا خط بالقلم شيئا ، وصور به فكرة أو رأيا رأى هذه المخلوقات التي صورها رأى العين ، وعرف وجوه الحسن والقبح منها ، وكان له على ذلك السلطان المبين .. فله أن يمحو ما يشاء ويثبت ، وكان له أن يعدل ويبدل من خلقها ، حتى تستقيم فى نظره على أحسن ما يمكن أن تسمح به قدرته وصفته .. وليس كذلك ما ينطق به اللسان ، اذ لا سبيل الى اعادة النظر فيه ، وتقليب وجوه الحسن والقبح منه .

وأريدك أن تستحضر هنا صورة هذه الأسراب الطائرة الى معاهد العلم من مطلع الصباح ، وبين يدى شعاعات النور التي تتقدم موكب الفجر .. من كبار وصغار ، ومن بنين وبنات .. تجد أنها انما تنهض جميعها بجناحين .. أحدهما القلم ، والآخر الكتاب .. ولو ذهبت تجرد أى طائر منها من قلمه أو كتابه لقعد فى مكانه ، مهيض الجناح ، كسير الخاطر ، ولما كان له الى مناهل العلم غدو أو رواح ! .

وأريدك مرة أخرى أن تنفذ بعيني خيالك الى حجرة من حجرات الدرس فى مدارس الطفولة .. انك لتجد الأقلام تتحرك بين تلك الأنامل الرخصة الدقيقة اللطيفة ، فتخط على الورق رؤى الطفولة وأحلامها وترسم على القراطيس نزعاتها ورغباتها .. فى أمانة وصدق ، لم يختلط بشيء من الصنعة والمداراة .

ان تلك الخطوط المتقطعة المضطربة هي عالم الطفولة كله .. فى باطنه وظاهره جميعا .. انها كتب مسطورة تحدث ــ من يحسن الاستماع اليها ــ بأبلغ حديث عن عالم الطفولة ، وما يموج فيه من الوان وحبور .

وكذلك الشأن فيما بين القلم وبين من جاوزوا مراحل الطفولة ومبادىء العلم الى مراحل النضج العقلي والعلمي .. فما تخط أقلامهم هـو الصميم مـن وجودهم،وهو النطف المصفاة من خلجات صدورهم ومسارب أفكارهم .

لهذا كان تنويه القرآن الكريم بالقلم على تلك الصورة التي تجعله مع أول كلمات منكلمات الله ، تستفتح بهن رسالة الاسلام ، ويكون مع اول كلمات يتلقاهن النبي الكريم من وحي السماء ! .

والاحتفاء بالقلم هذا الاحتفاء الكريم هو احتفاء ضمني بالكتاب ، اذ الكتاب هو الثمرة التي تمخض عنها القلم ، وألقى بحصاده كله فيها ، وانه ما كان للثمرة أن تطيب وأنتزكو الا اذا طابت نبتتها ، وزكت وبوركت شجرتها .

استمع الى قوله تعالى ، وقد ذكـر القلم ذكرا ثانيا «ن والقلم وما يسطرون» مقسما به ، مع ذاتين غيره .. « النون » وهو حرف يمثل المقاطع التي تتشكل منها الكلمات ، ثم الذات الأخرى وهي « ما يسطرون » أى ما يسطر الكاتبون بأقلامهم ، وما يقيمون من كلمات بوساطة الحروف ، وضم بعضها الى بعض ..

فالحروف ، والقلم الذى يجمع هـذه الحروف ويصورها ، والـكلمات التـي تجتمع مما يخط القلم والصور قد جاءت جميعها فى مقام التشريف والتكريـم اذ أقسم الله سبحانه بها ، وكان القلـم واسطة عقدها ، وناظم درها ، وجامـع شملها .

والقسم من الله بمخلوقاته تشريف ، وتكريم لها ، وتنويه بها ، ورفع لذكرها !

ولقـد أخـذ بعض المستشرقين على القرآن الكريمأنه يضع اللهسبحانه موضع المقسم بمخلوقاته ، والقسم عادة يكون ممن هو أدنى بمن هو أعلى .. وبهذا لا يكون القسم الا بالله ، كما يصرح بذلك الا نجيل ..

ونقول وكـذلك القرآن يجعل الحلف من المخلوقين بالخالق وحده دون غيره ، ويـوصي بأن يكـون ذلك فى اقتصـاد ، واحتراز .. « ولا تجعلوا الله عرضـة لايمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » .. ويقول نبي الاسلام « مـن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

ولكـن هـذا شيء والقسم مـن الله ببعض مخلـوقاتـه شيء آخر .. فلله وحـده أن يعظم ، ويكرم مـا يشاء مـن خلقه ، ويفضل على مايشاء من مخلوقاته، وعرضها فى هذا المعرض العظيم الكريم .. « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

(رسالة القلم)

ونعود الى القلم .. فنقول —

ان القلم الذى هـو الوسيلة الى الكتاب شيء كريم على الله ، عظيم عنده .. فكيف بما يسطر القلم ويصـور ؟ ان القلم انما استـأهـل هـذه المنزلة الكريمة بما سطره .. والا فهو مجـرد شيء لا يلتفت اليه ، ولا يؤبه له .

وتدبر هذه اللفتة السماوية الرائعة حقـا ، والتي ألقت على حملة « القلم » امانة حفظه ، وحياطته من أن ينزل عـن تلك المنزلة الكريمة الرفيعة التي رفعه الله اليهـا ، وأن ينحرف فى أيديهم الى مهاوى الضلال والفساد .. ولهذا أقسم الحق سبحانه بما يكتب الكاتبون « والقلم ومايسطرون » فهذا الذىيسطرهأصحاب

«القلم» أو الذى ينبغي أن يسطروه يجب أن يكون شيئا عظيما طيبا، نافعا يستأهل هذا التشريف والتكريم من رب العالمين فيصبح فى عداد الاكوان العظيمة التي تتعرض لمنازل التشريف عند الله، وتكون فيما يقسم به منها وهذا يعني أكثر من حكمة ..

فأولا : ـ أن يعرف صاحب القلم أنه انما يحمل أمانة عظيمة ، ينظر اليها الله كأعظم وأكرم نعمه التي أنعم بها على عباده ، وأن عليه لكي لا يحسب في خائني الأمانات أن يرعاها حق رعايتها ، وأن يحفظها من كل سوء يعرض لها .

ثانيا : ـ أن يذكر صاحب القلم ما لهذا القلم فى يده من رسالة كريمة فى الحياة ، وأنه بهذه الرسالة كان أول محمول من السماء الى الأرض فى رسالة الاسلام ، ليشارك فى بناء مجتمع انساني معافى من العلل والآفات النفسية والروحية والعقلية ، بما يفتح للناس من سبل الحق ، والعدل ، وما يرفع لهم من معالم الهدى والنور .

فاذا لم يستقم صاحب القلم والممسك به على هذا الوجه الذى يحفظ للقلم جلاله، وبهاءه ، واذا لم يسطر به ما ينظر الله اليه فيجده على الكمال والتمام الذى يستحق به أن يدخل مدخل ما أقسم به مما يسطر القلم ، فقد خرج صاحب القلم من زمرة الكرام الكاتبين ، وسقط من يده هذا القلم الكريم الذى أقسم الله به ، وبقيت فى يده قطعة من خشب أو معدن يسود بها وجوه الورق الأبيض ! .

ونعود الى سؤالنا الذى تركناه آنفا هل وراء بلاغة الجاحظ بلاغة ؟ وهل فوق بيانه بيان؟ واننا لنظلم « الجاحظ » ونظلم كل كاتب اذا نحن عرضنا أدبه وكتابته فى مواجهة آية من آيات الله ، أو كلمة من كلماته ! .

وندع الجاحظ وما كتب فى الكتاب !

ونقف بين يدى هاتين الكلمتين من كلمات الله ، وقفة خشوع وخضوع « والقلم وما يسطرون » .. ففي كلمتين اثنتين جمع القرآن رسالة العلم والعلماء فى الحياة .. فى أكرم صورة يمكن أن ينجلي عنها علم العلماء ، وفى أطيب موقع يمكن أن يقع من الحياة .

وننظر فنجد أن القلم على جلاله وعظمته ليس فى ذاتيته قدرة يملك بها أمر الكاتبين فيحول بينهم وبين أن يعدلوا به عن غاياته الكريمة ، وأن يستملوه من مداد آسن آثم ، وان يسطروا به المآثم والشرور ، فكم سجل التاريخ لأصحاب الأقلام من ضلالات وانحرافات ، وكم شقي الناس بما أذاعت فيهم مسطورات الأقلام من افك وبهتان ؟

ولقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين يخونون أمانة القلم فيخطون به الزور والضلال ، ويزينون به الاثم ، ويحرفون به الكلم عن مواضعه .. فقال تعالى ((فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون)).

فليذكر أصحاب الأقلام أن فى أيديهم آية من آيات الله ، وأن من شأن هذه الأقلام أن تكون معجزات تتفجر منها ينابيع الخير والهدى ،فان مكروا بها مكر الله بهم ، ولا يحيق المكر السيىء بأهله .

لا تحتقر الطين

محمد مؤمن

للاستاذ عبد العزيز العلي

لقد اقتضت حكمة البارى جلت عظمته أن جعل ملائكته الكرام من نور ، يملأ كل حيز مفتوح للنور ، وينفذ من كل نافذة مفتوحة لاستقباله ، وخلق الشيطان من مارج من نار ، يمثل الظلام الذى يحل تلقائيا فى كل مكان مغلق عن استمداد النور ، ثم خلق الانسان من سلالة من طين : أى جهاز طيني قابل لاستمداد النور واشعاعه ان ذَكَر وصلح، والعكس ان غفل وفسد ، ومعلوم ما هو حاصل من التخالف بين النور والظلام كسنة كونية .

والملائكة الكرام يغارون الا يقدر الله حق قدره ، ويسبح حق تسبيحه ، ويقدس حق تقديسه بغفلة مثل هذا الانسان الحيادى الوسط ذى القابليتين والمجال الأول للطاقتين المتضادتين ، فيغلق نوافذه عن النور ، فيهوى الى الفساد والافساد فى الأرض ، ويسفك الدماء ، وقد ظهر ذلك من الحوار بين الله وملائكته فى هذه الآية « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني اعلم ما لا تعلمون » .

التقدم العلمي ميزة الانسان

كما ظهر من الامتحان العلمي الذى نجح به آدم فى الملأ الأعلى بعد ذلك أن لدى هذا المخلوق الآدمي ناحية ليست موجودة لدى الملائكة الكرام ، وهي التقدم العلمي والتطور الفكرى ، وان للانسان تصرفا وطموحا ، وأنه ينشد الكمال ، ويحارب الحرمان ، فاذا لم يخرج به ذلك عن انسانيته الجزئية فى هذا الكون فانه يسمو على الملائكة فضلا عن المخلوقات الأخرى ، فامر الله ملائكته الكرام بالسجود لآدم تقديرا للخير الذى نجح به ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستنكف ابليس مع سقوطه فى الامتحان العلمي اعتزازا بناريته واحتقارا للطينة الآدمية « فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا » « قال انا خير منه

خلقتني من نار وخلقته من طين » فطرده الله من رحمته .

ومن الغريب أني أرى البعض يحتقرون الطينة الآدمية باسمها احيانا وباسم المادة احيانا اخرى اعتقادا منهم ان فى ذلك تقربا الى الله، والذى يظهر مما تقدم ان الذى يحتقر الطينة الآدمية يحاكي الشيطان فى فعلته ويستحق البعد والعقاب أو التنبيه والعتاب وفى قصة آدم عليه السلام ما يوضح ذلك :

بينما كان أبونا آدم عليه السلام غارقا فى طموحه وتفكيره متجاوزا انسانيته المحدودة ، متسائلا عن أمور ثلاثة حرم منها كانسان مخلوق طيني له ملكية محدودة ، وله عمر محدود ، ويجب أن تكون له أنظمة وقوانين يلتزم بتطبيقها وهذه الأمور الثلاثة :

١ ــ لماذا لم يكن كالملائكة فى نورانيتهم وانطلاقهم ؟ .

٢ ــ لماذا ينقص عمره فى كل يوم يمر عليه ؟

٣ ــ لماذا حرمت عليه هذه الشجرة الواحدة ؟ .

فكانت نظرته أنانية بحتة متجهة نحو الحرمان ناشدة الكمال ، اذ لو ارتفع بتفكيره لما احتقر الآدمية التي امر الله من فى الملأ الأعلى بالسجود لها ، كما أن الخلود لا يكون الا لله وحده ، وان كامل الملك لا يكون الا لله كذلك ، فكانت لآدم فترة غفلة عن استقبال النور « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » استغلها الظلام كسنة كونية ليحقر الطينة عنده ويخلصه منها ويغريه أيضا بتحقيق الحرمانين الآخرين وهما ــ ادخال الشجرة الواحدة فى ضمن ملكه الواسع واباحة الأكل منها ، ومعرفة فلسفة تحريمها والأمر الثاني أو الثالث هو الخلود ، وقد اخبرنا القرآن عن ذلك « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين » . « قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » .

فى معترك الحياة

ونرى ان الله جلت حكمته انتصر للآدمية الصالحة فى جميع المواقف اذ أمر الملائكة الكرام بالسجود لآدم ، وعاقب الشيطان بالطرد من رحمته عندما احتقرها وامتنع من السجود ، وعاتب آدم نفسه عندما فكر فى التخلص من الطينة بالهبوط الى الأرض ليؤدى هو وذريته الامتحانات العلمية المتواصلة المقرونة بالايمان والتقوى ، فالناجح فى تسخير الأرض واكتشاف كنوزها وخباياها وفي سبر اغوار الفضاء ومعرفة اسراره الكونية يفوز بجنة الخلد والنعيم المقيم والراسب فى مختلف شؤون الحياة من علمية وعبادية أمره الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه .

وان من يتأمل فى المخلوقات الثلاثة الايجابي والسلبي والحيادى قد يخطر له ما خطر لي من المقارنة بينها وبين عناصر الذرة التي تتكون منها المخلوقات فى الأرض وفى السماء وهي ــ البروتون ايجابي ، والالكترون سلبي والنترون حيادى ، ولولا اختصام الملأ الأعلى لأصبح الجميع ايجابيين وتعطلت التقدمية العلمية التي فضلها الله ، وانتصر لها

فى جميع المواقف ، وتعطل بقاء الانسان فى الوسط الطبيعي بين السلب والايجاب ليؤدى رسالته .

والنفس هي مناط الخير والشر فى مصيرها ومصير الجهاز الآدمي ما وجدت فيه وتفاعلت معه ، وحكمها فيما يظهر لي كحكم سائق السيارة ان احسن امساك المقود ، ولزم الطريق السوى وتحاشى الاصطدام بحدود استطاعته قد ينجو وتنجو السيارة والعكس بالعكس .

وبانفصال النفس عن الجسم ينقطع عمل الانسان الا مما قدمه من خير او ما خلفه من أثر طيب كصدقة جارية وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له ، وكل من مات ندم على عمل الشر وعدم الاستزادة من الخير . « ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله » .

ولذلك يجب الا نسقط دور الجهاز الطيني فى مقبل حياتنا الاخروية أو أن نقلل من أهمية المرحلة الأرضية التي تجتازها نفوسنا من خلال اجهزتنا الفانية التي تترتب عليها ، كما يجب علينا بمقتضى انتصارنا العلمي عند اختصام الملأ الأعلى ان نستغل كياننا الآدمي بكل امكانياته لنحقق من الخير ما ميز الله به آدم على سائر المخلوقات وفى الحديث الشريف « ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض وحتى الحيتان فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير » وفى الأثر عنه صلى الله عليه وسلم « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » . « ومن تساوى يوماه فهو مغبون » .

وعلى ضوء ما تقدم أهيب برجال العلم والمعرفة ألا يحتقروا الآدمية التي نصرها الله فى الملأ الأعلى وفى جميع المواقف بالعلم الخير ، والعلماء مهما مالوا او انحرفوا فى البداية فلا بد من الاستقرار للعلم الصحيح على الايمان لقوله جلت حكمته « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقوله سبحانه « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط » وقوله جل شأنه « وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون » نعم سيقول العلماء بعد ما يتبين لهم الحق لقد درست يا محمد بمدرستك الربانية .

عن نصيح العنسي عن ركب المصرى قال . قال رسول الله صلى **الله عليه وسلم :**

« طوبى .

لمن تواضع فى غير منقصه

وذل فى نفسه من غير مسالة

وأنفق مالا جمعه فى غير معصية

ورحم أهل الذل والمسكنة

وخالط أهل الفقه والحكمة

« طوبى .

لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره .

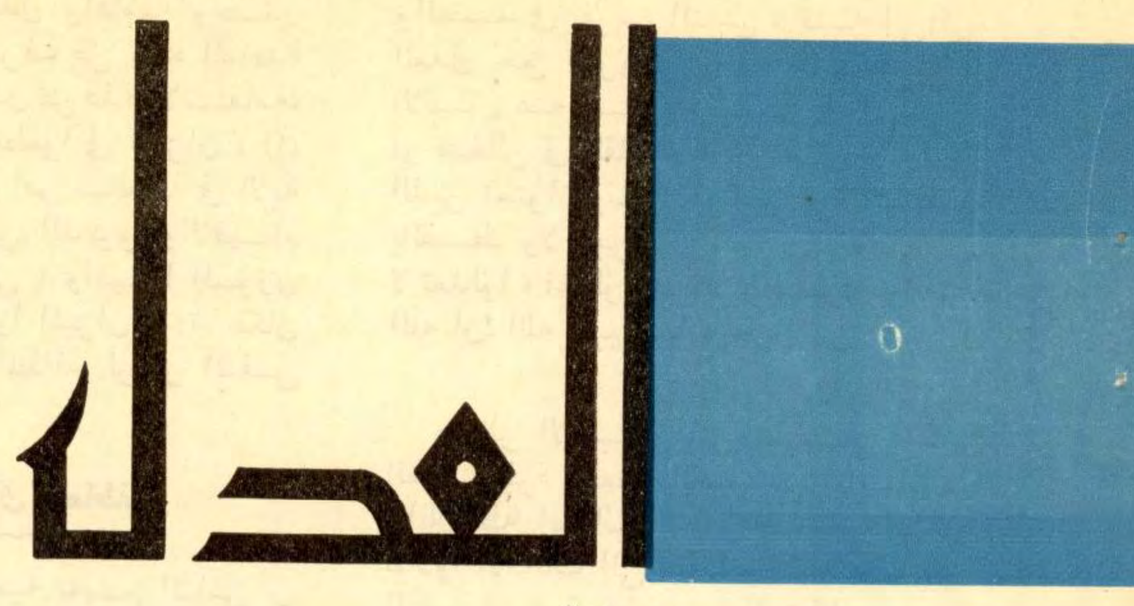
« طوبى .

لمن عمل بعلمه

وأنفق الفضل من ماله

وأمسك الفضل من قوله

« رواه الطبراني »



للاستاذ محمد الصالح آل ابراهيم

العدل لغة الاستقامة ، وهو ضد الميل والانحراف ، والعدل قوام كل شيء ، فلا تستقيم الأمور الا ّ بـه ، ولا تـكون الأشياء في نصابها الا ّ معه .

والمجتمع الذى تسوده العدالة يصبح متماسك الجوانب ، خيِّر الانتاج ، وافر الثروة ، رتيب النظام ، كامل الطمأنينة ، لا تؤثر فيه العوامل المفسدة ، ولا تحركه النوازع الخبيثة ، واذا شاعت العدالة في المجتمع نما الوازع الأخلاقي،وانبثت روح المساواة والايثار ، وتقدم المجتمع نحو الرقي الحضاري ، وتسابق النـاس الى الانتاج المثمر والعمل المفيد ، ذلـك أنّ العدالة توفر لهم الأمن والطمأنينـة النفسية ، وتهيىء لهم ظروف المعيشة الشريفة ، وقد قيل : (عدل السـلطان خير من خصب الزمان) وبالعدل يبلغ الانسان المرتبة التيخلق لها وهيالخلافة في الأرض .

ولقد اتجهت الشريعة الاسلامية الى تثبيت قواعد العدل ، وألزمت الناس به فى كل صغيرة وكبيرة ، وأبانت أن لا حياة ولا استقرار الا ّ به ، فهو قوام لصـلاح النفس وصلاح البيت وصلاح المجتمع ، وفى كل مناسبة واتجاه ألزمت به وأمرت باتباعه ، ففي السورة التي يقرؤها كـل مسلم سبع عشرة مرة فى صلاتهالمفروضة يتلـو قولـه تعالى (اهدنـا الصراط المستقيم) (١) وهكذا يظهر الاسلام قيمة العدل فى أدق تعبير وأجمل تصوير، وهل يمكن أن نتصور استقامة على الصراط دون عدل ؟ .

والاسلامينحو الىتركيز العدلوتثبيت أصوله تثبيتا الزاميا منطقيا فيقول تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) (٢) ولن تجد احكاما كهذا الاحكام فى توضـيح منزلة العدل وأهميتها العظمى ، فقـرن سبحانه وتعالى رفع العوالم بوضـع العدل ، وهذا منتهى العظمـة ومبلغ الاستقامة ، ثمّ امر سبحانه بعد هـذه



(١) سورة الفاتحة

(٢) سورة الرحمن .

الآية بالتمسك بالعدل واقامته وحــذر الانسان من أن ينحرف عن هذه القاعدة السليمة أو أن ينحدر عن هذه الاستقامة، فيقول تعالى (الاّ تطغوا فى الميزان) (١) وتثبيتا للغاية المثلى أمر سبحانه فى الآية التاليــة بالتخصيص الدقيق والافهــام القريب فقــال تعالى (وأقيموا الــوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) (٢) فكان هذا التنبيه نهاية المطاف لزجر النفس عن الهوى .

العدل فوق العاطفة

والشريعة الاسلامية تفهــم الناس أن العدل من الأمور التي أوجبها اللــه على عباده ، وجعل صــلاحهم مقيدا بهــا ، وتعلمهم أنه لا يمكن أن تصلح نفوسهم ولا أحوالهم الا باقامتهــا (قــل أمــر ربي بالقسط) (٣) (انّ الله يأمر بالعدل) (٤) . ولعلّ القارىء يدرك ما فى هذا الاخبار والأمر مــن عظات بالغــات ، ولقد عني الاسلام عناية فائقة فى تركيز العدل في النفس ، وتوضيح المواقف التي قد تؤثر على الانسان بسبب العاطفة أو الهوى ، وأمر بعدم الانسياق فى تيارها ، فقــال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فانّ الله كان بما تعملون خبيرا) (٥) واذا كان الانسان شاهدا على نفسه محاسبا لها ابتعدت عنه الأنانية ، وحينما يكون شــاهدا على الوالديــن والأقربين بالحق يبتعد عنه تأثير العاطفة القوية والصلات الوثقى التي قد تميل به مع الهوى ، ولذلك كله يحيط الاســلام الانسان بكثير من التحذير والتنبيه حتى لا يقع فريسة لاتباع الشهوات ، ولقد أدرك الاسلام تأثير العداوة والبغضــاء والحسد فى نفوس الناس ، فنبّه الى أن العدل حق مفروض يجب ألا ينحــرف الانسان عنه بسبب دخائــل فى النفوس أو ضغائن فى القلوب فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونــوا قوامين لله شــهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله انّ الله خبير بما تعملون) (٦) .

وينظر الاســلام الى تطبيــق أحكام العدل نظرة فيهــا الكثير مــن التدقيق والملاحظة الصائبة (انّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل انّ اللــه نعمّا يعظكم به انّ الله كان سميعا بصيرا) (٧) ثمّ يبيّن للناس انّ عليهــم ان يراقبوا أنفسهم ، تجاه حقوق الناس (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) (٨) .

والاسلام يدرك أن تطبيق العدل من أصعب الأمور وأجلها وأكثرها دقة، ولهذا نرى الشريعة دائما توجبة ، وتذكر به ، لتفهــم النفوس عظم مهمته ، وكثــيرا ما تقرن ذلك بالتحذير من الانزلاق والميل عن الصراط السوى ، وتضرب الأمثــال لشطط الانسان ، وتؤكد بأنّ الانســان خطاء ولكن تحذره من أن ينحرف فى هذا الخطأ ، فيتخذه طريقا ، فتأمر بالتراجع الى الحق والصواب ، وتوجب ذلــك وجوبا قطعيا لا هــوادة فيه قال تعالى (وهــل أتاك نبأ الخصــم اذ تســوّروا المحــراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . انّ هذا أخي

---

(١) سورة الرحمن . (٢) سورة الرحمن . (٣) سورة النساء ، آية ١٣٥ .
(٤) سورة المائدة ، آية ٨
(٧) سورة النساء ، آية ٥٨ . (٨) سورة الاسراء ، آية ٣٥

له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزّني فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وانّ كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظنّ داود أن ما فتنّاه فاستغفر ربه وخرّ راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وانّ له عندنا لزلفى وحسن مآب . يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله انّ الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (١) .

وهكذا تصور لنا هذه الآيات خطأ الانسان وتسرّعه ولو كان خليفة الله فى أرضه ونبيّه . ولكن الآيات تقرّر شيئا آخر وهو أن النفوس الأبية قد طبعها الله على حب العدل والتمسك به ، فلا تستقرّ على الجور ، بل لا بدّ من محاسبة النفس والرجوع الى الصواب .

العدل الالهي

والعدل الرباني لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها (فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره) (٢) والآية تشير الى يوم القيامة ولكن الذى ندركه هي تلك الدقة المتناهية فى الحساب العادل الذى لا يفرط فى شيء مهما كان ضئيلا .

ولقد أبان القرآن نظرية من أعظم النظريات القيّمة أوضح فيها منزلة العلم وأهله ومعرفتهم بناموس العدالة الربانية الذى اكتملت الأشياء به قال تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) (٣) ولعمرى انها أعظم شهادة وأحراها بالتفهم والاعتبار . وهذه الشهادة العليا تعطي بيانا جليا للعدالة الشاملة التي تحيط بنا فى نظام الكون وتسييره .

والعدل قبل هذا مهمة نفسية لن تكتمل سعادة النفوس الاّ بأدائها ، أما النفوس الكريمة الراقية فلا يهدأ لها بال ، ولا يقرّ لها قرار اذا ما مالت أو انحرفت ولو بعض شيء حتى ترجع الى الانصاف والحق ، معترفة بالخطأ والتقصير ، منيبة مستغفرة ، وبعكس ذلك النفوس التي انحطت الى درك الحيوانية ، بل أسفل ، فجمعت مركبات النقص ، وسيطر عليها الحقد الدّفين ، وأعماها الشره والبطر ، واستحوذت عليها شهواتها ، فعميت عن سبيل الحق والعدل ، وسارت فى طريق عمايتها همها الجرح والاضرار .

لو تتبعنا أسباب انهيار الأمم وتحطم الشعوب لوجدنا أنّ أهمّ ذلك فقدان العدل وظهور الجور . فكم مجتمع تحطم كيانه ، وفقد حيويته بفقدانه العدالة ، وكم دولة انفرط عقدها ، وضعفت صولتها ، وأصبحت لقى فى مهب الرياح بانعدام العدل فيها ، وكم بيت ترفرف عليه السعادة وتحوطه العناية فقد اطمئنانه بفقد العدل بين أفراده .

وهكذا تصبح مجانبة العدل سببا فى تدهور المعنويات وتحطم القوى وتأخر المجتمع .

---

(١) سورة ص آيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة الزلزلة آية ٦ ، ٧ .



١ ـ القرآن

كتاب الله ، ومعجزة خاتم أنبيائه ، أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وقد جاء موعظة من الله ، وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

هدى الناس الى طريق الحق ، وشفى صدورهم مما فيها من عداوات واحن ، وطهر قلوبهم من ضلالات الشرك ، وحماقات الأهواء .

نزل بالحق ، ونطق بالصدق ، وتحدث فكان أحسن الحديث (ومن أصدق من الله حديثا) (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء) .

شرع الله فيه من الدين ما وصى به نوحا والنبيين من بعده وما وصى به ابراهيم وموسى وعيسى ، وأودع فيه من سياسة الدنيا ما يضمن السعادة والأمن ، والطمأنينة والسلام للمؤمنين .

فيه كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ،

من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » .

بيَّن فبلغ الغاية فى البيان ، أوجز حيث لا يحمد الا الايجاز ، وأطنب فما جاء الا بالاعجاز ، وتحدى فما طمع فى الاتيان بمثله ، أو بأقصر سورة منه انس ولا جان .

وناجى فسرى مسرى الحياة الى القلوب ، وأسمع فارتعدت الفرائص ، وتجافت عن المضاجع الجنوب ، وعد المؤمنين بالجنان والحور ، وأوعد الكافرين بالويل والثبور ، وأخرج الناس من الظلمات الى النور .

وهو ـ فى كل ذلك ـ يسوس الغرائز والطبائع سياسة الحكيم الخبير ، ويوجه الميول والنوازع توجيه العالم البصير .

تلاوته راحة النفس ، ومدارسته البهجة والأنس ، والتأمل فى معانيه يشيع السكينة فى الخواطر المضطربة ، ويرفع الشكوك عن الهواجس القلقة ، ويغمر بالرضا واليقين قلوب المؤمنين المخلصين (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الا بذكر الله تطمئن القلوب) .

٢ ـ تعرَّف نفسك ـ

ليس عالم النفس بأضيق دائرة ، ولا بأقل عجائب وغرائب من عالم المشاهدة والحس .

فلئن كان المتأمل اللبيب يرى فى مجالي الطبيعة ، وفى آفاق الكون من عجائب الصنع ، ودلائل القدرة ما يقف أمامه حائرا مأخوذا ، ثم يعود بعد أن يفيق من سبحاته ـ ان كان سليم الوجدان ـ مؤمنا عميق الايمان ، مسلما وجهه للذى فطر السموات والأرض .

لئن كان يرى كل ذلك فيئول أمره الى الاذعان والتسليم ، لانه حين يسبح بفكره الثاقب فى آفاق النفس ، يكتنه أسرارها ، ويتلمَّس خفاياها يرى ما هو أدق وأعجب ، وأسمى وأروع ، وأدل على قدرة الصانع ، وأشهد على حكمة الحكيم .

ومنذ عهد سحيق فى التاريخ اهتدى أحد فلاسفة اليونان الى أن السبيل الوحيد الى العلم والمعرفة ، والى الفضيلة والخير أن يعرف الانسان نفسه ، ولذلك كتب على جبين معبده هذه الكلمة الخالدة : (تعرَّف نفسك بنفسك) .

فمراقبة النفس ، وملاحظة ما يجرى فى داخلها ، والتعرف على غرائزها ، وطبائعها ، ونزعاتها وميولها ، وعواطفها وقواها ، كل ذلك يمكّن صاحبها من أن يعلم الحقائق الكبرى فى الحياة ، ويدرك كنه الخير والشرّ ، والعلم الصحيح سبيل اليقين الثابت ، ووسيلة الخلق الفاضل ، ومعرفة النفس أمر ضرورى لأى منهج يهدف الى تربيتها ، ولأى قانون يوضع لتقويمها ، وتهذيبها ، ولا فائدة من أى عمل أو نظام يقصد منه الاصلاح والتقويم ما لم يكن أساسه دراسة النفس .

وكلما ازداد الانسان علما بنفسه ، ووقوفا على ما يصحها ويمرضها ، وما ينبغي أن تقبل أو تدع كان أقدر على تهذيب أخلاقه ، وعلى التأثير فيمن حوله .



ولقد عرض القرآن الكريم لهذه القضية الكبرى فى مواضع ، ولكنه كان — كما لا بد أن يكون — أهدى سبيلا ، وأقوم طريقا ، وأحسن تأتيا ، وأوضح غاية ، وأنبل مقصدا .

جاء فى سورة (فصلت) قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

وقد كانت هذه الآية توجيها لأنظار غفلت عن قدرة الله ، ولعقول ضلت الطريق الأقوم .

فبعد أن وصفت الآيات السابقة ما عليه الانسان من دءوب على طلب الخير ، ومن يأس وقنوط ، اذا مسَّه الشر ، ومن كبرياء وجحود واعراض اذا بدّل الله ضره رحمة ، وبعد أن أشير الى أن القرآن حق ، وأنه من عند الله ، وأن الضالين حقا هم من لم ينظروا فيؤمنوا عن دليل ، أو يجحدوا عن برهان « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد » . بعد كل ذلك توعدَّهم بأنه سيهريهم آياته فى الآفاق فيشهدوا انتصار الدعوة المحمدية بعدد قليل من المسلمين يتغلبون على دول ذات عدة وعدد ، وحين يرون هذه العجائب فى نشر الدعوة على أيدى فئة قليلة يدركون مدى ما تصنع قوة الايمان ، ويتبين لهم أن دين الاسلام حق،وان الثبات والاستقامة هما صفة الحق والصدق ، والاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور ، وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن — كما يقول جار الله الزمخشرى .

ولئن كان كثير من العلماء حملوا (آيات الأنفس والآفاق) على ما يتصل بالدعوة ، والقرآن ، والايمان بالله ، والبعث ، فان الآية مطلقة ، وهي تنبيه للغافلين على النظر فى ملكوت الله ، وعلى البحث فى أعماق نفوسهم ، فانهم سيرون من آيات الله ما ينتفي معه الشك فيما جاء به الرسول ، من الدين والحق ، والكتاب العربي المبين ، وما أوعد به من البعث للحساب والجزاء .

وفي كل شيء له آية
تدلُّ على أنه الواحد

ثم كانت آية (الذاريات) « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » أدل على التنبيه، بل على التعنيف .

وقد سبقها قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين » وجاء بعدها « وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

ففي الأرض آيات ، وفي الأنفس آيات ، ولكنها ليست آيات للكسالى عن النظر ، الغافلين عن عجائب صنع الله ، ولا لمراض القلوب ، ضعاف الأفهام ، بل هي آيات واضحات للذين ينظرون فينعمون النظر ، ويقبلون على تعرف ما أودع الخالق فى عالميهم الظاهر والباطن ، بوجدان صادق ، ونفوس راغبة فى الوصول الى أقصى درجات اليقين .

ولعل النظر فى ظواهر النفوس من اختلاف الألسن والألوان ، ومن دقائق التركيب فى الخلقة ، وعجائب اللطف فى الحواس ووظائفها التي لا يكاد التأمل فيها ينتهي الى غاية ، وربما أشار الناظر الى روائع منها ، وان كانت لا تعد شيئا

من الاجماع التاريخي حينما وسم التاريخ بالكذب ، ورمى التاريخ بالتزيد والافتعال بالجرى وراء المثيرات ، واستسلامهم أحيانا الى تهاويل المبالغة والخيال .

العدالة المثالية

وأكثر قرائنا فى عصرنا الحديث لا يكادون يعرفون عن الخليفة الثاني الا هذا الجانب المشرق من جوانب عمر ، لأنه حافل بما يغالب النفس الانسانية ويقهرها ، ولأنه يرتفع بنا الى المثالية الكاملة من فهم العدالة التي تريدها قوانين السماء لأهل الأرض ، تلك المثالية التي جهد الفلاسفة والمفكرون فى اقرارها بين الناس فعجزوا ، ومن قبل نادى بها الفيلسوف الاغريقي « أفلاطون » وخطط لها فى « مدينته الفاضلة » ولكنه باء بالفشل ، فأما عمر بن الخطاب فقد استطاع تطبيقها عمليا فى الأصقاع الاسلامية المترامية الأطراف ، حتى استقرت مبادؤها بكلمات صارمة منه ، فى حين أنه كان رابضا بالمدينة المنورة يرقب أنباءها فى يقظة وتربص ، ويراقب سيرها مراقبة من يرى ويسمع على سوء ما نعرف من وسائل المواصلات وبطئها حينذاك .

لقد كان كل وال من ولاته فى شتى الأقاليم يشعر شعورا لا يخالطه ريب أن الخليفة الحازم يقف منتصبا على رأسه فى مجالس قضائه بين الرعية ، فكان لا بد له من أن يأخذ من الناس ما وجب عليهم ، وأن يسارع فى اعطائهم ما يستحقون من حقوق قبل الدولة الاسلامية .

وليس مرد ذلك فى ظني الى أن ابن الخطاب كان قوى الايمان بتعاليم القرآن الكريم ، فالخلفاء رضي الله عنهم كانوا على مثل ايمانه وقوة عقيدته ، وانما مرده الى شخصيته القادرة ، وانفاذه السريع للأحكام التي تصدر عن آراء لها عنده سندها من الكتاب أو السنة أو الاجتهاد ، ومرده كذلك الى « حسن التوقيت » الذى كان عمر فيه موفقا كل التوفيق ، واصاخته الواعية الى ما يحوك فى صدره من الهامات تجاه الأحداث وقبل الأشخاص ، وبهذه الألمعية العمرية نزل القرآن الكريم برأيه فى أكثر من موضع .

الألمعي الذى يظن بك الظـ
ن كأن رأى وقد سمعا

شخصية عمر الأدبية

وأكثر قرائنا معذورون حينما يستهوى أبصارهم هذا التوفيق العجيب الذى كان لابن الخطاب مدة خلافته ، فهم بهذا مصروفون عن التعرف الى مكانته فى الأدب ، أو التطلع الى موضعه الرفيع فى تقدير الشعر وتوجيه الشعراء .

واعلم أن طائفة من هذه الكثرة لم تتوهم أن الخليفة الصارم الجاد يمكن أن يلقي بالا للشعراء ، أو يبعثر وقته فى استنشاد شعر اسلامي فضلا عن سماع أنماطه الجاهلية الموغلة فى الهجر والافتراء ، لأن الشعر جاهليه واسلاميه لا يزيد عن أن يكون كلاما جميلا ، وعمر لا يحب الا العمل الجليل .. !! ، ونسيت تلك الطائفة أن العمل انما هو انجاز فكرة جرت فقراتها فى الخاطر ، أو هو تحقيق رأى لهج به اللسان أو خطه البنان .

وقد عرف المتقدمون الخليفة الثاني محبا للشعر يوجهه وينقده ، ونحن نجد هذا عند محمد بن سلام الجمحي فى « طبقات الشعراء » وعند الجاحظ فى اكثر كتبه ، وعند ابن رشيق فى « العمدة » ، ولو شئنا الاستقصاء لمضينا فى ذكر كثير من كبار كتاب العربية ممن لا يغيبون عن ذاكرة القراء الواعين .

البقية على ص ٦٤

رسول الله بين منصفيه

محمود مؤنس

كانت شخصية رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وما تزال وستظل موضع اهتمام الباحثين والمفكرين والفلاسفة فى غير بيئات المسلمين الفكرية

فقد كان ظهور رسول الاسلام حدثا ضخما فى تاريخ الانسانية ، لا سبيل الى تجاهل أثره وفعاليته ، ومرد هذا فى الاغلب يرجع الى امرين كبيرين .

الاول : - خلق محمد (ص) وطريقته فى تصريف الامور على نحو رائع ، فيه ما يناقض القيم الغربية والمفاهيم البشرية التي طالما أثارت الحروب من أجل أمور أغضى عنها الرسول عفوا منه وسماحة . بل ربما قدم لخصومه الذين آذوه مزيدا من التسامح والعطاء . ثم حياته البسيطة فى مظهرها مع شخصيته ذات النفوذ الغلاب .

الثاني : - الدعوة التي حملها الى البشرية ، والتي لم تكن دينا فحسب ، بل تشريعا ربانيا ومجتمعا وحضارة وفكرا له قيمه ومفاهيمه واسسه ذات الطابع الايجابي ، الجامع بين الروح والمادة ، والضمير والعقل المفتوح على آفاق الانسانية ، يأخذ منها ويعطي ..

ولقد انقسم هؤلاء الكتاب الذين أولوا شخصية النبي صلى الله عليه وسلم اهتمامهم ، بين الانصاف والجحود ، وظل موقفهم يتأرجح بين الاعجاب والتقدير وبين الخصومة والتعصب . وربما عابوا ما جاء به ، ولم يعيبوه ، وربما حملوا عليه مرة : واعجبوا به اخرى ، مترددين دون قول الحق ، ما عدا قلة قليلة هي التي أولت شخصيته مزيدا من التقدير والاعجاب الخالص .

بل لعل الامر كان ابعد مدى من ذلك ، فان كتابا من الغرب عرفوا وجه الحقيقة ، قد عارضوا كتابا أيضا من الغرب ظلموا شخصية النبي ، فان حملات « مرجليوث » والقس كانون سل ، والاب لا منس الذى أفرد كتابا خاصا عنوانه « هل كان محمد صادقا » استغل فيه ما امكن استغلاله من الشبهات المختلفة التي وردت فى كتب الشعوبية ، كل هؤلاء قد جاء من بعدهم من نقض ما ذهبوا اليه » .

شهاب أضاء العالم

١ - يقول كارليل . لسنا نعد محمدا هذا قط

وخصومه الغربيين

للاستاذ انور الجندي

رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل الى بغيه ، أو يطمع الى درجة ملك او سلطان او غير ذلك من الحقائر والصغائر ، وما الرسالة ألتي أداها الا حق صراح،وما كلمته الا صوت صادر من العالم المجهول ، كلا ، ما محمد بالكاذب ولا الملفق ، وانما **هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع .**

ويزعم المتعصبون ان محمدا لم يكن يريد بقيامه الا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان . كلا وايم الله ، لقد كان فى فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات ، المتوقد المقلتين ، العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحجى ونهى ، غير المطمع الدنيوى ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . كيف وتلك نفس صامتة كبيرة ، **ورجل من الذين لا يمكنهم الا ان يكونوا مخلصين جادين ،** فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ، اذ ترى محمدا لم يرض ان يلتفع بمألوف الاكاذيب ، ويتوشح بمتبع الإباطيل **لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الامور .. »**

أيقظ النفوس وأحيا الاخلاق

٢ ـ ويصور « وليم موير » أسلوب محمد وبيانه فيقول : امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وقد أتم من الاعمال ما يدهش العقول **ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس واحيا الاخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير** كما فعل محمد .

٣ ـ وعنى « دوزى » فى بعض فصوله من كتاب « ملوك الطوائف » بالرد على ما ردده خصوم الاسلام فقال فى ص (٤٠٥) : لو صح ما قاله القساوسة من ان محمدا نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره ؟ وما بال فتوحات أتباعه تترى ، وتتلو احداها الاخرى ؟ وما بال **انتصارتهم على الشعوب لا تقف عند حد ،** وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول ؟ لقد كانوا يعتقدون أول أمرهم أن خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة ، فقد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة ، وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين ، ولكن انتظارهم هذه المعجزة قد طال وذهب ادراج الرياح ، واعجب من ذلك ان معجزة اعظم قد حدثت وكانت معجزة أعظم مما كان يتوهمه القديسون انفسهم ، وأى معجزة أعظم وأروع من ان ترى شعبا كان الى زمن قليل فى غاية من الخمول ، **ثم ظهر الى الدنيا فجأة** وظل يتقدم بسرعة لا مثيل لها .

رءوف رحيم

٤ ـ أما المؤرخ « سيديو » فقد حاول الرد على اتهام النبي بالقسوة او الجبن مما جاء فى كتابات خصوم الاسلام فقال : من التجني على حقائق التاريخ ما كان من عزو بعض الكتاب الى محمد القسوة والجبن ، فقد نسي هؤلاء ان محمدا لم يأل جهدا فى الغاء عادة الثأر الموروثة الكريهة ... وكأن أولئك الكتاب لم يقرأوا آيات القرآن التي قضى محمد فيها على عادة الوأد الفظيعة ، وكأنهم لم يفكروا فى العفو الكريم الذى أنعم به على أعدائه بعد فتح مكة ، ولا فى الرحمة التي حبا بها كثيرا من القبائل عند ممارسة قواعد الحرب الشاقة ، ولا الى ما ابداه من أسف

على بعض الاحكام المبتسرة ، وكأنهم لم يعلموا أن محمدا لم يسيء استعمال ما اتفق له من السلطان العظيم ، قضاء لشهوة القسوة الدنيئة وانه لم يأل جهدا فى القالب ـ فى تقويم من يجور من اصحابه وكل يعلم انه رفض بعد غزوة بدر رأى عمر بن الخطاب ـ فى قتل الاسرى وانه عندما حل وقت مجازاة بني قريظة ترك الحكم فى مصيرهم لحليفهم القديم سعد بن معاذ . وانه صفح عن قاتل عمه حمزة ، وانه لم يرفض قط ما طلب اليه من اللطاف والسماح ، وليس بمجهول ان خالد بن الوليد ـ الذى كان من اشجع قواده لم يستطع ان يرعوى بعد اسلامه ـ من روح القسوة والصولة التي كانت تلازمة فى زمن الجاهلية فلاحت له الفرصة بأن يثأر لقريبه القتيل فأثخن فى بني خزيمة ، فأجمع المسلمون على استفظاع عمله ، فلما نبيء محمد بما صنع خالد ، اسرع فى ذمه جهارا فرفع يديه الى السماء قائلا « اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد ... »

منقذ الانسانية

٥ ـ ولقد وجد « برناردشو » فى شخصية النبي ما دعاه لان يصفه بمنقذ الانسانية « لقد عمد رجال الاكليروس فى العصور الوسطى الى تصوير الاسلام فى أحلك الالوان ، وذلك بسبب الجهل او بسبب التعصب الذميم ، والواقع انهم كانوا يسرفون فى كراهية محمد وكراهية دينه،ويعدونه خصما للمسيح ، **أما أنا فأرى واجبا ان يدعي محمد منقذ الانسانية ، واعتقد ان رجلا مثله اذا تولى زعامة العالم الحديث نجح فى حل مشكلاته ، واحل فى العالم السلام والسعادة ، وما اشد حاجة العالم اليوم اليهما .. »**

٦ ـ وقد أعلم أميل درمنجم « فى كتابه حياة محمد » انه لا يوجد واحد فى الدنيا أمكنه أن ينكر وجود محمد ، ولكن وجد من ينكرون بعض ما جاء فى ترجمة محمد فى الكتب العربية ، وكم يكون مؤثرا ومفيدا التلاقي مع رجل من الرجال الذين يقتدى بهم جانب عظيم من الانسانية ، اما من الجهة الاوروبية فقد كانت الاوهام والعداوات الدنيئة تحول دون درس حقيقى علمي لعظمة منشىء الاسلام .

ويضيف جون سيمون « ان محمدا قد رفع اعلام التمدن » امـا الدكتور « ماردوس » المستشرق الفرنسي فيرى أن أكثر الكتاب ارتيابا وشكا قد خضعوا لسلطان تأثير محمد .

اما جوته فعنده أن أهل اوروبا لم يصلوا بعد الى ما وصل اليه محمد فيقول : « اننا ـ أى أهل اوروبا ـ بجميع مناهجنا لم نصل الى أبعد مما وصل اليه محمد وسوف لا يتقدم عليه أحد .. »

٧ ـ اما الدكتورة لورا فينشا فاليرى الكاتبة الايطالية فتدافع عن النبي بحماس وايمان وصدق فتقول : « قام أعداء الاسلام الالداء الذين أعماهم الحقد والتعصب واتهموا رسول الله ، ذلك الرجل النبيل ، الذى كان ينظر اليه قبل الرسالة نظرة اكبار واجلال من جميع مواطنيه ، لما تحلى به من الامانة والسجايا الكريمة ، وكانت هذه التهمة التي رموه بها لا يقبلها عقل ، ولا يمكن أن يسلم بها عاقل ، فضلا عن أنها لا تقوم على أى أساس ، وهي تهمة الغش والخداع ، وليت شعرى كيف ان هؤلاء الناس لم يسألوا أنفسهم : اذا كان النبي فى الحقيقة كاذبا فكيف اجترأ على أن يوجه فى القرآن الى الكذابين والمخادعين أشد عبارات الذم وأقساها ، وكيف توعدهم بالنار وسوء العذاب ، واذا كان كاذبا فى دعوته كما يفترون، فكيف صمد للمقاومة اكثر من عشر سنين وهو فى مكة) احتمل اثنائها الشيء الكثير من صنوف الاضطهاد والآلام ، وهو ذلك الرجل الوديع الهادىء الطباع ، وكيف تهيأ له أن ينحاز اليه طواعية واختيارا ، بل وبمنتهى التحمس جماعات كبيرة من رجالات قريش ونبلائهم ، وان ينضووا تحت لوائه مع غيرهم من السوقة والعبيد .

اما تهمة القسوة التي يوجهونها اليه فمن السهل دفعها ، لان محمدا الذى كان على رأس حكومة ، ويتولى الدفاع عن حياة الشعب وحريته ، كان يحكم الخارجين على القانون بصرامة وشدة ، اقتضتهما ظروف البيئة التي كان يعيش فيها .

ولقد كان محمد ـ كرسول يدعو الى الله ـ رجلا رحيما لين الجانب حتى لاعدائه الشخصيين ، وبذلك اجتمعت فيه فضيلتان ، كلتاهما أكبر الفضائل التي يتصورها العقل البشرى وهما : الرحمة والعدالة .

وبحسبه ان الحرب التي هي أقصى ضرورات الحياة الانسانية قد صارت بفضله أقل وحشية وقسوة ، اذ انه كان يطلب الى جنوده الا يقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، ولا يهدموا بيوتا لم تتخذ كمعاقل حربية .

... وقد أراد اعداء الاسلام ان يظهروا النبى فى صورة رجل شهواني اباحي بأن اتخذوا من زيجاته المتعددة حجة لاتهامه بضعف خلقى لا يتفق ومركز النبوة ولكن فاتهم أمر هام لم يحسبوا له حسابا ، وهو ان النبي أيام فتوته وعنفوان شبابه لم يتزوج الا من امرأة واحدة ، ولم يتزوج من غيرها حتى ماتت ، مع انه كان يعيش بين قوم سادت فيهم كثرة الطلاق والزواج ، وكان يندر ان يقتصر الرجل منهم على زوجة واحدة ، ولما فقدت وكانت سنه حين ذاك خمسين سنة تزوج من اخرى ، كما عقد زيجاته المختلفة التي كانت فى اغلب الاحيان لدواع اجتماعية او سياسية لانه كان يريد بهذه الطريقة ان يكتسب الى صفه رجالا اتقياء او نساء تقيات ، ويرتبط بروابط المصاهرة بأسر قوية ... »

« وكان كل ذلك بقصد نشر الاسلام » (١)

٨ ـ ويدافع الكونت هنرى دى كاسترى عن اتهام النبي بتأليف القرآن ، ويقول « وكيف يعقل ان النبي ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى ، مع انها فى **الازمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها الا القوم الصالحون** ، وقد شاهدنا ان اناسا ـ وما كان اكثرهم ـ أميين قاموا فى أمة العرب ، وادعوا النبوة منهم مسيلمة الذى زعم انه قرين محمد ، اتى بسور سخر منها الغرب ، **ولو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الأقطار ويأخذ بمجامع القلوب .**

اتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته ، وهو لا يزال الى يومنا هذا سرا من الاسرار التى تعذر فك طلاسمها ، ولن يسبر غور هذا السر المكنون الا من يصدق بأنه منزل من الله ، اللهم الا اذا اعتمدنا على قول ممجدى الدين المسيحى مما كنا نرتاح اليه أيام شبيبتنا ، وهو يرجع الى أن القرآن تأليف فاتح أراد تأييد سلطته ، فجمع من كتب اليهود والمسيحيين قانونا اودعه بعض قواعد الادب والدين .. واضاف اليه قصص الوقائع العظيمة لتأييد رسالته .

وعلى كل حال ـ اى سواء توصلنا الى معرفة حقيقة القرآن ام لا ، ـ فلا ينكر احد ان مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل بقطع النظر عن صدق تلك النبوة وعدم صدقها ، لان النبوة من حيث هى عبارة عن قيام رجل يملي على الناس امر ربه ويعتقد حقا ان ما يقوله آت من عند الله .

خاتم الانبياء

ومحمد كما قال (ايوالد) عن انبياء بنى اسرائيل اعتقد ان روحا من الله استولت على لبه ، فلم يشعر بأن له فكرا خاصا ، بل انه اوتيه من عند ربه ، واختفت فى نظره انانيته ، ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته ، ومن ذلك الحين اخذت شفتاه تنطق بالالفاظ بعضها أشد قوة وابعد مرمى من بعض ، والافكار تتدفق من فمه على الدوام ، وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية فظن بعضهم ان به جنة ، وهو رأى باطل لانه بدأ رسالته بعد الاربعين ، ولم يشاهد عليه قبل ذلك اى اعتلال فى الجسم او اضطراب فى القوة المادية ... »

اذن ليس محمد من المبتدعين ، ولا من المنتحلين كتابهم ، وليس هو نبيا سلابا كما يقول (سايوس)، نعم : قد ترى تشابها بين القرآن والتوراة فى بعض المواضع الا ان سببه ميسور المعرفة ، ذلك أن محمدا يلصق ديانة الاسلام بالديانتين المسيحية واليهودية ، وحينئذ لا عجب اذا تشابهت تلك الكتب فى بعض المواضع ، خصوصا اذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها كما ان محمدا هو خاتم الانبياء .. » (١)

ومن جماع هذه الآراء تبدو صورة محمد صلى الله عليه وسلم واضحة فى نفوس المنصفين من الغربيين على نحو قريب جدا مما هي فى نفوس المسلمين ، ولا شك ان مصدر هذا النصر هو قوة الاسلام الذاتية فى فرض تعاليمه وتاريخه وافكاره على الفكر العالمي وتأثيره فيه ، بالرغم من كل المحاولات التي اتخذت لتمزيق صفحته ، وتشويه ملامحه فقد استطاع ان يحفر تيارا قويا على ايدى مجموعة من الاعلام من رجال الفكر والادب والبحث العلمي .

أ/ك/ محاسن الاسلام . طبع يافا ١٩٣٤ ترجمة طه فوزى .

(١) الاسلام . خواطر وسوانح . تأليف هنرى دى كاسترى . ترجمة أحمد فتحي زغلول ـ سنة ١٩١١ .....

معارف مغرضة عن

خطة مريبة

حين ظهرت الترجمة لدائرة المعارف الاسلامية كانت موضع الارتياح من أناس كثيرين ، كما قوبلت بنقد عاصف من الجهات المحافظة ، عبر عنه الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى بقوله نقلا عن مجلة الأزهر (نور الاسلام سابقا) ربيع الأول ١٩٥٣ .

« ان هذه الدائرة تشتمل على الشيء الكثير من التهم الباطلة على الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ورجالاته الصالحين ، ولا يدفع ببعض هؤلاء المستشرقين الى التورط فى هذه الخطة المريبة ألا ما يحملونه فى صدورهم من البغضاء لهذا الدين ، فلا يصح والحالة هذه أن يحمل المترجمون أنفسهم اثم نقل هذه السفاسف الى لغتهم وبأقلامهم ، ليقرأها الناس فى جميع بلاد المسلمين ، فالذى أراه أن يمتنعوا عن ترجمة ما يصادفونه من هذه الأباطيل ، وأن يكتفوا بالاشارة اليها مشفوعة بما يدحضها ، ويبين فسادها بكل دليل » .

ونقد العلامة الأستاذ فريد وجدى رحمه الله ينصب على المفتريات الصارخة من أمثال ما نقلوه عن حديث الافك وايمان ابى بكر وأبى هريرة والسنة والحديث والاجماع والتصوف فى الاسلام ، مما اعتوره الخطأ المقصود والتدليس الآفك وقد رأى الاستاذ أن التعقيبات الخاطفة فى هوامش الدائرة لا تكفى للاطاحة بهذه الشبهات البغيضة لأننا نترجم هذه الشبه بافاضة ، ثم نوجز نقدها ايجازا لا يقطع الشك ، والأولى أن نمتنع عن ترجمتها أصلا .

على أن هناك ناحية هامة من نواحي الخطر فيما يترجم من أعداد الدائرة لم نر من تعرض لها بالتحليل والايضاح ، وهي تسطير البدع الدخيلة على الدين الاسلامي باستفاضة مثيرة ، فقد أمعن مؤلفو الدائرة فى تسجيلها وشرحها وكأنها أصول مقررة لا بدع دخيلة ! !

والافاضة فى تسطير هذه البدع على أنها من المعارف الاسلامية شيء غريب حقا ، لأن الاسلام يبرأ منها ، وما جاء الا لمحاربتها ، فكيف تكون من بين المعارف الاسلامية التي

الإسلام

للأستاذ ـ محمد رجب البيومي

يعني الباحثون بتسجيلها فى دوائر عامة تأخذ منزلة القواميس والمعاجم فى الذيوع والاشتهار .

خلط متعمد

وكان على المؤلفين لو صدقت نياتهم أن يبتعدوا عن تسجيل هذه البدع فى دائرة يقال انها تحصى المعارف الاسلامية ، ولهم أن يتحدثوا عنها فى كتب أخرى تتحدث عن عادات الشعوب وتقاليدها ، أما أن يبحثوا عن الخرافات فى كتب العادات والتقاليد ، لتدون بعد فى دوائر المعارف الاسلامية ، فهذا خلط مقصود متعمد ، أما أنه خلط فأوضح من أن يدل عليه ، وأما أنه متعمد فلان مؤلفي الدائرة ليسوا من البلاهة بحيث لا يفرقون بين أساطير البدع وحقائق الشريعة ! وسنوضح ما نعنيه بمثال من أمثلة الدائرة يدل بمغزاه على عشرات النظائر والأشباه .

قدم المستشرق الانجليزي المستر ادورد وليم لين الى مصر فى يوليه سنة ١٨٢٥ لدراسة آثار المصريين القدماء ، ولكنه اختلط بطبقات الشعب المختلفة ، فعرف من عاداتهم وتقاليدهم فى المواسم والأعياد والأفراح والأحزان والصحة والمرض ما حبب اليه أن ينقل طرائف نادرة عما يرى ويسمع ، وقد اتخذ لنفسه منزلا فى العاصمة وسمى نفسه منصور أفندى ، وتزيا بزى الأتراك ، وادعى الاسلام ليتمكن من محادثة المسلمين فى اسرار معتقداتهم كما يقول ، وجعل يغشى المساجد وحفلات الذكر وموالد الأولياء ، ويتسمع الى أحاديث الكرامة والمعجزات والخوارق حتى تسنى له أن يكتب مؤلفه الذائع عن شمائل المصريين المحدثين وعاداتهم فى جزءين كبيرين ، فاهتمت به دوائر الاستشراق فى اوروبا ، وتناقلته اللغات المختلفة فى الشرق والغرب ، وأصبح لدى المنصفين مرجعا شعبيا لمن يدرس العادات والتقاليد ! كما صار فى الوقت نفسه أحد المراجع الهامة لمؤلفي دائرة المعارف الاسلامية ينقلون عنه الخرافات وكأنها حقائق ، وليس على الرجل نقد فيما كتب ، فهو يعترف أنه يتحدث عن عادات وتقاليد ! ولكن المؤاخذة كل المؤاخذة تتجه لمن سولت لهم نفوسهم أن يحشدوا الغرائب

العجيبة فى دائرة المعارف لتصير فى رأيهم بمرور الزمن حقائق متداولة! وهي ظاهرة البطلان فى نظر السذج بله المثقفين الثقاة.

الدوسة

من أطرف ما ذكره الأستاذ ادورد وليم لين ما يسمى بالدوسة لدى بعض الفرق المنتسبة للطرق الصوفية ، وهي ملهاة مضحكة تدل على غفلة العقول فى عصور التأخر والانحطاط ، وقد لخصها استاذنا الدكتور احمد أمين فى كتابه المعروف بقاموس العادات والتقاليد المصرية ، وقال عنها : انها تحدث فى ربيع الأول من كل عام اذ يجتمع أرباب الطرق على نظام خاص ، ثم يسير الموكب متنقلا فى شوارع العاصمة ببيارقه وأعلامه وطبوله وراياته ، وبه كثير من المشعوذين بعضهم يأكل الزجاج ، وبعضهم يأكل الثعابين وبعضهم يضرب صدره بدبوس ذى رأس كبير فى عنف وقسوة ، ومنهم من يضع حد السيف فى بطنه ثم ينام فوقه ، ويأتي شيخ الطريقة ، فيبل يده بريقه ، ثم يمسح على بطن المريد حتى لا يتأذى من حد السيف ، وعندما تصل هذه المواكب الى ساحة المولد ينبطح الكثيرون ، على وجوههم فى صف كبير ، فيمر فوقهم شيخ السادة السعدية بحصانه ، يقوده اثنان من اتباعه ، ويعتقدون أنهم سينالون من ذلك بركة كبيرة ! !

هذه طرفة نادرة ، ولا على الأستاذ لين أن يذكرها بين ما شاهد فى كتاب عن عادات المصريين فى بعض عصور الانحطاط ، ولا على الاستاذ احمد أمين أن يسردها فى قاموس العادات والتقاليد الشعبية ، انما الحرج أن تكون بين المعارف الاسلامية ، فتخصص لها ثلاثة أعمدة طوال فى صفحات ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ من المجلد التاسع حيث تحتشد أسماء الأولياء من أمثال السلطان الحنفى والدشطوطي ويونس السعدى والبكرى ، ويزاد على ذلك ما يوهم التعلق بأصل اسلامي ، فيقول كاتب الدائرة : ولا شك أن اصطناع الطريقة السعدية للجواد يتصل برتبة صاحب طريقتهم بوصفه من سلالة النبي ! وقول الكاتب لا شك بصيغة الجزم والايقان يدعو الى السخرية فان نسبة شيخ السعدية الى السلالة النبوية محاطة بالشكوك القوية من ناحية ، واصطناع الجواد على هذه الصورة المنكرة لم يعرف اطلاقا عند آل الرسول وسلالته حتى يكون هذا التقليد جائزا مستساغا لرجل يدعي الانتساب الى آل محمد صلى الله عليه وسلم ! وليت شعرى فى أى كتاب تاريخي نص على اختصاص سلالة الرسول الأطهر بما يأباه نبي الاسلام ، ويدعو الى محاربته ! ومتى كان لأحد افراد هذه السلالة أن يبتدع ما لم يأذن به الله حتى يكون فعله الجرىء تقليدا اسلاميا يذكر دون اعتراض ! !

ان الحرص على تسطير هذه المأساة ومحاولة الصاقها بمصدر دينى ليفصح عن دخيلة عليلة لدى من يسرهم أن يشوهوا محاسن الدين الاسلامي بالتي هي أقبح وأفدح .

لا تترجموا الدخيل

هذا مثال من عشرات ، وهو يدعو الى النظر الدقيق فيما نشر بالعربية من اعداد دائرة المعارف الاسلامية ! ونحن قبل كل شيء نعترف بجهود حضرات المترجمين وخلوص نياتهم الصادقة ، وروائع همتهم البارعة فى انجاز هذا العمل الضخم بما لا يجرؤ على انكاره منصف يزن الأعمال بميزانها القويم ، ولسنا مع الأستاذ فريد وجدى حين نادى بوقف

الترجمة وامتناعها كيلا تسيء الى الشبيبة الاسلامية بما تقدم من آراء مدخولة لا يتبين وجه الصواب فيها غير الدارسين المتبصرين ولكننا درءا للخطر ، وأخذا بالحيطة ندعو الى الاقتصار فى الترجمة فيما سيجيء من الاعداد على الصحيح المتيقن من خالص القول وصادق الرأى ، مع اغفال ما يحوطه الريب ، ويعتوره الشك ، ولسنا بذلك نخل بالترجمة العربية ، اذ نعلن أن خطتنا أن نقتصر على النافع المفيد من وجهة النظر الاسلامية ، ولن يعنينا أن تكون الترجمة حرفية مستوعبة اذ أن الحرص على ذلك يقذف بالتهم ظلما الى الاسلام والمسلمين .

وقد يقول قائل ان البتر والحذف فى الترجمة اهدار للأمانة العلمية فى النقل ، ونحن نرد على ذلك اذا ووفق على اقتراحنا الراهن بأننا سنظهر خطتنا الجديدة للناس ، فنعلن أننا نختار من الدائرة فقط لا أننا نلتزم بكل ما بها من بحوث ، ولن يكون ذلك اهدارا للأمانة العلمية بل توقيا لأوهام تتجسد حتى تكون سحبا قاتمة تغشى نور الحق ، وتطمس لألاء الاسلام .

أما محاولة الرد فى الهوامش وفى أعقاب المباحث فقد روعيت فيما نشر من الأعداد العربية ، ولم تستطع فى بعضها ــ لا فى جميعها ــ أن تفي بالمراد ، فقد تكون الشبه المسطورة مطيلة مسهبة كما لاحظ العلامة الكبير الاستاذ محمد فريد وجدى رحمه الله ، ثم يأتي التعليق موجزا مبهما لا يؤدى رسالته ، بل ان التعقيب فى بعض المباحث يكون ــ على طوله ــ فاترا ضعيفا يوحي بقوة الشبهة واطالتها ، واذ ذاك يثبت الباطل ويضيع الحق !

مستشرقون مبشرون

على أننا لاندرى لماذا نجبن عن الاعتراف بأن اكثر كتاب الدائرة قسس مبشرون يهمهم أن يتحيفوا الاسلام لا أن ينصفوه وقليل منهم من يتصف بالشجاعة العلمية فيتغلب على عناصر التعصب والضيق ! ومن كان كذلك ، لقي من زملائه قارع التأنيب وعنيف النقد ، وليس كتاب الدائرة وحدهم من هذا النمط ، بل جل المشتغلين بالدراسات الاسلامية لا يتجاوزون صناعة التبشير ، تعرفهم فى لحن القول بتخيلاتهم المريضة واستنباطهم المغرض ، وافتراضهم المتمحل ، وأقرب مثال لنا هو المستر توماس باترك هيوز صاحب قاموس الاسلام ، وهو مرجع متداول لا تكاد تخلو منه مكتبة أوروبية فقد قضى القس المؤلف فى وظيفته التبشيرية ببلاد الهند بين المسلمين والبرهميين والبوذيين اكثر من عشرين سنة ونشر معجمه ــ كما يقول ــ هداية للموظفين الانجليز ممن كانوا يتولون الحكم ببلاد الهند فى أواخر القرن الماضي ، ومساعدة للمبشرين بالمسيحية ممن يجادلون علماء الاسلام ، وللباحثين فى الأديان المقارنة ، وقاموس كذلك يصدره قس مبشر متعصب لايمكن أن توصف أبحاثه بالحيدة والانصاف ، وما أكثر ما يدور فى فلكه من الدوائر والمعاجم والقواميس ، أفيجوز لهؤلاء وأشباههم أن يقولوا فى الاسلام ما يشاءون ، ولا يجوز لنا فى الترجمة العربية من دائرة المعارف الاسلامية أن نختار ما نشاء فان فعلنا ذلك كنا ــ فى نظر سدنة الاستشراق ــ غلاة متعصبين ! ! .

قرارات مؤتمر البحوث الاسلامية

سبق ان نشرنا فى العدد الثالث بعض قرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذى انعقد فى القاهرة فى شهر المحرم الماضي وها نحن أولاء ننشرها كاملة لما تضمنته من آراء قيمة فيها بلا شك نفع للاسلام والمسلمين .

وقد جاءت هذه التوصيات والقرارات المشار اليها على فترتين ..

توصيات الفترة الاولى :

أولا : ان تقف الدول الاسلامية صفا واحدا فى كل ما يمس مصالح المسلمين فى حياتهم الدينية والدنيوية ، وان تحكم تعاليم الاسلام فى حياتها ، وفيما عسى ان يشجر بين المسلمين من خلاف حتى تظل الاخوة الاسلامية قائمة وفعالة .

ثانيا : (أ) يجب الاسراع فى تحديد الوسائل العملية لنشر الاسلام والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف الدول على كافة المستويات ، وبحث طريقة تمويل هذه الوسائل حتى يمضي مجمع البحوث الاسلامية فى مهمته العظمى التي من اهم اهدافها حمل امانة دعوة الناس كافة الى الاسلام .

(ب) تفويض الامام الاكبر شيخ الازهر فى تأليف اللجان التى يوكل اليها بحث هذه المهمة .

(جـ) تأييد جميع الحكومات الاسلامية والمسلمين هذه المهمة وأن يمدوها بالاموال والامكانيات التي تكفل لها النجاح .

ثالثا : يرى المؤتمر ان قضية فلسطين هي قضية المسلمين جميعا لارتباطها الوثيق بدينهم وتاريخهم وتراثهم . وانه لن يهدأ للمسلمين بال حتى تعود الارض المقدسة الى اهلها وان فى وجود اسرائيل فى فلسطين خطرا يهدد المسجد الاقصى طريق الحرمين الشريفين والسبيل الى قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ مما يجعل تحرير فلسطين وامنها لازما لأمن الديار المقدسة ولأداء الشعائر الدينية لجميع المسلمين فى المشارق والمغارب .

لذلك كان الدفاع عن فلسطين والعمل على تحريرها فرضا على كل مسلم، وكان القعود عنه اثما كبيرا ، ومن ثم يوصي المؤتمر فى شأن هذه القضية بما يلي :

١ ــ أن يولى المسلمون جميعا قضية فلسطين كامل عنايتهم وجهودهم حتى يتم تحرير هذا الوطن العربي الاسلامي المغتصب تحريرا كاملا .

٢ ــ أن تسحب الدول الاسلامية التي اعترفت بحكومة اسرائيل هذا الاعتراف وان توقف الدول والشعوب الاسلامية التي تتعامل مع اسرائيل هذا التعاون .

٣ ــ ان تتولى الهيئات والمؤسسات الاسلامية فى كل بلد اسلامي متابعة القضية الفلسطينية وتنوير الرأى العام بشأنها ، وانشاء مراكز اسلامية فى القدس .

٤ ــ ان تنفذ الحكومات العربية جميعا قرارات مؤتمرى القمة العربيين نصا وروحا ، وان تساندها الدول الاسلامية

فى ذلك مساندة كاملة كما يستنكر المؤتمر كل محاولة للخروج على هذه القرارات لأنه لا يوجد حل لمشكلة فلسطين غير عودة الحقوق الى اهلها وازالة اسرائيل .

٥ ـ مؤازرة منظمة التحرير الفلسطينية لكى تؤدى واجبها فى الدفاع عن الوطن السليب فى مختلف المجالات .

٦ ـ والى ان يعود الحق الى أهله يوصى المؤتمر ان يجعل المسلمون يوم ١٥ مايو يوم ذكرى وتجديد العهد على انقاذ فلسطين من الشرذمة الباغية التي تعيث فى الارض فسادا .

قرارات وتوصيات الفترة الثانية

الشئون المالية والاقتصادية

أولا : التأمين

قرر المؤتمر بشأن التأمين ما يلي :

١ ـ التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لاعضائها ما يحتاجون اليه من معونات وخدمات : أمر مشروع وهو من التعاون على البر .

٢ ـ نظام المعاشات الحكومي وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعي المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع فى دول اخرى : كل هذا من الاعمال الجائزة .

٣ ـ أما انواع التأمينات التي تقوم بها الشركات أيا كان وضعها ، مثل التأمين الخاص بالحوادث التي لا مسئول فيها والتأمين على الحياة وما فى حكمه : فقد قرر المؤتمر الاستمرار فى دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين مع الوقوف ـ قبل ابداء الرأى ـ على آراء علماء المسلمين فى جميع الاقطار الاسلامية ، بالقدر المستطاع .

ثانيا : المعاملات المصرفية

قرر المؤتمر بشأن المعاملات المصرفية ما يلي :

١ ـ الفائدة على انواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الانتاجى لان نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين .

٢ ـ كثير الربا وقليله حرام كما يشير الى ذلك الفهم الصحيح فى قوله تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة * .

٣ ـ الاقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع اثمه الا اذا دعت اليه الضرورة .

وكل امرىء متروك لدينه فى تقدير ضرورته .

٤ ـ اعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك فى الداخل . كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة . وما يؤخذ فى نظير هذه الاعمال ليس من الربا .

٥ ـ الحسابات ذات الاجل ، وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر انواع الاقراض نظير فائدة كلها من المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية ، اجل النظر فيها الى ان يتم بحثها .

البقية فى العدد القادم

بقية ابن الخطاب

وحين أقدم لقراء « الوعي الاسلامي » شخصية عمر الأدبية أرجو أن أكون قد صنعت خيرا لطبقة من شبابنا المسلم انخدعت فترة من الدهر بما يسميه « مستوردوه » بمذهب « الالتزام » فى الأدب الوجودى الذى يتزعمه اليوم فى أوروبا الفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » فراحت تنادى به فى جامعاتنا العربية المسلمة كأنما هو كشف أدبي جديد اهتدت اليه الوجودية أواخر النصف الأول من القرن العشرين أو قبل ذلك بقليل .

وسترى هذه الطبقة من شبابنا المسلم أنها خدعت عن ماضيها الجليل بما وقر فى أسماعها من أباطيل احتشد للترويج لها علماء من العرب والمسلمين ، اما عن جهل بما يزخر به تراثنا القديم ، واما عن علم يقود زمامه الهوى والغرض !!

وسترى هذه الطبقة كذلك أن الدعوة التي تثار من حين الى آخر لتوجيه الأدب الى الفضيلة والبناء ليست جديدة على الأدب من حيث هو فن هادف بطبيعته ، فان التوجيه أخص صفة عرفت للفنون منذ نشأتها ، ولا نكاد نتصور أدبا لا غاية له ولا هدف الا فى أحاديث المخلّطين والمجانين .

ان عمر بن الخطاب لم يشأ أن يقصر مبدأ الالتزام على النثر كما قصرته الوجودية الحديثة ، بل جعله واجبا فى الشعر ، وأغرى به شعراء عصره ، وان كان اختلاف النظرة الى مبدأ الالتزام من جانب عمر والجانب الوجودى يقوم على بواعث فنية قد نعرض لها فى مناسبة أخرى .

توجيهاته للشعراء

كانت توجيهات عمر للشعراء صادرة عن التوجيه القرآني الذى نزلت به الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر انهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا » فالقرآن الكريم لا يرى للشعراء أن يميلوا مع الغي والهوى، ولا يرضى لهم أن يجوسوا منحرفات السبل ، ومعوج الشعاب ، كمن يهيم على وجهه ، ولا يحب لهم أن يحمدوا بقول لا يعضده عمل ، بل يرى لهم أن يصبحوا من ذوى العقائد ، فان العقيدة تذكى فى النفس روح النضال فى سبيل ثباتها وانتشارها ، وتفجر فى القلب ينابيع الخير والصلاح .

وتلك أنبل رسالة نراها للشعر منذ ان جرى على الألسنة ، رسمها القرآن الكريم وأجاد تطبيقها عمر بن الخطاب فى بصر وحذق .

يروى الجاحظ عن ابن سلام الجمحي أنه ما يكاد يعرض لعمر أمر الا أنشد فيه بيت شعر ، وهذه الرواية تهدينا الى تعلق الخليفة بذلك الفن الذى يخالط النفس العربية ويستهويها ، ولا يصرفها عن حبه ما قد يجد لها من شؤون الحياة مهما كان جليل الخطر ، فذلك فى العربي الأصيل يعتبر مما يلتصق بالطبع ، ويرتكز على الفطرة .

ولكن هذا الحب لم يزحزح ابن الخطاب عن منهجه الاسلامي قيد أنملة ، ولم يزين له أن يغيّر نظرته الجادة الى الحياة الجديدة .. حياة البناء ودعم الكيان

الاسلامي الوليد ، ومن ثم خطا خطوات موفقة فى الشعر ودفع به الى سبل لا عوج فيها ولا التواء ، وقاد الشعراء الى الوجهة التي حشد اليها عزائم الأمة فى نضالها من أجل سيادتها وعظمتها .

لقد كان الفاروق من أعلم العرب بفنون الشعر على عصره ، ومن أدقهم نظرة فى فهم رسالته ، ومن أرقهم ذوقا فى الاهتداء الى مواطن الجمال فى هذا الفن الجميل وفى هذا الاطار العام سنبرز الشخصية الأدبية لابن الخطاب عسى أن نلمس ما أحدثت من مفاهيم جديدة فى طبيعة الرسالة التي حمل لواءها فن القول المثير على ألسنة شاعرة وخواطر جياشة .

على أننا نأمل أن تمتد أبصارنا فى الحديث عن توجيهات الخليفة الأديب الى أعماق ما نقرأ له ، فقد يتاح لها أن تتبين مدى تذوقه للفن الشعرى ، وأن تشعر بتلك الهزة التي كانت تنتظم كيان عمر من حلاوة ما يسمع من شعر ، ولكنه كان يغالبها فى وقار وجد ، وهيهات أن تختفي أو تغلب ، لأنها كثيرا ما تمض فى تعليقاته الدقيقة وميض الحور من عيون كحيلة ، وترفُ نديَّة رفيف الابتسامة على ثغر جميل .

وبهذا النسق سأكشف للقراء عن الجانب الفني لشخصية مثلت فى نفوسنا ومن حولها هالة من الجد والوقار .

أنشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب قوله : ــ

عميرة ودِّع ان تجهزت عاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر : لو قلت شعرك مثل هذا لأعطيتك عليه ، فلما قال : ــ

فبتنا وسادانا الى علّجانة
وحقف تهاداه الرياح تهاديا
وهبَّت شمالا آخر الليل قرَّة
ولا ثوب الاَّ درعها وردائيا
فما زال بردى طيِّبا من ردائها
الى الحول حتى أنهج البرد باليا

قال له ابن الخطاب ويلك ، انك مقتول ! !

وعمر فى تعليقه على مطلع القصيدة راض كل الرضا على المنهج الشعرى حتى أنه أراد أن يعطى عليه العطاء ، وهو فى تعليقه على الأبيات راض كل الرضا على السهولة والجمال اللتين تلوحان فى ليلة الشاعر ، ولهذا كان تعليقه عليه . ويلك ، وهي كلمة على ما تتضمن من اشفاق وزجر ، تتضمن أيضا قبولا لهذه العذوبة المستحبة التي جرت على لسان شاعر مسلم تعلق فى صدر قصيدته بالاسلام ، ثم مضى فيها خاليا الى نفسه وذكرياته الحلوة فى ليلة قضاها مع حبيبته على غير تصريح بالفحش والفجور .

وفى مقال تال نتابع حديثنا عن ابن الخطاب والشعراء .

جاءت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت :

« ان أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، فجعل الأمر لها . فقالت :

قد أجزت ما صنع أبي ، ولكني أردت أن أعلم النساء أن الآباء ليس لهم من الأمر شيء »

« رواه أحمد والنسائي »



قال الله تعالى فى كتابه الكريم « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » صدق الله العظيم .

وفى الحديث الشريف « وكل ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين . . »

وتتوالى الآيات والأحاديث التي تحرم الربا وتتناول بعض جوانب المعاملات المختلفة فتؤكد شمولها لهذا الجانب المحرم وتميزها عن معاملات البيع الأخرى ، ولكن الفقه الاسلامي لم يواجه بعض المعاملات الربوية الموجودة فى واقعنا الآن ، فجاء فقهاء المسلمين فى العصر الحديث يدلون بدلوهم ، ويجتهدون فى حل كثير من المشاكل ، ويفتون الناس فيما اختلط عليهم فى شأن معاملات البنوك والاستثمارات المختلفة ، وهل سعر الفائدة فيها محرم أو أنه بعيد عن دائرة الحرام ، فوجدنا من قطع بالتحريم ، ومن نادى بالاباحة ومن آثر التريث والانتظار .

وقد اجتمع فى القاهرة نخبة من علماء المسلمين (مجمع البحوث الاسلامية) وقطعوا فى هذا الأمر برأى قاطع يقضي بأن سعر الفائدة محرم أيا كان شكله أو الغرض منه .

ولقد أفاء الله حديثا على أمتنا وعلى العالم أجمع بجمهرة من الاقتصاديين الذين تناولوا تحليل المشاكل الاقتصادية وظاهرة الكساد والدورات الاقتصادية ، فوجدوا أن سعر الفائدة يشكل أحد الأسباب الرئيسية التي تؤدى لهذه المشاكل .

مساوىء سعر الفائدة فى القروض الدولية

وسنتناول فى هذه المقالة جانبا من الأضرار التي يحدثها الربا ، ومدى

التطور والتغيير الذى طرأ على التفكير الدولي بهذا الشأن .

وهذا الجانب هو سعر الفائدة فى القروض الدولية . ويقصد بالقروض الدولية التي تحصل عليها الدولة أو هيئاتها الداخلية من دولة أو هيئات أجنبية ودولية .

وقد أخذت ظاهرة اقتراض الدولة من الخارج فى الزيادة والتوسع فى القرن الماضي والحالي حتى أصبحت اليوم ضرورة لا يمكن أن تستغنى عنها الدول الصغيرة أو الكبيرة .

وأقبلت الحكومات على وضع خطط وبرامج لتطوير اقتصادها وأوضاعها ، فظهرت برامج السنوات الثلاث والخمس والسبع والعشر ، والحكومات تهدف من وراء هذه البرامج تشغيل مواردها الداخلية الى الحد الأقصى لدفع عجلة النمو الاقتصادى ومضاعفة الدخل الأهلي .

وقد وجدت حكومات الدول النامية ـ المتخلفة اقتصاديا ـ ان لديها الكثير من الموارد الطبيعية غير المستغلة تحتاج لتصنيعها الى عدد وآلات تستوردها من الخارج بعملات صعبة ومبيعاتها من المواد الخام للدول المتقدمة لا تغطي حاجتها من هذه العملات ، مما اضطرها للاقتراض من الدول والهيئات الأجنبية والدولية .

ولم تراع حكومات الدول المتقدمة التي تقدم القروض المبادىء الانسانية (التي اشتملت عليها الآية الكريمة التي سقناها فى صدر هذا المقال) فأخذت تحدد سعر الفائدة مرتفعا مع شروط قاسية للاقتراض والسداد .

وأصبحت القروض التي تحمل في معناها اسم المساعدات والمعونات للدول النامية وسيلة من وسائل الدول الغنية فى تصريف منتجاتها من عدد وآلات وبضائع مختلفة وفرض السعر الذى تراه ، وأحيانا يزيد عن اسعار السوق العالمية ، كما أنها تحسب فى القرض مكافآت الموظفين والفنيين الذين يشرفون على تنفيذ المصانع والمشاريع التي تم القرض من أجل اتمامها وعادة ما تكون مكافآت عالية مغالى فيها ، وكذلك فهي تضيف على أعباء الدولة المقترضة أجور الشحن والتأمين لشركات تابعة لها بأسعار مجزية تربو على أسعار غيرها من الشركات .

وهكذا أصبحت القروض من أحسن الوسائل للدول الصناعية لترويج منتجاتها ، وتشغيل مصانعها . ووحداتها الانتاجية ، والقضاء على البطالة فيها ، وتحقيق الرواج والرفاهية لمجتمعاتها .

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن الدول النامية المقترضة تقبل فى كثير من الأحيان تحت ضغط ظروفها وقلة خبراتها سلعا وخدمات أقل فى الجودة من المستوى المطلوب أو تقنع بتركيب مصانع وآلات أصبحت فى العرف الصناعي قديمة مرت عليها عدة مراحل من التطور والتغيير فلا تحظى منتجاتها فى المستقبل بالقدرة على منافسة منتجات المصانع الحديثة فى الدول الصناعية المتقدمة، كما أنها تفقد كثيرا من مميزات حرية الاختيار سواء فى مجال الخبرات الفنية أو النقل أو التأمين بل تلتزم بشروط واسعار محددة، وتضحي بشروط وأسعار أفضل خارج هذا النطاق الاحتكارى المفروض .

وكثيرا ما تتأخر الدول المقرضة عن تنفيذ عقودها أو تمتنع عن الالتزام بشروطها لأسباب سياسية أو غير سياسية مما يترتب عليه تعطيل الانتاج فى الدول المقترضة ، وتأخر قيام مشاريعها فتختل التقديرات الموضوعة فى الخطة العامة ، أو تجد الحكومة أن العملات الصعبة التي كانت تحرص على توفيرها قد امتنعت أسباب توفرها ، فالسلع التي كانت ستوفر عليها الاستيراد من الخارج أو ستقوم بتصديرها فتزداد بذلك حصيلتها من العملات الصعبة لم تنتج بعد ، فتستمر الدولة فى الاستيراد بل تضطر الى زيادة وارداتها ـ نتيجة لارتفاع القوة الشرائية ـ ويزيد العجز فى ميزانها التجارى ، وكثيرا ما يضطرها ذلك الى تعطيل تنفيذ سياسة التصنيع أو تمديد فتراتها ، وتسعى لسداد ديون وفوائد هذه الديون أولا محافظة منها على سمعتها الدولية ، كما تعمل على تنفيذ

سياسات التقشف فى الداخل فتمتنع عن استيراد الكماليات وتعمد الى تصدير بعض الضروريات لتعويض ما فقدته من نقد أجنبي ، وكل هذا يثقل كاهل الشعوب الفقيرة ويزيد من ضنكها .

وهكذا ترى كيف أصبحت القروض عاملا قويا فى زيادة الرفاهية للدول الغنية وارهاق شعوب الدول الفقيرة واستنزاف مواردها .

وأحب أن أؤكد معنى هاما أود ألا يغيب على القارىء وهو انني أتعرض للقروض الدولية من جانبها الاقتصادى فقط ، أما الجوانب السياسية والعسكرية والقروض التي تقدمها الدول الكبيرة لأسباب استراتيجية ولتعزيز مراكزها ضد الدول الكبرى الأخرى فهذا شيء آخر لا أتعرض له فى هذه العجالة .

كما أود أن أؤكد أيضا أن الشروط القاسية التي تضعها الدول الغنية وتفرضها على الدول المقترضة لا تقل فى ضررها عن سعر الفائدة المرتفع ولذا نرى أن آية تحريم الربا قد قرنت الاثنين معا كما سنوضح فيما بعد .

قروض البنك الدولي ومؤسسة التنمية الدولية

انشىء البنك الدولي للانشاء والتعمير فى اعقاب الحرب العالمية الثانية بقصد اعانة الدول الأعضاء على تعمير المناطق التي دمرتها الحرب ، والنهوض بالبلدان المتخلفة اقتصاديا ، وتشجيع التبادل التجارى الدولي ، ورفع مستوى المعيشة بين الشعوب .

ويقوم البنك بتقديم القروض للدول صاحبة المشاريع الاقتصادية مباشرة أو بضمان قروض لهذه المشاريع تقدمها مؤسسات أهلية ، وقد يشترك البنك الدولي مع الرأسمال الخاص فى التمويل .

واذا نظرنا الى هذه الأهداف بدون التعمق فى التفاصيل نجد أنها تتفق تماما مع مبادىء ديننا الحنيف فى التكافل والتعاون ، ونحن نجد بين أبواب الزكاة ما يغطي هذه الأهداف ، كما نجد فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأعمال والأقوال ما يضمن تحقيق ما هو أبعد بكثير من هذه الأهداف .

ولكننا اذا انتقلنا من الغايات الى الوسائل التي يتبعها البنك نجد أنه يقرض بسعر فائدة مرتفع يصل الى ٦٪ سنويا حيث أن البنك يقوم بسياسة الاقتراض لتغطية قروضه فيطرح الأسهم والسندات بسعر فائدة معين ثم يعود فيقرض هذه الأموال بسعر فائدة أعلى كما أن القروض التي يقدمها البنك يشترط قبل تقديمها توفر كثير من الضمانات التي تعجز أغلب الدول النامية عن توفيرها هذا علاوة على أن مدة القروض قصيرة أو متوسطة الأجل .

وقد أحست الدول المتخلفة اقتصاديا أن قروض الدول الغنية والبنك الدولي تشكل بالنسبة اليها عبئا كبيرا فبدأت تناضل فى عالم يقدس المال وصاحبه ولا يأبه للفقير وحاجاته ، وقد عزز هذا النضال ازدياد عدد الدول المستقلة حديثا فى الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة .

واستجاب البنك لندائها المتواصل الملح وأنشأ فى عام ١٩٥٩ مؤسسة لتمويل المشاريع الاقتصادية فى هذه الدول ورصد لها رأسمال قدره ألف مليون دولار ووضع شروطا للاقراض اكثر يسرا من قروض البنك ، فالمؤسسة تمنح قروضها لمدة خمسين عاما ، ولا تبدأ الدولة المقترضة فى السداد الا بعد عشر سنوات من موعد الاستحقاق ولا تدفع فوائد فى هذه السنوات العشر ثم تدفع ١٪ فائدة سنويا فى العشر سنوات التالية و ٣٪ فى الثلاثين سنة الباقية ويتم السداد بمعدل ٢ ١/٢ ٪ من قيمة القرض لمدة أربعين عاما .

ولا شك أن هذه الشروط فيها كثير من التيسير على الدول النامية غير أن مبلغ ألف مليون دولار يعتبر مبلغا ضئيلا لتمويل مشروعات الدول النامية التي تقدر بثلاثة آلاف مليون دولار سنويا ، لكي ترفع من دخلها القومي بنسبة اكبر من زيادة عدد السكان فيها ، وأخذت مجموعة الدول النامية تقوى ويشتد عودها فى الأمم المتحدة ولكن مصالح الدول الصناعية الغنية كانت دائما ما تقف عقبة أمام تحقيق التطور المنشود وازالة العقبات من الطريق .

القروض وسعر الفائدة فى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية

استمرت الدول النامية فى كفاحها ضد التخلف والجوع والأمراض الاجتماعية المستشرية فى شعوبها وفى كل عام تزداد حاجتها للقروض والمعونات الأجنبية وتزداد بالتالي اعباؤها فى سداد الديون.

كما أخذت الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة تزداد يوما بعد يوم ، فالأولى فى تقدم متزايد والثانية لا تكاد تحس أنها خطت الى الأمام خطوة أو خطوتين .

وكان من بين الجهود الكبيرة التي حققتها الأمم المتحدة فى السنوات الأخيرة نتيجة لضغط الاكثرية العددية من الدول النامية عقد مؤتمر كبير فى ربيع ١٩٦٤ فى جنيف لمدة ثلاثة شهور ضم (١٢٠) دولة وجميع الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة ، وناقش مشاكل الدول النامية فى مختلف شؤون التجارة والتنمية الاقتصادية .

وناقش المجتمعون جميع المسائل بصراحة ووضوح ، وأصبحت المشاكل جميعها معروفة وحلولها مرسومة ، وبقي أن توافق الدول المتقدمة وتسلم بأن عليها واجبا لا بد أن تفي به وتؤديه ، كما أن التعاون الوثيق المستمر بين ٧٧ دولة فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية سيصل ولا شك الى اعتراف الدول المتقدمة بهذا الواجب فى المستقبل ان شاء الله .

وقد كون المؤتمر لجنة لدراسة مشاكل التمويل والقروض والمساعدات المالية للدول النامية وانتهت اللجنة الى اصدار بعض التوصيات الهامة بعد أن عرض عليها ما يزيد عن ١٠٠ اقتراح نذكر منها : ـ

ـ يجب ألا يزيد سعر الفائدة فى القروض الدولية عن ٣٪ سنويا .

ـ يجب على الدول والهيئات التي تقدم القروض أن تقبل سداد الديون عينا فى صورة بضائع تنتجها الدول النامية وبصفة خاصة منتجات المشاريع التي غذتها بقروضها .

ـ تقبل الدول التي تمنح القروض سداد جزء من ديونها بالعملات الوطنية للدول المقترضة .

ـ لا تقل مدة القروض عن ٢٠ سنة .

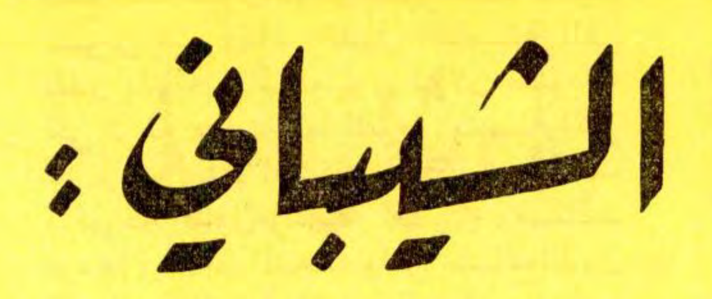
ـ يجب أن تقترن الهبات بالقروض فى حالات الدول النامية التي لا يمكنها سداد القروض .

ـ يجب ألا تفرض الدول المقرضة شروطا بشأن النقل والتأمين على الدولة المقترضة ، بل تترك الأخيرة حرة فى نقل بضائعها على السفن التي تختارها والتأمين فى شركات التأمين التي تفضلها .

ـ يجب أن توافق الدول المقرضة على تجميع قروضها للدول المقترضة وتوحيد السداد على فترات طويلة وبطرق ميسرة .

ونود أن نوضح مرة أخرى بأن هذه التوصيات لم تجد حينئذ قبولا وموافقة من الدول المتقدمة التي تقدم القروض ،

البقية على ص ٧٧



الفقه الاسلامي ثروة عالمية فى مجال التقنين والتشريع .. وهذا المقال عن الشيباني الفقيه المسلم يبرز خصائص التشريع الاسلامي على المستوى العالمي ..

وحسب الشيباني تقديرا أنه تتلمذ على أبي حنيفة ومالك وتلقى عنه الشافعي .. وأن فقهاء القانون الدولي فى مختلف بلاد العالم أسسوا جمعية باسمه للتعريف به واظهار آرائه ، ونشر مؤلفاته .

((الوعي الاسلامي))

فى جوتنجن بألمانيا ...

تأسست ((جمعية الشيباني للقانون الدولي)) وضمت فقهاء القانون الدولي والمشتغلين به فى مختلف بلاد العالم،واختير لرئاستها الفقيه المصرى الدكتور عبد الحميد بدوى ...

وتهدف الجمعية الى التعريف بالشيباني واظهار آرائه ونشر مؤلفاته فى مجال القانون الدولي ....

فمن هو ((الشيباني)) الذى لقى هذا التقدير العالمي الكبير ؟ ؟

ميلاد رجل ..... مع ميلاد دولة .

ولد محمد بن الحسن الشيباني فى واسط من العراق عام ١٣٢ هـ ، وهو العام الذى شهد نهاية دولة الأمويين وقيام دولة العباسيين .

ونشأ محمد بالكوفة التي كانت مركزا متألقا من مراكز النشاط الفكرى الاسلامي ، وكانت ملتقى كبار علماء الدين واللغة من أمثال أبي حنيفة وأبي يوسف والثورى والكسائي والفراء وثعلب ، وفى هذا (المناخ) الفكرى تنفس محمد بن الحسن ....

وكان أبوه قد خلف له ثروة أنفقها فى طلب العلم ...

* لازم أبا حنيفة ٤ سنوات حتى توفى ١٥٠ هـ ، فواصل الدرس على صاحبه الفقيه الكبير « أبي يوسف » .

* وقصد الشام طلبا لعلم الأوزاعي ، كما طلب علم سفيان بن عينية فى مكة وعبد الله بن المبارك فى خراسان . بجانب ما أفاده من علم الكثيرين بالبصرة .

*** ثم قصد ((المدينة)) حيث تلقى عن مالك ، ولازمه ٣ سنوات ، وسمع منه الموطأ مرات . فاستفاد من فقه الحجاز ، كما استفاد من فقه العراق ، ودرس فى مدرسة ((الرأى)) كما درس فى مدرسة ((النصوص)) .**

وعاد محمد بن الحسن الى العراق ، فاشتهر ، وأقبل عليه طلاب العلم وكان ممن أخذ عنه أسد بن الفرات الفقيه المجاهد الذى قاد جيش المسلمين لفتح صقلية والذي دوّن (الأسدية) التي كانت الأصل لمدونة (سحنون) فى الفقه المالكى وكان الشافعى من بين من تلقى العلم

والقانون الدولي

للاستاذ ـ فتحي عثمان ـ
القاهرة

عن محمد بن الحسن . وقد أفاد من علم محمد كثيرون آخرون من أهـل العلم : مثل أبى حفص الكبير الذى درس عليه البخـارى ، وأبى سـليمان الجوزجاني الذى انتشرت عن طريقه الكتب الستة فى الحديث ، وأبى عبيد القاسم بن سلام صاحب كتاب (الأموال) ويحيى بن أكثم واسماعيل بن توبة وغيرهم .

وقد ازدهر فقهأبى حنيفة وأصـحابه فى حكم الرشيد ، فكان « أبو يوسف » مستشار الخليفة بلغة عصرنا ، وكان يشغل منصب قاضي القضـاة كعمل رسمي ، وهو الذى كتب للخليفـة كتاب « الخـراج » ليكون دسـتوره فى السياسـة الاقتصادية والمالية . ويعتبر هذا الكتاب ، بجانب كتاب آخر بنفس الاسم ليحيى بن آدم القرشى ، وكتاب « الاموال » المشار اليه لأبى عبيد القاسم بن سلام من ذخائر التراث الاسلامي فى الفـكر الاقتصادى .

وتولى محمد بن الحسن قضاء « الرقة » في عصر الرشيد . لكنه أغضب الخليفة فى فتوى ... انه رفض أن يساير القوم فى اباحة نقض العهود ، اذ كانوا ينزعون نزعة « مكيافيلية » فى تأمـين خصومهم ثم البطش بهـم . فعزل عن القضاء ، وفتشت كتبه لعلهم يجدون دليـل تواطؤ مـع (الطالبيين) فى ثوراتهم . ولكن استقامت علاقـة محمد بن الحسن مع الرشيد بعد ذلك ، وتولى منصب قاضي القضاة بعد وفاة أبي يوسـف . ومات فى عام ١٨٩ هـ خلال رحلة صحب فيـها الرشيد الى الرىّ ، ومات الكسائي فى هـذه الرحلة أيضا .

القانون الدولي :

هذا عن محمد بن الحسن .. فماذا عن القانون الدولى ودور الاسلام فيه ؟؟ ان الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى قد درس هذا الموضوع ، ونال فيه درجة الدكتوراه من جامعة بون ، ولـه كتاب قيم بالانجليزية أسماه « سـيرة الدولة الاسلامية فى المجال الدولى »Moslim Conduct of state قدّمه الى القراء بقوله :

« لم يكن هناك قانون دولي فى أوربا قبل عـام ١٨٥٦ م ، ومن المسلم به أن ما كان هناك قبل ذلك ليس الا مجرد قانون للأمم المسيحية . ففي عام ١٨٥٦ م حدث للمرة الأولى أن اعتبرت دولة غير مسيحية ـ هي تركيا ـ أهلا للانتفاع من القانون الأوربى العام للأمم ، وكانت هي البداية الحقيقية لتحويل القانون العام للأمم المسيحية الى قانون دولى عام . ولا يعنى هذا أن القانـون الدولى بمضمونه الحديث قد ولد فى ذلك الزمان والمكان وانما تحقق وجوده من قبل فى بقعة أخرى .

ان الاسلام قد اعترف لـكل الدول ـ بصرف النظـر عن الديـن والجنس ـ بنفس الحقوق والالتزامات . **فعلى خلاف أية أمة قديمة ، لـم يعلن المسلمون قانونهم للأمم من أجلتحديد سياسة**

الدولة الاسلامية وحدها ، ولا على أساس اسقاط الدول غير المسلمة من الاعتبار ، بل ان القانون الدولى ليدين كذلك للمسلمين العرب فى العصر الأموى باعتباره **علما منفصلا مستقلا** فهم قد فصلوا بينه وبين علم السياسة وبين القانون بوجه عام ، **وان لم يجردوه من أساسه الأخلاقي .**

ويتتبع الدكتور الحيدر أبادى العلاقات الدولية فى التاريخ ... المعاهدة المعقودة بين رمسيس الثاني (١٢٩٢ : ١٢٢٥ ق.م . وملك الحيثيين ... العلاقات بين الفينيقيين والاغريق ... علاقات العبرانيين مع سكان فلسطين وحروبهم التي أعملوا خلالها القتل فى الشيوخ والنساء والأطفال فى عقر دورهم (التوراة صمويل : ١٥ مثلا) .... والعلاقات بين الدول المدن فى اليونان وتأسيس عصبة أمم اغريقية بين هذه المدن - مع النظر الى غير الاغريق باعتبارهم برابرة ، ومعاهدات الرومان - التي كان بغيرها لا يأمن الأجنبي على حياته أو ماله داخل اقليم روماني « ويمكن القول بأن القوانين الرومانية للسلم كانت أكثر انتشارا وبوجه خاص القانون الدولي الخاص ، أما قوانين الحرب فقد كانت فى أغلبها من ثمار فكر فردى هو فكر القواد المختلفين ، ويمكن أن نتعقب قواعد السلوك بين المتحاربين خلال الحروب التي شنها الرومان على الفرس وعلى غيرهم » .

وبالنسبة الى العرب ، يلاحظ الدكتور الحيدر أبادى أن حرص العرب الشديد على الأنساب كان يستثير العزلة المدنية ، وقد أدت روح الانفصال والعزلة الى تعذر الوحدة السياسية للعرب قبل الاسلام . وعند قيام الاسلام كانت الممالك التي قامت فى اليمن قد تفككت . وعلى الرغم من حياة الصراع المستمر بين القبائل فقد وجد لدى العرب نزوع الى حياة السلم تمثل فى « الأشهر الحرم » و « خفارة » طرق القوافل ، و (الايلاف) أو المواثيق التي كان يعقدها أهل مكة تأمينا لقوافلهم خلال الطرق التي تسلكها الى اليمن أو الشام ، و « الاحلاف » القبلية ومنها « حلف الفضول » الذى شهده محمد قبل بعثته و « الاسواق » التي كانت تجمع العرب فى أماكن معينة خلال مواسم معينة والتي رأى فيها الدكتور الحيدر أبادى نوعا من الاتحاد الاقتصادى لشبه جزيرة العرب .

وميزة النظام الحديث فى القانون الدولى أنه يعرف للمحارب حقه ، فقد تأتى حالة الحرب على بعض الحقوق ، ولكن ثمة حقوقا متعددة للدولة المستقلة تبقى دون أن تمس ، حتى لو وجد الطرفان نفسيهما فى حالة الحرب . وقد كان القانون الروماني لا يعترف بحقوق للمحاربين ولا يعرف للعدو غير الروماني سوى الحذر والتربص . ولم تؤثر تعاليم الحب المسيحي فى واقع العلاقات الدولية ويذكر جروسيوس Grotius أبو القانون الدولي الحديث فى مقدمة كتابه (قانون الحرب والسلم) المنشور ١٦٢٥ م : ان الأمم المسيحية فى وقته كانت تسلك فى حروبها طرقا قد يخجل منها البرابرة أنفسهم ! !

وجاء الاسلام :

وجاء الاسلام دعوة عالمية ....

*** كتابه : بلغة العرب ولهجة قريش ، لكن أولى آياته تحمل دعوة تتعالى على كل الحدود :**

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » ... « علم الانسان ما لم يعلم » .

واستهلال سورة « بسم الله الرحمن الرحيم » ورحمة الله وسعت كل شيء وفاتحته « الحمد لله رب العالمين » .

*** ونداء الاسلام : دعوة عامة للفلاح يرددها الأذان خمس مرات كل يوم .**

● وشعائره : صلاة تتأكد فيها المساواة نفسيا من الأعماق ، وزكاة تعمل على تذويب الفوارق فى الواقع ، وحج يجمع المؤمنين من شتى البلدان والأقوام .

*** وشريعة الاسلام : لا تتعصب ضد بلد أو ضد أمة « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » وهي لا تضيق باختلاف الأديان اذا برىء من العدوان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ».**

*** والمجتمع الاسلامي الأول : كان يضم بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي بجانب أساطين العرب .**

وهكذا جاءت دعوة الاسلام عالمية تنادى العالمين :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ومن أجل هذا أرسل رسول الاسلام رسلهوكتبه الى من حوله من ملوك الأرض ! !

وبينما كان المسلمون يعانون من كفار قريش ما زاغت منه الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، كان القرآن يبسط أمامهم الأفق والأمل ، ويفتح أعينهم على العالم الرحيب :

« غُلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

والقانون الدولى يفترض وجود مجتمع دولى ... والاسلام بدعوته الانسانية العالمية قد هيأ المجال النفسي الفكرى والمجال الواقعي لنشاط القانون الدولى ، ثم مارس الاسلام بشريعته صور التعاون الدولى :

* فالمعاهدات : الثنائية والمتعددة الأطراف محترمة مصونة بأمر الاسلام « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

* والتعاون الدولي : مفترض مفروض فى شتى المجالات ، فالبحار مفتوحة للناس أجمعين « والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس » والفقه الاسلامي يقوّم فى مال غير المسلم من الخمر ولحم الخنزير ما يهدره بالنسبة للمسلم ، والاتصال الفكرى مطلوب بكل سبيل اذ « الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أحق بها » .

* والسلم : هو الأصل فى العلاقات الدولية « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » والاسلام يقيم عدالة دولية لصيانة السلم العالمي عن طريق الاحتكام الى الرأى ثم الالتجاء الى القوة للردع « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

* والحرب : مشروعة بحكم الضرورة التي تبيح المحظور ، فلا بد من اجازة استعمال القوة فى حالة الدفاع « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلُموا وان الله على نصرهم لقدير » « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » فاذا نشبت الحرب كان للاسلام تعاليمه التي لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كهلا ولا راهبا غير مقاتل ، ولا تتبع مدبرا ولا تجهز على جريح . والاسلام يواصل هدايته بالقول والخلق حتى فى ميدان القتال « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » فاذا بدرت بادرة للاقلاع عن العدوان وجب الرجوع الى الأصل وهو السلم « فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وجاء واقع الاسلام التاريخي يخلق المجال التطبيقي لشريعته الدولية فلقد حارب المسلمون فى جزيرة العرب وفى العراق وفارس والشام ومصر وبلاد المغرب وفى غير ذلك من الأرجاء ما بين الأندلس وديار الهند ، وحارب المسلمون المشركين والمرتدين والبغاة والخوارج وفى ظل هذه العمليات الحربية وما صاحبها وتلاها من علاقات دولية نما الفقه الاسلامي ليلبى الاحتياجات الجديدة. ونحن نرى تراث هذا الفقه زاخرا بأحكام السلم والحرب ، وأحكام أهل الذمة وأهل العهد والمستأمنين والمحاربين ، وولاية الجند وقسمة الغنائم والفىء ، وأحكام الأرض التي فتحت عنوة والتي فتحت صلحا ، الى آخر هذه المباحث التي يعنى بها القانون الدولى العام والقانون الدولى الخاص (الجنسية ومركز الأجانب ، تنازع القوانين) . وقد كانت القواعد التي تحكم سير الدولة فى المجال الدولى تعالج فى كتب الفقه الاسلامي تحت عنوان (السير) ، ومن هنا أتت تسمية الكتاب الشهير لمحمد بن الحسن الشيباني (السير) .

السير ... أو العلاقات الدولية فى التراث الاسلامي :

وقد استعمل أبو حنيفة (المتوفى ١٥٠ هـ) مصطلح (السير) لتمييز مجموعة دروسه التي تتناول قواعد الاسلام فى الحرب والسلم ، وقد ورد نفس الاصطلاح بنفس الاستعمال فى الكتاب المنسوب لزيد بن على المتوفى ١٢٠ هـ باسم

(المجموع) . وقد نشرت دروس أبى حنيفة منقحة على أيدى تلاميذه ، وقد نقد فقيه الشام الأوزاعى (المتوفى ١٥٧ هـ) آراء فقيه العراق ، فردّ عن أبي حنيفة تلميذه الكبير أبو يوسف (المتوفى ١٩٢ هـ) فى كتابه (الرد على سير الأوزاعى) ، ويشير الشافعي الى هذا الكتاب والى كتاب (السير) للواقدى (المتوفى ٢٠٧ هـ) . والف محمد بن الحسن الشيباني (السير الصغير) و (السير الكبير) . ومن ثم يبدو أن الكلمة قد صارت مصطلحا فنيا يشيع استعماله بين الفقهاء ، ويقول محمد بن أحمد السرخسي (المتوفى سنة ٤٨٣ هـ شارح السير الكبير لمحمد بن الحسن) فى كتابه (المبسوط) :

« اعلم أن السير جمع سيرة ، وبه سمى الكتاب ، لانه بيّن فيه سيرة المسلمين فى المعاملة مع المشتركين من أهل الحرب ، ومع أهل العهد منهم من المستأمنين وأهل الذمة ، ومع المرتدين ، ومع أهل البغى ... » . ويستعمل مصطلح (سيرة) عند المؤرخين للدلالة على سيرة الرسول بوجه خاص ، وفى (المحيط) لرضى الدين السرخسي أن هذا المصطلح « فى عرف الشرع متى أطلق يراد به طريقة رسول الله فى مغازيه على الخصوص » .

وفى التراث الاسلامي كتب تتعرض لموضوعات من القانون الدولى : منها كتب (المغازى) وكتب (الجهاد) ومن مؤلفيها عبد الله بن المبارك (المتوفى ١٨١ هـ) والطبرى (المتوفى ٣١٠ هـ) والكرماستى (المتوفى ٩٠٦ هـ) وابن الخطيب (٩٠١ هـ) ، وهناك ما تضمنته المباحث المتعلقة بالموضوع من كتب الفقه والفتاوى والتاريخ وكتب السياسة ونصائح الملوك والموسوعات مثل نهاية الأرب للنويرى وصبح الأعشى للقلقشندى وغير ذلك .

السير الكبير للشيباني :

تتجلى فى مؤلفات الشيباني عمق تفكيره الفقهي ودقة معرفته بالعربية وقد كان من أكثر فقهاء القرن الثانى انتاجا ، وقد أثرت آراؤه فى مؤلفات من تلقوا عنه من أصحاب المذاهب الأخرى ، نرى ذلك فى (الاسدية) و (المدونة) من مراجع الفقه المالكى وفى كتاب (الأم) للشافعي .

وقد ألف الشيباني (المبسوط) و (الجامع الكبير) ، وملحقه (الزيادات) و (زيادة الزيادات) و (الجامع الصغير) الذى روى فيه ما سمعه عن أبي يوسف رواية عن أبي حنيفة ، و (السير الصغير) الذى روى سير أبي حنيفة ، و (الحجج) فى الرد على أهل المدينة بالنصوص وهو مثال مبكر للتأليف فى اختلاف المذاهب ، وكتاب (الآثار) ويروى أحاديث عن طريق أبى حنيفة عن ابراهيم النخعي ، و (الرقيات) الذى يتضمن ما عرض له محمد بن الحسن أثناء عمله فى القضاء بالرقة .

وآخر ما كتب الشيباني « السير الكبير » .

يذكر السرخسي أن كتاب « السير الصغير » الذى روى فيه محمد سير أبى حنيفة وقع فى يد الأوزاعى فقيه الشام فقال : ما لأهل العراق والتصنيف فى السير ؟ ويقول السرخسي ان الأوزاعي كان يقصد أن مغازى الرسول كانت من جانب الحجاز والشام فأهلها أعلم بها ، فبلغ محمد بن الحسن قول الأوزاعى فانصرف الى تأليف « السير الكبير » فأخرجه فى ستين دفترا .

ويتناول الكتاب أحكام الحرب ، فيعرض لأهل الاسلام وأهل الحرب المشركين وأحكام أسرى الفريقين رجالا ونساء وأطفالا ، واسلام المشركين ، كما يعرض للأمان على اختلاف ضروبه والفاظه والمستأمنين والسفراء وحصاناتهم ، ويعرض للغنائم والصلح والتحكيم والفداء وأحكام السلاح والأراضى التي يستولى عليها أهل الحرب ووضع المسلمين فى دار الحرب ، ونقض العهود وجرائم الحرب ، الى غير ذلك مما يتعلق بأهل الحرب وصلاتهم مع المسلمين فى الحرب والسلم .

واعتمد الشيباني على نصوص القرآن والسنة ، وعلى سوابق الأحكام فى حروب المسلمين وفتوحهم، كما استفاد من (القياس) كمصدر شرعي فى الوصول الى أحكام للوقائع التي تعذر الوصول فيها الى نصوص مباشرة .

انسانية ... حتى فى القتال :

ان انسانية « الانسان » تظهر فى تعامله مع الخصوم والأعداء ... والقانون الدولى يعنى بتصحيح أصول التعامل مع المحاربين يورد محمد ابن الحسن وصية أبى بكر لقائد جيشه :

« انك ستلقى أقواما زعموا أنهم قد فرغوا

أنفسهم لله فى الصوامع ، فذرهم وما فرغوا له أنفسهم ...

« ولا تقتلن مولودا ولا أمرأة ولا شيخا كبيرا .

« ولا تعقرن شجرا بدا ثمره ولا تحرقن نخلا ولا تقطعن كرما ...

« ولا تذبحن بقرة ولا شاة ولا ما سوى ذلك من المواشى الا لأكل .. »

ويذكر محمد « ينبغي للامام اذا بعث سرية قلت أو كثرت ألا يبعثهم حتى يؤمر عليهم بعضهم ... وينبغي أن يستعمل على ذلك **البصير بأمر الحرب ، الحسن التدبير لذلك ، ليس ممن يقحم بهم فى المهالك ، ولا ممن يمنعهم عن الفرصة اذا رأوها .... »**

« وينبغي أن يؤمر على الجند : العاقل الفاضل العالم بالحرب الرفيق » .

ويورد محمد حديثا عن النبي يدعو الى تربية الأولاد رياضيا بتعليم السباحة والرمى ، وكلمة لعمر توصي بالفروسيةأيضا . واذا كانت « الحرب خدعة » فان الخداع فى الحرب له حدود لا ينبغي أن يتجاوزها ... يقول محمد « ولو أن رهطا من المسلمين أتوا أول مسالح أهل الحرب ، فقالوا : نحن رسل الخليفة ، وأخرجوا كتابا يشبه كتاب الخليفة ، أو لم يخرجوا وكان ذلك خديعة منهم للمشركين ، فقالوا لهم : ادخلوا ، فدخلوا دار الحرب ، فليس يحل لهم قتل أحد منأهلالحرب، ولا أخذ شيء من أموالهم ما داموا فى دارهم » .

واذا كانت هذه هي السياسة مع المحاربين ، فكيف بالسياسة مع من ربطتهم بالمسلمين عهود ؟ يقول محمد « واذا أودع المسلمون قوما من المشركين فليس يحلُّ لهم أن يأخذوا شيئا من أموالهم الا بطيب أنفسهم للعهد الذى جرى بيننا وبينهم ، فان ذلك العهد فى حرمة التعرض للأموال والنفوس **بمنزلة الاسلام** فكما لا يحلُّ شيء من أموال المسلمين الا بطيب انفسهم فكذلك لا يحلُّ شيء من أموال المعاهدين .

وفقيهنا يقدر (**شرف الكلمة**) الى أبعد الحدود ... انه يقول « امان الرجل الحر المسلم جائز على أهل الاسلام كلهم ، عدلا كان أو فاسقا ، لقوله عليه السلام (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم) ، **والمراد بالذمة العهد مؤقتا كان أو مؤبدا ، وذلك الأمان وعقد الذمة .... ويصح أمان الحرة المسلمة ... ويجوز أمان العبد المسلم** اذا كان يقاتل ، والأمة كالعبد فى ذلك ... واذا أمن رجل من المسلمين قوما من المشركين فأغار عليهم قوم آخرون من المسلمين ، ثم علموا بالأمان ، فعلى القاتلين دية القتلى ، والنساء والأموال مردودة عليهم .... **وانما يتحقق طرح الأمان باعلامهم واعادتهم الى ما كانوا عليه قبل الأمان ...** واذا نادى المسلمون أهل الحرب بالأمان فهم **آمنون جميعا اذا سمعوا أصواتهم بأى لسان نادوهم به** فان الأمان التزام الكف عن التعرض لهم بالقتل والسبى حقا لله تعالى ، والله لا يغرب عنه مثقال ذرة ولا تخفى عليه خافية واذا قال المسلمون للحربى : أنت آمن أو لا تخف أو كلمة تشبه هذا فهو كله أمان ... وكذلك الاشارة ... والكتابة » .

جهاد المرأة :

ومحمد بن الحسن يرضى أن تعين المرأة المجاهدين بما يتناسب مع طبيعتها وبنيتها ، ويرضى أن تحمل المرأة السلاح فى الميدان عند الضرورة ....

يقول : « لا يعجبنا أن يقاتل النساء مع الرجال فى الحرب الا أن يضطر المسلمون الى ذلك ، ولا بأس أن يحضر منهن الحرب العجوز الكبيرة فتداوى الجرحى وتسقى الماء وتطبخ للغزاة اذا احتاجوا الى ذلك ، لحديث عبد الله بن قرط الأزدى : كانت نساء خالد بن الوليد ونساء أصحابه مشمرات يحملن الماء للمجاهدين يرتجزن وهو يقاتل الروم » .

وهو لا يشفق على المرأة من الاقامة فى الأماكن النائية على الاطراف والتخوم مع الرجال المرابطين لحماية الحدود وسدِّ الثغور يقول « ولا بأس للذين يسكنون الثغور من المسلمين أن يتخذوا فيها النساء والذرارى وان لم يكن بين الثغور وبين أرض العدو أرض للمسلمين . لكن هذا اذا كانوا بحيث لو نزلت بهم جلبة العدو قدروا على دفع شرهم عن أنفسهم وعن ذراريهم وتمكنوا من أن يخرجوهم الى ارض الاسلام » .

ويعلق السرخسي شارح « السير الكبير » على هذا النص بقوله « لأن ساكنى الثغور يندبون الى

المقام فيها ، وانما يتمكنون من المقام بالنساء والذراري ، فالنساء سكن للرجال . ولأنهم اذا أقاموا في ذلك الموضع بالنساء والذراري كثروا بمرور الزمان حتى يصير ذلك الموضع مصرا من أمصار المسلمين ويتخذ المسلمون وراء ذلك ثغرا بالقرب من العدو » .

على أن محمد بن الحسن يفرق بين دور المرأة في حالة (النفير العام) أو (التعبئة العامة) حين تتعرض البلاد لهجوم الأعداء فيكون الجهاد فرضا يتعين على كل فرد ، وبين دورها في العمليات الحربية الأخرى التي اذا قام فيها البعض بالواجب كفوا الباقين مئونته . يقول : « والنساء اذا كانت بهن قوة القتال فليخرجن اذا كان النفير عاما .... أما الصوائف (الحملات التي كانت تخرج صيفا للجهاد على حدود الروم) ونحوها فلا ينبغي للشواب أن يخرجن ، فأما العجائز فلا بأس أن يخرجن مع الصوائف لمداواة الجرحى. ولا يعجبني أن يباشرن القتال لأن بالرجال غنية عن قتال النساء فلا يشتغلن بذلك من غير ضرورة ، وعند تحقق الضرورة بوضوح النفير عاماً لا بأس للمرأة أن تقاتل بغير اذن زوجها ، وكذلك الغلمان الذين لم يبلغوا اذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا ويقاتلوا في النفير العام وان كره ذلك الآباء والأمهات » .

حقوق الأسرى :

وينقل محمد بن الحسن وحماد بن أبي سليمان كراهية قتل الأسير بعدما وضعت الحرب أوزارها . ومن أسانيد ذلك أن عبد الله بن عمر ابى أن يقتل أسيرا وقال : أما والله مصرورا فلا أقتله ، يعني بعدما شددتموه وأسرتموه فلا أقتله .

ويقرر محمد انه لا يجوز تعذيب الأسير بالعطش والجوع .

من الشرق والى الغرب :

ترى هل انتقلت هذه الشريعة الدولية الانسانية الى أوربا ... حين احتكت بالاسلام في الأندلس ، وجنوبي أوربا ، وخلال الحروب الصليبية ؟ ؟

ان الفقيه الروسي دى توب يقول في محاضراته في أكاديمية القانون الدولي في لاهاي ١٩٢٦ « ان النظم المختلفة في العصور الوسطى الأوروبية تحمل علامة باقية ، ان لم تكن علامة على أصلها الشرقي الخالص البسيط ، فهي على الأقل علامة على اعتمادها القوى على نظم حربية مشابهة لما في الشرق الاسلامي » .

والدكتور حميد الله الحيدر ابادى يؤكد ذلك ويقول :

« اننا حين ندرس المؤلفات العربية الأولى في القانون الدولي وما يتصل به من موضوعات نجد لدينا فكرة جلية عن علاقات المسلمين بالروم (البيزنطيين) وغيرهم في وقت الحرب والسلم على السواء ونرى كيف كانت الاتصالات تجري بين الفريقين ليس فقط في مجال فنون الحرب بل في مجال قواعد القانون الدولي نفسه ونحن نعثر لأول مرة على رأى مستكمل في تقرير حقوق العدو في كل وقت في الحرب والسلم على السواء ، وهي حقوق تستند الى القرآن والسنة وسيرة الخلفاء . بل يلاحظ أن مؤلفات قوانين الحرب لايالا وفيتوريا وجنتلس وجروسيوس وغيرهم لا نجد لها مقابلا في الفكر الروماني والاغريقي ، وهي ثمرة عصر لم تكن العبقرية الأوروبية قد وصلت فيه الى ما وصلته الآن ، ونحن لا نرى سوى صدى لكتب الجهاد والسير العربية . وفي هذه الكتب ينبغي أن ننشد الحلقة التي تصل بين عصر الرومان والعصر الحديث ونتعرف على أصل التغيير والخلاف في مفهوم القانون الدولي الذى ساد العصر ونرى دور الاسلام في التاريخ العالمي للقانون الدولي ! ») .

هل يستغرب اذن أن تقوم في أوربا « جمعية الشيباني للقانون الدولي ؟ » .

بقيــة الربــا

ولكن المباحثات والاتصــالات مــا زالت مستمرة وقد شكلت منظمة دولية يتبعها مجلس يرعى شؤون التجارة والتنمية ، وانشأ المجلس لجنة دائمـــة لشــؤون التمويل لمتابعة هذه التوصيات والعمـل على حل مشاكل التمويل الدولية .

قروض بلا فائدة

تمت فى الســنوات الأخـــيرة بعص القروض بدون فوائد ، فهذهدولةالكويت تقدم لشقيقاتها العربيات عشرات الملايين من الدنانير بدون فوائد مــن الاحتياطي العام ، وهذه الصين الشعبية تهب لدول افريقية وأسيوية قروضا بلا فائدة ، وقد أعلنت أخيرا السيدة بربارة كاسل وزيرة التنمية البريطانية أن حكومتها قــررت تقديم قروض بدون فائدة لبعض الدول النامية ، وأعلن أخيرا أن محادثات تجرى بين بريطانيا والأردن لمنح الأخيرة قرضــا بمليوني جنيه استرليني بدون فوائــد بقصد انشاء محطة كهرباء ، وهناك بعض الأمثلة الأخرى لهذا الاتجــاه الجديد فى سياسة التمويل الدولية .

الحكمة السامية فى آية تحريم الربا

ونعود الآن بعد سوق هذه الملامح السريعة على مشاكل الاقراض الدولي الى الآية الكريمة التي ذكرت فأوعت ولم تترك بابا من أبواب المشــاكل التي يعاني منها المقترض سواء كان فردا أو هيئـة أو دولة الا وضعت لها حلا وعلاجا .

فالله سبحانه وتعالى يقول « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » وهذا يعني الغاء سعر الفائدة تماما وليس فقط تخفيضه الى حد معين .

ويقول « فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .. هكذا يجب أنتكونالمعاملةالشريفة، والروح الانسانية بين المقرض والمقترض . يجب ألا يكــون هناك استغلال أو غبن ، بــل يعاد رأس المال بنفس الكم الذى قدم به . ثم يقول « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وتشمل الميسرة هنا كل ما سبق ذكره من تمديد فترة السداد ، والســداد بالعملات الوطنية ، وتوحيد الديون ، والسداد بسلع ومنتجات محلية ... الخ .

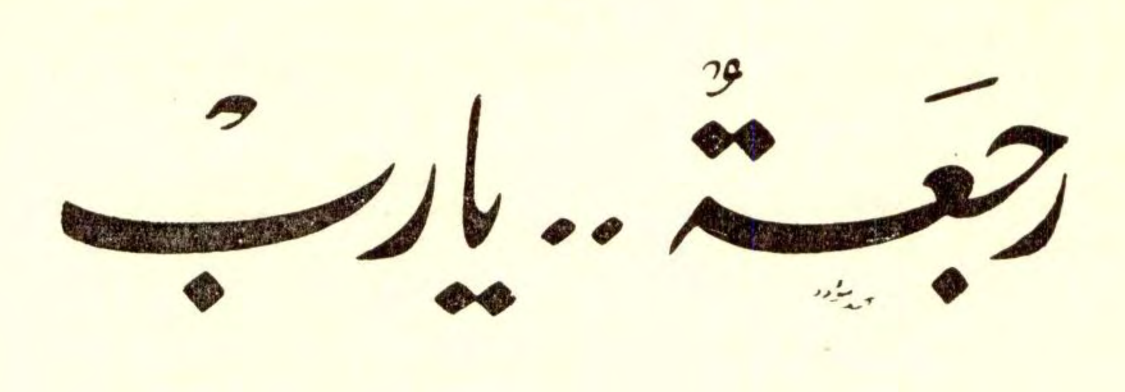
ويأتي فى خاتمة الآية هذا المعنى السامي الكريم. « وأن تصــدقوا خــير لكم ان كنتم تعلمون » . لا أظن أن هناك أسمى ولا أرفع من هذه العبارة التي يخاطب بها رب العالمين قلوب المقرضــين ليحثهم على أن يستمروا فى تيسيرهم على المقترض حتى اذا لم يكن هناك شيء من التيسير غير التصدق بالدين واعفاء المدين من ســداد ديونه فعليهم أن يفعلوا ذلك فهــو خــير لهم فى الدنيــا أولا ثم فى الآخرة ثانيا .

وبعد هذا نتســاءل هــل آن للعالم بشــقيه الغربــي والشرقــي وبمذاهبه المتعددة وشعوبه المختلفة أن يؤمن بحكمة هــذه الآيــة الكريمة ، وهــل سيتجه باخلاص نحو الغاء الربا فى معاملاته المالية الدولية ؟ ؟

وهل سيتم التعاون بين صاحب المال الــذى يفيض ماله عــن حاجته والقادر المحتاج الى المال لاستثمار موارده تحت ظلال معاني الأخوة والتعاون الانساني ؟ ؟

وهل ستوجه هذه الملايين التي تجرى وراء سعر فائدة تافه ضئيل للمشاركة فى اســتثمار المــوارد الطبيعية الهائلــة الموجودة فى أمتنا العربية والاسلامية وفى مختلف بقاع العالم فيعم الرخاء ويسود الاخاء ؟ ؟

نرجو أن يتحقق ذلك فى أقرب وقت بمشيئة الله .



ربَّـــاه انـــى قد عرفتُـــك خفقـــةً فـــى أضلعـــى
وهتفْـــتُ باســـمك يالَـــهُ لحنا يـــرنُّ بمسمعِـــى
أنا من يذوب تحرقـــًا بالشـــوق دون توجـــع
قـــد فاض كأسى بالأســـى حتى سئمـــتُ تجرعِـــى
يا رب ... انى قـــد غسلت خطيئتى فـــى أدمعـــى
يا رب ياتســـبيحتى ... في مســـجدى أو مهجَعِـــى!
يارب إنـــى ضـــارعٌ .. أفـــلا قبلْـــتَ تضـــرُّعـــى؟!
إن لم تـــكنْ لى فى جراحِـــى مَنْ يكـــونُ إذنْ معـــى؟!

***

ربَّـــاه كم أمعنتُ فكرى وزرعتُ من نثـــرى وشعرى
أبغـــى جـــنىً حلـــوًا فما عادت يـــداى بغيرِ مُـــرّ
ربَّـــاه قـــد عصفـــتْ جراحُ الصدرِ حـــتى ضاق صدرِى
ومضيت في تيهٍ بعيـــد الغـــورِ حتى ضـــاع عمـــرِى

للاستاذ يوسف العظم

وصبرتُ ياربَّاه في الآلام حتى عيلَ صبْرِى
وظللتُ أرقبُ رغم طولِ الحالكاتِ طلوعَ فجرِى
ياكاتباً سِفْرَ السعادةِ والهنا .. جُدْ لِى بسطرِ
ان كنت لاتدرى بِحالى .. يالِهى .. منْ سَيَدْرِى ؟!

***

يارب في جوف الليالِى .. كم ندمتُ وكم بكيْتْ
ولكم رجوتك خاشعاً .. وإلى رحابك كم سعَيتْ
قد كنتُ يوماً حائراً واليومَ يارب اهتديْتْ
يا رب من لِى غير نوركَ إن ضللت وان غوَيْتْ
واذا نويتُ البِرَّيا ألله فاقبلْ مانويْتْ !!
أنا ان رميتُ ضلالتى فبسهم ربِّى قد رميْتْ
إن كنتَ تعرض جنةً للبيع بالنفسِ اشتريتْ
أو كنتَ تدعونى .. الهى ... للرجوع .. فقدأتيتْ !!

اعرف
وطنك
الاسلامي

المسلمون في الصومال

محمد مؤذن

للأستاذ فريد قنصوه
القاضي بالكويت

هجرة المسلمين الى شرق افريقيا

لما اشتد أذى كفار قريش للرسول وأصحابه شجع الرسول صلوات الله عليه أصحابه على الهجرة ، فقال : « من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجب له الجنة » ، وزاد على ذلك قوله صلوات الله عليه : « تفرقوا فى الأرض فان الله سيجمعكم » قال نفر من صحابته : الى أين يا رسول الله ؟ فقال : « ها هنا وأشار بيده الى جهة الحبشة » ، فاتفق عدد منهم على أن يهاجروا مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم ، فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه ، وكان من بين هؤلاء المهاجرين عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج هؤلاء كما تروى كتب السيرة ، متسللين منهم الراكب ومنهم الماشي حتى انتهوا الى البحر فركبوا سفينتين من السفن التجارية ، وكان خروج هؤلاء المهاجرين الكرام فى رجب من السنة الخامسة من النبوة .

لم تكن هذه الرحلة أول رحلة للعرب الى الشاطىء الشرقي للقارة الافريقية حيث تمتد أرض الصومال والحبشة ، فلم تكن صلة الصوماليين منبتة بالعرب ، ولكن سبقتها ـ عبر القرون الممتدة ـ رحلات ورحلات كانت السفن ، خلالها ، تأتي الى الساحل الشرقي الافريقي بقصد التجارة . تحمل معها منتجات اليمن ، ثم تعود محملة بالمنتجات الافريقية .

وفى عهد الفراعنة كانت السفن تأتي من الصومال محملة بالبخور والتوابل وسن الفيل والذهب وريش النعام ، وكان المصريون يطلقون على أرض الصومال يومئذ اسم بلاد بونت .

ولكن كانت هذه الرحلة الميمونة أول رحلة يقوم بها أتباع الدين الجديد الى افريقية عبر البحر ، وعن طريقها تأكد لسكان ساحل افريقيا الشرقي ما رددته الأنباء التي كان يحملها البحارة

والتجار من أن الله قد أرسل رسولا عربيا الى البشر كافة يدعوهم الى الايمان به وحده لا شريك له ، ويأمرهم بالبر ، وينهاهم عن عبادة الأصنام ، ويحضهم على مكارم الأخلاق ، فاتجهت أنظارهم الى مصدر ذلك الاشعاع الروحي يلتمسون الهداية والرشد ، وسرعان ما خفقت القلوب بهذا الدين الجديد الذى يسوى بين الناس كافة ، فلا يجعل فضلا لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود ، وليس فى شرعته تمييز عنصرى فبدأ القوم يدخلون فى دين الله أفواجا .

انتشار الاسلام فى شرق افريقيا

ولعل أعظم حقبة حقق فيها الاسلام انتشارا فى شرق افريقيا ، الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والسادس الهجرى ، ففي هذه الفترة أخذت راية الاسلام تظل المناطق الداخلية من القارة ، فقامت عدة سلطنات وامارات اسلامية على طول الحافة الشرقية والجنوبية للهضبة الحبشية كان من أهمها امارتا عدل وهرر وكانتا — ولفترة طويلة — من المراكز المهمة للتجارة والثقافة الاسلامية .

وفى القرن السادس عشر الميلادى نشب صراع رهيب بين الامارات الاسلامية والحبشة أوشكت فيه الحبشة أن تنتهي كدولة لولا أن استعان امبراطورها بالبرتغاليين الذين تدخلوا لمساعدته .

ويحدثنا المؤرخون ان هجرة العرب الى الصومال ظلت متتابعة نشيطة ، فاستوطن الصومال عدد كبير منهم ، واسسوا عددا من المدن منها مدينة مقديشيو عاصمة الصومال التي أسسها عرب الاحساء ، وأنه بعد أن استقر الأمر للاسلام فى الصومال أخذ الصوماليون الذين تحولوا الى الاسلام يحملون رسالته الى قلب القارة حتى أوشك الدين الجديد أن يعم الحبشة .

وظل شعب الصومال المسلم فى القرنين التاليين يشغل مساحة واسعة من أراضي الساحل الشرقي لافريقيا تطل على البحر الأحمر والمحيط الهادى ، وكان بهذا يتحكم فى مدخل البحر الأحمر من الجنوب ، ويتحكم فى تجارة الحبشة مع العالم الخارجي وفى التجارة بين آسيا وافريقيا ، ولعل هذا المركز التجارى والاستراتيجي الممتاز هو الذى جعل انظار الدول الاوروبية تتجه اليه ، وتتكالب فى العمل على الاستيلاء عليه .

الاستعمار فى الصومال

وبعد أن ظل شعب الصومال ينعم بالأمن والسلام والرواج الاقتصادى والتقدم الثقافى لفترة طويلة شارك خلالها أبناؤه أبناء وادى النيل ووسط افريقية فى حكومة متميزة بنفسها عما سواها بدأ التنافس جليا بين كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا للاستيلاء على جزء من ترابه ، فمنذ سنة ١٨٣٥ بدأت فرنسا فى أرسال حملاتها الاستكشافية ، وبدأت هذه الحملات فى شراء العملاء ، ثم شراء الأرض ممن لا سلطة لهم عليها ، ولعل أبرز هؤلاء العلماء دنى احمد ابو بكر الذى قام بالتوقيع على معاهدة اوبوك فى ١١ من مارس سنة ١٨٦٢ وتم بموجبها التنازل لفرنسا عن ميناء اوبوك قرب رأس بير مع السهل الممتد من رأس على من الجنوب الى دميرا نظير مبلغ قدره عشرة آلاف ريال أى ما يوازى (٥٠٠٠٠) فرنك فرنسي ، وتعهد المذكور بتسهيل صلات الفرنسيين فى اوبوك مع داخلية البلاد ، وقد اتبعت ايطاليا نفس السياسة التي اتبعتها فرنسا ، أما بريطانيا فقد زادت عليها بأن عملت على جلاء المصريين من الصومال وقطع صلة الصومال بمصر ، كما ساهمت قواتها الموجودة بعدن على احتلال الجزء الذى أعلنت عليه حمايتها من أرض الصومال .

وكان من نتيجة هذا التنافس الاستعمارى أن أصبحت أرض الصومال مقسمة بين كل من ايطاليا وفرنسا

وبريطانيا ، كما ضمت منطقة اوجادين التي كان يسكنها ثلاثة أرباع المليون صومالي مسلم ، ومدينة هرر بعد أن اخلاها المصريون الى الحبشة دون رغبة أهلها ، ودون أى سند من القانون ، وضمت الى كينيا المنطقة التي تكون الآن الجزء الشمالي الشرقي من المديرية الشمالية فى كينيا .

ظل الصومال يعاني مرارة التقسيم وبشاعة الاستعمار ، وصفحات التاريخ فى هذه الفترة مليئة بالحسرة والمرارة ، ولكنها فى نفس الوقت تضم سطورا من نور عن كفاح العديد من المؤمنين من أهل الصومال الذين هالهم ما وصل اليه حال بلادهم نتيجة جهل بعض ابنائه وتفريط البعض الآخر ، فلم يذلوا ولم يستكينوا ، بل جمعوا صفوفهم ، وأعلنوا الجهاد في سبيل الله ، وكان على رأس هؤلاء البطل الكبير الملقب بمهدى الصومال .

كان محمد بن عبد الله بن حسن قائد حركة اسلامية اصلاحية كبرى ، دعا الى تزكية النفوس ، وتوحيد الصفوف ، وازالة القبلية ، والعودة الى التمسك بتعاليم الأسلام ، وتطهير البلاد من مغتصبيها ، فلما اجتمع حوله عدد من الصوماليين ، أعلن الجهاد ، وراح ومن معه من المجاهدين يهاجمون مواقع المستعمرين فى الصومال الفرنسي تارة والبريطاني تارة أخرى والايطالي تارة ثالثة ، بل شملت هجماتهم المناطق المجاورة للحبشة ، وكان من نتيجة ذلك أن اصبح المستعمرون فى رعب دائم مستمر حتىاضطرت الحكومة البريطانية الى اصدار الأوامر لقواتها بالصومال بالانسحاب الى المناطق الساحلية حتى تكون فى حماية اسطولها .

وسار البطل من نصر الى نصر وكانت أنباء انتصاراته يتردد صداها فى جميع أرجاء الوطن الاسلامي ، فتسر لها نفوس المؤمنين .

ولكن ما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها حتى نسقت الدول الاستعمارية الثلاث جهودها للقضاء على حركة الكفاح الصومالي ، وساندتها فى ذلك عوامل لم تتوافر للمجاهدين من ابنائه ، منها توفر الأسلحة الحديثة والطائرات لديهم ، وخروجهم منتصرين من الحرب العالمية ، وما لاقاه المجاهدون بسبب طول مدة الجهاد ، فتمكنت قوات الغدر والوحشية فى سنة ١٩٢٠ من قتل البطل المجاهد بعد كفاح مرير باسل .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن ننوه بالدور المهم الذى لعبه رجال التبشير المسيحيين فى مساندة المستعمرين والتمكين لهم فى أثناء عمليات الاغتصاب التي انتهت باحتلال الصومال وغيره من الدول الافريقية .

واستمر المستعمرون يستنزفون خيرات الصومال،ويسخرون الصوماليين فى خدمة مصالحهم دون أن يعنوا بنشر التعليم بينهم أو النهوض باقتصادهم أو العمل على المحافظة على صحتهم ، الى أن انتهت الحرب العالمية الثانية .

وعلى الرغم من أن الصوماليين قد اسهموا مساهمة فعلية فى اخراج الايطاليين من الصومال الايطالي ، وفي اجبارهم على التسليم فى الصومال البريطاني ، وعلى الرغم من أن الدعاية البريطانية كانت تبشر بقرب قيام دولة الصومال التي تجمع تحت لوائها الصومال البريطاني والصومال الايطالي والجزء الذى كانت الحبشة قد اقتطعته من أرض الصومال ، فقد كانت الصدمة عنيفة على نفوس أهل الصومال عندما تقدمت فرنسا باقتراح فرض وصاية دولية على الصومال الايطالي تتولى الادارة خلالها ايطاليا ! ! وساندتها روسيا فى اقتراحها فأصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارها فى سنة ١٩٥٠ بأن يصبح الصومال الايطالي دولة مستقلة ذات سيادة ، ويصبح هذا الاستقلال نافذا فى نهاية عشر سنوات من موافقة الجمعية

البقية على ص ٩٢



العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي

للدكتور زكي المحاسني

كتاب ضخم قيّم ونفيس الفه الدكتور احسان النصّ وحاز به على درجة الشرف الأولى بالدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة .

ولقد وقف بيني وبين هذا الكتاب بيت لأبي تمام الطائي شاعرنا القديم العظيم ، قاله فى كريم مانح ، عطاياه سمحة غزيرة :

هو البحر من أى الوجوه اتيته فلجّته المعروف والجود ساحله

وليس البحر الذى اريد هو ابو دلف العجلي ممدوح ابي تمام ، وانما هو هذا الكتاب الكبير الذى اوعى الدراسات المتعاقبة ، وجمع الفصول المتلاحمة فى موضوعه العسير ، ذى القباب والشعاب، فلقد شغلت العصبية القبلية شعرنا العربي فى الجاهلية والاسلام ، واقامت دنيا أدبنا واقعدته ، فى طويل العصور ، فكانت تغيّر معالم السياسة ، وتزحزح اركان الخلافة او تثبتها وكانت العصبية القبلية مجالا متوسعا للخلاف النسبي وتطاحن الرجال وتلاحم السيوف ، فى سبيل السلسلة النسبية التي كان يحرص المنسوب اليها على كل حلقة من حلقاتها ولو تكبّد فيها المشقة حتى يرقى بنسبه الى آدم .

ولقد جاء الاسلام بتعاليمه الاشتراكية الحكيمة التي جعلت السيادة للاخلاق والفضائل وارادت ان تبعد عن التمسك بالانسال ، فكان من هذه التعاليم القول المأثور منها : « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » .

غير ان عصبية النسب على القبيلة التي تجمع وحدتها وتصرّف أمورها ، قد غابت قليلا أيام الحكم الراشدى بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بقليل ثم هبت من مكامنها لتجرف كل شيء فكانت

القبلية فى عهد الخلفاء الراشدين ثم فى العصر الاموى ثائرة كالأعصار ، تأخذ فى سبيلها كل حائل وتقيم الحكم،وترسي مقادير السلطة على أساسها المتينة التي تعلو بها الاصلاب حتى اعماق الجاهلية . ولقد بلغت ساحات الوغى فكانت قطع الحروب تسير وفاقا لها فاذا اصطف الجيشان المتقاتلان كما كانت تصنع جيوش الخوارج الثائرين وجيوش الامويين فى الشام والزبيريين فى العراق وبرز فارس من هؤلاء لقتال فارس من اولئك ، فاذا لم يكونا ندَّين وفارسين منسوبين ، تعلو بكل منهما عروقه الى مضر ونزار او الى بكر او قيس عيلان من عدنان ، انف كل منهما قتال الآخر ، حتى يبرز للخصم عديله فى النسب والجاه والسلاح .

وقد عاش الشعر العربي فى العصر الأموى تعجُ عجاجاته وتروى قصائده وملحماته ، ويتداوله الأدب بمجالسه فى دور الخلافة وبيوت العلم والمساجد الجامعة وفيه تلك النقائض التي عاش عليها الفرزدق وجرير والأخطل وابن ام غسان ومع كل واحد منهمعديد ينضح بالقصيد نضح النبال ، كل هذا الشعر فى حماساته وذخره ، وفى وصفه وتصويره جعل الدكتور احسان النص كتابه فيه .

ولهذا فقد يتهيَّب الدارس الكلام على مثل هذا الأثر الضخم ، حين يريد ليحلله بمقال فيحار كيف يلم به ولا يترك شيئا وبحسبي فى هذه السانحة ان اجول فى الكتاب تجوال الفراش على الزهر يكفيه منه مسَّ الرحيق ويبقى الروض مضخما ومحلى بجماله .

يبدأ المؤلف النابغ كتابه بتحليل الحوافز التي نزعت به الى اختيار هذا الموضوع بان الشعر العربي كان مرآة العرب وديوانها ، فكان من الطبيعي ان تنعكس الحياة الفكرية والعملية فى صور هذا الشعر فتجلت به النزعة القبلية والعصبية النسبية فى شعر العصر الأموى حيث غلت هذه النوازع واحتدمت اكثر من كل عصر فى تاريخ العرب والاسلام .

ووجد ان عليه ليمهد لبحثه المتعب ان يعني بدراسة الانساب عند العرب . ولقد تقدمه فى العصور القديمة علماء وقفوا حياتهم على تأليف المجلدات فى علم الانساب عند العرب فكانوا هم النسَّابين وقد راح الدكتور المؤلف يجوب هذه الكتب ليحقق فى التمهيد لكتابه مكانة الانساب عند العرب وغلوهم فى تقديسها حتى العبادة .

ثم اخذ يدرس المجتمعات القبلية واثرها فى السياسة والحكم ، وصورها فى الشعر الذى كان يشبه الصحف السياسية فى ايامنا ، بل لعله كان ابعد شيوعا واعلى شأنا ، لانه يتصل بالادب نفسه وبتاريخه ولا تتداوله الايام لتهمله بعد حين ، وانما ليضم الى سجل التراث العربي المقيم زمنا بعد زمن .

وحين استوفى الكلمات على العصبيات والقبليات وما كان لها من مكانة وتأثير عقد فصلا اضافياً مستقلا للقصائد والشعر الذى صدر عن تلك العصبيات ، وكان لكل ذلك التأثير البعيد فى سياسة الدولة وفى ايقاد الخصومات الدموية وحقنها ، فجاء على ذكر الهجاء والمديح والفخر والرثاء فى فنون الشعر واغراضه،

وكيف كان الشعراء الأمويون كل يكيل للآخر قصيدة هجاء وفخر من البحر والروى الذى تلقاه وبخاصة فى القصائد التي تسمى « النقائض » .

وقد نظرت فى مصادر المؤلف فى البحث والتأليف فوجدته ذكر المصادر القديمة باعيانها والحديثة بما يتصل بموضوعه وكان احتفاؤه بالمصادر القديمة والحديثة على السواء ، وان يكن فاته بعضها الحديث ككتاب ((آلات الحرب والقتال عند العرب))للدكتور عبد الرحمن زكي وكتاب ((شعر الحرب فى ادب العرب)) للمحاسني ، وكلا الكتابين من المصادر الجامعية التي يجب الاعتماد عليها ولهما الصلة الوثيقة فى بحثه الرائع . ولم يزود كتابه بالفهارس العلمية التي تعود الجامعيون ان يردفوا آثارهم بها ، ولعله يستدرك كل ذلك فى الطبعة الآتية من هذا الكتاب الجليل ، ولئن فاتته الفهارس العلمية التي توضح اسماء الأعلام والاماكن والكتب ، فقد الحق بكتابه كشوفا للانساب العدنانية جميعا والقحطانية ومخططا تصويريا لبلاد العرب ومواطن القبائل العربية قبل الاسلام ، وكان هو الصانع لهذه الثبوت العلمية القيمة وقد جاء كتابه فى نحو ستمئة وخمسين صفحة من القطع الكبير .

على اني لست ارى أنتهاء العصبية القبلية فى العصر الأموى الا من حيث اخذ السلطة بها اخذا وثيقا لتقوم عليها اذ كنت اقول لئن كان العصر الأموى مجتمع العصبية القبلية ، وتطاحن بعضها ببعض ، من اجل الحكم والسلطة ، فاني اجد العصر العباسي استمرارا للعصبية بتطاحنها مع الاعاجم الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على الحكم فى ديار العروبة والاسلام ، كما كان ينتوى البرامكة ، ولعل الاستاذ الكبير الدكتور احسان النص يوافي الدراسات الأدبية المعاصرة التي تفاخر باثره ، بمؤلف جديد عن العصبية وحروبها للشعوبية فى العصر العباسي واثر ذلك فى الشعر ، فلقد كانت لها حروب فى ساحات الأدب لا تقل حميما عن ساحات القتال ، منذ بدأ بالشعوبية بشار ثم تلاه ابو نؤاس الذى يقول حين دعا الى شرب الخمور وترك المآثر العربية القديمة التي عاش عليها الشعر الجاهلي وبعض الشعر الأموى :

لا درّ درُّ الذى يبكي على حجر
ولا صبا قلب من يصبو الى وتد

وكم اتمنى حين يعيد الدكتور احسان النص طبع كتابه عما قريب ، ان يثبت الى جانب العنوان البيت الذى يدل دلالة جاهرة على موضوع كتابه فى العصبية القبلية واثرها فى الشعر العربي بقول شاعرها :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

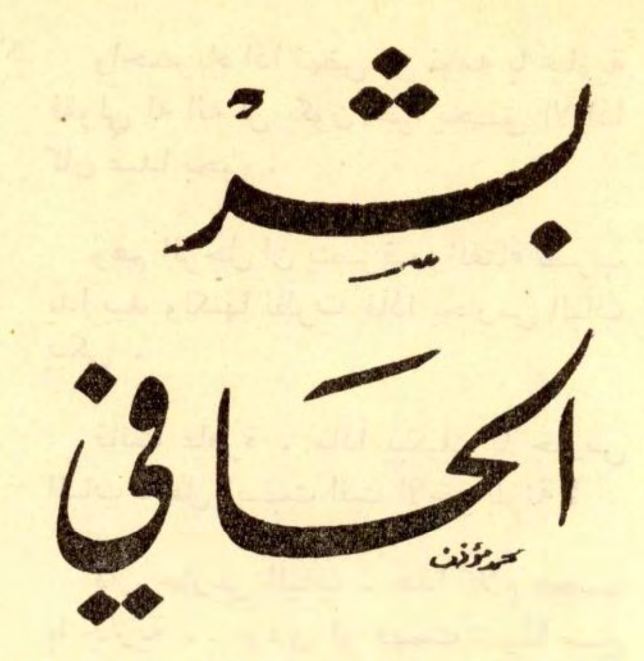
قصة العدد

جاء من أقصى المدينة شـيخ يسعى ، كان فى نحـو التسعين له لحية بيضـاء تملأ صـدره ، عـريض المنكبين فـارع الطول ، يتوكأ على عصا غليظة كأنها جذع شجرة ، ومن عينيه ينبعث بريق حاد ، وعلى سمته مهابة .

وكان الناس حين يرونه يوسعون له الطريق ، ويردون عليه تحية الاسلام التي يطالعهم بها ، ثم ينظر بعضهم الى بعض فى عجب ، وفى عين كل منهم دهشـة ، وعلى لسانه سؤال .

من الشيخ ؟ ومن أين يأتي .. ؟ وماذا يريـد .. ؟

كان هذا الشيخ يلم بالمدينة حينا بعد حين ، قد يطول هذا الحين ويمتد حتى يبلغ شهورا ، وقد يقصر أمده الى أسابيع أو أيام ، ولكن الشيء الذى لا ريب فيه ، أنه عقب كل زيارة لهذا الشـيخ تحدث فى المدينة أحداث جديدة عجيبة ، حتى لقد ظن البعض به الظنون ، فمن قائـل أنه صوفي جوال من أهل الطريق ، ومن



بقلم محمد لبيب البوهي

قائل أنه عبد من عباد الله وهب حياته للنصح والتوجيه ، وبالغ بعضهم فى الظن حتى تصوره روحا متجسدا وقال بعضهم انه أحد الجن الصالحين ، يتخذ صورة الانسان حينا بعد حين لأمر يراد.

وكان فى كل مرة يصل الى هدفه فى خط مستقيم لا عوج فيه ، يأتي من حيث يأتي ، من مكانه البعيد أو القريب الذى احتفظ بسره لنفسه ثم يقصد أحد الناس ، ثم يلقى اليه بكلمات فيها من التلميح أكثر مما فيها من التصريح وفيها من الاشارة اكثر مما فيها من الاعلان ، ولكنها تترك أثرها البعيد فى نفس سامعها الذى يتضح أنه كان فى مسيس الحاجة اليها كما تكون الأرض الجدباء فى حاجة الى الماء .

وفى هذا المساء جاءيسأل عن دار بشر .

كان بشر فتى فى نحو الثلاثين أوتي من جميع مباهج الحياة حظا وفيرا ، الجاه العريض ، والصيت البعيد ، والشباب الغض والوسامة والمال والشيء الذى كان يشيع فى حياته كلها هو الفراغ ، الفراغ الذى لا أول له ولا آخر . والذى أخذ على نفسه أن يملأ كل لحظة منه باللهو ومسرات الشباب .

وعندما مات أبوه وورث بشر أمواله وقصره الكبير وهب هذا القصر لرفاق السوء يتخذون منه مقاما لانتهاب الملذات وكان من سعة المال بحيث كان ينفق . . وينفق . . وينفق وهو لا يخشى فقرا ولا حرمانا .

وكان الوقت قبيل الغروب ، حين وقف الشيخ المجهول عند الباب الكبير وأخذ يدقه بعصاه ، وفتح الباب وظهرت من خلفه حدائق غناء ذات أشجار لفاء يسرح فيها البصر وتتنزه فيها الخواطر ، وصاح حارس الباب . —

يا عامرة انه الشيخ الذى جاء فى المرة السابقة يسأل عن سيدك بشر .

وجاءت عامرة على عجل ، كانت جارية شديدة المراس متجهمة الوجه تعودت

أن تحد من نظراتها حين تتحدث وتجعل كلماتها قاسية تتقاذف كأنها قطع من الأحجار ، فقالت للشيخ فى غلظة . —

من أنت ؟ وماذا تريد ؟ جئت فى الليلة الماضية تسألني عن سيدى بشر وقلت لك انه نائم فماذا تريد منه الآن ؟ أتبغي أن تسأل عنه .. انه نائم ولن يستيقظ الا عندما يتقدم الليل ، ان ساعة صحوه حين يأخذ الناس فى التهيؤ للنوم .. ان سيدى بشر ليس من أبناء النهار ، انه سيد الليالي .

قال الشيخ :

اذن فسيدك بشر هو سيد الليالي

قالت عامرة فى مزيد من الجفاء :

بل سيد الدنيا كلها ، يمسكها بيمينه وينفق منها بشماله فماذا تريد ؟

قال الشيخ مخافتا :

كان بودى أن ارى ذلك الذى هو سيد الدنيا لأساله سؤالا واحدا ، أحر هو أم عبد ؟

وانفجرت الجارية فى ضحك ساخر عريض واشارت الى حارس الباب وهي تصيح تعال انظر ذلك الشيخ الخرف انه يسأل أحر سيدى أم عبد ؟

ثم اقتربت منه وقالت فى لهجة المعلم للتلميذ ، ماذا يكون الذى يملك المال .. والجاه .. والصيت البعيد ويستطيع أن يملأ الليالي بما يشاء .. هه..انه حر.. وحر .. حر .

قال الشيخ وهو يتحول عنها .

واحسرتاه اذا نهض من نومه يا جارية فقولي له انه لن يكون حرا بحق الا اذا كان عبدا بحق .

وهم الرجل أن ينصرف والفتاة تضرب يدا بيد ولكنها نظرت فاذا بحارس الباب يبكي .

قالت عامرة . ماذا يبكيك يا حارس الباب ؟ هل أصبت أنت الآخر بلوثة ؟

قال حارس الباب . هذا كلام عجيب يا جارية .. بودى لو فهمت شيئا من أعماق هذه المعاني وان اجلس الى هذا الشيخ ساعة استمع اليه .

وأسرع حارس الباب يجرى يمينا وأسرعت الجارية تجرى يسارا ولكن أحدا منهما لم يقع للشيخ على أثر .

وعاد حارس الباب يضرب كفا بكف وهو يردد أين ذهب الشيخ ؟ ترى أهو شبح كما يقولون أم انه روح هائم ؟ قالت عامرة .

لقد انتهز فرصة انشغالنا بالحديث وانصرف موليا او احتجب عنا خلف أشجار الطريق .

ومضت ساعات وحارس الباب غارق فى أفكاره وعامرة تردد هذه الكلمات العجيبة لن يكون سيدك حرا بحق حتى يصبح عبدا بحق .

وجاءت عربة فاخرة تجرها جياد مطهمة ونزل منها شباب جاءوا لزيارة بشر كما أقبل آخرون وآخرون مشاة وركبانا من سمار الليالي فى دار المسرات .

واستيقظ سيد الليالي ، بشر زين

الشباب وارتفعت فى الدار أنغام الموسيقى والغنــاء ودارت الكـؤوس وانتشــرت النشوى فى الأوصــال ونادى بشر على جاريته عامرة . وسألها ألم يحدث شيء وهو نائم .

فلما ذكرت له قصة الشيخ والكلمات العجيبة التي تحــدث بهــا . ارتفعت الضحكات الهازئة الساخرة مــن جميع الأركان ولكن الكأس توقفت فى يــد بشر ماذا ؟ ماذا قال يا فتاة ؟ لن اكون حــرا بحق حتى اصبح عبدا بحــق .. ؟ مــا هذا الكلام العجيب الغريب الذى اسمعه لأول مرة ؟

وهم بشر أن يضحك مع الضــاحكين ولكن عقله شرد الى بعيد ، كان فى اعماق الكلمات شيء يشــده بقوة فهز رأســه وصفق بيديه وطلب المزيد من الشراب .

وغفلت عامرة عن طفل لها فى الثانية كان يحبو من خلفها كان يريد أن يتعلم كيف يقف على قدميه كان يقف ثم يحاول أن يســير ثم يتعثر ثم يصــرخ وصــاح حارس الباب .. امسكي ولدك انه لن يستطيع أن يسير حتى يستند الى يدك .

وكان بشر يلاحظ الطفل فلما استمع الى هذه الكلمات توهجت عيناه وهمس فى نفسه .. لا يستطيع الطفل أن يسير حتى يستند الى شيء ؟

ونحن ـ ألسنا فى الحيــاة اطفالا .. اننا لن نستطيع أن نسير الا اذا استندنا الى شيء ـ الــى شيء قــوى ـ شيء عظيم ، شيء يوجهنا ويأخــذ بيــدنا ، وانا .. الى أى شيء استند ؟

وانتشر فى رأس بشر صداع أخذ يدقه بعنف فاستأذن من أصحابه وقام الــى النوم .

وفى النوم كان هناك صــوت خــافت يهمس لا بــد أن تســتند الى شيء والا فأنت لا تســير .. أنت تتعثر .. أنت تقع .. أنت تتحطم وأخذ الهمس يعلو .. ويعلو .. ويعلو وأحس بشر فى النوم أنه غارق فيما يشبه الضباب ، لن تكون حرا بحق حتى تصبح عبدا بحق .. تضــع يدك فى يد سيدك .. حينئذ تستطيع أن تســير ، أن تــرى معالم الطريق .. ألا تخاف .. لأنك حــين تتعثر سيشدك ، وارتفعت الكلمات فى الرؤيا وأصبح لهــا ضجيج كأنها دقات الطبول .

وصرخ بشر .. وكان الشيخ قد جاء عند الباب وأخــذت عامرة تنهره فلمــا ســألها بشر ، قالت فى عنف انــه نفس الرجل جاء يسأل نفس السؤال .

وهب بشر من نومه على عجل ، وأسرع خلف الرجــل حافي القدمين .. قائلا لبيك .. لبيك . ولكن الشيخ كان قــد اختفى .

وأخــذ بشر يجرى .. ويجرى .. ويجرى باحثا عــن الشيخ .. أو عــن الكلمة .. أو عــن المعنى الجديد الذى أصبح مشدودا اليه يريد أن يختم على سره حياته وبعدها ظل بشر حافيا .. لم ينتعل نعلا أبدا لأنه ظل بعد ذلك مدى الحياة .. وكأنه فى صلاة .

محمد لبيب البوهي

الفتاوى

طلاء الأظافر

السؤال : ـ

فى الأيام الأخيرة انتشرت بين سيداتنا المسلمات عادة صبغ الأظافر بمختلف الألوان ـ فما حكم الشرع فى ذلك ـ وهل يجوز الوضوء مع بقاء الطلاء على الأظافر ؟ .

الاجابة : ـ

يجب على المرأة المسلمة أن تقوم بغسل هذا الطلاء عند الوضوء لأنه يمنع وصول الماء فعلا الى الأظافر ، ويشترط لصحة الوضوء ازالة ما يمنع وصول الماء الى البشرة ، فاذا توضأت المرأة بدون أن تنزع هذا الطلاء فوضوؤها باطل شرعا لفقده شرطا من شروط صحته .

ووصول الماء الى البشرة والأظافر شرط أيضا فى صحة الغسل . كما هو شرط فى صحة الوضوء .

والاسلام لا يمنع المرأة من التزين والتجمل فى الحدود التي رسمها القرآن الكريم (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) و (يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) و (ليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها) .

تنازل الزوجة عن جزء من الصداق

السؤال : ـ

هل يجوز للزوجة أن تتنازل عن بعض صداقها لزوجها اذا كانت سنها حوالى ست عشرة سنة ؟؟ .

الاجابة :

يعتبر الشخص رشيدا اذا كان سنه خمس عشرة سنة أو ظهرتعليه العلامات الطبيعية للبلوغ ، وكان حسن التصرف فى ماله ، وعلى هذا فما أقدمت عليه الزوجة المذكورة من تنازلها عن بعض صداقها جائز شرعا ولا حرمة فيه ، لأن الصداق حق من حقوقها ، ولها وحدها حق التصرف فيه لقوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) ولا يجوز ـ كما هو مفهوم من الآية ـ اجبار الزوجة على التنازل عن أى جزء من صداقها بطريق القهر والاكراه .

النذر فى النوم

السؤال : ـ

نذرت لله أثناء النوم ـ ان انقذ الله ابني ـ أن اصوم ثلاثة أيام،ولما استيقظت تذكرت هذا النذر فهل يجب الوفاء به ؟.

الاجابة : ـ

لا يجب عليك الوفاء بهذا النذر الذى تلفظت به أثناء الاستغراق فى النوم لأن التكليف مرفوع عن النائم حتى يستيقظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائمحتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق .

زراعة العنب

السؤال : ـ

العنب يتخذ منه الخمــر ، والخمــر محرم شرعا ، فهل يحل زراعة العنب .

الاجابة : ـ

العنب يتخذ للغذاء والتفكه فزراعته حلال ، ولا يمنع حل زراعته اتخاذ بعض الناس الخمر منه ، وهذا الحكم يطبق على جميع المــواد التي يتخذ منها الخمر أو المخدر ، فاذا كانت لا تصلح الا لصنع المسكر فزراعتها حرام ، أما اذا صــلحت لغــير الاسكار كالبلح مثلا فلا حرمة فى زراعتها .

ونفيد بأن صنع الخمر والاتجار فيها بيعا وشراء حرام شرعا يأثم عليه مرتكبه .

ندل فى خمارة

السؤال : ـ

أنا خادم فى خمارة ، وأناول الزبائــن زجاجات الخمر ، فهــل علي ذنــب فى ذلــك ؟ .

الاجابة : ـ

كما لا يصح أن تتناول خمرا كذلك لا يحل أن تعين على تناولها . وتناول الخمر حرام لذاته ، والاعانة على تناولها حرام لغيره ، والمحرم لغيره يباح لضرورة ، فاذا كان السائل لا يجد عمــلا يرتزق منه غير هذا العمل فانه يباح له للضرورة ـ وعليه أن يسعى ليلا ونهارا للبحث عن عمل آخر يكتسب منه ، فاذا وجده حرم عليه أن يستمر فى خدمة الخمارة والمخمورين .

البيرة حرام

السؤال : ـ

ما حكم الله فى مشروب البــيرة التي تباع فى بعض المحلات التجارية هل هي حلال أم حرام ؟ .

الاجابة : ـ

المعروف أن الكثير من البيرة يســكر فهي خمر وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام . وفى رواية كل مسكر خمر وكل خمر حرام ، وصح عنه أنــه قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام .

الخروج من الصلاة

السؤال : ـ

تذكرت وأنا فى الصــلاة أنني تركت ساعتي فى مكان الوضوء ، ولــو أتممت الصلاة لضاع الأمل فى العثور على الساعة فهل يجوز لي أن أقطع الصــلاة لأبحث عنها ؟ مع العلم بأنني فى جماعة وفى الصف الأول .

الاجابة :

مــن القواعــد المقــررة أن الضرورات تبيح المحظورات ، ومن المعروف أنه لا يجوز قطــع الصلاة الا لضرورة ، ولا شك أن انقاذ المــال أو النفس ضرورة يجوز معها قطع الصلاة . قــال ابن قدامه فى (المغني) : وان احتاج (أى المصلي) الى الفعل الكثير فى الصــلاة لضرورة كان له أن يقطعها قال احمد ـ كما اذا رأى صبيين يقتتلان . يتخوف أن يلقى أحدهما صاحبه فى البئر فانــه يذهب اليهما فيخلصهما ويعود الى صلاته . وهكذا لو رأى حريقا يريد اطفاءه ، أو غريقا يريد انقاذه خــرج اليــه .

وأما كونه فى الصف الأول وخروجه من الصلاة الى مكان الساعة يدعوه الى المرور بين أيدى المصلين فلا اثم عليه فى هذا المرور . قال شمس الديــن محمد ابى العباس المشــهور بالشافعي الصغير فى كتاب (نهاية المحتاج) : ـ نعم قد يضطر المار الى المرور بحيث يلزمه المبادرة لأسباب لا تخفى كانذار نحو مشرف على الهلاك تعين المرور لانقاذه وقال الشبراملسى فى حاشيته ـ : لو توقف انقاذ المسروق على المرور فلا يحرم المرور ، ولا يجوز للمصلي أن يدفع المار فى هذه الحالة .

وعلى هذا يجوز للسائل قطع الصــلاة لانقاذ ساعته ، ويجوز له المرور فى هذه الحالة بــين الصفوف .

العمومية على اتفاقية الوصاية ، وخلال الفترة المذكورة يوضع الصومال تحت الوصاية الدولية وتكون ايطاليا السلطة القائمة بالادارة ، ويساعد السلطة القائمة بالوصاية ، ويقدم لها النصيحة مجلس استشارى يتكون من ممثلي دول كولومبيا ومصر والفلبين ، يكون مقره مقديشيو .

وعادت ايطاليا تتولى الادارة من جديد ، فأنشأت مجالس قبلية ، ومجالس مديريات ، ومجالس بلدية ، وتمسكت ايطاليا بأن يكون تشكيل المجالس بالتعيين فى حين أصر الشعب على أن يكون ذلك بالانتخاب ، وهنا تدخل المجلس الاستشارى ، وتكون المجلس الاقليمي من ٣٥ عضوا منهم ٢١ يمثلون القبائل ، ٧ يمثلون الأحزاب السياسية .

وفى ٢٥ فبراير ١٩٥٦ اجريت الانتخابات لجمعية تشريعية من سبعين عضوا منهم عشرة أعضاء يمثلون الأقلية غير الصومالية ، وقد حصل حزب الوحدة خلالها على الأغلبية ، فعهد الى أمينه العام عبد الله عيسى برئاسة أول وزارة وطنية .

وفى أعقاب قيام أول جمعية تشريعية شهد الصومال العديد من الانقسامات والتعديلات فى أحزابه فقد حدث شقاق فى حزب الوحدة اسفر عن تأليف حزب جديد باسم عصبة الصومال الكبير برئاسة الرئيس السابق لحزب الوحدة ، أهم برامجه توحيد جميع أراضي الصومال فى دولة واحدة ، أما حزب دجل ومريفله فتحول الى الحزب الدستورى المستقل ، واندمج الحزب الديمقراطي وحزب الشباب الصومالى الحر ليكون حزب الشباب الصومالي الحر ، وأطلق حزب شباب البنادر على نفسه حزب الاتحاد الوطني الصومالي .

أما فى الصومال البريطاني فكان يتولى تدبير أموره حاكم عسكرى ، الى أن صدر قرار فى سنة ١٩٥٩ بتكوين مجلس تشريعي ووزارة وطنية ، فأجريت الانتخابات فى فبراير ١٩٦٠ أعقبها تشكيل أول وزارة صومالية فى الاقليم ، وأعرب الاهالي عن رغبتهم فى الانضمام الى أشقائهم فى جزء الصومال الذى كانت تديره ايطاليا والذى كانت مدة وصاية الأمم المتحدة عليه قد انتهت ، فلم تر بريطانيا بدا من أن ترحل مختارة .

استقلال الصومال

وفى عام ١٩٦٠ أعلن استقلال جزأي الصومال اللذين كانا يحتلهما كل من بريطانيا وايطاليا ، وظهرت الى الوجود جمهورية افريقية اسلامية جديدة انضمت الى الركب المتحرر .

وفى ٦ من يوليو سنة ١٩٦١ انتخب السيد / ادن عبد الله عثمان رئيسا للجمهورية الصومالية وهو من مواليد سنة ١٩٠٨ وكان قد تلقى دراسته الأولية فى مدارس البعثات التبشيرية ، ثم عمل فى سنة ١٩٣٤ رئيسا لمرضي مستشفى دى مارتينو ، ثم أصبح فى سنة ١٩٤٤ من أبرز الشخصيات فى حزب وحدة الشباب الصومالي فرئيسا له فى عام ١٩٥٦ وانتخب نائبا بالجمعية التشريعية فى نفس السنة ، ثم انتخبته الجمعية رئيسا لها ، وهو عصامي مجاهد تواق لنصرة الاسلام .

مشاكل الصومال السياسية

وتواجه الصومال الآن مشاكل سياسية رئيسية فما زالت فرنسا تضع اليد على جزء من تراب الصومال ، وتدعي أنه جزء منها ، ثم تفسح المجال فيه لاسرائيل ، وما زالت منطقة أوجادين التي سمحت بريطانيا للحبشة بضمها الى أرضها نظير حيادها أثناء حركة استرجاع السودان وهرر التي استولت عليها الحبشة بعد انسحاب المصريين منها ، وما زالتا فى حيازة الحبشة ، كذا الأمر بالنسبة للمنطقة التي كانت قد ضمت الى كينيا ، وما زال الرأى العام الصومالي ينادى بوجوب استرداد هذه المناطق جميعا .

الحالة الاقتصادية

أما من الناحية الاقتصادية فقد ترك المستعمرون الصومال فى حالة تخلف اقتصادى تعمل الحكومة الآن على مواجهتها وتخليص البلاد منها .

فما زالت المراعي التى تشغل معظم مساحة الصومال والتي تزخر بالعدد الضخم من الماشية فى حاجة الى التنظيم الفني الحديث ، وما زال عدم وجود الطرق المرصوفة والسكك الحديدية عقبة تحول دون تصدير العدد الكبير منها الى الخارج .

وما زالت الزراعة لا تتجاوز ضفاف الأنهار والبحيرات الصغيرة العذبة او الينابيع والآبار ، وما زالت الطرق البدائية فى الزراعة هي السائدة . فى حين أنه يمكن زيادة رقعة الأرض المنزرعة كثيرا وزيادة الحاصلات الزراعية عن طريق ذلك ، وعن طريق اتباع الطرق الحديثة فى الزراعة .

أما المعادن مثل الملح والجبس والميكا والبترول والفحم فما زالت حبيسة فى جوف الأرض لم يستغل منها الا النزر اليسير .

ولا توجد بالصومال الا بعض الصناعات الصغيرة ، ويؤسفنا أن نقرر أن هذه الصناعات ، معظمها ، فى أيدى غير الصوماليين الذين لا يدفعون للعمال الصوماليين الا اجورا تافهة كما أنهم لا يحسنون معاملتهم .

مساعدة الدول العربية للصومال

ويحرص الصومال على تدعيم صلاته بشقيقاته الدول العربية والاسلامية التي حرصت منذ اعلان استقلال جمهورية الصومال على مؤازرتها أدبيا وماديا ، فقامت الجمهورية العربية المتحدة بتزويد الصومال بالفنيين والخبراء ، كما وضعت تحت تصرفه تسهيلات ائتمانية قيمتها أربعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية على أن يستغل هذا المبلغ فى اقامة مصانع للغزل والنسيج والسكك الحديدية وتوسيع مطار مقديشيو وانشاء طرق ومساكن وتمويل بعض الصناعات الصغيرة .

وفى الشهور الماضية قام وفد من غرفة التجارة الكويتية بزيارة جمهورية الصومال واجتمع بالمسئولين فيها والأمل أن يتم انشاء شركات عربية ـ صوماليه للنهوض بالمستوى الاقتصادى للبلاد واستغلال مواردها استغلالا يهيىء النفع للعرب ، ويهيىء فرص العمل للعمال الصوماليين ، ويحقق الرخاء لبلادهم . والمجال فى ذلك فسيح فيمكن أن تقوم شركات لتصدير المواشي واستخراج المعادن وانشاء صناعات غزل ونسيج القطن وغزل ونسج الصوف ودبغ الجلود وعمل الأحذية والمصنوعات الجلدية ، كما يمكن انشاء مصانع للمنتجات الغذائية مثل السكر من قصب السكر والزيوت من بذرة القطن والسمسم والفول السوداني ، كما يمكن تعليب اللحوم والأسماك للوفاء بحاجة الجمهورية الصومالية للتصدير .

ولو أن شركات عربية صومالية مشتركة قامت بتنفيذ بعض ما سبق أن ذكرنا لاستفادت كثيرا ، ولساهمت فى رفع المستوى الاقتصادى لاخوانهم الصوماليين فى وقف النشاط الاسرائيلي والدعوات الهدامة .

بعض المراجع :

١ ـ التنافس الدولى فى بلاد الصومال للدكتور جلال يحيى

٢ ـ مشكلات القارة الافريقية للدكتور راشد البرادى

٣ ـ افريقيا وراء الصحراء للدكتور عبد الملك عوده

٤ ـ العلاقات المصرية الصومالية للدكتور جلال يحيى

بريد الوعي الإسلامي

إعداد : محمد ابوغوش

اعجاب وتقدير

في بريد المجلة رسالة مـن الأستاذ الشيخ عبد الله النورى المحامي بالكويت يقول فيها : ـ

المجلة والحق يقال ، غزيرة فى مادتها ، نافعة فى كلماتها ، جزلة فى محتوياتها ، قشيبةفىمظهرها ، وامنيتي ـ واسأل الله أن يحققها ـ هي أن يحرص المسؤولون فيها على أن تبقى هذه المجلة حاملة لواء التعليم الديني ليعرف المسلمون من سطورها أمور دينهم فتشب ناشئتهم على ما يفهمه الآباء منهـا .

ترحيب ...

ومن الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي ـ بمكة المكرمة وصلتنا هذه الرسالة : ـ

« ... ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي لترحب بهذه المجلة وزمـالتها فى الـكفاح لنشر « الوعي الاسلامي » والدعوة الى اعلاء كلمة الله ، ونقدر فى اعجاب الجهد المشكور الذى بـذل فى اخراجها بهذه الصورة المشرفة .

لماذا لا تصل الرياض

وتلقينا رسالة من الأستاذ عبد الله بن ادريس رئيس تحرير صحيفة الدعوة بالرياض يقول فيها :

(.. لقد قرأنا الاعلان عـن صدور المجلـة الاسلامية « الوعي الاسلامي » واستبشرنا خيرا بميلاد مجلة ثقافية اسلامية ، وتطلعنا بشـوق لقراءتها والاطلاع عليها ، ولكننا بكل أسف ، لـم نر هذه المجلة ، ولم نجدها فى مكتبات الرياض بأجمعها ولا عند أحد ممن نعـرف ، كي نحظى برؤيتها .. فنرجو الافـادة عن توزيعها وكيفيـة الحصول عليها ...

ـ شكرا على مشاعرك الكريمة تجاه « الوعي الاسلامي » وموزع المجلة فى السعودية الأستاذ سعيد بابيضان ـ ص.ب (٧٦) الخبـر مكتبة النجاح الثقافية . وقد كتبنا الى شركة التوزيع بذلك .

ويقول فضيلة الشيخ محمد النجار شيخ رواق البحاروة بالازهر

« ... لقد سررنا غاية السرور بهذا الحدث الهام وذلك المولود الجديد الذى انطلق رائدا فى محيط الفكر الاسلامي .. فان « الوعي الاسلامي » بما حوته مـن مقالات وأبحاث اسلامية وثقافية تعد فى رأينا من المنارات الاسلامية الجديدة التي ولدت قوية وانطلقت جبارة فى مواجهة تيارات الفكر المادى والالحادىالذى يريد أن يزعزع كيان الفكر الروحي » .

ومن السنغال وصلتنا هذه الرسالة من السيد صالح انجاى ـ بدكار

« ... يسعدني جدا أن ابعث اليكم هـذه الرسالة المتواضعة تعبيرا عما يجيش فى صدرنا من فرح وسرور بصدور مجلة « الوعي الاسـلامي » راجيا تزويدى بالبيانات المطلوبة لأكون فى عداد المشتركين فى المجلة التي نعتز بها كثيرا .

شكرا وسنعمل على توزيعها فى السنغال .

ردود سريعة

الأستاذ محمد المجذوب ـ الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة .

ـ المجلة ترحب بما يصلها من أشعاركم وقد سبق للمجلة أن كتبت اليكم لتسهموا فيها بمقالاتكم . وشكرا .

السيد محمد الخياط ـ بور توفيق ـ ج.ع.م .

ـ نأسف لعدم اجابة طلبك لنفاد العددين الأول والثاني .

السيد علي يوسف القاضي ـ الوجه القبلي ـ ج.ع.م .

ـ نأسف لنفاد العدد الأول اما الاشتراك فيمكنك الاتصال بمندوب المجلة فى القاهرة ص.ب (١٤٨٣) .

السيد نبيل شعبان ـ بغداد ـ العراق .

ـ « الوعي الاسلامي » يهمها نوعية المقال ، لا هوية صاحبه ، والمجلة تفتح صدرها لكل مقال صالح يتفق وسياسة المجلة الاسلامية . أما قيمة الاشتراك الخارجي فهي (١٥٠و١) فلسا .

السيد محمد عبد الرضا مجيد ـ قضاء الشامية ـ العراق .

ـ نأسف لنفاد العدد الأول ، وأما قيمة الاشتراك الخارجي فهي (١٥٠و١) فلسا .

السيد جعفر حسين جنوش ـ الكوفة ـ العراق .

ـ لا يوجد فى مكتبة الوزارة فائض من الكتب للتوزيع ، نأمل أن تتاح لنا الظروف لتزويدكم بما تحتاجون .

السيد سعيد مريع ناصر ـ تبوك ـ السعودية .

ـ نعتذر عن عدم تزويدك بالعددين الأول والثاني لنفادهما ، وبخصوص الاشتراك يمكنك تحويل ما قيمته (١٥٠و١) فلسا عن طريق أحد المصارف .

السيدان احمد يوسف آل وهاب ومحمد كاظم ـ العراق .

ـ أرسلت اليكما رسالتان بقيمة الاشتراك ولعدم وضوح عنوانيكما ، فقد أعادهما البريد والقيمة ١٫٧٥٠ فلسا .

السيدان سليمان جار الله الريث ـ الجيش الكويتي ـ الكويت .

ـ شكرا على اهتمامك ب « الوعي الاسلامي » ويمكنك أن ترسل قيمة الاشتراك مع اسم وعنوان المشترك لترسل اليه المجلة .

السيد الدكتور محمود الحاج قاسم ـ موصل ـ العراق .

ـ ارسلنا اليك العدد الثاني بتاريخ ٦٥/٦/٣ عن طريق البريد الجوى ، ويمكنك مراجعة البريد لديكم للتأكد من الوصول ، وشكرا ،

السيد محمد هادى البتى .

ـ شكرا على اقتراحاتك القيمة وهي موضع الدراسة مع بقية الاقتراحات بالمجلة .

السادة صبح عبد المجيد سعدون . سلطان غانم ، وعبد المنعم محمد أرسلوا مقالات وقصائد منوعة .

ـ نأمل أن نتمكن من نشر مقتطفات منها فى الأعداد المقبلة .

بقية خواطر

على الفقراء والمساكين الى غير ذلك من وجوه البر والمعونة اصبحنا نجد اوقافا على بعثات تعليمية توفد الى الجامعات العلمية ، او على جوائز تعطى للمتفوقين في مراحل الدراسة المختلفة ، او في مادة من المواد التي تخفف ويلات الانسانية وتقوم بدور كبير في رفاهية المجتمع ، او على بناء مصنع لتعليم الصناعات الى غير ذلك من وجوه البر والمعروف ، والناظر في حجج اوقاف المسلمين يجد الشيء الكثير من هذا .

وما كان يدور بخلد احد ان المشاعر ترق وتسمو حتى تصل الى ما نشرته صحيفة الاهرام القاهرية في ٦٥/٤/٢٢ فقد جاء فيها ـ

اكتشفت في وزارة الاوقاف المصرية ثلاث حجج لاوقاف في منتهى الغرابة سمى الوقف الاول منها باسم « وقف الزبادى » ويصرف منه على دار خاصة تضم كميات كبيرة من الاوانى الخزفية والاوعية والصينى والبلور وتعطى للخدم الذين تكسر في ايديهم اوانى مخدوميهم حتى لا يضار الخدم وتسوء العلاقة بينهم وبين مخدوميهم .

وسمى الوقف الثاني «وقف الاعراس» ومهمته اعارة الحلى الذهبية والزينة « لكل عروس فقيرة » حتى تبدو ليلة زفافها الى عريسها الفقير في أكمل زينة وأجملها .

وسمى الوقف الثالث « وقف المغاضبات » ومهمته تأسيس دار لاستضافة السيدات الغاضبات من ازواجهن ، اللواتي لا يجدن مأوى لهن ، وليست لهن اسر يلجأن اليها . او تكون اسرهن في بلاد بعيدة . وهذه الدار جميع موظفيها من النساء ، ويعد فيها الطعام والشراب والاقامة حتى لا يتعرضن للاخطار . وتضم الدار (مرشدة) تهيىء نفوس النزيلات وتعالج اسباب الغضب معهن حتى تعود العلاقة الطيبة بين المرأة الغاضبة وزوجها .

ولعل من قبيل المصادفات التي ساقها القدر ساعة تدوين هذه السطور قصة من صميم الحياة ومشكلة من مشكلات المجتمع الذى نعيش فيه تتصل بهذا الموضوع اتصالا وثيقا ـ فهذه سيدة تدلف الى وزارة الاوقاف للبحث عن حل لما تعانيه من قسوة زوجها وانحرافه . تزوجها في لبنان وانتقل بها الى الكويت ومضى على زواجهما ست سنوات،انجبت خلالها اربعة اولاد قاست فيها الامرين وهي عاملة وزوجها سكير مستهتر يأخذ راتبها ويضربها صباحا ومساء ويدخل عليها كل ليلة في حال مزرية وعصبية حمقاء واخيرا حاول ان ينتقل بها الى بلاده ، وهي تخافه وتخشاه، فماذا تصنع ؟! أشار عليها بعض السامعين لقصتها ان تعود الى وطنها بأولادها لتعيش في حماية اسرتها ، فاعتذرت بأن جواز سفر الاولاد مع جواز سفره واشار عليها آخر بأن ترفع عليه دعوى التفريق للضرر ، فاجابت كيف يمكن ذلك وانا اعيش معه في بيت واحد ، وابدت استعدادها لتنفيذ هذا الحل اذا وجدت بيتا يأويها ويحميها ـ فأين بيت المغاضبات .... ؟ ؟



القاهرة

ـ نشرت صحيفة الأهرام القاهرية أن الدوائر المسئولة علمت أن اسرائيل تعيد الآن طبع آلاف النسخ من المصحف الشريف الذى حرفته عام ١٩٦٠ ،لتوزعه فى الدول الافريقية والآسيوية ، وعليه الشعار الرسمي لاسرائيل . وأن المهندس احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء للأوقاف طلب موافاته ببيانات تفصيلية عاجلة لاتخاذ الاجراءاتمن أجل تحذير المسلمين فى هذه الدول من تداول هذا المصحف المحرف .

ويتناول التحريف اسقاط بعض الآيات القرآنية وتحريف بعض الكلمات وعشرات من الأخطاء المطبعية واللفظية .

ـ تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية حاليا باتصالات دبلوماسية مستمرة لاقناع حكومات عدد كبير من دول العالم وخاصة الدول الآسيوية والافريقية ودول عدم الانحياز بعدم السماح لليهود فيها بالهجرة الى اسرائيل لأن هؤلاء المهاجرين يشكلون خطرا على العالم العربي واقناع هذه الدول بأن السماح لرعاياها اليهود بالهجرة الى اسرائيل من شأنه أن يؤثر فى العلاقات الودية بينها وبين الدول العربية .

بيروت

ـ أوصت الدورة التاسعة للجمعية العامة لاتحاد السفر والسياحة فىالبلدان العربية التي أنهت اجتماعاتها فى بيروت فى الشهر الماضي بالغاء نظام جوازات السفر بالنسبة للمواطنين العرب أثناء تنقلهم بين البلدان العربية . كما دعت الى اجراء تخفيض فى تكاليف السفر بين البلدان العربية . وقد قررت الأردن اعفاء رعايا دول السوق العربية المشتركة من تأشيرات الدخول الى الاردنوالاكتفاء بالتأشير على جوازات سفرهم عند دخولهم من مراكز الحدود .

الكويت

أذاع راديو الكويت ان صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح امير دولة الكويت المعظم تبرع بمبلغ عشرين الف دينار للجامعة الازهرية .

وسيطلق اسم سموه على أحد مدرجات الجامعة الازهرية .

* استقبل سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف العامة فى مكتبه فى الشهر الماضي السيد احمد ديمانكو رئيس الاتحاد الاسلامي فى الفلبين ، ودامت المقابلة زهاء ساعة ، دار الحديث خلالها حول طلب رئيس الاتحاد قبول طلاب من بلاده لتلقي العلوم الدينية فى الكويت ، ومساعدة الاتحاد ماديا لبناء مساجد ومدارس لتعليم أبناء المسلمين هناك الدين الحنيف ، وقد لقي الضيف كل رعاية واهتمام من سعادة الوزير .

* قررت وزارة الأوقاف تزويد مساجد الكويت ببرادات للمياه .

* طلبت وزارة الارشاد والأنباء من

وزارة الأوقاف تزويدها بمائتي نسخة شهريا من مجلة الوعي الاسلامي وذلك بناء على طلب من وزارة التربية التي ستقوم بتوزيعها على المكتبات العامة والمعاهد الدينية فى الكويت .

الرياض

- يبحث مندوبو وزارة المواصلات والمالية والتجارة ومندبون عن الكويت والأردن امكانية ربط هذه الدول بخط مسفلت لتسهيل المواصلات بينها .. هذا بناء على توصيات المجلس الاقتصادى فى الجامعة العربية .

* تدرس الجهات المختصة موضوع انشاء المجلس الأعلى لنشر الثقافة العربية . ويستهدف المجلس العمل على نشر الثقافة العربية واللغة العربية خارج الوطن العربي ، والتعريف بالقضايا العربية وبالوطن العربي وامكانياته الثقافية والحضارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية عن طريق النشر والمطبوعات وغير ذلك .

* وجه المركز الاسلامي فى مانيلا دعوة لسعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف لزيارة الفلبين وقد قبل سعادته الدعوة ، ولم يحدد موعد القيام بها .

* أصدر الاتحاد الاسترالي للجمعيات الاسلامية فى مدينة اولايد باستراليا الجنوبية مجلة المنار ويرأس تحريرها الأستاذ رشيد دون ج. كريج وهي تستهدف تعريف غير المسلمين بالاسلام ، وتوثيق الصلات بين المسلمين فى أقطار الأرض .

نرحب بالزميلة ونرجو لها التوفيق فى مهمتها السامية .

* تقدمت زامبيا بعد استقلالها بطلب لهيئة الأمم المتحدة لقبولها عضوا فيها ومما يذكر أن المسلمين فيها يبلغون ٨٤٪ من عدد السكان .

*** أدرج فى ميزانية وزارة الأوقاف الكويتية هذا العام مبلغ عشرة آلاف دينار لاحياء التراث الاسلامي وثلاثة آلاف دينار لشراء كتب تزود بها مكتبة الوزارة وألف وخمسمائة دينار للموسم الثقافي واستضافة بعض كبار الأ... المحاضرين من الدول الاسلامية لا... محاضرات فى المشكلات المعاصرة التي تواجه المسلمين .**

* كما تضمنت الميزانية عددا من الوظائف لدعم جهاز الدعوة والارشاد ، وتتعاقد الوزارة مع عدد من علماء الأز... ليقوموا بمهمة الامامة والخطابة والتدريس فى مساجد الكويت .

* وخطت الوزارة خطوات واسعة فى مشروع انشاء مسجد الدولة الكبير قرب قصر السيف يتسع هذا المسجد لسبعة آلاف مصل ، ويلحق به مكتبة ومصلى للسيدات ومساكن لموظفيه ، وتقدر تكاليف انشائه بمبلغ (٨٠٠٠٠٠) ألف دينار ، وسينشأ على الطراز الأندلسي ، وقد طلبت وزاره الخارجية من سفارة الكويت بالمغرب اختيار مهندس مغربي لوضع التصميمات المطلوبة لهذا المشروع الضخم .

* وتقوم الوزارة حاليا باستلام عدد من المساجد التي أقيمت حديثا .

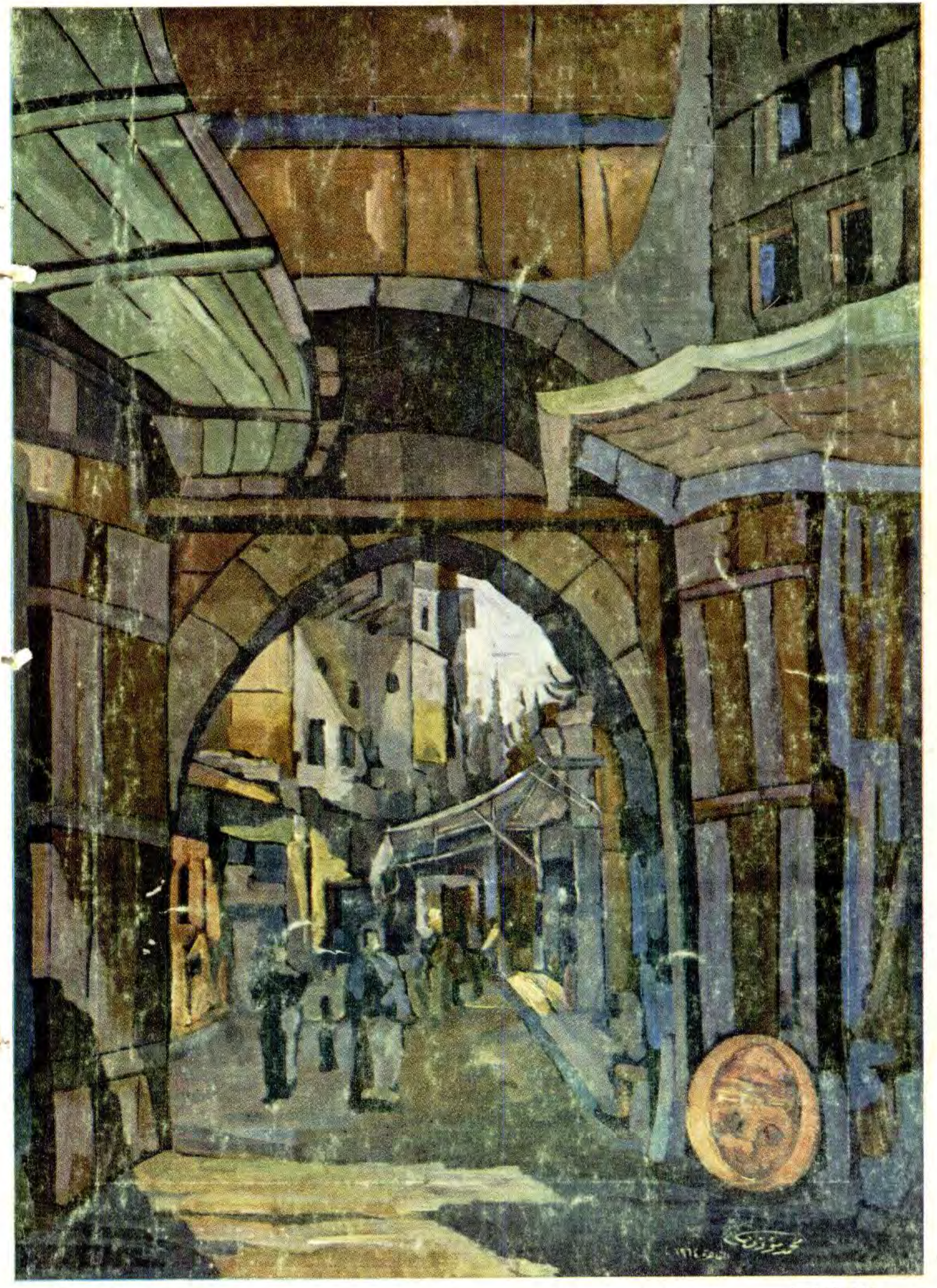
وقد قررت الوزارة اقامة مدينة سكنيه بمكة واخرى بالمدينة ليقيم فيها الحجاج الكويتيون فى موسم الحج والزيارة ، وقد تم اختيار الارض اللازمة لذلك .

اجتمع سعادة خالد المسعود وزير التربية بفضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر ، وبحث معه موضوع انشاء كلية لأصول الدين بجامعة الكويت التي ستفتح قريبا ، وتطبيق النظم والمناهج التي تسير عليها كلية اصول الدين بجامعة الازهر .

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية ان حوادث المرور الناجمة عن الخمور انخفضت بنسبة ٩٥٪ عما كانت عليه قبل صدور قانون منع الخمر ، ولم يبق الا ٥٪ وهذه النسبة الضئيلة ينتظر ان تنعدم فى المستقبل القريب .



جامـع
السلطان
سـليم
بدمشق



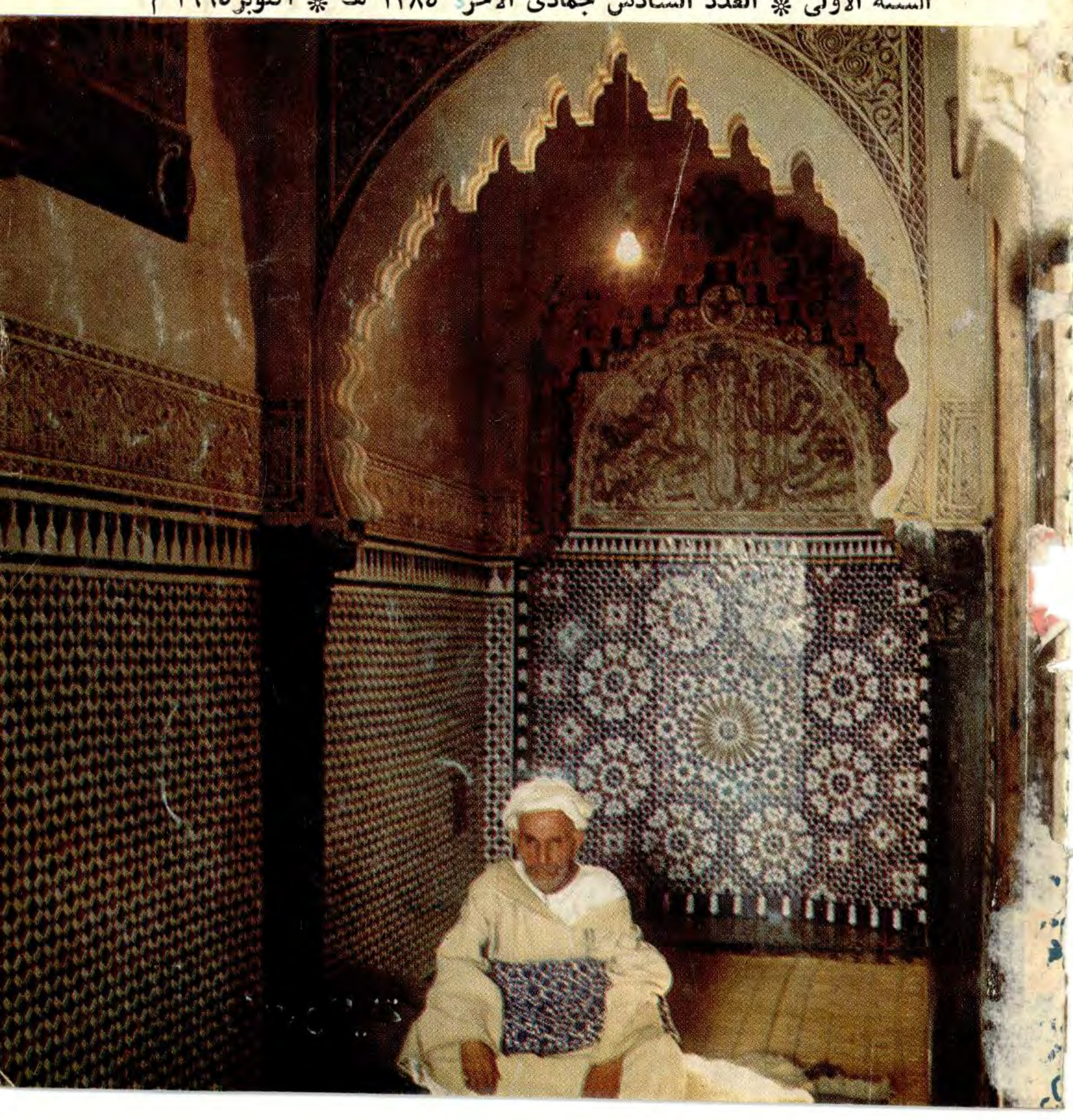
خان الخليلي حي شعبي اسلامي من القاهرة

لوحة زيتية بريشة : **محمد مؤذن**

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الاولى * العدد السادس جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ * اكتوبر ١٩٦٥ م



قصة العدد



زاهد وخليفة   ص : ٨٤

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

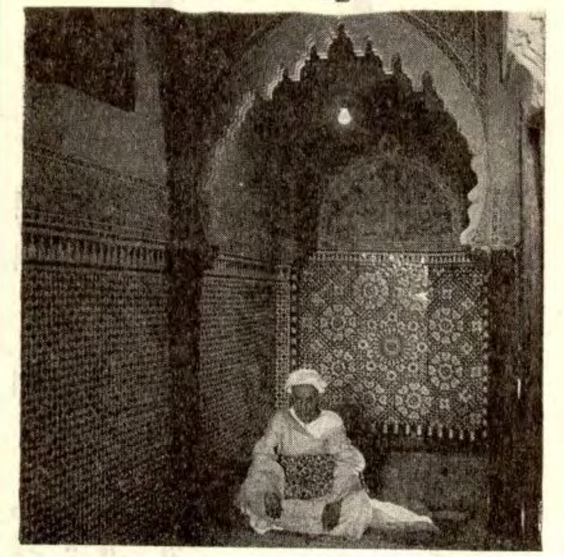
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلى

صورة الغلاف



جمال الروح وجمال الفن محراب دقيق الصنع بمسجد الرباط بالمملكة المغربية .

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الاوقاف
الكـويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٣٢٢٧

اقرأ في هذا العدد



نظمت الاذاعة الكويتية برنامجا تحت هذا العنـوان لنشر الثقافة القانونيـة وتوعيـة المواطنين ، وقد افتتح هذا البرنامج سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف ووزير العدل بالنيابة والقى الكلمة التالية

المواطن والقانون

يسرني غاية السرور أن افتتح هذا البرنامج الاذاعي الجديد ، برنامج المواطن والقانون ، وهو برنامج ، الغرض منه تعريف المواطنين فى بساطة ويسر بأحكام القانون التي تهمهم فى الأحوال العادية وتبصيرهم بما ينبغي أتباعه فى شتى الامور .

والواقع أن القوانين المختلفة تستهدف تنظيم الجماعة وبيان ما للافراد من حقوق وما عليهم من واجبات .

ولهذا يوضع القانون لحماية الحقوق من العبث والضياع ، وعلى الجميع أن يطيع أوامره ونواهيه حتى تنتظم أحوالهم وتحفظ حقوقهم ، ومن المصلحة أن يلم كل فرد بالاحكام الاولية التي يستأنس بها فى تصرفاته حتى تصدر عنه سليمة صحيحة فيتجنب الكثير من المزالق والجهود والنفقات .

ولهذا يقتضى الصالح العام تزويد المواطنين بما ينفعهم من القواعد القانونية البسيطة وهذا هو الغرض الذى توخاه القائمون بهذا البرنامج والمشرفون عليه . وهو غرض طيب نباركه ونشجعه ونرجو أن يؤتى ثمرته وأن يتحقق من ورائه نفع جزيل للمواطنين .

وأنه ليسر وزارة العدل أن تصبح الثقافة القانونية فى صورتها البسيطة قريبة التناول والانتشار لما يحققه ذلك من امكان فض المنازعات بالطريق الودى والاستغناء عن قضايا عدة كثيراً ما يكون الباعث عليها عدم الالمام بحقيقة الوضع القانوني .

ولما كان البرنامج الذى تقدمه الاذاعة اليوم ، وسيلة حسنة من وسائل نشر الثقافة القانونية وتيسيرها فأننا نتمنى للقائمين عليه التوفيق وتأدية مهمتهم على احسن الوجوه بفضل توجيهات وارشادات رائد النهضة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم



من شهور مضت تقدم أحد اعضاء مجلس الامة بالجمهورية العربية المتحدة بأقتراح الى المجلس يقضى بقطع يد السارق اذا عاد للسرقة ، دون حاجة تضطره الى ذلك .

ولا أريد الان ان أتعرض للاقتراح من ناحية مطابقته التامة للشريعة او عدم مطابقته ولكنى اريد ان أتحدث عن البواعث التي حملت النائب على تقديم اقتراحه وانا أعرف عنه أنه ليس من رجال الدين ولا من المشتغلين بالمسائل القانونية أو الدينية ولكنه من العمال المحنكين الذين درسوا الحياة وخبروها فلم يحمله على تقديم اقتراحه ـ اذن كما قال لى ـ الا انه وجد فيه العلاج لما يعانيه المجتمع من قلق وخوف نتيجة استهانة اللصوص بعقوبة السجن التي يفرضها القانون ، وتماديهم فى العبث بأمن الناس وراحتهم . والذى نعرفه ان السارق حينما يدخل السجن يتلاقى فيه مع كبار اللصوص الذين يقضون وقت فراغهم فى سرد مغامراتهم ومهارتهم فى سلب اموال الناس ويصنع كل واحد من نفسه بطلا ليضفى على نفسه مهابة امام زملائه ، فيخرج السجين وقد تأصلت فيه روح الشر واكتسب مهارة جديدة فى السلب والتحايل على القانون ، حتى وجدنا لكثير منهم رصيدا من السوابق واصبح الكثير منهم ايضا معروفا لدى رجال الامن .

وقد أدت هذه الحالة الى ان تصل حوادث السرقة والنشل فى بعض البلاد الى عشرات الالوف بينما هناك آلاف اخرى من الحوادث لم تصل الى علم رجال الأمن ولم تدخل ارقام الاحصائيات ومثل هذا يحصل ـ على تفاوت ـ فى البلاد الاسلامية الاخرى حتى اصبح الناس يعيشون فى رعب وفزع ، ويتلفتون حولهم الى علاج رادع يريحهم من شرور هؤلاء العابثين ... وينتظرون من حكوماتهم ان تتخذ موقفا حاسما يوفر لهم الامن والاستقرار .

ومن هنا انبعثت الاصوات فى كل مكان تطالب بأستعمال العلاج الربانى لهذا المرض الاجتماعي وقطع يد السارق ، وقد شجعهم على ذلك انهم رأوا بلدا اسلاميا كان مسرحا للعبث والنهب فصار بعد استعمال هذا العلاج واحة للامن والاستقرار ،

عشت فيه مدة كما عاش الكثيرون غيرى ، وشعرت كما شعروا بنعمة الامان فى ظــل هذا القانون الربانى .

وكان ثمن هذا الامن عدة من الايدى قطعت ربما كانت عشرين أو اكثر ولكن مــا أرخصه من ثمن فى سبيل استقرار المجتمع وأمنه حتى لو كانت ارواح عشرين او مائة من العابثين بالامن هى الثمن لهذا الاستقرار .

اننا نعرف ان بعض الافراد من هذه الدولة الآمنة يتخطون حدود بلادهم ليباشروا انحرافهم فى ترويع جيرانهم وما ذلك الا لأن قانون الجيران يقضى بسجنهم لا بقطع أيديهــم .

ولقد رأينا بعض الدول المتحضرة تقتل من يتلاعب بأسعارها رميا بالرصاص فى الميادين العامة فهل يوجد لنا مبرر فى الاحجام عن تنفيذ قانون القطع ، وقد أصبح علاجا ضروريا فوق انه قانون الله ؟ ؟ ان العالم كله يشيد بالامان الذى وفره تنفيذ هذا القانون فى العصر الحديث ولا يلقى بالا للايدى التى قطعت فى سبيل هذا الامان .

ولقد كان مجرد اعلان هذا القانون وتنفيذه كافيا فى ردع الناس وتوفير الجهود والاموال التي تبذلها الدول الاخرى لتوفير الامن ومطاردة اللصوص ....

ومع ذلك لم تستطع هذه الجهود والاموال المبذولة توفير الامن للناس كما وفره قانون القطع بل رأينا خطر اللصوص يزداد وجرأتهم تشتد سنة بعد أخرى .

ان الكويت بلد لا تزال قوانينها فى طور الاختبار والتعديل . فلماذا لا تأخــذ بقانون القطع حتى تقضى على موجة العصابات الوافدة التى لم تعهدها البلاد من قبل . وبجوارها تجربة ناجحــة ؟ ؟ !

ولماذا لا تعلن الحكومات الاسلامية جميعها عقوبة القطع وتنفذها حتى تقضى على شر اللصوص الذى يأخذ فى الضراوة ؟ لقد جربت قانون السجن مدة طويلة فلم يثمر الا ما نراه ونلمسه ، فلنجرب قانون القطع .... وسترى انها حققت لشعوبها الامن والراحة ووفرت الكثير من الاموال والجهود .

خذوا بهذا القانون السماوى العادل الرحيم ، لأنه قانون الله الذى خلق النفوس وهو الخبير بعلاجها ولأنها تجربة معاصرة مر على نجاحها أمامنا الآن اربعون سنة ..

جربوا .. والله معكم .

رئيس التحرير

٢

التبني وموقف الإسلام منه

الدكتور مصطفى زيد
رئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم فى جامعة القاهرة

« واذ تقول للذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه، امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً ❋ » .

(سورة الأحزاب : ٣٧)

١٥ : ـ أسلفنا فى مقالنا الأول لمحة موجزة عن التبنى عند العرب ، فى الجاهلية وفى السنوات الأولى بعد مجىء الاسلام ، ثم عن موقف الاسلام منه كما تصوره وتستدل له الآيات الأولى فى سورة الأحزاب(١) .

وفى ذلك المقال وعدنا بأن نقدم فى مقال تال دليلا من التشريع العملى ، على ابطال الاسلام لجميع آثار التبنى . وهذا الدليل ذكرته ـ أو ذكرت قصته ـ آيات أخرى ، فى النصف الأخير من سورة الأحزاب نفسها . وهو زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، مطلقة متبناه زيد بن حارثة ، مع أن العرب كانوا ينظرون الى المتبنى نظرتهم الى الابن : وكانوا يحرمون مطلقته على المتبنى ، باعتبارها مطلقة ابن ! . .

وقبل أن نذكر الآيات التي قدمت هذا الدليل ، نحب أن نذكر القصة كما وردت فى بعض الآثار التي لم تصح ، وأن نقف قليلا عند نقط الضعف فى سندها ومتنها ، فقد قبلها ـ دون بحث علمى ـ بعض أعداء الاسلام من المبشرين والمستشرقين ، واتخذوا منها وسيلة للطعن فى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم . ثم قبلها كذلك بعض المسلمين المعاصرين ، وعللوا قبولهم لها بأن فيها تأكيدا لبشرية محمد ، ولتساميه على نوازع النفس البشرية وميولها ! . .

وبين موقف هؤلاء وموقف أولئك ، لنا نحن موقف تدعمه مبادىء الاسلام وأصول الرواية وشروطها ، وواقع الحادثة وظروفها ، وصريح نص القرآن الكريم ومضمونه ! . .

١٦ : ـ أما القصة كما ترويها الآثار ، فهذه هي ، ننقلها على ما فيها ، لننقد متنها وسندها . . .

افتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا ، فذهب الى منزله يطلبه .

---

(١) انظر العدد الثالث من هذه المجلة .

وهرعت زينب للقائه وقد أعجلتها اللهفة عن استكمال ثيابها ، فقالت : « ليس هو ههنا يا رسول الله ، فادخل بأبى أنت وأمى » ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يدخل ، وولى وهو يهمهم (يحدث نفسه) بكلمات ميزت فيها زينب قوله : « سبحان اللهالعظيم . سبحان الله مصرف القلوب (١) » .

(وأقامت زينب فى مكانها ، تفكر فيما سمعته من قول ابن خالها - اذ كانت أمها هي أميمة بنت عبد المطلب ، شقيقة عبد الله والد الرسول - ، حتى اذا جاء زيد كان أول ما لقيته به أن الرسول أتى منزله .

سألها زيد : ألا قلت له ادخل ؟

فأجابت : بلى . قد عرضت عليه ذلك فأبى .

واستطرد زيد مستفسرا : فسمعته يقول شيئا ؟

قالت : سمعته يقول حين ولى : « سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب » .

فأطرق زيد برهة ، ثم خرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بلغنى أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت بأبى أنت وأمى ؟ .

ثم أضاف متسائلا : فأفارقها ؟

فقال الرسول : مالك ؟ أرابك منها شيء ؟

فأجاب زيد : لا يا رسول الله ، ما رابنى منها شيء ، ولا رأيت الا خيرا ، ولكنها تتعظم علي لشرفها ، وأن فيها كبرا ، تؤذيني بلسانها !

فقال الرسول : أمسك عليك زوجك ! ..

١٧ : - هذه هي القصة كما رواها الطبرى فى تاريخه : وصاحب السمط الثمين . وكما قبلتها دون مناقشة الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابها نساء النبي (٢) ، بل مضت تدافع عن صحتها دون أساس تعتمد عليه .

ومع احتياط الذين اختلقوا هذه القصة ولفقوها ، ومع حرصهم على ذكر أن الرسول صلى الله عليهوسلم قد سبح الله ولهج بذكره عندما رآها وهى حاسرة كما يزعمون ، ومع أنهم قد حكوا ما نصح به الرسول زيدا من امساكها والابقاء على زوجيتها-نراهم قد افتضح ما لفقوه على رغمهم : فى كلمات القصة كما صوروها،وفىوقائعها كما زعموا ! ..

١٨ : - فهم أولا يوردون رؤية الرسول لها على أنها حدث طارىء عليه، وكأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرفها من قبل . وبعبارة أخرى : هم يدّعون أن الرسول قد فاجأه جمالها حتى لم يجد ملاذا الا التسبيح باسم الله ، وتذكر أنه مصرف القلوب . وفى هذا تجاهل لصلة القرابة الوثيقة التي كانت تربط بينه صلى الله عليه وسلم وبين زينب ، فهى ابنة عمته أميمة ، وهو الذى خطبها لزيد وزوّجها منه ،والتاريخ يسجل أنها كانت تعارض هذا الزواج وترفضه هى وأخوها عبد الله بن جحش ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه بشأنها قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعض الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣) وانه قد جرى بينه وبين زينب حديث فى هذا الأمر قبل أن تنزل الآية ، فلما نزلت سألت الرسول : هل رضيته لى زوجا ؟ وأجابها : نعم ،

١ - أى محول القلوب ، وموجهها الى حيث يريد .
٢ - انظر ص ١٢٨ - ١٢٩ من هذا الكتاب ، طبعة دار الهلال
٣ - الآية ٣٦ فى سورة الاحزاب .

قــد رضــيته ! فقالت : قــد أنكحته نفسي ! . .

أيتصور بعد هذا كله أن جمالها قد فاجأه عندما رآها في دار زيد كما تقول الرواية ، فوقع حبها في قلبه ؟ .

١٩ : ــ وهم ثانيا يدعون أن زينب قد لقيت الرسول دون أن تستكمل ثيابهــا (وفى رواية أخرى أن الريح قد رفعت الستارة المصنوعة من الشــعر ، وهى التي كانت علــى باب زينب ، فــرآها الرسول وهي حاسرة) . وهم اذ يدّعون هذا أو ذاك ينسون أن ورع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعه من أن ينظر، وأن ما عرفت به زينب رضى الله عنها من تمسك شديد بأوامر دينها يمنعها من أن تستقبل الرســول وهي غير مستكملة ثيابها .

ويبــدو أن الذين وضــعوا الرواية الثانية كانوا أعرف بفن الوضع ، فجعلوا الريح ترفع الستارة ، على رغم زينب ، حتى يقع نظر الرســول عليها دون أن يقصد الى النظر . لكنها مع هذا ملفقة مصنوعة ، مدسوسة على الرسول وعلى زينب معا : وحسبنا أنها لم ترو الا عن عبد الرحمن بن زيد ، وهو ضعيف جدا لاتقبــل روايتــه عنــد جميع رجــال الحديث(١) ! . .

٢٠ : ــ وهم ثالثا لايلبثون أن يفتضح أمرهم ، عندما يحكون قصة لقاء زيــد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دار فيها من حديث . فهم يدعون أن ما دار بينهما من حديث كان هكذا :

(يا رســول الله ، بلغني أنك جئت منزلي ، فهلا دخلت بأبي أنت وأمي ؟ !) ثم أضاف متسائلا : (فأفارقها ؟) .

وهنا نحب أن نقف قليلا ، لنتساءل عن سر هذا الانتقال المفاجىء ، من حديث عن ذهاب الرسول اليه فى منزله : الى عرض لاســتعداده أن يفارق زوجــه ، مكنيا عنها بضميرها . فهل كل من زار انسانا فى منزله فلم يجده ، يذهب اليه ذلك الانســان ليعرض عليه استعداده لفراق زوجه ؟ ومن أجل ماذا ؟

لنقــرأ باقي الحديــث كمــا تذكره الرواية . . .

لقد سأله الرســول : أرابك منهــا شيء(٢) ؟

فأجاب : لا والله يا رسول الله ، ما رابني منها شيء ، ولا رأيت الا خــيرا ، ولكنها تتعظم على لشرفها ، وان فيهــا كبرا تؤذيني بلسانها ! .

فقال الرسول : أمسك عليك زوجك !

٢١ : ــ أما انه اذا كان ممــا قيل : « يكاد المريب يقول خــذوني » ــ فان المريب فى قصتنا قد قالها فعلا ، وفضح نفسه دون أن يدرى ! لقد حكى واضعو تلك الآثار ــ وهــى مــن الاسرائيليات قطعا ــ ماكان من رجاء زيد أن يكــون الرسول قد دخل بيته : عندما زاره فلم يجده . لكنهم انتقلوا ــ دون رابط على الاطلاق ــ الى عرضه أن يفارق زينب ، كأن فراقه لها أمر يهم الرسول أن يقع ، ويتمناه فى قرارة نفســه ! ولما ســأله الرسول عما اذا كان يشك فى شيء مــن تصرفاتها ، بادر فنفى كل شك ، وأكد أنه لم ير منها الا خيرا ، ثم شكا تعظمها وتعاليها عليه بشرفها ، وكبرها ،وتعييرها اياه بماضيه فى الرق . وأجاب الرسول على عرضه فى قوة وحسم : أمسك عليك زوجك ، تعبيرا عن عدم اقتناعه بوجاهة ماذكر من أسباب لفراقه اياها .

واذن فلا مناسبة لعرض استعداده لفراقها عقب حديثه عن مجيء الرسول

---

(١) انظر ترجمته فى الطبقات الكبرى لابن سعد : جـ ٥ ص ٤١٣ ، وفى تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ١٧٧ – ١٧٩ .

(٢) يقال رابه الشيء اذا أثار شكه . ومنه : دع ما يريبك الى مالا يريبك .

الــى منزله : مادامت أســباب الفراق لاعلاقة لها بالرسول !

٢٢ : ـ علــى أن لنــا هنــا وقفــة أخرى . . . عند نقطة نراها جديرة بأن تعرض ، ويبسط القول فيها .

لقد كان العــرب حتى ذلك التاريخ يرون أن التزوج بمطلقة المتبني لا يجوز ، لأن له حقوق الابن . وكان القرآن قد نزل بابطال التبني ، وابطال جميع مــا يرتبونه عليه مــن آثار ، لكــن التشريع العملى الذى يواجه المجتمع بهذا لم يكن قــد نزل بعد . ففى ظل أى المفهومين وضعت تلك الآثار ؟ . .

نحب أن ننبه أولا على أن جميع مــا ورد من آثار تحمل تلك القصة الملفقة لم تصح من ناحية السند ولم ينسب واحد منها ـ أى واحد ـ الى صحابى . ونحب ثانيا أن نشير الى أن جميع المفسريــن الذين أوردوها قد نقلوها عن الطبرى ، دون أن يعنــوا بالبحث فى أســانيدها ! ونحب ثالثا أن نسجل ـ مع التقدير ـ موقف المفسر العالم ، والحافظ المحدث، ابن كثير الذى لم يرو شــيئا منها ، لا لأنهــا لم تبلغه ، ولكن لأنــه يراها غير صحيحة . انه يقول : (ذكر ابن أبى حاتم وابن جرير (الطبرى) ههنا آثارا عــن بعض السلف رضى الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صــحتها ، فلا نوردها(١)) .

ونعود الى بحث المفهوم الذى وضعت فى ظله تلك الآثار ، فلا نجــد لهــا مكانا على مفهوم العرب ، وحرمة زوجة المتبنى على متبنيه بعد طلاقها ، لأنهــا حينئذ بمنزلة ابنته ! . ولا نجد لها مكانا كذلك على المفهــوم الاســلامي ، الذى يبيح للمتبنىّ التزوج بمطلقــة متبنــاه ، لأن الله عز وجل حينما أمر رســوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالزواج مــن زينب ، ليبطل بهــذا الزواج كل أثــر للتبنى ، لم يزوجــه اياها لأنــه وقــع الاعجاب بها فى نفسه كما تقول الآثار . ألم يقل الله عــز وجل لرســوله بهــذا الشأن : « فلما قضى زيــد منهــا وطرا زوجناكها ، **لكيــلا يكــون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا** » ! ؟ ، فقد حدد الله عــز وجــل الغاية مــن هــذا الزواج ، ولم يدعها للاسرائيليات تصورها بالصــورة التي تسيء بها الى محمد صلى اللــه عليــه وسلم ! . .

٢٣ : ـ نعم ، جاء فى الآية التي حددت الغاية من ذلك الزواج تعبير أخطأ بعض المفسرين فهم المراد منه ، فلم يوفقوا فى تفسير الآية ، ولم يهتدوا الى الحقيقة . هذا التعبير هو قوله عز وجل : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » . ونحن نكتفى فى تفسير هذا التعبير وبيان المراد منه بما رواه ابن أبى حاتم ، قال : (حدثنا أبى ، حدثنا علي بن هاشم عن مرزوق ، حدّثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيــد بن جدعان ، قال : سألنى على بن الحسين رضى الله عنهما : ما يقــول الحسن فى قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » ، فذكرت له ، فقال : لا ، ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون مــن أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها اليه قال : « اتق الله وأمســك عليك زوجك » فقال : قــد أخبرتك أنى مزوجكها ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه . وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك) .

على أنا نضيف أن الله عز وجل قــد وصف ما يخفيه صلى الله عليه وسلم

البقية على ص ١٥

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٩١ طبعة عيسى البابي الحلبي .

لفضيلة الشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد

صمام امن الحياة وسبيل النجاة في الآخرة في ثلاث

حب الله ورسوله ، والتحاب فى الله ، وكراهة الرجوع الى الكفر بعد الايمان .

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان)) .

أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما : وان يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار)) .. رواه البخارى .

١ ــ راوى هذا الحديث هو أنس بن مالك الصحابي الجليل رضي الله عنه ، كان خادما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أثر عنه قوله ((خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي فى شيء فعلته لم فعلته ، ولا فى شيء تركته لم تركته)) . وجاءت أمه يوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ادع لخويدمك أنس بكثرة المال والولد وطول العمر ، فقال الرسول الكريم عليه السلام ((اللهم اكثر ماله وولده ، وبارك فيه ، وأطل عمره ، واغفر ذنبه)) واستجاب الله لنبيه دعاءه لأنس ، فقد روى انه عاش ما يقارب المائة عام ، وكان له نخل وبستان يجني منه ثمارا كثيرة ، ونسل له أولاد عديدون ، يقول أنس : قد حقق الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ، وأرجو أن تتحقق لي المغفرة يوم يقوم الاشهاد .

٢ ــ الخلال الثلاث التي وردت فى هذا الكلم الطيب كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم هي صمام الأمن فى الحياة الأولى والآخرة ، فقد جمعت أطراف الخير وملكت نواصيه ، وفى الوصول اليها والحصول عليها والاتصاف بها لذة روحية وسعادة نفسية وراحة قلبية وأمان من كل ضر ، ثمرتها حلاوة الايمان ، والقرب من الديان والانتظام فى سلك أوليائه الذين عرفوه ففنوا فيه ، وتعلقت آمالهم برحابه ، وصقلت قلوبهم بصقاله فلا يصدرون ولا يوردون الا عن طريقه القويم ، ولا يدرجون الا فى سبله المستقيمة التي لا تميل يمنة ولا يسرة مهما لوح لهم بما يلهي غيرهم من عرض وجوهر ، فما العرض والجوهر الا من واديه ، ولا يعرف كنه الشيء الا مبدعه من لا شيء ، يقفون عند الحد المرسوم ((وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه)) ويمضون بعيدا عن مدار النهي ((ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله))

ان لان لهم المسلك واستنار ، قالوا

هذا فضل ربنا ، وان تحول شائكا مستعصيا معنتا او قاتلا قالوا : صبرا فالموعد الجنة والراحة هناك « وان الدار الآخرة لهي الحيوان » وتساوت لديهم بأساء الحياة ونعماؤها ، ما دامت حلاوة الايمان تعمر قلوبهم ، وتسكن اليها نفوسهم ، وتنتشي بها أرواحهم، وأولئك هم الذين يمضون فى الطريق طريق رسل الله ، حملة رسالته وأمناء وحيه ، غير هيابين ولا وجلين ، يمرون بالحياة مرور الكرام يصلحون ولا يفسدون ، يحسنون ولا يسيئون ، يقدمون الخير للبشرية ولا ينتظرون الجزاء العاجل منها ، هم ملح الحياة وأساتها ، وقادتها الحقيقيون وسادتها ، لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، والا لهلك الحرث والنسل وانهار بنيان الوجود ، هم شموع على الطريق تضيء للسالكين ، وبدور تمحو دجية الليل البهيم ، غيوث أينما حلوا أرووا ، وحيثما هطلوا أثمروا ، وليوث عرينهم محمي ، وحماهم مصان « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » ..

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا .. وان الله لقوى عزيز » ..

وهم منبثون فى أرض الله ، قد تراهم ولا تعرفهم ، وقد تعرفهم ولا تلقي اليهم بالا « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » لهم صفات تحدثت عنها سورة الفرقان قرب نهايتها وعددتها دون حصر فاتحتها « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وخاتمتها الجزاء الأوفى فى رحاب من أحبوا ومن احتسبوا عنده بلاءهم وابتلاءهم « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما » لا يريمون الموضع الذى اختاره حبيبهم لهم ولا يبرحونه « خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما » وما أحسن المستقر وما أجمل المقام .

٣ ــ ثلاث خصال خص المتصفون بها بهذا الفضل لأنها من أعمال القلوب لا يجد الرياء اليها سبيلا ، ولا يطلع عليها الا علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى فهي خالصة لله ، المتخلقون بها يعبدون الله ولا يشركون به شيئا « مخلصين له الدين » .

وهذه الصفات الثلاث

١ ــ أن يقدم العبد حب الله ورسوله على كل شيء .

٢ ــ أن تقوم العلاقات بين الأفراد على اللقاء تحت كلمة الله ورسوله .

٣ ــ النتيجة الحتمية لصدق حب الله ورسوله والحب فيهما هي كراهية ما يبعد عن ساحتهما وبالتالي اتقاء ما يلقى بصاحبه فى السعير وهو الكفر بعد الايمان ، فمن أحبهما وأحب فيهما أقام على الاسلام وفني فيه وشطن عن كل ما يحول بينه وبينه ، وحفظ نفسه من الكفر كما يحفظها من النار والدمار .. ولنأت على تفصيل القول فى هذه الخلال الثلاث واحدة واحدة ، ونبدأ بالتي بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أولا : هذا الكلام الموجز الدقيق ، ألقى أول ما ألقى وبرز الى الوجود أول ما برز الى صحابة رسول الله من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماذا كان موقفهم منه ؟ هل قالوا ان فى حلاوة الايمان استعارة بالكناية ، وأن اثبات الحلاوة تخييل .. الى آخر ما هنالك من لغويات ؟ لا ــ لم يفعلوا شيئا من هذا، لأنهم يعونه بفطرتهم،ويعرفونه بسليقتهم العربية الخالصة ولسان حالهم يقول :

ولست بنحوى يلوك لسانه
ولكن سليقى أقول فأعرب

ولأنهم لا يهتمون بالشكل اللفظي ، وانما بجوهره ومعناه ، وجوهره ومعناه ينسابان الى قلوبهم انسيابا يجعله مدركا

بالجنان والبصائر ، فيبحث كل سامع في دخيلة نفسه عما يتعارض مع حب الله ورسوله من مال وولد ووالد ونفس ونفيس فينقى منه قلبه ووجدانه ، ليحل هناك في القلب والوجدان حب الله ورسوله ((قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين)) .

وحب الله مرتبط دائما بحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)) كما ارتبطت طاعة الله بطاعة رسوله ((يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)) .. ((ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)) .. وكان هذا الارتباط الوثيق لأن الله سبحانه هو مصدر الشريعة وموحيها ، والرسول هو المختار لتبليغها وايصالها الى البشرية جميعا ((يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)) .

لماذا نحب الله ورسوله ؟

١ ـ أما حبنا لله تعالى فمبعثه أن الله تبارك وتعالى هو الذى خلقنا وهو الذى بيده مقاليد أمورنا « لا اله الا هو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » هو مدبر أحوالنا وهو رازقنا « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وهو المالك لكل شيء « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » وهو المعبود بحق ، لا اله فى الكون كله الا هو ، فلا شريك له ولا ند ولا مشابه .

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

ولنتساءل من الذى أوجد الكون من العدم ؟ من الذى يجرى الفلك ؟ من ذا الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ؟ من يعاقب الليل والنهار ؟ من يأتي بالشمس من المشرق ؟ من يحيي ويميت ؟ ومن .. ومن .. التي لا تنتهي . جوابها واحد هو الله سبحانه وتعالي (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) .

ان نظرت الى السماء هالتك نجومها ، وان تأملت نبات الأرض بهرتك أشكاله وألوانه : واذا فكرت فى البحار وعوالمها لم تسبر غورها ، وناهيك بالجبال والرمال والوديان والصحارى وما أجنت الأرض فى بطنها وما حملت على ظهورها ، كل ذلك يتساوق فى نظام دقيق مدبر محكم بديع ذلك تقدير العزيز العليم .

٢ ـ أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذى فتح العيون العمى والقلوب الغلف والآذان الصم على آيات الله ، وجاء بالتشريع والتنظيم لحياة الانسان فى جميع صورها وأشكالها وتحدث بما أوحى اليه عن أسرار الوجود وما بعد الحياة وهدانا الله به الى الصراط المستقيم .

فاذا لم نحب الله ورسوله فمن الجدير بالحب بعدهما .

أما كيف يكون حبهما وما هو الحب المطلوب منا فى هذا الحديث وغيره وماذا أنتج حبهما مع الصحابة الكرام وماذا يجب أن ينتج معنا كل هذه التساؤلات فى العدد القادم ان شاء الله جوابها وهو سبحانه الموفق والمستعان .

بأنه هو مبديه ، فهل أبدى الله عز وجل أنه قد أحب زينب ، ومن أجل هذا الحب زوجه اياها ؟ ولماذا اذن قال : « ... لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا » ؟ ! ..

تعالى الله عن أن يتناقض كلامه فى كتابه ، أو يختلف ..

٢٤ : ـ بقى ما تمسكت به الدكتورة بنت الشاطىء ، ودافعت عنه فى حماس، وهو بشرية الرسول ، ومحاولتها قبول تلك الآثار باسم هذه البشرية .

ونحن لا ننكر بشرية الرسول ، لكنا لا ننسى أنه معصوم عن الخطأ . والذى لا نشك فيه كما أسلفنا أن جمال زينب لم يفاجىء الرسول ، وكيف وهو منها بمنزلة ولي الأمر ، وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وهو الذى خطبها لزيد وزوجها منه ؟ كذلك لا نشك فى أنه لم يكن من خلق الرسول أن ينظر الى امرأة يعلم أنها حرام عليه ، والا فلماذا لم يعرف ذلك عنه الا فى قصة زينب على ما يزعمون ، مع أن زواجه بها بعد طلاقها من زيد اثار زوبعة فى المجتمع العربى ، مصدرها أنه تزوج امرأة كانت ذات يوم زوجة ابنه ؟ وشيء آخر ، هل تعد القصة ـ كما نقلتها الينا الآثار الموضوعة ـ مفخرة لمحمد وللاسلام ؟ ان الدكتورة الفاضلة تقول هذا ، بعد أن تذكر أن القصة نقلها الينا رواة غير متهمين ـ ولا أدرى من أين جاءت بهذا الحكم العجيب ، وكيف جرؤت عليه دون دراسة لهؤلاء الرواة ـ ، كما تذكر أنها (أى القصة) ترتفع برسولنا عليه السلام الى أقصى ما تطيقه بشرية من عفة وضبط نفس **واعتقال للهوى ! ! ،**

فما ادعى نبينا قط أن قلبه بيده يصرفه حيث شاء ، ولا زعم مرة أنه مبرأ من عواطف البشر ، منزه عن أهوائهم ! ! !

ولا تنسى الدكتورة أخيرا أن تذكر أن كل ما وجه للقصة من نقد يكفى للرد عليه ما قاله الزمخشرى فى تفسير الآية . ومع اجلالنا لهذا المفسر لانستطيع أن ننسى جانبا هاما من جوانب ثقافته وعلمه ، هو أنه لم يكن من رجال الحديث ، فليس محدثا ، ولا حافظا ، ولا علم له بالرواة تجريحا وتعديلا . ومن ثم لايعدُو فيما ذَكَر أن يكون ناقلا عن الطبرى(١) ! ..

٢٥ : ـ أما الطبرى نفسه ، وهو الذى نقل عنه سائر المفسرين ، فقد كان يورد الصحيح من الآثار وغير الصحيح ، فى تفسيره وفى تاريخه معا . ويترك للقارىء مهمة دراسة أسانيده التي يذكرها ، والحكم على الآثار بالصحة أو بالضعف نتيجة لهذه الدراسة . وقد أورد هذه القصة مروية عن قتادة بسند صحيح ، وعن عبد الرحمن بن زيد . فأما قتادة فهو من تابعى التابعين ، وقد كان تلميذا لمجاهد ، ومجاهد تلميذ لابن عباس رضى الله عنهما ، ومع ذلك لم يرفع هذا الأثر الى أحدهما ، مع أنه خطير فى مدلوله لاتصاله بشخص الرسول ، ويدل هذا على أنه مجرد رأى له فى تفسير الآية ، وهو رأى يجب أن يرفض ولا يقبل ، لعدم اتفاقه مع ما هو مقرر من عصمة الرسول .

وأما عبد الرحمن بن زيد ، فقد اتفق نقاد الحديث على تجريحه وعدم قبول ما يرويه . وحسبنا أن نذكر رأى الامام مالك فيه هنا ، ليعلم مقدار ضعفه ، فقد روى عن الشافعي أن رجلا ذكر لمالك حديثا منقطعا ، فقال له مالك :

(١) تجد ترجمته فى وفيات الأعيان ٨١/٢ ، وارشاد الأريب : ١٤٧/٧ ، ولسان الميزان ٤/٦ ، والجواهر المضية ١٦٠/٢ ، وغيرها .

اذهب الى عبد الرحمن بن زيد ، يحدثك عن أبيه ، عن نوح عليه السلام (١) ! . .

فما رواه الطبرى من آثار هنا ، هو اذن اما موضوع لا أساس له من الصحة، واما رأى لتابعي متأخر يحتمل فيه الخطأ ، وهو خطأ لا يحتمل الصواب ، لمنافاته لصريح القرآن ، ولعصمة الرسول ! . .

٢٦ : ـ بقى الرأى الذى رجحه الطبرى فى تفسيره ، وذكره بقوله : (وذلك أن زينب بنت جحش ـ فيما ذكر ـ رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعجبته وهى فى حبال مولاه ، فألقى فى نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع فى نفس نبيه ماوقع ، فأراد فراقها ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمسك عليك زوجك) ، وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه ، لينكحها . (واتق الله) ، وخف الله فى الواجب عليك فى زوجتك . (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) يقول : وتخفى فى نفسك محبة فراقه اياها لتتزوجها ان هو فارقها ، والله مبد ما تخفى فى نفسك من ذلك (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) يقول تعالي ذكره : وتخاف أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ، ونكحها حين طلقها ، والله أحق أن تخشاه من الناس (٢) .

ونلاحظ أنه قد تحفظ وهو يبني تفسير الآية على الآثار ، فقال : وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها الخ ، لكنا نأخذ عليه أنه نسب الى الرسول نصحه لزيد بغير ما يحب هو ، وأن الرسول قد أحب زينب وهي فى حبال مولاه ، وأن ما عتبت الآية على الرسول اخفاءه كان هو محبة أن يفارقها زيد ليتزوجها هو ، وأن ما خشى الناس فيه كان هو قولهم انه أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها بعد الطلاق ! نأخذ عليه هذا كله لأنه اضطراب منه فى تفسير الآية : ثم لأنه لايتفق مع ما عرف يقينا من أخلاق الرسول ، ولا مع ما تقرره الآية من أن الله قد زوجه اياها **لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ! ..**

ومرة ثانية ، رضى الله عن ابن كثير الذى رفض أن يقبل تلك الآثار ، وفسر الآية على نحو سليم لايناقض المقرر من مبادىء الاسلام ، وليس فيه تجن على أخلاق الرسول ، ولا على ما يجب له من العصمة ! . .

٢٧ : ـ وبعد ، فقد كانت زينب رضى الله عنها متعلقا لحكمين شرعيين كلاهما جديد على المجتمع العربى . أولهما هو تحطيم تلك الفوارق الوهمية التي كانت تمنع بعض الأسر من مصاهرة بعضها الآخر ، اذ كان زواجها من زيد وهو مولى أعتقه ثم تبناه الرسول ، مع أنها كانت من أشرف بيوتات قريش وأعرقها ـ ايذانا بأن المسلمين سواسية، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم له .

والحكم الثاني هو ابطال آثار التبني، فقد كان العرب ـ قبل أن يبطل الاسلام التبني ـ ينظرون الى المتبني على أنه ابن ، فلا يرون بأسا فى أن يخلو بزوجة من تبناه ، وبناته ، ثم هم يحرمون عليه وعلى أنفسهم ما يحرم بسبب البنوة النسبية الحقيقية ، ثم يرثونه اذا مات قبلهم ، ويرثهم اذا ماتوا قبله . فلما حكم الله ببطلان التبني ـ بطلت كل هذه الأحكام ، وأصبح المتبنى غريبا على أسرة

---

(١) ترجمه ابن سعد فى الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٤١٣ ، وابن حجر العسقلاني فى تهذيب التهذيب : جـ ٦ ص ١٧٧ ـ ١٧٩ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢٢ ص ١٠ من الطبعة الأولى ببولاق .

متبنيه . فلا تجوز الخلوة ، ولا تحرم المصاهرة ، ولا يثبت الميراث . وأراد الله أن يعزز هذا بتشريع عملي فاختار رسوله محلا لهذا التشريع ، وكان زيد متبناه فيما سبق قد طلق زوجه زينب بنت جحش ، فأمر الله رسوله أن يتزوج منها . ولما ثارت ضجة بسبب هذا الزواج ، وقالوا : كيف يتزوج مطلقة ابنه ــ نزل قوله تعالى : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ولما تحرج الرسول وخشى الناس قبل الزواج ــ نزل قوله تعالى : « ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا * الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا » ! ..

وهكذا اختار الله زينب رضى الله عنها ، ليشرع فى زيجتها حكمين جديدين فى الاسلام ! ..

٢٨ : ــ لاحب هنالك اذن ، ولا اعجاب ! انما هو التشريع الالهي لابطال آثار التبني بطريقة عملية ، ينفذها قبل الناس جميعا المسلم الأول . وينفذها فى آل بيته لافى غيرهم ، فان زيدا كان أقرب الناس اليه ، منذ آثر البقاء معه على العودة مع أبيه وعمه . وزينب هي ابنة عمته أميمة ، جدها لأمها هو جده لأبيه : عبد المطلب . ولو كان فى زواجه صلى الله عليه وسلم بها أدنى حرج لما أقدم عليه ، لكن الله أمره به ، ونفى عنه الحرج فيه . وكان هذا هو منطق الفطرة المستقيمة مادام زيد هو ابن حارثة ، وليس ابن محمد ! ..

وقد تتساءل يا أخي : وما لنا نحن وهذه القصة ؟ .. وما الذى نفيده من الحديث عن التبني الآن ؟ .

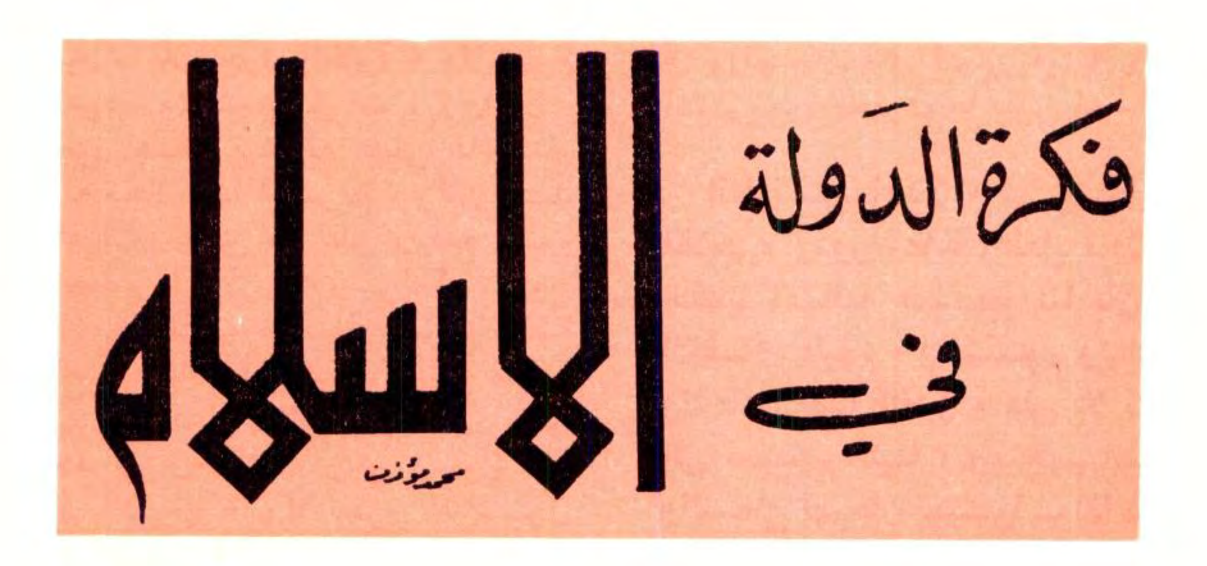
ولا أبادر باجابة عن هذا التساؤل ، فانى أرجو أن تجد أنت الجواب عنه ، فى واقعنا الذى نتبنى فيه ، ونمنح المتبني من الحقوق ما ليس له ! .

اننا نتبنى أطفالا ، نستوردهم من الملاجىء ودور رعاية الطفل ، اذا كانت حالتنا المالية تسمح لنا بأن نتولى الانفاق عليهم ، وتنشئتهم وتربيتهم . ولا بأس بهذا القدر ، على ألا نتجاوزه الى نسبتهم الينا ، ومنحهم أسماءنا ، والسماح لهم بأن يعيشوا ــ اذا شبوا ــ مع زوجاتنا ، وأخواتنا ، وبناتنا ، وقد تفرض عليهم ظروف المعيشة معنا ان يخلوا بهن ، مع أنهم غرباء عن الأسرة ، وأجانب ، فلا يحل لهم أن يروا من نسائها أحدا الا للضرورة ، وبشرط أن تكون ملابسهن سابغة لاتكشف من مفاتنهن شيئا ! .. وعلى ألا نحرّم عليهم الزواج ببناتنا ، وأخواتنا ، ومطلقاتنا ، ولا نحرّم على أنفسنا الزواج بمطلقاتهم وبناتهم ! ..

كذلك لا يحل لهم أن يدخلوا بيوت متبنيهم الا أن يؤذن لهم ، ماداموا قد بلغوا الحلم . وليس من حقهم أن يرثوا متبنيهم ، وليس من حق متبنيهم أن يرثوهم . ولعل فى الهبة ، والوصية ، والهدية مجالا فسيحا أمام المتبنين لبرهم والرحمة بهم ، ومكافأتهم على ما عسى أن يكونوا قد قدموا لهم من أعمال وخدمات ، فان الاسلام هو دين الرحمة والبر ، ودين المحبة والسلام .

تصحيح

صورة غلاف العدد السابق لمرقد الامام ــ الحسين رضى الله عنه وليست لمسجد الامام علي كما نشر ، فلزم التنويه .



الفكرة الغربية عن الدولة هي أنها أرض وشعب وحكومة ، فمتى توافرت هذه العناصر المادية تم نشوء الدولة .

هذا هو التصوير الغربي للدولة ، فهل هناك تصوير اسلامي يقابله ، وهل قنع التصوير الاسلامي بهذا الهيكل المادى البحت الذى اقامه التصوير الغربي . وقبل ذلك هل اتخذ الاسلام باعتباره دينا سماويا موقفا ايجابيا فى أمر الدولة وبنيانها ونظامها ؟

الفكر السياسى الغربى يرى أن الاديان السماوية ليس لها رسالة فى أمر الدولة وشئون الحكم . فهذه من شئون الدنيا ، التي ينفرد البشر بتنظيمها ، على أساس ان ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، ومع الاستعانة أحيانا على حسن قبول هذا التنظيم باثارة بعض تعاليم الدين الخلقية .

ولكن الاسلام وهو خاتم الأديان ، وهو البصير بما سوف يفضى اليه تطور الانسانية ، كان لا بد له أن يستكمل هداية الانسانية فى جميع شئونها ، فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات الانسانية . فوضع الأصول التي يجب على كل مجتمع انساني أن يسيرفى نطاقها فى الجانبين على السواء ، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الأصول والتفصيل والتفريع فيما يبنيه ، على ضوء تطورات كل زمان ، ما دام ذلك فى نطاق هذه الأصول العامة .

والاسلام مع ذلك يقر الهيكل المادى للدولة كما يصوره الفقه الغربي فى عناصره الثلاثة ـ أرض وشعب وحكومة ـ لأنه يطابق الواقع المادى الذى لا يعارضه الاسلام ، ولكنه يحيط هذا الهيكل المادى باطار من روحانياته ، يتمثل فى هذه الأصول العامة التي فرضت تعاليم كلية ، خلقية واقتصادية وسياسية . ثم يتخذ فى أحد هذه العناصر المادية ـ عنصر القومية ـ اتجاها اوسع فى آفاقه ، وأعمق فى انسانيته مما يتخذه التصوير الغربى .

وسنبدأ (أولا) بهذه التعاليم الكلية التي ترسم هذا الاطار الروحي ، لأن هذا الاطار هو الذى يكيف بنيان الدولة الاسلامية فى جميع

أوضاعه التنظيمية وجزئياته المادية . ثم نعقب (ثانيا) بنظرة موجزة فى عناصر الهيكل المادى الذى يقتصر عليه التصوير الغربى .

تعاليم كلية يجب أن تتسـاند فى بنيان الدولة الاسلامية . خلقية واقتصـادية وحكومية

للدكتور محمد عبد الله العربى

هذه الأصول العامة فى أمر الدولــة تناولت تعاليم يعتبرها الشرع الاسلامي فى مرتبة الفرائض الالزامية .. تعاليم خلقية ، وتعاليم اقتصادية ، وتعاليم حكومية . ولا يمكن الكشف عـن فكـرة الدولة فى الاسلام الا بضم هذه الفضائل الثلاثة من تعاليمه جنبا الى جنب لأنها متعاونة متساندة ، وكل منها تتأثر وتؤثر فى نفاذ الاخـرى . فبغير التعاليم الخلقية يختل النظـام الاقتصـادى ، ويتسرب الفساد الى النظام الحكومي ، وبغير التعاليم الاقتصادية ينهار كيان المجتمع ، وبغير التعاليم الحكوميـة يتعذر انفاذ مـا تقضى بـه التعاليم الخلقية والتعاليم الاقتصادية .

وهذا التساند فى الفضائل الثلاثة هـو ميزة النظام الاسلامي على جميـع النظـم الوضعية السابقة والمعاصرة .

التعاليم الخلقية

أما فى التعاليم الخلقية فدعامتها الايمان بوحدة الله ، فلا يعبد المسلم مع ربه أحدا ، لا يعبد صنما ولا مخلوقا ولا هوى من الأهواء . والاسلام جعل الانسان خليفة الله فى الأرض ، فوضـع كرامة الفرد على أمتن اساس ، وجعل قيامه على الفضائل نتيجة منطقية لهذه الخلافة . ثم لـم يقتصر على هذا التوجيه الوجداني ، بل اتجه اتجاها عمليـا لتحقيق هـذا التوجيه ، ففرض عباداته ، وكلها تدريب فعّال على تدعيم هـذه الفضائل فى نفس المسلم واشعار له بالرقابـة الالهية على نشاطه اليومي .

التعاليم الاقتصادية

وأما فى التعاليم الاقتصادية فقد جعل من كل مجتمع اسلامي بيئة تعاونية ، مفروضا عليهـا أن تسعى جادة لتحقيق رخائها المادى ، متعاونة متكافلة ، على أساس نظر الاسـلام الى المـال والعمل .

أما نظرته الى المال فهي أن المال كله ملك لله وحده ، الذى له ملكوت السموات والأرض وخالق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وخالق الشيء هو مالكه . وأما الانسان فى اختصاصاته ببعض هذا المال فليس الا خليفة اللـه فيه . استخلفه فى الانتفاع بهذا المال ، فوجب عليه أن ينهض بأعباء هذه الخلافة ، ويحسن القيـام بتكاليفها .

وهي اما تكاليف ايجابية تشمل (اولا) فريضة الزكاة التي حدد الاســلام نصابها ومصارفها وتشمل (ثانيا) فريضة الانفاق فى سبيل الله ، وهي أوسع نطاقا من فريضة الزكاة ، لأنها تمتد الى كل انفاق فى سبيل مصلحة المجتمع ، وتشمل (ثالثا) وجوب استثمار المالك لماله اذا كان هذا المال من مصادر الانتـاج ، حتى يسـاهم بهذا الاســتثمار فى تنميـة الثـروة القوميـة ، فاذا احجم عن هذا الاستثمار جاز للجماعة أن تسترد منه ما ملك . وأما التكاليف السـلبية فأولها كف المالك عن استعمال ماله فى الحـاق الاذى أو الضرر بمصلحة الغير فردا كان او جماعة، ويتفرع عن هذا التكليف تحريم الاحتكار اذا كان فيه اضرار بمصلحة الجماعة . وثانيها تحـريم الربا ، وقد اعترف الاقتصاد الغربي الآن بمساوئه

فكرة الدولة فى الاسلام

الخطيرة ، وثالثها تحريم الاسراف والشح على السواء .

وأما نظرته الى العمل فالاسلام يقدسه ، ويدعو الى الجد والاتقان فيه ، ويضفى على كل عمل نافع صبغة تعبدية ، فى ظل رقابة الهيئة توجه نشاط كل فرد الى نفع ذاته ونفع المجتمع على السواء .

والاضطلاع بهذه التكاليف يؤدى - فى المجال الاقتصادى - الى نتائج تميز المجتمع الاسلامي عن سائر المجتمعات المعاصرة ، وتيسر مهمة الدولة فى بلوغ اهدافها .

فالنتيجة الاولى هي اجازة ملكية المال - أو بالتعبير الأصح ملكية منفعة المال - بغير قيد الا القيام بتكاليف هذه الملكية من ايجابية وسلبية . واذن يستقيم هذا الوضع مع غريزة الانسان الفطرية فى تملك المال له ولعياله ولذريته من بعده ، لرفع مستواه ومستواهم المعيشي عن طريق الكسب المشروع ، ولابتغاء ثواب الآخرة بالانفاق فى سبيل الله . كما ان من مقتضى هذا الوضع ان تجد الأمة الاسلامية فى هذه التعاليم الاقتصادية اكبر حافز لها على تزكية الانتاج وتنمية الثروة القومية .

والنتيجة الثانية هي ضمان حسن توزيع الثروة بين افراد المجتمع . لأن فضول مال الأغنياء قد فرض الاسلام لها مصارف سنوية بالزكاة والانفاق فى سبيل الله ، مما يحول دون تكدس الثروة عند فئة قليلة تفسد أجهزة الحكم وتمحق حريات الشعب . كما ان نظام الارث يؤدى الى توزع ما تجمع من الثروة بعد أداء كل هذه الفرائض .

والنتيجة الثالثة هي قيام التكافل بين افراد المجتمع الاسلامي . وهذا التكافل التعاوني بين جميع الطبقات من شأنه ان يفضي الى تماسك القوة الشرائية ليتحقق التوازن المفقود فى الاقتصاد الغربي بين الانتاج والاستهلاك ، وما يعتريه من اجل ذلك من أزمات اقتصادية خانقة .

هذا عن تعاليم الاسلام الاقتصادية فى جوهرها واصولها العامة .

التعاليم الحكومية . أصول عامة قابلة للتفصيل والبناء عليها

وأما فى التعاليم الحكومية فقد أمر الاسلام بأن تقوم فى كل مجتمع هيئة تتولى زمام تنظيمه السياسى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

فأول ما يفرضه هذا الارشاد الالهي على أى مجتمع اسلامي هو اقامة هيئة فيه تضطلع بأداء وظائف ثلاثة :

الوظيفة الاولى هي الدعوة الى « الخير » . والدعوة الى الخير اذا قامت بها الهيئة ذات السلطان فى المجتمع فليس معناها الاكتفاء بالدعوة، بل العمل الايجابى على تحقيق مقتضيات الخير للمجتمع . واذن فالدولة الاسلامية لن تكون الا دولة « خيِّرة » ، دولة شعارها تحقيق فلاح المجتمع فى كل آفاقه . وهو ما يحاول الفقه السياسي الحديث فى الغرب أن يصل اليه . ولا ننسى النداء الذى يوجه الى المسلمين كافة حكاما ومحكومين فى كل صلاة : « حي على الفلاح » .

الوظيفة الثانية لهذه الهيئةهيالأمر بالمعروف، « والمعروف » هو كل الأصول الكلية التي فرضها الاسلام لصالح المجتمع الاسلامي ، وكل ما ينبنى عليها ويتفرع منها .

الوظيفة الثالثة هي النهى عن المنكر ، « والمنكر » هو كل ما نهت عنه هذه الأصول

الكلية ، وكل ما يقاس عليهـا فى الحاق الضرر بالمجتمع .

هذه هي الوظائف الثلاثة للهيئة التى تتولى زمام الحكم فى المجتمع الاسلامي : انفاذ الخـير وتحقيق الفلاح فى المجتمع ، والأمر بالمعـروف ، والنهى عن المنكر .

واما كيفية تكوين هذه الهيئـة التي تتولى الأمر وزمام الحكم فقد اكتفى بأصل كلى واحد هو الشورى (وأمرهم شورى بينهم) فالمجتمع يجب ان يستشار فى تكوين هذه الهيئة ، وفى كل ما يتصل ببنيانها ونظامها ، ووظائفها واهدافها ، وفى كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التى أتى بها الاسلام . وليس لهذه الهيئة « سـيادة » على المجتمع بالمعنى المعروف فى الفقه الغربى ، بـل السيادة لله وحده ، والناس جميعا سواسية ، لا سيد ولا مسود . ولكن الشعب وقد استشير فى تـكوين الهيئـة التى تتولى زمـام « الامــر بالمعروف » و « والنهي عن المنكر » وظل بعـد ذلك هو المرجع فى كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التي أتى بها الاسلام ، حتى صار لزاما على كـل فرد ان يغير « المنكر » بيده او يدعو الى تغييره فقد صار لهذه « الشورى » اثرها الالزامى فى كل ما يقام من نظم حكومية ، واصبح للمجتمع بمقتضى هذا التفويض حق النيابة عن صاحب السيادة ـ الله وحده ـ واصبح المسلم اذ يذعن للتشريع الذى تصدره الهيئة التي تولتزمامالامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يذعن لأمر المجتمع الـذى هو لبنة من لبناته ، ويذعن بطريق غير مباشر لأمر الله . وفى ذلك ضمان وجدانى يعزز ضمان القوة الحكومية فى نفاذ التشريع الاسلامي فى اقل مشقة وأقل اكراه حكومي .

فالسيادة فى الاسلام لله وحده ، لا لمـلـك او لرئيس من البشر ، على عكس ما زعمــه بعض الغربيين من تيوقراطية الدولة الاسلامية . وليس ادل على ذلك من ان النبي نفسه وهو الذى يتلقى الوحى ولا ينطق عن الهوى ـ أمره الله بالاستشارة فى شئون الدنيا التي يحرص الاسلام كل الحرص على اسعاد البشر فيها ، لأنها مزرعة الآخـرة ، انفاذ الفلسفة الشاملة فى التوفيق بين المـادية والروحية فى الانسان . فقال تعالى « وشاورهم فى الأمر » .

أما كيف يكون تنظيم هذه الهيئة التي تتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتتولى انفاذ هذا الأمر والنهى ، وهل تنقسم الى شعبة تتولى وضع الأمر والنهى ، وشعبة تضطلع بتنفيذ هذا الأمر والنهى ، وشعبة تتوفر على البت فيما ينشأ عن هذا الأمر والنهى من نزاع وخصومات ، وكيف يكون اختيار ، أو اصطفاء كل شعبة مـن هذه الشعب الثلاثة ، وكيف يكون التنظيم الداخلى لكل شعبة ، فكل هذا قد عهد به الاسـلام الى جهود العقل الانسانى ، يمضى فيها باجتهاده ، ليصطفى اكثر الاوضاع ملاءمة لاحتياجات الزمان والمكان ، علىضوء المبادىء العامة التي يستخرجها عقل الانسان نفسه من كتاب الله وسنة رسوله الـكريـم .

ذلك لأن الاسلام امتاز بعنايته البالغة بتنمية العقل الانساني وتدريبه . حتى العقائد كعقيدة وحدانية الله وعقيدة البعث ويوم الحســاب ـ وهيامور لاتلمسها الحواس ولا تدركها الأبصار ـ لم يفرضها الاسلام على الانسان فرضا جامدا ، عن طريق المعجزات القاهرة التي ان أقنعت الجيل المعاصر لها لم تلبث أن يتلاشى تأثيرها فى الأجيال التالية ، بل سعى الى التدليل عليها عن طريق مخاطبة العقل الانساني ، ونجح فى اثباتها عـن طريق الاستدلال العقلى ، فحفل القرآن بمئات الآيات التي كفلت للعقل الانساني اثبات هـذه الحقائق غير المنظورة ، ومحت ريبة كل مرتاب .

وفى سبيل تنمية العقل الانساني سلك الاسلام سبيل حث المسلم على طلب العلم ، واعتبـره

البقية على ص : ٢٩

الأسلام ٢

والمجتمع المثالي (٢)

لفضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد
عميد كلية الدراسات العربية جامعة الازهر

ونأخذ اليوم بيان الصفات التي أراد الله ورسوله للمؤمن أن يتصف بها فى نفسه ، ونود ــ قبل أن نفيض فى بيانها ــ أن نلفت الذهن الى بعض ما قدمنا الاشارة اليه ، وهو أن المقصد الاسمى من التكاليف الشرعية هو وصل ما بين المؤمن وربه ، وتوثيق هذه الصلة حتى يصير مراقبا له فى كل ما يأتي وما يذر ، وحتى يعلم أنه سبحانه هو وحده النافع الضار ، وأن يثق بأن الناس جميعا لو اتفقوا على أن ينفعوه بشىء لم يرده الله لم يستطيعوا السبيل الى ذلك ، وأن الناس كلهم لو أجمعوا على أن يضروه بشىء لم يرده الله ما استطاعوه ، ولذلك تجد التكاليف الشرعية كلها قد اشترط لصحتها أن تسبق بالنية وأن تتصل هذه النية بها ، ومن أجزاء هذه النية أنه يفعل هذا الفعل خالصا لوجه الله تعالى ، وهو يبدأ صلاته بقوله ((الله أكبر)) ويأخذ فى نية صومه ((ايمانا واحتسابا لوجه الله تعالى)) ويبتدىء أعمال حجه بعد النية بقوله ((لبيك اللهم لبيك)) وهكذا كل عمل من أعمال البر ، فاذا لاحظ العبد ذلك ظل مراقبا لربه عالما أنه مطلع عليه ، فاذا استمر على هذه الحال طهر قلبه فصار نقيا صافيا خالصا من ادران المادية وما يجره التعلق بالمادية من الحقد والحسد والتباغض واضمار الشحناء والكيد والوقيعة، وطهرت نفسه فاصبحت قريبة من الكمالات الانسانية من نحو المودة وحب الخير للناس الى حد الايثار والتضحية فى سبيلهم ، ومالم يؤد فعل التكاليف الشرعية الى ما ذكرنا من طهارة القلب وزكاة النفس فانها تكون قليلة الحظ من القبول فلينظر المؤمن الى نفسه فمالم يجد قلبه مشرقا ، ومالم يحس بأن حظوظ الشيطان قد فارقته ، ومالم يجد نفسه أنه لايضمر غير ما يظهر ، ومالم يجد أنه لايأتى من أعمال البر شيئا الا رغبة فى عمل البر ومرضاة لربه وطلبا لنفع الناس فى غير امتنان على أحد منهم ولاحب فى مثوبتهم ، مالم يجد

ذلك كله من نفسه فليعلم أنه لا يؤدى ما يؤديه من التكاليف على الوجه الذى أراده الله ، وأن أداءه هذه التكاليف قليل الجدوى وقليل القبول ، وهذا سر من أسرار قوله صلى الله عليه وسلم « رب صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » أو كما قال .

ثم نقول : فى القرآن الكريم آيات كثيرة تعرضت لصفات المؤمن التى يجب عليه أن يتصف بها نفسه ، ونحن لو تتبعنا هذه الآيات كلها وبينا ما فى كل آية منها طال بنا القول ولولا نخشى أن يمله القارىء فلنجتزى من ذلك بموضعين من القرآن الكريم ذكر الله تعالى فيهما جماع ما ينبغي للمؤمن أن يتصف به .

الموضع الاول

الآيات الكريمة التى فى آخر سورة الفرقان ، وذلك قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، والذين لايدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا،الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ، والذين لايشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا،والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين أماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، ويلقون فيها تحية وسلاما » .

الموضع الثانى

قوله تعالى فى مفتتح سورة المؤمنون : « قد أفلح المؤمنون،الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاه فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

تضمنت هذه الآيات الكريمة ثماني عشرة خصلة من خصال المؤمنين ، من ذلك فى آيات سورة الفرقان اثنتا عشرة خصلة ، وست الخصال الباقية فى آيات سورة «المؤمنون» ، ولكن مجموع المذكور فيهما من الخصال عند التحقيق خمس عشرة خصلة ، وذلك لان خصلتين منها قد تكررتا فى الموضعين وخصلة أخرى ذكرت فى آيات سورة « المؤمنون » مرتين ذكرت فى كل مرة منهما بناحية من نواحيها والموضوع العام فى الموضعين واحد .

ومما يحسن التنبيه له أن فى القرآن الكريم مواضع كثيرة نص فى بعضها على خلال من هذه الخلال ، ونص فى بعضها على خلال أخرى غير هذه الخلال ، ولكنا نعتبر هذه الخلال الخمس عشرة نموذجا عاليا لما يجمل بالمؤمن أن يتخلق به ولما لو تخلق به انسان لجره الى جميع خلال البر والتقوى ، والخير يدفع الى الخير ، فاذا ـ نحن اكتفينا ببيان هذه الخصال وبيان ما تجلبه لمن يتصف بها من كمال نفسي واشراق روحي يستتبعان الاستمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها كنا كمن أخذ من الامر بلبابه وكمن وضع يده على مفاتيح الخيرات كلها فهو يطرقها من أى الابواب أراد .

الصفة الاولى

التواضع ، وقد كنى الله تعالى عن هذه الصفة بقوله سبحانه فى آيات سورة الفرقان (الذين يمشون على الارض هونا) ، كما كنى عن ضدها — وهو التعالى على الناس والاستكبار والجبرية — بقوله جلت كلمته فى سورة لقمان (ولا تصفر خدك للناس ، ولا تمش فى الارض مرحا ، ان الله لايحب كل مختال فخور) ، وكنى عن ذلك مرة أخرى فى سورة الاسراء بقوله (ولا تمش فى الارض مرحا ، انك لن تخرق الارض ، ولن تبلغ الجبال طولا) .

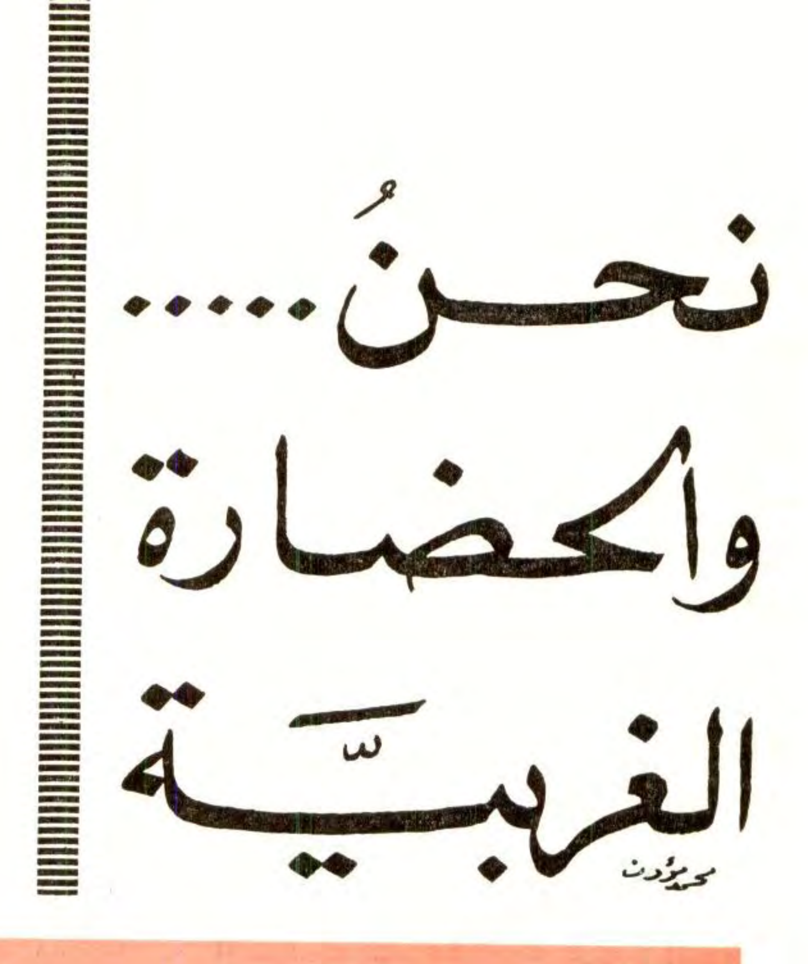
والتواضع أسمى معايير الكمال النفسى ، وهو من صفات الانبياء والمرسلين ، وهى صفة تحمل المتخلق بها على ألا يعتد بما عنده من علم لانه يعلم أن كل ما أوتيه من علم فهو قليل بالنظر الى مالا يزال مطويا عنه ، وعسى أن يكون عند غيره ممن هو أقل منه مالا علم له به ، فاذا تيقن ذلك كله اندفع يطلب علم مالم يعلم ، ولم ير غيره ممن لم يذع له صيت فى العلم أقل من أن يأخذ عنه .

وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك فى قصة موسى والعبد الصالح حيث دفعه الى أن يقول للعبد الصالح « هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا »واحتمل فى سبيل هذا — وهو نبى يكلمه الله — أن يقول له العبد الصالح (انك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) ، كما أن هذه الصفة تحمل المتخلق بها على الايعتد بما عنده من مال وفير وجاه خطير ، لانه يعلم أن الله لو شاء لجعل ما فى يده فى يد غيره ممن هم فى حاجة اليه وجعله هو صاحب الحاجة الى هؤلاء ، كما أنه يعلم أن المال غاد ورائح ، ورب حادثة لايلقى لها بالا اجتاحت هذا المال كله فى طرفة عين ، فاذا علم — مع ذلك — أن الذكر بالخير باق على الدنيا ما بقى فيها ناس ، وأن ثواب الانفاق فى الخير أعظم ربحا وأكثر فائدةمن اكتناز الاموال ،واستيقنت نفسه ذلك اندفع ينفق فى سبيل الله تعالى فنال خير المثوبة ، وقد ضرب الله لنا مثل من اغتر بماله وزعم أن حذقه وخبرته بضروب تثمير المال سبب ما عنده فلم يرع فيه حق الضعفاء والمعوزين ، ثم كانت عاقبته ما ختم الله به قصته فى سورة القصص ، وذلك قوله سبحانه (فخسفنا به وبداره الارض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين) وبالجملة فان هذه الصفة تحمل المتخلق بها على الا يعتد بشىء عنده مما يتميز به بعض الناس من جاه او مال او رفعة نسب أو صحة أو قوة جسم او بسطة علم او نحو ذلك ، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى في هذه الصفة ، فقد كان يكون فى مهنة أهله ، وقد كان يحمل حاجته بنفسه ويقول : صاحب الحاجة أحق بحملها ، وقد كان يأكل على الارض ، وقد كان يقول : انما أنا عبد آكل كما يأكل البعيد ، ويقول : ابن امرأة كانت تأكل القديد ، كل ذلك وهو رسول الله وصفوته من خلقه أجمعين وهو من اشرف العرب نسبا وأرفعهم بيتا ، وقد كان يجالس المستضعفين والموالى ، حتى أن صناديد قريش رغبوا له ان ينحى عن مجلسه هؤلاء الموالى ووعدوه انتحاهم ان يدخلوا فىدينه — وكان ذلك أحب شيء اليه — فكان أن أنزل الله تعالى عليه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الآية ٢٨ من سورة الكهف ، ونظير هذه الاية قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم

فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله أعلم بالشاكرين) — الايتان ٥٢ ، ٥٣ من سورة الانعام . وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التواضع فى غير حديث ، وحذر من الكبر والتعالى والجبروت والزهو والخيلاء فى غير حديث ، فمما ورد عنه من الحث على التواضع وبيان ما أعد الله للمتواضعين فى الدنيا والاخرة ما رواه مسلم فى صحيحه (٢/٢٨٥ ط بولاق ، كتاب البر) من قوله صلى الله عليه وسلم : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه) ومنه ما رواه البخارى فى صحيحه (٧/٨٤ ط بولاق — ١٠/٤٠٨ بهامش فتح البارى ط بولاق) ورواه مسلم فى صحيحه (٢/٣٥٤ ط بولاق) من قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ .. كل ضعيف متضاعف لو اقسم على الله لأبره ، الا أخبركم بأهل النار ؟ .. كل عتل جواظ مستكبر) ، العتل بضم العين والتاء وتشديد اللام — الاكول المنوع . والجواظ — بفتح الجيم وتشديد الواو — فسروه بالجموع المنوع، وفسروه بالقصير البطين ، وفسروه بالكثير اللحم المختال فى مشيته ، وفسروه بالغليظ الفظ ، والمستكبر — ومثله المتكبر — الذى يتشبع بما ليس عنده او الذى يستعلى على الناس يرى ان ما عنده خير مما عندهم وهو الذى يقول الله تعالى فى شأنه (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) من الاية ٣٥ من سورة غافر ، ومنه ما رواه مسلم فى صحيحه (٢/٣٥٣ ط بولاق — كتاب الجنة) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : فيَّ الجبارون ، والمتكبرون ، وقالت الجنة : في ضعفاء المسلمين ومساكينهم ، فقضى الله بينهما : انك الجنة رحمتى ارحم بك من أشاء ، وانك النار عذابى اعذب بك من أشاء ، ولكليكما عليَّ ملؤها) وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **فان الجبار ما يزال يعنف بالناس ، ويشتط فى معاملتهم ، ويأخذهم بالقسر والاعنات حتى يسلبهم حقوقهم ، ويدفعهم عنها ، وقد يسلبهم اموالهم وارواحهم بغير حق فيتفاقم الشر ، وتغدو الحياة الى جواره جحيما لا يطاق ، فكان جزاؤه ان جعله الله فى العذاب الأليم ، وان المتكبر ما يزال يتيه بنفسه ، ويزهى على الناس ، ويحتقرهم حتى يهون امرهم عليه ، وحتى يرى انه لا يدانيه احد فلا يبالى — بعد ان تتأصل فى طباعه هذه الخلال — ان يعتدى على من يعاشرونه ، وما ابدع ما وصف الله به المتكبرين فى الاية التى تلوناها او الكلام على هذه الصفة من سورة لقمان وفى الاية الاخرى من سورة الاسراء ، ثم ما اروع هذه السخرية بالمتكبر التى ختمت بها اية سورة الاسراء (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) .**

نعم انه — مهما يشمخ بأنفه ، ومهما يتعال برأسه ، ومهما يتطاول ببدنه لن يبلغ الجبال طولا ، وانه مهما يدب بقدميه ، ومهما يثقل ببدنه لن يخرق الارض ، فليكفكف من غلوائه ، وليترك تيهه وتعاليه ، وليكن مع الناس يفيدهم ويفيدونه ، ويتعاون معهم ويتعاونون معه ، فالانسان قليل بنفسه مهما يعظم قدره كثير باخوانه ، وقد تقتل الفيل نملة ، وقد تموت الافاعى من سموم العقارب .

نسأل الله تعالى ان يبصرنا بقدر انفسنا ، وان يباعد بيننا وبين الباو والصلف والكبرياء انه اكبر مسؤول ، والى عدد مقبل نأخذ فيه فى بعض ما بدأناه ، ان شاء الله .



نحن ..... والحضارة الغربية

للاستاذ
علي الطنطاوي

زرت (الرياض) من سنتين ، بعد غيبة عنها امتدت ثلاثين سنة ، فتفضل جماعة من طلبة العلم فأستقبلونى فى المطار ، وصحبونى الى البلد ، وسلكت بنا السيارة شارع الوزارات ، نمر بتلك المغانى (الفيلات) الجميلات ، وتلك الأبنية الكبيرات المشرفات ، وأنا انظر اليها نظرالمندهش الذى يفاجأ بما لم يكن يتوقع فقد كان عهدى بتلك البقاع أنها صحراء جرداء ما فيها نبت ولا ماء ، وليس فيها من بناء ، واراها الان شارعا ضخما فى وسطه حديقة ممتدة ، فيها الورد والزهر ، وفيها انواع الشجر ، والماء يجرى فيها متدفقا من الانابيب ، والعمارات على جانبيها والسيارات تجرى على طرقها ...

... وكان أصحابى كلما رأونى أزداد دهشة ازدادوا اندفاعا فى الوصف ومبالغة فى البيان .

ثم قال لى واحد منهم وقد اخذته نشوة كل دليل يطلع الغريب على جمال بلده :

ـ أهذه أول مرة ترى فيها الرياض ؟

ـ قلت : انى أعرفها من قبل أن تولد ، ولكن ليست هذه هى (الرياض) التى أعرفها ، وكانت السيارة قد بلغت بنا (الديرة) وصرنا فى جوار المسجد الكبير ، فتهلل وجهى وأحسست مثل ما يحسه الغريب الضال ، اذا أبصر فى زحمة الناس وجه حبيب يعرفه ويألفه ، وصحت :

ـ هذه هى (الرياض) التى أعرفها ، هذه الأسواق الضيقة وهذه المنازل المبنية من اللبن والطين ، ان لى هنا ذكريات، والذكريات هى الحياة ، أما تلك الشوارع التى مررنا بها بعد المطار، فليس لى فيها ذكرى ، فهى على جمالها غريبة

عنى ، وهذه على ... على ما هى عليه أحس كأنى منها أو كأنها منى .

وأعجب هذا الكلام أحد الجماعة وأثار كمائن نفسه فقال :

ـ اى والله ، هذه هى بلدنا وهذه حياتنا ، فيا ليت هذه المدنية الغربية لم تصل الينا ولم نرها ، ان هذه البيوت المبنية من الطين التى لا تنيرها الكهرباء ، ولا تصل اليها السيارات ، وليس فيها البرادات ولا الغسالات ، خير من تلك العمارات وما فيها ، لقد افسدت هذه المدنية اخلاقنا ، واضاعت علينا ديننا وما جاءنا منها الا الشر ، وانبرى له آخر ، فقال له :

ـ أتريد منا أن نعود الى عهد البداوة ، فى عصر الذرة والصاروخ ، وأن ندع ثمرات الحضارة ، ونعيش محرومين منها ، على حين يستمتع الناس من حولنا بها ؟

انها مدنية العصر ، ليست لأمة دون أمة ، ولا لبلد دون بلد .

وكثر المتكلمون وتداخلت الاصوات ، ولكن الاقوال كلها كانت تتردد بين رأيين :

هل علينا أن نأخذ بهذه المدنية بكل ما فيها ، ونقبلها بخيرها وشرها ، لأنه لا بد منها ، ولا انفكاك عنها ، أم أن علينا أن نتركها ونبتعد عنها ، لانها لا توافق أحكام ديننا ، ولا تمشى مع خلائقنا ، ولان الاسلام ينكر الاقبال عليها والأخذ بها .

وانا رجل من المخضرمين ، عرفت هذه البلاد قبل ان تتصل بها الحضارة الغربية ، وعرفتها بعدها .

لقد زرت (جدة) أيام كانت جدة محاطة بسور له أبواب تغلق كل عشية ، وتفتح فى النهار ، ولا يدخل اليها ولا يخرج منها الا من هذه الابواب ، وعرفتها وقد أوشكت ان تصير مثل الاسكندرية أو بيروت .

وعرفت دمشق وما فيها سيارة واحدة وما فيها الا عشرون دارا فيها الكهرباء وليس فيها الا شارع واحد شقه جمال باشا سنة ١٩١٦ ، اما الراءه (الراديو) والرائى (التلفزيون) وأمثالهما ، فلم يكن قد اخترع من ذلك شيء .

وعرفت الرياض سنة ١٩٣٥ ، والرياض التى ترونها الآن .. وانى لافكر وأوازن بين الحالين واسأل نفسى : هل ربحنا أم خسرنا ؟ .

أى الفريقين أهدى وأصوب رأيا : من يريد منا ان نأخذ بهذه الحضارة أخذا كاملا ، أمن يريد أن نتركها وننصرف عنها ؟

الحق . الحق بين الفريقين فلا هؤلاء على حق ولا هؤلاء ، لقد ربحنا باقتباسنا من هذه الحضارة وخسرنا ، وكل شيء فى الدنيا فيه ربح وفيه خسارة .

ان هذه الحضارة ليست شرا محضا ، وليست كذلك خيرا محضا ، فالقول بأن نتركها كلها مردود ، والقول بأن نأخذها كلها مردود .

وهل نستطيع ان نتركها بعد ما انغمسنا فيها، وصارت هى عماد حياتنا ؟

ان من يطالب ذلك يطلب مالا يكون ، ولو نحن استطعنا تركها فهل من المصلحة أن نتركها ؟

أيريد هؤلاء أن نغلق المستشفيات ، ونطرد الاطباء وأن نلغى شركة الخطوط الجوية ونبيع طياراتها ، وان نذهب الى الحج من الرياض الى مكة على الابل فنمضى على الطريق عشرين يوما بدلا من أن نذهب فى ساعة وبعض الساعة فى طيارة البوينج وان نحل شركة الكهرباء ونرفع أسلاكها من الشوارع ، ونرجع الى الشمع وسرج الزيت ، وان نحارب اليهود بالسيف والرمح بدلا من المدفع والصاروخ ؟

ولماذا نفعل ذلك ؟

اما الاسلام فلا يوجب علينا أن نترك هذه الحضارة بكل ما فيها فلا تحتجوا بالاسلام .

الاسلام قد حرم محرمات وفرض

فرائض ، وترك أمورا على الاباحة الأصلية ، فما حرمه الاسلام نتركه ، ولو **أجمع اهل الارض على قبوله والعمل به ،** وما أوجبه نأتيه ، ولو اتفق سكان المعمورة على استنكاره والاعراض عنه ، وما كان من المباحات ممالم يدع الاسلام الى الاخذ به ولا الى تركه ، ننظر فان كان فيه نفع لنا اخذناه لأن الحكمة ضالة المؤمن ، ولان المصلحة العامة هنا مقصد من مقاصد الشارع وفى مثل هذا لا فيما ورد فيه النص (١) يقول ابن القيم (٢) : ان الحكم الشرعى يدور مع المصلحة فحيثما تحققت فثم شرع الله ، ولان علينا ان نعمل لدنيانا كما نعمل لآخرتنا (ولا تنس نصيبك من الدنيا) (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

ثم اننا لسنا غرباء عن هذه الحضارة ، ولا واغلين عليها بل نحن شركاء فيها نحن من أصحابها .

ان الحضارات نوعان كما قسمها (شبنكلر) فى كتابه المشهور : حضارات محلية كحضارات الهند والصين وحضارة عالمية ، والحضارة العالمية بناء من ثلاثة ادوار اشترك فيه ثلاثة بانين .

أما الدور الاول فقد بناه المصريون والفينقيون واليونان ، ومن شاركهم فيه وأعانهم عليه .

والثانى بناه المسلمون

والثالث بناه الغربيون

وكل دور منها يقوم على ما تحته فلولاه ما قام .... فنحن شركاء فى هذه العمارة لنا فيها (دور) من ثلاثة ولسنا مستأجرين ولا مستجدين ولا معتدين ، نحن من أصحاب الدار .

ولكن ليس معنى هذا أن نقبلها بكل ما فيها .. ان فيها شرورا كثيرة ومفاسد مردها جميعا الى أصلين :

أحدهما ما تحمله من افكار ومبادىء فيها ما يزيغ المؤمن عن شرعة الحق وما يضله عن سبيل الهدى .

والثانى وهو أشد وأنكى ما يغلب على هذه الحضارة من تهاون بمسائل الجنس واطلاق للشهوات ... وهو أشد ، لان الاول وان كان فيه الكفر أحيانا ، لا يجد عند كل شاب استعدادا لقبوله ، أما الثانى فانه يجد القبول فى كل نفس لان الله ركب فى نفس كل شاب الميل الى المرأة ، فمن عمد الى اثارة الشهوات وأيقظ الغريزة ، استهوى بذلك الشباب جميعا ، الا من عصم الله بعصمته ، وقليل ما هم بل اقل من القليل .

فاذا اردنا أن نصحح موقفنا من هذه الحضارة ، فلنصنع مثل الذى صنع أجدادنا لما اتصلوا بالفرس وغيرهم من الشعوب ذوات الحضارات الاولى .

انهم أخذوا من حضاراتهم وعيونهم مفتحة ، وعقولهم حاضرة ، وميزان الشرع فى ايديهم ، لم يأخذوها عمى ولا تقليدا ، ولم يقلدوا أهلها تقليد القردة بلا نظر ولا علم .

هذا هو الحق وهذا هو طريق الاعتدال لا أفراط ولا تفريط ، فما كان فيها من مخترعات نافعة وما كان من تقدم علمى ، وما كان من رفاهية وراحة ليس فيها محرم نأخذه كله .

وما كان فيها من تهاون بالفضائل والعفاف ، واطلاق الغرائز والشهوات ، وتسهيل الزنا ، وتصعيب للزواج وهذه القصص التى فيها الادب المكشوف ، والافلام التى تعلم الناشئة فنون الغرام ، وطرق الاجرام نتركه كله ، كما نترك كل فلسفة وكل علم وكل مذهب اجتماعى ينافى أحكام ديننا .

ولا بد من تفصيل لهذا الاجمال يأتى ان شاء الله فيما سيجىء من المقال .

---

١ – كما ظن خطأ الاستاذ الجليل عبد الوهاب خلاف فى كتابه « السياسة الشرعية »

٢ – هو ابن قيم الجوزية وكثير من الناس يخلطون بينه وبين ابن الجوزى مع ان ابن الجوزى بغدادى وهذا شامى ، والجوزية مدرسة بناها ابن الجوزى ...

بقية فكرة الدولة فى الاسلام

فريضة من أجل الفرائض التي يتقرب بها المسلم الى ربه ، ومد آفاق العلم الىكل شيء فىالوجود.

فتح الاسلام للانسان مغاليق الكونلينفذ اليها ، ويطلع على قدرة الخالق الذى سخَّر له كل ما فى السموات والأرض ، فيزداد ايمانا بالله وقربا من الله . وذمّ المسلم الذى لا يعلم ، ومدح المسلم الذى يعلم ، وميَّز آدم على الملائكة بأنه يعلم ما لا نعلم .

معايير الفقه الاسلامي فىمواجهة التطور :

وكان من هذا التوجيه الاسلامي فى استخدام العقل ان استخلص فقهاء الاسلام من كتاب الله وسنة رسوله الكريم معايير عامة يهتدى بها فى تفصيل جميع تعاليم الاسلام الكلية من خلقية واقتصادية وحكومية ، أى فى كل ما يمس المجتمع الاسلامي فيما عدا الشئون التعبدية . هذه المعايير العامة تكفل اكبر قسط من المرونة فى التشريع ، وأوسع قدرة على مواجهة كل جديد فى احداث الحياة غير المحدودة وتطوراتها غير المتناهية ، مواجهة تظل دائمافىنطاق هذه التعاليم الكلية . من هذه المعايير العامة « القياس » وما يتفرع عنه ويقترن به من « استحسان » و « استصلاح » و « استصحاب » مما لا يتسع المقام للتفصيل فيه . وكلها تقوم على تحقيق مصلحة المجتمع ودفع المفاسد عنه ، وتكفل له كل الخير .

غير أن هذه المعايير العامة التي كان يجب الاهتداء بها وتطبيقها تطبيقا بصيرا مستمرا ، لوضع التعاليم الكلية موضع التنفيذ كان نصيبها من المسلمين الاغفال فى الغالب ، فحلّ الجمود محل التقدم المنشود ، واتجه اللوم الى الاسلام لا الى المسلمين .

التطبيق الأول للتعاليم الحكومية فى صبغتها الكلية :

على أن عصر الخلفاء الراشدين قد سجل التطبيق الأول لهذه التعاليم الكلية فى بناء الدولة الاسلامية . فقد تمسكوا تمسكا متينا بتعاليم الاسلام الكلية فى فصائلها الثلاثة . الخلقية والاقتصادية والحكومية . فلم يعزلوا احداها عن الأخرى ، ولم يترددوا فىأن يفرعوا من التعاليم الحكومية ما يلائم احتياجات عصرهم ومستوى البيئة البدائية التى كان يعيش فيها المجتمع الاسلامي يومئذ .. جعلوا اختيار رئيس الدولة او الخليفة بالمبايعة ، وهي ما يقابل الانتخاب العام فى العصر الحديث ، ولكن لم يفصّلوا اساليب الانتخاب لأن الحاجة لم تكن تدعو بعد الى هذا التفصيل فى مجتمعهم المحدود .

ثم قيدوا هذا الخليفة فى تصريف شئون الدولة بالشورى وهي ما يقابل النظام البرلماني الحديث . ولكن لم يذهبوا وراء ذلك فى تفصيل لأوضاع الشورى واجراءاتها . ذلك لأن التعاليم الكلية فى فصائلها الثلاثة السالفة الذكر كانت تغنيهم عن هذا التفصيل ، اذ كانت تفى كل الوفاء بحاجات زمانهم ، فى ظل ما ساد مجتمعهم من صدق العبودية لله وحده ، ومن التزام المساواة بينافراد مجتمعهممهما اختلفت الوانهم وأجناسهم، وتباينت دياناتهم وأقدارهم ، ومن تعاون وتكافل بين الطبقات جعلها بمثابة طبقة واحدة ، ومن عدل مطلق لا قيد عليه ، ومن حرية فى القول والرأى والنقد ، نقد الحكام فى سبيل المصلحة العامة الى حد تبرير المقاومة الثائرة . هذا الى ما استقر فى نفوسهم ، وغرسته العبادات الاسلامية فى وجدانهم ودربتهم عليه تدريبا قويا ، من التمسك بتعاليم الاسلام الخلقية ورفعها فوق كل زخارف الحياة ومناعمها ، فكانت خير وقاية لبنيانهم الاجتماعي والحكومي مما انحدرت اليه المدنية الغربية المادية من انحلال خلقى أفسد انظمتها الاجتماعية والاقتصادية والحكومية .

البقية فى العدد القادم



لفضيلة الشيخ محمد الغزالي
مراقب عام الدعوة بوزارة الأوقاف

ميلاد جديد لحياة الانسان

الايمان شيء فوق ما يتصور كثير من الناس .

انه ليس رأيا فى شخص من الاشخاص ، أو حكما فى قضية من القضايا ، أو اعتناقا نظريا لفلسفة من الفلسفات ، أو اصطباغا نفسيا بلون من ألوان الفن ...

انه تعامل جاد خطير بين طرفين احدهما الحي القيوم ، وعلاقة تشد المرء من أخفى أغواره وأبرز أحواله الى من نشأه من عدم ، ورباه من ضياع ..

وكما يلتحق العاطل بوظيفة جديدة تستغرق أوقاته ، وتصون حاضره ومستقبله يلتحق الانسان بركب الايمان فيصبح ويمسي وهو مشغول بواجبات وضعه الجديد ، ووسائل قيامه به ونجاحه فيه .

الرسالات فجر الانسانية

وقد بين الكتاب العزيز أن الناس قبل دعوة الله أشباه موتى ، وأن انقيادهم للمرسلين مشرق فجر جديد فى أنفسهم وأفكارهم وأخلاقهم ومسالكهم ...

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ... » .

ان الحياة الحقيقية ليست صورة اللحم والدم ، ولا اكتناز العضلات وقوة الحركات ...

كلا فتلك حياة يشترك فيها البشر والسباع والدواب والزواحف ، بل لعل حظوظ الأنعام منها أوفر ..

الحياة الحقيقية هي هذه الصلة التي تنشأ مع الله بعد معرفته ...

هي هذا الانتظام الجديد مع أوامر الله ونواهيه بعد أن أعلن اللسان هذه البداية بقوله « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا .. » .

أجل مع هذا الاقرار السمح ، لا يبطىء المؤمن فى الانتقال الى عالمه الجديد،

حيث يسلم وجهه لله وحده ، ويتحرك فوق ظهر هذه الأرض وفق ما يطلب منه مولاه .

فهو محكوم فى امتداده وانكماشه وحبه وبغضه وسلمه وحربه بحدود الحلال والحرام والثواب والعقاب وطلب الزلفى من ربه ، والوجل من طرده ...

هذا الايمان ينشىء حياة جديدة كل الجدة ...

اننا نعد الزنجي التائه فى مجاهل افريقية انسانا متأخرا جدا بالنسبة الى زميله عالم الذرة فى أرقى البيئات .

ففكرة أحدهما عن الكون والحياة تغاير كل المغايرة فكرة الآخر ، ولا شك أن مسافة التخلف بين هذا وذاك بعيدة . ان هذا البعد يساوى كذلك مسافة التخلف بين امرىء يعرف الله وآخر يجهله ..

الغافل حيوان ضائع

ان ذلك المرء الغافل عن ربه - مهما ارتقى وضعه المادى - حيوان ضائع ...

ربما كان حيوانا ذكيا فى بعض الأمور ، بيد أن جهله بالله هوى به الى أسفل سافلين ، فهو ليس متأخرا فقط ، انه ميت ولو حلق فى أجواز الفضاء .

ان الجهل بالله ظلمة كالحة السواد شديدة الوحشة ، ولذلك يقول الله « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يفعلون » .

والفارق بين المؤمن والكافر يتضح من هذا الوصف الذى قررته الآية .

فللمؤمن نوره الذى يمشي به بين الناس ...

ترى ما هذا النور النابع من حياة الايمان ؟

انه نور الضمير المشع فى حناياه يعرف به الخير من الشر ، ويميز المعروف من المنكر ...

وهل يرجح الايمان ويستحق التكريم الا بهذه الميزة ؟

المقطوعون عن الله لا تلفتهم الا الحياة الدنيا ومآربهم منها ، وما يتورعون عن قتل ولا ختل ، ولا افك ولا غش .

أما الموصولون بالله فهم طلاب كمال وعدل ، وعفاف وتقوى .

وما تنتشر البركة فى الأرض والطمأنينة فى المجتمع الا فى ظلال هذا الايمان ، الذى يشق طريقه فى ضمان السماء .

« وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات » .

الايمان بالله حياة

أجل ان الايمان حياه ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم عمل الايمان فى الأنفس بعمل المطر فى الأرض « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير .. الخ » .

وهل سمي الوحي روحا الا لأنه يحيي القلوب الميتة ، ويبصّر الضمائر الضريرة ؟

ان فيصل التفرقة بين الايمان الصحيح والايمان المزيف . أن الأول يولد به المرء ولادة جديدة ويحيا به حياة رشيدة ، أما الآخر فلا يصنع شيئا .

الاول يتحول قوة دافعة الى فعل الخير ونصرة الحق كما يتحول الوقود فى الآلة الى حركة دوارة ، أما الآخر فصفر .

الأول يعيد تشكيل الكيان الانساني على نحو يجعل المرء تابعا لله فى هذه الدنيا ، فهو باسمه يصول وباسمه ينطلق . أما الآخر ، فالانسان تابع هواه فحسب ..

مطاردة الايمان المزيف

واذا كانت الدول تكافح تزييف النقد

المتداول بين الناس ضبطا لقيم الأشياء ، وحربا على البطالين والسراق ، فما أحرانا بمطاردة الايمان المزيف حتى تبقى لليقين الصحيح قيمته وآثاره ومنافعه المادية والأدبية ...

ولو عقلنا لعرفنا أن الحفاظ على صحة الايمان أهم من الحفاظ على سلامة الذهب والفضة وما يمثلهما من أوراق .. ولنسرد من كتاب الله الكريم بعض الدلائل التي تشرح ما نقول .

فى الحياة التي ينشئها الايمان لامكان للشك وللريبة مهما أظلم الجو واربد الأفق ..

بل يجب على أهل الايمان أن يتماسكوا ويصبروا « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » .

ومواقف الايمان ليست محصورة ولا محددة فى مسلك واحد ، فما تملى به أعباء الحق يجب الانقياد اليه مهما تغايرت الظروف .

فبعض الناس قد يكلف بالانتقال هنا أو هناك والبعض الآخر قد يكلف بالثبات فى مكانه والبذل من ماله «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

ويستحيل فى ظل حياة يقيمها الايمان أن يسير الخطأ دون نكير يلاحقه أو يبقى العوج دون نصيح يطارده وان طال المدى وفدحت التكاليف .

فشيمة المؤمنين — كي يتجنبوا الخسار — التواصي بالحق والتواصي بالصبر .

وقد يفزع بعض الناس من بطش الجبابرة فيستكينون ، أو تغريهم طراوة العيش فيستلينون ، بيد أن الايمان الصحيح ينشد رضا واحدا ويقلق من غضب واحد .

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ... » .

وهناك من يشغله توطيد مكانته الخاصة عن أى أمر آخر ، فهو يريد أن يستبي القلوب بكل ما أوتي من مواهب .

الرياء مهلكة الايمان

وفى عصرنا هذا شاعت عبادة الفرد للجماهير وعبادة الجماهير للفرد .

أما أن يبصر الانسان وجه الله فيما يعمل ويترك ، ويتحرى ذاته فيما ينفق ويمسك فلا مكان لذلك فى نفسه .

وهذا هو الرياء الذى يحيط الأعمال . ويكشف عن خراب القلوب من معنى الخير .

قال الجنيد : لو أن عبدا اتى بافتقار آدم ، وزهد عيسي ، وجهد أيوب ، وطاعة يحيى ، واستقامة ادريس ، وود الخليل، وخلق الحبيب ، وكان فى قلبه ذرة لغير الله ، فليس لله فيه حاجة ...

والحق أن لصوق الرياء بقلب واستبداده به مهلكة للايمان وممحقة للمثوبة ..

ان الغيث ينزل بالأرض الخصبة ، فيكشف عن صلاحيتها للنماء والخير ، وينزل بالصخر فيكشف عن جفاف طبيعته وقسوتها واقفارها ..

وكذلك ضرب الله المثل للمرائي « فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » .

ان الحياة التي ينشئها الايمان تتسم بالاخلاص العميق والتجرد التام لله رب العالمين ..

ولنتجاوز هذه النماذج المتناثرة فى وصف الحياة التي ينشئها الايمان لنقول ان الايمان عمل حاكم فى تحويل الغرائز والعواطف الانسانية من وجهة الى وجهة ..

الانسان العارى من أى صبغة دينية أو مذهبية يجوع ويشبع ، ويفرح ويحزن ، ويغضب ويحلم ويتكبر ويتواضع ، ويحنو ويقسو ، وييأس

ويرجو .. الى آخر ما يعترى الطبيعة البشرية البحتة من عوارض لا تخلو عنها أبـداً .

والايمان المعزول عن هذه العوارض لا يثيرها ، ولا يسكنها ايمان مغشوش ..

وقد تحدث علماء التربية قديما عن ضرورة خوف الانسان من الله ورجائه فيه وانابته اليه واعتماده عليه الى غير ذلك من أحوال نفسية فاضلة .

وهـذا حسن ، لكنه تصـوير جزئي للحقيقة المنشودة ، أو تصـوير جانبي للحيـاة التي ينصـب الايمان سرادقها الرحب .

والتصور فى ذلك جاء نتيجة أفهـام الناس ، وما أحسبه مرادا لهؤلاء العلماء الكبار .

اننا جميعا متفقون على أن الايمـان صبر وشكر ، وخوف ورجاء .

تمـام الايمـان

بيد أن البعض فهم أن هذه المشاعر يدخل بها الايمان على النفس مع بقاء هذه النفس على طبيعتها العامة تخاف الله حينا وتخاف غيره حينا ، وترجـو الله حينا وترجو غيره حينا وهكذا .

وليس ذلك هو المراد ولا هما تمام الايمان وخلوصه من الشوائب .

فالمؤمن فى تعامله مع الله وتوحيده له وادراكه لأسمائه الحسني وصـفاته المحيطة يبني سـلوكه فى الحيـاة على التفرغ الكامل لمولاه والارتباط المطلق به وحده والتجاهل لما عداه .

وليس التـوحيد أن نكفر بأصـنام الحجارة ، ثم نجعل من المال صنما أو الجاه صنما أو المرأة صنما أو الحاكم صنما ، ثم نتوجه ببعض مشـاعرنا أو كلها الى هذه الأصنام الجديدة .

فاذا أغلب النشاط الظاهر والباطن لها واذا أقله لله الصمد ! !

اننا بالملاحظة العابرة نحس أن كثيرا من الناس يبخسون الخـالق من أحر عواطفهم ، على حـين يتجهـون بهـذه العواطف المشبوبة الى غيره ، فأى ايمان هذا ؟ ؟

وهذا هو السر فى أن البعض يزعـم أنـه يرجـو الله مثلا ، فاذا فتشت فى سلوكه لم تجد لذلك الرجاء أثرا .

ما بال دينك ترضى أن تدنسـه
وان ثوبك مغسول مـن الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
ان السفينة لاتجرى على اليبس

لقد انهارت حضـارات دينية كثيرة لان العنوان الذى عرفت به يغاير الحقيقة التي تحيا بها .

ويوم يفلت زمام النفس الانسـانية من قيادة الايمان الصاحي ، ويقع فى يد الهوى الطائش فهيهات أن يغني عنوان أو تجوز خدعة ..

ان المعصـية تـولد قوية غالبا لأن وراءها انفعالات عنيفة فهل يراد أن يولد الايمـان ضـعيفا لأنـه واهي الصـلة بالمشاعر الجياشة فى النفس الانسانية ؟

اذا لم يكـن الايمـان حيـاة عميقة الجذور فى أغوار الانسان فهـو ايمـان معلول يحتاج الـى الطبيب كي يصـح ويستقيم .

فالتوكل على الله مثلا يجب أن يكون فى نفس المؤمن ارسخ من الاعتماد على السلطة فى نفس الجائر المستعلي .

وايثار الآخرة يجب أن يكون أقوى فى نفس المؤمن مـن اشتهاء العجلـين للدنيا .

وعلى ضـوء هذا تفهم قوله تعالـى « ومن الناس من يتخذ مـن دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » .

أمـا أن ترى الملحد أيقظ عقلا مـن المؤمن ، وأرهف حسا ، وأعلى همة فهذا هو الايمان الكذوب .

ان المواهب الأدبية تفتق بالايمان كما تفتق الأكمام عن أزهارها .

وان الايمان ليخلق مـن الموت حياة حافلة بالقـوة والنماء جديـرة بالبقاء والاحترام .

قضيّة كشمير

اللغم الذي تركه الإستعمار وراءه

للاستاذ . ع . ن



لعل أهم ما يشغلنا من الأحداث العالمية الآن هي الحرب الدائرة بين الهند وباكستان . ولعلها كذلك تمثل جرحا غائرا فى النفوس يحتاج الى علاج سريع ، فقد كانت الدولتان الى عهد قريب دولة واحدة عاشت على مر الآلاف من السنين شعبا واحدا فى آماله وآلامه وجابهت الاستعمار الانجليزي أخيرا صفا واحدا وروحا واحدة ، حتى ظفرت بالاستقلال فى اغسطس ١٩٤٧ وفى الوقت نفسه انقسمت الى دولتين على أساس ديني : دولة أغلبيتها الكبرى من الهندوس ، ودولة أغلبيتها الكبرى كذلك من المسلمين ..

وبالرغم من أن الحكم الاسلامي سيطر على الهند الدولة الواحدة قرابة ثمانية قرون ونصف حتى انتهى على يد الانجليز سنة ١٨٥٧ م حين قبضوا على آخر امبراطور مسلم ونفوه الى « رانجون » وظل فى منفاه حتى مات . اقول بالرغم من استمرار الحكم الاسلامي للهند هذه المدة الطويلة،فان أغلبية الشعب ظلت تدين بالهندوسية لأن الولاة المسلمين لم يجبروا أحدا على اعتناق الاسلام ، ولم يشغلوا أنفسهم بذلك . بل ربما كانوا من المعوقين فى انتشار الاسلام ، بينما كان لرجال الصوفية والدعوة الاسلامية الأثر الأكبر فى جذب هذا العدد للاسلام ..

وحين حدث التقسيم على أساس أن الولايات التي تسكنها أغلبية هندوسية تصبح من الهند ، والولايات التي تسكنها أغلبية مسلمة تصبح من الدولة الجديدة « باكستان » أو الأرض الطاهرة .. كان شرق الهند ــ أو البنغال ــ وغربها من نصيب الدولة الجديدة،وباقي رقعة الهند الكبرى من نصيب الهند الحديثة أو « بهارت » كما يحب أن يسميها الهندوس الذين يتمسكون بالعودة الى الطابع الهندوسي القديم ..

وكان سكان باكستان حين التقسيم نحوا من ٧٥ مليونا ، نسبة الأقليات الغير مسلمة فيهم

١٤٪ ثم كان آخر احصاء لها أن بلغت نحو ٩٣ مليونـا .

أما الهند فكان عدد سكانها حين التقسيم ٣٦٠ مليونا منهم نحو ٤٠ مليونا من المسلمين . ووصل آخر احصاء لها الى ما فوق الاربعمائـة مليون نسـمة .

وكان من سوء حظ باكستان على صغر حجمها وقلة عدد سكانها أنها تكونت من رقعتين منفصلتين تبعد الواحدة منهما عن الأخرى نحو ألف ومائتي ميل ..

واذا لاحظنا مع ذلك أن الهند الجديدة قامت على الاساس الذى كانت تقوم عليه الدولة القديمة الكبرى .

وأنها كانت وريثة هذه الدولة فى كل شىء ، وان باكستان اخذت تبني نفسها من البداية .

وان الهند ورثت مراكز الصـناعة والتعدين والمدن الكبرى الهامة والمطارات والموانىء ، وأن باكستان لم ينلها من ذلك شيء وكانت كالأخ الذى يخرج من بيت الأسرة المدعم المؤثث المنظم ليبدأ بناء بيت ، واقامة حياة جديدة ، عرفنا من ذلك كله مدى ما عانته باكستان فى سبيل بناء نفسها والاحتفاظ بكيانها .

سر دخولها الأحلاف الغربية

ولعل هـذه الصـعوبات التي واجهت زعماء الدولة الحديثة ، وشعورهم بالحاجة الى عـون يساعدهم على بناء دولتهـم ، والانتصـار على التحديات التي واجهتهم ، لعل ذلك هو الـذى دفع بالحكومات الباكستانية الى طلب المعونة من الغرب ((انجلترا وامريكا)) وبالتالي الى السير فى الاتجاه الذى تسير فيه السياسة الغربية ..

ولقد استفادت باكستان فعلا بهذه المعونات فى تنظيم شؤونها ، واقامة المصانع والمنشئات وتكوين جيش قوى مسلح بأحدث الأسلحة .. ولولا هذه المعونات لما استطاعت أن تخطو فى هذه السنوات القليلة هذه الخطوات الواسعة فى النواحى الصناعية والعمرانية والحربية .. وهذه ناحية قد تغيب عن كثيرين ممن يسارعون فى الحكم ، وتشغلهم ظواهر الأمور عن أسبابها وبواطنها ، فيعيبون على باكستان أنها سارت فى خط السياسة الغربية .. مع أنها لم تكن الا كما يقول المثل العربي ((مرغم أخاك لا بطل)) .

والارغام الحقيقي هنا كان مبعثه الرغبـة فى اقامة الدولة الوليدة بمختلف الضرورات التـي يقتضيها قيام دولة فى ظروف صعبة ، وفى وجـه تيارات عاصفة ، وأمـام تحديات وانذارات ممن كانوا يعارضون التقسيم ، ويقولون سوف تضطر للرجوع الى الدولـة الأم ، كما يحتاج الأخ أو الولـد المنفصـل عن بيت الأسرة الى الرجوع أخيرا اليه ، بعد أن تقهره الأيام وتحنى ظهـره الصعوبات .

شعب مسلم

ومع أن الحكام فى باكستان كانوا يسيرون غالبا فى هذا الاتجاه ، ويجاملون الغرب ، فان الشعب المسلم فيها كان يعيش دائما مع المسلمين فى آمالهم وآلامهـم . وكان ينتفض أحيانا على حكومته ، ويثور عليها لأنها وقفت موقفا أعطت فيه ظهرها لأحد الشعوب المسلمة مجاملة للغرب . وقد تمثل ذلك بوضوح حين الاعتداء الثلاثي على مصر ، فقد ثار الشعب على حكومته ثورة عارمـة ، واجتاحت المظاهرات المدن والقرى ، تطالب بمساعدة مصر ، وتجمع المعونات لها ..

باكستان وفلسطين

ولا نستطيع مع ذلك أن ننكر أن حكومة باكستان وقفت مع العرب ولا تزال تقف ضد اسرائيل وقفة صلبة فلم تعترف بها ، ولم تتبادل معهـا أى تمثيل على أى مستوى انتصارا منها لقضـية فلسـطين .

بينما الهند الدولة الصديقة للعرب تتبادل مع اسرائيل التمثيل القنصلي ، ولاسرائيل قنصـل فيها يقوم بنشاط ملحوظ ضد البلاد العربية ، مما أدى أخيرا الى لفت نظره من حكومة الهند بعد أن أدى السفراء العرب واجبهم ازاء هـذا النشاط ..

بل ان بلادا اسلامية ودولا صديقة للعرب فى الشرق والغرب تتبادل مع الدولة اللقيطة التمثيل السياسي أو القنصلي والتجارى ..

وكان موقف باكستان المشرف من قضية فلسطين هو احدى الحجج القويـة التي يتذرع بهـا الباكستانيون لدى العـرب ، حين يطالبونهـم بالوقوف فى صفهم من أجل قضية كشمير ، كما يقفون معهم فى قضية فلسطين .

كشمير فى التاريخ

والآن يأتي دور عرض قضية كشمير على القراء عرضا تاريخيا بعد أن قامت الحرب الطاحنة بين الدولتين بسببها ..

كانت كشمير جزءا من الامبراطورية الاسلامية حين كان الحكم الاسلامي قائما بالهند . وحين ضعف هذا الحكم فى أواخر أيامه انتهز « السيخ » فى الشمال هذه الفرصة ، وزحفوا على كشمير واستولوا عليها سنة ١٨٠٩ م .

وحين أخذ الانجليز يطوون البلاد الهندية ويستولون عليها ولاية بعد ولاية أخضعوا أمير كشمير لهم . وأبقوه حاكما لها تحت نفوذهم ، حتى جاء التقسيم وأميرها أو حاكمها هو المهراجا « هارى سنك » .

وكشمير من الولايات التي تسكنها اغلبية مسلمة ، فان عدد سكانها يبلغون اكثر من اربعة ملايين : المسلمون منهم فوق الثلاثة ملايين .. بحيث يمكن أن نقول : ان نسبة المسلمين فيها تبلغ نحو الثمانين فى المائة ..

وقد قام حكم المهراجا فيها على أساس الضغط على المسلمين واضطهادهم بعد أن انتزع أجداده الحكم فيها منهم . فكان ينظر اليهم على أنهم اعداء يتربصون به وبحكمه الفرص لينقضوا عليه فكانت سياسته تقليم أظفارهم ، وتجويعهم ، والحيلولة بينهم وبين المناصب الكبيرة عسكرية ومدنية ..

وحين اضطر الانجليز والهندوس الى الرضوخ لفكرة تقسيم الهند الى دولتين على اساس ديني ، أى حسب دين اغلبية السكان فى الولاية .. كما أراد زعماء باكستان كان هناك بجوار الولايات التي حكمها الانجليز فى الهند حكما مباشرا ولايات أبقوا حكامها القدماء عليها أمراء تحت نفوذهم ، وكانت تبلغ فى جسم الهند الكبير اكثر من خمسمائة امارة تمثل بقعا على الجسم الكبير . من هذه الامارات امارة كشمير التي كان يحكمها المهراجا « هارى سنك » كما قلنا سابقا .

مصير هذه الامارات

وحين أخذ الانجليز والزعماء الهندوس والمسلمون يضعون خطط التقسيم لم يكن النص على مصير هذه الامارات واضحا محددا كما حصل فى المناطق التي يحكمها الانجليز حكما مباشرا ، وقيام التقسيم فيها على أساس الأغلبية الدينية ، فقد أراد الانجليز أن يجاملوا الأمراء ، فأعطوهم الرأى فى مصير ولاياتهم . ولكن « لورد مونتباتن » نائب الملك فى الهند والذى كان يتولى عملية التصفية والتقسيم وجه نصيحة الى أمراء الولايات بأن يراعوا فى تقرير مصير ولاياتهم فى الانضمام للهند أو باكستان رغبة الشعب ، ودين الأغلبية فيه ، والموقع الجغرافي للولاية . وهذه الميوعة فى تحديد مصير الولايات كانت سببا فى الحوادث التي حدثت فى بعض الولايات . فقد انضمت الولايات كلها اما الى الهند واما الى باكستان دون ضجيج بناء على هذه النصيحة . لكن ثلاثةمنها صاحبانضمامها شيء منالحوادث.

١ : ـ حيدر اباد

فقد أخذ حاكمها المسلم مهلة للتفكير وظهرت رغبته فى عدم الانضمام للهند ، وآثر ان لم ينضم لباكستان أن يبقى شبه مستقل وتكون علاقته مع الهند كما كان مع انجلترا ، وتنتقل المعاهدات التي كانت بينه وبين انجلترا الى الهند ، وهذه الولاية تقع فى وسط الهند الجنوبي تحيط بها أرض الدولة الهندية ، وسكانها نحو ١٧ مليونا أغلبيتهم الكبرى من الهندوس .. وقد تذرعت حكومة الهند بهذا فهجمت على الولاية بجيشها وقامت حرب بين الجيشين لم تستمر طويلا ، وضمتها الى الدولة الهندية وذلك قبل انقضاء المهلة التي أخذها ..

٢ : ـ جوناكدا

وهذه الولاية تقع علىالحدود بينالهندوباكستان الغربية وأميرها كان مسلما كذلك وأعلن رأيه فى الانضمام الى باكستان برغم أن أغلبيتها من الهندوس فاحتجت الحكومة الهندية على قبول باكستان انضمامه واعتبرت ذلك « خرقا فاضحا للمبادىء التي تم الاتفاق بموجبها على تقسيم الهند ونفذت .

ثم قام الشعب ببعض المناوشات ، مما اتخذته الهند وسيلة لتدخلها ، وزحفت بجيشها على الولاية ، وفر الأمير الى باكستان ، وأعلنت الهند ضمها الى أراضيها . فقامت الباكستان تحتج لدى مجلس الأمن على تدخل الهند فى ولايتي حيدر أباد وجوناكدا وضمهما اليها بالقوة . ولم يجد الاحتجاج نفعا .. وانتهى كل شيء فى الولايتين .

ويلاحظ هنا أن الهند لم تعتد برأى الأميرين ونظرت الى أغلبية الشعب وزحفت بجيشها تحقق رغبة هذه الأغلبية .

٣ : ــ كشمير

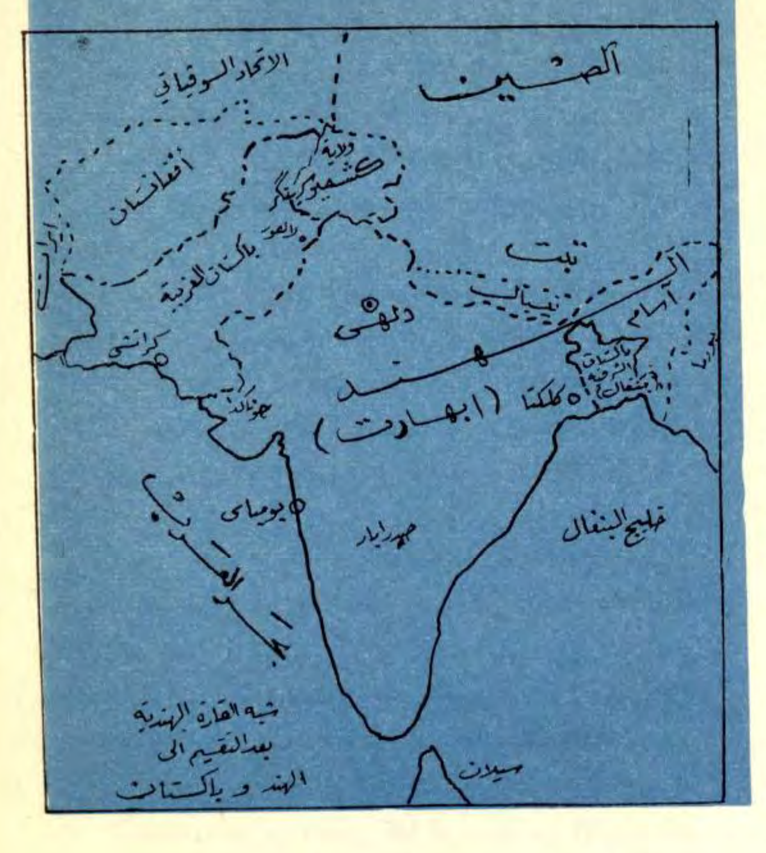
ــ ونظرا لأن اغلبية شعبها من المسلمين ــ كما عرفنا ــ قامت هذه الأغلبية قبيل التقسيم وأعلنت رأيها فى الانضمام لباكستان ، وذلك على لسان مختلف الطوائف والمنظمات فيها .. وقابل الأمير هذه الرغبة الشعبية بالعنف والاضهاد وشن على المسلمين حملة من الارهاب منقطعة النظير ، وقامت بين قواته والشعب التحامات دموية مما جعل رجال القبائل المسلمين فى باكستان يهبون لنجدة اخوانهم فى كشمير .

وفى هذا الجو المشتعل كان زعماء الهند يعملون لضم المهراجا الى جانبهم ، بالرغم مما كان بينه وبينهم قبل من عداء . فـزاره غاندى ومكث فى الولاية بضعة أيام فى الوقت الذى كانت المذابح الدموية تجتاح الهند كلها من اجل التقسيم ، وبرر هذه الزيارة بأنها وفاء بعهد قديم لوالد المهراجا بزيارة كشمير ! !

الشيخ عبد الله

ولعب الشيخ عبد الله الذى تطلق عليه الصحافة الآن ((أسد كشمير)) لعبته بالاتفاق مع زعماء حزب المؤتمر فى دلهي، ومع الحاكم فى كشمير للحيلولة بين انضمام كشمير لباكستان . وكان الشيخ عبد الله يمثل حزب المؤتمر فى كشمير وكان المهراجا ينظر اليه والى حزب المؤتمر فى الهند نظرة عداء مما جعله يحول مرة بين نهرو وبين زيارة كشمير من قبل ، ويرده بعد أن اجتاز حدود الولاية وجعله يزج بالشيخ عبد الله نفسه فى السجن وصدر عليه حكم بالسجن تسع سنوات بحجة أنه يخل بأمن الولاية .

ولكن هذا العداء بين المهراجا وبين زعماء حزب المؤتمر وممثلهم فى كشمير الشيخ عبد الله انقلب الى صفاء تام حين جمع بين المتنافرين المتخاصمين روح العداء لباكستان والعمل على عدم ضم كشمير اليها فاخرج المهراجا الشيخ عبد الله من السجن بعد مرور سنة وشهور عليه وهذا ذهب بدوره الى دلهي وقابل نهرو .. وأخذ الخطة المرسومة



ورجع الى كشمير نصيرا ومعاونا للمهراجا بعد شهر من اطلاق سراحه فعينه مديرا لادارة الطوارىء فى الولاية ثم رئيسا للوزارة وبدأ الشيخ عبد الله يلعب لعبته مع المهراجا ضد باكستان .

وفى ٢٦ اكتوبر ٤٧ اعلن المهراجا انضمام ولايته الى الهند وأعلنت الهند من جانبها قبول هذا الانضمام وزحفت القوات الهندية على كشمير واخذت تخمد الثورة القائمة فيها ضد المهراجا ..

وثار الشعب الباكستاني وطالب زعماءه بدخول القوات الباكستانية كشمير لانقاذ شعبها ولكن ((الفيلد مارشال أوكنلك عارضه فى ذلك فلم تتحرك القوات الباكستانية .

بينما كانت هناك قوات أهلية باكستانية زحفت على الجزء الشمالي الغربي من الولاية ، واستولت عليها ، وكونت منها ((كشمير الحرة)) أو ((آزاد كشمير)) .

وازاء تعذر دخول القوات النظامية الباكستانية الى كشمير بعد انذار القائد الانجليزي اقترح ((جناح ولياقت علي خان)) ايقاف القتال الدائر فى كشمير بين الجيش الهندي والقوات الأهلية واصدار بلاغ مشترك من الحكومتين ينوه باجراء استفتاء تحت تصرف الحكومتين .

ولكن حكومة الهند رأت ان ((كشمير))

أصبحت جزءا لا يتجزأ من الهند وليست من حق الباكستان فى شيء فاذا أجرى استفتاء فالهند هي التي تقوم به .

وفى يناير ١٩٤٨ رفعت شكوى الى مجلس الأمن تتهم فيها باكستان بمساعدة رجال القبائل لاثارة الفوضى فى بلادها .

وأرسل مجلس الأمن مندوبين عنه لحل هذه المشكلة ولكن لم ينجح أحد فى حلها نظرا لاصرار كل فريق على وجهة نظره ، ولأن الهند لا تريد أن تتخلى عن كشمير مهما تكن رغبات أهلها معتمدة فى ذلك على رأى حاكم كشمير (١)

ومنذ ذلك الوقت وقضية كشمير معلقة أمام مجلس الأمن لم يصل الى حل عملي لها ، وبقيت كالخراج فى جسم كل من الدولتين أو بقيت كاللغم الصالح للانفجار فى أى وقت .. ولم تنجح المفاوضات المباشرة بين الدولتين ولا المساعي المبذولة من محبي السلام فى انهاء هذه القضية ..

وافقت كل من الدولتين أولا على اجراء استفتاء لتقرير المصير كما قرر مجلس الأمن ولكن وضعت كل منهما شروطا لتنفيذ هذا الاستفتاء جعل من الصعب اجراءه ..

ومرت الأيام والسنون والهند تثبت اقدامها فى أرض كشمير ، وتجري الاصلاحات فيها بعد أن ضمتها نهائيا بمقتضى الدستور الهندي سنة ١٩٥٦ واصبحت ولاية من ولاياتها ، لا يمكن لاى هندي أن يفرط فيها والا اتهم بالخيانة والمروق .

بينما باكستان ترى من العار عليها ان تترك شعبا مسلما تضمه الهند اليها بالقوة فى الوقت الذي لا يرغب فيه فى هذا الانضمام .

سياسة الأمر الواقع

يقول نهرو فى محادثاته مع رئيس وزراء باكستان سنة ١٩٥٦ « ان عليكم أن تعترفوا بالحقائق كما هي ، اذ لن يجدي فتيلا أن يظل العمل قائما على أسس قديمة قد تغيرت وتبدلت معالمها ، لما ينطوي عليه ذلك من تجاهل لحقائق الموقف » .

وفى هذا الكلام يبدو نهرو مناديا بالخضوع لسياسة الأمر الواقع فى كشمير حيث لم تصبح هناك فائدة فى أية مفاوضات تغير من الوضع القائم وعلى باكستان أن ترضخ لذلك ، وتسلم به ، وتنفض يدها نهائيا من هذه القضية .. منطق يشبه منطق اسرائيل والمساندين لها فى اغتصاب فلسطين !!

ويقول نهرو « لقد جاء انضمام كشمير الى الهند مستوفيا لجميع الشرائط القانونية والدستورية هذه حقيقة لا يمكن أن يأتيها الباطل من خلفها ولا من قدامها » .

وجهة نظر باكستان

ويقول السيد محمد علي رئيس وزراء باكستان فى خطاب القاه سنة ١٩٥٥ .

« انه لم تكن هناك ضرورة لقيام نزاع حول كشمير ، ولو كانت الهند قد احترمت بعض الاتفاقات التي تضمنت الأساس الصحيح لتقسيم شبه القارة أو أنها التزمت بالاجراء الذي اتبعته فى قضايا ضم الولايات اليها لما كان هناك بالمرة قضية بشأن كشمير » .

ويقول « ان كل الاعتبارات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية فوق أن أغلبيتها مسلمة تجعل انضمام كشمير لباكستان امرا طبيعيا » .

وجاء فى كتاب « ملامح الهند » (٢) .

« ان كشمير يبلغ تعداد سكانها ٤ ملايين نسمة أغلبهم من المسلمين . وارتباط كشمير الاقتصادي بالباكستان أقوى من ارتباطها بالهند ومن ثم فالحق أوضح فى موضوع ضمها لباكستان دون الهند وجاء فى كتاب « كفاح المسلمين فى تحرير الهند (٣) » .. وتحت عنوان : موقف متناقض :

« اعتمدت الهند على رأى امير كشمير واعلانه الانضمام للهند فقبلت منه ذلك ولم تبال برأى الأغلبية المسلمة التي تعارض الانضمام للهند ... هذا فى كشمير .

أما ولاية « جوناكدا » على الحدود الغربية للهند فقد كان أميرها مسلما ولكن أغلبية سكانها من الهندوس . فأعلن الأمير انضمامه لباكستان

---

١ — نقلا عن باكستان فى ماضيها وحاضرها تأليف الأستاذين البطريق وعطا ص ١٠٤

٢ — للدكتورين محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد ص ١٩٣ — ١٩٤ .

٣ — للاستاذ عبد المنعم النمر ص ٣١٢ .

ولكن أغلبية الشعب ثارت ضده فأرسلت حكومة الهند قواتها النظامية تلبية لرغبة الشعب فاقتحمت الولاية واجرت استفتاء شعبيا كان من الطبيعي أن تكون النتيجة فيه انضمام الولاية للهند بأغلبية ٩٠٪ . »

« فالهند قبلت رأى الأمير الهندوسي واعتبرته فى كشمير ، ولم تبال بأغلبية الشعب المسلم ولا بثورته وأرسلت قواتها لاخماده ومعاونه الأمير . ولمتعتمد رأىالأمير المسلم فى « جوناكدا » وأرسلت قواتها لتنجد الشعب الهندوسي اعتمادا على رأى أغلبية الهندوس » !!!

وفى حيدر أباد « لم تعبأ الهند مرة ثانية برأى الأمير المسلم واعتمدت على أن أغلبية الشعب فى الامارة من الهندوس واستعملت القوة فى ضمها »

« وظهر التنافض فى تصرفاتها ازاء الامارات الثلاثة واضحا جليا . فلو كانت العبرة فى الضم برأى أغلبية الشعب وموقع الولاية الجغرافي ، ومصالحها المشتركة لفقدت الهند حجتها فى كشمير . »

« ولو كانت العبرة برأى الأمير دون مراعاة لرأى الشعب فى الولاية لوجدت الحجة فى كشمير وفقدتها فى « جوناكدا » « وحيدر أباد » .

« وهكذا لم تتصرف الهند تصرفا مقبولا ولا معقولا ولا متسقا فى الاستيلاء على الولايات الثلاثة مستعملة حجة هنا ونقيضها هناك مما يعيد الى ذاكرتنا تصرفات المستعمر القوي المتناقضة » !

ولقد كانت الميوعة التي صيغ بها قرار مصير الولايات ، وعدم الحسم فى اختيار الأساس الذي تضم على أساسه هو السبب فى كل ما حدث .. وهل كان يغيب عن المستعرين الذين أرغموا على ترك « درة التاج البريطاني » عواقب هذه الميوعة ؟ وهل كان يهمهم بعد أن يخرجوا أن تستقر الحال فى البلاد التي تركوها ؟

لقد تعودنا منهم دائما أن يتركوا وراءهم فى كل بلد يتخلص منهم مشكلات تشغل الشعب المتحرر عن النهوض وتثير أمامه العقبات ..

واذا كنا نرى فى موقف الهند تناقضا فاننا حين نتجه الى باكستان نجد نفس هذا التناقض تجاه الولايات الثلاثة ..

جاء فى كتاب كفاح المسلمين فى تحرير الهند (١)

« لماذا قبلت الباكستان رأى الأمير المسلم فى الانضمام اليها ولم تراع أغلبية الشعب الهندوسي؟ فهل كانت العبرة عندها برأى الأمير أم ماذا ؟ أظن أن المسألة تركت عائمة بدون تحديد تام ، ومن هنا جاء التخبط فى تصرف الدولتين..الخ ».

ومن هنا نجد من الضرورى أن نلقي تبعة هذا التخبط وما ترتب عليه من مشكلات ، ودماء مهدرة ، ومن حرب طاحنة تدور رحاها بين الدولتين الآن على المستعمر وعلى الذين كان فى يدهم الحسم والبت من زعماء الهند وباكستان ..

ان أحدا خارج الهند وباكستان لا يستطيع أن يتصور الآن المآسي التي يغرق فيها كلا الشعبين..

وكان هؤلاء الى عهد قريب اخوة يجابهون المستعمر صفا واحدا ، وروحا واحدة ..

انني لا أتوجه الى مجلس الأمن ومندوبه بأى رجاء أو أمل فقد ضاعت هيبة المجلس بعد أن ظلت القضية معلقة امامه سبعة عشر عاما ولكني أتوجه الىزعماء العرب والمسلمين والىزعماء المؤتمر الافريقىالآسيوي ودولعدمالانحياز برجاء الا يكتفوا بالكلام والبرقيات لزعماء الدولتين، بل عليهم أن يخطوا خطواتعملية سريعة ويتصلوا بقادةالدولتين لايقاف الحرب الدائرة ثم يبدأوا فى حل المشكلة على أساس من الحق والعدل الذي ينادي به الجميع ، ويتم استفتاء « تقرير المصير » فى جو محايد يضمن الحرية للشعب فى تقرير مصيره .

واذا كانت الهند دولة صديقة للعرب وكنا نحن جميعا من محبي السلام والوئام فاننا لا يمكن أن نكتم عواطفنا تجاه الشعب المسلم ، فذلك أمر طبيعي لا سبيل الى حبسه ، ومع ذلك فاننا ندعو الله فى كل نفس يتردد أن يظلل الشعبين برحمته ، ويلهم قادتهما الرشد والصواب .. وكفى ما أصابهما من خسارة فى الأرواح والأموال..

ع . ن

---

١ — هامش ص ٣١٩ للاستاذ عبد المنعم النمر .

نفحة الصحراء

محمد مؤذن

يا شعر يانغم الخلود | يانفحة المجد التليد
يا ناشر الامجاد أنشر | قصة النصر الفريد
أنشر وردد نفحة الصحراء ، واصدح بالنشيد
وانشر على هام الزما | ن قلائد الدر النضيد
هي في الزمان مشعة | لاتمحى أبد الابيد
تبقى على مر العصو | ر منارة الفجر الجديد
يشتاقها الطماح طلا | ب التقدم والصعود
تفنى الدهور ونورها | يسرى بآفاق الوجود
من نورها قبس الزما | ن فراح يرفل في السعود
ياشعر هات حديثها | فحديثها وحي الخلود

* * *

كان الظلام مخيماً | في الأرض .. في رحب المرابع
والعالم المسكين يبحث عن مواس أو مدافع
والظلم قد عم البلا | د ، فلا تجد الا المطامع
والبغي يفتك في الربو | ع فتستحيل ربى بلاقع
تشكو الجموع من المفا | سد والمباذل والزعازع
ترقب الانوار تسـ | ـال نفسها أين المطالع
من أين يأتي النور ، فالظلمات طبقت المواقع
ومتى تجود بخيرها | تلك السماوات اللوامع
فاتى النداء مرددا : | ألنور في الصحراء ساطع
بشراك يا صحراء إن النور للظلمات قاطع

* * *

بشراك يا أم القرى | بالمرسل الهادى البشير
بشراك بالنور الذى | غمر المرابع بالسرور

للاستاذ فاضل خلف

بشرى الصحارى انها صارت منارات العصور
وغدت معينا صافيا للحق والخير الوفير
بشرى الجماهير التي حنت إلى الحق المنير
يا فرحة الانسان في كل المدائن والثغور
يا فرحة الضعفاء قد وافاهم عز الدهور
عز سيبقى خالدا في مسمع الزمن الوقور
متلالئ الانوار وضاح إلى يوم النشور
متفاوح بالعطر ريان الحواشي بالعبير

★ ★ ★

ظهر النبي محمد في قلب صحراء الاعارب
فانجاب عن أرجائها ليل ، وأزهرت المضارب
وتجمع الشمل البديد فصار صفا غير خائب
ومضى النبي بنوره يجلو عن الحي الغياهب
فغدت به أرض الجزيرة موطنا ، للمجد ، طالب
وغدا به الدين الحنيف مظفرا في كل جانب
وغدت ترفرف راية الاسلام عالية الذوائب
والنصر خفاق اللواء على الفيالق والمواكب
وجوانب الصحراء تسبح في مجاليها الكواكب
أنوارها الغراء طبقت المشارق والمغارب

★ ★ ★

قد جاء نصر الله . يا صحراء تيهي بالطيوب
وتدفق الخير العميم عليك من كل الدروب
والكون هلل باسما للنصر والفتح القريب
وتقدم الاسلام في شتى الممالك والشعوب

يدعو إلى العليــاء ينشـــرُ راية المجـد المهيـب
فأقام في رحـب الأبـا	طح دولـةَ العـز الخصيب
هى دولةٌ كالشـمس تسخـو لا تكفُّ عن الوهـوب
في الشرق مجـدٌ مالـه	أبد الاداهـر من ضريب
في الغـرب ذكـرٌ عاطـر	عـزت ذراه علـى المغيب
والفضـل للصحـراء فهـى	مواطـن السعى الـدءوب

★★★

الفتح لم يك غـايـة	بل كان بابـا للمفاخـرْ
قد كان بابـا للعلـو	م وللمعـارف والمآثـر
أهدى الحضـارةَ للشعو	ب فازهرت فيهـا المنائـر
وغدت تجـود بفيضهـا	وتسح بالسُّحُبِ المواطـر
سُحُبٌ من الامجـاد لا	تبلـى على مـر الاداهـر
قد أهدت الدنيـا معينـا من مآثرهـا العواطـر
وغدت معلمة العصـو	ر بما افاضـت من ذخائـر
فصحائف التاريخ تذكـر	كل وضّـاح وباهـر
وبقية الآثـار تشـهدُ للمغاويـر العباقـر
تزهـو على مـر العصـو	ر وتنطـقُ الكلـمَ الزواهـر

★★★

يانفحة الصحـراء عـو	دى وازدهـى بين الجمـوعِ
واهدى الاباطـح من شعـا	عك واستمـرى فـى السطـوع
ورِدِى الديار وعطرى الدنـيا بانفاس الربيـع
ودَعِي الشـذا الفـواح يعبـق في ثنيّـات الربـوع
فلقـد حننـا للمـآثـر وازدرينـا بالهجـوع
وتطلعـت أطماحُنَـا	للفخـر والنصـر الينيـع
والشـوق للامجـاد ير	قص في الحنايـا والضلـوع
هُبِّي علينا وانفحينـا من ذرى العـز الرفيـع
واستلهمـى الماضـى ففيـه روائعُ الدر اللميـع
يانفحة الصحـراء يـا	وهّابـة المجـد المنيـع



للاستاذ
احمد فتحي البهنسي

دعانى الى الكتابة فى هذا الموضوع ما قرأت اخيرا فى كتاب عن « السلوك الاجرامى » من أن حكمة التشريع الجنائى الوضعى اصبحت هى المصلحة الاجتماعية التى لا تعنى بأوامر الدين ونواهيه ، ولا دواعى الاخلاق ، ولا أحكام التقاليد ، والآداب من حيث هى كذلك ، فاذا استجاب قانون العقوبات أحيانا لبعض هذه الاعتبارات فانما يكون ذلك لما اكتسبته هذه الاعتبارات من قيمة اجتماعية وعلى قدر هذه القيمة .

واستدل المؤلف على ذلك بهذه الجرائم القليلة الاهمية التى يطلق عليها فى قانون العقوبات المصرى مثلا : « الجنح المتعلقة بالاديان » وتكاد تكون آخر صلة بين قانون العقوبات والدين ، والتى لا تهدف الى حماية الدين فى ذاته بل الى حماية حرية الاعتقاد ، واقامة الشعائر الدينية ، وتوفيرا لحكمة اجتماعية هى أن يعيش أهل الملل المختلفة فى سلام ووئام .

والحق أنه رأى خطير ، ولا أدرى اذا كان ما نصت عليه المادة السابعة من قانون العقوبات المصرى وهى « : لا تخل احكام هذا القانون فى أى حالمن الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة فى الشريعة الغراء » يلفت النظر الى ما للدين من أثر لا يمكن أن يترك فى التشريع .

ولسنا هنا نناقش السيد المؤلف فى شرحه للواقع الخطر، وما اذا كانتحكمة التشريع الجنائى الوضعى قد انقلبت كذلك .

وانما نريد أن نعرض على السادة القراء نظرة الشريعة الثاقبة الى السلوك الاجرامى ، سواء كان ذلك متعلقا بذات المجرم ، او بالجريمة أو بالعقوبة ، حتى يرى الناس نفحات جلية فى تشريعهم الجنائى الاسلامى .

النظرة تجاه المجرم :

كان المشرع الاسلامى ولا يزال ينظر الى المجرم نظرته الى شخص ضل الطريق ، فهو يريد ان يأخذ بيده ويرشده الى سواء السبيل .

عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل : قال :

« أذنب عبدى ذنبا فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى :

اذنب عبدى ذنبا ، فعلم ان له رباً ، يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : اى رب اغفر لى ذنبي » . فذكر مثله مرتين — وفى آخره : « اعمل ما شئت فقد غفرت لك » . اخرجه مسلم .

وفى هذا الحديث دليل على صحة التوبة بعد نقضها بمعاودة الذنب ، لان التوبة الاولى طاعة وقد انقضت وصحت ، وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الثانى الى توبة آخرى مستأنفة ، والعود الى الذنب وان كان أقبح من ابتدائه ، لانه اضاف الى الذنب نقض التوبة ، فالعود الى التوبة أحسن من ابتدائها .

وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفق فى حق من تنفذ عليه العقوبة ، فلا يسب ولا يلعن ، تلمس ذلك من الآثار الآتية :

١ — قال أبو هريرة رضى الله عنه : أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب قال : « اضربوه » . فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم ، اخزاك الله . قال عليه الصلاة والسلام : « لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان » . رواه البخارى وابو داود .

٢ — كان رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يسمى عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك النبى صلى الله عليه وسلم . وكان قد جلده فى الشراب فاتى به يوما فأمر به فجلد فقال بعض القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله » رواه البخارى .

قال بعض الشراح : فيه النهى عن اللعن ، وفيما قبله النهى عن مطلق الدعاء على المرتكب ، بل المطلوب الدعاء له بالهداية .

قال الدهلوى فى « حجة الله البالغة» : نهى رسول الله صلم الله عليه وسلم عن لعن المحدود والوقوع فيه ، لئلا يكون سببا لامتناع الناس من اقامة الحد ، ولان الحد كفارة والشيء اذا تدورك بالكفارة صار كأن لم يكن ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ، انه لفى انهار الجنة منغمس بها »

٣ — وورد فى الموطأ .

حدثنى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن رجلا من اسلم جاء الى ابى بكر الصديق فقال له : ان الآخر زنى — فقال له ابو بكر : هل ذكرت هذا لاحد غيرى ؟ فقال : لا ، فقال له ابو بكر : فتب الى الله واستتر بستر الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده ، فلم تقرره

نفسه حتى أتى عمر بن الخطاب فقال له مثلما قال لابى بكر ، فقال له عمر مثل ما قال له ابو بكر ، فلم تقرره نفسه حتى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ان الآخر زنى فقال سعيد : فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ــ كل ذلك يعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا أكثر عليه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله . فقال : « أيشتكى أم به جنة » ؟ فقالوا : يا رسول الله انه لصحيح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم« أبكر أم ثيب » . فقالوا : بل ثيب يا رسول الله . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجم .

وفى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلين من اصحابه يقول احدهما لصاحبه : الم تر الى هذا الذى ستر الله عليه ، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجليه فقال : « اين فلان وفلان » ؟ فقالا : نحن ذان يا رسول الله ، فقال : انزلا وكلا من جيفة هذا الحمار ، « فقالا : يانبى الله من يأكل هذا ؟ قال : « فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد أكلا منه ، والذى نفسى بيده أنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها » .

وفى رواية أبى داود قال : لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم برجم ماعز خرجنا به الى البقيع، فوالله ما أوثقناه ولا حفرنا له ، ولكنه قام لنا فرميناه بالعظام والمدر والخزف ، فاشتد الى قوله حتى سكت ــ قال بعده : فما استغفر له ولا سبه .

وفى رواية اخرى له قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر نحوه ، وليس بتمامه . قال : ذهبوا يسبونه فنهاهم ، قال : ذهبوا يستغفرون له ، فنهاهم . قال : « هو رجل اصاب ذنبا ، حسيبه الله » .

٤ ــ كما ورد فى الموطأ :

حدثنى يحيى عن مالك عن عبدالرحمن ابن القاسم عن أبيه أن رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم على أبى بكر الصديق فشكا اليه أن عامل اليمن قد ظلمه .

فكان يصلى من الليل فيقول أبو بكر : وأبيك ما ليلك بليل سارق . ثم انهم فقدوا عقداً لأسماء بنت أبي عميس امرأة أبي بكر الصديق . فجعل الرجل يطوف معهم ويقول : اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح . فوجدوا الحلى عند صائغ زعم ان الاقطع جاءه به فاعترف به الاقطع او شهد عليه به . فأمر به ابو بكر الصديق فقطعت يده اليسرى . وقال ابو بكر : والله لدعاؤه على نفسه اشد عندى عليه من سرقته .

فهذا القول الاخير من ابيبكر الصديق يرينا الناحية الانسانية التي دفعت الخليفة لهذا القول .

ولكى يعاقب المجرم يجب أن يكون :

١ ــ مختارا غير مكره ولا مضطر .

أ ــ روى البخارى عن نافع مولى ابن عمر : أن صفية بنت أبي عبيد اخبرته : ان عبدا من رقيق الامارة وقع على وليدة من الخمس ، فاستكرهها حتى افتضها فجلده عمر ، ولم يجلدها من أجل انه استكرهها .

وفى رواية للترمذى قال : استكرهت

امرأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدرأ عنها الحد . وأقامه على الذى أصابها .

ب ـ والمضطر الى شرب الخمر لا يعاقب اذا كان شربه لها لدفع غصة « وهى ما يقف فى الحلق من عظم ونحوه »

قال الشافعى : فيحل ما حرم : من الميتة والدم ولحم الخنزير وكل ما حرم ـ مما لا يغير العقل من الخمر للمضطر . والمضطر : الرجل يكون بالموضع ، لاطعام معه فيه ، ولا شىء يسد فورة جوعه ، من لبن ، وما اشبهه ، ويبلغه الجوع ما يخاف منه الموت ، او المرض ، وان لم يخف الموت ، أو يضعفه او يضره ، أو يعتل ، أو يكون ماشيا فيضعف عن بلوغ حيث يريد او راكبا فيضعف عن ركوب دابته . اوما فى هذا المعنى من الضرر البين .

ويشترط فى المضطر أن يكون غير باغ، ولا عاد ولا متجانف لاثم .

واذا اضطرت المرأة او الرجل على ارتكاب الزنا وتوافرت شروط الضرورة لا يعاقب واحد منهما .

فى السنن للبيهقى عن ابى عبد الرحمن السلمى أنه اتى عمر بامرأة جهدها العطش فمرت على راع فاستسقت فابى ان يسقيها الا ان تمكنه من نفسها ففعلت فشاور الناس فى رجمها فقال على : هذه مضطرة أرى أن يخلى سبيلها ، ففعل .

قال ابن قيم الجوزيه :

والعمل على هذا ، لو اضطرت المرأة الى طعام او شراب عند رجل فمنعها الا بنفسها ، وخافت الهلاك فمكنته من نفسها ، فلا حد عليها ، لان حكمها حكم المكرهة بالقتل على الزنا ، والمكرهة لا حد عليها ، ولها ان تفتدى من القتل بذلك .

وكتب الفقه عامرة بمثل هذه الفروض فى جرائم القتل والاتلاف الذى تدرأ فيه العقوبة لوجود حالة الاضطرار .

٢ ـ بالغا .

٣ ـ عاقلا .

عن الترمذى قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » .

وذلك لأن العقل والبلوغ شرط لأهلية العقوبات كلها .

وعن عبد الله بن عباس قال : اتى عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناسا فأمر بها عمر ان ترجم فمر بها على بن ابى طالب فقال : ما شأن هذه ؟ قالوا مجنونة بنى فلان زنت ، فامر بها عمر أن ترجم ، فقال : ارجعوا بها ، ثم أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة : عن المجنون حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يعقل ؟ فقال : بلى .

قال : فما بال هذه ؟ قال : لا شىء ، فارسلها. فارسلها عمر . قال : فجعل يكبر .

٤ ـ عامدا .

أى أن يكون قاصدا للاجرام فان كان مخطئا تغير وضعه فعقوبة القتل العمد القصاص ، اما القتل الخطأ ففيه الاثم دون اثم القتل العمد ، والدية والكفارة ، وحرمان الميراث .

٥ ــ ألا يكون جاهلا .

فالجهل فى الفقه الاسلامي يصبح عذرا اذا لم يصحبه تقصير من الجانى قال محمد بن حزم : من أصاب شيئا محرما فيه حد أولا حد فيه وهو جاهل بتحريم الله تعالى فلا شيء عليه فيه ، لا اثم ولا حد ولا ملامة ، لكن يعلم ، فان عاد أقيم عليه حد الله تعالى ، فان ادعى جهالة نظر فان كان ذلك ممكنا فلاحد عليه أصلا ، وقد قال قوم بتحليفه ، ولا نرى عليه حدا ولا تحليفا ، وان كان متيقنا انه كاذب لم يلتفت الى دعواه .

وقال ابن قدامة فى « المغنى » : لاحد على من لم يعلم تحريم الزنا : قال عمر وعثمان وعلى : لا حد الا على من علمه وبهذا قال عامة أهل العلم ، فان ادعى الزانى الجهل بالتحريم وكان يحتمل ان يجهله كحديث العهد بالاسلام والناشيء ببادية ، وان كان ممن لا يخفى عليه ذلك كالمسلم الناشيءبين المسلمين وأهل العلم، لم يقبل لان تحريم الزنا لا يخفى على من هو كذلك فقد علم كذبه .

روى البخارى عن حمزة بن عمرو الاسلمى ان عمر رضى الله عنه بعثه مصدقا فوقع رجل على جارية امرأته ، فأخذ حمزة من الرجل كفلاء ، حتى قدم على عمر فأخبره . وكان عمر قد جلد ذلك الرجل مائة اذ كان بكرا باعترافه على نفسه فأخبره ، فادعى الجهل فى هذه فصدقه وعذره بالجهالة .

وروى عن سعيد بن المسيب ان عاملا لعمر بن الخطاب كتب الى عمر يخبره ان رجلا اعترف عنده بالزنا ، فكتب اليه عمر أن سله هل كان يعلم انه حرام ؟ فان قال : نعم فأقم عليه الحد ، وان قال: لا فاعلمه أنه حرام ، فان عاد فاحدده .

وعن الهيثم بن بدر عن حرقوص قال: أتت امرأة الى على بن ابى طالب فقالت : ان زوجى زنى بجاريتى ، فقال : صدقت هى ومالها لى حل ، فقال له على : اذهب ولا تعد ، كأنه درأ عنه الحد بالجهالة .

ورد فى احكام القرآن لابن العربى : شرط فى السارق ستة معان منها : العقل لان من لا يعقل لا يخاطب عقلا ، والبلوغ لان من لم يبلغ لا يتوجه اليه الخطاب شرعا ، وبلوغ الدعوة لان من كان حديث عهد بالاسلام ولم يثافن « يجالس المسلمين ويلازمهم » حتى يعرف الاحكام وادعى الجل فيما أتى من السرقة والزنا، وظهر صدقه لم تجب عليه عقوبة كالأب فى مال ابنه . **اما من علم تحريم شيء ، وجهل ما يترتب عليه ، لم يفده ذلك كمن علم تحريم الزنا وشرب الخمر وجهل وجوب الحد ، يحد بالاتفاق لانه كان حقه الامتناع .**

وخلاصة القول أن الفقهاء يفرقون بين جهلين :

جهل بالتحريم وجهل بعقوبة التحريم ، فالجهل بالتحريم يعفى من العقاب اذا كان حديث عهد بالاسلام ولم يكن مخالطا للمسلمين من قبل ، والجهل بالعقوبة ، وذلك بأن يعلم أن الفعل محرم ولكن يجهل عقوبته فلا يعفيه جهله من هذه العقوبة .



ليس للتصوف شكل واحد معروف ليستطيع الانسان أن يعطى فيه رأيه ، ولكن التصوف أشكال متعددة : منها المعروف ، ومنها غير المعروف ، فالمسلم لايقر منها الا الايمان الصالح وذلك باسم الايمان والعمل الصالح لاباسم الصوفية المختلف على معناها والمختلف على تاريخها ، والمسلم المؤمن العامل للصالحات لايرتاح للانتماء لاسم لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله .

واذا كان للمؤمنين العاملين للصالحات من رجال الصوفية دور مذكور في افريقيا فى نشر الدعوة الاسلامية فى مختلف ارجائها فأن ذلك أمر يقدره لهم المسلمون في العالم بأسره ، كما أنهم في الوقت نفسه يعتقدون ان الباطنيات والخرافات والبدع وممالأة الاجنبي والانعزالية والكسل كانت سببا رئيسيا من أسباب تأخرنا في الوقت الحاضر وكل ما نرجوه من المؤمنين العاملين للصالحات أن يسيطروا على هذه الفوضى ، ويجمعوا على نبذ المظاهر غير اللائقة التى ادخلت على اساليب هذه الطرق واجتناب البدع والخرافات المستهجنة التي لا تليق بديننا الحنيف ولا بعقلية العصر الذى نعيش فيه ، وان اختيار رجل عصرى لمشيخة هذه الطرق جميعها فى مصر أرجو ان يكون اختيارا موفقا نرجو من ورائه تنقية هذه الطرق وتصفيتها والعودة بها جميعها الى الطريق السليم والصراط المستقيم ☼ **وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ذلكم وصاكم به **لعلكم تتقون** ☼ .

ولقد وقع في يدى وانا اكتب هذه الخواطر تحقيقا صحفيا مصورا نشرته مجلة المصور العربية بتاريخ ٦ محرم ١٣٨٥ في العدد ٢١١٧ تحت عنوان « رأى الصوفيين في انفسهم ورأى الدين في الصوفيين» رأيت أثبات بعض ما جاء فيه **لمن لم يطلع على العدد** المذكور وقد جاء بعد المقدمة عن التصوف .

للاستاذ عبد العزيز العلي

ولكن .... هل بقى من التصوف الآن شيء .. غير المواكب وحلقات الذكر والثياب المزركشة والرايات والبيادر الملونة وعشرات الطرق والطوائف والهمهمات الغامضة والحركات الهستيرية والعزلة عن الحياة العامة والغذاء الوهمي للملايين من البسطاء من ابناء شعبنا الذين يتطلعون الى غذاء حقيقي .

ولقد استغل الاستعمار والرجعية هذه الطرق الصوفية فى بلادنا فى بعض الظروف واتخذ منها وسيلة لاستنفاد الطاقات العاطفية لجماهير شعبنا واستغراقهم فيها عن التفكير فى احوال دنياهم وفى البحث عن الفهم الصحيح لدينهم وما هو موقفنا اليوم من هذه الطرق التي تضم الآلاف من ابناء شعبنا وانحرافهم عن المشاركة الفعالة فى حياتنا .

هل يمكن ان تصبح هذه الطرق جميعا طريقا موحدا غير منعزل عن هذه الحياة ، وهل يمكن ان تصبح بحق مدارس للوعى الروحي والعلمي معا . ؟

وعدد الطرق كما صرح به الشيخ محمد محمود علوان هي (٦٣) طريقة كل منها تحمل اسم صاحبها وهى منتشرة فى القاهرة والمدن الاخرى والقرى .

وكتب الشيخ علوان : بعد الثورة وجدنا العون لنعود من جديد الى العمل والنشاط بعد تفكك وذوبان استمر طويلا ، فوضعنا برنامجا ، واتصلنا بالجماهير ، وعقدت الاجتماعات ، وتحدث الخطباء ، وتفتحت القلوب ، وكانت اعيادا ايمانية ووطنية دلت على روح الامة الدينية وتعلقها العظيم بدينها وتقدير الثورة .

ومما كتب كمال سعد : « لماذا لا نلغى كلمة (الصوفية) ونحولها الى كلمة الدينية ، فكلمة الصوفية كما نعرف جاءت من هذا الرداء الصوفى الخشن الذى كان يرتديه المشايخ زهدا فى الدنيا ، وهذا الرداء اصبح مشايخ الطرق يحاربونه بأنفسهم » .

لماذا لا نقبل ذلك وخاصة ان هناك اطباء ومحامين ومهندسين بدأوا يندرجون تحت لواء هذه الطرق بعد ان تغيرت صورتها التخاذلية ، وان هناك

البقية على ص ٦٣



شخصية سلفية من الرعيل الاول من اسلافنا الصالحين ، تملأ النفس اعجابا ، وتفسح الصدور انشراحا ، شغلت فراغا فى كثير من العلوم والوظائف الاسلامية ، واخذت مكانا فى الحديث والفقه والادب والتاريخ ، كما اخذت مكانا فى الوظائف القضائية والسياسية ، وقبل ان نتحدث عن مكان هذه الشخصية فيما شغلت من العلوم والوظائف يحسن بنا أن نتحدث عما رشحها لان تشغل ما شغلت فى توفيق ونجاح .

ان الذى أهل الشعبي لان يحتل مكانا بارزا بين الشخصيات الاسلامية، ويحتل مكانا فى التاريخ الاسلامي هو ما منحه الله من المواهب ، وما اخذ به نفسه من النشاط ، وما رسمه من منهج علمي التزمه مدى حياته ، ذلك الى أنه أنسىء له فى عمره ، فدخل فى عداد المعمرين .

رزق الشعبي حافظة قوية جعلته يحفظ الحديث لأول ما يسمع ، ولا يلجىء المحدث أن يعيد الحديث، ولقوة حافظته استغنى عن الكتابة وكان يقول : ما كتبت سوداء فى بيضاء ولا حدثني رجل بحديث الا حفظته ، ولا حدثني رجل بحديث ، فأحببت أن يعيده ، وضرب به المثل فى الحفظ فقيل : أحفظ من الشعبي .

وكان من نشاطه العلمي أن يسعى الى العلم حيث وجد ، لا يضن بمجهود مهما عظم : ويقول : لو أن رجلا سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمر رأيت أن سفره لم يضع .

وكانت الأمانة العلمية جزءا من منهجه ويقول فى ذلك : اذا سئلت عما لا تعلم فقل : الله أعلم ، فانه علم حسن كما كان من منهجه العلمي أنه يتواضع فى طلب العلم قيل له مرة : أن فلانا عالم ، قال : ما رأيت عليه بهاء العلم ، قيل : وما بهاؤه ، قال :

السكينة ، اذا علّم لا يعنف . واذا علّم لا يأنف . وكان يرى أن أهم وسائل التحصيل العلمي العقل والصلاح ، ويقول : انما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان ، العقل والنسك، فأن كان عاقلا ، ولم يكن ناسكا قيل : ان هذا أمر لا يناله الا النساك فلم تطلبه ، وان كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل : هذا أمر لا يطلبه الا العقلاء فلم تطلبه ؟ وكان حريصا على سمعته العلمية فقال : لو أصبت تسعا وتسعين وأخطأت واحدة لأخذوا الواحدة، وتركوا



لفضيلة الشيخ ابو الوفا المراغي
مدير المكتبة الازهرية

التسع والتسعين ، وكان يكره الجدال فى المسائل التي تثير الفرقة بين المسلمين، وتبلبل أفكارهم ، قيل له يوما ، ما تقول فيما قال فيه الناس من هذين الرجلين – يعني عليا وعثمان – فقال انه والله لغني أن أجيء يوم القيامة خصيما لعلي وعثمان رضي الله عنهما ، وغفر لنا ولهما .

بهذه المواهب ، وبهذا النشاط ، وبهذه الرغبة فى تحصيل العلم والاستهانة فى سبيله بكل مجهود – كون الشعبي شخصيته العلمية ، وبالتالي شخصيته القضائية والسياسية على ما سنذكر ، والعلم ثلاثة أرباع الشخصية ان لم يكن أكثر من ذلك ، واذ أجملنا الكلام عن تكوين الشعبي العلمي ، فلنتحدث فى تفصيل عن هذه الشخصية من جوانبها المختلفة :

الشعبي المحدث

عاصر الشعبي كثيرا من الصحابة وسمع منهم كما سمع من بعض

التابعين ، وتروى كتب الرجال عنه أنه أخذ من ثمانية وأربعين صحابيا . منهم **علي بن ابي طالب ، وسعد بن ابى** وقاص ، وجابر ، ومعاوية ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأخذ عن جمع من التابعين . منهم سويد بن غفلة ، وشريح القاضي ، وأبو بردة بن أبي موسى ، وأخذ عنه خلق كثير ، وكانت له مكانة مرموقة فى الحديث حتى انه كان يسأل وبعض الصحابة حاضرون . حدث أبو بكر الهذلي قال : قال لي محمد بن سيرين يا أبا بكر اذا دخلت الكوفة فاستكثر من حديث الشعبي ، فانه كان ليسأل وان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأحياء .

وحدث ابن شبرمة قال : سمعت الشعبي يقول : ما سمعت منذ عشرين سنة رجلا يحدث بحديث الا أنا أعلم به منه . وقال عاصم بن سليمان : ما رأيت احدا كان أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي . وقد روى له صاحب الحلية جملة من غرائب الحديث ، وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين ، والمتأمل فيما ذكره صاحب التقريب وصاحب الحلية عنه يحس بأن المحدثين كانوا ينظرون الى روايته للحديث بشيء من الحذر ، فقد قال ابن معين : اذا حدث الشعبي عن رجل ، فسماه فهو ثقة يحتج بحديثه . ومن غرائب ما روى عنه ما رواه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله ليعمر لقوم الديار ، ويثمر لهم الأموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم ، قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم . وما رواه عن ابن عمر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى الضحى ، وصام ثلاثة أيام من الشهر . ولم يترك الوتر فى حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد .

الشعبي الفقيه

اتفق من ترجم للشعبي على أنه كان فقيها : وأنه كان أحد أربعة من فقهاء زمانه تصدروا الفقهاء فى المدن الاسلامية : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والحسن ابن أبي الحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام ، والشعبي بالكوفة ، وشهد له زميله مكحول فقال : ما لقيت مثل الشعبي . وقال يونس بن اسحق : كنت مع الشعبي والناس يسألونه من صلاة العصر الى المغرب ، فقال : لو كنت تلقموني الخبيص لكرهته . (الخبيص طعام من لبن وتمر) .

وقد عرف بالعلم بالفرائض والجراحات ، وسأله الحجاج يوما عن مسألة ، فقال له : ما تقول فى أخت وأم وجد ؟ قلت : اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي ، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم . قال : فما قال فيها ابن عباس ان كان لتقيا ؟ قلت : جعل الجد أبا ، وأعطى الأم الثلث ، ولم يعط الأخت شيئا . قال : فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان ؟ قال : جعلها أثلاثا .

قال : فما قال فيها زيد بن ثابت ؟ قلت : جعلها من تسعة ، فأعطى الأم ثلاثا ، وأعطى الجد أربعا ، وأعطى الأخت سهمين . قال : فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ست أعطى الأخت ثلاثا وأعطى الأم سهما وأعطى الجد سهمين . قال فما قال فيها أبو تراب ؟ يعني عليا . قلت : جعلها من ستة ، أعطى الأخت ثلاثا ، وأعطى الجد سهما . وأعطى الأم سهمين . قال : قل للقاضي : فليمضها على ما أمضاها عليه

أمير المؤمنين عثمان . ويرى بعض من ترجم له أن ما نقله الشعبي عن علي من الفرائض لم يسمعه كله منه ، وانما استعمل القياس فى بعض مسائله . وقد روى ابن أبي حاتم عن أبيه أنه سئل عن الفرائض التي رواها الشعبي عن علي فقال : هذا عندى ما قاسه الشعبي على قول علي وما أرى عليا كان يتفرغ لهذا ، ولكن نرى فى ترجمة الشعبي أنه كان يكره القياس ، ولا يعتمد الا النقل والرواية ، فقد روى عنه أنه قال : انما هلكتم بأنكم تركتم الآثار ، وأخذتم بالمقاييس ، ولقد بغض الي هؤلاء المسجد حتى انه لأبغض الي من كناسة داري — يعني أصحاب الرأى — وقال صالح بن مسلم : سألت الشعبي عن مسألة فقال : قال فيها عمر بن الخطاب كذا .. وقال علي بن أبي طالب فيها : كذا . فقلت للشعبي ما ترى ؟ قال : ما تصنع برأيي بعد قولهما . اذا أجزتك برأى فلا تبالى به . وكان يقول : اياكم والقياس فى الدين ، فانه من قاس فى الدين فقد زاد فى الدين .

ومما استدل به على ابطال القياس ما روى الهذلي انه قال لأصحابه يوما : يا هؤلاء أرأيتم لو قتل الأحنف بن قيس، وقتل معه صبي اكانت ديتهما سواء ، ام يفضل الأحنف بعقله وحلمه ؟ قلتم بل سواء . قال : فليس القياس بشيء .

ومن فقهه ما رواه عمر بن عبد الله النخعي أرسلني أبي الى الشعبي أسأله عن صحيفة أعرف فيها كتابي ونقش خاتمي أشهد على ما فيها ، قال : لا الا أن تذكره ، ان الناس يكتبون ما شاءوا ، وينقشون ما شاءوا .

وروى الحسن بن عبد الرحمن قال : رأيت الشعبي يسلم على موسى النصراني فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقيل له فى ذلك : فقال : أو ليس فى رحمة الله ! لو لم يكن فى رحمة الله هلك ، وقال : ما ترك عبد مالا هو فيه أعظم أجرا من مال يتركه لولده يتعفف به عن الناس .

الشعبي الأديب والشاعر

ذكر كثير ممن ترجم للشعبي أنه كان أديبا شاعرا ، قال ابن حبان : انه كان فقيها شاعرا : وقال الطبرى فى طبقات الفقهاء : كان ذا أدب وفقه وعلم ، وروى عنه الخطيب البغدادى فى تاريخه أنه قال : ما أروى شيئا أقل من الشعر ولو شئت لأنشدتكم شعرا ، ولم تذكر كتب التراجم شيئا من شعره ، ولعل الشعبي كان يتحرج من أن يعْرف بالشعر مراعاة لتقاليد العلماء فى عصره ، وقد روى صاحب الحلية : أنه كان يولع بهذا البيت :

ليست الأحلام فى حين الرضا
انما الأحلام فى وقت الغضب

وانه كان يقول :

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فأنت وعير بالفلاة سواء

ومر يوما برجل يغتابه فأنشد :

هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقد رويت عنه أقوال منثورة تدل على تمكن الملكة الأدبية فى ذهنه ، ومما رواه عنه صاحب الحلية : نعم الشيء الغوغاء . يسدون السيل ، ويطفئون الحريق ، ويشغبون على ولاة السوء . وسئل عن السماء فقال : موج مكفوف ، وسقف مسقوف بحرس محفوف : ومن طرائف ما روى عنه مما يدل على سعة افقه ، وتضلعه من معارف عصره انه قال : مرض الأسد ، فعاده السباع ما خلا الثعلب ، فقال الذئب : أيها الملك مرضت فعادك السباع الا الثعلب ، قال

الأسد : اذا حضر فأعلمني ، فبلغ ذلك الثعلب ، فجاء ، فقال له الأسد : يا أبا الحصين عادني السباع كلهم .. فلم لم تعدني . قال الثعلب بلغني مرض الملك ، فكنت فى طلب الدواء : قال : فأى شيء أصبت قالوا : خرزة فى ساق الذئب ينبغي أن تخرج . قال : فضرب الأسد بمخالبه الى ساق الذئب ، فانسل الثعلب ، وقعد على الطريق ، فمر به الذئب ، والدماء تسيل عليه ، فناداه الثعلب : يا صاحب الخف الأحمر : اذا قعدت بعد هذا عند السلطان فانظر ماذا يخرج من رأسك ، وأما هذه فقد خرجت من رجلك .

ويكفي للدلالة على أدب الشعبي شهادة الأخطل له : فقد روى الأصمعي : أن الشعبي اجتمع هو والأخطل عند عبد الملك ، فلما خرجا قال الأخطل للشعبي : ارفق بي فانك تغرف من آنية شتى وأنا أغرف من اناء واحد .

الشعبي المؤرخ

رزق الشعبي حافظة قوية أعانته على أن يكون مؤرخا للسير والمغازى دقيقا فى رواياتها حتى كأنه يشاهد ما يروى فى الدقة والصحة : قال عبد الملك بن عمير : مر ابن عمر على الشعبي وهو يحدث بالمغازى فقال : لقد شهدت القوم فلهو أحفظ لها وأعلم بها مني . وقال : كأنه كان شاهدا معنا .

الشعبي القاضي

عرف الشعبي بالفقه ، وكان طبيعيا أن تتجه الأنظار اليه ليشغل وظيفة القضاء ، وقد شغل قضاء الكوفة فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وكان يؤثر الأخذ بظواهر الأحوال . روى عنه أنه قال : كنت جالسا عند شريح اذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها ، وهو غائب ، وتبكي بكاء شديدا ، فقلت أصلحك الله ما أراها الا مظلومة . قال : وما علمك ؟ قلت : لبكائها ، قال لا تفعل فان اخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون . وكان حريصا على حرمة مجلس القضاء دخل عليه فى مجلس القضاء رجل ومعه امرأته ، وهي من أجمل النساء ، فاختصما اليه ، فأدلت المرأة بحجتها وقربت بينتها ، فقال الشعبي للزوج : هل عندك من مَدْفَع فأنشأ يقول :

فتن الشعبي لما
رفع الطرف اليها
فتنته بدلال
وبخطي حاجبيها

قال للجلواز قربها : وأحضر شاهديها، فقضى جورا على الخصم ، ولم يقض عليها .

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك ابن مروان فلما نظر الي تبسم وقال :

فتن الشعبي لما
رفع الطرف اليها

الشعبي السياسي

غريب ألا يشغل الشعبي فقهه وحديثه عن تتبع مجارى السياسة ومناورات السياسيين ، فيكون سياسيا ، بل سياسيا من الطراز الرفيع يتفهم لغة الملوك والساسة ، ويتفطن لمراميهم البعيدة ، وأهدافهم المقنعة بمعسول أقوالهم ، وحادثة واحدة وقعت بينه وبين ملك الروم تكشف لنا عن مقدار ما وصل اليه الشعبي فى فن الدبلوماسية . روى الاصمعى قال : وجه عبد الملك بن مروان عامرا الشعبي الى ملك الروم في بعض الأمر ، فاستكبر الشعبي فقال له : من أهل بيت الملك أنت ؟ قال لا . قال : فلما أراد الرجوع الى عبد الملك حمله

رقعة لطيفة وقال : اذا رجعت الى صاحبك ، فأبلغته جميع ما يحتاج الى معرفته من ناحيتنا ، فادفع اليه هذه الرقعة ، فلما صار الشعبي الى عبد الملك ذكر له ما احتاج الى ذكره ، ونهض من عنده ، فلما خرج ، ذكر الرقعة ، فرجع . فقال : يا أمير المؤمنين انه حملني اليك رقعة أنسيتها حتى خرجت ، وكانت فى آخر ما حملني ، فدفعها اليه ، ونهض ، فقرأها عبد الملك ، فأمر برده فقال : أعلمت ما فى هذه الرقعة ؟ قال : لا قال : فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا ! ! أفتدرى لم كتب اليّ بهذا ؟ فقال : لا . فقال حسدني بك ، فأراد أن يغريني بقتلك . فقال الشعبي : لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرني . فبلغ ذلك ملك الروم فذكر عبد الملك وقال : لله أبوه والله ما أردت الا ذاك ! ! .

خلق الشعبي

قبس الشعبي من أضواء من عاشرهم من صحابة رسول الله فى أخلاقه: واقتفى آثارهم ، وتأدب بالأدب النبوى الذى تأدبوا به ،فزكت نفسه،وعفت جوارحه. روى عنه أنه قال : ما حللت حبوتي الى شيء مما ينظر الناس اليه ، ولا ضربت مملوكا لي قط . وما مات ذو قرابة لي وعليه دين الا قضيته عنه .

وكان يخشى الا يؤدى حق العلم ، ويقول : ليتني لم أتعلم قط ، ووددت أن أخرج منه كفافا لا علي ولا لي . وكان ذا تجمل فى هيئته وزيه ، ومما قاله في ذلك : البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء ، ولا يعيبه عليك العلماء ، وكان ذا دعابة ولطف يمزح بما لا ينافى وقارالعلماء، ولا يخدش حياء الصالحين .

دخل عليه رجل ، وكان مع امرأته ، فقال أيكم الشعبي ؟ ! ! فقال : هذه ، وأشار الى امرأته ، وقال له الحجاج كم عطاءك ، فقال : ألفين فقال : ويحك ! ! كم عطاؤك ، فقال : ألفان . قال الحجاج كيف لحنت أولا ؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، فلما أعرب أعربت ، وما أمكن أن يلحن الأمير ، وأعرب أنا ، فاستحسن ذلك منه ، وأجازه ، وسأله رجل : كيف كانت تسمى امرأة ابليس ؟ فقال الشعبي : ذاك نكاح لم نشهده .

وكتب عبد الملك الى الحجاج : ابعث الي رجلا يصلح للدين وللدنيا اتخذه سميرا ، فبعث اليه الشعبي .

ولادته ووفاته

ولد الشعبي سنة ٢٠ هـ قال الشعبي ولدت عام جلولاء ، واختلف فى سنة وفاته ، وذكرت فيها أقوال كثيرة ، قيل انها سنة ١٠٣ هـ وقيل سنة ١٠٤ وقيل سنة ١٢٠ وقيل غير ذلك ، وقد شعر العلماء بالخسارة بوفاته .

روى محمد بن فضل بن عاصم : قال حدثت الحسن بموت الشعبي فقال : رحمه الله أن كان من الاسلام بمكان . وعن سوار عن أبيه قال : لما هلك الشعبي قال : انا لله وانا اليه راجعون ان كان لقديم السن ، كثير العلم : وانه لمن الاسلام بمكان ، ثم أتيت محمد بن سيرين فقلت يا أبا بكر هلك الشعبي فقال مثل ما قال الحسن .

اسمه وكنيته ونسبه

فى ابن خلكان : هو أبو عمرو عامر بن شراحيل من عبد ذى كبار ـ وذو كبار قيل من أقيال اليمن ـ الشعبي وهو من حمير وعداده فى همدان . وشراحيل بفتح الشين المعجمة والراء والحاء المهملة المكسورة ، والشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون العين الى شعب ، بطن من همدان وقيل : الى جبل باليمن .

أبو بكر و عمر

لفضيلة الشيخ عبد الجليل شلبي
عضو المكتب الفنى بمجمع البحوث بالأزهر

أكثر ما يتحدث الناس عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون عن هذين الصحابيين العظيمين . وقد ربطت بينهما الأحداث والصحبة فى الحياة ، كما ربطت بينهما الذكرى ونظرات التاريخ بعد الوفاة .

وربما كان الحديث عن عمر أبعد ذيوعا وأكثر ترددا ، وربما حاطت الأحداث سيرته بهالة من البهاء والجلال لم يظفر بمثلها ابو بكر ، ولكن سيرة أبى بكر وعظمته ومناقبه الوضاءة لم تكن تخفى فى غمرة هذا اللألاء ولا تتضاءل أمام هذا الجلال ، وكل ما هناك أن عهد عمر كان أطول زمنا وأحفل بالأحداث ، كما كانت الدولة الاسلامية فيه أفسح رقعة وأكثر مشاكل ، ويخيل الي أنه لو امتد عهد أبى بكر الى الزمن الذى انتهى فيه عهد عمر ما تغيرت الأحداث الكبرى فى الدولة الناشئة ولا اختلفت القضايا الكبرى فى الفكر الاسلامي ، وقصارى ما يقال فى الرجلين أنهما صفيا فى مدرسة النبوة ، وصنعا على عين رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يصهر المعدنان النفيسان فى البوتقة فيزول عن كل منهما ما به من أدران وخبث ، ويبقى المعدن النقي الكريم ، ولكن يبقى أيضا لكل معدن خواصه وصفاته .

وقد عاش الرجلان فى ظلال الاسلام من عهده الأول ، وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فجر الدعوة ، وكانا معه دائما عونين وصديقين ومستشارين ، فلما انتقل صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه تردد المسلمون فى اختيار أى أصحابه خليفة ، ولكن استقرت الأنظار منذ اللحظة الأولى عليهما .

قال أبو بكر لعمر ـ أمدد يدك أبايعك بالخلافة .

عمر ـ أنت أفضل مني .

أبو بكر ـ أنت أقوى مني .

عمر ـ لك قوتي مع فضلك .

فضل أبي بكر وقوة عمر

وبويع أبو بكر بالخلافة ، فكانت له قوة عمر مع فضله ، ولكن كان له من نفسه قوة أكبر .

ويبدو أن امتياز أبى بكر بالفضل وامتياز عمر بالقوة هو موقف الفصل بينهما فى أدق فروقه وأصغر ما يتباينان فيه ، ولهما بعد ذلك صفاتهما المشتركة الكبرى التي تجمعها روح الاسلام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ومراقبة الله رب العالمين .

ويصدق هذا ما شبههما به النبي — قال لأبي بكر : مثلك فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل برحمة الله وعفوه ، ومثلك فى الأنبياء كمثل ابراهيم ، اذ قال لقومه أف لكم ولما تعبدون من دون الله. وكمثل عيسى اذ قال لربه : ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ، وقال لعمر : مثلك فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط والنقمة ومثلك فى الأنبياء كمثل نوح اذ قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، وكمثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

وهو تشبيه الصادق الأمين فجبريل وميكائيل مهما اختلفا من الملائكة وابراهيم وعيسى ونوح وموسى مهما اختلفوا كلهم أنبياء لا يخلو واحد منهم من فضل وقوة .

وقد غذت مدرسة النبوة كلا من الرجلين بما قربه الى صاحبه ، لأنها قربتهما جميعا من أخلاق النبوة ، ودربتهما على النهوض بعبء الدعوة ، ووضحت لهما معا أقرب السبل وأقومها الى بناء الأمة الاسلامية وحسن المحافظة على الاسلام .

كما اشتهر بين المؤرخين فضل أبى بكر وقوة عمر أشتهر أيضا أن أبا بكر أكثر محافظة وعمر أكثر اجتهادا وأوسع حيلة فى التصرف . والأمر كذلك ولكنه لا يطرد دائما فى كلا الوجهين اللهم الا ما كان فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان أبو بكر أكثر طاعة وأقل مناقشة ، بينما كان عمر أكثر مناقشة وجدلا . ولكن نظرة فى موقفهما من حروب الردة ويوم عزم أبى بكر على جمع القرآن تظهر أن أبا بكر كان أكثر صلابة وقوة فى الأولى كما كان أدنى الى الاجتهاد فى الثانية وكان عمر ذا لين ومحافظة .

اسلامهما

كان أبو بكر أول من أسلم من الرجال، بلا تردد ، فلم يكن بينه وبين النبي أو بينه وبين المسلمين أى عداء أو مقاومة ، أما عمر فأسلم بعد نضال ومقاومة لدعوة الاسلام ولمن يعتنق الاسلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، الا ما كان من أبى بكر ما عتم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه .

وقد يفهم من هذا أنه قبل الاسلام من غير نظر عميق وحسن تدبر ، أو أنه اندفاع كانت تنقصه الروية . لكننا اذا لاحظنا أن أبا بكر لم يسجد فى الجاهلية لصنم قط ، وأنه اذ قاده ابوه يوما الى مخدع الأصنام ليسجد لمعبودهم أخذ يسأله . اني جائع فاطعمني ، اني عار فاكسني .. ولم يكن يتوقع اجابة وانما هو اظهار لما فى نفسه من استخفاف بهذه الالهة ، .. وأخيرا رمى صنمهم بحجر تلاه لوجهه ومضى ، وهو اذ نفر من هذه الحالة الدينية قابل فى الجزيرة وفى الشام بعض المتحنفين الذين عرفوا الله ، ونبذوا الوثنية ، وبشروا بنبي من العرب أظل زمانه . فأبو بكر لا يكتفي برفض الوثنية وانما يترقب فى نفسه الديانة الصحيحة ، وهو قد عرف محمدا من قبل ، وقدر ما فيه من صدق وأمانة وفضل وأخلاق هي أخلاق النبوة الأولى ، لهذا ولما عرفه من قبل من تبشير ورقة بن نوفل وبحيرى الراهب بنبوته قبل أبو بكر دعوة الاسلام بلا تردد .

ولا نقف طويلا عند هذه المسألة ، ولكننا نجد عمر الذى حارب الاسلام والمسلمين قبل اسلامه يدخل الاسلام فى لحظة سريعة تماما كصاحبه ولمجرد سماعه آيات من القرآن الكريم .

ودخل عمر الاسلام بحمية كالتي كان يحاربه بها ، وأعز الله به الاسلام والمسلمين ، لكننا نجد لاسلام أبي بكر أثرا لا يقل عن هذا الأثر ، ولا يتضاءل بجانب أثر عمر ، والفارق بين الأثرين هو الفارق بين طبيعة الرجلين .

عمر يجهر باسلامه فراح يذيعه ويخبر به أشد الأعداء خصومة ولددا . بكر يدق باب أبى جهل ليخبره فى تحد أنه دخل الاسلام ، وغاظ ذلك أبا جهل حتى ضرب بابه فى وجه عمر . كذلك ذهب يخبر جميل بن معمر الثقفي لما يعرف من حبه اشاعة الأنباء وبث الحديث — وأثار جميل عليه عامة قريش فقاوموه وقاتلوه وهو يقول . افعلوا ما تريدون فوالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم او تركتموها لنا ، وهو الذى جعل المسلمين يجهرون بالآذان، ويخرجون الى الحرم للصلاة — فلما استجاب له الرسول خرج بين صفين : فى أحدهما عمر ، وفى الآخر حمزة ، ولهما كديد ككديد الطحين ، فدخلوا المسجد ، وقريش تعلوها كآبة ، ولا يجرؤ أن يقربهم عاقل ولا سفيه .

ولسنا بحاجة الى بيان ما لهذا من أثر فى الاقبال على الاسلام .

وقد ناصبت قريش عمر العداء ، وصممت يوما على قتله ، وبات الوادى من حول بيته يسيل بالأعداء ، وبات عمر نفسه خائفا يترقب حتى أجاره العاص ابن وائل ، فزاده هذا الجوار جرأة .

أما أبو بكر فلم يصحب اسلامه كل هذه الجلبة ، ولكن كان من مبادرته لقبول الاسلام واصراره على القيام بشعائره جهرا أيضا ودعائه اليه ذوى الوجاهة والظهور من قريش أثر ايجابي ، له أثره العظيم فى الاقبال على الاسلام .

دعا أبو بكر عددا ممن كان لهم أثر أىأثر فى الفتح الاسلامي والفكرالاسلامي جميعا. دخل الاسلام بدعوته عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، وأقنع بدعوته أباه وأمه ، فحول البيت كله الى بيت اسلامي . كذلك ألح وأكثر من الالحاح على النبي أن يظهر بالمسلمين فى نواحي المسجد وأن يجهر بخطبته بين المسلمين لتسمعها قريش ، وكان المسلمون يومئذ قلة دون الأربعين . وعادت قريش أبا بكر وآذته ايذاء أشفى به على الموت ، وهم بالهجرة . فلما أبعد عن مكة قليلا رده ابن الدغنة ، وأجاره من قريش على نحو ما فعل العاص بعمر ، وقد كان لأبي بكر مسجد أمام بيته وكان اذا صلى فيه ورتل القرآن بكى ، فيجتمع عليه الناس حتى شكت قريش الى ابن الدغنة ، فقال لأبي بكر لم أجرك لتؤذى قومك . فرد أبو بكر عليه جواره وقال حسبي جوار الله .

وموقف أبى بكر يوم الاسراء لا ينسى أثره فى اعادة المرتدين الى الاسلام وقطع ألسنة الساخرين ، لقد لفت الناس الى ناحية الاعجاز الالهي وقوة السماء ، قال انا نصدقه فى الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار ، فهذا أعجب مما تعجبون منه .. والذين كذبوا الخبر ، واستبعدوا وقوع الحادث نظروا اليه من الناحية المادية ، وقاسوه بطاقة البشر ، ولو التفتوا الى ما فيه من معجزة ومدد الهي ما كذبوه .

ففضل أبي بكر دعا الى الاسلام ما دعت اليه قوة عمر .

موقفهما يوم وفاة الرسول

ونذكر فى جانب القوة والفضل جميعا موقفهما يوم مات الرسول عليه الصلاة والسلام . كان عمر هو الذى سبق الى بيته وكشف عن وجهه ، فذهبت الصدمة بلبه حتى ظنها غيبوبة أو غيبة سيعود منها . وخرج الى المسجد يخطب الناس « ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات وانه والله ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى الى ربه ... ثم رجع اليهم بعد أن قيل قد مات .. والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى .. الخ .

وعجز المغيرة بن شعبة أن يقنعه أو يهدئه ، فوقف يعلن ما يعلن فى الناس وهم من حوله ذاهلون .

وجاء ابو بكر ، فدخل على النبي أيضا ، فلما كشف عن وجهه ، وأيقن موته قال : طبت حيا وطبت ميتا .. بأبى أنت وأمي ... الخ . وخرج الى المسجد والناس حول عمر فناداه . على رسلك يا عمر أنصت .. ولم ينصت عمر ، ولكن الناس انصرفوا الى ابى بكر ، فخطب فيهم خطبته المشهورة ... من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت .. وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

وبهذا فاء عمر الى رشده ، وقال : كأني لم أسمع هذه الآية من قبل .

لم يكن أبو بكر اذن ضعيفا ولم يكن عمر ناقص الفضل .

ومن الممكن أن نقول ان أبا بكر كان فى هدوئه أحكم وأعمق ، وان عمر كان أنشط وأمضى . وهو تمييز تقريبي ولا ريب لأنه لا تنقص عمر الحكمة ولا ينقص صاحبه النشاط .

والفرق بين الرجلين هو الفرق بين طبيعتين قبل كل شيء ، ولكن نضيف لذلك أن ابا بكر عرف محمدا صلى الله عليه وسلم قبل نبوته ، وربط بينهما من الصلات ما لم يكن لعمر ، وأحبه أبو بكر أيضاوأعجب بصفاته وأخلاقه ، فلما آمن برسالته أحبها أيضا ، وأعجب بها ، وكان نتيجة ذلك الحب وذلك الاعجاب بالرسالة والرسول أن استسلم لتعاليم النبي استسلاما ملك عليه كل جوارحه ، فلم يناقش النبي فى مسألة أو يحاجه فى شأن عمل ، وانما أصبح جنديا للهولدين الله وطوع اوامر الرسول ، يؤمر فيطيع ، ولا شيء وراء هذا .

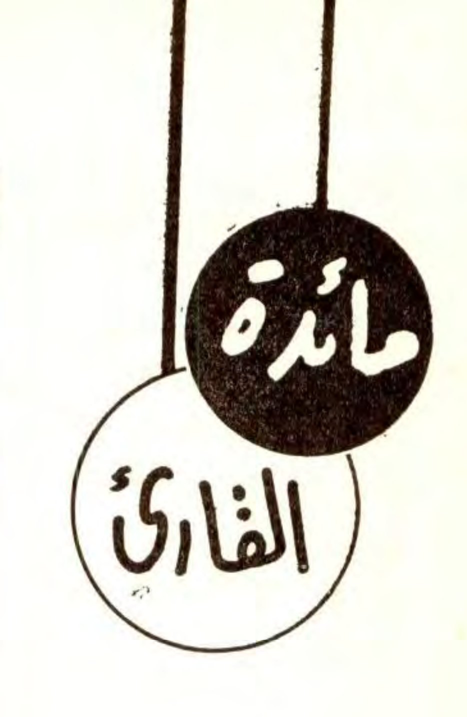
أما عمر فقد تأخر اسلامه ريثما يقتنع ولم يكن فى جاهليته نافرا من عبادة الجاهليين وعاداتهم . وانما كان لها فى قلبه نصيب فلم يتركها الا بعد بحث الاسلام والاقتناع به. فهو لهذا ولطبيعته أيضا يسأل ، ويجادل حتى يقتنع ، وقد يقترح على الرسول وكثيرا ما أيد الوحي اقتراحه ، وكثيرا ما اقتنع بخطته فى الاقتراح وفى الجدال .

ويفسر طبيعة الرجلين موقفهما من صلح الحديبية ، فقد ظنه الصحابة مجحفا بالمسلمين ، وغضب له عمر وغير عمر ، وقبله أبو بكر راضيا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه . وفى حدة الجدال بينهما لا يزيد أبو بكر على أن يقول لعمر الزم غرزك فاني أشهد أنه رسول الله .

واذن فرسول الله فى نظره اكبر من أن يحاج ويعارض ، ولذلك لم يحاججه من قبل أو يعارضه كما كان يفعل عمر .

وتمضي الأيام بالرجلين فاذا أبو بكر خليفة بعد رسول الله ، واذا الرجل اللين

البقية على ص ٦٢



على مائدة الخمر

رفع قوم شربوا الخمر الى عمر بن عبد العزيز ، فأمر بجلدهم ، فقيل له ان فيهم فلانا وقد كان صائما ، فقال ابدأوا به ، أما سمعتم قول الله تعالى (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم) .

أربعة ضائعة

سراج فى الشمس ، ومطر فى سبخة ، وحسناء عند عنين ،وطعام عند سكران .

مثاليــة

روى أن عبد الحميد لقي ابن المقفع فقال له : بلغني عنك شيء أكرهه ، فقال : لا أبالي ، قال : ولم ؟ قال : لأنه ان كان باطلا لم تقبله ، وان كان حقا عفوت عنــه .

الى الميدان ...

قالت أمية بنت قيس الغفارية : اتيت الرسـول صـلى الله عليـه وسلم فى نسوة من غفار ، فقلنا : يارسول الله قد أردنا الخروج معك الى وجهك هذا — وكان يسير الى خيبر — فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : على بركـة اللـه .

الصغيرة والكبيرة

ذكر ابن عباس فى تفسير قول الله عز وجل : لا يغادر صغـيرة ولا كبـيرة الا أحصاها ، قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحـك .

لا تحتاج الى تأويل

سئل الجاحظ : ما تأويل هذه الآية « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » ؟ فقال : تأويلها تلاوتها .

ضمان

استقرض الاصمعي صديق له ، فقال : حبا وكرامة ، ولكن سكن قلبي برهن يساوى ضعف ما تطلبه ، فقال : يا أبا سعيد أما تثق بي ؟ قال : بلى وان خليل الله كان واثقا بربه ، وقد قال له : ولكن ليطمئن قلبي .

سائل لبق

وقف اعرابي على حلقة الحسن البصرى ، فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسي من كفاف ، أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الاعرابي احدا منكم حتى طالبه بالصدقة .

صلح ... وسلح

قال بعض الادباء فى مجلس الوزير ابي الحسن بن الفرات : تقام السين مقام الصاد فى كل موضع ، فقال الوزير أتقول : « جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم » . ام سلح ، فخجل الرجل وانقطع عن مجلسه .

رد مفحم

قال يهودى لعلى – كرم الله وجهه – مالكم لم تلبثوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم ؟ فقال علي : ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم : يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ؟

بين عجوز وزوجها

قالت عجوز لزوجها : أما تستحي ان تفعل ما يوجب رجمك ، ولك حلال طيب قال : أما حلال فنعم،وأما طيب فلا .

أثكلتها القافية

ام البنين ابنة عامر بن عمر وزوج مالك بن جعفر ، وأبناؤها : ملاعب الاسنة ، وطفيل الخيل ، وربيع المقترين، ونزال المضيف ومعوذ الحكماء ، وقد ورد فيها قول لبيد :

نحن أم البنين الاربعة

وقد أثكلتها القافية ولدا ، والا فهم خمسة .

سؤال وجواب

قال ملك لوزيره : ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال : عقل يعيش به ، قال : فان عدمه ؟ قال : أدب يتحلى به قال : فان عدمه؟ قال : مال يستره . قال : فان عدمه ؟ قال : صاعقة تحرقه وتريح العباد منه .

تربية عربية

كانتأم الفضل بنت الحارث تقول وهي ترقص ابنها عبد الله ابن عباس :

ثكلت نفسى وثكلت بكرى

ان لم يسد فهرا وغير فهر

بالحب الوافي وبذل الوفر

بقية فى مدرسة النبوة

الهادىء أشد ما يكون صلابة فى اقامة الدين والمحافظة على سنة الرسول حتى ليبدو عمر القوى الشديد أقل منه صلابة وأقرب الى اللين .

لم ير عمر أن يخوض المسلمون حروب الردة فأجابه أبو بكر أن ماذا يا عمر ؟ أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام ؟ والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه لرسول الله لحاربتهم عليه . ومع ما فى هذه العبارة من روح المحافظة فان أبا بكر لم ينقصه التطور . بل كان أسبق اليه من عمر .

وأصبح عمر خليفة أيضا .

واذا الصارم العنيف يهدأ ويلين ، ويرفق حتى لتراجعه امرأة من رعيته فيقبل مراجعتها ، ولا شك أن رصيده من التجارب الطويلة ألان من حدته ، وكفكف من غرب اندفاعه ، وأقنعته الحوادث بقصر نظره بجانب الرسول فى حوادث شتى منها صلح الحديبية الذى تبين فيما بعد أنه كان برا وبركة على المسلمين حتى طلبت قريش أن تتنازل عما طلبته لنفسها فى هذا الصلح من شروط .

ومنها موقفه من الصلاة على عبد الله ابن أبي .

وقد كان عبد الله من أشد أعداء المسلمين لددا ، وهو الذى مشى بقالة السوء بين الناس وكادت دعوته تحدث فرقة بين المهاجرين والأنصار ، واقترح عمر يومئذ قتله ، وأراد ابنه أن يقتله ان اراد النبي ذلك ، ولكن النبي قال انا لا نقتله بل نرفق به ، ونحسن اليه ما دام فينا ، فلما مرض طلب قميص النبي ، ليستشفى به فوجهه اليه ، فلما مات قام يصلي عليه ، فوقف عمر فى صدره يصده وهو عليه السلام يبتسم ، ويقول أخر عنى يا عمر .

وصدقت فراسة الرسول ، اذ أسلم ألف من أتباعه اذ رأوه يستشفى ببردة الرسول .

وشبيه بهذا موقفه من سهيل ابن عمر .

كان خطيبا مفوها اعتاد أن يشن بخطبه حروبا على المسلمين ، وأسر يوم بدر ، فاقترح عمر أن تخلع ثنيتاه السفليان ، وكان أفلج واذن فلن يستطيع الكلام فضلا عن الخطابة .

ورفض النبي هذه العقوبة قائلا لعمر عسى أن تراه فى موقف لا نذمه فيه . ورآه عمر فى حرب الردة يخطب ضد المرتدين بما هو أقوى من السيف ، فتذكر موقفه وكلمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وخالف عمر أبا بكر فى توزيع الفيء ، فلم يسو بين الناس وانما قسم بحسب منازلهم ، لكنه ما لبث أن رجع عن طريقته ، وأعلن أنه سيقسم حسب الرءوس لا حسب البيوت . لان عمر لرعيته ولكنه اشتد على نفسه وعلى ولاته ، حاسب نفسه أعنف حساب ، وجار عليها ، وحاسب ولاته ، ولم يجر عليهم ، ورفق برعيته رفقا عظيما الا أن يخرجوا عن حدود الله .

مهما يكن من شيء فهذان الرجلان من أعدل ما شهد التاريخ ، وأنقى ما شهد التاريخ ، وأنفع ما شهد التاريخ للمبادىء العليا ولاسعاد الأمة وبناء الدولة ، ولا عجب فهما أيضا من أنبغ وأوعى ما أنجبت مدرسة النبوة .

بعض الدجالين الذين يندسون بين صفوف مشايخ الطرق بملابسهم القذرة المهلهلة التي يظنون انها دليل على تصوفهم ، هؤلاء استطاعوا ان يسيئوا الى الصوفية لفترة طويلة وساعد على انتشار هذه الصورة المشوهة عن الصوفية فى اذهان الناس ما سمعناه من قصص تاريخية عن بعض المارقين والمنبوذين الذين كانوا يتظاهرون بالدين فى سبيل الحصول على المناصب والامتيازات .

ومما قالوه : يكفى ان لدينا ٦٣ شيخ طريقة يتبعهم خمسة ملايين داخل جمهوريتنا ، وعشرة ملايين فى البلاد الاسلامية الاخرى وهؤلاء جميعهم يربطهم تاريخ قديم فالجنس البشرى عرف التصوف قبل الاديان السماوية وعرفه من الاغريق ثم من الهنود ، وجاءت بعد ذلك الاديان لتهذيب فكرته ، ولتضع اهدافه الجديدة فى خدمة رسالتها وحملها الى كل العباد ، ولم يعرف المسلمون حكمة التصوف الا عندما ترجمت الكتب اليونانية الى اللغة العربية فىعصر العباسيين وعندماوصلت هذه الدعوة الى مصر التي تدعو الى الاتصال بالله عن طريق الزهد والمعرفة .

ونحن بدورنا نسأل علماء الجيل ولجان الفتوى فى العالم الاسلامي : هل كانت مهمة الرسل الربانية تجديد الصوفية اليونانية والهندية وحملها الى كل العباد ؟ ..

ثم ختمت المجلة التحقيق بما اجاب فضيلة الشيخ احمد الشرباصي وهو :

توجد دراسات كثيرة حول التصوف ونشأته ولكن من المؤكد ان التصوف بطرقه المعروفة وصوره الشائعة بين الناس لم يكن معروفا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فى عهد خلفائه الراشدين ولا من قرب منهم فى العهد والتاريخ واذا كان هناك خلاففىموضوع التصوف وحتى فى نشأته واسمه فان الغالب على الظن هو ان الاتجاه الصوفي قد شاع فى المجتمع الاسلامي بسبب ضعف الاقبال على الدين .

فرأى الدعاة والزهاد ان يقوموا بحركة مضادة لهذا الشغف بالدنيا ومتاعها ، ويبدو ان بعض الذين انتسبوا الى هذا الاتجاه اسرفوا فيه قليلا او كثيرا ، فخرجوا به عن سواء السبيل ، ثم تعقدت الامور بعد ذلك ، وظهرت العناية بالاشكال والصور اكثر من العناية بالمبادىء والقيم ، وفى ظل هذا الانحراف تكاثرت الطرق الصوفية ما بين مستقيم ومعوج وبعيد عن روح الاسلام ، **ومع هذا نستطيع اذا تذكرنا الهدف الاساسي لاعلام الصوفية الذين احسنوا الجمع بين احكام الشريعة ومبادىء التصوف ، وعنوا بتطهير النفس البشرية من أدرانها وشهواتها ان نقول ان الهدف الاسمى للتصوف هو تحقيق صفة الاحسان التي يفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ((الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)) ومتى بلغ الانسان هذه المرتبة سيطرت عليه روح المراقبة فلم يرتكب فى الانفراد والاجتماع بالناس ما يسيء الى دينه او يغضب خالقه ولكن السؤال الذى يحتاج الى جواب هو ما مدى قرب او بعد الطرق الصوفية القائمة بأشكالها وصورها من هذا الاحسان الذى اشار اليه رسولنا الكريم ؟ ..**

أسواق العرب
في الجاهلية والإسلام

محمد موسى

للدكتور :
محمد كامل الفقي
الاستاذ المساعد بكلية الدراسات العربية بجامعة الأزهر

العرب منذ فجر التاريخ أمة تجارية ، قامت علاقة التجارة بينها وبين فارس والروم ومصر والحبشة وغيرها .

وبلاد العرب لم تكن سواء في الجدب والنماء ، فجل اليمن زرع وثمر ، على غير ما نجده في نجد ، وبعض الحجاز واد غير ذى زرع ، وبعضه ذو خصب يزرع .

يقول الألوسي : (وأما أهل اليمن وعمان والبحرين وهجر ، فكانت تجاراتهم كثيرة ، ومعايشهم وافرة ، لما في بلادهم من الخصب والرخاء ، والذخائر المتنوعة ، والمعادن الجيدة ، وغير ذلك من أسباب الثروة والغنى ، وأما أهل نجد فكانوا دون غيرهم في الثروة والتجارة . لأن الغالب على ارضهم الرمال ، فكانت بلادهم دون بلاد سائر العرب في رفاهية العيش ورواج التجارة) .

فللعرب شأن اى شأن فى التجارة ، وقيام المعاملة بينهم وبين غيرهم من الدول المحيطة بهم ، وبينهم وبين أنفسهم .

وقد كان الأنباط يختلفون بين بلاد الشام والحجاز والعراق فى الجاهلية ، أما الحجازيون فقد كانت التجارة من أهم مرافق الحياة عندهم ، حتى صار لبعضهم فيها شهرة عظيمة ، وصيت بعيد ... ويمكن أن يقال ان تجارة التمر والشعير والقمح كانت خاصة بهم فى شمال الحجاز (١) .

ولأمر ما حفل القرآن الكريم بذكر التجارة ، وأدارها فى غير موضع منه ، وترددت عبارات : التجارة والبيع والشراء والكسب والقرض والربافى جوانب عدة من سورة البقرة . يقول الله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » (٢) . « ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياى فاتقون » (٣) . « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » (٤) . « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » (٥) . « ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » (٦)
« ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ،

---

(١) ص ٢٢ من أسواق العرب لسعيد الأفغاني نقلا عن تاريخ اليهود فى بلاد العرب .
(٢) الآية ١٦ (٣) الآية ٤١ (٤) الآية ٧٩ (٥) الآية ٨٦ (٦) الآية ١٠٢

ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار »(١)

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد » . « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » (٢)

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه، ولا خلة ، ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون » (٣) « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض » (٤) . « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع ، وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى ، فله ما سلف ، وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات » (٥) . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » ... الى قوله : « وان كان ذو عسرة » .... الآية . « يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » الآية ... » (٦) .

وفى لغة العرب وفى أشعارهم وأمثالهم فيض من الألفاظ الدالة على المال والربح والقرض ، سواء استعملت فى معانيها الوضعية ، أم أريد فيها التجوز ، وفى هذا كله ما يدل على شغف العرب بالتجارة ، وشدة احتفالهم بها ، وتعويلهم عليها ، وأنها أهم مصادر حياتهم .

كان ذلك شأن التجارة فى الجاهلية ، فتون بها ، وتوفر عليها ، فلما أشرقت شمس الاسلام لم تفتر سوقها ، فهي عمل وكفاح ، والاسلام دين العمل والكفاح ، والنبي صلى الله عليه وسلم أخذ قبل الرسالة بحظ منها ، فكان أروع الأمثال فى الأمانة ، وقد رأينا الاسلام ينظم شؤون التجارة ، ويبين حلالها وحرامها ، ويضع لها دستورا يكفل حق المعاملات كافة ..

الاسلام ينظم شئون التجارة

وهنا التفاتة الى امرين كلاهما يفصح أشد افصاح عن تداول التجارة بين العرب، واستغراقهم فيها .. فالله سبحانه وتعالي يقول : « قل ان كان أباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » . (٧)

وهذا القول الكريم انما يبين مدى حبهم للتجارة وغلوائهم فيها .

وهو سبحانه يقول كذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع .. » (٨) . « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض » وقد قال الزمخشرى فى تفسير الآيتين . ان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم ، وينصبّون الى المصر من كل أوب وقت هبوطهم واجتماعهم .. وعند اغتصاص الاسواق بهم ، اذا انتفخ النهار ، وتعالى الضحى ، ودنا وقت الظهيرة، حينئذ تنشط التجارة ، ويتكاثر الشراء ، فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد ، قيل لهم بادروا الى تجارة الآخرة ، واتركوا تجارة الدنيا ، واسعوا الى ذكر الله الذى لا شيء أنفع منه وأربح ..

هذا ولا يظن ظان أن النهي عن البيع فى هذا الوقت من يوم الجمعة يراد به ما بعد نزول الآية فحسب ، انما هي لشره التجارة وحدتها قبل النزول ، فهي تروض المؤمنين من قبل ومن بعد ، على ايثار الصلاة على البيع والشراء ، وآثارها المادية .

وقد تطلع التجار الى الوحي أن يبين لهم أثمان السلع ، فيشتروها اذا انحط الثمن ، ويبيعوها اذا ارتفع وعلا ، ليزيد ذلك فى اموالهم حتى نزل قوله تعالى : (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب

---

١ – الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥ ٢ – الآيتان ٢٠٧ و ٢٤٥ . ٣ – الآية ٢٥٤
٤ – الآية ٢٦٧ ٥ – الآيتان ٢٧٥ و ٢٧٦ ٦ – الآيات ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢
٧ – الآية ٢٤ من سورة التوبة ٨ – الآية ٩ و ١٠ من سورة الجمعة

لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) . (١)

هذه الديباجة تكشف عن ولوع العرب بالتجارة فى جاهليتهم واسلامهم . وعن نشاطهم فى عرض سلعهم ، وهي تتأدى بنا الى القول بضرورة اقامة الاسواق فى أهم مدن الجزيرة ، وفي أعظم مواسمها ، تغدو القوافل اليها من مختلف الجهات، وتعرض ما حملته من شتى السلع ، يتلقاها الطالبون فى رغبة وانتظار ، وقد كانتهذه الاسواق تمشي على نسق دقيق ، ونظام تجارى محكم ، وتؤدى الى الغاية التي يؤديها العمل الذى تهيمن عليه الحكومة ، ويخضع لسلطانها .

ولو ان هذه الاسواق ظلت تحمل الطابع التجارى وحده ، ولم يكن هم روادها الا البيع والشراء ، والكسب والمغانم ، لما حمل التاريخ كثيرا من خيرها ، وما نقلت الآثار الا النزر اليسير من أحوالها وأمورها ، ولما كان لها بحياتنا الادبية صلة ، ولما اهتم دارسو الادب الجاهلي والاسلامى بدرسها والبحث والتنقيب فى آثارها ، ولما شفت عن صور ناطقة من حياتهم الاجتماعية والسياسية وغيرها .

لكنها صارت فيما بعد كما سنبينه بالتفصيل ـ مواسم اجتماعية ، ومؤتمرات أدبية نابضة بالحس والحياة ، وكانت نبعا لدواوين ادب وشعر ، نجد فى درسه ومتابعته متعة للنفس والروح ، ثم هى بهذه المثابة كفلت تراثا مجيدا للعروبة وآدابها ورواياتها ما كنا نغنمه لو لم تكن هذه الاسواق التي تشغل العام كله ، وتتنقل فى خلاله من مكان الى مكان ..

تأمين أسواق العرب التجارية

كان للعرب اشهر حرم تضع فيها سلاحها ، حتى يلقى الرجل قاتل أبيه ، فلا يتعرض له بأذى ، وهذه الاشهر هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، وأطلقت العرب اسم حروب الفجار على حروب قريش وهوازن فى عكاظ ، لفجورهم باقتتالهم فى الشهر الحرام ، وسموا رجبا بالاصم لانه كان لا ينادى فيه (يا صباحاه) ولا (يا لفلان) فيقطع فيه صوت الاسلحة ، وفى هذا المعني يقول الطبرى : وتسمى مضر الشهر الحرام بالاصم لسكون اصوات السلاح فيه (٢) .

وحين أوفد النبي صلى الله عليه وسلم سرية عبد الله بن جحش تترقب عير قريش وتعود بخبرهم ، فقتلت السرية عمرو بن الحضرمي فى نخلة بين مكة والطائف ، وحضرت السرية بالعير وبالاسيرين الى رسول الله (صلى الله عليهوسلم) غضبب النبي (صلى الله عليه وسلم) من اقدام السرية على القتل فى رجب ، وأبى أخذ الخمس من الغنائم ، وراح من بالمدينة يدافع عن عبد الله وصحبه بقولهم : انقتل الحضرميكان أول شعبان، ثم تشدق أعداء الاسلام من قريش بهذا الحادث وراحوا يشيعون بين الناس ان محمدا وصحبه انتهكوا حرمة الشهر الحرام ، وأخذوا الاموال وأسروا الرجال ، وأهاجوا بذلك العرب علىالنبى، ومن معه حتى نزل قوله تعالى : (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وأخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) . الآية (٣) .

ولشدة تعظيم العرب لرجب قيل له رجب مضر ، ولم يكن يستحله « الاحيان » : خثعم وطىء (٤) .

اقام العرب أغلب أسواقهم فى الاشهر الحرم ، لتقوم تجارتهم فى حمى الامن ، وفى ظل الاستقرار، وليكونوا بأموالهم فى منجاة من الفتن وأهوالها ، والحرب ووبالها ، وذلك هو الذى كفل لقريش التي تسكن الحرم ان تكون لها الزعامة فىالتجارة.

---

(١) الآية (١٨٨) من سورة الأعراف .
(٢) جـ ٢ : ٢٠١ ـ يقول المرزوقي . وكانت العرب تعظم رجبا وتسميه منصل الأسنة ومنصل الآل لأنهم كانوا ينزعون الأسنة من الرماح والحراب توطينا للنفس على الكف عن المحظور فيه فى مذهبهم جـ ١ ص ٨٩
(٣) الآية ٢١٧ من سورة البقرة . (٤) الأزمنة والأمكنة ١ : ٩٠ .

فى رجب كانت تقوم سوق حباشة وصحار ، وفى ذى القعدة كانت تقوم سوق حضرموت ، وفى ذى القعدة وذى الحجة كـــانت تقوم عكاظ وذو المجاز .

لكن قيام الاسواق لم يطرد فى الاشهر الحرم ، ولم تنتظم جميعها فى خلال حرماته ، يقول المرزوقي: (قال ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى فى اسناد ذكره : ان اسواق العرب الكبيرة كانت فى الجاهلية ثلاث عشرة سوقا ، فأولها قيامـــا سوق دومة الجندل ، وهي على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة وعلى عشر مراحل من الكوفة وعـــلى عشر مراحل من دمشق ، ثم صحار . ثم دبا ثـم الشحر ، ثم رابية حضرموت ، ثم ذو المجـــاز ، ثم نطاة خيبر ، ثم المشقر ثم حجر باليمامة ، ثم منى ، ثم عكاظ ثم عدن ، ثم صنعاء ، وكانت هذه الاسواق منها ما يقوم فى الاشهر الحرم ، ولا يقوم فى غيرها ، ومنها ما لا يقوم فى الاشهر الحـــرم ، ويقوم فى غيرها ، لكن أحدا لا يصل اليها الا بخفير ، ولا يرجع الا بخفير [1] .

فالعرب لم يكونوا في شتى أسواقهم ،ومختلف احيانهم يوقرون حرمة هذا الشهر ، وقد كان مما يحط من شأن القبيلة ، ويزرى بها بين أقرانها أن تهتك قدسيته ، وتحمل فيه سلاحها . يقول ابن هشام : أتى آت قريشا فقال : ان البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعكاظ [2] وقد قال ذلك استعظاما لهذه القتلة ، واستنكارا لذلك الاثم ..

وكما حرم العرب على أنفسهم أن يقتلوا فـى هذه الاسواق ، اذ كانت تقع فى الاشهر الحرم ، كان الاغريق يحرمون على انفسهم ان يقتتلوا فى مجامعهم التي سبقوا العرب اليها ، باحتشـادهم فى (الجمناسيوم) للالعاب البدنية التي كـانوا يقيمونها كل اربع سنين كلما حجوا هيكل المشترى فى اولمبية ، فلما استوثق لهم الامر ، وتأيد الملـك كانت عاقبة امر هذه المجامع ان اصبحت انديـة لانشاد اشعارهم ، وعرض افكارهم ، ومن اثر ذلك كان اطلاق لفظ الجمناسيوم اليوم على دور التعليم فى اوروبا وعلى الاخص فى ألمانيا [3] .

أسواق التجارة مؤتمرات أدبية

وبصدد مشابهة اسواق العرب للاندية الرياضية يقول سيديو : (أنشأ العرب اسواقا عامـــة يتعارفون فيها ، فلم تكن هذه الاســواق فى عكاظ ومجنة وذى المجـاز سـوى مؤتمرات للشـعر فى الحقيقة خالية من التحكم على النفوس .

ولا شيء اروع من تلك الاســـواق على ما كان يسودها من البساطة ، فقد كانت تشابه الالعاب الاولومبية ، فكأن ينهض مقاتل شجاع متزن الخطا أمـام الجمهور ، صامت جامع لحواسه ، لم يكن عليه من الزينة ما يشير الى أنه مـن طبقة عالية ، فكانت الابصـار تشخص اليه ، فينشد بصوته الرخيم من فـوق مرتقى قصيدة بأسرها ، فتراه يترنـم بأعماله السامية ، وشرف عشيرته أحيانا ، وتراه يمدح القوة والشجاعة احيـانا ، وتراه يصور عجائب الطبيعة وعزلـــة الصحراء والمناهل المبتغاة ، ويصـــف الغزال أحيانا ، وذلك على حين يســير الجمهور مع المشاعر التي يود الشاعر أن يومىء بها اليــه ، فيشــاهد على وجهه المتنبه ، علائم الاعجاب بالبطل الصابـر فى الضراء ، كما تشاهد علائم احتقـار الجبان النذل ، وما كان المستمعـــون يخفون عواطفهم ، والشاعر كلما توسم اعتراف الجمهور بقدرته ، عاد الــــى نشيده بحماسة جديدة .

(يتبع)

---

١ — الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٦١

٢ — سيرة ابن هشام طبعة أوربا ١١٨

٣ — هامش تاريخ الادب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ١٥ .



ردٌ فِرْيَة

ليس الإسلام شهوانياً ولا يناهض العقل

لفضيلة الشيخ عبد العزيز خياط
عميد كلية الشريعة
عمّــان

دعني اسكب نفسي في ذوب من العطر : فقد سـئمت روائح العفــن !
دعني ابدد من حواليّ أنفاس السموم تلقي بها ريح الشبهات، فقد اشتقت الى أريج الزهر تلقي بها رياح الجنان !
دعني انقط من ذوب العطر على يديك ، والقي من أرجه أمــام أنفاســك !
وأى عطر هذا غير عطر الاسلام ؟
وأى اســلام !
اسلام غلّف حقه أباطيل الشبهات ، ودسائس الحانقين فمنعوا العطر أن يفوح ، والأريج ان يعبق !

كان هذا (الاسلام) الدين القيــم ، واضح المعالــم ، بيّن الآيات ، ظاهــر الحجة ، يوم فقهه محمد صلى الله عليه وسـلم وحمله أصــحابه فى عهده وبعد مماته ، فنشروه فى الآفاق ، وهدوا بــه الضالين ، وأناروا به السبل ، فأقبــل عليه الناس من كل جانب ، وتدارسوه فى كل قبيل، وتعلم لغته أهل كل لسان ، حتى انتشرت اللغة بانتشار الدين فى كل صقع ، وأصبحت اللغة العربية أوســع اللغات انتشارا ، وأصبح الاسلام ديــن الأكثرية ، قمع الله به حجة المجــوس وباطــل الهندوس ، وأزال بــه لجلجة المجادلين ، وتجادل أهل الدين وأدال به دولة الفرس ، وخضد به شوكةالرومان، وأصبح للمسلمين الشوكة والسلطان ، والظهور والقوة ، وقد كانوا أمة أميــة متفرقة ضائعة ، لا يجمعها كيــان ، ولا توحدها دولة ، ولا ينتشر لها عرفان ..

فكان عطر الاسلام ، هو الطيب الذى يسيطر على أجواء الـكون دهورا بلغت عدتها اكثر من الف وثلاثمائة عام ..

الدس على الاسلام

وعلى الرغم من أولئك الذين هالتهم قوة الاسلام فىدولته ، وروعته فى حكمه، ونصاعته فى أحكامه ، وتفاعله مع أتباعه،

فأخذوا يدسون فى الدين ما ليس منه ، بطريقة خفية خبيثة كالذى فعله كعب الأحبار فى الاسرائيليات ، وابن سبأ فى السياسيات والعقائد ، والوضاعون فى الأحاديث ، والزنادقة فى الأدب ، والمنافقون فى أحاديث النسب والمدح ، والمتصوفة فى الحلول ووحدة الوجود ، على الرغم مما فعله هؤلاء فقد ظل فى المسلمين من يقرع الحجة بالحجة ، ويزيل الباطل ببرهان الصدق ، حتى ضعف أمر المسلمين وهانت قوتهم ، وابتعدوا عن ينابيع الاسلام فى تفكيرهم وأحكامهم ، فبدأ الغربيون من المستشرقين وأشباههم يدسون على الاسلام ويكيدون له بطرق متعددة ، وأفكار متجددة ، ادخلوها الى الاسلام فى دولة المسلمين ، وأزيل حكم الاسلام عن بلاد المسلمين ، وتوزعها الغرب اسلابا ممزقة الأوصال ، وقسمها الى عالم اسلامي ، وعالم عربي ، ثم قسم العالم الاسلامي الى دول متفرقة ، وجزأ العالم العربي الى اشلاء ممزقة استعمرها – وما زال يسيطر على قسم منها – ثم لما استقل عنه بعضها كان قد افلح فى ابعاد الاسلام عن دساتيرها وقوانينها ..

وقد وردني منذ أيام كتاب من مستفسر هاله ان يسمع من صديق له أن الاسلام شهواني وأن محمدا عليه السلام قد سن للمسلمين تلك السنة بتعدد زوجاته فتذكرت ان المستشرقين منصفين ومغرضين قد تعرضوا لكثير من المسلمين بأمثال هذه الشبهات فما كان ولزود وزى وجولد تسهير وكارليل وجيلمان ودرمنغهم وغريم ونولدكة ومرجليوث وماكس مايرهوف وبرتلمي سانت هيليار وهوار ومونته وريون ، من المنصفين ، وزويمر وجب ولامانس وسبرنغر وريتان وغيرهم من المغرضين ، الا متعرضين لذلك بتحامل أو بغير تحامل ، ومن ذلك ما ردده تنمان(١)

قائلا (العرب شعب مجبول على استعدادات قوية وثابتة ، ولقد كان اولا صابئيا ثم استمد حماسته دينية وحربية من دين محمد المتوفى سنة ٦٣٢ م وهو دين شهواني وعقلي معا(٢) . ثم يتحدث عن العقبات التي عاقت الفلسفة عن التقدم عند العرب ويرجعها الى : –

١ : – كتابهم المقدس الذى يعوق النظر العقلي الحر .

٢ : –حزب أهل السنة وهو حزب متمسك بالنصوص .

٣ : – ما فى طبيعتهم القومية من ميل الى التأثر بالاوهام (٣) .

أهذا الاسلام شهوانى ؟!

أية أحكام جائرة يلقيها هذا وأمثاله ؟

ان كان فى شخص رسول الاسلام – فما عرف عن محمد صلى الله عليه وسلم انه خاض فى لهو أو سار فى عبث ، أو أعجبه هذا الذى يعجب الفتيان فى سنه يوم كان شابا فى مقتبل العمر ، لم يتنزل عليه وحي ولم يحمل رسالة ، بل كانت احكام الجاهلية هي المسيطرة المسيرة للناس من حوله ، روى ابن هشام ان النبي صلى الله عليه وسلم أعرض عن اللهو فى صباه مرتين ، ألقى الله عليه النوم فلم يدخل مع الشبان فى عبثهم ولهو الأعراس .

وحين بلغ الخامسة والعشرين من عمره تزوج امرأة ثيبا تكبره بخمسة عشر عاما فلم يختر فتاة كاعبا ، مع تهافت الأسر على تزويجه وقد عرف بالصادق الأمين ، وبقيت معه حتى توفيت فى الرابعة والستين وهو فى سن الحادية والخمسين فقضى شبابه وكهولته وأشرف على الشيخوخة وهو لم يتزوج غير خديجة ، ولم تتطلع عيناه الى دنيا سواها ، أفكان محمد شهوانيا لأنه كان كذلك ؟ وظل ثلاث سنوات بعد ذلك مع امرأة أيم غير جميلة أنقذها بالزواج بعد

---

١ – فرنسي مستشرق توفي سنة ١٨١٩ .

٢ – كتاب « المختصر فى تاريخ الفلسفة » .

٣ – الكتاب السابق ص ٣٥٨

وفاة زوجها المسلم ومعاداة أهلها لها ، ثم لم يتزوج بعد ذلك أية امرأة الا لتحقيق مصلحة دينية تتعلق باقرار حكم كابطال التبنى واحكامه فى زواجه من زينب بنت عمته ، وكابطال الرق فى زواجه من جويرية بنت الحارث ، او تتعلق بتوكيد الصلات كزواجه من عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر ، او تتعلق برعاية أسرة وكفالة أيتام كزواجه من ام سلمة ، وكل اللواتي تزوجهن باستثناء عائشة كن أرامل قد فقدن الزوج او العائل !

فاين مكان الشهوة فى حياة محمد بعد هذا ؟! .

واما الدين نفسه ففيه القصد حتى من انصياع الانسان للشهوات المباحة قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (الاية) وفيه الانكار على اولئك الذين يتمرغون فى الشهوات ، ويحيون للذات ، ويحبون ان تشيع الفاحشة « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

وفيه التنظيم الشامل للعلاقة الجنسية ، والحد من الانطلاق فى الشهوة ، فالزواج وما يتعلق به من أحكام وشروط الشهود عند عقد النكاح وتقدير العلاقة الزوجية وما يترتب عليها من المهر وحقوق الزوجين وكراهية الطلاق وتحبيذ الاقتصار على الزوجة الواحدة .. انما شرع ذلك من أجل أن يعرف الانسان حده فلا يتجاوزه .

والاسلام يمنع المسلم أن يتزوج المشركات ولو أعجبنه (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) حتى لا ينطلق وراء الغريزة كيفما يشاء ، وحدد للمسلم حدودا فلا يباح له الزنا ، فان فعل ذلك عوقب أشد العقوبة وكذلك المرأة (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة ، والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)

ولا يباح للمرأة أن تخون زوجها فان فعلت فان عليها لعنة الله وغضبه (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) أى فى خيانتها له وقد نهى الاسلام أشد النهي عن الأمور المنكرة من الفواحش حتى لا يكون الانسان شهوانيا (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) .

والاسلام يدعو الى عدم الاسراف فى المأكل والمشرب والملبس ، وهي شهوات (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال صلى الله عليه وسلم (كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة) ونهى عن شرب الخمر ، وأمر بغض البصر . « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » .

أدين شهواني هذا الذى يبالغ فى العفة والطهر ، ويدعو الى الصوم والعبادة ، ويمنع الترف والسرف ، ويحرم الزنا والعهر ؟ .

شهادة منصف

ما أجمل ما يقوله كارليل فى انصاف الاسلام (وقد قيل وكتب كثيرا فى شهوانية الدين الاسلامي ، وأرى كل ما قيل وكتب جورا وظلما ، فان الذى أباحه محمد مما تحرمه المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه وانما كان جاريا متبعا لدى العرب من قديم الأزل ، وقد قلل

محمد هذه الأشياء جهده ، وجعل عليها من الحدود ما كان فى امكانه ان يجعل ، والدين المحمدى بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهين ، وكيف ومعه كل ما تعلمون من الصوم والقواعد الصعبة الشديدة ، وفيه الصلاة خمس فى اليوم والحرمان من الخمر) . وانه لتناقض ان يثبت أن الاسلام عقلي ثم ينفيه بعد ذلك حين يقرر ان الاسلام يعوق النظر العقلي الحر وأن من طبيعة العرب التأثر بالأوهام ..

فالاسلام « يقوم على العقل ويقدر التفكير ويدفع اليه ، ويقيم العقيدة على النظر العقلي قال تعالى (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) .

ثم هو ينعى على اولئك الذين لايفكرون ولا يعقلون (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين) .

والاسلام يكرر فى كثير من آياته الدعوة الى التفكير (لعلهم يفقهون) (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (ان فى ذلك لعبرة لأولي الابصار) (أفلا يبصرون) (أفلا يعقلون) الى آخر هذه التذييلات فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم وهو يرفع بذلك شأن العقل والتفكير ، والعلم والعلماء (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) .

والاسلام يعتبر مجلس العلم خيرا من عبادة ستين سنة ، ويجعل طلب العلم فريضة ، ويقيم العالمين بمنزلة الشهداء ، ويجعل الملائكة تبسط أجنحتها لطالب العلم .. وكل ذلك رفع من شأن العقل والعلم ، فكيف يكون عائقا عن النظر العقلي ؟ ؟ .

ونظرة سريعة الى تاريخ الفكر الاسلامي لتشهد الروعة متجسمة فى المفكرين الأوائل فى تاريخ الاسلام ، فمعاذ ابن جبل وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود والخليل ابن احمد الفراهيدى وابن سيرين وعطاء ابن ابى رباح وابن المسيب والحسن البصرى والنظام والعلاف والجاحظ وأبو حنيفة النعمان والشافعي ومالك والثورى والليث بن سعد والأوزاعي وابن رشد والكندى والفارابي وابن سينا وغيرهم من الذين فكروا فى الكون الفسيح وبحثوا فى الله وصفاته وفى أفعال الانسان وصلاح الكون ، والذين وضعوا قواعد الفكر فى الأصول والفقه والذين توسعوا فى العلوم الأخرى كابن الهيثم وابن حنين وبختيشوع والرازى وابن حيان وغيرهم .

أكان الاسلام عائقا لهؤلاء عن التفكير ؟ اهؤلاء تعلقوا بالأوهام ؟ أم أن اوروبا هي التي كانت غارقة فى ضلال الأوهام وخرافات السحر ، وسخافات الأساطير ..

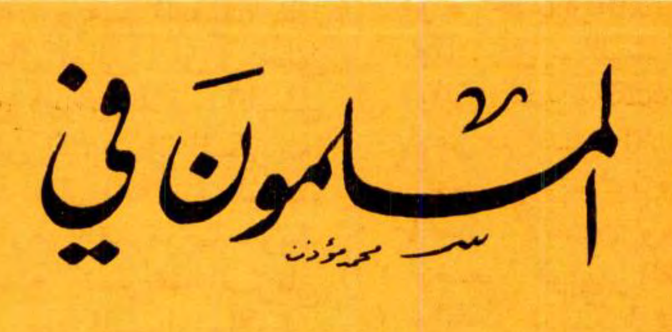
فدعني يا ايها الحاقد امسح بعطر الاسلام جبهة عقلك لعلي واياك والناس ندرك ما فيه من روعة وعظمة .

ودعني يا قارئي الكريم واياك نكون من الناشرين لأريج عطره فى جميع الأرجاء كما يقول الحافظ الشيرازى —

وبيناى فى الحمام اذ وصلت الى
يدى طينة فواحة من يدى حبي
فقلت : أمسك أنت أم انت عنبر
فنفحك هذا قد تعشقه قلبي
فقالت : تراب لست شيئا وانما
جلست بظل الورد حينا على العشب
فصحبته أعلت مقامي كما ترى
وان كنت طينا لا أزال من الترب



بشناق بلباسه التقليدى



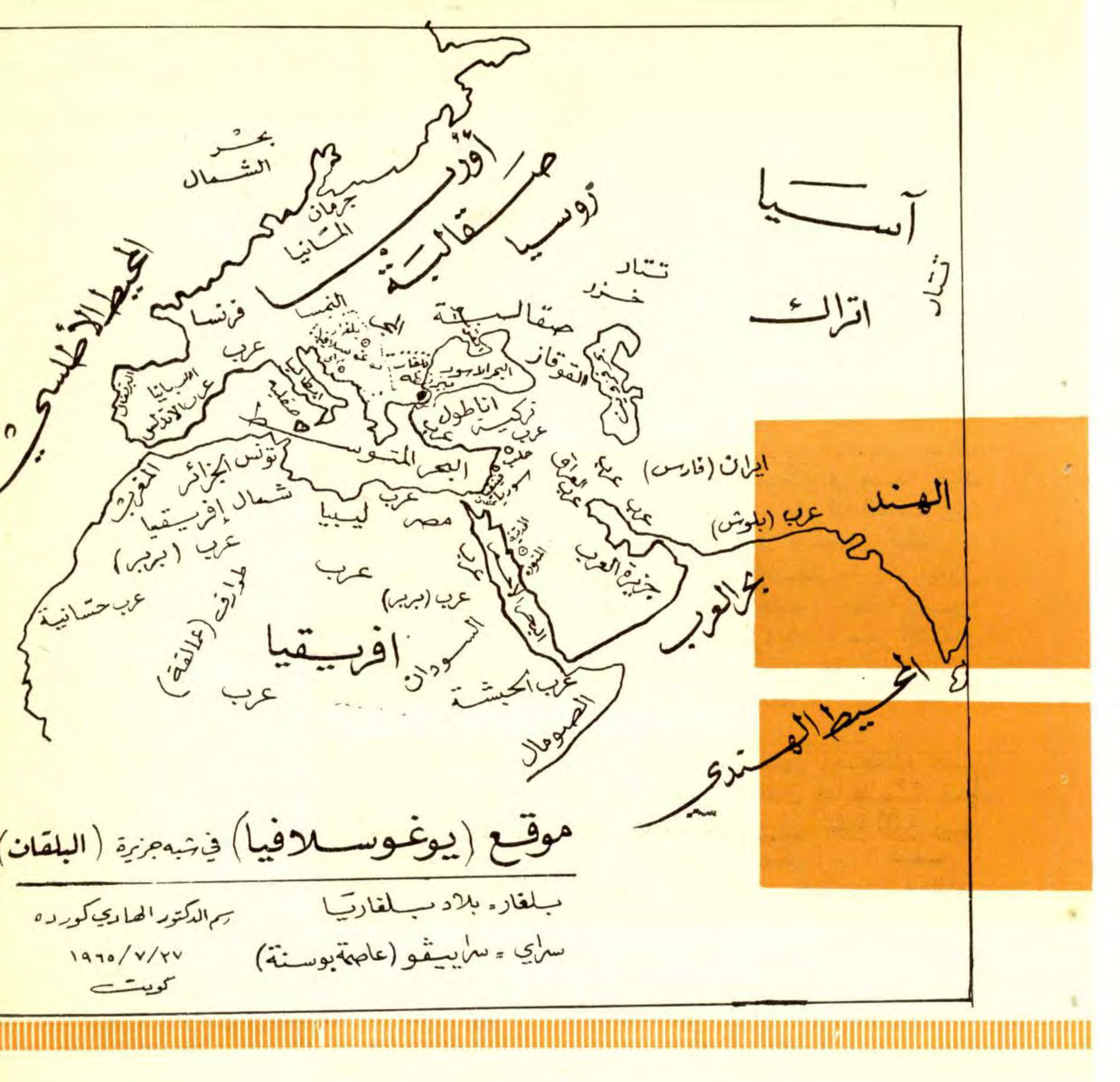
يوغوسلافيا

بقلم الدكتور الهادى كورده
قسم البحوث والترجمة بوزارة الاوقاف
الكويت

انتشار الاسلام فى البلقان قبل الفتح العثماني

المزاعم

لقد راج زعم غير المحققين من كتبة التاريخ أن الاسلام لم يدخل أوروبا الجنوبية الشرقية الا فى زمن الفاتحين الأتراك ، وأن جماعات قليلة من سكان البلقان قد أكرهوا على اعتناق الدين الاسلامي عندما احتل العثمانيون بلدان المنطقة وهي : يوغوسلافيا و (ألبانيا) و (مقدونيا) و (بلغاريا) و (رومانيا) و(المجر) ، وأن البلقانيين وجدوا أنفسهم امام الامر بين الدخول فى الاسلام او السيف . وهذا الزعم قام بنشره أعداء الدين الحنيف الذين قاموا بدعاية مغرضة نظّموها فى الكنائس والاجتماعات



والكتب المدرسية ، حتى رسخت فى العقول ، وحارب بها الأوروبيون الدول الاسلامية . فنظموا الحملات العسكرية الانتقامية ضد الدول العربية فى أوربا وآسيا وافريقيا لابادة المسلمين فى كل بلد ، كما فعلوا فى اسبانيا والبرتغال وصقلية وجنوب فرنسا وجنوب ايطاليا حيث ازدهرت الحضارة الاسلامية . ثم توجهوا الى جنوب روسيا (القرم) والى القوقاز وأواسط آسيا ، واستولوا على الدول الاسلامية هناك (تركستان وتاجيكستان وكزاكستان وأزبيكستان وكرقيسزستان وأذربيجان) وأزالوا منها معالم الحضارة المحمدية واللغة العربية ، ولم يبق سوى وسائل الدعاية المزيفة ...

وبعد خروج العثمانيين من (البلقان) وقع حصار على المسلمين ومضايقات

المسلمون فى

يوغوسلافيا

حولت بلادهم الى جحيم ، مما اضطرهم الى الجلاء اذا امتنعوا من الارتداد والعودة الى دين أجدادهم . فتمكن أعداء الاسلام من القضاء على الوجود الاسلامي فى (صربيا) و (المجر) وسلافونيا و (دالماسيا) . ولم يبق سبيل للمسلمين فى بضعة أماكن فى يوغوسلافيا وبلغاريا الا بتحمل الأذى أو الهجرة أو الارتداد طيلة ثلاثة قرون والى يومنا هذا .

التاريخ الحقيقي

لكن اذا محصنا الوثائق التاريخية الأصيلة ودرسناها بانصاف ، تجلى لنا أن انتشار الاسلام ابتدأ قبل أواخر القرن التاسع الميلادى (ولم يدخل الأتراك يوغوسلافيا الا فى عام ١٩٤٣ م) على يد تجار مسلمين وسياح وزهاد وبعض الأسرى ، فبثوا الدعوة الاسلامية بمجهودهم الخاص ، وحببوا الدين الى قلوب السكان بالموعظة والحكمة . ثم تلتهم جماعات من الشعوب التركية أو قابل (كومان وبجناك ويازيغ وأوغر وبلغار والخزر .. الخ) تطوعوا لخدمة الاسلام ، وعاشواحياةالسكان واختلطوا بهم فصاروا منهم . فامتد الاسلام من مناطق القوقاز وما حولها الىأراضي نهر الدانوب وروافده (تيسا ، سافا ، مورافا ، ورينا) التي تمر ببلاد رومانيا وبلغاريا والمجر ويوغوسلافيا . فتكونت دويلات اسلامية على شكل واحات جميلة فى شبه جزيرة البلقان . سعدت بتعاليم الدين الحنيف فهما وتطبيقا وذاع صيتها ، فزارها العلماء العرب من مؤرخين وجغرافيين واقتصاديين ودعوا (البجناك) الى زيارة العواصم العربية لربط الصلة بالعلم والمصاهرة .

المؤرخون العرب فى البلقان

يذكر (عبد الله البكرى) (المتوفى فى قرطبة ١٠٩٤ م) في «المسالك والممالك» فئات من علماء الفقه والتوحيد بين اليازيغ والبجناك والبلغار . وزار (ابو حامد الغرناطي) سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) المسلمين فى (بشغرديا) وقص علينا اقامته فيهم فى كتابه « تحفة الألباب » وكيف فرحوا به وتزوج ابنه من بنات أعيان فرسان الاسلام فى هذا البلد المزدهر . ويخبرنا (ياقوت الحموى) فى سنة ١٢٢٨ م فى « معجم البلدان » بتعرفه بطائفة (الباشغاردية) ، فيقول وجدت بمدينة (حلب) جماعة كبيرة يقال لهم (الباشغردية) ، شقر الشعور والوجوه جدا ، يتفقون على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه .

فسألت رجلا منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم ، فقال اما بلادنا فمن وراء القسطنطينية فى مملكة أمة من أوربا يقال لهم (الهنكر) = (هنغار ، المجر) ، ونحن مسلمون رعية لملكهم فى ناحية من مملكته ، نعيش فى ثلاثين قرية يكثر فيها العمران والمباني الجميلة والمساجد ، مما يعطي لكل قرية شكل بليدة منظمة ، ولكن بغير تحصينات ولا سور ، حيث أن اقامة السور ممنوع علينا من طرف ملك الهنكر النصارى لئلا نثور على نظام هؤلاء . ونحن نخدم الجندية مع الهنكر ونلبس زيهم ونتكلم لسانهم ونذود عن الوطن مع الجيش الهنكر الذى كان يحارب مجاوريه وهم دائما من النصارى . فسألته عن سبب اسلامهم مع وجودهم فى اواسط اوربا الكافرة . فقال سمعت فئة من أجدادنا يتحدثون أنه قدم الى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد (بلغار) وسكنوا بيننا وتلطفوا فىتعريفنا

سراييفو ـ منظر عام
الماء والخضرة والوجه الحسن مبنى كلية الشريعةالذى أصبح متحفا

ما نحن عليه من الضلال ، وارشدونا الى الصواب من دين الاسلام ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلمنا جميعا وشرح الله صدورنا للايمان ونحن نقدم الى هذا البلد ونتفقه فاذا رجعنا الى بلادنا أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم . فسألته لم تحلقون لحاكم كما تفعل الافرنج ؟ فقال : يحلقها منا المجندون ويلبسون لبسة السلاح مثل الافرنج أما غيرهم فلا . قلت فكم تبلغ المسافة بيننا وبين بلادكم ؟ فقال من هنا الى القسطنطينية نحو شهر ونصف ، ومن القسطنطينية الى بلادنا نحو ذلك .

والمراد من بلاد (بشغرديا) هو أرض (هنغاريا) أى المجر ، حسب ما أثبته المؤرخ الألماني (ماركسفارد)فى(موسوعة الاسلام) ويتجلى من تقرير (ياقوت الحموى) ان المسلمين فى هذا البلد كانوا على مذهب أبي حنيفة .

ونستنتج من رواية (ياقوت) أن ملوك المجر كانوا لا يثقون بالمسلمين العائشين فى المجر ، رغم ولائهم لهؤلاء الملوك ، ومشاركتهم فى الحروب ، تحت راية المجر ، فى محاصرة مدينة (ميلانو) بايطاليا عام ١١٥٨ م ، وفى (مورافيا) (١٢٦٠ م) وضد التتار سنة ١٢٤١ م على تخوم (هنغاريا) باخلاص وبسالة نادرين .

ولكن لما اشتد ساعد ملوك المجر وخاصة من ٩٩٧ م الى ١٠٣٨ م ، حين قوى الملك الكاثوليكي (استيفان



المسلمون في

يوغوسلافيا

القديس) تضاعف الاضطهاد ضد المسلمين . فصادر هذا الملك المتعصب أملاك المسلمين البجناك وأموالهم ليبني بها فى مدينة (فروأر) الكنيسة الموجودة الى الآن . وفرضت ألوان من المضايقات ضد المسلمين ، بايعاز من البابا بروما الذى اعتبر المسلمين كفارا ، وأمر بابادتهم بجميع الوسائل .

وفى عهد الملك المجرى (كارلروبرت) (١٣١٠ ـ ١٣٤٢) تفاقمت اجراءات التعسف ضد الاسلام ، فاستعان (كارل) بتعاليم البابا الصادرة عام (١٣٤١ م) والقاضية بازالة آثار الاسلام والمسلمين، وذلك بأن يغادر هؤلاء المجر أو أن يعتنقوا الكثلكة ويدفعوا نصف ثروتهم للكنيسة ويقدموا أبنائهم كزوجات للمسيحيين ، وأن يأكلوا لحم الخنزير ويشربوا الخمر، ويقيموا الكنائس ، ويعلقوا لوحةالصليب فى كل بيت ، ويزيلوا معالم اللغة العربية ويحرقوا القرآن الكريم . فطال التنكيل بالمسلمين على مدى ٣٥٠ سنة هاجر خلالها غالبيتهم من بلاد المجر وانتهى بذلك وجود الاسلام ببلاد (هنغاريا) .

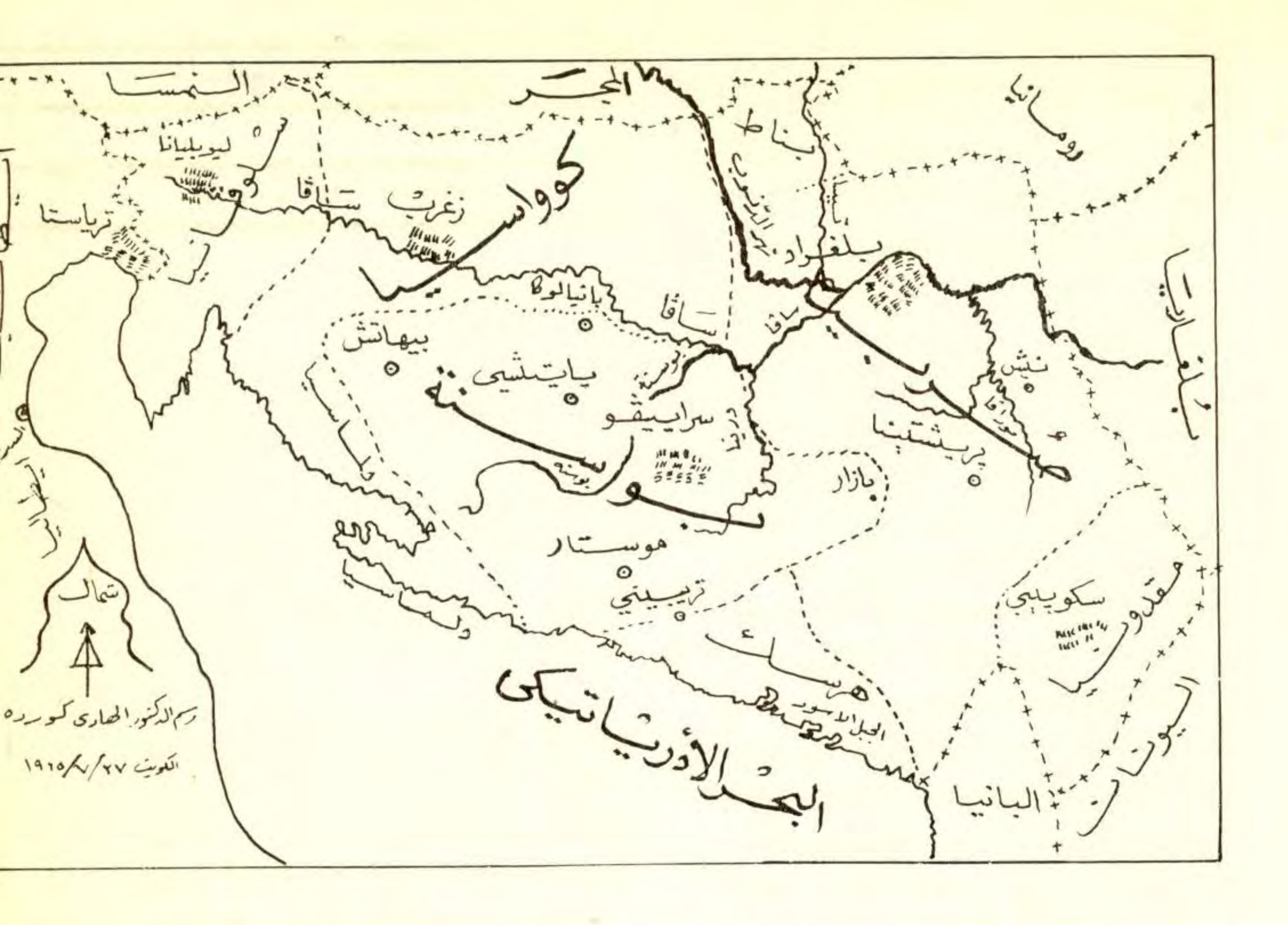
ووصل الكثير منهم الى (بوسنة) فى يوغوسلافيا .

وكانت قبائل البجناك قد اختلطت مع الصقالبة فى بلاد المجر وتكلمت لغتهم . وفى سنة ٩٧٣ م قام (ابراهيم ابن يعقوب الاندلسى) برحلة خلال المانيا وبلاد شرقي أوربا ، ولاحظ أن شعب البجناك ينطق باللغة الصقلبية بحكم اندماجهم فى الصقالبة فى (هنغاريا) ثم تمركزوا فى (بوسنا) حيث يدين السكان الصقالبة بدين « يطابق (١) » تعاليم الاسلام ويحمل اسم المذهب (البوغوميلى) فاختلط البجناك (بالبوغوميلي) وعدلوا بعض عقائدهم واندمج الشعبان وامتد دينهم الى بلاد (هرسك) فتمسكوا بالاسلام الى دخول العثمانيين عام ١٤٦٣ م . فصمموا بعض تعاليم طبق المذهب الحنفى واصبحوا من أقوى الدعاة للدين الحنيف رغم المضايقة المسيحية حولهم .

مناطق المسلمين وشعوبهم فى يوغوسلافيا

يوجد فى يوغسلافيا ثلاثة أجناس من المسلمين (الألبان) و (الأتراك) . في الجنوب (مقدونيا) ومقاطعة (قصوة ـ متوخيا) . ويقطن وسط يوغسلافيا الصقالبة فى بوسنة و (هرسك) و (سنجق بني بازار) وهم الأكثرية من

(١) ان اللفظة الصقلبية « بوغوميلي » تعني « أحباء الله » وتمتد أصول هذه الفرقة الدينية بادىء ذى بدء الى « المانوية » التي دخلت عليها تأثيرات مسيحية وبوذية . ثم تنقحت بعناصر اسلامية مستمرة فى تسربها الى بلاد المجر عن طريق التجار العرب ومن بعد بواسطة روايات المسافرين المجر الى البلاد الاسلامية . ثم اقتربت من تعاليم الاسلام حتى اصبحت تطابقها . وهكذا كان « البوغوميلي » يصلون خمس مرات بالنهار ويعبدون الله وهم ساجدون ، غير أنهم ما كانوا يؤدون الشهادتين على النمط الذى رتبه الاسلام وسيأتي فيما بعد المزيد عن تاريخ المعتقد « البوغوميلى » (أنظر : الدكتور س.م. عبد الله) « الاسلام فى يوغلافيا » المجلة الاسلامية ، برلين ري غ ـ ١٩٣٦) .



المسلمين وعرقهم الصقلبي أنقى عناصر الصقالبة فى البلقان وكذلك فى (الجبل الأسود) وفى بعض مناطق (مقدونيا) . و (صقلب) لفظة عربية تقابلها كلمة (سلاف) باللغات الأوروبية ، استعملها المؤرخون العرب كأمثال (المسعودى) فى « مروج الذهب » وغيره .

وأوسع منطقة اسلامية وأجملها وأغناها فى يوغسلافيا هي (بوسنة) مع جزئها الجنوبي (هرسك) والجنوبي الشرقى (سنجق بنى بازار) بين نهر (سافا) شمالا ، ونهر (درينا) شرقا ، وبلاد (دلماسيا) غربا ، و (الجبل الأسود) جنوبا . ولها مساحة تبلغ ٥١و٥٦٤ ميلا مربعا ويسكنها مليون ونصف مليون نسمة واذا أضفنا لهذا العدد سكان مقدونيا ومقاطعة (قصوة) يصل المسلمون فى يوغسلافيا الى مليوني نسمة رغم أن عددا كبيرا يغادر بلاده الى تركيا تحت الضغط الشيوعي الحالي .

أصل أهالي بوسنة وهرسك

ان اجداد اليوغسلاف (أى سلاف الجنوب) من أواسط أوربا وراء جبال (كربات) . وكانوا من الوثنيين، ونزحوا الى البلقان بينما كانت هذه البلاد مأهولة من (الالير) ، وهم الأهالي الأصليون . وقبائل الصقالب الجنوبية كانت تحمل أربعة أسماء رئيسية ، أطلعت فيما بعد على الأقاليم التي تمركزت فيها على النمط التالي :ـ

١ :ـ فى الوسط والجنوب الغربي

البجناك (بوسنة وهرسك) و (بنى بازار) .

٢ : ــ فى الشمال الغربي الكروات (كرواسيا) .

٣ : ــ فى أقصى الشمال الغربي سلوفان (سلوفانيا) .

٤ : ــ فى الجنوب الشرقي فى الصرب (صربيا) .

ولما تم استقرار هذه القبائل فى القرن السابع الميلادى ، بسطت عليها (بيزنطة) أطراف سلطنتها ، ودفعت بالصقالبة لمحاربة العرب ، خاصة ضد حصون (سيف الدولة الحمداني) فى القرن العاشر الميلادى ولكن كان الكثير من هؤلاء الصقالبة يفرون الى العرب ويعيشون فى (حلب) ، أو يقعون فى أسر (سيف الدولة) فيحسن اليهم ، ويدخلون فى الاسلام . وذكر الصحابي (أبو ذر الغفارى) أن أربعة من الصقالبة رافقوه فى سفره من دمشق الى المدينة المنورة .

تكوين دولة يوغسلافيا

وكان الصقالبة فى هذا البلد وثنيين ولم يدخلوا فى النصرانية عنوة الا بعد منتصف القرن التاسع من الميلاد . فأجبر (الكروات) على اعتناق الكثلكة وانضموا الى معظم مملكة المجر سنة ١١٠٢ م ما عدا جزء منهم ، استولت عليه المملكة النمسوية ولما أخضعته لحكمها التعسفي سنة ١٥٢٦ م . فلما امتد الحكم التركي الى المجر ، سقط الكروات تحت سيطرة العثمانيين، وبقي الجزء الآخر تابعا للحكم النمساوى المجرى : الى نهاية الحرب الكونية الأولى سنة ١٩١٨ حين تأسست مملكة (الصرب والكروات والسلوفان) . أما الصرب فقد انفصلوا عن نفوذ (بيزنطة) وتحصنوا فى جبالهم تحت قيادة أمرائهم، وكونوا ممالك متفرقة ، دينها الأرثوذكسية ، متزاحمة فيما بينها . مما أدى الى سقوطها تحت السلطنة العثمانية ، التي حكمتهم الى انعقاد مؤتمر برلين (١٨٧٨) حين احتضنتهم (روسيا) . فنالوا استقلالهم وكونوا النواة لمملكة (الصرب والكروات والسلوفان) سنة ١٩١٨ تحت أسرة (قارة جورجفتش) الى عام ١٩٢٩ ، حيث أصبح اسمها (يوغسلافيا) . ومنذ سنة ١٩٤٥ أعلنت الجمهورية الاشتراكية الشيوعية بزعامة (يوزيب بروزتيتو) الذى كان يشتغل قفالا ثم أمينا عاما للحزب الشيوعي الصربي (اليوغسلافي) .

وكانت دولتا الكروات والصرب تعاديان مملكة بوسنة وهرسك) بايعاز من البابا . فكانت المملكة بوسنة فى حالة حروب دفاعية ضد المنطقتين المذكورتين طيلة ثلاثة قرون مليئة بالحملات الصليبية ضد كيانها الاسلامي المهدد بالفناء . ففى عام ١٤٦٣ دخل السلطان العثمانى (محمد الفاتح) مدينة (سراييفو) عاصمة بوسنة ثم الى عام ١٤٨٣ م اصبحت (هرسك) خاضعة للباب العالي وتبعهما (سنجق بني بازار) فشملهم السلم



سيدة مسلمة تطالع المصحف الشريف قبل اهداء القهوة اليمنية للضيوف بمدينة (تريسبيني) .

الاسلامي وانتشرت الحضارة وشيدت المساجد في كل قرية ، منها ثمانون جامعا بمدينة (سراى) وحدها . الى أن نص مؤتمر برلين (١٨٧٨) على ادماج (بوسنة وهرسك) في المملكة النمساوية - المجرية فقامت النمسا تفرض الكثلكة بالقوة وشيدت المحصنات العسكرية وعبدت طرقات للاحتلال العسكرى . ولكن وعدت بأن يكون احتلالها مؤقتا على ان تستمر السلطة الاسمية للباب العالي على المناطق الاسلامية في يوغوسلافيا . فما كانت سنة ١٩٠٨ حتى أعلن ملك النمسا (فرانز يوسب) ادماج (بوسنةوهرسك) وجعل الأولوية للدين الكاثوليكي كدين الدولة النمساوية - المجرية . وفي عام ١٩١٨ احتلت (صربيا) ولاتنف (بوسنة وهرسك) والجبل الأسود وكرواسيا ، وكونت مملكة (يوغوسلافيا) واستقلت من الحكم النمساوى . وفي عام ١٩٤١ احتل هتلر وموسوليني هذه الدولة في عاصمتها (بلغراد) وفصلا (كرواسيا) عنهما على أن تكون تحت الحماية الايطالية وتتبعها (بوسنة وهرسك) كجزء منها . وتحت قيادة (تيتو) أصبحت يوغوسلافيا تتألف من ست جمهوريات اتحادية اشتراكية عاصمتها (بلغراد) من جديد .

- يتبع -

أعرف عدوك

هيئة دراسات الشرق الأوسط
الحلول السلمية لقضية فلسطين

ايثيل مانين الكاتبة العالمية

فى بريطانيا منظمة تطلق على نفسها اسم « لجنة المائة » ، تضم مفكرين وعلماء وأعضاء عاديين من مختلف أنحاء العالم ، وهي تدعو الى اقرار السلام العالمي وتجنب الحرب وحظر التجارب النووية وتحويل ما ينفق على أجهزة الحرب والدمار الى ما ينفع الانسانية .

لقد انبثق عن هذه اللجنة هيئات متعددة ، منها « هيئة دراسات الشرق الأوسط » ، التي نشرت مؤخرا مشروعا لحل سلمي للقضية الفلسطينية .

ان بعض اليهود الذين ينتحلون صفة الاشتراكية قد اشترك فى وضع هذا المشروع الذى قصد منه فتح حوار على مستوى عالمي حول موضوع الحل السلمي لمشكلة فلسطين يكسب منه اليهود فقط .

ومن الأمور البارزة فى هذا المشروع القول بأن اسرائيل وجدت لتبقى مع وضع بعض الشروط التي لا يمكن أن ترضي الحق العربي فى فلسطين .

وفى « يوم فلسطين » الذى أقيم فى لندن ، وزع هذا المشروع فى منشور صغير وكانت ايثيل مانين الكاتبة العالمية الشهيرة ومؤلفة « الطريق الى بئر السبع » من بين الحضور الذين تلقوا هذا الكراس ، فردت المشروع المعروض مبينة الأخطاء الشنيعة التي وقع فيها واضعوه .

وفيما يلي مشروع الهيئة ، ثم رد الكاتبة عليه . . .

كانت مشكلة فلسطين والصراع العربي ـ الاسرائيلي وما تزال مصدرا دائما لسفك الدماء وللألم والظلم منذ عدة سنوات ، كما كانت (نزيفا) للموارد الاقتصادية فى الشرق الأوسط ، ومبررا للتدخل الاستعماري والعدوان العسكري فى ذلك الجزء من العالم ، وتهديدا دائما للسلام العالمي .

وهذا الصراع ، من غير أن تخفف منه الايام ، ازداد حدة ومرارة بل وخطورة ، اذ أن معاناة وآلام اللاجئين الفلسطينيين تطول ، وحدة الشك والكراهية تزداد عمقا ما بين العرب واليهود .

ان الزعماء الاسرائيليين يعلنون أنهم على استعداد لاقامة سلام مع العالم العربي ، وان العقبة الوحيدة أمام ذلك هو رفض العرب اقامة سلام مع (اسرائيل) ، وعلى أية حال ، فقد أوضح هؤلاء الزعماء أنفسهم ، بما لا يقبل

الشك ، أنهم هم أنفسهم ليسوا على استعداد للقيام بأية تنازلات للوصول الى تسوية سلمية ، وحين يتكلمون عن « السلام مع العرب » فانهم يعنون بذلك تسوية يقبل فيها العرب « بسلام الأمر الواقع » ، وهذا يعني أن الصهيونيين يطلبون من العرب أن يعترفوا ويقبلوا (باسرائيل) فى شكلها الصهيوني الحالي، ويسلموا بأن خطوط هدنة ١٩٤٩ هي حدود ثابتة دائمة ، وأن يتنازل اللاجئون

يحتمل فى وسطه دولة صهيونية هدفها المعلن ليس للتعبير السياسي عن سكانها فقط ، بل لتكون رأس جسر وأداة سياسية ومقر نهائي لليهود من جميع أقطار العالم ... ، والاطالة من « الأمر الواقع » هو اطالة وتعميق للصراع الحالي والمغامرة بعراك عسكرى قد تكون نتائجه دمار (اسرائيل) .

وحتى لو أوقف الجمود العسكرى

تقول : من السفاهة ايجاد حل سلمي للنزاع العربي الاسرائيلي

تدمير اسرائيل هو الحل الوحيد للمشك

الفلسطينيون والعرب والمسلمون يعرفون طريق الحل

الفلسطينيون العرب عن حقوقهم فى العودة الى وطنهم .

الجواب العربي

ومن الجانب الآخر ، فان كثيرا من القادة العرب ، مع بعض الاستثناءات الواضحة ، ينادون صراحة بأن الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية هو فى تدمير اسرائيل وحرمان السكان اليهود من حقهم فى تقرير مصيرهم السياسي .

ان كلا هذين الجانبين لعلى خطأ وبالغ الخطورة ، وهما لا يضعان برامج لتسوية النزاع ، بل على النقيض يخططون لاطالته الى أجل غير مسمى ، فالعرب لا ولن يستطيعوا قبول الأمر الواقع كأساس للتسوية ،والعرب الفلسطينيون لن يتنازلوا عن حقوقهم الفردية والوطنية فى فلسطين ، كما أن العالم العربي لن

الصدام النهائي ، (فاسرائيل) المعزولة المحاصرة لا يمكن لها أن تستمر ما لم تصبح أداة للاستعمار .. ، والاستعمار نهايته حتمية فى الشرق الأوسط .

ومن الجانب الآخر فان دمار (اسرائيل) ورفض حق (الامة العبرية الاسرائيلية) فى تقرير المصير لن يحل المشكلة الحالية ولكن سيقلبها رأسا على عقب ، وأية محاولة للوصول الى حل كهذا لا تعني فقط المزيد من الآلام وسفك الدماء ، بل تعني أيضا استمرار حالة الحرب ، فضلا عن ايجاد مبرر للتدخل .

المبادىء الثمانية

لذلك نرى أن أى حل عادل وثابت يكون متفقا مع آمال الشعوب العربية فى الوحدة المبنية على الاشتراكية ، ومع

حق (الشعب العبرى الاسرائيلي ! !) فى تقرير المصير ، ومع الحقوق الفردية والوطنية للفلسطينيين العرب ، يجب أن يكون مبنيا على المبادىء الثمانية التالية :

١ : ـ تمتنع (اسرائيل) عن أن تكون دولة صهيونية (أى دولة لجميع الشعب اليهودى فى كافة أنحاء العالم) ، وتصبح دولة لسكانها فقط ، ويجب أن تلغى جميع القوانين والاجراءات التي تميز بين اليهود وغيرهم ، ولا سيما « قانون العودة » الذى يمنح اليهود حيثما كانوا حقوقا مطلقة وأوتوماتيكية فى الهجرة الى (اسرائيل) ، وأن يصبح مواطنا اسرائيليا ، وكل طلب للهجرة يجب أن ينظر فيه على انفراد وحسب استحقاقه بدون أى تمييز يقوم على أسس عنصرية أو دينية .

٢ : ـ يمنح اللاجئون الفلسطينيون العرب حق العودة ، وتستوعب (اسرائيل) اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا هؤلاء الذين يرغبون فى العودة ، أما أولئك الذين يفضلون عدم العودة فيجب أن يعوضوا بشكل مناسب عن ممتلكاتهم ومآسيهم الفردية .

٣ : ـ تلغى جميع اجراءات « الأمن » المتخذة ضد السكان العرب فى (اسرائيل)، ويدفع تعويض كامل عن جميع انتزاعات الملكية والاضرار (فى الأرض والثروة والأفراد) التي وقعت بسبب هذه الاجراءات والقوانين الأخرى غير العادية .

٤ : ـ تعمل (اسرائيل) على تنفيذ سياسة معادية للاستعمار : وتشترك بصورة فعالة فى النضال الرامي الى تشكيل وحدة أو اتحاد لأقطار الشرق الأوسط .

٥ : ـ يجرى النضال العربي للوحدة المبنية على الاشتراكية مع الهدف والاستعداد لاقامة (اسرائيل) غير صهيونية شريكا فى وحدة كهذه .

٦ : ـ الى أن تتم اقامة وحدة أو اتحاد كهذا ، على الحكومات العربية أن تعمل على تنفيذ سياسة اعادة الأمور الى حالتها الطبيعية تماما فى علاقاتهم السياسية والاقتصادية والثقافية مع (اسرائيل) الجديدة غير الصهيونية ، وتسوّى جميع الخلافات سلميا فى روح صداقة وتعاون .

تقرير المصير

٧ : ـ يسمح للفلسطينيين العرب أن يقرروا كيف يمارسون حقهم فى تقرير المصير ، وعلى (اسرائيل) والعرب ألا يتخذوا أية خطوات قد تتحيز أو تتدخل بهذا القرار .

٨ : ـ فى حالة تقرير الفلسطينيين اقامة كيان أو دولة خاصة بهم يسبق والى حين اقامة الوحدة أو الاتحاد المنوّه عنهما فيما سبق ، فان على الدول التي تدير حاليا جزءا من المنطقة ، غربي نهر الأردن ، نتيجة اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ ، أن تتخذ عن طريق التشاور المتبادل ، التدبيرات المتعلقة بالحدود والضرورية لتسهيل اقامة هذا الكيان المستقل .

اننا ندعو جميع محبي السلام من العرب واليهود على حد سواء ، وجميع الأحزاب والأفراد الذين يهتمون بالوصول الى حل عادل وثابت للمشكلة الفلسطينية ندعوهم الى المصادقة على هذا البرنامج والنضال لتحقيقه .

وبعد

هذا هو نص مشروع « هيئة دراسات الشرق الأوسط » التابعة للجنة المائة ، وقد نشرت الوثيقة السابقة التي تحتويه فى عدد من الصحف اليهودية والعالمية ، **ولا بد قبل ايراد تعليق الكاتبة ايثيل مانين عليه من التنبيه الى أن الحق العربي فى فلسطين الذى استلب عنوة ، لا بد أن يعود بقوة السلاح العربي .**

ان (اسرائيل) أداة الاستعمار والسرطان الذى يهدد الوجود العربي ، فى عرف هذه الهيئات واللجان الدولية ، باقية ويجب أن تبقى .. لأن اليد اليهودية ذات أثر فعال فى مقررات ودعوات هذه الهيئات واللجان ، وهي يد عملت على اقامة دولة مغتصبة فى قلب الوطن العربي ، ولن يكون سحق هذه الدولة الا بالعمل العربي والعربي فقط . .

ان هذه الدعوات المشبوهة التي كان مصدرها غربي ويهودى لن تجد عند الشعب العربي الا كل حرب ، وستلقى ، مع الكيان اليهودى المصطنع فى فلسطين ، النهاية التي لا بد منها . . .

لقد أثارت الكاتبة مانين كثيرا من النقاط فى ردها على هذا المشروع المشبوه .

وفيما يلي نورد رد الكاتبة :

أهنالك حل سلمي ؟ . .

أظهرت مسودة مشروعكم لحل الصراع العربي - الاسرائيلي والمسلَّمة اليَّ فى اجتماع « يوم فلسطين » ، أظهرت وأرجو المعذرة ، نقصا كاملا فى تفهم حقائق الوضع .

١ : - قلتم بأن من الخطأ للعرب أن يرغبوا فى تدمير (اسرائيل) ، وفى قول هذا فشلتم تماما فى ادراك الحقيقة الأساسية الأولى وهي أن المدعوة (اسرائيل) ما هي الا فلسطين التي تحتلها الصهيونية ، والتي شرَّد ايجادها مليونا من الفلسطينيين وحرمهم من ممتلكاتهم ، وهم أصحاب البلاد الشرعيون ، وحين أقر قرار التقسيم فى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، منح اليهود ، وهم ثلث السكان ، ثلثي البلاد .

٢ : - انكم تشيرون الى « الأمة العبرية » ، بينما كون المرء يهوديا أمر يتعلق بالدين ، وليس بالجنسية .

لقد كان اعلان فكرة «اليهود كجنس» هو الأساس الذى استندت اليه النازية فى عدائها للسامية ، كما أنه الاساس الذى تقوم عليه الصهيونية ، والأمر الثابت فى علم الأجناس أن اليهود ليسوا جميعا ساميين ، ولا يجوز أن يمنح حق تقرير المصير لمجموع خليط من الناس ذوى لغات متعددة يسمون باليهود ، أكثر مما هو جائز لمجموع خليط من الناس ذوى لغات متعددة يسمون بالمسيحيين .

فاليهودى الأميركي هو شخص أميركي يدين باليهودية ، واليهودى الانجليزي انجليزي أيضا ويدين باليهودية وهكذا . . .

٣ : - لا يمكن (لاسرائيل) أن تتوقف عن كونها دولة صهيونية ، ففي هذا تناقض فى القول ، (فاسرائيل) ، الدولة اليهودية ، هي من خلق الصهيونية ، وأنتم تقولون أنها ستصبح دولة لسكانها فقط ، ولكن من هم سكان (اسرائيل) ؟

أنهم يهود من كافة أقطار الأرض ، يضاف اليهم :

* مائتا ألف من العرب الذين بقوا وهم مسلمون ومسيحيون .

* واليهود الآخرون الذين كانوا قبل عام ١٩٤٨ ، وكثير من هؤلاء لهم حق البقاء كالعرب ، اذ كان هنالك منذ عصور قديمة ، يهود فى فلسطين ، ولكن الغالبية العظمى الموجودة الآن قدمت نتيجة حملات الضغط والهجرة التي تمارسها الصهيونية على يهود العالم .

البقية على ص ٩٨

زاهد وخليفة ....

محمد مؤذن

* أفل نجم بني أمية وأظلمت سماء خلافتهم بمقتل « مروان بن محمد » الخليفة الأموى الثالث عشر والأخير على أرباض مصر فى عام ١٣٢ للهجرة ، وانقضت بذلك أيام خلافتهم التي دامت قرابة قرن من الزمان ..

ومهما قيل من خير أو سوء فى خلافة بني أمية ، وما تناولته احاديث الرواة ، وسطرته اقلام المؤرخين ، فقد كانت خلافة عربية فى مضمونها وأهدافها وكاد أن يكون مذهبها السياسي ... العرب للعرب وبالعرب .

ولقد عاصرت المتاعب طريق بني أمية وزرعت على جانبيه الاشواك والمحن منذ أول خلفائهم ، معاوية بن أبي سفيان ، حتى لفظت هذه الخلافة آخر أنفاسها بمقتل مروان بن محمد .

نعم . فمنذ اليوم الأول لخلافة معاوية ، زرعت الاحقاد والضغائن فى نفوس الطالبيين ، ومن ورائهم الشيعة والخوارج ، ورأى معاوية نفسه مدفوعا لمصارعة أكثر من عدو فى أكثر من جبهة وميدان ، وأحس المسلمون أنهم يوشكون أن يتفرقوا شيعا وأحزابا تتطاحن على الملك وتتناطح على السلطان ، ورأوا أنفسهم على مفترق طرق كثيرة يميلون



الى هذا الفريق حينا ، أو يتبعون ذلك الحزب حينا آخر ، وأوشك أن يصير الدين والحفاظ عليه أمرا يهون الى جانب الحظوة بالملك والسلطان .

ولولا أن « معاوية » كان يملك رصيدا ضخما من الحلم والذكاء والأناة ، ولولا أنه كان يملك طول باع وحسن سياسة لما قدر لبنى أمية أن تطول أيامهم حتى قاربت مائة عام واتسعت على مدارها فتوحات المسلمين ، فانفسحت فى المشرق حتى جاوزت خراسان وبلاد السند ، وبلغت مشارف الصين ، وامتدت فى اقصى الغرب حتى لامست حدود فرنسا .

على أن مكمن الخطر الذى لم يفطن اليه بنو أمية ، ولم يدخروا له حسابا ، أو يلقوا اليه انتباها ، انما كان مخبوءا فى لفائف تلك الدعوة الجديدة التي نبتت فى بيت بني العباس بأن يتولى أمراؤه زمام خلافة المسلمين بعد أن يتقوض حكم بني أمية الذى بدأ الفساد يدب فيه منذ مات « عمر بن عبد العزيز » وتولى الخلافة من بعده ، يزيد بن عبد الملك عام ١٠١ للهجرة .



للاستاذ : حسين الطوخي

كان طبيعيا أن ينحرف حكم بني أمية منذ اللحظة الأولى التي أسلموا أنفسهم فيها لمفاتن الدنيا وزينتها ، ومنذ اتخذوا الدور الباهرة والقصور الفاخرة مقاما لسكناهم ، ومنذ عزلوا أنفسهم عن جماهير المسلمين خلف جدران كسيت برقائق الفضة والذهب ومنذ استعملوا حجابا يقفون بأبوابهم يأذنون لهذا النفر بالدخول ويمنعون ذلك النفر من المثول.

وكان طبيعيا كذلك أن يتزعزع سلطان الدين ويخفت صوته فى نفوس المسلمين وهم يشهدون خلفاءهم ينزعون الى اتخاذ دمشق عاصمة للخلافة بديلا عن مكة والمدينة مع ما لهما فى قلوب المسلمين من قداسة لا تهتز أو تهون .

وعلى كر الاعوام ، يتراخى حرص الخلفاء على دينهم مثلما يتراخى الحبل المشدود بين الطاعة والمعصية ، فلا تلبث العيون أن تزيغ فيما يسمعون ويشهدون من سلوك الامويين الذين استبدلوا فى مجالسهم القيان والجوارى والغلمان بالعلماء والفقهاء وذوي الفضل،واتخذوا منهم سمارا وندماء لهم فى مراحهم ونزواتهم ، ومن ثم أصبح المسلمون ، وأمسوا يرتقبون بزوغ فجر جديد . . .

وحملت الرياح من خراسان دعوة بني العباس وبيعة ((أبي العباس عبد الله)) خليفة للمسلمين الى العراق ، والشام ومصر ، ودخل الى الكوفة أبو العباس أول خليفة عباسي فى الثالث عشر من شهر ربيع الاول لعام ١٣٢ للهجرة ، واتجه الى المسجد فصلى بالناس ، ثم خطب فيهم بعد أن حمد الله ، واثنى عليه وافتخر بقرابته لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ثم ذكر الخلفاء الراشدين ، واثنى عليهم ، ونعى على بنى حرب وبنى مروان أثرتهم وظلمهم وقال :

((واني لأرجو الا يأتيكم الجور من حيث اتاكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت الا بالله .. يا أهل الكوفة انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا . أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زمننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فأنا السفاح المبيح والثائر المتيح .

افتتح ((عبد الله السفاح)) خلافته بالقبض على الامويين ومطاردتهم أينما رحلوا أو أقاموا ، وأعمل السيوف فى أعناقهم وصادر أموالهم دون محاكمة أو مساءلة ولم يكن مداد صحائف حكمه الا دماء بني أمية وكل من يتشيع لهم أو يجرى بذكرهم لسانه .. كانت شهوة الانتقام من بني أمية عارمة وملتهبة طوال خلافة ((السفاح)) وأعانه على تقليب جمرها عماه « عبد الله بن علي » و ((داود بن علي)) وقد عمد عبد الله ايغالا

منه فى الوحشية الى قبور بني أمية فنبشها حتى يمحو آثارهم ، وحين نبش قبر ((معاوية)) لم يجد بداخله الا خيطا مثل الهباء .

الخليفة العالم

ولم تطل أيام السفاح التي قضاها يريق دماء الامويين وَيَودُ لَوْ يمحو سني خلافتهم من سجل الزمن ، ومات بالانبار فى شهر ذى الحجة لعام ١٣٦ للهجرة . وبويع بالخلافة لأخيه ((أبي جعفر عبد الله)) ولم يعد هناك من خوف على خلافة العباسيين بعد أن بادت دولة الامويين ، ولم تبق منهم بقية يخشى لها بأس ، أو يدخر لها حساب ...

أصبح ((ابو جعفر المنصور)) وأمسى ذات يوم ليجد نفسه خليفة للمسلمين وأمينا على ملك عريض ودين يضرب بسهامه فى أغلب قارات الأرض . وجاءته بعوث قسطنطين الخامس ملك الروم وشارلمان ملك فرنسا يخطبون وده ، ويتبادلون الهدايا والمواثيق ليرعى كل ملك حقوق جيرانه ، ويفتح بلاده ليعيش الناس هنا أو هناك فى وئام وسلام ...

والحق أن ((أبا جعفر عبد الله — المنصور)) يعد مفخرة فى جبين الدولة العباسية ، وهو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة العظيمة ، أقام لها شامخ البنيان على ركائز رصينة من أخلاقيات الاسلام، وتعاليم دينه وثقافته العميقة ، كما كان فى شبابه المبكر يختلف الى حلقات الفقهاء والمحدثين ، ويغترف من نبع فضلهم وعلمهم وهو اذ أصبح ذات يوم فوجد نفسه اماما وخليفة للمسلمين ، ارتكز فى سياسته على ما وعاه قلبه واشربت به روحه من خشية الله فيما يسر أو يعلن .

كما رأى ان يكف عن قتال بني أمية بعد أن كفاه أبو العباس طوال سنوات خلافته الاربعة ، مؤنة القضاء على شوكتهم ، فأصبح لا هم يشغل ((المنصور)) منذ تولى الخلافة ، الا تثبيت دعائمها واعلاء مناراتها والحفاظ على ملكها ، ولو دفعه ذلك الى أن يستعين بغير العرب الخلص ، على نقيض ما حرص عليه بنو أمية بأن يستعين العرب بالعرب .

وبنى المنصور مدينة ((بغداد)) لتكون حاضرة الخلافة العباسية ،ولتغدو بعد ذلك كعبة القصاد من ممالك الشرق والغرب ، وأنفق على تشييدها ثمانية عشر ألف ألف دينار ،وحشد اليهاالعلماء والفقهاء من كل بلد واقليم ، فأمها الناس أفواجا ، ولم تزل تتعاظم ، ويزداد عمرانها حتى غدت عروس الدنيا وسيدة البلاد ومهد الحضارة الاسلامية ، وأربى قطانها على مليونين من الانفس يتعاطون شؤون التجارة والعلم والتثقيف وكل ما يتصل بالحياة التي انفتحت عليها أسباب الرغد والأمان والعيش الرخى ...

وهدأت انفاس المنصور بعد أن فرغ من بناء بغداد ، وتطامن فؤاده بعد أن خلص ممن كان يخشى بأسهم من المقربين اليه ، وكان على قائمتهم عمه ((عبد الله ابن علي » و « أبو مسلم الخرساني » صاحب دعوة العباسيين فى خراسان .

ثم صفا الجو لأبي جعفر المنصور ، وانقشعت من سماء خلافته غيوم كثيرة، وحين يتلفت حواليه يجد ملك المسلمين قد انفسحت رقعته وامتدت سطوته ، واذا بحضارة الاسلام تغزو الممالك قبل أن تغزوها الجيوش .

كان شغله فى صدر النهار أن يجلس فى ايوانه يستطلع أخبار الولايات ، ويناقش أصفياءه وخلصاءه فيمن يوليه

هذا الثغر أو من يعزله عن تلك الولاية ، ثم ينظر فى أمن السبل وطرق القوافل والتجارة وشؤون الخراج والنفقات ومصلحة معاش المسلمين حتى اذا انقضى النهار جلس الى أهل بيته يلاعب الصغير، ويداعب الكبير ، ويقضي حوائجهم فى غير اسراف .

وفى الليل بعد أن يصلى العشاء الآخرة ، يجلس الى سماره من ذوى الفضل والعلم يشاورهم ، وينظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف والآفاق ، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه ، وانصرف سماره ، فاذا مضى الثلث الثاني من الليل ، نهض من نومه فاسبغ وضوءه ، وصف محرابه ، حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس .

وتمضي الايام والاعوام بالمنصور وهو يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ولآخرته كأنه يموت غدا ، فيملأ خزائن الدولة بالاموال ، ويؤمن عيش المسلمين ، ويشيد المدن والقصور والمساجد ودور العلم ، ويجعل من بغداد حاضرة العباسيين كعبة أخرى تأتيها الوفود من أطراف الدنيا وآفاق الارض لتنهل من علوم الاسلام وحضارته ، ثم تذيعه بعد ذلك على العالمين .

ولا ينسى المنصور آخرته ، فيشخص ما استطاع سبيلا فى كل عام الى حج بيت الله . حتى كان ذلك الموسم من الحج للعام الثامن والاربعين بعد المائة للهجرة . .

تجهز المنصور للسفر الى مكة يصحبه أهل بيته بعد أن وكل الى ولده وولى عهد الخلافة ((محمد المهدى)) أن يرعى الامور فى غيبته بالحق والموعظة الحسنة.
وحطت قافلة الخليفة على بطحاء مكة بعد سفر شاق من بغداد الى أرض الحجاز وضربت الفساطيط فى نظام وقور وشكل مهيب ، وتميز فسطاط أمير المؤمنين بضخامته وعلو راية الخلافة على هامته . ومنذ أول يوم لوصول قافلة المنصور ، أقبل العلماء والفقهاء والشعراء من مكة ومن المدينة يسلمون على خليفة المسلمين ،ويقضون فى مجلسه وسمره أوقاتا طيبة يناقشون أمور الدين والدنيا ، ويضرعون الى الله أن يهدي الناس ، وأن يقيمهم على البر والخيرات وصالح الأعمال .

أركان الملك

ويسأل المنصور ذات مساء عن ((أبي حنيفة النعمان)) الذى افتقده منذ وصولهم ، فأجاب الربيع الحاجب : انه منذ جاء معنا الى مكة وهو لا يغادر الحرم ، وان شاء أمير المؤمنين بعثنا فى طلبه . قال المنصور : بل دعوه وشأنه ، فما حاجته الينا وقد جئنا نبتغي جميعا رضاء الله ومغفرته . وامتد السماط ليتناول المنصور العشاء مع خاصته ، وقبل أن تمتد الايدى الى الطعام ، دخل الربيع يعلن وقوف أبي حنيفة بالباب ، فأذن الخليفة بدخوله على الفور .

ولم يصب ابو حنيفة من طعام المنصور شيئا ، وانتحى مجلسا قريبا منه يتمتم بالادعية ويتلو من كتاب الله آيات بينات:

ولما فرغ المنصور من طعامه ، أقبل على أبي حنيفة يسأله عن حال المسلمين فى مكة : ويدور حديث عذب بين الجالسين ، ويستمع المنصور فى شغف الى حديث الفقهاء فى مجلسه ، ويتوجه ابو حنيفة الى المنصور يسأله عن تتمة حديثه الذى بدأه فى بغداد ليلة السفر

عن أركان الملك التي لا يصلح الا بهــا ، فيبتسم المنصور ويقول : جزى الله أبا حنيفة خيرا ان أثار هذه المسألة فمــا أحوجني وأنا أمين على هذا الملك العريض الى أن يكون على بابي اربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم قال أبو حنيفــة : ومن همهؤلاء الأربعة يا أمير المؤمنين ؟؟.

سكت المنصــور لحظــة ، ثم تلاقت أنظار من في المجلس على وجهه ، ثم قال : هؤلاء الاربعة هم أركان الملك ، ولا يصلح الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا بأربعة قوائم ، اذا نقصت واحدة تداعي السرير ثم تهاوى . أمــا أحــد الاربعة فقاض لاتأخذه في الله لومة لائم ،والثاني صاحب شرطة ينصف الضــعيف مــن القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ، ولا يظلم الرعية فاني عن ظلمها غني ، أمــا الرابع ...

وهنا سكت المنصور برهة ثم عض على أصبعه ثلاث مرات وقال : آه مــن هذا الرابع ...

قال ابو حنيفة : من هو ذلك الرابع يا أمير المؤمنين ؟ قال المنصــور وهــو يتفرس في وجــه ابي حنيفة : الرابــع صاحب بريد يكتب عن هؤلاء الثلاثة على صحة ...

وانفض مجلس المنصور في تلك الليلة، وأراد ابو حنيفة أن ينصرف الى شأنه فأشار اليه الخليفة ان يبقى معه ليصحبه في الطواف حول الكعبة .

ولما شارفا مكان المســجد الحرام ، بهرهما المشهد الفريد لآلاف الضارعين والساجدين والطائفين بالكعبة ، بينمــا القناديل المضاءة من حولهم تكاد تجعل الليل نهارا ..

وسمعا دعاء الحجيج الى رب الكعبة والناس ان يحفظ لهم دينا أخرجهم من الظلمات الى النور ، وهو بعد ، خير دين أنزل للناس .

رأى المنصور الناس من كل بلد ولون وجنس لا فــرق بينهم في هــذا المقام المهيب حيث لا يتقدم غني على فقير ولا قوى على ضعيف ، وانما الكل سواسية يذكرون الله ، ويرفعون الــى ســاحته أكف الضراعة ان يقبل توبتهم وان يقيل عثرتهم وان يهديهم الى صراط مستقيم .

في جوار الكعبة

وبينما المنصور وابو حنيفة يطوفان بالكعبة ، رأى المنصــور رجلا في ركــن قريب يتطلع الى السماء ولم يلبث أن سمعه يقول في ضراعة : ((اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفســاد في الارض ومــا يحول بين الحق وأهله من الطمع)) .

جزع المنصور من دعاء الرجل ، فلم يكمل طوافه ، وخرج فجلس في ناحية من المسجد مهموما ، ولمــا أقبل الربيع حاجبه طلب اليه أن يذهب الى صاحب الدعاء ويدعوه الى لقاء خليفة المسلمين ، ثم أشار الى أبي حنيفة أن يجلس قريبا منه ليسمع معه حديث صاحب الدعاء .

ذهب الــربيع الحاجب الــى حيث يجلس الرجــل وابتدره قائلا : سمعك أمير المؤمنين تشكو الى الله ظهور البغي والفساد في الارض وقد أراد أعزه الله ان يراك وان يسمع اليك .. قال الرجل

فى هدوء رصين : قد كنت أشكو الى الله وليس الى المنصور . اذهب عنى أصلحك الله .

أدرك الربيع أن الرجل واحد من الزهاد ، وان الجدال معه لا طائل من ورائه ، فلم يكن امامه الا أن يستفزه ، ويثيره فقال له : أراك تخاطب الله ، ولا تخشى لقاءه ، فحرى بك الا تهاب لقاء عبد من عباده الصالحين . هيا ، وقم معي الى لقاء أمير المؤمنين فهو حظوة للسعداء . وهنا طلب الرجل الزاهد من حاجب الخليفة ان يمهله حتى يصلي ركعتين ، ثم يذهب معه الى حيث يجلس خليفة المسلمين دون ان ينتبه اليه أحد.

وسلم الرجل على الخليفة ، وهنأه بسلامة الوصول الى أرض الله المقدسة، ثم سكت ، فدعاه المنصور ان يجلس قبالته فجلس . قال المنصور فى وداعة : سمعتك فى طوافي تشكو الى الله ظهور البغي والفساد فى الارض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع . فوالله لقد حشوت مسامعي بما أوجعني .

قال الرجل : قد شكوت الى الله وحده ، ولم أشك الى المنصور .

قال المنصور : اعلم ذلك ، وما من سلطان لي عليك فى هذا الحرم ، انما أحببت ان تعين لي بعض ما تراه من البغي والفساد لعلنا نقدر على الا يكون فى أيامنا بغي او فساد .. قال الرجل وهو يرفع عينيه الى وجه المنصور : يا أمير المؤمنين .. ان امنتني على نفسي أنبأتك بالامور من اصولها ، والا احتجزت منك واقتصرت على نفسي ففيها لي شاغل ..

قال المنصور على مسمع من الربيع ومن ابي حنيفة : أنت آمن على نفسك ، فقل ما تحب ان تقوله ولا تبق شيئا مما تحدثك به نفسك .

وسكت الرجل برهة كأنما يستجمع ويرتب أفكاره ثم قال :

ان الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لهو أنت يا خليفة المسلمين ...

تعجب المنصور من جرأة الرجل ، وكادت وداعته ان تزايله ، لكنه كظم ما يدور فى أعماقه ثم قال : ويحك .. كيف يدخلني الطمع بينما ذهب الدنيا فى يميني وفضتها فى شمالي ، وعندى من الطعام حلوه وحامضه . ؟

أجاب الرجل : وهل دخل احد من الطمع ما دخلك ؟ ان الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين واموالهم ، فأغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها عنهم ، وبعثت عمالك فى جباية الاموال وجمعها، وقويتهم بالرجال والسلاح ، وأمرت بألا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير ولا أحد الا وله فى هذا المال حق معلوم .

وهنا تململ الربيع الحاجب ، وهم بالوقوف ، لكن المنصور نظر اليه بوجه صارم ، فعاد الى جلسته الاولى ، ثم اتجه بجوارحه الى الرجل وقال : اني مصغ اليك يا أخي فهات كل ما عندك .

استأنف الرجل حديثه بعد أن حدج الربيع بنظرة نافذة :

وأعلم يا أمير المؤمنين ان هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت الا يحجبوا عنك ، لما رأوك تجبي الاموال وتجمعها ، ولا تقسمها قالوا عنك . . هذا قد خان الله، فما بالنا لا نخونه ، وقد سجن لنا نفسه، ثم انهم ائتمروا فيما بينهم الا يصل اليك من علم اخبار الناس الا ما أرادوا . واذا ما خرج لك عامل يخالف أمرهم ويقضي بين الرعية بالحق والعدل ، عابوه عندك حتى تسقط منزلته : ويصغر قدره . فلما انتشر ذلك عنك وعن بطانتك والمقربين اليك بلا حجاب ، أعظمهم الناس وهابوهم ، فكان اول من صانعهم بالهدايا والاموال عمالك ليقووا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك من غير بطانتك ، ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من هم دونهم ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وانت غافل .

وسكت الرجل برهة ونكس رأسه الى الارض ، ثم رفع عينيه بغتة الى المنصور ، فلمح فى عينيه دموعا توشك ان تنساب على صفحة وجهه الا ان الخليفة تمالك نفسه ، واندفع يقول فى صوت متحشرج : ويحي من نفسي ومن حساب الآخرة . ولكنك تعلم يا أخي ، ويعلم المسلمون فى أقطار الارض انني أجلس الى الناس فى كل يوم لاسمع مظالمهم ثم انفذ كلمة الحق بينهم . فما الذى تنكره علينا فى ذلك ، ولكل امرىء قلب ولسان يتحدثان عنه فى السر وفى العلانية ؟

ابتسم الرجل الزاهد ، واحس المنصور بمرارة تحبس فى صدر الرجل هي افصح من اى كلام ، ثم قال الزاهد : اصلح الله أمير المؤمنين وجمله بالعافية. الذى نعلمه انه اذا جاءك متظلم ، حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فان أراد رفع قصته اليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ، حتى اذا بلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم الا يرفع مظلمته اليك اذا كان المشكو منه واحدا من بطانتك او من يلوذ بهم . ولا يزال المظلوم يختلف الى صاحب المظالم الذى اقمته ، ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه . واذا ما أفلح المظلوم فى ان يلقاك وان يصرخ بين يديك شاكيا ، ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر . الا ليت أمير المؤمنين وخليفة المسلمين يعلم قصة ملك الصين فى هذا المقام . .

ملك الصين

وسكت الرجل لحظة ريثما يأذن المنصور بالحديث عن ملك الصين ، ثم ارسل المنصور نظره الى ساحة الحرم ، فرأى اسراب الحمام الابيض تقف على اكتاف المصلين تارة ، وتحط على ظهور الساجدين تارة اخرى ، بينما عمد أكثر الحجيج الى النوم ساعة من الليل ريثما يؤذن لصلاة الفجر .

وأحب المنصور حقا ان ينصت الى حديث الرجل عن ملك الصين فقال :

ليس أحب الينا من سماع حديثك عن ذلك الملك الذى يعيش هناك فى أقصى المشرق لعل فى ذلك عظة وعبرة .

قال الرجل : قد كنت يا أمير المؤمنين اسافر الى بلاد الصين فقدمتها مرة وقد اصيب ملكها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا فحثه جلساؤه على الصبر فقال: لست أبكي للبلية النازلة بي ولكنني أبكي لمظلوم بالباب يصرخ ولا اسمع صوته . اما اذ ذهب سمعي فان بصرى لم يذهب . نادوا فى الناس .. على كل متظلم ان يرتدى ثوبا احمر . وكان هذا الملك يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر فى الناس ، ثم يدعو اليه كل من يلبس ثوبا احمر ، وينظر بنفسه فى ظلامته .

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه . وأنت مؤمن بالله ومن أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ، فان كنت تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبرا فى الطفل يسقط من بطن امه وماله على الارض مال ، ولست بالذى تعطي ، بل الله يعطي من يشاء ما يشاء . وان قلت انما اجمع المال لاشيد السلطان ، فقد أراك الله عبرا فى بني أمية ما أغنى عنهم مالهم ، وما جمعوا من الذهب والفضة ، وما أعدوا من الرجال والسلاح حتى اراد الله بهم وبكم ما أراد .

لم يقو المنصور على أن يوقف مسيل الدموع من عينيه المخضلتين ، بل اخذ ينشج فى صمت ، ويمسح عبراته بينما ابو حنيفة والربيع ينظران الى الرجل تارة والى المنصور تارة اخرى ، حتى اذا ما هدأت نفس المنصور ، واسترد جأشه قال لمحدثه : يا ليتني لم أخلق ، ويحك كيف احتال لنفسي لتغلب حسناتي سيئاتي يوم الحساب ؟ .

قال الرجل يجيب على تساؤل المنصور : يا أمير المؤمنين ان للناس اعلاما وأئمة يفزعون اليهم فى دينهم ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك .

قال المنصور : قد بعثت اليهم فهربوا مني وتباعدوا عني .

قال الرجل : خافوا ان تحملهم على طريقتك ، ولكن عليك ان تفتح بابك وتسهل حجابك ، وان تنصر المظلوم وتقمع المظالم ، وأن تأخذ الفيء والصدقات مما حل وطاب ثم تقسمه بالحق والعدل على أهله وانا الضامن عنهم ان يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة .

وانطلق صوت المؤذن لصلاة الفجر فقام الناس واصطفوا للصلاة ، ثم عاد المنصور الى فسطاطه والوجوم يكسو وجهه والهم يجثم على صدره ، لم ينم لحظة ، وظل يتقلب على فراشه نهبا لافكاره الثقيلة حتى طلع الصباح .

واعتزم المنصور فى نفسه امرا . اعتزم ان يستعمل ذلك الزاهد أمينا على الخراج وشؤون مظالم الناس ولو أغضب فى ذلك كثيرا ممن يشاورهم او يعهد اليهم مصالح المسلمين .

وحين دخل اليه الربيع الحاجب طلب اليه ان يبعث بمن يحضر رجل الامس ولم يكاشف حاجبه بما يعتزم . وذهب الربيع فى صحبة غلمانه وخدمه يبحثون عن الرجل الذى طلبه خليفة المسلمين .

غابوا طيلة النهار يروحون ويجيئون بين الحجيج يتفرسون ويسألون ، ولكنهم لم يعثروا على أثر للرجل ..



المكان لمن سبق

السؤال : —

ما حكم مـن يحجز مكانا فى الصـف الاول فى المسجد بمسبحة ونحوها وهل يجوز لمن سبق أن يصلي فى هذا المكان المحجوز ؟ .

الاجابة : —

المكان فى الصف لمن سبق ، وحضر بنفسه : وشغل المكان ، ولم يؤثر عـن السلف الصالح ، أنهم فعلوا ذلك .

وقد أنكر الشيخ تقي الدين بن تيمية هذا العمل ، وقال رحمه الله : وأماما يفعله بعض الناس من تقديـم المفارش الى المسجد فى أول الوقت أو قبله ، فتفرش له ، ويقعد هـو الى أن يمتلىء المسجد بالناس ، ثم يأتي كان غاصبـا لذلك المكان الذى فرشت فيه السجادة. وقال رحمه الله يجوز لمن سبق أن يرفع السجادة أو المسبحة التي وضعها الغير ، ويصلي فى هذا المكان لأن الانسان مأمور بسد الفرج فى الصف .

طلاق الناس

السؤال : —

حلفت بالطلاق أنه ليس معي الا دينار ، ثـم تبين أن معي أكثر ، وعند الحلف كنت اعتقد أنه ليس فى حافظتي الا دينار فهل يقعهذا الطلاق ؟ .

الاجابة : —

قال الله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم »

وقال صلى الله عليه وسلم : ان اللـه تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان ومـا استكرهوا عليه . والحلف فىهذه الحالة حلف عن يقين أو على غلبة الظن ، فقد حلف على شيء يظن صـدقه ، فظهر خلافه ، فلا حنث ولا يقع هذا اليمين لأنه لم يقصد المخالفـة . هذا ظاهـر مذهب الشافعية ورواية راجحةعن الامام أحمد وبه أفتى ابن تيمية .

خير الصداق أيسره

السؤال : —

خطبت ابنة عمي فطلب والدها « ٥٠٠ دينار » مهرا ، وليس فى استطاعتي . فهل يحرم عليه ذلـك ؟ .

الاجابة : —

المهر لا حد لأكثـره ولا حد لأقلـه ، وقد ترك الشارع تقديره للناس تبعـا لظروفهم الماديـة والاجتماعيـة ، فهو يختلف باختلاف الزمان وأحوال الناس وتفاوتهم ، وصداق كـل انسـان على حسب حاله وحال من يريد التزوج بها .

وقد دعا الشارع الى تيسير المهـور وعدم التغالي فيها . قـال صـلى الله عليه وسلم « أخف النساء صداقاأعظمهن بركة » وعـن أبي هريرة قـال : « كان صداقنا اذ كان فينا رسول الله صلى الله عليـه وسـلم عشر أواق وقيمتها أربعمائة درهم » . وسئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كم كان صداق رسـول اللـه ، فقالت : كان صـداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية. وقيمتها خمسمائة درهم.

فالمغالاة فى المهور خلاف السنة قـال صلى الله عليه وسلم : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » .

قاتل نفسه

السؤال : ـ

ما حكم من قتل نفسه ؟ .

الاجابة : ـ

قتل الانسان نفسه أفظع أنواع القتل وأشدها عقوبة ، لأنه يأس من رحمة الله وهدم لبنيان بناه الله واذا كان الله سبحانه قد توعد بالعذاب الشديد من قتل غيره فقال سبحانه : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » فانهذا الوعد الشديد والعذاب الاليم جزاء من يقتل نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ « يضرب » بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بسم ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو متردٍ فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .

وروى البخارى ومسلم عن أبي هريرة قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرجل ممن يدعي الاسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل ذلك الرجل قتالا شديدا ، فأصابه جراح ، فقيل : يا رسول الله : الذى قلت آنفا أنه من أهل النار قد قاتل قتالا شديدا وقد مات . فقال صلى الله عليه وسلم الى النار ، فكاد بعض المسلمين أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك اذ قيل له : انه لم يمت ولكن به جراحة شديدة ، فلما كان الليل لم يصبر على الجراح ، فأخذ ذباب سيفه فتمايل عليه ، فقتل نفسه ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله أكبر ، أشهد أني عبدالله ورسوله .. » .

تأخير الصلاة عن وقتها

السؤال : ـ

هل يجوز تأخير الصلاة عن وقتها لتاجر لا يمكنه عمله من أدائها فى وقتها ؟ .

الاجابة : ـ

الصلوات الخمس المفروضة لها أوقات معلومة بدءا ونهاية قال تعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » وقد بينت السنة الصحيحة هذه الاوقات ، والاشتغال بالتجارة لا ينهض عذرا فى تأخير الصلاة عن وقتها ، واخراج الصلاة عن وقتها كبيرة من الكبائر . قيل فى تفسير قوله تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » ليس المقصود بهم الذين يتركون الصلاة ، بل المقصود بهم الذين يصلون ولكنهم يؤخرونها عن أوقاتها .

الزار

السؤال : ـ

زوجتي مريضة بمرض عصبي وطلبت أن أقيم لها حفلة زار ـ فهل يجوز ذلك شرعا ؟ .

الاجابة : ـ

يكثر الدجالون والمشعوذون فى البيئات المتخلفة عقليا ، ولهم حيل وأساليب شيطانية فى التأثير على السذج وضعاف العقول وخاصة السيدات ، وكثيرا ما يقع فى حبائل هؤلاء النصابين بعض المرضى والمريضات بأمراض عصبية فيلقون فى روعهم أن فى استطاعتهم علاجهم بالزار وهذا علاج ما أنزل الله به من سلطان ، وهو محرم شرعا لما يحدث فيه اختلاط الرجال بالنساء وشرب الدم المسفوح ، وصبغ الجسم به والرقص والمفاخرة والاسراف ، وتعريض المريض للهلاك ، والطريق المشروع للعلاج هو طريق الطب والله يقول : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .



تلقت المجلة رسائل كثيرة من السادة القراء فى الأقطار الاسلامية والعربية يعربون فيها عن رغبتهم فى الحصول على الأعداد السابقة من المجلة ، كما وصلتنا رسائل أخرى يستفسر فيها أصحابها عن قيمة الاشتراك وكيفيته .

وعلى الرغم من أننا أجبنا على كثير من هذه الرسائل على هذه الصفحات أو فى ردود خاصة فلا يزال يرد الى المجلة كثير منها ، ومع تقديرنا للمشاعر الطيبة التي تسود هذه الرسائل فاننا نوجه نظر أصحابها الى أن الأعداد السابقة من المجلة نفدت وأن قيمة الاشتراك وكيفيته مبينة فى كل عدد منها .

السودان

تلقينا من الزميل الاستاذ حسن نجيلة بصحيفة الرأى العام بالخرطوم رسالة مطولة جاء فيها :

ان هذه المجلة القيمة منذ صدورها حتى الآن لم يرسل منها عدد واحد للسودان وان الاعداد التي ارسلتموها باسمي هي الوحيدة التي دخلت السودان وكان لها صدى عظيم مما جعلني أطلب منكم برقيا ارسال مائة نسخة وقد أحلتموني على شركة التوزيع ، وكنت أحب أن يكون للسودان موقف خاص لديكم فى مجال التعاون لنشر المجلة لظروف عديدة .

ومهما يكن من أمر فاني ما زلت أرى مراجعة الأمر وتخصيص مائتي نسخة شهريا لنا ، وأؤكد لكم أني سأرفع العدد الى خمسمائة نسخة .

وأؤكد لكم مرة أخرى أني أؤمن بالمجلة وأهدافها ، وأننا فى حاجة اليها لمحاربة التيارات الدخيلة والأفكار الالحادية التي تنتشر بيننا .

الوعي : نحيي فيكم هذه الغيرة الاسلامية ونشد على أيديكم ، ونحن معكم على الطريق ، وسنعمل لتحقيق مطلبكم .

* * *

ووصلتنا رسالة من المديرية الاستوائية بجنوب السودان بعث بها الأخ محمد خير الأمين من جوبا يقول فيها :

أهنىء وزارة الأوقاف بالكويت على اصدار مجلة الوعي الاسلامي الغراء وقد لقيت هذه المجلة منا كل اقبال وترحاب لما تحمله من وعي اسلامي رشيد ، يغذى القلوب ، وينير العقول ، ويزيد المؤمنين ايمانا ، ويشرح صدور غير المسلمين لهذا الدين الحنيف .

واني أرجو للمجلة كل توفيق حتى تحقق الغاية التي انشئت من أجلها سائلا المولى العلي القدير أن يعين المسلمين أفرادا وجماعات على اظهار الحق وازهاق الباطل ، ونشر النور وتبديد الظلام ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

المملكة العربية السعودية

ووصلتنا رسالة من الأستاذ عثمان الصالح

مدير معهد العاصمة النموذجي بالرياض — جاء فيهـــا :

ان مجلة الوعي الاسلامي الغراء ينبوع فياض من ينابيع الاســلام ، وفيض غزير مــن حكمتــه وهدايته وارشاده ، وكنت بها مسرورا ولا سيما لصدورها عن الكويت الشقيقة التي تربطنا بها روابط الجوار والدين والعروبة . وهذه المجلة دعوة خالصة لله ولرسوله وللمؤمنين .

الجمهورية العراقية

وأرسل السيد شــاكر عبد الكاظـم حبيب من الديوانية بالجمهورية العراقية يقول :

لقد كان لصدورمجلة الوعي الاسلامي سرور بالغ فى نفسي ، واني لأبارك هذه المجلة ، حيث أن مولدها كان فى الوقت المناسب وصدورها من أعظم الأعمــال الناجحة لنشر الدعوة الاسلامية .

أسأل الله أن يجعلها مفتاحا للعمــل على تطبيق الشريعة الاسلامية .

الجمهورية العربية المتحدة

وأرسل الينا الشاب المسلم عاطف محمد صادق من حلوان ج.ع.م الرسالة التالية ننشرها كاملة لأنها على بساطتها تنطوى على معان كبيرة يفيض بها قلبه العامر بالايمان .

تحية طيبة من قلب يكن لكم الحب والاخلاص ، ونفس تعترف بعملكم المخلص لمصالح المســلمين وخيرهم وبعد :

فانه يطيب لي أن أعرب لـكم عما يختلـج فى صدرى من الاكبار والتعظيم للمجهودات الضخمة التي تبذلونها فى المجلة لاقناع القلوب الحائـرة وارواء النفوس المتعطشة للهداية والرشاد . هذا واني احرص كل الحرص على اقتنـاء مجموعـة الوعي الاسلامي ، فقد اقتصدت من (مصروفي) الخاص المبلغ المطلوب للاشتراك ، وذهبت الى مكتب بريد حلوان لارسل لـكم حوالة بالمبلــغ ولكنهم قالوا ان هذا ليس من اختصــاصــهم ، فحزنت لذلك حزنا عظيما ...

والمجلة : تحيي هذه الشبيبة المسلمة ونرجو أن تكون مثالا لشبابنا فى التعلق بالاسلام والتفهـم لمعانيه ونلفت نظر الأخ الى أنه يمكنه الاشــتراك فى المجلة عن طريق مندوبنا فى القاهرة الاســتاذ محمد عبد الله السمان وعنوانه القاهرة — ص.ب (١٤٨٣) .

ردود قصيرة

* الأخ سعيد محمد الشمالي مــن السالمية بالكويت

نشكرك على رسالتك الرقيقة ، وقد نشرنا الاجابة على سؤالك فى باب الفتاوى من هذا العدد .

* الأخ محمد عبد الحليم غربية من الكويت .

تفصيل ما جاء فى مائدة القارىء من العدد الخامس سنعرض له فى الأعداد القادمة .

* السيد شرف الدين احمد حنفي نصار من شبرا — الجمهورية العربيــة المتحدة .

فى المستقبل القريب — ان شاء الله سنخصص بابا للمسابقات .

استدراك ..

● فى العدد الخامس السابق ص ٨ ذكر فى الآيــة عمود ١ ((اوف بعهودكم)) وصحتها ((بعهدكم))

● اكتشفنا فى طبع الغلاف خطأ فى ((جمادى الآخرة))فطبعت((جمادى الآخر)) .. عفواً ..



مؤتمر القمة الثالث

اجتمع مؤتمر القمة للملوك والرؤساءالعرب بالملكة المغربية فيما بين الاثنين ١٣ سبتمبر الى ١٧ منه .. وأصدر قراراته فى كل ما يتصل بالشؤون العربية والعالمية مما اطلع عليه القراء فى الصحف اليومية ..

((والوعي الاسلامي)) حين تبارك هذه الجهود التي يبذلها الملوك والرؤساء للنهوض بدولهم ، وجمع كلمة العرب وتوحيد صفوفهم لمجابهة قوى الشر التي تتربص بهم ، ولتطهير أراضيهم من الغاصبين . لتتوجه الى الله العلى القدير أن يرعى هذه الجهود ويوفق القادة لابرازها الى حيز الوجود عملا بناء يلمسه كل عربي وينشرح صدره له كما ترجو الله سبحانه أن يوفقهم لدعم ميثاق التضامن العربي وتصفية الجو من كل ما يعكر الصفو ويثير الخلافات حتى يسير العرب جميعا صفا واحدا الى أهدافهم الكريمة ...

الكويت

أدلى سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف بتصريح لصحيفة الرأى العام الكويتية جاء فيه — ان الوزارة أدرجت فى مشروع ميزانيتها الجديدة ٦٦/٦٧ مبلغ مائتي الف دينار لطبع القرآن الكريم وبعض الكتب الدينية التي سترسل الى الدول الافريقية — هذا فضلا عما خصص لمساعدة هذه الدول فى مجال الشؤون الاسلامية .

* أصدرت لجنة احياء التراث بوزارة الارشاد والانباء الكتب الآتية —

١ — الذخائر والتحف	للقاضي الرشيد بن الزبير
٢ — الاضداد فى اللغة	لمحمد بن القاسم الأنبارى
٣ — المصون فى الأدب	لأبي الحسن بن عبد الله العسكرى
٤ — العبر فى خبر من غبر	للحافظ الذهبي
٥ — رسائل الصابي والشريف الرضي	للشريف الرضي
٦ — مجالس العلماء	لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي
. — مآثر الأنافة	للقلقشندى
٨ — خلق الانسان	لثابت بن أبي ثابت
٩ — شرح ديوان لبيد	تحقيق الدكتور احسان عباس

١٠ — الجزء الأول من تاج العروس فى٥٢٣ من القطع الكبير ويقع فى حوالي ٤٠ جزءا .

وتحت الطبع الآن كتاب النبات . لأبى حنيفة الدينورى

*** وتلقى معاليه رسالة من الدكتور محمد الشريف عيدروس رئيس المجمع الاسلامي فى مقديشو عاصمة الجمهورية الصومالية يشرح فيها ظروف الدعـوة الاسلامية بالبلاد ، ويطلب معاونة دولة الكويت فى بناء المجمع الذى يضم عدة مدارس ومكتبة وقاعة للمحاضرات .**

* مساحة المدينـة السـكنية التي ستنشئها وزارة الأوقاف بالمدينة المنورة للحجاج الكويتيين (٩٦٨٣٩٧) متـرا مربعا ، وسيلحق بهذه المدينة مقر البعثة الطبية الكويتية .

* تبرعت الكويت بمبلغ عشرين ألف دينار لمدارس كمال الاسلام فى الفيليبين وبمبلغ ألف دينار للجمعية الاسـلامية ببغداد .

* وجهت حكومة ماليزيا دعـوة الى الكويت لايفاد مندوبين عنها للاشتراك فى الاحتفال الرسمي الذى سيقام بمناسبة افتتاح مسجد نقارا ـ المسجد الوطني ـ فى كوالا لمبور .

القاهرة

*** رشـح الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الاسـلامية بالأزهر مديرا للمركز الاسلامي بلندن .**

*** بدأ هدم قبة طائفة البهائيين التي صدر قرار جمهورى بحلها منذ خمس سنوات لانحرافها . القبة كانت تعلو مقر البهائيين فى ميدان مستشفى الدمرداش وهو الذى منحته الدولة للجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريـم ، ليكون مقرا لها ومركزا لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم . وسيبنى مسجد بجوار المقر .**

*** ستتقدم مراقبـة جنـة الأطفـال بالتلفزيون برنامجا دينيا جديدا بعنوان ((مع الله)) فى حلقات متتالية تتناول كل منها شرح احدى قواعد الدين الاسلامي شرحا تفصيليا . كمـا تحكي الحلقـة موقفا خالدا من مواقف الاسلام .**

*** طلبت وزارة الثقافـة السوفيتية الى مكتبة الاسكندرية تزويدها بصورة من مجموعة المخطوطات القديمة التـي الفها رائد علم البصريات ، العالم العربي ابن الهيثم . ومما يذكر ان ابن الهيثم يتحدث فى بعض أجزاء هذه المخطوطات عن طبيعة البقع القمرية .**

مكة المكرمة

* تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ (٩٤/٠٠٠) جنيـه اسـترليني لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع اصلاح المسجد الاقصى بالقدس الشريف ، ومما يذكر أن تـكاليف هذه المرحلـة تبلـغ (٣٥/٠٠٠) جنيه استرليني .

* كما تبرعت بمبلـغ (٣٧/٠٠٠) ألف ريال لجمعية المسـلمين اليابانيين فى طوكيو .

* تقوم الرابطـة الاسـلامية بمكة بترجمة معاني القـرآن الكريـم للغـة اليابانية ، وستعرضها قبل الطبـع على المختصين بهذه اللغة وفى علوم التفسير لمراجعتها .

بغداد

*** تبرعت الجمهورية العراقية بمبلغ عشرين ألف دينار للمسـاهمة فى بنـاء مسجد جمعية محمد الأمير الاسلامية فى بيروت .**

الجزائر

*** بلغ عـدد المعاهد الدينيـة التي انشأتها وزارة الأوقـاف خمسـة عشر معهدا بها أربعة آلاف طالب ، ويدرس بها مواد شرعية عربية وحديثة .**

*** بلـغ عدد الـكتاتيب التي تحفظ القرآن أربعة آلاف ، وعدد طلبتها يزيد على خمسين الف طالب .**

*** ترسـل وزارة الأوقاف دروسـا بالمراسـلة مجانـا فى التوحيد والفقـه والسيرة والاخلاق وبلغ عدد المراسلين ثمانية آلاف .**

٤ : ــ تتكلمــون عــن (اسرائيــل) والحكومات العربية ، وهذا قول هراء ، (فاسرائيل) هي فلسطين ... فلسطين المحتلة ، وحين يتم تحريرها ســتعود عربية من جديد .

ان العرب يقولون ... فلسطين عربية وســوف « يتــم تحريرهــا في الوقت المناسب بعمل عسكري : وهذا ما يدركه وينتظره كل عربي ، ولا حل بديل له » .

وبعد أن أجابت أمانة سر « هيئــة دراسات الشرق الأوسط » الكاتبة مانين على رسالتها ، عادت وتلقت رســالة أخرى منها .. جاء فيها .... :

« انني أعلم أن هيئتكم تؤمن بأن من الممكن التوصل الى حل سلمي للنزاع العــربي ــ الاسرائيلى ، لانني قرأت نشرتكم ، غير أن ما تقترحونه لا يرضى به العالم العربي الذى ينشد اســتعادة فلسطين جميعها ، لتعود ثانية عربيــة فيها حكومة فلسطينية » .

« ان هــذا ليس هدف الفلسطينيين المشردين الذين أبعدوا عــن بلادهــم فحسب ، بل هو هدف العالم العربي جميعــه ، وليس على الأجانب الذيــن هم بمنأى عن الموضوع أن يعلّموا العرب ما يفعلونه في هذه القضية ، ومن السفاهة محاولة ذلــك .

« هنالك الآن جيش تحرير فلسطيني ، وفي الــوقت المناســب ســيتم تحرير فلســطين بالأسلوب ذاتــه وبالوســيلة نفسها التي تحررت بها الأقطار المحتلة خلال الحــرب العالميــة الثانيــة ، أى بالسلاح » .

« نعم .. سيموت كثيرون ، ولـ ملايين العرب على اســتعداد لذلـ مفضلين الموت على ظــروف الحالـ الحاضرة الجائرة المهينة » .

لقد اعتدت أن أكون مسالمة وعم الايمان باللاعنف ، ولكني لمّا أع بعد ، ولم أدرك الآن فقط أن سبيلا وحيدا لاستعادة الفلس أصحاب البلاد الشرعيين لحقهم

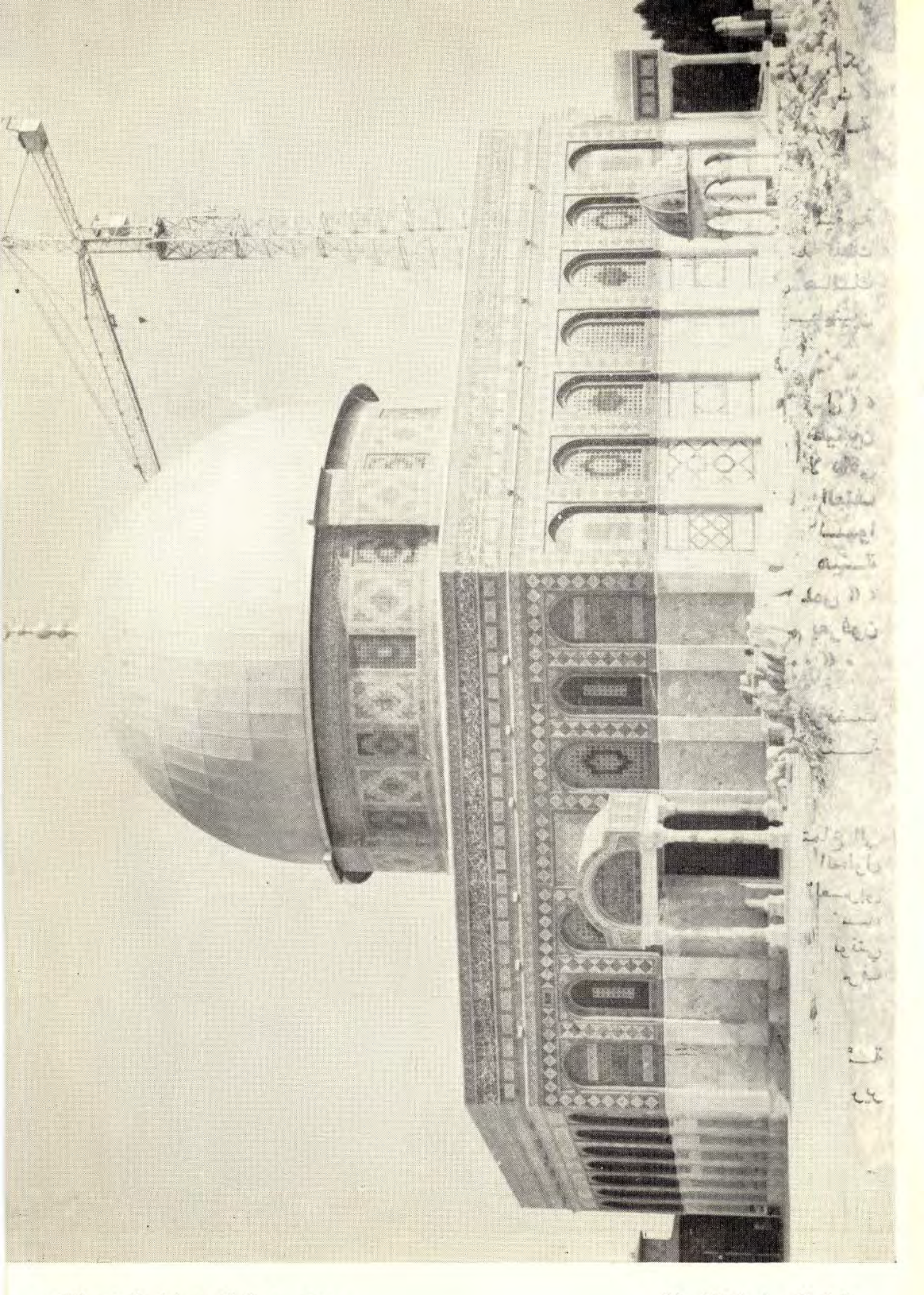
« يجب أن « تلغى » (اسرائيـ كــانت البلد فلســطين وللفلسـ ويجب أن تعود ثانية كذلك ، و لأن نكون عاطفيين فيمــا يتعلق بـ في هذه الناحية . ان العرب ليس كذلك ، وليس لهيئتكم أو أيــة أخرى حق البحث عن « حل سـ فالفلسطينيون والعرب جميعهـ الحل ، ولا يوجد حل سواه .

وقد تابعت الكاتبة رسالتها بـ رجــاء لحضــور اجتمــاع « هي الدراسات ... » .

« لا أستطيع تحمــل الاســ الكثير من الهراء الوهمي حول السلمية . فأنا أعرف العالــم ا والشعور العربي ، وأنا كليا مع أعضـ حركة تحرير فلسطين ، وهم يقبـ واحدة منهم ، انني الآن مواطنة شـ فلسطينية ، وهذا ما أفخر به .

« انني غير مهتمة بمساعدة « هيـ الدراسات » ولكنني أهتم فقط بتحـ فلسطين ... » .

● من نشرة فلسطين التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء الكويتية .



قبة الصخرة المشرفة

سننشر تحقيقا عنها فى العدد القادم



ساقى القهوة لوحة زيتية بريشة محمد مؤذن



السنة الأولى ـ العدد السابع ـ رجب ١٣٨٥ هـ ـ نوفمبر ١٩٦٥ م



يهاجر الـى الحبشة

قصة العدد ص ٧٤

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع السنة الاولى
رجب سنة ١٣٨٥ هـ

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

صورة الغلاف



قبة الصخرة المشرفة كما تبدو بنقوشها الاثرية الرائعة
« اقرأ التحقيق الوافى عنها فى هذا العدد »
« تصوير مجلة الوعي »

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧

اقرأ في هذا العدد



كلما أقبل على المسلمين شهر رجب من كل عام عنيت الصحف والمجلات والجماعات الاسلامية بالحديث عن الاسراء والمعراج ... واحتفلوا بالليلة التى اشتهر بينهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام أسرى به الله فيها « ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » ثم عرج به الى السموات العلا وهى ليلة السابع والعشرين من رجب ...

وكلما تجدد الحديث عن الاسراء والمعراج تجدد ذكر الخلاف فى الرأى حول التفاصيل التي حدثت للرسول فى تلك الليلة .. والخلاف فى الرأى هذا قديم حفلت به بطون الكتب التي تعرضت لهذا الحادث .. ولكل وجهة هو مولاها ... وان كان المختلفون فى التفاصيل لا يمتد اختلافهم الى وقوع الحادث نفسه ..

ولكن نبتت نابتة من شبابنا وكتابنا فى هذه الايام طغى التفكير المادى على تفكيرهم وحكموا قوانين الطبيعة فى هذا الحادث ، فاستبعدوا أن يقطع الرسول صلى الله عليه وسلم المسافة بين مكة والمسجد الاقصى فىلحظات ، ثم أنكروا ان يعرج به الىالسموات، ويخترق فى طريقه مناطق الفضاء التى يتعرض فيها الانسان للموت المحقق ، وان يقطع هذه المسافات الشاسعة فى البعد ، الى حيث السموات السبع ، ويعود فى الليلة نفسها الى مكانه فى مكة .

ولا شك ان تفكير هؤلاء خاضع كما قلنا لقواعد التفكير المادى المجرد القائم على القوانين المستمدة من الطبيعة والتجربة ، والذين يخضعون انفسهم لمثل هذا التفكير يسجنون افكارهم وعقولهم داخل اطار المادة وقوانينها ، فلا يحسون ناحية هامة اخرى من نواحى الحياة وهى الناحية الروحية .. فهم فى هذا كمن يتنفس برئة واحدة ، أو كمن شدت عنقه الى ناحية ، فلا يستطيع ان ينظر الى غيرها .. وهم لهذا يؤمنون بما قامت به امريكا وروسيا من غزو الفضاء ، ولا يستطيعون ان يتخذوا من هذا دليلا يقرب الى عقولهم وقائع الاسراء والمعراج .

واذا كان مثل هذا المشدود العنق يحس نقصا فى ادراكه لما حوله ، ولا يستطيع ان ينكر ما لا يراه ، فان الذين يعتمدون فى تفكيرهم على الاتجاه المادى الصرف لا يحسون مع الاسف مثل هذا النقص فيهم ، فيدعون ان مالم يخضع للقوانين العلمية المادية لا يمكن الاعتراف به .. ونسوا ان هناك جانبا من الحياة له وجوده وأهميته لا يمكن لهذه القوانين ان تتناوله ، بل هى تعجز عجزا تاما عن ادراكه واخضاعه لمقاييسها ..

واذا كان بعض هؤلاء لا يزالون حسنى الانتساب لدينهم ، ومقرين بأن محمدا رسول من عند الله فان مما يعترفون به ولا ينكرونه أن باب الرسالة ليس مفتوحا لكل من يلجه ويدعيه ، بل هو قاصر على من يختاره الله ، وأن من الضرورى أن يجابه الرسول بالمعاندين الذين ينكرون رسالته ، ومن هنا كان مما تقتضيه حكمة الله ورحمته أيضا بخلقه ان يؤيد رسوله بشىء خارق لعادة الناس ومصطلحاتهم وللقوانين الطبيعية التى الفوها فى حياتهم ، ويستطيعون مزاولتها بقدراتهم .

حتى يظهر للناس أن هذا الرسول مؤيد بقوة فوق قوة البشر جميعا هي قوة الله .. والأمر متروك لهم بعد أن تقوم هذه الحجة ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ويتحمل كل مسؤولية ما يتجه اليه .

ومن هذا الشيء الخارج على القوانين الطبيعية العصا التي أيد الله بها موسى حين القاها . ((فاذا هى حية تسعى)) ((تلقف ما يأفكون)) وما أيد به عيسى ((اني قد جئتكم بآية من ربكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بأذن الله وأبرىء الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله ..)) .

فهل يمكن للمأخوذ بروعة العلم الطبيعي وقوانينه من المسلمين المقربين بالرسل ــ وكلامي موجه اليهم لا الى الملحدين المنكرين للرسالات ــ هل يمكن لهؤلاء ان يحكموا القوانين العلمية الطبيعية ، ويفسروا لنا على ضوئها هذا الذى حدث مع موسى وعيسى عليهما السـلام .

واذا كان التفسير العلمي المادى يقف عاجزا امـام هـذا وذاك فلماذا يريدون ان يحكموه فيما حصل لنبينا عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء والمعراج ؟ ! .

لقد كان من حكمة الله الضرورية فى غمرة الحزن التي انتابت الرسول لفقدان النصيرين خديجة وأبى طالب . وفى الجـو الذى ارتفعت فيه اسـهم الشرك وقويت صولته فى مكة حتى كاد يخنق الدعوة والداعية ، كان من حكمة الله ان يشد عزم رسوله ومصطفاه بشيء لافت لانظارهم ، خارج عن قدراتهم وعن القوانين الطبيعية المألوفة لديهم ، فأسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . ثم عرج به الى السموات العلا ((عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى)) ولقد قال الله للمكذبين حين ذاك : ((أفتمارونه على ما يرى)) .

ونحن نعيدها على سمع المكذبين الآن المستكثرين على قدرة الله ان توقف قوانين الطبيعة التي صنعتها ، وتكرم محمدا رسول الله بنواميس وقوانين أخرى غير مألوفة حتى يصعد الى حيث يرى من آيات ربه الكبرى ، نقول لهم ما جابه الله به المكذبين قديما . ((افتمارونه على ما يرى)) ؟ .

واحدة من اثنتين امام المسلم وكل من ينتسب لدين سماوى : اما ان يظل على ولائه لدينه وتصديقه بارسال الرسل وحينئذ لا مناص له من الاعتراف بأن الله يكرم رسله ، ويؤيدهم بما شاء ، وقد أسرى بعبده محمد وعرج به ((وهو على كل شيء قدير)) . وأما ان يعيش فى دائرة العلم الطبيعي وحده ، ويقصر عليه ولاءه وايمانه ، وهذا نقول له : اخرج من القمقم وافتح قلبك لنسائم المعرفة .عش حياتك بجناحيها الروح والمادة ، لا بجناح واحد . والا فانك ستظل عبدا للتراب ، محروما من نعمـة الاحساس بالسمو الروحي الذى يقدمه لك حسن ايمانك باللـه ..

رئيس التحرير

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد

الرحلتان القدسيتان

أخرج الشيخان والترمذى والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليهوسلم : « بينما انا فى الحجر ـ وفى رواية الحطيم ـ بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فشق ما بين هذه الى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه ، الحديث » (١) .

تمهيد

أ : ـ الاسراء (٢) هو السير بالليل خاصة ، والمراد به هنا . سير رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فى السنة الاولى قبل الهجرة ليلة السابع والعشرين من رجب الفرد على أصح الأقوال .

والمعراج (٣) هو السلم ، والمقصود به فى بحثنا هذا ، عروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الأقصى الى السموات الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام حيث ناجاه ربه السميع العليم .

ب : ـ والاسراء والمعراج من الأمور الايمانية السمعية التي عرفت بالتواتر ووردت بالقرآن الكريم والسنة المشرفة، بما لا يدع مجالا للشك فيها أو الارتياب فى وقوعها لدى من آمن بالذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وان كان بعض العلماء يرى أن القرآن الكريم نص صراحة على الاسراء فى السورة الكريمة المعروفة بهذا الاسم (الاسراء) وأشار اشارة الى المعراج فى سورة « النجم » وأيدت السنة الشريفة الصحيحة وقوعهما فى ليلة واحدة فعلا لصاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) الحديث طويل جدا ونكتفى باثبات هذا القدر منه هنا ومن أراد استقصاءه فليرجع اليه فى صحيح البخارى فى باب « الصلاة »

(٢) فى اللغة : سرى يسرى سرى (بضم السين المهملة) ومسرى وأسرى . أى سار ليلا ، وبالألف لغة أهل الحجاز ، وأسراه وأسرى به ، مثل : أخذ الخطام وأخذ بالخطام ، قال تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ... »

(٣) فى اللغة : عرج فى السلم ، ارتقى ، والمعراج ، السلم ، ومنه ليلة المعراج ، والجمع معارج ومعاريج ، قال الأخفش ، ان شئت جعلت الواحد معرج ومعرج (بفتح الميم وكسرها) كما تقول مرقاة ومرقاة ، والمعارج المصاعد .

وعلى هذا :

فالبحث يتناول : أولا : اسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .

ثانيا : عروجه عليه السلام من المسجد الأقصى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام .

فالأول : ــ وهو الأسراء جاء صريحا فى قول الله تبارك وتعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى(١) الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » كما أخرج الشيخان وغيرهما ــ فى هذا ــ الحديث الصحيح الذى أشرنا اليه فى أول البحث .

ولنسر فى بحثنا مع ما رواه الشيخان فهو يحكي الواقعة وما حدث فيها خطوة خطوة .

١ : ــ حادثة شق صدره الشريف وحشوه ايمانا وحكمة ورأفة ورحمة ، قال كثير من المحققين يجب التصديق بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله عن ظاهره لانه داخل فى محيط قدرة الله عز وجل .

٢ : ــ أسرى به عليه السلام وهو راكب « البراق » الذى ورد فى وصفه أنه دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ، وكان اذا أتى على واد طالت يداه وقصرت رجلاه ، واذا أتى على عقبة ، طالت رجلاه وقصرت يداه ، كما كان جبريل مرافقا لرسول الله فى هذه الرحلة المباركة ، وكان هذا للايناس كالمعتاد فى سفر البشر عامة

فالقلب اليه أميل والنفس به آنس

فالرحلتان جرتا على سنن ما ألفه البشر وان كان الله سبحانه قادرا على نقل رسوله الى اى مكان يشاء فى طرفة عين « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » .

٣ : ــ فى آية الاسراء ورد قول الله تعالى (لنريه من آياتنا) .. وفى سورة النجم (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وقد مثلت لرسول الله فى رحلته من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى صور كثيرة مما يعرض للناس فى هذه الحياة وما سيترتب على ذلك يوم القيامة ولنورد طرفا من تلك المشاهد التى رآها صلى الله عليه وسلم كما وردت فى صحيحى الشيخين وغيرهما .

أ ــ أتى على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال يا جبريل ما هذا ؟ فقال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقوا من شىء فهو يخلفه .

ب ــ ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شىء (أى لا ينقطع) فقال يا جبريل ما هذا . فقال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ، وهذا تمثيل وتشخيص لما ستكون عليه أمته من ترك الصلاة كسلا أو تأخيرها عن وقتها ، وبيان ما يترتب على ذلك من العذاب الشديد المستمر الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ج : ــ ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما

---

١ ــ هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال وهو ثاني مسجد وضع فى الارض لخبر أبي ذر . قلت يا رسول الله أى مسجد فى الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى . قلت كم بينهما ؟ قال أربعون سنة ، ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه . وقد اسسه يعقوب بعد بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة وجدده سليمان او أتم تجديد أبيه عليهما السلام بعد ذلك بكثير .

تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع (١) والزقوم (٢) ورضف جهنم (٣) وحجارتها . فقال من هؤلاء الرجال يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم ، وهو تشخيص لمانعى الزكاة من أمته عليه السلام وتمثيل لحالتهم التى سيكونون عليها يوم القيامة.

د : ـ ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدورهم ولحم آخر نيء خبيث فجعلوا يأكلون النيء الخبيث ويدعون الطيب النضيج ، فقال من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال فيتركها ويأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، فمثل الزنا بأكل اللحم النيء الخبيث اشارة الى أن ذوى الطباع السليمة والنفوس المستقيمة لا يقربونه لما فيه من الضرر والخبث وما يترتب عليه من المفاسد .

هـ : ـ ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقارض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم . فقال من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون فهم يعملون على الفتنة ليصلوا الى هدف دنيوى ولا يريدون الامر بالمعروف ولا النهى عن المنكر فهم يفسدون ولا يصلحون قاتلهم الله أنى يؤفكون .

و : ـ ثم مر على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع . فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها ، فقد يفوه المرء بما يودى به ويهلكه ، قال الشاعر الحكيم .

يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول توجب قتله
وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وفى الحديث الشريف (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (٤)

ز : ـ ولما وصل صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى مثل له الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام فأمهم فى الصلاة ايذانا بأن رسالته خاتمة الرسالات وهى شاملة لكل ما جاء به سابقوه من الأنبياء والرسل جميعا وتزيد أنها دائمة عامة باقية الى يوم يرث الله الارض وما عليها ومن عليها .

والثاني : ـ وهو المعراج .

١ : ـ لقد كان المعراج من المسجد الاقصى الى السموات العلى ، وفى حديث البخارى (... ثم عرج بي الى السماء ..) وقد اجتمع فى كل سماء مع نبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واطلع على أحوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ، ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام رأى ليلة المعراج فى مملكة الله تعالى خلقا كهيئة الرجال على خيل بلق شاكين السلاح لا يرى أولهم ولا آخرهم فقال يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال ألم تسمع قوله تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » فأنا أهبط وأصعد أراهم هكذا يمرون لا أدرى من أين يجيئون ولا أين ينتهون .

٢ : ـ وانتهى به عليه السلام المطاف الى مكان علوى رفعت اليه فيه سدرة

---

١ ـ الضريع . شوك شائك لا تطيق الدواب أكله لخبثه ، وقيل هو الشوك اليابس .

٢ ـ الزقوم . نبت شديد المرارة كان ينبت فى صحراء تهامة .

٣ ـ رضف جهنم . (بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة) جمرها وهى حجارتها المحماة .

٤ ـ وما شاهده عليه السلام فى هذه الرحلة كثير ، فقد مثلت له الدنيا ، والمرابون ، وقطاع الطرق ، والخائضون فى أعراض الناس ، والنساء المنحرفات ... الخ مما لو استقصيناه لطال المقام وامتد البحث .

المنتهى وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم .. (... ورفعت لى سدرة المنتهى فاذا نبتها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيلة ... ، ثم فرضت على الصلاة خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى .. فقال ما صنعت ؟ قلت فرضت علي خمسون صلاة قال أنا أعلم بالناس منك عالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة وان أمتك لا تطيق فارجع الى ربك فسله ، فرجعت فسألته ... (١) وما زال يتردد بين ربه وموسى حتى استقر على خمس صلوات فى اليوم والليلة ، والصلاة هى العبادة الوحيدة التى فرضت فى السماء دون وساطة جبريل عليه السلام ، وهذا دليل على عظم شأنها ولا غرو .. فقد قال صلى الله عليه وسلم (الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين » وورد أنها هى العبادة الوحيدة الباقية الى النفخة الاولى .

هذا : ـ ولما عاد صلى الله عليه وسلم الى مكة وأصبح الصباح كان لا بد أن يعلم القوم بما رأى وما شاهد ، وتروى كتب السيرة أنه خرج الى المسجد وأخبر قريشا فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا ، وارتد أناس ممن آمنوا به عليه الصلاة والسلام من ضعاف الايمان ، وسعى رجال الى أبى بكر رضى الله عنه فقال « ان كان قال ذلك لقد صدق » فقالوا تصدقه على ذلك ، قال انى أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة ، فسمى الصديق ، وكان فى القوم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه اياه فجلاه الله له فجعل ينظر اليه وينعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب فيه ، ثم أخبرهم عن عيرهم التى تحمل تجارتهم وعن موعد أوبتها وصدق عليه السلام فى كل ما قال ولكن لم يؤمنوا . ومن أعمى الله قلبه وأضله فلن يؤمن (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

الخلاصة

١ : ـ الاسراء والمعراج وقعا فعلا كما أخبر بذلك الصادق صلى الله عليه وسلم ، ونحن نؤمن بوقوعهما ايمانا عميقا قويا لا يتزعزع لأن قدرة الله لا تحد ، ومما يقوى هذا الايمان ويثبته ما يحدث فى زماننا على أيدى البشر من دوران حول الارض ، وارسال الصواريخ الى القمر ، وما نرى ونشاهد من نقل الصوت والصورة بل والطيران بالسرعة الخارقة وغير ذلك ، فاذا كانت علوم البشر المحدودة وصلت الى قهر البر والبحر والجو ، فكيف يمكن أن تقف قدرة الله وعلمه عند حد ، .

٢ : ـ مما ذكره القدماء فى حكمة الاسراء والمعراج انهما كانتا للمناجاة ولهذا وقعتا من غير مواعدة وهذا أوقع وأعظم ، وكان التكليم مع موسى عن مواعدة وموافاة وشتان ما بين المقامين ، وأيضا كانت الحكمة فى أن يشاهد عالم السموات العلى وما فوقها كما شاهد الارض حين طيف به فتمت سياحته صلى الله عليه وسلم فى العالمين العلوى والسفلى . ورأى من ملكوت ربه ودلائل عظمته ما رأى .

نسأل الله تعالى القدير أن يعيد هذه الذكرى المباركة الطيبة على الامة العربية خاصة والاسلامية عامة بالسعادة والتقدم فى الميدان العلمى تقدما يسبقون به الشرق والغرب ، كما نسأله جلت قدرته أن يجمع كلمة العرب والمسلمين ويوحد جهودهم ويرزقهم الأمن والاستقرار والرخاء والبركات انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

١ ـ وفى رواية أخرى للبخارى ثم علا به فوق ذلك بمالا يعلمه الا الله حتى جاءت سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة .. الخ الحديث .



لفضيلة الشيخ عطيه صقر
مراقب الوعظ والارشاد بالأزهر

الدين فى حقيقته نظام الهي ، اختاره الله لهداية البشر واصلاح دنياهم ، وأخراهم ، وقضية كونه نظاما الهيا ، تحتم أن يكون فى دقته واحكامه متناسبا مع ما يتصف به الاله من صفات العدل والحق والحكمة ، وأن يكون بعيدا عن مجال الشك والارتياب .

وهداية الله للبشرية فيض من رحمته ، وقبس من عطفه ، وتأكيد لقصور الانسان عن معرفة كل ما يصلح أمره ، ويهديه السبيل .

وغاية الدين تبدو واضحة فى مظهرين هما عمارة الكون بالخير تحقيقا لحكمة خلق الله آدم ، ليكون خليفة فى الأرض ، وربط المخلوق بالخضوع لعظمته واستمداد العون منه ، وتحمله مسؤولية ما يصدر عنه من أقوال وأفعال،والرجوع اليه بعد البعث ، ليلقى جزاءه على ما كسب من خير ، واكتسب من شر .

هذه الهدايات الالهية نزل بها الوحي متتابعا فى جميع عصور التاريخ على رسل اصطفاهم الله لحمل تبعة الرسالة ، وقيادة الناس الى الخير .

والأديان فى مبادئها العامة الهادفة الى تحقيق الغاية من وجود الانسان ، لا تختلف على مر العصور وفى مختلف البيئات . فعبادة الله وحده والشعور بالمسئولية الكبرى أمامه ، والايمان باليوم الآخر ، وكذلك مبادىء العدالة والحرية والمساواة والأخوة ، وأخلاق الصدق والعفة والرحمة والتعاون وأمثالها من المبادىء والأخلاق الانسانية والاجتماعية كلها قدر مشترك بين جميع الأديان غير أن علاج الدين لمشاكل الانسانية ،ورسم الطريق لبلوغ الغاية المرجوة قد أخذ أشكالا متعددة ، يتناسب كل شكل منها مع حاجة المجتمع الى نوع معين من الهداية ، وأسلوب خاص من السلوك ومع استعداده للتجاوب مع ما تقرره هذه الهداية وتدعو اليه .

تطور المجتمعات البشرية

والمجتمع البشرى فى تطور دائم وتغير مستمر ، وهو فى تنوعه بحسب الأقاليم والبيئات والظروف متفاوت فى مشاكله ،



وفى الطرق المثلى لحل هذه المشاكل ، كما أن التاريخ فى سيره الحثيث يخلق مشاكل جديدة ويتنفس عن أحداث تقتضى علاجا مناسبا قد لا تكون هناك صلة بينه وبين ما قرر من آلاف السنين. وتعاليم الأديان كلما مست مشاكل الفرد والمجتمع ، وكانت فى أساليبها متجاوبة مع الفطرة متفقة مع العقل لا توجد رد فعل عام تنفر منه الطباع السليمة والعقول المتزنة الحرة – كان ذلك دليلا قويا على صدق هذا الدين وحيويته ، وعلى جدارته بأن يكون منسوبا لله الذى لا يصدر عنه الا كل عمل حكيم .

غير أن آفة الأديان عامة هي تشويه القائمين عليها من البشر لتعاليمها ، واساءة فهم مقاصدها ، والميل بها عن هدفها الأصيل ، وتحكيم الأغراض والشهوات فيها ،بغيا بينهم وتنافسا على مصالح دنيوية (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» .

والأديان السماوية التي تقدمت فى التاريخ على الاسلام كانت كلها مؤقتة جاءت لفترة معينة من الزمن ، أو لقوم مخصوصين ، لهم مشكلتهم الخاصة . وكان الدين اللاحق ناسخا للدين السابق مؤذنا بانتهاء مهمته . جاء يؤكد الأصول الأولى التي دعا اليها الدين السابق ، وينبه الى الأخطاء التي ارتكبها أتباع هذا الدين ويقرر مبادىء أخرى جديدة تصلح للطور الجديد . كما أن الرسالة التي تخص جماعة معينة لا تنافيها أن تكون هناك رسالة أخرى معاصرة لها جاءت لقوم آخرين لهم مشاكلهم الخاصة ، كما اجتمعت فى وقت واحد رسالة سيدنا ابراهيم وسيدنا لوط « ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين . قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » .

الاسلام دين عام

ولم يسبق الاسلام دين عام للبشرية جميعا يعم أجناسهم وألوانهم ، ويشمل كل بيئاتهم . ولعل ذلك راجع الى عدم تكامل المقومات الأساسية للمجتمع العام من حيث النضج العقلي ، ومن حيث الشعور بالروح الجماعية والتعاون الشامل ، نظرا لعدم سهولة المواصلات واكتفاء كل مجتمع اكتفاء ذاتيا بما يغطى مطالبه الضرورية التى اقتضاها وضعهم الاجتماعي المبسط ، ومشاكلهم التي لا تستصعب على الحل . ويشير الى خصوصية تلك الرسالات قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » كما أن الرسالات السابقة انتهت مهمتها بظهور الاسلام الذى ختمت به الرسالات كلها ، وكان هو دين البشرية حتى تقوم الساعة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين بنص القرآن الكريم ، وقد تحدث عن نفسه بذلك فى عدة أحاديث .

والهداية الاسلامية فى أبعادها الطولية والعرضية خصبة خصوبة تامة بالحلول الدقيقة لجميع مشاكل الناس وعلى مدى التاريخ ، « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

والاسلام يحمل خاصية العموم والخلود من أول يوم صاح فيه النبي صيحته المدوية بين العرب: « اني رسول اليكم خاصة والى الناس كافة » « قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا» . وكان يقرر هذه الحقيقة حتى فى أشد أوقات الأزمات التي لا يظن معها خلاص أو نجاة . فكان فى غزوة الخندق والأحزاب مجتمعون حول المدينة يريدون أن يقضوا على الدعوة مرة واحدة ، يتفاءل ويستبشر ، ويمد نظره الى الأفق الواسع فى رحاب الدنيا العريضة ، والى المدى

البعيد فى احضان المستقبل . فهو يقول عندما ضرب الصخرة ثلاث مرات : « أعطيت مفاتيح الشام وفارس وصنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها » .

دعوة الملوك والشعوب

وكتب الى الأمراء والملوك ورؤساء الدول المجاورة يدعوهم الى التعاون معه على كلمة سواء هي العقيدة الصحيحة وتخليص الانسان من عبوديته للانسان ، وتقرير مبادىء العدل والحق والمساواة ، وهو حين يدعوهم الى ذلك يقدر أسوأ النتائج برفض هذه الدعوة ، فلا يفوته ان يدعوهم الى الاعتراف بالدولة الاسلامية الجديدة كقوة لها كيانها ومقوماتها ، يجب أن تعامل دوليا كبقية الدول المعترف بها ، يتبين ذلك واضحا من هذه الآية التي كتب بها الى الملوك « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا تعبدوا الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وفى الوقت الذى بزغت فيه شمس الرسالة الاسلامية كان هناك دينان ما يزال لهما سلطان على رقعة واسعة من الأرض هما اليهودية والنصرانية . ولكن الاسلام بقوته الذاتية التي تتمثل فى مبادئه استطاع أن يكتسح سلطان هذين الدينين فى زمن وجيز ، وامتد رواقه فى أقل من قرن من الزمان الى حدود الصين شرقا ، وشواطىء المحيط الأطلسي غربا فى افريقيا وأوربا .

حضارة الاسلام

ظهر الاسلام فى الشرق بقوته ، وازدهرت حضارته ، وغطت على الحضارات الأخرى ، وحدثت عدة لقاءات بين الغرب والشرق ، اطلع فيها الغرب المتأخر على حضارة الشرق المنبثقة من الدين الجديد فانكب رواد المعرفة على التزود من ثقافة الاسلام ، ولم يستنكف الأحبار والرهبان أن يكونوا تلاميذ لعلماء المسلمين فى جامعات الأندلس وغيرها ، بل ان البلاط الانجليزي أوفد بعثات من نسائه ليتعلمن الآداب والمراسيم فى البلاط الاسلامي ، واستدعت دول اوروبا مهندسين مسلمين لاقامة المنشآت والاستنارة بأفكارهم فى المجالات المختلفة . وتحرك فى نفوس الغربيين عامة شوق كبير الى الانفلات من قيود الأوضاع التي تسود بلادهم ، والثورة على التعاليم الدينية التي كانت تتحكم فى جميع شؤونهم ، فانبعثت فى عصر النهضة صيحات وصيحات تريد التحرر من القديم ، والانطلاق الى العالم الفسيح بعلومه واكتشافاته وحضارته ، كما انطلق المسلمون من قبل وملكوا ناصية السلطان .

وبعد عراك دموى، واصدامات سجلها التاريخ بين القديم والحديث، انطلق مارد الغرب من القمقم، وجال جولته الناهضة التي يعيش الناس فى ظلها الآن ، وكان من عقابيل هذه النهضة عقدة نفسية ضد الدين الذى كان يسيطر من قبل على مشاعرهم وأفكارهم ويحول بينهم وبين الانطلاق والتحضر ، وشهدت المؤلفات حملات قوية تهاجم الدين وتأخذ بجريرته الأديان الأخرى ـ ظنا من الناس أنها جميعا على وتيرة واحدة ، لا تتجاوب مع العلم ولا تساعد على النهوض ، وكان الدين الاسلامي من الأديان التي أصيبت ببعض هذه السهام الطائشة ، ووقر فى نفوس بعض الشبان الذين تخرجوا فى مدارس الثقافة الغربية المستوردة أن الاسلام كبقية الأديان حجر عثرة فى سبيل التقدم والنهوض . وكان من واجبنا فى هذه الأيام أن نتصدى لرد الشبهات ، وابراز محاسن الاسلام وتفاعله مع المدنية ،وان نعبىء كل قوانا للجهاد فى هذا الميدان الذي نزلت فيه هذه المجلة المسلمة قوية نرجو لها ولأمثالها النصر ان شاء الله .

« الحديث موصول »

الإسراء والمعراج

بعد موت أبي طالب ، وموت خديجة ، اشتد الأذى بالرسول صلى الله عليه وسلم الى حد لم يكن يخطر على بال . وأسرف أهل مكة فى التعرض له والتجرؤ عليه والوقوف فى سبيله الى حد استأسد فيه الجبان ، وتجرأ فيه الصبيان ، واعتدى عليه من لا يدفع عن نفسه .

وخرج الرسول الى الطائف لعله يجد قلوبا تتطلع الى الهدى وتتفتح له كما تتطلع الزهرة الى أشعة الشمس . ولكنه وجدها أشد ضراوة وجهلا ، وأكثر عداوة وسوءا : وأقوى ظلاما وظلما ، أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يرمونه بالحجارة حتى دمى عقباه .

وبلغ منه الجهد والألم والاعياء كل مبلغ ، فجلس يستظل تحت شجرة يرفع من عندها شكايته .. ترى من يشكو ؟ أيشكو هؤلاء الذين أهانوه حين كان ينبغي اكرامه ، وأدموه حين كان يجب عليهم اعظامه ؟ أيشكو هؤلاء الذين اعتدوا على رجل يقول ربي الله ؟ .

كلا . ولكنه يشكو الى الله نفسه ،

تكريم وتأييد

محمد يوذن

لفضيلة الشيخ احمد جلباية
عضو بعثة الازهر بالاوقاف

يشكو ضعفه ، يشكو هوانه . ويخشى أن يكون الله قد غضب عليه فوكله الى هؤلاء .. فيقول فى شكواه « اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي . الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمرى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك أو يحل بي سخطك . ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي .. لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بالله » .

يا لله . أبعد كل هذا يستعيذ بنور ربه من غضبه وسخطه ؟ ويعتذر اليه عن ضعفه وهوانه ؟ ويلجأ الى رحمته وربوبيته ؟ وهكذا العظماء ، مهما بلغوا من مراتب العظمة يستصغرون أعمالهم .. وهكذا الحلماء ، مهما لقوا من عدوان وبغي .. يتهمون أنفسهم ..

وانظر بينما كان الدم يسيل، والاعياء يشتد ، والشكوى ترتفع ، ينزل ملك الجبال يضع نفسه تحت تصرفه ، ويقول : يا رسول الله . ان شئت اطبقت عليهم الأخشبين ! ! فيقول الرجل الكبير ، ذو القلب الكبير ، والأمل الكبير ، لا يا أخي . اني لأرجو أن يخرج من بين اصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به احدا .

يا للعجب . ! ! لقد كان الرسول غاضبا ، ولكن غضبه لم يتحول الى عداوة ... وكان دمه يسيل ، ولكنه لم يجاوز أكثر من قدمه .. وكان ألمه يزيد ، ولكنه استطاع أن يحول الألم الى أمل . أمل فى الذين لم يروا بعد نور الحياة .. فى الذين لم ينزلوا بعد الى هذا الكوكب .. فى الذين لا يزالون فى عالم الغيب .. فى الذين لا يزالون فى الأصلاب .... ! !

أرأيت الى هذه العظمة من هذا الرجل العظيم ؟ ؟ يغضب ، ولكنه لا يجور .. ويشكو ولكنه لا يثور ... ويقدر ولكنه لا ينتقم .. أليس من وصاياه التي لا تنسى « والعدل فى الرضا والغضب » ؟؟!!

ويعود الى مكة . ولكنه يمنع من دخولها .

الاسراء والمعراج

مكة الوطن ـ أحب البلاد اليه ، وأحب البلاد الى الله ـ مفتحة الأبواب لكل الناس ، ولكنها مغلقة أمامه.. حلال لكل الناس .. ولكنها حرام عليه ... لماذا ؟ هل خان الأمانة ؟ كلا بل لأنه حملها .

هل أساء الى الوطن أو الى أحد ؟ كلا بل لأنه أحسن الى كل شيء ، وطبيعته الاحسان الى كل شيء .

فماذا اذن ؟ ؟ ؟ انه طغيان الباطل ، وتسلط الحسد ، وتعنت الكبر .

وفى هذا الجو المظلم ، وهذا الاستبداد الكافر ، وهذا الحقد الجائر ... ومن بين عذابه فى مكة ، وهوانه فى الطائف ، ودخوله فى جوار المطعم ، تتراءى حكمة الاسراء والمعراج .. تثبيتا لقلبه لأن الله معه .. وترويحا لنفسه ، بهذه الرحلة الخالدة .. وجلاء لصدره ، من هموم هذه الدنيا .. واحتفالا به ، باعتباره رجل هذه الأمة ، رجل الساعة ، الى أن تقوم الساعة .

رجل هذه الأمة التى يقودها فى حياته بحكمته ، ويقودها بعد مماته بسنته . رجل هذه الأمة ، وكل أمة .. رجل الانسانية كلها .

الا ترى الى جميع الأنبياء والرسل ، وهم يصلون خلفه ، ويلتفون حوله « كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم » .

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . منهم من كلم الله . ورفع بعضهم درجات . وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس » .

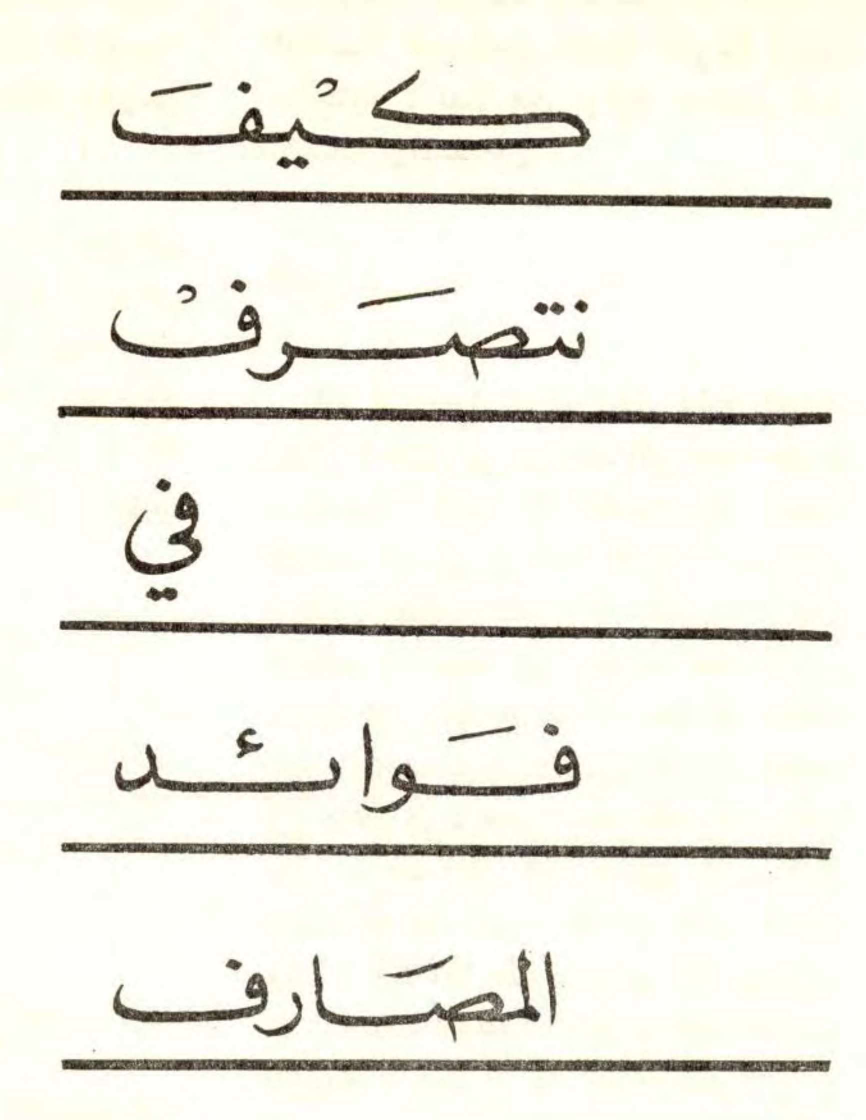
نعم . وصدق الله « واتخذ الله ابراهيم خليلا » ... « وكلم الله موسى تكليما » .. وجعل عيسى كلمته وآيته . آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله ! ! .

ولكن انظر الى هذا الرجل العظيم . والأرض تطوى من تحته ، والسموات تنفتح من فوقه .. والكون يسهر من اجله .. والقوانين تعطل له .. والبعيد يقرب .. والمسافات تتداخل .. والحجب تمزق .. والحواجز تذهب .. والأبعاد تزول .. والزمن يصغر ، ويتحول الىلحظات .. واللحظات تتسع لآيات وآيات .. آيات الأرض والسموات . تتسع وتتسع للصعود والنزول .. والذهاب والاياب .. والصلاة والسلام .. من المسجد الحرام .. الى المسجد الأقصى .. الى سدرة المنتهى .. الى جنة المأوى .. الى التشريع للدين .. الى التخطيط للدنيا ...... !! «أفتمارونه على ما يرى ؟ ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

هل فاز بهذه الدرجة العالية أحد ؟ ؟ هل حظي بهذا الشرف الرفيع غيره .

ومع ذلك فنعوذ بالله من أن نضل أو نضل . أو نزل أو نزل ، فنرفعه فوق قدره .

فهو مهما صعد أو نزل ، أو حل أو ارتحل ، فهو عبد الله ورسوله « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ».



بين لجنة الفتوى بالأزهر
ورئيس رابطة علماء العراق

كنا قد نشرنا فى العدد الأول استفتاء عن كيفية التصرف فى الفوائد التي تدفعها البنوك . هل نتنازل عنها للبنك أو نأخذها ونصرفها فيما يحتاجه المسلمون من مصالح ..

وقد جاءنا من لجنة الفتوى بالأزهر رد نشرناه فى العدد الرابع يقول (نفيد بأن هذه الأموال التي تجمعت من الربا سبيلها أن تصرف فى مصالح المسلمين وطريق ذلك أن يتناولها المودع لينفقها فى المصالح العامة وفى الصدقات على المساكين أو يدفعها للحاكم المسلم ليتولى هذا بنفسه .

وصرفها هكذا هو ما نص عليه الفقهاء فى المذاهب الأربعة عنــد الكــلام على مصارف المال الحرام ونص عليه أئمــة التفسير كالامام القرطبي عند تفســيره لقول الله تعالى ((فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم)) .

وليس معنى هذا أن المال الذي استولى عليه المودع دخل فى ملكه ، لأن المفروض أنه حرام ، وانما هذا توصل الى حفظ المال من الضياع ، والى صرفه فى مصرفه الشرعي بارتكاب أخف الضررين ، كما أنه لا يقتضي اباحــة التعامل الربوي بوجه ما ›› .

ثم جاءنا من صاحب السماحة الأستاذ الكبير الشــيخ أمجد الزهاوي رئيس رابطة علماء العراق هذه الفتوى التي يمكن أعتبارها تعليقا على فتوى الأزهر لأنه اطلع على العدد الذي نشرت فيــه يقول فضيلته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصــلاة والســلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد .

فقد اطلعت على الاستفتاء المنشــور فى مجلة الوعي الاسلامي الغراء الكويتية فى العدد الرابع ، شهر ربيع الثاني ١٣٨٥ حول فوائد الأموال المودعة فى المصارف وهذا نص الاستفتاء .

السؤال :

تورع أحد أثرياء المسلمين عن أخــذ فوائد أمواله الــكثيرة المودعــة فى أحد المصارف الأجنبية فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية . هل من الممكن شرعا أن تؤخذ الفوائد وتستغل فى المنافــع العامــة للمسلمين ومــا أكثرها وأشد حاجتها ؟ بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين .

الجواب :

انه لا يجوز شرعا أخذ هذه الفوائد بحال ، حتى لو صرفت الى جهة خيرية اسلامية ، لأنها اذا أخذت ولو لهــذا القصد النبيل تم أخذ الربا ، واستحق آخذها العقوبة الشرعية ، التي ذكرت فى الكتاب والسنة ولا يخفف عنه الاثــم صرفه الى جهة خيرية . وهذا لا يخالف فيه مجتهد من مجتهدي الأمة الاسلامية، لأن دافع الربا معلوم وهو المصرف. وانما جاز صرف المال الحرام الى المســاكين والمصالح الاسلامية اذا لم يعلم المأخوذ منه . اما اذا علم وعرف فلا يجــزي الا رده عليه ، وهذا ما أجمع عليه المذاهب الاربعة ، وصرح به الامام القرطبي فى تفسيره عند قوله تعالى (وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم)حيث قال فى ص٣٦٦ ج الثالث ط / دار الكتب المصرية .

(قلت قال علماؤنا : أن سبيل التوبة مما بيده من الأموال الحرام : ان كانت من ربا فليردها على من أربى عليــه ، ويطلبه أن لم يكن حاضرا ، فان أيس من وجوده فليتصدق بذلك عنه)

والله أعلم

وظاهر من النظر فى كلتا الفتويين أن فتوى الأزهر ــ أباحت لمن وصلت الى

يده فائدة من البنك – أن يتخلص منها بصرفها فى مصالح المسلمين ، لأنها لا تدخل فى ملكيته ، وعملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين ، لأن تركها للبنك يزيد فى أموال المساهمين الأجانب ويقوي ثرواتهم التي يصرفونها غالبا ضد مصالح المسلمين وفى سبيل التسلط عليهم وبناء الكنائس .. الخ .. وهذا ضرر يلحق بالمسلمين ..

وأخذها فيه ضرر على الآخذ ، لكنه ضرر خفف منه أنها صرفت فى مصالح المسلمين العامة ، فاستفاد منها المسلم ، وقطع الطريق بذلك على استغلال غيره لها ...

أما فتوى فضيلة الشيخ أمجد الزهاوى فانها لا تبيح ذلك مطلقا ، ولا تنظر الى قاعدة ارتكاب أخف الضررين .

وانما تحتم ترك الفوائد للبنك، باعتبار أنه جهة معلومة يمكن رد الفوائد اليها ..

أما اذا لم يعرف دافع الربا فيمكن حينئذ التصدق به عنه ..

وكلتا الفتويين تستند الى ما قاله أئمة المذاهب الأربعة ، والى ما قاله الامام القرطبي فى تفسيره ..

ولكن يظهر أن لجنة الفتوى لم تعتبر وجود البنك ومعرفته مبررا فى رد المال اليه ، لأن رده فيه ضرر على عامة المسلمين .. فانتقلت الى الحالة الثانية ، وهي حالة عدم معرفة دافع الربا . وهذه الحالة لا خلاف فيها بين العلماء فى جواز التخلص من الفوائد بصرفها فى مصالح المسلمين ..

وهذا كما يبدو لي تصرف واجتهاد من لجنة الفتوى ..

أما فضيلة الشيخ أمجد فلم ير أن يتصرف أو يجتهد كما اجتهدت لجنة الفتوى وهذا هو محل الخلاف بين الفتويين .. أدع الكلام فيه للطرفين ولأهل العلم الذين يستطيعون أن يدلوا بدلوهم ويتقدموا بآرائهم ...

والله من وراء القصد وهو الموفق للصواب «««

كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه ، لا ينزع يده من يده ، حتى يكون الرجل هو الذى ينزع .

ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه . ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له »

« رواه الترمذى »

عن عائشة قالت :

جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم عجوز ، فقال لها :

من أنت ؟ قالت جثامة المزنية .

فقال : بل أنت حسانة المزنية .

كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعد ذا ؟

قالت : بخير .

فلما خرجت ، قلت : تقبل هذا الاقبال على هذه ؟

قال صلى الله عليه وسلم :

(انها كانت تأتينا أيام خديجة ، وان حسن العهد من الايمان)

قال الحاكم . صحيح على شرطهما ولا علة له

الإجارة في الإسلام

للاستاذ عيسى عبده
أستاذ الاقتصاد بكلية التجارة
جامعة القاهرة

تمهيد

جاء الاسلام بجملة النظم التي تصلح من شأن الانسان في حياته الأولى والآخرة .. وتميز بأمور لا يجادل فيها من يؤمن به ومن لا يؤمن على السواء .. ولذلك نجدها محل الاجماع عند الباحثين في هذا الدين بأسلوب يقال له الأسلوب العلمي .

أما هذه الأمور التي يتميز بها فهي : انه لا يجعل بين العبد وربه واسطة أيا كانت ، فلا كهانة ، ولا اتجار بالدين ، وأنه يربط الجزاء بالعمل ربطا وثيقا ، فللمحسن ثوابه وللمسيء جزاؤه ، ولا تحمل نفس عن نفس شيئا ، قال تعالى « وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » سورة فاطر .

وأنه يقرن الأولى بالآخرة في كل صغيرة وكبيرة ، ويعتبر الحياة الأولى دار اجتهاد وابتلاء وتزود للحياة الباقية .. ومن ثم لا سبيل الى الفصل بين الدين وبين النشاط في الأرض من أي لون .. في السلم وفي الدفاع .. في الشئون العامة والخاصة .

وأنه الدين الخاتم الذى أقر الأديان السابقة ، وأكملها وأتمها .. فلم تأت من بعده أية دعوى مناظرة للرسالات التي جاءت من عند الله .. بهذا أنبأنا القرآن الكريم .. ثم صدقه تعاقب الأجيال فضلا عن تصديق المؤمنين به لأسباب لا محل للافاضة فيها .

هذه المزايا المجتمعة جعلت للاسلام — عند من يعرفه — قداسة تامة وثباتا تطمئن اليه النفس ..

وهذا التحفظ الذى نورده في قولنا (عند من يعرفه) مقصود به التحديد العلمي لجملة أحكام الاسلام ومعاييره ومفاهيمه .. اذ يتوقف العلم بهذا كله على فهم القرآن وعلومه والسنة الصحيحة وطائفة حسنة من التراث الاسلامي .. مع الايمان الذى يحمل على العمل بهذه الأحكام ..

فاذا قرأت ، مثلا ، لباحث عربي أو لمستشرق لا يقرأ القرآن كما جاء به الوحي من عند الله .. فان معرفته بأمور الاسلام لا تزيد على المحاولة

السطحية التي قد تصيب وقد تخطىء (١) .

وللقرآن الكريم وصف محدّد للعلم والعلماء .. حين يقول « انما يخشى الله من عباده العلماء » اذن لأحكام الاسلام قداسة وثبات .. وهنا يواجه الباحث مشكلة عاجلة .. تتلخص فى المقابلة بين الجمود والمرونة .. بين الرجعيّة (كما يقال أحيانا) وبين التطور مع الزمن .. ولهذا الأمر صلة وثيقة بقضيّة الأجور .. ولذلك نعرض للفرق بين الدين والنظم الوضعية .. من هذه الزاوية التي يفرضها على الباحث تطور الزمن .. وفزع البعض من أن ينسب الى الاسلام أنه جامد ثابت .. وبالتالي متخلف عن الزمن .

ومن حيث أن الاجارة وما يتفرع عليها .. تقعفيمجال البحث الاقتصادى كما تقع فى ميدان التشريع الوضعي .. فانه من المفيد أن ننظر الى كل منهما بدوره .. والأول أكبر أهمية .. وفى التمهيد لبحث موجز ، يكفى أن نقدم ما هو متفق عليه بين العلماء اذ المسائل الخلافية يطول القول فيها .

ومن أهم ما تجب الاشارة اليه .. ما هو مستقر عند علماء الاقتصاد فى القرنين الاخيرين بوجه خاص ، من أن الاقتصاد الحديث لا شأن له بالدين .. فقد نجد فى الدين كلاما متواضعا عن الحقائق الأولية والكلية .. ولكنه خال تماما من الثروة الفكرية التي جاء بها الانسان الى عالم الوجود .. باجتهاده .. دون دخل للوحى ولا لرجال الدين .. يقول هذا عشرات وعشرات .. منهم « شاميتير » و « ايرك رول » و «هانى» و « رست » وان كان بعضهم يترفق فى القول ، وبعض آخر لا يخفى سخريته من الربط بين الاقتصاد والدين ..

هذا قدر متفق عليه ولا سبيل الى انكار اطراده فى المكتبة الغربية والشرقية (أى فى الفكر الرأسمالى والشيوعي) وان أحدا من المسلمين لا ينكر على الاقتصاد الحديث أنه موضوع .. بمعنى أنه منفصل عن الدين تماما .. ولكن الفصل بين الاقتصاد الموضوع وبين الدين يعتبر قضية قائمة بذاتها .. ونحن نسلم بها .. أما القول بأن الدين قد جاء خاليا من جملة الأوضاع والقواعد التى يصلح عليها النشاط الاقتصادى .. فقضية أخرى نرفضها رفضا باتا .. ونعلم أن كثرة من المتخصصين العرب تعارض ما نقول به .

بقيت مسألة هامة .. تحسن الاشارة اليها فى هذا التمهيد .. وهي الكلام الكثير الذى يدور حول النظرية العلمية .. وما بذله العلماء من عهد الطبيعيين (أى من نحو مائتي عام) الى الآن .. لوضع نظرية سليمة أو صحيحةأو عادلة للأجور .

أسهم فى ذلك .. الدارسون للاجتماع والاقتصاد والقانون .. ولكنه من المعلوم عند كل مشتغل بهذه الدراسات ، أن الوصول الى وضع نظرية مستقرة للأجور .. عند مدرسة فكرية معتمدة .. أو فى اقليم معين .. لم يتم بعد .. كما أن الاتفاق بين الاقاليم التي تعتنق مذهبا واحدا لم يتم ، بل لم يقترب . وذلك لأن الاجر هو نصيب العمل بوصفه واحدا من عناصر الانتاج .. فان وصل الاقتصاديون الى وضع نظرية عادلة للتوزيع ، فانها ستشمل العمل من غير شك ، ومن ثم يكون للأجور نظرية عادلة .. أو نظرية مستقرة .

ولكنعلماء الاقتصاد ،بدون استثناء ، قد اجمعوا على أن وضع هذه النظرية قد تعذر الى الآن .. وان كان بعضهم قد تلطف فى التعبير وقال بأن الاقتصاديين

---

(١) مؤلفات المستشرقين زاخرة بالأمثال .

الاجارة في الاسلام

لم يبذلوا من أجل هذا الفرض .. مثل ما بذلوا من جهد لوضع نظرية صحيحة للانتاج .

اما التشريع فهو يتابع التطور الاجتماعي والاقتصادى ويتأثر به ، لأنه غالبا ما يقر اوضاعا تراضى عليها الناس .. وقد يحدث التشريع آثارا جديدة بفرضه على المجتمع ولكن ما لم تكن هذه الآثار قريبة من النفوس فانها تنطوى على التربص بالتشريع حتى تحين فرصة لتعديله بطريقة أو بأخرى ...

اذن ، لا يجوز أن نتوقع من التشريع الوضعي أن يسهم فى وضع نظرية عادلة للتوزيع ان فشل الاجتماع والاقتصاد .

فهل يستطيع الدين أن يمدنا بهذه النظرية .

هل يستطيع الدين الاسلامي (وهو الدين الخاتم) أن يقدم الى الباحث أو المصلح مادة صالحة لبناء أسس نظرية وقواعد مسلمة تؤلف فى جملتها نظرية عادلة للأجور ؟

وان كان ولا بد من ربط الأجور بالتوزيع (وهذا حق) فهل يستطيع الاسلام أن يقدم لنا نظرية عادلة للتوزيع .. كله .. حتى تستقر العلاقات بين عوامل الانتاج ؟

الجواب : لا

وكل جهد يبذل فى هذه السبل .. لا يؤتى من النتائج ما يبرره .. ولقد تعرض أقطاب علم الاقتصادفىاجتماعاتهم الدورية فى الأعوام القليلة الماضية لهذه المشكلة العلمية وغيرها .. وانتهوا الى أقوال واضحة .. منها أن اخضاع الدراسات الاقتصادية للمعايير الرياضية والقواعد الدقيقة والنظريات المجردة Abstract كما فى دراسات المواد والطاقات .. هو جهد يتراوح بين الضياع وبين الترف (١) Extravagance

ومن أسباب الضعف فى النظرية الاقتصادية بأصولها وبفروعها انها تفتقد العنصر الذى لا يتحول ، لكى يؤدى وظيفة الفيزياء الثابت "Physical constant" فى علوم الطبيعة .. بل فى عالم الجماد كله بما فيه من موارد وطاقات .

وانما تعثرت الأمة الاسلامية منذ أن تابعت الغرب فى لا دينية البحث العلمي .. فى شمول تأباه طبائع الأشياء .

فالدين سلطانه الثابت فى مجال معين .. ولا يغنى عنه تقدم النظريات والمعامل والمخترعات .

اما هذا المجال فهو مجال الأمور الانسانية .. ومنها « التوزيع » بالمعنى الاقتصادى الخالص ومن التوزيع نصيب العمل ، وهو الأجر .

ولقد شهد الشرق العربي من مطلع القرن التاسع عشر ، انحرافا خطيرا عند دراسة « الاجارة » فى بحوث « الهلالى » ثم « السنهورى » ثم الهيئات التشريعية تباعا ..واصل هذا الانحراف هو التقليد والمحاكاة لتطوير القانون الفرنسي خلال

راجع
L'Economie du 20 eme Siècle, F, Perroux.
وراجع أيضا
The Theory of Capital edited by lutz.
Internationa Economic Association 1962.

القرن التاسع عشر .. بعد الفصل التام بينه وبين الدين عندهم ، وما من سبب واحد مقنع لترك الشريعة الى التقنين الفرنسي .

ولكن ، اذا كانت الشريعة الاسلامية لا تسعفنا بنظرية عادلة للأجور وللتوزيع .. فكيف نلجأ اليها اذن لحل مشكلاتنا الاقتصادية ؟ .

ذلك أننا نبحث عن التقعيد النظرى حيث لا لزوم له .. وحيث لا سبيل اليه ، لأنه ليس من اختصاص الانسان أن يضع القواعد للأمور الانسانية بغير ضابط من الدين .. كما لو حاول الباحث وضع نظرية للزواج والطلاق والميراث وتفاوت الارزاق ..

لذلك كان حتما أن يبقى نشاط الفكر الانساني فى كل ما يتصل بالأمور الانسانية ملتزما للأوضاع وللنظم التي جاء بها الدين .

اجارة الأشخاص

اشتمل الفقه الاسلامي على أدق أحكام « الاجارات » بالجمع .. سواء أكانت تقع على منفعة عين أم جهدشخص يقوم بعمل أو يخصص وقته لصاحب عمل .

والاجارة عقد من عقود المعاوضات ، أو نوع من البيع ، لأنها تمليك للمنافع فى مقابل قيمة معلومة .

يقول ابن قدامه فى كتابه « المغنى » ما يلى بالنص « وجملة ذلك أنه يجوز استئجار الآدمى بغير خلاف بين أهل العلم » وبمثل هذا يقول الجمهور (أى معظم الفقهاء) ولا وزن لما ورد بخلاف ذلك .. يقول ابن قدامه فى المرجع المشار اليه « وأجمع أهل العلم فى كل عصر وكل مصر على جواز الاجارة .. الا ما يحكى عن عبد الرحمن بن الأصم أنه قال : لا يجوز ذلك فهو غرر .. يعني أنه يعقد على منافع لم تخلق » ثم يستطرد ابن قدامه ليقرر ما يلى « وهذا غلط .. لا يمنع انعقاد الاجماع الذى سبق فى الأعصار وسار فى الأمصار .. والعبرة أيضا دالة عليها .. فان الحاجة الى المنافع كالحاجة الى الأعيان .. فلما جاز العقد على الأعيان وجب أن تجوز الاجارة على المنافع .. ولا يخفى ما بالناس من الحاجة الى ذلك » ثم يضرب بعض الأمثال ، بقوله « فانه ليس لكل أحد دار يملكها ولا يقدر كل مسافر على بعير أو دابة يملكها .. ولا يلزم أصحاب الأملاك اسكانهم وحملهم تطوعا . وكذلك أصحاب الصنائع يعملون بأجر ولا يمكن كل أحد عمل ذلك .. ولا يجد متطوعا به .. فلا بد من الاجارة لذلك » ثم يزيد ابن قدامه توكيدا لنظره السليم فى فقه الأحكام حين يقول « بل ذلك مما جعله الله طريقا للرزق .. حتى أن أكثر المكاسب بالصنائع » .

واضح من أقوال هذا الفقيه (وهي نموذج صالح لأقوال الكثيرين) أن اجارة الاعيان واجارة الاشخاص جائزة شرعا .. على خلاف ما ذهب اليه الفقه الفرنسي فى أواخر القرن التاسع عشر وتابعه بعض شراح القانون الوضعي من العرب المسلمين .. وعلى خلاف ما ذهب اليه الاقتصاد الوضعي المتطرف فى الثور على ملكية الأعيان وأدوات الانتاج جميعا .

والواقع هو أن كلام فقهاء المسلمين عن اجازة الاجارة .. هو أسلوب تقليدى عندهم يتفق مع عنايتهم بالتمييز بين ما هو حلال وما هو حرام .. وما بين ذلك من درجات .. كالعفو والكراهة ..

البقية على ص : ٢٩

بقلم الاستاذ محمد احمد العزب
سكرتير شعبة الآداب
بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب
القاهـرة



يخيل الى أن الباحث فى مجالات القيم الروحية لا يمكن أن يقف على مشارف مرحلة زمانية أو مكانية جامدة ، لان القيم الروحية ليست بنت اليوم ، ولا وليدة الامس ، وانما هى طليعة وجودية زاملت رحلة الكون منذ فجر الوجود .. ولا بد للباحث فى مجالاتها من ارتياد كل الدروب والانفاق ، حتى والغابات ، من أجل أن يعانق حقيقة ناصعة ، أو يبلور مفهوما وسيم السمات ! ! ! فكيف بمن يبحث ليس فى مجال القيم الروحية وحدها كحقيقة مجردة ، وانما كذلك فى مجال ارتباطها العضوى وتشابك حياتها بحيـاة الانسان ؟ والانسان كما نعرف ليس شيئا عائما فى حركة الوجود الكبير ؟ ! ..

الانسان محور الوجود

اذا كانت القيم الروحيـة محـورا للاديـان السماوية كلها منذ البدء ، فالانسان محور الاديان والزمان كذلك منذ البدء ... وقد أزعم هنا .. أن الدين لم يكن ليأخذ طريقه الى عالم الوجود لو لم يوجد الانسان .. فالانسان وحده هو الذى استمطر السماء هذا الضوء الرسالى العظيم ، الذى نسميه الدين ..

وقد أزعم كذلك أن الزمان ليس شيئا بـلا

انسان ، انه فراغ باذغ من العدم ، ومنته الى العدم ، والانسان وحده ، هو الذى يعطيه مدلوله الحى ، وواقعه الاصيـل .

فقل لى : أيستطيع الباحث المتأمل فى مجالات القيم وتشابك حياتهـا بحياة الانســان الا أن يخوض عباب المسافات الزمانية والمكانية ما ضيا مع الموج الى أبعد الابعـاد ؟ !!((

لقد فعلت .. وآمل أن تكون كلماتى بكل ما تنحنى عليـه من صداقة للقيم ، وحدب عـلى الانسان ، قبسا يلوح به ساعد شاب عاش حياة ((سيزيف)) ، وهو يحاول اليوم أن يلوح من بعيد لكل المتعبين الراكضين فى سفوح هذا الكون الهائل الرحيب ، ربما أضاء قبسـه لانســان .. أى انســان !!!

وقبل أن أمضى .. دعونى أؤكد لكم أننى لن احشد هذه الصفحات نقولا من هنا أو من هناك .. لان الذى أفهمه من تناول الانسان لبحث مـن البحوث ، أن يقول كلمته هو .. رأيه هو .. لا أن يستحيل ناقلا يلتقط الحصى من كل درب ... ان السطور ــ فيما يخيل الى ــ لا تعطينا جديدا طالما هى تدور فى فلك ناقل مكرور ، أما حـين تعطينى شخصيةصاحبها وشخصيتها .. فسأحبها .. حتى ولو أخطأت ... ولنبدأ معا :

ما القيم الروحية

لنتساءل أولا : ما هى القيم الروحية ؟ هل هناك مناطق عازلة بين القيم الروحية والقيم المادية ؟

أما أنا ــ فانه ليخيل الى أن كل قيمة روحية لا بد أن تنطوى على قيمة مادية ، أو على معنى من معانى القيم المادية .. الخير مثلا .. أليس قيمة روحية نابعة من ضمير الاديان ؟ أجل !! ولكنه لا يمكن أن يكـون ، الا اذا عانق مدلولـه الواقعى أى مدلوله المادى ، ان الخير فكرة مجردة ربما تدور لاهثة فى أدمغة الفلاسفة والمفكرين ، ولكنه حين ينزل الى الارض ، ويعايش البشر ، ويقف مع الانسان على صعيد هذا الكون ، يرحم انة الجائع ، ويؤوى تشرد الضائـع ، ويناضـل عن قضية الكادحين .

حينذاك .. نستطيع أن نومىء اليه هادرين : أجل .. هذا هو الخير !!((

أنا هنا لا أنكر وجود الحقائق المجردة .. فهى موجودة رضيت أم أبيت .. ولكنى أحاول فحسب أن أؤكد أن وجود الحقائق المجردة ليس سوى وجود بالقوة لا بالفعل ، ولا يمكن أن يحـس أو يشاهد الا حين يرتبط بهذا الكائن الارقى الذى هو الانسان ..

الدين للحياة

وهنا ــ توحىالينا حتمية انطواء القيم الروحية على معنى من معانى القيم المادية وارتباط ذلك كله بالانسان بقضية هائلة .. أو قل بحقيقة هائلة .. هى أن الدين للحياة .. وأن كل رسالة منرسالات السماء ليست هروبـا فى معبد ، ولا تقوقعـا فى دير ، ولا تشنجا على عتبات تابوت .. وانما هى دعوة حارة وهادفـة من أجل أن يتعانـق الدين والدنيا ، وأن تتجاوب الدنيا مع الدين !

ان الدين هو المحتوى الحى الذى يسـرى فى اطار الحياة ، فيعطى الحياة كل قيمتها الشامخة ، وكل أمجادها الضخام ، ولا يمكن أن ينفصـل المحتوى عن اطاره ، ولا الاطار عن محتواه ، الا اذا أردنا لاحدهما أو كليهما معا أن يعيشا على شاطىء الكون نباتا ناضبا هشا يتحطم فى معارك الرياح !!!

فى خدمة الانسان

وحين نقف على أرض صلبة من الايمان بتكامل الوحدات : الدين والكون والانسان .. أو قل بعناقها جميعا ، نجدنا واقفين أمام علامة استفهام منتصبة شاهقة : كيف تقدر القيم الروحية على هداية الانسان ؟ ولكى نجيب .. يجب أن نؤمن بأنه لو كانت هذه القيم الروحية مبتوتة الصلة بالانسان ، أو غير قادرة على التعبير الصاعد الواعى عن كل ما يحيا فى داخله من دنياوات .. أو كان هدفها شيئا غير التصعيد به ككل متكامل عريض الى أعلى ... ربما لم تكن لتستطيع أن تصمد كل هذه الاجيال ، لان الانسان الذى انتصر على كل مـا فى الكون من طاقـات وقـدرات ، والذى استطاع أن يسخرها لارادته الصلبة ، وصلابته الارادية ، والذى نحى عن طريقة الصاعد كل ما تراكم على حواشيه من صخور ، وعقبات .. كان

يستطيع أن ينتصر على عواطفه الدينية ، ويهزمها في أعماقه وأعماق الملايين ، لو أنها كانت شيئاً ضاريا يمزق وحدته ، أو شيئا هابطا يشده الى أغوار الحضيض ! ! !

ان العكس هو الذى حدث .. فالمد الدينى قد تراحب وانساح ، ومد جناحيه الباسلين على آفاق وأبعاد جديدة ، مما يؤكد أن الدين شيء يمضى بقضية الانسان والحياة جميعا الى فوق .. والى أمام « ! ! !

ولكن .. ماذا نقصد من قولنا « هداية الانسان » ؟

هل وجد الانسان ضالا فنبعت الحاجة الى هدايته ؟

وهل الهداية هنا هداية مرحلية تعنى تعريفه الطريق وتركه يسعى فيه وحده على هون .. أو في تدفع محموم ؟

أم هى هداية أخرى .. من نوع آخر جديد ؟ الذى أعرفه .. أن هداية القيم الروحية للانسان لم تبدأ من فراغ .. لم تبدأ من نقطة وجوده ضالا يتشوف الى كلمة هادية ، أو يد حانية ، أو قلب رءوم ... لانها لوبدأت من هناك، لأكدت أن الانسان قد دفع به الى معركة من غير تزويده بالسلاح .. وأنه قد أريد على أن يجابه الشر الذى هو ثمرة الاجتماع الآدمى .. بلا خير ، وبلا فضيلة ! ! !

.. ان هداية القيم للانسان نابعة من التلازم الوجودى بينهما ، وليس من كون الانسان ضالا يتطلع الى هداية من هنا .. أو من هناك ...

مع الانسان دائما

وكذلك لا يمكن أن تكون هداية القيم للانسان هداية مرحلية ، تقفه على أول الطريق ، ثم تنسل هاربة لتغيب فى ضباب المجاهيل ..

انها هداية حياتية ، تزامل رحلة الانسان فى الارض ، وتصادق كل لحظة من لحظات وجوده الفردي والعام ... ولكنها لا تزامل رحلته ولا تصادق خطواته فى اطار من الجبر والالتزام ، والا لعاش حياته ملكا أو شيئا يشبه الملك .. انها مزاملة صديقة حرة تلوح له بالمشعل ، وتضع يده على حقائق الاشياء ثم تترك له الحرية من بعد ، لينتصب واقفا على الارض ، ملاكا هاديا ، أو شيطانا غويا ! ! !

وبقدر ما يتجاوب فى أعماق الانسان من قيم ، ويفرد فى حياته من مثل ، بقدر ما يكون فى يده من سلاح باتر مرهف ، يناضل به ضد كل قوى الهبوط ، والتدلى ، والانهيار ... لقد قاتل بالقيم كل جحافل الظلام . قاتل بها الفقر ، والتخلف ، والاسفاف ، والعبودية ، والخناعة ، والهروب ، وتوثين الاشياء والاحياء .

ولسنا ندرى بعد ، ماذا كانت تكون حياة الانسان لو أنها أقفرت من هذه القيم التى تنبثق منمشرق الدين ؟ أغلب الظن .. أنها كانت ستكون واحدا من اثنين .. اما تجميد للحياة عند حافة البدء .. أو استسلام مريض لكل العواصف والاعاصير .. وكلا الفرضين تشويه لفطرة الخلق ، وتكبيل لطموح الحياة ! ! !

هداية عملية

وهنا .. لا بد أن نتذكر أن هداية القيم الروحية للانسان ، ليست مجرد تطويع القلب البشرى لحقيقة الايمان .. وانما هى هداية أرحب وأعلى وأشمل .. انها هداية الى اثراء الحياة ، واخصاب الواقع ، وتطوير الوجود ، بما نبذل فى كل أولئك من طاقات هائلة ، وبما نبدع من قوى خلاقة تسيطر على روافد الخصب وعلى مصباته جميعا ..

ان هداية القيم للانسان .. لو قبعت فى زاوية التعلية الروحية وحدها ، لأصابت المادة والروح جميعا بشلل كونى رهيب .. لان المادة بغير روح .. شبح لا حياة فيه ، والروح بغير مادة ارتعاشات فرضية تهوم فى فراغ .. ومن هنا .. فقد حرصت كل أديان السماء على أن تزاوج بين الروح والمادة ، وأن تصالح بين المادة والروح ،

فى اطار من التعادل الفاهم الذكى ، المحايد فى حركة التوفيق الواعى بين هذه وتلك !!

ولست أحسبنى فى حاجة الى نصوص كثيرة ، أؤيد بها ما ذهبت اليه .. ولكن حسبى أن أسوق هنا نصوصا ثلاثة من العهد القديم ، والعهد الجديد ، والقرآن الكريم .. لنعرف الى أى مدى تهتم هذه الكتب بالتقائية الروح والمادة :

ففى العهد القديم : « من يشتغل بحقله يشبع خبزا أما تابع البطالين فهو عديم الفهم » .

وفى انجيل متى : « ... خبزنا كفافنا اعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضا للمذنبين الينا » .

وفى القرآن الكريم : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

ان هذه الايماءات الثلاث ، لتدل دلالة رائعة على مدى اهتمامات الاديان بالجانب المادى ، فى حياة الكون وحياة الانسان على السواء . وليس فى ذلك ما يصدم الايمان بالقيم الروحية .. على النقيض .. فان القيم الروحية حتى فى مجالات عملها الخلاق تشكل محركات اجتماعية ونفسية لاقامة حضارات انسانية شامخة ، بما فى الحضارات من اسس مادية صلبة تحتضنها وترتكز فى نهوضها عليها ...

أظن اننا قد فرغنا الآن من هذه القضية .. قضية التقاء الروح بالمادة ، على صعيد الحضارات والاديان ، التقاء يومض بالحب ، ويتألق بالتعاطف ، ويجيش بكل ألوان السلام ..

شواهد من الاسلام

ربما يثور فى ذهنك أن تسأل : وهل هناك شواهد تاريخية تؤكد أن القيم الروحية كانت مبعثا للحضارات ، ومنطلقا لحركات التطور ؟ .

ولا أعود بك الى أعماق ماض بعيد ، وانما أقفك معى على صعيد الواقع العربى ، الذى انتفض فى يد الاسلام عملاقا هادرا ، بعد أن عاش حياته الناضبة العقيمة هاربا خلف انقاض الدياجير !!«

أجل .. لقد أحدث الاسلام ـ كدين ينطوى على أخلد القيم الروحية وأصلبها ـ ثورة فى كل قطاعات الحياة ، فطور الجامد ، وحرك الهامد ، وادال لكل معنى شريف من كل معنى هابط ...

كان ثورة عقائدية ـ انتشلت مفاهيم البشر من التردى فى عبادة الاحجار الى عبادة الله .. والهكم اله واحد ، لا اله الا هو الرحمن الرحيم :

وكان ثورة علمية ، فتحت مغاليق الكون ، وسددت خطى العقل الانسانى ، وأحرقت كل الوشائج الملبدة بينه وبين الانزوائية الفكرية ، « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ !!!

وكان ثورة حضارية انسانية ، أقام العلاقات بين البشر على أساس جديد ، اساس ينبض بالحب ، والحرية ، والعدالة ، والمساواة ، حتى رأينا الذين يسلمون لا يسلمون عن عسف نضالى ، ولا عن رغب مادى ، وانما لان راية الاسلام ملونة بشعارات الحب ، والحرية ، والعدالة ، والمساواة !!!

وكان ثورة اجتماعية ، استهدفت من يومها الاول أن تطور الانسان ، والزمان ، والمكان ... الانسان من حيث هو كائن عاقل دءوب يجب أن يتخطى مراحل البدائية القائمة الى قمة الوعى الانسانى النبيل .. والزمان من حيث هو اطار شمولى تجرى داخله حركة الكون وحركة التاريخ ، حتى يصبح اطارا فاضلا لكل ما هو فاضل وشريف ... والمكان من حيث هو اطار مساحى يجب أن يرفض كل المعانى الهابطة ، ليحتضن بين ذراعيه كل القداسات الشامخة النبيلة .

وقد دللت بالاسلام لشيئين ... أولهما : انه أقرب زمانيا من كل الاديان السماوية بحيث يمكن أن يكون مستندا على وضوح أكثر ، وتحديد أدق ... ثانيهما ، أنه كدين .. ينحنى فى ذكاء واخلاص على كل القيم الشريفة التى نادت بها الاديان من قبله .. بحيث يجوز لنا أن نقول مع القرآن واثقين : « ان الدين عند الله الاسلام » .. وليس العكس صحيحا .. فان دينا كاليهودية الموسوية ، لا يمكن أن يحتوى كل القيم التى جاء بها الاسلام .. فالموسوية كانت

دين شعب معين ومرحلة معينة ، بينما كان الاسلام وما يزال ، دين البشرية الهائلة ... الذى يغطى كل مساحاتها البشرية والزمانية .. فاذا نحن دللنا به ، فانما ندلل بالحقيقة التى لا يرقى اليها الشك ، وبالدين الذى لا يعتوره الحيف من هنا أو من هناك)) !

مع وجود الانسان

ولكن .. هل القيم الروحية عريقة كل هذه العراقة فى حياة الكون وحياة الانسان جميعا ؟ أم انها أثر من آثار التطور الحضارى نبتت على شاطىء الاجتماع ؟

الذى أعرفه .. أن أرضا كأرضنا هذه ، قد عرفت الدين - كمنطلق للقيم الروحية - منذ أقدم العصور ، حتى قبل أن ينبثق على سهولها شعاع النبوات والرسالات ، مما يؤكد أن الانسان متدين بالطبع .. وأنه قد زامل الدين لما أحسه فى أعماقه من جوع طبيعى لممارسة هذا اللون من ألوان السلوك العقيدى ...

وفى هذا الصدد يحدثنا ((العقاد)) فى كتابه ((الله)) فيقول :

((... حق لا يقبل المراء أن الحاسة الدينية بعيدة الغور فى طبيعة الانسان ، وحق لا يقبل المراء أن الانسان يجب أن يؤمن ولا يستقر فى وسط هذه العوالم بغير ايمان .. وهو قد وجد فى وسط هذه العوالم لا مراء . فاذا كان الايمان هو الحالة التى يتطلبها منه وجوده - فضعف الايمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين ، ويدل على خلل فى الكيان)) ا . هـ .

ولعل ما يطمئننا هنا أن العقيدة الدينية قد أخذت ترتبىء قمة عالية من الترقى والاكتمال منذ أبعد العصور ايغالا فى القدم ، الشىء الذى يدلنا على انها مرحلة ليست مبتوتة الصلة بما قبلها من مراحل .. وانما هى حلقة فى سلسلة هائلة متتابعة الحلقات ... وهذه ترنيمة كهان طيبة الناطقة بعقيدة الالوهية ووحدة الاله .

الله واحد أحد لا شريك له

الله واحد وقد أبدع مخلوقاته وحده

الله حقيقة لا يراها الانسان ، خفية عن كل شىء ..

الله هو الله منذ البداية ، هو الله قبل ان يكون شىء ..

هو سيد المخلوقات . وأبو الجميع . هو الاله الدائم ..

الله هو الموجود الخالد الذى لا يفنى ، لا بداية له ولا نهاية ..

الله لم تكن له بداية . وليس له نهاية . وسيظل كذلك على الدوام ..

الله خفى ، لا يعرف انسان شكله ولا شبهه ..

الله هو الحق ، ويحيا على الحق ، انه الملك الحق ..

الله هو الحياة ، ولا حياة للناس بدونه ، هو البداية ، هو الواحد الاحد ...)) ا . هـ .

أاذا زعمت الآن أن القيم الروحية والانسان يعيشان فى زمالة كونية واعية منذ القدم .. أترانى جانحا الى الشطط ؟ أو ضاربا فى متاهات الخيال ؟؟

أبدا ((فالغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية ، والعناية بالجانب الالهى نزعة عامة خالدة للانسانية ، ولا تذبل غريزة التدين الا فى فترات الاسراف فى الحضارة ، وعند عدد قليل جدا من الافراد ، لكنها لايمكن أن تموت : كما يقرر معجم لاروس)) ...

((والجماعة قد توجد بغير علم أو فن أو فلسفة .. ولكن لا توجد جماعة بغير دين .. كما ينادى هنرى برجسون ..))

ان القيم الروحية هى روح الحياة ، ولا يمكن للحياة أن تحيا شبحا خاويا بلا روح !!

((بقية))
الاجارة
فــي
الاسلام

وأقوالهم هذه تنير الطريق لكل باحث عن التطبيق الصحيح لأحكام الشريعــة الاسلامية .. ولكنها لا تغنى عن اعــادة النظر فى مصادرها .. والوصــول الى تقرير قواعد أكثر صراحة من مجــرد الاجازة .. وعنــدنا أن « الاجــارات » بالجمع .. هى أصل من أصول التنظيم السليم للنشاط الاقتصادى فى جميــع صوره .. ما كان منها بالغ البساطة . وما كان شــديد التعقيد وفقا لتطــور الزمــن ..

وهكذا يكون تقريــر (الاجــارات) واعتمادها وثيق الصلة بسعى الانســان لتدبير معاشه وحثهعلىالادخار والاقتناء والتملك وتوظيف المدخرات .. فهــذه كلها أوضــاع تجد ضوابطهــا فى الدين .. وهى فى تكاملهــا تهيىء للمجتمــع الانساني فرص الحركة الدائبة فى كــل جيل مع تجنيب قدر من الثروة وتنميته .. وهذا هو أقوى الدوافع على اتقان العمل والاعتــدال فى النفقــة وتوظيف المدخرات .

أما أن تكون الاجارات أصلا مستقرا (لا مجرد عقد يجيزه الفقهاء) فنجــد سنده من القرآن الكريم والسنة المطهرة واجماع العلماء .

على أن هــذا البحث الوجيــز .. مقصور على اجارة الأشخاص .. ولذلك سنترك ما عداه .

فاما الكتاب ففى قوله تعالى « فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن » وقوله « قالت احداهما يا أبت استأجره أن خير من استأجرت القوى الأمين . قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك » ومن آيات الذكر الحكيــم أيضا قوله تعالى « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقص فأقامه قال لو شــئت لاتخذت عليه أجرا » .

وأما السنة المطهــرة .. فثابت أن رسول الله صلى الله عليه وســلم رعى الغنم وخرج فى التجارة لحساب السيدة خديجة رضى الله عنها .. ثم أنه بعــد الاسلام استؤجر واستأجر .. بــل فى أدق المواقف اتخذ أجيرا حــين خــرج مهاجــرا الى المدينــة .. فاســتأجر عبد الله بن أرقط .. وائتمنه على سر خطير هو الخروج سرا من مكة .. وكان الأجير من الكفار ، ولكن الرســول .. صلوات الله عليه ، وثق فيــه وواعده فى المكان والــزمان .. ليكون دليــلا فى الطريق .. وفى هذه الجزئية فقه عظيم وشاهد على سماحة الاسلام ورعايتــه للفطرة والانسانية .. بحيث أن كلطالب عمل مــن غــير المســلمين .. يجده فى أرضهم ويؤتمن على كــل مــا يجوز أن يؤتمن عليه الأجير .. بشرط واحد .. هو الوفاء بالعهد وترك الخيانة .

وأما اجمــاع الفقهــاء والعلماء فقد أشرنا اليه فيما تقدم اشارة عابرة عند الكلام عن اجازة ((الاجارة)) .

(للبحث بقية)



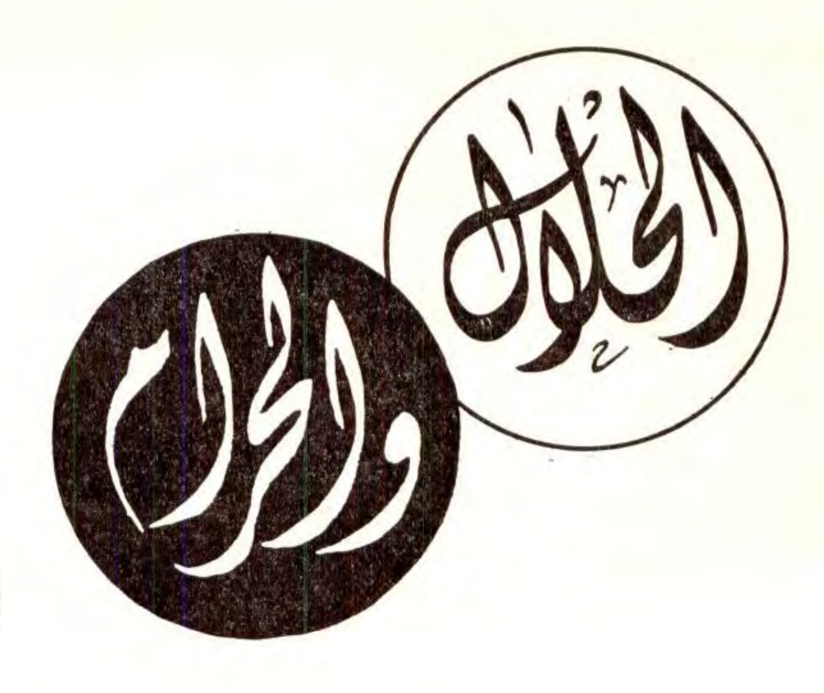
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً الى حَرَمِ ... كَمَا سَرَى البَدْرُ في داجٍ من الظُّلَمِ
وَبِتَّ تَرْقَى الى أن نِلْتَ منزلَةً ... مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ
وقدَّمتْكَ جميعُ الأنبياء بها ... والرسلِ تقديمَ مخدومٍ على خَدَمِ
وأنتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطباقَ بهم ... في موكبٍ كُنتَ فيه صاحبَ العَلَمِ
حتى اذا لم تَدعْ شأواً لمستبقٍ ... من الدُّنُوِّ ولا مرقىً لِمُسْتَنِمِ
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بالاضافةِ اذ ... نوديتَ بالرفعِ مثل المفردِ العَلَمِ
كيما تفوزَ بوصلٍ أى مستترٍ ... عن العيونِ وسِرٍّ أى مكتتمِ
فَحُزْتَ كلَّ فَخَارٍ غير مشتركٍ ... وجُزْتَ كلَّ مقامٍ غير مزدحم
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وَعَزَّ إدْرَاكُ مَا أُوليتَ مِنْ نِعَمِ
بشرى لنا معشرَ الاسلامِ ان لنا ... من العنايةِ ركناً غيرَ مُنْهَدِمِ
لمَّا دعا الله داعينا لطاعتِه ... بأكرمِ الرسلِ كنَّا أكرمَ الأمم

البوصبري



أسرى بك اللهُ ليلاً إذ ملائكهُ … والرسلُ في المسجدِ الأقصى على قدَمِ
لما خطرْتَ به التفوا بسيّدِهم … كالشهْبِ بالبدرِ أو كالجند بالعلَمِ
صلّى وراءك منهم كُلُّ ذي خطرٍ … ومَن يَفُزْ بحبيبِ الله يأتمِمِ
جُبْتَ السمّوَاتِ أو ما فوقهن بهمْ … على مُنَوّرَةٍ دُريّةِ اللُّجُمِ
ركوبةً لكَ من عزٍ ومن شرفٍ … لا في الجيادِ ولا في الأينُقِ الرُّسُمِ
مشيئةُ الخالقِ البارى وصنعتُه … وقدرةُ الله فوق الشكِ والتُّهَمِ
حتى بلغت سماءً لا يطارُ لهَا … على جناح ولا يُسْعَى على قَدَمِ
وقيلَ كلُّ نبي عند رتبتِه … ويا محمدُ هذا العرشُ فاستَلِمِ
خطَطْتَ للدين والدنيا علومَهما … يا قارئَ اللوح بلْ يا لامس القلَمِ
أحطْتَ بينهما بالسر وانكشفت … لك الخزائنُ من علمٍ ومن حِكَمِ
وضاعف القربُ ما قُلِّدت من مننٍ … بلا عِدادٍ وما طُوِّقْتَ من نِعَمِ

شوقي



لفضيلة الشيخ عبد الله خياط
مكة المكرمة

في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الحلال بين ، وان الحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه ، ألا وان لكلّ ملك حمى ، ألاوان حمى الله محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب .

هذا الحديث اصل من اصول الدين وقاعدة من قواعده ، ففيه ايضاح عن الحلال والحرام ، وبيان المشتبه بهما ، وتوجيه الانظار للاعراض عن الأخذ به طلبا لبراءة الدين والعرض ، وحيث انتفت الشبهة ارتفع الحرج ، وقد أورد العلماء رحمهم الله خلافا في اصل تحريم الاشياء ، وهل الاصل فيها الحرمة فلا حلال الا ما دل الدليل على تحليله ، ام ان الاصل في الاشياء الاباحة ، فيجوز للمرء أن يأكل ويشرب ويتمتع بالطيبات ما لم يرد نص على التحريم ، وهذا هو رأى الجمهور ، وهو الذى تؤيده الآيات والاحاديث .

المشتبهات

والمشتبه ما اشتبه بالحلال والحرام ، ولا توجد قرينة تصرفه الى احدهما ، ولا يعرف اكثر الناس حرمته او حله ، فهو ملتبس عليهم ، والورع بالنسبة لهم تركه والانصراف عنه ، ففي ذلك البراءة للدين والعرض ، أما البراءة للدين فلأن الاخذ بالشبهة قد يكون سببا في مزلة الاقدام ، فيقع المرء في الحرام نتيجة لعدم التورع - نقل من حديث الحسن بن علي قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) اى اترك ما يقع في نفسك منه شبهة من طعام او شراب او مال او اى متاع ، ولم تطب به نفسك ، وخذ بالشيء الواضح المتيقن حِله ، الذى تطمئن اليه النفس ، ويسكن اليه القلب .

التمتع بالطيبات

وهذا هو الورع المطلوب شرعا ، لا الورع المزعوم المصطنع الذى يزهد في الحلال ، ويمنع عن التمتع بالطيبات المباحة ، ذكر المفسرون عند تفسير قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يوما ، فوصف القيامة واهوالها ، فبكى الناس ورقت قلوبهم ، فاجتمع نفر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتزموا الترهّب ، وان يلبسوا الخشن من الثياب ، ويصوموا الدهر ، ويقوموا الليل ، ولا يناموا على الفرش ، ولا يأكلوا اللحم ، ولا يقربوا النساء والطيب ، ويسيحوا في الارض ، فبلغ ذلك رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاهم وقال : (اني لم أومر بذلك ثم قال : ان لنفسك عليك حقا فصوموا وافطروا ، وقوموا وناموا ، فاني اقوم وانام ، أصوم وافطر ، وآكل اللحم والدسم ، وآتي النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بهذا البيان الشافي لمن جنح الى الترهب ، بل قام خطيبا واعلنها مدوية في المجموع ، قياما بواجب البلاغ وقال : (اما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا ، فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ، ولا اتخاذ الصوامع ، وان سياحة أمتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد . اعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وحجوا ، واعتمروا ، واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، واستقيموا يستقم لكم ، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم ، فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع) .

وفي هذا البيان النبوى الكريم الضافي رد على كل متنطع او متزهد فيما احل الله او محرم لما اباحه لعباده من متع الحياة . « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

مواقف الريبة

وعلى عكس هذا الصنف الزاهد في الحلال من يتسامح في الاخذ بالشبهة، فينزلق في الحرام، ويستمرئه ، ويندفع في تحقيق شهوات النفس المحرمة وملذاتها وانطلاقاتها في كل ما تريد غير مكترث بوعيد ولا ملتفت لسوط عذاب ، وهو من شبّهه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو لا شك واقع .

اما البراءة للعرض فلأن من يقع في مواطن الريَب تنطلق الالسنة فيه بالغيبة ، والاستطالة عليه بما هو منه بريء ، وينسبون اليه السوء روى عن علي بن ابى طالب رضى الله عنه قال : ايّاك وما يسبق الى القلوب انكاره ، وان كان عندك اعتذاره ، فرب سامع نكرا لا تستطيع أن تسمعه عذرا ، وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم) ورأى بعض اصحابه زوجة من زوجاته صلى الله عليه وسلم تمشي وراءه فبادرهم بقوله – انها صفية بنت حيي – دفعا بهم عن سوء الظن فيهلكوا ، ورسما لطريق السلامة للامة .

هذا وهو رسول الله المعصوم من الزلل ، فكيف بمن كان في اعقاب الزمن ، وقد فسدت الضمائر والذمم ، وغلب على اكثر الناس سوء الظن، أليس جديرا به أن يرتفع عن مواطن التهم، وعن كل ما يحمل على اساءة الظن !

وفي الحديث ايضا تصوير للسياج المنيع الذى ضربه الله على حدوده وما حرمه على عباده حيث شبّهه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم بالحِمى يحميه الملوك ، ويحظرون وروده والرعى فيه على رعاياهم ، فمن قاربه وقع فيه لا محالة ، وفيه أيضا تصوير للقلب النفسى (وهو مركز الوجدان والشعور الذى تصدر منه الايعازات للنفس، فتعمل باشاراته وايعازاته) بالقلب المادى وهو مركز الدورة الدموية ، فكما أن الجسد يصلح ويصحّ بسلامة القلب ، والجوارح تقوم بواجبها تبعا لذلك ، فكذلك مركز الوجدان والشعور من النفس اذا كان صحيحا سليما صحت الارادات والنيات ، واندفعت الجوارح نحو الخير والصلاح ، فلا تصدر الا عن خير ، ولا تحجم الا عن شر ومفسدة .

وبعد : فان الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، ومن الورع اذا اراد المرء القدوم على أمر أن يراجع فيه قلبه قبل القدوم عليه ، فان اطمأنّ اليه وسكن فعله، والاّ تركه، ففى الحلال البينّ الواضح غنية عن كل مشتبه فيه أو ملتبس على المرء حقيقته .

والله الموفق



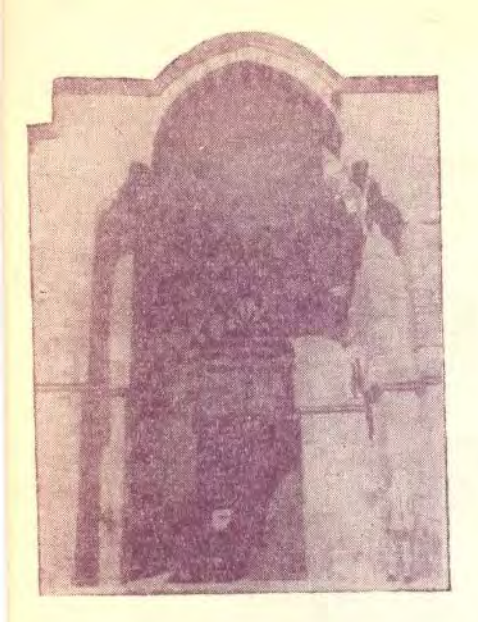
الحرم القدسي

آية الإسلام

محمد مؤذن

تمهيد

المسلمون جميعا مهما تباعدت ديارهم عن مهاد الاسلام الاولى ، كلهم ، ومنذ تفتح مداركهم ، وبداية وعيهم ـ يسمعون بالضرورة عن بقعة من الارض فى القدس من ارض فلسطين بارك الله فيها وما حولها ، وكانت أول قبلة اتجهت أبصار النبي وصحبه اليها ، ثم كانت منطلق الرحلةالمقدسة الى السماء ، وغنوة الامل فى خواطر المجاهدين والشهداء ، والمحور الذى تدور عليه عواطف المسلمين ومشاعرهم ، وتلتاع ـ اذا مسه السوء ـ قلوبهم وخواطرهم ، وتهتز للخطر ـ اذا حاق به ـ وجداناتهم .



الخالدة

تحقيق صحفي كتبه

الاستاذ احمد العناني

عمان الاردن

لكن المسلمين جميعا ليسوا سواء فيما يعرفون عن هذه البقعة الطهور .

مظاهر حضارة

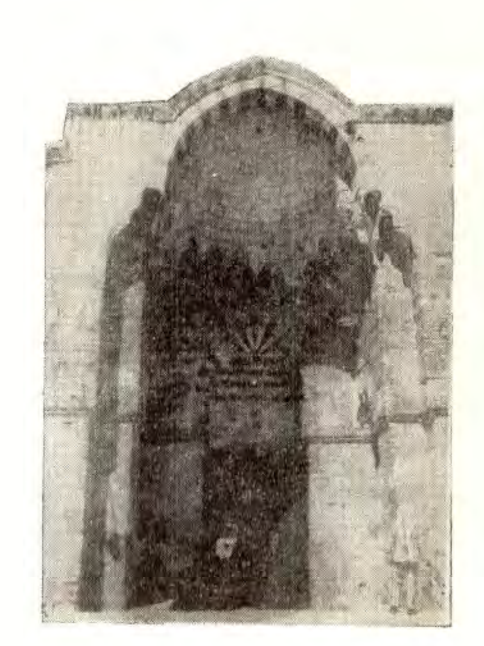
فلقد تكاثرت فيها ، وفى صخرتها وأقصاها ، فى أرباضها وساحاتها فى مدارسها وزواياها ، وفى سبلها واطرافها ـ آيات تنطق بعظمة اهل الاسلام وتنبض بكل شارات الحياة التي يحيونها ، والحضارة التي ينشئونها .... انها تستطيع ان تشكل مادة كاملة لدراسة علمية لا فى الفن والهندسة والبناء وحدها ، ولكن فى الكيفية الخاصة للروح الاسلامي ، فى طريقة الاسلام وأهله فى أخلاصهم لدينهم ، فى تصورهم لعلاقاتهم بربهم ، فى استحضارهم اطياف الآخرة نصب اعينهم ، وفى استماتتهم فى التقرب الى الله .

أن للاسلام آية خالدة فى القدس الشريف ، ومعرضا للدين والدنيا عز ان يطلب له شبيه ... ولم تكن القدس لأهلها وحدهم فى يوم من الايام ، ولكنك دائما واجد فى رحابها تآخى القوميات والاجناس والالوان ، فى نطاق السماحة المثلى للاسلام .

ويقف الزائر فوق الرحاب الفسيحة المحيطة بمسجدى الصخرة والاقصى المشرفين ليشاهد وضعا فذا فى الوجود كأنما يحس ان السماء والارض تتصافحان فى المكان الذى صعد منه اليتيم الامين الطهور ليرى عجائب خلق الله فى ملكه الشاسع ، الذى لا يحده حساب ، ولا يحصر ابعاده خيال .

وحين يصفو القلب ليصبح الوعاء الملائم لحركة الذهن يستطيع الفكر المؤمن فى الارض التي اختارها حجة الاسلام الغزالي معتكفا يستكمل فيه افكاره عن احياء علوم الدين ، أن يستشعر مع صفاء الانسام على الربوات المباركة ، كيف يستطيع ابناء آدم أن يتحرروا من حركة الباطل ، ودوافع الغرور ، وان يجمعوا خير الدنيا بخير الآخرة ، وقوة الارادة فى اطار الحق ، وجمال الآمال التي تولدها آلة العمل والجهاد الساعية الى رضوان الله .

وعلى الربوات المباركة من حول الصخرة المشرفة ترى حقب التاريخ المتلاحقة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تجمعت



اضواء منها فى هذه البؤرة النورانية ... ها هنا موطىء البراق ، وهناك آثار من عبد الملك والوليد وثمت روائع منايام العباسيين والأيوبيينوالمماليك والعثمانيين كلها تزهو بالاعلان عن نفسها ، بنقوش بلغة القرآن ، وكلها تفصح عن ثقافة واحدة ، وتجانس عجيب فى الروح على رغم الزمان ، وكثرة الاحداث ، واختلاف الليل والنهار ، وتعدد الالسن وتنوع العناصر والامزجة والالوان .

مع التاريخ

كان ذلك قبل ثلاث عشرة مئةوربع المائةتقريبا من هجرة الرسول عليه السلام ، والمسلمون يحيون فترة مضطربة حزينة أعقبت دفقة الفتح العجيب الاولى . كان الحرمان الشريفان فى مكة والمدينة فى حوزة عبد الله بن الزبير الذى عاش سنوات هناك يخاطب بامارة المؤمنين ، برغم وجود عبدالملك ابن مروان فى امارة المؤمنين بالشام .

وكانت خطة الخليفة الاموى ان يوطد الامر فى مصر والعراق الى جانب الشام . وكان لا بد من مداراة الرغبة فى استمرار الحج بما عسى ان ينشغل به الناس قبل استكمال الخطة السياسية ـ هذه واحدة ...

واما الناحية الاخرى فهي استمرار لما نادى به معاوية من قبل على مسمع من ابن الخطاب نفسه ، وهى ضرورة مجاراة المسلمين لسمات الحكم عند الامم الاخرى حفاظا على هيبة الحكم..

كانت الشام تزخر من قبل بكنائس المسيحيين الباذخة البنيان ، فأراد عبد الملك لهذه وتلك أن ينشيء مسجد الصخرة المشرفة ، فشكل لذلك لجنة من خيرة الناس ممن لاترقى اليهم شبهة، واوقف لهم خراج مصر لبضع سنين ، وامدهم بأهل الحرف والبنائين ، ودام العمل ستة اعوام ، وزاد المال المخصص للغاية مئة الف دينار ، واراد عبد الملك ان يهديها للذين وفروها بجهودهم فكان جوابهم « نحن اولى ان نزيد المال بحلى نسائنا فضلا عن اموالنا » .

وما يزال اثر عبد الملك باقيا فى كتابة مزخرفة بالفسيفساء تقول « بنى هذه القبة عبد الله عبد الملك بن مروان امير المؤمنين فى سنة اثنتين وسبعين ، تقبل الله منه آمين » .



منطقة الكأس بين الصخرة والأقصى

الأشجار القديمة التي طالما ظللت أفواج المصلين مدى مئات السنين فوق المصاطب المبلطة بالحجر القاسي الأملس حيث تقام فى فصل الصيف صلوات الجماعة ولا سيما العصر والمغرب .



في الطرف الجنوبي من فناء مسجد الصخرة المشرفة ... القنطرة التي يهبط عبرها المتجهون الى الأقصى على الدرج الذى ينتهي آخره بالكأس . لاحظ المنبر والمحراب الرخاميين جدا لآخر مرة منذ حوالي مئتي سنة . وعلى القنطرة ساعة شمسية (مزولة) لتعيين أوقات الصلاة .

المنبر والمحراب يستخدمان عند الصلاة بالفناء فى أيام الحر الشديد .

وهكذا وفى غمرة الفرح العظيم بالذى انجزه عبد الملك ورجاله ، وكانوا ذات يوم يوجسون خيفة من الا يتم ولا يكون ، لم ينس الرجل ان يتكلم بروح الاسلام فيؤكد عبوديته لله على اغلى ما أستطاعت ان تصنع يداه .

وكان قطر القبة من الداخل عشرين مترا وتزيد وكانت اقامة هذا الكيان العظيم ، على أسس المتانة والدقة التي قاوم بها الزمان ، أعجوبة فى الفهم والذكاء ، فضلا عن دقة الاتقان وعمق الاخلاص .

وكان جمع القبة للطرازات الفارسية والرومية وغيرها نموذجا ساطع البيان على طريقة الاسلام وأهله فى الابقاء على كل علم نافع ، والاقبال على اقتباس كل مفيد ، وهى ناحية من أبرز نواحى الحضارة التي جمعت خيرات الذهن البشرى ، وكرمت كل نتاجات العلم السالف ، وجنحت الى دولية مطلقة فى الجانب المادى من حضارة البشر ، وان كانت قد صبت ذلك كله فى قالبها هي ، واثبتت عليه شارتها هي ايضا ، آلا وهى شارة التوحيد .

وفى وسع المرء ان يحشد استشهادات واقتباسات من اقوال علماء ورحالين وفنانين ، شرقيين وغربيين ، مسلمين وغير مسلمين ، عقدت روعة البناء ، ودهشة الرؤية العجيبة ألسنتهم ، فأتفقوا باجماع على ان هذه القبة أعظم آثار البناء فى تاريخ الانسان حتى هذا الزمان .

فى عهد المأمون

ثم نجد الخطوة التالية بعد عبد الملك أعظم الامويين ، تجيء فى عهد المأمون أعظم العباسيين .

كان هناك مئة وخمسون سنة بين الرجلين الماجدين ، وهى فترة تكفى لاظهار أثر الامطار والرياح وعوامل التعرية والتفتيت فى البناء .

ويبدو أن المأمون قد بذل فى الترميم من الجهد ما جعله أو جعل رجاله ، يرى أو يرون له من الحق ما يضع اسمه فى مكان عبد الملك حيث يوجد ، ولكن البقعة التي شهدت حقا من اسطع الحق فى التاريخ يأبى لها الله الحق الا ان تظل تحمل اسم عبد الملك .

ولقد كان المسلمون وما يزالون يواجهون تحديات الزمن المتواصلة لكل من مسجد الصخرة ، والمسجد الاقصى متمثلة فى فعل الرياح والامطار والزلازل والحرائق والتآكل الطبيعي بحيث اصبح من الواجبات الطبيعية لكل جيل من المسلمين ، ولكل دولهم فى منطقة الشرق الادنى خاصة مواصلة الاهتمام والترميم ، ومعالجة ضروب التشعث والشقوق ، وآثار تسرب الرطوبة فى الاسس والاعمدة .

المسجد الأقصى

وكانت هذه التحديات فيما يبدو اشق بالنسبة للمسجد الاقصى المبارك الذى بدىء بعمارته فى





عهد عبد الملك أو في عهد الوليد ابنه ، وعلى نفس الموقع الذى كان يقوم عليه مسجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وسبب المشقة هنا اتساع رقعة المسجد ، وانفساح مسافات عقوده ، بحيث تفعل الزلازل فعلها الشديد غير مرة واحدة في شق العقود والزام المسلمين بأعادة البناء ، ومحاولات التضييق والتوسيع من مساحات المسجد ، كما حدث في عهد المهدى الذى اعاد بناء الاقصى بعد أن أنقص من الطول وزاد في العرض ومع ذلك فقد اعادت الزلازل كرتها على المسجد ذى الرواق الاوسط الضخم الامتداد بحيث احتاج الفاطميون ان يعيدوا البناء كرة اخرى .

واذا كانت الابنية الخارجية في باحات الحرم الواسعة ، ومصاطبه ، والدور المحيطة به ، تستفز همم بعض المسلمين على مدى العصور للاسهام على قدر الطاقة في الزيادات والاستحداثات ، ومختلف اشكال التسهيل المعيشي على سدنة الحرم ، والمصلين الذين يعمرونه ، في كل وقت من اوقات الصلاة ، وكذلك على طلبة العلم والوافدين والمجاورين والمعتكفين ، فليس ذلك شأن القبة من فوق الصخرة ، ولا شأن العقود الضخمة فوق اروقة الاقصى .

عناية خاصة

لقد كان الحفاظ على هذين الموقعين كان وما زال يعتبر شيئا لازما لزوم الحياة للمسلمين ، بل ان اعزازهم لقبة الصخرة واعتزازهم بهما ليفوقان حد الوصف ، وقد وردفي غير مصدر واحد من المصادر الكثيرة التي اقتصرت على بحث هذا الاثر الخالد ــ ان المسلمين ظلوا فترات طويلة وفى كل يوم اثنين وخميس يطحنون الزعفران ، ويمزجونه بالورد والمسك ، ويدعون المزيج ليختمر في الليل ، حتى اذا طلع الصبح ، أمروا السدنة والخدم ، فدخل هؤلاء الحمامات فأغتسلوا وتطهروا ، ثم أتوا مسجد الصخرة حاملين ذلك الورد والمسك ، ثم أتوا بمجامر العود والند ممزوجا بالمسك والعنبر وباشروا غسل الصخرة ، ثم يطوفون بالبخور على الاعمدة قبل أن ينادوا : أن قد فتحت الصخرة للصلاة .

لقد كانت مختلف ينابيع الفنون الاسلاميةترسل احسن نتاجاتها لخدمة الصخرة والاقصى ، وكان اروع المهنيين اقتدارا يجدون فرضا عليهم ان يهبوا افضل ثمرات خبراتهم ومواهبهم لذلك الاثر الخالد ، أو ما حوله ، ويشترك في هذه الحملة البناءون . والنحاتون ، وقاطعوا الرخام ، والصاغة والنقاشون ، والخطاطون والمزخرفون واصحاب الحرف الخشبية على اختلاف اشكالها ، وصناع الزجاج ومزخرفوه ، والدهانون والملونون، وحفار الآبار والمبلطون ، واصحاب الحرف التزيينية : من تشجير وتنميق وتطعيم وتلبيس ، وصهرة الرصاص وصانعو اللباد ومهندسو الاروقة والقباب ، والمهرة في صناعة الفسيفساء ، والخبراء في الجص وتثبيت الاسس ، وتوزيع الاثقال على الاعمدة وبناء المحاريب والاروقة .

كل ذلك ظاهرة آثاره ، وأكثر الكثير منه لا يزال قائما حيث وضع ، أو رمم مرة بعد مرة ، وبعضه محفوظ في المتحف الاسلامي المجاور للاقصى ، واشياء كثيرة ضاعت او انتهبت في فترة الاحتلال الصليبي الفاشم .

وصف مجمل للصخرة والأقصى

الداخلون عبر اسوار القدس ولا سيما من الشرق والجنوب تطالعهم وسط الافنية الرحيبة قبة الصخرة الواقعة وسط واحد منها مرتفع عما جاوره يهبط منه الهابطون على الادراج من الغرب والجنوب ليتصلوا بأبواب الاقصى او ساحاته . ينيف ارتفاع القبة على اثنين وثلاثين مترا أو ما يساوى ثمانية طوابق من الابنية الحديثة ، ويقارب محيط دائرتها الاربعة والستين مترا .



معتكف الامام الغزالي فى حجرتين لاصقتين بالسور عند أقصى الجانب الجنوبي حيث الاطلالة تعيد النظرة مفعمة بصنوف التأملات .

وهي مؤلفة من طبقتين من الخشب القوى ، الخارجية منها مكسوة بصفائح من الرصاص ، والاخرى داخلية منقوشةنقشا عجيبا منالفصوص الملونة من الذهب بشكل زخارف عربيـة تخلب الالباب وفى أعلاها - قريبا من القمة - آيـة الكرسي مكتوبة بأستدارة تصل الى غاية الاتقان والفـن .

وتحت القبة : الصخرة المشرفة . يحف بها « درابزين » خشبي ، منقوش ومدهون ، ويوصل الى المغارة من تحتها بأحدى عشرة درجة ، حيث يقوم محرابان وصفتان . وينظر الرائي الى أعلى فى المسجد الواقع بين درابزين الصخرة والبناء المثمن المحيط بها فيرى القبة الشـامخة ، على كرسي ذى نوافذ زجاجية باهرة الاشكال . وهو بدوره ينهض على اثنى عشر عمودا رخاميا واربع قوائم مربعة . طول كل ضلع من اضلاعها ثلاثة امتـار .

وللبناء المثمن ست وخمسون نافذة منها اربعون مفتوحة . وهناك التثمينة الداخلية التي يرتكز عليها السقفوهيمحمولة على الاعمدةوالاسطوانات ويضيق الوصف ذرعا بتفصيلات زخارف الاعمدة والنوافذ ، وانواع الزخارف والسور القرآنيـة المكتوبة بأروع الخطوط . والتثمينة الخارجيـة لبناء المسجد ، أدناها الى الارض مغطى بالرخام ، وأعلاها مكسو بالقشاني البديع منقوشة فيه سورة « يس » بخط ثلثى ضخم على افريز بارز باهـر الـرواء .

وللمسجد اربعة ابواب هائلة مكسو خشبـها بصفائح الرصاص ، وأمام الباب القبلي المواجه للاقصى رواق مفروش بالرخام يقابل الداخل منه عن اليمين المحراب وفى مواجهته دكة المؤذنين ، وفى



قبة سليمان فى أقصى الشرق من ساحة الحرم القدسي حيث يهيمن هدوء روحي عجيب وسط أشجار قديمة ويأوى العابدون فى وحدة مفعمة بالتأملات فيما كان ويكون على مقربة من السور الذى يحيط بالقدس .

المؤذنين القائمة على عمد من الرخام ، وهناك مجموعة اخرى من المحاريب البديعة البناء منها : محراب عمر ، ومحراب معاوية ، وللجامع أحد عشر بابا منها واحد خاص بدخول النساء الى مصلاهن ، وينتهي المسجد في غير جانب واحد منه بجوامع : يدعى احدها جامع عمر وهناك امور وروائع لا تستطيع هذه العجالة الاحاطة بها ..

حول المسجدين

يتوسط مسجد الصخرة المشرفة فناء رحب تبلغ ابعاده ما يتراوح بين ١٧٠ مترا و ١٩٠ مترا ويوصل اليه من جهاته الاربع بأدراج يعلو كلا منها قنطرة بديعة يجاورها محراب او محاريب ، ويرجع بناؤها الى عهد المماليك ولا سيما قلاوون او الى عهد العثمانيين على تفاوت بين ايام السلطان سليمان وعبد الحميد وهناك مجموعة من القباب وبيوت بأطراف الفناء لموظفي الحرم وسدنته ، كما تنتشر القباب في افنية واطراف المصاطب حتى تتصل بالسور من الناحية الشرقية ، ونذكر على سبيل التعريف لا الحصر قبة السلسلة التي لا تبعد سوى بضعة أمتار عن مسجد الصخرة نفسه وفيها صفان من الأعمدة الحسناء وقبة المعراج غربي المسجد ، وقبة يوسف والنحوية والشيخ الخليلي والخضر وموسى وسليمان واما المصاطب فمنها مصطبة العشاق (التي يظن انها اكتسبت هذا الاسم ايام ازدهار الصوفية) ومصطبة الكرك ومصطبة علاء الدين البصيري .

وعند منتهى اطراف الافنية والمصاطب من كل جهة هناك مآذن المسجدين الاربعة ثم الاروقة المتصلة الممتدة على معظم جهات الحرم فيما عدا الشرق ومن فوقها العمائر التي حفلت بالمدارس مئات السنين حتى خبا نور العلم في الفترة المظلمة وتحول كثير من الاروقة الى سجون او ملاجيء للمحاويج والعجزة والنزلاء .

اما الابواب العامة للحرم والمحيطة به فهي عشرة مفتوحة واربعة مغلقة وحولها وفيها آثارها ونقوشها وكتاباتها ومن الابواب المغلقة في الشرق باب الرحمة وباب التوبة وفوقهما الزاوية التي اعتكف بها الغزالي اعتكافه المشهور.

وفي مختلف اطراف الحرم سبعة وعشرون بئرا بعضها معطل خرب .



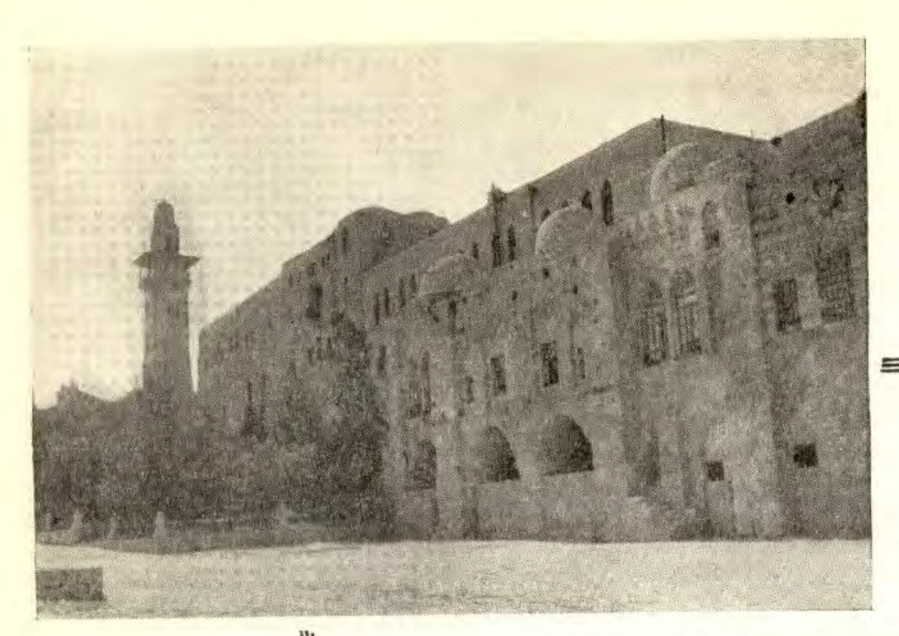
كل زاوية وحنية ، وأينما اتجه البصر ، هنالك كل شيء يحمل آيات من بدائع الفنون الهندسية والنقشية ، بما لا يغني عنه وصف ، ولا يسد مسده كلام ولا بيان .

المسجد الأقصى

اما المسجد الاقصى المبارك فيقارب طوله الثمانين مترا ، وعرضه خمسة وخمسون مترا ، وينهض سقفه على ثلاثة وخمسين عمودا ، وتسع واربعين سارية مربعة ، وهي مكسوة بالرخام البديع التعريق ، وفي صدر المسجد قبته المصنوعة من الخشب المتين ، الموشاة من الداخل بالذهب الملون ، والمكسو خارجها بصفائح الرصاص . ويرجح انها صنعت في عهد الخليفة المهدي العباسي ، ثم رممت في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي ثم جددت في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، أما اعمدتها الحالية فقد وضعت منذ حوالي الاربعين سنة فقط .

منبر تاريخي ثمين

ومن أروع ما في المسجد الاقصى منبر نور الدين زنكي القائم حاليا بكل بدائع الترصيع بالعاج والابنوس في خشبه المتين ، وكان صلاح الدين الأيوبي قد نقله بعد الفتح من حلب حيث كان السلطان الشهيد قد توفي قبل تحقيق تلك الامنية. وبقرب المنبر المحراب المهيب ، وفي مقابله دكة



فى الجانب الشمالي المطل على باب الأسباط تلتقي الأروقة والمآذن والمحاريب ومواقع المدارس التي طالما حفلت بطلبة العلم من أبناء المسلمين من كل مكان .
كل شيء يحتفظ بجلال وعظمة الصناعة التي تمت بتقديس وحب وتقرب الى الله تعالى .

بين الماضي والحاضر

يطول الحديث بلا ريب لمن يريد ان يستقصى الحقيقة كلها عن آية الاسلام الخالدة فى القدس ، فلقد كتب الكثير وما يزال يكتب على مدى الايام ، وانك لواجد مؤلفات مستقلة عن الموضوع كتبها مسلمون واجانب ، كما تجد شذرات مستفيضة فى ثنايا الكتب منذ القرن الرابع الهجرى وهناك غير مخطوط واحد عن فضائل القدس وغير مطبوع واحد عن المسجد الاقصى ، وغير كتاب عن الرحلات الى الاقصى وحسبي ان اشير من المؤلفين الى ابن عساكر ، وابن الجوزى ، واحمد بن ابي بلد المقدسي ، وابن هبة الله الشافعي ، وصاحب مسالك الابصار ، والسلوك لمعرفة دول الملوك ، وكتاب الانس الجليل للقاضي مجير الدين الحنبلي ، ومن الاجانب الى ريتشموند ولويس وفرجوسون وولسون وورن وغيرهم .

ومع ذلك فلا يغنيك عن المسجد الذى تشد اليه الرحال خبر عن عيان ، ولا يسد مسد الحقيقة غير الزيارة والرؤية ، وليس الغابرون الذين كانوا يتجشمون الاهوال فى رحلاتهم الى القدس بأحق منا فى عهد الطيارة والسيارة .

كل شيء يشير الى ان الصخرة والاقصى كانا كانسان العين عزة ونفاسة وكرامة حينما كانت الروح الاسلامية قادرة على الكشف عن ابعاد حماستها وعلاقتها بالله فى شكل الاعمال المنفذة دون الاقوال المنمقة .

ولكن الانصاف يقتضيني ان اقول بأننا ننهض اليوم من حفرة لم ننحدر اليها بارادتنا او ملك انفسنا ، وانما هي حفرت وتهيأت دواعى السقطة فيها فى الفترات الحزينة من تاريخنا ، فقد كان لا بد تحت رواق الجهل والتقليد ، والخمول والتواكل البليد ان تتبدل الاشياء من حقائقها ثيابا من التمويه السطحى الواهن الذى يشبه الاصبغة الكاذبة على الوجه المروض .

وليست محنة الاسلام فى التوقف عن الاضافات والعمائر الجدد والترميمات فحسب ، وانما هي فى الوهن الذى اصاب حركة الروح التي حفظت الاقصى والصخرة مركزين للاشعاع المستديم ، والبحث الجاد ، والعبادة المتصلة ، وجعلت منهما قلب العقيدة الذى يحرك بدمائه الفوارة دفعة واحدة مشاعر المسلمين فى كل مكان يحيون فيه تحت الشمس .

يتنظمهم خط من نور الاسلام ما كان له ان يخبو نوره برغم سواد المصائب ومعتم الحدثان .

ومع ذلك فعلى بعد امتار ترى زمرة من العميان يكررون آى القرآن ويلتمسون بالهذرمة قروشا بخسة واخرين يستمنون المار ويتعلقون بثياب الغريب .

لقد فعلت عصور الجهل فعلها المخرب الفادح .

لم تبل في الواقع سقوف الخشب التي اعيد مؤخرا تجديدها بسهولة فحسب ، ولم تبل الدعامات وصفائح المعدن ، وانما تعطلت قوة الدفع وآلة التطوير المستمر في الروح التى ينبغى ان تعمر الاقصى والصخرة وما حولهما بما ينبغى أن تعمر به من علم وفقه واجتهاد .

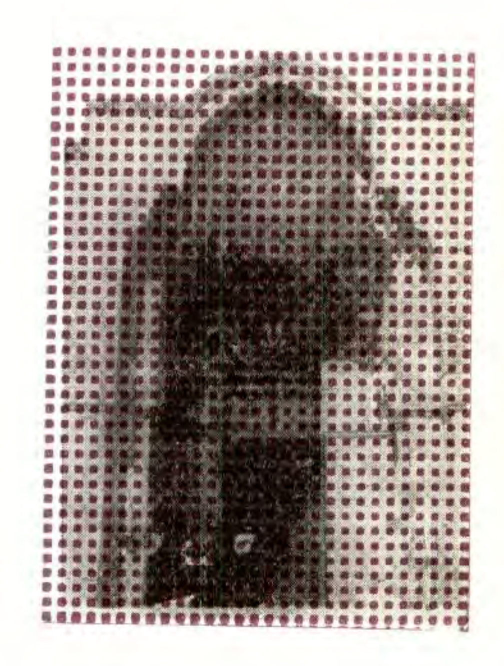
لقد كان كل ما للعقل فى حياة المسلمين قد انحدر الى القلب ، فكانت هناك دفقات عواطف ، وتواجدات تصوف ، ولكن الاسلام دين ينهض على دعامتين من العقل المستنير والقلب الطهور ... ولقد يصح ان يقال ان جانب العقل آخذ فى الظهور ، ولكن جانب القلب فى ضمور ... ولا يمكن ان نصل الى ما نبتغى بغير احسن التآخى بين الامرين .

أول الغيث

تشاء ارادة الله القدير ان يستيقظ المسلمون على ما اصاب الحرم القدسى فى عمائره ومدارسه وقبابه وعمده من تلف فى فترة من اقسى فترات التحدى التى واجهوها فى تاريخهم وهى فترة الغزو الصهيونى المعزز بالعدوان الاوروبى المقنع على ديارنا وكراماتنا ومقدساتنا .

وعلى ما لقيه ويلقاه سكان البلد المقدس من بغى غشوم وعدوان اثيم كان منه اصابات القنابل التي لحقت بمسجد الصخرة ، وبعض الابنية والأفنية ، وعلى الرغم من نكبة النكبات فى تشريد الآمنين ، وترويع الاهلين الموادعين ، واقتطاع معظم رقعة الارض فى فلسطين ، الا ان الجهود بدأت منذ اربعين سنة تندفع نحو اداء الواجب الاقدس فى البلد الكريم وحرمه العظيم .

وقد بدأت حركة الترميم فى الاقصى الشريف ثم شملت اخيرا قبه الصخرة



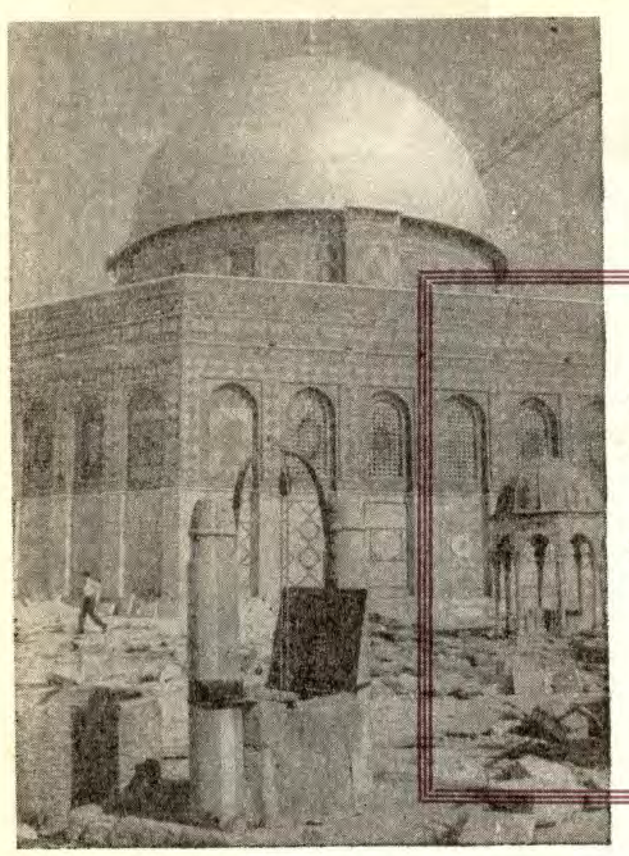
ولقد كانت لفترة الانحطاط فجائع ووجائع ، كثير منها ما نلحظه اليوم عيانا ... لقد يفتت القلب اسى انك قد ترى المسجد عامرا بمئات الالوف من الخلق فى جمعات رمضان ، ثم تزوره ذات ضحى فى فصل شتاء فلا يغشاك الا سكون رهيب يهيمن على الافنية الفساح والاروقة الواسعة ، بل حتى الجامع نفسه ما تسمع فيه غير دبيب بعض اقدام الأذنة او المسترزقين ...

وتسائل النفس ، وكبدك توشك ان تتصدع من الاسى اين همهمات الدارسين ، وهينمات العابدين ، وحركة الفقهاء والمتعلمين .. اين الركع السجود ، ومن شغلهم التهجد عن الهجود .. اين المركز الحافل بالالوف .

ثم قد تزور فى وقت غير ذلك الوقت ، فاذا بعض حركة وحياة ، ولكن اية حركة واية حياة !! ان طائفة ممن توشك ان تأنس بهم يشعرونك انهم اصبحوا محترفين لا علماء ، موظفين لا متطوعين ، وطائفة اخرى اهمتهم الخرافات ، وشغلتهم اوهام الجهل الموروث فعدوا على دينهم مع عداته ، يعظمون الحجارة وينسبون لها ما لم يقم عليه دليل فى هدى او كتاب منير .

والدمع يغشى العيون وانت ترى البون الهائل بين ما هو كائن وما ينبغي ان يكون .

نظرة هناك عند الكأس فى المتوضأ تجد صنوفا من الوان الناس يتآخون فى العبادة بغير تعاظم من احد ولا تصاغر فى سواه .. اخوة بكل معنى الاخوة



مشهد فى غربي مسجد الصخرة المشرفة يظهر فيه بوضوح تجديد كتابة سورة يس على الافريز المكسو بالقاشاني الأزرق .

لاحظ البئر القديمة والحوض حيث يستقي الماء بواسطة الرافعة المثبتة على البئر .

فى الحرم ٢٥ بئرا عاملة كلها من نفس الطراز .

ومسجدها المباركين ثم هى الآن آخذة سبيلها فى أفنية الحرم وباحاته .

ويستطيع المرء ان يستشف الكثير من حماسة المؤمنين فيما هو جار من اعمال يستطيع ان يتلاقى مع غير ظاهرة واحدة من ظواهر الروح الجبارة المندفعة ، التى تطلع من غشاوات الليالى والاحزان طلوع بدر التم من متكاثف الغمام .

وكذلك شرع فى نواة متواضعة للغاية بأنشاء معهد القدس الدينى ولكن الطريق وان استؤنف السير عليها طريق طويلة مفعمة بالتحديات ، والفرص الضخام لجلائل الاعمال .

لقد ذكرت حجة الاسلام الغزالي فى غير موقع واحد من هذا المقال ... لقد شهد الرجل اول امارات الوهن الذى اصاب حماسة المسلمين فى اعزاز الحرم القدسى .

ولقد بكى الغزالي فيما يقال لانه لم يجد فى الحرم الا ثلاثمائة وستين مدرسا .

واذا كان ابو حامد بكاها دموعا سخينة فاننا حقيقون بدمع ساجم من دم .

ان المساحة التى يشغلها الحرم الشريف لاتزيد الا قليلا على ستة وعشرين الف متر مربع ... أفلا يستطيع المسلمون ان يملأوها عمرانا . ويعيدوا كل حنية وزاوية فى ارجائها معرضا لكل العظمة البسيطة فى توحيدهم الذى تخرج فنونه للانسان فى الارض كل آيات العظمة الطهور السائغة .

ثم السنا اليوم فى معركة مع العدوان الباغى ؟

وفى معركة مع الافكار المظلمة ؟

اليس الحرم القدسى مركز الاشعاع الخالد الذى ينبغى ان تنطلق منه حركة التجديد الاسلامى فتية جبارة لاسعاد الناس فى الارض ؟

فالى كل مسلم فى أرض الله الواسعة .

وحيثما شرقت هذه المجلة او غربت ، وحيثما أغار بها الركبان وانجدوا ، انادى كل مسلم واناشده ان يسأل نفسه : اين موقعه فى أرض المعركة المستعرة حيث الاسلام يصارع آخر امواج التحديات العنيفة ليثبت بحول الله حيويته المتجددة الى آخر الزمان .



أمام الايمان والتدين

لفضيلة الشيخ
نديم الجسر
لبنان

نحن امام ظاهرة اجتماعية خطيرة يشكو منها العالم الاسلامي بأسره ، هي أن أكثر شبابنا المثقف بالثقافة العلمية العالية هم أقرب الى الالحاد ، وأن القلة المؤمنين منهم أميل الى اهمال العبادات والشعائر . هذه الظاهرة بدأت مع عصر النهضة العلمية فى بلاد العرب والاسلام ، وأخذت تزداد خطرا كلما ازدادت النهضة انتشارا وازدهارا ، وقد منيت بالفشل كل المحاولات التي قام بها المصلحون فى سبيل معالجتها .

ولكى نتوصل الى دراسة صحيحة لاسباب هذه الظاهرة المزدوجة المتجلية بالالحاد واهمال الشعائر ، علينا أن ندرس شخصية شبابنا ، والمحيط الذى يعيشون فيه ، والافكار التي تغزو عقولهم ، فشبابنا فى عقله وجسده وميوله واخلاقه يقف حائرا مرتبكا بين عدة تيارات : سلطان العقل . اوهام العقل ، سلطان العلم . اوهام العلم . سلطان الجهل بحقيقة الاسلام . عدوى الملحدين . كيد المستعمرين . أخطاء المستشرقين والمؤرخين . العقد النفسية . فساد المحيط .

هذه اسباب ظاهرتنا الغريبة ، نراها كثيرة معقدة ومتشابكة منها الخارجي ، ومنها الداخلي المحلي ، ومنها العقلى ، ومنها النفساني ، ومنها الذى يستشرى



فى قطر أكثر من قطر آخر ، ومن كل هذا التعقيد والتشابك والتنوع والظهور والخفاء – كان الفشل فى العلاج ، فما لم نقنع شبابنا بأن الايمان بالله هو من اصدق واوجب احكام العقل ، ومالم لم نقنعهم بان قضايا الدين لا تتناقض مع العقل ولا مع العلم لن يكونوا مؤمنين ، ومالم نيسر لهم التربية الصالحة ، والمعرفة الميسرة والقدوة الكريمة لن يكونوا عاملين .

سلطان العقل فى الاسلام

ان مزية الاسلام هو أنه قد جعل للعقل السلطان الاعلى فى فهم النصوص المنزلة هذا العقل الذى امرنا الله فى آيات كثيرة من القرآن امرا قاطعا ان نحتكم اليه عند جدلنا مع انفسنا فى معركة الشك – واليقين ، وعند جدلنا مع غيرنا من الملحدين والمشركين ، يشمل بسلطانه كل معنى فى الوجود ، ابتداء من ابسط الامور – كاماطة الاذى عن الطريق الى اعظم معنى فى الوجود وهو الالوهية والوحدانية ، وليس فى الاسلام ايمان يتناقض مع العقل ولا نص يتناقض مع العقل ، فكل نص يوجب ظاهره تناقضا عقليا فى الذهن يتحتم علينا تأويله تأويلا يرتفع به التناقض العقلي .

أوهام التعقل

لابد لي قبل أن اضرب الامثلة على سلطان العقل فى قضايا الايمان والدين ان اكشف النقاب عن أوهام التعقل مبينا الفرق :

١ : – بين المستحيل العقلي والمستحيل العادى .

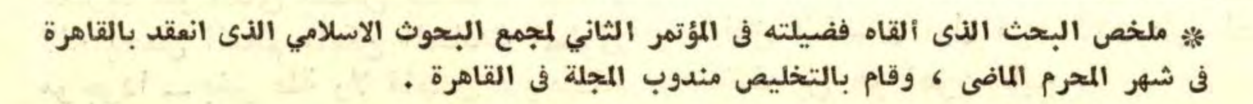
٢ : – استحالة التعقل وصعوبة التصور .

٣ : – بين حكم عقلي عام تتفق عليه كل العقول السليمة ، وبين نظرة فردية خالصة تختلف بشأنها العقول السليمة .

٤ : – بين الحقائق العلمية والمقطوع نهائيا بصحتها ، والاراء العلمية غير المقطوع نهائيا بصحتها ، والتي تبزغ وتظهر على مسرح التفكير حقبة من الزمن ثم تخبو الى الابد .

ان الخلط بين هذه الحقائق والفوارق هو من أوهام التعقل التي يقع فى اغاليطها كثير من الناس ، حتى المثقفون بأعلى الثقافات ، فمن الواجب على الشاب الذى يدخل فى جدل مع نفسه ، او غيره، حول اية قضية دينية أن يقف تمام الوقوف على هذه الفوارق كي لا يقع فى أوهام التعقل .

فالمستحيل العقلي هو الذى يوجب تصور وجوده او تصور عدمه تناقضا عقليا فى الذهن كقولنا : الواحد نصف الثلاثة أو الجزء أكبر من الكل . أما المستحيل العادى : فلا يوجب تصور حصوله او عدم حصوله تناقضا عقليا فى الذهن ولكن جرت العادة ان نعده مستحيلا فى العادة : كخرق النواميس الكونية بالمعجزات الالهية . كذلك نقول عن الفرق بين استحالة تعقل الشيء وبين صعوبة تصوره : كم من حقيقة يمكن تعقلها ولكن يصعب على الذهن تصورها : كعدد ذبذبات الصوت التي اثبت العلم انها قد تبلغ بالحساب الدقيق القاطع الى نصف مليون ذبذبة فى الثانية فيمكن تعقل هذه الحقيقة ولكن لا يمكن تصورها مطلقا فى الذهن لاننا مهما جمعنا خيالنا وركزنا لا نستطيع ان نتصور ان



* ملخص البحث الذى ألقاه فضيلته فى المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامي الذى انعقد بالقاهرة فى شهر المحرم الماضى ، وقام بالتخليص مندوب المجلة فى القاهرة .

ثانية من الزمن تتسع لنصف ــ مليون ذبذبة ولكن يجب ألا تحملنا صعوبة التصور على القول باستحالة التعقل فما كل شيء يصعب تصوره يكون مستحيلا عقلا ولا كل معقول يسهل تصوره .

كذلك نقول عن الفرق بين النظر العقلي العام الذى تتفق على صحته كل العقول السليمة بلا خلاف وبين النظرة ــ الخاصة التي تختلف فيها العقول . فلا يقولن الشاب اثناء الجدل العقلي على قضية من قضايا الدين : هذا رأيي وهذا عقلي لاننا نقول له : عقلك وحدك ليس حجة على الحكم الصحيح ، ولكن اتفاق كل العقول هو الحجة .

كذلك نقول عن الفرق بين الحقائق العلمية المقطوع عقليا ونهائيا بصحتها ، وبين الآراء والنظريات العلمية الظنية المرجحة التي لم يقم دليل قاطع على صحتها ويحتمل ان تظهر ادلة جديدة تنفي صحتها وتوجب بطلانها ، والامثلة كثيرة ــ كروية الارض ، حركة الشمس ، الجاذبية الكهربائية ، اوهام التاريخ التي تلبس ثوب الحقيقة القاطعة ، فعلى الشباب الا يبنوا آراءهم النهائية وجدلهم فى انكار القضايا والاخبار الدينية على اساس آراء علمية خاطئة او ناقصة ، يظنونها حقائق علمية ثم يظهر لهم بعد ذلك ان هذا الاساس الذى بنوا عليه جدلهم وجحودهم والحادهم ، هو اساس باطل ، تعبوا فى البناء عليه ، ثم لما ظهر الحق خر البناء من القواعد .

أمثلة على سلطان العقل فى الاسلام

١ : ــ قضية وجود الله الخالق لهذا الكون : هي حقيقة ذكرتها الكتب المنزلة، وعند عرضها على العاقل ، نجد أن اقرارها لا يشكل تناقضا عقليا ، بل انكارها هو الذى يشكل تناقضا عقليا ، لانه يجعل العالم الممكن الحادث المعلول موجودا ــ بغير علة ولا فاعل ، وهذا مستحيل يشكل تناقضا عقليا فاضحا ، او يجعل المعلول عين العلة ، هذا ايضا مستحيل يشكل تناقضا عقليا فاضحا ، وعن هذين المستحيلين عبر القرآن بقوله : أم خلقوا من غير شيء ، أم هم الخالقون ؟ .

٢ : ــ والوحدانية حقيقة ذكرتها كل الكتب السماوية : وعند عرضها على العقل نجد ان اقرارها لا يوجب تناقضا عقليا بل القول بتعدد الالهة هو الذى يشكل تناقضا عقليا .

٣ : ــ قضية المعجزات التي ذكرتها الكتب السماوية : وعند عرضها على العقل لا نجد ان تصور حصولها يوجب تناقضا عقليا ، بل ادعاء استحالتها استحالة عقلية لا عادية ، هو الذى يوجب تناقضا عقليا عند من يؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق النواميس ، لان المعجزات هي خرق النواميس الكونية ، وهذا الخرق مستحيل فى العادة ولكنه غير مستحيل عقلا لان الذى خلق النواميس قادر على خرقها ، ونحن نستنكر تفسير المعجزات الالهية تفسيرا علميا لان هذا التفسير يفقد المعجزة معناها ويرد الشباب المثقف الذى نريد حمله على تصديق المعجزة الى نكسة عقلية فى معجزات يستحيل تفسيرها على اساس علمي .

٤ : ــ قضية البعث التي ذكرها وأكدها القرآن : عند عرضها على العقل لا نجد ان تصور حصول البعث يوجب تناقضا عقليا ، بل القول باستحالة حصول البعث هو الذى يوجب تناقضا عقليا ، لان البعث هو خلق جديد ، والذى خلق الانسان اول مرة قادر على اعادة خلقه بل هو اهون عليه .

تيسير الفهم والتفهم

أن تيسير فهم النصوص ، وفهم حكمة احكام الدين ، له أثر كبير فى جذب الشباب المثقف نحو القيام بالعبادات والشعائر ، وشبابنا مسدودة فى وجوههم اسباب هذا التيسير للفهم من كل النواحي : فى البيت ، فى المدرسة ، بالكتب الضخمة التي يجفل الشباب من مجرد رؤيتها بل يعسر فهمها حتى على بعض علماء الدين ، ومسدودة بجمود كثير من المسلمين المرشدين الذى يقابلون كل سؤال بغضبة ، وكل استفهام بلعنة ، وكل بحث عن المعقول بالتكفير ، وأضرب على عدم تيسير الفهم مثلا بسيطا : فهذا القرآن الذى يخاطب العرب بقوله : ((انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)) .

فيه أكثر من ألف كلمة عربية لايعرف شبابنا المثقف معناها اللغوى ، وهو يسمعها فى كل يوم وليلة من الاذاعات فكيف الحال مع غير العرب ؟

يجب ان نضع بين ايدى الشباب كتبا دينية واضحة سهلة جذابة وان نقيم على تعليمهم فى المعاهد اساتذة يحسنون الفهم والتفهيم ، ويدركون اساليب التربية الفنية ، ولهم صدور واسعة ، وعقول نيرة ، وثقافات تتناسب مع ثقافة الشباب المعاصر .

المثقفون والخرافات

ومن اعظم ما ينفر الشباب المثقف من الدين تلك البدع والشوائب والخرافات التي الصقت بالاسلام وهو براء منها ، وليس ادل على بعد الاسلام وترفعه عنها من هدى القرآن والسنة الصحيحة ، وهما المنبعان الاصيلان — للتشريع فاذا تصفح الشباب القرآن وجدوا انه فى كل سورة بل فى كل صفحة يعلى كلمة الحق ، ويجعل العقل اليه هاديا والعمل عليه دليلا ، والعلماء عليه شهداء ، ويحذر من الظن الذى لا يغني عن الحق شيئا ، ويستهزىء بالخرافات والاساطير ، ويفصل فصلا صارما بين الالوهية والبشرية ، ويخوف اشد التخوف من الشرك الخفي ، ويجعل صلة العبد بالله من غير وسيط .

واذا تصفح الشباب السنة الصحيحة وهي هدى الرسول قولا وعملا ، وجدوا أنه عليه السلام كان ابعد الناس عن اوهام الخرافات ، واشدهم انكارا للتنجيم والعرافة والشعوذة والاستجارة بغير الله ، كان اعظم الناس تبرأ من كل ما يرفعه عن مستوى البشرية والعبودية لله ، كان عليه السلام اكثر الناس ذكرا لله ولكنه لم يخرج عن سمت الوقار والاخبات الى هرج الطقوس والحركات والرقص ، وكان اعظم الناس زهدا وتقشفا ، لكنه لم يخرج فى زهده وتقشفه وتصوفه — اذا جاز هذا — التعبير ، عن بساطة الاخلاص الى تعقيد الرياء الذى سرت طقوسه الى المسلمين من الامم التى اختلطوا بها بعد الفتح .

عقدتا الكبت والتقنيط

من اسباب انصراف الشباب عن ممارسة الشعائر عقدتا الكبت والتقنيط ، فالطريقة التي بها ساق الاب ابنه فى صغره او المعلم فى المدرسة ، الى اقامة الشعائر ، سببت له كبتا نفسيا جعله ينفر من الشعائر ، هذا الكبت النفسي ، يجب أن يحل محله التشويق والترغيب والايحاء والاستهواء بالنسبة للصغار ؛ أما الشباب البالغون ، فمن أهم اساليب

الايحاء لهم ان تعتمل الجماعات الرياضية والكشفية وأمثالها على ادخال اقامة الصلاة وصيام رمضان فى نظامها ، وأخيرا يجدر بنا ونحن ندرس عقدة الكبت ان نيسر لهم أمر التطهر بالماء وبغير الماء عند المانع كي يستسهلوا الصلاة ، ويتعودوا عليها (١) ، وأن نيسر لهم ايضا الجمع بين الصلاتين عند العذر اخذا لمذهب الحنابلة ، وفى هذا العصر عصر الكدح السريع المرير .

والشبان بحكم مرح الشباب وفورته وجموحه ولهوه ، لا بد ان تكون لهم مزالق فى حياتهم ، فاذا سمعوا من الوعاظ اهوال المنذرات تكونت فى صدورهم عقدة القنوط ، ولو ان الوعاظ اتبعوا نهج القرآن فى الترغيب والترهيب لفتحوا لذلك الشباب فى جدار يأسه كوة ينفذ منها الى الامل ، ويخرج منها الى التوبة .

ان الخطر الكامن خلف عقدة القنوط . هو أن تتكون عند الشباب المسترسل فى الالحاد والفساد لذة التنفيس عن نفسه بطرائق ثلاث : الجدل فى الالحاد ، الاستهزاء بالشعائر ، ثم جر الرفاق الى الانزلاق . ولقد سرت الى شبابنا المثقف عدوى التقليد بعد ان قرأ تاريخ النزاع الطويل بين المفكرين ورجال الدين فى اوروبا ، الذى انتهى عند بعض المفكرين الى الشك ، وانتهى عند الماركسية المادية الى الكفر والالحاد ، واحتقار الشعائر الدينية ومحاربة الدين ورجاله. ان شبابنا الذى فتحت فى تفكيره هوة من الفراغ بسبب ما يحمل فى راسه من غرور العقل وأوهام التعقل والجهل لحقيقة الاسلام ، وما يحمل فى صدره من عقد الكبت والقنوط أصبح بحاجة طبيعية لملء هذا الفراغ بأية فكرة تلائم نفسيته ، فانجرف مع تقليد الغربيين فى شكوكهم ثم زادته المشاكل الاقتصادية المعاصرة فراغا فانجرف مع تقليد الماركسية بشيوعيتها والحادها .

عقدة التخاذل والاستخذاء

وهي تظهر عند بعض الشبان الذين لم تتحمل رؤوسهم زهد الثقافة، فتخلوا باسم التقدمية عن شعائر دينهم وعزتهم الاسلامية فى آن واحد ، وهؤلاء المخاذيل ليسوا كلهم ملحدين بل قد يكونون فى قرارة انفسهم من المؤمنين ، ولكن اذا ضمتهم المجالس والنوادى مع الافرنج والمتفرنجين اظهروا من باب التفاخر بالتقدمية العصرية انهم لا يبالون بشعائر الدين ولو كان احدهم منتسبا الى فرقة رياضية صغيرة ، او حزب سياسي هزيل او حزب عقائدى ملحد ، لرأيته يحمل شارتها ويرفع شعارها ، ويفخر بها ويدافع عنها ، ولكنه وهو المنسوب الى امة عظيمة لها فى تاريخها ما يرفعها فى كل مستويات المثل العليا فوق الامم يتعير منها ومن شعائرها وتقاليدها ، هذا الاستخذاء سببه جهل شبابنا للتاريخ ولو زعموا انهم قرأوه واجتازوا به الامتحانات بجداره .

وربما كان من اعظم اسباب ضعف الايمان عند الشباب سوء القدوة فى البيت والمدرسة والمسجد ، ذلك لان القدوة انما تبنى على الاحترام والثقة وما لم يكن للشباب فى قرارة نفوسهم احترام لرجل الدين وثقة بعلمه وخلقه قولا وعملا ، لا يمكن ان يتخذوا منه قدوة ، بل يكون غير الصالح من رجال الدين سببا لتجرىء الشباب على الالحاد ، وعلاج هذا الامر يحتاج الى اعداد جيل كامل من رجال الدين يتولى هو بدوره تخريج جيل من الاباء والامهات والمعلمين الصالحين للقدوة ـ لتستكمل الحلقة دورتها .

---

١ ـ فى حدود ما بينه فقهاء المسلمين الذين يعتد برأيهم .

سلطان الرأى العام

ان اولئك المصابين من شبابنا بتلك العقد ، والذين بلغ الامر بهم الى حد اعلان الالحاد والاستهزاء بالدين ، واغواء الاخرين وتخذيل الامة ، هم مرضى ، يجب ان نعالجهم كما نعالج **كل الامراض النفسية ، والعقلية ، اى تارة بالايحاء والاستهواء والارشاد ،وتارة بشىء من القسوة ، وعلاج القسوة من عمل الرأى العام ، هذا الرأى العام الذى وضع به التشريع الاسلامي اعظم ركائز الاصلاح والزجر فى المجتمع ، فلو أن الرأى العام درج على اظهار الاستنكار والاحتقار للجاهرين بالالحاد لاحدث ذلك اثرا عظيما فى الاصلاح .**

واخيرا ... الايمان بالله ضرورة

ان اخر طرق العلاج مع الشباب المثقف ، بل اولها عند البعض ، ان نقنعهم بجدوى الايمان وانه ضرورة انسانية فى فلسفة البراغماتيزم اى فلسفة الذرائع . ان الفكرة انما تكون حقا لانها نافعة ، وانما تكون نافعة لانها حق ، وان الحق والنافع يعبران عن شيء واحد ، هذه الفلسفة التي تتخذ من القيمة العملية للفكرة مقياسا للحقيقة ليست صحيحة فى اساسها وليس هذا مقام الكشف عن جوانب الخطأ فيها ، ولكننا نتخذ منها منطلقا لطرح السؤال الاتي :

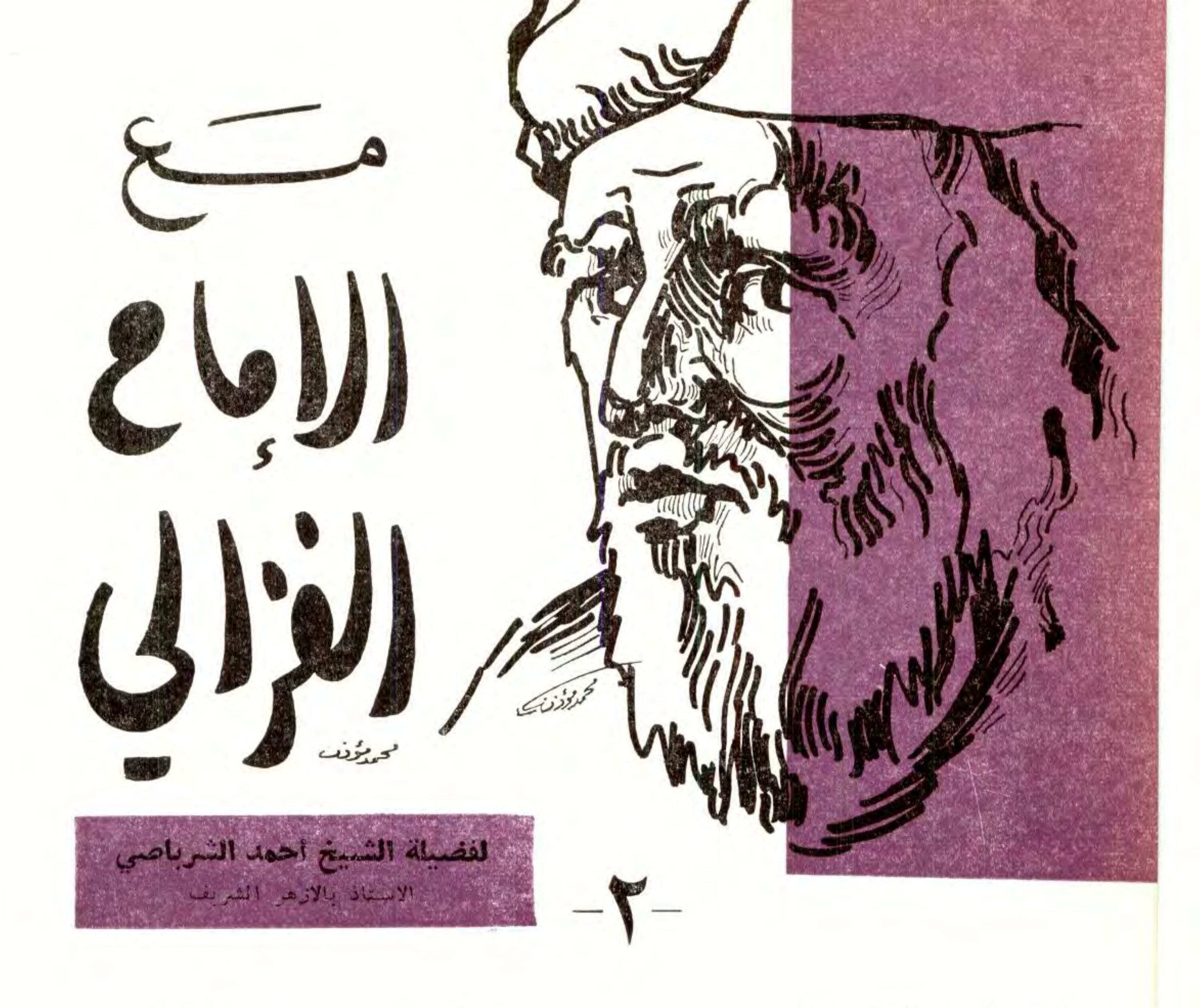
هل نبدأ التفكير فى الحق اولا لنستخرج منه النافع ام نبدأ التفكير فى النافع الضرورى لنقول عنه انه حق ؟

ارى ان نبدأ بالثاني ولكن من اى جوانب النفع والضرورة نمسك خيوط الجدل مع هذا الشباب الذين تحيطبهم الشكوك فى الدين من كل جانب ؟

لا ريب ان البداية يجب ان تكون امرا نتفق نحن والشباب على انه « حق وضرورة » فما هو هذا الامر ؟ انه « انسانيتنا » التي يمكن ان يجادل الشباب فى كل شىء الا فيها .

يقول الفيلسوف الاسلامي الكبير، ابن مسكويه ، ان المزية الوحيدة التي يتميز بها الانسان عن الحيوانات كلها هي « مكارم الاخلاق » . كأن يقال : ان الانسان يمتاز عن الحيوانات بمزية **واحدة هي « النطق أى العقل » . ولكن التحقيق العلمي أثبت ان الحيوانات لا تخلو من عقل تدرك به كثيرا من امور معيشتها لذلك صار علينا ان نبحث عن مزية اخرى خاصة ، يمتاز بها الانسان عن الحيوان ، وبها يسمى انسانا ،وهذه المزية الخاصة هي الاخلاقية التي تتجلى بالضمير الانساني . وجاء « دارون »بعد ابن مسكوية بعصور يقول : ان الضمير او الحي الاخلاقى هو أظهر فاصل يفرق بين الانسان والحيوان ، وجاء «كانط» يتخذ من هذا الشعور الاخلاقي منطلقا لاثبات خلود الارواح ويوم الحساب ووجود الله الحكم العدل ... هذا الضمير الاخلاقي انما يصونه الصيانة الكاملة شىء واحد : وهو الايمان بوجود الله الحكم العدل القدير .**

فتحقيق انسانيتنا ضرورة اجتماعية، وانسانيتنا لا تتحقق الا بأخلاقيتنا ، واخلاقيتنا لا تصان الا بالايمان ،فالايمان اذن ، امر ضرورى لانه يمسك اخلاقيتنا التي تثبت بها انسانيتنا .



لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصي
الاستاذ بالازهر الشريف

-٢-

الغزالى والفلسفة :

درس الغزالي الفلسفة حتى أحاط بموضوعاتها ومقولاتها ، وهو يحدثنا فى كتابه « المنقذ من الضلال » انه بعد فراغه من دراسة « علم الكلام » أخذ يدرس الفلسفة ، مؤمنا بأنه لا يستطيع أن ينقدها ، ويحكم عليها الا اذا وقف على منتهى العلم بها ، حتى يجاوز فى هذا العلم ما بلغه أهلوها ، وأنه شمر عن ساق الجد فى تحصيل ذلك العلم من الكتب : دون استعانة بأستاذ ، وشغل نفسه بذلك فى أوقات فراغه من التصنيف والتدريس ، وأنه اطلع على منتهى علوم الفلاسفة فى أقل من سنتين ، ثم واظب على التفكير فى الفلسفة بعد فهمها قريبا من سنة ، يعاودها ويرددها ، ويتفقد غوائلها حتى اطلع على ما فيها من خداع وتحقيق ، وتلبيس وتخييل اطلاعا لم يشك فيه .

(١) أنظر العدد الثالث

الأمام الفزالي ولد ببلدة « طوس » سنة ٤٥٠ هـ وسلك مسلك العلماء المبرزين ، وخلف لنا ثروة نعتز بها ونضعها فى مقدمة تراثنا الاسلامي الفكري فى شتى مجالاته حتى عرف بحجة الأسلام.وبعد أن طاف بالبلاد الأسلامية وأخذ من علمائها وبذل من علمه ، وافته منيته بالبلدة التي ولد فيها « طوس » سنة ٥٠٥ هـ .
« الوعي »

وألــف الغــزالي كتابــه « مقاصــد الفلاسفة » فكان عنوانا لهذا العلم الواسع بالفلســفة ، ثــم ألف كتابــه « تهافت الفلاسفة » فكان ضربة موجهة سددها الى أهل الفلسفة .

ولقد ألم الغزالي بالفلسفة اليونانية وبكثير من مسائل الفلســفة الشرقية ، وأدمن النظر فى كتاب « رسائل اخوان الصفا » وهي رسائل خطيرة فيها السم الزعاف ، ولولا أن حجة الاسلام كان من من كبار الاذكياء وخيار المخلصين لتلف.

وما دام أمر الغزالي مــع الفلســفة هكذا فلا بد من حــديث قصــير يدور حول : « الغزالي والفلسفة » : ويزداد هذا الحديث وجوبا حينما نسمع الامام أبا بــكر العربي يقول عــن الغــزالي : « شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة ، وأراد أن يتقايأهم فما استطاع » . ويقــول الامام ابن تيمية : « شيخنا أبو حامد دخل فى بطون الفلاسفة ، ثــم أراد أن يخرج منهم فما قدر » ! .

وتقول طائفة من الباحثين الغربيين ان هناك صلة وثيقة بين الغزالي والقديس توما الاكويني صاحب كتاب « الخلاصة الفلسفية » ، كما يعقد بعض الباحثين مقارنةبينالغزاليوالفيلسوف « أوجست كــانت » ، لأن « كانت » كان يحــاول بكتاباته اعادة تنظيم الحياة الاجتماعية ، واصلاح الشئون السياســية ، وكذلك كان الغزالي يحاول بكتاباتــه اصــلاح الحياة الاجتماعية عن طــريق اصــلاح الناس وهدايتهم الىالصراط المستقيم .

وقد أنكر الغزالي على الفلاســفة فى كتابه « التهافت » أمــورا ضلوا فيهــا سواء السبيل ، منها ثلاثة أمور كفَّرهم بها وهى : قدم العالم : وأن الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات ، وانكار البعث والحشر . وليست هذه الامور هى كل ما أنكره عليهم ، فهناك مــا يقــرب من عشرين مسألة نقدهــم فيهــا دون أن يكفرهم بها .

وهناك من يعتقد أن الغزالي لم يكن يعتقد مخالفة الفلاسفة فى جميع الآراء : وانما ظهر فى كتابه بمظهر المخالف لهــم فى كل شيء « على طول الخط » لتزداد ثقة أهل السنة به . وهذا اعتقاد ينأى نأيا بعيدا عن حمى القبول ، فالظاهر أن الغزالي أراد بكتابه « مقاصد الفلاسفة » أن يشرح مبادىء الفلاسفة شرحا وافيا ليعود اليهــا بالنقد والهــدم فى كتابــه « تهافت الفلاسفة » ، بدليل أن الغزالي صرح بهذا فى المقدمة التي قدم بها كتابه « مقاصد الفلاسفة » ، وهذه المقدمة لم تنشر ــ كما جاء فى كتاب تاريخ فلاسفة الاسلام ــ فى كل النسخ الخطية اللاتينية مــن الــكتاب ، ولا فى طبعــة فينيس (البندقية) ، ولكنها موجودة فى نسختين خطيتين باللغة العبرية .

يقول الغــزالي فى هــذه المقدمــة : تسألني يا أخي تأليف كتاب كامل واضح للــرد على الفلاســفة ، وتبيــين خطــأ مبادئهم ، لتتقى بذلك الوقوع فى الخطأ ، ولكن هذا عبث قبل أن تعرف مبادئهم وتعاليمهم تمام المعرفة ، لأن الرغبة فى الوقوف على خطــأ بعض الآراء قبــل الوقوف عليها تمام الوقوف تعد خطأ ينتهي بالعمى والخلط .

فظهر لي من الضرورى قبل الشروع فى نقض آراء الفلاسفة أن أضــع كتابا أشرح فيــه ميــول علومهــم المنطقيــة والطبيعية والالهية ، دون التمييز بــين الخطأ والصواب فى مبادئهم ، لأن غايتي هي شرح نتائج أقوالهم ، دون الاسهاب فى أمور زائدة عن الحاجة ولا علاقة لها بالبحث .

فسأكتفى بشرح مبادئهم مضيفا اليها

الادلة التي يثبتون بها اقوالهم ، فغاية هذا الكتاب هي شرح مقاصد الفلاسفة ، ولهذا اخترت له هذا الاسم .

ويمكن أن نقول هنا أيضا أن الفلاسفة قد بحثوا موضوعات ليست من المعتقدات الدينية أو لا ترتبط بها ، ومثل هذه الموضوعات قد عرضها الغزالي ، ولم يجد نفسه بحاجة الى الرد عليها أو الانكار لها ، ولذلك يقسم الغزالي علوم الفلاسفة الى رياضية ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية ، ويقرر أن علومهم الرياضية لا يتعلق شيء منها بالامور الدينية نفيا واثباتا ، بل هي أمور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها ، وان كان يتولد منها بعض الآفات .

كما يقرر أن علومهم المنطقية لا يتعلق شيء منها بالدين نفيا واثباتا ، بل هي نظر في طرق الادلة والمقاييس ، وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر . ويقرر أن علومهم الطبيعية لايوجد منها ما يستحق الانكار الا القليل ، ويقرر ان الفلاسفة أخذوا علومهم السياسية من كتب الله المنزلة على الانبياء ، ومن الحكم المأثورة عن سلف الانبياء ، ويقرر أن الفلاسفة أخذوا علومهم الاخلاقية من كلام الصوفية(١) ، ويقرر أن علومهم الالهية هي التي تكثر فيها الاغاليط ، وأنهم غلطوا فى عشرين مسألة ويجب تكفيرهم في ثلاثة منها كما أشرنا ، ويوجب نسبتهم الى الابتداع فى بقية هذه المسائل .

ومعنى هذا انه كان للفلاسفة انواع من العلوم لا تدخل فى المعتقدات الدينية، ومن الممكن للغزالي أن يصورها بما يستطيع دون أن يعاب أو يلام ، ولعل هذا كان من اسباب توسعه فى عرض مقاصد الفلاسفة .

وهناك من يؤكد أن الغزالي قد اعتمد فى كتابه « تهافت الفلاسفة » على كتاب ليحيى النحوى رد به على كتاب « حجج برقلس فى قدم العالم » الذى ألفه الفيلسوف اليوناني الافلاطوني برقلس ، وقد ترجمه الى العربية اسحاق بن حنين ، ورد عليه يحيى النحوى بعد ترجمته وقد انتفع الغزالي بهذا الرد فذكر خلاصته وان لم يصرح باسمه .

هذا وقد رد ابن رشد على كتاب « تهافت الفلاسفة » بكتاب سماه « تهافت التهافت » ، وكان هذا الرد بعد ظهور كتاب الغزالي بنحو مئة سنة ، وان استعراض آراء كل منهما وحججه موضوع لا يتسع له هذا النطاق .

الغزالي والاخلاق

لا يشك شاك فى أن حجة الاسلام الغزالي قد عنى بالاخلاق عناية كبيرة ، والمطالع لكتابه « الاحياء » يستطيع أن يقول انه أقرب الى أن يكون كتاب أخلاق منه الى أى موضوع آخر ، وقد عنى الغزالي بالدعوة الى الفضائل الفردية ، والاخلاق الاجتماعية ، كما عنى بمحاربة الرذائل الفردية والجماعية .

ونستطيع أن نذهب مذهب من يرون أن الغزالي هو الذى دون علم الاخلاق

(١) فلنلاحظ أن الغزالي لم ينس ذكر الصوفية فى هذا المجال .

وفنه ، وصور فلسفته فى ضوء المبادىء القرآنية والتعاليم الاسلامية ، ويتمثل هذا بوضوح فى كتابيه « احيـاء علـوم الدين » و « كيمياء السعادة » .

والغزالي يجعل للاخلاق أبعادا ثلاثة : البعد النفسي ، وهو يعني علاقة الفـرد مع نفسه ومع ربه ، والبعد الاجتماعي وهو معاملاته مع النـاس وسـلوكه فى المجتمـع ، والبعد الميتافيـزيقي وهـو عقيدته وقيمه ومثله .

واذا كان أرسططاليس فى كتابه عـن « الاخلاق » يبحث أصول الاخلاق من الناحية النظرية ليقنع العقل ، فان حجة الاسلام يبحثها من الناحية النظريـة ، ويعني فوق ذلك باضاءة القلب، ويمكننا أستنادا الى هـذا أن نقـول ان كتاب « الاخلاق » لأرسططاليس علم فقـط ، وكتاب « الاحياء » للغزالي علم وهداية .

ويذهب الغـزالي الى أن الفضـائل جميعها يلم شملها أربع فضائـل هي : الحكمة ، أى فضيلة القـوة العقليـة ، والشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية ، والعفة وهي فضيلة القوة الشـهوية ، والعدالة ومعناها وقوع هـذه القـوى على الترتيب الواجب لها ، فبهذه العدالة تتم جميع الامور وتستقيم ، ولذلـك قيل : بالعدل قامت السموات والارض ؟.

وقد اشار الغزالي فى كتاباته الاخلاقية الى الغرائز وتصعيدها والتسامى بها ، حيث شبه الغريـزة بنواة تنبت منهـا أشجار الفضيلة البواسـق ولا يـكون ذلك ــ فيما نفهم ــ الا اذا حرص صاحب الغريزة على توجيه قوتها نحو الخـير والاستقامة . ولعله استنبط هذا من قول القـرآن الـكريم : « ونفس ومـا سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

والغزالي لا ينسى الاخلاق فى مجال السياسة ، فهو يفهم السياسة على أنها استصلاح الخلق وارشادهم، فلها مفهوم أخلاقي عنده ، لأنه يؤمن بترابط الدين والدنيا ، وللسياسة مع ذلـك مفهـوم قانوني فى تصور الغزالي ، وهذا المفهوم هو ردع الافراد عن جموح الاهواء وبغى الشهوات ، وهو هنا يجعل الدنيا لازمة للدين ، كما أن الدين لازم للدنيا .

واذا كانت السياسـة قـد جـذبت الغزالي فى بعض مواقفـه الى أنواعهـا ، فليس معنى هذا أنه خنع لها أو استمر يتابعها ، وهذا هو الغزالي يكتب رسالته « أيها الولد » يوصي بها أحد تلاميذه ، فيأمـره فيهـا بألا يخاطب الامـراء ، والسلاطين ، لأن ذلك آفـة عظيمـة ، ويخبره بأن مدح الامراء والسلاطين شر من ذلك ، ويحذره أن يقبل عطاءهم أو هداياهم ، لأن الطمع فيهم يفسد الدين .

يقول الغزالي فى ذلك : « لا تقبل شيئا من عطاء الامـراء(١) وهداياهـم ، وان علمت أنها من الحلال ، لأن الطمع فيهم يفسد الدين ، لأنه يتولد منه المداهنة ، ومراعاة جانبهم ، والموافقة فى ظلمهم ، وهذا كله فساد فى الدين ، وأقل مضرته أنك اذا قبلت عطاياهم ، وانتفعت مـن دنياهم أحببتهم ، ومن أحب أحدا يحب طول عمره وبقائه بالضرورة ، وفى محبة بقاء الظالم ارادة فى الظلم على عباد الله

البقية على ص ٦٤

(١) يقصد الامراء الظالمين بدليل ما سيأتي بعد قليل .



تواضع الرسول

أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اصحابه فى سفر بذبح شاة

فقال رجل : على ذبحها

وقال آخر : على سلخها

وقال آخر : على طبخها

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم

(وعلى أن اجمع لكم الحطب)

للاستاذ : علي الجندى
عميد كلية العلوم جامعة القاهرة سابقا

طـه

قيل فيه : أنه اسم من اسمائه ـ تعالى ـ

وقيل : هو اسم من اسماء الرسول ـ عليه الصلاة والسلام

وقال ابو بكر الصديق : هو من اسرار الله التى انفرد بعلمها

وقال ابن عباس : معناه : ـ يارجل

الحج الأكبر

قال الرازى : اختلفوا فى الحج الاكبر ، فقال ابن عباس وغيره : هو يوم النحر

وقال مجاهد والثورى : أيام منى كلها

وقال سعيد بن المسيب وطاوس : هو يوم عرفه

قال النووى : والصحيح الاول

وقيل تعرض رجل لعلى : عليه السلام ـ وهو راكب يوم النحر ، فامسك بلجام فرسه

وقال له : أى يوم يوم الحج الاكبر

فقال له : هذا اليوم هو الحج الاكبر ، خل عن دابتى لأسير

وانما قيل : الحج الاكبر ، لان الناس يسمون العمرة ، الحج الاصغر

الشـهداء

الشهداء تسع : الميت تحت الهدم ، والغريب ، والمقتول دون ماله ، والمبطون والمطعون ، والغريق ، والمحروق ، وذوات الطلق (الولادة) والمقتول فى سبيل الله وبخاصة اذا غزا فى البحر لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « غزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر » .

التشميت والتسميت

تشميت العاطس بالشين المعجمة وبالسين المهملة

فالاول : اشارة الى جمع الشمل ، لان العرب تقول : أشمتت الابل : اذا اجتمعت فى المرعى

وقيل : معناه ـ الدعاء لشوامته ـ والشوامت : اسم للاطراف

اما بالسين : فاشارة الى ان يرزق السمت الحسن ، وهو الهيئة

ومن قول الامام على فى التشميت : ان احدكم ليدع تشميت أخيه اذا عطس فيطالبه به يوم القيامه : فيقضى له عليه .

البركة

تقول العرب : بارك الله لك وبارك فيك وبارك عليك وباركك ففيها أربع لغات

وما أحسن قول الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا
وبوركت عند الشيب اذ أنت ذا شيب

رجب

يسمى : رجب ، وهو من الترجيب الذى هو التعظيم ، يقال رجبت الشىء : اذ أعظمته

ويسمى : الاصم ، لان الحروب ترفع فيه ، فلا يسمع للسلاح قعقعة .

ويسمى : الاصب ، لان الرحمة تصب فيه صبا

ويسمى : الرجم ، لان الشياطين ترجم فيه ، لئلا يؤذوا المؤمنين .

السلام عليكم

قيل : معناه ـ الله معكم ، لان السلام من اسمائه تعالى ، فعلى بمعنى مع

وقيل : معناه ـ اسم الله عليكم

وقيل : معناه السلام ملازم لكم

واما السلام فى التشهد ، فمعناه السلامة

خيل الفرنج والابل

لما عبر يوسف بن تاشفين ملك المغرب الى الاندلس ، لنصرة المعتمد بن عباد ، امر بعبور الجمال فعبر منها عدد ضخم غصت به جزيرة الاندلس ، وارتفع رغاؤها الى السماء ؟؟

ولم يكن اهل الاندلس رأوا جملا قط ، ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها فكانت تذعر منها وتحجم عنها فأسرعت اليهم الهزيمة .

تأويل منج

غضب الفضل بن الربيع على ابى نواس ، وقال له : أنت القائل لبعض ندمائك :

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة
قم سيدي نعص جبار السموات

فقال : نعم ؟ ؟

فسأل جماعة من الفقهاء فى ذلك ، فأفتى الجميع بحل دمه ؟ ؟

فقال لهم ابو نواس : ان كنتم قلتم ذلك من عقولكم فقبحا لها ؟ ؟ او تخمينا فما أبعدكم من العقل ؟ ؟ هل للسماء من جبر او كان بها كسر فأحتيج الى ان يجبر ؟؟

وذلك من تلاعب ابى نواس بالالفاظ وشدة عارضته وقدرته على الافتنان ، والا فهو لم يرد غير ما فهموا أولا .

النهى عن السؤال فى المسجد

السؤال فى المسجد منهى عنه لا لتخطى الرقاب فحسب، بل لمراعاة الادب، فلا يسأل فى بيت الله غير الله .

آيات الشفاء فى القرآن

آيات الشفاء فى القرآن الكريم ست وهي : ((ويشف صدور قوم مؤمنين)) ((وشفاء لما فى الصدور)) . ((فيه شفاء للناس)) ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)) ((واذا مرضت فهو يشفين)) ((قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)) .

المنامات الصادقة

قال بعض خواص يحيى بن خالد البرمكى : كنت اكتب بين يديه ايام الرشيد، فأغفى برهة ثم انتبه مذعورا، وهو يقول : الامر كما كان والله ؟؟ ذهب ملكنا، وذل عزنا، وانقضت أيام دولتنا ؟

فقلت : وماذاك ؟ أصلح الله الوزير ؟

قال سمعت منشدا ينشدنى :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته من غير روية :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

قال الراوى : فلما كان اليوم الثالث وانا بين يديه أكتب على عادتى اذ جاءه انسان واكب عليه واخبره ان الرشيد قتل جعفرا الساعة ؟؟

قال : فما زاد على ان رمى القلم من يده، وقال : هكذا تقوم الساعة بغتة ؟؟

وصية جليلة لمن يسكن المدينة المنورة ؟؟

قال بعض الصوفية لفتى مخزومى رآه فى روضة الرسول : يا فتى، اسمع مقالتى واعرض قلبك على كلامي، وافهم منى عظتي، فاني قد بدأتك بالنصيحة لما أملت لك من الله - عز وجل - فيها من حسن الجزاء وجميل الثناء ؟ ؟ اتدرى من يراك ومن يشهد عليك ؟

قال : ومن هما يا عم

قال الله - تعالى - يراك، ونبيه يشهد عليك، فاياك واقتراف المعاصي بحضرة نبيك صلى الله عليه وسلم - فانك لا تأتى أمرا فى هذه البلدة يكون عليك فيه تبعة الا والله - تعالى - له حفيظ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - عليك به شهيد، واصحابه لك خصوم، وكفى الانسان خصما ان يكون القاضي عليه خالقه، والشاهد عليه نبيه، والخصوم خيرة الله من خلقه، الصالحون من عباده .

فما كاد يفرغ من كلامه حتى انتفض الغلام، وسقط مغشيا عليه ؟ ؟

فاجتمع الناس فاحتملوه الى منزله، فما أتت عليه ثلاثة أيام حتى مات - رحمه الله ؟ ؟

بيت بألف دينار

لما تم الامر لعبد المؤمن على صاحب المغرب، قصده الشعراء بأسنى المدائح، وكان أن انشده عبد الله التيفاشي مطلع قصيدته وهو :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل
مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

فأشار عليه ان يقتصر على هذا البيت، وامر له بألف دينار ؟ ؟

القدوس

القدوس : من اسمائه تعالى، ومعناه : المنزه عن كل معنى يدركه حسّ، او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم .

قال الغزالي : ولست أقول منزه عن العيوب، لان ذلك يقرب من ترك الادب، فليس من الادب ان يقال : ملك البلد ليس بحائك ؟؟

تعزية نبوية

كتب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى معاذ بن جبل لما مات ابنه ((سلام الله عليك ؟)) فاني احمد الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد ، فأعظم الله لك الاجر ، والهمك الصبر ورزقنا وايـاك الشكر ، ثم ان انفسنا واموالنا واهلينا من مواهب الله المستودعة ، وعواريه المستردة متعك الله به فى غبطة وسرور ، وقبضه بأجر كثير ان صبرت واحتسبت .

العوارى : جمع عارية مشددتين ومخففتين .

استنباط بديـع

كتب الحجاج الى قتيبـة بن مسـلم الباهلى والى خرسان : أن ابعث الى بيحيى بن يعمر ، فلما قام بين يديه قـال : انت الذى تـزعم ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله ؟؟ والله لألقين الاكثر منك ، او لتخرجن من ذلك ؟ ؟ أى تخرج بالتاويل المقنع .

قال يحيى : فهو أمانى ان خرجت ؟ قال نعم .

قال يحيى : فان الله ـ جل ثناؤه ـ يقول : ﴿ ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ﴾ ومن ذريته داود وسليمان الى قوله : وعيسى)) .

ثم قال : وما بين عيسى وابراهيم اكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ

فقال الحجاج : ما أراك الا خرجت منها والله لقد قراتها وما علمت بها قط ؟ ؟

قال بن خلكان : وهذا من الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة ؟ ؟

وانما خص عيسى بالتنظير لانه يتصل بأبراهيم من ناحية مريم لانه ليس له أب .

مشاركة المخلوق فى بعض صفات الخالق

صفات الله ـ تعالى أعلى الصفات وأجلها ، فما استعمل فى المخلوقـين على تلك الالفاظ ـ وان خالفت فى الحكم ـ فحسن جميل : كقولك : فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الا التكبر والتجبر ، فأنك اذا قلت فلان جبار أو متكبر كان عليه عيبا ونقصا ، وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحـق والصـدق وبعدهما من الصواب لانهمـا للمبدىء المعيد ، الخالق البارىء ، ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعة وتطغيه الشـبعة وتنقصه اللحظة وهو فى كل أموره مدبر؟؟

بين الرسول وزوج أبي سفيان

كانت هند بنت عتبة ممن حضرن بيعة النساء ، فلما قال رسول الله (ولا يسرقن) قالت هند : ان أبا سفيان رجل مسيك فهل على حرج أن آخذ ما يكفينى وولدى .

قال : لا . الا بالمعروف .

ولما قال : (ولا يزنين)

قالت : أو تزني الحرة ! !

ثم قال : (ولا يقتلن أولادهن)

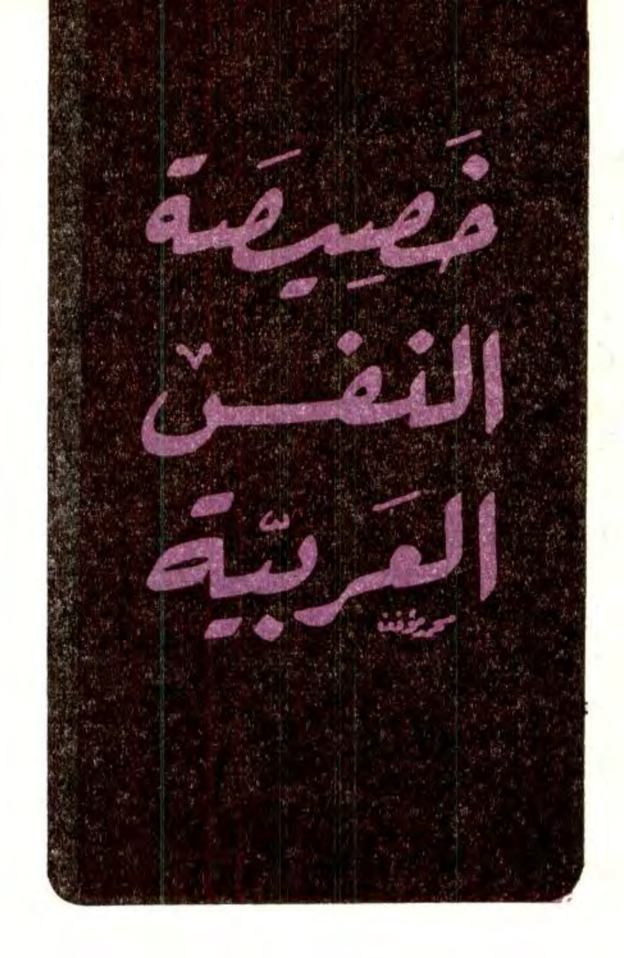
قالت : ربيناهم صغارا ، وقتلتموهم كبارا ـ قتل ابنها حنظله يوم بدر ـ فتبسم رسول الله .

فلما قال : (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) والبهتان أن تلتقط الزوجة ولدا من غيرها وتنسبه الى زوجها .

قالت : والله ان البهتان لقبيح ، وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الأخلاق .

ولما قال : (ولا يعصينك فى معروف) .

قالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء .



للاستاذ أحمد محمد بريرى

بنـي اسـد ان تقتلـوني تحـاربوا
تميمـا اذا الحـرب العـوانُ اشْمَعَلّت
ولسـتُ وان كانت الـيَّ حبيبـةً
ببـاك علـى الدنيـا اذا مـا تـولـت

فحولة حق الفحولة تلك التي يعبر عنها مرة بن محكان فى شعره هذا ، انه ليس بدعا من البـدع أن يقتله ذلك الاسدى ، الذى كلفه ابن الزبير أن يضرب رأسه ، فهو فى الواقع يؤدى عمل الجـلاد بله مباشرة الجلاد بالسيف فى ميـدان الشرف والجهاد . بيد انه مع هذا كان له مندوحة ، لو اراد الا يحمل تبعة عمله ذاك . فمرة ينذره مبينا له أن دمه ليس حراما على السيف ، بل هو من قوم يأبون الا أن يقولوا أو يتمثلوا .

تسـيل على حـد الظبـاة نفوسـنا
وليسـت عـلى غير الظبـاة تسـيل

ولكنه سيل بعده الويل . فحتم من الحتم بعد على قومه بني أسد أن يحاربوا تميما .. حـربا لا هوادة فيها ، فهي الحرب العوان تشمعل أى تشـعل وتشمل ، فمـا كان « الاشمعلال » الا « الشمول » « والاشعال » ...

ظاهرتان اذا اجتمعتا كونتا ظاهرة واحدة دل عليها بلفظ واحد منحوت من لفظين يدل كل منهما على واحدة من الظاهرتين فذلك هو أصل الوضع.

لقد أعذر من أنذر ، ولو أن المنـذر عليم بأنه لا جدوى من وراء انذاره ، وأنه لجدير ألا ينتظر جدوى ، وحسبك بيته الثاني دلالة على صدق تلك النفس غير الخوارة ، فهي لا تتقطع حسرات عـلى هذه الدنيا المولية ، وهو لا يبكي عليها ، الا انه لا يكذبك فيزعم أنه يكره الحياة .. كلا فانـه ممتلىء حبالها أو هي اليـه حبيبة على حد تعبيره الذى أداه فى جملة معترضة الا أنها تزخر بيانا وصدقـا تحسه ،ويسترعى انتباهك ، انه افصاح لا عن تلك النفس القوية وحدها ، بل عن النفس العربية عمومـا اذا أنت شملت شبه الجزيرة بنظرة فاحصة متأملة فى الخلق العام حينذاك ، فنحن ما زلنا فى المئة الاولى من الهجـرة أو فى أوائل النصف الثانى منها ، وانه لطابع عـام أو خصيصة عربيةكانت قد خلصت منذ الجاهلية الاولى وكانت مما أبقى عليـه الاسلام من أخلاق السلف الصالحة .

وهل كانت بعثته صلى الله عليه وسلم الا ليتمم صـــالح الاخلاق كمـــا هو نص الحديث الشريف نفسه .

انه سبحانه وتعالى لأعلم حيث يجعل رسالته ـ ولقد كان فى الدنيا شرقيهـا وغربيها أمـم ذوات حضارات ومعارف وفلسفات ولغات تمرست بكل اولئك ، وتهذبت ، ولكن حكمـــة الله أبت الا أن تختار العرب والعربية للدعوة الانسانية الكبرى التي أمر محمد صلى الله عـليه وسلم ان يصدع بها ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذنه جـــل جلاله ، ويهديهم الى صراط العزيز الحميد .

واذا لم يكن صلى الله عليه وسـلم بدعا من الرسل فكذلك لم يكن من البدع ـ أن يعد الله شـــبه الجزيرة ، ويهيئه الهيئة الصالحة لتقبل الرسالة القرآنية، ثم لحمل الدعوة هداية وهـــدية للعالمين أجمعين ، دون ما تفرقة أو تمييز ، فانه لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي الا بتقوى الله ، فكلهم لآدم ، وآدم من تراب « يا أيهـــا الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عنــــد الله اتقاكم » .

ولكني أريد أن أقفك ، وأظهرك على جبلة النفس العربية تلك الجبـلة التي شاء الله بعد تصفيتهـــــا من شوائب الجاهليــــة أن تكون قدوة للانسانية . قدوة ليست تحكمية ولا اضطرارية كلا، فانه « من شـــاء فليؤمن ومن شـــاء فليكفر » ولكنها المثالية التي تقبل عليها النفوس الكريمــة فى اسـماح ، بل ان النفوس غير السوية ترضاها ، وتدعيها ادعاء اذا هبطت بهـا عوامل النقص أن تسمو اليها ـ تلك الجبلة هي مـا تعبر عنه لغة العرب بكلمة جامعة هي المروءة فما هي . . ؟

المروءة العربية وتكاليفها

أعني ماذا تريد العرب اذا هي تحدثت عـــن المروءة ؟ ان اللفـــظ ليس خفي الدلالة فهو من « المرء » كالرجوله مـــن الرجــــل ، والانسانية من الانسان ، والبشرية من البشر ، ولكنك تعلم أنهم يعنون بها أول ما يعنون تلك الاريحيـــة او السخاء فى القرى والقيـــام بحـــق الضيف ، وهذا جانب أو أحـــد وجهي المروءة ، فأمــــا الثاني فهو أن تجود بنفسك « والجود بالنفس أقصى غـــاية الجود » كما قال شاعر قديم .

ان مـــن الحق على الانسان اذن أن يقوم للمروءة بمـــــا تتطلب ، ولو كان متطلبها حياته يقدمها فى اسماح واجمال ـ من الجمال لا من الجملة ـ والا فهـــو ليس المرء بمعنى الكلمه . ان عليـــه أن يحمي حقيقته وما حقيقته الا المروءة . واذا هو لم يفعل فقـــد انتقص حقيقته بقدر ما قصر فى حمايتها أو الذود عنها . فهو منقوص أو ممسوخ والعربى صادق العروبة يموت دون حقيقته ،ولن يضيره أن يموت اذا هي سلمت .

ألـــم تريـــا أني حميت حقيقتي
وباشرت حد الموت والموت دونهـــا

وها أنت ذا ترى صاحبنا هذا يباشر حد الموت فى حماية حقيقته ، فتســلم ، ويسلم هو كذلك ، فان لكل أجل كتابا ، ولم يكن حان حينه ، أو دنت ساعته .

ان الانسانية ـ فى الفلسفة الروحانية لهي حقيقة الانسان الجوهريـــة وليس هو ـ ذاتا أو فردا ـ الا ظاهـــرة ، فهي بهذا الوصف تسبقه وجودا ، ولكن ثم فلسفة أخرى تقوم منها مقام المضادة أو التناقض . فالانسان هو الوجـــود أو الموجود أولا ، ثم عليه فيما بعد أن يحقق ذاته أو انسانيته فهي ـ بالتالي ـ لاحقة ما دام هو السابق . أفترى المنطـــق العربي ، وهو منطق واقعي حقيقي يقفك مثل هذا الموقف من المروءة ، فتتساءل أيهما أسبق وجودا المرء أو المروءة . .؟

أحرى بنا أن نتساءل : أفتؤدى كلمة انسانية هذا المعنى الضخم الفخم الذى

تؤديه كلمة مروءة ..؟ أذكر أني قرأت في بعض المراجع الفرنسية كلمة مروءة العربية مكتوبة بالحروف اللاتينية ولم أفطن لمقصد الكاتب الا بعد لأى ، الا أني لم ألبث أن تبينت أنه ما كان بمستطيع أن يعبر عنها بكلمة فرنسية واحدة تقابلها .. فما كان لفظ « انسانية » مثلا ليغني غناءها بل عسى أن يوضع منها موضع النقيض .

الفيلسوف الفرنسي وشريكته في السجن

واليك مصداقا لذلك ما كتب « أناتول فرانس » في كتابه « الحياة الادبية » ، فهو ثم يقص علينا قصص فيلسوف فرنسي قبض عليه في بعض أيام الفتنة الفرنسية ، وكان من حسن حظه أو سوئه أن تشاركه حجرة السجن فتاة طيبة جميلة كانت هي أيضا من جملة المقبوض عليهم .. ويشرق الفيلسوف الكبير بعبراته ، ويختلط دمعه وعرقه بشعث لحيته ورأسه ، فلا يسع الآنسة الكريمة الا أن تعمد الى قطعة «اسفنج» أو ما يشبهها والى بعض الماء ، فتغسل وجه الفيلسوف ، وتصلح من شأنه على قدر ما تستطيع ، ثم تحاول أن تسليه ، وتعزيه ، وتسأله : يا أستاذ انه من الممكن ومن الراجح أن يدعى كلينا الى المقصلة فليس المصير الذي ينتظرك أو تنتظره بأسوأ من المصير الذي ينتظرني، فما بالي صابرة راضية على خلافك !! فأنت جازع باك ..؟ فما كان جواب الفيلسوف الا أن قال : بل أنت ياسيدتي جميلة صغيرة غنية على خلافي ، فأنا شيخ كبير فقير ، فخسارتك ، اذ تخسرين حياتك ، لا شك أكبر من خسارتي ، بيد أنك يا سيدتي على خلافي أيضا لست أهلا للتفكير والتدبر فيما اليه مصير الامور .. فأما أنا فاني أفكر وأعلم نتيجة تفكيري ــ ماذا تعني الحياة وماذا يعني الموت ، فأنا أعرف على وجه الدقة ماذا سأفقد اذا فقدت حياتي ، وأما أنت فانك تجهلين ، ومن أجل هذا على وجه التحديد أحزن ولا تحزنين ، وأجزع ولا تجزعين، وأبكي بكاء العارفين ولا تبكين .

بيرون يأخذ الحكمة من الخنزير

ويقفز اناتول فرانس بضعه وعشرين قرنا ليوازن بين فيلسوفه الفرنسي وبين « بيرون » الاغريقي القديم الذي كان في سفينة عصفت بها العاصفة ، فكادت تغرقها ، فساد الجزع والهلع بين ركاب السفينة عدا « بيرون » فقد احتفظ بهدوئه ووقاره في أثناء العاصفة ، كما كان قبلها ، وسأله أصحابه : ما باله لا يحرك ساكنا ، أفليس واحدا منهم لا. **فلا يفعل الفيلسوف اكثر من أن يوجه نظرهم الى خنزير صغير كان معهم في السفينة ، وكان يأكل والعاصفة تزمجر تماما ، كما كان يأكل قبل أن تثور ، وواضح أن الفيلسوف يوجه أصحابه الى أن يتعلموا الحكمة من الخنزير الصغير .**

ولا ينسى أناتول فرانس أن يذكر كذلك متحدثا عن عدم اكتراث بيرون لما يأتي به الدهر . أنه رأى استاذه في فلسفته تلك غير المكترثة يتردى في هوة سحيقة ، فلا يكلف نفسه أن يمد يد المساعدة لاستاذه فيستنقذه من الهوة .. وأعجب من هذا أن استاذه بعد أن نجاه الله على يد غير تلميذه لم يسعه الا أن يثني عليه ــ على تلميذه ــ ثناء عاطرا ، فلقد كان امينا على ما استحفظ عليه من الاصول الفلسفية ، والمهم فيما نحن بصدده أن أناتول فرانس يعد فيلسوفه الفرنسي اصدق انسانية من بيرون وأستاذه وسائر أصحابه الرواق من قدماء الاغريق .

فأما انت اذا رجعت الى منطقك منطق المروءة العربية فلا بد حاكم على قدماء الرواقيين ، وايضا على الفيلسوف الفرنسي بأنهم ساقطو المروءة ما في ذلك ريب .. ولكنك لن تبخل بتلك المروءة على المرأة أو الآنسة الفرنسية الشجاعة

الســـــخية التي غسلت رأس الشيخ الفيلسوف ولحيته .

ولأمر ما قالت العرب : رجل ولم تقل « رجله » ويغلب على ظني أنهـا لم تقل « انسانة » كما قالت « انسان » ولست أجهـــل أن صاحب القاموس المحيط يستشهد بشعر قديم على صـــحة انسانة هو ما يرويه .

انســـانـــه فتانـــــة
بدر الدجا منهـــا خجـــل

ولكنك اذا قرأت البيت التـالي :

اذا زنـت عينـي بهـــا
فبالـــدموع تغتســـــل

خامرك الشك ، وربما ساورك اليقين بأنه شعر مصنوع .

ولكنها قالت« مرء » ومرأة و «امرؤ» و « امرأة » وليس بذى خفـــاء أن مرد ذلك كله الى « المروءة » فالذكر والانثى من بني آدم تشركهما اللغـة العربيـــة فى تلك التسمية الكريمة حق الكرامة ، واذا كنت ممن يألف النصوص العربية القديمـة فانه لن يفوتك أن تلاحظ أن العربي فى العهد الذهبي للغته كان مـن المألوف عنده أن يقول يا امرأة اذا هـو تحدث الى امرأته . ولست أرتاب فى أن اللفظ حينذاك ما كان يبعث فى الذهن الا المعاني السامية التي تؤول الى معنى المروءة ، واذا أنت وزنت أو وازنت بين تلك المرأة النبيلة حقـا وبين الفيلسوف منخوب الفؤاد رجحت كفتها ، وشـــال الشيخ على سماجته فى الكفة الاخرى ، وما كان المنطق الوضعي يغنيه فتيلا أو شروى نقير مهما يقـــم من أدلة على أنه جزع ، وهلع ، وبكى تدبرا وعقلا وعلى أن السيدة صبرت ، واطمأنت ،وواست رعونة وجهـلا . فذلك شيء لا يمكن أن يقبله منطق « أبى علاثة » الفطـــرى السليم .

ان الصحراء العربية ليست فريـدة فى نوعها . ولقد يعرف العالم القديم ، ويعرف أصحاب التاريخ والباحثون في خصائص السلالات ومختلف أصقاع هذه الارض التي تعيش عليها عدا الامـــة العربية ، بداة وبوادى ، وجبالا وسكان جبال ، ومواطن تشتد فيها الحرارة ، وأخرى تشتد فيها البرودة الى غير ذلك من ظروف المكان التي تطبع الانســـان بطوابعها الخاصة ، وتضطره اضطـرارا لا اختيار له فيه الى أن يتمرس بوسائل العيش الجاف وطرق المعاملة الفليظـة الجافية .

جنازة بربرية

ويحدثنا الكتاب والمفكرون الاوروبيون عن العادات والســنن عند « الغوط » و « والفيزيغوط » ، و « الفنـــدال » وغيرهم من القبائل التي سموها بربرا . وانها لسنن دالة على شدة المراس وقوة الشكيمة والطاقة الهائلة التي لا يكـــاد معينها ينضب ، ولكنها لا تستولي على اعجابك بـــل عساها ان تهيجك الى السخرية والابتسام .

خذ مثلا فئة منهـم مات رئيسهم أو مليكهم ، وهم مضطرون الى الرحلة ، الا أنه يجب عليهـم أولا أن يدفنوا الملك ، وهم يخشون هؤلاء الاوروبيين أن يعرفوا جدث المليك فينبشوه ، ويعبثوا بما لا يجوز أن يكون موضع عبث، فماذا تراهم فاعلين ..؟ لقد نظروا فيما حواليهم : فرأوا نهرا كبيرا ، لم يمنعهم كبـــره أن يحولوا مجراه ثم يدفنوا الملك فى هـذا المجرى الجاف .. ولا تحسبنهم مغفلين فلقد أعادوا النهر سيرته الاولى أو مجراه الاول ..

هؤلاء السادة الذين أقاموا لمليكهـــم ((جنازة بربرية حقا)) على حد تعبـــير الاستاذ مؤرخ النظم الذي أنقل عنه هذا التعبير . كان من عاداتهم اذا حاقت بهم الهزيمة أن تتولى نساؤهم العمل الحربي الذى أعيا الرجال أن يضطلعوا بــه .. بيد أنهن كان من الحق عليهن قبـــل

البقية على ص ٦٥



جرى به الشوق فانسابت مدامعه ... وهاجه الوجد فاهتزّت أضالعه
قد عزه الصبر والسلوان لوعه ... وأرق السهد فانقضت مضاجعه
متيّم لذّع الهجران مهجته ... ومدنف من جلال النور مصرعه
يبيت يرعى نجوم الليل في حرق ... لله من فكرة باتت تلذعه
يظل في الغار يدعو ربه أملا ... وليس الاه في الظلماء يسمعه

★★★

لما تمادت قريش في غوايتها ... وطغمة الجهل قد راحت تروعه
فيمم الطائف المأمول نصرته ... فلم يجد من يواسيه ويمنعه
جهالة البغي طافت في ربوعهم ... والبغي يرتع قد طابت مراتعه
ضلت ضلالا كبيرا في غوايتها ... وما ارعوت وشراب البغي تكرعه
فذاك يعبد صخرا ثم يحطمه ... وذا يؤله تمرا ثم يبلعه
وذا يدس فتاة في التراب ولا ... يثنيه عن عزمه خلق ويمنعه
لم يخش ضرا وعين الله تحرسه ... من يتق الله حقا لا يضيعه
إن لم تكن غاضبا عني فلا أحد ... أعز مني فمنك الخير أجمعه

★★★

تحسّر الليل عن فجر أضاء له ... شعاب مكة نحو القدس منزعه
سرى ألى حبه الأعلى على شغف ... والشوق يلهبه والحب يدفعه
حتى أتاه وأمّ الأنبياء به ... وكلهم برسول الله مطمعه
ثم ارتقى في السموات العلا صعدا ... بالروح والجسم والاشواق تلذعه

سدرة المعراج

محمد مؤذن

للاستاذ : ضياء الدين الصابونى « حلب »

في سـدرة المنتهى تغشـاه عاطفة ... لولا الجمال لقـد كادت تروعـه
لقـد رأى ربه فاهـتز مـن طرب ... شوقا وقـد طفرت في العين أدمعـه
وفتحت لك أبـواب السـماء وقد ... عرفت كل نـبي أيـن موضعـه
هو الحبيب وقـد أسرى به شرفـا ... على بدائـع خلـق راح يطلعـه
أعظم بهـا رحلـة وضاء مشرقـة ... على الـبراق وروح القدس يتبعـه

★★★

هناك ناجـاه رب الكون عن كثب ... كمـا يناجى حبيبا مـن يودعـه
سل (يا محمد) مـا ترجو بلا رهب ... عهـد اليك لمـن يهواك أقطعـه
رباه مـالى من ذخـر ومن أمـل ... فأمـتى أمتى ذخـرا أجمعـه
رباه دعوة حـق قد دعـوت بهـا ... فمن سـواك لصوت الحق يسمعه ؟
جاء الخطاب فقـرت عين أحمدنا ... فيه مـن الكلم المختـار أروعـه
وعـزتى وجـلالى مـا تقـدم لى ... عبـد بطـاعتـه الا أشفعـه

★★★

من شـاء أن تبلـغ العليـاء رتبته ... فذا طريق عـروج الـروح تتبعه
ونق قلبك مـن حقد ومـن كـدر ... ولا تفكـر بسوء سـوف تصنعه
ومنْ تكـن برسـول الله قدوتـه ... أصـاب نجحـاً وجاء الكون يخضعه
مالى أروّع مـن نار الجحـيم وقد ... وقفت في بابـه المرجـو أقرعـه
وهـل يخيب امرؤ قـد بات متصلا ... بسـيد الرسـل مبغاه ومفزعـه

تعالى ، وارادة خراب العالم ، فأى شيء يكون أضر من هذا بالدين والعاقبة .

واياك ايـاك أن يخدعـك اسـتهواء الشياطين ، أو قول بعض الناس لك ان الافضل والاولى أن تأخذ الدينار والدرهم منهم وتفرقهما بين الفقراء والمساكين ، فانهم ينفقون فى الفسـق والمعصـية ، وانفاقك على ضعفاء الناس خـير مـن انفاقهم ، فان اللعين (١) قد قطع أعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة ، وقـد ذكرناه فى احياء العلوم فاطلبه ثمَّ » .

وتعمـق الغـزالي فى بحث النفس البشرية ، فيرى أن القوة الشهوية فيها لها مضرة ولها منفعة ، ويذكر أن مضرتها أنها تصرف الانسان عن طريق الاخرة ، ويعـود فيذكـر أن « الشـهوة خلقت لفائدة ، وهى ضرورية فى الجبلة ، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسـان ، ولو انقطعت شـهوة الجمـاع لانقطـع النسـل .

ويقول عن شهوات النفس : « ليس المطلوب اماتة ذلك بالكلية ، بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط » .

وللغزالي فى تصوير فائدة الشـهوة عبارة بليغة فى كتابه « معارج القدس » يقول فيها : « وأما منفعتها فهى أن هذه الشهوة مهما أدبت فهى المبلغة للسعادة وجوار رب العزة ، حتى لو تصورت مرتفعة (٢) لما أمكن الوصول الى الآخرة وذلك أن الوصول الى الآخرة بالعبادة ، ولا سـبيل الى العبـادة الا بالحيـاة الدنيوية ولا سبيل الى الحياة الدنيوية الا بحفـظ البـدن ، ولا سـبيل لحفظه الا باعادة مـا يتحلل منـه ، ولا سبيل الى اعادة ما يتحلل منه الا بتناول الاغذيـة . ولا يمكن تنـاول الاغذيـة الا بالشهوة .

وأيضا فان الدنيا مزرعة الآخـرة ، وقوام عمارة الارض وتزجية المعاش بهذه الشهوة ، فلو تصورت مرتفعـة لاختل نظام الدين والدنيا ، وارتفعت المعاملات مـن بين النـاس ، وارتفعت الشريعـة والسياسة .

فأذن هذه القوة الشهوية مثل عدو يخشى مضرته من وجه ، ويرجى منفعته من وجه ، ومع عداوته لا يستغنى عـن الاستعانة به » .

وللغزالي أسـلوب متميز فى بحثـه لموضوعات الاخلاق والامور التهذيبيـة والروحية ، فهو يبدأ فيها بمقدمة بيانية فيها رمز أو اشارة الى الخلق الـذى سيتحدث عنه ، ثم يورد ما جاء فيه من آيات القرآن الكريـم ، ومـن أحاديث نبوية ، ومـن أقوال الصحابـة وآثـار السلف ، ثم يذكر مـا يتعلق بـه مـن قصص وأمثال ، ثم يشرع فى التحليل وتفصيل القول حسب فكرته الاخلاقية ونزعته الصوفية ، وكتاب : « الاحياء » خير معرض نستعرض فيه نماذج كثيرة لهذا الاسلوب .

(يتبع)

---

١ ـ يقصد الشيطان ، وفى التنزيل الالهي المجيد : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » .

٢ ـ أى لو تصورنا أنها غير موجودة .

مباشرة القتال ـ قتال الاعداء ـ أن يقتلن الاطفال ، أطفالهن ، ليفرغن للقاء العدو خفيفات نشيطات يائسات .. ويقول الاستاذ سالف الذكر أنهن كثيرا ما انتصرن على كبار قواد رومية الخالدة.. أفلا تراه أمرا بغيضا حقا لا يمكن أبدا أن تتقبله الفطرة أعني الطبع السليم ، فهو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولكنهم كذلك ينحرفون وعلى الله قصد السبيل وفيها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين .

قانون العربي

لا بأس بالموت اذا نزل

ولكن ابن رغال في صحراء نجد ـ وقبله ابن دختنوس ـ ما كان ليكلفها هذا التكليف الذي لم تخلق له ، بل خلق هو له ..

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

أو كما قال آخر في اسماح عجيب : ـ

ان الرجال لهم اليك وسيلة
أن يأخذوك تكحلي وتخضبي
ويكون مركبك القعود وحدجه
وابن النعامة يوم ذلك مركبي

على أنهم لن يأخذوها ما دام للسيف قائم ، أو ما دام هو جسما وروحا لم ينفصلا ، فأما اذا انفصلا فهو قد أبلغ نفسه عذرها ، ولا عار ولا لائمة عليه بعد . فليس هو على هذا الورى بمسيطر .. ولكن للمروءة عليه حقا هو الموت .. والموت حق في رقاب العباد .. أو كما قالوا اقرارا به وتقبلا أن ينزل بهم « لا بأس بالموت اذا الموت نزل » . فذلك هو القانون الذي التزمه العربي قبل أن يكرمه الله ، ويشرفه بدعوة خير الانام وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

فكان حريا أن يتلقى دعوة سيد المرسلين ، وأن يبلغها هو أيضا للعالمين .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

أفمعنى ذلك أن النفس العربية مجبولة على ابغاض الحياة وحب الموت ، فهي داعية حرب ، ما تنفك تصيح هل من مبارز كي تريح ، وتستريح .. تميت أو تموت ..

الجواب بالنفى دون أدنى ريب ، وأن الفرق لكبير والبون شاسع بين اثنين احدهما متعطش الى الفناء يريده ، بل يحبه فهو شارب كأسه اللذيذة بيده ، معدها بنفسه ، ما دام غير متيسر أن يجد من يعدها له .. والثاني تفيض نفسه حبا للحياة فملء اهابه حيوية يكاد ينشق عنها أو هو متشقق عنها بالفعل ، الا انه يرى ان من الحق عليه أن يموت .. والا فهي حياة الخزي والهوان ، أو هو موت الحياة المقول فيه:

**ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء**

أخال الامر أوضح من أن يوضح .. أو كما قال سلفنا الصالح طاب ذكرهم وذكراهم . توضيح الواضحات من المشكلات ـ على أنه لا فضل لمنتحر أو راغب في الانتحار .. وان الشجاعة لفضيلة جلت أن تزين غير الرجل الذي يؤثر التضحية على حب الحياة الدنيا.. نعم فان الشجاع هو الرجل الذى يحمل النفس على مكروهها ، فتستقر ، لا ذلك الذي يوردها المورد العذب الذي ترغب فيه وتشتهيه .

وحسبك أن تعود الى بداية المقال فان مرة بن محكان وهو الشجاع حق الشجاعة جلى عن نفسه بأصدق بيان . هذا على أني لا اريد أن أشق عليك فالى حديث قادم ان شاء الله .

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

اعرف وطنك

اعــداد
ادارة الشؤون الاسلامية
بوزارة الاوقاف

الإسلام والمسلمون في تركيا

١ ـ مقدمة

لقد خالف النظام القرآني غيره مـن النظـم الوضعية والفلسفات النظرية ، فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات فى النفوس ، ولا آراء فى الكتب ، ولا كلمات على الافواه والشفاه ، ولكنه وضع لتركيزها مظاهر عملية ، وجعلها فرائض لا يمكن التهاون فى ادائها ابدا .

وعلى قواعد هذا النظام القرآنى العظيم قامت الدولة الاسلامية الاولى تؤمن ايمانا عميقا ، وتطبقه تطبيقا دقيقا ، وتنشره فى العالمين عدلا . ولقد طاردت هذه المبادىء القرآنية الوثنية المخرفة فى جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها ، وطاردت اليهودية الماكرة ، فحصرتها فى نطاق ضيق ، وصارعت الصليبية حتى انحسر ظلها فى قارتي آسيا وأفريقيا وألحت على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها من الغرب ، حتى أجهدها الحصار والهجوم .

جامع السليمية ـ أدرنة



ومع هـذه القوة البالغة والسـلطان الواسع ، فأن عوامل التحلل قد اخذت تتسلل الى كيان هذه الامة القرآنية ، وتعظم وتنتشر وتقوي شيئا فشيئا حتى مزقت هذا الكيان ، وقضت على الدولة الاسلامية المركزية فى القرن السادس الهجري على أيدي التتار ، وتركت وراءها أمما مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق الى الوحدة وتتوثب للنهوض .

وتنبهت اوربا المسيحية ، وجمعت جموعها ، وقذفت الشرق المسلم بكتائبها فى تسع حملات صليبية حاقدة تمكنت بها من اقامة دولة صليبية فى بيت المقدس . **وشاءت الصليبية امرا وشاء الله امرا اخر .**

شاء الله أن تقوم للاسلام دولة وارفة الظل ، قوية البأس ، شديدة المراس ، تجمع كلمة أهله ، وتضم تحت لوائها معظم امه وشعوبه .

ويأبي لها علو الهمة الا أن تغزو المسيحية فى عقر دارها ، فتفتح القسطنطينية معقل الكفر ، ويمتد سلطانها فى قلب أوروبا حتى يصل الى فيينا ، تلك هي دولة العثمانين المسلمة .

٢ ـ دور الاستعمار فى القضاء على الدولة الاسلامية :

وهال الغرب والشرق على السواء هذه الدولة العظيمة الرابضة بقوة تهدد كل من يحاول الاعتداء على الاسلام واهله ، وبدأوا بالتآمر على هذا الكيان ، ولقد قدروا ان حربا صليبية عسكرية لن تنجح ، ولهذا بدأوا يفكرون فى غزو فكري ترافقه مؤامرات وفتن ، حتى لا يبقى من الاسلام فى نفوس المسلمين الا طقوس كهنوتية وشعائر روحية .

ولقد اجتمع مرة قيصر روسيا وزعماء فرنسا ، وأخذوا يناقشون أمر هـذه

فى تركيا

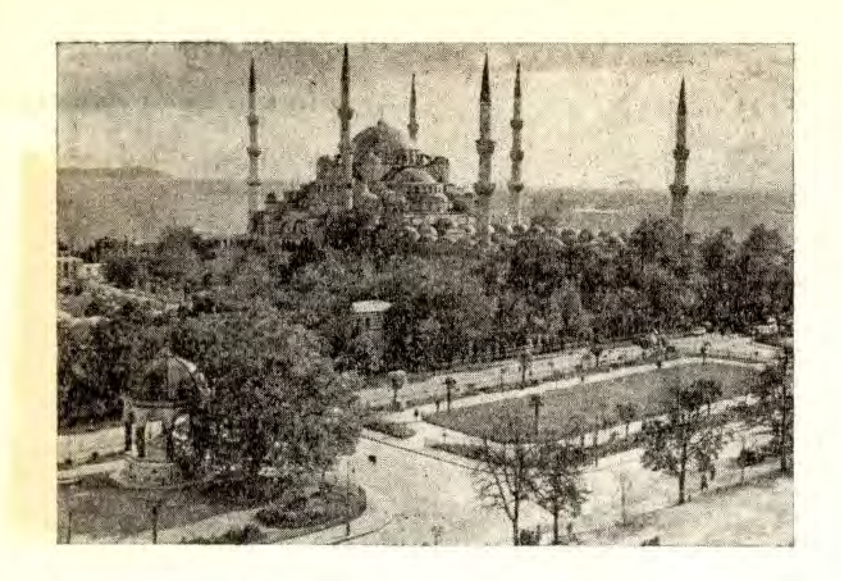
الدولة ، ويتآمرون فى سبيل القضاء عليها ، فاثاروا النعرة القومية فى البلدان الاوروبية والنزعة الانفصالية ، وحركوا اهل البلاد ، واخذوا يمدونهم بالسلاح والمال للثورة على الدولة العثمانية ، كما حصل فى بلاد الصرب واليونان ، وحاولوا ضرب الدولة الاسلامية من الخلف ، فقامت فرنسا بغزو مصر واحتلالها فى تموز سنة ١٧٩٨ ، ثم زحفت على فلسطين ، واحتلتها ، وأرادت ان تحتل باقى بلاد الشام ، لتضرب الدولة ضربة قاضية ، ولكنها هزمت بعد ذلك وعادت ادراجها خاسرة . وهكذا تبينت الدول الاستعمارية وخاصة انكلترا وفرنسا وروسيا أن الحرب المنظمة ، والقتال والهجوم لم يثمر كما أثمرت حركات اثارة النعرات القومية والتى ادت الى انفصال الصرب والمجر واليونان وبلغاريا .

لهذا بدأت السفارات الانكليزية والفرنسية فى استانبول وفى اهم البلدان الاسلامية تثير النعرات القومية والنزعات الاستقلالية ، وكانت اعمالها بارزة بشكل ظاهر فى بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة واتخذت لها مركزين رئيسيين، استانبول لضرب الدولة فى مركزها الرئيسى وبيروت لضربها فى الملحقات وخاصة فى البلاد التى يسكنها العرب .

اما بالنسبة لمركز بيروت فقد وضع له المخطط على ان يعمل للمدى الطويل وللنتائج البعيدة والتى نلمس بعض اثرها فى يومنا هذا ، ولقد بدأ هذا المخطط على شكل جمعيات مثل جمعية الفنون والعلوم والتى تولى رعايتها العميلان الانكليزيان « بطرس البستانى وناصيف اليازجى » الى جانب الكولونيل « تشرشل » من الانكليز « وكورنيلوس فان ديك » من الامريكان ، ولئن ظهرت هذه الجمعية بمظهر نشر العلوم والفنون الا ان الغرض الصحيح هو ما اشرنا من اثارة النعرات القومية والحركات الانفصالية عن الدولة ، ولم تقم هذه الجمعية بالقدر الذى اريد لها ، فأسست جمعية ثانية فى سنة ١٨٥٠ باسم الجمعية الشرقية أسست تحت رعاية الاب اليسوعى الافرنسى « هنرى دوبرونير » الى غير ذلك من الجمعيات العلنية والسرية . وكانت اول جمعية أخذت شكل التنظيم السياسى الحزبى هى تلك التى تأسست عام ١٨٧٥ ، وقامت على اساس فكرة القومية العربية وكانت تعمل للعرب والعروبة وتثير العداء للدولة العثمانية ، وتعمل على فصل الدين عن الدولة وجعل القومية العربية هى الاساس وتحويل الولاء عن العقيدة الاسلامية بين المسلمين وجعله للقومية العربية وحدها ...

وما زال هذا المركز حتى يومنا هذا يقذف بالزعماء الذين ينادون بالقومية والوطنية وكلهم ميشيل وقسطنطين وجورج وانطون وكلوفيس . اما بالنسبة لمركز استانبول وهو المركز الذى اتخذه الغربيون لضرب الدولة فى عاصمتها وفى رجال الحكم فيها ، فقد قاموا باعمال كثيرة كان اهمها انشاء جمعية تركيا الفتاة او الاتحاد والترقى ، فقد تأسست هذه الجمعية بادىء الامر فى باريس وبقيت تعمل ، وترسل المنشورات السرية مع البريد الدبلوماسى الاوروبى حتى تمكنت اخيرا مع تضافر العوامل كلها للقيام بحركتها الانقلابية عام ١٩٠٨ وتسلم زمام الامور ! وبذلك وصلت الفكرة التى اتخذها الغرب اداة لضرب الدولة وهدم الخلافة الى الحكم متمثلة فى جمعية تركيا الفتاة .

وهكذا تمكن الاستعمار من تمكين فكرة القومية التركية فى قلب استانبول ومن تمكين فكرة القومية العربية فى البلدان العربية ، وكان لابد لهاتين



جامع السلطان أحمد

الفكرتين من الصدام والتنافر والانفصال .

٣ ــ دور الماسونية والصهيونية العالمية فى القضاء على الدولة العثمانية :

وتكاتفت كل قوى الشر فى العالم الغربى والشرقى للقضاء على الخلافة الاسلامية فىاستانبول ففى زمن السلطان عبد الحميد استأذن بالدخول عليه احد قادة التنظيم الصهيونى المدعو « قره صو » وقال له « ان الدولة بحاجة الى معونة ونحن على استعداد لمدكم بالاموال التى تحتاجون اليها بشرط ان تمنحوا اليهود حقا باقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، فما كان من عبد الحميد هذا الا ان قال .... من ادخل هذا الخنزير » وطرده من بلاده وأصدر أوامره بمنع هجرة اليهود الى فلسطين . فما كان من هذا القائد الصهيونى الا ان سافر الى ايطاليا ، ومن هناك ابرق الى عبد الحميد ... أن هذا الرفض سيكلفك ملكك ، وفعلا كان ذلك .. فحين قام الانقلاب على الدولة تم بتدبير المحافل الماسونية ، وعلى الأخص المحفل الايطالى الاكبر فى سلانيك التى كانت ترحب باعمال جمعية تركيا الفتاة ، وتبارك اعمالها ، وتقدم لها سائر المعونات ، وكانت جلسات هذه الجمعية تعقد فى غرف المحافل الماسونية التى يستحيل على الجواسيس ان يصلوا اليها مهما بذلوا من جهد ، وحين قام الانقلاب لم يجدوا لعبد الحميد حين نفى الا بيت احد اليهود ويدعى (سلمون) كى يستقر به حتى يموت فى مدينة (سلانيك) .

٤ ــ مصطفى كمال ... أو الذئب الاغبر :

هو من أصل يهودى .. ومن اقوام تدعى (الدونمه) فى اليونان .. أظهرت الاسلام ، وأبطنت اليهودية حتىتستطيع بالمكر والخديعة ان توقع فى صفوف المسلمين .

وقد استطاع وهو ضابط فى الجيش التركى ان يصبح الشخص الاول فى الحكومة وكان ذلك فى أيار ١٩١٩ وقد جاء دوره وأبرز للعيان على انه بطل من أبطال التحرير .... وعظيم من عظماء القومية التركية ، ومؤسس تركيا الحديثة ، وخالق العزة والكرامة فى نفوس شعبه .

ولقد احكمت المسرحية بحيثاستطاع هذا الرجل وتركيا خارجة من حرب أنهكتها استطاع ان يطرد اليونانيين من أزمير ، واستطاع انيطرد أنكلترا وفرنسا من مضائق الدردنيل والبوسفور ومرمره .. واستطاعانيفعل المعجزات .

كل ذلك والغرب ينفخ فى الرجل ..

فى تركيا

والغربيون يسمونه الذئب الاغبر .. حتى اصبح بطلا قوميا عظيما ، ولم ينس الغرب ان يقبض الثمن « ازالة الخلافة وفصل تركيا عن باقى اجزاء الدولة العثمانية ، او باختصار تحطيم الدولة العثمانية » .

وثمنا آخر قبضه هو ما فعله مصطفى كمال أو ابو الاتراك كما سمى نفسه من تغييرات فى داخل تركيا نفسها، فقد أعلن العلمانية فى تركيا ، وفصل الدين عن الدولة واضطهد المسلمين أبشع واحقر اضطهاد ، حتى انه كان يقتل بالعشرات ، ويعلق جثثهم على اعواد الشجر .. واغلق كثيرا من المساجد ، ومنع الاذان والصلاة باللغة العربية ، وحرم الشعب من كثير من مظاهره ، واجبره على اللباس الاوروبى .. والغى وزارة الاوقاف ، ومنع الصلاة فى جامع اياصوفيا ، واعاد اليه تماثيل السيدة العذراء وغيرها .. وحوله الى متحف .

واستبدل بالقانون الاسلامى الذى كان معمولا به فى صعيد العلاقات العائلية والزوجية القانون الوضعى ، ومنع تعدد الزوجات ، واستبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

والغى دروس الدين الاسلامى من المدارس .. ودفع للشعب التركى عقيدة جديدة هى القومية الطورانية وفى ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٨ توفى أتاتورك فى استانبول بمرض تشمع الكبد من كثرة تعاطيه للخمور ، وقد تعفنت جثته قبل موته ، وقبل موته اسس حزبا اسماه حزب الشعب .

٥ ــ تركيا اليوم :

لكن الشعب التركى الذى يعتز بأنه يدين بالاسلام ، ما تنكر يوما لهذا الدين الحنيف ولن يتنكر له أبدا ، فالايمان برسالة الاسلام يتدفق فى عروق كل مواطن هناك دما حارا وما فتىء يعبر عن ايمانه هذا بكل وسيلة من وسائل التعبير التى ينشدها المسلم الخالص لله ولدينه ، والذين يقدر لهم زيارة تركيا يلمسون عن كثب بأنفسهم مظاهر حرص هذا البلد على احترام شعائر الدين وقداستها ، فما ان اعلن بعض النواب فى بيانهم الانتخابي بعد وفاة اتاتورك عن انهم سيعيدونالأذان بالعربية حتى كان لهذا الحزب الذى تأسس حديثا وأسمى نفسه الحزب (الديمقراطى) الاغلبية المطلقة .. والتى جعلت حزب اتاتورك أفردا قلائل .. لا يحسب لهم أى حساب .

وهكذا شاء الله ان تمر تركيا بهذه المحنة لتعطى درسا قاسيا للغرب ولاذناب الغرب ، وللشرق وأذناب الشرق ان الاسلام رسالة حياة ، ورسالة ايمان، ورسالة صلاح لا يمكن ان تموت ، ولا يمكن ان تضعف مهما مرت الايام ، ومهما بدا للمراقبين ان الاسلام صامت ساكن فانه لا بد ان تتفجر طاقاته يوما ، ويرجع المعتدين الى جحورها فى احضان صانعيهم ، فى احضان الغرب والشرق .

ولقد حدثنى بعض المسلمين فى تركيا انه منذ (١٥) سنة حين اعادت الحكومة الأذان بالعربى كنت تجد الناس ساجدين فى الشوارع لله شكرا .. وكنت تسمع البكاء والعويل .. فرحا لله ان عادت للناس شعائر دينهم .

وفتحت معظم المساجد .. ولم يبق سوى مسجد اياصوفيا مغلقا وان الحكومة تحيطه فى كل حين بفرقة من الجنود ، لتمنع الشعب المسلم من أن يفتحه بالقوة .

ماذا فعل اذن الذئب الاغبر ؟؟

الذى أعطى الناس العزة والكرامة ..؟

اعطى الناس رد فعل يزلزل الجبال ،

فتماثيل اتاتورك لا تكـاد تستقر على الارض حتى بـدأت الحكومـة بسـن القوانين لحمايتها ، وتنزل اقصى العقوبات بمرتكبى نسف أصنام اتاتورك .

وتصدر الآن فى تركيا مجموعة مـن الصحـف الاسـلامية القوميـة تشرح الاسـلام شرحا صحيحا .. وتعيـد للاسلام بريقه الذى حاول بعض الحكام اثارة الغبار حوله .. وتقوم فى تركيا الآن حركة ترجمة واسعة للكتب الاسلامية العربية حتى اربى عدد المترجم منهـا على السبعين كتابا من الكتب الاسلامية الحديثـة لكبـار الكتـاب الاسـلاميين المعاصرين .

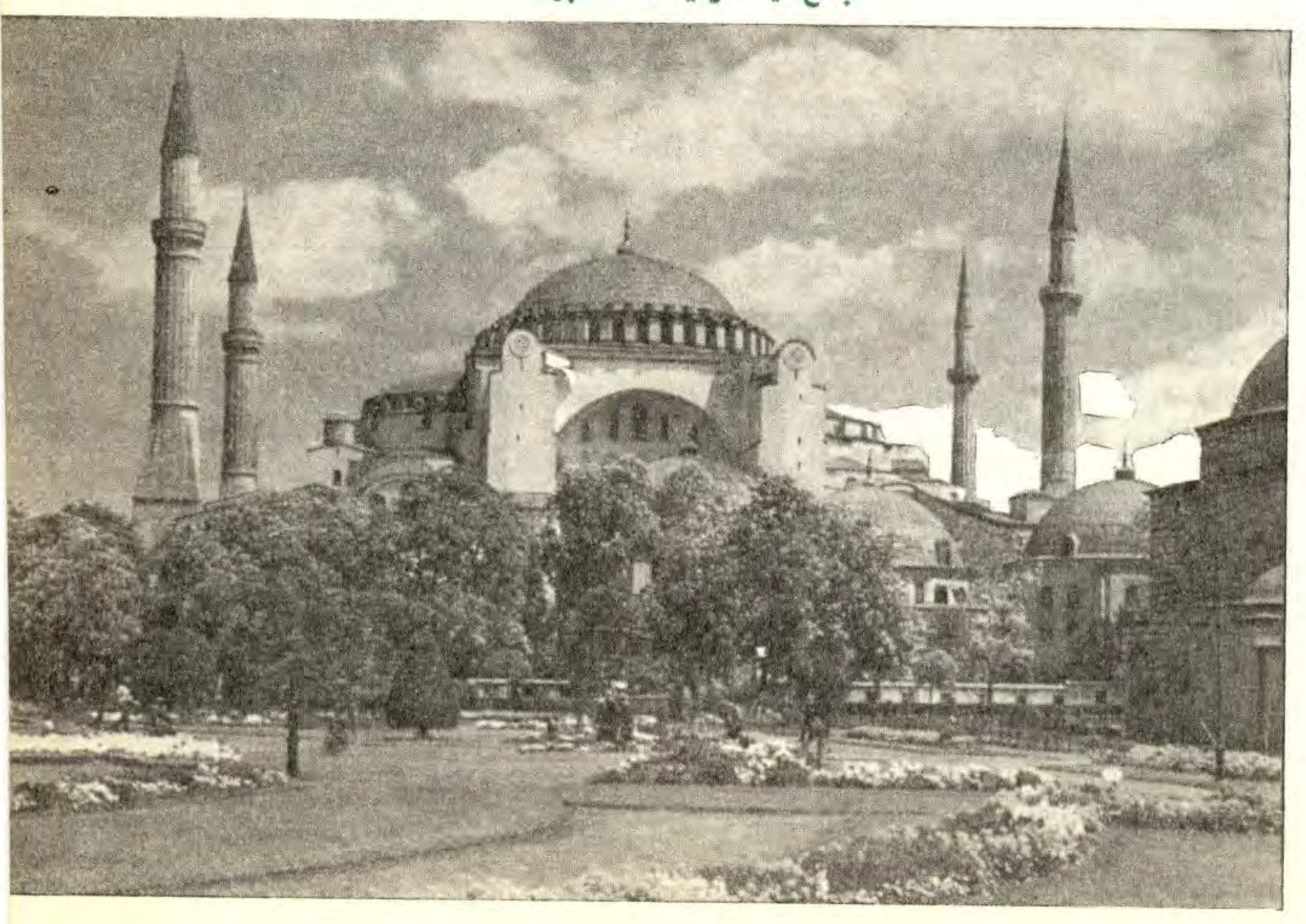
٦ ـ وأخيرا ..... :

فان الشـعب التركى يسـير بخط قويم نحو الاسلام .. وان المنحرفين مهما طغوا وحاولوا صد التيار من ان يبلـغ شاطئه فانه بالغه ولا ريب ، ولم يعـد يصعب على المراقب والمشاهد ان يرى فى تركيا تيارا اسلاميا واضحا قد يختلف ظهورا وتسترا ، ولكنه قائم على كـل حـال .

ونحـن فى البـلاد العربيـة علينـا مسؤوليات كبيرة بحكم موقفنا من الزمان والمكان .. فعلينا ان نمد يد العون الى اخواننا المسلمين فى كـل مكان مهمـا تباينت اللهجات والجنسيات والاسلام لم يعترف يوما بهذه الفروق الجاهلية الكريهة .

● ●

جامع آيا صوفيا ـ استنبول



صفحات مطوية من الماسونية

للاستاذ فتحي يكن ـ لبنان

ماهي الماســونيــة :

الماســونية او المصونية كما سماها البعض نسبة لصيانة الاسرار ، جمعية سرية قديمة لم تعرفها بلاد الاسلام الا في العصور المتأخرة ، آخذة اياها عــن البلاد الغربية مــن افرنسية وانكليزيــة وايطالية والمانية وغيرها ..

ان التــوغل في تاريخ المــاســونيــة يستلزم مجلدات ضخمة كلها مأخوذة عن كتب الغربيين .. اما اذا شاء الباحث التنقيب في كتب العرب وتواريخهم فلا يجد لها ذكرا ..

اما فيمــا كتبه المــؤرخون المحدثون فهنالك طائفة مــن المؤلفــات والكتب تعرضت للماسونية من جوانب مختلفة ، منها المؤيد ومنها المعارض .. واذكر من هذه الكتب على سبيل المثال :

(تاريخ الماســونية العــام) لجرجى زيدان (الآداب الماســونية) لشــاهين مكاريوس (شــيعة الماســونيــة) للآباء اليســوعيين (البنــايــة الحرة وروح الماسونيــة) لأحمد زكي ابو شــادى . وغيرها .

والذى يلفت النظــر .. ويدعو الى التساؤل وامعان الفكر على الدوام ان كل مصطلحات الماسونية وكلماتها واشاراتها ورموزها وتعابيرها كلها تقريبا (عبرية اللغة) مما يدل على أن لليهود اليد الطولى في تأسيسها ..

نشأة الماسونية

اختلف المؤرخــون في منشــأ هــذه الحركة .. فمن قائل بحداثتها وانها لم تدرك مــا وراء القرن الثــامــن عشر الميلادى .. ومنهم من قال انها انبثقت من جمعية الصليب الوردىالتي تأسست عام ١٦١٦ ومنهم من اوصلهاالى الحروب الصليبية ..

وزعم آخرون انها مــن ايام اليونان القدماء في الجيل الثامن بعد الميلاد .. ومنهم مــن زعم انها نشــأت في هيكل سليمان .. ومنهم من اوصلهاالى الكهانة المصرية والهندية وغيرها .. ومنهم من اشتط فقال ان مؤسسها سيدنا آدم عليه السلام .. والابلغ من ذلك زعم بعضهم ان الله سبحانه وتعالى اسسها في جنة عدن وان الجنة كانت اول محفل ماسوني ، وان سيدنا ميكائيل رئيس الملائكة كان اول استاذ اعظم فيه ، الى غير ذلك من الهذر والهراء ..

والحقيقة ان الماسونية كانت ابتكارا يهوديا يهدف الى اســتقطاب القــوى والامكانات اليهودية الموزعــة في انحــاء المعمورة ، سعيا وراء غايتهم المنشودة وهي اعادة تأسيس مملكة اسرائيــل ، واستئناف مجد يهوذا الزائل ...

واذا كانت المحافل الشرقية تجهــل هذه الحقائق او تتجاهلها فلقــد اكدت الاحداث وقامت الادلة بمــا لا يحتمل

الشك على صلة هذه الحركة فى الاساس بالحركة اليهودية ..

الماسونية تغزو الملوك والزعماء :

ولقد حرص اليهود منذ أنشأوا الحركة الماسونية على الاستفادة منها فى التقرب الى الملوك والحكام والزعماء ورجال الدين والكتاب للاستفادة منهم واستغلالهم وضمان تسخيرهم للمصلحة اليهودية .

وكان لهم ما ارادوا اذ استجاب لهم عدد ضخم من ملوك وحكام العالم .. وحتى يتبين القارىء مدى العلاقات التي اقامتها الحركة الماسونية مع المشاهير والساسة فى كل زمان ومكان يكفي ان يعرف عددا من البارزين منهم فى شتى انحاء المعمورة ..

كان منهم (ادوارد ملك انكلترا عام ١١٣٥) (اسكندر الثالث ملك اسكوتلاندا عام ١١٥٠)

(هنرى الثاني ملك انكلترا عام١١٥٥)

(ريكاردوس قلب الاسد عام ١١٦٠)

(هنرى الرابع ملك انكلترا عام١٣٩٨)

(هنرى الخامس ملك انكلترا عام ١٤١٢)

(كردينال وولس استاذ اعظم عام عام ١٥٠٩)

(باكون الفيلسوف الانكليزي ١٦٢٩)

(جورج الاول ملك انكلترا عام ١٧١٤) (صموئيل كلارك فيلسوف انجليزى عام ١٧٢٩)

(فريدريك وليم ولي عهد بروسيا عام ١٧٣٨) (هريكورت رئيس برلمان باريس عام ١٧٨٥)

(جستاف الثالث ملك اسوج عام ١٧٩٢) (جورج واشنطن مؤسس جمهورية اميركا عام ١٧٩٩)

(اسكندر امبراطور روسيا عام ١٨٠٣) (سان مارتين فيلسوف فرنسي عام ١٨٠٣)

(شارلس ملك اسوج عام ١٨١٠)

(هيغل الفيلسوف الالماني المشهور عام ١٨٣١)

(الملك جورج الخامس ملك انكلترا)

(فاروق الاول ملك مصر السابق)

(بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية الاسبق) (سامى الصلح رئيس وزراء لبنان الاسبق)

وهنالك عدد كبير من حكام وزعماء العرب الحاليين يعتبرون من عظام الحركة الماسونية .

الماسونية تتسلل الى الاكليروس :

ونتيجة للسعى المتواصل الذى قام به الماسونيون لاستغلال رجال السياسة والدين والعلم فى العالم فى الغايات البعيدة التى يعملون لها .. فقد تمكنوا عام ٦٢٠ من اشراك الاساقفة ورجال الاكليروس معهم ، وقلدوهم رئاسة محافلهم .. ومنذ ذلك الحين اضيف الى اسم رئيس المحفل كلمة (محترم) وهو لقب اكليركى لازال مستعملا حتى اليوم .. وكانت الاديرة ملجأ للماسونيين فى الحروب والثورات .. وفى سنة ٦٨٠ اقيم الاب (ويرال) مفتشا عاما للماسون الاحرار فى بريطانيا ..

ومن انكلترا انتشرت الماسونية فى العالم الاوروبى والشرق . وفى سنة ٩٦٠ ازداد انتشار الماسونية وكانت اذ ذالك برئاسة (بطريرك كنتربرى) الذى اصبح بعد ذلك القديس (دنستان) . وفى عام ١١٥٥ انتخب الماسون ريكاردوس قلب الاسد ـ استاذا اعظم ـ للمحافل الماسونية فى انكلترا . وكان استاذا اعظم لجماعات (الهيكليين) ايضا ، فقبل الدعوة ودام رئيسا للحركتين حتى توفى ..

ومن اسخف ما يستنتجه (جرجي زيدان) من معاملة صلاح الدين الايوبى الطيبة الكريمة لريكاردوس قلب الاسد فى الحروب الصليبية رغم كونه من

البقية على ص ٨٩



قصة اسلامية

كانت هجرة المسلمين الى الحبشة بداية نصرة قوية لدين الله ، ورمزا واضحا لاقناع كفار قريش بأن ما جهدوا فيه وكلفوا انفسهم مالا تطيق من محاربة الرسالة المحمدية سيقذف الله به كله الى هاوية العبث وانعدام الجدوى . فالوطن الذى نشأوا فيه يفارقونه غير باكين ولا آسفين . الى وطن لا يجدون فيه خوفا ولا فزعا ، ولا يتعرضون فيه لقضبان من الحديد المحمى تكوى بها ظهورهم وجنوبهم جزاء ما صنعوا من مخالفة عقيدة أهل الشرك ، فآمنوا بالله ورسوله ، ولم يؤمنوا بهذه الاصنام التي يصنعونها بأيديهم ، ويزيفون لها القدسية والجلال .

ومن هؤلاء المؤمنين المهاجرين الى الحبشة (سهيل بن وهب) كان عبدا أعتقه عثمان بن عفان سيده ، غير انه ـ رغم انفكاك رقبته من اغلال العبودية ـ ظل مستضعفا ، فالنظام القبلي الذى كان يسود مكة حينذاك لم يكن يملأ عينيه سوى تراب الجحافل الكثيرة من ابناء القبيلة ، أما اولئك الذين لا تستند ظهورهم الى جدران راسخة من العصبية الفاشمة، فقد كان يكال لهم العذاب كما يكال الزيت والشعير ..

وصل المهاجرون الى الحبشة فنبتت المخاوف فى صدور كفار قريش ، خشية ان يجد المسلمون لهم عضدا قويا فى هذه الاصقاع ، والدلائل تشير الى أن محاربة قريش للدين الحنيف بدأت تهتز وتضعف ، والداخلون فى الاسلام يتكاثرون رغم ما يدركونه مما اعده لهم المشركون من وسائل التعذيب والاضطهاد ..

وفد قريش الى النجاشي

لذلك بعثوا الى النجاشي وفدا على رأسه عمرو بن العاص ، وقدموا اليه الهدايا اللائقة بملك عظيم ، واستمالوا اليهم رجال الكهنوت بالهدايا والرشاوى ، وامام النجاشي

راحوا يكيدون للمسلمين ، فزعموا ان الاسلام ينكر الدين المسيحي وينبذ المسيح وامه البتـول ..

وجاء المسلمون فحطموا هذه الاتهامات ، وقالوا : لقد كنا فى امة تعبد الاصنام وتقترف الكبائر . وجاءنا محمد الذى نعرفه صادقا أمينا فدعانا الى عبادة الله والى صلاح امورنا وسلوك الطريق السوى ، اما المسيح فانه الرسول الكريم وامه العذراء الطاهرة ..

مهاجر الى الحبشة

محمد مؤذن

للاستاذ محمد علي غريب

ولقد رفض النجاشي ان يسلم المسلمين الى اعدائهم ، ورفض هداياهم ، والزمهم أن يعودوا الى قريش مخذولين خائبين ..

ولقد غادر الكثيرون من المهاجرين الحبشة بعد ان اذن الرسول الاعظم ، صلوات الله عليه بالهجرة الى المدينة وبقى منهم عدد قليل ..

سهيل يدعو الى الاسلام

ومن هؤلاء سهيل بن وهب

كان فتى مديد القامة ، موفور العافية ، مكتمل الرجولة . غنيا رغم فقره بايمانه الذى لا يتزعزع .. وكان قد حفظ ما انزل على النبي الكريم من آيات الذكر الحكيم وهو فى مكة ، وان المرء ليعجب كيف تسنى له أن يملأ صدره بما بقى من كتاب الله ، وهو بعيد عن يثرب فى هذه البقاع ؟ .

كان اهل المدينة اصحاب تجارة مع البلاد القريبة والنائية . وكـان من المسلمين من يفد على الحبشة فى تجارة له . يبيع ويشـترى ، وعن هؤلاء تلقى سهيل بن وهب ما كانوا يحفظونه من كتاب الله ، حتى اكتمل له القرآن الشريف كله .

وانطلق داعية لله فى هذه الامة العظيمة يبشر وينذر ، ولم يكن عاجزا ولا كلا ، كان يشقى ويعمل .. متجملا بالقناعة والصبر ، راضيا بما يمنحه الغيب من رزق محدود ، فما ابتغى الثراء العريض ولا الرفاهية المدودة ، ولا راح يركض وراء جياد المنى والاحلام ..

ولقد حذق اللغة الامهرية ، واجاد الحديث بها ، فاتاح له ذلك فرصة الاتصال باهل الحبشة ، ومعرفة ما فى حياتهم من اسرار ، وما فى هذه الاسرار من خبايا ومتعرجات ..

وكانوا قد خبروه وايقنوا انه صادق لا يكذب ، امين لا يغدر ، منحته استقامته وطيبته عزة ومنعة فكانوا يحترمونه ولا يقوى اشد الناس توقحا وبذاءة على ان يخدشه بكلمة سوء ..

وكان لا بد ان يجرى بينه وبينهم حديث مستفيض عن دينه الذى يعتنقه وانه ليوضح لهم ما عسى ان يكون قد غمض عليهم من تعاليمه القويمة ، ومن اهدافه المرجوة لخير البشرية جمعاء ، ومن دعوته الصادقة الى التآخى والتكاتف بين الناس ، لا فرق بين غني وفقير ، ولا بين عظيم وحقير ، الا بتقوى الله وحسن عبادته ..

وكان يتلو عليهم بصوته العذب الرخيم آيات من كتاب الله الحكيم ، ويحاول ان يفسر لهم معانيها الشريفة بلغتهم الامهرية فيقبلون عليه ، وقد القى فى قلوبهم السحر الذى لا يقاوم وانه لتأخذهم مما يسمعون الدهشة والعجب ، وان عقولهم لتتفتح لما يصغون اليه كانما هي تطلب المزيد .

ولقد آمن منهم كثيرون بالدين القويم ولكنهم كتموا ايمانهم فى صدورهم خشية اولئك الطغاة من رجال الكهنوت الذين يملكون كل شيء بعد النجاشي ويحيون حياة الترف مما يسلبونه من اقوات الناس ..

كانوا يخافونهم ويعتقدون ان فيهم قوى خفية طاغية يعجز سائر البشر عن ادراك كنهها وتضعف جهودهم عن مقاومتها . ولا ريب ان رجال الكهنوت هم الذين لقنوا الناس هذه الاكذوبة ، وغرسوها فى نفوسهم لتزداد قوتهم قوة ، وليحطموا اية مقاومة يمكن ان يقوم بها المتشككون المرتابون .

وكان اهل منطقته يثقون به ، ويجزلون له الود والوفاء بعد ان عرفوا فيه سلامة الطوية ، واكتمال المروءة ، واستقامة القصد ، فلا تهبط به الكبرياء الى التعالي السخيف والزهو الممقوت ..

انتصاره للضعفاء

وذات يوم رأى رجلا ضخم الجثة ، شديد الاسر ، يؤذى سيدة عجوزا فقيرة ويمعن فى النكال بها . ويبالغ فى اذلالها ، ولقد هم بضربها ، فامسك به سهيل ، يرده عن الاذى ، ويبذل غاية جهده فى ان يخفف من سورة غضبه حتى هدأت ثائرته ، وتكشف ان السبب من التفاهة والهوان بحيث لم يكن يستأهل الخصومة ولا الغضب المحموم .

وعرفت هذه المرأة العجوز الفقيرة ما لهذا الفتى النبيل من فضل ، فاغدقت عليه كل ما تملك من حب ووفاء ، وكانت خير رسول الى مواطنيها تشيد بمناقبه ، وتروى لكل اسرة حادث انقاذه اياها من براثن هذا الوحش الذى كان الناس يخشونه ويفزعون منه بمجرد ان يـروه ..

كان هذا الرجل قد اشتهر بشراسته وفظاظته وسوء خلقه ، والناس فى كل زمان ومكان يحاذرون من ان يواجهوا الشر تجنبا لعواقبه السيئة ، وما دمت قادرا على ان تهرب من الوحش الكاسر فما جدوى اظهار البطولة امام الموت المحقق ..

اما سهيل فقد قهر هذا الرجل الفظ ، واسقط امامه على الارض قلامات اظفاره وما زال به حتى اصبح كالنعامة يوشك ان يخفى رأسه فى الرمال .

حوار بينه وبين ماكونات

ولزمت (ماكونات) ــ وهذا اسم المرأة ــ منزله ، تقوم على رعايته ، وتسهر على قضاء حاجاته وتحرص على مرضاته ، كانت له بمثابة الام ، شفقة ورحمة وحنانا ..

وكانت تصغى اليه وهو يرتل آى الذكر الحكيم ، فتأخذها هزة من العجب والدهشة والرضى ، ولكنها ــ لضعف ادراكها ــ لم تكن تستطيع ان تفطن الى حقيقة ما يرتله ... كانت تنطوى على نفسها وتخلد الى السكون المطلق . وهى تحس نشوة ومتعة ، ولـكنها لفرط سذاجتها لم تكن بقادرة على أن تسأل :

ـ ما هو هذا السحر الذى ينفذ الى قلبها ولا تقوى على فهمه ولا ادراكه ؟

واحس ما هى عليه من حيرة ولهفة وتطلع ، وفطن ببصيرته النافذة الى السر الذى يؤرقها ويملأ عليها حياتها ، فراح يستدرجها الى ان تفضى اليه بمكنون صدرها ، بما يشغل بالها ويورثها القلق والاضطراب ..

وقالت لـه :

ـ انني استمع اليك وانت تردد حديثا لا افهمه لانه بلغة غير لغتي ، ولكنني احس له وقعا فى نفسي ، فهل انت تخاطب الجان وتفرض عليهم ارادتك ليقتلوا اعداءك أو يغيروا من طبائع الحياة التي يحياها الناس من حولك ؟

وابتسم لها ابتسامة الاعزاز والاشفاق ، وقال لها :

ـ لست ساحرا يا اماه ، وليس لي سلطان على الجان ، وانما انا عبد من عباد الله .
قالت لـه :

ـ اذا فأنت لست مسيحيا ؟ هكذا سمعت ممن يتحدثون عنك من اهل هذه البلدة ، وكانوا يقولون ان دينك يخالف ديننا .

قال لها :

ـ لست مسيحيا ولكنني مسلم ، وان ديني ليأمرني بأن أؤمن بالمسيح كرسول من عند الله وليس الها .

وظل يحادثها وقتا غير قصير ، وهو يبذل اقصى جهده ليبين لها ما غمض عليها من امور دينه الحنيف ، ويخاطبها على قدر ما يعرف عنها من بساطة فى التفكير ، فهو يوضح لها معالم دينه بالاسلوب الذى يعتقد انه خليق بان ينفذ الى عقلها ، ويستقر فى قلبها ، دون ان تشوبه شوائب الغموض والابهام .

وهكذا استطاعت ان تدرك القليل مما سمعته ووعته ، وان كان ذلك لم يؤثر كثيرا فى عقيدتها التي نشأت عليها وصاحبتها فى حياتها الطويلة المضنية ، ذلك لان قلبها لم يكن قد تفتح لتقبل الدين الجديد الذى رأته يخالف دينها القديم .

ورغم هذا ، فانها كانت راضية عما استمعت اليه ، فلم تحس ضيقا ولا حرجا بسبب هذا التصادم بين العقيدتين .... انها كانت لفرط نقاء سريرتها ، توشك ان تستجيب لهذه العقيدة التي رأت فيها ما يسمو بالنفس الانسانية فى هذه الحياة الدنيا ، ويستكمل اهبتها لتلقى فيوض النعيم فى الحياة الاخرى ..

على انها كانت جد حائرة تستهدى بغريزتها للوصول الى الغاية المرجوة من ايمانها ، ولكنها ما ان تخطو خطوة فى هذا السبيل حتى تتعثر قدماها فتعود الى البداية من جديد ، لتواصل السير فى هذا الطريق الذى تسلكه لأول مرة فى حياتها .

كانت هناك عقبات أمامها تقف تجاهها مضطربة مشدوهة ، غير ان فطرتها السليمة تذلل لها هذه العقبات ، فهى قد عذبت فى حياتها عذابا اليما ، وأوذيت بما لا يستطيع كثير من البشر ان يحتملوه ، وذلك بسبب فقرها وضعفها واستكانتها ، حتى زوجها الذى فقدته منذ سنوات بعيدة والذى كانت تحيا معه حياة الاستقامة والشرف كان يضطهدها ويسومها الخسف والهوان ، فلما تولى عنها لقيت من الناس ما يلقاه الذليل العاجز الذى لا يقوى على رد الاساءة بمثلها ولا اللطمة بأيسر منها ، وكانت تصبر على الاذى كما يصبر الـزرع على هطول الامطار فى فصل الشتاء .

ولقيت (ماكونات) ذات يوم فتاة من اهل بلدتها ، ذات جمال طاغ وفتنة لا تقاوم ، وكانت فى ربيع العمر ، فسألتها عن حالها ، ولما عرفت منها انها تقيم فى منزل ذلك الرجل المسلم ، راحت تستفسر منها عن خصائصه وشئونه ، وقالت لها ، انها رأته ذات يوم وحدثوها عنه كثيرا وكيف انه يعتكف فى منزله لتلاوة كتابه الذى يؤمن به ، وانها شغوفة بأن تسمع منه بعض ما يتلوه من هذا الكتاب اذ هى تحب بطبيعتها ان تقف على كل جديد ، وان تعرف معرفة وافية كل ما تجهله .

كان اسم هذه الفتاة (سومانيل) وكانت بارعة فى الحديث ، وهي كذلك تحسن الاصغاء، وربما وسعت موهبتها الفطرية جودة الفهم وحسن الادراك ، لما تعيه مما يتناثر امامها فى المجالس التي تشهدها من شتى الموضوعات .

ووعدتها (ماكونات) بأن تمهد لها لقاء سهيل ، فلما حدثته عنهـا ابدى دهشـته وعجبه ، اذ كان قد رأى الفتاة وعرف عنها الشيء الكثير .

عرف عنها انها ابنة أخ واحد من رجال الكهنوت اسمه (ميخائيل) ، وان هذا الرجل من اشد رجال الكهنوت سيطرة وجبروتا ، وانه هو الذى استقبل عمرو بن العاص حين وفد الى الحبشة ، ووعده بمعاضدته لدى النجاشي فى اخراج المسلمين المهاجرين الى الحبشة وأعادتهم الى مكة .

كان هذا الرجل يبغض المسلمين المهاجرين بغضا شديدا ، أن ضيق افق تفكيره وجهله وانطماس بصيرته جعله متعصبا شديد النقمة على من يخالفه فى الدين ، وهو بذلك يخالف مولاه النجاشي الذى كان موفور السماحة ، لين الجانب ، بعيدا عن التعصب المقوت .

لم يكن (سهيل) يعير هذه الفتاة ولا غيرها من فتيات البلدة عناية ولا اهتماما ، فقد كان منصرفا الى عمله والى عبادته ، وقد ركب الله فى طبعه عفة تعصمه عن الوقوع فى حبائل الشيطان ورغم شبابه المتفجر ، فانه كان يجد له متنفسا فى عمله وفى عبادته ، وما من قوة فى هذه الارض ، يمكن لها ان تغريه بتنكب هذه الجادة التي يسلكها فى هدى ووعى وايمان .

سومانيل تعتنق الاسلام

وجاءته الفتاة ، فغض من بصره لدى رؤيتها ، وقالت له :

ــ اقرأ لي شيئا من كتابك .

فجلس على الارض وراح يقرأ فى صوت خاشع :

(بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياتـه قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون) .

فأحست الفتاة الرهبة والاعجاب مما سمعت ، واستزادته ، فمضى يتلو عليها آيات من الذكر الحكيم ، وهى تصغى فى سكون ، وقد أمتلأ قلبها رضى وغبطة ، وشرح الله صدرها للايمان فآمنت .

وكان سرور (سهيل) بما وقع بالغا حده واجتاحته موجـات مـن البشر والتأثـر الشديدين ، حتى انه لم يتمالك نفسه فاجهش فى البكاء .

وسأل الفتاة :

ــ ألا تخافين من عمك (ميخائيل) ؟

وقالت الفتاة :

ـ انني لا أخاف من أحد ، فان عقلي هو الذى هداني الى الدين الصحيح ، وما من أحد يستطيع أن يحول بيني وبين عقيدتي التي اعتنقتها عن طواعية وحسن اختيار .

ثم صمتت الفتاة قليلا واستطردت تقول :

ـ وأنت ! ألم تغادر وطنك الذى نشأت فيه فى سبيل الحرص على عقيدتك التي اتخذتها لنفسك ، والتي أنت على أتم استعداد لان تضحي بحياتك فى سبيلها ؟

واطرق (سهيل) برأسه ثم قال :

ـ ان الايمان اذا حل بقلب ملكه كله ولم يعد فى استطاعة البشر جميعا أن ينتزعوه منه حتى يوسد فى التراب .

وتعاهدا على الوفاء للدين الذى آمنا به ، وان ينشراه فى كل مكان يحلان به ولو لقيا فى سبيل الدعوة اليه شتى صنوف الاذى والاضطهاد .

كتاب الرسول الى النجاشي

وفى هذه الايام تلقى (النجاشي) ـ واسمه اصحمة بن ابحر ـ رسالة من الرسول الاعظم محمد بن عبد الله هذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ملك الحبشة أسلم أنت فاني احمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وان تتبعني وتؤمن بالذى جاءني فاني رسول الله وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فاذا جاءوك فاقرهم ودع التجبر فاني ادعوك وجنودك الى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى) .

فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم وكتب الجواب للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو .

(بسم الله الرحمن الرحيم . الى محمد رسول الله . من النجاشي الاصحم بن ابحر سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركات الله الذى لا اله الا هو الذى هداني الى الاسلام . اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت . وقد عرفنا ما بعثت بهالينا ، وقد قرينا ابنعمك واصحابه فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك ، وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين ، وارسلت اليك بابني (ارها بن الاصحم بن ابحر) فاني لا املك الا نفسي وان شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله) .

اسلام النجاشي

وعندما اسلم النجاشي ، فتحت الابواب المغلقة فى الحبشة امام الدعوة المحمدية ، وانطلق الدعاة يقتحمونها بكل ما أوتوا من قوة وعزم وايمان .

وكان اسبقهم الى اقتحام هذه الابواب (سهيل بن وهب) الذى حذق وسائل الدعوة بالمران والتدريب حتى اصبح من اعلامها المبرزين .

وكان رجل الكهنوت (ميخائيل) قد سمع عن اسلام ابنة اخيه ، فغضب لذلك غضبا

شديدا وكان قد اختار لها أن تتزوج من ابن اخته (عفرام) وكان (عفرام) هذا شابا احمق طائشا ، يثير بسلوكه المعوج الفتن والمشكلات ، معتمدا فى ذلك على سطوة خاله رجل الكهنوت ، فكان الناس يتحاشون الدخول معه فى مجادلات تفضى بطبيعتها الى شر كثير .

ولم تكن (سومانيل) تميل اليه ، بل انها كانت تبغضه أشد البغض ، وتنفر منه أشد النفور ، وكانت لا تحب ان تلتقي به حتى فى هذه الجلسات العائلية ، فانه كان دائما صخابا لعانا ينطق بفحش القول ويتعمد الاساءة الى اقرب الناس اليه .

لقد احبت (سومانيل) فتاها (سهيل بن وهب) حبا ملك عليها شفاف قلبها ، وان لم تكن على يقين من ان فتاها يحبها .

وكانت تلقاه فى اكثر الاوقات ، ولكن لم تجر بينهما اية كلمة عن هذا الحب .

كانا يتدارسان القرآن الكريم ويتحدثان عن العبادات والفرائض ، وتدور بينهما مناقشات هادئة حول تيسير سبل الدعوة الى الاسلام فى الحبشة ، وكانت الفتاة أشد دراية بما يجب ان يتبع فى هذا الصدد لان ذلك هو وطنها .

مؤامرات ميخائيل

على ان العواطف كانت تثور دائما فى منزل اهل الفتاة ، بسبب اسلامها وكان خالها رجل الكهنوت يوقد النيران ويحرك الفتنة ، وتتفجر غضباته وصواعق سخطه وهو ينادى بالويل والثبور وعظائم الامور ، وانه ليتهدد اسرة الفتاة بالشر المستطير اذا لم ترجع الفتاة عن دينها الذى اختارته .

على ان اهل الفتاة كانوا لا يلقون بالا الى هذه الصرخات المحمومة من رجل الكهنوت فقد كانوا لا يتشددون كثيرا فى مسائل دينهم المسيحي .

وذات يوم اختفى (عفرام) وبحثوا عنه كثيرا فلم يعثروا له على اثر ، ولم يكن قد تعود الغياب عن اسرته ، فاضطربت نفوسهم وراحوا ينشدونه فى كل مكان .

وعرفوا كذلك أن (سهيل بن وهب) اختفى هو ايضا ، ولا تسل عما حل بالفتاة (سومانيل) من الخوف والجزع على غياب حبيبها ، لم تكن خائفة ولا جزعة لغياب قريبها (عفرام) بل لعلها كانت فى قرارة نفسها تتمنى ان يكون غيابه الى الابد .

اما حبيبها الذى لم يبح لها بأية كلمة تشتم منها رائحة الوله والصبابة ، فانها كانت طوال فترة اختفائه تضع يدها على قلبها خشية ان يقفز من بين ضلوعها هلعا وفزعا .

اما رجل الكهنوت (ميخائيل) فقد اقام الدنيا واقعدها بسبب غياب ابن اخته (عفرام) واخيرا اعلن فى ثورة غضبه وهياجه انه لا بد ان (سهيل بن وهب) قتل ابن اخته (عفرام) بسبب تنافسهما على حب الفتاة (سومانيل) .

وجمع اطراف القضية ونقلها برمتها الى النجاشي متهما (سهيل بن وهب) بهذه الجريمة البشعة ، ولم يستطع ان يقدم دليلا واحدا على صدق اتهامه سوى هذا الدليل الواهي الذى ابتكرته مخيلته المريضة وهو ان بين الاثنين تنافسا على حب هذه الفتاة .

واستمع النجاشي فى هدوء الى هذه القصة المحزنة واعرب عن موفور اقتناعه بأن هذا الذى ذكره رجل الكهنوت لا يمكن ان يرقى الى مرتبة الدليل الحاسم على صحة الاتهام ، واضاف الامبراطور الى قوله هذا انه اذا ثبت ان ذلك الرجل المسلم قتل (عفرام) فلا

بد ان يقتل . وسرت الشائعات فى المدينة عن هذا الحـادث حتى غمرتهـا ، وكان كثيرون يؤكدون ان هذا الرجل المسلم الطيب لا يمكن ان يكون قاتلا ، اذ هم على يقين من سماحة خلقه ونقاء سريرته واستقامته ، وهو فوق هذا رجل يحب الخير للناس جميعا ولا يضمر عداوة ولا بغضاء لأحد .

ثم ظهر (سهيل بن وهب) بعد قليل وهو منهوك القوى مثخن بالجراح ، فقادوه الى حضرة النجاشي وهو على هذه الحال ، وكان يكتم آلامه فى صبر وشجاعة ، ويتمالك رباطة جأشه وهو يكاد يتهاوى على الارض من فرط ما يحس به من تعب وعناء .

وسألوه اين كان ، وما هذه الجراح التي تملأ جسده ثم سألوه اين (عفرام) ؟

وأجاب على أسئلتهم وهو يلهث لشدة ما يعانيه من آلام مبرحة فقال : أنه كان قد سمع بأن (عفرام) خرج الى الغابات ليصطاد اسدا كان يسطو على منازل الاهلين ويفتك بمن يلقاه فى طريقه وقد رأى (سهيل) من واجبه ان يمضى ليكون عونا له فى اداء هذه المهمة القاسية .

وقد حدث ما كان يتوقعه، فأن الاسد ضاق بعفرام ذرعا وهو يصطاده فى عنف وتحد ، فهجم عليه هجمة شديدة كادت تكون القاضية لولا ان برزت للاسد ورحنا نصاوله ونجاوله حتى قتله (عفرام) .

وصاح رجل الكهنوت (ميخائيل) مغضبا :

ـ هذاكذب ... لقد قتلت عفرام .

وراح النجاشي يهدىء من ثورة (ميخائيل) ويسأل (سهيل بن وهب) :

ـ وأين عفرام ؟

وقال سـهيل :

ـ لقد تركته يسلخ جلد الاسد وهو قادم فى اثرى .

اسلام عفرام

وجاء عفرام متهالكا وقد نقشت مخالب الاسد على جسده سطورا دامية ، ثم روى القصة بحذافيرها ، واعترف بأن الذى قتل الاسد هو (سهيل بن وهب) .

وقال عفرام :

ـ ان هذا الرجل الذى ما ابغضت مخلوقا فى هذه الدنيا مثل ما ابغضته قد انقذ حياتي من موت محقق ، وانني اليوم لا احب احدا فى هذه الدنيا كما أحبه ، ولقد اسلمت لله رب العالمين .

وصرخ رجل الكهنوت (ميخائيل) من اعماق قلبه صرخات مدوية وراح يقول وهـو مبهور الانفاس :

ـ يا للهول .... يا للكارثة لقد جن ابن اختى .

ثم غادر المجلس وهو يكاد ينشق من الغيظ ولم يعرف بعد ذلك مصيره أحد .

وتزوج (سهيل بن وهب) من فتاته وانجبا ، ولقد عمرا طويلا ، ولكنهما امضيا عمرهما الطويل فى نشر الدعوة المحمدية حتى لحقا بالرفيق الاعلى .



بقلم الاستاذ م . ع

شرح الاصول الخمسة

للقاضي عبد الجبـار

تحقيق د . عبد الكريم عثمان

القاضي عبد الجبار بن احمـد امام من أئمة الفكر الاسلامي ، وعلم من أعلام المعتزلة فى النصف الأخير مـن القـرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى ومؤلفاته من الكثرة بمكان ، وان كـان أشهرها هذا الكتاب ، وكتابه المشهـور « المغنى » ، الذى عثر عليه اخيرا باليمن فى عشرين جزءا ، طبع منها بضعة أجزاء فى القاهـرة .

والأصـول الخمسـة . التوحيـد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر ، هي الأصول التي يجتمع حولها سائر المعتزلة ، والتي لا يوصف المتكلم بأنه معتزلي الا اذا قال بها واعتنقها ، وآمن بها ، ودافع عنها ، ويذكر أستاذنا الدكتور احمد فؤاد الأهواني فى تقديمه لهذا الكتاب . أن هذا الترتيب على هذا النحو لم يكن الاجماع منعقدا عليه ، ومما لا شك فيه أنه لم يكن كذلك منذ بـدء ظهور المعتزلة ، اذا أخذنا بالرواية التي تذهب الى أن المعتزلة انما نشأوا عندما انفصل واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد عن حلقة الحسن البصرى بسبب قولهما بأن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل فى « منزلة بين المنزلتين » اذن فهذا الأصل ــ المنزلة بين المنزلتين ــ هو أول الأصول الخمسـة .

والمحقق الدكتور عبد الكريم عثمان عـالم سورى فاضـل ، وأديب باحث محقق ، قد أقدم على عمل كبير ، أحجم عنه كثير قبله ، وقـد أعانه على هـذا الاقدام ــ كما يشير الدكتور الأهواني ــ أنه مشتغل بالفعل بالكـلام والاعتزال ، لأن رسالته التي أعدها للحصول عـلى اجـازة الدكتـوراة تبحث فى القاضي عبد الجبار وآرائه الكلامية ومنزلته عند المعتزلة ، فلا جرم أنه أصلح من يتمكن من تحقيق هذه الرسالة الخطية .

وقد اعتمد المحقق فى تحقيق الكتاب على تعليق احمد بن ابي هاشم المشهور بـ (مانكديم) وهو أحد ائمة الزيديـة والمتوفي عام ٤٢٥ هـ ، وذلك فى نسختين رئيسيتين .

الأولى : ــ نسخـة أحمـد الثالث باستنبول وتتكون من ١٩٧ ورقة وتاريخ نسخها عام ٧٥٦ هـ وهي من مصورات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

الثانية : ـ نسخة صنعاء وهي من مصورات دار الكتب المصرية وتتكون من ١٥٣ ورقة وهي من مكتبة الامام عبد الله ابن حمزة ، احد ائمة الزيدية والمتوفي عام ٦١٤ هـ ، وكان له اكبر الأثر في الحفاظ على تراث المعتزلة .

واذا رأينا المحقق قد أخرج هذا الكتاب فى اكثر من ثمانمائة صفحة ، اتضح لنا المجهود الشاق الذى بذله ، والعمل الكبير الذى قدمه ، هذا ولم يكتف بضبط النص ، بل ترجم لكثير من الأعلام ، وعلق أحيانا على بعض آراء القاضي ، وقدم مقدمة للكتاب فى أربع وعشرين صفحة ، جاءت بمثابة مفتاح لهذا الأثر الجليل .

عرض فى هذه المقدمة منزلة القاضي فى الفكر الاسلامي ، فقد بدأ حياته العلمية فقيها على مذهب الامام الشافعي ودرس أصول الفقه ، وألف فيه كتبا مطولة منها كتاب العمد ، كما درس التفسير وله فيه كتب عديدة منها تنزيه القرآن عن المطاعن ومتشابه القرآن ، وهو بالاضافة الى ذلك مؤلف أفضل كتاب فى تثبيت دلائل النبوة ، وهو بعنوان « تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد » ولا يعرف له الا نسخة واحدة مخطوطة هي نسخة « شهيد علي » باستنبول ، وهي فى طريقها الى المطبعة بتحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان أيضا .

كما عرض لموضوع الكتاب ، فأشار الى أن القارىء له ، يستطيع أن يأخذ فكرة شاملة عن تطور بحوث الكلام ، وأصول الدين عند المسلمين حتى بداية القرن الخامس الهجرى ، وأن ينتهى الى أن القاضى كان احد الأفذاذ الذين وقفوا ضد المحاولات التي كانت تبذل لتمييع الثقافة الاسلامية واخفاء شخصيتها بالمؤثرات الأجنبية ، فلم يساير أمثال ابن سينا وابن رشد وابن طفيل ، وغيرهم ممن أرخوا العنان لهذه المؤثرات أن تتسلل الى تفكيراتهم وتحرمهم أحيانا كثيرة التفكير المستقل .

كما أن الدكتور المحقق أشار الى نقطة جوهرية فى الموضوع ، ذلك أن بحث القاضي لهذه الأصول الخمسة التي ضمنها هذا الكتاب ، لم يكن على هذا التصنيف فى جميع كتبه ، ففي كتابه « المغنى » اعتمد على أصلين . العدل والتوحيد ، وأدخل ما عداهما فيهما ، وفى كتابه مختصر الحسنى ، ذكر أن الأصول أربعة . العدل والتوحيد والنبوات والشرائع .

والقاضي عبد الجبار قدم دراسة تمهيدية مطولة ، قبل أن يتعرض لشرح الأصول الخمسة ، تناول فيها أول الواجبات وهو النظر المؤدى الى معرفة الله وحقيقة النظر ، ومعنى الفكر والمعرفة ، ومعنى الضرورة والمشاهدة ، ومعنى المنفعة وحقيقة الشكر ، والاستدلال بالأعراض على الله ، كما ناقش أصحاب الالهام والمعارف وأبا القاسم البلخي .

وعند ما تعرض القاضي للأصل الأول وهو التوحيد ، ذكر أن أول ما يعرف استدلالا من صفات القديم جل وعز انما هو كونه قادرا ، وما عداه من الصفات يترتب عليه ، لان الدلالة التى دلت على أنه تعالى هو المحدث للعالم ، دلت على كونه قادرا من غير واسطة ، وليست كذلك باقى الصفات ، لأنا نحتاج فيها الى واسطة أو واسطتين أو وسائط .

وتحرير الدلالة على ذلك ، هو انه تعالى قد صح منه الفعل ، وصحة الفعل تدل على كونه قادرا ، وهذه الدلالة هى صحة الفعل لا وقوعه ، لأنه لو وقع ـ لا على طريق الصحة بل على طريق الوجوب ـ لم يدل على كونه قادرا ، والدلالة بعد ذلك مبنية على أصلين . صحة الفعل، وصحة الفعل دليل قدرته.

واستطرد القاضي يعرض صفات الله صفة صفة ، ثم عرض لما يجب أن ينفى عن الله ، فالله غنى فتنفى الحاجة عنه ، ولا يجوز أن يكون جسما ، او عرضا ، وليس معه ثان ، ثم ناقش شبه المخالفين فى مسألة رؤية الرب التى ينفيها القاضى، ومن هؤلاء الاشعرية والمجسمة .

وعندما تعرض القاضى للأصل الثانى وهو العدل ، اشار الى حقيقته ، فهو كلام يرجع الى أفعال القديم جل وعلا ، وما يجوز عليه وما لا يجوز ، كما أشار الى خلق الأفعال ، والخلاف فيه مع المجبرة ، والى أقسام الأفعال ، وحقيقة الظلم ، وأفعال العباد ، ثم عرض للنبوات وصفات الرسول ، ومعجزاته ، وحقيقة المعجزة ، وقد ناقش الأشعرية فى قولهم . انه تعالى مريد بارادة قديمة ، ورد عليهم بأنه لو كان القديم مريدا بارادة قديمة ، لوجب ان تكون هذه الارادة مِثْلاً للـه تعالـى ، لأن القدم صفـة من صـفات النفس ، والاشتراك فيها يوجب التماثل، وقد عرف فساد هذا ، كما ناقش المجبرة والملاحدة ، وكل من أثاروا شبهات تتصل بهذا الأصل الذى استغرق وحده اكثر من ثلثمائة صفحة .

أمـا الأصـل الثالث . وهو الوعـد والوعيد ، فقد فصله القاضى فى ثلاثـة مواضـع .

أولا : الكلام فى المستحق بالافعال وهو المدح والذم ، ومـا يتبعهمـا فى الثواب والعقاب ، وما يتبعه الثواب من جهـة الله تعالى فانه لا يستحق الا على الطاعة ، وما لا يتبعه الثواب فهو المدح المقابـل للنعمة ، والذم على ضربين . ضرب يتبعه العقاب من جهة الله ، وذلك لا يستحق الا على المعصية ، وضرب لا يتبعه العقاب من جهة الله .

ثانيا ـ : الشروط التي معها نستحق هذه الاحكام ، ففي استحقاق العقاب شرطان ، أن يكون الفعل قبيحا ، وأن يعلم فاعله قبحه أو يتمكن من العـلم بذلك ، وكذلك فى العقاب الذى ليس من جهة الله شـرطان . أن يكون الفعـل اساءة ، وأن يكـون الفاعل قد قصـد الاساءة ـ والمدح بقسميه : ما يتبعـه الثواب من الله ، وفيه شرطان أن يكون الفعل ذا منفعة زائدة على حسنه ، وان يكون الفاعل عالما بذلك ، وما لا يتبعـه الثواب من الله فيه شرطان أيضا . أن يكون احسانا ، وأن يكون الفاعل قاصدا به وجه الاحسان اليه .

ثالثا ـ : كيفية الاستحقاق . أهو على طريق الدوام أم على طريق الانقطاع .

وأما الأصل الرابع وهو المنزلة بـين المنزلتين ، والخلاصة أن صاحب الكبيرة ليس كافـرا ولا مؤمنا ، بل له منزلـة بينهما هي « الفاسق » وليس حكمه أيضا حكم الكافر الخالد فى النـار ، ولا حكم المؤمن الخالد فى الجنة ، بل لـه منزلة بين المنزلتين ، وهذا الفاسق لا يسمى مؤمنا خلاف ما يقوله المرجئة ، ولا يسمى كافرا خلاف ما يقوله الخوارج لأنه استحق بارتكابه الكبيرة الذم واللعن، وثبت أن المـؤمن مستحـق للمـدح والتعظيم ، فـلا يسمى مؤمنا ، ولأن الشرع جعل الكافر مستحقا للعقـاب العظيم ، وخصه بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة والموارثة والدفن في مقابر المسلمين ، وليست هذه منطبقـة على مرتكب الكبيرة ، فلا يسمى كافرا .

وأما الأصل الخامس والأخير . وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلا خلاف بين الأمة فى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا ما يحكى عن شرذمة من الامامية ، والاجماع بعد ذلك دليله فى كثير من آيات القرآن ، وأظهرها قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـر » وهناك خلاف بين أبي علي وأبي هاشم

من أئمة المعتزلة فى أن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعلم عقلا وشرعا ، فذهب أبو علي الى ان ذلك يعلم عقلا ، وذهب أبو هاشم الى أن ذلك لا يعلم عقلا الا في موضع واحد ، هو أن يرى احدنا غيره يظلم أحدا فيلحقه بذلك غم ، فانه يجب عليه النهى لذلك الضرر الذى لحقه من الغم ، فأما فيما عدا ذلك فلا يجب شرعا وهو الصحيح من المذهب ـ هذا وقد عقد القاضي فصلا فى التوبة ، فمن اعتقد اعتقادا ثم ظهر له فساده وجب عليه أن يتوب عنه ، ويندم عليه لا محالة ، أما فصل الامامة بعد ذلك فقد بدا فيه التعصب لمذهب معلق شرح الاصول الخمسة ، وهو ما نكديم الزيدى ، وقد عرضت القضية فى خمسة مواضع . حقيقة الامام ، وفيما له ولأجله يحتاج الى الامام ، وصفات الامام ، وطرق الامامة ، ثم تعيين الامام ، وكان عرضها جدلا بين رأى المعتزلة التى ترى العقد والاختيار طريق الامامة ورأى الشيعة التى ترى الامامة مقصورة على آل البيت .

وبعد : ـ مما لا ريب فيه أن الكتاب ثروة فكرية خصبة ، وجزء لا يتجزأ من تاريخ الفكر الاسلامي ، ودراسة يجب أن توضع موضع العناية والتقدير ، شأنها شأن كل الدراسات التي تتصل بشتى المذاهب الاسلامية الفكرية ، وأعتقد أنه قد مضى الزمن الذى كان المسلم يتحرج فيه من أن يمتد عقله خارج مذاهب أهل السنة ، وللمسلم أن يتحرج اذا تسلل التعصب الى الاهتمام بالمذاهب الاسلامية ، وكان له أثره فى تفريق كلمة المسلمين ، واذا كانت الدوائر العلمية فى الغرب لم يفتها الاهتمام بتراثنا الفكرى ، ولدى مكتباتها نصيب موفور من مخطوطاته ، أفلسنا أحق بالاهتمام بتراثنا الذى يمثل جزءا من حضارة المسلمين فى العصور السابقة ؟

ولا بد من كلمة انصاف للدكتور عبد الكريم عثمان ، فالمجهود الذى بذله مجهود مشكور ، وقد ساعده على ذلك طول صبره ، فالتحقيق عمل شاق وله مسئولياته وتبعاته ، ولا ينقص قدر مجهوده أنه وجه معظمه الى ضبط النص .

أقول . كنت أود أن يعني المحقق عناية اكثر بالترجمة عن الاعلام التي وردت فى الكتاب ، وكذلك بتحقيق الاحاديث التي وردت فيه ، وكنت أود أخيرا أن نلمس فى تعليقه على آراء المعتزلة لونا واضحا من المقارنة بين آراء المعتزلة وغيرها من الآراء ، فيما لم يكن واضحا فى أصل بحث القاضي عبد الجبار ، وتعليق ما نكديم على آراء القاضي .

ان الدكتور عبد الكريم عثمان له الفضل فى احياء تراث الفكر الاعتزالي ، ولو لم تكن وزارة الثقافة والارشاد القومي بالجمهورية العربية المتحدة قائمة بنشر كتاب « المغنى » للقاضي عبد الجبار ، لظل هذه الانتاج الخصب يمثل ركنا من أركان الاهمال .

وموعدنا ان شاء الله مع القاضي عبد الجبار والدكتور عبد الكريم عثمان فى الكتاب القادم . دلائل ثبوت نبوة سيدنا محمد .

من أحسن ما قيل فى الرجاء

« واني لأرجو الله حتى كأنني
أرى بجميل الظن ما الله صانع»



خطة لنظام ثقافى اسلامي

يجب أن توضع للبلاد الاسلامية خطة لنظام ثقافى اسلامي يبنى على الاسس التالية : ـ

١ : ـ وضع نظام ثقافى اسلامي موحد غير مزدوج الروح والمصدر .

٢ : ـ صبغ التعليم فى جميع درجاته وأنواعه بالصبغة الاسلامية .

٣ : ـ احداث وعي اسلامي عام بحيث يكون هذا الوعي ـ العقلي والنفسي ـ وعيا لمبادىء الاسلام وتعاليمه وقضايا الاسلام الكبرى فى العصر الحاضر ووعيا لوحدة العالم الاسلامي ومصادر قوته وما يجابه من أخطار .

٤ : ـ وصل ما بين الدين والحياة فتعلم مبادىء الاسلام وأحكامه ، وتعرض المشكلات الحاضرة على اختلاف أنواعها على أساس الاسلام ونظرته .

٥ : ـ اختيار الطرق والاساليب الصالحة المناسبة لتعليم الدين وادخاله فى النفوس فيراعى فى ذلك السن والمستوى العقلي مع العناية بالاصول والمبادىء وتقديم القضايا الهامة والعودة الى القرآن والسنة ووصل ما بينهما وبين الآراء الفقهية .

(رابطة العالم الاسلامي) ـ مكة المكرمة

حول برامج الاذاعة والتلفزيون

ان حرصنا على اصلاح هذه البرامج ناتج من علمنا بأن الشعوب وهي في طريقها الى التقدم تعتمد الى حد بعيد في ثقافتها على السماع دون القراءة . وان نسبة ٧٠٪ من هذه الثقافة يصل الناس عن هذا الطريق .

ومن هنا وجب الالتفات الى برامج التلفزيون بنوعيها ، برامج الثقافة وبرامج التسلية . ونحن نرى أن كلا منهما يعدل الآخر أهمية . فالثقافة عن طريق التسلية لها من الاهمية والمكانة ما جعل رجال التربية في العالم اليوم ينظرون اليها نظرة اعتبار . وعلى هذا يعتبر التلفزيون مدرسة الشعب على اختلاف طبقاته لانه اقتحم عليهم جدران بيوتهم دون غيره من وسائل الثقافة .

ان السيطرة على برامج التلفزيون ميسورة وذلك لان زمامها بأيدي المسؤولين مباشرة بينما غيرها من دول أخرى بأيدى شركات استثمارية تجارية ، لا تبالي أن تبيع أخلاق الناس لتشترى أموالهم ، وهذا يعني ان مـا يذاع يعكس في الواقع اتجاهات المسؤولين في الدولة . وهنا يبرز دور الرقابة الفعالة وخطورة الاختيار والا يقتصر على ما يقال بل يتعداه الى كل ما يرى الناس ويسمعون ، فرب هفوة صغيرة جرت الى ويلات كبار .

اننا في الوقت الذى نريد أن نخلص النصح نقول بأننا جزء من هذا الشعب الذى يرى ويسمع والذي أبدى نفورا واضحا ازاء الكثير مما يشاهد . ونضرب مثلا لذلك واحدا لافلام السهرة العربية منها وعلى الاخص التي تتضمن الاغاني المبتذلة والرقص الخليع ، هذا بالاضافة الى ما يتخلل برامج التلفزيون مـن الحفلات الفنائية والاغانى المسجلة التي يتنافى اخراجها وتوجيه الناشئة .

اننا لسنا بمعرض نقد لما يقدم ، لذا لا نريد أن نكثر من الامثلة ولكننا بمعرض نصح وتذكرة وهما مقياس التعاون .

(التربية الاسلامية ـ بغداد)

الشعوبية الفكرية الحديثة

حلت ((الشعوبية)) مكان ((الاحتلال)) فالغزو الثقافى الذي قام به الاستعمار خلال اقامته فى وطننا فى مدى قرون كان تقريبا قد خلف قوى تعمل بعد جلائه العسكرى والسياسى . هذه القوى تعمل لتبقى النفوذ الاجنبي ، ولتقضى على مقومات أمتنا حتى لا نستطيع أن نجمع فكرنا ، ونتوحد لنواجه الحياة قوة ضخمة ذات نفوذ ،وليبقى له بعـد ذلك سيطرته الاقتصادية .

والشعوبية الفكرية الحديثة انما تحاول القضاء على (١) شخصيتنا (٢) قيمنا الفكرية والروحية (٣) تراثنا (٤) لغتنا العربية الفصحى (٥) تاريخنا .

وقد تشكلت هذه الشعوبية منذ الثلاثينيات من هذا القرن فى صورة أحـزاب وهيئات وجماعات ذات طابع براق . على مستويات مختلفة قومية واقليمية ، سياسية وفكرية ، وحاولت أن تشق طريقها ، وتجمع حولها الشباب الفض تصنعه وفق مخطط دقيق مدروس .

وقد مهد الاستعمار لها الطريق بدعوات مختلفة :

١ : ــ العودة الى الثقافات والحضارات القديمة كالفينيقية والفرعونية والبابلية والآشــورية .

٢ : ــ التفرقة بين عناصر الامة والدين الواحد فانبعثت قضايا البربرية والكردية والصراع بين المسلمين وغير المسلمين وبين السنة والشيعة .

٣ : ــ كشف الآثار القديمة واستغلالها فى هذه الدعوات .

٤ : ــ رفع صوت الآداب الاقليمية واللهجات الاقليمية والتراث الاقليمي .

وليس كيد الشعوبية موجها الى العرب كأمة فقط ولكنه موجه أساسا للقضاء على مقومات الفكر العربي والاسلامي الذى هو المصدر الاول للحياة العقلية والروحية لهذه المنطقة ، فى محاولة لاثارة الشكوك وخلق التفرقة ، والانتقاص من التاريخ والتراث وتشويه الماضى وهدم اللغة والانتقاص من فضل العرب والمسلمين على الحضارة مع الاعلاء من شأن الفكر الغربي والحضــارة الغربية واعلام الغــرب وابطالهم فى مجــال السياسة والفكر والاختراع .

المنهل ــ مكة المكرمة

أضواء على العالم الاسلامي

يتكون العالم الاسلامي الآن بفضل الله من ٣٧ دولة مستقلة وعدد آخر من الدول التى تتمتع باستقلال داخلي فقط ــ ولكنها فى طريقها الى الاستقلال ــ فى قارتى آسيا وافريقيا تمتد من مراكش الى أندونيسيا ، ومن تركيا الى تانزانيا . انه لحق عالم واسع فسيح الارجاء به ما لا يقل عن (٦٥٠) مليونا من البشر من مجموع سكان العالم الذى يبلغ (٣٠٠٠) مليون . لهذا فان لهذا العالم الاسلامي أهمية خاصة هى توفر الايدى العاملة بشكل هائل ، واذا اتيح لنا استخدام هذه القوة الهائلة لاصبحنا قوة عالمية عظيمة يعترف بها العالم أجمع .

ومن الناحية الاستراتيجية فاننا نجد أن العالم الاسلامي يحتوى على مناطق استراتيجية هامة تبدأ من الغرب فى أبواب البحر الابيض المتوسط ، وبذلك نجد أن هذا البحر يعتبر بحرا اسلاميا بنسبة تقرب من ٦٠٪ ، فشماله مضيق الدردنيل لنا ، وقناة السويس لنا ، كذلك البحر الاحمر ، وبعد ذلك من يستطيع أن ينكر أيضا أهمية عدن ــ واستقلالها ليس ببعيد ــ فاذا ما تحركنا شرقا نجد خليج البصرة وهو أيضا بحيرة اسلامية وفى جنوب شرقي آسيا فى ماليزيا هناك جزيرة سنغافورة التى هى لنا ، وعلى مسافة قريبة منها نجد الجزر الاندونيسية الواقعة على أبواب الغرب فى الشرق .

(الايمان ــ المغرب)

اعدائه ، ان صلاح الدين كان ماسونيا على حد زعمه .. ولقد جهل (تلميذ المستشرقين) او تجاهل ان المسلمين في فتوحاتهم كانوا ارحم الناس واعدلهم مع جميع الشعوب . وان صلاح الدين لم يكن بحاجة — وقد كفاه الله بالاسلام — الى الماسونية واخلاقها .. وحسبه مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خصومه واعدائه شاهدا على السماحة والرحمة والعدل ..

الدرجات الماسونية وكلماتها العبرية :

صنفت الماسونية عضويتها الى ثلاثة وثلاثين درجة .. جعلت لكل درجة شروطا واطلقت عليها اسما . وكتبت درجات الماسونية كلها باللغة العبرية واليك ما جاء فيها :

الدرجة الاولى : وتسمى درجة التاميذ وفى العبرية (بوعز) .

الدرجة الثانية : المعاون وفى العبرية (يافين) .

الدرجة الثالثة : الاستاذ وفى العبرية (موابيون — وتوبال قايين) .

الدرجة الرابعة : الاستاذ السرى وفى العبرية (درابزين) .

الدرجة الخامسة : الاستاذ الكامل وفى العبرية (يهوفاه) .

الدرجة السادسة : الاستاذ الطفيلى وفى العبرية (زربال) .

الدرجة السابعة : القاضى وفى العبرية (نينو — حزقيال — حيرام) .

الدرجة الثامنة : استاذ اسرائيل وفى العبرية (حوريم) .

الدرجة التاسعة : الاستاذ المنتخب من تسعة وفى العبرية (بيكوهال شول . نيكام) ومعناها انتقام ..

الدرجة العاشرة : مختار الخمسة عشر الشهير وفى العبرية (اليكام) .

الدرجة الحادية عشرة : الفارس المختار وفى العبرية (استولكين) .

الدرجة الثانية عشرة : الاستاذ الاعظم البنّاء وفى العبرية (دوريكى — توسكانى — ايونيكى) .

الدرجة الثالثة عشرة : فارس العقد الملوكى وفى العبرية (جاموجور — جاهب — يهوفاه — جابولون) وبهذه الدرجة يمثلون مجلس الملك سليمان .

الدرجة الرابعة عشرة : الاسكوتلاندى الاعظم وفى العبرية (سليمان — حيرام) .

الدرجة الخامسة عشرة : فارس الشرق وفى العبرية (عزريا ، يهوذا) .

الدرجة السادسة عشرة : امير اورشليم وفى العبرية (اسريم — ادار — شلاس اسريم) وفيها ذكرى تقديم الشكر لله على تجديد بناء الهيكل ، وهذه الذكرى اقامها اليهود يوم ذاك .

وهكذا تتابع الدرجات الماسونية باللغة العبرية حتى الدرجة الثلاثة والثلاثين الخاصة بالحاكم المفتش الاعظم العمومى مما يثبت هويتها (اليهودية) . والملاحظ ان الدرجات جميعا لا تمثل الا ما يرمى الى هيكل سليمان ، وايقاظ الافكار وتوجيه المشاعر لاحيائه وبنائه وبالتالى اقامة المملكة اليهودية ..

فاليهود نظرا لضعفهم وقلتهم فى البسيطة عمدوا الى طريقة تساعدهم على تحقيق رغباتهم عن طريق (الاخوة الماسونية) وربط الناس بأقسام وايمان غموس على مساعدة بعضهم تحت ستار التكاتف البشرى والتعاضد الاخوى المزيف ..

فالامة الاسلامية وهى تواجه فى حاضرها معركة مصير مع اسرائيل ووراءها اليهودية العالمية والاستعمار ينبغى ان تطهر مجتمعاتها وصفوفها من كل هذه الحركات والاتجاهات الغريبة والمريبة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ..

الفتاوي

السن الذهبية

السؤال : ــ

ما حكم الشريعة الاسلامية فى السن الذهبية والعين الزجاجية ؟

الجواب : ــ

يحرم على الرجال التحلى بالذهب والفضة ، ويحل للنساء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : احل الذهب والحرير لاناث أمتي،وحرم على ذكورها . واستثنى الفقهاء من تحريم الذهب على الرجل اتخاذ أنف من ذهب للمجدوع واتخاذ سن لمن ذهبت سنه . اما الانف فلما روى ان عرفجة بن أسعد قطع انفه يوم الكلاب ، فاتخذ انفا من ورق ، فأنتن عليه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ انفا من ذهب ــ رواه الترمذى وحسنه وابن حيان وصححه .

واما السن فقياسا على الأنف ، والحكمة فى الاباحة ان الذهب لا يصدأ . وقد شد عثمان رضي الله عنه وغيره اسنانهم بالذهب ولم ينكره احد .

واما بالنسبة للعين الزجاجية فلا نرى فى الشريعة الاسلامية ما يمنع من وضعها والاصل فى الاشياء الحل حتى يرد نص بالتحريم .

حديث الذباب

السؤال : ــ

روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا وقع الذباب فى شراب احدكم او طعامه فليغمسه ، ثم لينزعه فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر شفاء . ما مبلغ هذا الحديث من الصحة والضعف ؟ .

الجواب : ــ

هذا الحديث ورد فى صحيح البخارى بهذه الرواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . اذا وقع الذباب فى اناء احدكم فليغمسه كله ، ثم ليطرحه ، فان فى احد جناحيه شفاء وفى الآخر داء .

وكذلك رواه ابن ماجه وابو داود وابن حبان ، ورواه احمد والنسائي والحاكم عن أبى سعيد بلفظ آخر . فليس هذا الحديث ضعيفا ، ولكن اذا كان فى نفس السائل شيء مبعثه ما يوهم مخالفة هذا الحديث لظاهر العلم وأصول الطب فأحب أن أطمئن السيد السائل بأن العلم الحديث لا يزال خاضعا للاحتمالات والتجارب ، ولا داعى للشك فى احاديث صحيحة وردت من عدة طرق ما دام العلم لم يصل بعد الى نهايته .. ولا يزال ..

ذبيحة الكتابي

السؤال : ــ

أنا موظف مسلم ، أعمل فى قرية مسلمة ، فيها بعض المسيحيين . هل يجوز لي أن آكل من طعامهم وخاصة أن قسما من ذبائحهم يقوم المسيحيون بذبحها على طريقتهم الخاصة ؟ .

الجواب : ـ

ذهب جمهور الأئمة الى أن ذبيحةالكتابي حلال لقول اللهتعالى « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم » وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى وطعامهم أى ذبائحهم كما يقول المفسرون وهذا الحكم بالحل على شرط الا يذكر الكتابي عند الذبح غير اسم الله تعالى ، فان ذكر اسما آخر كاسم المسيح أو الصليب مثلا حرمت ذبيحته لقول الله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » وهذا الأمر مبني على العلم فاذا لم نعلم حلت ذبيحته . ففي صحيح البخارى عن الزهرى قال لابأس بذبيحة نصارى العرب وان سمعته يسمى غير الله فلا تأكل ، وان لم تسمعه فقد أحله الله لهم وعلم كفرهم .

ماء (الكنديشن)

السؤال : ـ

هل يجوز الوضوء من ماء (الكونديشن) ؟

الاجابة : ـ

الماء الذى يتساقط من المكيف طاهر مطهر ، فيجوز الوضوء والاغتسال منه وهو يرفع الحدث الأصغر والاكبر ويزيل الخبث ، ولا بأس فى استعماله وان كان قد تغير لونه لطول المكث فى مقره واستدل العلماء على صحة التطهر به مع تغيره بما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ بماء أسن (أى متغير) .

لا يحرم .. ولكن

السؤال : ـ

رجل رضع من زوجته فهل تحرم عليه .

الاجابه : ـ

هذا العمل تأباه الطباع السليمة ، وتنفر منه الأذواق السليمة ، ولا يليق بالرجل أن تنسيه المتعة الحلال هيبته ووقاره ، وفى الاعتدال فى كل شىء غناء أى غناء . وجمهور الصحابة والتابعين والفقهاء على أن رضاع الكبير لا يحرم ولا يترتب عليه أى أثر من آثار الرضاع قال تعالى « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » وعن ابن عباس رضي الله عنه « لا يحرم من الرضاع الا ما كان فى الحولين » وعن أم سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام » .

الغسالة والثلاجة

السؤال :

هل تجب الزكاةفى أثاث البيت وادواته كالغسالة والثلاجة .

الاجابة : ـ

كل ما يستعمله الانسان فى منزله من أثاث وأوان وأدوات كالغسالة والثلاجة والراديو والتلفزيون والمسجل وغيرها لازكاة فيها مادام الانسان يقتنيهاللانتفاع بها أما اذا كان يقتنيها للتجارة فحكمها حكم عروض التجارة



زواج المسلمة بالشيوعي

وصلتنا رسائل كثيرةتسأل عن حقيقة ما نشر بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٦٥/٩/٩ من أن لجنة الفتوى بالأزهر أصدرت فتوى ببطلان زواج المسلمة بالشيوعي الذى ينكر وجود الله ، ثم ما نشرته جريدة الجمهورية القاهرية بتاريخ ١٩٦٥/٩/١١ من أن مكتب فضيلة شيخ الجامع الأزهر أصدر بيانا ينفىفيه صدور مثل هذه الفتوى عناللجنة . ويزيد أصحاب هذه الرسائل فيسألوننا رأينا فى هذا الموضوع .. أعنى حكم زواج المسلمة من شيوعى وبالعكس ..

ونحن نجيب السائلين عن الجزء الاول من سؤالهم بما وقفنا عليه من ملابسات حول ما نشر فى الصحف .

فنقول لهم ان لجنة الفتوى حقيقة لم تصدر رأيا فى هذا الموضوع ، ولكن مجلة « نور الاسلام » التى يصدرها قسم الوعظ فى الأزهر هى التى أصدرت هذه الفتوى بعددها الصادر فى ربيع الآخر ١٣٨٥هـ فذكرتها الأهرام ملخصة على أنها فتوى صادرة من اللجنة . ونشرتها فى صفحتها الأولى . وكان لها آثارها ودويها ..

ومن هنا نعلم أن بيان شيخ الجامع الأزهر بأن اللجنة لم تصدر هذه الفتوى صحيح . ولكن كان اقتصار البيان على تكذيب صدور الفتوى من اللجنة دون التعرض للموضوع سببا فى اثارة عاصفة من التساؤل فى كل مكان ، ما رأى شيخ الجامع الأزهر فى الموضوع ذاته ؟ .. ولو أن البيان ذكر أن هذه الفتوى صحيحة وان كانت لم تصدر حقيقة عن اللجنة لانفضحت الحقيقة واستقرت النفوس .. ولما تلقينا هذا السيل الجارف من التعليقات والاسئلة ..

وهناك جانب من الحقيقة يكمل الصورة لم يعرفه القراء لان الصحف اليومية لم تتعرض له .. وأحب أن اذكره هنا ليطمئن المؤمنون ، وليعرف الذين يصاهرون الشيوعيين رأى الدين فى هذه المصاهرة ويحددوا موقفهم على ضوئه ان كانوا حريصين على سلامة دينهم ، وطهارة مصاهرتهم ..

فقد أصدر فضيلة شيخ الجامع الأزهر بعد ذلك بيانا فى هذا الموضوع فى الخامس والعشرين منشهر أغسطس ١٩٦٥ من حسن الحظ أنه جاءنا فى بريد المجلة كما جاءتنا مجلة « الاعتصام » التى تصدرها الجمعية الشرعية فى القاهرة عدد جمادى الأولى ١٣٨٥ هـ وفيها نفس هذا البيان . -

بسم الله الرحمن الرحيم

نشرت احدى الصحف اليومية منذ بضعة أيام ان لجنة الفتوى بالأزهر أصدرت فتوى ببطلان زواج المسلمة بالشيوعى ، وبالتحرى تبين أن لجنة الفتوى بالأزهر لم يطلب منها فتوى فى هذا الموضوع ، وبالتالى لم تصدر فتوى منها فى ذلك ، فأرسل مكتبنا تكذيبا لهذه النسبة دون تعرض للموضوع .. وقد طلب منا فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد المدرس بالأزهر أن نعرف الناس حكم الاسلام فى هذا الزواج منعا للبلبلة ، وأداء للواجب الذى أوجبه الله على علماء الاسلام .

وواضح أن المسلم الذى يعامل بأحكام الاسلام ، ويحل له الزواج بالمسلمة هو المسلم الذى يؤمن بالله **وحده ، ويؤمن برسله ، ويؤمن باليوم الآخر ، ولا ينكر شيئا مما علم من الدين بالضرورة . والا عد مرتدا ، وعومل معاملة المرتدين ، فيحرم عليه الزواج بالمسلمة ، ويبطل زواجه ان كان متزوجا بها » ا هـ**

ونحن نقول ان المعلوم عن مبادىء الشيوعية انها تنكر الأديان جملةوتفصيلا ولا تعترف بوجود الله ..

وتقول عنه سبحانه انهمحض خرافة. ولمؤسسى الشيوعية وزعمائها أقوال معروفة مدونة في كتبهم وخطبهم ضد الأديان .

. . والذين يعتنقون الشيوعية الآن ويعملون لها يجاهرون بآرائهم في انكار الله ، ويجتهدون في محاربة الأديان وزعزعتها في نفوس معتنقيها . فالمسلم الذى يعتنق مبادىء الشيوعية يعتبر مرتدا عن دينه ، وان سمي بمحمد أو أحمد في شهادة الميلاد ، أو بين الناس فلا عبرة بالأسماء في هذا الحالة .

واذا كان الاسلام لم يجز زواج المسلمة بمشرك ، أو كتابي يعترف بوجود الله ، فمن البديهي أنه لا يجيز زواجها بملحد يحارب الأديان وينكر وجود الله .

بقيت بعد ذلك نقطة أثارها أمامي أستاذ كبير حينما كنا نتحدث في هذا الموضوع .. ولا بد أنها في ذهن كثير من القراء . فقد تساءل الاستاذ عن حكم الاسلامفى الزيجات التي يعقدها المسلمون الذين يعيشون فى البلادالشيوعية.. ونحن نرد على تساؤله ونقول . ان المسلم الذى ظل - برغم الضغط عليه - محتفظا بعقيدته في ظل الحكم الشيوعي ، يجوز له أن يتزوج بمسلمة محتفظة بعقيدتها كذلك . .

أماالذى جرفته المبادىء الشيوعية من هؤلاء وأصبحت عقيدة له فلا يصح أن يتزوج بمسلمة محتفظة بدينها .

. . وكذلك الحال بالنسبة للمرأة الشيوعية لا يجوز التزوج منها لأن الاسلام لا يجتمع مع الشيوعية في قلب انسان . فاما هو أو هي . .

وعلى الأسر المسلمة في كل مكان أن تتنبه لهذا ، فان كثيرا من الشبان المنتسبين لأسر مسلمة يتقدمون اليها للمصاهرة ، باعتبار أنهم مسلمون ، وهم شيوعيون ينكرون الله وكتابه ، ويهزءون برسوله . .

وأنا أعرف والدا مسلما غيورا اكتشفت بنته - وهيطبيبة - أن زوجها الطبيب شيوعي ،يهزأ بالقرآن وبالرسول ويها جمها في عقيدتها ، ويسخر من تعبدها . فسارعت بالانفصال عنه - وكانا في شهر العسل -حفاظا على دينها وعقيدتها . .

فليحرص الشباب المسلم والشابات المسلمات والآباء الغيورون على ان يكونوا البيوت ويقيموها على تقوى من الله ورضوان . .

والله سبحانه يناديهم « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً .. » ..

حفظ الله علينا ديننا ووقانا عذاب النار .

من علامات الساعة

قرأت في بعض كتب الحديث أن دابة تخرج فى آخر الزمان تحدث الناس وتكلمهم وأن طولها ستون ذراعا بذراع آدم ، وأن لها وجه انسان ورأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ، وأنه لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، وأنها تحمل عصا موسى وخاتم سليمان ، فما مبلغ ذلك من الصحة ، واذا كانهذا سيحدث فبأى لغة تخاطب الدابة الناس.

(آدم الطاهر من الملكال بالسودان)

الخبر عن هذه الدابة ورد في القرآن الكريم قال تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) سورة النمل (٨٢) ففي هذه الآية اخبار عن خروج دابة تكلم الناس حينما يأتي أمر الله كمقدمة من مقدمات الساعة ،وحينما لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا .

ولا ينبغي أن يبحث عما وراء ذلك من الغرائب التي قيلت في وصف هذه الدابة فذلك لم يصح منه شيء . وخروج هذه الدابة غيب من الغيوب ، فيجب علينا الوقوف عند ما أخبر به القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ولم يأت فيهما سوى أن دابة سوف تخرج في آخر الزمان وتكلم الناس وذلك من أمارات الساعة . روى مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى » .

مضى على زواجنا أكثر من عشرين سنة كنت لزوجي فيها الزوجــة والأم والأخت والبنت ، كنت له كل شيء فى دنياه ، وكان لي الزوج والأب والأخ والابن ، كان لي كل شيء في دنياى ، انتقلت معه الى بلاد متباعدة وأجواء مختلفة سعيا وراء لقمة العيش ، فلم يشعر بغربة ، ولم أحس بوحشة ، على الرغم من مفارقة الأهل والوطن ، لم نختلف في هذه الفترة الطويلة اختلافا ينسف البنيان ويزلزل القاعدة ، وانما كانت خلافات عارضة لا تلبث أن تزول عند البسمة الهادئة ، أو الكلمة اللينة ، وكل ما كان يشوب سعادتنا أننا لم ننجب ، وقد بذلنا جهدنا في التردد على الأطباء لازالة أسباب العقم التي تبين أنها فيه ، ولكننا لم ننجح وأخيرا رضينا بقضاء الله ورضخت للأمر الواقع .

ثم تغير زوجي فجأة ، فتبدلت طباعه ، وساءت معاملته ، وأصبح لا يطيق النظر الي ، ولا يصبر على البقاء في البيت الا قليلا ، وقد حاولت التعرف على أسباب هذا الانقلاب المفاجيء ففشلت ، لم يطرأ على حياتنا شيء يمكن أن أعزو اليه هذا التحول ، اللهم الا ثراء ساقه الله الينا ، فقد وسع الله عليه في تجارته ، وبسط له في نعمته . . ولكن لا يمكن أن يكون هــذا هو السبب فكل ما يملك تحت يدى ، ولم يخف عني شيئا من أسراره .

وأخيرا ومنذ أيام طلقني ، وأصر على طردى من المنزل فورا لأنني لم أصبح له زوجة ، ولا يجوز شرعا أن أبقى في بيته لحظة بعد هذا ـ هكذا يقول ويتعلل ـ ومن الانصاف له أقول انه متدين وهو من قراء مجلة الوعي الاسلامي . لهذا بادرت بارسال هذه الرسالــة اليكم لعلكم تجــدون حلا لمشكلتي تنشرونــه على صفحات مجلتكم ، مع ثقتي في أن شرع الله يأبي أن تزول هذه العلاقة الوثيقة بكلمة ، أو أن أطرد من البيت الذى لبثنا فيه أكثر من عشرين سنة بهذه البساطة ولعلكم تسرعون بالحل والنشر قبل فوات الفرصة .

ع . م

آثرنا نشر هــذه الرسالة ـ على طولها ـ لأن المشكلة التي عرضتها ليست مشكلة فردية ، بل هي مشكلة يتعرض لها كثير من الأسر المسلمة ونقلنا موضوعها من نطاق الفتوى الذى يأخذ عادة طابع الاقتصار على بيان الحكم الشرعي في لفظ موجز وعبارة محكمة ـ الى هذا الباب الذى يستهدف تناول ما يبعث به القراء من المشكلات الاجتماعية وغيرها ـ بشيء من البسط والتحليل .

يبدو يا سيدتي أن التغير الفجائي الذى طرأ على زوجك ففير من طباعه ونظرته اليك ليس مرده الى الثروة التي أنعم الله بها عليه ـ كمافهم من رسالتك ، ولا الى كراهية عميقة الجذور فى صدره حملته على التخلص منك بالطلاق والاسراع في طردك من بيتك ـ فقد وضع كل ثروته في يدك ، وأفضى اليك بجميع أسراره الى آخر لحظة قبل الطلاق فهو لا يزال ـ على الرغم مما حدث ـ يحمل لك في قرارة نفسه ودا يستعصي على السحب العارضة ، وستثبت الأيام القريبة صدق وده وعمق حبه اذا تصرفت بحكمة حتى تطيب نفسه وتهــدأ العاصفة .

ولعل السبب الحقيقي في كل ما حدث هو شعور خفي في أعماق نفسه ، وأمل قوى في الانجاب يراوده حتى تكتحل عيناه بولد ـ يرى فيه امتدادا لحياته بعد أن تقدمت به السن ـ ووارثا لثروته من بعده ، ولم يعد يصدق كلام الأطباء ، أو يستمر في النزول على رأيهم ، فهو يريد أن يجرب حظه مع زوجة جديدة لعل الأمل يتحقق ، وقد تصرف هذا التصرف معك فرارا مــن ماض طــويل بدا له أنه لا يستطيع الدخول فى هذه التجربة الجديدة الا اذا اسدل عليه ستار النسيان بالطلاق .

والزواج بأخرى في هذه الحالة حق مشروع من حقوقه التي قررها الاسلام ، وليس من حقك ولا من حق أى انسان أن يمنعه من ممارسة هذا الحق ، ولا أن يتوجه اليه بنقد ولا عتب ، لأن السبب الدافع لــه

الى الزواج سبب وجيه مقبول . وعليك أن تفاتحيه في الموضوع ، وتعرضي عليه الزواج وتساعديه لتحقيق رغبته لأن وقوفك في وجهه أنانية ليست في صالحك .

ولا يزعجنك ما حدث من طلاق ، فهذا هو اليمين الاول ـ كما يبدو من الرسالة وله مراجعتك ما دامت العدة لم تنقض ، فان انقضت عاد اليك بعقد جديد .

أما عزمه على طردك من البيت بمجرد صدور لفظ الطلاق منه ، واعتقاده بأن بقاءك فى المنزل بعد هذا محرم شرعا ـ فهو مخطىء فى هذا ، وآثم اذا أخرجك قبل انقضاء العدة ، فالله يقول فى شأن المطلقات (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) . فاذا وقع طلاق تركت المرأة فى بيتها حتى تنقضي عدتها ، ولا يجوز للزوج أن يرغم زوجته على الخروج من بيت الزوجية غصبا عليها أو كراهية لمساكنتها ، أو لحاجته الى المسكن ، فهو مسكنها ما دامت فى عدتها ، ويظل سلطانه مبسوطا عليها فى حدود حقه ، فله أن يمنعها أن تخرج من البيت اذا طلبت ذلك ، وليس لهـــا أن تخرج من غير اذنه اذا أرادت الخروج ـ الا فى بعض الاحوال التى نصت عليها الآية .

والحكمة فى ابقاء المطلقة فى بيت الزوجية مدة العدة ـ هي اتاحة الفرصة للعودة واستثارة عواطف المودة وذكريات الحياة المشتركة حيث تكون الزوجة قريبة من عين الزوج فقد تتغير الاحوال وتتبدل الى هناء ورضى ، وصدق الله العظيم لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

وانا نناشد ضمير الزوج ودينه وعقله أن يبقى على زوجه التى شاركته سراء الحياة وضراءها ، ويحفظ لها عشرتها ووفاءها ، وما دام فى سعة من الرزق تمكنه من أن يجمع بينها وبين زوجة أخرى فقد أحل الله له ذلك ، وسيجد فى زوجه الوفية عونا على تحقيق رغبته .

ردود قصيرة

* السيد محمد حسن من الفحيحيل ـ كويت

أعاد الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة زينب كبرى بناته الى زوجها أبى العاص بن الربيع بعد اسلامه ، ولم تتزوج برجل آخر .

* الاخ اسماعيل الشواف ـ الاردن

نعم هناك تناقض واضح فى المقال الذى نشرته مجلة العربى الفـراء فى عددها الحادى والثمانين تحت عنوان « مسلمات خالدات » فقد جاء فى الصفحة (٢١) وأقر أبو العاص .. ان صلة الزوجية الفعلية قد انقطعت بينه وبينها (يعنى السيدة زينب) منذ أسلمت ودخلت فى دين الله . وقد أسلمت بعد بعثة الرسول مباشرة وجاء فى الصفحة (٢٢) منه أن هبار بن الاسود الاسدى اقترب برمحه من السيدة زينب وهي فى طريقها الى المدينة ونخس البعير الذى يحملها برمحه ، فألقى بها على صخرة وكانت زينب حاملا فطرحت حملها !! . وقد سافرت السيدة زينب الى المدينة بعد غزوة بدر .

* الاستاذ ج٠ع٠م ـ الكويت

أول من أسلم من النساء السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها .

وأول من أسلم ممن هم دون البلوغ سيدنا علي كرم الله وجهه . أسلم بعد السيدة خديجة وكانت سنه يومذاك ثماني سنوات .

وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت سنه عند اسلامه ستا أو سبعا وثلاثين .

أما الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد أسلم وسنه ست وعشرون سنة وروى ابن الجوزي أنه أسلم بعد أربعين أو نيف وأربعين بين رجال ونساء قد أسلموا قبله .



الكويت

أصدرت مجلة « الامم الناهضة » التي يصدرها الدكتور حسني خليفة باللغة الانجليزية فى نيويورك عددا خاصا عن الكويت يتناول تاريخ الكويت وجغرافيتها ودستورها ونظام الحكم فيها والتعليم والصحة والعلاج والمياه والزراعة والبترول وصندوق التنمية بأقلام كبار أساتذة الجامعات والعلماء والكتاب المرموقين فى الغرب وفى الكويت .

وقد جاء هذا العدد تحفة فى الاخراج والطباعة والتبويب بالاضافة الى مادته الدسمة التي تلقي الأضواء على حاضر الكويت .

وهذا العدد الخاص عن الكويت هو العدد الأول من مجلة الأمم الناهضة ، وستخصص المجلة كل عدد من أعدادها المقبلة لدولة من الدول الصاعدة وقد كان عدد الكويت بداية هذه السلسلة .

* وصل الى الكويت بدعوة من مجلس التخطيط المهندسان المغربيان السيدان عبد القادر فارس ومصطفى بورى . وذلك لوضع تصميم خاص على الطراز الأندلسي لمسجد الدولة الكبير المقرر انشاؤه فى الكويت .

تبرعت دولة الكويت بمبلغ (٨٠) ألف دينار للجامعة الأزهرية .

القاهــرة

* بناء على رغبة الملايين من أبناء العالم الاسلامي قررت اذاعة محطة القرآن الكريم بالجمهورية العربية المتحدة تقديم « التفسير المقروء » وذلك بعد نجاح اذاعــة المصحف المرتل . وقد تكونت لجنة خاصة لمراجعة تفاسير القرآن الكريم واختيار الصالح منها لاذاعتــه .

وقد سجل كل من المشايخ مصطفى اسماعيل وعبد الباسط عبد الصمد ومحمد المنشاوى القرآن الكريم بقراءة حفص بطريقة التوسط وسبق أن سجل الشيخ محمود خليل الحصرى قراءة حفص بطريقة القصر وبقراءة ورش .

جامعة الأزهر

* انتهت جامعة الأزهر من تطوير برامج الدراسة بكلية القانون والشريعــة بالجامعة وستكون مدة الدراسة فى الكلية خمس سنوات وتتضمن مقررات فى الشريعة الاسلامية لا تقل فى مستواها عن المستوى الجامعي فى كلية الشريعة ومقررات فى القانون لا تقل فى مستواها عن مستوى كليات الحقوق فى الجامعات .

وتمنح جامعة الأزهر خريجي كلية القانون والشريعة درجة الاجازة العالية فى القانون والشريعة ويكون لحاملي هذه الدرجة كافة الحقوق المقررة لحاملي درجــة الليسانس فى الحقوق من كليات الحقوق فضلا عن الحقوق المقررة لحاملي درجــة الاجازة العالية فى الشريعة .

* تقرر انشاء معهد جديد للغات الأجنبية لتخريج علماء ازهريين لتدريس هذه اللغات بالأزهر والمدارس المحلية ومعاهد البلاد الاسلامية والافريقية والآسيوية ، للاستغناء بهم عن استعارة مدرسين لها من الدول الاستعمارية .

الجزائر

تكونت فى الجزائر هيئة عليا تتولى العمل على المحافظة على القيم الاسلامية ويرجع اليها فى كل ما يتعلق بالدين والسلوك الاجتماعي والعادات والتقاليد . وتقرر أن يرأس هذه الهيئة السيد صديق سعداوى .

وأذاعت وزارة الأوقاف الجزائرية بيانا بهذا الصدد قالت فيه : ان الهيئة تألفت من أجل المحافظة على التراث الروحي الاسلامي . حتى تسير الأمة الجزائرية فى طليعة الأمم الاسلامية المتقدمة والمتطلعة الى مستقبل عظيم .

الاتحاد السوفيتي

(وهذا الخبر للعالم الاسلامى لامنه طبعا)

قدم اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي مشروعا كاملا لادخال اصلاحات جذرية على النظام الاقتصادى السوفيتي . ويعد هذا المشروع من أكبر التغييرات الاقتصادية فى الاتحاد السوفيتي منذ قيام الثورة الشيوعية قبل ٤٧ عاما .

ويقضي البرنامج السوفيتي الجديد بأن تعمل المصانع لا على أساس حصص الانتاج وانما على أساس الربح وتحسين ظروف المعيشة وتخصيص جزء من ارباح المصنع لتحسين الوسائل الفنية للانتاج . وهذه عودة لقيمة الحافز الفردى فى رفع مستوى الانتاج بعد أن أنكرته التعاليم الماركسية ولكن بعد حين !!

الوعى (ومكلف الايام ضد طباعها)

بيروت

تسعى دولة العصابات الصهيونية لاقناع المسئولين فى الاتحاد السوفيتي وبعض الدول الشيوعية بفتح باب الهجرة أمام نصف مليون يهودى من مليونين ونصف يقيمون فى الدول الشيوعية .

*** يقوم فى لبنان الآن نشاط يضم الشيوعيين والحركيين فى جبهة واحدة وقد عقد مهرجان لهذه الجبهة الموحدة من أجل الدعوة لمبادئها !!**

جدة

أقامت لجنة نصرة الباكستان بجدة مهرجانا شعبيا كبيرا فى فندق بلاس شهده جمهور كبير من أبناء الشعب العربي السعودى ، وجمع فى هذا الحفل مبلغ كبير لمناصرة باكستان .

أندونيسيا

*** اتحدت الهيئات الدينية فى أندونيسيا مسلمة ومسيحية ضد نشاط الشيوعيين وعقدت اجتماعات ضمت نحو خمسة الآف عضو . وطالبت سوكارنو بحظر نشاط الحزب الشيوعي .. وقامت مظاهرات حطمت بعض مراكزه هناك ...**



تلقينا بعض الكتب التى تفضل الاساتذة المؤلفون باهدائها للمجلة مشكورين وسنعمل على ارشاد القراء الى ما يصلنا تباعا تحت هذا الباب

((الوعي))

بطل الأبطال

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام ، والكتاب مطبوع على نفقة رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة، وأهدى نسخة منه الى المجلة السيد محمد بن علي من الدمام بالمملكة العربية السعودية ، والكتاب يقع فى ١١٨ صفحة وهو يتحدث عن أبرز صفات النبي صلى الله عليه وسلم .

اسرائيل جناية وخيانة

للدكتور سعيد بسيسو ، صدرت طبعته الثانية فى اغسطس ٩٦٥ وأهداه مؤلفه الى أرواح الشهداء الأبرار ..

ويقع الكتاب فى ١٩٢ صفحة ويباع بمبلغ ٢٥٠ قرشا سوريا . ويشتمل الكتاب على أدوار الحركة الصهيونية ، وسياسة تهويد فلسطين ، ثم نضال عرب فلسطين واستعدادهم لمعركة الحياة أو الموت .

الرحمن الرحيم

بهذا العنوان أصدر الأستاذ عبد الرزاق نوفل كتابه الجديد . ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية ، وهو يحتوي على ١٩٢ صفحة ويباع بمبلغ ٢٠ قرشا .. وهذا الكتاب مقدم الى بني الانسان جميعا ، ويوضح بعض آثار رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده فى الدنيا والآخرة .

الحكومة الوطنية ومشكلة الشمال

هذا الكتاب من منشورات دار الجمهورية للطباعة والنشر ببغداد ، طبع فى عام ٩٦٥ وثمنه ١٠٠ فلس وعدد صفحاته ١٣٢ صفحة . والكتاب مزود بالصور الفوتوغرافية والاحصائيات البيانية والخرائط التوضيحية لمشكلة الأكراد فى شمال العراق .

((غارة الاستعمار والتبشير))
((على العالمين العربي والاسلامي))

قصة تمثيلية بقلم الأستاذ محمود مهدي استانبولي طبع مطبعة الترقى بدمشق وثمنها ٥٠ قرشا سوريا وتقع فى ٥٦ صفحة .. وموضوع القصة يدور حول السموم الفتاكة التي تختفي وراء المشروعات الأجنبية والمدارس التبشيرية .

((اللب فى الاسلام والطب))

للدكتور شوكت الشطي من مطبوعات جامعة دمشق ويقع فى ٣٥٥ صفحة من الورق المصقول وهو بحث ممتع فى الصحة والاسلام والطب النبوي والمرضات فى صدر الاسلام وتاريخ العلوم الطبية عند العرب وأشهر اطباء العرب والاسلام .

((مع الشعر والشعراء))

وفى دنيا الشعر وصل الى ادارة المجلة ديوانان الأول ديوان الشيخ محسن الخضري وهو يقع فى ١٩٨ صفحة حاويا الكثير من فنون الشعر المختلفة كالغزل والمراثي والنوادر والفكاهات والمراسلات الشعرية . والديوان الثانى للاستاذ سليمان هادي الطعمه بعنوان « الأشواق الحائرة » طبع مطبعة المعارف ببغداد ويقع فى ٨٨ صفحة وتمتاز قصائد الديوان بالعاطفة الدافقة والصدق فى القول والوطنية العربية الأصيلة .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة فى البريد رأينـا عدم قبـول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين : ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الوهيب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضى ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب (٧٦) السعودية

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢)

السودان : ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ ص‌ب (١٩٥٦) .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

الكويت ـ شركة منار للتوزيع





السنة الاولى * العدد الثامن * شعبان ١٣٨٥ هـ ـ ديسمبر ١٩٦٥ م ..



قصة العــدد

عدالة السماء

اقرأ في هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن السنة الاولى

شعبان سنة ١٣٨٥ هـ

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

المشرف العام

عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير

عبد المنعم النمر

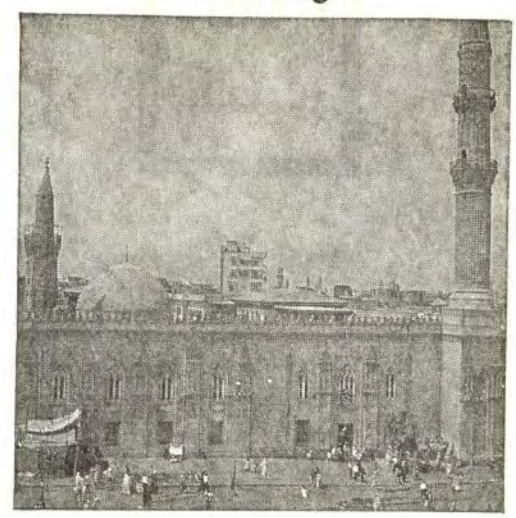
مدير التحرير

على عبد المنعم

سكرتير التحرير

رضوان البيلى

صورة الغلاف



مسجد الامام الحسين رضى الله عنه
بالقاهـرة

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العـراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
المغـرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون
الاسلامية الكويت ص.ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧



تفضل حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الرابع لمجلس الامة صباح الثلاثاء ٢ من رجب سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ١٩٦٥/١٠/٢٦ وألقى سموه الكلمة التالية .

أبنائي أعضاء مجلس الأمة .
أحييكم وأبارك لكم
وباسمه تعالى -جل شأنه- أفتتح دور الانعقاد
العادي الرابع للمجلس متمنياً لكم كأعضاء في
الأسرة الواحدة دوام التوفيق في أعمالكم بالتعاون
الوثيق المثمر بينكم وبين الحكومة في خدمة كويتنا العزيزة
والأمة العربية جمعاء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم



أخي القارئ

البلاد الاسلامية ذات المجد والحضارة ، والعقيدة والتقاليد ، تتعرض منذ زمن لغزو فكرى سام ، يسلط عليها كل قذائفه ووسائله ، ليفرغ نفوس ابنائها من ايمانها بربها ، ووطنها وتاريخها وامجادها ، ويشحنها بالولاء والتبعية لغير دينها ووطنها ..

هذا اخطر غزو تعرضت له بلادنا فى تاريخها . فقد تعرضت فى تاريخها الطويل للكثير من الغزوات الفكرية والمسلحة ، ومع ذلك لم تستطع ان تفقدها شخصيتها ، او تجردها من دينها ، بل ظلت على اعتزازها بنفسها وولائها لعقيدتها .. واذا كانت هذه الغزوات قد تركت لها آثارا فى حياتنا وفى افكارنا .. فان الايمان ـ الذى لا يزال يغمر النفوس ـ يطارد هذه الآثار ، ويعمل على تخليص مجتمعنا منها ..

اما الغزو الفكرى السام فانه لا يترك فى نفوس المسلمين شيئا من الحنين للدين او المبادىء والنظم التى جاء بها ، او التراث العظيم الذى ورثنا اياه ، او المثل العليا التى عشنا بها ولها ..

انه يهدر الالوهية ويعتبر وجود الله خرافة .. ويحارب الاديان ، ويعدها مخدرا معطلا للتقدم البشرى ، ويشدد حملته على الاسلام بخاصة ، لانه دين له شخصيته المستقلة ، ومبادئه الرشيدة فى تنظيم الحياة ، ورفع مستواها ، وله تاريخ مجيد ، وتجربة ناجحة فى تكوين المجتمعات السعيدة ..

فالمصير الرهيب الذى ينتظرنا من نجاح هذا الغزو ـ لا قدر الله ـ هو تجريدنا من ايماننا بالله ، وتحويل قبلتنا من مكة الى مدن غيرها ، وتغيير ولائنا لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ماركس اليهودى الاصل وخلفائه ، وانتزاع تقديسنا للقرآن كلام الله ، ودستوره الخالد .. لنقدس كتاب « رأس المال » لماركس ونتخذه دستورا ...

لا اقول هذا الكلام من باب التهويل ، ولكنه الحقيقة التى تنطق بها كتبهم وصحافتهم ، ويدعمها الواقع الملموس فى حياتهم وتصرفاتهم .

ولا اريد ان انقل للقارىء هنا نصوصا من كلام ماركس وزملائه ضد الدين ، ولكنى اذكر فقط ما نقلته جريدة « الاخبار » القاهرية فى ٦٤/٣/٣ عن الجريدة الناطقة بلسان الحزب الشيوعى ، حيث تقول : « اعترفت صحيفة « برفدا » بان قسما من الشعب الروسى لا يزال متمسكا بالدين ، وطالبت بضرورة زيادة الدعاية اللازمة لوقف الايمان بالله » .

ونعرف من تجاربنا واتصالنا بالاشخاص الذين وقعوا فريسة لهذا الغزو ، انهم تجردوا تماما من ايمانهم ، ومن ولائهم لاوطانهم ، رأينا ذلك فى تاييد الشيوعيين فى العالم العربى لتقسيم فلسطين ، برغم اجماع العرب على معارضة التقسيم حينذاك ، لان مبعث وحيهم كان يؤيد القرار ! ! وفى معارضة الشيوعيين الانجليز لميثاق الاطلنطى . لان مبعث وحيهم كان يعارضه مع ان مصلحة انجلترا كانت تقتضيه ! ! ثم ما نراه فى كتابة هؤلاء الطافحة بعدائهم للدين واستهتارهم به ، وبث سمومهم لهدمه والتخلص منه ..

كل ذلك ــ وهو قليل ــ يعطى العربى المسلم فكرة عن خطر هذا الغزو الفكرى على كيانه ووجوده .

ان الشيوعية فكرة تفرض على كل معتنق لها ان ينسى دينه ووطنه فى سبيلها ، وهى لا تسمح لاى نظام آخر ان يعيش معها .. والشيوعيون فى اى مكان كعرائس المسرح ، تجذبهم وترخيهم خيوط ممتدة من بعيد خارج اوطانهم .. يعملون بكل الوسائل على الوثوب الى كراسى الحكم لينفذوا مخططهم .. وهم حين **يهادنون انما يمكرون ويتربصون ، ليضربوا ضربتهم فى الوقت المناسب .**

ان على كل بلد مسلم ــ ولا سيما البلاد العربية ، قلب العالم الاسلامي ، ومناط رجائه ــ ان يأخذ حذره ، ويعتبر بما حدثفى الماضى ، ويحدث فى الحاضر ..

ولا يكفى فى اخذ الحذر والحيطة ، ان تسن القوانين ضد هذا الغزو .. فذلك اسلوب لم يعد يجدى فى صد التيار الفكرى ، الذى يعتبر رأس حربة لهذا الغزو ..

ان الجيل الحاضر من المسلمين ، ولا سيما من يملكون التوجيه والعمل ــ تقع عليه مسئولية كبرى لحفظ دين هذه الامة ، وتاريخها وامجادها ، بل كيانها وشخصيتها ، وصيانة مستقبلها ، وعليه ان يواجه هذه المسئولية بشجاعة وايمان ..

ان الحصون التى تستطيع الصمود لهذا الغزو ، انما تستمد قوتها ومناعتها من احياء روح الايمان بالله فى النفوس ، ومن الاقبال على تنظيم مجتمعاتنا على ضوء تعاليم الاسلام .. لا يكفينا مجرد الكلام فى الكتب أو فى المحاضرات والخطب .. بل لا بد من عمل .. لا بد من تخطيط أسلامي للحياة يجد طريقه الى التنفيذ ..

ان هذا الغزو يتخذ من اطلاق كلمة المساواة ، وعدم ظلم طبقة لطبقة ، وغير ذلك من الكلمات البراقة ، مادة يجذب بها نفوس الساخطين ويوقعهم فى اخطبوطه .

وليس هناك نظام يوفر المساواة الحقة العادلة والحرية البناءة المشرفة كنظام الاسلام .. ولكن اين هو فى قوانيننا ؟؟ أين هو فى برامجنا ؟ أين هو فى واقع حياتنا ؟!

اننا بتراخينا ، وعدم مسارعتنا الى تطبيق النظام الاسلامى فى مجتمعاتنا ، انما نشارك فى ايجاد الفراغ الذى يملؤه هؤلاء بغازاتهم الخانقة !

وعبرتنا الماثلة الآن ما تعانيه بعض الدول الاسلامية من هؤلاء .

انهم ينشطون ويحاربون الدين فى كل اتجاه وبكل الاساليب .. يحاربونه حتى بالقصة .. بالقصيدة .. بالمقالة .. بالرسم .. يدسون سمومهم فى كل هذا .. ويتخذون من الظلم الاجتماعى فى اى مجتمع من المجتمعات سلاحا يهاجمونه به ، وينفذون بواسطته الى النفوس .. والدين برىء من اى ظلم اجتماعى . فالى متى نترك لهم الميدان ، ونتيح لهم الفرص ، ونمكنهم من تشديد قبضتهم . وتسديد ضرباتهم ..

يا قوم .. حصنوا النفوس بالايمان ، وحصنوا الايمان بالعمل ، تحفظوا دينكم ، وتصونوا تاريخكم ، وترفعوا على دعامتهما حاضركم ومستقبلكم .. والله معكم ، ،

رئيس التحرير



قد نرى تقلب وجهك فى السماءفلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتمفولوا وجوهكم شطره .
١٤٤ سورة البقرة

هذا بحث نقدمه بين يدى القراء عما قيل بمناسبة ليلة النصف من شعبان ، متضمنا تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، وحكمة التوجه الى بيت المقدس ، ثم العدول عنه ، ومدة التوجه الى بيت المقدس ، والتعرض لما أثير حول ذلك .

ان ربط هذا البحث الجليل بليلة النصف من شعبان أشبه بربط المزادة برحل المسافر بخيط من العنكبوت ، وهو أوهى الخيوط ، وذلك ان محققي العلماء أثبتوا أنه ليس لليلة النصف هذه من مزية خاصة تلحقها بليلة القدر مثلا ، أو بالعشر الأوائل من ذى الحجة ، وهي التي أقسم الله سبحانه بها فى أول سورة الفجر ، ووردت الأحاديث الصحيحة فيها وفيما يماثلها باثبات فضلها على غيرها ، وأن للعمل الصالح فيها أجرا خاصا . قال ابن القيم فى « زاد المعاد » جزء أول : (من خص بعض الأمكنة أو الأزمنة من عند نفسه بعبادات كان مبتدعا كما ابتدع أهل الكتاب قبله .

ولما كان لا يثبت فضل لمكان على مكان ، ولا لزمان على زمان الا من قبل الله سبحانه ، لأنه تشريع ، والتشريع مختص بالله وحده ، كان فعل ذلك ابتداعا فى الدين ، ولذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه احتفل بليلة الاسراء ، ولا طلب من المسلمين تخصيصها بعبادة ، بخلاف ليلة القدر فانه رغب فى قيامها ، وجعل لهذا أجرا خاصا ، وذلك أن الله سبحانه هو الذى شرع له ذلك ، ففعل ، وبلغ ، وكذلك لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه جعل للعمل بغار حراء الذى نزل عليه فيه القرآن لم يجعل له مزية على غيره من الأمكنة ، ولا قصده هو ولا أحد من أصحابه للزيارة مدة مقامه بمكة ولا بعدها ، مع أنه المكان الذى نزل عليه فيه أثمن هدية منحها الله سبحانه خلقه .

فاذن متى حدثت بدعة ليلة نصف شعبان ؟

يحدثنا أبو اسحاق الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ م فى كتابه « الاعتصام » عن المقدسي فيقول « قال المقدسي : لم يكن عندنا ببيت المقدس صلاة فى ليلة

لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

النصف من شعبان ، وأول حدوثها عندنا كان فى سنة ٤٤٨ هـ . حين قدم علينا رجل يعرف بابن الحمراء ، وكان حسن التلاوة ، فقام فصلى بالمسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان ، فصلى خلفه رجل ، ثم انضاف اليهما ثالث ، ورابع ، فما ختم صلاته الا وهو فى جماعة كبيرة ، ثم جاء العام القادم فصلى معه خلق كثير ، وشاعت فى المسجد وانتشرت لأنها لم تجد من ينهي عنها ، ثم استمرت كأنها سنة » .

وبعد ذلك لم تعدم من يروجها ويروى فيها أحاديث تؤيدها حتى جاءوا فى ذلك بالعجائب والغرائب التي تناقض صريح القرآن الكريم . ألم يرووا فيها أدعية منها (اللهم ان كنت كتبتني عندك فى أم الكتاب شقيا . . الخ فامح شقاوتي واثبتني سعيدا . . الخ) وهذا فيه من الغلط ما يأتي :

أولا : مخالفته لصريح القرآن فى قوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وفسر السلف أم الكتاب بأنه اللوح المحفوظ ، أو علم الله ، وكلاهما لا محو فيه ولا اثبات ، وانما ذلك فى صحف الملائكة .

وثانيا : ما قرره علماء الحديث أنه اذا عارض الحديث ظاهر القرآن لا يلتفت للحديث مهما كان صحيحا ، فكيف يكون حال أحاديث ضعيفة ، أو موضوعة ، ولهذا رد أبو حيان هذا الدعاء لما بلغه . ونقل أبو شامة الشافعي عن القاضي أبى بكر بن العربي أنه قال : ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه ! ! .

وبعد كل هذا نقول : فما هي اذن المناسبة بينها وبين تحويل القبلة ؟

الواقع أنه لا مناسبة تذكر الا أن بعض علماء هذا العصر الذى نعيش فيه ممن درسوا الفرق بين السنة والبدعة ، وأشفقوا على الأمة من خطر الابتداع فى الدين ، ووجدوا أن العوام وأشباه العوام من أهل العلم يحتفلون بهذه الليلة: ظنوا أنهم اذا تلمسوا لها مناسبة مهما كانت ضعيفة فانهم ينقذون المسلمين من الابتداع فى دينهم ، فربطوها بتحويل القبلة ، وما ظنوا أنهم حتى بهذا التحايل لم يخرجوهم من دائرة الابتداع .

وبيان ذلك أن العلماء قد اختلفوا فى وقت تحويل القبلة من بيت المقدس الى البيت الحرام ، فقال بعضهم انه كان بعد مقدمه صلى اللهعليهوسلم المدينة بسبعة عشر شهرا ، ورأى آخرون أنه كان بعد ستة عشر شهرا ، وقيل كان قبل غزوة بدر ، بشهرين وذلك فى رجب ٢ هـ ، وقيل كان تحويلها يوم الثلاثاء للنصف من شعبان، وبالجملة فهذه قطرة منبحر هذا الموضوع ، وهو موضوع جدير بالتحرى والبحث ليرجع المسلمون الى نبع دينهم الصافى .

كانت القبلة الى بيت المقدس من أول لحظة فرضت فيها الصلاة بمكة (١) . وبيان ذلك أن أول ما فرض من الصلاة

(١) لم نعثر على توقيت وثيق لاتجاهه صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى ، وقد روى أن النبى كان فى مكة يتجه فى صلاته الى الكعبة ، ثم اتجه الى المسجد الاقصى عزوفا عما كان فيها من أصنام ، وتفاديا من اشتراكه فى الاتجاه اليها مع المشركين ، ولعله فعل ذلك عند هجرته من مكة لهذين السببين .

على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كان قيام الليل . فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ان الله عز وجل افترض قيام الليل بأول سورة المزمل ، فقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واستمر على ذلك حتى نزلت آية آخر السورة بالتخفيف ، رواه مسلم والامام أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي . وفهمت عائشة هذا الوجوب على المؤمنين مع الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلة منها (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك . . . الآية) .

وفهمت عائشة بثاقب نظرها أن (من) فى قوله تعالى (وطائفة من الذين معك) بيانية لا تبعيضية ، كما فى قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) آية ٣٠ من سورة الحج ، وقوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) آية ١٧٢ آل عمران ، وكل هؤلاء محسنون متقون ، وكل الأوثان رجس .

واتفق ابن عباس مع عائشة فى أنه كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أول الأمر ، قال القرطبي وهذا هو الصحيح .

كما اتفق المحققون على أن قيام الليل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مقدارا معينا من الليل ، وهو المبين أول سورة المزمل ، ثم خفف الله على الأمة فجعله تطوعا ، ومن غير تحديد زمن ، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعله كذلك من غير تحديد زمن لكنه لا زال واجبا عليه هو بخاصة ، بدليل قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك . . الخ) آية ٧٩ من سورة الاسراء .

فالأمر فى أول سورة المزمل وفى آخرها للوجوب عليه صلى الله عليه وسلم ، الا أن الواجب فى أولها كان قيام زمن معين وفى آخرها كان قيام زمن مطلقا .

وقال كثير من العلماء انه سبحانه لما رفع عن المؤمنين فرض قيام الليل ، أوجب عليهم وعلى النبي صلوات الله عليه ، صلاة ركعتين فى وقت الصبح وركعتين فى المغرب ، وأخذوا ذلك من قوله تعالى فى آخر سورة المزمل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله فى آية ٥٥ من سورة غافر (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) .

واستمر الحال على ذلك الى أن غير كل ذلك بفرض الصلوات الخمس فى ليلة الاسراء الذى كان قبل الهجرة بعام كما جزم بذلك النووى .

ويجب أن نعلم أن المؤمنين بمكة كانوا أول الأمر قلة تخاف الجهر بالايمان من بطش قريش وايذائها للمؤمنين ، ولذلك كانت صلاتهم فى داخل بيوتهم وهم متجهون الى بيت المقدس كما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يتجه اليه ، وهو فى بيته ملاحظا أن تكون الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، واذا صلى عند الكعبة أحيانا كان يفعل ذلك خشية أن يزيد قريشا نفورا منه اذا استدبرها ، لأنهم كانوا يعظمون البيت الذى بناه جدهم ابراهيم عليه السلام ، وكان قبلته فى صلاته .

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تعذر عليه الجمع بين الاتجاه الى بيت المقدس والى الكعبة فى آن واحد ، لأن الأول فى شمال المدينة والكعبة فى جنوبها ، فصار فى صلاته الى بيت المقدس يستدبر الكعبة ، ومكث صلى الله عليه وسلم على هذا الحال بالمدينة سبعة عشر شهرا ، فانتهز ذلك

المشركون والمنافقــون واليهود ، وأطلقوا بين الناس ما يظنونــه يوقــع الريبة فى قلوب المسلمين من تصرفاته صلوات الله عليه فينصرفون عن اتباعه ، فالمشركون والمنافقون قالوا انه ترك قبلته ، وقالت اليهود لو كان صــاحب ديــن جديد لما استقبل قبلتنا . فضاق صدره الشريف بما يرجفون ، فتوجه برجائه الى ربه أن يأذنه بالتوجه الى قبلة أبيه ابراهيم الذى جاء لاحياء ملته ، كما فى آخــر ســورة الحج ، وليكون ذلــك ســببا فى تمهيد الطريق لايمان قومه ، فأجاب سبحانه رجاءه وأمره بالتوجه الى الكعبة .

ذكر العلماء أن الأمر بالاتجاه الى الكعبة نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بني سلمة يصلي بالناس صلاة العصر بعد ركعتين منهــا ، فتحول الى الكعبة وتحول من خلفه وأتم بهم الصلاة ، ولم يقطعها ، ولهذا سمي هذا المسجد « مسجد القبلتين » أى أنه صليت فيه صلاة واحدة جزء منها الى قبلة ، والآخر الى قبلة أخرى ، فتكون مدة الصلاة الى بيت المقدس ١٣ سنة قبل الهجرة و ١٧ شهرا بعد الهجرة ، ويكون مجموع ذلك أربعة عشر عاما وخمسة شهور .

وبعد ذلك فماذا فعل خصومه صلى الله عليه وسلم من تلك الطوائف الثلاث المتقدم ذكرهــم (المشركون والمنافقون واليهود) ؟ هل كفوا ألسنتهم عن اللغو ؟ كلا ، فان المعاند المبطل لا يعدم كلامــا يلوكه ، ولو ناقض به نفسه .

قال ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد فى هدى خير العباد) الجزء الثاني : « وكان فى جعل القبلة أولا الى بيت المقدس ، ثم تحويلها الى الكعبة حكم عظيمة ، ومحنة **للمسـلمين** ، **والمشركين** ، **واليهـود** ، **والمنافقين** . أما المسلمون فقالوا سمعنا وأطعنا ، آمنا به كل من عند ربنا ، وهم الذين هدى الله ، ولم يكن تحويل القبلة شاقا عليهم . وأما المشركون فقالوا رجع محمد الى قبلتنا ، ويوشك أن يرجــع الى ديننا لأنه ما رجع اليها الا لأنها الحق . وأما اليهود فقالــوا خالــف محمد قبلة الأنبياء قبله ، ولو كان نبيا حقا لاستمر على الصلاة الى قبلة الأنبيــاء ، أى الى بيت المقدس .

وقال المنافقون والله ما ندرى أيــن يتجه محمد ؟ ان كانت القبلــة الأولى حقا فقد تركها ، وان كانت الثانية هي الحق فقد كان أولا على باطل .

وهكذا كثرت أقاويل الســفهاء مــن الناس . قــال تعالى (وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله) .

ومن كل هذا نعلم أن تحويل القبلــة كان ابتلاء وامتحانا يطهر الله بــه جــو المسلمين مما قد يكون عالقا به من أمراض النفاق وضعف اليقين ـ التي من شأنها أنها تفتك بكل وسط تخالطه . وهذه هي سنته تعالى فى امتحان عباده سواء منهم من كان سليم الطبع أو سقيمه ليظهــر للملأ كــلا على حقيقته ، وليكون ذلــك حجة عليه يوم الحساب . اقرأ فى ذلــك قوله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) آيتي ٢ ، ٣ من سورة العنكبوت وقوله (مــا كان اللــه ليذر المؤمنين على ما أنتــم عليــه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) آيــة ١٧٩ مــن ســورة آل عمران وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصــيد تنالــه أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافــه

البقية على ص ٣٦



لفضيلة الشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى للوزارة

ضمام من الحياة وسبيل النجاة في الآخرة في ثلاث

حب الله ورسوله ، والتحاب فى الله وكراهية الرجوع الى الكفر بعد الايمان

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان . أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه الا لله تعالى ، وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .
رواه البخارى

مضى بنا القول فى هذا الحديث الشريف (١) عن الخلال الثلاث التى وردت فيه اجمالا ، وأشرنا الى أنها جمعت أطراف الخير ، وملكت نواحيه ، وأن الحصول عليها والاتصاف بها سعادة ما بعدها سعادة ، وراحة قلبية لا تعادلها راحة ، ثم تساءلنا لماذا نحب الله ورسوله ؟ وأجبنا على هذا التساؤل ، ولم يتسع المقام لتفصيل كيفية حب الله ورسوله حبا منتجا نافعا ، ثم الافصاح عن التحاب فى الله تعالى ، والابانة عن وجوب كراهية العود الى الكفر بعد الايمان ، وكل أولئك هو ما سنعرض له فى هذا المقال .

أولا : ــ حب الله ورسوله وكيف يكون ؟

١ ــ حب الله يكون بامتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه ، فالحبيب منقاد دائما لمن يحب ، مطيع لما يأمر ، منفذ لما يشير به ، والله تبارك وتعالى لا يأمر الا بما ينفع ويسعد ، فهو سبحانه يريد للانسان أن يعمر الدنيا بالعلم النافع والعمل المفيد ، فقد جعله خليفة فى الارض (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الارض خليفة ..) «٢» (وعلمه الاسماء كلها مما سيمر عليه فى هذه الحياة ليدأب فى البحث عنها وينتفع بها حين يكتشفها) (وعلم آدم الاسماء كلها ... (٣) ... قال المفسرون (المراد من الاسماء المسميات ، وعبر بها عنها للصلة الوثيقة بين الدال والمدلول وسرعة الانتقال من أحدهما الى الآخر ، وأيا كان فان العلم الحقيقي انما هو ادراك المعلومات ، أما الالفاظ الدالة عليها فهي تختلف باختلاف اللغات التى تجرى بالمواضعة والاصطلاح) .

---

(١) فى العدد السادس . (٢) الآية ٣٠ من سورة البقرة . (٣) الآية ٣١ من سورة البقرة .

والحكمة فى تعليم الله آدم أسماء الاشياء أو مسمياتها ان الله تبارك وتعالى أراد تشريفه وبيان علة اصطفائه له ، كيلا يفخر عليه الملائكة بما علموا ، وعرفوا مما علمهم الله وعرفهم . وأما اظهار أسرار العلوم المكنونة فى غيبه سبحانه فيحصل واقعا على يد من يشاء الله من عباده فى مختلف الاجيال والعصور .

٢ ـ وما دام الانسان خليفة فى الارض فلا بد له أن يوجد مجتمعات فاضلة تسودها المحبة والاخاء والتعاون والتواد والسلام والامن والطمأنينة ، حتى يستطيع العاملون أن ينتجوا ، وينشئوا حياة حرة كريمة تدفع العالم فى مدارج التقدم والرقي على أساس متين من تعاليم الله التى أوحاها الى رسله عليهم السلام ، وختمهم بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين (١) ...) الذى أنزل الله عليه الكتاب تفصيلا وتبيانا لكل شيء ، وكانت سيرته ـ فى المدة التي عاشها داعيا ومشرعا وقائدا وحاكما وهاديا ومرشدا ـ تحمل الخطوط العريضة لكل مسالك الحياة ودروبها .

٣ ـ وقد رسم الرسول عليه السلام القاعدة التي يمكن فى ظلها الانتاج البشرى الصالح فى كلمات قصيرة اللفظ عميقة المعنى واسعة الدلالة فقال : (اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال .) فالقلق والخوف والجوع والمرض مزعجات تتلاشى معها القوى العاملة ، وتبيد فى ظلها كل عوامل الخير والرشاد ، وتسود الفوضى ، ويعم الفساد .

والطمأنينة والامن والقوة والعافية كل أولئك يحمل الانسان على الدأب والتنقيب والبحث عن مكنونات الوجود لخير الناس جميعا ، فيكتشف مخبآت الارض والبحار والهواء والماء وكل ما يحيط به من علويات وسفليات ، وما يشاء الله له أن يعرف من أسرار الكون ويستخدم معلوماته فى تخفيف آلام البشرية وايجاد مستويات متقدمة أرقى وأفضل .

فلهذا كان حب الله ورسوله عاملا أساسيا على تثبيت أركان الفلاح والصلاح فى هذه الحياة الدنيا ، فمن أحب الله ورسوله سلم الناس من لسانه ويده ، فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم ، وتكاتفوا ، وشد بعضهم أزر بعض ، وسد واجدهم حاجة معدمهم ، فساروا كتلة متراصة لا ينفذ اليها الضعف : ولا يعترض الوهن ولا الخور سبيلها .

ثانيا : ـ التحاب فى الله .

١ ـ لو جعل الناس أساس علاقاتهم وقوام صلاتهم المنافع المادية البحتة لتقطعت بهم السبل ، وضلوا الطريق ، فمن يستطيع أن يرضى الناس جميعا بماله مثلا ولو كانت عنده خزائن قارون وله ملك سليمان ؟ لا أحد ! وفى الاثر (انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم) ومن تحابا فى الله جعلا أساس علاقاتهما رضاه فصفت نفوسهما للخير ، وصغت لداعي البر والمعروف ، وأخمدت جذوة الغضب ، وقلت بوادر الشقاق والعنف والعداء ، وحمل كل منهما حال صاحبه على الخير حتى ولو أساء اذ يلتمس لاساءته عذرا ، فيستر خطأه ، ويبارك صوابه ، يحفظ عرضه وماله ارضاء لله وتلبية لداعي الحب فيه .

٢ ـ ومن عجب انا لو دققنا قليلا فى أحوال المتحابين فى الله لوجدناهم ملتقين على المنافع المادية أو فى وأكمل وأعظم ما يلتقي الناس من حيث لا يشعرون ، فلا يرضى أحدهم أن يساء أخوه أو يجوع أو يعرى وهو يستطيع أن يصد عنه الاساءة ،

---

(١) الآية ٤٠ من سورة الاحزاب

ويسد جوعته ، ويستر عريه ، يؤثره على نفسه ولو كانت به خصاصة لانه يرجو بمساعدته عون الله وتوفيقه ، ولانه يؤثر الآجل فيصبر على العاجل ، وحين يشقى من أجله ظاهرا يسعد باطنا، ويهدأ نفسا ويطيب قلبا . لانه يثق أن الحياة الدنيا متاع فيكفيه قليلها ، ويصل أخاه فى الله بكثيرها ، ويؤمن أن الدار الآخرة هي الحيوان فيعبر اليها عن طريق بذل كل جهد وقوة ومال وولد فى سبيل الآخرين واسعادهم ـ ليحظى عند العلى الكبير بما أعده له وما ادخره لامثاله من الجزاء الحسن .

٣ ـ والمتحابون فى الله تسعد بهم أوطانهم وأقوامهم حيث لا يصدر عنهم الا العفو والعافية ، ويعملون دائبين متعاونين فى حقول الكرامة والايثار يكفون أيديهم عما يؤذى ، ويبسطونها بما يفيد ويجدى ، يمرون باللغو كراما ، يزرعون الحب ويقتلعون الغل والحقد والحسد ، ينمون الفضائل ويبيدون الرذائل ، يستلون السخائم من النفوس ويملأونها مودة ورحمة وعافية وتراحما وأملا كريما .

ثالثا : ـ كراهية الرجوع الى الكفر بعد الايمان .

١ ـ من آمن بالله ودخل فى زمرة المصدقين برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وسعد بما يسعد به من استظل براية الاسلام وذاق حلاوة الايمان مع المؤمنين ، وعاش فى أوطانهم وهو واحد منهم ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وخالطت معرفة الله وجدانه ، وملكت عليه حواسه ، لا يستطيع أن ينفلت من ربقة الاسلام ، ولا يمكن أن يعود الى الكفر بعد الايمان ، فايمانه يبغض اليه الكفر ، وينفره من اسمه فضلا عن العودة اليه ، وقد شبه الرسول صلوات الله عليه وسلامه كراهية العود الى الكفر بكراهة القذف فى النار ، لان كراهة القذف فى النار أشد على النفس من غيرها .

٢ ـ وقد حدد الشارع جزاء قاسيا لمن تسول له نفسه الرجوع عن الايمان وهو القتل ، وسماه « مرتدا » ونظيره فى التشريعات المعاصرة ما يطلق عليه الخيانة العظمى وهي افشاء اسرار الوطن واطلاع العدو عليها لينال منه ، وعقوبة الخيانة العظمى الاعدام وهو جزاء عادل لمن تسول له نفسه هتك ستر البلاد والعباد التي نعم بالعيش فى ظلها دهرا طويلا .

الخلاصة

١ ـ الايمان نور يقذفه الله فى القلوب ، ويشرح له الصدور ، والارض الصالحة تنبت اذا أصابها الوابل ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٢ ـ للايمان حلاوة ولذة روحية وعقلية يجدها من تجافى عن الماديات ، وأخذ منها بالقدر الذى يمسك الذماء ، ويبقى على الحياة ، وجعل فى ماله حقا للسائل والمحروم ، وفى قوته فضلا للعاجز المستغيث ، وفى علمه هداية للجاهل ، وطلب جزاء كل ذلك ممن بيده مقاليد الامور ، فدفع بالتي هي أحسن ، وأخذ العفو وأمر بالمعروف ، وأعرض عن الدنايا وسفاسف الامور . ولو كانت الصلة بالله ورسوله وارتباط الناس جميعا قائمة على أساس الحب القلبي ـ اذن لانجابت كل الشرور وبادت كل عوامل الفساد والافساد .

فاللهم اجعلنا ممن أحبوك وأحبوا رسولك وتحابوا فيك ومروا بالحياة هادين مهديين ، لا يسيئون ولا يساءون ، ينفعون ولا يضرون يعيشون للصالح العام ولا تجد الانانية الى أنفسهم سبيلا محاطين برعايتك وعنايتك وتوفيقك ولا حول ولا قوة الا بالله هو حسبنا عليه نتوكل واليه نبيب .

الرئيس عبد السلام محمد عارف

يقول : العراق يستمد نظامه ومبادئه من القرآن

النظريات الماركسية غريبة علينا ونرفضها بشدة

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية فى عددها الصادر بتاريخ ٦٥/١١/٣ حديثا مستفيضا أجراه مندوبها مع سيادة الرئيس عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية تناول فيه كثيرا من الشؤون العربية .

ويسر مجلة الوعي الاسلامي أن تسجل هنا مقتطفات من هذا الحديث ، وتسجل فى الوقت نفسه تقديرها وتقدير المسلمين جميعا للزعيم الكبير لاستمساكه بتعاليم الاسلام : وحرصه على تطبيقها فى القطر العراقي الشقيق ورفضه للمبادىء الدخيلة ، ووقوفه فى وجه التيارات المنحرفة ، وتطهير هذا الجزء العريق فى الوطن العربي الاسلامي من الافكار الغريبة التي لم تعرف طريقها الى الدول الاسلامية الا فى غفلة المسلمين عن دينهم ، الذى ارتضاه الله دينا للبشرية جمعاء .

قال الرئيس عارف : لقد قال لي السفير الروسي ـ أثناء تقديم أوراق اعتماده ان روسيا السوفييتية تستمد مبادئها من نظريات ماركس ولينين .

وكان ردى عليه ان العراق يستمد نظامه ومبادئه من الاسلام والقرآن . والاسلام وحده عدالة مطلقة ، ويكفي أن نطبقها حتى نصبح فى غنى عن استيراد المبادىء والنظم من الخارج . ان الاسلام ومبادىء محمد صلى الله عليه وسلم هي التي نسير على نهجها هنا .

وتحدث سيادته عن الحركة الفاشلة التي قامت أخيرا فى العراق فقال :

غريب أمر هؤلاء الحركيين فهم يظنون أنهم وحدهم العرب ، وهم وحدهم التقدميون وسواهم رجعي متخلف متأخر ، والحقيقة أنهم بأفكارهم الحزبية هذه ، وبماركسيتهم العرجاء يعوقون تقدم الأمة العربية .

ومع الأسف اندس الشيوعيون فى صفوفهم فحملوا النظريات الماركسية ، ووضعوا أمامهم غاية الغايات وهي الوصول الى مقاليد الحكم بأى ثمن وأى طريقة ... وأذكر أنني حين قلت لهم اننا نريد تطبيق مبادىء الاسلام رفضوا بشدة ، ودفعتهم عجرفتهم وغرورهم الى السير وراء النظريات الغريبة . وهم يعرفون قبل سواهم انها لا تصلح لنا ، ونرفضها بشدة .

وختم المندوب حديثه مع سيادته بقوله : لقد كانت نظرتي لا تفارق الرئيس عارف مدة ساعة ونصف الساعة استغرقها الحديث معه .. كنت أنظر اليه بعمق ، فقد تغير شكله بالنسبة لي ، وقد عرفت أنه كان يتبع (رجيما) خاصا أثر عليه . فضلا عن أنه يصوم ثلاثة أشهر فى العام هي رجب وشعبان ورمضان ، وقد ازدادت نزعاته الروحية خلال السنة والنصف التي مضت على تشرفي بمقابلته لأول مرة ، فكلامه كان لا يخلو من العبارات الدينية العميقة التي تنم عن الملم شامل بأمور الدين وتعاليمه .



حديث مع رئيس مجلس الأمة

الحياة الديموقراطية في

ربما يعجب القارىء لمسارعة هذه الدولة الناشئة ، وحرصها على الاخذ بأساليب الحكم الديمقراطي بعد أن استكملت مظاهر استقلالها ولكن عجبه يزول حين يعرف أن طبيعة هذا الشعب انما هي طبيعة الشعب المسلم العربي، الذى يعشق الحرية والشورى ، كمبدأ من مبادىء الاسلام المهمة ..

وحين يعرف أن سمو أمير البلاد المعظم ـ الذى يلقبه الشعب هنا بالامير الوالد ـ حريص كل الحرص على أن يتمتع شعبه بحريته وبكل مظاهر الحياة الكريمة فى الامم الناهضة ..

وسيرى القارىء من خلال حديث سعادة رئيس مجلس الامة كيف كانت هذه المسارعة الطيبة ..

واذا كان من المهم أن تأخذ الامم بمبدأ الشورى الذى يضمن لها حريتها ، فان الاهم من ذلك أن تباشر هذه الامم سلطتها فعلا ، ويتمتع نوابها بحرياتهم كاملة فى ابداء آرائهم ، مع حسن استغلال مبدأ الشورى فى كل ما يحفظ للامة كيانها ، ويضمن لها حقوقها .

وقد رأينا مجلس الامة فى دولة الكويت ـ بالرغم من حداثة هذا النظام بها ـ تتوفر له الضمانات الكاملة لمباشرة سلطته ، وتترعرع فى جوه الحرية التى تتيح لكل عضو من أعضائه ـ البالغ عددهم خمسين عضوا ـ أن يدلي بما يراه من آراء ..

كنت على موعد مع سعادة السيد/سعود العبد الرزاق رئيس مجلس الامة الكويتي لاقدم الى قراء هذه المجلة صورة مشرقة من صور الحياة الديمقراطية السليمة ، التى تنعم بها الكويت ، بمناسبة افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الامة فى ٢٦ اكتوبر الماضي .

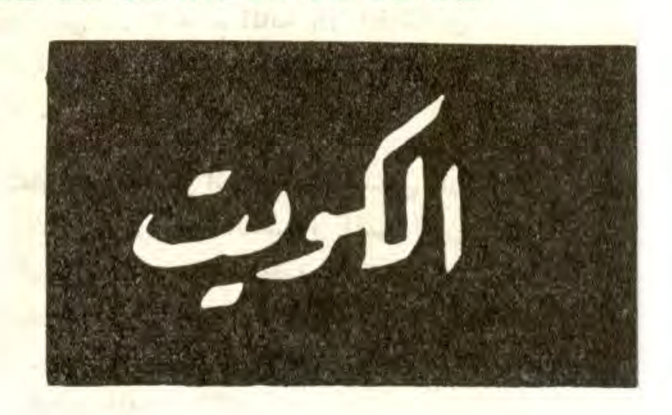
بدأ سعادته الحديث بتحية مجلة الوعي الاسلامي ، ونهجها القوى الجديد فى خدمة الثقافة الاسلامية ، وذكر ما نشر فى افتتاحية العدد الماضى بشأن قطع يد السارق ..

وقال : اننا فعلا نلمس موجة من حوادث السرقة ، وجرأة اللصوص ، لم يكن للكويت عهد بها من قبل ولا بد من جزاء يردع كل من تحدثه نفسه بالاعتداء على الآمنين . وفى شرع الله الضمان الكامل لسعادة الامم بلا شك . فشكرته على هذه التحية ، وهذه الروح الاسلامية الاصيلة .

« أثناء افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الامة ـ وحين القاء الخطاب الاميرى ـ شعر سمو أمير البلاد المعظم بألم اضطره لمغادرة قاعة المجلس : وألزمه الفراش ، واستدعى لعلاجه كبار الاطباء العالميين ، حتى تماثل سموه للشفاء والحمد لله ..

والظاهرة الكريمة التى تستحق الاعجاب ، هي روح الشعب الطيبة ، التى تبدت نحو سمو الامير اثناء مرضه . لم تكن مجرد ظاهرة رسمية من محكومين لحاكمهم ، بل كانت روح أبناء نحو والدهم . كانت الكلمة السائدة على لسان الجميع « أميرنا ووالدنا »

« رعى الله الامير والشعب »





سعادة رئيس مجلس الامة ..

ثم قلت لسعادته .

ان مجلة « الوعي الاسلامي » يسعدها أن تسجل ـ بمناسبة بدء الدورة العادية الرابعة لمجلس الامة ـ مواقف هذا المجلس الموقر ، وبخاصة تجاه الشؤون الاسلامية ، وتذكر اقتراحات حضرات النواب المحترمين وآراءهم بهذا الصدد ، وقد سبق لها أن سجلت على صفحاتها جانبا مما جاء بالخطابات الاميرية ، وأجوبة مجلس الامة عليها فى حينها .

والآن ـ بمناسبة الدورة الجديدة التى بدأت فى ٢٦ اكتوبر الماضي ـ يسعد المجلة أن تتقدم لسعادتكم ببعض الاسئلة وحين رحب سعادته بالاجابة على اسئلتنا قلت له : ـ

ان الكويت لم تستكمل مظاهر الاستقلال الا قريبا بمعاهدة سنة ١٩٦١ ومع ذلك فان الاصلاحات الدستورية التى قادها سمو الامير قد جعلت تجربة الكويت الديمقراطية تجربة رائدة فى العالم العربي . فهل لسعادتكم أن تحدثونا عن مراحل ارساء هذه التجربة ؟ .

قال سعادته : حقيقة ان معاهدة سنة ١٩٦١ لم تكن أكثر من استكمال مظاهر الاستقلال ، لأن الكويتيين كانوا قبلها يتمتعون بالكثير من مظاهر الاستقلال ، وكانت لهم الكلمة فى أكثر شؤون الكويت ، وعقب ابرام هذه المعاهدة مباشرة ، بدأت المراسيم الاميرية والقرارات تصدر متلاحقة ، لايجاد مجلس تأسيسي منتخب ، ولاعداد دستور للبلاد ، بجانب قيامه بمهمة المجالس النيابية العادية ، وفقا للنظام الدستورى المؤقت ، الذى تضمنه القانون الاساسي رقم ١ لسنة ١٩٦٢.

وقد افتتح سمو الامير المجلس المذكور يوم ١٩٦٢/١/٢٠ ، وضم عشرين عضوا منتخبا ، كما ضم الوزراء بحكم وظائفهم ، وكان عددهم حينذاك أربعة عشر وزيرا .

وقد حددت مدة سنة لاتمام مهمة المجلس التأسيسي ، وفعلا أعد مشروع الدستور خلال بضعة شهور ، ثم صدق عليه سمو الامير وأصدره يوم ١٩٦٢/١١/١١ ، وعلى أساسه انتخب مجلس الامة ، الذى عقد أول جلسة له يوم ١٩٦٣/١/٢٩ أى فور نهاية السنة المحددة لمهمة المجلس التأسيسي

ويشرفني أنني كنت عضوا فى المجلس التأسيسي المذكور ، الذى كان يرأسه سعادة زميلي الصديق السيد عبد اللطيف محمد ثنيان الغانم ، كما كنت عضوا بلجنة الدستور الفرعية الخماسية ، مع زملائي : رئيس المجلس التأسيسي ، والشيخ سعد العبد الله السالم ، وسعادة حمود الزيد الخالد وزير العدل الاسبق ، والنائب المحترم يعقوب الحميضي ، كذلك تشرفت بعضوية مجلس الامة . وأتشرف برئاسته منذ ١٩٦٥/٣/٢ خلفا لزميلي وصديقي سعادة عبد العزيز حمد الصقر .

ولقد شهد الجميع - بالكويت وخارجها - كيف تتابعت بصورة مشرفة ، دورات مجلس الامة العادية ، حتى بلغت اليوم الرابعة (بالاضافة الى الدورة الاستثنائية التى عقدت صيف سنة ١٩٦٣) حيث كانتمليئة بالاعمالالبناءة للمواطنين فى الكويت ، وللعروبة بأسرها ، حتى أصبحت حياتنا الديمقراطية مثلا يحتذى ، وتجربة رائدة بحق فى العالم العربي .

والسبب فى ذلك أن جوهر الحكم الديمقراطي كان قائما بيننا قبل الاستقلال ، وقبل الدستور ، كجزء من تقاليدنا الاسلامية ، وتراثنا العربي ، وأتمنى أن نحافظ على هذه الروح دائما ، حتى تظل ديمقراطيتنا أداة لمزيد من الود ، والمشاركة والتعاطف الاخوى بيننا ، فى ظل رعاية والدنا جميعا وأميرنا المفدى .

قلت ذلك ما نرجوه جميعا .

ثم هل تتفضلون سعادتكم فتحدثونا عن أبرز معالم الدستور الكويتي ، وبخاصة ما يتعلق منها بالناحيتين الاسلامية والعربية ؟ .

قال سعادته . ان معالم الدستور الكويتي كثيرة ، أبرزها عنايته بالناحيتين الاسلامية والعربية . فمن أبرز المعالم الاسلامية فى الدستور مانصت عليه مادته الثانية من « أن دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع » ، وكذلك ما نصت عليه المادة التاسعة من أن « الاسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين والاخلاق وحب الوطن » . كما أذكر المادة ١٢ التى تنص أيضا على أن « تصون الدولة التراث الاسلامي والعربي .. » ، ثم المادة ١٨ القائلة فى فقرتها الاخيرة ان « الميراث حق تحكمه الشريعة الاسلامية » .

وفيما يتعلق بالناحية العربية ، حسبي أن أذكر نص المادة الاولى من الدستور التى تقول « وشعب الكويت جزء من الامة العربية » ، وكذلك ما نصت عليه المادة ١٥٧ من أن « سلامة الوطن - أى الكويت - أمانة فى عنق كل مواطن ، وهي جزء من سلامة الوطن العربي الكبير » .

فقلت لسعادته هذا شيء طيب وطبيعي من أمة حريصة على اسلامها وعروبتها ، ولكني أود بهذه المناسبةوقد كنتم عضوا فى المجلسالتأسيسي، وفى لجنة الدستور الخماسية ان أسألكم رأيكم فى نص المادة الثانية من الدستور التى ذكرتموها ، اذ تقول « الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع » ؟ لماذا لم ينص على أن هذه الشريعة هى المصدر الرئيسي الوحيد ، وليست أحد المصادر ، كما يفهم من النص ، وبخاصة لان الكويت بيئة اسلامية حريصة على التقاليد الاسلامية ؟ .

فأجاب سعادته : لو ترجع الى محاضر اللجنة الفرعية الخماسية ، ومحاضر المجلس التأسيسى ، تجدنى وبعض زملائي كنا شديدى الحرص على ان تضاف الى المادة « الالف واللام » للتعريف ، حتى تكون الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى الوحيد ، لا احد مصادرها ، وكان اتجاه المجلس قويا فى هذا المعنى ، ولكنه لم يقبل النص الحالى الا مراعاة لضرورة التمهيد تشريعيا للتحول الى حكم الاسلام الكامل،وقد اصبحالامر بعد ذلكفى عنق المشرع ، لينظمه بتشريعات جديدة تحل محل التشريعات القائمة ، ولذلك حرصنا على ان تتضمن المذكرة التفسيرية للدستور هذا المعنى ، وقد جاء فيها بخصوصه قولها « يلاحظ ان النص الوارد

بالدستور – على ان الشريعة مصــدر رئيسي للتشريع – انما يحمل المشرع امانة الاخذ بأحكام الشريعة الاسلامية ما وسعه ذلك ، ويدعوه الى هذا النهج دعوة صريحة واضحة ، ومن ثم لا يمنع النص المذكور من الاخذ ، عاجلا او آجلا ، بالاحكام الشرعية كاملة وفى كل الامور ، اذا رأى المشرع ذلــك » .

فقلت لسعادته : حقيقة ، قد يضطر المشرع الى التدرج مراعاة للظروف والارتباطات القائمة. والمهم صدق النية فى العمل والتصميم لبلوغ الغاية .

ثم انتقلت بالحديث الى امر هام ، انفردت به الكويت من بين الدول الاسلامية جميعها وقلت لسعادته: كان للقانون الحكيم الخاص بتحريم الخمور فى الكويت صدى طيب فى نفوس المسلمين فى جميع اقطارهم فهل لسعادتكم ان تحدثونا عن مدى نجاح هذا القانون فى تحقيق الاصلاح الاجتماعى الذى هدف اليه فى الكويت ؟

فأجاب سعادته : نعم لقد نجح هذا القانــون النجاح المأمول ، فامتنعت العلانية فى المعصية ، وانتفى الجهر بالسوء وحيل بــين الناس وبــين الاندفاع فى تدمير صحتهم ، وتبديد اموالهم ، وكل ما يقال عن ضحايا لتطبيق هذا القانون ، انما هو من قبيل الدعاية ضد تحريم الخمور – وهى كما هو معلوم – ام الكبائر »

وكان لا بد ان يتطرق الحــديث أخيرا الى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، وما بدأ فيها من نهضة لحمل رسالتها . وما تضطلع به الآن من مسئوليات اسلامية فى الداخل والخارج .

فقال سعادته : لا شك ان هذا الاتجاه هــام وضرورى ، لان الاسلام يدعونا اليه،ويحملنا واجب نشر الدين وتعاليمه ، لا داخل البلاد فحسب ، بل وخارجها ايضا . فقيام وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بهذا الواجب امر تشكر عليه ، وقد سبق ان سجل اعضاء مجلس الامة شعورهم فى هــذا الخصوص وعبروا عنه فى جوابهم على الخطاب الاميرى كما تعلم ، فأسأل الله للقائمين عليهــا والعاملين بها التوفيق والثواب .

وكان لا بد ان ينتهى بنا الحديث بعد ان اخذنا من الوقت طويلا فشكرت سعادته وحييته مرة ثانية باسم المجلة .

وبعد . فلعلنا اخى القارىء قد هيأنا لك بهذا الحديث نافذة تطل منها على جانب من جوانب الحياة فى الكويت ، ونرجو ان نهيىء لك امثالها فى الاعداد المقبلة ان شاء الله .

ولعل من المناسب هنا – وقد ذكر سعادة رئيس المجلس شعور الاعضاء الطيب نحو اضطلاع وزارة الاوقاف بمهمة الدعــوة الاسلامية فى الــداخل والخارج – ان نسجل هنا ما جاء فى الخطاب الاميرى فى افتتاح الدورة الحالية :

« والحكومة معنية بانشاء المســاجد فى القرى والمناطق السكنية الجديــدة . وتبذل قصارى جهدها لتذليل العقبات الفنية التى حالت دون انشــاء مــا كان مقررا انشاؤه منها خلال السنة المالية الماضية رغم اعادة طرحها فى المناقصــة العامة اكثر من مرة . ويجرى الآن دراسة انشاء الجامع الكبير قرب قصر السيف وسوف يخصص فيه جنــاح للسيدات ومكتبة ستضم نوادر المخطوطات الاسلامية لتكون مرجعا لطلاب العلم والباحثين . بالاضافة الى المــكتبات الصــغيرة التى ستلحق بكل مسجد .

وقطع معهد الامامة والخطابة الــذى انشيء فى العام الماضى مرحلــة كبيرة فى تحقيق الغاية المنشودة منه .

كما ادرجت بميزانية وزارة الاوقاف مبالغ معينة لنشر الــدعوة الاسلامية فى البلاد الافريقية ، وتزويدها بالمصاحف والكتب الدينية المبسطة باللغة العربية ، واللغات المحلية السائدة فى تلك البلاد ، وانشئت فى هذا العام بالوزارة المذكورة ادارة للشئون الاسلامية لدراسة احوال المسلمين فى العالم ، وتوثيق عرى الروابط الاخــوية بــين الشعوب الاسلامــيــة ، والاسهام فى المؤتمرات الاسلامية المختلفة .

وتم اصدار مجلة الوعى الاسلامى فى اول العام الهجرى الجديد، فسدت فراغا كان يشعر به الكثيرون ، وستقوم الوزارة تنفيذا لرغبة المجلس بطبع موسوعة الفقه الاسلامي وخصصت لذلك الاعتمادات اللازمة بمشروع ميزانية السنة المالية القادمة » .



٢

للمستشار علي علي منصور
الرئيس السابق لمحكمة الاستئناف بمصر

مكانة الشريعة الاسلامية فى نصوص القوانين الوضعية :

بينا فى مقال سابق(١) كيف دخلت القوانين الوضعية البلاد العربيةالاسلامية وكيف طلعت على الشريعة الاسلامية ، وزحزحتها من مكان الصدارة وجعلتها مصدرا ثانويا ، ودليلنا على ذلك ما ورد فى القانون المدنى المصرى الذى يطبق الآن فى كثير من البلاد العربية ، فقد نصت المادة الاولى فى القانون المدنى على انه ((**اذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه ، حكم القاضى بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى احكام الشريعة الاسلامية ، واذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعي وقواعد العدالة**)) . ومعنى ذلك ان مكانة الشريعة الاسلامية فى المسائل المدنية هى الثالثة ، بمعنى انه لا يلجأ

(١) انظر العدد الرابع ربيع الثانى ١٣٨٥هـ

دين ودولة

الشريعة الاسلامية جاءت بامثل النظم لكلا الامرين ، وهي من الشمو[ل]
والسعة بحيث تصلح للحكم في كل زمان ومكان وتفضل القوانين الوضعية

القاضى لتطبيق احكامها الا اذا انعدم النص فى القانون المدنى الوضعى الذى يمكنه به ان يواجه دعوى الخصوم ، وبعد الا يجد فيما تعارف عليه الناس قاعدة تحكم واقعة النزاع .

تفوق الفقه الاسلامي علىالفقه الوضعى :

ظهرت فىالتشريعات الغربية الجرمانية نظريات قانونية حديثة استدعاها التطور الصناعى فى اوربا ، ولم تكن معروفة من قبل لديها ، فاستنبطوا لها الاحكام ، وظنوا انهم اول من قال بها ، واذا بها جميعا موجودة مؤصلة ومفصلة فى الشريعة الاسلامية ومنها على سبيل المثال .

١ : **ـ نظرية التعسف فى استعمال الحق** . ومصدرها فى الشريعة القاعدة (لا ضرر ولا ضرار) ، وقد توسع الفقهاء فيها فى مختلف ابواب الفقه الاسلامي بما لم تصل اليه احدث التشريعات .

٢ : **ـ نظرية الحوادث الطارئة :** وهى ما يطرأ على العقد من ظروف لم تكن متوقعة وقت التعاقد تجعل التزام أحد الطرفين مخلا بالنسبة لالتزام الطرف الآخر بما يؤدى الى اختلال التوازن المالى للعقد ، ولذا لجات التشريعات الحديثة الى القول بوجوب الحد من قاعدة « ان العقد شريعة المتعاقدين » ـ تحقيقا للعدالة التى يجب أن تقوم بين طرفى العقد . وهذه النظرية التى يظنون انهم منشئوها متفرقة فى ابواب الفقه الاسلامى تأسيسا على نظرية (لا ضرر ولاضرار) ، ونظرية « الضرورة » ونظرية « العذر »، فالشريعة الاسلامية تقضى بأن (الضرورات تبيح المحظورات) (والضرورة تقدر بقدرها) ، (وان حقوق الناس ليست مطلقة) . ونجد هذا كله فى باب العبادات مثلا ، حيث يكون الاكتفاء بالتيمم عند الضرورة لعدم وجود الماء او عند العذر للمرض مثلا ، وكذلك قصر الصلاة الرباعية عند السفر ، وجمع الصلاتين فى الحج والتحلل من بعض مناسكه ، واباحة الصلاة للمريض حسب

استطاعته ، وهذه النظرية اخذ القانون المدنى المصرى الحديث باحكام الشريعة فيها (١) ، كما أخذ منها أحكاما وجدها أعدل من غيرها ولقد عثرت اخيرا على مقال للاستاذ الدكتور عبد السلام ذهنى تحت عنوان « تجميع القوانين والشريعة الاسلامية » (٢) ورد فيه ((**لما كنت فى مدينة ليون بفرنسا بقسم الدكتوراه فى سنة ١٩١١ ، سنة ١٩٢٠ كان استاذنا لامبير ، يرى ان الفقه الاسلامى فى المعاملات كنز لايفنى ومعين لا ينضب ، وكان يشير على الطلبة المصريين بالرجوع اليه ، لوضع رسائلهم فى الدكتوراه فى مواضع من الشريعة الاسلامية . وفعلا وضع (الدكتور محمد فتحى) رسالة فى الدكتوراه عن مذهب الاعتساف فى استعمال الحق ، والخروج عما شرع له عند فقهاء الاسلام ، وما كادت الرسالة تطبع فى كتاب حتى نفدت فى ستة اشهر ، وكتبت عنه المجلات القانونية كثيرا ، واشادت بعظمة التشريع الاسلامى .**

ومما كتبه الفقيه الالمانى الكبير كوهلر فى مقال له : ان الالمان كانوا يتيهون على غيرهم ، لخلقهم نظرية الاعتساف فى استعمال الحق ، وادخالها ضمن التشريع فى القانون المدنى الالمانى ، الذى وضع سنة ١٨٨٧ . أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحى ، وافاض فى شرح هذه النظرية ، نقلا عن رجا ل الفقه الاسلامى ، فانه يجدر بعلماء القانون الالمانى أن يتنازلوا عن المجد الذى نسبوه لانفسهم ، ويعترفوا بالفضل لاهله وهم فقهاء الاسلام الذين عرفوا هذه النظرية وأفاضوا فى الكلام عنها قبل الالمان بعشرة قرون)) .

ويقول (الدكتور السنهورى) فى بحث له بمجلة القضاء العراقية العدد الاول من السنة الثانية : « ان الكثيرين من فقهاء الغرب ، ومنهم كوهلر الالمانى ودليفيشبو الايطالى ، وويجور الامريكي ، أنصفوا الشريعة الاسلامية ، وشهدوا بما هى عليه من مرونة .. الى أن قال الدكتور السنهورى : ان فى الشريعة عناصر لو تولتها يد الصياغة فأحسنت صياغتها لصنعت منها نظريات ومبادىء لا تقل فى الرقى والشمول ومسايرة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي نتلقاها عن الفقه الغربى الحديث ، وضرب أربعة أمثلة . فقال : ان كل مطلع على فقه الغرب يدرك أن من أحدث نظرياته فى القرن العشرين نظرية التعسف فى استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ،ونظرية حمل التبعة ، ومسئولية عدم التمييز ، ولكل من هذه النظريات أساس كبير فى الشريعة الاسلامية لا يحتاج الا الى الصياغة والبناء .

دعائم الشريعة الاسلامية :

للشريعة الاسلامية دعائم قوية ، واحكام تفصيلية ، تجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، فأما مرجع صلاحيتها فانها تكفلت بذكر القواعد العامة فى القرآن الكريم ، وتركت ما وراء ذلك من

---

(١) نصت المادة ١٤٧ من ق المدنى الجديد فى الفقرة الاولى على أن (العقد شريعة المتعاقدين) فلا يجوز نقضه ولا تعديله الا باتفاق الطرفين ، او للاسباب التى يقررها القانون ، ثم نص فى الفقرة الثانية على نظرية الظروف الطارئة بالقول (ومع ذلك اذا طرأت حوادث استثنائية عامة لم تكن متوقعة وترتب على حدوثها ان تنفيذ الالتزام التعاقدى – وان لم يصبح مستحيلا – صار مرهقا للمدين بحيث يهدده بخسارة فادحة جاز للقاضى تبعا للظروف وبعد الموازنة بين مصلحة الطرفين أن يرد الالتزام المرهق الى الحد المعقول ويقع باطلا كل اتفاق يخالف ذلك) .

(٢) المقال نشر فى الجريدة القضائية فى ٢٣ من يناير ١٩٣٧ م والدكتور ذهنى كان استاذا فى مدرسة الحقوق القديمة ثم بكلية حقوق القاهرة ثم مستشارا بمحاكم الاستئناف الوطنية ثم مستشارا بمحاكم الاستئناف المختلطة حيث كانت له وقفة مشرفة اذ تمسك بكتابة احكامه باللغة العربية وظل مصرا على ذلك حتى ألغيت المحاكم المختلطة .

أحكام تفصيلية فرعية للاجتهاد بحسب ظـروف البيئة والزمان .

ويذهب الاصوليون الى تقسيم أحكام الشريعة الاسلامية الى قسمين : قطعيات وظنيات .

فالاحكام القطعية : هى التى قام الدليل على أنها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ومنها :

١ ـ العقائد التى يجب الايمان بها لقيام الدليل اليقينى على أنها الحد الفاصل بين المسلمين وغير المسلمين ، ومن جحد منها شيئا فقد خرج عن ربقة الاسلام . كالتوحيد وارسال الرسل وانزال الكتب وختم النبوة بمحمد صلى الله عليـه وسلم والبعث والجزاء الخ ..

٢ ـ الاحكام العملية التى جاءت بها الشريعة بطريقة واضحة حاسمة فى جانب الايجاب أو المنع أو التخيير ، كوجوب الصلاة والزكاة وصـوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

٣ ـ القواعد الكلية التى أخذت من الشريعة بنص واضح وليس فيها ما يعارضها تقـريرا أو تفريعا وتجعلها الشريعة أساسا لاحكامها كقاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وقاعدة (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) وقاعدة (لا يعبد الله الا بماشرع) وقولهم (المعاملات طلق حتى يثبت المنع) .

أما النوع الثاني : وهو الاحكام الظنية، فهى التي لم تجىء على سبيل القطع بل جاء ما يدل عليها أو يشير اليها ، بحيث تختلف الافهام فيها، وهذا النوع جعلته الشريعة الاسلامية موضع اجتهـاد المجتهدين ، ومجالا للنظر والموازنة والترجيح .

والحكمة فى ذلك : ان أمر الناس لا يصلح اذا جاءت الاحكام الشرعية على نمط واحد ، فـلا يصح فى أمور العقائد وأصول الدين أن يتـرك الناس لعقولهم وأفهامهم ، كما لا يصح ذلك فى حقائق العبادات وصورها ورسومها . فكان من رحمة الله بعباده أن وقاهم شر التفرق فيها، ورسم لهم دائرة محدودة ، أما الفروع التى لا يضـر الاختلاف فيها ، سواء كانت نظرية أو عملية فلم يكن يصلح أمر الناس على توحيدها ، والا لجمدت العقول ولاصطدمت الشريعة فى كل زمان ومكان بما يجد للناس من صور للمعاملات وحوادث ، وبما لا بد فيه من مراعاة المصالح ودرء المفاسد ،

ولذلك كان من رحمة الله ان فتح باب النظـر والاجتهاد بما يساير مصالحهم .

وليس الاجتهاد مباحا لكل من هب ودب ، على نحو ما يذهب اليه الكثيرون ممن تفتح لهـم الصحف اليومية صدرها فى هذه الايام ، فيهرفون بما لا يعرفون ، بل ان للاجتهاد شرائطه ، وأهمها الامانة والتقوى ، والاحاطة بجميع علوم القـرآن والسنة والاجماع ، وبطرق القياس والاستنباط ، والا لجاز فى منطق هؤلاء أن يجـرى المهندس الزراعى ، أو الكاتب الاديب أكبر وأدق العمليات الجراحية فى الاحشاء .

ومن دعائم الشريعة الاسلامية أيضا .

١ ـ نفى الحرج عن الناس قال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وقال (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقال (يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر) .

٢ ـ فلسفة التكاليف قال تعالى (يا أيهـا الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكـم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم ، قـد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) .

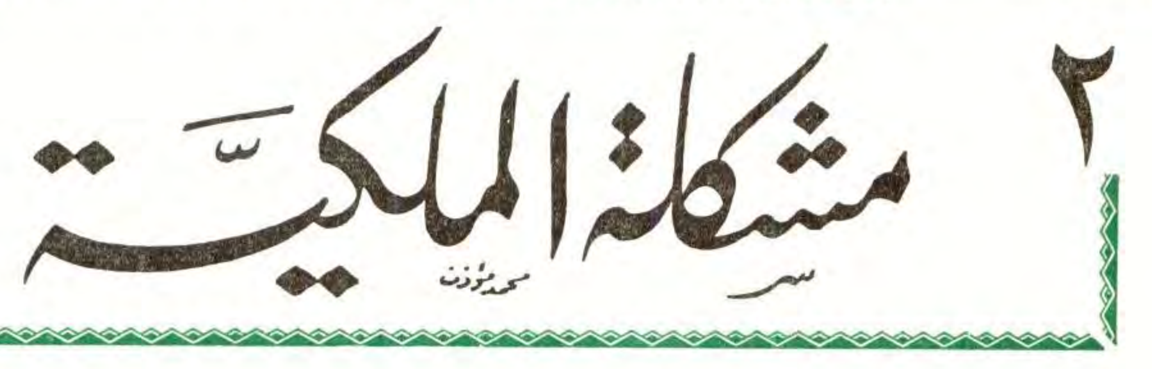
٣ ـ التدرج فى الاحكام . فالخمر مثلا حرمت على مراحل ، قال تعالى : (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) ثم قال (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) . ثم قال : (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ثم قال مصرحا بالنهى (يأيها الذين آمنوا انما الخمـر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمـل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يـريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .

٤ ـ مسايرة مصالح الناس حتى أنه قيل اذا وجدت المصلحة فثم شرع الله .

٥ ـ تحقيق العدالة بين الجميع بالتسـاوى ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول : (لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) .

للكلام بقية





فى أواخر القرن السادس عشر ، وأوائل السابع عشر الميلادى ، ظهر الفيلسوف الانجليزى ((هوبز)) .. الذى ضرب صفحا عن كل المبادىء الانسانية ، وحذف من تفكيره أى اعتداد بالقيم الروحية ، والمبادىء الاخلاقية ، وبنى فلسفته على أساس المنفعة الشخصية ، والانانية الفردية ، التى تعتبر الذات أو (الأنا) المحور الذى تدور حوله أعمال الانسان وتعلل به كل تصرفاته ، ويشكل على أساسه نظامه الاقتصادى والاجتماعى .

فما يستنبط المشرعون من تشريعات، وما يخط السياسيون من نظم ، وما يضع الاقتصاديون من قواعد ، والاجتماعيون من قوانين ، والاخلاقيون من مبادىء السلوك لا يقصد به جميعه الا نفع الانسان ، والانسان الفرد هو فى نظر « هوبز » غاية كل تنظيم والهدف من أى تشريع .

وكان من الطبيعى أن يأتى العقد الاجتماعى فى نظر « هوبز » نتيجة منطقية لمذهبه فى الانانية،وتبادل المنفعة.

أما الفيلسوف الفرنسى « جان جاك روسو » .. الذى جاء بعد « هوبز » فقد جرد مفاهيم العقد الاجتماعى ، وحلل عناصره ودوافعه على نحو أدق وأعمق ، وفى محيط أعم وأشمل .

والذى يعنينا فى تفكير روسو هو رأيه فى هذا العقد الاجتماعى ، وربطه بالنظام الاقتصادى والسياسى لأى مجتمع انسانى ، وبعبارة أخرى يعنينا من مذهبه النقاط الرئيسية التى تصور حد الالتقاء بين فكرته فى الحضارة الانسانية ، وتصوره لحقيقة الملكية ، وتبرز هذه النقاط وتحدد فى أربع :

الاولى : ــ ان المرحلة الفطرية من حياة

للدكتور محمد بيصار

وكيل كلية اللغة العربية

الجامعة الاسلامية ـ ليبيا

الانسان هى التى تمثل طبيعته البشرية فى ثوبها الحقيقى .

الثانية : ـ ان تطور الانسان وانتقاله الى الدور الحضارى خروج عن طبيعته الاولى وتبدد لحريته ، وسبب رئيسى فى خلق الفوارق وحدوث الطبقات .

الثالثة : ـ ان ظاهرة الملكية تتنافى مع فطرة الانسان ، واليها ترجع كل المفاسد والآثام . ومنها خلقت كل الصعوبات التى تعانيها البشرية وتقاسى من ويلاتها .

الرابعة : ـ ان العقد الاجتماعى ـ مع هذا ـ ضرورة اجتماعية لتنظيم حياة المجتمع الاقتصادية والسياسية ، لأنه الطريق الوحيد للتغلب على ما أحدثته الحياة الحضارية للانسان بعد اكتشافه للملكية من مفاسد وشرور ، وما أثارته من منازعات وخصومات .

والنقطة البارزة التى تهمنا هنا وفى حديثنا عن معالجة القرآن لمشكلة الملكية هي ذلك المبدأ الذى اعتنقه روسو وآمن به وهو **« أن الملكية شر و وبال على المجتمعات، وأن اكتشاف الزراعة الذى نبه الانسان الى فكرة التملك كان السبب الرئيسى فيما تعانيه الانسانية من مفاسد ، وما تقاسيه من ويلات الحروب الطاحنة والمنازعات والصراع الذى لا ينقطع بين الانسان والانسان فى كل عصر ومكان » .**

ولم يكن رأى روسو هذا فى الواقع الا انعكاسا للبلبلة الفكرية التى عانتها أوروبا فى العصور التى تلت العصور الوسطى ، من رواسب النظام الطبقى ، وسيطرة الاقطاع ، وطغيان رأس المال واستبداد الموسرين بالمعدمين ، الى حد أنهم ربطوهم بالارض كقطعة جامدة منها، تباع وتشترى بشرائها .

وكان رأى «روسو» طرفا من عدة أطراف فى الرأى ، غالى كل منها فى اتجاهه ، ولكنها فى مجموعها انحصرت فى طرفين ، وترددت بين الافراط والتفريط .. **الافراط المؤيد لفكرة الرأسمالية المستغلة ،** وتكديس رأس المال فى يد فرد ، أو عدة أفراد ، يستغلونه حسبما يشاءون ، لا فيما يعود على مجتمعاتهم بالخير والرفاهية والتقدم . ولكن فيما يشبع نهمهم ، ويغذى شهوتهم فى السيطرة على من لا مال له ، أوعلى من هم أقل منهم مالا ... **أما التفريط فيتمثل فى الرأى المنادى بوجوب الغاء الملكية الفردية ومحاربة فكرة التملك .**

وقد جاء هذا الرأى كرد فعل عكسى لمبالغة أصحاب الرأى الاول فى الاعتداد برأس المال ، واستغلاله للتسلط واذلال الآخرين . ولم يكن رأى « روسو » الا صورة من صور رد الفعل هذا ، وشاهدا على تحكمه فى توجيه التفكير الانسانى فى أوروبا حينذاك ، وكان فعلا الشرارة الاولى التى اندلعت منها نار الثورة الاشتراكية المتطرفة .

ولو أتيح لهؤلاء وهؤلاء دراسة القرآن، وفهم أسراره وطريقته فى علاج مشكلة التملك ، ورأس المال ، لكفوا أنفسهم

مؤونة هذا الشطط ، وتلكم المبالغة فى كل من طرفى الافراط والتفريط ، ولاجتمعوا معا كما أرادهم القرآن — على حل وسط للمشكلة المالية ، يقر الملكية الفردية ، ويفرضها كضرورة اقتصادية لا بد منها فى حياة الأمم والجماعات ، ويحد فى الوقت نفسه من تسلطها ، فيحيطها بمختلف القيود والتحفظات التى تحولها الى وظيفة اجتماعية ، وأداة انسانية ، لا ينتفع بها فرد دون فرد ، وانما يعم خيرها ، ويعود نفعها الى كل أفراد المجتمع ، من غير تفرقة بين غنى وفقير ، أو عظيم وحقير ، أو عامل معدم ، وصاحب مال غنى .

ان النظام الاقتصادى فى القرآن لم يكن صورة طبق الأصل لنظام مستورد أو تقليدا لمذهب اجتماعى معين ، وانما كانت له سماته المميزة وصفاته الخاصة وذاتيته المستقلة .

انه ينبذ من اعتباره مساوىء الرأسمالية ومثالبها ، ويضع فى تقديره أحسن ما جاءت به الاشتراكية أخيرا ؟ من مقومات وعناصر ، ثم من هذا وذاك وضع لنا نظاما لا هو بالرأسمالى البغيض ، ولا بالاشتراكى المتطرف ، وفوق هذا وذاك تحاشى القرآن وضع الحدود أو القيود التى تجمد شكل نظامه الاقتصادى ، وتوقع المجتمع الاسلامى فى الحرج اذا هو تجاوزه أو تخطاه . وانما راعى فى هذا النظام أن يكون من المرونة بحيث يسمح للمصلحين والمشرعين ، أن يكون لهم عند التطبيق حق استنباط التفاصيل المناسبة لظروف المجتمع ، والاحكام الجزئية الملائمة لمعالجة مشاكله ، ولما قد يقوم بينه وبين غيره من علاقات وصلات ، ما دام ذلك الاستنباط مترسما خطى المبادىء العامة التى وضعها القرآن ، وفى حدود الصالح العام للجماعة الاسلامية وضمان سيرها المستقيم . ان القرآن يعتبر أن دولاب الحياة فى أى جماعة انسانية يتوقف على المال ، وأن ماتنشده الأمة من عمران ، وما تطلبه من قوة ، وما تريده لافرادها ومجتمعاتها من سعادة ورقى ، لا يكون الا بالمال ، ولهذا جعل المال قواما للناس (أموالكم التى جعل الله لكم قياما) (١) فلا يستقيم لهم شأن الا به .

وحث على تحصيله : اما من الزراعة أو التجارة أو الصناعة . وهى الطرق الثلاثة التى يقوم على أساسها عماد الاقتصاد القومى للامة الناهضة .

« فلينظر الانسان الى طعامه . انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم » (٢) .

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٣) .

« هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (٤) . لكى يدعم القرآن ملكية المال ، ويحول بين الناس وبين تبديدها والتبذير فيها شرع من القوانين والاحكام ما يحميها من اعتداء المعتدين ، أو اغتصاب المغتصبين . فحرم السرقة وحدد لها العقوبات الزاجرة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » (٥) .

ووصف قطاع الطرق الذين يغتصبون أموال الناس كرها بأنهم أعداء الله ورسوله تغليظا لاثمهم واستثارة لهمم المؤمنين فى مقاومتهم .

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن

---

(١) من آية ٥ سورة النساء

(٢) ٢٤ — ٣٢ من سورة عبس

(٣) ٩ من سورة الجمعة

(٤) ١٥ من سورة الملك

(٥) ٣٨ من سورة المائدة

يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » (١) .

وكذلك أوجب القرآن الحجر على السفهاء الذين لا يحسنون التصرف فى أموالهم ... « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » (٢) .

وأوجب التأكد من قدرة اليتامى على التصرف فى أموالهم وحسن تدبيرها قبل دفعها اليهم فقال « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » (٣) .

وحرم على الناس أن يأكل بعضهم أموال بعض بالباطل بطريق مباشر أو بطريق الرشوة سواء كانت للحاكمين أو المحكومين مما يعد اضرارا بمصالح المجتمع ، وتلاعبا بأهدافه العليا ، وخططه العمرانية والاقتصادية المرسومة فقال : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (٤) كما حرم الربا والقمار لما فيهما من قضاء على رأس مال المعطى والآخذ على السواء ولما يحدثانه فى بعض أفراد المجتمع من العداوة والبغضاء ، وتفكك الروابط الانسانية مما يقوض دعائم المجتمع ويضعف شوكته . **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » (٥) « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » (٦) .**

وفوق هذا وذاك قد ذم القرآن الاسراف والتبذير على وجه كلى وبصفة أعم وأشمل ونهى عنه وحذر من عواقبه فقال « ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (٧) .

« ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (٨) .

وهكذا يحض القرآن على طلب المال وتحصيله، والسعى فى الارض ابتغاء فضل الله ورحمته ، التماسا لما يفيء به الله على عباده من خير ونعمة، وثروات نافعة ، تتوقف عليها الحياة فى وجودها وفى كمالها ورقيها . كما أنه يحرص على صيانته وحفظه ، لانه عصب الحياة ، وذخيرة العمران ، فيضع الخطط والقوانين لضمان الاشراف عليه ، وتوجيهه الى ما فيه خير المجتمع كله . وليكون بحكم القرآن كذلك ـ زينة الحياة وبهجتها « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

وهو فوق هذا وذاك فتنة للنفس وباعث لغرورها وعامل من عوامل طغيانها واستغلالها : « كلا أن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ، (اعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة)، (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) .

وما دام هذا شأن المال فمن الممكن أن يستغل لتسخير الآخرين واذلالهم ، بل ربما تجاوز صاحبه ـ اذا خبثت نفسه ونضب معين الخير والرحمة من قلبه ـ الحد به الى الافساد فى الارض أكثر من ذلك كنتيجة طبيعية لما هو فيه من سكرات المادة ومباهج الترف .

وعندئذ يكون الانحراف بالمال ـ على هذا النحو خطرا يهدد المجتمعات ، فتأتى نتيجة المال عكسية، ويصبح الامر الذى أراده الله وسيلة لعمار الكون وخير المجتمع ، شرا ووبالا عليه ، وعامل هدم وتخريب وافساد وتدمير .

وحينئذ يوصف رأس المال بأنه رأس مال مستغل ، ولم يغفل القرآن عما قد يطرأ على رأس المال من انحراف ، أو توجيه غير سليم الى أهداف ذميمة ممقوتة ، تضر بمصالح المجتمع فعالج هذا الانحراف بمختلف الوسائل التى من شأنها أن تحد من طغيانه ، وتقوم انحرافه، وذلك ما سنتناوله فى أحاديثنا المقبلة . والله ولى التوفيق .

---

(١) ٣٣ من سورة المائدة
(٢) ٥ من سورة النساء
(٣) ٦ من سورة النساء
(٤) ١٨٨ من سورة البقرة
(٥) ٢٧٨ سورة البقرة
(٦) ٩٠ من سورة المائدة
(٧) ٣١ من سورة الاعراف .
(٨) ٢٦ من سورة الاسراء



لقد فهم السلف الصالح من القضاء والقدر ـ كما سبق ـ أنه لا يثبط عن العمل ، ولا يعوق عن السعي ، ولا يبيح الرضا بذلة أو مهانة أو ضعف ، بل انه دافع الى العمل وباعث ، ورضا بالنتائج فى غير ما سخط على الدهر ، وبغضة للحياة ويأس واستسلام .

لهذا كانوا يتخذون لكل أمر أهبته غير متواكلين أو مقصرين . فقد خرج عمر بن الخطاب الى الشام ، ولقيه بعض القواد ، وأخبروه بانتشار وباء بها ، فاستشار المهاجرين والانصار ، فأجمع المهاجرون على الرجوع ، واستجاب عمر لمشورتهم فقال له أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها ؟! نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، ولم يكتف عمر بذلك ، بل ضرب لأبي عبيدة مثالا محسوسا لا مندوحة من الاقتناع به اذ قال له : أرأيت لو كان لك ابل هبطت واديا له عدوتان (١) احداهما خصيبة والأخرى جديبة ، أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ .

ولم يطق عمر أن يتعلل سارق بقضاء الله ، فقد جيء اليه بسارق ، فقال له : ما حملك على السرقة ؟ قال : قضاء الله وقدره . فضربه ثلاثين سوطا ، ثم قطع يده ، وقال له : قطعت يدك لسرقتك ، وضربتك لكذبك على الله .

وسئل ابن عمر عمن يرتكبون الموبقات ، ويقولون كان ذلك فى علم الله ، فغضب وقال : كان ذلك فى علمه ، ولم يكن علمه يحملهم عليه .

القدر لا ينافى الحرية

فالقدر اذاً لا ينافي حرية الانسان فى أفعاله ، ولا يؤدى الى قهر واجبار ، لأن قضاء الله منوط بعلمه السابق الذى لا يعلم الانسان شيئا منه حينما يقدم على عمل أو يحجم ، كما قال ابن عمر : كان ذلك فى علم الله ، ولم يكن علمه يحملهم عليه .

ثم ان الانسان مأمور بفعل الخير وموعود بالثواب عليه ، ومنهى عن عمل الشر ، ومهدد بالعقاب عليه ، ولا معنى

(١) العدوة : الجانب .



للدكتور أحمد الحوفي

الاستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

للثواب والعقاب الا بأن يكون على عمل صادر عن حرية واختيار . ومن الخطأ أن يحمل أحد علم الله السابق لما يفعل الانسان على أنه جبر والزام . فاذا ما رجعنا الى الآيات الكريمة التي يتضح منها هذا المعنى استطعنا أن نقسمها قسمين .

الانسان حر فى عمله

القسم الأول آيات تبين أن الانسان مسؤول عن عمله وهي قوله تعالى :

١ : ـ كل امرىء بما كسب رهين(١) .

٢ : ـ قل ان ضللت فانما أضل على نفسي ، وان اهتديت فبما يوحي الي ربي (٢) .

٣ : ـ فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل (٣) .

٤ : ـ من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد(٤) .

٥ : ـ وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ، ولوموا أنفسكم (٥) .

٦ : ـ ولا تزر وازرة وزر أخرى (٦) .

٧ : ـ وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى (٧) .

٨ : ـ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل ، ولا هم ينصرون (٨) .

٩ : ـ ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٩) .

١٠ : ـ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (١٠) .

١١ : ـ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت(١١) .

... ومَجْزِيٌّ عليه

والقسم الثاني آيات ترتب الجزاء على العمل ، وهي قوله تعالى :

١ : ـ ووفيت كل نفس ما عملت ، وهو أعلم بما يفعلون (١٢) .

---

١ ـ سورة الطور ٢١
٢ ـ سورة سبأ ٥٠
٣ ـ سورة يونس ١٠٨
٤ ـ سورة فصلت ٤٦
٥ ـ سورة ابراهيم ٢٢
٦ ـ سورة الانعام ١٦٤
٧ ـ سورة النجم ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١
٨ ـ سورة البقرة ٤٨
٩ ـ سورة الاعراف ٢٣
١٠ ـ سورة آل عمران ٧٠ ـ ٧١
١١ ـ سورة البقرة ٢٨٦
١٢ ـ سورة الزمر ٧٠

٢ : ــ ووفيت كل نفس ما كسبت ، وهم لا يظلمون (١) .

٣ : ــ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (٢) .

٤ : ــ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٣) .

٥ : ــ من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد (٤) .

٦ : ــ وما تجزون الا ما كنتم تعملون (٥) .

٧ : ــ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ، وكانوا عنها غافلين (٦) .

٨ : ــ وأما ثمود فهديناهم،فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (٧) .

٩ : ــ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨) .

والذى يفهم من هذه الآيات ومن تلك أن الانسان مسؤول عن أعماله ، حر في أفعاله ، يثاب على الخير والطاعة ويعاقب على الشر والمعصية ، جزاء وفاقا لما عمل وقدم ، وان الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا من خلقه .

ومن السهل أن نفهم الآيات الأخرى التي توهم الجبر ، وهي بعيدة عن فكرة الجبر ، على ضوء ما تقدم من بيان . مثل قوله تعالى : ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا (٩) .

وقوله تعالى : ان هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ، وما تشاءون الا أن يشاء الله (١٠) .

وقوله تعالى : ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها (١١) .

فان الفرض من هذه الآيات أن الله لو أراد أن يكون الناس جميعا مؤمنين لأجبرهم على الايمان ، ولكنه تركهم أحرارا بعد أن أنار لهم طريق الهدى ؛ وحببه اليهم ورغبهم فيه ، وبعد أن حذرهم طريق الضلال ، وبغضه اليهم ، وحذرهم أن يسلكوه ، ليكون مناط الثواب والعقاب والحرية والاختيار .

... وليس مجبرا

بقيت آيات يستدل بها الجبريون ليست متصلة بالمشيئة كالآيات السابقة ، مثل قوله تعالى :

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم (١٢) .

وقوله تعالى على لسان نوح لقومه : ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ، ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم (١٣) .

وقوله تعالى على لسان ابراهيم : لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين (١٤) .

وقوله تعالى على لسان شعيب : وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (١٥) .

وقوله تعالى على لسان أهل الجنة :

---

١ ــ سورة آل عمران ٢٥ — ٢ ــ سورة الشورى ٣٠ — ٣ ــ سورة الانفال ٥٣
٤ ــ سورة فصلت ٤٦ — ٥ ــ سورة الصافات ٣٩ — ٦ ــ سورة الاعراف ١٤٦
٧ ــ سورة فصلت ١٧ — ٨ ــ سورة الزلزلة ٧ ــ ٨ — ٩ ــ سورة يونس ٩٩
١٠ ــ سورة الانسان ٢٩ ، ٣٠ — ١١ ــ سورة السجدة ١٣ — ١٢ ــ سورة البقرة ٧
١٣ ــ سورة هود ٣٤ — ١٤ ــ سورة الانعام ٧٧ — ١٥ ــ سورة هود ٨٨

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله (١) .

وقوله على لسان أهل النار : لو هدانا الله لهديناكم (٢) .

وهذه الآيات لا تعني الجبر والالزام ، بل تعني أنه سبق فى علم الله تعالى ، أن بعض عباده سيصرون على الكفر وتكذيب الأنبياء ، فقضى عليهم بما سبق فى علمه ، وهو أنهم عمى عن الحق ، صم عن الخير ، وسبق فى علمه أن بعض عباده – سيسارعون الى الايمان به ، والى تصديق أنبيائه ، فقضى لهم بما سبق فى علمه من هداية وتوفيق .

فالختم على القلوب والآذان ، والتغشية على الابصار ، والعذاب العظيم فى الآية الاولى نتيجة لكفرهم الذى علمه الله من قبل ، والآيات التى بعدها تبين أن الاغواء والهداية والتوفيق من الله ، باعتبار أنها سابقة فى علمه قبل وقوعها . وقد جاء هذا المعنى واضحا فى آيات أخرى ، كقوله تعالى : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم (٣) .

وكقوله تعالى : فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدى القوم الفاسقين (٤)

وكقوله تعالى : وما يضل به الا الفاسقين ، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض ، أولئك هم الخاسرون (٥) .

وكقوله تعالى : فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الانبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم ، فلا يؤمنون الا قليلا (٦)

وذلك أن الآية الاولى تنص على أن الذين آثروا تكذيب الرسول على تصديقه – بعد أن تبينت لهم الادلة على صدقه – هم الذين اختاروا لانفسهم الضلال على الهدى ، وكان علم الله قد سبق الى ذلك ، فجعلهم أهلا لما اختاروه ، وقضى بعقابهم على كفرهم .

أما الآية الثانية فانها بينة الدلالة على أن الفاسقين ضلوا ، فأضل الله قلوبهم ، فهم كالسابقين أحرار فيما اختاروا وأهل لما يستحقون من عقاب .

وأما الآية الثالثة فانها تبين أن العصاة والفساق الذين يكفرون بالله ، يعيثون فى الارض فسادا ، هم الذين استحبوا طريق الشر وسلكوه ، ولم يجبرهم الله على ذلك بل انه علم بما سيفعلون ، وان علمه لحق ويقين .

وكذلك الآية الرابعة صريحة واضحة فى أن الله طبع على قلوب اليهود بسبب كفرهم ونقضهم العهد ، وقتلهم الانبياء .

على أن بعض الناس قد يخطىء فيستدل بقوله تعالى : والله خلقكم وما تعملون . متوهما أن الخطاب من الله الى البشر ، والحقيقة أنه من ابراهيم عليه السلام الى قومه الذين كانوا يعبدون الاصنام التى كانوا ينحتونها بأيديهم ، فهم واصنامهم من خلق الله ، فلا يصح أن يعبدوها ، لانهم صانعوها ، وهم والاحجار أو الاخشاب التي نحتوها منها مما خلق الله . ويتبين هذا من الآية السابقة لهذه الآية وهى قوله تعالى على لسان ابراهيم : قال أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون (٧) .

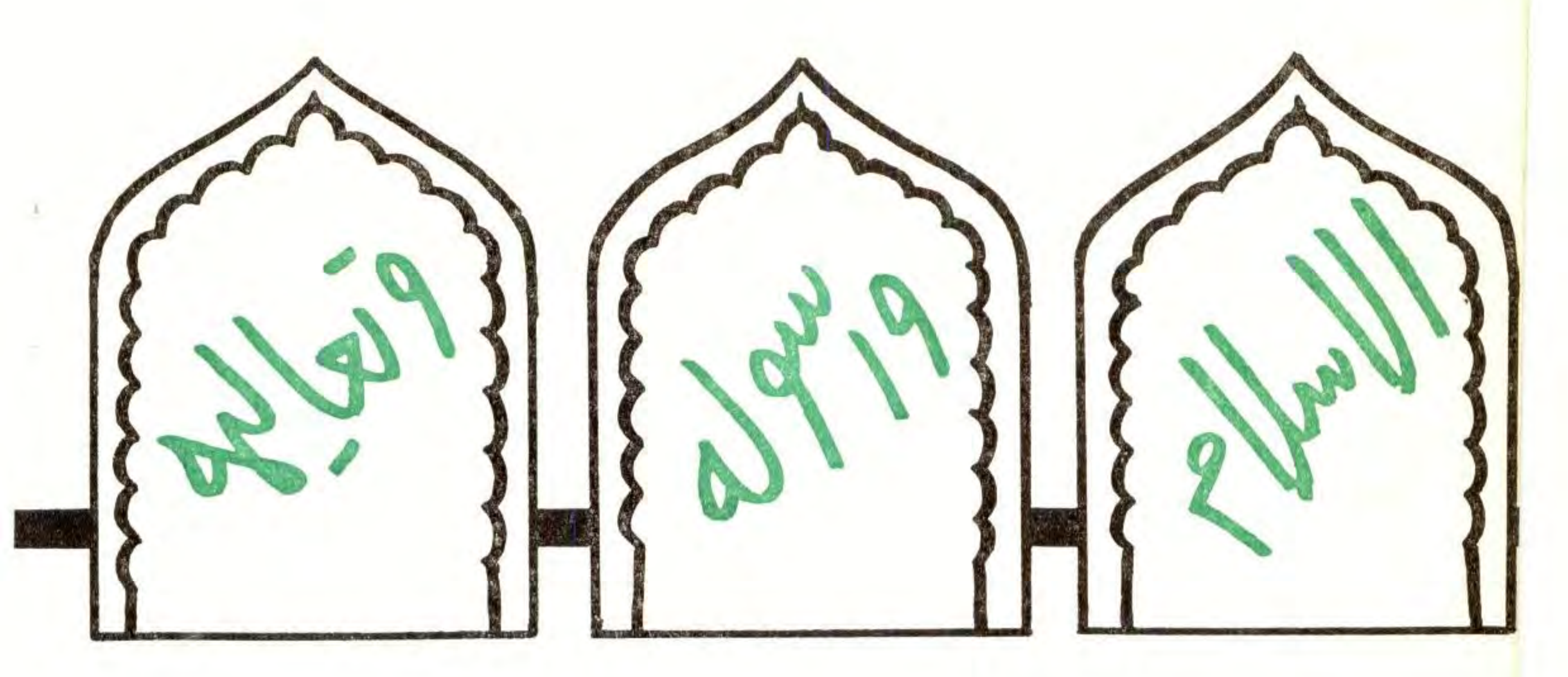
وشتان ما بين المعنيين .

أما بعد :

فان قضاء الله وقدره حق ، والتصديق به دلالة على رسوخ العقيدة ووثاقة الايمان ، وحافز الى العمل للحياة الدنيا وللحياة الآخرة ، وليست به شائبة من بواعث التواكل والتواني أو القعود عن الجهاد الدائب للصعود نحو الكمال ، وحماية الدين ، واعزاز الوطن .

---

١ – سورة الاعراف ٤٣ ٢ – سورة ابراهيم ٢١ ٣ – سورة النساء ١١٥
٤ – سورة الصف ٥ ٥ – سورة البقرة ٢٧ ٦ – سورة النساء ١٥٥
٧ – سورة الصافات ٩٥ – ٩٦



لكل عصر لغة خاصة به ، واسلوب ومنهاج يتم تبادل الأفكار من خلاله ، وكون أى مجتمع يتعامل بلغة واحدة طوال بضعة قرون لا يغير من هـذه الحقيقة ، وذلك أن ثبات اللغة من حيث كونهـا أصواتا معينة يتلفظ بها ، وصورا معينة يكتب بها ، لا يعنى بحال ان تظل على حال واحد لا يتغير بتغير الزمن ، ان اللغة باعتبارها ظاهرة تتصل بالانسان الحي ، لا يمكن الا أن تكون كائنا حيا تجرى عليها نواميس الحياة ، وأخص خصـائص الحياة التغير الدائم .

وليس أدل على ذلك من ان أى انسان متعلم فى العصر الحديث لا يستطيع أن يفهم أى مقطوعة شـعرية كتبت منذ عـدة قرون الا اذا رجع الى المعجم فى كل كلمة تقريبا وحتى المعجم نفسه قد لا يسـعفه ، اذا كانت الكلمة تشير لأسـماء بعض الامكنة التي اندثرت ، أو اسماء الاعلام ، ولا سبيل امامنا الا أن نرجع لبعض الشروح القديمة لهذه النصوص لنفهم المراد من كل لفظ فيها .

(بل ان كثيرا من الكلمات التي نعرفها مثـل كلمات قعد او قام أو قال ، أو ضرب أو قتـل ، تستعمل للتعبير عن معاني لا تخطر لنا على بال) ، ومن الناحيـة الاخـرى لو تصـورنا بعث انسان يتكلم بالعربية من العصر العباسي أو الاموى فى عصرنا الحديث ـ ما فهم شيئا من صحفنا العربية التي تتحدث عن التلفزيون والسينما والتليفون والراديو وهيئة الامم والسكرتير العام ، والدبابة والصـواريخ . بل انـه بدوره لـن يفهم بعض الكلمات العربية البحتة من أمثال كلمة الجامعة ، والكلية ، والسيارة ، والقومية والاشتراكية والامة، مثلما نفهم نحن اليوم من هذه الكلمات .

هذا فيما يتصل بمدلول كل كلمة على حدة ، وليس ذلك قاصرا على اللغة العربية بل انهـا ظاهرة عامة فى كل اللغات . ومعجم أية لغة يحوى عشرات الألوف من الكلمات الميتة التي لم تعـد تسـتعمل ، وعشرات الألوف مـن الكلمات التى أصبحت تستعمل استعمالا جديدا . بل ان لغات عالمية كاللغة اللاتينية التي كانت اللغة الرسمية للامبراطورية الرومانية التي حكمت حوض البحر الابيض المتوسط ألف سنة ، قد ماتت واندرست وعشرات غـيرها مـن اللغات ، واذا كانت اللغة العربية لا تزال حيـة مزدهـرة ، فليس ذلك الا بفضل القرآن الكريم ، الذى حفظ قدرا كبيرا من الألفاظ العربية وحدد معانيها باعتبار ان القرآن كتاب المسلمين المقدس الذى يتوارثونه ويحفظونه ويدرسونه لكل متعلم ، ولذلك أبقى على قدر من الفهم المشترك بيننا اليوم وبين المسلمين منـذ القرن الاول .

على أن القرآن الكريم اذا كان قـد حال دون اندراس اللغة العربية وحافظ على تراكيب جملها وعديد من الفاظها ، فان ذلك لم يمنع من دخول عشرات الألوف مـن الألفاظ التي نتعامل بها فى حياتنا اليومية وهي ليست من العربية ، فاللغة



بقلم الاستاذ

احمد حسين ــ المحامي

العربية اليوم تختلف اختلافا كبيرا عــن اللغة فى القرون الأولى .

منهاج المعرفة

والتغير لا يلحق الألفاظ ومدلولاتها من جيــل الى جيل فحسب، بل ان التغير يلحق منهاج المعرفة نفسها من عصر الى عصر ، فالى ما قبل قرنين فى اوربا ، وقرن واحد فى البلاد الشرقية ــ كان العلم منتهى العلم أن ينقل الانسان عمن ســبق وكان بحسب الانسان أن يقول حدثني فلان عن فلان فى أى موضوع من الموضوعات لكي يكون ذلــك علما يقينيا لا يتعرض لأى لون من ألوان النقــد فضلا عن التمحيص والاخضاع للتجربة .

وقديما اعتبر عمل جامعي الأحاديث النبــوية مــن أمثال البخارى ومسلم وغيرهما ثــورة على الاوضاع المتوارثة فى القرون الســابقة عليهم ، عندما حاولوا أن يضعوا بعض المقاييس والمعايير ليفرقــوا بهــا بين الحديث الصحيح والحديث الزائف وقد كانت السوق مغمورة بمئات الألوف من الأحاديث المدسوسة والمحرفة والمكذوبة وكلها تنسب الى رسول الله ، دون أن توضع مقاييس لغربلتها وبيان صحــة نسبتها الى الرســول ، مادامت تروى له فى الصيغة العلمية حدثنا فلان عن فلان . حتى كان البخارى فاقدم على هــذا العمل العظيم ، وهو محاولة نقد هذا الحشــد من الاحاديث وتحديد الصحيح منها من الزائف ، ولم تتعد عملية النقد التي قام بها هؤلاء الائمــة ، تحرى السند الذى يُرْوَى الحديث من خلاله ، أى سلسلة الرواة الذين تناقلوا الحديث ، فهل هم اشخاص حقيقيون عاشــوا وعرفهم الناس ، وهل كانوا أشخاصا عدولا لم يشتهر عنهم كذب أو نسيان ، ولم يكن فى دينهم أو أخلاقهم مطعن ، وهل تعاصر هؤلاء الاشخاص فعلا بحيث لا يستبعد العقل امكان التقائهم ونقل بعضهم عن بعض ، وهل السند موصول لا ينقطع حتى يصل الى رسول الله ، فاذا استــوفيت هــذه الشرائط كلها ، فالحديث اذن صحيح ونسبته الى رســول الله لا يداخلها شــك ، واصبح كتاب البخارى أصح كتاب بعد القرآن ، واذا اطلق اسم الصحيح دل ذلك على أن المقصود به كتاب البخارى .

وهذا الذى فعله البخارى قد اعتبر فى عصره اجتراء وفتحا جديدا وخروجا وتعسفا ، واضفى على كتابه بعد وفاته ما يشبه القداسة ثم سايره أئمة آخرون ساروا على نهجه وصــار علم نقــد الحديث مــن جهة الرواية مما تميزت به هــذه الأمة لكن ذلك لم يمتد حتى يشمل مثلا موضوع الحديث أو ما يعبرون عنه بمتن الحديث أو يشمل فروع المعرفة الأخرى .

ثم جاء عصر خــبا فيه نــور المعرفــة والعقل والاجتهاد . واكتفى علماء هذا العصر بالنقل ــ نقــل كل ما جاء فى الكتب القديمة دون نقــد أو تمحيص ، كأن أى كتاب قــديم باللغة العــربية فى التاريخ او الادب او النحو أو الفقة أو التفسير قد اصبح بدوره لا يأتيه الباطل من بين يديه او من خلفه ، حتى لو كان هذا الكتاب هو الأغانى بكل ما فيه من فحش ومهاترة ووصف لمجتمع لا يفيق من الخمر والزنا واللواط .

وحتى لو كان ما يقال ويروى لا يقبله العقل وتتقزز منه النفس ، . ولا ينبغى ان نلوم القدماء كثيرا على تصديقهم لكل شيء وعدم انكارهم شيئا، فقد كان العالم امامهم يغص بالعجائب والغرائب . وكانوا لا يستبعدون شيئا على قدرة الله ، وكان منتهى ما يقوله احد المؤرخين أو الكتاب اذا ما نقلت اليه رواية لا يصدقها عقله هو ، ان يثبتها مع ذلك ثم يردفها بقوله ((والله أعلم)) . وكأن العالم منهم يهدد طلبته بغضب الله ((وعدم الفتوح عليه)) ان هو اجترأ على نقد شيء مما جاء فى الكتاب . .

صدمة المفكرين المحدثين من المسلمين

ومن هنا كانت صدمة المفكرين من المسلمين فى العصر الحديث عصر البخار والكهرباء والآلات الحديثة ، وبعد أن فقد المسلمون استقلالهم ، وتفشى المستعمر الاجنبي أرضهم . وما استتبع ذلك من شعور بالهزيمة ، وفقدان الثقة بالنفس ، عندما اتيح لبعضهم السفر الى اوربا فرأوا فيها من مظاهر التمدن والعمران ، ما جعلهم يشعرون بمرارة التخلف ، ويبحثون عن اسباب ما يرون من تقدم فوجدوه فى العلم الأوربي الجديد ، ومنهاج المعرفة الذى لا يقوم على النقل ، بقدر ما يقوم على التجربة ، ورد كل شيء الى العقل ، وتمحيص كل القضايا ، ورفض أية قضية لا يقوم عليها دليل أو برهان ، حتى أصبح الطريق العادى لاى طالب فى أية مدرسة ، لا ان يحفظ عن ظهر قلب مُسَلّمَات ، بل ان يفهم ويدرك ويعي ، فالحساب والجبر والهندسة ، اصبحت مسائل عقلية ، يقام عليها الدليل والبرهان ، والطبيعة والكيمياء أصبحت من المسائل التي يشتغل فيها كل طالب ويجرى التجارب بنفسه ، حتى يقتنع ، فليس يكفي ان يقال له : ان الماء اذا تجمد تمدد وزاد حجمه ، بل يجب ان يعطى كل طالب انبوبة مليئة بالماء ، ثم يراها كيف تنفجر اذا برد الماء وتجمد نتيجة للتمدد .

حتى العلوم النظرية كالقانون والآداب ، أصبحت عندهم تعتمد على العقل والمنطق فليس يكفي ان يروى التاريخ رواية ، بل يجب ان تساق ـ على ما يروى ـ الشواهد من آثار تاريخية ، والجغرافيا أصبحت كلها قضايا لابد من أثباتها ، فكروية الارض لابد من اقامة الدليل عليها وكذلك دورانها ، وعمر الارض لم يعد يكفي فيه ان يقال : ان التوارة تقدرها بأربعة آلاف سنة ، فقد أثبتت الجغرافيا الأثرية ان قدماء المصريين عاشوا ضعف ذلك القدر من السنين على الأرض وهكذا .

ومن هنا عاد طليعة مفكرينا من أوربا ، وهم يحملون المعاول لهدم كل قديم فلايكاد يذكر أمامهم التراث العربي حتى يسخروا منه ، ولايكاد يذكر أمامهم اسم بعض الكتب القديمة حتى ينعتوها بالصفراء ثم يطالبوا بحرقها ، حتى الدين نفسه راحوا يهزون اكتافهم ويلوون كشحهم عنه ، ووصل بعضهم الى حد الكتابة والاشهار فراحوا يشككون ويغضون من شأن كل مقدساتنا .

واعتبر الجيل الجديد من الشباب الذى بدأ يرتوى من قشور العلم الجديد ، هذا النفر من الكتاب هم ائمة الفكر وقادة النهضة ، ودوت اسماؤهم كمجددين مصلحين ثائرين على القديم ، واشتهر من هؤلاء العائدين من أوربا فى الجيل الذى سبق علينا منصور فهمي ، وحسين هيكل ، وطه حسين ، ولحق بهم كاتب عملاق آخر وان لم يسافر الى اوربا ويتعلم بها ، فقد انتقلت اوربا اليه من خلال كتبها ، هو عباس محمود العقاد .

انقلاب

ثم فوجىء المجتمع الاسلامي بهذا النفر يتحول بالتدريج الى اكبر داعية للتراث القديم ، والدين بصفة خاصة ، وتحول رجل كالدكتور منصور فهمي ـ فى أخريات حياته ـ الى صوفى درويش لا يطيق سماع كلمة الثقافة أو العقل فضلا عن الحضارة الغربية التي كان مفتونا بها .

اما حسين هيكل فقد بعث الحياة من جديد فى السيرة النبوية واستضاء بكتابيه ((حياة محمد)) وفى ((منزل الوحي)) مئات الألوف من ابناء الجيل الجديد ، وتلاه طه حسين ، فاذا به يكتب على هامش السيرة أعظم ما كتب ، وجاء عباس محمود العقاد فى خاتمة المطاف بعبقرياته ، فاكتسح بها سوق المعرفة الاسلامية .

ما السر فى ذلك ؟

ما السر فى هذا التطور الذى يشبه أن يكون قاعدة وناموسا ،وما الذى يجعل المفكرين المسلمين فى

العصر الحديث يبدأون بالثورة والتمرد على التراث والـدين ثم ينقلبـون متحمسين لهـذا التراث مدافعين عنه ؟

السر عندنا انهم ثاروا على الأسلوب القديم والمنهاج القديم واللغة القديمـة التي كانت تفرض عليهم ان يطفئوا نور عقولهم ، وان يسمعوا لكل ما ينقل اليهم مع أن القرآن دعـوة مسـتمرة متصلة تحرض على استخدام العقل واستعماله فى كل شيء « أفلا يعقلون ـ أفلا يتفكرون ـ أفلا يتدبـرون » فلما أن طلب مـن المفكريـن الا يفكروا ثاروا وتمـردوا ، وحـق لهم ذلك ، فقد ظنوا ان التراث القديم والدين والاسلام يقوم على اطفاء نور العقل فأنكروه .

وشاءت الظروف ان تقع فى أيدى هؤلاء بالذات ما كتبه ويكتبه المستشرقون من علماء اوربا عـن التراث العربي والاسلامي وعـن نبي المسلمين ، فوجدوا فيما يقوله المستشرقون فى بعض الاحيان تقديـرا لهـذا التراث وتمجيدا له ، واشـادة بمواقف النبي الكـريم ، كمـا وجـدوا فى بعض المواطن الاخـرى ذما وقـدحا وانكارا .. فـراح اصحابنا الى المراجع التي رجع اليها المستشرقون، وطبقوا قواعد التمحيص والنقد المتفق عليهـا ، على هذه المراجع ، فخرجوا من بحثهم بالاعجاب المضاعف لما أعجب به المستشرقون ، كما اكتشفوا التجني والانحراف فى المواضع التي كانت محـل قدح المستشرقين أو انكارهم .

اكتشاف

ومن هنا بـدأ اهتمام مفكرينا الاعلام بالتراث العربي والدين الاسلامي ، وسرعان ما اكتشـفوا انهم كانوا ظالمين عندما انكروا هذا التراث جملة ، وعندما غضوا مـن تعاليم الدين ومبادئه ، فقـد وجدوا انفسهم يبشرون بمدارس فى النقد والادب، وفهم تعاليم الدين قد سبقوا اليها مـن بضـعة قرون ، ووجدوا أنه من السهل تمييز الغث من السمين فى أدبنا العربي وتاريخنا وتراثنا ، وأن التراث العربي والاسلامي والديني يخضع لاقسى اساليب النقد وقواعـد التمحيص العلمي ، وأن قدرا كبيرا منه يظل قائما كحقيقة علمية تتحـدى اكثر المكابرين تعنتا بثبوتها وحقيقتها .

وهكذا انقلب هؤلاء الدعاة للتجديد ، وانكار القديم ، الى اشد الناس حماسة لهذا القديم ، وتعلقابه ، وحرصا على نشر صفحاته المطوية .وقد تم هذا الانقلاب عندما تعلموا أن يطالعوا التراث القديم ، والاسلام وتعاليمه ، بلغة العصر واسلوبه ومنهاجه .

والحق أنه ليس أضر على الاسـلام وتعاليمه وقـرآنه ـ فى وقت اصبح الراديو والتلفزيون والصحافة والكتب ، لا تتحدث فيه الا عن حتمية التاريخ ، والمادية الجدلية ، وقوانين الطبيعة ، والصـراع الطبقي ، والاشتراكية والشـيوعية ، يعزز ذلك ويقويه سفن كشف الفضاء فى طريقها الى القمر والكواكب الاخرى ـ ليس أضر على الاسـلام وتعاليمه مـن ان يظل المتحدثون باسم الدين او الشارحون لتعاليمه ، او الذين يتصدون لمقاومة الالحاد ان يكون كل دليلهم على ما يقولون ان فلانا قد قال ، وان فلانا قد روى عـن فلان ، أو ان يحظروا على العقل أن يفكر ، أو ان يفرض، أو أن يقارن ، أو أن يتسـاءل فى تشكك فى كـل الاحوال .

يجب على كل من يتصدى للكتابة عن الاسلام اليوم ـ وخاصة للجيل الجديد ـ الا يتصور أن كلامه سيؤخـذ كقضية مسلم بها لمجرد أنـه يقـول ، ويجب أن يفرض دائما ان فى العقـول شكوكا ، وشغفا للاطمئنان الى هـذا الذى يقال لهم ، فيجتهد أن يسوقه بقدر الامكان بلغة العصر ومفاهيمه ، ومنهاجه فى التدليل والقياس والبرهان.

واذا كانت مجلة « الوعي الاسلامي » على ما يبدولي قد أنشئت لتضطلع بهذه الرسالة بالذات ، كما ينم على ذلك هذا الحشـد مـن المقالات التي اختـيرت للنشر بهـا ، وكما يـدل على ذلـك فى الدرجة الاولى نداءات المشرفين عليهـا فاني لأرجو ان ادلي بدلوى فى الدلاء وان يوفقني الله لاقدم للجيل الجديد محاولة لشرح الاسلام وتعاليمه وسيرة نبيه بلغة العصر ومنهاج المعرفـة .. لغـة النقد والتمحيص وعدم تقبل شيء الا بدليل ترتاح اليه النفس ، ولست ابغى مـن وراء ذلك الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) آية ٩٤ من سورة المائدة ، وقال سبحانه فى محنة المسلمين فى غزوة أحد عندما انسابت همسات المنافقين وغمزاتهم فى المؤمنين (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) آية ١٦٨ آل عمران ، ثم قال سبحانه فيهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل ان الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك : يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) آية ١٥٤ من سورة آل عمران .

بقي أن يقال ان هذا الاختبار كان يمكن حصوله لو أمرهم سبحانه باستقبال مكان ما غير بيت المقدس ، ثم يحولهم الى الكعبة ، فما هو السر اذن فى اختيار بيت المقدس بخاصة فى جعله ثاني القبلتين .

نقول : الحكمة فى ذلك هي الحكمة فى الاسراء اليه دون غيره ، وفى جعله ثالث المساجد التي لا تشد الرحال الا اليها ، وهي حكمة تستأهل وحدها مقالات خاصة بها ، لا مقالا واحدا ، فضلا عن جزء من مقال .

ولنكتف هنا بالرمز اليها لعلها تفتح عيونا أثقلها سبات الغفلة عن أهمية هذا المكان بالنسبة للمسلمين . أليس فى ذلك ما يوجب عليهم سواء منهم من كان فى مشارق الأرض أو مغاربها أن يكونوا دائما على استعداد للتضحية فى سبيل الحفاظ على هذا المكان الذى ربط الله بينهم وبينه بهذا الرباط المقدس (قبلتهم الأولى) و (مسرى نبيهم) صلى الله عليه وسلم و (ثالث مساجدهم) ذات الميزة الخاصة ، ثم أليس فيه تحذير شديد لهم من أن يمكنوا أحدا غير مسلم أن يدنو من ساحته متحكما فى أرضه ، وبالأخص اذا كان خبيثا ماكرا ارتكب افظع الجرائم التي يعرفها البشر ، وهي الجرأة على قتل النفس بغير الحق وقتل أنبيائهم الذين ما أرسلهم الله لهم الا رحمة بهم . (ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون) ألا يخشى المسلمون أنه اذا تمكن من الاستقرار فى هذه البقعة المقدسة ان يتخذ من ذلك مقفزا يسطو منه على غيرها من قلب البلاد العربية . وفى ذلك العار والدمار لا قدر الله .

فاليقظة اليقظة أيها المسلمون، وخذوا حذركم ، واخشوا غضب ربكم فى الدنيا ، وعذابه فى الآخرة يوم يقوم الحساب ، اذا تراخيتم عن تطهير هذا المكان المقدس .

نسال الله التوفيق ،،،،

((هدية المجلة))

تهدى المجلة الى قرائها رسالة الصيام مع عدد شهر رمضان المبارك .

وهي رسالة تجمع أحكام الصيام وزكاة الفطر فى المذاهب، فى طبع فاخر واخراج ممتاز .

فاحرص على طلب هديتك مجانا من الباعة مع العدد القادم .

مكتبة المجلة

محمد مؤذن

النظرات السبع

خواطر وذكريات واناشيد فى العروبة الصادقة والعمل الجاد والوطنية الصحيحة . من نظم وتأليف المرحوم الأستاذ ابى الاقبال اليعقوبي شاعر فلسطين ، وقد قامت بطبع الكتاب مطبعة النصر التجارية بنابلس .

الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربي

مجموعة ابحاث فى الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربي . من تأليف الدكتور احمد شوكت الشطي ، والكتاب من مطبوعات جامعة دمشق ، ويحتوى على ٢٠٠ صفحة وتشمل ابحاثه حضارة العرب قبل الاسلام وبعده ،وحركة النقل والترجمة فى البلاد العربية ، والعصور الذهبية فى الحضارة والثقافة العربية ومقارنتها بالحياة الغربية .

مقالات

كتاب يقع فى ١٨٠ صفحة قامت بطبعه مطبعة الآداب فى النجف الأشرف وثمنه ١٥٠ فلسا ، جمع مؤلفه الأستاذ محمد المهدى الحسيني الشيرازى فيه ٣٦ مقالا حيا من المقالات الأدبية الداعية الى اتباع الفضيلة وحسن الخلق .

تاريخ العلوم الرياضية

للدكتور احمد شوكت الشطي وهو من مجموعة ابحاثه المتعددة فى هذا المجال ، ويشتمل الكتاب على ٨٢ صفحة ، تجمع بين ثناياها العديد من العلوم الرياضية عند العرب مثل علم الحساب والجبر والهندسة والفلك والمراصد ، ومزودا بمعجم لأعلام حكماء العرب والاسلام فى الرياضيات مع موجز عن تاريخ حياة كل منهم .

المقاصد فى نوازع العرب وسجاياهم

ألفته الكاتبة الكويتية هداية سلطان السالم . وهو بحث تاريخي علمي وأدبي يتناول الكلام عن العرب من لدن نشأتهم الأولى وفى عصورهم المختلفة وحتى عصرنا الحاضر ، والكتاب فى جزأين صدر منه الجزء الاول فى ٣٦٤ صفحة وطبعته مطبعة حكومة الكويت .

تاريخ العلوم الطبيعية

كتاب يبحث عن تراث العرب العلمي والحضارة العربية الاسلامية فى المجتمع العربي ، طبع بمطبعة جامعة دمشق فى ٨٨ صفحة ، وهو من تأليف الدكتور احمد شوكت الشطي الأستاذ بكلية الطب ، ويحتوى الكتاب على موجز لتاريخ علم الفيزياء وأشهر علمائه عند العرب، وكذلك علمي الكيمياء والنبات عند العرب أيضا ، والكتاب رغم ايجازه يعطينا صورة كاملة عن مدى تقدم العرب العلمي .

غزوة أحد

من تأليف الأستاذ محمد احمد باشميل ، وقام بتقديمه ومراجعته وتقويم مصطلحاته العسكرية اللواء الركن محمود شيت خطاب . والكتاب ضمن مجموعة تصدر تباعا عن المؤلف وتتناول الحديث عن معارك الاسلام الفاصلة .

وهذا الكتاب هو الكتاب الثاني فى هذه المجموعة، أما الكتاب الأول فكان عن غزوة بدر الكبرى .

والكتاب الذى بين أيدينا « غزوة أحد » سبق أن اذاع المؤلف نصوصه من اذاعة صوت الاسلام بمكة المكرمة .



عرف العالم آثار الثورة الفرنسية التي كافحت الظلم والظالمين ، وثلت عروش المستكبرين ، ورفعت منار الحرية والمساواة .

وعرف العالم الثورة الروسية مثلا التي طوحت بعهد ، وأقامت عهدا . ودفنت مفهومات ، وبعثت مفهومات .. وليس يعنينا الآن البحث فى حقيقة هذه الثورة ، أو تلك ، أو غيرها من الثورات السياسية والاجتماعية ، ولكن الذى يعنينا الآن التساؤل عن الثورة الاسلامية الكبرى ، التي نعتقد أنها الثورة المثالية التى زلزلت صروح الضلال ، ودمرت حصون الطغيان ، ورفعت منار الحق والعدل والمساواة قبل أية ثورة فى العالم .

لماذا غفلت عنها اوروبا ولا تزال غافلة فى جملتها ، مع أنها الثورة المنشودة بمبادئها السامية ، التي تلبي حاجاتها الروحية والمادية ، وتحل مشكلاتها على انواعها ؟ .

ألم تكن ـ كما نعتقد نحن المسلمين ، وكما هو الوضع الذى تؤيده النصوص

بقلم الاستاذ : احمد مظهر العظمة
رئيس مكتب تفتيش الدولة
دمشق

والوقائع ـ تحريرية بناءة بكل ما لهذين الوصفين من معان عديدة ؟ .

ألم تكن ثورة على الضلال والظلم ؟

ألم تكن ثورة على الجهل والتخلف ؟

ألم تكن ثورة على الوهن والمرض ؟

ألم تكن ثورة على التقليد الاعمى فى كل شيء ؟

ألم تكن دعوة وعملا لليقظة الشاملة فى كل خير ؟

ألم تقم دينا ساميا عمليا ، وتحقق دولة قوية شورية ، وتشيد حضارة رفيعة مشرقة ، وتخلف مجدا زاهرا عظيما ؟

لقد اثبتت هذه الثورة صلاحها التام فى كل حين طبق المسلمون فيه مبادئها ، وسلكوا مناهجها ، واتجهوا نحو مقاصدها .

وكان من ضروب الخيال أن يقال ان أمة ناشئة تقوى على مثل الفرس والروم، ولكن الحقيقة التاريخية فى الفتح تؤيد أن المسلمين الهادين المهتدين قوضوا فى الشرق دولة الاكاسرة ، وزلزلوا فى الشمال والغرب دولة القياصرة ، فزال سلطانها الذى كان ممتدا بين بلاد الشام وأفريقية الشمالية ، وأقامت مقامه (عدالة الاسلام) ترعى الحقوق، وتحفظ الكرامة وتحقق المساواة ، وتصون الحريات الموزونة بكل ما اوتيت من قوة .

فلماذا غفل العالم الغربي ـ حتى اليوم عن الاسلام ، مع مزاياه هذه وأمثالها ؟

لماذا غفل عنه وهو الدين والنظام الانسانيان الاجتماعيان ؟

بل لماذا تنكّروا وقلبوا له ظهر المجن ؟

لعل مرد ذلك الى اسباب أهمها ما يلي :

١ : ـ تمسك الانسان غالبا بما ألفه وتوارثه تمسكا عاطفيا ، وتنكره للجديد الصالح حتى يمر عليه زمن كاف لاستساغته ، ولقد كانت حال العرب من الاسلام ـ أول امرهم معه ـ كحال الغربيين اليوم فى تنكرهم للاسلام ، وفى القرآن الكريم آيات عديدة تسجل تمسك العرب المشركين بما وجدوا عليه آباءهم رغم ضلالهم المبين بوثنيتهم ، وتفاوت طبقاتهم فى مجتمعهم ، وتحكم المستغلين بهم ماديا ومعنويا ...

من تلك الآيات الكريمة قوله تعالى « واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول ، قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (١) » .

٢ : ـ افتراء الكنائس والحاقدين على الاسلام الافتراءات الكثيرة .

وقد كتب فى ذلك افرنسي منصف هو « السيد هنرى دى كاسترى » فى كتابه (خواطر وسوانح) فذكر كثيرا من الاوهام التى يزعم ذووها أنها من صفات محمد صلى الله عليه وسلم أو مما ورد فى القرآن العظيم ، أو من وحشية المسلمين ... والقرآن ومحمد صلوات الله عليه والمسلمون براء من ذلك كله، ولكن الجهل والحقد والعصبية العمياء تملي على ذويها ما تملي من ظنون ومزاعم ، لا تلبث أن تنقشع كما ينقشع السحاب عن وجه الشمس المشرقة .

وقد أشار الاستاذ عبد الرؤوف المصرى الى آثار هذه العصبية الدينية الذميمة المفترية فى الغرب ، فذكّر بالحروب الصليبية ومزاعمها ، وبالمقالات التي كان يكتبها الغلاة فى ذم الاسلام ، وبالاغنيات والقصص التي تنتشر فى

١ ـ سورة المائدة : ١٠٤ .

اوساط شتى ، كأغنية (انطاكية) التي طعن بها على محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، وجاء فيها : (من رأى صنم ماهوم (محمد) مصنوعا من ذهب ، وقد جلس فوق فيل ...) .

واغنية (رولان) التي صور فيها فرسان شارلمان يحطمون الاوثان فى المساجد ، وزعم ان مسلمي الاندلس يعبدون ثالوثا من : ترافاجان ، وماهوم ، وابولون .

وقصة محمد التي يزعم واضعها أن محمدا يبيح للمرأة أن تعدد الازواج (مجتمعين) ! .

وأشار الاستاذ المصرى الى ماصدر عن بعض من يدعون العلم ، كفوستر (عام ١٨٦٢) ودورتي (عام ١٨٧٦) .

واشار كذلك الى طعن بعض من زعموا أنهم توسعوا فى الدراسات الاسلامية مثل بيير (فزايل) الذى ترجم القرآن فى القرن الثاني عشر الى اللاتينية وجعل فى الترجمة ما جعل من مزاعم ومفتريات .

ومثل بيير (باسكال) الذى قال فى القرن الرابع عشر : (ان محمدا دجال عدو للمسيح) . واشار الى بعض القصائد التي كان ناظموها يثيرون على الاسلام الخرافات والافتراءات ، كزعمهم ان محمدا لص نوق متهالك على اللهو ، ساحر ، رئيس عصابة من قطاع الطرق ، قس روماني مغيظ محنق اذ لم ينتخب لكرسي البابوية ، وجعله بعضهم الها زائفا ، وزعم جبير دوتوجين ان محمدا مات فى نوبة سكر ...(١) .

كانت هذه المزاعم والطعون مع سماحة الاسلام الصريحة ومحاربته الوثنية دون ما هوادة ، واجلاله الأنبياء والمرسلين جميعا ، ودعوته الى الايمان بهم ، وتسجيله معجزات المسيح عليه السلام ... ولكن قاتل الله العصبية العمياء فانها تبيح لنفسها قول الهراء والافتراء وتكذيب الارض والسماء .

ولا شك ان ما اشرنا اليه من آثار هذا الحقد الدفين والجهل الاعمى ، شرّق وغرّب فى أوروبا ، وصدقه العوام وكثير من الخواص ، واذا اتيحت مناسبة للمسلم سمع من ذلك الاعاجيب ، ومن ذلك ان امرأة عجوزا قالت لي فى باريز حين علمتْ اني مسلم : اصحيح انكم تعبدون محمدا ، اصحيح انكم لا تؤمنون بالآخرة ... فلما نفيت لها ذلك مثبتا عبادتنا لله وحده ، وايماننا باليوم الآخر اكبرتني وراعتني فيما اشتريته من لدنها اكراما وتقديرا .

وقد يحدث لبعض العلماء المتعصبين شيء مشابه لذلك ، فيرجعون عن الخطأ ويكفون عن الزلل ، نقل المؤرخ التركي مراد : ان ((اوغست كونت)) احد فلاسفة الفرنسيين كان يطعن فى الاسلام ونبيه ، متأثرا بروح التعصب الكنسي ، واتفق ان زار الاندلس ، ووقف تلقاء آثار المسلمين فيها ، وانتقل الى روما ، وعكف على بعض الكتب التى تعرف بالاسلام ونبي الاسلام والمسلمين يطالعها ، وكان فى مقدمة ما يلفت نظره أمية الرسول ، وكثيرا ما كان يتساءل : كيف يتاح لمن عاش فى الصحارى ، ولم يدرس أو يقرأ ، أو يكتب ، أن ينشىء مثل الشريعة الاسلامية التي لا تماثلها شريعة فى أحكامها وفلسفتها ؟ .

وبدا له أن يجتمع بالبابا بيوس التاسع ، ويسأله عن رأيه ، وبعد حديث

(١) المنتقى فى تاريخ القرآن ص ٥٣ و ٥٤ .

معه فى ذلك قال له أصحيح أن محمدا كان أميا كما يدعي المسلمون ، وتـذكر التواريخ ، لا يعرف القراءة والكتابـة ؟ فأجابه بجوابه المشهور : نعم انـه كان أميـا . . .

قال المؤرخ (مراد) : ان « أوغست كونت » لطم عند ذلك وجهـه وقـال : (واخجلتاه منك يا محمد ، انني ظلمتك، فالويل لك يا اوغست . . . الا أنني أقر ، وأعترف بأن محمدا أصغر من اله ، ولكنه بكل حال أسمى من البشر) (١) .

ولعلى ابين فى مقال آخر أثر المعرفة والانصاف فى هداية ذويهما من الغربيين الى الاسلام .

٣ : ـ تأخر المسلمين فى كثـير مـن المجالات : هذه الظاهرة كثيرا ما تحدو بالغربيين الى البعد عن الاسلام ، فهـم يريدون الكمال فى أمور دنياهم ، ونحن فى دنيانا مقصرون ، فضلا عن تقصيرنا فى كثير من نواحي آخرتنا . والاسـلام انما ينشد الكمال ، ويدعو الى اتقـان العمل الصالح دنيويا وأخرويا .

ويعجبني قول الامام ابن الجوزى : منذ القرن السادس الهجرى « من أعمل فـكره الصـافى دلـه على طلب أشرف المقامات ، ونهاه عن الـرضى بالنقص فى كل حال . وقال ابو الطيب المتنبي :

ولـم أر فى عيـوب الناس عيبـا
كنقص القادريـن عـلى التمـام

« فينبغي للعاقل أن ينتهي الى غاية ما يمكنه ، فلو كان يتصور لآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض » .

« ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر فى تحصيلها فى حضيض . غير أنه اذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن » .

« والسـيرة الجميلـة عند الحكماء خروج النفس الى غاية كمالها الممكن لها فى العلم والعمل وأنا اشرح من ذلك مـا يدل مذكوره على مغفله » .

« اما فى البدن : فليسـت الصـورة داخلة تحت كسب الآدمي ، بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها » .

« فقبيح بالعاقل اهمال نفسه ، وقد نبه الشرع على الكل بالبعض . فأمـر بقص الاظفار ونتف الابط ، وحلق العانة ونهى عن أكل الثوم والبصل النيء لأجل الرائحة » .

« وينبغي لـه ان يقيس على ذلـك ويطلب غاية النظافة ونهاية الزينة » .

« وقد كان النبي صلى الله عليـه وسلم يعرف مجيئه بريح الطيب ، فكان الغاية فى النظافة والنزاهة .

« ولست آمر بزيادة التقشف الذى يستعمله الموسوس ، ولكن التوسط هو المحمود » .

ثم ينبغي له أن يرفق ببدنه الـذى هو راحلته ولا ينقص من قوتها ، فتنقص قوتـه » .

الى ان قال :

وينبغي لـه ان يجتهد فى التجـارة والكسب ليفضل على غيره ولا يفضـل غيره عليه .

وليبلغ من ذلك غايةلا تمنعه عن العلم، ثم ينبغي له ان يطلب الغاية فى العلم .

ومـن اقبـح النقص التقليد : فان قويت همته رقته الى ان يختار لنفسه

البقية على ص ٥٢

١) مجلة التمدن الاسلامي المجلد ٣ ص ١٢١ من مقال للمرحوم الأستاذ طه المدور .



ضرورة اجتماعيّة

قال الله تعالى وصدق الله العظيم « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . ٨٣ — ٨٥ سورة آل عمران .

ان الحاجة الى الاصلاح أصبحت ضرورة لا مفر منها ولا مناص ، وعلى الصفوة أن تحقق اليوم وفى الغد ، أكثر مما يجعلنا نفاخر فقط بما حققناه فى أمسنا القريب والبعيد واذا كنا قد حاولنا أن نرتفع لمستوى ماضينا العظيم فاننا فى الوقت ذاته ندرك أن هذا الماضى لا قيمة له ولا جدوى فيه — اذا كانت أمجاده تاريخا يروى ، يشمب خيالنا اليه ، وتقصر أعمالنا عن الوصول الى مستواه .

ان سلطة القانون ، أو الدعوة الاخلاقية، أو النهضةالعلمية ، أو الانظمة الاقتصادية ، أو المذاهب الفلسفية ، كل أولئك وغيره مما يستولده الفكر البشرى فى أدق صوره ، وأعمق مغازيه ، وأوفى مفاهيمه ، لن يكون أساسا لاصلاح ثابت الدعائم ، دائم الاثر ، فياض الموجات ، يأخذ بيد المجتمعات والشعوب لتحقيق حياة أفضل ،وغد مشرق سعيد .

ان القانون يتناول من أمور الناس ما

ظهر منها دون ما بطن ، ومجاله فى الثواب محدود ، ونظرتــه الى ذوى الفضــائل قاصرة ، وكل عيون القانون مفتوحــة ومركزة لرصد المنحرفين عن الجادة ، أو لتنظيم الحياة اليوميــة العاديــة فى صورها المادية الظاهرة .

هذا وربما نجحت الدعوة الى مكارم الاخلاق فى الأخذ بيد المجتمع نحو حياة تسودها بعض الفضائل والمثل والقيــم الرفيعة ، وقد تنجح هــذه الدعوة فى بث الوان من صور المروءة فى النفوس ، فيقــل الكذب ، ويندر الغش ويكثــر الايثار ، ويشيع حب الجار ، ولكن هل

للاستاذ السيد محمد أبو المجد

بهذا وحده تتحقق الحياة المثلى للفــرد والمجتمع بصورة عملية ؟ أو هل يظــل الفرد أمينا لمبادئه الاخلاقية السامية ، لو رأى عمليا عدم جدواها فى مجتمــع يأكل قويه ضعيفه ؟ ؟ ! ثم ما هذه المثل الاخلاقية ؟ ! وما مقاييسها ؟ وهل هى ثابتة لا تتغير من زمن لآخــر ، أو مــن مجتمع الى مجتمع ؟ ! ! ألم تكن موائد الميسر ومعاقرة الخمر من مفاخر بعض المجتمعات ، وهى اليوم سبة اجتماعية ورذيلة تتابع بالزجر والعقاب ؟

ان كثيرا من الفضائل الخلقية هنــا رذائل خلقيــة هناك ، فكيف نطمئن فى اصلاح مجتمعنا بطريقة ثابتة دائمة الى هذه القواعد الخلقية وحدها ، وهى على ما رأينا من قصور واختلاف ؟ ؟

ولا شك أن للعلم معاييره فى الاصلاح ، بيد أنه واقعى مادى قد يحقق للانسان الربح ، ويضمن له الكسب ، ويتيح له لونا من ألوان الرفاهيــة ، وقــد يعطى الدولة فرصا طيبة لبسط السلطان ، ونفوذ الجاه ، وعلو المنزلة ، ولكن هل به وحده تتحقق سعادة المجتمع ؟ ! وهل بهذه المظاهر المادية تسمو النفوس وتصفو الارواح وتطمئن القلوب ؟ ! !

انه مما لا شك فيه ان الجانب المادى شطر من وجودنا ، والجانب الروحى شطر أصيل فينا ، ولا بد للمصلح أن يراعى فى اصلاحه الى جوانب المظهر المادى الجوانب الروحية ، حتى تهدأ أرواح مضطربة ، وتسعد نفوس حائرة ، وتطمئن قلوب قلقة .

ولا سبيل الى ذلك الا عن طريق الدين الصحيح ، والايمان الراسخ ، والعقيدة القوية « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهــم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » نعم . لا بد من الاعتماد فى كل اصلاح على سلطة الدين المستقرة فى النفوس ، وقوة العقيدة الفطرية فى القلوب ، حتى يثمر الاصــلاح ، ويبقى أثره على مــر الحقب ، وتطاول القرون .

التدين أمر فطرى

ولا نحاول ولن نحاول بهذا أن نعرض على نفوس الناس ما يعارض فطرتهم ، أو يخالف طبائعهم ، لأن الدين فطرة الله التي فطر الناس عليها . « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » آية ٣٠ من سورة الروم .

ومنذ وجدت الجماعات البشرية اتجهت فى سموها الى هذه الروح الدينية ، وكل مجتمع كان ينحو فى فهم تدينه على حسب ما يهديه اليه عقله ، أو ترشده اليه بيئته ، أو يوحي به اليه مفكروه ، أو ينذره به رسله ولكنها جميعا كانت تلتقى عند قدر واحد هو الدين فى ذاته ، والعبادة فى مبدئها .

وبغير الدين تصبح الجماعات البشرية الى الحيوانية أقرب ، وتصير حياتنا فى هذه الارض مبتورة الصلات ، محدودة الهدف ، منبهمة القيمة ، ولهذا رأينا كل المجتمعات ـ حتى البدائى منها ـ لا تستطيع أن تقيم حياتها على غير دين .

وقد رأينا ابن المقفع يوم أن أزمع اعتناق الاسلام يكره أن يبيت ليلة واحدة على غير دين ، فقد وعد أن يسلم من الغد ، ثم أدى بعض مراسيم العبادة المجوسية فى المساء ، ولما سئل كيف تفعل ذلك وأنت على وعد بالاسلام من الغد قال « كرهت أن أبيت على غير دين » .

بل ان الملاحدة انفسهم يفزعون الى الدين عندما تنزل بهم النوازل ، وتصيبهم الاحداث ، أو تتقدم بهم السن « واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون » .

وكثيرا ما ردد الاجتماعيون ضرورة الدين كظاهرة اجتماعية ، وكثير ما سمعنا منهم « لو لم يكن الله موجودا لوجب أن يوجد » وعلى هذا سارت كل المجتمعات حتى الوثني منها ، وما الاصنام الا ظواهر لمحاولة البشر خلق الديانات ، واطلاق اثرها فى النفوس ، حتى تكون هديا للمجتمع ، ودافعا له على السمو فى مضمار الحياة .

الدين القيم

وقد أغنانا الله جل جلاله بدين قويم ، يجمع بين فلاح الدنيا وصلاح الآخرة ، ويأخذ من الفرد فتزدهر الجماعة ، وينظم الاسرة فترقى الدولة ، ويرسم النظم للمجتمع المتكامل المتعاون القوى السليم .

فهل نترك اصوله لنلتمس وسائل الاصلاح من غيره ، وهو أس كل صلاح ودعامة كل خير ؟ وقد حقق بالفعل رسالة الخير والصلاح والقوة لمجتمع لم تتهيأ له أسباب النهضة الا بهذا الدين « قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

ان الاسلام هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد الاسلامية وما ران عليها من آثار الماضى البغيض ، لانه يعالج الظاهر والباطن ، وينهض بالمادة والروح ، ويسمو بالحياة الدنيا ، ويطهر النفس ، وينظم المعاملات ، ويسن الشرائع ، ويقر العقيدة فى سماحة ويسر ، يسعد بها الفرد ، وتستقر الجماعة . فلا يصدر المسلم فى كل حركاته وسكناته الا متجها الى الله ، فاذا عمل عملا اتجه فيه الى الله ، فلا رقيب عليه الا وازعه الدينى ، ولا يخشى فى تصرفاته الا فاطر الارض والسموات ، المطلع على سرائر القلوب

الملم بخلجات النفوس ، مستحضرا قول الرسول الكريم فى الاحسان « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » واثقا بأن الله مطلع على دخائل النفوس ، ملم بهواجس القلوب « ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شىء عليم » .

وبهذا يصبح مشتغلا بالله مقبلا عليه فى يقظته ومنامه ، فى سكونه وحركاته ، فى خلوته واجتماعه ، فلا يراعى الا الله ، ولا يخشى فى الحق غير الله ، ولا يطيع مخلوقا فى معصية الخالق ، فاذا ما دعا داعى التضحية بالنفس والمال أسرع ملبيا النداء ، هاتفا من أعماق قلبه فى قوة وايمان « وعجلت اليك رب لترضى » .

وبهذا كان المسلمون مجتمعا متماسكا قويا ، يلتف تحت راية واحدة هى راية الاسلام ، ويعتز بعقيدة واحدة هى عقيدة الاسلام ، ويجاهد فى سبيل هدف واحد هو هدف اعزاز الاسلام ، حتى غدا المسلمون جميعا « أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا » وصاروا قوما يحبهم الله ويحبونه « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم » ٥٤ المائدة .

ترى المسلم منهم فى رمضان قد برح به الجوع ، وأرمضه العطش ، ولا رقيب عليه ولا حسيب ، ولو شاء لسد جوعه ، وبل غلته ، ولكن ضميره الدينى يبقى واقفا له بالمرصاد ، مذكرا اياه بربه منبها اياه الى دينه ، فيمسك عن الطعام ، والشراب . وهكذا يتولى الدين البواطن والسرائر ، كما يتولى المظاهر والظواهر ، ويعالج الارواح كما يعالج الابدان ، ويعنى بشؤون الدنيا كما يعنى بشؤون الآخرة ، ويمنع عن الانسان الضرر ، كما يجلب اليه النفع .

وهو بهذا لا يدع وسيلة للشر الا دفعها ، ولا بابا للخير الا فتحه على مصراعيه ، فهو وحده المنهج القويم « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وبه تتخلص الجماعة من سمات التخلف التى لا يصل اليها القانون وحده ، ولا تجدى فيها التعاليم الخلقية وحدها ، ولا يبرىء منها التعليم وحده ، بل لا يرسم علاجها الدائم الناجع الا الدين وتعاليمه ، والعقيدة وسلطانها .

فعلى أساس الدين وحده نستطيع أن نصل ماضينا الزاهر بمستقبلنا الباسم ، ونطهر نفوسنا من الخوف والضعف ، والاثرة والحقد ، وسوء الظن بأنفسنا وبالناس ، ونتجنب الغرور السلبى الذى يحملنا على المباهاة بغير عمل ، والتعصب الاعمى الذى يحملنا على الكفر بكل ما يخالفنا ، ولو كان صوابا ، ويجعلنا نتتبع أخطاء غيرنا ، دون أن نرتفع بأنفسنا عن مستواها .

ان عصورا مظلمة أفسدت نفوسنا ، وتركت فيها كثيرا من الرذائل ، تركت فيها الخوف من حمل التبعات ، والاستهتار بها ، تركت فيها الخوف من القانون والاحتيال على التخاص منه ، دون شجاعة لطلب تغييره ان كان معيبا

البقية على ص ٥٧

البيوت من أبوابها

اصلح الاسس للحكم الناجح

للاستاذ : ع٠ن٠

الثقافة الاسلامية من أصلح

ترتفع الشكوى بين الحين والحين فى كثير من البلاد الاسلامية ــ ان لم تكن فيها كلها ــ من الروح السيئة التى تعيش فى جوها انظمة الجهاز الحكومى ، سواء اكان ذلك من الانظمة نفسها ام من المنفذين لها ويبذل الغيارى من المسئولين جهودهم للقضاء على هذه الروح ، باصدار تعديلات للنظم القائمة .. ونداءات يناشدون فيها العاملين الاخلاص فى عملهم ومراعاة مصالح امتهم .

ولكن كل هذه الجهود كثيرا ما تذهب هباء لان هناك ما يشبه الفجوة بين هذه الانظمة وبين روح القائمين بتنفيذها .

وكثيرا ما ارتفعت الاصوات بمحاولة علاج هذه الحالة علاجا جذريا ، يقوم على ربط النظم السائدة بدين الامة وخلقها وثقافتها الاصيلة ، والدخول الى البيوت من ابوابها ، وعدم الاعتماد على التقليد الصرف ، او الاعتماد على الالفاظ الرنانة مثل الواجب والمصلحة الوطنية والقومية الخ لاثارة روح الاخلاص فى العاملين ، فان هذه الالفاظ كثيرا ما تذهب مع الريح ، ولا تمس القلوب فضلا عن ان تثيرها . ولكن اصحاب الاصوات المخلصة كثيرا ما يتهمون بالرجعية والتخلف .. فتذهب اصواتهم هباء ، بينما تذهب جهود المصلحين للنظام هباء كذلك ، ويظل الفساد او النقص يسرى ويستشرى ، والشكوى ترتفع والثقة تضيع ، ومن بين هذا وذاك يدس دعاة الهدم انوفهم ، ويستغلون سخط الساخطين ليبثوا فيهم سمومهم ، ويصورون لهم الانقاذ فى انظمة ومبادىء تقلب حياتهم رأسا على عقب ، وتسلبهم عقيدتهم وتراثهم بل انسانيتهم ،

وتحيلهم الى « تروس » صماء فى آلـة كبيرة يسيطر عليها فرد واحد .

ومـن هنـا يهب الخطـر على البلاد الاسلامية ، ويصبح من واجب رجالهـا والمسئولين عـن مصيرهـا وكيانهـا ان يسارعوا الى علاج الفساد فى مجتمعاتهم علاجا يقضى عليه قضاء تاما ، ولا يدع مجالا لساخط او هدام منتهز للفرص .

ولا اعتقد ان هناك علاجا جذريا خيرا من استيحاء مبادىء الدين والثقافة الاصيلة للشعب فى سن الانظمة والقوانين، وربطها

يعيشـون على فتات موائده نسـوق لهـم اليـوم بعض ما جـاء فى تقـرير لـم يضـعه علمـاء مسـلمون يمكـن أن يقـال عنهم انهـم متعصـبون أو رجعيـون ، ولكـن وضـعه خـبيران استقدمتهما حكومة الجمهورية العربية المتحـدة للبحث فى « تنظيـم الادارة الحكومية » بها ، وتقدما بهذا التقرير الى اللجنـة المركـزية لتنظيـم الادارة الحكـومية فـى صـيف ١٩٦٢ .. والخبيران هما « لوثر جيوليك، وجيمس هـ . بولوك » ..

الاسس للحكم الناجح في العصر الحديث

بعقيـدة الشعب ومثلـه التى غـرسها الاسلام فى نفوسهم ، ثم حراسة تنفيذها من الرؤساء على اساس من العدل الذى يطمئن الجميع على مصالحهم، ويوفر لهم الاستقرار المنشود ، من سن القوانين ..

حينئـذ يطمئن المحكـوم ويخلص فى العمل ، ويطمئن الحاكم ويضاعف مـن جهوده لوفرة الانتاج والارتفاع بمستوى العمل الموكل به ..

هذه دعوة نادينا بها من قبل عـلى صفحات هذه المجلة كما نادى غيرنـا ، ولعل دعوتنا هذه صادفت من قال عنا رجعيون متخلفون أو حالمون خياليون ، وهذا وان كان لا يفت فى عضدنا أو يثنينا عن دعوتنا ، الا أننا نحب أن نسـوق للمفتونين دائما بما يرد عن الغرب، والذين

قالا فى صدر هـذا التقرير (١) الذى عنى اولا بالمبادىء والاسس التى يجب ان يقوم عليها أى نظام ناجح : « اننـا ندرك حق الادراك ان النظم الحكوميـة تتكيف وفق مقتضيات الجو الثقافى الذى توجد فيه ، ولا يمكن بحث خطط اعادة تنظيم جهـاز ايـة حكومة او اجراءاتها بمعزل عن تعرف التيارات العامة التى تسود حياة الامة ، والمعتقدات الاساسية التى تدين بها .

غير ان الحكومة ايضا تعتبر من القوى الايجابية فى التغيير والتطوير ، وآية ذلك واضحة فيما تم خلال العشرة الاعـوام التى انقضت على قيام الثورة المصرية ، لهذا كان على من يتأمل المستقبل، ويقترح ادخال تغييرات هامة، ان يعني حق العناية بدراسة قوتين كبيرتين :

---

(١) كما فى نشرة أصدرها المركز العام للشبان المسلمين فى القاهرة باسم « دعوة الاسلام » .

اولاهما : التأثير القوى للثقافة ، الذى يميل الى الابقاء على التقاليد الموروثة .

ثانيتهما : القيم الاخلاقيــة المبدعــة للجديد من الافكار والنظم التى قد تغير وضع شعب من الشعوب ـ بأن تدفعه الى حيــاة جديدة ذات قيم ومعتقدات جديدة .

ومن المهم ان نعترف منذ البداية بأن امر جهاز الحكــم ليس بأهــم الامــور ، فالمعتقدات والقيــم التى يرتكــز عليها تفوقه اهمية وخطورة ، فاذا اســتطاع الجهاز الجديد ان يبعث هذه المعتقدات والقيم ، وان يصوغها ويشكلها فى صورة نظم ، فان التقدم الذى يحــرزه الشعب حقا لا يكمن فى النظم الحكومية ، بل فيما تقوم عليه مــن قوى اخلاقية وفلسفية وروحية .

لهــذا كان على المسئولين عــن اعادة تنظيم الجهاز الحكومي على نحو جذرى ان يستهدوا بهدى ثقافة الامة ذاتهــا ، وفهم المعتقدات والقيم التى تسير عليها الامة فى حياتها . وكان من المتعذر علينا ان نفهم تلك المعتقدات والقيم، لاننا ننتمى الى ثقافة اخرى ، لهذا بذلنــا جهــدا متصلا للتعرف عليها ، لا عن طريق القراءة فحسب ، بل كذلك عن طريق الاجتمــاع بالقــادة فى ميــادين الــدين والاخــلاق والفلسفة ، لكي نتبين تيارات الثقافــة المصرية التى يبدو ان لها تأثيرا اساسيا فى المشكلات التى نبحثها .

وقــد راعنــا خــلال هــذا البحث ان اهتــدينا الى عــدد مــن المعتقدات الاساسية الوثيقة الصلة بتلك المشكلات واننا لنورد تلك المعتقدات فيما يلي ، فى صورة بالغة الايجاز ، خالية مما تستحق من افاضة وتفصيل :

شرع الله اقامة الدولة كنظام اخلاقى واقتصادى وســياسى ، وللانســان ان يشكل هذا النظام بفضل ما يتاح له من اتساع فى المعرفة والخبرة والتفكير ، وذلك على اساس المبادىء الاخلاقية الاساسية المقررة .

الناس سواسية امام الله ، ومن ثم امام القانون .

ليس للحاكم ، ولا لرجل الدين ، ولا لاى طبقة او فئة ، ان تحول بين المرء وحقوقه وواجباته ، او تفصل بينه وبين الله .

الاستغلال الشخصى للنفوذ امر يأباه الخلق الكريم .

نظام القيادة نظام مستحب من حيث المبدأ ، ولكن كل راع مسئول امام الله عن رعيته ، وبذا يكون مسئولا عن رعاية شئون الناس .

الاخذ بالشورى فى مختلف المستويات امر لا بد منه فى اتخاذ القرارات والاعمال الحكومية .

نظام الملكية الفردية حــق مقــدس ، ينطوى على ضرورة استخدام الممتلكات على نحو مثمر ، مع تخصيص قدر من الدخل فى عون المعوزين وخدمة المجتمع والضرائب . (الزكاة والانفاق) .

للمجتمع وللحكومة التى يقيمها المجتمع على أساس الشورى ان يقررا ما يدخل فى بــاب « المعروف » ومــا يدخل فى باب

((المنكر)) استنادا الى المبادىء الخلقية والدينية المقررة .

العمل له نبالته الخاصة ، ويستحق العامل أجرا عادلا على عمله .

الانسان مكلف بكسب العلم ، واعمال العقل ، واستخدام المعرفة التى حصلها على هذا النحو فى نفع الناس ومرضاة الله .

ويتجلى من تعمق هذه النقط أن الثقافة الاسلامية من اصلح الاسس للحكم الناجح فى العصر الحديث . وليس هذا فحسب بل انها كذلك تقدم للشعب المصرى المبادىء التى يمكن ان يقيموا عليها ديمقراطيتهم الجديدة التى تتميز بالقيادة الايجابية الفعالة ، ومشاركة الشعب فى الحكم ، وتحرس استخدام الثروة الخاصة والعامة لخير الامة .

اذا صح ما ذهبنا اليه فى تلك العجالة القصيرة ، فان الثقافة الاسلامية تكون ابعد الاشياء عن اعاقة سير التقدم والتطور فى النظم الحكومية ، كما تكون ابعد الاشياء عن الدعوة الى الطاعة العمياء او التشبث بالتقاليد العتيقة ، ذلك ان الثقافة الاسلامية تشجع الانسان على استخدام عقله فى تقدير مقتضيات العالم الحديث ، مع الاطمئنان الى القيادة المسئولة، وتبادل الرأى والمشورة ، وهذا على التحديد هو المنهج الذى صارت الحاجة ماسة اليه » ا هـ ..

هل يسمع هذا المؤمنون من الحكام فيقبلوا على اصلاح شئون امتهم على النهج الاسلامى غير هيابين مما يقوله المدعون والمتخرصون والمفتونون بالغرب او الشرق والاستيراد منه ؟

فان مصلحتهم ومصلحة امتهم ــ بعد طاعتهم لخالقهم ــ اولى بالرعاية والاهتمام .

وهل يقرأ هذا اخواننا وابناؤنا من المسلمين الذين وقعوا تحت تأثير الالفاظ البراقة التى يطلقها دعاة الهدم والتضليل ليصدوهم عن الاعتزاز بدينهم وثقافتهم وامجادهم وينزعوهم من احضان اوطانهم ، ويحملوهم على التنكر لتاريخهم، ليعيشوا عبيدا وتبعا لغيرهم ؟

وهؤلاء الذين يحلو لهم ــ تبعا لهواهم ــ ان يربطوا بين الاسلام والرجعية ، ويدعون ان الاسلام قد استنفد اغراضه فى عصوره الاولى .. الا يسمعون كلمة الانصاف من خبيرين غير مسلمين .

((الثقافة الاسلامية من اصلح الاسس للحكم الناجح فى العصر الحديث)) ؟ !

عن أبي سعيد ــ رضي الله عنه ــ قال :

« ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي الى امرأته ، وتفضي اليه ، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه »

« رواه مسلم وأبو داود »



بهائم جهنم

قال حاتم : الأصم المغتاب والنمام ، قردا أهل النار !!
والكذاب كلب أهل النار !!
والحاسد خنزير أهل النار !!

وقفة خاشعة

محمد مؤذن

قدمتُ شعرى لها في الحب قُربانـــا … وذُبْتُ في صوغـه روحـــاً ووجدانا
غيداءُ لا تسأمُ الأنظـــارُ رؤيتهـــا … إن ملَّت العـــينُ بعضَ الغيد أحيانا..
الحسنُ بالكـــبر يُغرى قلـــبَ صاحبه … وحسنُها زادها عطفـــاً واحسانـــا
تجـــود بالوصـــل ان ضنَّ البخيـــلُ به … في اليوم خمســـاً ، ويبقى الشوقُ ظمآنا.
بنـتُ السماء بدت والأرضُ مجدبـــةٌ … فصيَّرت جدبَهـــا رَوْحـــاً وريحانـــا
رفَّـــتْ على الكونِ انسامـــاً معطـرةً … تأسو جراحـــاً ، وتمحو منه أضغانـا
جاءت إلى الناس ، والأحقادُ تشعلها … حربـــاً ، فعادت بهـــم للسلم اخوانـا
شفتْ نفوســاً من الدنيا وزخرفهـــا … وأبرأت من سقام الجهـــلِ أذهانـا..
وَعوَّدَتْ طاعـــةَ الرحمنِ مَنْ درجوا … على التمــــرد والعصيان أزمانـــا ..
وأسلست لقياد الديـــن أفئـــــدةً … كانت دليـــلا على الفوضـــى وعنوانا

★ ★ ★

ياويح نفســـى ، والذكرى مؤرِّقـــةٌ … انى ذكرتُ الذى لم أنســــه الآنـــا
ذكرتُ صوتَ « بـلال » حيـن أعلنها … للناس نوراً وإخلاصـــاً وإيمانـــا..
كم من جُنوبٍ بها قرَّتْ مضاجعُهـــا … سرعان ما نشطت للصوتِ سرعانـــا..
سُقْيَا لعهدِ نبيٍ كان مسجـــــدُه … في السلم روضـــاً ، وفي الهيجاء ميدانا

للاستاذ يوسف زاهـر
المدرس بمدرسة التحرير الثانوية بالاسكندرية

ان حَيْعَلَ الهاتفُ الداعى بهاسَحَراً   لم يعرف النومُ للنُّوامِ أجفانـا..
قومٌ مناجيدُ لايَعْتَاقُ عَزْمَتَهُـم   على العبادة خطبٌ جلّ أوهانـا
اذا دجا ليلهـم صاروا ملائكـةً   وان بدا الصبحُ هبَّ القومُ فرسانـا
لم يشهد الكونُ والتاريخُ قبلهـمُ   رُعاة شَاءٍ بَنَوْا مُلْكـاً وسلطانا
لم يفتَحوا بسيوف اللهِ من بلـدٍ   الا وقـد عمَّروا بالسلم بلدانـا..
لله ذلك من عهـدٍ ، قد ازدحمـتْ   به المفاخـرُ اسراراً واعلانـا..
قـد مرّ كالحُلْمِ في أجفـانِ غانيـةٍ   وإن بذكراه عاش الكـونُ أزمانـا

★★★

عَهْـدَ النبوةِ لولا فضـلُ نسبتنـا   لديننا الحق كنت اليومَ تنعانـا ..
كم مسجدٍ هجر العُبَّادُ ساحتـه   يظلُّ من زحمةِ الأسواقِ غَيْرَانـا
وكم مُصَلٍ كأن الدهرَ يُلْهِبُـهُ   بالسوط ، فهو يؤدى الفرض عجلانا
يا أمـةَ المصطفى عفـواً ومغفـرةً   إن هـاج ماقلتُه في القلبِ أشجانـا
رُدُّوا على المسجدِ الماضى الذى سلفتْ   آياتُه ، واسجدوا لله شكرانـا..
ان الصلاة عماد الدينِ فاستبقـوا   الى الصلاةِ زرافات ووحـدانا
وما الأذانُ سوى « رضوانَ » يحفزكم   الى الجنـانِ ، فلبُّوا اليومَ « رضوانا »

مذهبا ولا يتنهب لاحد فان المقلد اعمى يقوده مقلده (١) .

ثم ينبغي ان يطلب الغاية فى معرفة الله تعالى ومعاملته ، وفى الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها الا حصلها ، فان القنوع حالة الارذال .

فكن رجلا رجله فى الثرى
وهامة همته فى الثريا

ولو امكنك عبور كل احد من العلماء والزهاد فافعل ، فانهم كانوا رجالا وانت رجل .

وما قعد من قعد الا لدناءة الهمة وخساستها .

واعلم انك فى ميدان سباق والاوقات تنتهب . ولا تخلد الى كسل .

فما فات ما فات الا بالكسل . ولا نال من نال الا بالجد والعزم .

وان الهمة لتغلي فى القلوب غليان ما فى القدور ، وقد قال بعض من سلف :

ليس لي مال سوى كدى
فيه أحيا من العدم
قنعت نفسي بما رزقت
وتمطت فى العلا هممي (٢)

ارأيت هذه الحوافز القوية لنشدان الكمال فى شؤون الدنيا والآخرة ، في العلم والعمل ، فأين المسلمون منها اليوم ؟ .

٤ : ــ فقدان المصادر الصحيحة الكافية باللغات الأجنبية عن الاسلام ، وهذا امر واجب التدارك لان الغربي لا يمكنه ان يقرأ عن الاسلام ، ويقدر مزاياه وحاجة العالم اليه ، الا من مصادر علمية مكتوبة باللغة التي يعرفها .

من امثلة ذلك اني اوفدت عام ١٩٥٠ (وقد كنت عضوا فى لجنة التربية والتعليم بوزارة المعارف) للاشتراك فى دورة تدريبية فى « بروكسل » للتفاهم الدولي والتعاون على نشر السلام بواسطة الكتب المدرسية السليمة من شوائب الضغائن والاحقاد وضروب الافتراء .... وكان مما لفت النظر وجود طعن على الاسلام فى جملة من كتب التاريخ المدرسية ، وقد لفت النظر الى هذا النقص ، وكانت المعذرة ــ التى قدموها ــ هي اعتماد المؤلفين على مصادر غربية فى التاريخ الاسلامي والعربي ، لجهلهم اللغة العربية ومصادرها .

اليس مما يحز فى النفس عدم وجود ترجمة موثوق بها شاملة لمعانى القرآن الكريم ؟

اليس مما يؤلم ويحزن كذلك عدم وجود عرض شامل صحيح للسيرة النبوية ومقاصدها ، وعدم وجود عرض كامل لمحاسن الاسلام ومزاياه ولحلوله للمشكلات المختلفة فى العالم ، روحية كانت او خلقية او اجتماعية او اقتصادية أو سياسية ..؟

اليس مما يمض ويشجي أن تشريعنا الاسلامي العظيم لا يكاد يذكر مآثره أحد من رجال التشريع الغربيين الا ذكرا عابرا ...

لا يرضيني كما لا يرضى اي عالم بالاسلام وجود ترجمات تكتنفها الشوائب ، ولا سيما التي تعمّد ذووها الحط من قدر الاسلام ، كما لا يرضينا وجود بحوث متناثرة هنا وهناك ، اذ المشكو من فقدانه الأثر الصحيح المنسق الدال على عظمة الاسلام ، والآخذ اليه بأيدى المطلعين عليه ، ومحبو الحقيقة

١ ــ مات ابن الجوزى عام ٥٩٧ ، والناس على مذاهب ، وهو يريد النصوص الثابتة من كتاب وسنة واستنباط الأحكام منها .

٢ ــ صيد الخاطر للامام عبد الرحمن بن الجوزى ص ١٥٩ ــ ١٦١ .

حين يلوح لهم شيء من ذلك يعجبون به اعجابا يتوقون اليه توقانا ، ومن أظهر ادلة ذلك ما انتهى اليه مؤتمر الحقوق فى جامعة باريز فى الثاني من تموز عام ١٩٥١ (١) . فقد اشترك فيه من مصر اربعة من الأساتذة، مثلوا الأزهر وجامعة فؤاد وجامعة ابراهيم ، كما اشترك استاذان مثلا الجامعة السورية ، والقوا باللغة الفرنسية محاضراتهم التي عينها مكتب المجمع الدولي للحقوق ، وبعد ان تمت المناقشة وكتب التوفيق لهؤلاء الباحثين المسلمين ، وقف رئيس المؤتمر الاستاذ ميو استاذ التشريع الاسلامي فى كلية الحقوق بجامعة باريس وقال ما ترجمته : (انا لا اعرف كيف اوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الاسلامي وعدم صلوحه اساسا تشريعيا يفي بحاجات المجتمع العصرى المتطور ، وبين ما نسمعه الآن فى المحاضرات ومناقشاتها ، مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادىء) .

وجاء فى تقرير المؤتمر :

آ : ــ ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها .

ب : ــ وان اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، وبها يستطيع الفقه الاسلامي ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

واعلن المؤتمر رغبته فى استمرار اسبوع الفقه الاسلامي فى متابعة اعماله ، ورجا المؤتمر كذلك تأليف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع بها الى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية وفقا للاساليب الحديثة (٢) .

لعلنا بعد هذا كله نكون قد وقفنا ــ نحن المسلمين ــ على حقيقة الأمر من تقصيرنا الواضح نحو ديننا ، وتفريطنا الظاهر فيما يجب علينا من تعريف بالاسلام ، وعرض لمآثره ومزاياه وحلوله . ولا شك أن القيام بالواجب يحتاج الى جد وبذل واقدام ونظام ، يسهل ذلك الى حد ما ، أن المسافات النائية قد تدانت ، وكثير من العصبيات العمياء قد هانت ، والجهالات قد انقشعت ، والجماعات التي تنشد الحقائق قد تكاثرت ، فلنمد اليهم ايدينا مصافحين مبشرين ، فان لسعينا فى هذه السبيل ما بعده من نشر الهداية والسعادة والسلام .

ويبدو لي ان على حكوماتنا الاسلامية ان تضطلع بواجب الدعوة ، فتجعل في وزاراتها الخارجية ادارات للدعوة والتعاون الاسلامي والعربي ...

وعلى اغنيائنا ريثما تعي الحكومات هذا الواجب الخطير ، ان يمدوا الجمعيات الاسلامية العلمية بالمال ، لتبشر هي بالاسلام بالكتب والأقوال والأعمال ، واجدر بها ان تنسق الأعمال بينها وتستفيد وسعها ، فيتهيأ لها متعاونة ما لا يتهيأ لها منفردة متفرقة .

وليذكر اغنياؤنا ما كان ينفقه المحسنون من سلفنا الصالح فى سبيل الله ، وليذكروا ما ينفقه المبطلون الآن لنشر الباطل والضلال فى الأرض ، والله سبحانه وتعالى يقول : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٣) .

---

١ ــ عقدت هذا المؤتمر شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة ، وعقد فى لاهاي عام ١٣٦٥ هـ ١٩٣٧ م مؤتمر للتشريع المقارن ، وتقرر فيه اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام (اى القانون المقارن) واعتبارها صالحة للتطور ، واعتبارها قائمة بذاتها .

٢ ــ المدخل الفقهى ج ١ ص ٧ و ٨ للاستاذ مصطفى أحمد الزرقا .

٣ ــ سورة التوبة : ٤١ .



لست اعنى بالمذاهب هنا ، المذاهب الفقهية الاسلامية ، وانما اعنى اننا فى البيئات العربية ، نعيش فى مجتمعات تتعدد فيها الدعوات ، وتتفاوت فيها الاتجاهات ، وتختلف فيها المذاهب والآراء ، وتكثر فيها الاحزاب السياسية ذات المناهج المتضاربة ، والبرامج المتفاوتة ، وقد كان لهذه المناهج والمذاهب آثارا بعيدة المدى فى معظم البلاد العربية ، مما حمل اكثر من بلد عربي على حل الاحزاب ، أو السلوك بالبلد على طريقة الحزب الواحد .

ولست هنا فى موقف التفاضل بين هذا السلوك او ذاك ، وانما اقرر حقيقة ملموسة واضحة ، هى : أن هذه المجتمعات مجتمعات اسلامية تستمد عقيدتها وآدابها من كتاب الله ، وسنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وان بعض تلك الاحزاب تتنكر للمبادىء الروحية والعقائد الدينية ، وتعتبرها مخدرا او ما يشبهه ، وعائقا دون التقدم والازدهار .

واذا كانت هذه المجتمعات اسلامية ، فواجبنا ان نحكم فيما نذهب اليه من آراء وما ندين به من مبادىء ، وما نسلكه من طرائق ، كتاب الله وسنة رسوله ، فما اقراه اقررناه ، مهما كان مصدره ومأخذه ، لان الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها التقطها .

وما حارباه حاربناه ، مهما كان القائلون ، والواضعون والمخططون ، والله سبحانه وتعالى يقول : (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) (١) .

وقد اخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن رضى الله عنه فى هذه الآية :

قال : هو المؤمن عمل صالحا ، ودعا الى الله تعالى .

واخرج عبد بن حميد عن قتادة رضى الله عنه ، فيها قال : هذا عبد صدق قوله وعمله ومولجه ومخرجه وسره وعلانيته ومشهده ومغيبه .

فهذه الآية الكريمة فى صيغتها العربية تعنى ان احسن الناس قولا ومذهبا ، من توفرت فيه الصفات الثلاثة فى الآية :

١ : ــ الدعوة الى الله .

---

١ ــ الآية (٣٣) من سورة فصلت

لفضيلة
الشيخ عبد الحميد السائح
رئيس محكمة الاستئناف
بالقدس

٢ : ـ العمل الصالح

٣ : ـ الجهر بانه من المسلمين .

اما الدعوة الى الله ، فانما تعنى تعريف الناس بخالقهم وموجدهم ، حتى يؤدوا له واجبه ولا يقبلوا العبودية لغيره ، ولا يذلوا لاحد سواه ، وهذا يخلق فى الانسان العزة والشعور بالكرامة ، والترفع عن الدنايا ، (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (١) .

وشخص هذا شأنه لا يرضى لنفسه ان يكون آلة فى يد مستعمر ، او دخيل ، ولا يقبل ان يفقد عزته فى سبيل ارضاء شخص مهما كانت قوته وجبروته وسلطانه ، لان العزة صفة المؤمن ، ولا يتخلى عنها فى وقت من الاوقات .

أما العمل الصالح ، فانما يعنى ان يتجرد الانسان لصالح الاعمال التى تنفع قومه وأمته ، ويجند نفسه للعمل فى شتى الميادين ، واذاعة النفع والخير ، سواء بماله او جهده او معاملته ، واذا امكنه ان يعم بخيره سائر الناس ، فذلك من الاعمال الصالحة التى دعا اليها الاسلام وحض عليها ورغب فيها .

ولذلك قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه انفعهم لعباده » .

فكل عمل مهما كان شكله ونوعه ـ يعود بالخير على الامة او على قسم منها كان من الصالحات ، وكل مصنع ينشأ او معمل يجهز لتأمين حاجات الامة ولوازمها مهما كانت ، سواء كانت لتأمين المأكل والمشرب ، او لتأمين الكساء والمسكن ، او كانت لتقوية الامة فى مجالاتها العسكرية والحربية ، تعتبر من الاعمال الصالحة ، التى يؤجر الانسان عليها اذا قصد بذلك ارضاء الله ، وتأمين النفع للمجموع ، ولم يقصد استغلال الضعفاء والفقراء ، ولا استخذاء العمال والصناع ، ولا العدوان والطغيان ، ولا اكراه الناس على السير فى ركابه ، وان يكونوا ببغاوات مرددة لما يقول ويرى ، بلا فهم ولا قناعة .

واما الصفة الثالثة فهى ان يجهر الانسان بمبدئه ، ويعلن مذهبه ، ويوجه الناس اليه ، فى اسلوب حكيم ، ويجادل الآخرين بالحجة والبرهان والمنطق السليم ، كما قال سبحانه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن (٢) .

النقد البناء

وليس القصد ان يعلن المسلم اسلامه بلسانه وكفى ، بل عليه ان ينقى مجتمعه من انحرافاته ويقوم فساده ، وينقد اعوجاجه ، على وجه يشرح سبيل البناء السليم النافع ، ويعمل على دعمه بسيره وخططه ، فى سره وعلانيته فى مشهده ومغيبه ، وفى سائر احواله .

وهذا يقتضيه ان لا يقر ظالما على ظلمه ، ولا فاسدا على فساده ، ولا

١ ـ الآية (٨) من سورة المنافقين .

٢ ـ الآية (١٢٥) من سورة النحل .

منحرفا على انحرافه وان يكون جنديا للحق بجميع صوره واشكاله ، وان يكون مع المظلوم حتى يعود اليه حقه ، وان يكون ضد الظالم حتى يرعوى عن ظلمه ، وان يكون عنصر خير فى جميع ميادينه .

المذاهب الاخرى

وكل هذا يلزم المسلم ان يكون موقفه من المذاهب الاخرى نابعا من عقيدته واسلامه ، فان كانت مبادئها متفقة مع مبادىء الاسلام ، فهى من الاسلام لا تخالفه ولا تنافيه وان كانت غير متفقة مع قواعد الاسلام واهدافه ، فالاسلام حرب عليها ، ولا يجوز اقرارها وسيادتها ولا ممارسة مبادئها وتحقيق اهدافها ، والا كان اسلامنا غير صحيح ، وعقيدتنا غير سليمة .

ولو ان الحكومات والجماعات الاسلامية طبقت هذا المبدأ لكانت مجتمعاتها سليمة مما يعكرها ، سائرة فى الاتجاه الصحيح ، الذى ينجيها من الفتن والاضطرابات والانقلابات .

واتباعنا سبيل الاسلام لا يمنع من الاختلاف الاجتهادى ضمن اطار الاسلام ، وفى دائرة المصالح العامة ، على أساس من الشورى التى ترجح رأيا على آخر ، وتفضل اجتهادا على غيره ، وتحسم مادة النقمة والاضطراب ، (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول) (١) وما لم يكن فيه نص قاطع ورأى حاسم ، فرأى الاكثرية فى الشورى من قواعد الاسلام ، وهذا هو الطريق السليم الذى لا يخالفه الا متجن او مغرض .

ومن كل هذا يتضح لنا انه فى مجتمعاتنا العربية الاسلامية لسنا بحاجة الى مذهب دخيل ، او مبدأ مستورد يفرض علينا ، ولا تقره تقاليدنا ، ولا تؤيده عقائدنا ، ولا يتفق مع مصالحنا ، وان علينا ان نستفيد من تجارب الآخرين ، ونطور انفسنا ضمن اطارنا وحدودنا ، ففى ذلك الخير كل الخير والسلامة كل السلامة .

وتاريخ الاسلام مليء بما يؤكد هذا الاتجاه وقواعده العامة مرنة كل المرونة ، تهيىء لنا ان نضع الخطوط المستقيمة السليمة التى تحفظ لنا شخصيتنا ، وتخلق فينا روح الاعتزاز والكرامة لا بنسب نتصل به ، ولا بحسب نعتمد عليه ولا بطبقة او قبيلة نمت اليها ، وانما نعتز باسلامنا ، بمبدئنا السليم ، بروح التقدم ، بالعدالة المطلقة ، بالاستقامة ، بالتفانى فى سبيل المصالح العامة ، باهدار الانانيات ، بالقضاء على العصبيات ، وذلك كله يتمثل جليا بقوله : وقال اننى من المسلمين .

ولا بد لى من الاشارة الى ان وجود أقلية غير اسلامية فى بعض البلاد العربية لا يغير من كل ما قلناه شيئا ، واننا لا نريد من المواطنين المسيحيين اكثر من ان يحتفظوا بجوهر عقيدتهم ، وان يحرصوا على تجنب كل ما يبعدهم عن الله ، وان تلك المذاهب التى أشرت اليها هى دخيلة عليهم ، كما هى دخيلة علينا ، وان الخير فى ان يتعاون جميع المواطنين على اختلاف مشاربهم على ان يقصوا كل ما هو غريب هدام ، حتى لا يعم شره ، ويتناثر ضرره ، ويتغلغل فساده ، فان الوقاية خير من العلاج ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وكلما ابعدت جراثيم الامراض عن الجسم ، واتخذت الاحتياطات الواقية كان الجسم معافى ، نشيطا فعالا ، بعيدا عن العلل والامراض .

رزقنا الله العافية فى ديننا ودنيانا .

---

١ ـ الآية (٥٩) من سورة النساء

أو به قصور ، تركت فى نفوسنا كما يقول أحد رواد المصلحين « وحدانية وثنية تحمل كل واحد منا على الايمان بنفسه وسوء الظن بغيره ، والانطواء فى علاقاتنا بالناس على كثير من الخوف والحذر ، ومن الرغبة فى الكيد ، ومن محاولة الاستعلاء والتسلط ، ومن الحرص على انتهاز الفرص » .

وليس من سبيل افعل ــ فى ازالة كل ذلك من الدين ، فمن الضرورى ــ والحالة هذه ــ أن نتجه اتجاها صادقا الى الله نترسم هديه ، متمثلا فى دينه الحنيف ، نلتمس منه العون فى اعادة تنظيم حياتنا ، بما يكفل لنا أسرع طريق الى الاصلاح ، وأضمن وسيلة وأثبتها للوصول الى ما ننشده للامة الاسلامية

والاسلام آخر كلمة أنزلها الله من السماء ورسوله خاتم الرسل والانبياء ودعوته مكملة للديانات السابقة ، شارحة لها ومهيمنة عليها « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » فالرسول صلوات الله عليه ليس بدعا من الرسل ، ولا شريعته بدعا من الديانات « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » واذا كانت بعض الديانات قد اقتصرت بحكم التطور على جانب دون جانب ، أو تناولت ــ لظروف خاصة ــ بعض شؤون الحياة دون البعض ، فان الاسلام وهو آخر الديانات جميعا تناول شؤون الحياتين جميعا ، وأعد اتباعه للدنيا كما أعدهم للآخرة ، وجمع بين العقيدة والايمان ، كما جمع بين العلم والعمل « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » .

وقد أجمع كبار المشرعين وعلماء القانون ــ حتى من غير المسلمين فى جميع بقاع العالم ــ على أن الاسلام مصدر هام من مصادر التشريع ، وهو بهذا كفيل باستئناف نهضة قوية صالحة تجدد العهد بثورته الاصلاحية منذ ثلاثة عشر قرنا ، ننهج نهجها ، ونحذو حذوها ، ونهتدى بهديها الى الصراط المستقيم « صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، ألا الى الله تصير الأمور » .

لا أحكم على غائب

قيل لشريح القاضي : أيهما أطيب : اللوزينق أو الجوزينق ؟ فقال لا أحكم على غائب .



أدب الطعام

قال فرقد لاصحابه : اذا أكلتم فشدوا الازار على اوساطكم ، وصغروا اللقم ، وشدوا المضغ ، ومصوا الماء ، ولا يحل أحدكم ازاره فيتسع معاه ، ويأكل كل واحد ما بين يديه .



أسماء الطعام

الوليمة : طعام العرس . والنقيعة طعام الاملاك والاعذار طعام الختان . والخرس طعام الولادة . والعقيقة طعام سابع الاولاد . والنقيعة : طعام يصنع عند قدوم الرجل من سفره ، والوكيره : طعام يصنع عند البناء يبنيه الرجل فى داره . والمأدبة : كل طعام يصنع لدعوة ، والسلفة : طعام يتعلل به قبل الغداء .



اتفقت الطبائع والشرائع على أن الطلاق

رباط الزوجية

الطلاق من أبشع الكلمات ، وأدلها على غلاظة الكبد ، وبلادة الحس ونضوب المرءوة ..

اتفقت على ذلك الطبائع والشرائع . لأن الصلة بين زوج وزوجة ، ليست كالصلة بين صديق وصديق ، تقوم على الوفاء والمنفعة تذهب اليوم وتأتى فى الغد . وليست كالصلة بين قريب وقريب ، تقوم على العصبية . اذا قطعتها دهرا ، فلا يمكنك التنصل منها ... لا . هى خلاف ذلك متانة وحساسية وسموا ، هي أبعد من ذلك أثرا . فالشركة بين زوج وزوجة اتفاق على تكوين أرواح جديدة ، تستمد منهما بقاءها فى التربية ودرء العوادى ، حتى تكتمل وتتحصن وتندمج فى تيار الحياة العاملة ، ولن يتهيأ ذلك على وجهه اذا ما شهر هذا السيف الظلوم ، فقطع هذا الرباط الحقيق بالوثاقة والتمتين . ليس الأمر فى الطلاق ــ اذن ــ أمر شركة قامت ثم انفضت ، ولا أمر « ثوب » لبس ثم خلع ، كما يعبر الغشمة الجاهلون . ولكنه من جهة المرأة ضربة قاسية تصيب سمعتها ، وتصرف عنها كل راغب ، وتصد كل خاطب ، وتطلق ألسنة الناس فيها بالحق أحيانا وبالباطل ، ويكون شبحها شبح الفشل والخيبة وسوء الطالع . فاذا ما كان بين الزوجين اولاد فأولئك هم الايتام حقا ، اذ يفقدون حنو الأب وحنو الناس معا . وجدير بمن قسا عليه قلب أبيه فشرده شر مشرد ، أن تغلظ عليه أكباد الناس ، ولا يجد منهم نصرة ولا عطفا . فاذا انشقت كبد على مظلوم فعلى هؤلاء فلتنشق الاكباد .

رقة المسيح

ومن هنا جعل المسيح ــ عليه السلام ــ أمر الطلاق قسوة وفظاظة . جاءت اليه طائفة من اليهود يسألونه فى أمر الطلاق فسألهم : بماذا أوصاكم موسى ؟ فقالوا : أذن أن يكتب كتاب طلاق فنطلق . فقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية .



لفضيلة الشيخ : كامل شاهين
المفتش بالازهر

من ابشع الكلمات وادلها على بلادة الحس ونضوب الضمير

نعم . فليس شك أن قلبا رقيقا لا يقدم على الطلاق ، ولقد كان المسيح يرمي الى تكوين أمة مهذبة متسامحة لينة ، رحيمة ، فحرم فى شريعته الطلاق .(١)

الاسلام دين الفطرة

ولكن البشر بشر ، فيهم الشر والخير ، وتتجاذبهم النوازع المختلفة ، وتنتابهم الشكاسة والعناد ، فلم يكن عمليا أن يقف الناس عند حدود الكمال لا يتخطونها . نعم ان قوة الروح وصفاء النفس ، يبعثان على السمو والتهذيب ، ويمنعان من السقوط والتدلى ، ولكن أنى لكل للناس قوة الروح وصفاء النفس .. لذلك جاء الاسلام محلا للطلاق آذنا فيه ، لا لأنه أمر مقبول فهو معيف خبيث ـ ولكن لانه ضرورة قد تلجىء اليها ظروف **الحياة** .

فقد تختلف طباع الزوجين وميولهما الى حد أن يبرم كل منهما بالآخر ، ويضيق به ، ويود لو انخلع منه بخلع الروح ، وقد تكون الزوجة أشدهما ضيقا ، وأكثرهما فى التخلص رغبة هنالك فليشرع الطلاق ، لانه مصلحة الطرفين ورغبة الزوجين .

خطورة سد المنافذ

فاذا بلغ الشقاق بين الزوجين حدا يجعل حياتهما علقما مسموما ، ثم نظرا فوجدا أنه لا سبيل لهما الى الخلاص ، فان أقرب ما يفكران فيه هو الجريمة .. جريمة القتل . والاسلام حريص على أن يجعل حياة الناس أقرب الى الصفاء والوئام والتراحم ، حريص كذلك على ألا يغلق بابا من الشر ليفتح بابا آخر أكثر اتساعا ، وأشد نكرا . فلقد نعلم ان

---

(١) **المذهب الكاثوليكى** يحرم الطلاق تحريما باتا ، **والكنيسة الرومية** لا تبيح الطلاق الا فى حالة الخيانة الزوجية وتحرم على من ارتكب هذا الجرم من الزوجين أن يتزوج بعد ذلك .

والمذهب البروتستنتى يبيح الطلاق فى حالات محدودة من أهمها الخيانة الزوجية وورد فى انجيل مرقص اصحاح عشرة آيتى ٨ ، ٩ (يصبح الزوجان بعد الزواج جسما واحدا فلا يعودان بعد ذلك اثنين ، بل هما جسم واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه الانسان .) .... وجاء الاسلام بعد ذلك ليضع الحل الوسط (وكذلك جعلناكم وسطا) . ـ الوعى ـ

جريمة قتل الازواج فى الولايات المتحدة كانت منتشرة الى أبعد مدى ، وبلغ الاحتيال على ذلك والافتنان فيه حدا عجيبا ، فلما شرع الطلاق فيها خفت هذه الحدة ، وكادت تختفى الجرائم من هذا النوع . وأى حياة هذه التى تقوم على المشاحنة والختل والمكر ، وانتهاز الفرص لازهاق الروح ؟!

الاذن فى الطلاق

أذن الاسلام فى الطلاق ولكنه لم يطلق هذا الاذن حتى قرنه بالتبغيض والاستكراه فقال صلوات الله وسلامه عليه « أبغض الحلال الى الله الطلاق » . وفى التوجيهات الاسلامية ما يؤذن ببذل الجهود للتوفيق والاصلاح . فنفورا من الطلاق جعل للرجل حق القوامة على المرأة حتى تنحسم مادة الخلاف ، وحتى يتحمل وحده تبعة ما يجر اليه تصرفه من نتائج ، فتنجو المرأة من اللوم والاذى والمضرة .

ونفورا من الطلاق جعل للرجل حق « التنفيس » عن نفسه اذا ما أدرك المرأة شىء من الرعونة والطيش ، فوجهه الى نصحها ، وأذن له فى هجرانها ، واستكره منه ضربها ، وجعله نوعا من قلة الحياء ، فذلك قوله صلى الله عليه وسلم « يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبيد ، ثم يظل يعانقها ولا يستحى » وجعل الضارب شريرا فذلك قوله صلوات الله عليه « اضربوهن ولا يضرب الا شراركم » ومهما يكن من أمر الضرب ، فينبغي أن يكون بعيدا عن البغي والعدوان ، وأن يكون مقترنا بالرفق قريبا من حدود المداعبة .

ونفورا من الطلاق وجه الى اتخاذ حكمين أحدهما من جانب الزوجة ، والآخر من جانب الزوج ليكونا فى حال نفسية هادئة ، قادرة على علاج شؤون الزوجين ، بمنآة من الغضب والحدة والتوتر . فالقرآن الكريم فى ذلك كله حريص على بقاء عرى الزوجية ، حريص على الا تبت حبالها لاختلاف الرأيين ، ونزوع كل منهما الى رأيه ، واصراره عليه .

فاذا ما عز التوفيق فليكن الفراق . . . والفراق حينئذ رحمة جليلة . فليس أشق على النفس من أن تلزم بما تكره . والناس انما يتزاوجون ليكون بينهم مودة ورحمة لاجفوة وقسوة . والمنازعات الزوجية جناية من أكبر الجنايات على الاولاد ، بما تورثهم اياه من الانزواء ، واكتساب شخصية باطنية مظلمة ، وايثار الكذب والمكر ، وبما يخلفه فيهم من العقد النفسية التى تعرقل سبيلهم فى الحياة ، فالفراق أعدل ، وأهدى سبيلا ، وأسلم مغبة .

حماية الزوجة

واذ شرع الاسلام الطلاق ، حاط الزوجة بضروب من الحماية هي أقصى ما يمكن أن يفرض ، فألزم الرجل أن يؤدى لها باقى حقها من الصداق ، وأوجب عليه أن يتحرى الوقت المناسب للطلاق ، بحيث تشرع فى عدتها بمجرد التطليق « اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » . وأمره الا يزعجها عن مسكنها . « لا تخرجوهن من بيوتهن » . وحبب اليه أن يمتعها فيعطيها تعويضا ماليا مناسبا . وألزمه أن ينفق عليها طوال العدة ، وأذن لها بعد العدة أن تتزوج بغيره مهما علا مقامه ، كل هذا تضييق وكبح لاستخفاف الرجل بأمر الزوجية ، وتوجيه الى علاج المشاكل ، وعدم اللجوء الى الطلاق الا اذا ضاقت الحيل وعزت الحلول .. وكان الاسلام بهذا الاحسان الذى يحيط به الطلاق ، يرمي الى الابقاء ، على علائق المودة والرحمة حتى بعد الطلاق ، فندب الى أن يكون الطلاق ــ على نكارته ــ رقيقا مشوبا بما يحد من ثقله حتى اذا هدأت الثائرة ، وخمدت النزوات ، وذاق الطرفان لذع الفراق ، وعرفا مرارة الشتات وذكرا الليالي الاوانس والايام البواسم هاجمهما الحنين ،

فتلاقيا على مودة أصفى، وتماسك أوثق، بعد أن محصتهما التجربة وهيأت حياتهما للاستقرار .

الطلاق بيد المرأة أيضا

وقد يبدو أن الاسلام لم يرع حق المرأة حين جعل عقدة النكاح بيد الرجل ... وما ينبغي للاسلام أن تتضارب نظراته فيحتفي بالمرأة حتى يجعل طلاقها حلالا أشبه بالحرام ثم يجعل الرجل مستأثرا بحق فك هذا الميثاق الغليظ . فالواقع أنه ـ عند الاطلاق ـ قد جعل هذا الحق بيد الرجل قصدا الى تكريم المرأة والعلو بها ، فان امساك الرجل لها معناه الاعتزاز بها ، وأنه يؤثر بقاءها ، فتتوفر بذلك كرامتها .

ولو أن حق الطلاق بيد المرأة ما تحقق لها معنى الكرامة بامساكها للرجل ، اذ تبدو طالبة لا مطلوبة ، راغبة لا مرغوبا فيها . ولقد أعرف زوجات أبين على أزواجهن أن تجعل العصمة بأيديهن ، اذ أدركن فى ذلك معنى الزهادة فيهن .

ولا يخلو جعل هذا الحق للرجل من لفتة الى أن الرجل أضبط لعواطفه وأعرف بمصالح الاسرة بحكم اتصاله بالمجتمع ، واندماجه فى المضطرب الحيوى . فاما المرأة فسريعة الاستجابة لعواطفها ، قليلة التقدير لمصالح الاسرة ، وحكمنا هذا على الكثرة التى هي مناط التشريع .

على أنا نظلم الاسلام بين الظلم اذا أدعينا أنه جعل الطلاق حقا للرجل دون المرأة . فقد قرر أن للمرأة أن تشترط فى العقد ، ان تكون عقدة الزوجية بيدها أيضا ، أو بيدها دون زوجها . وانما ينبغي أن تجنح لذلك اذا عرف الرجل بالشذوذ والحدة وسوء السيرة ، ثم زوج الى امرأة عاقلة حكيمة مصونة ، فهي حينئذ أقدر على تعقل الأمور ، وأعرف بتدبير المصالح .

وأبعد من هذا انصافا للمرأة ـ أن الاسلام سوغ لها أن تشترط على زوجها تعويضا ماليا معينا اذا ما خشيت أن يطلقها أو يتزوج عليها . فاذا لم يلتفت الآباء ، ولم تلتفت النساء الى هذه الحقوق فليس ذلك عيب الاسلام ، وانما هى الغفلة عن مزايا هذا الدين ، والجهل بمراميه فى اسعاد البشرية .

كلمة صريحة

ونحن ننصح لسيداتنا الكرائم :

١ ـ أن يذكرن أن الطلاق معناه الحرية ، ففيه معنى الاطلاق . وان الزواج معناه الارتهان ففيه معنى الاسر، فلا بد لكل من الزوجين ـ وبخاصة المرأة ـ أن يروض على النزول عن كثير من حريته ، فى سبيل استدامة العلاقة التى تستهدف رعاية نشء يكون مددا لحياتهما ، ومحطا لآمالهما .

٢ ـ أن يدرسن حقوقهن فى وعي ويقظة ، وأن يعالجن مشاكلهن على أساس من هدى الدين ، وسيجدن فيه ان شاء الله ـ متى خلصت النوايا ، واطمأنت القلوب ـ حلا لكل مشكل ، وتفريجا لكل أزمة .

٣ ـ ألا يبادرن باتهام الفقهاء الاقدمين، والعلماء المقتفين لآثارهم ، فان يكن هناك زلل ، فما هو من قصدهم ، وانما هو أثر اختلاف الزمن وتبدل العوائد ، والا يطمعن فى تعطيل النصوص ـ نصوص القرآن الكريم ، فتلك الكارثة التي تخرج المرأة من ايمانها ، وتفسق بها عن دينها .

٤ ـ أن يطمئن الى أن الله ـ تعالت عدالته ـ لا يحابي جنسا ، ولا يقر ظلما ولا هضما ... فليتخذن من القرآن نورا يهتدين به ، ومن أحكامه حصنا يأوين اليه ، فذلك خير من الولولة وشد الشعور .. وليثقن أن سبيله هو السبيل الاهدى ، وحكمه هو الحكم الاقوم ، وان رغمت أنوف ، وشقت مرائر .

ثلاثيات في

جل شأن الله خلاق البرايا
خلق الدودة في البحر وفي الأرض المطايا
وعلى الماء جرت فلك كأمثال السرايا

★ ★ ★

أفسحب فوق سحب ينزل الماء الفرات
فتعيش الأرض منه ثم يخضر النبات
فلماذا هذه الحرب التي تفني الكماة

★ ★ ★

ينزل المولود طفلاً لا يعي سر الوجود
ثم يحبو ثم يكبُر والى الثدي يعود
وإذا بالعام يمضي فإذا الطفل رشيد

★ ★ ★

من أنار البدر ليلاً فإذا الليل منير
ونجوم تتعالى ونجوم تستدير

الكون

للاستاذ جاسم عبد الرحمن
وزارة العدل ـ الكويت

وشُعَاعُ الليلِ يخبو وشعاعُ الصبحِ نُور

★ ★ ★

هذه الأرضُ جميعاً من بحارٍ وجبال
ووهادٍ ونجاد وسهول وتِلال
كُلُّها صِيغتْ بأيامٍ وسبعٍ من لَيَالى

★ ★ ★

ياحكيماً حَكَّم العقلَ وَدَعْ عنك الظُّنُون
فحياةٌ ثم موتٌ ثم بعثٌ يُنْشَرُون
والى جنةِ عدنٍ أو جحيم يسعَرُون

★ ★ ★

ياكريمَ الجودِ عفواً إن ذنبى لَعَظِيم
وخطايَایَ كَرَمْلٍ وحياتى كالهَشِيم
وعلى دربِك سِرْنَا إنَّهُ الحَقُّ القَوِيم

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي

الطبيب الانساني ، وحيد زمانه ، وفريد عصره في علمه واتساع أفقه . عرف واجبه حق المعرفة ، فوقف بجانب سرير المريض واخذ يراقب ويفكر ، ويبحث ويستقصي ويجرى التجارب ، ويمعن النظر فى كل شيء فاخلص لرسالة الطب وقدسها ، وسما بها الى المكانة التي تليق بها ، فاستحق ان يكون فخر المسلمين ، بما الف فى الطب وفروعه المختلفة وبما قدم للعلم من موسوعات نادرة فى الطب والمنطق والهندسة والفلسفة وغيرها .

ولد الرازى وشب « بالرى » في خراسان ، فى اواسط القرن التاسع الميلادى ، وكان طويل القامة اشقر الشعر ، وتعلم الموسيقى ، وكان يضرب على العود ، ويغني ، ولكنه ضاق ذرعا بالفراغ الذى كان يعانيه ، ونزع عن الغناء وقال « كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف » ثم انطلق الى بغداد كعبة العلم والعلماء لا فى الشرق وحده ، بل فى العالم اجمع آنذاك . وهناك تتلمذ على « على بن سهيل الطبرى » وأخذ ينهل من علوم الاغريق والفرس والهند واستوعب كل معارف سالفيه فى الطب ، وساغها ، ثم زاد عليها ، وقدمها للانسانية احسن تقديم . ولقد كلفه عضد الدولة واستشاره فى بناء المستشفى (البيمارستان) وفى أحسن موضع يكون فيه فامر بعض الغلمان ان يعلق شقة لحم فى كل ناحية من بغداد ، ثم اشار بان يبنى المستشفى فى الناحية التي ظل بها اللحم بغير فساد أطول وقت ممكن .

ولقد اختير من بين مائة طبيب مشهور فى ذلك الوقت ليكون رئيسا للاطباء فى المستشفى الكبير ، وتفتحت امامه ابواب قصور الخليفة ليعمل بها كطبيب خاص . وما لبث ان ذاع صيته فى ارجاء الامبراطورية العربية ، فاخذ طلاب العلم يفدون عليه يرتشفون من علمه الزاخر ، فتعلموا منه فنون المعالجة والكشف ، ولقد كان اول من اهتم الاهتمام البالغ بفحص المريض وملاحظته عمليا وهو ما يسمى بالفحص السريرى ، واصبح الرازى حجة فى الطب ، وتتلمذ عليه الكثير . وكان المرجع للحالات المستعصية . وكان مع ذلك كريما بارا بالناس يعطف على الفقراء ، يمرضهم ، بل ويجرى عليهم « الجرايات » أى العطايا .

وكان الرازى يسعى وراء المعرفة فى صفحات الكتب ، وبجانب اسرة المرضى ، وفى التجارب الكيماوية ،



للدكتور محمد أبو شوك

رئيس الوحدة الباطنية ـ المستشفى الاميري

الكويت

والتجارب على الحيوانات ، ثم انه كان يزرع الفضيلة ، وحسن الاخلاق فى تلاميذه ، رافعا من قدسية المهنة الطبية، منقيا لها من اساليب الدجل والشعوذة ، التي انتشرت فى ذلك **العهد ، حتى اجمع المستشرقون بتاريخ الطب على ان الرازى اعظم طبيب انجبته النهضة الاسلامية بلا استثناء ، بل لقد وضعه بعضهم على قدم المساواة مع ابقراط .**

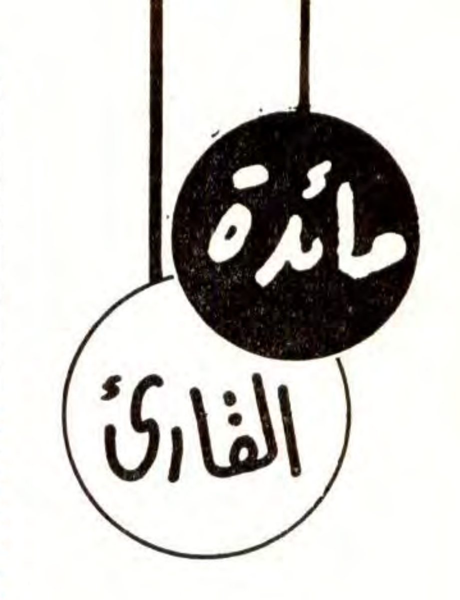
واذا استعرضنا بعض القصص فى حياة الطبيب العربي فانه يتضح لنا مدى تفهمه واستقصائه لاحوال المرضى واستعراضه للتجارب المختلفة ، واستنتاجاته لما يرى ، ورغم قصور الآلات والادوات الطبية ـ فانه توصل بعقلهفى ذلكالوقت،الىما يقربممايدورفى عالم الطب الآن ، رغم الاستعدادات الشاسعة ، والتقدم الكبير فى مضمار الطب الحديث . ولقد تداول الناس فيما بينهم حتى بعد ٢٠٠ سنة من وفاته القصة الآتية : ـ

أتى شاب يوما الى الرازى يشكو من انه يقذف دما من فيه ، فعاينه الرازى بهدوء كبير ، ولم يمكنه ان يعثر عن سبب ظاهر لهذه الحالة . فطلب من الشاب ان يصبر ، حتى يتوصل الى تشخيص مرضه ، فصاح الشاب وبكى ، وقال : « اذا كان امير اطباء العالم عاجزا عن معرفة ما بي فقل علي السلام » . ثم اخذ الرازى يبحث عن سبب لمرضه ، ثم سأله اى ماء شربت فى رحلتك ؟ فاجاب الفتى : « لقد شربت هنا وهناك من ماء الآبار والمستنقعات » فقال له : « لا ريب انك ابتلعت علقة دموية فارجع لي غدا ، حتى اجرى لك العلاج الخاص على أن تصدر امرا لخدمك ان ينفذوا تعليماتي » . وفى اليوم التالي اتى خدم الشاب بكمية من الطحلب ، فأشار الرازى على المريض ان يتناولها ، واخذ يأكلها حتى انه لم يتمكن منأكلأكثر مما أكل ، فاخذ الرازى يدس الطحلب فى فيه الى ان تقايأ فخرجت مع القيء علقة دموية وبرىء من مرضه . وانطلق يذيع على الملأ معجزة « أمير الاطباء» وابوقراط العرب .

وكان الرازى يجرب كل العقاقير الجديدة قبل ان يصفها لمرضاه ، ويدرس تأثيرها على الحيوانات ، ويخلص الى نتائج علمية ، وذلك كما يفعله الاخصائيون فى علم العقاقير ، وما يفعله الاطباء فى وقتنا الحاضر .

وقد حدث مرة ان اعطى قردا جرعة

البقية على ص ٦٨



عمر يتصدق بقميصه

قدم رجل من الأعراب على عمر ، ومعه صبية لـه وزوجته ، فقال يخاطبه ـ

يـا عمـر الخـير جـزيت الجنـة
أكسـن بنيـاتي وأمهنـه
أقسـمت باللـه لتفعلنـه

فقال عمر : فان لم أفعل يكون ماذا ؟
قال : اذا أبا حفص لأذهبنه .
قال : فاذا ذهبت يكون ماذا ؟
قال : يكون عن حالي لتسألنه .
قال عمر : متى ؟ قال

يـوم تكـون الأعطيات جنـه
والواقـف المسـئول بينهنـه
امـا الـى نـار وامـا جنـه

فقال لغلامه :
يا غلام اعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره .

حسن الحيلة

فاجأ الشرطي اثنين يصطادان الحيوان فى مكان محظور فيـه الصيد بدون تصريح ، فطلب منهما التصريح ، فأطلق أحدهما ساقيه للريح ، فجـرى خلفه الشرطي الى مسـافة بعيـدة وأمسك به ، فأخرجله الرخصة فقال الشرطي وما سبب هروبك اذا ؟ فأجـاب لأن صـديقي ليست معه رخصة .

خطبة لم تتم

خطب أعرابي الى قوم ، فقالوا ما تبذل من الصـداق ؟ وارتفـع الستر فرأى وجه مخطوبته فكرهه ، فقال ـ والله ما عندى نقد ، واني لاكره ان يكون علي دين وانصرف .

آية جمعت ما فى الكتب السماوية

روى اسلم قـال بينما عمـر قائـم بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذا برجل من دهاقين الروم قائم على رأسه يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فقـال له عمر ما شانك ؟ قال الرجل أسلمت لله ، فقال عمر هل لذلك سبب ؟ قال نعم ، لقد قرأت التوراة والزبور والانجيل ، ثم سمعت أسيرا يتلو هـذه الآية « ومن يطع الله ، بأداء فرائضه ، ورسوله ، بأداء السنن ، ويخش الله ، فيما مضى من عمره ، ويتقه فيما بقي منه ، فأولئـك هـم الفائزون » والفائز من نجا من النار وادخـل الجنـة ، فقد جمعت الآية ما قرأت فى الكتب السماوية .

فقال عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « اوتيت جوامع الكلم » .

■ ■ ■

القاضي للمتهم . كيف تخون الذين يأتمنونك .
المتهم . لأن الـذين لا يأتمنونني لا يمكن خيانتهم .

موسى بن عمران

ادعى رجل النبوة ، وادعى انه موسى ابن عمران ، فبلغ خبره الخليفة،فأحضره وقال له من أنت ؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم ، قال : وهذه عصاك التي صارت ثعبانا ؟ قال نعم . قال : فألقها من يدك ومرها أن تصير ثعبانا كما فعل موسى . قال : قل أنت (أنا ربكم الأعلى) كما قال فرعون حتى أصير عصاي ثعبانا كما فعل موسى .

خليفة حذر

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة ، فقال لأصحابه . اذا شئتم ، فقاموا ، فلما تهيأ الرجل للكلام ، قال له اياك أن تمدحنى فاني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبنى فانه لا رأى لكذوب ، أو تسعى الي بأحد ، وان شئت اقلتك ، قال أقلني .

الصراط المستقيم

ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعرجوا ، فالصراط الاسلام ، والستور حدود الله تعالى ، والأبواب محارم الله ، والداعي القرآن . (حديث شريف)

الله اكبر

الله اكبر . بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة فى هذه الكلمة نداءها تهتف أيها المؤمن . ان كنت أصبت فى الساعات التى مضت ، فاجتهد للساعات التى تتلو ، وان كنت أخطأت فكفى ، وامح ساعة بساعة .. الزمن يمحو الزمن ، والعمل يغير العمل ، ودقيقة باقية فى العمر هى أمل كبير فى رحمة الله . (الرافعى)

زهد ابن الخطاب

أراد الصحابة أن يزيدوا فى راتب عمر بن الخطاب لما يعانيه من جهد العيش فقال لهم .

انما مثلى ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقا ، فمضى الاول بسبيله ، وقد تزود ، فبلغ المنزل ، ثم اتبعه الآخر (يقصد أبا بكر) فسلك سبيله ، فأفضى اليه ، ثم اتبعهما الثالث (يقصد نفسه) فان لزم طريقهما ، ورضى بزادهما لحق بهما ، وان سلك طريقا غير طريقهما لم يلقهما .

أوضاع مقلوبة

على الصبى اذا بلغ الثالثة عشرة من عمره أن يضع نقابا على وجهه لا يرفعه الا عند تناول الطعام ، أما نساء قبائل الطوارق فى شمال افريقيا فيسرن سافرات على عكس الرجال .

الشريك المغفل

كان فقيرا وأصبح ثريا فسأله صديقه ؟ كيف أصبحت لديك كل هذه الثروة ؟

ـ شاركت أحد لأغنياء . هو بالمال وانا بالخبرة .

ـ ثم ماذا ؟

ـ أصبح لدى المال ولديه الخبرة .

راكب القطار

طلب مفتش القطار من الراكب تذكرته ، فبحث عنها فلم يجدها ، فانصرف المفتش بلطف وطمأنه الراكب ، ولكنه ظل يبحث عنها فقال له المفتش لا داعى لهذا فقال الراكب . انا أبحث عن التذكرة لاعرف الى أين أذهب .

لبس السواد

سأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد ، فقال لا احرمه،ولكني أكرهه ، قال ولم ؟ قال : لأنه لا تجلس فيه عروس ، ولا يلبى فيه محرم ، ولا يكفن فيه ميت .

من الزئبق فأخذ القرد يحرك نفسه يمنة ويسرة ، ويضع يده على خاصرته من شدة الالم ، فاستنتج ان الزئبق يسبب آلاما حادة فى مكان الكلى والامعاء . ثم مشاهدة اخرى تدل على حكمة الرازى . فلقد كان عبد الله بن سوادة تعتريه حمى قوية كل سنة ، واحيانا كل يومين واحيانا اخرى كل اربعة ايام ، وكان يصحبها رجفة وتغير فى بوله ، فقال الرازى ان هذه الحالة تنتج عن حمى الملاريا ، او عن دمل فى كلوته . ثم وجد ان البول به صديد فرجح وجود الدمل بالكلية ووصف مدرا للبول حتى صفا البول من الصديد . ويقول الرازى فى ذلك : انهمن واجبنا عدم اهمال أى شىء وبذل العناية القصوى فى البحث كما اراد الله . فاكرم بها من عبرة وموعظة لاطبائنا فى هذا العصر من الرازى الجليل .

وكان الرازى يحذر تلاميذه من تشخيص المرض من استعراض البول فقط ، كما كان متبعا عند الاغريق ، وكافح بكل ما لديه ــ المشعوذين الذين كانوا يدعون قراءة ماضى المرضى وحاضرهم والتنبؤ بمستقبلهم كلما رأوا انبوبة البول . وكانوا يعرفون ذلك بارسال جواسيس لهم ليكتشفوا اخبار مرضاهم البسطاء ، ويعرفوا اسرار حياتهم ، حتى اذا ما جاء هؤلاء اليهم عرفوهم عن كل شىء . واخذ اهل الدجل يسردون لهم كل هذا بنظرة الى بولهم ، قائلين لهم ان البول يفضح السر ، وبانهم اهل خبرة فى علم الطب . فيقع هذا فى روع العامة ، ويصدقون ما يقولونه لهم . وما اشبه ما قاسى الرازى فى ايامه بما نقاسيه نحن الاطباء فى ايامنا هذه ، من اهل الدجل والشعوذة وادعياء الطب .

كان الرازى اول من فكر فى معالجة المرضى الميئوس من شفائهم ، واهتم بهم كل الاهتمام ضاربا عرض الحائط بما قاله ابوقراط الذى عرف الطب بالفن الذى ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطأة النوبات العنيفة ، ويبتعد عن معالجة الاشخاص الذين لا امل فى شفائهم ، اذ ان المرء يعلم ان من الطب ما لا نفع له فى هذا الميدان .

سبق انساني

بل لقد ذهب الرازى الى سبق انساني كبير حينما طالب الطبيب ان يوهم مريضه الذى لا امل فى شفائه بالصحة ويرجيه بها ؛ وان لم يثق هو بذلك معتقدا ان مزاج الجسم تابع للحالة النفسية . واذا قارنا هذا الموقف النبيل لفخر العرب بما كان يصنعه اطباء العرب فى هذه الحقبة من الزمن لرأينا العجب . فقد كانوا يعتقدون بان المرض المستعصي ما هو الا لعنة من السماء حلت بصاحبها عقابا له على اثم ارتكبه ، او ان شيطانا دخل جسمه فكان مثل هؤلاء المرضى يوضعون فى سجون مظلمة ، وتقيد ايديهم وارجلهم ، ويعزلون عن العالم وعن اهلهم فى « المستشفى السجن » او « البيت العجيب » او « برج المجانين » او « القفص العجيب » كما سموها فى تلك الايام . ويقوم على هؤلاء المرضى المساكين رجال اشداء ، غلاظ الاكباد ، لا يعرفون الا السياط للتفاهم مع هؤلاء المرضى .

وبعد الرازى بسبعة قرون او اكثر تجرأت انجلترا فى فك سجن هؤلاء المرضى ، وبعدها بقرن تبعتها فرنسا بتحرير المرضى السجناء وتسليمهم الى الاطباء . وهكذا سبق الرازى الغرب بقرون فى معاملة مرضاه المعاملة الحسنة واستحق لقب الطبيب الانساني كبير القلب .

والرازى اهتم كثيرا بعوامل الحرارة والرياح والرطوبة وانارة البيوت ونقاء هوائها ونظافة مائها ، وبامكانيات الاغتسال الذى كانت ترى اوروبا فيه

ـ فى العصور الوسطى ـ انما اى اثم، وعارا اى عار ، فحرمته كما حرمت الحركات الجسدية وممارسة الرياضة البدنية . وكان حريصا دائما على انــزال المرضى فى انسب الامكنة موقعا وهواء وصــحة ونظافة ، ويشدد على اتبــاع النظافــة وتغيير هواء الغرف بشكل متواصل .

كتاب ((الحاوى))

واذا ما تطرقنا الى ما الف الرازى لوجدنا الشيء الــكثير . فلقد جمعت الاوراق التى كان يكتبها عن الامراض المختلفة والمرضى الذين كانوا يزورونه ، وجمعت كل هذه فى كتاب خرج الى النور وسمى باسم « الحاوى » ويقع فى ثلاثين جزءا ، جمعت كل المعارف التي توصل اليها العقل البشرى منذ ايام أبوقراط الى ايام الرازى . وكان « الحــاوى » عمدة الاطباء فى النقل منه ، والرجــوع اليه ، عند الاختلافات . وظل المرجــع الاساسي فى اوروبا لمدة تزيد عن ٤٠٠ عام دون ان يزاحمه مزاحم او يأخــذ مكانه مؤلف . ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم، وبفضل صاحبه على الطب فاقاموا لــه نصبا فى ساحة القاعة الكبيرة فى مدرسة الطب لديهم ، ولقد ترجم الحاوى الى اللاتينية مرتين الاولى عام ١٤٥٢م والثانية عام ١٤٨٦م.

وكذلك كتابه « المنصورى » وكتــاب « برء الساعة » من اهم ما كتب وابدع ووصف رسالته الذائعة الصــيت عــن الجدرى والحصبة ، وظهرت باللاتينية فى فينيسيا عام ١٥٦٥ ، وترجمت مرة اخــرى الى اللاتينيــة ســنة ١٧٦٦ ، وترجمت الى الانجليزية ونشرت عــام ١٨٤٨ ، وقــد **وصــفها المؤرخ الطبي المشهور ((بنوبرجر)) بأن هذه الرسالة تعد حلية جميلة فى جيد الطب العربي .** ولها اهمية عظمى فى تاريــخ الامــراض الوبائية ، لانها اول بحث سطر عن مرض الجدرى . ومن رسائله المشهورة مقالة فى حصى الكلى والمثانة . وقد ترجمت الى الفرنســية ، ونشرت بليون عــام ١٨٩٦ على يد المستشرق Dehoning

ويعد الرازى اول من ابتكر خيــوط الجراحة ، واول من عمل مراهم الزئبق، واكتشف الكحول ، وغير ذلك الكثير مما يعجز القلم عن وصفه .

وكل هذا يدل دلالة واضحة على مــا كان عليه الرازى من علم فى الطب تفوق فيه على اهل زمانه فكان مفخرة للعرب فى ماضيهم وحاضرهم .

وتوفي عام ٩٢٥ م . مــات فقــيرا معدما ، بعد أن ضاقت نفوس أعــدائه بشهرته ، وبكرمه ، فلفقوا له التهــم ، ودسوا عليه عند الخليفة فابعده عــن بغداد ثم عن مدينة ((الرى)) ، وحرمه من كل المناصب ولقد فقد نور عينيه بعد أن عم نور علمه الآفاق شرقا وغربا ، وظل عالما فذا الى آخــر ايام حياتــه .

جاء طبيب ليجرى له عملية جراحية فى عينيه ليرى النور من جديد ، ولكنه سأل الطبيب قبل أن يباشر عمله عن عدد طبقات انسجة العين . فاضطرب وسكت، عندئذ قال الــرازى ((ان مــن يجهــل جواب هذا السؤال عليه ان لا يمسك بأية آلة يعبث بها فى عيني)) . ورغــم الالحاح الشديد وكل المحاولات لاقناعه رفض العملية وقال : ((لقد شــاهدت الكثير من هذا العالم وقد شبعت)) .

فالى كل عربي يفخــر بعروبتــه ان يهتدى بهــذا النبراس القــوى فى عالم الطب . هذا الطبيب الذى عرف واجبه حق المعرفة وقدس رسالته كل التقديس فملأت قلبــه ونفسه ، ومد يده الى الفقراء والمعوزين وقضى حياتــه يبحث ويدق ، ويعلم ويؤلف ، ويداوى مرضاه، فكان جديرا بتخليد اسمه وسيبقى اسم الرازى على مدى الايام علما خفاقــا فى عالم الطب والانسانية .

رحمه الله . وطيب دائما ذكراه .



اعداد ادارة الشئون الاسلامية بالوزارة

مقدمة :

كثر الحديث فى الآونة الاخيرة عن اندونيسيا ، فقد وقعت فيها سلسلة من الحوادث الدامية أعقبتها سلسلة من ردود الفعل العنيفة التى قد يكون لها أثر كبير ، ليس فى سياسة هذا القطر وحده بل فى سياسة جنوب شرقي آسيا والشرق الاقصى معا .

واندونيسيا التىنتحدث عنها اليوم بلد مسلم تربطنا به أمتن الروابط، وتشدنا اليه اقوى الصلات ، ولقد كانت قضايانا كفلسطين والجنوب والمغرب العربي ايام استعماره فى مقدمة القضايا التي كان الشعب الاندونيسى المسلم يدافع عنها ، ويبذل كل ما يستطيع من أجلها وفى سبيل تحريرها .

لهذا وجدنا من واجبنا ان نلقى بعض الضوء على هذه البلاد الاسلامية التي تنتشر جزرها فى المحيط الهادىء كالدر المنثور .



جغرافيتها

تتألف اندونيسيا من ارخبيل مترامى الاطراف يمتد من الشرق مسافة تساوى مسافة ما بين لندن والقاهرة ، ويضم هذا الارخبيل اكثر من ثلاثة الاف جزيرة متناثرة بين قارتي آسيا واستراليا .

واهم هذه الجزر هى : جاوه التي بها عاصمة البلاد ، فسومطره ، وكاليمنتان ، وبالي ، ولومبوك ، وسومبا ، وسومباوا ، وتيمور ، وجزر الملوك ، وايريان الغربية، (وسولاويسي) ... وغيرها .

وتبلغ مساحة اندونيسيا (٧٣٥٨٦٥) ميلا مربعا تقريبا ، وتعتبر اندونيسيا من المناطق المتصدعة التي لم تهدأ بعد .. ويقول علماء الجغرافيا ان بها امكانيات ضخمة لاحتمال ظهور براكين جديدة .

ومناخ اندونيسيا معتدل دائم الامطار كثير الخصب تكاد الغابات الكثيفة والاراضي الصالحة للزراعة تغطي كل اراضيها .

السكان

يبلغ عدد سكان اندونيسيا حوالي المائة مليون من الناس ، واكثرهم فى جزيرتي جاوه التي يقطنها حوالي (٦٠) مليونا وسومطره التي يقطنها قرابة (١٥) مليونا وبقية السكان موزعون فى الجزر الاخرى .

وقد اختلف المؤرخون فى تحديد اصل السكان ، فمنهم من زعم انهم ينتمون الى

اصل تتارى .. بينما زعم آخرون انهم قدموا من سيلان أو الهند الجنوبية ، وذكر آخرون انهم خليط من اصول مصرية وهندية وتتار وعرب وصين ... وليس هنا ما هو ثابت على وجه القطع والجزم ، وعلى أى حال فقد جمعتهم اليوم وحدة الدين الاسلامي الحنيف ووحدة الوطن .

وفى البلاد جالية عربية كبيرة معظمها قدم من حضرموت والجنوب العربي ، ولا زالوا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم العربية ، واما الصينيون فيقدر عددهم بحوالي مليوني نسمة وهم المسيطرون على زمام التجارة والاقتصاد سيطرة تامة ادت الى قيام كثير من المشكلات الاقتصادية والازمات المعيشية فى البلاد فهم بحق يهود الشرق ومصاصو دمائه .

التقسيم الأدارى

تنقسم اندونيسيا الى عشرة أقاليم تعرف باسم (الولايات) وهي سومطره الشمالية سومطره الوسطى ، سومطره الجنوبية ، جاوه الغربية ، جاوه الوسطى ، جاوه الشرقية ، نوسانتغارا ، كاليمنتان ، سولا ويسي ، الملوك .. ثم أضيف اليها اخيرا ولاية ايريان الغربية بعد تحريرها من ايدى المستعمرين الهولنديين .

وتتبع اندونيسيا النظام المركزى فى حكمها مما يسبب لها بعض المشاكل والصعوبات فى حكم هذه المناطق المترامية .

الحالة الاقتصادية

تعتبر اندونيسيا من البلاد الغنية فى العالم ، فهى تنتج المطاط والشاى والبن والسكر والتوابل والتبغ وزيت جوز الهند والارز والخيزران والخشب والذرة والكنين بكميات هائلة ، كما انها تنتج البترول والقصدير والفحم والذهب والفضة والحديد والنيكل والملح وغيرها ...

وهناك بعض الاسباب التي أثرت تأثيرا سيئا على الاقتصاد الاندونيسي ، وسببت تدهور عملته رغم هذه الخيرات الوفيرة ، ومن هذه الاسباب :

١ : ــ عدم الاستقرار الداخلي .

٢ : ــ هبوط اسعار المطاط الاندونيسي فى العالم .

٣ : ــ الثورات التى تقوم بين الحين والآخر فى شرق البلاد وغربها احتجاجا على سماح الحكومة للحزب الشيوعي بالتقرب من الحكم والمشاركة فيه رغم غلبة الاحزاب الاسلامية فى البلاد .

اندونيسيا عبر التاريخ

لا يعرف المؤرخون الكثير عن أندونيسيا وعن حضارتها قبل الغزو الهندوكي الذى بدأ فى القرن الرابع الميلادى، وامتد نفوذه فيما بين القرن السابع والعاشر فى الوقت الذى بدأ الاسلام يسلط اضواءه على هذا الارخبيل، ولقد انتشرت الديانة البرهمية فى بعض انحاء اندونيسيا بعد الغزو الهندوكي ، ثم انتشرت بعض الوقت العقيدة البوذية القائمة على التقشف والبعد عن سنن الفطرة ، ومنذ بداية القرن السابع الميلادى كان بعض التجار العرب من الحضارمة وغيرهم يتوافدون الى تلك البلاد طلبا للتجارة والرزق .. وقد استطاع هؤلاء الحضارمة ان يندمجوا فى الشعب الاندونيسي اندماجا كاملا، واستطاعوا ايضا بما أوتوا من الجلد والصبر والذكاء والامانة فى المعاملة ان يفتحوا قلوب السكان للاسلام ، وهكذا دخل الاندونيسيون فى الاسلام افواجا أفواجا بما عرفت عنهم من بساطة فى العيش وطيبة فى القلب .

وتعتبر (ملقا) من اوائل المناطق التي بدأت منها جحافل الدعاة المسلمين بدك



اعضاء وفد دولة الكويت مع بعض الوفود الاسلامية فى مؤتمر باندونج

معاقل الكفر والالحاد والوثنية والهندوكية وقد سبب اقبال الاهالي على الدعوة الاسلامية مجيء المزيد من الدعاة من اقطار اسلامية شتى كرسوا حياتهم لانقاذ سكان هذه الجزر النائية من دياجير الظلم والظلمات ، وكان فى طليعة هؤلاء الدعاة الشيخ سيدى عبد العزيز ولعله من الاندلس والشيخ القاضي عبد الله اليماني .

ثم شق الاسلام طريقه الى جزيرة (سومطره) حيث ان الصلات التجارية التي تربط هذه الجزيرة مع (ملقا) قوية متينة منذ اقدم العصور ، وكان ذلك ايضا على ايدى التجار والدعاة ، ومن اوائل هؤلاء الشيخ محمد العارف الذى لعب دورا خطيرا فى ارساء قواعد الدعوة الاسلامية بسومطرة ، ثم الشيخ محمد هلال من تونس ثم الشيخ عبدالله ابن محمد العباسي وغيرهم .

والملاحظ ان سكان هذه المناطق الساحلية مثل سومطره وملقا يمتازون عن غيرهم من سكان المناطق الداخلية بمظاهر حياتهم الاسلامية وذلك لسبقهم الى الاسلام .

واما جزيرة جاوه المكتظة بالسكان ، فلم يصلها الاسلام الا فى القرن الثاني عشر الميلادى ، حيث قام بالدعوة هناك امير من مملكة (بجاجاران) بجاوه الغربية اسمه الامير بورا ، وجاء بعده مولانا (الملك ابراهيم) ويعتبر هذا الرجل اعظم شخصية فى تاريخ الدعوة الاسلامية باندونيسيا كلها ، فكان عهده يعد بحق نهاية العهد الهندوكي البائد وبداية النور الذى تسلل مع خيوط فجره اول نواة لعصر من ازهى العصور التي عاشتها اندونيسيا فى تلك القرون . والملك ابراهيم هذا رجل من المغرب او من حضرموت ، وأياما كان فقد دعا الناس الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، واستطاع بما اوتى من الدهاء والتخلق بالاخلاق الكريمة ان ينفذ الى اعماق قلوب الاهالي ، بحيث لم تمض فترة الا

وقد اجتمع حوله رهط كبير من الانصار دخلوا جميعا فى دين الاسلام ، وقد اتخذ له من مدينة (غرسيء) مركزا لنشاطه ، وافتتح بها معهدا اسلاميا كان يعرف باسم معهد سيدا سريما ، كما اسس مسجدا ما زال حتى يومنا هذا .

ولقد ظل الاسلام العقيدة الراسخة فى قلوب المسلمين هناك على الرغم من محاولات التبشير الصليبي والاستعمار الهولندى والياباني المستمرة لصرف المسلمين عن دينهم .

وكان للاحزاب الاسلامية فى اندونيسيا دور كبير فى حرب التحرير وبث الوعي الاسلامي فى صفوف الجماهير والهاب حماس الشعب للجهاد ضد اعداء البلاد . ومن اهم هذه الاحزاب الاسلامية : —

١ : — شركة اسلام : الذى اسسه الاستاذ الاكبر (عمر سعيد شكرو امينوتو) وهو اول حزب اسلامي فى اندونيسيا وقد تأسس عام ١٩١٠ .

٢ : — الجمعية المحمدية : اسسها (الحاج أحمد الدحلان) سنة ١٩١٢ .

٣ : — جمعية الارشاد : وقد اسسها (احمد السوكرتى الانصارى) وهو سودانى الاصل سنة ١٩١٢ .

٤ : — جمعية نهضة العلماء : اسسها الشيخ هاشم الاشوى عام ١٩١٤ .

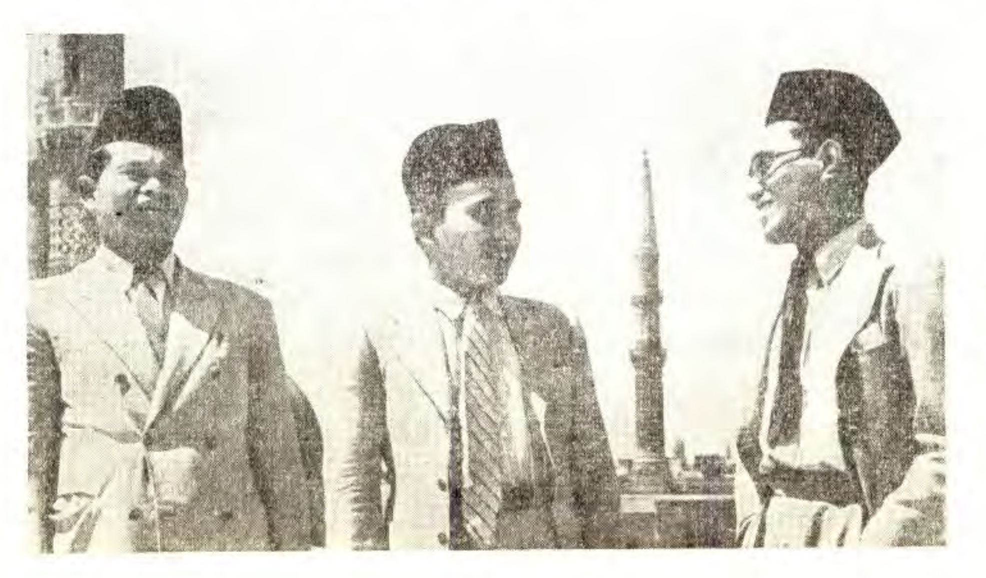
٥ : — جمعية وحدة العلماء : تأسست عام ١٩٣٠ .

وغير ذلك من الاحزاب الاسلامية وفى الفترة بين الحربين العالميتين تقاربت هذه الاحزاب الاسلامية وشكلت فيما بينها اتحادا باسم « المجلس الاسلامي الاعلى » ، واشتغل المجلس بقضايا استقلال اندونيسيا وبقضايا العرب فى فلسطين وفى برقه وعمل على مقاطعة ايطاليا ، ثم جاء الاحتلال اليابانى ، فكان بلاء هان معه بلاء الاستعمار الهولندى .

... ولقد كان لليابان فضل واحد حيث دربت الناس هناك عسكريا ، وألفوا منهم فرقا للدفاع الوطني أرادوا أن تكون عونا لهم على الحلفاء .. فكان منها العون على الاستقلال .

وفى ايام حكم اليابان اجتمعت الجمعيات والاحزاب الاسلامية وكونت (مجلس الشورى الاسلامي) وبعد الاستقلال تحول هذا المجلس الى حزب (ماشومي) .

ويعتبر حزب ماشومى اكبر احزاب اندونيسيا واقواها ومعظم قياداته من الشباب المثقف خريجي الجامعات وقد انتخب الحزب لرياسته أول الامر (سوكيمانه) ورئيسه الحالي هو الاستاذ محمد ناصر ، وهو رجل عالم فاضل متواضع زار البلاد العربية والاسلامية عدة مرات ،



بعض الطلبة الاندونيسيين بالجامعة الازهرية .



اعضاء الوفد الكويتي مع الجنرال عبد الحارث فى المؤتمر الاسلامي الذى انعقد بأندونيسيا فى أوائل هذا العام

وحضر المؤتمرات الاسلامية الشعبية التي عقدت فى مختلف البلاد الاسلامية ، ويقدر عدد المنتسبين الى هذا الحزب بأكثر من أحد عشر مليونا من الاعضاء ، وأهم مبادئه المطالبة بجعل القرآن دستورا لاندونيسيا وتحكيم الشريعة الاسلامية والعمل على الوحدة الاسلامية الكبرى .

وقد قاوم هذا الحزب الاسلامي الكبير الحزب الشيوعي الاندونيسي واصر على ابعاده عن الحكم فى جميع الاحوال التي اشترك فيها حزب ماشومى الاسلامي بالحكم ، غير ان الحكام جنحوا للتعاون مع الشيوعيين فى الفترة الاخيرة: واخذوا يضيقون على الاحزاب الاسلامية، وخاصة (ماشومى) الذى زج برئيسه وقادته فى السجن ، وبرز الشيوعيون الى الميدان مستغلين هذه الفرصة المناسبة التي ضربت فيها الحركة الاسلامية بأندونيسيا من قبل الحاكمين ، وصار الحزب الشيوعي الاندونيسي بدعم من الصين الشعبية يصول ويجول ويسيطر على النقابات والاتحادات والاندية والجمعيات ، ويفتعل الحوادث بين الحين والحين للوقيعة بين المسلمين وحكامهم .

ولكن رغم هذه الضراوة فى الحرب ظل المسلمون على اسلامهم ، وزادتهم المحنة صلابة وثباتا لان الاسلام لا يمكن باية حال ان يخضع للاستعمار ولا ان يذل للطغاة ولا يمكن ان يلقى السلاح مهما قدم من تضحيات ومهما تكالب عليه الاعداء من المستعمرين الصليبيين والملاحدة الشيوعيين والصهاينة الماسونيين .

ولنا فى الحوادث الاخيرة والانفجار العنيف وردود الفعل لدى مسلمي اندونيسيا ضد الشيوعيين اكبر عبرة وعظة .

ان طلائع الكتائب المؤمنة تتحرك اليوم فى كل مكان من العالم الاسلامي لتأخذ مكانها اللائق ، وان الايام القادمة ستكشف زيف كل الدعوات المستوردة والمبادىء الوافدة والحركات الهدامة .

والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

الحلقة الثانية للبحوث القانونية والسياسية تجتمع في الكويت وتناقش :

١ : ــ فلسفة الفكرة الاتحادية
٢ : ــ التشريع وتحقيق العدالة الاجتماعية في العالم
٣ : ــ دور القضاء الاداري في نشاط الجهاز الحكومي
٤ : ــ التشريعات العمالية في العالم العربي
٥ : ــ الوضع القانوني للأنهار الدولية في العالم العربي
٦ : ــ الملكية ووظيفتها الاجتماعية

يضطلع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة بعقد حلقات دراسية فى مختلف المجالات فى نطاق عربي شامل . وذلك لتحقيق التعاون والترابط الثقافي والعلمي والتشريعي فى جميع أنحاء الوطن العربي .

ومن اللجان التي انبثقت عن المجلس لجنة القانــون والعلوم الســياسية التي تستهدف العمل على توحيد أو تقريب النظم القانونية والمناهج السياسية فى الأقطار العربية : وقد نظمت هذه اللجنة سلسلة من الحلقات الدراسية انعقدت الحلقة الأولى منها فى القاهرة فى الفترة من ٢٣ ــ ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٦٠ .

الحلقة الثانية

وانعقدت الحلقة الثانية فى الكويت فى الفترة من ٢٤ ــ ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ واشترك فيها وفود الدول العربية : الكويت ، الجمهورية العربية المتحدة ، الأردن ، الجزائر ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العراقية ، المملكة المغربية ، ممثلون لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفى حفل الافتتاح القى سعادة الشيخ خالد احمد الجسار وزير العدل فى الكويت كلمة مناسبة رحب فيها بالحاضرين وتمنى لهم التوفيق فى مهمتهم السامية ، وبعد أن ألقى رؤساء الوفود كلماتهم بدأت الحلقة أعمالها برئاسة سعادة عبد العزيز الصرعاوى وزير الشؤون الاجتماعية والعمل وانقسمت الى عدة لجان .

١ : ــ لجنة فلسفة الفكرة الاتحادية .
٢ : ــ لجنة التشريع وتحقيق العدالة الاجتماعية فى العالم العربي .
٣ : ــ لجنة دور القضاء الادارى فى نشاط الجهاز الحكومي .
٤ : ــ لجنة التشريعات العمالية فى العالم العربي .
٥ : ــ لجنة الوضع القانوني للأنهار الدولية فى العالم العربي .



سعادة الشيخ خالد أحمد النبسار يلقي كلمة الافتتاح .

٦ : ــ لجنة الملكية ووظيفتها الاجتماعية فى العالم العربي .

واتخذت كل لجنة من هذه اللجان توصيات هامة اذيعت فى ختام الحلقة . وقد ألقى سعادة رئيس الحلقة كلمة فى الحفل الختامي شكر فيها أعضاء اللجان على ما بذلوه من جهود ، وما حققوه من نجاح فى معالجة الموضوعات العلمية والقانونية التى تضمنها جدول أعمال الحلقة ، والتي تمس كياننا العربي مسا مباشرا فى وضعه الحاضر المتطلع الى التقدم وارساء دعائم الحق والعدالة وتكافؤ الفرص .

والوعي الاسلامي اذ تشيد بمثل هذه الاجتماعات والدراسات التي تزيد من تقارب الدول العربية وتخطو بها خطوات حثيثة نحو وحدتها المرجوة . ترجو أن تعنى الحكومات العربية عناية جدية بالتوصيات التي صدرت عن هذه الحلقة ..

ولا يفوتنا أن ننوه بالكلمة الطيبة التي ألقاها ممثل الكويت فى حفل الافتتاح فهي تعبر عن الخط المستقيم الذى ينبغى أن تسير عليه الدول الاسلامية من الاعتماد على التشريع الاسلامي فى جميع القوانين والأنظمة التي تسود هذه البلاد ، ونقتطف منها الفقرة التالية ــ

الهدف الثاني : الذى نتغياه من هذا اللقاء الكريم هو أن نربط هذه الدراسة المشتركة والبحوث المقارنة بواقع تراثنا الفقهي ونظمنا وعاداتنا ومقتضيات بيئتنا ، فتأتي التشريعات الموحدة المرجوة متجاوبة مع بيئتنا ، منبثقة من أفكارنا ومشاعرنا ومصالحنا ، وليس معنى ذلك ألا نفيد من تجارب غيرنا ، أو أن نغض النظر عما استحدثته الحضارات الأخرى من نظم وأفكار .

والهدف الثالث : الذى يأمل وفد الكويت أن يكون واسطة العقد فى كل أعمالنا ، هو أن نتغيا فى اتجاهنا وبحوثنا اعطاء الصدارة لأحكام الاسلام وللشريعة الاسلامية السمحاء التي يتسع صدرها لكلّ مستحسن نافع للمجتمع لا يهدم أصلا لازما ولا يخالف حكما قطعيا .

عدالة السماء

محمد مؤذني

— ١ —

كان رجلا معدما ولكنه كان سعيدا .

وكانت له عائلة من زوجة وخمسة أولاد وأختين ووالدة طاعنة في السن ، له حانوت يبيع فيه الخضروات .. اليقطين والباذنجان والسلق والفجل والطماطم ... الخ .

حانوته هذا في طريق فرعية، يبيع فيه سلعته على جيرانه من الفقراء ، فلم يكن له من المال ما يؤجر به حانوتا في موقع ممتاز أو يشترى به سلعة ممتازة .

اما داره الخربة فتسمى من باب المجاز دارا ، وهي في حقيقتها غرفة واحدة حولها ركام من الأنقاض ، وفي هذه الغرفة ينام أفراد العائلة ويطبخون ويستحمون .

واذا ما عاد الرجل الى داره بعد غروب الشمس ، ومعه الخضرة واللحم والخبز ، تستقبله العائلة كلها بالفرح والتصفيق والأغاني والأهازيج ، ويتناولون منه ما بيديه من طعام ، ويهرعون الى القدر لاعداد العشاء .

ولم يكن في كل يوم يحضر اللحم ، فاذا كان مبيعه اليومي رابحا استطاع أن يشترى لحما ، والا فعشاء عائلته من بقايا ما كسد من خضرة حانوته .

وكانت تلك العائلة تسكن الى جوار حاكم في المحكمة العليا ، وكان ذلك الحاكم يعطف على تلك العائلة ويزورها بين حين وآخر .

وهذا الحاكم كثيرا ما حدثني عن عائلة جاره قائلا « لم أر في حياتي عائلة سعيدة مثل



بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب
بغداد

هذه العائلة ، ولم أر فرحا غامرا كالفرح الذى يشيع فى العائلة عندما يعود ربها من عمله مساء ، وكنت كثيرا ما أحب أن أعيش وقتا سعيدا بينها حين يصل جارى الى داره فتستقبله العائلة كلها بالتهليل والتكبير ، ثم يبدأ عملها الدائب فى اعداد العشاء ، فاذا نضج الطعام بدأوا يتناولونه من اناء كبير فاذا انتهوا من عشائهم حمدوا الله وشكروه ، وأكثروا من حمده وشكره ، ثم آووا الى فراشهم الخلق البسيط فرحين قانعين ، لا يتمنون على الله غير الستر والعافية وألا يحتاجون الى انسان » .

وفى يوم من أيام الخريف ، كانت العائلة تنتظر رجلها مساء على باب الدار ، فاذا بهم يرون بعض الشرطة يحملون نعشا ، فلما تبينت العائلة الأمر وجدت معيلها الوحيد هو المحمول فى النعش .

كان قد أغلق حانوته ، وقصد القصاب المجاور فاشترى لحما ، وقصد الخباز القريب فاشترى خبزا ، وحمل بقايا خضرته من دكانه ، فلما أراد عبور الشارع دهسته سيارة طائشة ، فمات الرجل فورا ، وتبعثر ما كان معه من زاد .

وتجمع الجيران حول النعش ، وجمعوا من سراتهم بعض المال ، وأنفقوا على تجهيز الجثة الهامدة بعض ما جمعوه ، وقدموا ما تبقى من مال زهيد الى العائلة ، وفى صباح اليوم التالي واروا الفقيد الى مقره الأخير .

وكان أكبر أولاده فى سن الخامسة عشرة ، يدرس فى الصف الثاني فى المدرسة المتوسطة الشرقية ، ليعد نفسه ليكون موظفا صغيرا بعد تخرجه من الاعدادية فيعاون أهله .

وبعد يومين من موت والده ، نفد آخر ما جمعه الجيران من مال للعائلة ، وفى اليوم الثالث قصد حانوت والده .

وبدأ يعمل فيه ليعول أمه واخوته الصغار وعمته وجدته ..

وكان يعود كل يوم الى أهله بعد غروب الشمس كما كان يفعل والده ..

ولكن الابتسامات غاضت الى غير رجعة .. والفرح مات الى الأبد .. وكان الطعام الذى تتناوله العائلة ممزوجا بالدموع ....

لقد دفنت العائلة سعادتها مع فقيدها الحبيب ...

— ٢ —

ومرت الأيام ثقيلة بطيئة ، ودار الزمن دورته ، فانقضت ثلاث سنوات ، ودعي الولد الكبير الى الخدمة فى الجندية بعد أن استكمل الثامنة عشرة من عمره ..

واجتمعت العائلة تتداول الرأى هل يترك الابن الثاني مدرسته وقد أصبح فى الصف الرابع الاعدادى ولم تبق له غير سنة ليتخرج من الاعدادية ليتولى ادارة حانوت أخيه ؟ واذا لم يفعل فمن يعيل أهله ؟ .

واستقر رأى العائلة على بيع الدار ، ولو أن الخروج منها كخروج الشاة من جلدها ، لا يسمى الا موتا أو سلخا .... !

والتحق الابن الكبير بالجندية فى بلد مجاور يتدرب على استعمال السلاح ، وكان معلم التدريب العسكرى يلاحظه فيجد فيه ذهولا وانصرافا عن التدريب ، فكان ينصحه تارة ، ويعاقبه بالتعليم الاضافي تارة أخرى .. دون جدوى .

لقد كان حاضرا كالغائب ، وكان جسمه فقط مع اخوانه الجنود فى التدريب ، ولكن عقله كان بعيدا .. بعيدا .. هناك عند عائلته .

واستدعاه معلمه يوما ، وسأله عن مشكلته ، ففتح له قلبه وأخبره بأمره ، فبادله المعلم الانسان حزنا بحزن وأسى بأسى ، وكف عن ملاحقته فى أمر اتقان التدريب .

وعرض المعلم مشكلته على آمر الفصيلة ، فأمر بتعيينه فى مطبخ الجنود يغسل القدور ، ويقطع اللحم ، ويوقد النار ، ويوزع الطعام ، أما أمه ... فكانت هي أيضا حاضرة كالغائبة . استقرضت بعض المال من أحد سماسرة بيع الدور لتطعم العائلة به ، ورهنت سند الدار عند السمسار وعرضت الدار للبيع ....

واستمر عرض الدار أياما على الراغبين بشرائه ، وأخيرا وبعد مرور عشرين يوما ، باعت الدار بأربعمائة دينار ، ثم قضت تسعة أيام فى معاملات حكومية رتيبة لنقل ملكيتها الى المالك الجديد .

وبقي يوم واحد على موعد اعطاء البدل النقدى عن ولدها ، وكان عليها أن تسافر الى المدينة التي استقر فيها ولدها فى الجندية مساء اليوم التاسع والعشرين ، لتسلم البدل النقدى صباح اليوم الثلاثين ، فاذا تأخرت عن ذلك الموعد ساعة فلن يقبل من ابنها البدل النقدى .

— ٣ —

وقصدت الام مأوى السيارات التي تنقل الركاب من بلدتها الى بلدة ولدها ، فوجدت السيارات ولم تجد الركاب .

كان الوقت قبيل الغروب من أيام الصيف ، وانتظرت ساعة فى مأوى السيارات دون أن يحضر مسافر واحد . وانتظرت على أحر من الجمر ، وقد غابت الشمس ، والمسافة بين المدينتين حوالي أربعين ومائتي كيلو متر تقطع بالسيارات فى ساعتين ونصف ، فاذا لم تسافر ليلا ضاع عليها الوقت ولن تصل الى مدينة ولدها الا فى صباح اليوم التالي .

وعرضت على سائق احدى السيارات انتستأجر ـ وحدها ـ سيارته على أن يسافر بها فورا . وقبض السائق أجرة سيارته كاملة من المرأة وتحركت السيارة فى طرق جبلية ، وفى الطريق تحدث السائق الى المرأة ، فعلم منها قصة بيع الدار ، وقصة دفع البدل النقدى عن ولدهــا .

وتدخل الشيطان بينهما ، فلعب دوره فى تخريب ضمير السائق ، فعزم على تنفيذ خطة لاغتصاب المال من المرأة المسكينة .

وفى احدى منعطفات الطريق ، حيث يستقر الى جانب الطريق الأيمن واد صخرى سحيق ، أوقف السائق سيارته فجأة ، وسحب المرأة قسرا من السيارة الى خارجها ، ونزلا الى مسافة عشرين مترا فى الوادى السحيق ، وهناك طعن المرأة بخنجره عدة طعنات ، فلما تراخت وظن أنها فارقت الحياة ، سلبها مالها ، وعاد الى سيارته تاركا المرأة فى مكانها تنزف الدماء من جروحها .

وقصد المدينةالتي كانمتجها اليها فقد خشي أن يعود الى المدينة التي خلفها وراءه لئلا ينكشف أمره ، اذ يعود اليها بدون مسافرين ، وقبل الوقت المعقول لذهابه وايابه ..... ! وعندما وصل الى المدينة ، آوى الى مأوى السيارات ، فزعم لأصحابه أن المسافرين الذين كانوا معه غادروا سيارته بعد عبور الجسر . ووجد ركابا ينتظرون السفر الى البلدة التي غادرها مساء ، فسافر بهم عائدا من نفس الطريق .

وحين وصل الى المكان الذى ارتكب فيه جريمته الشنعاء ، أوقف سيارته ، وادعى لركابها بأنه يريد أن يقضي حاجته ثم يعود اليهم فورا .... ! وانحدر الى الوادى ، فسمع أنينا خافتا ، فقصد المرأة السابحة ببركة من الدم ، وقال لها « ملعونة ألا تزالين على قيد الحياة حتى الآن) ! وجمدت المرأة فى مكانها ، وانتظرت مزيدا من الطعنات .... ! » .

وانحنى السائق الى صخرة ضخمة ليحطم بها رأس المرأة الجريح ، وما كاد يضع يديه تحت الصخرة الا وصرخ صرخة عظيمة هزتالوادى الصخرى السحيق ، ورددتهــا جنباته الخالية الا من الوحوش والأفاعي والهوام ، وسمعها ركاب السيارة ، فهرعوا لنجدته .

كانت تحت تلك الصخرة الضخمة التي أراد السائق المجرم رفعها ليقذف بها رأس المرأة الجريح ، حية سامة لدغته حين كان يهم بحمل الصخرة العاتية ، فسقط الى جانب المرأة يستغيث ويتألم ..... !

وحمل المسافرون السائق ، وحملوا المرأة ، وانتظروا حتى قدمت سيارة أخــرى ، فاستوقفوها وطلبوا من سائقها حمل المرأة والسائق الى المستشفى التي كانت فى المدينة التي يستقر فيها ولد المرأة الجريح .

وفى الطريق فارق الحياة ذلك السائق المجرم متأثرا بالسم الزعاف .

وفى المستشفى ، قدم الشرطة والمحققون العدليون ، فعرفوا القصة كاملة ، وانتزعوا مال المرأة من طيات جيوب السائق اللعين .وطلبت المرأة حضور ولدها ، فحضر فى الهزيع الأخير من الليل ... وراحت المرأة فى غيبوبة عميقة ، فظن الأطباء والمرضون أنها تعاني سكرات الموت .. وعمل الطبيب على نقل الدم اليها .

وفى ضحى اليوم التالي فتحت عينيها لتقول لولدها « ادفع البدل النقدى سريعا » ثم أغمضت عينيها وراحت فى سبات عميق . ودفع الولد بدله النقدى ، وسرح من الجيش .. وتحسنت صحة أمه يوما بعد يوم ، حتى تماثلت للشفاء ، حيث غادرت المستشفى الى أهلهــا ..

وذهبت قصة نجاتها ، وقصة موت السائق ، وقصة الحية المنقذة ، شرقا وغربا ، وأصبح حديثها حديث الناس جميعا .. ولقد كان الوادى الذى ارتكب السائق فيه جريمته ، والذى قذف بين صخوره المرأة الجريح ، من الوديان الموحشة الخالية من الماء والكلأ ، فلا يسلكه الناس ولا يطرقونه ، حتى الرعاة لا يجدون فيه ما يفيد ماشيتهم فأصبح موطنا آمنا للذئاب والأفاعي .

وما كانت المرأة الجريح لتسلم من الموت الأكيد ، لو لم يعد اليها الجاني مدفوعا بغريزة حب الاستطلاع .

وما كان المسافرون مع الجاني ليعرفوا موضع المرأة ، لو لم يصرخ الجاني صرخة مدوية بدون شعور ولا تفكير متألما من لدغة الأفعى السامة .

وما كان ولدها ليدفع البدل النقدى لو قدمت أول سيارة من المدينة التي كان فيها ، لأنها ستنقل أمه ، ولضاع عليه الوقت المحدود لدفع البدل النقدى . لقد كان ذلك كله من تدبير العلي القدير ....

― ٤ ―

قال الحاكم الذى هو جار لتلك العائلة « سمعت قصة جارتنا كما سمعها الناس ، فاشتركت مع الجيران الآخرين لجمع ثمن دارها ، حتى تستعيدها من صاحبها الجديد .

وسمع صاحب الدار الجديد هو الآخر بقصتها ، فأعاد اليها سند الدار وملكيتها ... وبقي المبلغ الذى جمعه لها الجيران مع ثلاثمائة دينار من أصل ثمن الدار ، فجددت بذلك المبلغ بناء الدار . وأقبل الناس على حانوت ولدها ، يشترون سلعته ويتسابقون على معاونته .. وفى خلال سنة واحدة تضخم عمله ، وأقبلت عليه الدنيا ، فانتقل الى حانوت كبير في شارع عام فى موقع محترم ...

ومرت السنون ، وفى كل عام كان فى الدار بناء جديد ..

وتخرج الأولاد من مدارسهم واحدا بعد الآخر ، فأصبح أحدهم مهندسا والآخر طبيبا والثالث ضابطا فى الجيش ... ولم يعد طعامهم اليومى من الشاى والخبز أو من الخبز والخضرة بل كان لهم لحم فى كل يوم مع الوان شهية اخرى من الطعام وفتح الله عليهم باب بركاته ، وأغدق عليهم رعايته ، وجعلهم مثالا للخلق الكريم بين الناس متعاونين في السراء والضراء .

وعلى ضفاف دجلة ، قرب الجسر الكبير فى بغداد ، دار عامرة بالخير والوفاق والسعادة . هى الدار الجديدة التي انتقلت اليها العائلة الصابرة المحتسبة عام (١٣٨٥) ، وقد تضاعف عدد العائلة فأصبحت أربع عائلات ، فقد تزوج الأولاد الكبار الثلاثة وأخصبوا ، ولكن رباط العائلة ما زال قويا ، وأم الأولاد لا تزال سيدة البيت بدون استثارة أو ازعاج .

لقد سمعت قصة هذه العائلة من صديقي الحاكم الكبير ، فأردت أن أسمعها من أحد أفرادها .

وسألت الابن الكبير الذى كان خضريا فقيرا فأصبح تاجرا كبيرا ، أن يحدثني حديث أمه فقال « ولماذا لا تسمع حديثها منها ؟ » .

وكنت ذات مساء فى دارهم العامرة على ضفاف دجلة أسرح النظر فى انعكاس نور القمر على الماء الرائق المتدفق ، وأنا أصغي الى أغاني ملاحي السفن الشراعية والسفن التجارية وترديد ركابها ، منتظرا انقضاء صلاة الوالدة . وجاءت الأم وقد أحاطت شعرها الأبيض بغلالة بيضاء ، وفى وجهها نور ، وعلى قسماته ابتسامة ، وعلى لسانها ذكر الله ...



وروت لي قصتها كاملة ، فقلت لها « وماذا كان شعورك حين تركك الجاني وحيدة تشخب جروحك دما فى بطن الوادى السحيق » .

فقالت والايمان الصادق يشع من كلماتها « كنت أخاطب الله عز وجل بقولي يا جبار السموات والأرض أنت أعلم بحالي ... فهيىء لي بقدرتك القادرة أسباب دفع البدل النقدى عن ولدى ، ليعود الى أهله ويعيلهم .. يا رب .. » .

واستجاب الله دعاءها وأعاد اليها مالها وولدها ، وانتقم لها من خصمها ، وبدل حال العائلة كلها الى أحسن حال .

تلك قصة من الواقع ... ولكن حوادثها أغرب من الخيـال ... وسيقول بعض الناس أن ما حدث صدفة ... وليقل هؤلاء ما يقولون ... ولكنني لا أشك أن ما حدث من تدبير العلي القدير ... فليس من المعقول أن يحدث كل ذلك صدفة ... ولو أراد انسان أن يوقت حوادث هـذه القصة مثل هذا التوقيت الدقيق ، لعجز .

أن الناس يغفلون وينامون ، والله وحده لا يغفل ولا ينام . وما من دابة الا على الله رزقها .. والله لا ينسى رزق النملة فى الصخرة القاسية وسط عباب المحيط ، فكيف ينسى أرزاق الأرامل واليتامى ؟ ! والناس يخشون الناس ، والله أحق أن يخشوه ... والله يمهل ... ولـكن لا يهمل ...

ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ..



الولى فى عقد الزواج

السؤال : ـ

لي بنت عم شقيق تجاوزت سن الرشد وأرغب فى الزواج منها ، وهى راغبة ، ولكن والدها يعارض فى هذا الزواج ، وجميع اشقائها الرجال البالغين يوافقون على اتمام الزواج . فهل يجوز لأحد اخوتها أن يعقد لي عليها مع وجود أبيها)

الاجابة : ـ

الولي فى النكاح هو الذى يتوقف عليه صحة النكاح فلا يصح بدونه ــ وهو الاب او وصيه ثم السلطان .

وقد ذهب جمهور الفقهاء الى أنه لا يصح النكاح الا بولي قال صلى الله عليه وسلم (ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل) (لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها) .

وقد ذهب السادة الحنفية الى ان المراة البالغة العاقلة الرشيدة بكرا كانت أم ثيبا ــ ليس لأحد عليها ولاية فى النكاح . بل لها أن تباشر عقد زواجها ممن تحب بشرط ان تضع نفسها من كفء . فاذا وضعت نفسها فى غير كفء فللولي حق الاعتراض . لأن المرأة ما دامت عاقلة حسنة التصرف غير محجور عليها كان من حقها أن تتصرف فى شؤونها وبيعها وشرائها . فكذلك لها أن تزوج نفسها بمن تراه صالحا لها ولائقا بها .

ترتيب الاولياء : ـ

١ ــ المالكية : ــ الولاية عندهم للاب ثم من يليه فى الدرجة على أرجح الاقوال .

٢ : ــ الشافعية الولاية عندهم للاب ثم الجد ثم الاخ الشقيق وهكذا ــ فاذا عدم هؤلاء فالولاية للحاكم .

٣ ــ الحنفية : ــ الابن وابنه ثم الأب ثم الجد ثم الاخ الشقيق (أى تراعى العصوبة) ثم الحاكم .

وقد أخذ القانون بترتيب الولاية من ناحية العصوبة .

((اذا زوج الابعد مع وجود الأقرب))

المالكية : ـ

ذهبوا الى أنه يجوز أن يباشر العقد الولي الابعد مع وجود الاقرب فمثلا اذا وجد أخ مع عم . وقد باشر العم فالعقد صحيح (الا مع الولي المجبر وهو الاب . فانه لا يجوز أن يباشر العقد غيره مع وجوده) .

الشافعية :ـ

الترتيب فى الولاية شرط . ولا تنتقل الولاية من الاقرب الى الابعد الا اذا كان صغيرا أو مجنونا أو فاسقا أو مختلا أوعاضلا فتنتقل الولاية للسلطان أو نائبه.

الحنفية :ـ

قالوا : الترتيب بين الاولياء ضرورى ،واذا عقد الابعد مع وجود الاقرب فصحة العقد موقوفة على اجازة الاقرب فاذا أجازه نفذ والا فلا .

وتنتقل الولاية من الولي الاقرب الى الابعد كالأب مع الاخ ـ اذا منعها الاب من التزوج بالكفء) .

الحنابلة : ـ

قالوا : الترتيب بين الاولياء لازم وضرورى لا بد منه ـ ولكن يسقط حقه فى امور منها .

أن يمنع من له عليها الولاية من الزوج الذى رضيت به وبما قدره لها من مهر يصلح للامهار .

ويعلم مما ذكرنا من أدلة الفقهاء أنه لا يجوز للولي الابعد أن يتولى العقد مع وجود الولي الاقرب الا اذا كان الولي الاقرب عاضلا .. بمعنى أن يمنع تزويج فتاته بالزوج المناسب لها فانه يجوز حينئذ للولى الابعد أن يزوج الفتاة مع وجود الولي الاقرب لانه عاضل والعضل منهي عنه فى كتاب الله تعالى ـ فضلا عن أن لها الحق فى اتمام عقد الزواج بنفسها أو بوكيلها اذا كانت راغبة فيه ما دامت رشيدة وذلك على مذهب ابي حنيفة .

الزكوات المتأخرة

السؤال : ـ

رجل كان يملك فى سنة ١٩٥٤ عشرة آلاف روبية ، والآن فى سنة ١٩٦٥ يملك (٢٠٠٠٠٠) ألف روبية ولم يزكها طيلة هذه المدة ولا قبلها أى قبل سنة ١٩٥٤ ، مع العلم أنه لا يملك دارا للسكنى ومريض بمرض يمنعه من العمل ، فهل تجب عليه زكاة المال عن جميع السنوات الماضية وما مقدارها ؟

الاجابة : ـ

نفيد بأنه يجب اخراج زكاة هذه المال من يوم أن بلغ النصاب، ونصاب المال حوالي (٤٥) دينارا كويتيا بواقع (٥و٢٪) وذلك على أساس قيمة العشرين مثقالا ذهبا الذى هو نصاب الزكاة .

مع ملاحظة أن المبلغ الواجب اخراجه قد استقر فى ذمة المالك وأصبح دينا يجب عليه سداده للمستحقين .

ويمكنه أن يراجع حساباته ، وأن يتذكر المستحق اخراجه فى كل عام مضى . واذا لم يستطع اخراج الزكاة الماضية مرة واحدة فيمكنه اخراج ما استقر فى ذمته على دفعات كلما استطاع . ولا دخل لعدم تملكه دارا للسكنى ولا لحالة العجز والمرض فى عدم اخراج الزكاة .



اخى القارىء

هذا الباب لك .. ربما تكون عندك فكرة طيبة . ربما تنفعل نفسك بموضوع تود أن ينتقل منك الى غيرك . ويشاركك فيه أكبر عدد من اخوانك . ربما تكتب الينا رسالة قصيرة تحمل دعوة كريمة . ومع ذلك قد لا تتسع صفحات المجلة لها أو تطغي عليها البحوث والمقالات الطويلة .. ولاجل هذا فتحنا هذا الباب لنتلاقى فيه معنا ومع قراء المجلة .. المهم أن تكون الافكار والكلمات أصيلة .

أضواء على الاقتصاد الاسلامي

تحت هذا العنوان أرسل الاستاذ (أبو مصطفى) مقالا جاء فيه :

تنبثق أنظمة الشريعة الاسلامية على اختلاف فروعها من وحي الفطرة الاصيلة فى الانسان،بمعنى أن دوافع الفطرة ومقتضياتها هي التى تضع الخطوط العريضة لها .(حيث أن الاسلام ينظر الى الفطرة الكاملة فى النفس كما لو كانت مصباحا فى غرفة مظلمة فان اطفاته انقلب المكان كله الى ظلمة موحشة) .

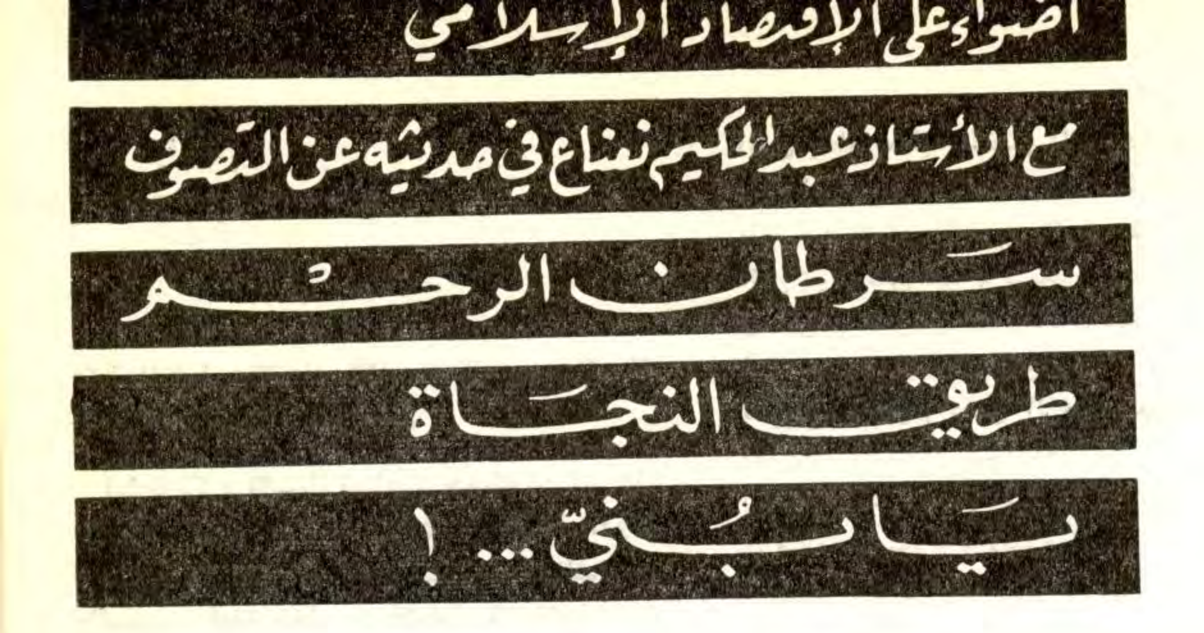
والاساس الاول للاقتصاد الاسلامى يوضح لنا مدى تقديس الاسلام للفطرة البشرية والعمل على تحقيقها ، مع العمل فى الوقت نفسه على ترقية هذه الفطرة وتنشئتها تنشئة سوية متلائمة مع المجتمع المثالي،وذلك حين حرص على ((تقديس حق الملكية الفردية مع ضمان العدالة الاجتماعية)) . وهذا أساس يتكون من فقرتين : أما الاولى فتمثل نوازع الفطـرة الطبيعية البشرية العامة ، وأما أخراهما فتمثل جانب العمل التربوى لهذه الفطرة.

أولاهما ـ دافـع التملك فى النفس الانسانية ويعتبر من أهم الدوافع الاصيلة ، ولا يكاد يوجد بين علماء النفس فى هذا أى خلاف ، وأكبر دليل على ذلك هو أن المولود الصغير لا يكاد يمضى أشهرا من عمره حتى تنفتح لديه طبيعة حب الاشـياء والاستيلاء عليها ، فاذا أصبح طفلا يمشى وجدته يملأ جيوبه بهنات وتوافه مختلفة يفاخر بهـا أقرانه ، حتى اذا شب عن الطوق وبدأ عقله ينضج تحولت رغبته عن تلك الهنات الى الدراهم والنقود.

ثانيهما ـ ضمان العدالة الاجتماعية .

فان ملكية المال يجب أن تتناسب وسير العدالة الاجتماعية بين مجموع الشعب ، فلا يمكن أن يفنى المجموع لحساب أفراد تمتلىء كروشهم ، ولا يمكن أن يفنى الفرد لحساب المجموع بدعوى الصالح العام وكيف يكون الصالح العام مبررا وهو وأمثاله لا يجد من مقومات الحياة وأسباب سعادتها شيئا ؟ لذلك أخذ الاسلام عـلى عاتقه تهذيب الملكيـة وتسييرها فى المجتمع بشكل يرضى نزعته الفطرية وصالح المجتمع وحقوقه ، دون أن يكون هنـاك ظلم واجحاف. فوضع ملكية للفرد وملكية للمجتمع وملكية للدولة . وكل من هذه الملكيات الثلاث تتناسب مع بعضهـا البعض ، وتختص بمختلف شؤون الحياة الاقتصادية لتحقق للفرد حيـاة سعيدة تتخللها البهجة والسرور ، وتتوفر فيهـا أسباب السعادة للمجتمع ، فهل يدرك ـ بعد ذلك المسلمون قيمة نظامهم الاسلامى الرائع ويلتزمون بتعاليمه ؟

■ ■ ■



وجاء فى رسالة للاستاذ محمد داعى الحق بالعراق تعليقا على مقال « التصوف بين الاستقامة والانحراف »

للاستاذ عبد الحكيم نعناع

دعانى الى كتابة هذا الموضوع ما قرأته فى مجلتنا الغراء « الوعى الاسلامى » فى صفحة (٥٨) العدد الرابع للاستاذ عبد الحكيم نعناع تحت عنوان « التصوف بين الاستقامة والانحراف » وخلاصة ما جاء فيه أن التصوف ليس مذهبا مستحدثا فى العهد العباسى وانما هو الاسلام الصحيح فى قلبه وقالبه وأمام الصوفية فى ذلك هو رسول الاسلام محمد (ص) وصحابته الاوائل . أما لماذا أنكر الناس على الصوفيين فانه يعود لانحراف المجتمع الاسلامي ، عن الاسلام ولهذا عد التصوف مذهبا غريبا عنه . هذا مجمل ما كتبه الاستاذ نعناع .

وتعال معى قارئى العزيز نبحث معا الفرق الشاسع بين التصوف والزهد على أضواء السيرة المحمدية الشريفة .

يذكر المؤرخون ان كلمة التصوف جاءت نتيجة لارتداء جماعة المتصوفين للصوف ، وهذا أرجح تفسير أخذ به الباحثون لكثرة ما ورد فى تفسير الكلمة من معان أخرجها البعض عن العربية .ولكن كلمة التصوف عربية ومذهب التصوف اسلامى صرف فى بداية نشأته ، نشأ كرد فعل للاوضاع الشاذةفى العصر العباسىحيث ظهر المغنون والشعراء الماجنون على المسرح ، وتمادى الخلفاء فى اللهو فأعلن هؤلاء سخطهم على هذه الاوضاع الشاذة عن الاسلام وعدم رضاهم ، وهذا جعلهم ينعزلون عن المجتمع كليا تحت سقوف المساجد ولكن هذا العمل لم يقف عند هذا الحد وانما تعدى أكثر من ذلك حيث ادعى المتصوفون أنهم سيمرون بمراحل آخرها مرحلة الذوبان فى ذات الله تعالى ، ومن هنا انفردوا بفلسفة خاصة وأدب خاص وتقاليد خاصة ، فالتصوف كان فى البداية زهدا محضا كالزهد الذى اتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته حيث كان الرسول « ص » يشد الحجر على بطنه ، وكانت النار لا توقد فى بيته للطهى ليالى عدة . ولكن زهدهم هذا لم يمنعهم كما منع المتصوفين عن تبليغ الدعوة الى الاصقاع البعيدة،ولم يحل بينهم وبين تطبيق العدالة واقامة الحدود والغزو لاعدائهم .

فكم هنا ـ قارئى العزيز ـ من فرق شاسع بين الزهد الذىكان عليه رسول الله (ص) وصحابته والتصوف الذى ظهر فى العهد العباسى الذى يقوم على العزلة والزهد والادمان فى الذكر . فالتصوف كان فى نشأته اسلاميا صرفا كما ذكرنا فى سياق حديثنا الا أنه فيما بعد تحول الى فلسفة ومفاهيم خاصة تفلسف الحياة وتجعل المتصوفين منفردين عن المسلمين فى آرائهم مثل

فكرة الحلول والاتحاد بالله سبحانه وهى المرحلة الاخيرة من سلوك الصوفية .

أما ما ذكره الاستاذ نعناع فى حديثه من أن أهل التصوف كانت لهم اليد الطولى فى حماية الدولة الاسلامية وفى نشر الاسلام فى أندونيسيا والفيليبين والصين ـ فهذا خلط بين الاخلاق الاسلامية التى تمتع بها المسلمون الذين نشروا الاسلام هنا وهناك بوحى من عقيدتهم وبين المتصوفين .

ويظهر أن الاستاذ نعناع قد سمى كل انسان التزم بالخلق الاسلامي النبيل ، وتمسك بمفهوم الحلال والحرام الاسلامى صوفيا بحتا ، وهذا خطأ لا يدعمه سند واقعى .

ان الامة المسلمة ليست بحاجة الى التعرف على التصوف بقدر حاجتها الى معرفة الاسـلام من ينابيعه الصافية ، علما بأن الاسلام فى واد والتصوف فى واد آخر ، وهو مع الاسلام على طرفى نقيض بعد ظهور نظرياته المعراة عن الصـواب فى الحلول فى الذات الالهية وغيرها .

■ ■ ■

سرطان الرحم (Uteral Cancer)

يفاجأ العلم الحديث اليوم بظاهرة غريبة مدهشة احتارت فيها عقول القرن العشرين فى المجالات الطبية العالمية . فقد أثبتت الاحصاءات الدولية أن حوادث الاصابات السرطانية الرحمية بدأت تزداد نسبتها عند النساء اللواتى يتزوجن من رجال لم تجر عليهم عملية الختان . أما المرأة المسلمة التى يتزوجها دائما رجل مسلم كما أمر الاسلام حيث قد أجريت عليه عملية الختان فى حياة طفولته (عملية الطهور)(Circumcision) فان اصابات السرطان لم تظهر على عضو رحمها الا بمعدل احتمال نسبى ضئيل جدا . وقـد اكتشف الطب الحديث اليوم مادة ضارة تفرزها جلدة القلفة من غددها المحيطية تدعى بمـادة (Smegma) حيث أن هذا الغطاء الجلدى الذى يقطع بعملية الختان الجراحية ويكون بعدها رأس القضيب عاريا مكشوفاعند الرجال المسلمين، يقوم عند الاناس الآخرين بافراز هذه المادة الضارة التى تلوث عنق الرحم بشدة (Uteral Collun) فى الرحم المعرض للصدمات الجنسية والاحتكاك اثناء عملية الاتصال الجنسي ، مما يؤدى الى تخريش وتهييج عضو الرحم المعرض لاحـداث اصابات السرطان الرهيبة التى تنبثـق مـن (النوية السرطانية) الناشئة بين الخلايا الرحمية فى منطقة العنق . والاسلام العظيم عندما أمـر بعملية الختان فانه بذلك كان قد أنقذ آلاف الاناث البريئات من اصابات مرض السرطانالقاتلة فى عضو الرحم (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .

(د . ابراهيم الراوى)

■ ■ ■

طريـــق النجـــاة

خدعونا باسم المدنية الجديدة خـدعونا مـن حيث لا ندرى ولا نعلم ، وسرنا فى نفس الطريـق الذى رسـموه لنا بعد أن زينـوا لنا عبـوره ، فأخذنا عن الغربيين عاداتهم وأخلاقهم ، .. لقد تجاهلنا الحقيقة فصارت أسطورة نعتز بها كمـا يحلو لنا .. تجاهلنا أنفسنا . وكان الأجدر بنا أن نسير على خطا أجدادنا ـ ونسير على طريقتهم المستقيمة فى الحياة ، تجاهلنا كل هذا ونحـن فى غمرة النشوة اللعينة ، واللذة الباطلة ، وانقلبت مفاهيمنا للأشياء ، صار الحـق فى نظرنا باطـلا والباطل حقا . كما شـوهت الفلسفات الغربية والمذاهب المادية المستوردة عقول شبابنا . شبابنا الذين عقدت الأمة عليهم الآمال ، وادخرتهم لتحمل الأعباء والمسؤوليات .

واني لأتساءل الى متى سنظل هكذا نسير فى هذا الدرب أما آن لنا أن نصحوا أما آن لنا أن نأخذ ما ينفعنا ويفيدنا ونترك ما يضرنا ويؤذينا ان المسؤولين والمفكرين مدعوون للعمل الجاد من أجل بحث هذه المشكلات بحثا وافيا عميقا وتقديم الحلول النافعة المفيدة للقضاء على جذور الفساد

والرذيلة والالحاد .. كما أن كل فرد منا مدعو لأن يساهم فى صيانة نفسه والحفاظ على دينه ، بالتسلح بالايمان ، والتخلق بالأخلاق الفاضلة ، والابتعاد عن دروب الشر والرذيلة .

وعلينا أيضا أن ندحض كل فكرة دخيلة غريبة على عاداتنا وتقاليدنا بالحجج والبراهين القوية حتى يظهر الحق واضحا جليا ، وان نخطط تخطيطا كاملا من أجل بناء قوتنا .

والله مع العاملين المخلصين .

زياد عودة عبد القادر
الزرقاء ـ الأردن

المؤذن المظلوم

سرق حذاء أحد المصلين فى المسجد ، فأمسك بخناق المؤذن وطالبه بالحذاء ، فقال له المؤذن وما ذنبى ؟ فقال له أنت الذى أذنت فدعوت الناس فجاء السارق وسرق الحذاء .

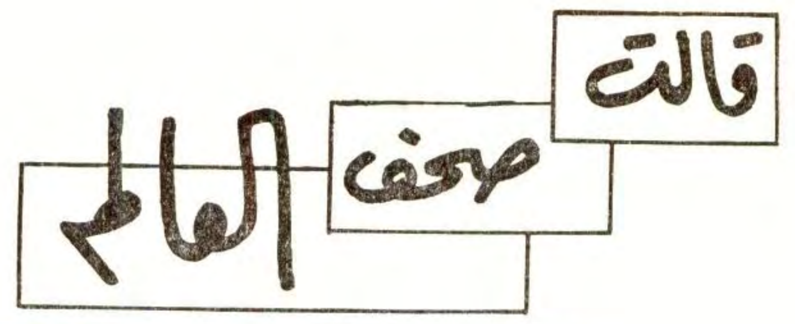
من أحق بالرحمة ؟!!

« قال رجل لعمرو بن عبيد انى لارحمك مما يقول الناس فيك ! ! قال افتسمعنى أقول فيهم شيئا ؟ قال لا . قال فاياهم فارحم » .

يا بني

قم صباحا يا بنيا ... واترك النوم الشهيا
واعبد الله وشاهد ... منظر الكون البهيا
ربنا الحق ولو لا ... ذلكم ما كنت شيا
ان من يزعم ربا ... غيره يهوى هويا
غيره خلق سيفنى ... لم يكن عنه غنيا
من برب العرش يشرك ... صار بالنار حريا
رتل القرآن ترتيـ ... ـلا غدوا وعشيا
فهو معراج المعالي ... أهله نالوا الرقيا
ان دين الله يأبى ... دون أن نرقى الثريا
انه دين متين ... أهله ليسوا مطيا
بل همو أهل المعالي ... وحدوا الله العليا

عبد المنعم محمد حلمي عبد الرحمن
الخطاط بمراقبة التخطيط والمتابعة بمحافظة القاهرة بميدان التحرير



شهيد كربلاء

المجمع الفقهي الإسلامي

الغزو الفكري

السودان بين الصليبية والصهيونية

الصحافة والحرية

شهيد كربلاء

قالت مجلة لواء الاسلام القاهرية :

نحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة نابعة من ايماننا بالله وشكرنا لنعمته ، ونحب أهل البيت من وفائنا للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديرنا لرسالته ، وكل امرىء فى عنقه دين لصاحب الرسالة اذ أنه بجهاده وبلائه كان السبب فى استنارة قلبه بالايمان وبقائه على الصراط المستقيم . واذا كانت الدول الآن تعطي لورثة الموظف (من زوج وأولاد) نوعا من التكريم المادى والأدبي لأنه خدمها حينا من الدهر قل أو كثر ، فأظن أنأسرة النبي صلى الله عليه وسلم من حقها على الأمة الاسلامية لا معاشا ماديا يكفل لها حياة نقية كريمة، بلتكريما أدبيا يحفها بالتكريم والاجلال الذىتستحقه.

هذه مقدمة لا بد منها عندما نتحدث عن الامام الحسين رضي الله عنه .

هل كان الحسين عندما خرج على يزيد طالب رياسة ، يشتهي امارة المؤمنين ، يحب ما يحيط بالرياسات والمناصب العالية من جاه وشرف وجباياتللأموال وانحناءات للهامات وغير ذلك ؟ لا أظن . اني أوقن بأنه عند التأمل فى حياة الحسين (نحو خمسين سنة أو أكثر مضت عليه قبل أن يشتبك فى هذه المعركة التي استشهد فيها) كان

مأثورا عنه أنه رجل متعبد طيب القلب نقي الضمير ، بعيد عن المنازعة فى الدنيا وما يتصل بهذه الشؤون : وأبعد وأبعد فى نفي هذه الظنة ، أن رجلا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيد شباب أهل الجنة ، كما وصفه بأنه منه ، لا يمكن بأن يوصف بأنه خرج يطلب لنفسه ملكا أو يبتغي دنيا أو يسعى لمنصب من هذه المناصب التي تتحلب لها أفواه ناس كثير .

لقد طهر الله أهل البيت من هذه الآفات النفسية فوجدنا أن الحسين ، وأن أخاه من قبل ، وأن أباهم جميعا ، كانوا أبعد الناس عن طلب المنصب لأنه شهوة .

بل كانوا يرون أن امارة المؤمنين عبء ، وأن الرياسة مغرم ، وأن السعي الى قيادة الأمة تكليف تنحني له الأصلاب من الاعياء والتعب ، وأن أعصاب أهل الايمان تتعب دائما من تحمل آلام المؤمنين والعناية بشؤونهم . فمن ظن أن الرياسة شرف لبعض الناس : فهي بالنسبة لأهل الايمان تكليف مر ، وعنت للأعصاب وأهل الايمان احصف من أن يتعرضوا لطلب الامارة أو يسارعوا الى هذا . فاذا كلفوا بالامارة كانت عبئا على كواهلهم ، وهم أكبر من أن يعتبروا الامارة غاية يسعون اليها ويشتهون أن يكونوا فى منصبها .

المجمع الفقهي الاسلامي

ونشرت مجلة الايمان المغربية تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

اذا أردنا أن نعيد للشريعة وفقهها روحها وحيويتها بالاجتهاد الواجب استمراره شرعا والذى هو السبيل الوحيد لمواجهة المشكلات الزمنية الكثيرة بحلول شرعية حكيمة عميقة البحث متينة الدليل بعيدة عن الشبهات والريب والمطاعن ، وتهزم الآراء والعقول الجامدة والجاحدة على السواء فالوسيلة الوحيدة الى ذلك هي أن نؤسس أسلوبا جديدا للاجتهاد هو اجتهاد الجماعة بدلا من الاجتهاد الفردى . وبذلك نرجع الاجتهاد الى سيرته الأولى فى عصر (أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) .

وطريقة ذلك أن يؤسس مجمع للفقه الاسلامي على طريقة المجامع العلمية واللغوية (الاكاديميات) ويضم هذا المجمع من كل بلد اسلامي أشهر فقهائه الراسخين ممن جمعوا بين العلم الشرعي والاستنارة الزمنية وصلاح السيرة والتقوى ، ويضم الى هؤلاء علماء مسلمون موثوقون فى دينهم من مختلف الاختصاصات الزمنية اللازمة فى شؤون الاقتصاد والاجتماع والقانون والطب ونحو ذلك ، ليكونوا بمثابة خبراء يعتمد الفقهاء رأيهم فى الاختصاصات الفنية ، ويتفرغ جميع أعضاء هذا المجمع الفقهي لهذا العمل . ويزودون بمكتبة حافلة ، وتجرى عليهم رواتب كافية . وينصرفون للدراسة الاجتهادية وتقرير حكم الاسلام فى كل ما تدعو الحاجة الى بحثه من موضوعات ومشكلات زمنية كما يقومون باصدار مجلة لبحوثهم وبانشاء موسوعة للفقه الاسلامي مرتبة على حروف المعجم على نسق الموسوعات القانونية الأجنبية . كما يقومون بفهرسة أمهات الكتب الفقهية التي يستدعيها العصر الحاضر بجانب الاجتهاد .

وهذا المشروع يحتاج الى موازنة كافية لا يستطاع تأمينها الا بأحد طريقين :

اما جباية شعبية من الشعوب الاسلامية كافة (وهذا مستحيل الآن للتفكك الملحوظ وقلة الوعي فى جماهير المسلمين وقلة الحرص على الاسلام فى طبقاتهم المثقفة .

وأما بأن تتبنى هذا المشروع دولة فأكثر من الدول الاسلامية ، وترصد له المال اللازم فى موازنتها المالية اما مباشرة واما بواسطة منظمة اسلامية .

الغزو الفكري

ونشرت مجلة حضارة الاسلام ـ دمشق ـ مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

يبدو أن الدواء الناجع في مثل أزمتنا أن تكون لنا فلسفة شاملة تمس كل ما هو جوهري في الحياة العربية ، وتقرر المبادىء والمثل الكاملة التي ترفع مجتمعنا الى ذروة الكمال . ومن دون هذه الفلسفة لا نستطيع أن نجابه عدوا غزا حياتنا على الجهات كلها .

والحق ان افتقارنا الى نظرية فلسفية كاملة للحياة العربية بأبعادها كلها يجعلنا مضيعين لا ندري أين نتجه ، ولا ماذا نأخذ أو ندع . فلقد دخل حياتنا مـن العلوم والفنون والفلسفات ما قلب تفكيرنا وأحدث في جونا الفكري بلبلة خطيرة وانشقاقا في وجهات النظر . ولذلك نرى المثقفين في العالم العربي منشعبين في الموضوعات كلها : كل يدين بمذهب . وقد يقال ان هذا من الحيوية فنقول انه ليس كذلك ، فانما يكون الخلاف من علامات الحيوية حين يكون المخالفون قلة في مقابل اجماع أغلبية على شيء ما

أما عندما يزول الاجماع ولا يبقى الا الخلاف فان ذلك ناقوس الخطر يدل على قيام تخلخل ذاهب في الأساس الفكري للامة .

أما بنود هذه الفلسفة التي نطلبها فينبغي أن تدعو الى وضعها الحكومات العربية ، على أن تجمع لها أهل العلم والفضل والنظر والعربية ، فيتفقوا على ما ينفع ويضر ، ويحددوا الطريق . فاذا اجتمعوا على شيء أخذت الحكومات على نفسها تطبيق هذه الفلسفة تطبيقا كاملا بالوسائل التالية : ـ

١ : ـ تعديل مناهج التعليم في المدارس العربية تعديـلا يتناول الجذور والأسس مـع الالحاح على موضوع اللغة العربية ، واضافة موضوع الأخلاق الى السنوات كلها .

٢ : ـ انشاء مؤسسة عربية كبيرة تشرف على الترجمة وتنسق جهود المترجمين العرب في ديارهم كلها . وسيكون من واجب هذه المؤسسة أن تدرس ما يحتاج المواطن العربي الى ترجمته دونما نظر الى عالمية الأسماء ، فقد يكون الأديب عالميا وتكون فلسفته مناقضة لأهدافنا فتسيء الينا بدلا من أن تخدمنا .

٣ : ـ انشاء قانون جديد للطباعة والنشر يجعل الصحافة والانتاج في خدمة الأمة العربية لا في مصلحة المؤسسات الأجنبية وتجار الافكار والقيم . وهذا كفيل بأن يطهر الاســواق مـن كتب الجنس والابتذال والسطحية .

٤ : ـ تحديد مجال الاذاعات وخاصة المرئية منها ، ووضع فلسفة عامة لمناهجها تراعى فيها مصلحة المواطن وسترفع هذه الفلسفة عن اقرار افلام العصابات والسفاكين وروايات التفسخ الخلقي ، لأن مشاهدة الصبيان والبنات لمثل هذه الأشرطة كل مساء حرى بأن يهدم كل ما تبنيه المدرسة والتربيـة المنزلية من مثل اخلاقية .

السودان بين الصليبية والصهيونية

وقالت مجلة المنهل بمكة تحت هذا العنوان :

السودان بلد عربي اسلامي في أغلبيته وعموم أسباب حضارته وثقافته وهو يشكل رأس الرمح الاسلامي العربي في افريقيا ويشكل طلائع الغزو السلمي الانساني في مجاهل افريقيا ولذلك فانه يلقى عداء الصليبيين وأصحاب النعرات العنصرية كالقومية الافريقية والقومية الزنجية الى آخره .

ويلقى عداوة اسرائيل التي تريد أن تتخذ من البلاد الافريقية الناشئة أسواقا لتجارتها وميادين لدعايتها المسمومة ضد العرب والمسلمين وبذلك يتكون تحالف عدائي خطير بين الصليبيين واسرائيل ضد السودان والسودانيين مما جعلهم يثيرون العناصر السودانية من جنوب السودان ويجعلونهم يهددون وحدة

البلاد ليخلقوا دولة جديدة فى جزء من السودان تشكل سدا منيعا فى وجه الزحف الحضارى الاسلامي العربي الى أعماق افريقيا .

ولكن هذا الحلف الصليبي ـ الاسرائيلي لن ينجح ولن يفلح لأن السودانيين يقفون صفا واحدا عن ايمان وعقيدة يدفعون الأذى عن بلادهم وعن دينهم الاسلامي العظيم ناشرين الثقافة الاسلامية وينمون المصالح المشتركة ويتعهدون بالزحف الاسلامي المقدس من أمن وسلام الى أعماق القارة السوداء ليجعلوا منها قارة بيضاء مضيئة فى خط نور الاسلام الذى لا يفرق بين الناس الا بقدر تقواهم وما يحسنون من عمل ، وعلى الدول والشعوب الاسلامية عامة والدول والشعوب العربية بصفة خاصة أن تنصر الشعب السوداني العربي المسلم وتناصره فى كفاحه الجديد من أجل الاسلام وفى سياسته الاسلامية الزاحفة الى تلك البقاع الافريقية المختلفة بالتبشير والمجادلة بالتي هي أحسن ، وبالدعاية المنظمة والقدوة الحسنة .

الصحافة .. والحرية ..

نشرت صحيفة السياسة الكويتية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

الصحافة عندما تفرغ الى رسالتها خالصة مخلصة ، تكون من أقوى القوى الفاعلية البانية ، فى المجتمعات الانسانية .

وهي ، لكي تستطيع أن تتفرغ لرسالتها ، لا بد لها من توافر السدنة الحقيقيين الذين يملكون الفطرة والسلوكية والكفاءة الضرورية القادرة على أداء تلك الرسالة الانسانية العظيمة . كما لا بد من توفر القدر الكافي من الحرية الوارفة لتستطيع القلوب والعقول أن تنبض وتتحرك بحرية وحيوية ، من أجل تحقيق الخير والتفوق للمجتمع . وبدون توفر هاتين الدعامتين للصحافة : لا يمكن أن تكون قادرة على الاضطلاع بدورها البنائي ، كاملا غير ابتر ولا منقوص .

ويذهب المفكرون الى القول ان القلوب المخلصة والعقول الواعية لا تستطيع أن تترجم وعيها واخلاصها ، فى مجال العمل الصحفي بالذات ، الى واقع مشرف ملموس ، بلا حرية كافية . وكذلك الحرية المطلقة عندما تمنح لمن لا يملك الكفاءةالفكرية والنفسية لتقييم الحرية وتقديرها حق قدرها ، فهي لا تجدى نفعاً . بل انها فى الأغلب الأعم ، تؤتي ردة فعل عكسية تضر بالمصلحة العامة ، أبشع الضرر .

ولقد كان من رأينا دائما أن يتعهد مجتمعنا ، بواجهته الرسمية ونواته الشعبية : حركة الصحافة النامية فى هذا البلد ، وأن يسبغ عليها من عنايته وتوجيهه وتشجيعه ما يمنحها مزيدا من القوة والقدرة على النماء والصمود لحمل الرسالة الاعلامية والتوجيهية ، فى هذه المرحلة المخاضية المزهرة بالأمل ، من حياة دولتنا الطالعة فى طريق النهضة والعز والتفوق . بل اننا نرى أن مسؤولية المواطنين فى تشجيع الصحافة ورعايتها لا تقل بحال من الاحوال عن مسؤولية الدولة . ولعل اكبر قسط من هذه المسؤولية يقع على عاتق رجال الصحافة أنفسهم ، باعتبارهم ربابنة الصحافة وقادتها فى دروب التجربة والدأب والبناء . وهم يدركون أن من واجبهم استلهام طبيعة بلدنا ومناخات مجتمعنا ، تقاليد وعادات وتراثا ، أمالا وآلاما وتطلعا ، فى كل ما يكتبون ويعالجون . فذلك أجدى وأنفع فى تدعيم البناء : وأكثر انسجاما مع طبيعة الواقع والمصلحة العامة ، ونحن مع غيرنا من المواطنين ، ننكر كل تهور أو شطط أو مغامرة ، سواء فى الكلمة أو الفكرة أو العمل . لأننا نؤمن بأن التهور لا يبني أمة ، كما أن الشطط لا يخدم مجتمعا ...



حول قطع يد السارق

وردت الينا رسالة طويلة بتوقيع (مسلم والحمد لله) جاء فيها : ـ

أقدم لكم قبل الحديث الذى أود أن ارسله اليكم كل تحية واعزاز بهذه المجلة الحبيبة الى كل قلب يعمره الايمان ... الى أن قال ـ

قرأت فى العدد السادس فى مقال « أخي القارىء » لرئيس التحرير حديثا عن السرقة ، وأنه يطالب الحكومات العربية بتنفيذ هذا الحد علاجا للسرقة التي أصبحت مرضا اجتماعيا خطيرا ، وأنا كأحد القراء المسلمين أطالب بتنفيذ هذا الحكم ، ولكن تعالوا معنا يا رجال الاسلام ومفكريه نحدد من هم اللصوص ، هل هم أولئك الذين يطرقون أبواب العمل فى البلاد الاسلامية فيجدونها مقفلة ، فى وجوههم ، هل أولئك الذين أساء اليهم المجتمع فشذوا عنه وقابلوا الاساءة بالاساءة ، بل بالاساءات ، هل السارق هو ذلك الجائع المشرد الضال الذى يسرق دريهمات يقتات بها أم هو رجل آخر يجلس وراء مكتبه يمسك بالقلم المذهب فى يد والتليفون فى أخرى وتحت يده خزانة مملوءة بالأموال ، فكيف جمع هذا الرجل هذه الثروة الخطيرة ، أليس هو لص يحميه القانون ، هؤلاء يا سيدى هم لصوص المجتمع ، تجار البلاد الرأسمالية ، مصاصو الدماء ، هؤلاء هم الذين يجب أن تقف لهم الحكومات بالمرصاد ، فتفرض عليهم المراقبة حتى لا يتلاعبوا بأقوات الناس باسم التجارة الحرة ، ثم ان حد السرقة ان كان حكما ربانيا يجب تطبيقه فان هناك احكاما اجل وأخطر لو طالبتم بها كان أعظم درجة وأقوى برهانا ، طالبوا يا سيدى بالزكاة تقضوا على جميع الأمراض الاجتماعية ومن ضمنها السرقة ، ثم اني أود أن أقول ان تطبيق الحدود من شأن خليفة الاسلام فأين هو ؟ ... الى أن قال .. أأصبحتم سيفا آخر من سيوف التجار الجشعين يسلط على رقاب العباد ؟

والسيد (مسلم والحمد لله) يشكر على تحيته التي وجهها للمجلة ...

ثم نقول له اننا حين طالبنا بتنفيذ عقوبة قطع يد السارق لم يخطر ببالنا التفرقة بين سارق وسارق بل كان أمامنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « انما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق منهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . وكان امامنا كذلك الضمانات التي وضعها الاسلام لتنفيذ عقوبة القطع ـ وكذلك تشريع عمر رضي الله عنه الذى أسقط الحد عـن غلمان حاطب بن أبى بلتعـة حـين سرقوا ، وقال لعبد الرحمن بن حاطب « أما والله لولا أني أعلم أنكم تستغلونهم وتجيعونهم ـ حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له ـ لقطعت أيديهم ، وايم الله اذ لم أفعل لاغرمنك غرامة توجعك » .

وأود أن أقول للسيد / « مسلم » ان التجار ليسوا كلهم من هذا النوع الذى يحمل عليه بالأسلوب الذى اعتاده نوع من الناس ، على أن الاسلام يقف بالمرصاد لكل مال يأتي عن طريق غير شرعي سواء أكان صاحبه تاجرا أم غير تاجر .

هذه كلها أمور أعتقد أنها مفهومة كما أن من المفهوم أيضا أن الاسلام يجب أن يعمل أهله على تطبيق مبادئه كلها حتى يتكون المجتمع المسلم الصحيح .. وهذا ما نادينا وننادى به دائما ..

على أن ما يستحق الوقوف عنده هو تساؤل صاحب الرسالة ؟ أين خليفة الاسلام الذى له وحده حق تطبيق الحدود وتنفيذ الأحكام هل هو ملك أو رئيس جمهورية ؟ فان هذا الكلام يعني أنه ليس من حق أحد من ملوك المسلمين أو رؤسائهم أن يطبق الحدود . لأنه ليس بخليفة للمسلمين جميعا ..

نعم يا سيد (مسلم) وجود خليفة للمسلمين جميعا ينطوون تحت لوائه ويوحد كلمتهم ويجمع صفوفهم ويصدر الاحكام امر مثالي الآن نرجو تحقيقه .. **ولكن هل تعطل الحدود والأحكام الشرعية لعدم وجود مثل هذا الخليفة ؟ .. أظن أن هذا أمر غير مفهوم ولامستساغ . فكل ملك أو رئيس فى دولة اسلامية هو حاكمها الشرعي الذى يصدر القوانين وهو مطالب بتنفيذ أحكام الله فى حدود دولته ..**

ولا أعتقد أن التمسك بوجود خليفة وتعطيل الأحكام والحدود حتى يوجد أمر صادر عن وعي اسلامي رشيد ....

ومن المغرب

وهذه رسالة تعتز بها المجلة لأنها جاءت من المحيط الى الخليج أرسلها الأستاذ المدني الحمراوى الموظف بوزارة العدل بالرباط ــ فى المملكة المغربية مع قصيدة بعنوان « طريق النور » سيراها القراء فى عدد قادم ان شاء الله .

يقول السيد / المدني فى رسالته ــ

انها والله لوثبة صادقة من وثبات الاسلام صدرت هذه المرة من الكويت الناهضة المتأهبة للأخذ بعضد هذا الدين الذى تكالبت عليه المادية والاستعمار والالحاد والصهيونية . فمرحى . مرحى .. اننا لأول مرة نرى فى مجلة الوعي الاسلامي المجلة الاسلامية الصادقة التي استحوذت على الباب المخلصين من ابناء العروبة والاسلام ، اذ رأوا فيها مرآة الاسلام ولسانه الصادق ، وغيرته الحامية للخلق والفضيلة والمجتمع والأسرة وجميع مقومات الأمة الاسلامية ومقدساتها .

فيا اخواني تمسكوا بهذه اليد التي جعلها الله من نصيبكم فانها مأثرة باقية ومفخرة سامية رفعت من شأن الكويت ورجاله المخلصين العاملين ....

ونحن نكتفي بهذا من رسالة الأخ الفاضل ونشكر له غيرته وتقديره لجهودنا المتواضعة ولما تقدمه الكويت من خدمات للاسلام والمسلمين ، ونسأله سبحانه التوفيق لنكون دائما عند حسن ظنه وظن القراء .. كما نرجوه الثبات على الطريق .. طريق الله الذى له ما فى السموات والأرض ....

أما الاخ محمد الوكيل من الرباط أيضا فانه يسأل عن المتعهد الذى يقوم بتوزيع المجلة فى المغرب حتى يستطيع عن طريقه الحصول على أعداد المجلة بانتظام .. ان لم يمكن الاشتراك فى المجلة عن طريقنا .

ونحن نقول للأخ ان الشركة القومية بالقاهرة التي ترسل المجلة لوكلائها في المغرب وشمال افريقيا كله ويمكنك الاتصال بمتعهد بيع الصحف والاتفاق معه وسنتصل بالشركة لنحصل منها على أسماء المتعهدين وننشرها ان شاء الله .

ومن السيد / محمد عبد العزيز جاسم الكويت يشكو فيها من تعنت أصحاب المكتبات التي تبيع المجلة واستغلالهم للطلب المتزايد عليها فيطلبون فيها مائة فلس مع أن ثمنها خمسون فلسا ..

ونحن نشير على الأخ أن يشترك فى المجلة عن طريق المكتبة ويدفع لها الثمن مقدما حتى تحتفظ له بالعدد ان تأخر عن طلبه حين صدوره لأننا اضطررنا الى عدم قبول اشتراكات جديدة بعد ما حصلت لنا وللمشتركين مضايقات بسبب ضياع المجلة فى طريقها اليهم مع الأسف .

على أننا نناشد اخواننا اصحاب المكتبات أن يقنعوا بالربح الحلال حتى يبارك الله لهم فيه ويتجنبوا الاستغلال المحرم ولا سيما فى مجلة اسلامية تعتبر المساهمة فى تسهيل وصولها للقراء خدمة اسلامية يجزيهم الله عليها .

شبهات زائفة

بعث الينا السيد / فاروق محمد السائح من الكويت بالرسالة التالية -

زميل لي مسلم من الباكستان وجه الي سؤالا تلقاه من أحد أصدقائه غير المسلمين يقول فيه : نحن عندما نصلي نصلي لله ، ونضع تمثالا أو رمزا أمامنا ، مع أننـا نعتقد بأن الصلاة لله ، وأنتم أيها المسلمون لماذا تصلون تجاه الكعبة ، وتحجون اليهـا ، ولا يتم لكم حج الا اذا طفتم بها ؟ علما بأن صلاتكم لله ، وكثير منكم أو جميع من يحج يقبل الحجر الاسود مع أنه حجر ، والكعبة أيضا من الاحجار فهل القدسية والعبادة للكعبة أم لله ، واذا كانت العبادة لله فالله موجود فى كل مكان .. فما هي الحكمة فى اضفاء هذه القدسية على الكعبة بالذات ..

هذا السؤال قديم قدم البيت . ردده قبل هذا السائل أناس كثيرون يحاولون به بلبلة عقول المسلمين وتشكيكهم ، فى دينهم وصرفهم عن أداء شعائرهم ومناسكهم وكم أثار أعداء الاسلام من شـبه حاولوا أن يطعنوا بها الاسلام ونبى الاسلام ، وكتاب الاسلام نفسه .. القرآن الكريم تصدى لهم ففضح أمرهم ، وكشف سترهم ، وعرض للكثير من دسائسهم ومفترياتهم .

وهذا السؤال من غير المسلم يذكرنى بالمثل العربى القائل ((رمتنى بدائها وانسلت)) .

ولقد وجه هذا السؤال الى داعية مسلم كبير فقال ردا عليه :

وينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة ، والنظرة السامية فى هذا التشريع الحكيم هـذه الفرصة ، فيغمزون الاسلام بأنه لا يزال متأثرا ببقية من وثنية العرب ، وأن الكعبة والطواف حولها ، والحجر الاسود واستلامه، وما يحيط بذلك من معانى التكريم - ان هو الا مظهر من مظاهر هذا التأثر .. وهذا القول بعيد عن الصحة ، عار عن الصواب ، فالمسلم الذى يطوف بالكعبة ، أو يستلم الحجـر يعتقد اعتقادا جازما أنها جميعا أحجار لا تضر ولا تنفع وانما هو يقدس المعبود الحق جل جلاله ، ويكرم معنى الاخوة الانسانية الشاملة والوحدة العالمية الجامعة ويذكر فى ذلك قول الله العلي الكبير ((جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس)) .

ويقول الاستاذ العقاد فى كتابه حقائق الاسلام : فالعبادات شعائر توقيفية تؤخذ بأوضاعها وأشكالها ، ولا يتجه الاعتراض الى وضع من أوضاعها الا اذا أمكن أن يتجه الى الوضع الآخر ، لو استبدل منهـا ما اقترحه المقترح بما جرى عليه العمل ، وقامت عليه الفريضة من نشأتها .

ولماذا يكون الصوم ثلاثين يوما ، ولا يكون ثلاثة أسابيع أو خمسة ؟

ولماذا تكون حصة الزكاة جزءا من عشرة أجزاء ولا تكون جزءا من تسعة أو من خمسة عشر)

لماذا نركع ونسجد ، ولا نصلي قياما أو قياما وركوعا بغير سجود ؟

من اعترض بأمثال هذه الاعتراضات فليس يمنعه أن يعود الى الاعتراض لو فرض الصيام ثلاثة أسابيع ، أو فرضت الزكاة فوق مقدارها أو دون هذا المقدار .

أو فرضت الصلاة على وضع غير وضعها الذى جاء به الدين .

ويسرى هذا على كل تنظيم فى أمور الدنيا ، ولا يسرى على أمور الدين وحده .

فلماذا يكون عدد الكتيبة فى جيش هذه الامة خمسين مثلا ، ويكون فى أمة غيرها أربعين أو مائة ؟

ولماذا يجعل اللون الاخضر رمزا لهذا المعنى فى ألوان العلم القومي عند قوم من الاقوام وهو مجعول لغير هذا المعنى عند أقوام آخرين .

لا مناص فى النهاية من أسباب توقيفية يكون التسليم بها أقرب الى العقل من المجادلة (١) .

وليس أدل على صفاء العقيدة الاسلامية وتجردها من كل شوائب الشرك والوثنية من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يتجه الى الحجر الاسود ! انـك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

---

(١) كتاب حقائق الاسلام للمرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد



الكويت

اذاع راديو الكويت تصريحا لسعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية الكويتية اعرب فيه عن استنكار الكويت للتصريحات التى ادلى بها جورج طومسون وزير الدولة البريطانى وقال فيها ان بريطانيا لن تقف على الحياد اذا نشبت حرب بسبب دولة العصابات الصهيونية فى فلسطين .

وقال سعادته اننا كنا نأمل من بريطانيا وهى تحاول ان توثق علاقاتها بالعرب على اسس من الصداقة والمصالح المتبادلة ان تلتزم جانب الحياد ان لم تستطع احترام الحق وتأييده .

تلقت الجهات المختصة فى الكويت دعوة من حكومة ماليزيا لارسال مراقب عنها لحضور المسابقة التي ستقام خلال الفترة الواقعة ما بين ٨ و ١٣ يناير ١٩٦٦ فى كوالالامبور لتلاوة القرآن الكريم .

وافق مجلس وزراء الكويت على مذكرة وزارة الخارجية التي توصى فيها بالموافقة على تبرع ثان لمشروع مبنى المركز الاسلامى فى نيويورك ، الذى سبق ان اسهمت فيه الكويت بمائة الف دولار ، وقرر المجلس الاسهام مرة اخرى بمبلغ مائة الف دولار .

قبل سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت الدعوة التى وجهها اليه سماحة الشيخ عبد الله غوشة قاضى قضاة الاردن لحضور الاحتفال بذكرى الاسراء والمعراج فى رحاب المسجد الاقصى المبارك . وقد سافر سعادته وشارك فى الاحتفال المذكور .

وصلت الكويت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) أستاذة الادب العربى بجامعة عين شمس بدعوة من جمعية الاصلاح الاجتماعى ، وألقت محاضرة عن المرأة المسلمة فى المجتمع الحديث وذلك فى قاعة المحاضرات بثانوية الشويخ ، وقد أقبل عليها جمهور كبير ، وفى مقدمتهم بعض الوزراء والوكلاء ، وكثير من المسئولين والمعنيين بالشئون الاسلامية والاجتماعية ، كما شهدها لفيف كبير من السيدات .

الجمهورية العربية المتحدة

كشفت بعثة المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية بالقاهرة مجموعة من الآثار الاسلامية الهامة فى منطقة كلبا بمريوط بينها نص باللغة العربية يرجع الى عام ٦٤٠ ميلادية يتعهد فيه عمرو بن العاص حاكم مصر بضمان المحافظة على جميع الاديرة المسيحية فى مصر .

القى السفير التركى فى الجمهورية العربية كلمة فى حفل تقديم اوراق اعتماده الى سيادة رئيس الجمهورية جاء فيها ان هناك مبدأ من اهم مبادىء السياسة الخارجية لتركيا هو تنمية العلاقات الودية مع الدول العربية الشقيقة والتى ترتبط بها تركيا بروابط الاسلام التاريخية والثقافية .

السعودية

نشرت صحيفة الدعوة التى تصدر من الرياض ان جلالة الملك فيصل ابدى عناية خاصة بوجوب اضطلاع المملكة بواجبها فى الدعوة الاسلامية فى آسيا وافريقيا .

الوعى : وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

تراس سمو الامير عبد المحسن بن عبد العزيز امير المدينة المنورة اجتماعا هاما لدراسة مشروع الاصلاحات والترميمات للمسجد النبوى الشريف . المسجد تمت توسعته منذ سنوات قليلة . وقد تم وضع توصيات لترميم القباب وتجديد النقوش وطلاء الاعمدة .

الجمهورية العراقية

كل الانباء الصادرة من عاصمة العراق تؤكد تصميم حكومتها على صيانة الحكم فيها من النزعات الشيوعية مع الحرص التام على الاسلام ومبادئه والحد من سياسة التأميم .

قال الرئيس العراقى : جاءنى واحد يقول اننى اريد انشاء مصنع ولكننى اخاف التأميم . فقلت له : انشيء مصنعا بمليون دينار ولا تخش التأميم .

الاردن

دعت الاردن الدول الاسلامية للاحتفال بالاسراء والمعراج فى المسجد الاقصى . منتهى الاسراء ومبدأ المعراج .

فكرة عظيمة لعلها تشد عزيمة المسلمين لتطهير ما حول المسجد وتخليصه لاهله .. من ايدى الأفاكين ..

الجزائر

البعثة الازهرية التى تدرس بمعاهد الجزائر الدينية تقرر زيادتها الى ١٤٠ مدرسا . كانت فى العام الماضى مكونة من مائة مدرس ...

اعتقلت الجزائر بعض الفرنسيين المقيمين بها لقيامهم بنشاط هدام يعرض امن الدولة للخطر ..

تركيـــــا

ابلغ الاتحاد العام للغرف التجارية قناصل الدول العربية فى استنبول بانه لم تنشأ اية غرفة تجارية مشتركة بين تركيا واسرائيل ، وان تركيا قررت مقاطعة مؤتمر الغرف التجارية الاسرائيلية الذى عقد فى تـل ابيب .

وقد ابلغ القناصل العرب مذكرة اتحاد الغرف التجارية التركية الى الجامعة العربية واجهزة المقاطعة فيها .

اندونيسيا

أعلن الدكتور سوكارنو انه سيتخذ الاجراءات المناسبة ضـــد الحزب الشيوعي فى اندونيسيا لاشتراكه فى محاولة الانقلاب الفاشلة .

تشتد حملة اليمينيين الآن للقضاء على الشيوعيين وتقليم اظفارهم فى اندونيسيا بينما تظهر الدول الشيوعية قلقها وحمايتها للحزب هناك !!

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الوهيب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضى ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب (٧٦) السعودية

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢)

السودان : ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ صب (١٩٥٦) .

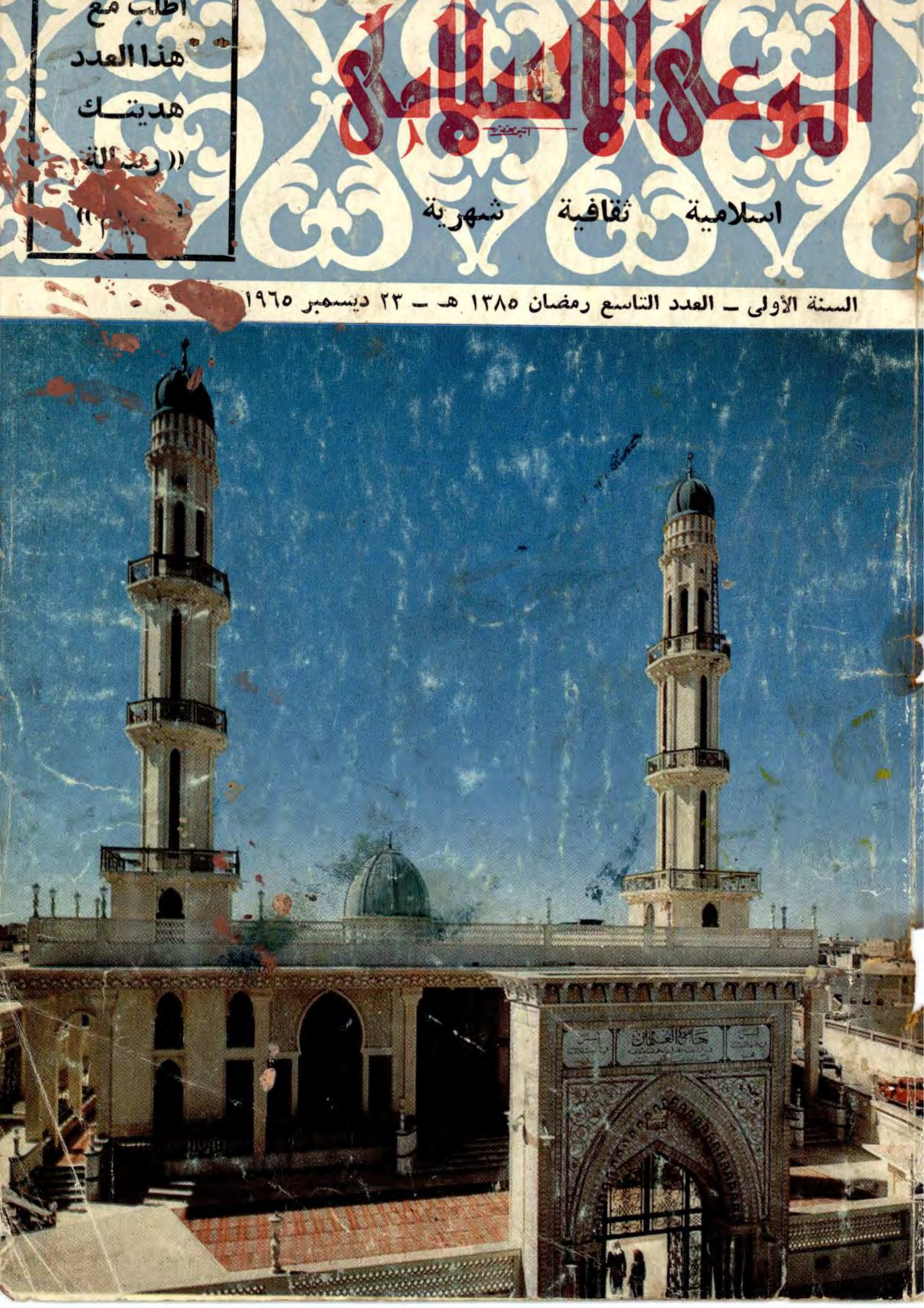
الكويت ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



حى شعبى اسلامى من القلعة (بالقاهرة)

لوحة زيتية بريشة : **محمد مؤذن**


اطلب مع
هذا العدد
هديتك
« رسالة
الوعي الإسلامي
اسلامية ثقافية شهرية
السنة الأولى ـ العدد التاسع رمضان ١٣٨٥ هـ ـ ٢٣ ديسمبر ١٩٦٥



قصة العدد ..

((اللهم لك الحمد))

اقرأ فى هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد التاسع السنة الاولى
رمضان سنة ١٣٨٥ هـ

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

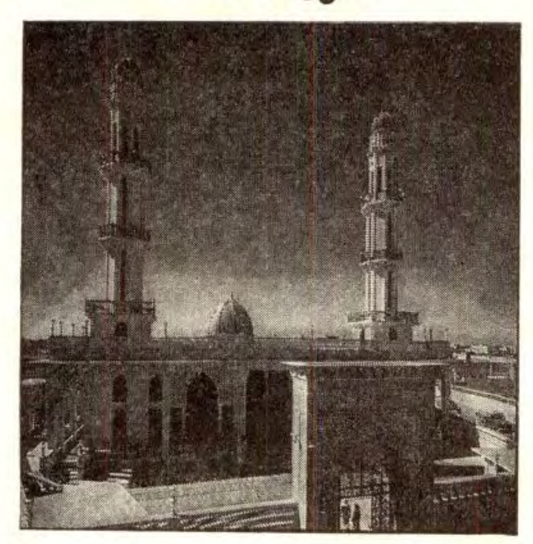
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد العثمان أفخم مسجد فى الكويت بناه المحسن الكبير المرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان الذى انتقل الى جوار ربه فى أواخر شعبان سنة ١٣٨٥ هـ رحمة الله وأجزل ثوابه

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص.ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧

« ان العـــين تدمـع ، والقلب يحـزن ولا نقـــول الا ما يرضـــى الرب » .
« حديث شريف »

وداعاً أيها الراحل الكريم

لصاحب السعادة عبد الله المشاري الروضان
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

منذ أيام ودعت الكويت قائدها ، ورائد نهضتها ، وراعى حماها ، سمو أميرها المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح ـ الوداع الاخير ـ رفـع الله درجاته مع الصديقين والشهداء والصالحين ، وأحله فى عليين مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وما أشدها مرارة على المرء ان يتحدث عن الحاكم الذى عاش حياة عريضة مليئة بالمحبة الخالصة بينه وبين رعاياه ، حتى تلاشت صفة الحاكمية فيه ، واستقرت بديلا عنها أبوة رحيمة حانية ، على أبناء بررة يقدرونه حق قدره ، ويعرفون له فضله ، ويفدونه بالمهـج والارواح .

عرفه شعبه عن كثب ، فلم يكن منعزلا فى برج عاجى ، بعيدا عن أبناء الوطن ، بل كان رحمه الله يتجول كل يوم فى البلد فيحييه الشعب ، وهو يرد التحية بأحسن منها ، ثم يئوب الى قصره قرير العين جذلان .

أما عن الاصلاح والتعمير فى عهده الميمون فحدث ولا حرج ، فها هى ذى الصروح المشادة للدين والعلم والطب والثقافة ، شاهد صدق على مدى ما وصلت اليـه البلاد فى عهده من تقدم ورقى ، فقد قطعت دولة الكويت فى مدة يسيرة مراحل حضارية ـ قطعها غيرها فى عشرات السنين ـ واحتلت مكانة مرموقة فى المجال الدولى العام .

وقد طوّف خير الكويت فى عهده فشرّق وغرّب ، ونال منه القاصى والدانى ، فرحم الله فقيدنا العزيز رحمة واسعة .

وانا لنضرع الى الله جلت قدرته ، أن يمد فى عمر خلفه صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم ، وأن يجعل عهده عهد يمن وخير وبركات ، وأن يؤيده بقوة وعون من عنده .

عبد الله المشارى الروضان
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم



كلما أهل علينا شهر رمضان ، أحيا فى نفوسنا عاطر الذكريات ، وشعر المؤمنون بما خصه الله به من نفحات. فهو الشهر الذى بدأ فيه نزول القرآن ، وفرض علينا صيامه ، ومجاهدة النفس فيه تقربا اليه ، وتحدثا بنعمته ، وسن لنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه الاكثار من الصلاة ، وقيام الليل ، وقراءة القرآن ، والاحسان الى المحتاجين . وفرض علينا زكاة الفطر ، حتى يجد الفقراء مما تجمع فى أيديهم من هذه الزكاة ، ما يجابهون به حاجات أسرهم فى هذا الشهر ، وفى أيام العيد ، حتى لا يشعروا بمرارة الحرمان فى هذه الايام السعيدة ..

هذه المعانى الكريمة نعرفها ، ونحسها كلما أقبل علينا شهر رمضان .. ولكن هناك ناحية أخرى من ذكريات هذا الشهر لا يحسها الا قليل من الناس .. وهي ناحية تتصل بتاريخنا وأمجادنا ، ومن الواجب علينا أن نعني باحيائها ودراستها ، لنستمد منها زادا لأرواحنا وقوة لنفوسنا ، ونحن نخوض مع أعدائنا المعارك الحارة والباردة ، لنستعيد مكانتنا ، ونحمي تراثنا وعقيدتنا وحريتنا ...

ولست أريد هنا أن أستقصي هذه الامجاد ، التى اقترنت بهذا الشهر ، ولكني أريد الاقتصار على اثنين منها لاقترانهما بمبدأ الدعوة الاسلامية ، ولأنهما كانا مفتاح تحول عظيم فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، وفيهما خير الزاد لأصحاب المثل والدعوات الكريمة .

أما أولهما : فموقف وقفه الرسول وصحابته فى السنة الثانية من الهجرة ، ولا يزال الاسلام قريب عهد بالمدينة ، وجراح الهجرة ومخلفاتها فى النفوس لا تزال متفتحة .. وكان المسلمون منذ بدء الدعوة فى مكة يقابلون الاساءات بالعفو ، ويتحملون الاعتداءات بالصفح .. لأنهم لم يكونوا يملكون من القوة ما يدفعون به بغي الكثرة.. حتى اذن الله للدعوة أن تتفتح لها قلوب فى غير منبتها ، ويتجمع حولها جنود فدائيون ، يحمون الرسول مما يحمون منه أنفسهم وأموالهم ، وهم وان كانوا قلة الا أنهم بايمانهم الراسخ يستطيعون الدفاع والاقتصاص ممن يعتدى عليهم ، فكان من الطبيعي أن يأذن الله لهم بالدفاع والقتال ، ولم يكن خطب الرسول وصحابته بتركهم وطنهم خطبا يسيرا يمكن للنفس أن تنساه ، أو تنام عليه ، فأخذ الرسول القائد يضع الخطط للاقتصاص من هؤلاء الطغاة الذين تحجرت قلوبهم ، وطاردوه حين ترك وطنه ، ليقضوا عليه وعلى دعوته .. فكانت موقعة بدر التى اقترن تاريخها بهذا الشهر . والتى يصور الرسول صلى الله عليه وسلم أهميتها فى تاريخ الدعوة وهو يناجي ربه وقت المعركة ((ويدعوه)) اللهم فنصرك الذى وعدتني .. اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد .

لم يخرج الرسول والمؤمنون لخوض معركة حربية أخذوا جميعا أهبتهم لها ، ولكن خرج بعضهم معه يريدون قافلة تجارية يعوضون بها خسائرهم فى مكة على يد أهلها . ولكن أفلتت القافلة ، ولو أن المكيين اكتفوا بهذا ، ورجعوا لما كانت هذه الموقعة ، ولكن الله سبحانه أرادها لتكون درسا خالدا يسجله القرآن ، ويلفت النظر الى مكان العبرة فيه وهو يقول ((قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار)) .

نعم لو رجعوا لما كان الدرس ، ولما كانت الآية والعبرة ، ولما خلد الانصار موقفهم الرائع حين قالوا للرسول وهو يستشيرهم فى مجابهة القوة الزاحفة ((أمض بنا لما أردت فنحن معك ، والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد)) .

كان المسلمون مع قلتهم يملكون أقوى عدة للنصر ، وهي الايمان الذى يصنع المعجزات ، فتجلى الله عليهم بعونه ومدده ((اذ يوحى ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)) .

وكان من الطبيعي أن ينتصر الايمان على الشرك والطهر على الرجس والفساد ، وبقى هذا الانتصار آية خالدة لما يفعله الايمان بالنفوس ، وما يحققه لأصحابه من عزة وكرامة .

وأما ثاني هذين الموقفين فقد كان فتح مكة .

زحف الرسول اليها بجيش عدته عشرة آلاف . وهو الذى خرج منها مستخفيا يطارده كفارها ، وبعد ثماني سنوات عاد اليها بهذا الجيش المؤمن المكافح فى شهر رمضان ، وفى شعاب الجزيرة وحرها ، ليحرر أحب البلاد الى الله من الوثنية ، ويطهرها من الرجس والفساد .. ولم يستطع الذين حاربوه طوال هذه المدة . أن يصمدوا أمام قوة الايمان الزاحفة فاستسلموا له ، وأتوا اليه مذعنين ، يرجون منه الصفح والمغفرة وهم الذين لم يعرفوا طوال حياتهم معه معنى للعدل والانسانية . ولكن كان رسول الله كريما معهم ، فعفا عنهم ، وهو قادر على الانتقام منهم وقال لهم : ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) ..

أخي . هكذا فعل الايمان ، وتلك هي ثمرته فى هذه المدة القصيرة ، ألا ترى أننا الآن أحوج ما يكون الى هذا الدرس والى هذه القدوة .. بعد ما تشبع جونا بالمهاترات ، وبالكلام الحماسي ، بينما فتر فيه العمل المنتج ، لا لشيء الا لفتور الايمان فى النفوس .. وتوزع قلوب المسلمين شرقا وغربا ، وجريهم وراء أهواء شخصية ، تبدد كل آمالهم وجهودهم .

اننا لا ينقصنا وضوح الرؤية لأهدافنا وآمالنا ، ولكن ينقصنا ذلك الايمان ، الذى يجند أصحابه دائما للفداء والتضحية فى سبيل عزتهم وكرامتهم ..

فهل نستيقظ ؟ أرجو ..

رئيس التحرير



يقول الله تبارك وتعالى «« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم

فى هذه الآية الكريمة ثلاث معان كبار بارزة ـ

المعنى الاول

أن الله تعالى كتب علينا ـ نحن المسلمين الصيام ، أى جعله فريضة لازمة .. وهذا ما يتضمنه قوله تعالى «« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام »» .

المعنى الثانى

أن الله تعالى كتب الصيام فى جميع الملل السابقة ، على كل أمة سلفت ، الى أن ختمت الرسالات بخاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم .. قال فى المنار «« فالصيام عبادة قديمة جاءت بها الملل السابقة ، فكان ركنا من كل دين ... والمعروف أنه مشروع فى جميع الملل حتى الوثنية ، فهو معروف عند قدماء المصريين فى أيام وثنيتهم ، وانتقل منهم الى اليونان ، فكانوا يفرضونه ، ولا سيما على النساء ، وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ... »» .. وهذا المعنى هو ما يتضمنه قول الله تعالى فى الآية الكريمة «« كما كتب على الذين من قبلكم »» .. وقد استندائمة التفسير فى هذا التعميم الى قوله تعالى «« وان من أمة الا خلا فيها نذير »» .

المعنى الثالث

ان هذا الصيام منهاج ، يراد به تحقيق غاية سامية ، يترتب عليها صلاح النفس والمجتمع ، وهى تقوى الله تعالى .. وذلك قوله سبحانه فى الآية الكريمة «« لعلكم تتقون »» أى كتب عليكم الصيام رجاء أن تتحقق لكم به تقوى الله عز وجل ...

وقد يقتضينا المقام أن نورد كلمة عن كل معنى من هذه المعانى الثلاثة ، ايناسا للقارىء الكريم فى صيامه ، وبسطا لما أجملنا فى شرح الآية الكريمة .

المعنى الاول

وقد لا يكون القارىء بحاجة الى أن نذكر له أن الصيام الذى كتبه الله علينا ، يقتضينا الامساك عن الطعام والشراب ، والصلة الجنسية ، وسائر المحظورات من طلوع الفجر الى غروب الشمس من كل يوم من أيام شهر رمضان .. ولكن قد يطيب

للاستاذ البهي الخولي

الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

له أن يعرف أن صيامنا نحن المسلمين قد مر بأطوار او احوال اربعة حتى انتهى الى الصورة التى نؤدية عليها الآن .

الاولى وفيها يقول الامام ابن كثير « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ... وصام يوم عاشوراء » ... فلم يكن فى هذا الطور — أو فى هذه الحال — من صوم واجب على المسلمين الا هذه الايام الثلاثة من كل شهر حتى لقد ذهب معاذ وقتادة وعطاء — رواية عن ابن عباس الى ان هذه الايام الثلاثة هي مراد الله تعالى بقوله « أياما معدودات ، فمن كان منكم ... » عقب قوله « كتب عليكم الصيام » الآية ... ومع أن المحققين يذهبون الى غير هذا فى تفسير الايام المعدودات ، فان احدا منهم لم يتعرض لنفي وجوب صيام هذه الايام الثلاثة من كل شهر فى هذا الطور ...

وأما عاشوراء ، فقد ذكر ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، فرأى اليهود تصوم عاشوراء ، فقال « ما هذا ؟ » فقالوا يوم صالح ، نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال عليه السلام أنا احق بموسى منكم فصامه .. وأمر بصيامه » .. وأرسل عليه السلام رجلا ينادى فى الناس يوم عاشوراء « ان من أكل فليصم بقية يومه ، ومن لم يكن أكل ، فليصم ، فان اليوم يوم عاشوراء »..

ولما نزل فرض صيام شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، نسخ صيام هذه الايام ، وقال عليه الصلاة والسلام « ان صوم رمضان نسخ كل صوم » وقالت عائشة عن عاشوراء لما فرض صوم رمضان قال عليه السلام « من شاء صامه ، ومن شاء تركه » .

وأما الحالة الثانية ، ففيها يقول ابن كثير ايضا، ثم ان الله فرض عليه صوم رمضان ، وأنزل الله تعالى قوله « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. الى قوله لعلكم تتقون .. الى قوله فمن كان منكم مريضا أو على سفر ، فعدة من أيام أخر .. وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ...» الآية .. ومن معنى الآيتين ان لكل من المريض والمسافر أن يفطر فى رمضان ، ثم يصوم فى غير رمضان أياما بعدد التى أفطرها بعد زوال المرض أو انتهاء السفر .. أما من ليس مريضا ولا مسافرا — وهو المقيم الصحيح الذى يطيق الصيام—فهو بالخيار اذاشاء صام .. واذا شاء أفطر على أن يخرج الفدية ،

وهى اطعام مسكين عن كل يوم يفطر فيه ، قال معاذ رضى الله عنه ((كان فى ابتداء الامر من شاء صام .. ومن شاء أفطر ، وأطعم عن كل يوم مسكينا ... وروى البخارى فى ذلك اكثر من حديث ، وكلها تدور حول أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا بالخيار أول الامر من شاء منهم صام ، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا ، أخذا من قوله تعالى ((وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)) أى على القادرين على الصيام اذا أرادوا الافطار أن يعطى كل منهم فدية اطعام مسكين عن كل يوم (١) ...

وأما الحالة الثالثة فبدأت بنزول قوله تعالى ((شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ... الآية)) .

ويلاحظ أن الآية ذكرت حكم المريض والمسافر ، ولم تذكر شيئا عن ((الذين يطيقونه)) ومنهنا روى البخارى عن كثير من الصحابة ، أن هذه الآية نسخت التى قبلها ، وألزمت القادرين على الصيام أن يصوموا ولا بد ((فمن شهد منكم الشهر فليصمه)) .. وبعد أن كان الصحابة فى المرحلة السابقة مخيرين بين الصيام .. والافطار معالفدية ، صاروا بعد هذا النسخ ملزمين بالصيام ..

وأما الحالة الرابعة ، فهي خاصة بجعل الصيام مقصورا على النهار وحده ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، ورفع ما كان مكتوبا منه بالليل .. فقد كان الرجل اذا حل له الافطار ، يحل له الاكل والشرب ، والجماع ثم يمسك عن ذلك :

١ : اذا صلى العشاء ...

٢ : اذا نام قبل صلاة العشاء ...

فكل من صلاة العشاء والنوم قبلها كان يلزم الرجل أن يمتنع عن المحظورات سائر ليلته ويومه التالى حتى يمسى ، وكان ذلك شاقا على المسلمين .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغه ما يلقون فى ذلك من مشقة ، وحدث أن قيس بن صرمة كان يعمل فى أرض له وهو صائم ، ودخل منزله عند الافطار ، فقامت زوجته تعد له فطوره ، فلما عادت به وجدته قد استغرق فى نومه .. فلما استيقظ أمسك عن الاكل .. فلما انتصف النهار ساءت حالته ، وغشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل الوحي يبيح الجماع ، والأكل ، والشرب في جميع الليل وجاء في ذلك قوله تعالى ((أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن . . الى قوله : ((فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكمالخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل)) . . وبهذه الرخصة انتهى الصيام الى صورته التي نؤديه عليها الآن ، وتحقق للمسلمين بها موعود قوله تعالى ((يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)) .

... وبهذه الأحوال ، أو الأطوار الاربعة جاءت الفريضة سهلة ميسرة ، تحقق قول الله تعالى ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون .

المعنى الثاني

وفى المعنى الثاني الذى يتعلق بصيام الذين من قبلنا ، اختلف العلماء فى المراد بالتشبيه فى قوله تعالى ((كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)) فقال بعضهم ان التشبيه يرجع الى توحيدوقت الصيام عند الجميع بمعنى أن الله كتب على قوم موسى ، وقوم عيسى ومن قبلهم صيام شهر رمضان .. ولكن القوم غيروا وبدلوا . ! ! .. ومنهم من قال : ان التشبيه لا يرجع الى وقت الصيام وزمنه ، بل يرجع الى صفته التي تقوم بحبس النفس عن المحظورات ..

وذهب آخرون الى أن التشبيه لا يتعلق بالوقت ولا بصفة الصوم ، انما يتعلق بأصل وجوبه وفرضيته ، بمعنى أننا نشترك واياهم فى فريضة الصيام ، ويفترق كل فى الزمن الذى يقع فيه ، والكيفية التي يؤدى بها .. وهذا الرأىهو الأقرب الى الفهم .

(١) هذا رأى فى الآية وهناك آراء أخرى ..

وعلى أى حال فالكل مجمع على أنه كان للأمم السابقة صيام كتبه الله عليهم كما كتب علينا صيامنا الذى نؤديه فى شهر رمضان ، وواقع التاريخ فى ذلك يسير مع نص القرآن .. وقد قدمنا – عن المنار – أن الصيام كان معروفا عند قدماء المصريين ، وعند اليونان ، وعند الرومان .. ونزيد أنه كان ولا يزال معروفا عند الهنود ، وعند الصابئين .. وعند المانوية وغيرهم .. الى ما هو معروف الى اليوم من صيام اليهود ، والمسيحيين .. ونورد كلمة عن صيام كل من هؤلاء يتضح بها المقام ، مع ملاحظة ما أدخل على هذه الديانات من تحريف تغير به الصوم عن أصله .

أ – صيام وثنية الهند

وعمدتنا فيما نذكر عن صيام وثنيي الهند هو العلامة البيروني فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة » ... وهو يذكر فى ذلك من التفاصيل والعجائب ما يضيق المقام عن ايراده ، فنكتفي منه بما يأتي : –

١ : – فمن الصيام ما هو لله .. ومنه ما هو للملائكة ، أو لأحد منهم .. ومنه ما هو لأحد ملوك الأساطير مثل « باسديو » الذى كان بينه وبين « اندرو » أى شيعته – منافسة – يطول ذكرها – انتهت بفوز « باسديو » .

٢ : – وهناك أربعة أشهر ينام فيها باسديو ، فاذا نام صاموا له واجتنبوا اللحم ، والسمك والحلوى واقتراب النساء ، وهجروا فرشهم ، وجعلوا الأرض فراشا لهم .. فاذا انتبه باسديو صاموا له صوم الانتباه ، قال البيروني « وفى هذا اليوم يتلوثون بأخثاء البقر – لأنها معظمة – ويفطرون بلبنها ، وبولها وأخثائها مقطوبة » أى يفطرون بها ممتزجة بعضها ببعض ! ! ! .

٣ : – ومنه صوم اسمه « ماسواس » وهو أن يصوم بالوصال شهرا متوالي الأيام لا يفطر خلالها بتة ..

٤ : – ومن عقائدهم أن روح الميت تعود الى الحياة فى جسم جديد .. ويستطيع كل انسان أن يحدد لروحه نوع السعادة التي يريدها لها ، اذا رجعت ثانية الى الأرض .. فمن كان يريد لها الغنى ونجابة الأولاد ، فان التمهيد لذلك هو صيام شهر « جيتر » وهو احد شهور السنة – صيام وصال متواليا لا يفطر خلاله .. ومن كان يريد لها الماشية ووفرة الصحة ، فلذلك صيام شهر « بهادربت » صيام وصال أيضا .. واذا أراد لها الجاه فى قبيلته .. أو أن يكون مظفرا على أعدائه .. أو أراد العلم .. أو الولاية فى أطيب مملكة .. وهكذا فان لكل واحدة من هذه العادات وصال شهر معين باسمه بين شهور السنة الاثنى عشر ..

٥ : – ومن واصل صيام جميع الشهور ، فلم يفطر فى السنة الا اثنتى عشر مرة ، – على رأس كل شهر مرة – فهذا يمكث فى الجنة عشرة آلاف سنة ، ثم يعود منها الى الأرض ، ليكون بها فى بيت ذى شرف ، ورفعة وحسب » ! ! .

ب – الصيام عند الصابئين .. والمانوية

ويؤخذ مما جاء فى الفهرست لابن النديم أن الصابئين كانوا يصومون تعظيما للقمر ، وكانت مدة صيامهم ثلاثين يوما تبدأ من اليوم الثامن لشهر آذار – مارس – يمسكون فيها عن الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها . وأما المانوية – اتباع ماني – فقد كان صيامهم ثلاثين يوما أيضا – على ما ذكر ابن النديم – يصومونها تعظيما للكواكب ، وعبارته « اذا أهل الهلال ، ونزلت الشمس الدلو ، ومضى من الشهر ثمانية أيام يصام حينئذ ثلاثون يوما » .. وكان صيامهم كصيام الصابئين ، امساكا عن الطعام والشراب من طلوع الشمس الى غروبها ..

ج – وصيام اليهود والنصارى

وقد جاء عن ذلك فى تفسير المنار للأستاذ الامام محمد عبده « وثبت أن موسى عليه السلام صام أربعين يوما ، وهو يدل على أن الصوم كان معروفا ، مشروعا ، ومعدودا من العبادات ... واليهود فى هذه الأزمنة يصومون اسبوعا تذكارا لخراب اورشليم .. ويصومون يوما من شهر آب .... وينقل أن التوراة فرضت عليهم صوم اليوم العاشر من الشهر السابع ، وأنهم كانوا يصومونه

البقية على ص ٢٦ – ٢٧

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . (رواه البخارى)

١ ـ الصيام عبادة قديمة ، فرضها الله على الامم التي سلفت وبادت ، كما فرضها على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وعرفه الوثنيون وأخذوا أنفسهم به ، كقدماء المصريين واليونان والرومان ، الا انه لم يكن بالطريقة التي حددها الاسلام خاتم الاديان السماوية .

والصوم فى لغة العرب معناه الامساك والكف عن الشيء مطلقا ، وفي التنزيل الحكيم « فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » فسمى الامساك عن الكلام صوما ، ويخصه الشارع الحكيم بالامساك عن قضاء شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ايمانا واحتسابا لوجه الله تعالى .

٢ ـ والصوم هو الركن الوحيد من اركان الاسلام الذى لا يدخله الرياء ولا المباهاة ، ونظرة عجلى على سائر الاركان الاربعة الاخرى (كلمة التوحيد ، الصلاة ، الزكاة الحج) ترينا منافذ الرياء فيها مفتوحة على مصاريعها ، فمن الممكن أن يردد انسان ما الشهادتين بلسانه رياء وخديعة دون أن يكون لذلك أثر مستقر فى قلبه ، ولهذا لم يدخل القرآن الناطقين بها بألسنتهم فى عداد المؤمنين (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) واجابة سيدنا عمر رضي الله عنه لصاحبه الذى حدث عن آخر مادحا لانه شاهده يصلي ويطيل الصلاة ـ معروفة مشهورة ـ حيث قال له « أغرك رفع رأسه وخفضها فى المسجد » وكذلك أمر الزكاة ، فقد تخرج ليقال فلان ينفق ويزكي ، وليسير بحديثه الركبان وما الحج عن ذلك ببعيد .

٣ ـ أما الصائم فلا يعلم حاله على حقيقته الا علام الغيوب ، فهو سبحانه المراقب له وحده والمطلع عليه وحده ، حيث ان فرص التخفي فيه عن الناس

كثيرة . ولهذا ختمت الآية الكريمة التي فرض الله بها الصوم بقوله تبارك وتعالى « لعلكم تتقون » فهذا الختام يشير صراحة الى أن الله سبحانه فرض على المسلمين هذا الركن من أركان الدين ليعدهم لتقواه بالابتعاد عن المباحات الميسورة امتثالا لامره ، واحتسابا للاجر عنده ، وبذلك تتكون وتقوى فيهم العزيمة وقوة الارادة على ضبط النفس عند الملمات المثيرة .

٤ ــ فالامساك ــ اختيارا ــ عن قضاء الشهوات الملحة التي تقتضيها طبيعة البشر ، ويستلزمها التكوين الخلقي للانسان والتي لا استمرار لوجوده الا بها ، لا شك يعود المرء على خشية ربه دائما سرا وجهارا ، ليلا ونهارا ، فمن يمنع الصائم من أكل شهى، وشراب لذيذ مع الحاح الجوع والظمأ ، ومن يدافعه عن مواقعة حليلته حين لا يطلع عليه احد شهرا كاملا غير خوفه من سلطان ربه ، واقراره بطاعة خالقه ، ووقوفه عند حدوده ، امتثالا لاوامره واجتنابا لنواهيه ، رغبة فيما أعد له من أجر ، وما ينتظره من مثوبة عنده اكبر . وتلك خلال من اعتادها وأخذ نفسه بها حتى صارت له خلقا أبعدته عن سفساف الامور ورذائل السلوك ، فلا يكذب ولا يمين ، ولا يخادع ولا يمارى ، ولا يقترف منكرا ولا يجترح سيئة ، ولو ألم باليسير سارع الى التوبة ، وبادر بالندم ، فأبصر وأناب « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

٥ ــ وللصوم فوق فوائده الصحية التي ندع الحديث عنها للطبيب المختص فهو بها أدرى وعلى تشخيصها أقدر ــ ولا ينبئك مثل خبير ــ ومع تربية النفس تربية روحية ، له جانب آخر مادى حيث يبعد عن الوقوع فيما يغضب الله حين يضعف القوة الشهوانية ــ كما حدث بذلك من لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة وأزكى السلام فقال « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فانه له وجاء (١) » .

ومن ثماره كذلك تربية الشعور بالتجاوب الانساني فى السراء والضراء ، فمن أصابه ضر ثم عوفى أزال ضر غيره ان استطاع ، ومن جاع أو ظمىء علم ان فى الناس من يجوع ومن يظمأ ، ومن مرض رأى الصحة نعمة لا تدانيها نعمة ، فبذل جهده حتى يقوى فى اغاثة المحتاجين وسد عوز السائلين ، وبذل خيره وعم معروفه من عرف ومن لم يعرف ابتغاء مرضاة الله ، واجابة لداعي الحق والخير .

ومن استطاع قهر نفسه التي بين جنبيه ، وأمكنه التغلب على نوازعها المضادة أمكنه أن يوجه قواه الى كل نافع مفيد للانسانية ، وسار فى ركب الذين حملوا الامانة ، فحملوها ، وكلفوا بالدعوة فبلغوها ، ورأوا عثرات غيرهم فأقالوها ، وصاروا قدوة فى التضحية فى جميع مجالات المحبة والسلام ، ورفع راية العدل واقرار قواعد الاسلام دين الله الذى ارتضاه لعباده « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

٦ ــ ومن استطاع الصوم كما يرضي الله برىء من النفاق والنفار والشقاق وقول الزور وكان في المجموعة الانسانية لبنة طيبة كريمة تسد الفراغ ، وترتق الخرق ، وتدفع ركب الحياة الى أمن تنشده الدنيا ، وكان داعية سلام نادى به الفلاسفة والعقلاء ، واستقرار ينتج ازدهارا وأزهارا عبقة يغمر أرجها الوجود فتبيد الحروب الباردة والساخنة وتوجه الناس الى بارئهم ، وتلتقي بهم فى رحاب خالقهم ومدبر أمورهم ، وتنفي الفل

(١) والوجاء لغة . رض الانثيين ، وهو كالخصاء مضعف للشهوة الجنسية .

والحقد والكيد والحسد ، وتلك عوامل بوار لو بادت لنما الوفاق والحب وغمر الكون جو المدينة الفاضلة التى انشأها الفلاسفة فى مخيلاتهم بعد أن عجزوا عن تحقيقها فى واقعهم ، وقصارى القول : لا طريق يهدى الى الخير المحض الخالص الا طريق الاسلام ولا وسيلة تقضى على آلام البشرية وتمحوها الا الوسائل التى أوحاها رب كل شيء الى عبده ورسوله سيدنا محمد عليه السلام ، وللعبادات الاسلامية جوانب فوق ما يحس البشر وما يرون ، وما بينهم وبين الوصول الى كنهها الا الاستقامة على الدين واخلاص النية لله رب العالمين .

٧ ــ وأخيرا اذا كان فضل الصوم بهذه المثابة من القوة ، وتلك منزلته من العبادات المفروضة فما جزاء الصائم ، وما مكافأته التى أعدها الله له ؟ ونترك حديث الجزاء والثواب لمن يستطيع الحديث فيه ، للرءوف الرحيم الموحى اليه من الحى القيوم ونستمع لصحابى جليل يحدثنا عنه صلى الله عليه وسلم كما حدثهم واصفا ثواب الصائم ومبينا بعض ما يجب أن يكون عليه حاله من الكمال الاخلاقي ، يقول عبد الرحمن ابن صخر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . كل عمل ابن آدم يضاعف ــ الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى ، الا الصوم فانه لى وأنا اجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، والصيام جنة ، واذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم » (١) .

وما بعد بيان رسول الله بيان ، فذلكم هو الصوم المطلوب وهاكم جزاؤه عند الله ، فلا تعلم نفس ما أخفى للصائمين من قرة أعين جزاء بما قدموا فى الايام الخالية ، وما راقبو أنفسهم عند خلوتهم بأنفسهم بعيدا عن أعين الناس ، وما امتثلوا من تعاليم حبيب الله ورسوله الرؤوف الرحيم .

٨ ــ وفى الختام أحب أن يقف الصائمون على بعض ما ورد عن الرسول الكريم من الكلم الطيب فى شهر رمضان وصيامه فالفطر النقية الطاهرة الصافية تتلاقى فى هذا الوادى الخصيب الذى الذى يخرج نباته باذن ربه ، ويتعهده أقرب خلق الله الى الله وأعرفهم به وأعطف البشر على البشر ، دون حاجة الى شرح او بيان .

أ ــ فى حديث متفق عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب السماء ، وفى رواية فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين .

ب ــ وقال عليه السلام « فى الجنة ثمانية ابواب ، منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون » (٢) .

جـ ــ وقال عليه افضل الصلاة وأزكى السلام « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (٣) .

ومما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى بعض احكام الصيام .

---

(١) متفق عليه (٢) متفق عليه (٣) متفق عليه

أ ــ قوله « تسحروا فان فى السحور بركة . (١)

ب ــ وقوله « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » رواه مسلم .

جـ ــ وقوله « اذا اقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » متفق عليه .

د ــ وقوله « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » متفق عليه .

وحثا على بذل المعروف فى رمضان قال صلى الله عليه وسلم :

« من فطر صائما أو جهز غازيا فله مثل أجره » رواه احمد وآخرون من أصحاب السنة .

وورد أن جبريل كان يلتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم خلال شهر رمضان فيدارسه القرآن . وكان عليه السلام جوادا وفى رمضان كان اجود بالخير من الريح المرسلة .

هذا غيض من فيض من توجيهات رسول الله للصائمين ومن تعاليمه الحكيمة لأمته ، فاللهم وفقنا للعمل بما يرضيك فى خلوتنا وجلوتنا فى مصبحنا وممسانا فى قيامنا وقعودنا فى صيامنا وافطارنا ، وفى كل أحوالنا ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه ، واجعل شهر الصيام شهر خير ويمن وبركة وسلام يشمل الدنيا جميعا ويعمها برحمة منك ورضوان انك سميع مجيب .

---

(١) متفق عليه

من كلمات الامير الراحل

« ان ثروة الكويت ملك للشعب ، وأنا حارسها »

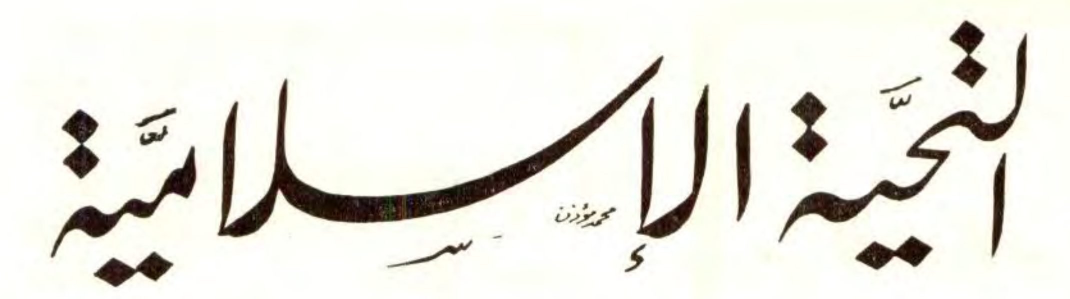
■

« الكويت تؤمن بالوحدة بجميع اشكالها ، عندما تكون نابعة من ارادة الشعب »

« . . . لا تقولوا هذا مصرى وذاك لبناني . انما نحن عرب ، حبنا بعضنا لبعض فيه الوفاق والتضامن . . ان الكويت عربية قبل كل شيء ، وهى تضحي فى سبيل العرب بكل شيء . ولن تسلم سمعة العرب الا عندما نكون يدا واحدة ، لأن التعاون هو القوة »

■

« انني اومن بأن الفتاة التي تمثل نصف المجتمع والتي ترعى المنزل لتربي جيلنا الجديد يجب أن تنال قسطها الكامل من التربية والتعليم . فالمجتمع الذى لا تتعلم فيه الفتاة لن يستطيع النهوض على قدميه فى عالمنا الحديث . ولذلك فانني اشعر بالغبطة وانا أرى فتاتنا الكويتية وهي تاخذ نصيبها من التعليم كاملا ، وتتحمل مسئولياتها فى الحياة . . . » .



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه تحية الاسلام ، قوامها السلام والرحمة والبركة . ومفروض على المسلم ان يدعو بها عشرات المرات فى صلاته كل يوم ، وعشرات المرات فى لقائه بمواطنيه، فهي اذن تطبع حياته اليومية بطابع انساني متألق ، يجعل منه دستور سلوكه اليومي

تأملت طويلا فى معانيها ، وانتهيت الى أنها تحمل فى ثناياها مفاتح السعادة للانسانية جمعاء ، فلو وعاها البشر ، وحرصوا على انفاذ مدلولها ، لانتفت البغضاء بينهم ، وامتنعت الحروب المدمرة ، واستقر السلام والرخاء فى الأرض .

السلام

الركن الاول هو السلام ، تبشر به التحية ، وتدعو الى بثه فى ربوع الأرض ، وتجعله البداية الخيرة فى كل اتصال للانسان بأخيه الانسان ، حتى يصير السلام أساس جميع العلاقات الاجتماعية ، والركن الثانى هو الرحمة ، فالتحية تبرز عاطفة الرحمة ، وابراز هذه العاطفة يهدف الى تحقيق التراحم والتعاون بين الأفراد والشعوب . والركن الثالث هو البركة ، هي ثمرة تفاعل هذين الركنين : السلام والرحمة .

والسلام صفة من صفات الله ، واسم من أسمائه الحسنى . والرحمة صفة من صفات الله ، فهو الرحمن الرحيم الذى كتب على نفسه الرحمة . والبركة هبة من هبات الله ، يهبها أينما يستقر السلام ، وتسود الرحمة بين البشر .

ونحن بنى آدم الذين فضلنا الله على جميع خلقه ، وجعلنا خلفاءه فى الأرض ، قد أمرنا بأن نتخلق بأخلاق الله . فأصبح لزاما علينا أن نرفع لواء السلام ، وأن نؤدى كل الالتزامات التى



للدكتور محمد عبد الله العربى

عميد معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة



تفرضها الرحمة ، وتنبثق من معنى الرحمـــة . ومتى أنجزنا هاتين الفريضتين بكل ما تشتملان عليه غمرت بركات الله أرجاء الأرض .

هذه تحية الاسلام ، نرددها عشرات المـرات فى صلواتنا ، وفى لقائنا بمواطنينا ، فهـلا تأملنا مدلول هذه التحية ، وهلا استوعبنا معانيها ، حتى تستقر فى وجداننا ، ونهتدى بها فى سلوكنا اليومي اهتداء طائعا مختارا .

ألا فلنشترك معا فى تدبر هذه المعانى :

ولنبدأ بالركن الأول ، ركن السلام ، الـذى أفاض القرآن فى الدعوة اليه ، وجعله سمة مـن سمات نعيم الجنة :

« يهدى به الله من اتبـع رضوانه سـبل السلام » (المائدة ١٦) .

« ونادوا أصحاب الجنة ان ســـلام عليكم » (الاعراف ٤٦) .

« دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيهـا سلام » (يونس ١٠) .

« والله يدعو الى دار السلام » (يونس ٢٥) .

« قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك » (هود ٤٨) .

« خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام » (ابراهيم ٢٣) .

« يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » (النحل ٣٢) .

« لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قليلا سلاما سلاما » (الواقعة ٥ ، و ٢٦) .

السلام نوعان

والسلام يشف عن معنيين : عن معنى فردى داخلى ، وعن معنى جماعي خارجي .

اما المعنى الفردى فهو تلك السكينة التي تغمر قلب المؤمن عندما يشعر أنه قد قام بكل ما فرضه عليه ربه نحو نفسه ونحو المجتمع . عندمـا يشعر أنه قد أسهم فى انتاج خير يعود على ذاته ، وعلى من يعولهم وعلى المجتمع معا . عندما يشعر أنه قد أخذ بيد الضعيف ، وآسى المكلوم ، وداوى الجريح ، ونصر المظلوم . عندما يشـــعر فى اداء واجبه أنه انما يؤديه ابتغاء وجه الله قبل ابتغاء الجزاء المادى .

والسلام بهذا المعنى النفسي أمنية عزيزة المنال ، لا سيما فى عصور الانحلال المادى . والناس فى الظفر بـه مراتب ،

أعلاها مرتبة النفس المطمئنة التي تعيش في عصمة سلامها الداخلى ، وفى قوة لا غالب لها مهما عصفت حولها الأحداث ومهما تكاثرت عليها الشدائد ، حتى تعود الى ربها فى نهاية المطاف راضية مرضية .

على أن السلام النفسي اذا كان مطلبا عزيز المنال ، فان السلام الخارجي أمنية أعز منالا . السلام النفسي يتطلب التدريب الذاتي . والعبادات الاسلامية اذا استكملت أهدافها تقوم بأكبر دور فى هذا التدريب . أما السلام الخارجي فيصطدم فى كل خطوة بنزعات الشر التي تهدد كيانه ، وحوافز البغى التي تحطم بنيانه .

فكل مجتمع - مهما تفاوت أفراده فى مراتب السلام النفسى - يود أن يعيش فى اطار منيع من السلام الخارجي ، حيث لا تفكر أمة فى الاعتداء على امة،ولا يخف بلد الى غزو بلد آخر . وشعور كل مجتمع بأنه فى مأمن من العدوان الخارجى عليه وانه قد أعد العدة لصد هذا العدوان ، شرط أساسي لتحقيق ما ينشده المجتمع من فلاح وعمران .

ولكن كل مجتمع يتألف من أفراد ، من نفوس بشرية خصتها خالقها بحرية اختيار بين النجدين بين الخير والشر . وكل مجتمع يضم بين جنبيه رعاة ورعية ، حكاما ومحكومين ، قادة ومقودين . ومن بين أولئك وهؤلاء نفوس نزاعة الى الشر والبغى ، وما فتىء تاريخ الانسانية حافلا بمعارك عدوانية بين الأمم ، وبالدفع والصراع بين المعتدين والمعتدى عليهم :

((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)) .

ومن هنا كان العمل على صون السلام بهذا المعنى مطلبا محفوفا بالمكاره يقتضى السهر الدائم والكدح المستمر من أجله ، ويفرض الاعداد الكامل لدفع كل ما ينقضه ، والتأهب الناجز لرد كل عادية عليه .

لذلك ندبنا خالقنا - وهو العليم البصير بنزعات النفس البشرية - الى مداومة التأهب والاستعداد لصد كل عدوان على السلام من المفسدين فى الأرض ، فقال جلت حكمته ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) وحدد لنا هدف هذا الاستعداد بأن يكون الارهاب الرادع لا الاعتداء الباغى . كما حدد صفة عدونا هذا بأن يكون عدو الله ، أى عدو الحق والعدل وخير الانسانية جمعاء . ثم أطلق التعبير ((بالقوة)) لتنصرف الى القوة المعنوية والقوة المادية معا .

معنى القوة فى الآية

تنصرف الى القوة المعنوية بما يتفرع عنها ، وما تغرسه فى نفوسنا من فضائل خلقية وصلابة قومية . اذ بغير هذه القوة المعنوية لا يكون لأى سلاح أو عتاد تأثير ناجح فى صد العدوان .

وتنصرف الى القوة المادية بل تشتمل عليه من اعداد الكفاية من الجند والسلاح والعتاد ، وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة فى ((رباط الخيل)) وبما تشتمل عليه من تعبئة الموارد الاقتصادية على نحو يكفل اكبر قسط من الاكتفاء الذاتى فى المؤن والاقوات ، ويكفل التصنيع القادر على موالاة الامداد بالسلاح والعتاد .

لا بد للسلام من قوة

هذه القوة فى مادياتها ومعنوياتها هي الشرط اللازم لحفظ السلام الذى نتنادى به فى تحيتنا

الاسلامية ، لكى نتذاكر مقتضيات السلام ، فلا نغفل لحظة عنها ، ولا نتراخى فى استكمالها ، على الوجه الذى يلائم مطالب كل عصر ..

الرحمة

أما الركن الثاني فى تحيتنا اليومية فهو ركن الرحمة ، رحمة الله كما أرادها أن تكون بين عباده، وما أوسع آفاق هذه الرحمة ، ومـا يترتب على كل معنى من معانيها .

فالرحمة متى انتشر لواؤها فى مجتمع عاش ابناؤه فى تواصل وتعاون ، فلا تجد فئة مترفة الى جانب كثرة فى متربة .

والرحمة متى ازدهرت فى وجدان المجتمع سار أفراده فى ابتغاء الرزق وفى سعيهم الاقتصادى بالرفق والعدل وبالتعاون والتكافل ، لا بالكيد والجشع والاثرة والتناحر .

والرحمة متى سادت فى مجتمع انتفى منه البغى والاستغلال وصار كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وربنا الرحمن الرحيم كتب على نفسه الرحمة بعباده وآيات رحمته لا يحصيها العد ، حتى كتبه التي أنزلها على رسله لهداية البشر كانت من آيات رحمته بعباده .

« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (الانبياء ١٧)

« تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين » (لقمان ٢ ، ٣)

« وانه لهدى ورحمة للمؤمنين » (النمل ٧٧)

« هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »

« وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » (البلد ١٧)

« بصائر للناس وهدى لعلهم يتذكرون » (القصص ٤٣)

« قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله » (الزمر ٥٣)

« قال عذابي اصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء » (الاعراف ١٥٦)

« فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته » (الجاثية ٣٠)

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (النحل ٨٩)

« ان رحمة الله قريب من المحسنين » (الاعراف ٥٦)

« فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » (الانعام ٥٤)

ونحن اذ نتبادل تحيتنا الاسلامية انما نتذاكر فريضة الرحمة ، ونتذاكر آيات رحمة الله بعباده . فلا غرو أن تكون الرحمة ــ وكل ما ينبني عليها من معان واتجاهات ــ هي شعار كل مجتمع اسلامى في علاقاته الاجتماعية .

البركة

أما الركن الثالث فى تحيتنا الاسلامية فهو ركن البركة ، بركة الله التي يغدقها على كل مجتمع تسوده الرحمة ويحرص على مقتضيات السلام .

فاذا تداعينا ببركات الله فى تحيتنا اليومية فلنتذاكر شرائط استحقاقها فبغير عمل دائب يصون السلام لاتكون بركة ولانماء ، وبغير الرحمة لايكون تعاون وتكافل بين الناس، فيحل الصراع الطبقى فى داخل كل شعب، ويحل الصراع العالمي بين الشعوب .

وبعد فهذه بعض المعاني التي تتدفق من ثنايا تحيتنا الاسلامية ، حبذا لو وعاها كل مسلم وعمل على هديها .



للاستاذ علي طنطاوى

فكرت اليوم في أمر الرزق ،فوجدت أمر الرزق عجيبا، كل امرىء يأكل رغيفه ،لا يبيت أحد جائعا ولكن كلا يجد رغيفه في مكان .

الموظف جعل الله رغيفه على مكتبه ، يقعد على كرسيه يدخن دخينته ويترشف قهوته ، ويمد يده فيأخذه . ومنهم من يكون ساكنا فى مكة (مثلا) ، ورغيفه فى جدة ، فهو يذهب كل يوم ، يقطع أكثر من سبعين كيلا (١) ليأتي به ويرجع ، فاذا لم يذهب اليه لم يأخذه .

ومنهم من يكون من أهل الشام أو مصر ، ولكن الله يضع له رغيفه ، فى بعض السنين فى الكويت أو فى الرياض.. والطيار وضع رغيفه فوق السحاب وقيل له : اصعد لتأخذه ، والغواص وضع رغيفه فى أعماق البحار وقيل له : انزل لتأخذه ، وعامل المنجم رغيفه فى بطن الأرض ، أو فى وسط الصخر الصلد، لا يصل اليه حتى يفجره بالديناميت .

والعطار يتناوله بيد مضمخة بالعطر ، والزبال يتناوله بيد ملطخة بالزبل .

ومن يأكله هنيئا مريئا ، ومن يأكله ليحاسب عليه من بعد حسابا عسيرا ، وقد يصلى به سعيرا .

ومن الناس من يكون مثل أمين الصندوق فى المصرف ، تحت يده مئات الآلاف ، وماله منها آخر الشهر الا خمسون دينارا ، وهو الغني البخيل ، تكون عنده الأموال الطائلة ، ويعيش هو وأهله على القليل فهو (أمين صندوق) يحفظها ليستمتع الورثة من بعده بها ، ويكون عليه حسابها .

---

١ — الكيل وجمعه اكيال ، مثل الميل والاميال ، تعريف كيلو متر .

ومن يكون مثل (المعتمد المالي) اعني الموظف الذى يوكله اخوانه فى الدائرة باستلام الرواتب من الخزانة وتوزيعها ، وهذا هو الغني الذى يلهمه الله الانفاق على الفقراء ، انه يعطي كلا رزقه لا يعطيه من رزق نفسه ، فهو كالمعتمد ، ولكن الموظف المعتمد يكون جزاؤه كلمة شكر ، وربما حرموه من كلمة الشكر وهذا المحسن يوصل الى الفقراء أرزاقهم ، ويكون له عن كل مائة دينار يوزعها سبعون الف دينار : حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء » .

★★★

ومن يكون حافظا لمال والمال مقسوم لغيره

حدثني مرة الشيخ صادق المجددى سفير الافغان سابقا فى مصر ، انه كلف مرة بمهمة سياسية عاجلة فى روسيا ، وخاف ان يمر ببلد لا تؤكل ذبيحة اهله شرعا ، وكان عنده دجاجتان فأمر بذبحهما ، واتخذت له زوجته سفرة (١) منهما ، حملها معه ، فلما وصل الى طاشقند (٢) دعاه شيخ مسلم . فكره أن يأخذ الدجاجتين معه الى دار الشيخ ، ورأى فى طريقه امرأة مسلمة فقيرة معها اولادها، ورأى الجوع باديا عليهم وعليها، فدفع اليها الدجاجتين .

فلم تمض ساعة حتى جاءته برقية ان ارجع فقد صرف النظر عن « المهمة » فكانت هذه الرحلة لامر واحد هو ان الدجاجتين كانتا فى داره ولكنهما ليستا له ولا لاهله ، انهما لهذه المرأة واولادها ، فطبختهما زوجته وحملهما بنفسه اربعة آلاف كيل ليوصلهما اليهما .

وقرأت مرة ولست اذكر الآن اين قرأت ، خبر رجل تاجر كان فى بغداد على عهد الموفق وابن طولون فأضاق وافتقر حتى نقض داره وباع انقاضها، ولم يبق له شيء ، فرأى فى منامه كأن قائلا يقول له : اذهب الى مصر ، الى حارة كذا ، فى جهة كذا ، يأتك الرزق ، فلم يلق لذلك بالا ، فعاودته الرؤيا ، مرات ، كل مرة يجد هذا القائل ، ويسمع منه هذا القول ، فاستدان من المال ما استطاع السفر به الى مصر ، فلما وصلها سأل عن الجهة والحارة والدار ، فاذا هى دار صاحب شرطة احمد بن طولون ، فقبض عليه ، وقال له انت جاسوس للموفق ، وضربه عشر مقارع ليقر ، وهو يتنصل ، ويقول : ما انا بجاسوس .

قال له : فما الذى جاء بك الى دارى .

فقص عليه القصة ، فضحك منه وقال له : انت مجنون ، انا من شهور اجد فى المنام من يقول لى ، ان فى دار فلان التاجر فى بغداد تحت الشجرة جرة فيها خمسة الاف دينار ، فلا ابالى ، وانت تسمع كلمة فى المنام ، ولعل رؤياك من اضغاث الاحلام ، فتصدق ؟

وكانت الدار التى ذكرها صاحب الشرطة داره هو فعاد الى بغداد ، واستخرج الجرة من تحت الشجرة ..

★★★

والرزق ليس المال وحده ، وقد يعطى الرجل المال الوفير ، ويحرم ما هو احب اليه ، واعز عليه من المال .

اما سمعتم قصة السيد الغنى الذى كان له القصر الفخم ، ومن حوله الخدم

البقية على ص ٤٧

---

١ ـ السفرة زاد المسافر .

٢ ـ وكانت تسمى الشاش ومنها الشاشي الكبير والشاشي الصغير الفقيهان الشافعيان .





فقدت الكويت أميرها ووالدها سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح حيث وافاه الاجل فى الساعة الخامسة من مساء الاربعاء الثاني من شعبان ١٣٨٥هـ الرابع والعشرين من نوفمبر ١٩٦٥ بعد وعكة قلبية أصيب بها وهو يفتتح الدورة الرابعة لمجلس الامة فى الثاني من شهر رجب ١٣٨٥هـ .

ولقد قضى الشعب الكويتي مع أميره شهر المرض فى دعاء وأمل أن يمن الله عليه بالشفاء ، وتجلت روح الشعب الاصيلة الوفية فى هذا الشهر .. ولكنها كانت أكثر بروزا وتجليا حين انتقل سموه الى رحمة الله .. كنت أحس ان الشعب كله أسرة واحدة فقدت والدها الذى منحها كل بره وعطفه ورعايته اثناء حياته .

ولم يكن الشعب فى ابداء شعوره رسميا أو متكلفا ، بل كان يصدر عن عاطفة صادقة وحب طبيعي واحساس عميق بمقدار الخسارة فيه ، وخرج كله حول جثمانه يودعه الى مقره الاخير .

واذا كان الموت حقا عبرة وعظة تتكرران كل يوم فان هذه العظة قد كملت صورتها وتجسدت معالمها حتى نفذت الى كل قلب يعي ويتدبر ، حين رأينا جثمان الفقيد يوارى فى لحد عادى على حافة القبور الاخرى ، شأنه فى ذلك شأن أى فرد عادى من أفراد الشعب . أحسست أنه يرقد بين أفراد شعبه وأسرته الكبيرة دون حاجز أو تمييز كما كان يعيش بينهم فى حياته .

الوَالدُ الراحِلْ

للاستاذ عبد العزيز العلي المطوع

وتلك هي البساطة والمساواة التى حرص الاسلام على تحقيقهـا ، لتكون فى القبور وزيارتها عظة خالصة مجردة من زخارف الحياة الدنيا وزينتها التى حرص كثير من الناس ـ مع الاسف ـ على نقلها الى ساحة الموت ، لتظل الفوارق ـ فىنظرهم ـ بالزخرف والزينة بعد المـوت كما كانت من قبله .

وذلك هو الخطأ الذى نبه الاسلام الى تجنبه بعد أن سوى الموت بين الجميع ، لا تفرقة بينهم الا بالعمل الصالح الذى جعله الله مقياسا لعباده يوم لقائه .

وقد رقد الامير الذى كان يملك الملايين ، والذى كان من الممكن أن تستغل بعض ثروته فى بناء أفخم مقبرة له فى العالم . رقد كما يرقد من حوله من لا يملكون من حطام الدنيا شيئا ..

تلك هي العظة ، وهذه هي تعاليم ديننا الحنيف ...

والوعى الاسلامى اذ تنعى الى قرائها والد الكويت وأميرها ، وراعى نهضتها تقدم خالص عزائها للاسرة الحاكمة وللشعب الكويتي والاسلام، وتسأل الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ، ويوفق أخاه وخلفه سمو الامير صباح السالم الصباح لتحقيق أماني الوطن والاسلام والعروبة فيه .

هذا وقد رأت الوعى الاسلامى من الوفاء تجاه العاملين لنهضـة شعوبهم أن تقدم لقرائها نبذة عن الوالد الراحل بقلم أحد أبناء الكويت

الذى كانت له بسموه صلة خاصة طيلة حياته وهو الاستاذ الحاج عبد العزيز العلي المطوع الذى عرفه القراء بمقالاته التى قدمها فى أعداد سابقة .

وتلك هي الكلمة التى جاءت ـ مع ايجازها ـ معبرة ومؤثرة ـ

فى هذا العصر الذى طغى فيه زخرف الدنيا على الناس ، واستهوت مظاهر الابهة الكثير من ذوى الغنى والنفوذ فى العالم ، كان فقيدنا الراحل، مع ما له من سلطة وهيبة ، ومن أسباب للثراء الواسع ، ومن تقدير واحترام ، شاملين ، وطاعة تامة من الجميع ـ كان زاهدا فى الجاه والسلطان والمال ، لا يغريه أى من ذلك ، ولا يخرجه عن بساطه العيش التى آثرها طوال حياته ، ولا يجعله يتعالى على الناس ، أو يعمد الى القهر والقوة ، أو يبذر الاموال الطائلة فى غير أوجه الخير والاصلاح ، ولذلك كان لفقده رحمه الله أسى فى قلوب الناس كافة ، وصدى فى جميع أرجاء العالم وفى مختلف الدول والمنتديات الدولية عامة ، والعربية والاسلامية خاصة .

ولست مبالغا اذا قلت ان كل بيت فى الكويت يعتبر وفاته مصابا نازلا به ، حتى لم يعد مأتمه مأتما للأسرة الحاكمة وحدها ، بل للشعب الكويتي بأسره .

وان من يتعمق فى ما قيل ، أو كتب بمناسبة هذا المصاب الجلل ـ عن سمو الامير الراحل ليشعر بوضوح ان الكلمات التى قيلت ، أو كتبت فى تأبينه انما صدرت عن مشاعر صادقة وقلوب محبة ، وانها لم تكن كلمات مجاملة تقتضيها المناسبة ، أو مواساة شكلية لا تتجاوز الافواه أو أسنة الاقلام . كيف لا وقد أحس الفقيد الراحل للجميع ، وفى عهده ازدهرت البلاد بما أفاء الله عليها من خير عميم ، وكان رحمه الله أبا رحيما للجميع ، واتسع قلبه للكبير والصغير .

ولقد كنت ممن اسعدهم الحظ فى حياة الامير الراحل بالتشرف بلقائه فى مناسبات عديدة ، وقد لمست هذه الصفات عن قرب فى سموه ، وان أنس لا أنس حدبه وحنانه عندما قال بصدد حديث جرى بين سموه وبيني وقد رأى انى ربما تجاوزت فيه رأيا ، ((عبد العزيز لقد عشت فترة من الزمن وحيدا مدللا عند أبويك)) ، ولا أنسى كذلك رضاه وابتسامه عندما عقبت على عبارة سموه هذه بقولي : نعم لقد دللني والدى ، وانتقل الى جوار ربه ، ولم يبق لي أب يدللني بعده الا أبو الجميع . سموكم ، ولقد استمر دلالي لديه حتى توفاه الله واختاره الى جواره .

ومن العلامات التى تلفت النظر فى حياة الفقيد العزيز انه وقد آثر حكم الشورى والاسلوب الديمقراطي فى هذا البلد كان آخر اختصاص

دستوري بارز مارسه فى حياته مرتبطا بهذا الاسلوب فى الحكم وهو افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الامة ، قبل وفاته بشهر ، فقد المت به ـ داخل المجلس ـ تلك الوعكة القلبية التي انتقل فى اعقابها الى جوار ربه راضيا مرضيا ، والعالم كله يشيد بهذه التضحية وتلك الروح الديمقراطية التي بذل حياته فى سبيلها ، فضاعف بذلك من مكانته فى الداخل والخارج .

وضاعف تقدير التاريخ لهذا الاتجـاه الشـعبي الديمقراطي لدى المغفور له سمو الامير الراحل انه كان سباقا الى هذا الاسلوب بدافع من فكره الصائب ، وشعوره المرهف وتقديره الحكيم ، فسبق الحوادث ، ولم تسبقه ، وعمل مختارا ، ولم ترغمه ، فجزاه الله عن كل ذلك خير الجزاء وشمله بسابغ رحمته وغفرانه ورضاه ، وألهم الامة العربية والاسـلامية عامة وشعبه واسرته خاصة الصبر الجميل ، وجعل عهد حضرة صاحب السمو خليفته الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت عهداً مباركـا ميمونا من عزة وسؤدد واعلاء لكلمة الله ، واقامة لشريعته ونشر لدينه ، والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

الامير الراحل فى سطور

ـ ولد ـ رحمه الله ـ عام ١٨٩٥

ـ نشأ سموه على حب الادب والتاريخ وعلوم اللغة العربية

ـ فى فترة ولايته للعهد ترأس المجلس التشريعى عام ١٩٣٨ ثم مجلس الشورى بعده كما قام بتنظيم مالية الكويت .

ـ تسلم شؤون الحكم فى ٢٥ فبراير ١٩٥٠ خلفا للمغفور له الشيخ احمد الجابر الصباح .

ـ عمل من اول يوم من ايام حكمه على زيادة حصة الكويت فى عائدات النفط وتحقق له ذلك فى الاتفاقية التي عقدها مع الشركة .

ـ اعلن استقلال الكويت فى التاسع عشر من يونيو سنة ١٩٦١

ـ صدر اول دستور كويتي فى اليوم الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٩٦٢ .

ـ قفزت الكويت فى عهده قفزات واسعة فى مجالات الحضارة والتقدم .

ـ جرى انتخاب مجلس الامة يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٢ وافتتحه بنفسه يوم ٢٩ من يناير سنة ١٩٦٣ .

ـ حضر مؤتمرات القمة العربية الثلاثة واسهم فى حل ما يصادفها من متاعب ومشكلات ..

ـ اصابته وعكة صحية اثناء حضوره افتتاح الدورة الرابعة لمجلس الامة يوم ٢٦ من اكتوبر ١٩٦٥ .

ـ فى الساعة الخامسة من مساء الاربعاء الموافق ٢٤ من نوفمبر ١٩٦٥ وافاه الاجل المحتوم مأسوفا عليه من جميع العرب والمسلمين ..

رحمه الله واجزل ثوابـه .. ..

بليله ، ولعلهم كانوا يسمونه عاشوراء .. ولهم أيام أخر يصومونها ..

وأشهر صوم النصارى وأقدمه الصوم الكبير الذى قبل عيد الفصح ، وهو الذى صامه موسى ، وكان يصومه عيسى عليهما السلام ، والحواريون رضي الله عنهم ... ثم وضع رؤساء الكنيسة ضروبا أخرى من الصيام .. ومنها صوم عن اللحم وصوم عن السمك ، وصوم عن البيض واللبن ... وكان الصوم المشروع عن الأولين منهم ـ كصوم اليهود يأكلون فى اليوم والليلة مرة واحدة .. فغيروه ، وصاروا يصومون من نصف الليل الى نصف النهار » .

المعنى الثالث

وأما المعنى الثالث الذى يتعلق بحكمة الصيام ، ويتضمنه قول الله تعالى « لعلكم تتقون » فمفتاحه أن تقوى الله قبل أن تكون أمرا ظاهريا فى العبادة وفعل الخير ، هي وجدانات عالية ينشئها فى النفس حب الله وخشيته ، بملاحظة نعمه ومقامه الجليل فى الكون ، فيكسبها ذلك حذرا تتقي به الفساد ، الذى ينحرف بها عن فطرة الخير فيها .

ونلاحظ فى الآية على هذا أمرين :

الأمر الأول أن الصيام المأمور به شرعا اذا أداه المرء احتسابا وطاعة لله عز وجل ، كانت ثمرته التقوى ولا بد ، « كتب عليكم الصيام .. لعلكم تتقون » .. أى كانت ثمرته تلك الوجدانات العليا .. وهي حقائق ذات معان ثرية تمتزج فيها القوة بصدق الاحساس ، فيكون لها على ضمير المرء ومواهبه أمرة الهيمنة والتوجيه .. ويكون من أثرها فى ظاهر الحياة طاعة الله ، وكل نهج صالح ..

والأمر الثانى أن الصيام اذ كتب علينا وعلى الذين من قبلنا ـ أى على الناس كافة ـ انما أريد به هذه النتيجة نفسها وهى أن ينشأ فى الضمائر ذلك التنبيه الوازع الذى له خصوصية الوقاية ، واقامة النفس على سمت صحتها .. وفى هذا من اصول الحقائق ما يأتي : ـ

أ ـ وحدة العلة فى البشرية كلها .. ووحدة العلاج لها فى كل عصر وبيئة .. فالنص الكريم يمتد مفهومه ـ من حيث الكم ـ على طول الزمان والمكان حتى يشمل البشرية كافة .. وينفذ الى الأعماق ـ من حيث النوع أو الكيف ـ حتى يبلغ جوهر حقيقة الانسان ، فيرى من وحدة العلة فى الجميع ما يستدعي الوقاية منه بعلاج واحد ، هو التقوى .

وتقوى الله واجبة فى كل زمان ومكان ، ولكن المقام يلزمنا التقيد بحال الصائم المحتسب ، فانه لم يمتثل الصيام بامتناعه عن حظوظ بشريته ، الا وهو يتمثل قيام هيمنة الله فى ضميره .. وهي حال يتفتح فيها من مشاعر السمو والوقار والتحفظ ما يقوم حاجزا أو وقاية للمرء من آفات ضعفه البشرى ، فليس الصيام وحده هو الذى يحقق التقوى بل الانبعاث اليه بنية طاعة الله ، وقصد التقرب اليه ، على ما قال سبحانه فى الحديث القدسي « يدع طعامه وشهوته من أجلي » .

على أن مرادنا لا يتعلق ببيان الصوم الذى يثمر التقوى ، والذى لا يثمرها ، بل يتعلق بمفهوم الآية الكريمة اذ ينفذ الى الجوهر فى حقيقة كل آدمي ، فيرى من وحدة العلة فى الجميع ما يستدعى علاجه بعلاج واحد هو التقوى .

ب ـ واذ ينفذ مفهوم الآية الى « حقيقة الانسان » ـ أو فطرته ـ بين أنها تحتاج الى وقاية .. وقاية فقط « لعلكم تتقون » .. والشيء اذا لم يحتج الا الى الوقاية ، فهو سليم الجوهر ، نقي المعدن .. أى أن معدن حقيقة الانسان خير كله ، يتضمن كل مبادىء الخير وعقائد الحق ، ولا ينقصه لكي يؤتي ثمر ذلك الا أن تكون له وقاية تقيه ما يعوق ظهوره ..

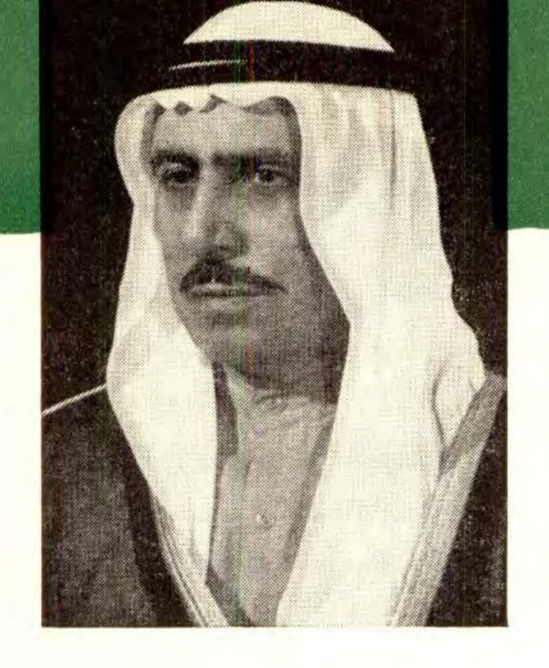
ج ـ ولكن ما تلك الآفات التي تعرض لجوهر الانسان ؟ .. وما الثمر الذى يتحقق بردها عنه ؟ . ان الآية الكريمة بنفوذها الى جوهر حقيقة الانسان ، انما تنفذ الى صميم فلسفة النفس ، وما لها من مباحث دقيقة قيمة .

ومن عجيب نظم القرآن أن الحق تعالى اذ ضمنه أقوم حقائق تلك الفلسفة ، جعل لكل لفظ من ألفاظه خصوصيتين احداهما خصوصية المفتاح ، اذ يغرى من يشاء من أهل النظر أن يستفتح به ما وراءه من كنوز الحقائق .. والأخرى خصوصية العنوان ، اذ تبدو فى خصوصها كأنها اللافتة على الطريق ، تشير الى الغاية : وتزود المشمرين اليها بعزائم الجد والعمل ..

ولعل طبيعة المقام تقتضينا فى بيان ما يعرض لجوهر الانسان من آفات ، أن نأخذ بالخصوصية الثانية التي تدل مباشرة على الثمرة ، وتشد عزائم الجد اليها .. فالآفات قد دل على حقيقتها « الصيام » بوجوب الامتناع عن الطعام ، والشراب والصلة الجنسية ، وهذه الثلاثة ـ بدلالة الواقع وشهادة الطبيعة ـ هي قوام مطالب الحيوان فى الانسان وهدف خصائص البشرية فيه ، وليس الطعام والشراب والجنس فى ذاته آفة ، انما الآفة فى أن المطلب الحسي يقترن عادة برغبة قد تستحيل الى لذة أو شهوة ، اذا أضرت بالسلوك الاجتماعي ، فهي الجائحة التي يجب أن يتوقاها الانسان لأنها تؤذى جانبه الانساني ، أو « جوهر الانسان » فيه ، فلا يظهر له فى حياته أثر ولا ثمر ، وفى هذا يلفى الدقيق الذى يدخل مطالب الحس المباحة فى محظورات التقوى يقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ المرء أن يكون من المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به ، حذرا مما به البأس » .... وهو قول دقيق ، يشمل ـ فيما يشمل ـ التحرز من مطالب الحس لما يلابسها من الشهوة فلا يقربها العقلاء الا للضرورة ، وقد أسلفنا قول الله تعالى فى الحديث القدسي عن الصائم « يدع طعامه وشهوته من أجلى » .

د ـ وأما ثمرة التقوى ، فان الآية ـ اذ لم تدل عليها باللفظ ـ فقد شف عنها نظمها المضيء حتى لترى من خلاله فى غير خفاء .. فالوجود الحق للفرد هو انسانيته التي تتضمن جوهر عقائده ومثله وسائر المعانى والاستعدادات الروحية التي تؤلف « معنى الانسان » ، وهي بهذا الاعتبار معارضة من بشرية المرء بآفات من شهوات الحس وأهواء الفردية ونحوها من خلائق الشح والبغي ، واذ كتب علينا الصيام فقد كتب أن يكون لب اهتمام المرء متجها الى وقاية ذلك الجوهر وتحريره من تلك الآفات وتزكيته بالفكرة العلوية والوجدان الصالح اللذين هما قوام الصيام ولب تقوى الله تعالى ، فاذا حرر المرء ما كتب عليه من ذلك ، فقد نمت فيه خصائصه القدسية التي تثبت له فى الحياة « وجود انسان » ، والا فهو صورة بلا روح ، أو قشرة انسان لا لب لها ، تعبث بها أهواء الباطل ، وتصرفها شهواته انى شاءت ، وما أعجب فيلسوفنا العظيم الامام المفسر الفخر الرازى ، اذ يلمح الرابطة بين التقوى ومعنى الانسان فى قول الله تعالى عن القرآن فى أول سورة البقرة انه « هدى للمتقين » وقوله عنه فى آية صوم رمضان الذى أنزل فيه القرآن انه « هدى للناس » ، فيقول ويبدع « ولو لم يكن للمتقي فضيلة الا ما فى قوله تعالى «هدى للمتقين» كفاه ، لأنه تعالى بين أن القرآن « هدى للناس » ثم قال هنا ـ فى أول البقرة ـ هدى للمتقين فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس ، فمن لا يكون متقيا ، فليس بانسان » ..

فاذا كان الصيام منهاجا يحقق به المرء وجوده الحق فى الحياة فهو منهاج انساني للناس كافة ولا جرم كان فريضة علينا وعلى الذين من قبلنا ويجب ان يكون فريضة على كل قبيل فى الارض ، وكل جيل يأتي ، اذا اردنا ان تكون الارض سكنا للانسان « لا سكنا لكائنات لا تمت لحقيقة الانسان بصلة » .



صاحب السمو
أمير الكويت

الشيخ صباح السالم الصباح

- ولد سموه حفظه الله فى مدينة الكويت عام ١٣٣٤هـ ـ الموافق ١٩١٤ .
- تلقى تعليمه فى الكويت .
- بدأ حياته العملية بتولى رئاسة الشرطة .
- تولى مهام دائرة الصحة بعد وفاة أخيه المرحوم الشيخ فهد السالم .
- كان أول وزير لوزارة الخارجية .
- أول من تولى رئاسة مجلس الوزراء .
- عين سموه وليا للعهد بالاضافة الى رئاسة مجلس الوزراء .
- نودى بسموه أميرا لدولة الكويت عقب وفاة الامير الراحل .
- أدى سموه اليمين الدستورية فى الجلسة الاستثنائية التى عقدها مجلس الامة يوم السبت ٦٥/١١/٢٧ .
- تمثل سموه ـ حفظه الله ـ بهذين البيتين عقب انصرافه من الجلسة :

انى وحق الوفا منكم على ثقة   والعهد ما بيننا والود لا زالا
سلوا ضمائركم فالحق ما شهدت   به الضمائر شح الدهر أو طالا

- من كلمات سموه فى أول خطاب له فى مجلس الامة :

((ان الغرس الصالح الذى غرسه عبدالله السالم الصباح بيديه وظل يرعاه بنفسه وقلبه الكبيرين حتى أينع وأثمر فى حياته لن يذوى ، أو يذبل بعد وفاته ، ما دمنا حافظين لعهده سائرين على نهجه ، مقتفين لآثاره فى سياسته الداخلية والخارجية التي استهدفت دائما خدمة هذا البلد وأهله ، والامة العربية التي نحن جزء منها ، والانسانية عامة)) .

أمير على نبضات القلوب

للاستاذ مرسي شاكر الطنطاوى

هوى علـــمٌ واستتبَّ علــم ... فما احتبس الودق حتى انســجم
نودّع بالأمس حرا مضـــى ... ونستقبل اليوم حرا حكــم
كلا القمرين سنىً البهــــاءِ ... وحسب الكرامةِ ذاك العظــم
ففي العين وحشة نأيٍ ســـبى ... وفي القلب بهجة أنسٍ عصــم

إلى رحمة الله ذاك الأمـــير ... وفي كنف الله هــذا العلــم
وفي موكب المجــد آثــار مــن ... تولّى القيــادة في المقتحــم
فكم قاوم الحادثــات بمــا ... يمــدُّ إلى السيف صوت القلــم
وأصلح ما أفسدَتْه الســنون ... بقلب نمتْــهُ عيــون الحكــم
وأذكى العزائم بالمعجــزات ... نهوضــا تقصــى حدودَ الهمــم

ووصّى بها القائــد المســتعان ... بحكمتــه في جــلاء الغُمــم
أميرٌ على نبضــات القلـــوب ... مليكٌ بأخلاقــه والشــيم

فيا وارثَ المجد عن ماجــد ... أقــرَّ السعادة فيمــا رســم
وخصّ ,, الكويت ,, بما عمّهــا ... كفاءً من المجــد عالى القمــم
يعزك بالملك عرش ســما ... وتاج زها ، ونعـيم ، أتــم



١ : ـ تذكر المعاجـــم اللغوية لمادة « صوم » معاني متعددة ، غير أنها كلها تدور فى فلك الامساك عن الشيء والترك له . ففي معجم مقاييس اللغـة لابن فارس « الصـاد والواو والميم أصل يدل على امساك وركود فى مكان . من ذلك صوم الصائم ، هو امساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه ، ويكون الامساك عن الكلام صوما ، قالوا فى قوله تعالى « اني نذرت للرحمن صوما » انه الامساك عن الكلام . وأما الركود فيقال للقائم صـــائم ، وقال النابغة :

خيـــل صـــيام وخيل غير صـــائمة
تحت العجاج وخيـــل تعلك اللجمـا

والصوم ركود الريح ، والصوم استواء الشمس عند انتصاف النهار ، كأنها ركدت عند تدويمها ، اى « دورانها » .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى صام ، صمت ، صامت الريح ركدت . وفى القاموس للفيروز ابادى صام صوما وصياما واصطام ، أمسك عن الطعـام والشراب والكلام والنكاح والسير ، والصوم : الصمت وركود الريح .

وفى لسان العرب لابن منظور الصوم فى اللغـة الامســاك عن الشيء والترك له ، وقيل للصائم صائم لامساكه عن الطعام ، وقيل للفرس لامساكه عن العلف مع قيامه .

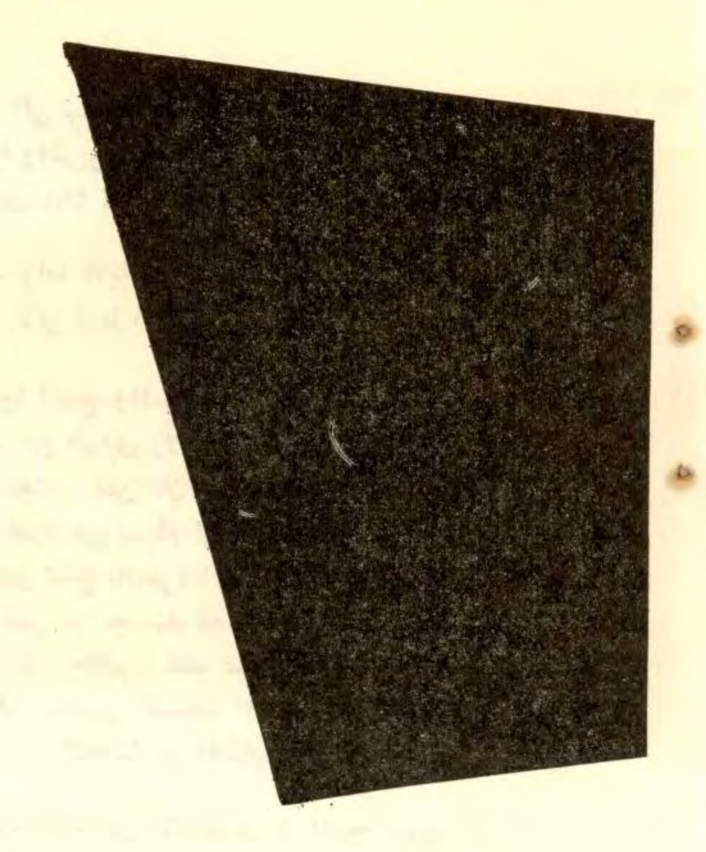
قال ابو عبيدة كل ممسك عن طعام ، أو كلام ، أو سير فهو صائم . فهذه النصوص اللغوية تبين أن الصوم من الناحية اللغوية يدل على الامساك ، أو التوقف عن فعل شيء ما ، أو ترك التنقل مـن حال الى حال .

ومعنى الصوم شرعا وثيق الصلة بمعناه مـــن الناحية اللغوية ، اذ هو الامساك عن المفطرات ، مع اقتران النية به من طلوع الفجر الى غـروب الشمس ، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات ، وعدم الوقوع فى المحرمات ، لقول الرسول عليـه الصلاة والسلام « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه مـن أجله » فالصيام شرعا امساك عن المفطرات مـــن طعام وغيره بشرط أن تصحبه نية ليكون عبـــادة وطاعة ، مع مراعاة آدابه ، ليؤدى الصوم رسالته على أكمل وجه ، وأكرم غاية .

فى القرآن خمس عشرة مرة

٢ : ـ فاذا تركنـــا معاجم اللغة الامهات الى القرآن الكريم كتاب العربية الخالد وبيانها المعجز ، ألفينا أن مادة « الصوم قد ورد ذكرها فيـــه خمس عشرة مرة ، سبع فى سورة البقرة ، ومرتان فى المائدة ، والاحزاب ، وفى كل من النساء ومريم والمجادلة جاءت مادة الصوم مرة واحدة .

وسأحاول هنا عرض هذه المادة ، والحديث عنها حديثا لا يهتم بالجزئيات والتفريعات واختلافات



للاستاذ محمد الدسوقي
المحرر بمجمع اللغة العربية ـ القاهرة

المفسرين والفقهاء ، ولكن يهتم بالمعنى الكلي والفكرة العامة مع ملاحظة ترتيبها فى المصحف .

٣ : ـ أما سورة البقرة فقد وردت فيها مادة الصوم سبع مرات ثلاث منها فى ثلاث آيات متتاليات ، وأربع فى آيتين غير متتاليتين .

والآيات الثلاث هي « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » الآية .

والآية الاولى من هذه الآيات تتحدث عن فريضة الصيام ،فالله تبارك وتعالى قد كتب علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا ، لأن قوله تعالى « كتب عليكم » معناه فرض عليكم مثل قوله « كتب عليكم القتال » وقوله « كتب عليكم القصاص فى القتلى » . .

والقرآن الكريم فى حديثه عن الصيام ـ كما يبدو من هذه الآيات ـ يسير على طريقته من الترغيب والتحبيب ، فالصيام فريضة خالدة على المؤمنين بالله فى كل دين ، تحقيقا لوصل قلوبهم بالله واستشعارها خشيته ومراقبته وتقواه ، وقد فرض علينا كما فرض على غيرنا وفى هذا تحبيب للنفوس للاقبال على الحفاظ على هذه الفريضة وأدائها كاملة .

سماحة الاسلام ويسره

ثم قررت الآية الثانية أن الصوم أيام معدودات فليس فريضة العمر ، وتكليف الدهر ، ومع هذا فقد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا ، والمسافرون حتى يقيموا ، تخفيفا وتيسيرا ، والذين يمكنهم أن يصوموا ولكن ينالهم بسببه جهد ومشقة بالغة مثل بعض المرضى المزمنين والشيوخ الهرمين ، لهم أن يفطروا ، وأن يطعموا كل يوم مسكينا فدية عن أنفسهم ، ومن أراد أن يغالب المشقة مادام ذلك فى طوقه دون ضرر ولا عاقبة سيئة كاحداث مرض بسبب الجهد ، أو زيادة ضعف يؤدى الى الاستعداد للمرض ، من أراد أن يغالب المشقة دون حدوث هذه المضاعفات فمن الخير له أن يصوم « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

أما الآية الثالثة فقد حددت وقت الصيام وزمانه فهو شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، فهو شهر له منزلة خاصة وفضل كبير ، فيه نزل القرآن الذى أخرج الناس من الظلمات الى النور ورسم لهم سبيل الرشاد والفلاح فى العاجلة والآجلة فهو شهر خليق بأن

يتقرب فيه الى الله بالعبـادة وذلك عن طريق صيامه وقيامه ، والله الرحيم الرحمن لا يريـد بعباده العسر ولكن يريـد بهم اليسر ، ولذلك رخص للمريض والمسافر أن يفطر ثم يصوم بعـد ذلك ، لأن الغرض من الصيام ليس العسر والمشقة ولكن التقوى والطاعة والعمل الصالح .

والصوم علىهذا نعمة تستحقالشكر والاعتراف بالنعمة « ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكـم تشكرون » .

٤ : ـ والآية التي ذكر فيها الصوم مرتين أولا هي : ـ

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم ، وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل » الآية .

تشير هذه الآية الى أن الصائم بعد افطاره كان اذا نام ، ثم صحا قبل الفجر فان المباشرة للنساء والطعام والشراب لا تحل له ، وكان هذا يشق على بعضهم فيخالفونه فخفف الله عن عباده « علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم» فأباح لهم كل ما يبيحه الفطر طوال الوقت مـن المغرب الى أن يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر .

روى البخارى عن البراء قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار ، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى ، وان قيس بن صرمة الانصارى كان صائما ـ وفى رواية كان يعمل بالنخيل بالنهـار وكان صائما ـ فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال لها أعندك طعام ؟ قالت . لا . ولكن انطلق فاطلب لك . وكان يومه يعمل ، فغلبته عيناه ، فجاءت امرأته ، فلما رأته قالت : خيبة لك ! فلما انتصف النهار غشى عليه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم»ففرحوا فرحا شديدا فنزلت. « وكلوا واشربوا » .. الخ .. (تفسـير القرطبي جـ ٢ ص ٢٩٤) .

٥ ـ وأما الآية الثانية التى جاءت فى سـورة البقرة وذكر فيها الصوم مرتين فهي :

وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فمـا استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجـد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحـرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب » .

تتحدث الآية عن الاحصـار فى الحج ، وهو أن يعرض للمحرم ما يحول بينه وبين اتمام الحج أو العمرة من مرض أو عدو أو سجن مثلا .

فاذا أحصر المحرم عن ركن من أركان الحج ، فان غلب على ظنه زوال الحصر فى مدة يمكنه بعدهـا ادراك الحج ، أو يتيقن المعتمر قرب زوال المانع فى ثلاثة أيام لم يتحلل من احرامه حتى يتم حجه أو عمرته ، وان لم يغلب ذلك على ظنه فله أن يتحلل بذبح مـا استيسر من الهدى ، وأقله شاة تجزىء فى الاضحية فان كان الاحصار فى الحرم وجب الذبح فيه وان كان فى الحـل فالاحسن أن يرسل الهدى الى الحرم ليذبح فيه ان أمكن ذلك ، وعليه ألا يحل من احـرامه حتى يبلغ الهـدى محله ، ويذبح فيه ، فان لم يمكنه ذلك ذبح حيث أحصر ولو فى غير الحرم ، ومن عجز عن الشاة أخرج بقيمتها طعاما يجزىء فى الفطرة ، وفرقه على مساكين المحل الذى أحصر فيه ، فان عجز صام عن كل مـد يوما ، ولا تسقط الفريضة بذلك عن المحصر ولكن عليه القضاء .

هذا ما يتعلق بشطر الآية الاول ، أما الشطر الثاني « فاذا أمنتم » .. الخ فمعناه أن يحرم الرجل ـ من غير مكة ـ بعمرة فى أشهر الحج حتى اذا أداها أقام غير محرم بمكة الى أن أنشأ الحج منها فى عامه ذلك قبل رجوعه الى بلده ، أو قبل خروجه الى ميقات أهل ناحيته ، فاذا فعل ذلك كان متمتعا ، وعليه ما أوجب الله على المتمتع ، وذلك ما تيسر من الهدى يذبحه ويعطيه للمساكين بمنى أو بمكة فان لم يجد صام ثلاثة أيام وسبعة اذا رجع الى بلده ، وليس له صيام يوم النحر باجماع المسلمين ، واختلف فى صيام أيام التشريق . (تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٣٦٨) .

صيام الكفارة

٦ ـ وفى سورة النساء يقول الله تعالى آية ٩٢ .

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » .

موضوع هذه الآية القتل الخطأ وآثاره وهي تشير فى مستهلها الى أن القتل العمد محرم ، لأنه كبيرة لا ترتكب مع ايمان ، فما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا عمدا .

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

اما اذا وقع القتل الخطأ فاما ان يكون القتيل مؤمنا من قوم مؤمنين فيجب عندئذ تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله ، واما ان يكون مؤمنا ولكن اهله كفار بينهم وبين المسلمين عداوة ، ففى هذه الحالة لا دية لانه لا يجوز ان يدفع المسلمون مالهم الى عدوهم ليحاربهم به ، ولكن يجب تحرير رقبة مؤمنة ، تعويضا للحياة وللمؤمنين عن ذلك القتيل ، فاذا كان هذا من قوم معاهدين او ذميين معصومى الدم ، بينهم وبين المسلمين ميثاق وعهد، فيجب تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله ، ولا يذكر النص ان كان هو مؤمنا او كافرا او ذميا، مما يشعر بأن الميثاق يسوى بين الجميع فى الدية والفدية ، وهذا موقف تشريعى لا نظير له فى التشريعات الوضعية ، عدالة مع الجميع ، ومراعاة لحقوق المعاهدين والمستأمنين ومساواتهم بغيرهم من المسلمين ..

فاذا عجز القاتل عن تحرير رقبة بأن لم يجدها، او يجد ثمنها ، وكذلك اذا عجز عن دية يدفعها ، فعليه صيام شهرين متتابعين،شهرين يراقب فيهما ربه ، ويطهر نفسه بحبسها عن شهواتها لتصفو ، وتتخلص مما بها من ادران الاثم ، ليلقى المؤمن ربه طاهرا خاليا من الذنوب والاوزار .

٧ : ـ وفى سورة المائدة وردت مادة الصوم فى آيتين :

الاولى ـ « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، او كسوتهم او تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

الثانية ـ يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام .

تتحدث الآية الاولى عن عدم المؤخذة فى لغو اليمين ، وعن الحنث فى اليمين المراد وكفارته ، واللغو فى اليمين هو قول الرجل فى الكلام من غير قصد لا والله وبلى والله ، وقيل اليمين فى الغضب

وقيل فى النسيان ، وقيل هـو الحلف على تـرك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك لقوله تعالى : « لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم » .

قال الراغب اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر ، فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور ، الى ان قال : ومنـه اللغو فى الايمان اى مالا عقد عليه وهو ما يجرى وصلا للكلام بضرب من العادة .

والقرآن الكريم عندما يبين ان لغـو اليمين لا شيء فيه فانه يؤاخذ المسلم على حنثه فى يمينه المقصود، ففرض عليه نظير حنثه كفارة اطعام عشرة مساكين من اوسط ما يأكل النـاس او كسوتهم فاذا لم يستطع ذلك فعليه تحرير رقبة مؤمنة فان عجز فعليه صيام ثلاثة ايام ، وهى ادنى ما يكفر به عن يمينه فان عجز عنها لمرض نوى الصيام عند القدرة فان لم يقدر استغفر ربه لعله يقبله ويعفـو عنه . .

والآية بعد هـــذا تدعو الى حفظ الايمان فلا تبذل فى كل مجال ولا تقال الا لاحقاق الحق وازهاق الباطل ، وقوله « واحفظوا ايمانكم » ايماء الى التقليـل من الايمان الصادقة فضـلا عن الكاذبة وصـــدق الله العظيم « ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم » .

اما الآية الثانية فتتحدث عن الصيد فى الحرم ، فقد جعل الله مكة حرما ، وجعل بيته فيها مثابة للناس وأمنا ، فالمحرم لا يجوز ان يقتل صيدا فيها وهو الحيوان الوحشى غير الضار ، وكما لا يجوز قتله لا يجوز صيده او تنفيره ، فمن قتل صيدا — وهو محرم — فكفارته ان يذبح بهيمة من الانعام من مستوى الصيد الذى قتله ، فالغزالـة مثلا تجزىء فيها نعجة ، وهكذا على ان يتولى الحكم فى هذا رجلان عدلان من المسلمين ، فاذا لم يكن هناك من الانعام مثل الصيد المقتول ، فالحكمان يقومانه بمال يشترى به ذبيحة تذبح عند الكعبة « هديا بالغ الكعبة » وينال لحومها الفقراء ، هذا او كفارة طعام مساكين بما يعادل ثمن الهدى المقدر ، او صيام ايام بعدد المســاكين الـذين كان ينالهـم الاطعام . . .

وقد شدد الاسلام فى هذه العقوبة ، ليظل الحرم امانا ليس فيه ما يعكر الصفو او يكدر الخاطر حتى ولو كانتنفير حيوانوحشى وليسأولعلى شدة العقوبة من قوله تعالى — ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (تفسير الامام محمد عبده جـ ٧) .

٨ — وفى سورة مريم جاءت مادة الصوم فى قوله تعالى : « فكلي واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا » .

والآية تشير الى طرف من قصة مريم ، وعيسى عليهما السلام ، فعندما فاجأ المخاض مريم، اتخذت من جذع النخلة سـندا وستارا وتصـورت ماذا سيقول لها الناس وهى العذراء التى لم يمسسها بشر ، فقالت « يا ليتنى مت قبل هـذا وكنت نسيا منسيا » ولكن الملك الـذى بشرها بغلامها ناداها لا تحزنى فبجوارك النهر والنخيل ، فكلى من الرطب الطيب واشربى وطيبى نفسا فاذا رايت أحدا من البشر ينكر عليك امرك ، فاشيرى اليـه بأنك صائمة عن الكلام ولن تتحدثي الى احد .

فالصوم فى هذه الآية يقصد به امساك عن القول ويؤكده آخر الآية « فلن اكلم اليوم انسيا » .

٩ : — وفى سورة الاحزاب يقول اللـه تبـارك وتعالى :

« ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنـات والقانتين والقـانتات والصـادقين والصـادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصـدقات والصائمين والصـائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكـرين اللـه كثيرا والذاكرات ، اعد الله لهم مغفـرة واجـــرا عظيما » .

هذه الآية تتحدث عن صفاتواخلاق الذين رضى

الله عنهم وغفر لهم ، وتجاوز عن زلاتهم وأعد لهم ثوابا عظيما واجرا جزيلا ، وقد جاء الصوم فيها من صفات ومميزات هؤلاء الاطهار الابرار من الرجال والنساء .

١٠ : ـ والآية الأخيرة التى جاءت فى سورة المجادلة هى : ـ

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا » « الآية » .

الظهار هو ان يحلف الرجل على امرأته بانها محرمة عليه كظهر امه ، او من جرى مجراها من ذوات المحارم التي لا يجوز له التزوج بهن بحال .

فاذا قال الزوج ذلك ثم عاد لما قال ، بان اراد امساكها والوطء معا ، او عزم على وطئها فقط ، فقد اختلف الفقهاء فى تفسير معنى العود (راجع بداية المجتهد لابن رشد) .

اذا عاد الزوج فيجب عليه كفارة قبل ان يطأ زوجته هى تحرير رقبة مؤمنة فاذا لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان عجز عن الصيام ، اطعم ستين مسكينا ، ثم تحذر الآية بعد ذلك من اهمال حدود الله .

١١ : ـ وبعد فقد تحدث القرآن عن الصيام حديثا مجملا ، ذكر انه فرض ، وان وقته رمضان ، واشار الى الذين لا يستطيعون ان يصوموا ، وماذا يجب عليهم ، وبين انه كفارة لبعض الذنوب ، وهذا هو منهج القرآن عامة فى تقرير الاحكام ، لا يهتم بالتفصيلات والجزئيات ولكن بالقواعد الكلية والاسس العامة ، اللهم الا فيما اقتضت الضرورة مثل احكام المواريث وقد تكفلت السنة النبوية بالشرح والتفصيل لاحكام القرآن ، وهى لهذا تعد المصدر الثانى للتشريع الاسلامى .

وقد تحدث القرآن عن الصيام من الناحية الشرعية ، كما تحدث عنه من الناحية اللغوية ، لانه كتاب لغة وتشريع ، فلولاه لاندرست العربية فى بلاد كثيرة ، ومن اجله وفى سبيل فهمه نشات علوم وقامت فى الوطن الاسلامى نهضة علمية رائعة .

والصيام فضلا عن كونه عبادة روحية سامية ، وتربية نفسية واجتماعية عالية ، جعله الله بابا من ابواب تكفير بعض الذنوب والخطايا ، ليكون امام المذنبين مجال رحب لتطهير انفسهم وتزكية ارواحهم ، وذلك فضل من الله ورحمة والله ذو الفضل العظيم . »

أدب الصوم

اذا لم يكن في السمع مني تصامم	وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي من صومي هو الجوع والصدى	وان قلت أني صمت يوما فما صمت

التعاون بين القيادة

من المصطلحات التي كثر تداولها فى الدراسات العلمية الحديثة حتى استقرت فى شتى مجالات التفكير والتعبير ، اصطلاح القيادة واصطلاح القاعدة ، وينصرف مدلول المصطلح الأول الى تلك الصفة التي تخلعها الجماعة على فرد من أفرادها تتوافر فيه مناقب ، وقدرات معينة تجعله أهلا للصدارة ، وأحق بالرئاسة ، فتنزله الجماعة منها منزلة الحاكم ، وتكل اليه تدبير شؤونها ، وحل مشكلاتها ، وتوفير أمنها ورخائها .

وقد ينصرف معنى القيادة الى السلطة الرئاسية التي يفوضها الشعب الى أحد ابنائه ، أو الى جمع منهم توسمت فيه القدرة على السير بها فى سبيل تحقيق الأهداف والآمال التي تجيش فى صدرها .

كذلك فان لفظ القيادة قد يرمز به الى صاحبها ، فتصبح القيادة بهذا المعنى هي الجماعة الحاكمة التي تحتل المراكز العليا فى المجتمع ، وتشغل منه الصفوف الأمامية ، ويسمى أعضاء الجماعة حينئذ بالقاعدة نسبة الى مكانهم من البنيان السياسي ، وموقعهم من خط السلطة .

القيادة الناجحة

ويقاس نجاح القيادة بمدى قدرتها على كسب رضاء القاعدة عنها وولاء أفرادها لها ، ولا يتاتى لها ذلك الا ببذل المزيد من الجهود لانجاز الرسالة التي ائتمنها عليها المحكومون ، وهي تحقيق الصالح العام ، ويجمع الباحثون فى جوهر القيادة ومقوماتها وأسباب نجاحها ، على أن التقاء القادة بالشعب هو أقوم السبيل المؤدية الى تعاون مختلف الفئات فى سبيل صلاح المجتمع وتقدمه ، ذلك لأن القائد لن يستطيع بمفرده ــ مهما أوتى من موهبة ومقدرة ــ أن يتغلب على جميع المشكلات التي تعترض طريقه ، ويقيم صرح المجتمع على أسس راسخة وطيدة . كذلك فان المحكومين ليس فى وسعهم أن يحققوا أهدافهم فى اقامة العدل والمساواة والرخاء ما لم يكن لهم دليل يحدوهم الى هذه الغاية . ولقد أدرك الناس بالبداهة هذا المعنى منذ فجر التاريخ فقال الشاعر القديم : ــ

البيت لا يبتنى الا له عمد
ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فالقائد يمثل الرأس بالنسبة الى الجسد ، فهو القوة المفكرة والطاقة الدافعة ، أما بقية أفراد الجماعة فهم بمثابة أعضاء هذا الجسد ، فلا غنى له عنها ، ولا غنى لها عنه . ومن ذلك يتبين أن المجتمع الصالح هو الذى تتآلف فيه كل أعضائه ــ ابتداء من الصف الأول حتى الصف الأخير ــ وتتحد فى نظام منسق ، وتعمل فى تعاون تام ، فلا تنافر ، ولا تضارب بينها ، وانما وحدة قوية متماسكة .

والقاعدة في الإسلام

للمقدم حسن فتح الباب

على أن مهمة توفير هذه الوحدة وذلك التناسق انما تقع على عاتق رئيس الجماعة لأنه على قدر السلطة تكون المسئولية ، ولأنه يملك من الموهبة والتجربة والسلطان ما يستطيع به رسم الطريق الصحيح الذى يسلكه أفراد المجتمع ، وتهيئة هؤلاء الأفراد وتدريبهم على السير فى هذا الطريق ، وممارسة العمل الجماعي المثمر .

الرسول القائد

وتثبت الدراسات المقارنة لتاريخ المجتمعات والحضارات الانسانية أن المجتمع الاسلامي فى عصوره الأولى كان مجتمعا مثاليا فى تماسكه وتعاونه ووحدته بفضل القيادة الرشيدة الواعية .

وقد كان النظام الاسلامي أفضل الأنظمة السياسية والاجتماعية التي حققت أهدافها فى جميع الميادين بما أتيح له من قادة مؤمنين مستنيرين استطاعوا بكفايتهم الفذة أن يلتقوا بالقاعدة ، ويرفعوها الى أعلى المستويات كفاءة وأمنا وعدلا .

ولقد تمثلت فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم صفات القائد ومناقبه ، وتوافرت فى خلفائه وسائر صحابته المؤهلات اللازمة للقيادة الحكيمة ، فقيض الله على أيديهم رفعة الاسلام وازدهار حضارته فى مشارق الأرض ومغاربها ،وأنجبت الأمةالاسلامية فى عهودهم الزاهية أفضل الرجال على مدار التاريخ فى مختلف مناحي الحياة ــ من دين وسياسة واجتماع واقتصاد ودبلوماسية وحرب وغير ذلك من المجالات ، هؤلاء العظماء الذين أثروا وجدان العالم أحقابا طوالا بآيات من العقيدة والفلسفة والآداب والعلوم والفنون ، وما زالت مبادئهم وتعاليمهم قادرة على هداية الناس الى ما فيه صلاح الانسانية ورقيها .

والتعاون الايجابي بين القمة والقاعدة ــ نتيجة لالتقائهما ــ هو أول أسباب النجاح الذى أحرزه هؤلاء القادة كل فى ميدانه . ولقد بنى هذا التعاون على أساس ايمان القائد برسالته ، وحرصه على خدمة الجماعة ، وايمان الجماعة بقائدها وولائها له . ولم يكن هذا الايمان ليتحقق حتى يصبح ركيزة أساسية للتعاون لولا ما أوتيه القائد فى المجتمع الاسلامي من خصائص عديدة تتصل بالفكر والسلوك وتميزه عن غيره من الرجال .

القائد من صميم الشعب

فالقائد الذى تؤمن الجماعة بأفكاره وتستجيب لنصائحه وتذعن لقراراته ، هو الرجل الذى يولد فى كنفها ، ويشب فى رعايتها ، ويتمثل فيه ماضيها وتتبلور آمالها فى المستقبل ، فهو لسانها المعبر

وقلبها النابض ، وهو عقلها المدبر وضميرها الاجتماعي . وتتجلى هذه الصفات فى أكرم صورها فى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول الله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

فلقد نزل القرآن فى مكة عاصمة الجزيرة العربية ، واختار الله لرسالته رجلا من صميم العرب ، فهو من أهم المدن العربية وهو من قريش أكبر قبائلها ، وهو من بني هاشم أعرق بيوتها . ولا تعنى العراقة هنا الغنى والثروة بقدر ما تعنى توافر خلاصة الطباع العربية الأصيلة . فالبيئة التي ولد فيها محمد عليه السلام هي أكثر البيئات العربية تمثيلا لهذه الطباع ، والرسول هو صفوة أبناء الجزيرة فيما وهبوا من شمائل الخير ومقومات الصلاح ، فالسماحة والمروءة والصدق والأمانة والشجاعة والبلاغة والحكمة ـ تلك المناقب التي تجمع المثل العليا عند العرب قد بلغت أعلى مراتبها وأوج اكتمالها فى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قال الله تعالى فى صفته عليه السلام « وانك لعلى خلق عظيم » .

وقد استتبع ذلك ثقة الناس فى محمد عليه السلام حتى قبل بعثته ، لأنه أهل لتلك الثقة بحكم انبعاثه منبينهم،وتمثيله لأسمى خصائصهم .

وكذلك الأمر بالنسبة لرؤساء الدولة الاسلامية الأولى وعمالهم على الأقاليموهمالخلفاء الراشدون وولاة الامصار ، اذ أنهم جميعا من البيئة العربية مولدا ونشأة ولقد تسلموا مقاليد القيادة بعد عهد النبي الكريم باتفاق المسلمين واجماع أهل العقد منهم ، فلم يفرض على المجتمع الاسلامي فى « المدينة » العاصمة حاكم غريب عليه ينصب خليفة على المسلمين دون اختيارهم ومشيئتهم الحرة ، بل كان الخلفاء جميعا ينتمون فى نسبتهم الى الأصل العربي العريق ، وتكتمل فيهم صفاته ومقوماته الذاتية ، ومن ثم صلح أمر الاسلام والمسلمين جميعا .

فلما تغيرت الحال بعد عدة قرون من الزمن وفرض على الرعية حكام غرباء عنها ـ انعدمت الثقة العامة فى هؤلاء الحكام ، فكانوا يحكمون بمقتضى القوة المفروضة لا القيادة الحقيقية ، ودب الخلاف بين المسلمين فاستشرى الوهن فى أطراف دولتهم بسبب الانفصال ، وتعذر التفاهم والتجاوب بين الرأس والقاعدة وما نجم عن ذلك من الفرقة وانتفاء التعاون بل استحالته . فالقائد الذي ينبع من قلب المجتمع هو الذى يدرك طبيعة هذا المجتمع ، ويكون أشد دراية بمشكلاته وأساليب حلها ، وأعرف باحتياجاته وطرق اشباعها ، وهو الأحرص على الاستجابة لآماله والشعور بآلامه والعمل على تقدمه .

القائد صاحب رسالة

ومن أبرز مقومات القائد ـ بعد انبثاقه من صميم البيئة ـ أن يكون ذا رسالة اصلاحية أصيلة تهدف الى تلبية مطالب الناس فى العيش الحر الكريم ، وتتفق مع ظروف الزمان والمكان ، وأن يكون بصيرا بطبيعة هذه الرسالة وأفضل الوسائل لابلاغها ، وأن يوضح أهدافه ويحكم تحديدها .

وليس أسمى من رسالة الاسلام هدفا ولا أعظم منها ولا أهدى عقيدة تتفق مع الفطرة السليمة ، فهي فى جوهرها تحرير للفرد وللمجتمع من اسار العبودية والجور ومن السلوك المنافي للقيم العليا والفضائل الانسانية . وليس أجلى بيانا ووضوحا من كتاب الله وأحاديث رسول الله ووصايا صحابته . فرسالة الاسلام تعكس الجانب الوضيء من النفس الانسانية ، كما تتلاءم مع مطالب الانسان الكريمة فى كل مكان وكل أوان وحاجته الى الأمن والتقدم .

ولقد حدد القرآن والحديث ـ وهما دستورا الشريعة الاسلامية ـ مقاصد الاسلام فى قواعد أساسية لا غموض فيها ولا تعقيد . فالدين

الاسلامي قـــد بني على فرائض خمس محددة ، والدولة الاسلامية قامت لتحقيق أهداف محددة هي الحرية والعدل والتكافل الاجتماعي والوحدة فى مختلف مناحيها . وفى وضوح رسالة الاسلام يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « الحلال بين والحرام بين » . ويرجـع الى ســمو الهدف ووضوحه ـ كما جاء به الاسلام ـ اقتناع الناس به واتحادهم لنصرته وتضحيتهم فى سبيل تثبيته وتدعيمه ونشره على أوسع نطاق وفى أقل زمن . وتبدو أهمية هذا المقــوم الأساسي مــن مقومات القيادة وهو الوضوح الفكرى لطبيعــة الرسالة وغاياتها ، اذا لاحظنا ما يجره غموض الهدف ولو كان شريفا من اختلاف فى التفسير والتأويل ، وما يؤدى اليه ذلك من جدل طويل متشعب ، وقــد يسفر فى النهاية عن اختلاف الناس مذاهب وشيعا وأحزابا متفرقة، مما يهدد وحدة الجماعة بالتفكك، ويفت فىعضدها ، ويطمع فيها أعداءها ، فيتسللون اليها فى غمرة انغماسها فى المجادلات العقيمة ، نافذين الى الجبهة من خلال الثغرات التي يحدثها الانقسام فى الرأى ، ليزيدوا الخرق اتســاعا حتى يصعبعلى الراتقكما يعبرر الشاعر العربي القديم، ولم يبتل الاسلام بمحنة فى عصوره المتأخرة كمــا ابتلى بالخصومة فى الــرأى والصراع المذهبي ، نتيجة لما أثاره المفرضــون والجاهلون مــن ريب حول مفاهيم العقيدة وأهدافها ، برغم وضوحها البين فى القواعد والمبــادىء الأساسية ، أمــا التفاصيل فهي لا تؤثر فى الجوهر ومن ثم لا تقوم مبررا لشدة الخلاف وتفرق وجهات النظر .

لذلك فان الآيات القرآنية التى تحدد الهدف من الدعوة الاسلامية لا تقع تحتحصر ،ولقد ساقها الله تعالى فى اسلوب واضح محكم منعــا للبس والغموض . وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فيما صدر عنه من قول او فعل فى تعريف العقيدة وتحديد اهدافها ، اذ كان يتحرى الايضاح والبساطة ومخاطبة الناس على قدر عقولهــم ، وتقريب المعنى فى ايسر واقل لفظ ، وصولا الى سهولة الفهم ويسر الاقتناع . وقد طالما انذر المشرع الاسلامى فى القران والحديث منمغبة الخلاف حول تفسير الهدف من الدعوة اتقاء لآثاره الوخيمة على الاسلام والمسلمين ، ذلك لان وحدة الصف فى العالم الاسلامى لا يمكن ان تقوم لها قائمة دون وحدة الهدف ، ووحدة الهدف بدورها لا تتــأتى الا بايضاحه وتحديده .

على ان وضوح اسلوب تحقيق الهدف ووسائله لا يقل اهمية عن وضوح الهدف ذاته ، اذ يتعذر العمل السليم دون الاتفاق على الغاية والوسيلة معا ، ولا يمكن الفصل بينهما لانهما يشكلان وحدة اساسية واحدة ، او هما يكونان ـ بعبارة اخرى ـ عملة واحدة ذات وجهين ، فاذا اصاب الضعف او القصور احدهما تأثر الآخر بالتبعية وانعكستعليه مساوىء الاول . ولا شك فى ان اشد مظاهر الضعف هو الانقسام حول طبيعةالهدف او اسلوب تنفيذه .

والاسلام يحرم « الميكيافيلية » التى تزعم ان الغاية تبرر الوسيلة بمعنى انه طالما كانت الغاية مشروعة فلا بأس من الوصول اليها بأية وسيلة ، سواء اكانت مشروعة ام غير مشروعة . فالمشروعية فىالاسلام شرط اساسى للهدف والوسيلة معا اتفاقا مع كمال الرسالة ودعوتها الى نبذ الخداع والى التخلق بآداب الشرع الحكيم فى الصدق والامانة والاخلاص . فالغاية التى تتم عن طريق لا اخلاقى مثل الكـذب والتضليل والتغـرير ، او العسف والجور والاضطهاد ، لا يمكن ان توسم بالشرف او توصف بالصحة والسلامة . لان كل ما يترتب على الباطل فهو باطل كما تقضى بذلكالمبادىء القانونية السليمة . والرسول عليه السلام يقول « مـن غشنا فليس منا » .

القائد قدوة

ومن اهم صفات القائدة الحق ان يكون قدوة للناس ولن يتأتى له ذلك الا اذا طابق فعله قوله ، فتتأكد ثقة الناس فيه ، ويحتذيه اتباعه فى سلوكه، ويزداد ايمانهم بفضله واكبارهم لقيادته . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم خير قـدوة يحتذيها المسلمون ثقة به وايمانا بدعوته . وصدق الله العظيم « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » فما نطق الرسول بقول ولا اعلن مبدأ دون

البقية على ص ٤٦



في حريـة الرأي

العصور الوسطى المظلمة كانت مظلمة في اوروبا

بين الفكر والدين

في الوقت الذى استحكمت فيه العداوة بين حرية الرأى وقداسة الدين فى أوروبا ، كانت هناك مدنية اسلامية عظيمة تنادى بالمواءمة بين العقل والشرع ، أو بين الفكر والدين ، وتقول بلسان الفيلسوف الاسلامي العظيم أبى الوليد ابن رشد ((**واذا كانت هذه الشرائع حقا ، داعية الى النظر المؤدى الى معرفة الحق ، فانا معشر المسلمين نعلم على ـ القطع ـ أنه لا يؤدى النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فان الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له ..**)) .

وانطلقت فلسفة ابن رشد هذه فى جنوب فرنسا وايطاليا ففزعت خفافيش الكهانة من نورها الوهاج ، ولاذت بسراديب « محاكم التفتيش » (١) الأوروبية ، وقرر مجمع « الاتران » أن كل من ينظر فى فلسفة ابن رشد ملعون مطرود من رحمة الكنيسة والرب ، وما أكثر اللعنات التي صبها « الدومينكان » بغير حساب على ابن رشد ، وفلسفة ابن رشد ، **ولكن بعض جامعات اوروبا لم تعبأ بهذه اللعنات الحمقاء ، فاتخذت من كتب ابن رشد ، وآرائه فى الفلسفة والطب منارة هادية ، وشهدت له بأنه أول من فهم وظيفة شبكة العين ، وأول من لاحظ أن الذى يمرض بالجدرى مرة لا يمرض به مرة ثانية .**

وظلت فلسفة ابن رشد قرونا عدة ،

---

(١) هذه المحاكم سبة عار فى جبين التاريخ الأوروبي ، وانظر شيئا من مهازلها وجرائمها فى « قصة النزاع بين الدين والفلسفة » للدكتور توفيق الطويل من ص ٣٨ وكتاب « محاكم التفتيش » ترجمة الدكتور علي مظهر .

على أوروبا والعقيدة

للاستاذ الغزالي حرب
ـ القاهرة ـ

كانت البلاد الإسلامية في تلك العصور يشع منها نور العلم والحضارة

وهي الدرة الوضاءة الهادية للعالم بأسره ، ولا سيما أوروبا ، وفى ضوئها اكتشف « كريستوف كولمب » الدنيا الجديدة كما أعترف هو نفسه بذلك ، فأثار عليه الكنيسة والكهانة ، وحكم عليه مجمع « سلامانك » بأنه خالف أصول الدين ، لا لشيء الا لأنه أقر لابن رشد وفلسفته بفضل دفعه الى الرحلة والاستكشاف ! ! .

هذه المواءمة بين الفكر والدين ــ التى هي لباب فلسفة ابن رشد ــ ليست الا من صميم الاسلام ، الذى كفل حرية الرأى والعقيدة كفالة هي مضرب الأمثال فى أرقى العصور ، فضلا عن العصور الوسطى ، وأزاح كل عقبة وضعتها الكهانة وحلفاؤها فى طريقها ، وحررها من كل سلطة تحول بينها وبين الانطلاق والتحرر والتقدم الوثاب المستنير .

سلطة التقاليد

١ : ــ حررها من سلطة التقاليد التي كانت لها قداستها عند العرب فى الجاهلية ، فدعاهم الاسلام الى الثورة عليها ، والتخلص منها بآيات كثيرة ، حسبنا منها الآية القائلة : « واذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ ! .

وكانت لها قداستها عند الكهانة فى اوروبا مئات السنين ، وما زالت لها قداستها حتى كتابة هذه السطور عند الارثوذوكس والكاثوليك الذين يسمون نفوسهم « المسيحيين التقليديين » ويعتبرون التقاليد بمنزلة الانجيل ، قال الأب لويس معلوف اليسوعي (١) « التقاليد عند النصارى هي ما اتصل بنا من العقائد أو أمور العبادة خلفا عن

(١) المنجد ص ٤٦٥ .

سلف ، مما أوحى الله به الى كنيسته ، دون أن يسطر فى الكتاب المقدس » .

ولأمر ما آمن المسيحيون بالعقيدة الجديدة التي ارتضاها البابا منذ عهد ليس ببعيد ، وأعنى بها عقيدة رفع السيدة مريم العذراء بجسدها الى السماء ، وفى ذلك يقول الأستاذ مجدى دوس رئيس جمعية الشباب الكاثوليكي بمصر ما نصه : « صحيح أن الانجيل لم يذكر ارتفاع السيدة مريم العذراء بجسدها الى السماء ، ولكن الانجيل فى عرف الكنائس التقليدية ، أعنى الأرثوذكسية والكاثوليكية ليس هو مصدر الايمان الوحيد ، بل ان هناك تعاليم كثيرة لم تدون بالانجيل ، ولكن الخلف تلقوها عن السلف ، فحافظوا عليها واحترموها ، فتعتبر بذلك من التقاليد الثابتة المرعية التي لا تقل عن الكتاب نفسه قوة وثباتا ، وعقيدة انتقال العذراء مريم الى السماء بجسدها ثابتة بالتقليد ، منذ العصر الأول » ! ! .

هذه التقاليد التي قدسها أهل الأديان السابقة على الاسلام لم يعترف بها الاسلام أدنى اعتراف بل حاربها ، وحارب الجامدين عليها فى غير ما هوادة أو لين ، لأنه رآها عقبة كأداء فى سبيل المواءمة بين حرية الفكر والدين ، واذا كان البروتستانت قد ثاروا على التقاليد بقيادة « مارتن لوثر » فى القرن السادس عشر فان الفضل فى هذه الثورة التقدمية ولا شك للاسلام ، الذى سرى بروحه وتعاليمه ومدنيته الى الغرب الأوروبى على ثلاثة جسور ، أولها الشام فى العهد الصليبي (١٠٩٨ — ١٣٠٠) وثانيها صقلية فى عهد الاغلبيين (٨٣١ — ١٠٩١) وثالثها النورمنديون واسبانيا فى عهدها الاسلامي .

على أن البروتستانت مع الأسف يلتقون والمسيحيين التقليديين عند تقديم الايمان الأعمى على التفكير البصير عملا منهم بمبدأ القديس ((أتسليم)) : ((يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت)) .

أما الاسلام فيقدم النظر والبحث على الايمان ويقول لأتباعه أولا « انظروا ماذا فى السموات والارض » « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » « فلينظر الانسان الى طعامه » « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا . . . » ثم يقول لهم ثانيا « آمنوا بالله ورسوله » لا كما آمن آباؤكم واسلافكم،ولكن كما تراءى لكم فى ضوء النظر والبحث . . .

سلطة رجال الدين

٢ : — وكما حرر الاسلام حرية الرأى والعقيدة من سلطة التقاليد حررها من سلطة رجال الدين ، فليس فى الاسلام « رجال دين » لهم ما لرجال الدين فى المسيحية مثلا من سلطة روحية فى اية صورة من الصور وليست فيه آية واحدة من طراز آية انجيل متى ١٦ ، ١٩ « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات ! ! .

ورسول الاسلام نفسه ليست له اية سلطة على أى انسان ، ولا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضرا ، وما هو الا انسان مبلغ للرسالة » ما على الرسول الا البلاغ » ، ووظيفته التذكير والارشاد ، لا السيطرة ولا الهداية الفعلية « فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » انك لا تهدى من أحببت الخ » .. وحينما طلب كفار قريش اليه ما هو فوق طاقة البشر أجابهم فى تواضع الانسان العظيم بانسانيته « سبحان ربي .. هل كنت الا بشرا رسولا ؟ ! ! « وليس فى الاسلام منذ اربعة عشر قرنا ما لا يزال معترفا به حتى اليوم لبعض آباء الكنيسة ، وهو ما يسمى « قرارات الحرمان » التي لها ضحاياها قديما وحديثا مع الأسف الشديد ...

الانقياد الأعمى

٣ : ــ وحرر الاسلام أيضا حرية الراى والعقيدة من سلطة الانقياد الأعمى لكل ما يقال كائنا ما كان القول ، وكائنا من كان القائل . فلا قبول لقول ولا تسليم به الا بعد البحث والنظر . فى حرية تامة ، أوضح ابن رشد معالمها بقوله : **« ينبغي لنا أن نضرب بأيدينا الى كتب الأوائل ، فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه »** وقوله **« يجب علينا ان لقينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرا فى الموجودات واعتبارا لها بحسب ما تقتضيه شرائط البرهان ، أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك ، وما أثبتوه فى كتبهم ، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم ، وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان فيه غير موافق للحق نبهنا عليه ، وحذرنا منه ، وعذرناهم »** واذن فلا بد من النظر والبحث ، ولا بأس على الباحث من الشك الذى أشاد به « الغزالى » قبل « ديكارت » بعدة قرون ، واعتبره سبيلا الى اليقين .

ومن أدب الاسلام السمح الكريم أن نحسن الظن بكل ما يصدر عن طلاب الحقيقة، ولو صدر عنهم ما يحتمل الكفر ويحتمل الايمان فواجبنا أن نحمله على الايمان « ومن كفر مسلما فقد كفر » كما قال عليه الصلاة والسلام . ومن طرائف الاستاذ الامام محمد عبده قوله(١) فى اثناء الحديث عن الاتهام بالالحاد والزندقة : « لا أكاد أخطىء القارىء اذا زعم أن المسلم انما استفاد اسم زندقة وتزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما علمه جيرانه اذ كانوا يقولون هرتقة وتهرتق وهو هرتوقي ، أو ما يماثل ذلك ، أو زعم أن قد فشت فى المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشددة ، وأن الذى سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند المسلمين ، بجهلهم بأصوله ومقوماته ، ومتى ضعف المزاج استعد لقبول المرض ــ كما هو معلوم » .

الحكمة ضالة المؤمن

والباحثون عن الحقيقة فى الاسلام يجب أن يطرحوا التعصب على حسابها ،

(١) العلم والمدنية للاستاذ محمد عبده .

فليلتمسوها أنى وجدوها ، ولو عند من لا يدين بدينهم ، والى هذه السماحة المثالية الرحيبة دعا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قائلا : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها .. يأخذها من أى وعاء خرجت .. يأخذها ولو من أهل النفاق (١) » وقد هيأت المدنية الاسلامية للباحثين عن الحقيقة جميع وسائل البحث ماديا وأدبيا ، وذلك فى الوقت الذى كانت أوروبا فيه تتخبط فى دياجير الجهالة والكهانة والخرافات ، ومن هذه الوسائل تلك المكتبات الاسلامية العظيمة التي حفلت بها بغداد ، وقرطبة ، ومصر عامرة بآلاف المجلدات فى شتى العلوم والفنون والآداب ، وبذلك سبق الاسلام أوروبا بمئات السنين الى محاربة الجهالة والأمية ، من سمرقند ، وبخارى ، الى فارس وقرطبة ، كما اعترف بذلك جبون وغيره من منصفي الأوروبيين .

وكان المسلمون على الرغم من انقسامهم الى عباسيين فى آسيا وأمويين فى أوروبا وفاطميين فى افريقية يتنافسون جاهدين فى محو الأمية ، ونشر الثقافة واتاحة حرية البحث والنظر كاملة لجميع الفلاسفة والعلماء والأدباء ، دون ما نظر الى أديانهم أو عقائدهم أو أوطانهم أو أجناسهم ، وكما وسعت سماحة الدولة الاسلامية الفلاسفة المسلمين أمثال : الكندى والفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن رشد ومحمد بن موسى الخوارزمي وأحمد الفرغاني وعلي ابن ابى الرجال ، وأبي معشر البلخي ومحمد بن جابر الحراني المشهور بالبتاني .. وسعت كذلك غير المسلمين من المسيحيين واليهود والوثنيين وغيرهم أمثال يوحنا بن ماسويه ، وجيور جيس بن بختيشوع ، ونوبخت المنجم ، وولده أبى سهيل ، وابن توما النصراني ، ومتى بن يونس المنطقي أستاذ الفارابى ، وأولاد موسى بن شاكر ، وثابت قرة ، وحنين بن اسحق شيخ المترجمين فى عصر المأمون ، وابن ميمون اليهودى المتوفى عام ١٢٠٤ م ، وكثير من الصابئين وعباد النجوم ، الذين نقلوا فى ظلال هذه الحرية من اليونانية الى العربية مؤلفات اقليدس ، وأرخميدس ، وبطليموس وغيرهم ..

ومن أسطع الادلة العملية على كفالة الدولة الاسلامية لحرية الرأى والعقيدة كاملة غير منقوصة أن عدد الفرق الدينية والفلسفية والعلمية التي كان بعضها يصارع بعضا فى ظلالها أربى على مائة وعشرين فرقة تحدثت عنها مؤلفات اسلامية كثيرة منها كتاب « الفصل فى الملل والنحل » لابن حزم الظاهرى المتوفى عام ٤٥٦ هـ وكتاب « الملل والنحل » للشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨ هـ وكتاب « الفرق بين الفرق » وكتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للفخر الرازى المتوفى عام ٦٠٦ هـ ١٢٠٩ م . والى جانب هذه الفرق والمذاهب الفلسفية والدينية والعلمية نجد المذاهب الفقهية الكثيرة : كمذهب أبى حنيفة ومذهب مالك ، ومذهب الشافعي ، ومذهب ابن حنبل ، ومذهب الزيدية ، ومذهب

---

(١) صحيح الترمذى وغيره .

الأوزاعي ، ومذهب الليث بن سعد ، كما نجد آراء علمية مستقلة تنسب الى أصحابها من الصحابة أو التابعين أو المتأخرين كعبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن مسعود ، ومعاذبن جبل، وعلي بن أبي طالب ، وأبي ذر الغفارى ، وأبي هريرة والحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي وأبي يوسف وسحنون والمزنى ، والبويطي ،وابن أبي ليلي ، وابن شبرمة ، والثورى ، وابن جرير الطبرى ، وداود الظاهرى،والغزالى وابن حزم وابن تيمية وابن القيم والشوكاني والصنعاني ومحمدعبده(١) ، ومحمد مصطفى المراغي وعبد الحميد سليم ، ومن هؤلاء الأحرار، الذين لهم آراؤهم المستقلة أحيانا ، وطالما ثاروا على التقليد لاى امام من الأئمة ، ورحم الله المزني صاحبالامامالشافعي، فقد نقل فى أول مختصره « نهي الشافعي عن تقليده وتقليد غيره ، لأن التقليد ألد أعداء حرية الرأى » « وهل يقلد الا عصبي أو غبي » كما قال علي بن حرب (١) ؟ ! .

هذه الحرية العظيمة السمحة ، التي وسعتها الدولة الاسلامية ، ظلت أوروبا محرومة منها أكثر من عشرة قرون ازهقت الكهانة خلالها آلاف الأرواح البشرية ، ولاحقت بلعناتها الأحرار .. بل أبناؤهم وذريتهم الأبرياء ، التي استباحت الكهانة أن تأخذهم بذنوب آبائهم ، ولا ذنب لهم الا حب الحرية — وأن تمن عليهم بقول البابا انوسان الثالث « لا يجوز أن نترك لأولاد الجاحدين الذين يخالفون العقيدة الكاثوليكية سوى الحياة ، وترك الحياة لهم من « واحسان .... !! » .

★ ★ ★

فمن الانصاف للحقيقة والتاريخ ، اذا تحدثنا عن القرون الوسطى الا يطغى الظلام الذى كان يسود أوروبا خلالها على المدنية الاسلامية والحضارة الاسلامية التي كانت هي العامل الأول فى التعجيل بنهاية تلك القرون المظلمة الى غير رجعة ، وبداية النهضة الأوروبية التي تدين للاسلام وحضارته بأياد بيضاء ، وأفضال غراء شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء ، ولن أعرض لهذه الشهادات حتى لا يخرج بي الاستطراد عن دائرة حرية الرأى والعقيدة التي كان الاسلام كشريعة ودولة أعظم كافل لها ، وأول حفى بها فى العالم أجمع ، وصدق جوستاف لوبون الذى يقول « ان فلاسفة العرب والمسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » .

(١) هو قاضى مصر عام ٢٩٣ هـ وهو غير القاضى محمد عبده بن حرب قاضى مصر عام ٢٧٧ هـ انظر الولاة والقضاة للكندى ص ٤٨٠ — ٥٠٥ — ٥١٦

ان يلتزم به قبل ان يلزم المسلمين . وما دعا الى احتمال مشقة من المشاق او الصمود لمحنة من المحن ، دون ان يبدأ بنفسه فى ممارسة الجلد وقوة التحمل .

ومن ثم يهون الامر على اصحابه فيقبلون على اتباعه والاحتذاء به اعلانا منهم انهم بدورهم اهل للثقة وانه أحق بالاتباع .

والانسان بطبعه يعظم القائد حين يراه فى مقدمة الصفوف عملا وجهادا فيثق فى صحة مبادئه ويتفاعل معه ، فى صدق وعزم واقدام . والاسلام يشجب مخالفة القول للفعل ويصفها بأقبح النعوت ، وهى النفاق . ولقد وصف الله تعالى المنافقين بأنهم يقولون مالا يفعلون .

ومن ثم كان **القائد فى الاسلام اخا فى العقيدة والعمل لكل فرد فى القاعدة ، وكان المجتمع الاسلامى يقوم على اساس ان الفرد للجماعة والجماعة للفرد ، فشاعت فى اعماقه** روح الاخاء **والتعاون ، وارتفعت معنويات افراده ، فثبت ايمانهم واستقام سلوكهم وانتظمت صفوفهم وتزايد انتاجهم ، وكانوا يتنافسون بالعمل الصالح فى** اكتساب مرضاة الله ورسوله والمؤمنين . فدبت **الحيوية فى ربوع هذا المجتمع الوليد وانتقل من** مرحلة البداوة والتخلف الى مرحلة التقدم **والانطلاق. وكانت نقطة التحول هى الايمان بصدق** ما جاء به الرسول ، والالتفاف حول هذا القائد **المرسل العظيم الذى بعثه الله نورا ورحمة للناس جميعا .**

وقد سجل التاريخ اعظم الصفحات لصفات القائد العظيم فى سيرة الرسول عليه السلام ، اذ كان خير قدوة للمسلمين فى السلم والحرب معا ، فقد كان يشارك بنفسه فى الغزوات بل كان فى طليعة رجاله حين تحتدم نار الحرب ويهاب شواظها من لا يهاب وكان علي بن ابى طالب رضى الله عنه وهو فارس الفرسان يقول : « كنا اذا حمى البأس **اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون** احد اقرب منه الى العدو » . ولولا ثباته فى وقعة **حنين ، وقد ولت جمهرة الجيش واوشك ان ينفرد** وحده فى وجه الرماة والطاعنين ، لحقت الهزيمة **على المسلمين . وفى ذلك يقول المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه عبقرية محمد :**

« **ان مشاركته عليه السلام فى الوقعات الاخرى** هى مشاركة القائد الذى لا يعفى نفسه ـ وقد اعفته القيادة ـ من **مشاركة الجند عامة فيما** يستهدفون له ، **فهى شجاعة لا تؤثر ان تتوارى** حيث يتاح لها ان تتوارى ، وعندها العذر المقبول بل العذر المحمود .

واذا كان القائد خبيرا بالحرب قديرا عليها غير هياب لمخاوفها ، ثم اكتفى منها بالضرورى الذى لا محيص عنه ، فذلك هو الرسول تأتيه الشهادة **بالرسالة عن طريق القيادة العسكرية ، وتأتى جميع صفاته الحسنى تبعا لصفات الرسول » .**

تلك مقومات ثلاث للقيادة الرشيدة لم تجتمع فى احد من العظماء والقادة كما اجتمعت فى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم فهو القائد الذى انبثق من صميم امته ، فوثقت به وآمنت بدعوته . **وهو القائد الذى جاء برسالة الحق من عند** الله فآمن بها ، واوضح اهدافها ومقاصدها **وحدد وسائلها للناس فالتفوا من حوله وتنافسوا فى التفانى والاخلاص . وهو القائد الذى طابق قوله فعله وكان خير اسوة لرجاله . ولقد تفاعلت هذه المقومات جميعا حتى نشأ عنها التقاء القيادة بالقاعدة ، وتعاون الجميع فى صف واحد ، وفى سبيل تحقيق هدف واحد هو نشر الدعوة الاسلامية ، ورفع راية الاسلام فى كل مكان ، وتثبيت قيمه** الفاضلة القويمة ، **فلا غرو ان تعلو كلمة الحق ، وان ينصر الله المسلمين الاوائل ، وصدق الله العظيم « ان تنصروا الله ينصركم » .**

والحشم ، وكان في صندوقه الذهب والجوهر ، ولكنه كان مريضا قد اصطلحت عليه اضداد الامراض ، اجتمعت عليه على حين لا يجتمع الضدان وربطته بسريره سنوات ، فاشتهى يوما ان يرى بستان قصره فنحوا سريره حتى واجه النافذة ، فنظر فرأى الفلاح وزوجته وولده ، قد افترشوا التراب ، ووضعوا امامهم صحن الفول المدمس(١) وعصروا عليه الليمون ، ونقطوا عليه زيت الزيتون ، وهرسوا بصلات، فجعلوا منها في الخبز الحار الخارج لتوه من التنور ، ثم غمسوها في صحن الفول فأكلوا ، ثم اخذوا من الساقية فشربوا ثم شبعوا فمسحوا افواههم ، وقالوا من اعماق قلوبهم ، ربنا لك الحمد والشكر .

فقال الرجل : آه ليتني آكل مثل هذه الاكلة وابقى بلا مال .

واذا كانت هذه القصة مثلا مضروبا لا يدرى اهى من الواقع ام من الخيال ، فانى اعرف في دمشق رجلا (توفى من سنين طوال) كانت له اعلى العمارات واكبرها ، وكان له اوسع الضياع واجلها، وكانت له آلاف الاسهم في اشهر الشركات وله الحسابات الجارية في اعظم المصارف، وكانت في معدته قرحة خبيثة فهو لا يستطيع ان يدخل اليها شيئا الا الحليب وكان لا يبصر الا بنظارتين يركب احداهما على الاخرى ، ثم لا يفرق من بعد عشرة امتار بين الانسان والحمار ، اعنى الحمار الحقيقى لان الحمار المجازى في ظاهره كالانسان .. وهو بعد هذا لا يقدر ان يقارب النسوان ، ولا ان يستمتع بلذة السمر مع الاخوان .

فماذا بقى له من لذائذ العيش ؟ الا يتمنى لو ذهب نصف ماله،لو ذهب ثلاثة ارباعه ، وكان كامل الصحة ، متين البناء، حاد البصر ، قادرا على .. على (الاشياء الأخر) ؟ .

وهاتوا افقر فقير لاسأله هل يرضى ان نقطع قطعة من انفه بمقدار رأس الاصبع ، ونعطيه الف دينار ؟

هل يرضى ان نبتر ابهام يده ويأخذ الفي دينار ؟ هل يبيع عينه بعشرة آلاف دينار ؟

والفقير الذىعنده عشرة اولاد يشتكى من كثرتهم ، والانفاق عليهم ، اينزل عن واحد منهم لاكلة لحوم البشر . فيعملوا من لحمه (كفتة) ويأكلوه امامه ، ويأخذ خمسين الف دينار ؟

افليست هذه كلها نعما اكبر من نعمة المال ؟

البصر يا اخوان نعمة ، والمعدة الصحيحة نعمة ، والولد نعمة ، وكلها يدخل في حساب الارزاق ، فلا تحسبوا الرزق (المرتب) وحده ، فهذه النعم كلها من الرزق .

فاسعوا لطلب الرزق ، وجدوا فيه ولا تدخروا وسعا ولا جهدا ، ثم ارضوا بعد ذلك بما جاءكم ، ولا تغضبوا ولا تسخطوا ، هل يغضب الموظفون على زميلهم الذى يعتمدونه لتوزيع الرواتب آخر الشهر ، ويقولون : لماذا اعطيت الرئيس اكثر مما اعطيت الفراش ؟

ام يعلمون ان الرواتب حددتها الحكومة من قبل ولم يحددها هو ، ولا يملك زيادة فيها ولا نقصا ، ولا تبديلا ولا تحويرا ؟

ان الارزاق مثلها ، انها محددة من قبل ، انها مقدرة من الازل ، والذى قدرها هو الله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم)

فنحن نعمل ونجد ونكافح ونتخذ الاسباب كلها ، لان الله امرنا بالعمل والجد والكفاح واتخاذ الاسباب ، ثم نرضى بعد هذا بما جاءنا من الله ، فلا نعيش خاملين ، ولا نحيا ساخطين، وهذا هو شأن المسلمين .

على طنطاوى

١ ـ الديماس معربة بمعنى الحمام ، فكلمة (المدمس)اذن لها اصل فصيح .

يوم بدر

سوف تبقى على مدى الأيـــــام شرعةُ الخير ، شرعةَ الاســـلامِ
فهي بعثٌ من البلــى ، وشـفاءٌ لصدور مليئـةٍ بالســـقام
وهدى يمحقُ الضـلالَ ،ونورٌ سرمديٌ يشـق قلـبَ الظـلام
وصعودٌ إلى العـلا ، وسـموٌ عن حياةِ الشـرورِ والآثـام

***

يارعاك التاريخُ يايوم بـــدرٍ أنت في الدهـر غرةُ الأيـــام
أنت معنى الكفاحِ في الحق ، لا فـي باطـلٍ زينـوه بالأوهـام
أنت بدرٌ وافى الظلامَ ، فولّـتْ من سنـاه كتائـبُ الاظـلام
فيك أصغى الزمانُ ، والتفت الدهـرُ .. إلى ساحة الوغى والصـدام
حيث جندُ الضـلالِ قد جاء يبغـي نصرةَ الشرك بالقنـا والسهـام
والنبـيُّ الكريم بين صحـابٍ كلُّ فـردٍ كالصـارم الصمصـام
لم يَرَوْا في الحياة الا حطامـا فاشتَروْا دينهـم بهـذا الحطـام
كَبَّرُوا ثم أرقلُـوا بقلـوبٍ ونفوس إلى الحمـامِ ظـوام
وتلاقي الجمعان أيَّ تـلاقٍ هل رأيت الأسـودَ في الآجـام ؟

(يا يوم النصر العظيم .. في السابع عشر من رمضان .. هلا عدت مرة أخرى .. يا يوم النصر العظيم)

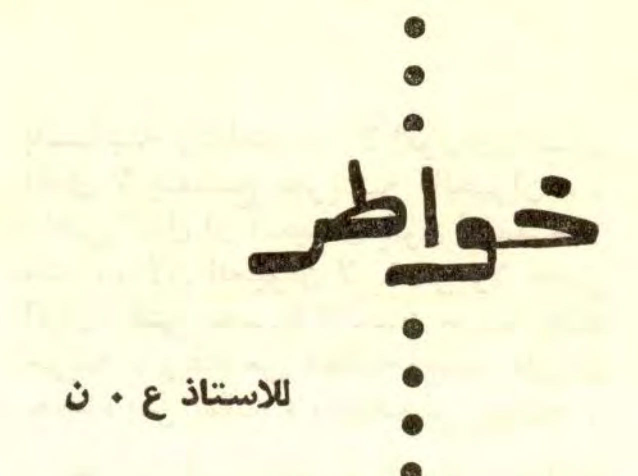
للاستاذ ابراهيم محمد نجا
مدرس اللغة العربية بمدرسة كركوك الثانوية ــ العراق

فأمدَّ اللهُ النبيَّ بجيشٍ ... من جنود مسوَّمينَ كرام
لم يرَ المشركون غيرَ سيوفٍ ... تتهاوى بالْهَامِ بعدَ الهام
عن يمينٍ وعن شمالٍ ضرابٌ ... وطعانٌ من خلفهم والأمام
ففريقٌ على الرمال صريعٌ ... وفريقٌ يُساقُ كالأنعام
وفريقٌ مُشَرَّدُونَ حيارَى ... في فجاج الصحراء مثل النعام
قنعوا بالهوانِ والذلِ عقبى ... ورضُوا بالنكوص والاحجام
هد ركن الضلال وانصدع الشرْكُ ، وباءت فلولُه بانهزام
واستفاض الرشادُ ، وانقشع البغْيُ ، ودالت عبادةُ الأصنام
واستقام الاسلام حصناً قوياً ... ثابتَ الركن ، مستقرَّ الدعام
ومضى يفتح الممالك باسم اللّه ، لا باسم سلطةٍ وانتقام
أينما سار فالحياةُ رخاءٌ ... في سلام ، وعزةٌ في وئام
يالَقومي .. لقد تغيَّرَ قومي ... ورماهم زمانهم باصطلام
غيروا قوة بضعفٍ ، وعزا ... بهوانٍ وصحةً بسقام
واستعزُّوا بغيرهم ، فقضى ,, الغيرُ ،،عليهم بالعسفِ والارغام
ورماهم من شره بدواهٍ ... قاتلاتٍ .. شُلَّتْ يمينُ الرامي

فأقاموا على الهوان وساروا — في طريق الحياة كالأيتام
ونسوا مجدهم ، وكان حياةً — وضياءً .. بعد الردى والظلام
أين مجدُ الاسلام ضخماً عريضاً ؟ — أين بنيانُه المتينُ السامي ؟
لاتقولوا مضى إلى غير رجعى — لا ، ولا تسمعوا لقول النيام
وأعيدوا ذكراه في كلّ يومٍ — فقليلٌ ذكراه في كل عام
واستعيدوه مثلما كان صرحاً — محكمَ الخَلْقِ أيما احكام
ودعوا اليأسَ والتعلل بالوهم ، ولا تركنوا إلى الأحلام
أتريدون عزكم بالتمني ؟ — أتريدون مجدَكم بالكلام
تَعِستْ أمةٌ تحاول بالقو — لِ بلوغَ المُنَى ، ونيلَ المرام
انما منطق الضعيف ضعيفٌ — وكلام القويّ حدُّ الحسام
فاتركوا الضعفَ . وارفعوا الذلّ عنكم — واهجروا اليومَ مضجع النوام
واعملوا .. انما الحياةُ كفاحٌ — وجهادٌ في ساحة الأيام
وامسحوا عنكم الفتورَ ، وبثُّوا — في النفوس القوى ..وفي الأجسام
انزعوا اليأس ، حطموا الخوفَ، هبُّوا — هبة الأسْدِ رُوِّعَتْ في الموامي
واهزأوا بالخطوب ان عبس الدهـرُ ، ولا تعبأوا بكيد الخصام
واحملوا مشعلَ الهداة وسيروا — في طريق الحياة نحوَ الامام
وليكن حكمكُم بما حكمَ اللـهُ . ودستورُكم من الاسلام

* * *

سوف نبني صرحَ السلام مكيناً — مستقراً ... والويلُ للهدام
سوف نحمي الأخلاقَ من نزوة الشـرّ ، وبغيِ الهوى ، وجهلِ الطغام
ونعيدُ الحياة روضاً جميلاً — يتغنى بزهره البسام
ونضم القلوبَ بعد انفصام — ونلم الصفوف بعد انقسام
ونعيد المجدَ القديمَ كما كا — نَ ، وأنفُ الطغيان تحت الرغام
ولنا الدينُ .. غايةٌ وطريقٌ — وامامٌ .. أنعم به من امام
ولنا اللهُ .. ناصرٌ ومعينٌ — وهو نعم النصيرُ .. نعم الحامي



للاستاذ ع . ن

توحيد الصيام والاعياد

كلما استقبلنا شهر رمضان استقبلنا معه ـ للأسف ـ شيئا من بلبلة الأفكار والاختلاف حول بدء صيامه . دول تصوم ، ويبدأ عندها شهر رمضان ، ودول أخرى تظل تعيش فى آخر شعبان .. ويصبح حديثنا الموسمي المعتاد : من الذى صام ، ومن الذى أفطر من الشعوب الاسلامية ؟ ! ! .

كان الاختلاف فى بدء صوم رمضان جائزا ، بل كان أمرا طبيعيا فى العصور التى كان الناس محرومين فيها من وسائل الاتصال السريع ... فكانت كل قرية وكل مدينة لا تجد مفرا من الاعتماد على نفسها فى رؤية هلال رمضان .. وكان من الطبيعي أن يراه جماعة هنا ، فيصوموا ، ولا يوفق الى رؤيته جماعة هناك ، فيظلوا مفطرين .. وقد لا يعلم من هنا بأخبار من هناك الا بعد مرور شهر أو أكثر ...

وكان من الطبيعي بالتالي أن يعلمهم الرسول صلى الله عليه وسلم الاعتماد على رؤيتهم للهلال .. اذ لم تكن هناك وسيلة عامة وسريعة يعتمدون عليها فى ايصال اخبارهم وتعميمها على نطاق واسع ...

لكن الآن .. الان ووسائل الاتصال كما نعرف . والاتصال « باللاسلكي » أصبح أمرا سهلا وعاديا ، ويستعمله الأفراد والحكومات فى الاتصال وبث الأخبار وتلقيها من كل زاوية فى العالم حتى أصبح العالم كله داخل جهاز صغير نحمله بأيدينا وفى أى مكان ..

الآن ... والشعور الاسلامي فى كل مكان يزحف للتجمع والتكتل والتوحيد .. والاسلام من قديم يعمل لتوحيد الشعور والقلوب والصفوف ...

الآن نشعر بالمرارة الشديدة حين نجد أنفسنا مع اهتمامنا باثبات بدء الصيام نهمل استعمال « اللاسلكي » فيما بيننا لتوحيد بدء الصيام ..

لماذا لا يعمل المسئولون فى كل دولة على الاتفاق مع الدول الأخرى على أن يكونوا على اتصال مستمر فى تلك الليلة لتلقى أنباء رؤية الهلال حتى اذا رئى فى احداها سارعت الى اخبار الدول الأخرى ليعلن الجميع بدء صوم رمضان فى يوم واحد ..

نحن لا نكلف المسئولين أمرا صعبا ، وانما نطلب منهم مجرد الاهتمام بهذه الناحية واعطاءها شيئا من التفاهم .

اننا نلاحظ أن المسلمين فى أقطار الأرض يختلفون فى بدء الصيام كما يختلفون فى يوم العيد .. فأمة عندها عيد الفطر ، وأمة أخرى لا تزال فى آخر يوم من رمضان ، وقد يكون الاختلاف فى يوم أو يومين كما حدث فى العام الماضي .. وهذا شيء يبعث على الأسف ، ويولد المرارة فى النفوس ! ! .

المسلمون الذين وحد بينهم دينهم ، ودعاهم الى أن يوحدوا صفوفهم يختلفون فى أعيادهم ! ! .

لم يعد من المقبول أن نظل أغلب الليل على أن الغد من شعبان ، ثم نفاجأ قرب الفجر بأنه من رمضان ..
ولم يعد من المقبول أن ننام على أن غدا من رمضان فاذا بنا نفاجأ بأنه عيد

.. ولدينا الاذاعة وغيرها ومن الممكن أن توفر لنا الخبر اليقين فى الوقت المناسب.

شيئا من الاهتمام بفريضة هامة وبمظهر كريم من المظاهر الاسلامية ..

نعم .. شيئا من الاهتمام ...

الحياة بدون حرية !!

الذى حصل فى السودان بصدد الشيوعية والشيوعيين أعتقد أنه جاء متأخرا عن أوانه، وبعد ما جنت السودان الثمرة المرة لترك هؤلاء يمرحون، ويؤلفون جمعياتهم وأحزابهم، ويبثون دعاياتهم المسمومة هنا وهناك .. حتى وجدنا لهم فى البرلمان أحد عشر عضوا .. ووجدنا لهم فى المحافل والأندية تنظيمات تمكنهم من استعمال نفوذهم، واقامة المظاهرات الصاخبة، للاعلان عن معارضتهم للقرار الذى يقضي بمصادرة نشاطهم المخرب الخطير ...

ان الشيوعية داء تجب محاصرته مثل داء الكوليرا تماما .. فان الذين يقولون: ان الدين خرافة ويكفرون بكل القيم الروحية والمثالية، ويلتصقون بالارض ويلوثون الأفكار بالتراب، ويعتدون على كل المقدسات. هؤلاء تجب محاصرتهم، كما تحاصر الكوليرا، ويجب أن يعنى المسئولون المسلمون فى كل بلد اسلامى باعطاء شعوبهم المصل الواقي منها، ومن أخطارها المدمرة ..

والمصل بحمد الله موجود .. ومتوفر .. ولكنه مع الأسف لا يستعمل. انه يا أخي فى الاسلام ونظمه الاجتماعية التي تكفل للمسلم العدالة الاجتماعية، مع الحرية، نعم الحرية التي لا يشم نسيمها أى فرد يعيش فى ظل أى نظام شيوعي..

والحرية ـ يا أخي ـ هي التي تميز الانسان عن الحيوان .. وتجعله يشعر بانسانيته وكرامته .. لا أقول ان الانسان الذى لا يتمتع بحريته كالحيوان .. ولكني أقول ان الحيوان يكون أسعد حالا منه .. لأن الحيوان لا يشعر ولا يحس المرارة التي يحسها الانسان حينما يفقد حريته. ويقاد من خطامه ويجبر على أن يعجب بمن يمقته، ويهتف لمن يبغضه.

نعم .. ليس هناك شقاء وتعاسة تعادل شقاء الانسان الذى لا حرية له.

لا تنه عن خلق ...

مشكلة السود والبيض فى روديسيا هي امتداد للمشكلة نفسها فى امريكا وبريطانيا والدول التى تسمى نفسها متحضرة، وتزن الناس بألوانهم .. والذين خلقوها فى الوطن الافريقي هم البيض النازحون الذين عاشوا مدللين من الاستعمار لأنهم ربائبة أو هم الذين مهدوا الارض له ليفرض سلطانه .. وقد عاشوا، وعاش أجدادهم، وانتفخت جيوبهم، وامتلأت خزائنهم وخزائن الدولة الحاكمة هناك فى الشمال من جهد العامل الافريقي وأرضه وثروته ..

هم مسلحون بالخبرة والمال والمعرفة، وأهل البلاد لم يكن عندهم هذا السلاح .. ومن ثم سهل على المستعمر استغلال سذاجتهم وتسخيرهم لمآربه .. وعاش الجنس الأبيض فى وسط هذا الموج من الجنس الأسود يحكم، ويستغل أزمانا طويلة، ويضع الخطط لكي يبقى على غير أرضه، وينهب مال غيره .. ويتحكم ـ مع قلته ـ فى مصير السكان الأصليين .. حتى جاء الوقت المناسب ليعلن بقاءه واعلان ملكيته للبلاد برغم أنف أهلها والكثرة الغالبة من أمم العالم ..

ولا أشك فى أن موقف جنوب افريقيا وفرض سيطرتهم على السود هناك غير مبالين بالأحداث التي ارتفعت هنا

وهناك بالاعتراض لا أشك فى أن هـذا الذى حصل فى جنوب افريقيا بتشجيع أو برضا من الدول الاستعمارية الكبرى فى العالم هو الذى شجع اخوانهم البيض فى روديسيا على أن يخطوا هـم الآخرون خطوتهم غير مبالين بأحد ..

وانا ـ كمسلمين ـ نبغض من كـل قلوبنا هذه التفرقة التي تتنافى تماما مع مبادىء الاسلام ومـع أبسـط مبادىء الانسانية ، ونرفض سيطرة جنس على جنس وتحكمـه فى مصـالحه وتقـرير شؤونه ، لكنا لا نستطيع أن نغمض أعيننا عن الأسباب التي أتاحت لهؤلاء البيض أن يضربوا ضربتهم ، ويفرضوا على الكثرة سيطرتهم .. ان النظرة التي طبع عليها هؤلاء البيض نحو السود انما ساعد على تجسيدها فى عالم الواقع الى هذا الحد من التبجح تأخر السـكان الأصـليين ، ورضاهم زمنا طويلا بالمهانة التي عاشوا فيها ، ثم اختلافهم وتفرق صفوفهم حتى فى أشد أوقات المحنة التي تمر ببلادهم الآن ...

وهذه عبرة يجب ألا تفوتنا وسـط الضجيج والصراخ والحماس .

وفى اللحظة التي أكتب فيهـا هـذه الكلمة يجتمـع مؤتمر وزراء خارجيـة المنظمة الافريقية ، وأستمع الى المذيـع يذيع انذارا موجها منهم لبريطانيا بقطع دول المنظمة علاقتها معها ، وانسـحاب اعضاء الكومنولث منه ، ان لم تقـدم بريطانيا على اجراء حاسم يحفظ للكثرة الافريقية حقها ، ويوقف حكومة البيض عند حدها ، فى زمن أقصاه الخامس عشر من ديسمبر الحالي .. ولا أكتمك انني شـعرت بشيء مـن العـزة لأن الدول الافريقية التي لم يكن معظمها قد خرج الى الوجود لعهد قريب مضى أصبحت تملك قوة التهديد للدولة التى لم تغب الشمس عن أملاكها .. وهذا وان كـان طيبا الا أن الاطيب منه والأحسـن أن نرى هذه الدول جادة فى كلمتها ، قادرة على تنفيذ تهديدها هذا ، وأكثر منه . والسير فى نصرة اخوانهم الافريقيين الى آخر مدى يستطيعونه ..

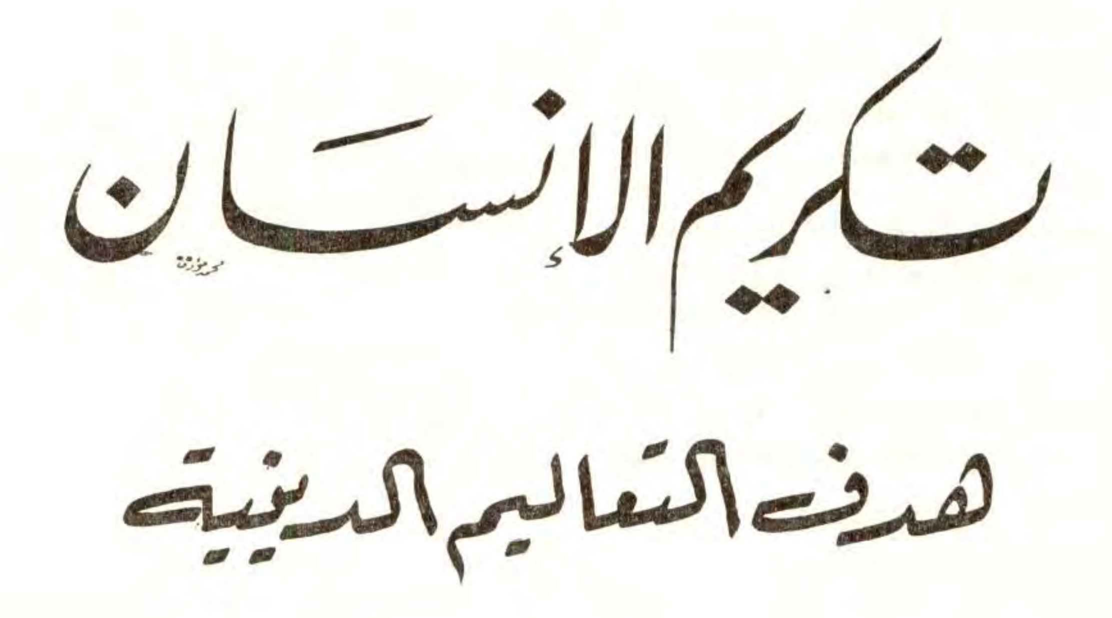
ذلك من وجهة نظر الاسلام أمر يحتمه . لانه لا يعرف التفرقة بين الناس لألوانهم أو أجناسهم ولأنه يبغض الاستغلال أيا كان نوعه استغلال فرد لفرد أو استغلال جماعة لجماعة أو أمة لأمة ، الا أنه يكون اكثر حتمية حين يكون المسلمون هـم الذين يقع عليهم هذا الاضطهاد .

ومن هنـا نطلقها شرارة مـن القلب لبعض الدول المجتمعة من أجل انقـاذ المغلوبين على أمرهم فى روديسيا ، ونقول وماذا تفعلون مع المسلمين الذين يعيشون تحت سلطانكم ؟ ألا يعانون عندكم أشد مما تعانيـه الـكثرة فى روديسـيا ؟ ألا يضهدون فى دينهم وأرزاقهم ؟ ألا تعمل السلطة الحاكمة بكل جهدهـا لحمـل المسلمين على ترك دينهم وبالدخـول فى دين الدولة الحاكمة بالقـوة والارهاب ، ويحرمون من حقوقهم التي يتمتع بهـا الآخرون ؟ لا لشيء الا لأنهم مسلمون . فلماذا تحاربون التفرقـة فى روديسـيا وتباشرون أسوأ أنواعها فى بلادكم ؟

لا تنـه عـن خلـقٍ وتأتي مثله
عـار عليـك اذا فعلت عظيـم

وشيء آخر تمنيته وأنا أسمع خبر هذا التهديد .. تمنيت لو أن الـدول العربية صدر أو يصدر عنها مثل هـذا التهديد والحزم من أجل فلسطين، ونكبة العرب فيها أشد من نكبة الافريقيين فى روديسيا .. وفى يد الدول العربية مـن أسيالب الضـغط والتهديد على الدول التي تساند اسرائيل ، وتغذيها ، وتحميها أكثر وأشد فعاليـة ممـا تملكه الدول الافريقية أو دول الكومونولث ...

نعم تمنيت ولا زلت أتمنى ....



يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الحكيم :

والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم

تكريم الانسان قبل خلقه

هذه الآية التى سجل الله فيها تكريم بنى الانسان فى كتابه الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم تكن انشاء لهذا التكريم وانما كانت تقريرا لهذه الكرامة التى سجلها الله للانسان قبل ان يرى نور الحياة وقبل ان ينفخ فيه من روحه،ويجعل له السمع والبصر والفؤاد .

فقبل أن يصبح الانسان انسانا فىصورته وخلقته نادى الله ملائكته بقوله تعالى :

(واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين) الحجر : ٢٨ — ٢٩ .

وفى التعبير بكلمة (فقعوا له ساجدين) المقترنة بالفاء الدالة على وجوب وقوع السجود من الملائكة فورا ودون تراخ أو ابطاء فى هذا التعبير ما يصور لنا عظمة هذا التكريم ، وسمو منزلة بنى الانسان

فلم يكتف الله تبارك وتعالى بمجرد الامر للملائكة بالسجود .

بل وأمرهم ان ينفذوا هذا الامر فورا ودون تراخ او ابطاء .

امر الله الملائكة بهذا الامر قبل ان يخلق آدم ، وقبل ان ينفخ فيه من روحه ، وقبل ان يصبح كائنا من الكائنات ومخلوقا من المخلوقات ، امرهم بهذا الامر الحازم الحاسم ، بينما كان الانسان فى عالم الغيب ، ليثبت ان كرامة بنى الانسان صاحبته ولازمته منذ ان كان مجرد فكرة ومشيئة وارادة .

الانسان خليفة الله

ولكن لماذا كان هذا التكريم فى روعته وعظمته وجلاله وسموه . لان الله تبارك وتعالى اختار الانسان عن علم وخبرة ليكون خليفته فى أرضه . والخليفة يستمد سلطانه وجاهه من سلطان

لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الصوالحي
ـ من علماء الأزهر ـ

((ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) • الاسراء : ٧٠

وجاه من استخلفه ولا سلطان فوق سلطان الله ولا جاه فوق جاه الله .

واذا فتكون كرامةالانسان ـ خليفة الله ـ وعزته وجاهه هى التالية لكرامة الله وعزته وجاهه .

جزاء من يمتهن كرامة الانسان

ولما ابى ابليس الاعتراف بهذه الكرامة وابى السجود لهذا المخلوقالعظيم كان ذلك كافيا لطرده واخراجه من الجنة ، مذءوما مدحورا كما كان ذلك مبررا لتعرضه للعنة الله وغضبه الى يوم القيامة هو ومن يتبعه ممن يمتهن هذه الكرامة ولا يقدر لها قدرها ، ولا يعطى لها من التبجيل والتعظيم حقها فقال تعالى (اخرج منها مذءوما مدحورا) بل جعل الله هذا الحكم الصارم بمثابة الحق المؤكد والعدل المطلق فقال جل شانه (فالحق والحق اقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) ص : ٩ ـ ٨٥ .

تكريمه بعد خلقه

ثم بعد خلقه كرمه الله بانزاله فى الجنة وحقق له كل ما يتفق مع هذه الكرامة العالية ، وتلك المنزلة السامية ، فقال له (اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما) .

اعطاه الله الحرية الكاملة فى ان ينعم نفسه بكل ما يشاء دون حرج او مشقة بل حقق له كل انواع السعادة التى يتمناها ، فأعطاه هذا العهد الوثيق المؤكد (ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) .

حتى بعد المعصية

وحتى بعد ان عصى آدم ربه تلقى منه كلمات (فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) .

البقية على ص ٧٣





للدكتور سالم نجم
دكتوراه فى الأمعاء من جامعة كامبردج
واخصائي البحث العلمي بوزارة الصحة ــ الكويت

قدر فهدى

شاءت قدرة الخالق تبارك وتعالى ، أن يجعل لكل كائن حي على هذه الأرض ناموسا يسير عليه ، ليحفظ به نوعه من الانقراض ، وليعمر به هذا الكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، والانسان لا يعيش وحده على هذا الكوكب ، وانما يشاركه العيش الآلاف المؤلفة من الكائنات الحية ، لكل منها ناموس وقوانين ، أودعها الخالق فيها حتى تسير على هداها ، لتؤدى وظيفتها كاملة فى هذه الحياة . ونحن نعلم ــ وما نعلم الا القليل ــ ان لكل نوع من هذه المخلوقات قوانين خاصة بنوعها ، فهناك قوانين الوراثة ، والجنس ، والتكاثر ، وقوانين تلائم الكائن ، لينسجم مع بيئته وينطبع بطباعها ، ثم هناك قوانين تنظيم طبيعة العمل للكائن الحي ، وأخرى تهديه الى نوع الطعام الذى يمده بالحياة والحركة (صنع الله الذى أتقن كل شيء) .

ومن الملاحظ أن فى الوجود كائنات تعيش ــ على حد علم الانسان ــ على الهواء والماء ، ومنها ما يقتات على النباتات دون غيرها من المأكولات ، وأخرى تعيش على اللحوم ــ ولا تأكل النبات ــ مهما استبد بها الجوع ، ثم حينما يأتي دور الانسان الذى فضله الله على سائر خلقه اذ يقول : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر

والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ٧٠ الاسراء ـ نجد أن الخالق تبارك وتعالى قد اختصه بالطيبات وحرم عليه الخبائث (يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) .

وداخل هذا الاطار استودع الله الانسان أسرار خلقه وحصنه بالنواميس والقوانين الثابتة . ويهمنا منها هنا القوانين الطعامية ، التي توفر له غذاء متكاملا متجانسا ، يفي بجميع احتياجاته البدنية ، حتى تتوفر له الطاقات الضرورية لأداء رسالته ، وليحيا حياة صحيحة ، بعيدة عن الأمراض ومهلكات الحياة . ولقد أتيح له أن يطعم من النباتات الطيبة ما شاء ، ومن لحوم الطير والماشية والأسماك ما هفت اليها نفسه .

والنفس تهفو للاشياء طبقا لقوانين ثابتة فى تكوينه الخلقي ، سدا لاحتياجاته الضرورية اللازمة لمواصلة الحياة بصورة سليمة ومرضية . ومن فضل الله على الانسان أنه ما حرم عليه الا أقل القليل من الطعام والشراب ، لما فى ذلك القليل من الضرر لصحة الانسان البدنية والعقلية ، وهذا الحظر لا يحرمه عنصرا اساسيا من عناصر الحياة المأخوذة من الطعام ، كما هو الشأن فى بعض المذاهب التي تحظر على أتباعها أكل طعام معين ـ وسأتعرض لذلك بعد قليل ـ بل هو يجنبه بهذا التحريم أضرارا محققة تلحق بنفسه وببدنه ، فمثلا حينما يحرم الله تعالى أكل لحم الخنزير ـ على الاطلاق ـ سواء نشأ هذا الخنزير فى حظيرة مأكله فيها الروث والقاذورات ، أو تربى فى مزرعة نموذجية على العلف النظيف والكيماويات السليمة ، فهو يحرمه لأنه الخبير العليم ، أعلم بمخلوقاته وبمواضع النفع والضر فيها . ولقد قيل قديما بأن الخنزير حرم لأنه كان يأكل القمامة، ويصاب بالديدان التي تنتقل الى الانسان ، فتهلكه ، وعلى هذا فاذا حسنت تربية هذه الخنازير واختير نوع طعامها فلا بأس من أكل لحومها لأن سبب التحريم قد انتفى ! ! .

لحم الخنزير والذبحة الصدرية

وأقول ان هذا كلام ناقص لا يستند الى دليل مقنع . وحديثا أثبت العلماء ـ وفى البلاد التي أبيح فيها لحم الخنزير ـ أن لحومها تحتوى على احماض دهنية من ذوات النواة الطويلة ، لها تأثير سيء على سلامة شرايين الانسان ، وتساعد على انسدادها مما قد يؤدى الى الجلطة الدموية ، والذبحة الصدرية ، وكثير من أمراض الشرايين القاتلة .

ومن يدرى فلربما أثبت العلم مستقبلا أشياء وأشياء ، ترد بعض العقول الجامحة الى التبصر والتفكر فى موقفها من مادة طعامية يحرمها الله ، وتلزمها الادب فى مناقشتها ومقارعتها بالحجة البشرية التي تعتمد على علم الانسان القاصر ، والتي لا تستطيع الصمود طويلا أمام منطق القرآن الخالد وعلم الله الشامل (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ..

ومما تجدر الاشارة اليه ان العلماء من أطباء الغرب قد حرموا أكل لحم الخنزير على فئات كثيرة من المصابين بأمراض الشرايين وأمراض المعدة والكبد ، وهنا وجب أن نسجد لله شكرا على أن هدانا لهذا الدين ، وان نكرر الشكر له تعالى جزاء ما أنعم به علينا من نعمة اتباع نهج كتابه ، وسنة خير خلقه صلوات الله وسلامه عليه .

واود لو أتيحت لي الفرصة لمناقشة تحريم الخمر ، ولكن كفاها شرا أنها تذهب بأعز ما أودع الله الانسان وميزه به على سائر المخلوقات ، ألا وهو العقل ، غير أنني ساقصر كلامي هنا على مناقشة موضوع التكامل الغذائي للانسان ، وبيان ان الضرورة الحياتية تحتم عليه أن يتناول طعاما كاملا ، يحتوى على المواد الغذائية الأساسية ، نباتية كانت أم حيوانية ، وهنا أجد من الضرورى أن ألفت النظر الى بعض الطوائف الدينية التي تتخذ مذهبا طعاميا معينا ، كأن تحرم على أتباعها أكل لحوم الحيوان أو أكل الاسماك ، أو تحريم مواد معينة من النبات أو الحيوان ،هذه المجموعات البشرية تنافي فطرة الله تعالى وناموسه الذى أودعه فى خلقه ، ولهذا فليس غريبا أن نجد بين

هذه الفئات كثيرا من الأمراض الناتجة عن نقص المواد الغذائية الضرورية ، بل تكثر اصابتهم بالأمراض المعدية نتيجة لضعف مقاومتهم لنقص عناصر الدفاع فى أجسامهم .

نخلص مما تقدم الى أن الطعام المثالي للانسان يجب أن تتوفر فيه خاصية التنوع والشمول ، وأن يكون محتويا على العناصر الضرورية مما تنتج الأرض من الخضر والفاكهة ، وبهما قدر كاف من الأملاح والمعادن والفيتامينات بالاضافة الى المواد الغذائية الحيوانية ، من دهنيات وزلاليات ، وبها القدر المكمل من المعادن والأملاح والفيتامينات اللازمة لجسم الانسان وحيويته .

الهدف من التغذية

والاسلام الذى يأمر بهذا التكامل الغذائي للانسان ، ويبيح له الاستمتاع بالخيرات ، لا يجعل ذلك هدفا لذاته ، والا كان هو والسائمة فى درجة واحدة ((يأكلون كما تأكل الأنعام)) ، ولكن ليكون الجسم القوى السليم الذى يستطيع الاضطلاع بمهام الأمور ، حتى يؤدى رسالة المسلم فى هذه الحياة : سعي وتعمير واصلاح وسلام . فالطعام ليس غاية فى ذاته ، بل هو الوسيلة الى استمرار الحياة ((انما نأكل لنعيش ولا نعيش لنأكل)) .

توجيه نبوى

وحتى لا نصاب بالترهل والبطنة التي تقتل الحس ، وتميت القلب ، وتبطىء الحركة ، وتبلد الذهن ، وتدعو الى حياة الكسل والخمول .

يوصي الاسلام بالاعتدال فى الطعام ويقول عليه الصلاة والسلام : ((نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع)) كما يقول عليه السلام ((ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لمائه وثلث لهوائه)) جوامع كلم لرسولنا العظيم ، ولو فقه الناس هذين الحديثين ، وعملوا بهما ، لما تعددت أمراض المعدة والجهاز الهضمي التي تكون فى مجموعها أكثر من ٦٠٪ من أمراض هذه المنطقة من العالم ، فاذا أمعنا النظر فى الحديث الأول ((نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع)) فهمنا أنه عليه الصلاة والسلام يتحدث عن نفسه وعن أتباعه الى يوم القيامة ببدء الحديث بنحن ، وبذلك وجب علينا الالتزام بهذا النص واتباع ما يراد منه ، ثم هو يقرر أن الطعام وظيفته سد السغب ، وامساك غائلة الجوع ، حتى نتمكن من مواصلة القيام بأعباء الرسالة الكريمة .

ولا يقل عن هذا روعة وجمالا ما نفهمه نحن رجال الطب من المطابقة الرائعة لهذا الحديث مع فسيولوجيا الجسم ، فنحن نعلم أن الشعور بالجوع ــ انما يعكس حالة الجسم الكيماوية وينبهه لحاجته الى تصحيح نسبة الكيماويات الدموية ، التي لا تتحقق الا بالطعام ، فالشعور بالجوع ينشأ من عوامل مختلفة ، منها انخفاض نسبة السكر فى الدم ، ومنها نشاط بعض الغدد الصماء ، وخاصة الغدة النخامية ، والغدد فوق الكليتين ، وهذه بدورها تؤثر على افرازات غدة البنكرياس ــ حيث ينخفض انتاج مادة الانسولين ، ويقوم الجهاز العصبي المركزي والفرعي بدور فعال فى هذه العملية المعقدة حيث تتنبه أعصاب المعدة والأمعاء والجهاز المرارى لتنظيم افرازاتها وتحركاتها ، ومن المعدة تخرج رسالة خاصة الى مراكز الاحساس العليا فى المخ تترجم فى شعور الانسان الى الاحساس بالجوع والحاجة الى الطعام ، وفى هذه الأحوال يكون الجهاز الهضمي بما فى ذلك الكبد والجهاز المرارى مستعدا لاستقبال الطعام ، ومهيأ لعملية الهضم على خير وجه . ومن هنا يتضح حكمة الحديث الكريم ، ومدى فائدته اذا طبق كما أوصى بذلك سيد الخلق .

بل ان الرسول الكريم قد ذهب الى أبعد من ذلك توضيحا وارشادا لآداب الطعام ، فهو ينهى عن ادخال الطعام على الطعام وتعليل ذلك طبيا أنه يفسد عملية الهضم ، فيرتبك الجهاز المنظم للافرازات الهاضمة ، والجهاز المنظم لتحركات المعدة والأمعاء ، وينتج عن ذلك أعراض يسميها المرضى اسماء مختلفة منها . انتفاخ البطن ، تلبك الهضم ، غازات ، هواء ، ريح ، حرقان فى فم المعدة ، الى غير ذلك من الاصطلاحات التي تعارف عليها الناس ، وفى قوله عليه السلام : ((واذا أكلنا لا نشبع)) اشارة جميلة الى أن الانسان يجب أن

يقوم عن الطعام وهو اليه راغب ، لا أن يقوم وقد امتلأت معدته ، حتى لم يبق فيها متسع . ونحن نعلم كذلك أن الطعام حينما يرد الى المعدة تقوم جدرانها بافرازات المواد الهاضمة الأولية ، وبتحركات منتظمة تساعد على خلط الطعام وهضمه ، ثم افراغ محتويات المعدة الى الأمعاء الدقيقة ، حيث تكتمل عملية الهضم والامتصاص والتمثيل ، فاذا ما امتلأت المعدة بالطعام والشراب، وتوترت جدرانها فقدت القدرة على الافراز ، وعلى التحركات المطلوبة لاتمام وظيفتها ، مما يؤدى الى أعراض مرضية تشبه ما ذكرت آنفا .

ومن هذا نتبين أن استقامة الصحة وكمالها يأتي بالاعتدال فى تناول الطعام وأن تظل المعدة فى حالة أقرب الى الفراغ منها الى الامتلاء . ومن هنا برزت روعة الاسلام فى فرض الصيام .

الصيام ضرورة صحية

ولن أعدد هنا فضائل الصوم التعبدية والاجتماعية والخلقية من ضبط للنفس ، وتقويتها لمواجهة الشهوات ، ومن تفوق للارادة ، ومن مشاركة وجدانية راقية ، فبيان ذلك يطول ، وقد تكفلت به مقالات أخر **وانما الذى يعنيني تقريره هنا هو أن الصيام ضرورة صحية لازمة لبقاء الجهاز الهضمي فى حالة طبيعية مرضية لأداء وظيفته على الوجه المطلوب ..**

ومن حكمة الله تعالى أنه فرض الصيام شهرا كل عام . وهذا الشهر يتغير وقت مجيئه من عام لآخر ، فحينا يأتي شهر الصوم فى فصل الصيف ، وحينا آخر فى فصل الشتاء ، ويدور حتى يشمل فصول السنة كلها . ذلك لأن شهر الصوم يتبع النظام القمرى للدورة الفلكية التي تكتمل كل ست وعشرين سنة تقريبا . وبذلك يعتاد الجسم الصيام فى جميع الاجواء ، وتحت كل الظروف ، حتى تكتمل ملاءمته للطقوس الجوية المحيطة به .

وقد يجانبني التوفيق اذا ما حاولت أن أفلسف الصيام على ضوء الاكتشافات الحديثة لعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) وأن ما وصل اليه العلماء من وجوب اعطاء أجهزة الجسم قسطا من الراحة على فترات متباعدة تستجمع فيها نشاطها . أو آن الطب الحديث ـ حينما يصاب عضو من الجسم بأذى ـ يحتم علىالطبيب أن يهيىء الظروف المناسبة لاعطاء هذا العضو الراحة التامة مع اعفائه من واجباته الفسيولوجية ما أمكن ذلك حتى تتجدد للعضو أو الجهاز حيويته ، ومن ثم يستأنف عمله على خير وجه .

انني أعتقد أن مجرد عقد مقارنة بين ما وصل اليه الطب الحديث وبين ما فرضه الخالق ـ جلت عظمته ـ على الناس من عبادات أو حتى محاولة التوفيق بين الاثنين افتراء على الله تعالت قدرته وحكمته ، فلربما اخطأ العلم اليوم ، والطب كما يعلم الجميع علم تجريبي يقوم على الخطأ والصواب ، فالنظرية الطبية التي كانت سائدة فى العالم منذ عشر سنوات، وحازت احترام الأوساط العلمية ، ربما نذكرها اليوم للتفكه والتسلية ، وقد انحلت حلقات عقدها ، وتفككت أسس بنائها وحاشانا أن نعقد مقارنة بين دستور الله وحكمه الفصل ـ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ وبين انتاج عقل الانسان وادراكه ، الذى مهما بلغ من التقدم فهو قطرة فى بحر ، ولا يقاس بما فى هذا الكون من اعجاز منهل . والذى أقصد اليه ، هو أن نؤدى العمل التعبدى الذى يطلب منا لذاته ، ونفعله كما كان يفعله رسولنا الكريم . فمن المؤكد أن فى ذلك صلاح أمرنا ، واستقامة حياتنا فى الدنيا والآخرة والله تعالى من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .



ابن حزم والعدالة الإجتماعيّة

• فَرْضٌ عَلى

• فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه .

• ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك .

• وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة !!

ليس هذا النص نقلا عن مفكر أو مشرع معاصر ..

وانما يطالع القارىء سطورا وردت فى باب (الزكاة) من كتاب (المحلى) فى الفقه الاسلامى ، للامام ابن حزم الذى عاش فى ديار الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ..أى منذ حوالي الف عام !!

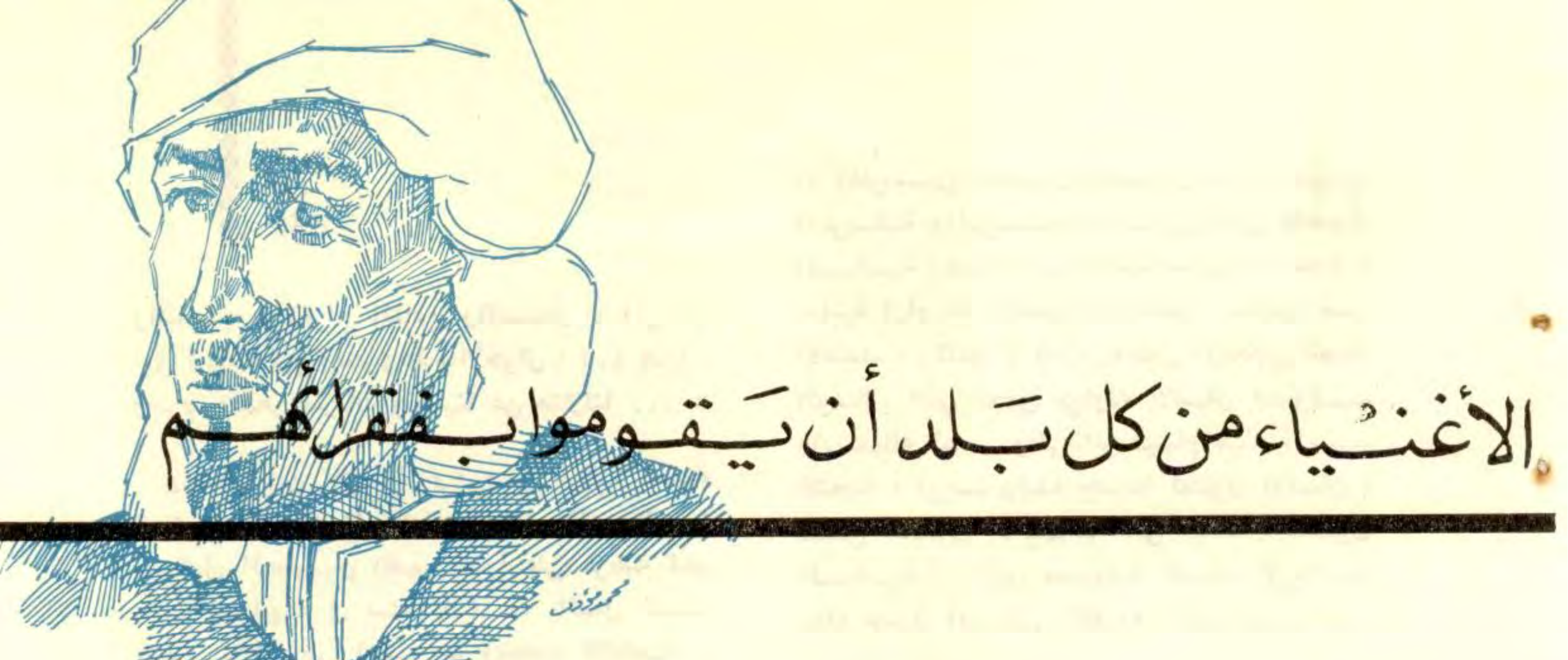
فمن هو هذا الامام الفقيه صاحب هذه الصيحة الانسانية النبيلة ؟؟

ليس شافعيا ولا مالكيا

ان ابن حزم امام مجتهد لا يتبع مذهبا من المذاهب المعروفة المشهورة .. انه عقلية متحررة متفتحة تأبى الجمود وتثور على التقليد !

انه يورد بابا فى كتابه (الاحكام فى أصول الأحكام) يسميه : (باب فى اثبات حجج العقول) يعلى فيه قدر العقل الانساني ويحكمه فيما يروى من النصوص للتحقق من سلامتها وثبوت ورودها فيقول :

« بطل ان يعلم صحة الخبر – المروى عن النبى – بنفسه ، اذ لا فرق بين صورة الحق منه وصورة الباطل ، فلا بد من دليل يفرق بينهما ، وليس ذلك الا لحجة العقل المفرقة بين الحق والباطل » !!



الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم

للاستاذ م . ف . عثمان

وابن حزم يدعو فى حرارة الى النقاش والجدال مستندا الى نصوص منها قوله تعالى « وجادلهم بالتى هى احسن » . ومن طريف ما استشهد به ان المسلمين مأمورون باتباع ملة ابراهيم ابى الانبياء ، وقد كان من ملته الحجاج والمناظرة ، فلقد ناقش اهله وقومه فى اصول العقيدة « وحاجه قومه ... »(١) « الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه .. » (١) وكان ابراهيم يفند دعاوى الشرك ويقيم ادلة التوحيد « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه »(٣) !!

فابن حزم يريد أن يعيش الفكر فى النور .. ولا يؤمن بصيانة « الايمان » فى السراديب ! !

انه لا يشفق على (العقيدة) من المنطق ، ويقول : « وقد علمّنا الله الحجة على الدهرية (الطبيعيين) والثنوية (القائلين بالهين) وجميع الملل ، وأمر بالجدال على لسان رسوله (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) وقد علمّنا رسول الله وضع السؤال فى موضعه وكيفية المحاجة ،وقد تحاج المهاجرين والانصار وسائر الصحابة ، وحاج ابن عباس الخوارج بأمر علي ، وما أنكر أحد من الصحابة الجدال فى طلب الحق » ! ! .

وابن حزم يحارب التقليد ، ولا يقر أن يتابع انسان انسانا دون نظر واقتناع ، ولو انتهت المتابعة من الوجهة العملية الى حق أو خير .. وعنده أن المجتهد المخطىء أقرب الى الله من المقلد المصيب ، لأن للأول ثواب اجتهاده وليس عليه وزر خطئه ، والثاني موزور بتقليده وليس له ثواب ما أدركه من صواب ، لأنه لم يبذل جهدا ولم يتحر وجه الحق ! ! .

من هو ابن حزم

هذا المفكر الرائد هو ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، ولد بقرطبة فى الاندلس فى أواخر القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى ـ (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م) وكان أبوه من وزراء الدولة الاموية فى آخر عهدها الاول بالاندلس، وهكذا نشأ ابن حزم يطلب العلم حرصا على العلم لا لمغنم من مغانم الدنيا ، « فلم أرج به الا علو القدر العلمى فى الدنيا والآخرة » ! ! .

ولما خرج السلطان من أيدى الأمويين الى أبى منصور العامرى وأسرته ، واضطربت أمور قرطبة منذ ٣٩٨ هـ ، تعرض ابن حزم وأسرته للشدائد التى يتحدث عنها فيقول « .... امتحنا بالاعتقال

١ ـ الآية ٨٠ من سورة الأنعام ٢ ـ الآية ٢٥٨ من سورة البقرة ٣ ـ الآية ٨٣ من سورة الأنعام

والتغريب والاغرام الفادح والاستتار ، الى أن توفى ابي الوزير ونحن فى هذه الأحوال (٤٠٢ هـ) ، وضرب الدهر ضرباته وأجلينا عن منازلنا ... »

واضطر ابن حزم للنزوح عن قرطبة سنة ٤٠٤ هـ ، فاتجه الى « المرية » ، ولكن واليها من قبل الحموديين الذين غلبوا على قرطبة لم يلبث أن اتهمه فى سنة ٤٠٧ هـ بالعمل للبيت الأموى ، فتعرض للتغريب وتحديد الاقامة . وتعددت محاولات الأمويين لاستعادة السلطة ، وكانت كل محاولة تلجأ الى ابن حزم للاستعانة به ، وانتهت كل المحاولات بالفشل ، وانتهى آخر حكم أموى فى الأندلس ٤٢٢ هـ ، ورحل ابن حزم الى جزيرة ميورقة المجاورة ، ولقى تأييد واليها ابن رشيق ، فلما توفى سنة ٤٤٠ هـ هاج ضده العلماء وهيجوا ، حتى اضطر الى الرحيل ، فنزل اشبيلية وكان يحكمها المعتضد بن عباد ، وقد أمر هذا باحراق كتب ابن حزم . وكانت خاتمة مطاف ابن حزم قرية فيها ضياع أسلافه التي آلت اليه .

ولنستمع الى معاصر ابن حزم المؤرخ الأندلسي ابن حيان يرسم صورة هذا المهاجر الجوال ، الذى يتخلى عن منصبه وماله وموطنه ، ولكنه لا يتخلى عن فكره وعقيدته :

« طفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم ، الى ان انتهوا به الى منقطع أثره بتربة بلده من بادية (لبلة) ، وبها توفى رحمه الله سنة ٤٥٦ هـ – ١٠٦٤ م ، وهو فى ذلك غير مرتدع ، ولا راجع الى ما أرادوا به . يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده ، يحدثهم ويفقههم ويدربهم ، ولا يدع المثابرة على العلم ، والمواظبة على التأليف والاكثار من التصنيف » .

حقوق الانسان الاجتماعية

ومن المعروف أن الدساتير والمواثيق العالمية قد اتجهت أخيرا فقط الى تقرير حقوق الانسان الاجتماعية ، وتقرير مسئولية الدولة الايجابية عن ضمان حقوق الانسان . وكان الاعلان الأمريكي أو الفرنسي لحقوق الانسان عقب الثورتين الأمريكية والفرنسية يشيران الى الحقوق السياسية وحدها ، كما كانت مسئولية الدولة سلبية ازاء تلك الحقوق ، تكتفى بحمايتها من الاعتداء ، ولكنها لا تلتزم بالعمل الايجابي لتهيئة الوسائل التي تحقق مزاولة الانسان لحقوقه واستعماله لها . وعلى أثر قيام هيئة الأمم المتحدة ، أبرمت وثيقة جديدة لحقوق الانسان ، تشمل الحقوق الاجتماعية الى جانب الحقوق السياسية ، وتقرر مسئولية الدولة الايجابية تجاه تحقيق الوسائل والظروف التي تضمن للفرد استطاعة ممارسة حقوقه .

والنص الذى قرأته لابن حزم فى صدر هذا المقال ، يقرر :

التكافل الاجتماعي : اذ يفرض على الاغنياء أن يقوموا بفقرائهم .

مسئولية الدولة الايجابية : تجاه تحقيق هذا التكافل فى المجتمع :

اذ يوجب على السلطة الحاكمة أن تباشر الالزام عن طريق الاجبار ، ضمانا لقيام الأغنياء بالفقراء .

المستوى المعاشي الكريم الذى يعتبر (نصاب) الآدمية ، أو الحد الأدنى المقرر لكل انسان : فى القوت واللباس والمسكن .

وابن حزم يؤيد رأيه بطائفة من النصوص ..

منها الحديث النبوى « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

ومنها كلمة عمر « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء » .

وكلمة على « ان الله فرض على الأغنياء فى اموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم فان جاعوا او عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء » .

وهكذا يمضى فى نقل النصوص من القرآن

والسنة ومن كلام الصحابة عمر وعلي وابن عمر وعائشة والحسن وغيرهم ، ثم يقول : « والنصوص من القرآن والحديث تكثر جدا ... وهذا اجماع مقطوع به من الصحابة لا مخالف له منهم » . وصح عن الشعبى ومجاهد وطاوس وغيرهم ، كلهم يقول : « فى المال حق سوى الزكاة » .

كذلك تؤيد السوابق التاريخية اتجاه ابن حزم فى الزام الدولة ضمان الحقوق الاجتماعية للأفراد ، فقد رأى عمر شيخا من غير المسلمين يسأل الناس فأعلن مسئولية الدولة الاسلامية ازاء رعيتها اجمعين دون تفريق ، كما اعترف فى نقد ذاتى شجاع أن هذا العجوز لم ينل حقه من الانصاف ، وأن المجتمع قد أفاد من شبابه ونبذه فى كهولته ، وأسقط عمر عن الشيخ الذمى الجزية وأمر أن يعال من بيت المال هو وعياله .

وقد ضمن خالد بن الوليد حقوق الانسان الاجتماعية فيما فتحه من بلدان وقال فى رسالة كتبها للخليفة « وجعلت لهم : أيما شيخ ضعف عن العمل ، او اصابته آفة من الآفات او كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله » .

والمستوى الذى يقرره ابن حزم للانسان ، هو المستوى الكريم اللائق بالانسان الكريم :

فهو القوت « الذى لا بد منه » : ولعلماء التغذية أن يحددوا ما يلزم الانسان من سعر حرارى وقيمة غذائية للطاقة وللنمو .. من كربوايدرات وبروتينيات ودهنيات ومعدنيات وفيتنامينات (١) ! ! .

واللباس يكون « للشتاء والصيف » : واللباس كلمة شاملة ، تشمل الملابس الداخلية والخارجية ، وملابس البيت والشارع .

والمسكن ينبغي أن «يكن من المطر والشمس وعيون المارة » : وهذا معناه أن يكون متينا قويا ، لا تعبث به الريح ولا ينفذ خلاله الغبار ، ولا تقتحمه العيون ! ! ...

وهكذا تتوفر كرامة الانسان التي أعلنها القرآن « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

الكفاح فى سبيل الحقوق الاجتماعية

ولبلوغ هذا المستوى المعاشي الكريم :

● يجعل الاسلام العمل حقا للفرد وواجبا عليه ، ولقد كان الرسول يحث على العمل ويدبر وسائله ويعين عليه ، ولا يرتضى أن يعيش الناس على الصدقات . وشريعة الاسلام تحمى حقوق العامل فى الأجر : « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » ، وتجعل ممن يخاصمهم الرسول يوم القيامة « رجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » . وهى تنظم العلاقات الانسانية على أساس من الأخوة العامة التي تشمل الرقيق الى أن يتحرر « فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه » . ولقد أسقط عمر حد السرقة عن رجل كان يعمل عند قوم (بني مزينة) عرفوا بارهاق من يعمل عندهم وتجويعه وغرمهم .

● فاذا حرم انسان السبيل الى العمل ، او كان أجره لا يكفيه لسبب من الأسباب ، أو عجز عن العمل لمرض أو شيخوخة فهو فى كفالة الجماعة فى صور شتى ... فى كفالة الأسرة التى ينتمى اليها اذ يأمر الشرع بالنفقة وصلة الأرحام .

وفى كفالة المجتمع كله « فمن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد أسلمه » ـ على حد تعبير ابن حزم . فليس خذلان المرء لأخيه مقصورا على خذلانه فى ساحة المعركة ! ! ومن ترك انسانا يموت جوعا أو عريا ـ وهو قادر على تخليصه فلم يفعل ـ كان مرتكبا لجريمة القتل بطريق الترك أى بصورة سلبية . والتشريع الجنائي الحديث لا يغفل هذه الصورة من الاجرام ، ويسلط عليها أضواء البحث والتقدير وقد نص الامام الدردير من فقهاء المذهب المالكي فى الشريعة

البقية على صفحة ٦٦

١ ـ نعتقد أنه لا داعى لتدخل علماء التغذية فى هذه التحديدات فالبلد يعيش الفقير فيه هو الذى يحدد نوع القوت الذى لا بد منه كما يحدد نوع الملابس الخ .. « الوعى »

في ذكرى فتح مكة

في مهبطِ الوحي دينُ الله يزْدهــــرُ وعن حماه ظـلالُ الشرك تنحســرُ
أرضُ النبيين تعتز السمـاءُ بهـــا وتنحـنى لرباها الشمسُ والقمــر
وان تسلل شيطانٌ لـه زُمَـــرٌ بالشهْب يحــترقُ الشيطانُ والزمر

***

يابلــدةً شرّفَ الرحمنُ رُقعتَهـا لا الزرع ينمـو بواديها ولا الشجرُ
الله أنبتَ فيها نبتـةً – عجبــا للزارعين – أثارتْ غيـظَ من كفروا
هذى الرسالاتُ – والاسـلامُ خاتمُها نبتُ الهدايةِ ، بالاسلام تزدهــرُ
أقام فيها خليلُ الله أعمـــدةً للبيت يقصده عافٍ ومقتــدر
تهـوى لهـا من بقاع الأرض أفئـدةٌ يقضـون حق الذرارى مثلَما أُمِرُوا
منذ ابن هاجر ، في المسعى قد ازدحموا يحج من كان ذا تقوى ويعتمــر

***

مضى زمانٌ علتْ للجهـل ألويــةٌ غطّتْ عـلى العقـل حتى أُلّه الحجـر
فأرسل الله بالاسلام هاديَنــا يدعو اليـه قريشـاً بعد أن فَجَـرُوا

***

لما رآهم نبىُّ الله في عَمَـــهٍ ولاحَ منهـمْ على من آمنوا خطـر
خلّـى بمـكةَ أهـلاً يخذلون الـى أهل المدينة قد آوَوْا وقد نصـروا
بهم ومن هاجرُوا عزت مرفرفـةً في الأرض أعلامُ دين اللهِ تنتصـر
همْ غزوا قبل أن تُغْزَى معاقلُهـم عشرين غزوا وما في كلهـا ظَفِـروا

***

وبعد عشرين كان الفتحُ قد أزفَـتْ أيامهُ عندما الكفـار قد غـدروا
من ينقض العهدَ مُعْوَجٌّ وذو إحَـنٍ والسيف وِرْدٌ لمـن بالغدرِ قد صـدروا

للشاعر احمد عنبر
مراقب الامتحانات بوزارة التربية ـ الكويت

وَرُبَّ ذي عوج لا شيءَ يصلحُـــه أوْلَى به أنه يُلوَى فيَنْكَسِــر

* * *

فتـح من الله للهـادى ، له اكتملت يوم الحديبية الآراء والفكـر
في يـوم مـكة تم الفتح إذ طهـرت أرجاؤها وتولى الشـرك يندثـر
« ماذا تظنون أنى فاعل » ؟ سئلـوا قالوا « أخ » فقضـى بالعفو مقتـدر

* * *

يا أمة العربِ ذا تاريخُكم عظـةٌ من فتحِ مكة قد لاحتْ لكم عِبَـر
فطهِّروا منتهى مسرى الرسولِ كما أزيلَ عن مبتداه الرجسُ والقـذر
هذى فلسطينُ هلاَّ تُستَعَادُ كمـا أعاد مـكةَ للاسلامِ من غَبَـروا
لا تيأسوا انها لا شك عائـدةٌ اذا قَدَرْتُمْ كما آباؤكـم قَـدَروا

* * *

فاستمسكوا بحبالِ الله مثلهـم وأصلحوا كلَّ من في نفسه غِيَـر
واخشوشنوا ودعُوا عيشَ اللّيَان فما يرضى الوداعـةَ الا الشَّـاءُ والبقر

* * *

أَمَّا الأسودُ كأجـدادٍ لكم فهـمُ يخشاهـم كلُّ بَطَّـاشٍ اذا زأروا
وإن أداروا الى عادٍ عيونَهـمُ يُطِـلُ منهـا لهيبُ النارِ والشـرر
لايركنـون الى ذلٍ ولا دَعـةٍ ولاينامون والأعداءُ قد سَهِـروا

* * *

ياقائـدَ الفتح والاسلام تنشـرُه عنايـةُ الله لا بالسـيفِ ينتشـر
قد كان سيفـك دفَّاعا لـكل أذىً بقوة الحق ان الحـقَّ منتصـر

الاسلامية فى كتاب الشرح الكبير : « يضمن من يترك تخليص مستهلك من نفس أو مال ،قدر على تخليصه بقدرته أو جاهه أو ماله ، فيضمن فى النفس الدية وفى المال القيمة » .

● والانسان فى كفالة الدولة أولا وأخيرا ، هي التي تلتزم بتهيئة وسائل العمل له وتضمن حقوقه فيه ، وهي التي تلتزم بالانفاق عليه أثناء البطالة أو المرض أو الشيخوخة . كذلك فان الدولة هي التيتنظم ــ بسلطةالحكم ــ التزاماتالاسرةوالمجتمع ازاء الفرد . وقد حدد الرسول الأصل الجامع فى مسئولية الدولة ازاء حقوق الأفراد الاجتماعية : « ما من مؤمن الا وانا أولى به فى الدنيا والآخرة ، أقرأوا انشئتمقول اللهتعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك دينا (مفرد ديون) أو ضياعا (أى صغارا كان يعولهم) فليأتني فانا مولاه » .

● وابن حزم يعلن الجهاد اذا تنكر الطغيان لحقوق الانسان ، وذلك لاسترداد الحق المغصوب ودفع العدوان .

الأرض لمن يفلحها

وقد اقترب ابن حزم من مبدأ « الأرض لمن يفلحها » حين رفض اجارة الأرض ... انه يقول فى كتابه (المحلى) :

« ولا تجوز اجارة الأراضى أصلا ، لا للحرث فيها ، ولا للغرس فيها ، ولا للبناء فيها ، ولا لشيء من الأشياء أصلا .. لا لمدة مسماة قصيرة ولا طويلة ولا بغير مدة مسماة ، لا بدنانير ودراهم ولا بشيء أصلا .. فمتى وقع فسخ أبدا » .

وابن حزم كعادته لا يسوق القول على عواهنه ، وانما يستمده من الدراسة العميقة والبحث الرصين ، وهو يورد عن النبي أحاديث منها « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها ، فان ابى فليمسك أرضه » ، « نهى رسول الله عن كراء الأرض » . وهكذا لا يكون لمالك الأرض الزراعية ــ عند ابن حزم ــ الا منحها دون مقابل ان لم يشا أن يستغلها بنفسه ، وهو لا يستطيع أن يمسكها دون استغلال أكثر من فترة قصيرة حددها الحديث « وليس لمحتكر حق بعد ثلاث سنين » !

وابن حزم يخالف جمهور الفقهاء فى هذا الرأى ، وأمانته العلمية تجعله يقرر ذلك ، ويناقش الرأى المقابل تفصيلا فهو يقول « اتفق أبو حنيفة ومالك والشافعى وأبو يوسف ومحمد وزفر وأبو سليمان على جواز كراء الأرض » .

ونحن نجد أن من الفقهاء الذين قرروا جواز اجارة الأرض ، من وضع مبدأ آخر يضمن عدم التعسف فى استعمال الحق ، وهو المبدأ الذى نجده عند ابن رشد من فقهاء الأندلس وابن تيمية من فقهاء الشام ونعنى به « وضع الجوائح » فاذا أصابت الزرع آفة وضعت الأجرة عن المستأجر .

الجوع العقلي

وابن حزم لا يغفل أن يكافح جوع العقل كما كافح جوع البطن !

ان التعليم فى الاسلام حق للفرد وواجب عليه كذلك ، والتعليم هو الذى يهيء فرص العمل ويعين على تقدم الانتاج . ولقد كان الاسلام دائما (دعوة) للهداية والارشاد ، وقد انتشر دعاة الاسلام منذ مبعث رسوله يقرئون القرآن ويروون الحديث ويخاطبون الجمع ويعلمون الدين ، وكان للنساء مجلسهن الذى يطلبن فيه العلم كالرجال والتعليم فى الاسلام الزامي ، وعلى الدولة أن تهيء وسائله .

ونحن نجد ابن حزم هنا يحدد (نصابا) من العلم فى كتابه (الأحكام) يعتبره حدا أدنى أو (تربية أساسية) لا بد من توفره لكل فرد : ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا ، ويعتبر الفرد مسئولا عن تحصيله والدولة مسئولة عن كفالته ، يقول بعد أن عدد هذه الموضوعات الضرورية اللازمة للانسان : « وفرض عليهم أن يأخذوا فى تعلم ذلك

حين يبلغون الحلم وهم مسلمون ، أو من حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم . ويجبر الامام أزواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهم ما ذكرنا ، أما بأنفسهم واما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهم ، وفرض على الامام أن يأخذ الناس بذلك ، وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال » .

والمرأة لها حق التعليم كالرجل سواء بسواء .. فاذا تعلمت المرأة أخذت مكانها فى التوجيه الفكرى بلا غضاضة ، وابن حزم يقرر ذلك فى وضوح « فان قالوا : فاوجبوا عليهن النفار للتفقه فى الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قلنا : نعم هذا واجب عليهم كوجوبه على الرجال .. ولو تفقهت امرأة فى علوم الديانة للزمنا قبول توجيهاتها ، وقد كان ذلك ، فهؤلاء أزواج النبي وصواحبه قد نقلت عنهن احكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا فى ذلك » .

وابن حزم يجيز للمرأة أن تجلس فى مقعد القضاء .. فلقد قرر فى (المحلى) :

« وجائز أن تلى المرأة الحكم ، وهو قول أبى حنيفة (١) . وقد روى عن عمر أنه ولى الشفاء ــ امرأة من قومه ــ السوق . فان قيل : قد قال رسول الله : (لن يفلح قوم أسندوا أمرهم الى امرأة) قلنا : انما قال ذلك رسول الله فى الامر العام الذى هو الخلافة . وبرهان ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (المرأة راعية على مال زوجها وهي مسئولة عن رعيتها) وقد أجاز المالكية ان تكون وصية ووكيلة ولم يات بنص من منعها أن تلى بعض الأمور » ! ! .

المفكر الرائد

هذا هو ابن حزم ... المفكر المتحرر ، الذى أبى أن ينقاد (العقل) للأهواء السائدة الشائعة المتمتعة بحماية السلطات ! ! ..

وهكذا ترك مذهب (مالك) ... ودرس مذهب (الشافعى) .. ولكنه فى خاتمة المطاف رفض أن يتبع غير المعنى الذى يفهمه من النص الصحيح ! ! .

ولقد أصدر المعتضد صاحب اشبيلية أوامره باحراق كتب ابن حزم استرضاء للمقلدين ... وفى هذا الحريق قال الامام شعرا :

دعوني من احراق رق وكاغد
وقولوا بعلم : كي يرى الناس من يدرى

فان تحرقوا القرطاس لن تحرقوا الذى
تضمنه القرطاس ، بل هو فى صدرى

ولكن علم ابن حزم لم يدفن معه ، كما لم يحرق مع الورق المشتعل .... لقد بقى :

« التقريب » فى المنطق .

و « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » الذى اشتهر به ابن حزم فى الغرب كمؤسس لعلم الأديان المقارن كما يقول هـ . أ . د . جب .

و « الاحكام فى أصول الأحكام » فى أصول الفقه.

و « المحلى » فى الفقه ، وقد اختمر فى اجزائه الأحد عشر موسوعته الفقهية الضائعة (المحلى)

و « جوامع السير » فى السيرة والتاريخ .

و « طوق الحمامة » فى الحب .

ولقد ضاع من هذا التراث الجليل آثار قيمة .. ولكن بقى « ابن حزم » قمة مفردة فى تاريخ الفكر الاسلامي .

* * *

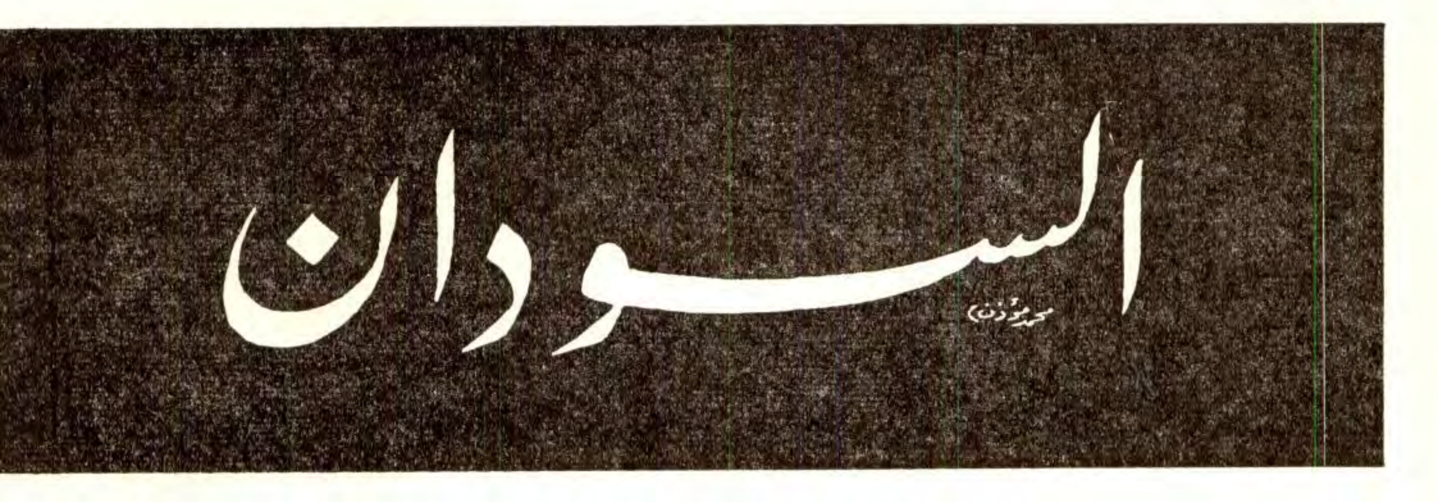
وذهب أصحاب الحريق .. اتت عليهم نار الزمن بعد نار الحقد « فأما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

صدق الله العظيم

---

١ ـ أجاز الاصناف توليها القضاء فى غير الجنايات (الوعي)

اعرف وطنك



اعداد
ادارة الشؤون الاسلامية
بالوزارة

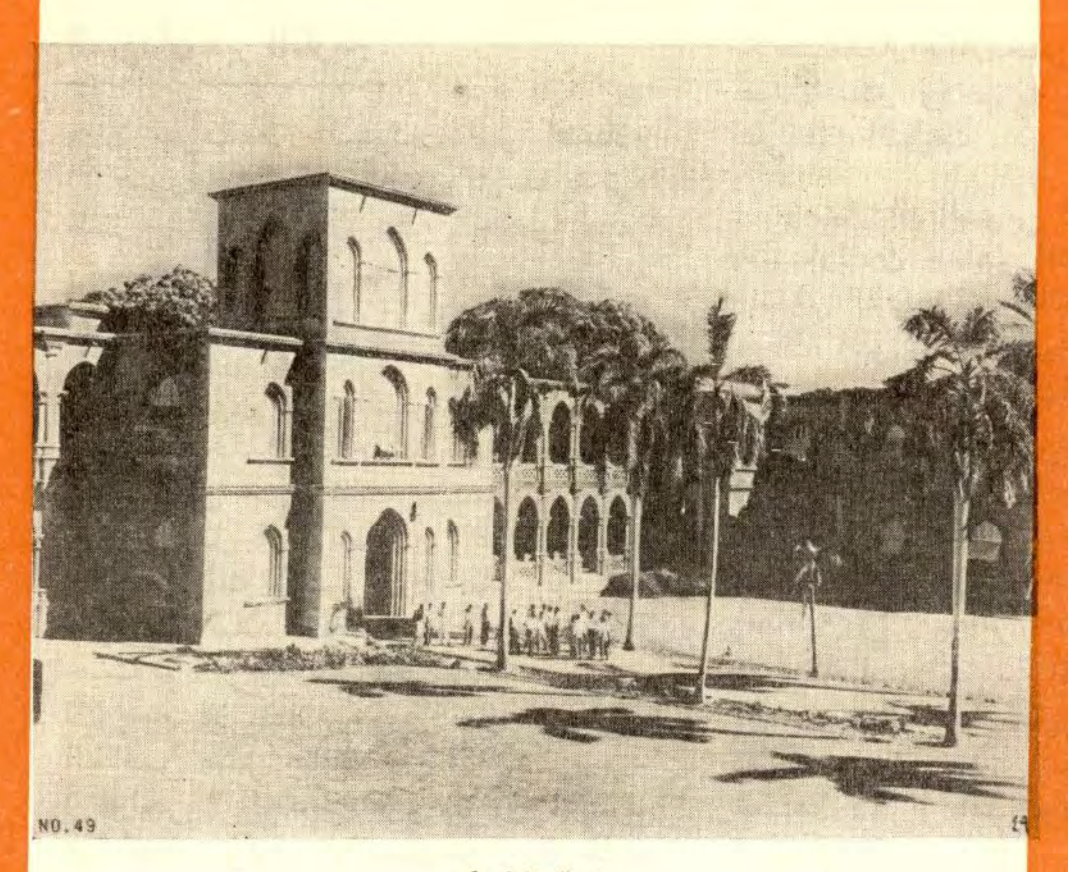
مقدمــة

ان الاحداث الاخيرة التي مرت على السودان وكان من ثمراتها زوال الحكم العسكرى الدكتاتورى ، وقيام الحكم الشورى البرلماني ، لدليــل واضح على اصالة هذا الشعب الحر، وطيب اخلاقه وصلابة عقيدته ،وعمق ايمانه بالحرية التى هى من ابرز خصائص الاسلام الذى يدين به شعب السودان المسلم .

ولئن ظل السودان فترات من السنين يرسف تحت وطأة الاستعمار البريطاني الغاشم ، فان الثورات الاسلامية العارمة التي قادها دعاة الاسلام امثال الامام المهدى ومن جاء بعده من المجاهدين الصادقين ـ تعطى صورة مشرقة على ان الشعوب الاسلامية التي رضيت بالله ربا وبالاسلام عقيدة ومنهج حياة ـ لا يمكن ان تستكين لسلطان غير سلطان الله ، ولا ان تخضع لحكم غير حكم القرآن .

جغرافية السودان :

يقع السودان فى القسم الشرقي مــن افريقيا ، ويمتد على مساحة تقرب من المليون ميل مربع،يحده شمالا الجمهورية العربية المتحدة ، وشرقا البحر الاحمــر والحبشة ، ومن الجنوب كينيا واوغنده والكونغو ، ومن الغرب تشاد وليبيا .



جامعة الخرطوم



ويشكل السودان سهلا واحدا واسعا تحيط به الجبال من الشرق والجنوب ، يرويه نهر النيل وروافده : عطبره والنيل الازرق وسوبات والنيل الابيض ، ومناخ السودان فى الجنوب مناخ استوائي مع حرارة رطبة ، وامطار غزيرة،وفى الشمال مناخ صحراوى ، بارد فى الشتاء ، حار فى الصيف .

سكانه :

ويبلغ عدد سكان السودان حوالى ١٥ مليون نسمه تقريبا وتبلغ نسبة المسلمين ٨٥٪ واللغة العربية هي اللغة الشائعة فى السودان .

اقتصادياته :

يعتمد السودان فى اقتصاده على الزراعة بالدرجة الاولى ، ويعتبر القطن المادة الرئيسية فى اقتصاديات البلاد ، وهو من أجود انواع القطن فى العالم ، وكذلك الصمغ العربي الذى تنفرد السودان بتصديره للعالم وكذلك فستق العبيد ، والقمح والذرة والسمسم وغير ذلك من المحاصيل .

وهناك مشاريع زراعية كثيرة تقوم فى السودان كمشروع الجزيرة الواقع على النيل الابيض والنيل الازرق والذى يمكن ان يروى اكثر من اربعة ملايين فدان بعد انجازه عام ١٩٦٧ م .

اما صناعة السودان فهي فى اول الطريق ، فهناك مصانع للسكر ولدباغة الجلود والاسمنت والغزل والنسيج والورق والزجاج والبلاستيك والصابون والكبريت والمنتجات الكيماوية .

السودان عبر التاريخ :

لا يعرف عن السودان قبل الاسلام الا صورة عامة غامضة ، وكل ما يذكره التاريخ ان الرومان حين حكموا مصر وسعوا امبراطوريتهم نحو الجنوب فوصلوا السودان ، وفى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام المسلمون بفتح السودان بعد فتح مصر ، واخذ الاسلام يتغلغل فى صفوف السودانيين حتى كانت سنة ١٢٧٥ م حين دخل فى الاسلام (عبد الله بن سابنو) ملك نوبيا ، وفى هذه الفترة تعرضت البلاد لهجرات عربية واسعة حيث تم التزاوج ، واهتدى عدد كبير من النوبيين للاسلام ، وفى نهاية القرن الخامس عشر جاءت الى الحكم اسرة (فونجى) الجديدة ، وكانوا فى الغالب من اصل عربي ، واستمرت زهاء ثلاثة قرون .

الكفاح السياسي :

وفى عهد الدولة العثمانية اوفد حاكم مصر محمد علي حملة الى السودان عام ١٨٢٠ م واستطاع ضم السودان الى مصر واصبحت تحت ادارة واحدة،وحين تولى حكم مصر الخديوى اسماعيل فسدت الادارة ، وانتشرت تجارةالرقيق على يد الاوروبيين بشكل مخيف ، وسام الاوربيون الذين كانوا اصدقاء اسماعيل ـ السودانيين ـ الخسف والظلم ، وفى تلك الاثناء قام الامام (محمد احمد المهدى) بثورته الاسلامية المشهورة ، واعلن استقلال السودان عام ١٨٨٥ م وتخلص من الحكم الاجنبي ، وظل السودان يتمتع بالاستقلال التام حتى عام ١٨٩٩ م عندما اعيد احتلاله مرة اخرى بالقوات الانكليزية المصرية بقيادة لوردكتشنر بعدهزيمة القوات السودانية بقيادة المهدى عبد الله التعايشي ، على ان الامر ما كاد يستقر للبريطانيين حتى ظهرت بعض الحركات المسلحة لمقاومة الاستعمار وكان من اقواها حركة عبد القادر ودحبوبه وحركة البطل علي عبد اللطيف .

ومـا زال الوعي السياسي يزداد انتشارا بين جماهير الشعب السوداني المسلم الذى ظل يطالب بالاستقلال ، وجلاء القوات الاجنبية ، واتخذ كل اساليب المقاومة الممكنة ، حتى اضطرت حكومة الاستعمار البريطاني الى الدخول فى مفاوضاتمعحكومة مصر برئاسة اللواء محمد نجيب آنذاك لوضع حل لمشكلة السودان ، وكانت نتيجة ذلك انتمتوقيع اتفاقية ١٢/فبراير/١٩٥٣ بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية نصت على ان يمنح السودان فترة انتقالية لمدة ثلاث سنوات تحت اشراف هيئة دولية تمهيدا لتقرير السودانيين مصيرهم بأنفسهم .

وفى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٥ اعلن برلمان السودان بالاجماع ان السودان جمهورية مستقلة ذات سيادة ، وظل الوضع على هذا الشكل حتى كانالانقلاب العسكرى سنة ١٩٥٨ الذى اطاح بالحكم الشورى ، واقام الدكتاتورية العسكرية ، وسيطر الجيش على كل مرافق الدولة ، وامسك بجميع السلطات .

وبقى الشعب السودانى المسلم تحت حكم عسكرى عنيف طيلة ست سنوات حتىكانتثورة اكتوبرسنة١٩٦٤الشعبية التى خاض غمارها الشعب السودانى الاعزل ـ وفى مقدمته الطلائع المؤمنة من شباب الجامعات وأساتذتها ـ ضد العساكر الطغاة ، فكان انهيار الحكم الدكتاتورى وزواله ، وقيام الحكم الشورى على أنقاضه ..

قضية الجنوب :

وعلى عادة الاستعمار فى كل مكان وزمان أنه لا يخرج من بلد الا ويترك فيها أسباب الفرقة والخلاف وهذا ما فعله فى السودان .



الوفد السوداني برئاسة السيد اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة وقد قدم الى الكويت ليعزي في وفاة الامير الراحل ويهنىء سمو الامير صباح السالم الصباح

فقد درجت الصحف الاوربية فى السنتين الاخيرتين على افساح المجال لحملة صليبية منظمة ضد السودان ، وطفقت تلك الصحف الغربية تصور ما أسمته باضطهاد المسيحيين فى جنوب السودان تحت عناوين ضخمة بارزة .

وحقيقة الامر أن الانكليز المستعمرين ابان حكمهم الطويل للسودان استقدموا معهم - كعادتهم دائما - جيشا جرارا من المبشرين فى محاولة لتنصير المسلمين ولما وجدوا أن شمال السودان لا يمكن أن ينفع مع أهله التبشير ، ضربوا حصارا فاصلا بين شمال السودان المسلم ، وبين جنوبه الذى كان أكثر سكانه من الوثنيين آملين ألا تمضى سنوات ، الا ويتنصر جنوب السودان ، وينفصل نهائيا عن شماله ، ولقد كانوا يأخذون الاطفال الجنوبيين الى مدارسهم منذ نعومة أظفارهم حتى المرحلة المتوسطة ، والعجيب أن وزارة المعارف السودانية آنذاك كانت تدفع ٩٨٪ من نفقات هذه المدارس التبشيرية دون أن تشرف عليها .

ولما أعلن استقلال السودان ، وسيطرت الحكومة الوطنية على كل مرافق الدولة ، ومنها وزارة التربية والتعليم شعر المبشرون بأن الاستقلال يعنى انتهاء الوضع المتاز بالنسبة لهم ، ومن هنا راحوا يحيكون المؤامرات ويبثون الاراجيف والدعايات ويشجعون سكان الجنوب على الانفصال عن الشمال ، وحمل بعض القسس السلاح مع العصاة المتمردين ضد الحكومة ، واستعملت بعض الكنائس كمخازن لاسلحة البغاة الثائرين ، ولعبت حكومة الحبشة دورا خطيرا فى ايواء الثوار وامدادهم بالاسلحة .

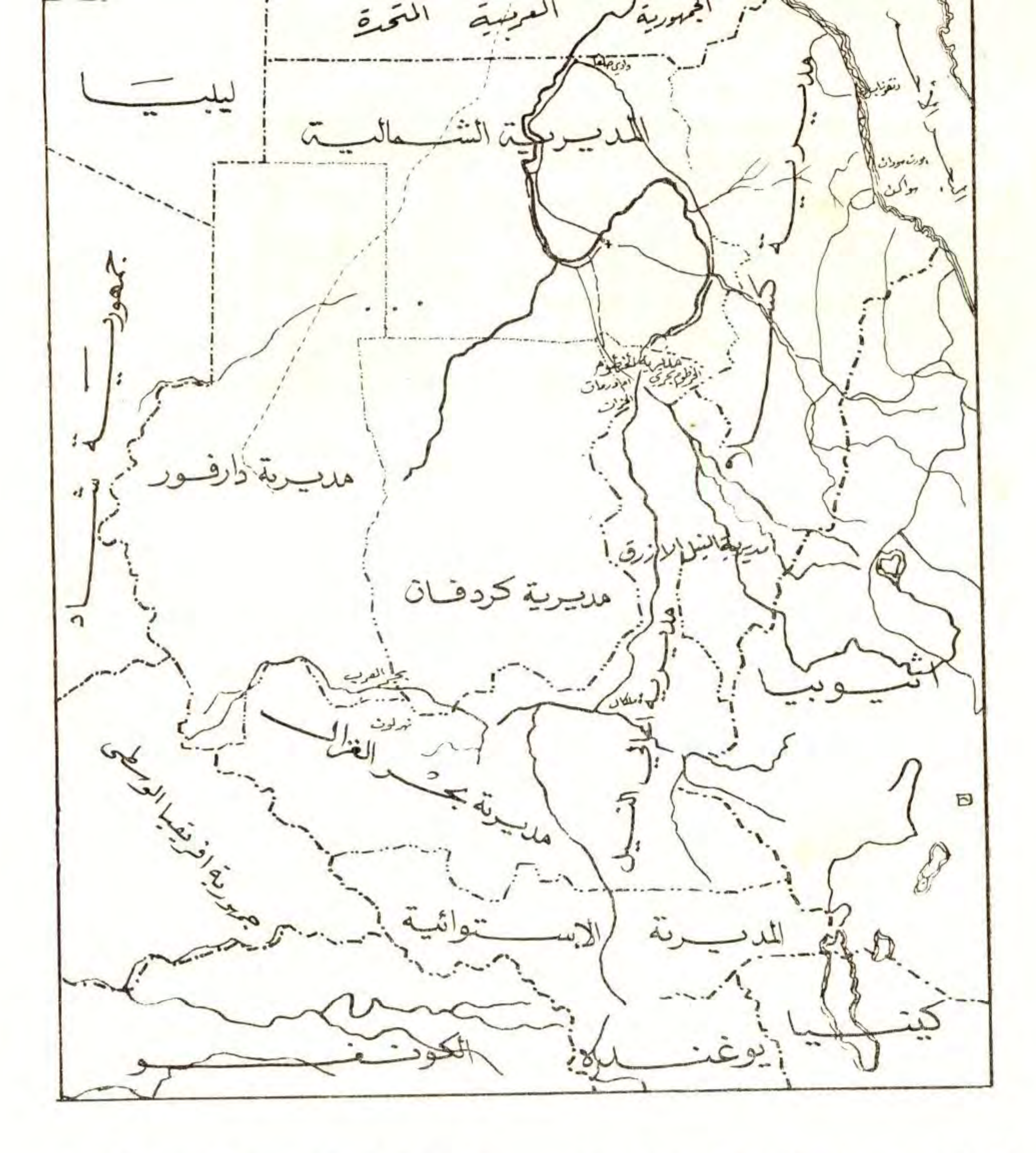
وأرادت حكومة السودان أن تضع حدا فاصلا بين التبشير المسيحى والعمل السياسى لصالح المستعمرين ، ولكن هيئات التبشير ثارت ثائرتها وأعلنت غضبها واعتبرت أن اشراف الحكومة على المدارس التبشيرية انما هو انتهاك لحريتها وتقييد لنشاطها .

واضطرت الحكومة السودانية أمام تمادى بعض القسس واستهتارهم بأوامر الحكومة ومناداتهم بالثورة المسلحة الى اقصاء بعضهم الى خارج البلاد ، وما أن تم هذا الاجراء حتى تنادى العالم المسيحى ، وعلى رأسه الفاتيكان يندد بحكومة السودان ، ويتهمها باضطهاد المسيحيين ، وتقييد حرية الدين ، ويطالبها باعادة المبشرين المطرودين وكان للصحافة الغربية والصحف العميلة فى الشرق دورها فى تشويه الحقائق .

ولكن الشعب السودانى المسلم عرف كيف يفرق بين المسيحية كدين وبين المبشرين كطلائع للاستعمار وخدام لمطامعه ، وعرف كيف يفرق بين الثقافة كعلم وبين مدارس التبشير كسم فى الدسم ، ولقد أعلن السودان رأيه بصراحة واضحة فى الرسالة التى بعث بها زعيم حزب الامة الى البابا حيث قال : (... نحن نرحب بالمبشرين من افريقيا والبلاد العربية ولكننا لن نقبل المبشرين الذين قدموا مع الاستعمار وكانوا من وسائل سيطرته).

خاتمة :

ومما تقدم نلاحظ أن من أبرز المعالم فى صفات هذا الشعب أنه لا يطيق الصبر على الظلم ، ولا يستسلم لبطش الطغاة ، ولا يرضى بتقييد الحرية وتكميم الافواه ،



ولا يقبل غير الاسلام فكرة وعقيدة لان جذور الايمان فى السودان لها امتدادها وعمقها واصالتها .

وقد جاءت الانباء مؤخرا عن غضب الجماهير المؤمنة وسخطها على دعاة الالحاد والاباحية من الشيوعيين العملاء الذين تطاولوا على مقدسات الاسلام ، فكانت ثورة رجب الجماهيرية العارمة التى عمت البلاد من أقصاها الى أقصاها، فاستجابة الحكومة السودانية لمطالب الشعب وأصدرت الجمعية التأسيسية قرارها التاريخى بحل الحزب الشيوعى السودانى وتصفيته واعتبار الشيوعية جريمة يعاقب مروجها .

فكان هذا درسا ثالثا ـ بعد درس العراق واندونيسيا ـ يتلقاه دعاة الماركسية فى البلاد الاسلامية التى لم ولن تهضم الافكار الدخيلة والمبادىء المنحرفة لان فى مبادىء الاسلام ما يغنى عن سواه * « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » * .

بقية : تكريم الانسان

تكريم فى الارض

وبعد ان نزل آدم الى الارض احاطه هو وذريته برحمته ، وغمرهم بفضله وجعل لهم الارض ذلولا ، ليمشو فىمناكبها وياكلوا من رزقه .

وسخر لهم ما فى الارض جميعا ليصنعوا منه ما يحقق لهم السعادة والكرامة فى البر والبحر والجو .

ووفر لهم كل ما تشتهيه الانفس لحما شهيا وسمكا طريا وماء رويا وفاكهة كثيرة . ولم يتركهم ليضلوا الطريق ويتنكبوا سواء السبيل .

بل سخر لهم من ملائكة السماء من ينزل بالهدى والرشاد ، ليوحوا به الى من اصطفاهم من عباده من بنى جنسه ، كى يستبين لذريته معالم الطريق، آخذين بيدهم الى ما يوطد كرامتهم ويدعم سعادتهم .

ولهذا امرهم بعبادة الله وحده حتى لا يذلوا انفسهم بطاعة مخلوق سوى الله الذى اعزهم وكرمهم .

كرامة الانسان فى غيبته وبعد موته

وكان من بين احكام الدين حفظ كرامة الانسان حتى فى غيبته ، فحرم الغيبة التى هى ذكر الانسان بما يكره ولا يحب فى غيبته ، بل بالغ فى المحافظة على كرامة الانسان وهو غائب مبالغة كبيرة فشبه من يغتاب اخاه بمن ياكل لحم الميتة او الجيفة .

وبعد موته أمر بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه .

مع انه اصبح مجرد جثة لا تحس كلهذه الانواع من التكريم .

تكريم الانسان شريعة الله فى الاسلام

واذا فكرامة الانسان شريعة السماء لاهل الارض ، وارادة الخالق للخلق ، ونداء من الله لبنى الانسان ، ان يقدروا كرامتهم ، ويصونوا عزتهم ، وينفضوا عن انفسهم كل احساس بالمهانة والذل .

وشريعته فى كل الاديان

ولذا كانت عقيدة التوحيد هى اساس الاديان السماوية كلها ، لان وحدانية الله هي القوة التي حطمت عن الانسان اغلاله ، ومزقت قيوده وحطمت كل حاجز يحول الانسان وبين كرامته ، وهوت بالمتألهين الظالمين عن عروشهم الملحدة ، ودحرجت على الارض اولئكالطغاة المستبدين الذين انتفخت اوداجهم بالكبر وامتلات نفوسهم بالغرور .

وما دامت هذه شريعة الله فى كل الاديان السماوية ـ فيكون كل من خرج عليها خارجا على شريعة الله مطرودا من رحمته ، كما اخرج الله ابليس وطرده من رحمته .

واجبالانسان نحو كرامته

ولكن لا يكفى ان نجلجل بصوتنا فى آذان الطغاة الذين استذلوا بنى الانسان وامتهنوا كرامته . بل يجب على كل فرد فيه صفة الانسانية ان يحافظ على كرامته ، ولا يفرط فى هذه الكرامة ، ولا يسمح لكائن من كان ان يمسها او يخدشها .

ولكنذلك لا يكون بالجعجعة والصلف والفطرسة والادعاء ، فلا يكفى لانسان ان يدعى العزة وهو جاهلحقير . ولا يكفيلانسان ان يدعىالكرامة وهو ضعيف ذليل . بل ان من يريد الكرامة والعزة لا بد ان يعمل لهما ويدفع ثمنهما .

فكل شيء فى الدنيا له ثمن ، وكل شيء يتناسب ثمنه مع قيمته .

وثمن الكرامة والعزة هو ان يحقق الانسان معنى الانسانية فى نفسه ويدعم معنى الكرامة فى عقله وشخصه .

فلا ياتى من الاعمال ما يتنافى مع الانسانية ، ولا يتفق مع الشرف والكرامة .

الكرامة كلها فى طاعة الله

ولن يستطيع اىانسانان يحقق معنى الانسانية فى نفسه ، ويدعم كرامته فى عقله وشخصه الا اذا حافظ اولا وقبل كل شيء علىكرامته مع ربه الذى كرمه قبل ان يخلقه وبعد ان خلقه ، بل كرمه حتى بعد موته .

ولا يمكن ان يتحقق للانسان ذلك الا اذا اخذ نفسه بتعاليم الدين وسار معها شبرا بشبرا وذراعا بذراع .

وقد قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .



« كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياةالدنيا الا متاع الغرور » .

(قرآن كريم)

« ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الادنين انهم لا يعلمون الا خيرا ، الا قال الله قد قبلت علمكم فيه ، وغفرت له ما تعلمون » .

حديث صحيح

لقاء فى جنازة

لقى الحسن البصرى الفرزدق فى جنازة ، فقال له الحسن ، ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ ستين سنة ، وخمس نجائب .. يعنى الصلوات الخمس .

سكرات الموت

قال ابن عباس دخلت على عمرو بن العاص وهو يحتضر ، فقلت له ، يا أبا عبد الله كيف تجدك ؟

قال أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض ، وانا بينهما ، وأراني كأنما أتنفس من خرت ابرة ، ثم قال :

اللهم أمرت فعصينا ، ونهيت ، فركبنا ، فلا برىء فأعتذر ، ولا قوى فانتصر ، ولكن لا اله الا الله ، ثم فاضت روحه .

أسى ولوعة

ومن عجب أن بِت مستشعَر الثرى
وبتُ بما زودْتَنِي متمتعا
ولو أنني أنصفتكَ الودَّ لم أبتْ
خلافَكَ حتى نَنْطَوى معا

نعيم الجنة

من يدخل الجنة ينعم ، ولا ييأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه . فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

(حديث شريف)

الوفاء بالبيعة

« ان الذين يبايعونــك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومــن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما » .

(قرآن كريم)

الوزير الصدق

اذا أراد الله بالأمير خيرا جعــل لــه وزير صدق : ان نسي ذكره وان ذكر أعانه ، واذا أراد الله به غير ذلك جعــل له وزير سوء ، ان نسي لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه .

(حديث شريف)

بطانة الخير

ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف مــن خليفــة الا كانت له بطانة تأمــره بالمعروف ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم اللــه .

حديث صحيح

تفسير آيــة

ســأل رجل ابن عباس عــن تفسير قوله تعالى « أولم ير الذين كفروا ، أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

فقال كانت الســماء رتقــا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق الله تعالى للأرض أهلا فتــق هذا بالمطر وهذه بالنبات .

الدعاء للحاكم

سئل أحد الحكماء اذا كانت لك دعوة مقبولة ، فلمن تدعو بها :

قال : ادعو بها للحاكم ، فان بصلاحه يصلح خلق كثير .

الزهد فى امارة

عن أبى موسى رضي اللــه عنه قال : دخلت انا ورجلان من بني عمي على النبي صلى الله عليــه وســلم فقــال : أحد الرجلين . يا رسول الله أمّرنا على بعض ما ولاك الله ، وقــال الآخر مثل ذلك . فقال انا والله لا نــولى على هذا العمل احدا سأله ، ولا أحدا حرص عليه .

(حديث شريف)

التــــوراة

رأينا أن نفرد للحديث عن « التوراة » فصلا خاصا ، انطلاقا من ايماننا بأن « التوراة » كانت ــ ولا تزال ــ ذات أثر بالغ عميق فى خلق مأساة فلسطين فى العصر الحديث . فهي التي تغذى الذات اليهودية ــ أينما ثقفت ــ بأساطير وخرافات تنمي الغرور والانانية والحقد فى الوجدان اليهودى ، ليس ضد العرب فحسب ، بل ضد الأسرة البشرية : بجماعها . والتوراة أيضا كانت سلاحا حادا ووسيلة فعالة ، اعتمد عليها الصهاينة فى خداع الغربيين ، زعماء وشعوبا ، واكتسابهم الى جانبهم في معركتهم مع العرب باسم الدين ، فقد استطاع دهاقنة اليهود أن يزينوا لجماهير المسيحيين أن التوراة هي أم « الانجيل » ومصدر الهامه ، فأطلقوا على التوراة اسم « العهد القديم » وعلى الانجيل « العهد الجديد » .. وأوهموا السذج والمغفلين من مسيحيي الغرب، أن ايمانهم يظل أبتر طعينا ، ما لم يؤمنوا بكل ما جاء فى العهد القديم ! .

والأطرف الأعجب أنهم قدروا أيضا : أن يدرجوا « التوراة » فى المناهج الدراسية فى دول الغرب ، حيث شرع فى تدريسها ــ وما يزال ــ على أنها مادة تاريخية تدرس كما تدرس آثار هيرودوت أو غيره من المؤرخين . ومن اليسير أن نجد ــ فى نهاية القرن العشرين هذا ــ مثقفا غربيا يجهل تاريخ الحضارة الاغريقية ويلم بأخبار وأساطير شمشون الجبار ! .. ولم يكن عسيرا على الصهاينة اليهود بعد ذلك ، أن يدخلوا فى روع الرأى العام الغربي ، أن فلسطين يهودية، وأن لهم فيها حقوقا تاريخية ودينية ، ما دام كل مواطن غربي درس فى طفولته فى مدارس حكومية التوراة بكل ما فيها من أضاليل ، وخرافات : وأكاذيب .

ليست التوراة الحقيقية

وقبل أن نوغل فى الحديث ، يتحتم أن نشير الى أن التوراة التي بين أيدينا ، هذه الأيام ، ليست هي « التوراة » الحقيقية التى تلقاها النبي موسى ، فى صحراء سيناء . وانما هي مجموعة من الأسفار التي لفقها أحبار اليهود ووضاعوهم ، فى فترات متباينة من التاريخ . ولقد أكدت المكتشفات الأثرية أن قصصا كثيرة وردت فى التوراة ، لم تكن فى الواقع سوى مقتبسات عن أساطير وقصص كانت متداولة قبل العهود التوراتية ، بزمن طويل . وفى مقدمة هذه المقتبسات التي يدعيها اليهود قصة الخلق التي وردت فى سفر « التكوين » ليضفى اليهود على توراتهم صفة الكتاب الذى يصلح مرجعا علميا . وقصة التكوين هذه « اسطورة سورية قديمة وجدت فى ملحمة أونوما ايليش » .

وهناك قصة الطوفان التي يرجح أنها منقولة عن الأساطير السومرية اذ كانت أراضي السومريين، بين النهرين عرضة للفيضانات والطوفان ، مما ألهم شعراءهم ومحدثيهم ابتداع ملاحم وأقاصيص من وحي الطوفان .

والتلمـــود

محمد سؤدن

للاستاذ راضي صدوق

مم تتألف التوراة

« تتألف التوراة من تسعة وثلاثين سفرا حسب النسخة البروتستنتية ، وستة وأربعين حسب النسخة الكاثوليكية ، والخمسة الاولى منها منسوبة الى موسى ، (فى القرن الثالث عشر ق.م) . وتتسم الاسفار بالسمة الدينية ، ومنها ما هو تاريخي مثل أسفار التكوين والخروج والعدل ويشوع والقضاة وصموئيل والملوك وأخبار الأيام واستير وعزرا .. وغيرها . ومنها ما هو اخلاقي وتشريعي وحكم ومواعظ ومراثى وانذارات وتنبؤات وتسبيحات وتمجيدات وهى أسفار اللاويين والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة .

وفى ميسور القارىء أن يلاحظ روح المخطط الذى وضعت على نهجه التوراة ، لتأتي شاملة مؤدية للاغراض المشبوهة التي هدف اليها أحبار اليهود .

من كتب التوراة

ويسود الاعتقاد لدى جمهرة من المؤرخين والتوراتيين أن الأسفار كتبت بأقلام كتاب عديدين ، وفى أزمنة مختلفة . وهناك من يقول أنها ظلت تروى كأخبار متواترة جيلا عن جيل ، ثم بدأت كتابتها الفعلية فى عهد داود وسليمان ، حوالي القرن العاشر قبل الميلاد . وهناك من يقول أنها كتبت بعد عودة بني اسرائيل من السبي البابلي فى القرن السادس قبل الميلاد .ونحن نميل الى ترجيح الرأى الثاني . ذلك أن اليهود بعد عودتهم من المنفى ، خافوا أن تنقرض توراتهم بعد أن تشردوا تحت كل كوكب ، فعمدوا الى تسجيل الأسفار حفظا لها من النسيان والضياع ، اذا ما قدر لهم أن يتشردوا مرة ثانية . وليس بعيدا أن تكون هناك بعض الأسفار قد سجلت فى عهد داود أو سليمان وبخاصة الأسفار الخمسة التي تنسب الى موسى .

والتوراة ، كما هي بين ايدينا « مملوءة بالارتباطات والاختلاطات والروايات المرتبة المصنوعة .. فالملاحظ فى جميع الأسفار الاسرائيلية ميل ظاهر الى استخراج نظرية من انتظام الحوادث ، وهذه الأسفار لم تكتب لحفظ ذكرى الوقائع المتعة فقط ، بل كانت غايتها أثبات شيء وهذه الأسفار جميعها اذا وضعت بصيغة الجزم بدا حسن النية فيها هزيلا » (١) .

ضحية التغرير اليهودي

ومن المؤسف أن تنطلي أحابيل اليهود على العالم زمنا طويلا حتى أن اوروبا النصرانية ظلت زمنا طويلا تقرأ التوراة بالروح التي أرادها دهاقنة اليهود .

ومن المخجل جدا للفكر الغربي أن يظل ـ وهو على أعتاب خاتمة القرن العشرين بفعل عوامل وراثية ـ عبدا لاساطير بدائية ساذجة لفقها شراذم اليهود فى بداوتهم الاولى لاغراض واطماع خاصة . على أن الأمل يظل معقودا على العلم وحده كضوء كاشف لا بد أن يفضح فى يوم ما ، مزاعم وخداع اليهود التي انطلت على العالم

١ ـ لوبون .

الغربي خاصة ، ردحا من الدهر باسم الدين . ولن يكون غريبا ، أبدا أن يقول لنا العلم غدا ان اليهود لم يكتبوا من أسفار التوراة ، غير تلك الأسفار الفجة البدائية التي تروى قصص فسقهم وفجورهم وحقاراتهم . أما تلك الأسفار ذاتالروح العلمية مثل سفر التكوين ، فلن يكون غريبا أن يقول العلم غدا انها ليست من وضعهم ، لا سيما وأنه لم يعرف عنهم حتى فى ذروة نهضتهم وازدهارهم ، أى شغف علمي أو ميل الى التفكير العقلي .

التلمود : (١)

بعد تدمير أورشليم وتقويض دعائم الهيكل ، على يد جنود القيصر هادريان حوالى عام ١٣٢ م انصرف اليهود الى كتابة التلمود « ليكون لهم جامعة معنوية اذ لم تعد لهم جامعةوطنية» وقد جمعوا فى التلمود تقاليدهم وفتاواهم وأحكام رؤسائهم والمستطرف من عاداتهم . ويعتبر التلمود بمثابة التوراة الشفوية لليهود ، وقد وجدت منه نسختانواحدة فى فلسطين عثر عليها عام ٣٢٠ ميلادية وسميت بالتلمود الاورشليمي أكملها أحبار اليهود فى القرن الرابع . ووجدت الأخرى فى العراق عام ٥٠٠ م وسميت بالتلمود البابلي ، ألفه بعض الربيين بعد هجرتهم الى العراق ، وقيل فى رواية أخرى أن واضعه هو الحاخام (رب آشي) فى أواخر القرن الخامس. وهناك نفر من اليهود يعتقدون أن التلمود موحى به الى الذين كتبوه ، بينما يرى البعض انه اجتهادى .

أسلوبه :

والتلمود غامض العبارة ، بصورة متعمدة ، وغاص بأقاصيص القدماء من الوثنيين ، وهو قسمان : المشنا ومعناه الشريعة الثانية وهو الذى يشتمل على احكام دينية ويذكر المبادىء والقواعد بدون نقاش غالبا ، وهو مكتوب باللغة الآرامية ويشتمل على بحوث دينية وفقهية مسهبة بأسلوب جدلي .

وتكمن خطورة « التلمود » فى أناليهود يفضلونه على سنة موسى عليه السلام ، وهم يقولون ان الاهتمام بالتوراة قد يكون له جزاء ، وقد لا يكون. وأما الاهتمام بالمشنا فيستحق الجزاء والمكافأة ، وأن الاهتمام بالجمارا فضيلة ليس أعظم منها .

وقد ظل هذا الكتاب مخفيا فى أطوار الربابنة اليهود حتى القرن السادس عشر ، اذ طبع لأول مرة فى (البندقية) فى اثنى عشر مجلدا سنة ١٥٢٠، وترجم سنة ١٨٣١فى باريس الىالافرنسية.

وليس غريبا أن يأتي « التلمود » تأكيدا لأقانيم اليهودية ومبادئها ، التي تواترت عنها وعرفت بها على كر الاجيال ، فهو فى جماعه يدعم مبادىء العنصرية الضيقة ، والغرور والاستعلاء عن شعوب الأرض ، ويكرس العدوان والانعزالية والاستغلال . ولقد بلغ من أهميته وخطورته ، أن اليهود حفظوه كما لم يحفظوا التوراة واستقوا من تعاليمه ومبادئه أصول الصهيونية الحديثة التي طلعوا بها على العالم ، فى القرن التاسع عشر .. على الرغم من أنه مسخ ــ اكثر لؤما وهزلا ــ لتعاليم التوراة .

١ ــ التلمود : كلمة عبرية تعني تعاليم .

وحسب القارىء أن نضع بين يديه ، اقتباسات من تعاليم التلمود ،ليلمس بتصوره مدى خطورته.

١ : ـ يباح لاسرائيل بل يفرض عليهم قتل من أمكنهم من الجوييم واغتصاب ما لهم وسرقتهم (والجوييم تطلق على غير اليهودى) .

٢ : ـ ان أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذى يحق لليهود امتلاكه .

٣ : ـ ان الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات الشعوب .

٤ : ـ ان اليهود أحب الى الله من الملائكة . وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه ، ومن يصفعه كمن يصفع الله . والموت جزاء الجوى اذا ضرب اليهودى .

٥ : ـ لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر .

٦ : ـ اليهود يفضلون الجوى كما يفضل الانسان البهيمة . والجوييم كالكلاب والخنازير وبيوتهم كحظائر البهائم نجاسة ، ويحرم على اليهودى أن يعطف عليهم ، وكل شر يفعله اليهودى معهم هو قربى الى الله .

٧ : ـ الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية ، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير.

٨ : ـ اذا كان الجوييم قد خلقوا على هيئة الانسان فما ذلك الا ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم (١) .

ولكي تنفذ تعاليم التلمود ، هذا الكتاب الأفعى ، أدخل الربانة فى روع اليهود أن ((التلمود وجد قبل الخليقة ، ولولاه لزال الكون ، من يخالف حرفا منه يمت . ان الله يدرس التلمود : منتصبا على قدميه . من يعارض حاخاما أو يناقشه أو يتململ منه يناقش العزة الالهية نفسها . رأيت الله جالسا على كرسي مرتفع فقال : باركني يا بني فباركته وشكرني وسلم وانصرف . اذا احتدم الخلاف بين الحاخاميين والله ، فالحق مع الحاخاميين)) .

حق الزوج

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حق الزوج على المرأة ألا تهجر فراشه ، وأن تبر قسمه ، وأن تطيع أمره ، وألا تخرج الا باذنه ، وألا تدخل اليه من يكره .

وحق الزوجة

وحق المرأة على الزوج أن يطعمها اذا طعم ، ويكسوها اذا اكتسى ، ولا يضرب الوجه ولا يقبح ، ولا يهجر الا في البيت .

اضحك

روى أن عيسى بن مريم لقى يحيى بن زكريا ، فتبسم اليه يحيى،فقال له عيسى انك لتبسم تبسم آمن ، فقال له يحيى انك لتعبس عبوس قانط ، فأوحى الله الى عيسى : « ان الذى يفعل يحيى أحب الي » .

١ ـ اسرائيل بنت بريطانيا البكر للزعبي والتلمود . مجموعة كتب سياسية العدد ١٨ القاهرة .

اللهم... لك الحمد..

محمد مؤذن



للاســتاذ
محمد المجذوب
المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

حدث هذا فى احد الايام من عام ١٩٢١ وفى مدينة ـ بانياس الساحلية ... كنت اذ ذاك فى الثالثة عشرة من سني ، ومع ذلك لم يــر والدى مانعا يحول دون ارسالي الى ذلك البلد . الذى كان من اخطر مناطق الاعمال الحربية التي تدور بين الثوار ومرتزقة الفرنسـيين .. وكانت مهمتي فى هذه المغامرة تسقط اخبار جدتي العجوز التي لزمت مع بعض الاسر ـ فى قلعة المرقب ـ مساكنها ، على الرغم من الرعب الذى يثيره حولهم صباح مساء أزيز الطائرات ودوى القذائف التي لا تكاد تسكت ...

كانت جدتي اول الأمر قد تأخرت مع ولديها الفتيين لجني المحصول ، ولكن القدر سرعان ما حال بينها وبينهما ، اذ سقطا فى يد الحملة الفرنسية ، بينما كانا فى طريقهما الى احدى القرى القريبة .. وبذلك لبثت وحدها معرضة لمختلف الاحداث ، وهذا ما شــغل بال والدتي ، واقلق خواطــر الجميع ، فلم يكن بد من السعي لاسـتنقاذها باية وسيلة ، وقد وقــع الاختيار عليّ ، لان صغر سني كفيل بأن يصرف عني الشبهات ، فيجعلني فى مأمن من مراقبة الفرنسيين ، الذين لن يمنعوني من التجول بين بانياس والقلعة عندما يتاح لي ذلك ...

واقمت فى بانياس اياما عند اقرباء والدتي ، وكثيرا ما دفعني الفضول الى التغلغل فى منطقة الميناء ، حيث تفرغ مشحونات الجيش الفرنسي من البواخر والسفن .. ولم اجد صعوبة فى التتبع لأخبار جدتي ، ومعرفة اوضاعها عن طريق بعض النساء اللواتي يترددن لأمر ما بين القلعة والمدينة فى مختلف اوقات النهار ، وكدت انجح فى التسلل مع بعضهن الى القلعة ذات صباح ، لولا ذلك الأزيز الهائل الذى فاجأ أسماع الناس فى بانياس منطلقا من مئات البنادق ، وعشرات المدافع وبعض الطائرات ! ....

وتسرب الهمس فى كل مكان : ان الثوار يهاجمون القوى الفرنسية .. وقد بوغت بهم العدو على مشارف البلد ! .. وما لبثت ان ابصرت احدى الطوائر تدور على نفسها قادمة من ناحية القلعة ، وقد اندفع من احد جانبيها الأغبرين سيل من الدخان لم يلبث ان استحال نارا لاهبة .. ثم رايتها تهوى متأرجحة على بعد غير يسير من طرف المدينة الجنوبي ! ..

وتتابع القذف من هنا وهنا .. وكانت الشوارع قد خلت من المارة . ورأيت جماعة من الجنود ينطلقون على غير هدى ويطلقون نيران بنادقهم دون هدف ! .

ويبدو ان الثوار لم يكونوا مصممين على احتلال البلد ، او على الاصح لم تكن لديهم القوة العددية الكافية للاعتصام بالبلد ، لذلك ما لبثوا ان انسحبوا من حيث اتوا ، بعد ان اوقعوا فى قلوب عدوهم دفقة من الذعر لا ينساها .. وحملوا ما استطاعوا من اسلحته ومؤنته .. وفى مساء ذلك اليوم سمعت عم والدتي الشيخ العجوز يقول لزوجته : هل علمت ان (مصطفى ليلى) .. قد سقط اسيرا فى ايدى الفرنسيين .. ؟ لقد نفذت ذخيرته ، ولم يبق فى البلد سواه من المجاهدين ، وكان على ابواب السجن يريد أطلاق من فيه عندما دهمه العدو ، واودعه السجن .. وتمتم الشيخ وزوجته فى ضراعة عميقة : اللهم احفظه ! .

ولقد استغرقني يومئذ شعور حار بالعطف على ذلك الأسير البطل .. واحسست بلهفة قلقة لمعرفة مصيره ، ولم يكن فى وسعي ان اصنع شيئا له سوى الدعاء عقيب كل صلاة : اللهم احفظه ..

وكان تطور الاحداث اثر ذلك قد قضى على املي فى الاتصال بجدتي العجوز ، ولكنني اصبحت مطمئن القلب عليها ، اذ علمت انها انتقلت من القلعة الى دار ابنتها الثانية فى قرية البساتين ، وهي القرية التي يحميها من الفرنسيين كونها مقر احدى الأسر ، التي عرفت باخلاصها لهم . وتفانيها فى الذود عن مصالحهم ، منذ وطئت اقدامهم هذه الارض ! .. ولهذا كان عليّ ان اغادر بانياس بعد ان استنفد وجودى فيها غرضه .

وانتهزت فرصة مرور احدى السفن الاروادية بميناء (بانياس) وكان ربانها من اقرباء والدى ، فأخذت منها مكانا الى (طرطوس) .. وبذلك فقدت كل اثر لأخبار ذلك الاسير .. ثم درجت الايام والاعوام على ذاكرتي ، فلم يخطر ذكره فى خلدى قط الا حين ايقظه حديث صديقي البانياسي بعد ثلاثين سنة من ذلك التاريخ ...

وكان صديقي حيّ الخيال ، دقيق الوصف ، تخير لحديثه طريقة العرض القصصي ، فردني الى الجو نفسه الذى عشته تلك الايام ..

قال صديقي البانياسي : كان الفرنسيون قد احتلوا دار جدّي ليجعلوا منها مقراً لقيادتهم ، وهي مجاورة لدارنا كما تعلم ، فاتاح لي ذلك ان اتعرف الكثير من ابنائهم ، واعقد بعض الصلات مع اكثر من واحد من الجنود المغاربة ، الذين يقومون على حراسة المقر ...

وقد تجرات يومئذ على سؤال احد هؤلاء المغاربة عن مصير الاسير (مصطفى) فهمس فى اذني : انه هنا فى احدى غرف الدار .. امر القائد الفرنسى بنقله اليها حرصاً على بقائه .. وليتخذ منه وسيلة للضغط على الثوار ..

واخبرنى الجندي انه هو المكلف بحراسته ... والعناية بأمره ، ولكى يرضى فضولي راح يؤكد لي انه يوفر له كل ما يسعه من الرعاية ، فقد حل وثاقه ، وجعل يشاركه بطعامه . ويقدم اليه الشـــاى والقهوة والتبغ ... وحتى الماء للوضوء .. ولا ينسى ان يؤكد عليَّ بضرورة الكتمان لذلك وخشية تسرب الخبر الى القائد ــ الحَلّوف ــ كما سماه !...

وكان الحاجز بيننا وبين دار القيادة جدارا قصيرا .تجلله فـــروع الياسمين والنسرين . فلم استطع منع نفسى من التطلع بين الحين والحين الى فناء القيادة من خلال تلك الفروع . رغبة فى رؤية ذلك الأسير المغوار .. ولكنه كان محجوبا عن عينى فى حجرة جانبية أُحكم اغلاقها . وسدت نوافذها . فما يتاح لأحد ان يطل على جوفها الا ذلك الجندى الموكل به . حتى كانت تلك الليلة .. وقد قارب فجرها ان يلوح .. فاذا نحن بطلقات رشاش تتعالى مـــن البستان المقابل تؤازرها طلقات بنادق متقطعة هنـــا وهناك .. ولم اعد اطيق لزوم الفراش . فتسللت من خلف والدى الى فناء المنزل ، ثم اخذت اتابع من خصاص الباب حال الجنود الذين كانوا فى حركة دائبة .. يتجمعون ثم يتفرقون .. وسمعت احدهم يهمس الى آخر : وكيف استطاع الهرب .. ؟

وهنا ادركت ان الأسير قـــد فـــر مـــن محبســـه . وان الجنـــود يطاردون برصاصهم الفضاء ارهاباً .. فشعرت بمزيج غريب من البهجـــة والحزن والخوف .. ثم رحت اتابع حركاتهم فى حذر بالغ ، وما هو الا يسير من الزمن حتى بصرت بالجندى المغربي ــ خليل ــ فى حراسة عدد من مرتزقة الفرنسيين ، يقتادونه الى دار القيـــادة ، وقد امسكوا بيديـــه ، واحاطوا به مـــن كل جانب .

وتسلقت السلّم المسندة الى الجدار فى كثير من التؤدة ، ودسست رأسي خلال فروع الياسمين .. وجعلت اضغط على انفاسي ، فلا تتسرب الا فى اقل ما يمكن ..

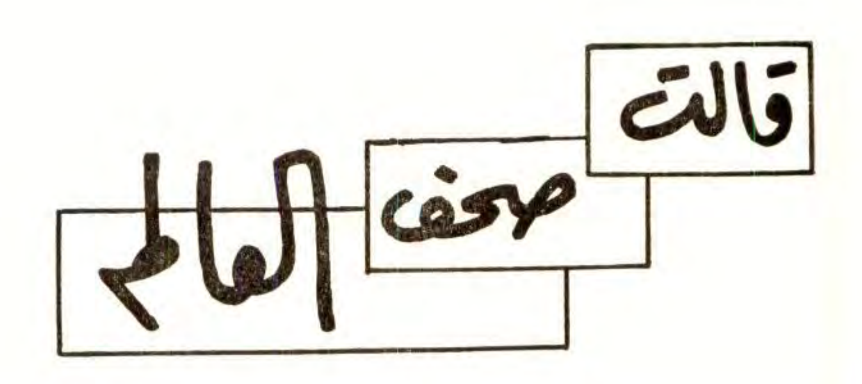
وفى سرعة كبيرة .. اخذ القائد الفرنسي مكانه على مقعد خلـــف منضدة أحضرت لتوها من داخل البناء ، وأوقف الجندى المسكين تجاهه .. فى وسط نصف دائرة من الجنود الشاكي السلاح ..

وارتفع صوت القائد ، ثم اعقبه يقول : بسرعة تكلم .. لـــم أطلقت (الشتا) ؟ .. وكيف ؟ .. وكيف ؟ ..

وفى نبرة يمزقها اليأس والاستسلام تكلم خليل : لم اطلقه .. ولم انتبه اليه الا وهـــو يتسلق الجدار الخارجي .. فحركت زناد البندقية لأطلق النار فوق رأسه .. ولكن الرصاصة لم تنطلق .. وهرعت وراءه وانا احرك الزناد .. دون جدوى ! ..

وبالطبع لم يكن (الحَلّوف) راضيا عن هذا الدفاع ، فسمعت وقع أضراسه وهو يضرب بعضها ببعض من الغيظ .. ثم اخذ يتكلم .. واذا

البقية على صفحة ٩١



١ الامير الراحل | ٢ عهد وميثاق

الأمير الراحل

نشرت مجلة السياسة الكويتية فى عددها السابع والعشرين كلمة فى رثاء الفقيد العظيم نقتطف منها ما يلي : ـ

من سمات الالم الكبير ، والحزن العميق للمصاب الكبير ، الا يجد الانسان وسيلة يعبر بها عن عذاباته وتصدعه ، سوى اطراقة خاشعة ، مستسلمة لقدر الله عز وجل ، فى تمتمة مجروحة : لكنها مؤمنة انا لله وانا اليه راجعون . وانا لفقدك يا عبد الله لمحزنون .

كان سمو المغفور له ، يختصر فى ضميره وعقله ، أماني الكويت منذ ان درجت فى مدارج النمو الزاهر المبشر بالخير ، واستطراد التقدم . ولقد وعى سموه بروحه الكبيرة ، كل طموح هذا الشعب الاصيل ، وآماله فى العيش الحر الكريم المسالم ، بعيدا عن التيارات المستوردة الضارة التى تجرح اصالة الكويت وعقيدة شعبها وتقاليدهم الخيرة . وقد استلهم الراحل الكبير ، من كل ذلك جميعا قوة دافعة وايمانا عظيما للسير بهذا البلد الصامد .. بلد الاسرة الاصيلة ، الى شواطىء الطمأنينة والسعادة والرخاء . حتى غدت ملامح الكويت التراثية تتمثل فى شخصيته كقائد ملهم ، وباني دولة ، وصانع نهضة .

ونحن اذ نطوى جوانحنا على ما بها ، نتطلع الى العلي القدير بأكف الضراعة بأن يلهمنا جميعا القوة والايمان ، والرشاد ، لمواصلة حمل المشعل ، وسط ظلمات الطريق ، لأداء الرسالة الملقاة على عاتق الكويت الحبيبة ، كدولة عربية مسلمة ، تؤمن بأن عليها أن تكون من الركب فى طليعته . ، فهي ما تعودت الا أن تكون سباقة للخير على الدوام . كما نسأل الله أن يحفظ صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أميرنا الجديد ، ليكون نعم الخلف لنعم السلف .. وان يمنحنا ـ عز وجل ـ مزيدا من عطفه واحسانه لنزداد قدرة على تحمل اشواك الطريق .

ونشرت صحيفة الحياة اللبنانية كلمة فى رثاء الراحل الكريم جاء فيها : ـ

كان الشيخ عبد الله السالم ، رحمه الله ، نسيجا فذا فى شخصيته ، يختلف عن المألوف من الزعامات العربية . فلقد اختار التواضع والسكوت والبعد منهجا . والذين كانوا ينظرون الى هذه الصفات على انها دليل ضعف وعجز ، اضطروا الى تبديل رأيهم حين لمسوا ضخامة النتائج . فما من شاردة أو واردة الا وكان الشيخ عبد الله يحيط بها ، وكان شبحه الخفي كامنا وراء كل خطوة خطتها حكومة الكويت . فقد كانت هيبته تخترق عزلته ، لتفرض نفسها على الجميع .

كان فى استطاعته أن يحيا حياة البذخ والترف بقدر لا يطاوله احد على سطح هذه الارض . ولكنه ابتعد عن البهارج ، وضرب لقومه مثالا فريداً فى تقوى الله ووداعة المخلـوق ؟

ولعل أعظم أثر خلفه الفقيد الكبير ، هو نقل الكويت من النظام التقليدى الموروث منذ القدم ، الى ارحب النظم الديمقراطية الحرة ، فأقام بذلك الدليل على بعد نظره ، وادراكه العميق لمقتضيات العصر ، ورفع عن امته العربية وزر الاستبدادية والتسلط .

وقال الاستاذ احمد الصاوى فى جريدة الاخبار القاهرية : ـ

« عبر الرئيس جمال عبد الناصر تعبيرا عميقا صادقا عن عواطفه وعن مشاعر شعب الجمهورية العربية المتحدة فى برقية التعزية المؤثرة التى بعث بها الى سمو الامير صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت بمناسبة وفاة المغفور له سمو الامير عبد الله السالم الصباح .

كان الفقيد الكبير رجلا مثاليا فى حياته الخاصة والعامة . وقد مرت ببلاده ظروف عسيرة ولكنه قادها بحكمة ومقدرة الى بر الامان . ونهض بها نهضة مدهشة فى

فترة قصيرة من الزمن .. ودل بذلك على بعد نظره وسعة ادراكه وان الحضارة يجب أن تحيط بدولة الكويت من كل جانب ، وكان ذلك كله جديدا ، جريئا ، جميلا .

ونذكر كيف أن مئات المواطنين من جمهوريتنا يعملون فى كل واد فى الكويت ، وقد ظهرت آثارهم وفضائلهم ، وقد عملوا بهمة وذمة وأمانة وابداع ، فى ســاحات الهندسة والعمران والطب والتربية والتعليم والتجارة والصناعة والاقتصاد وما الى ذلــك .

وربطت ـ على يد الفقيد الكريم الراحل وأسرته ورجال حكومته ومجلس امته ـ حكومتهم بحكومتنا بأشد أواصر الود والتعاون والاخوة والولاء . وهو ما ربط شعبينا من أزمان طوال .

تغمد الله الامير الجليل بواسع رحمته ، وكتب التوفيق لخليفته ، وأعز دولة الكويت الصديقة وشعبها الحبيب ...

عهد وميثاق

وكتبت صحيفة الرأى العام الكويتية فى العدد ١١٢٨ تحت هذا العنوان تقول : ـ

اليوم دعا صاحب السمو أمير البلاد المعظم سعادة وزير الارشاد والانباء وأبلغه رغبته السامية فى أن تنهج الصحف الكويتية طريقا جديدة من التعاون ، والنهوض الى المستوى الكبير الذى يراد لها ، بعيدا عن التهجم والحملات التى تنشب فى حين بين بعضها وبين البعض الآخر .

ان اهتمام صاحب السمو المفدى بالصحافة المحلية يدل على مدى احترام سموه لدور الصحافة فى بناء الوطن ، وأهمية دورها فى دعم العمل الجبار الذى تقوم به الحكومة فى مختلف الميادين ، وعلى جميع المستويات .

ونحن اذ نتوجه بالشكر العظيم لصاحب السمو أمير البلاد لاهتمامه بتنقية الجو الصحفي ، نود أن نؤكد على أنفسنا العهد بأن نكون المستجيبين لرغبته النبيلة السامية ، وان نعمل بوحي من هذه الرغبة بعيدا عن كل ما يمكن أن يناقضها او يفسح المجال للتنكر لها .

اننا ندرك تمام الادراك ان هذه المرحلة من حياة الكويت تتطلب تضافر جميع الجهود وتماسك كـل الايدى لضمان الاستقرار والرصانة والهدوء ، حتى لا يتشوش العمل ولا يتعرقل ، وكي لا يتعرض لما يمكن أن يفسد نقاءه وصفاءه .

اننا ندرك دور الصحافة ومسؤوليتها فى الكلمة ، وضرورة الحفاظ على مستوى للحرف فيها لا يتدنى بحكم الخلافات وتضارب المبادىء والنظرات .

ونتمنى على كل من حمل شرف الصحافة واسمها ان يقف اليوم حيث يجب الوقوف ، فى الصف الواحد لدعم استمرار رسالة الخير فى وطن الخير والاستقرار . ذلك عهد علينا نلتزم به ميثاقا قدر التزامنا بالحقيقة ، ولتبق الكويت أبد الدهر دولة الولاء والبناء والمسؤولية .

الشيوعية والحرية والدين

وكتبت صحيفة المدينة التي تصدر فى جدة تحت هذا العنوان تقول :

هذا الشعب المسلم الأبى ، الذى خرجت جموعه على بكرة ابيها فى السودان الشقيق ، تنكر كفر الملحدين وتطاول الهدامين . وترفض أن يكون لهم فى ارضها وجود شرعى أو كيان محسوس .

هذا الشعب المؤمن البطل ، الذى لم يكد يفرغ من تحطيم الدكتاتورية ، وتصفية الطغيان ، واسقاط حكم الحديد والنار ، حتى هب يذود عن دينه ومعتقده ، وينافح دون ايمانه ومقدساته ، ويطهر أرضه من دنس الماركسية ، والحاد الشيوعية ، معطيا فى الحالين أروع قدوة وأكرم مثال .

هذا الشعب العربى المسلم ، له من أعماق كل قلب تحية اجلال واكبار ، وعلى كل لسان ، دعاء الى العلى القدير ، ان يحفظ تجربته الحرة ويصونها من العبث والزلل ، ويقيلها من العثرات .

ان الكافرين بالايمان ، المارقين عن الدين ، لا يجب أن يكون لهم فى مجتمعاتنا المسلمة مكان ، فضلا عن حرية العمل أو شرعية التنظيم .

بل ان الشيوعيين قد اثبتوا بتاريخهم وتنظيماتهم ومن خلال كتبهم وتعاليمهم ، انهم أعدى اعـداء الحرية وأعنف جلادى الديمقراطية وأكثر الطغاة والهدامين استباحة للحريات الشخصية ، واهـدارا للكرامة الآدمية .

من اجل ذلك لم يكن من حقهم فى أى مجتمع حر ، ان يتمتعوا بكل هذه المبادىء الكريمة ليغتالوها ، وأن يتاح لهم العمل فى ظلها ليدمروها .

ان الضرب بيد من حديد على الشيوعيين ، هو فى الحقيقة تكريم للايمان واجلال لقدسية الدين ، وهو بعد كل ذلك ، حماية للحريات الديمقراطية ، وحفاظ على الكرامة الانسانية ..

ثم هو فى النهاية . حماية للبشرية كلها من افدح الأخطار التى تتهددها ، وتتهدد كل مواريثها .

من نفحات رمضان

ونشرت مجلة ((حضارة الاسلام)) كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها : ــ

ماذا على وأنا أتحدث عن رمضان شهر الصبر والامانة ، شهر القرآن وبدر والفتح أن ادعو ابناء هذه الامة لاستئناف الطريق من جديد ، فيوم كانت هذه الأمة الماجدة مسمرة الاقدام على الطريق النابعهداها من قلب الصحراء ، مديدة البصر تصل الىالنور اللامع وراء الافق حيثاستجابت رمال الجزيرة لهتـاف الوحى . يوم كانت فى ذاتها وفى ريادتها خير أمة اخرجت للناس حتى استوت على القمة السامقة البعيدة فى أرض التاريخ .

يوم كانت لا تعرف الا ساحات الجهاد عنوانا لتحركات ابطالها ، والا ميادين الفكر آفاقا لعقول أبنائها . يوم كانت تروح وتغدو ولا ترضى ان ترتكز الراية الا على رابية جديدة من الارض او صرح جديد من معالم الانسان يومذاك كانت هذه الامة على الخط الواضح فى ادراك ذاتها وعلى السبيل المستنيرة فى مقومات شخصيتها ، تلك الشخصية التى لمستها يد الاسلام الصناع فافادت من مواهبها وقومت معوجها وزودتها بكل ما هو معرفة وخير وحياة . ولئن كانت امتنا تتطلع اليوم الى عودة جديدة ، فما عليها الا أن تولى وجهها شطر القرآن من جديد وأن تصيخ بسمعها الى النداء الاول الذى هتف بالانسانية فالتمعت له رمال الصحراء واضاءت بنوره آفاق الارض .

نعم وما عليها الا ان تتزود من العطر ، عطر الدماء التى انساحت على الرمال هنا وهناك فى رمضان وغير رمضان يوم اشهر الباطل سيفه ، وجرد قواه ، واستعان على الحق بالكثرة الكاثرة ، والمال الوفير ، والزعامة الحاقدة المهددة بالفناء .

واذا كان الامر كذلك فعسى ان تنجلى القلوب ، تلك القلوب التي أصابها ما أصابها من حب الدنيا وكراهية الموت كيما تصحو على اذان سماوى لفجر جديد . الا وان فترة زمنية موحشة من العطاء مقفرة من النصر تمر بتاريخ هذه الامة ، لا تعنى طمس الحقيقة الكبرى التى طوف حولها التاريخ منذ ان أذن الله للانسانية ان تسمع حداء الاسلام ، تلك الحقيقة التى تهتف ان هذه الامة خير امة اخرجت للناس ، فهى الجديرة بحمل الامانة ، وهى الجديرة بقيادة ركب الانسانية ، وهى الجديرة بأن تقدم ابناءها الى ساحات الخير والنضال لتحمل سواعدهم الفتية المؤمنة مشاعل النور من جديد .



اخي القارىء

هذا الباب لك .» ربما تكون عندك فكرة طيبة . ربما تنفعل نفسك بموضوع تود أن ينتقل منك الى غيرك . ويشاركك فيه أكبر عدد من اخوانك . ربما تكتب الينا رسالة قصيرة تحمل دعوة كريمة ومع ذلك قد لا تتسع صفحات المجلة لها أو تطغي عليها البحوث والمقالات الطويلة .. ولاجل هذا فتحنا هذا الباب لتتلاقى فيه معنا ومع قراء المجلة .. المهم ان تكون الافكار والكلمات أصيلة .

فوائد المصارف مرجعها الحاكم الشرعي

تلقينا من الأستاذ محمد صادق الصدر رئيس مجلس التمييز الشرعي الجعفرى السابق ببغداد الرسالة التالية : ـ

« قرأت فى العدد السابع من مجلة « الوعي الاسلامي » الغراء جواب « لجنة الفتوى بالأزهر » وجواب سماحة الأخ الشيخ الزهاوى وتوضيحا لموضوع « الفوائد المصرفية » اقول ان الفوائد المترتبة على رؤوس الأموال ليست ملكا لصاحب المال لأنها لم تأت بطريق مشروع ، فلا تضاف الى أمواله . ولا تكون ملكا للمصرف لأن أساس المال ليس له ، فهي اذن مجهولة المالك ، والاحوال المجهولة معلوم أمرها بنظر الشريعة الاسلامية فان مردها الى الحاكم الشرعي المسلم اجتهاده وعدالته .

فالواجب اذن فى مثل هذه الفوائد ان يستلمها صاحب المال ثم يدفعها الى الحاكم الشرعي ليتصرف بها حسبما يقرره الشارع أو يأخذ صاحب المال الاذن من مرجعه الديني ليصرفها بنفسه فى المصالح الاسلامية العامة .

أما ترك هذه الفوائد فى المصارف فلا مبرر له ، ولا سيما بعد أن عرفنا ان له الطريق الشرعي فى التصرف بها تصرفا يعود بالنفع على الأمة وعلى مصالحها النافعة .

وحكام الشرع ـ وأيديهم مبسوطة فى الخير ـ لا يضنون بالاذن الشرعي الخاص على مسلم يهدف فى عمله خدمة الاسلام والصالح العام وفقنا الله جميعا لما فيه الخير والصلاح » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

والوعي الاسلامي تنتظر المزيد من آراء المعنيين بالدراسات الفقهية من علماء المسلمين فى جميع اقطار العالم ، وترحب بنشر كل ما يرد اليها فى هذا الموضوع ، والله من وراء القصد .

١) فوائد المصارف
٢) أثر العقيدة فى استقامة المؤمن
٣) موقف أعداء الاسلام من الاسلام
٤) مناجاة
٥) المجلات الاسلامية الهادفة
٦) صلاح الدين هل هو عربى

أثر العقيدة فى استقامة المؤمن

والصديق سلطان غانم المفتاح من الكويت شاب قارىء نشيط تبشر رسائله الكثيرة الى المجلة بكثرة الاطلاع وقد بعث الينا بهذه الرسالة نقتطف منها ما يلي : ـ

اذا وجدت مبلغا من المال فى الطريق فاني أسمع صوتا فى نفسي يقول لي ابحث عن صاحبه ورده اليه ولا تاخذ ما ليس لك فيه حق ، فاذا أصغيت الى هذا الصوت ، واستجبت له ، أحسست رضا وسرورا ، وذاق قلبي حلاوة الخير ، واذا خالفته ، وأبقيت هذا المال لنفسي مدعيا أنه رزق سيق اليّ ، سمعت هذا الصوت يؤنبني ، ويشتد فى تأنيبي ، ويعنفني ، ويبالغ فى تعنيفي ، وأحاول اسكاته فلا يسكت أبدا ، يقول لي كيف تستحل هذا المال وصاحبه ملهوف عليه الآن ؟ ولا تدرى ماذا يحدث له ضياعه منه ؟ ولعله دين عليه ، أو وديعة عنده ، وليس لديه بعد هذا المال ما يفي بما عليه من حقـــوق ، وهكذا يزعجني هذا الصوت فى يقظتي ومنامي ، ولا يدعني أستريح الا اذا رددت المال الى صاحبه .

هذا الصوت الذى وضعه الله فى قلب الانسان ليدعوه الى الخير ، ويزجره عن فعل الشر ، ويلومه ان اخطأ ليندم ويتوب عن الاثم هو ما يسميه العلماء الضمير أو النفس اللوامة ، قال تعالى « لا أقســم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « اذا أساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن » .

والضمير فى أكثر الأحوال هاد حكيم ، ومرشد لا يضل ، ومن الخير للناس أن يستمعوا الى صوته ويستجيبوا الى هديه ، ويصغوا الى تأنيبه لأنه يصل بهم الى الصلاح ، وبمجتمعهم الى الخير والفلاح ، وفى بعض الأحيان يفسد الضمير وينحرف عن الحق فيستسيغ الشر متأثرا بجهل صاحبه أمور الديــن أو بما شاع فى عصر من فساد وانحلال كالذى نراه فيمن يميلون الى الجريمة والمنكر من قتل وسرقة وغصب وما نجده فى الأمم المستعمرة التي تألف البغي وتستسيغ ظلم الشعوب ، لذلك كان الضمير الانساني فى حاجة الى تربية ليكون حكمه صادقا دائما فيشيع الخير ويقل الشر برقابته المستمرة .

موقف أعداء الاسلام من الاسلام

وبعث الينا الاستاذ عبد السلام داود العبادى ، ليسانس فى الشريعة الاسلامية من كلية الحسين بعمان ، كلمة ننشر منها فى هذا العدد ما يلي —

ان اعداء الاسـلام بمستشرقيهم ومبشريهم ومفكريهم ، وأذناب هؤلاء وهؤلاء سلكوا كل السبل فى اضعاف القيم الاسلامية فى اذهان المسلمين وتشويهها فى اذهان الغربيين وذلك بعرضها عرضا ينفر منها ويجعل الخلاص منها عنـد البعض ضرورة يحتمها الذوق الانساني والعقل البشري .

فلقد تمكن هؤلاء بسيطرتهم على أجهزة التربية والتعليم والتوجيه فى البـلاد الاسلامية لمدة طويلة من غرس هذه الافكار فى نفوس الاجيال الصاعدة ، فأصبحت ترى منهم من يؤمن بهذه الافكار ، ويعتبرها من المسلمات البديهية لديه ومن هنا نشأ جيل الشبهات الذي يعثر عليه الانسان فى كثير من مناطق اسلامنا . تلك الشبهات التي لم تترك ناحية من نواحي الاسلام الا وأصابتها .

هذا فى الشرق المسلم وأما فى الغرب بل وفى مناطق العالم كله فقد نشرت هـذه الافكار لتكون سدا منيعا فى وجه تقـدم الاسلام وانتشاره . تقول رينيه فيبار فى كتابها (محمد رسول الله) (ان الجماهير الغربية ما زالت تقع فى اخطاء فادحة وأساسية فى نظرتها الى الاسلام ، الى تاريخه ، الى حياة مؤسسه قال لي رجل مثقف مثلا ان نبي المسلمين رجل ولد غنيا جدا ، مثل هذا الجهل امر فاضح بالنسبة للعقل الاوروبي المعاصر) . ويقول محمد أسد فى كتابه الاسلام على مفترق الطرق (.... الا ان الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ، ولكنه كان قبـل كل شيء وفى مقدمة كل شيء شرا ثقافيا. لقد نشأ تسميم العقل الاوروبي عما شوهه قادة الاوروبيين من تعاليم الاسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة فى أوروبا) وينقل احمد رضا بيك رئيس مجلس المبعوثان التركى السابق فى صفحه ١٩ من كتابه الخيبة الادبية عـن كليمنصو رئيس جريدة البلوك الفرنسية قوله (كل أوروبي يتزود من اخبار العـالم بما يمليه عليه رجال الكنيسة أو بعض أرباب الصحف من انه — يقصد المسلم — رجل متوحش ملطخ دائما وأبدا بدماء ضحاياه وبأنه مسلم فهو متعصب حتما لا ينفك عن اضطهاد المسيحيين ناشرا بنودا مخضبة باحمرار محيط بهلال اذا فهو كوحش ضار ، علة كل الويلات التي احلت باوروبا وبما أن قلبه قد افعم حقدا فلا يستحق ان يعامل الا بالحقد ، وعلى اجتياحه وابادته تتوقف راحة العالم) .

لهذا وجب على من يؤمنون بالاسلام رد هـذا التشويه والتهويش برد شبههم ومطاعنهم وبيان فسادها وسوء النية فى نشرها . ولا يدفع المؤمنين الى هـذا العمل رغبتهم فى الدفاع عن الاسلام ، فالاسلام ليس متهما فى قفص يريدون تبرئته كما أراد له الغربيون ، بل يدفعهم الى ذلك رغبتهم فى اظهار الحق وبيان الواقع وتعميم الخير ونشر الفضيلة ، يقول محمـد أسد فى كتابه السابق (ويظهر فى جميع بحوثهـم — المستشرقون — على الاكثر كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمي بل على أنه متهم يقف أمـام قضاته ان بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول اثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامي فى الدفاع فهو مع اقتناعه شخصيا باحترام موكله لا يستطيع اكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور اعتبار الاسباب المخففة .



الترجمان ينقل حكمه الى الجندى المسكين قائلا : ان القائد قرر ان تطلق عليك عشر رصاصات من جعبتك نفسها .. وسيتضح حينئذ مدى صدقك فيما زعمت ! .

ولم يمهل القائد فريسته .. فاذا هو يقف ليصدر امره .. وما هي الا لحظات حتى كان خليل مشدوداً الى شجرة الازدرخت المواجهة لي .. وعشرة من الجنود يسددون اليه فوهات بنادقهم التي حشيت بعشر من خراطيشه ...

.. وكان الفجر قد بدأ يرسل خيوطه الكاشفة على الأفق .. فتتلاشى امامها اكداس الظلام .. ورأيت وجه خليل شاخصا الى السماء ، وهو يتمتم بالشهادتين .. ثم سمعت صوته يتدافع فى مثل حشرجة المحتضر ليقول : اللهم رحمتك ! ...

وهنا احسست ان الجدار يميد بي ، وكأنّ رجلي قد شلتا فلم تمكناني من الهبوط .. فأغمضت عيني فى ذهول موجع .. وتراءى لي انني فى حلم مزعج .. ثم خيّل اليّ انني اسمع من خلال ذلك الحلم صوت الـ (الحلوف) يهتف فى وحشية رهيبة (أتاش) ! ..

واعقب ذلك دفقة من الصدمات الحديدية الجارحة .. الاّ انني لم اسمع قط ايّ اثر للانفجار .. ووجدتني انفض رأسي ، لأستوثق مما ارى .. ثم أرسلت بصرى من خلال الفروع كرة اخرى ، ادقق النظر فى اجزاء المشهد .. وشدّ ما سعدت عندما رأيت (الحلّوف) يصدر امره بالافراج عن خليل .. ثم رأيت هذا ينزلق الى الارض ، وقد عجزت قدماه عن حمله ، واهوى بجبهته ساجدا على التراب ، وهو يقول : اللهم لك الحمد ! ..

وكنا مأخوذين بقصة الصديق ، فاذا نحن ننسى ما بيننا وبين الحادثة من حواجز الزمن ، فنردد مع خليل فى خشوع فطرى حار:اللهم لك الحمد.

الفتاوى

فى النسب

السؤال : ــ

عقد رجل على امرأة ، ولم يدخل بها ، ثم ولدت ولدا ، ونسبته الى من عقد عليها ، فهل يصح هذا النسب ، مع أنهما لم يتلاقيا مطلقا .

الاجابة : ــ

ذهب الاحناف الى انه يثبت الفراش فى الزوجة بمجرد العقد عليها من غير اشتراط امكان الدخول . فمتى أتت الزوجة بولد لأدنى مدة الحمل وهي ستة أشهر من حين العقد ثبت نسبه للزوج ، ولا ينتفى نسبه الا باللعان ، ويثبت هذا الحكم ولو لم يكن الدخول ممكنا بأن طلقها فى المجلس عقب تزوجها ، أو كان احد الزوجين بأقصى الشرق والآخر بالغرب ولم يلتقيا ــ لقوله عليه السلام « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ويؤسسون على هذا الحديث بأنالاعتبار فى النسببالعقد الذى هو مظنة الوطء .

أما جمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة وفقهاء الجعفرية فقد ذهبوا الى أن الفراش فى الزوجية انما يثبت بالعقد بشرط امكان الدخول ، فلو تزوج رجل امرأة وطلقها فى مجلس العقد ــ أو تزوج مشرقي بمغربية، وقطع بأنه لم يصل اليها ، ثم أتت بولد لستة أشهر أو اكثر لم يثبت نسبه منه وذلك لأن العقد لا يقوم مقام الوطء الا اذا وجدت مظنة له .

وذهب ابن تيمية الى انه لا يثبت فراش الزوجية الا بمعرفة الدخول المحقق ، واستند فى ذلك الى أن العرف لا يعتبر المرأة فراشا الا بعد الدخول بها (والعرف فى الشرع له اعتبار) .

وقد أخذ قانون الجمهورية العربية المتحدة رقم ١٩٢٩/٢٩ بما ذهب اليه جمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة فقضى فى المادة ١٥ من القانون سالف الذكر على أنه « لا تسمع عند الانكار دعوى النسب لولد زوجة ثبت عدم التلاقي بينها وبين زوجها من حين العقد » .

وأيضا فقد ورد فى القانون السورى ما يأتي : ــ

١ : ــ ولد كل زوجة فى النكاح الصحيح ينسب الى زوجها بالشرطين التاليين :

أ) أن يمضي على عقد الزواج أقل مدة الحمل .

ب) الا يثبت عدم التلاقيبينالزوجين بصورة محسوسة كما لو كان أحد الزوجين سجينا أو غائبا فى بلد بعيد أكثر مدة الحمل وأقلها ١٨٠ يوما وأكثرها سنة .

٢ : ــ اذا انتفى احد هذين الشرطين لا يثبت نسب الولد الا اذا أقر به أو ادعاه .

٣ : ــ اذا توافر هذان الشرطان لا ينتفي نسب المولود من الزوج الا باللعان .

وبناء على ما تقدم مما ذهب اليه جمهور الفقهاء ، يكون الجواب عن السؤال سالف البيان ــ هو انه لا يثبت النسب ــ والله أعلم .

الصلاة لا تسقط

السؤال : ـ

أوصى رجل ابنه بأن يتصدق بمبلغ (٥٠٠) دينار من تركته (تركة الوالد) على الفقراء بدلا عما فاته من صلوات ، فهل تصح هذه الوصية وهل تسقط عنه الصلاة .

الاجابة : ـ

تنفذ هذه الوصية فى حدود ثلث التركة باعتبارها لصالح الفقراء ، ولا تكفر عنه ما فاته من صلوات لعدم وجود نص شرعي يمكن الاعتماد عليه فى ذلك ، والعبادات يقتصر فيها على النص الوارد فى الكتاب والسنة .

والله أعلم

طهارة الثوب

السؤال : ـ

هل تجوز الصلاة فى الثوب اذا كان به بعض نقط دم صغيرة ؟ .

الاجابة : ـ

تجب ازالة النجاسة عن بدن المصلي وثوبه ومكانه الا ما عفي عنه لتعذر أو عسر الاحتراز منه دفعا للحرج .

قال المالكية : ويعفى عما يصيب ثوب أو بدن الجزار والطبيب الذى يعالج الجروح وما يصيب ثوب المصلي أو بدنه أو مكانه من دمه أو دم غيره اذا كانت مساحته لا تزيد على قدر الدرهم .

وقال الحنابلة : ويعفى عن يسير دم وقيح وصديد ، واليسير مايعده الانسان فى نفسه يسيرا ، وبناء على هذا تجوز الصلاة فى هذا الثوب الذى أصابه دم يسير .

زكاة الحلي

السؤال : ـ

هل فى حلي المراة زكاة ؟ .

الاجابة : ـ

ليس فى حلي المرأة زكاة اذا كانت تتزين بها فعلا أو تعيرها لغيرها من النساء بشرط الا يكون فيها سرف أو خيلاء والمدار فى ذلك كله على العرف الجارى بين الناس ، فاذا اشترت المرأة أو زوجها حليا لا يلبسها مثلها فى العادة كانت فيها الزكاة لأنها قد اتخذتها فرارا وتخلصا من زكاة المال وقد نهى الله عز وجل عن الاسراف فقال : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » . ونهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « كلوا واشربوا والبسوا فى غير سرف ولامخيلة » وكذلك اذا كانت المرأة تختزن الحلى ولا تتخذها للزينة ، أو كانت تستعملها بقصد الحفظ فقط فان الحلي فى هذه الحالة تأخذ حكم النقد الزائد عن حاجات الانسان الاصلية ، وعلى هذا تجب فيها الزكاة اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول بواقع ٢٫٥٪ سنويا . والمعتبر فى نصاب الحلى الوزن لا القيمة وهو عشرون مثقالا ونحن نرجو المسلمين جميعا الا يلجأوا الى السرف والخيلاء فى شراء كميات ضخمة من جواهر وحلي قد لا تتحلى بها المرأة الا مرات معدودة فى العمر كله بل عليهم أن يوجهوا أموالهم الى بناء المصانع وتكوين الشركات التجارية ، وغيرها من المشروعات الناجحة التي توفر للمجتمع الأمن والرخاء .



العدل بين الزوجات

هذه رسالة من السيد مصطفى مدني محمود بالجمهورية العربية المتحدة يقول فيها بعد أن حيا المجلة تحية نشكره عليها : ـ

قرأت فيما قرأت كتابا لفضيلة الاستاذ الشيخ عمر عبد الله وهو « أحكام الشريعة الاسلامية فى الاحوال الشخصية » وتعرض الاستاذ الموقر الى مسألة تعدد الزوجات وأورد آيتين من القرآن الكريم هما قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » . وقوله جل شانه « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وقال المؤلف ان العدل المقصود فى الآية الاولى انما هو العدل فى المأكل والملبس والمسكن والمبيت حسب المقدور عليه .

اما العدل المقصود فى الآية الاخرى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » فخاص بالميل القلبى ولو كان العدل واحدا فى الآيتين لاصبح الامر عبثا لأنه سماح بالتعدد في الآية الاولى واستحالة التعدد فى الآية الثانية .

ودلل فضيلته على أن العدل نوعان عدل مستطاع جعله شرط تعدد الزوجات وعدل غير مستطاع لم يجعله شرطا لتعدد الزوجات بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك » .

أما الاستاذ الكبير المرحوم عباس محمود فيقول فى كتابه « حقائق الاسلام واباطيل خصومه » فى الفقرة الاخيرة من الصفحة رقم ١٧٨ ما نصه « ومن حسنات التشريع فى جميع هذه الضرورات أنه يحسب حسابها ، ولا ينسى الحيطة لاتقاء ما يتبقى من أضرارها ، ومن سوء التصرف فيها ، وكذلك صنع الاسلام بعد اباحة تعدد الزوجات للضرورة القصوى فانه اشترط فيه العدل ، ونبه الرجال الى صعوبة العدل بين النساء مع الحرص عليه (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . فكأن العقاد رحمه الله قد سوى بين العدلين فى كل من الآيتين .

فأرجو لو تفضلتم علينا بتوضيح الامر ولو أني مع ذلك أميل الى رأى الاستاذ عمر عبد الله فهو يسير مع المنطق والعقل فليس فى آيات الله تعارض بل التعارض فى عقولنا القاصرة .

« الوعى الاسلامى » الامر كما فهمت ـ يا سيد مصطفى ـ والحق فى الفهمين هو ما قرره أستاذ الشريعة الشيخ عمر عبد الله ، وكثير من المثقفين تؤثر فيهم حملة الغربيين على اباحة التعدد ، وسوء استعمال المسلمين لهذا الحق ، فيفسرون الآيتين تفسير المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد ، وكان المرحوم الاستاذ عبد العزيز فهمي شيخ القضاة فى أيامه يرى ـ فى بحث له ـ ما يراه الاستاذ العقاد . ولو كان ما ذهبا اليه صحيحا لوقع التعارض فى آيات الله وكان ذكر الاباحة فى آية وذكر ما يمنعها فى آية أخرى شبه تلاعب يستحيل على الله جل شأنه ،ثم ان فهمهما هذا يؤدى الى أن التعدد ممنوع شرعا ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقره لبعض صحابته . .

وجرى الامر على ذلك أيام الخلفاء الراشدين وأيام الائمة والمجتهدين الى يومنا هذا . .

فهل كان فهم هؤلاء جميعا من أيام الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن خطأ ، وكان عملهم خطأ كذلك ؟ وفهم العقاد وعبد العزيز فهمي وأمثالهما هو الصحيح ؟!! أظن ان الامر واضح ، وكان من الممكن أن يقفوا عند قوله تعالى « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » لأن المنطوق الصريح لا يبيح التعدد عند خوف عدم العدل . ولا يأمن العدل بين الزوجات الا القليل . وحينئذ ينحصر التعدد المباح فى أضيق نطاق .

دور النشر والمجلات الاسلامية

وهذه رسالة من السيد/مصطفى عمر حميده مدرس اللغة العربية بمدرسة الرمل الاعدادية بالاسكندرية جاء فيها : ـ

لا أستطيع أن أعبر لكم عن مدى فرحتنا بصدور مجلتكم التى وجدنا فيها زادا طيبا نتزود به على الطريق ، وأشهد أن مجلتكم تمتاز بميزتين لا غنى عنهما لكل مجلة ناجحة ، وهما المادة القوية ، والاخراج الممتاز . فحق لها بذلك أن تتخذ مكان الصدارة بين مجلات الثقافة الاسلامية .

وأقف قليلا عند مسألة الطباعة ، لأقول كلمة صغيرة ـ

« لقد كانت دور النشر المنتشرة فى العالم الاسلامي تضن على الاسلام باصدار مجلة تحمل ثقافته فى طباعة جيدة ، وكانت تتعلل بأن الطباعة التي تجارى المستوى العالمي الجيد تتكلف تكاليف باهظة ، والمجلات الاسلامية ـ فى رأيهم ـ لا تعود بالارباح التي تغطي تلك التكاليف ، فكيف يقدم أصحاب تلك الدور على تلك الخطوة وثمة مجلات من طراز آخر يستطيعون اصدارها وتعود عليهم بأرباح خيالية ؟ ..

وهكذا كانت مسألة الارباح العائدة ، وانتماء أصحاب عدد كبير من دور النشر فى العالم الاسلامي ، والعربي على الخصوص ، الى دين آخر غير الدين الاسلامي ، من أعظم الاسباب التى أدت الى عدم اصدار مجلة اسلامية يطالعها المسلمون ، فينتفعون بما فيها ، وفى الوقت ذاته .. يفتخرون بها .

ومن أجل هذا نحمد الله ونشكره أن وفق وزارة الاوقاف الكويتية لتجعل العلم الحديث فى خدمة الاسلام ، ذلك أنكم وضعتم مطابع من أحدث المطابع فى الوطن العربى فى سبيل اصدار مجلة تدعو للاسلام ، وتعمل على تعليم المسلمين أمور دينهم الحنيف .

اني أرى من الواجب على كل مسلم أن يساهم فى تدعيم مجلتكم ، وأن يعاضدها بكل ما أوتي من قوة . ومن هذا المنطلق أضع أمامكم بعض آرائي ومقترحاتي .

ثم ذكر بعض المقترحات التى نعتقد أن المجلة قد حققت أغلبها فيما تلا ذلك من أعداد ، ونرجو أن يتم الباقي فى المستقبل ان شاء الله .

حقوق الابناء على الآباء

وتلقينا رسالة من السيد/م.م ـ بسلاح الطيران الكويتي . يشكو فيها من تصرفات والده الذى تركه منذ كان فى الخامسة من عمره ، وترك أخاه الذى يصغره ، ووالدتهما التى أصيبت من جراء تصرفاته بالصرع ، فقد انتزع منها جميع ما ورثته عن أبيها ـ تركهم جميعا يتكففون الناس ، ويبيتون على الطوى ، ولم يحاول مجرد زيارتهم بينما يعيش مع زوجته الاخرى ، ومع أولاده منها ، فى بحبوحة وسعة.

ويسأل . هل لهذا الوالد حق عليه ؟ وهل يمتنع عن مساعدته اذا أعوزه الدهر اليه ؟

ونحن نقول له :

اذا كانت الشريعة الاسلامية قد فرضت على الابناء البر بالآباء ، والاحسان اليهم وأن يخفضوا جناح الذل لهم ، فليس معنى ذلك انها أهملت حقوق الابناء .

فرغم أن حب الابناء غريزة وفطرة فى نفوس الآباء ، فان الاسلام قد فرض عليهم تربية الابناء، والانفاق عليهم ، وتعليمهم ، وتوفير أسباب الحياة الكريمة لهم ، وحسن رعايتهم فى حدود الاستطاعة والقدرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرءا أعان ولده على بره » وقال كلكم راع ومسئول عن رعيته . الرجل راع ومسئول عن رعيته ..

ويؤسفنا أن يكون فى المجتمع الاسلامي أمثال هؤلاء الآباء ، الذين قست قلوبهم ، ونامت ضمائرهم وقصروا فى أداء الرسالة المنوطة بهم ، وألقوا بأفلاذ أكبادهم على الارض تتلظى من الجوع ، وتتلوى من الحرمان .. هؤلاء لا نقول لهم الا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم للأقرع بن حابس عندما رأى رسول الله يقبل ولده الحسن ، فقال له . ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام . ان من لا يرحم لا يرحم ، أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك .

صحف ابراهيم

وتلقينا رسالة من الاخ محمد خير من الابيض بالسودان يقول فيها : ـ

تحدث القرآن الكريم عن صحف ابراهيم خليل الرحمن فقال سبحانه فى سورة النجم ((أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى)) وقال جل علاه فى سورة الاعلى ((ان هذا لفي الصحف الاولى . صحف ابراهيم وموسى)) .

فهل كانت صحف ابراهيم كتابا منزلا عليه من الله كالقرآن الذى أنزل على سيدنا محمد ، واذا كانت كتابا منزلا ، فهل يوجد منها شيء الآن يمكن ان تدلوني عليه للاطلاع .

ان لله سبحانه تعاليم ووصايا أوحاها الى رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام قال عز من قائل « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» سورة البقرة آية ٢١٣ .

وهذه التعاليم الالهية منها ما دون وكان فى صورة كتب وصحف ، ومنها ما لا علم لنا به .

والكتب المدونة هي التوراة التى أنزلت على موسى والانجيل الذى انزل على عيسى والزبور الذى أنزل على داود والصحف التى أنزلت على ابراهيم ، والقرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية أنزل على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى اخوانه النبيين والمرسلين .

والكتب السماوية السابقة على نزول القرآن الكريم قد اندثر بعضها وتناول التحريف والتبديل البعض الآخر ، فلم يبق سليما محفوظا من التغيير والتبديل سوى القرآن الكريم الذى تكفل الله بحفظه رحمة بخلقه لأنه آخر الكتب السماوية الذى أودع الله فيه صفوة التعاليم والشرائع الالهية التى يصلح عليها أمر العباد فى الدنيا والآخرة .

وقد جاء فى بعض الآثار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض فقرات مما كان فى صحف موسى . روى ابن حبان فى صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم ؟ قال كانت امثالا كلها .

« أيها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فانى لا أردها وان كانت من كافر » .

« وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات فساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب » .

« وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا الا لثلاث . تزود لمعاد أو لمعاش أو لذة فى غير محرم . وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه » .



الكويت

* تلقت المجلة سيلا من البرقيات والرسائل بعث بها اصحابها من مختلف الدول العربية والاسلامية ، يعربون فيها عن بالغ ألمهم لوفاة فقيد العروبة والاسلام صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير الكويت الراحل ويضرعون الى العلى القدير أن يبوئه فراديس جنانه .

والوعي الاسلامي تتقدم بوافر الشكر لأصحاب هذه البرقيات والرسائل على نبيل شعورهم .

* استقبلت البلاد عشرات الوفود التي تمثل الدول العربية والاسلامية والدول الصديقة والمنظمات والهيئات الدولية والشعبية للاعراب عن أخلص العزاء وجميل المواساة فى فقد الأمير الراحل ورفع التهاني والتمنيات لصاحب السمو صباح السالم الصباح أمير الكويت بمناسبة تقلده امارة البلاد .

* تلقت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية موافقة السادة الآتية اسماؤهم على الاشتراك فى الموسم الثقافى الذى تقيمه الوزارة وهم .

١ ـ الاستاذ مصطفى الزرقا
استاذ القانون المدني فى جامعة دمشق

٢ ـ الدكتور عبد الكريم زيدان
استاذ الشريعة الاسلامية فى جامعة بغداد

٣ ـ الدكتور محمد محمد حسين
استاذ الأدب العربي بجامعة الاسكندرية

* زار الكويت فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة بدعوة من جمعية الاصلاح الاجتماعى والقى فضيلته محاضرتين فى قاعة المحاضرات بثانوية الشويخ ، وقد امتلأت القاعة على اتساعها بجمهور كبير وفى مقدمتهم بعض الوزراء وكبار رجال الدولة ورجال الفكر والأدب .

الجمهورية العربية المتحدة

* انتهى فلمنتاج من اعداد فيلم مدتهساعة وربع ساعة عن قواعد الاسلام .. سيعرض فى جميع بلاد العالم . الفيلم يدبلج الآن بخمس عشرة لغة وهو بالالوان .

* قامت شركة صوت القاهرة بالاتفاق مع المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بتسجيل تعاليم الصلاة على اسطوانات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وقريبا باللغات الأوردية والسواحلية..

* أدلى فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى بتصريح أثناء حضوره الاحتفال بليلة الاسراء والمعراج فى المسجد الاقصى قال فيه ان جامعة الأزهر ستنشىء فرعا لكلية الطب فى القدس .

الجزائر

* نفى مصدر مسؤول فى وزارة الخارجية الجزائرية ما رددته بعض وكالات الأنباء الأجنبية عن احتمال عودة العلاقات الديبلوماسية بين الجزائر والمانيا الغربية وأكد المصدر أن موقف الحكومة الجزائرية تجاه المانيا الغربية سيبقى متفقا مع موقف الدول العربية الأخرى .

الأردن

* الاتجاه السائد فى اوساط الشخصيات الاسلامية هو تأسيس صندوق مالي يرصد لتنمية المتلكات العربية وصيانتها والبذل فى سبيل عدم انتقال ملكيتها من أصحابها الحالين ، وذلك لاحباط المؤامرة الصهيونية وغيرها التي تستهدف شراء المتلكات العربية فى مدينة القدس .

* زار سعادة عبد الله مشارى الروضان وزير الأوقاف الكويتي جمعية البر بأبناء الشهداء فى

مخيم العائدين بعقبة جبر وتبرع بألفي دينار للجمعية .

كما قام معاليه بزيارة دار الطفل العربي في القدس وتبرع بألف دينار للدار .

الجمهورية العراقية

* كشف السيد محمد بن عدى ممثل امامة عمان ، عن مؤامرة جديدة ترتكبها بريطانيا في جزيرة - مصير - التي تقع في الجنوب الشرقي من ساحل عمان ، وأعلن السيد بن عدى أن بريطانيا بدأت أخيرا في تشريد المواطنين العرب في الجزيرة واغرائهم بالمال ليرحلوا الى اقطار عربية أخرى ، تمهيدا لنقل قاعدتها العسكرية من عدن الى جزيرة مصير .

* نعى المجمع العلمي العراقي الشيخ محمد رضا الشبيبي الذى وافاه الأجل عن عمر يناهز ٧٨ عاما . وكان الشبيبي من الشعراء المشهورين في العراق ، وتولى وزارة المعارف خمس مرات في عام ١٩٢٤ ، كما انتخب معتمدا لحزب الجبهة الشعبية عام ١٩٥٢ .

كما تولى الشبيبي عضوية مجلس الأمة العراقي عدة مرات ، وشغل عضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ عام ١٩٥٠ ، وانتخب في العام الماضي رئيسا للمجمع العراقي .

باكستان

* من المقرر أن تعلن الحكومة الباكستانية قريبا جعل مدينة « اسلام اباد » عاصمة باكستان بدلا من « روالبندى » . وكانت الحكومة الباكستانية قد أبلغت الدول قرار جعل مدينة اسلام أباد عاصمة لها ونقل الدوائر الحكومية اليها وكذلك البعثات الدبلوماسية المعتمدة لديها .

* استأنفت مجلة الأدب الاسلامي التي كانت تصدر في باكستان صدورها بعد أن توقفت مدة من الزمن ويشرف على نشرها الناشر محمد اشرف صاحب دار للنشر الاسلامي في باكستان .

أندونيسيا

* افتتح بمدينة فاكن بارو عاصمة منطقة ريو من جزيرة سومطرة باندونيسيا كلية تربية ذات شعبتين ، شعبة الشريعة الاسلامية ، وشعبة اللغة العربية ، بالاضافة الى وجود كلية الحقوق وكلية العلوم الفقهية التى تدرس فيها اللغة العربية والعلوم الدينية والاسلامية منذ سنوات ، وبهذه الكليات تألفت جامعة سومطرة الاسلامية وقد اعترفت الحكومة بها كاحدى جامعات أندونيسيا .

السودان

* أذاع راديو أم درمان بيانا هاما أصدره سماحة السيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية في السودان الشقيق، ندد فيه بالشيوعية والالحاد وطالب الحكومة والشعب باعلان الجمهورية الاسلامية كنظام للحكم يستند الى التشريع الاسلامي ويقوم على تطبيق الشريعة السمحاء وذلك كحل شامل لجميع مشكلات الحياة .

أخبار متفرقة

* يقدر عدد المسلمين في مدينة تورينتو في كندا بخمسة آلاف مسلم ولهم مركز اسلامي يجتمعون فيه لاداء الصلاة والاستماع الى المحاضرة الاسبوعية التى يلقيها أحد أعضاء المركز ، والجدير بالذكر أن رئاسة هذا المركز اسندت الى أحد الطلبة المسلمين الذين يدرسون في مونتريال في كندا وأن هذا الطالب يقطع مسافة ٥٠٠ كم كل اسبوعين لاداء واجبه في مركز تورينتو الاسلامي .

* بلغ عدد الجمعيات الطلابية الاسلامية في انكلترا ٢٠ جمعية وفى ألمانيا ٢٣ جمعية . وقد انتظمت هذه الجمعيات في اتحادات أشهرها : اتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا . واتحاد الطلبة المسلمين في المملكة المتحدة . ورابطة الطلاب المسلمين في فرنسا .

* حصل المركز الاسلامى في مونتريال بكندا منذ أمد قصير وبعد جهد كبير على اعتراف الحكومة المحلية هناك ، بالاسلام كدين ومنح المسلمين هناك حرية ممارسة الشعائر الدينية .

* من أخبار الجمعية الاسلامية بجامعة كولون بالمانيا التى تأسست عام ١٩٥٨، انها بدأت بسبعة أعضاء كانوا يؤدون صلاة الجمعة في المنتزهات العامة لعدم توفر المكان للصلاة ، ثم انتقلوا لادائها في بيوت أعضائها ، ومع ازدياد اعضاء الجمعية واقبال المسلمين على الصلاة لم يعد هناك مكان يسع المصلين الا في الحدائق والمنتزهات العامة والجمعية تفكر في بناء مسجد في مدينة كولون يكون منارة للاسلام هناك .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الوهيب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضى ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب (٧٦) السعودية

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢)

السودان : ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ صب (١٩٥٦) .

الكويت ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



﴿ ومنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بهِ نَافلةً لَكَ عَسى أَنْ يبعَثَكَ
رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ .

صدق الله العظيم

لوحة زيتيه بريشة **محمد مؤذن**

الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

العدد العاشر ـ السنة الاولى ـ شوال ١٣٨٥هـ ـ ٢٢ يناير ١٩٦٦ م





قصة العدد

الوجودي

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد العاشر السنة الاولى
شوال سنة ١٣٨٥ هـ

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

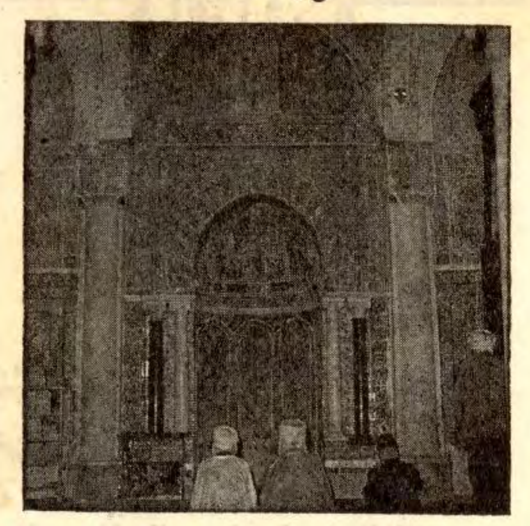
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلى

صورة الغلاف



من صور الفن الاسلامى بأحد مساجد بنزرت فى تونس

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : { مجلة الوعى الاسلامي – وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ – هاتف ٢٢٠٨٨

اقرأ فى هذا العدد

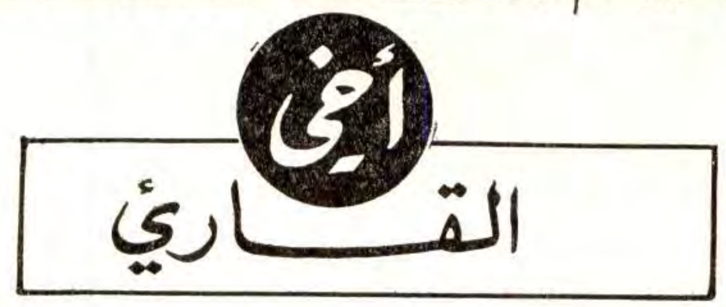
يستقبل القراء مع هذا العدد من المجلة عيد الفطر المبارك بعد ان عاشوا شهر الصوم في رحاب الرحمن .

وإنني باسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وإسم اسرة المجلة انتهز هذه الفرصة فأتقدمُ الى صاحب السمو أمير البلاد المعظم والى الشعب الكويتي والى كافة المسلمين في جميع اقطارهم مُهنئاً اياهُم بالعيد سائلاً المولى جل جلاله، أن يشملنا جميعاً بعفوه ومغفرته وأن يُسدد خطانا، ويوفّق قادتنا إلى مايعيد للمسلمين أمجادهم ويوطد لهم عزتهم، ويحقق لهم حريّاتهم في كل بلادهم . والله الموفق والمعين

عبدالرحمن المجحم . المشرف العام على المجلة . ووكيل الوزارة

محمد يوزن

بسم الله الرحمن الرحيم



أخي القارئ

العيد .. وقفة قصيرة على قمة زمان مضى ، وجزء من العمر انقضى . وقفة نستريح فيها قليلا من عناء تحملناه ، وشوط في صحراء الحياة قطعناه .. وجهاد في سبيل البقاء بذلناه ..

وقفة نسترجع فيها بعض ذكرياتنا ، ونستعرض فيها شريط حياتنا ، ونتهيأ لشوط جديد من عمرنا .. لا ندرى متى وأين ينتهي بنا ..

وقفة نتبادل فيها التهاني والأماني : كل عام وأنتم بخير .. وعيد مبارك ..

كنت ـ وأنا صغير ـ أترقب العيد ، وأستعجل قدومه ، لأنه كان يحمل لي معه كل ما أفرح به ويفرح أمثالي ، حتى اذا انتهت ايامه بدأت أرقب العيد الذى يليه ..

كانت دنياى كلها نفسي وحسي . فلما كبرت أخذت دنياى تتسع ، وبدأت معالم العيد ومعانيه تتغير وتتحور .. حتى أصبحت العبارة التقليدية التي نقولها : كل عام وأنتم بخير : لا تقنع بها نفسي ، ولا تتسق مع حسي ..

كل عام وأنتم بخير .. تثير في نفسي تساؤلا : هل وصلنا الى الخير الذى نرجوه حتى نقنع به ، ونتمنى أن يدوم كل عام ؟ ! وأين هذا الخير في واقعنا ؟ !

هل هو مجرد أننا نعيش ويرى كل فرد منا أنه وفر لبيته ما يريد ، أو بعض ما يريد ؟ برغم ما يراه حوله من اخوان له يذرفون الدموع بغزارة أيام العيد ، لأنهم لا يجدون لقمة العيش ، أولا يجدون الثوب الذي يلبسونه ، أو يوفرونه لفلذات اكبادهم ، ليفرحوا كبقية الاطفال حولهم ؟ ولو كان يحس انه مسلوب الحرية في وطنه ، أو أن له اخوانا يخنق المستعمر حرياتهم ، وينهب ثرواتهم ، ويمتهن كراماتهم ؟ او يعيشون بعيدين مشردين عن اوطانهم ؟ ؟ !

لا .. فلم يكن مقياس الحياة ولا ميزان الخير فيها لدى العقلاء الذين يحسون انسانيتهم هو مجرد الحياة والطعام والمتعة .. فلرب حياة خير منها الموت ، ولرب شبع خير منه المخمصة .

ان الحياة ليست غاية ، وليس الطعام فيها هو النهاية ، وانما هي وسيلة لتحقيق العزة والكرامة ، واشاعة الألفة والمحبة ، فاذا لم تتحقق فيها هذه المعاني الكريمة فبطن الأرض خير من ظهرها ..

وما كانت غاية المسلم أن يعيش ليأكل ، وانما يأكل ليعيش ويؤدى رسالته .. والا فما قيمة الحياة اذا كانت ممزقة الجوانب ، عارية من الكرامة ؟ وما قيمة الانسان الذى لا يعمل لهدف نبيل ، ولا يحس كرامة لنفسه ، ولا عزة لأوطانه واخوانه ؟ ما قيمة الانسان الذى يعيش مغلوبا على أمره ، فاقدا لحريته ـ أخص خصائص انسانيته ـ شاعرا بالمهانة في حياته ؟ .

وهل يكون الانسان انسانا اذا لم يحس الظلم الواقـع عليـه ، أو الأسى الذى يعيش فيه ويعمل للقضاء عليه ؟

ان من شأن المسلم ان تكون نفسه مرصدا حساسا لكل ما حوله ومن حوله ، ((ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)) .

فهل ترى ـ يا أخي ـ من خلال هذا المرصد اننا نعيش بخير ؟ ..

لا تغالط نفسك وتقول : اننا بخير ، وتتمنى أن يدوم هذا الخير كل عام .. بل قل . كل عام ياتي ونحن أحسن من العام الذى مضى ..

فلسـنا نحن المسلمين الآن بخـير ، والا فهل من الخير الذى نعيش فيه ، ونتمنى أن يدوم ، اننا نغاضب الله ونعصي أمره ، ونحيد عن سبيله ، ونؤثر عليه رضا أهوائنا ؟!

هل من الخير الذى نعيش فيه ، وننعم به ، هذا التفكك الذى هد ـ ولا يزال يهد ـ كياننا ، ويضعف قوتنا ، ويوهن عزيمتنا ، ويمكن قبضة العدو من رقابنا ؟ !

هل من الخير الذى نعيش فيه ونقنع به ، ان نرى حفنة صغيرة من مشتتي العالم ، تتركز فى أرضنا وتطردنا من بيوتنا ، وتلحق العار بنا ؟ !

هل من الخير الذى ننعم به ، ونتمنى دوامه ، أن نعرف طريق القوة ولا نسـير فيه ، ونبصر الهدف ولا نركض اليـه ، ونتغنى بمبادىء الاسـلام ولا نراها حية فى واقعنا ؟ ! .

هل تراني اثقلت عليك فى ايام العيد ؟

لا .. يا أخي ـ فليس العيد لمن لبس الجديد .. ويكفي أننـا نـرى أطفالنـا يعيشون فى عالمهم البرىء يمرحون ويزهون بالجديد ..

أما نحن الذين شاء الله لهم ان يكونوا رجالا يتحملون العبء ، فما كان لنا مطلقا ان نتخلص من واقعنا ، أو نتجرد من احساسنا ، أو نعيش لنفسنا ويومنا ..

حقا ان العيد فترة راحة واستجمام ، وأنس وبهجة . ولكن كيف نتهرب أو نتجرد من الواقع ؟ .

انني لا زلت أذكر دموعا سخينة ذرفتها فى يوم عيد .. لم تكن دموعا على عزيز لي فقدته ، أو منظر مؤلم رأيته ـ فقد كانت المناظر حولى كلها مفرحة ـ ولكن لأن فرنسا فى أيامها رأت ـ بقوتها وجبروتها ـ ان تهدى للمسلمين فى يوم العيد خبر القبض على السلطان محمد الخامس سلطان المغرب يومذاك ، ونقله مع اسرته الى منفاه .

ذرفت الدمـع من اجل ضعف المسلمين ، وتحكم المستعمر فيهم ، وعدم مبالاته بشعورهم ، حتى اهدى لهم ما اهداه فى يوم عيد ! ! . وتمثلت فى نفسي قول شوقي

اذا أن بالربـــاط جريـــح لمس الشرق جنبـــه فى عمانه

ومع أن المسلمين ـ بحمد الله ـ قد صحوا من غفوتهم ، وخطوا فى طريق العزة والمكانة الدولية خطوات .. الا أننا لا نزال نحس الجروح التي فى جسمنا ، ونشعر بأن الطريق الى المجد الذى نبتغيه لا يزال طويلا أمامنا ، وأنه يحتاج الى صبر وجهاد وايمان وتضحية ، حتى نصل الى الهدف الذى نرجوه .. بعون من الله ..

وكل عام يأتي ونحن أحسن حظا وأوفر مجدا من عامنا ..

رئيس التحرير

العيد وذكرياته

لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

عن أنس رضي الله عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان ؟ قالوا كنا فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما . يوم الأضحى ، ويوم الفطر رواه ابو داود .

١ ــ يصافح هذا العدد من مجلة الوعي الاسلامي أكف القراء فى غرة شهر شوال، فى يوم عيد الفطر المبارك، فيلتقي بهم وقد ودعوا شهرا حافلا بالاخلاص لله وحده ، عامرا بالجد فى العبادة والزلفى الى فاطر السموات والأرض ، صاموا راجين رضوانه ، آملين فى مغفرته ، طامعين فى الوصول الى خير ما أعد لهم من الثواب والجزاء ، لم يشركوا معه فى صومهم احدا ، فلم يراءوا ولم يداجوا ولم يراقبوا غيره سبحانه وتعالى، فلا غرو ان جعلوا لهذا التوفيق العظيم عيدا يجملونه بالبر بفقرائهم والعطف على المحرومين منهم ، والعمل على تفريج كربة المكروبين، وسد حاجة المعوزين، يطعمون فيه الطعام لوجه الله تعالى، متأسين بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله فيهم (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) . ويكون جزاؤهم القبول والرضوان من العلي الكبير (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) . . .

٢ ــ وحق لهم ان يستقبلوا الشهر الجديد بعيد يفرحون فيه بمغفرة من الله وفضل ، ورحمة واسعاد وجنة عرضها السموات والأرض ينادون فيها (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) لأنكم أخلصتم عبادتكم لله ،

فادخر لكم مالا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزى به) فطوبى لمن صام رمضان ايمانا واحتسابا وطوبى لمن قام ليله ايمانا واحتسابا ، وطوبى ثم طوبى لمن راقب ربه فى كل عمل يعمله ، فان كنا لا نرى الله جهرة فان الله يرانا ، ولا يغفل عنا ، ولا يؤوده حفظنا، وهو يعلم سرنا ونجوانا (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن ، وما يخفي على الله من شيء فى الأرض ولافى السماء) .

٣ ـ والعيد مبعث خواطر شتى ، ومثار ذكريات عديدة ، ومسرح جولات فكرية متشعبة ، وسبحات عقلية مجردة منوعة ، فالعيد فى نشأته يذكرنا برسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين ، والمكلف بارساء قواعد شريعة الهية خالدة ما دامت السموات والارض، وقد بسطت رواقها يوما على الكون فعمته الرحمة ، وساده التعاون فى مجالات الخير ودفع الشر وشمله السلام الذى لا يميز بين جنس ولا لون ولا عنصر ، وتبددت حنادس الظلام والكفر وزالت من الوجود حوالك الشبهات ، وصفت حياة الناس مما يكدر ، وما غامت سماؤهم الا لتمطر وابلا تهتز له أرضهم وتربو وتنبت من كل زوج بهيج .

٤ ـ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث هاديا ومعلما ، ومصلحا ومرشدا ، بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة يدعو الى الله آناء الليل واطراف النهار، لا يني ولا يضعف ولا يتقاعس ولا يتواكل، ولا يتألم مطلقا لاساءة لحقت بشخصه مهما تعظم الاساءة ، فكم أهين وكم سب وشتم وكم وصف من الجاهلين بما لا يليق ، فقالوا : شاعر ، وقالوا مجنون ، وقالوا انما هي اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ، وهم يعلمون علم اليقين انه لم يختلف الى مدرسة ، ولم يجلس الى معلم ، والقرآن الكريم يردد على اسماعهم (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) ، فما القرآن الا وحي يوحى ، تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ، كل هذا ورسول الله صامد صابر ، يأتيه الملك فى اشد حالاته شدة وضيقا ، ويستأذنه ان يطبق الجبال على الكفار فيقضي عليهم ، فيأبى ويردد كلماته الخالدة « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » وصدق رسول الله ، فالناس اعداء ماجهلوا ويوم يعلمون فسيهتدون .

٥ ـ وما جنت الدنيا وشالت نعاقها ، وعمها الذعر والخوف ، وسادها الجور والظلم ، واختفى من بين أهلها الامن والطمأنينة ، والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، الا يوم غفلوا عن تعاليم السماء واعرضوا عن شريعة ربهم وحادوا عن السبيل الواضح الذى خطه ورسمه سيد الخلق صلى الله عليه وسلم .

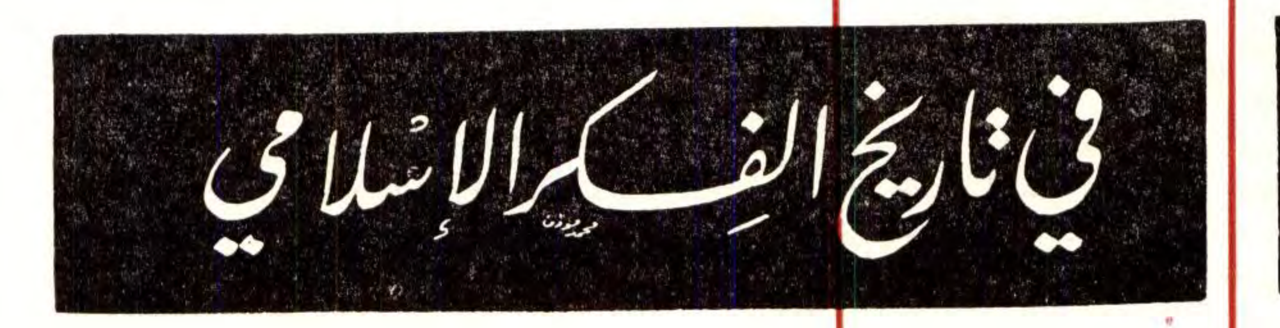
٦ ـ ويذكرنا العيد بدعوته عليه الصلاة والسلام الموجهة الى البشر كافة رجالا ونساء ان تواصوا بالخير والحق والصبر واعملوا صالحا ، وأقبلوا على العمل النافع المفيد للبشرية جمعاء ، وامامكم ينابيع الحكمة مسطورة فى الكتاب والسنة فعبوا من رحيقها الصافى ونميرها العذب الشهي السائغ .

تأملي يا أختاه كيف حضك الرسول الكريم على التفقة فى الدين وارتياد رياضه ، وقطف جناه ، وكيف دعاك الى المشاركة فى المحافل والمجتمعات الطيبة الطاهرة ، يروى البخارى ومسلم وغيرهما عن ام عطية رضى الله عنها قالت . أمرنا ان نخرج الحيض يوم العيدين ، وذوات الخدور ، فيشهدون جماعة المسلمين ودعوتهم ، وتعتزل الحيض عن مصلاهن ، قالت امرأة يا رسول الله احدانا ليس لها جلباب ؟ قال « لتلبسها صاحبتها من جلبابها » ثم فكرى فى حثه صلى الله عليه وسلم على احسان تربية البنات والعناية بأمرهن واعدادهن لما يسعدهن فى العاجلة والآجلة ، يروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت (جاءتنى امرأة معها ابنتان تسألنى فلم تجد عندى غير تمرة واحدة فأعطيتها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت فدخل رسول الله صلى الله

البقية على ص ٣٢

الأمالي والمجالس

لفضيلة الاستاذ الشيخ
محمد محمد المدني



الإمام السرخسي أملى كتابه

ان عودة الدراسة فى « الجامع الأزهر الشريف » على نظام الحلقات والكراسي، أثارت فى نفسي ذكريات عاطرة من تاريخنا الفكرى العظيم ، حينما كان « الجامع » هو « الجامعة » وهو « دار الندوة » وهو « مجلس القضاء » ومكان « الشورى » .

والذي يهمنا الآن من هذا هو أن المسجد كان يقوم منذ العهد الأول للاسلام بمهمة الجامعة .

فقد ذكر الحافظ الهيثمي فى « مجمع الزوائد » عن قرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس جلس اليه أصحابه حلقا حلقا .

وقال انس رضى الله عنه : كان الصحابة اذا صلوا الغداة ، قعدوا حلقا حلقا ، يقرأون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن .

وأخرج ابن ماجة فى سننه عن عبدالله ابن عمرو قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد ، فاذا هو بحلقتين احداهما يقرأون القرآن ويدعون الله والاخرى يتعلمون ويعلمون ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كل على خير هؤلاء يقرأون القرآن ، ويدعون الله فان شاء أعطاهم ، وان شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون ، وانما بعثت معلما » فجلس معهم .

من المسجد شع نور العلم

وهذه الآثـار وغيرهـا تدل على أن المسجد قد قام منذ أول لحظة بدورآخر هام ، غير اجتماع الناس فيه للعبـادة والصلاة ، هو دور الجامعة العلميـة ، وأن الاسلام ربط بين هذيـن الدورين برباط وثيق فى نفوس المؤمنين ، حيث أراهم بصورة عملية أن العلم عبادة ، لأن العلم كشف ومعرفة ونور يهتدى به الى معرفة الواقع الصحيح ، فيمـا يبحث وينظر، وما جاء الاسلام الا لبيان الحقائق ومحاربة الأوهام والجهالات ، فكل مـا يساعده على ذلك فهو صديقه ، بـل هو منه ، والله تعالى يقول : « انما يخشىالله من عباده العلماء » وذلك لان العلماء هم

بعض المساجد ربما غلب عليها الميل الى الأدب مثلا،وبعضها ربما غلب عليه النحو مثلا ، وهـذا هو السـر فى أن مـذهب البصريين فى علم النحو كان يغلب عليـه القياس ، وأن مذهب الكوفيين كان يغلب عليه السماع ، لأن الأولين كانوا يدرسون فى مسجد البصرة علـم النحو والصرف متخصصين فيهما ، أما الكوفيون فكانوا يخلطون بذلك علم الأدب ورواية الشعر فكانـوا يجدون فى النصوص الادبيـة والشعرية ما قد يخرج عن نطاق القواعد القياسية الصماء ، وبذلك انطبع مسجد البصرة بطابع معين ، وانطبع مسجـد الكوفة بطابع آخر ، ولعل هذا يوحي الينا بمعنى هام يجب أن نلاحظه ، وذلك هو ألا تكونجامعاتنا المتعددة علىطابع واحد،

"المبسـوط" من نافذة سُـجنه ٧

الذين تتجلى أمامهم الحقائق ، وتتضـح لهم السنن العقلية والكونية ، فيعلمون أن للكون الها قادرا مدبرا حكيما ، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى،ويرون من عظمة هذا الخالق بعظمة سننه وقوانينه مـا يجعلهم يهابونه ويخشونه ، ويخضعون لجلاله .

ولقد استمر قيام المسجد بهـذه الرسالـة الساميـة فى مختلف العصور الاسلامية ، ولم تكن هذه الرسالة قاصرة أو مقصورة على العلوم الدينية فحسب، بل كانت تتعدى الى الأدب ، والشعر ، والقصص ، وعلـوم اللغـة العربيـة ، والرياضـة ، والفلك والفنون ، وكانت

وأسلوب واحد ، كأنها صور كربونيـة لمكتوب واحد ، فان من الخير أن تتجه كل جامعةاتجاهاعلميا يميزها عما سواها من الجامعات الأخرى ، ولهذا تعتبر جامعة الأزهر جامعة فريدة فى بابها ما دامـت تعطى العناية الكبرى لعلوم الاسلام مـن شرعية وعربية وتاريخية ، فاذا قصرت فىذلك ــ وحاشاها ــ فقد صارت جامعة كسائر الجامعات ، يغني عنها غيرها ، ويبهت اللون الخاص الذى يميزهـا ، وتضيع الثقافة الأصلية التي لا يحفظها ولا يرعاها غيرها .

ولقد كان مسجد عمرو بن العاص مثلا فى جميع مختلف الألوان ، فكان فيه

الفقهاء والمتكلمون والأدباء والشعراء ، وأصحاب النحو والصرف والعروض والفلك والتاريخ والقصص وغيرهم .

ولسنا بصدد الاطالة فى بيان ما كان للمسجد من فضل عظيم على الثقافة الاسلامية ، فان المقام لا يتسع لذلك .

ولكننا نحب أن نلفت الى لون من هذه الدراسات الجامعية أو المسجدية ، عرفه تاريخ الفكر الاسلامي باسم «الامالى» او «المجالس» . فقد كان اصله واول امره ان يجلس الأستاذ فى المسجد ، ويتخذ له مكانا خاصا يعرف به ، ويذكر أنه مجلسه الخاص ، فيرد عليه الطلاب والمتعلمون ممن يريدون الاستفادة منه ، وقد احضروا كراساتهم وكناشاتهم كما يفعل طلاب الجامعة الآن حين يذهبون الى استماع المحاضرات ، ويعدون العدة لكتابتها .

وكان هناك علماء متخصصون فى مختلف الجوانب العلمية ، فمنهم من هو متخصص فى حفظ الحديث ومعرفة رواته ونقد طرقه ، فيحضر اليه الطلاب الهواة لهذا اللون من العلم ومعهم دفاترهم ومحابرهم ، ويستملونه فيمليهم على هيئة حتى لا يعجلهم ، فيكتب كل منهم ما يسمعه عنه ، ويقابل بعضهم على بعض أحيانا ، أو على الشيخ نفسه .

وقد يخطىء الطالب ، فيدرج فيما يمليه الشيخ شيئا يظنه فينفرد به ، ولذلك يهتم رجال الحديث بالمقابلة ومعارضة النسخ ، ليثقوا بأن الكاتب المستملي لم يخطىء فى السماع ، أو فى النسبة .

ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن ماجة عن اسماعيل ابن محمد الطلحي عن ثابت بن موسى العابد عن شريك الاعمش عن ابى سفيان عن جابر مرفوعا : «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» قال الحكم دخل ثابت على شريك وهو يملي ويقول : حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ـ وسكت ليكتب المستملى ـ فلما نظر الى ثابت قال : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، وقصد بذلك ان ثابتا لزهده وورعه وصلاته بالليل قد حسن وجهه وظهر عليه بهاء الطاعة ، فظن ثابت أن هذا الكلام الذى تكلم به شريك هو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الاسناد ، فكان ثابت يحدث به ، وقال ابن حبان انما هو قول شريك قاله لثابت ، والسند المذكور انما هو لحديث آخر أملاه بعد ذلك شريك وهو (يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم) فأدرج ثابت فى الخبر ما ليس منه خطأ) (١) .

ولكن علماء الحديث نقدوه بعد ان تعقبوه وتتبعوا رواياته عند من رواه غير ثابت فعرفوا سر الخطأ الذى وقع فيه ثابت بحسن نية ودون قصد سيء ، فأصلحوه .

ومنهم من كان يعقد مجلسه للشعر والأدب ، فيأخذ عنه هواة ذلك اللون من الثقافة ما شاءوا .

وقد كان منهم أبو على القالي الذى سمى كتابه « الامالي » وهو كتاب معروف بيد الناس يقول فيه أبو محمد بن حزم « كتاب نوادر ابى على مبار لكتاب الكامل الذى جمعه المبرد ، ولئن كان كتاب ابي

« الوعي الاسلامي » تحب أن تلفت النظر هنا الى هذه الدقة البالغة فى رواية الحديث وخدمة العلماء له ، فان ما وقع فيه شريك لم يتركه العلماء حتى صححوه .

العباس المبرد اكثر نحو وخبرا ، فان كتاب ابى علي القالي اكثر لغة وشعرا ».

ويقول ابو علي القالي فى مقدمته :

لما رأيت العلم أنفس بضاعة أيقنت أن طلبه أفضل تجارة ، فاغتربت للرواية ، ولزمت العلماء للدراية ، ثم اعملت نفسي فى جمعه ، وشغلت ذهنى بحفظه ، حتى حويت خطيره ، وأحرزت رفيعه ، ورويت جليله ، وعرفت دقيقه ، وعقلت شارده ، ورويت نادره ، وعلمت غامضه ، ووعيت واضحه .... فأمليت هذا الكتاب من حفظي فى الاخمسة بقرطبة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة .

وهذا النص يفيد أن مؤلف الكتاب أملاه على تلاميذه كما يدل على ذلك اسمه أيضا ، وأن املاءه كان بعد أن حصله وحققه ورحل من أجله وضبط شوارده ، وجمع فرائده ، وحفظها وصار يمليها من حفظه لا من صحيفة ولا من كتاب .

حتى من السجن

وقد كان هذا هو دأب العلماء الفطاحل ، والادباء الاساطين ، الذين تمرسوا بالعلم والادب منذ عهد الصبا ، وافنوا فى ذلك اعمارهم ، حتى اصبحوا قادرين على ان يملوا من حفظهم ، بل ان يكون ما ينطقون به فى مجالسهم ومحادثاتهم علما نافعا ، أو أدبا رائعا ، أو قولا جامعا . ولقد كان احدهم موسوعة علم متنقلة ينفع الله به من يشاء ، ويهدى الى علمه وفضله من يشاء ، حتى كانت الملوك والدول تتنافس عليهم ، وتعمل على استقدامهم الى بلادهم واستيطانهم اياها ، ليكونوا فخرا لها ، وكان أحدهم ربما نكب فسجن ، فلا يمنعه وجوده فى السجن من أن يملي علمه على من عسى أن يكونوا معه ، فان لم يجد من يستمليه من المسجونين ، أملى على الناس من نوافذ السجن ، **وكذلك فعل الامام السرخسى الحنفى صاحب كتاب ((المبسوط)) فى الفقة ، الذى يعد الموسوعة الكبرى فى مذهب أبى حنيفة ، فقد املى كتابه هذا وهو فى السجن وكان تلاميذه يذهبون اليه فى أوقات معلومة من الليل والنهار ، ويجلسون تحت نوافذ السجن ـ وهي عادة نوافذ عالية ـ وكان هو يحتال على التسلق ليسمعهم صوته ، فأملاهم كتابه فى بضع سنين لا يعتمد فيه الا على حافظته وملكة فقهه ، وبراعته فى التعليل والتخريج .**

أمالي المرتضى

ومن الادباء العلماء الذين جمعوا فى أماليهم ومجالسهم بين العلم والادب . السيد المرتضى،واسمه على بن الحسين، ويتصل نسبه بأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه .

فقد ألف هذا العالم الاديب كتابا اسماه « الامالى » ويعرف ب « امالى المرتضى » لانه املاه على تلاميذه ، ومن عادته ان يسمى كل فصل من فصوله « المجلس » لانه املاه فى مجالس كان يعقدها بلغت عدتها الثمانين مجلسا .

وللكتاب طريقته الفذة فى الجمع بين العلم والادب ، املى فيه مؤلفه مسائل متفرقة فى تأويل بعض الآيات او الاخبار النبوية ، او احاديث الادب ، او طرف الشعر ، فتراه يبدا بأحد هذه فيصور

البقية على ص ٣٣

آراء في آثار القرآن الكريم والحديث الشريف

وصف الاديب الكبير والشاعر الرقيق الطيب الذكر خليل مطران التحول الذى تم فى العرب بظهور القرآن فيهم بالكلمات الآتية (١) :

« قال العرب فى الجاهلية الشعر ، فما امتد النفس فى جيّده الى اطول من المعلقات ، وقالوا النثر ، فما يوشك المتخلف منه أن يملأ صحائف كراس صغير على الشتات بين المعاني والاغراض ، فلما اراد الله ان يبدى للعالمين آية من آيات قدرته ، أنزل كتابه المبين كتابا عربيا . ومم اتخذ مادته ؟ من ادوات تلك اللغة . لم يخلق معجما جديدا ، ولم يقض قضاء على السنن المتعارفة ، بل اخرج من مأثور ما ألفه العرب ، واصطلحوا عليه وتفاهموا به ، تلك المثاني والمثالث التى حيّرت الالباب ، وملآت النفوس بالعجب العجاب . أنزلها فى كلامهم ، واين منها كلامهم ، ألزمها حدود لسانهم ، ومعانيها وراء كل حد وهذا هو سر الانشاء وسحر الابداء » .

اوتيت جوامع الكلم

اخرج القرآن المجيد من اللغة العربية الجاهلية لغة استقل بها ، فلم تجار سبقها وهيهات ان تشبّه بها محاسن الشعر ، وعيون النثر فى الجاهلية ، ولم يجارها ما بعدها فى البلاغة والفصاحة (مكانها من الاعجاز) ثم جاءت روائع الحديث معقبة من مكان دانٍ على ما هبط به الوحي ، ونور الوحي متحدر اليها كتحدر شعاع الشمس من قمم الجبال الشماء ، الى رؤوس الهضاب المتضامنة بجانبها ، فاتصلت به اسباب التأصيل والتفريع ، واتسعت وتشعبت ذرائع التحويل والتوسيع لغةً جديدة تدفقت اليها جداول الفصاحة القديمة من نواحيها المتعددة ، فاذا الحوض الذى أفضت اليه بحر عذب ، يهيء الرى والغذاء للحدائق الفيحاء التي ازدهرت بها « الحضارة العربية » .

من هذه اللغة الجديدة استعار الخلفاء الراشدون — وناهيك منهم بالامام علي — جمال بيانهم وجلال تبيينهم . تكلموا بكلام هو من صميم مادة العربية ، لكنهم جاؤوا بمعان بديعة فى صور شائقة غير مسبوقة .

فكانت هنيهة من الدهر ، سنوات معدودة تم فيها الانقلاب الاول، والتحول الاعظم فى لغة الضاد ، وطلع فجر جديد على البيان العربي فى الحقبة التي تلت ظهور الاسلام ، الى ما ناهز خمسة

---

(١) مقتطف ج ٧٧ ص ٥١٧

في العرب والعروبة والعالم

بقلم الدكتور
احمد شوكت الشطي
الاستاذ بكلية الطب ـ جامعة دمشق

قرون ، وفى الضوء الساطع الذى اضاء ذلك الفجر به امم المشرق ، اخرجت القرائح اعاجيبها عقلا ونقلا ، وفقها وسياسة ، وابدت السجايا فى مختلف تلك الامم ضروب زيناتها باللهجات الفصحى ، كما ابرزت الالباب كوامن قواها فى استصلاح تلك الجهات لكل شأن من الشؤون العامة والخاصة نظما وترسلا .

لقد انتقل العرب برسالة القرآن من حال الى حال ، وشمل نورها الانحاء ، وعم ضوءها الارجاء ، وما هو الا قرن بعد اعلانها حتى اصبح للعرب قدم فى الهند ، واخرى فى الاندلس ، وعم نور هديها نصف المعمورة ، ولولا تفرق كلمة العدد الكبير من خلفاء العرب وزعمائهم وسلاطينهم ، لعم نور الرسالة المعمورة ، ولقد كان لليهود شأن كبير فى رعاية بذور التفرقة ، بل فى بذرها .

اما بعد . فان العروبة لفظ تطور معناه على الاجيال ، على ان الذى خلده هو القرآن ، ولولاه لما كان العرب الآن ولما وجد من ينادى بالعروبة فى أي قطر أو مكان ، لا . بل لزال من اكثر العالم هذا اللسان ، وما فيه من فصيح البيان . فالقرآن الكريم كتاب الهي عربي اللسان ، انزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، معجزة خالدة ، استمع العرب اليه فرأوا فيه كلاما لم يسمعوا مثله ، لا يشبه الشعر ، ويختلف عن النثر ، معانيه صريحة ، واهدافه واضحة ، حاول بلغاؤهم محاكاته ، فلم يفلحوا ، فآمنوا باعجازه ، ذلك هو رأى كل عربي فيه ، قرأه أو استمع اليه ، وفكّر فى معانيه ، سواء أكان مؤمنا برسالته أو غير مؤمن بها ، ولقد سعى بلغاء العرب وحكماؤهم الى الاستعانة بحكمه وبلاغته ، والاقتباس من روائع آياته ، نذكر منهم الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني النشأة ، العيسوى النحلة كما يصف نفسه ، فقد جاء فى كتابه « مجمع البحرين » ما يمكن معه الجزم بأن اليازجي كان مولعا بالقرآن ولعاً جعله يحفظ معظم آياته ، ان لم يكن قد حفظ القرآن كله (١) ، وقد احسن الاقتباس منه فى جميع الموضوعات

---

(١) مقتبسة من مقال بقلم الاستاذ ظافر القاسمي نشر فى مجلة المشرق عنوانه اليازجي والقرآن فى مجمع البحرين .

وكذلك الاساتذة فارس الخورى ، وفايز الخورى ، والدكتور مرشد خاطر ، وكثير غيرهم .

ولنا ان نتساءل الآن ؟ ما هو رأى الغـرباء عن لغة القرآن ، البعيدين عما دعا اليه من ايمان ؟ انهم عديدون ، وجميعهم بعظمته مقرون ، وبسمو التعاليم التي جاءت فى آياته معترفون ، نذكر من تقدمها لاشَجْبِه التمييز العنصرى ، شاغل العالم اليوم فحسب ، بل اجتذاذه من اصوله منذ زمن بعيد ، بعيد جدا ، ذلك لان القرآن يجعل العمل الصالح وحده الميزان ، الذى يرجح كفة انسان على انسان .

يقول جان جاك روسو فى القـرآن : ((من الناس من يلم بشيء من العربيـة فيقرأ القرآن فلا يدرك معانيه ولا ينصف الرأي فيه ، ولو انه سمع محمدا يقرأه ، بتلك اللغة الفصـحى الرقيقـة ، وذاك الصوت المقنع المطرب ، المؤثر فى شغاف القلوب ، ورآه يؤيد احكام القرآن بقوة البيان ، لمد يداه الى محمد قانعا بما بشر به ، وبما انزل عليه)) .

ويقول ((هنرى دى كاسترى : ((ان القـرآن يسـتولى على الافكار ، ويأخذ بمجامع القلوب)) .

ويقول ارفينغ واشـنطن : ((يحوى القرآن اسمى المبادىء واكثرها فائـدة للمجتمع واخلاصا للانسانية)) .

ويقول الكس لوازون : ((القرآن آيـة البلاغة ، وسجل الاخلاق)) .

ومما قاله لوبون : ((حسب القـرآن جلالة ومجدا ان الاربعة عشر قرنا التي جرت عليه لم تستطع ان تخفف ـ ولو بعض الشيء ـ من تأثيره الذى لا يزال غضا كأن عهده بالوجود امس)) .

ويقول الاديب الفرنسي كلود فارير : ان آيات القرآن رائعة ، فى تلاوتها نغمة بديعة ، تأمر بالشجاعة والاقدام ، تعلي شأن الامانة ، تشجب الكذب والخيانة ، ترفع كلمة الحق،تأمر بحماية الضعيف ، ولا تقر عبادة او عبوديـة الا لله العلي القدير اللطيف .

ومما قاله فى القرآن جيمس متشنر : ((ان القلوب لتخشع عند سماع القرآن ، وتزداد ايمانا به ، وبسمو أهدافه النبيلة الانسانية)) .

ويقول جوتـه الفليسـوف الالماني : ((ان تعاليم القـرآن عمليـة ومطابقـة للحاجات الفكرية)) .

ويقول سنشلدريك الحكيم الالماني : ((ليس القرآن كتاب دين فحسب ، بل هو اعظم هاد الى سعادة الفرد والمجتمع وقد أثر فى نفسي من اول مـا اطلعت عليه ، مـع انني قرأتـه مترجما ، لـم تستوعب الترجمة روائع معانيه)) .

ولقد بحثت اخيرا مؤلفة المانية عـن رسالة القـرآن ، فوضعت كتابا سـمته ((شمس الربّ تنير الغرب على ايـدى العـرب (١))) فقالت : ((نـادى النبي العربي بالقرآن وبأحاديثه الى المعرفة ، والسعي الى العثور عليها فى كل مـكان وزمان ، لان المعرفة فى رأيه تنير سبيل الايمـان ، وقد ادى ذلـك الى اندفاع الشـعب العـربي باسره الى المـدارس يعلمون ويتعلمون ، بينما كان الغربيون فى ظلام دامس من الجهل)) .

واخيرا يجمع جميع الباحثين فى القرآن بانـه ليس بين المسائل العلمية المنكشفة حديثا مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية ، فالانسجام تـام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية .

ترجم ((جول لايوم)) الفرنسي القرآن الكريم ، وعلق عليه بما يبين عظمته ، وما له من شأن ، وذلك بعد ما احتل الفرنسيون الجزائر الحبيبة وغيرها من البلدان العربية والاسلامية ، وظن قواد

---

(١) Le soleil d'elloh brille sur l'occident

المعارك الاستعمارية المغرورون ، ان الجزائر انتهي أمرها ، وان المغرب العربي لاحق بها ، وكان آنذاك « غوستاف لوبون » فى عداد الباحثين فى بعض الآيات الكريمة ، فخرج من تلك الدراسة ، وكأنه ينادى برجال قومه الطغاة : مهلا ايها القوم فلا يَغُرَّنكم نصركم ، فليس لكم فى بلاد العرب والاسلام من قرار ، واعلموا ان الاستعمار فى بلد مؤمن بالقرآن عديم الامكان ، لأن مبادىء الرسول العربي ـ محمد الامين اذا « نبتت فى ارض خلدت قومها الى الابد » تلك هي كلمة لوبون وذلك مغزاها ومعناها .

لقد مر ردح من الزمن ، ظن نفر من الناس الضعيفي الايمان ، ان الجزائريين نسوا العربية ، فلم تعد لغة المخاطبة حتى بين خواصهم ، وان غوستاف لوبون وما شاكله من كتاب رجال ادب وكلام ، ذوو خيال واسع واحلام . وها هي ذي الايام تبين لنا صدق حدس هذا الكاتب الحكيم ، وهاهي ذي الجزائر الحبيبة محتفظة بعروبتها ، نابذة للاستعمار والطغيان ، بفضل القرآن، ذلك المنبع الاصيل ، والمنهل الصافي النبيل ، مجمع القوى المختزنة الكامنة ، التي تفجِّر روحا انسانية . فكتب لها الظفر والخلود ، ما بقيت الدنيا ودام الوجود .

ولا غرابة بعد ذلك ان يؤمن كثير من العظماء او يتظاهرون بالايمان برسالة القرآن لغايات ، ويأتي فى مقدمة هؤلاء نابليون الذى شعر بمكانة القرآن واثره العظيم ، فكان يفتتح كثيرا من مراسلاته بذكر « اسم الله الرحمن الرحيم » كما جاء فى رسالته التى وجهها الى شعب مصر ، وان يسمي نفسه فيها الشيخ الكبير وان يصغي الى السيرة النبوية تقرأ ليلة المولد فى الجامع الازهر (!!!) .

ولقد انكر المؤرخون الفرنسيون ايمان نابليون برسالة القرآن ، وأثبتها مؤرخو الانجليز ، ومن المعروف ان نابليون كان يكره لحم الخنزير ، ويحرم جميع انواع المقامرة ، كما امر بذلك القرآن الكريم ، وكان يصرح دائما « سأختم فتوحاتي بالحج الى مكة المكرمة » . (! !)

ان مما لا شك فيه ان نابليون كان يحترم الاسلام ويقدس القرآن حتى قيل ان نسخة منه ضمها صدره فى منفاه فى جزيرة القديسة هيلانة . وسواء أكان نابليون ومن هم على شاكلته مؤمنين بتعاليم القرآن ايمانا حقيقيا ، أو ايمانا يقصدون به خداع الناس ، فان ذلك يبين فى كلتا الحالتين عظمة القرآن وأثره الكبير فى نفوس من اطلع عليه ووعى معانيه من عظماء بني الانسان .

ان أثر القرآن فى تخليد العرب لهو أمر أكيد ، وحدث عظيم ، حتى انني لا اتردد عن القول بانه لولا القرآن لما وجد العرب اليوم .

ايها القارىء الكريم : لك ان تتهمني بما تشاء اذا لم تعجبك كلماتي ، فتزعم أن تُراثا دينيا اثر فى ضميري ووجداني ، وأن ايمانا قويا يشغل جناني ، فأنطق لساني ، وان كلماتي وليدة عاطفة دينية، لم تحررها حياة جامعية عربية وغربية .

حنانيك ايها القارىء الكريم : تعال الي بعد ان تجرد نفسك من كل رأى غشوم ، وقارن معي بين الامم الغربية والامة العربية ، وابحث معي عن تباعد شعوب الامم اللاتينية وتقارب شعوب الامة العربية . وتساءل معي الم يكن اللاتين عبر التاريخ امة واحدة ؟ بلى ! .

تساءل معي الآن : لم انقسموا فى سالف الزمان الى فرنسيين وطليان ، وبرتغاليين واسبان ؟ الم يكن العامل الاكبر فى ذلك ، اللهجة اللاتينية الخاصة فى كل قطر من هذه الاقطار ، تلك اللهجة التي تطورت مع الزمان ، فخلّفت شعبا خاصا بها فى كل مكان .

تأمل معي يا أخي الكريم فى لهجاتنا الاقليمية ! أفلم تكن معرضة لما تعرضت اليه اللهجات اللاتينية ؟ (كم اتمنى يا اخي القارىء ان تستمع الى اسباني

البقية على ص ٤٨

إجازات العلماء لتلاميذهم

وتطورها إلى الشهادات العلميّة

للاستاذ محمد عبد الغني حسن

في الفصل الوجيز كل الوجازة الذى عقده المستشرق المجرى « جولد تسهر » في « دائرة المعارف الاسلامية » عن مادة « اجازة » نجد أن ذلك الباحث الكبير قد فاته كثير من المراجع والمصادر العربية التي تعين على استكمال بحث هذا الموضوع من جميع جوانبه العلمية والتاريخية والصياغية والحديثية . حتى لقد اضطر المحدث الجليل المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر أن يعلق في الهامش على مادة .. « الاجازة » بسطور وجيزة — أيضا يشير فيها الى مبحث له عن « الاجازة » في مصطلح الحديث في خلال شرحه على كتاب « ألفية السيوطي في مصطلح الحديث » الذى نشر بمصر ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م .

والحق أنه لا المستشرق جولد تسهر ، **ولا العالم المحدث المرحوم الشيخ احمد محمد شاكر قد قالا فيموضوع «الاجازة»** كل ما يمكن أن يشفي النفس ، ويوفي الموضوع حقه من البحث . فلا تزال هناك في هذا الموضوع الدقيق الطريف ثغرات كثيرة تحتاج الى من يسدها باطلاع واسع ، ورجوع طويل الى كثير من المصادر المتفرقة والمظان المبعثرة هنا وهناك .

ومن العجيب أن باحثا في تاريخ الاسلام والعقيدة والسنة ، مثل المستشرق « جولد تسهر » يغويه أن يرجع الى مصدر هام من الاجازة ، هو كتاب « صبح الأعشى » للقلقشندى ، المؤرخ الموسوعي الحلبي المصرى الذى تناول موضوع الاجازات بالفتيا والتدريس والرواية ، وعراضات الكتب بتفصيل تاريخي أدبي ، لا نعهده الا في **مثل ما يكتب هذا العالم الموسوعي** الانشائي ، فلا يهتم بصيغ هذه الاجازات وطريقة كتابتها وأسلوبها ، والقلم الذى نكتب به ، ورقاع الورق التي تدون عليها . فقد وفى الحديث عن « الاجازات العلمية » من ناحية صناعة الانشاء **توفية لا مزيد عليها حتى عصره .**

ولـم يهتـم صـاحب « الصـبح » « بالاجازات » من ناحيـة أهميتهـا فى فى رواية الحديث النبوى ، ومن ناحية الأخذ بها وحجيتها فى الرواية ، ومرتبتها من التوثيق ، وشروط صـحتها . فقد تـرك هذا الموضوع لأهلـه مـن رجال مصـطلح الحديث الذيـن تناولـوه فى مؤلفاتهم . والواقع أن روايـة حديث رسـول الله صلى اللـه عليه وسـلم بـ « الاجازة » هي موضع خلاف بين علماء الحديث ، وان كان الراجح عند الأكثرين جوازها .

ويلاحظ أن هناك فـرقا دقيقا بـين « الاجازة » و « السـماع » فالسـماع أقوى مـن الاجازة ، لأن طالب العلم فى حالة السماع يسمع من شيخه المـادة العلمية ، ثم يمنحه الشـيخ بعد ذلـك « سماعا » يبيح له فيه أن يروى عنه ما رواه له .. أما الاجـازة فقد يكتفي فيها الشيخ المجيز بالاذن للطالب بأن يروى عنه مطلقا ، حتى ولو لم يكن قد سمع منه .. ومع هذا الفرق الدقيق لوحظ فى تاريخ الاجازات عند علمـاء العرب والاسلام أن اصطلاح « الاجازة » أكثر تداولا ، وأوسـع انتشـارا مـن اصطلاح « السماع » .

ولفظ « الاجازة » فيه اكبر الدلالة على انتقال العلم من الشيخ الى طالب العلم ، وقد أشـار الى هذا ــ الشهاب القسطلاني فى كتاب المنهج حيث قال : « الاجازة مشتقة من التجـوز ، وهـو التعدى ، فكأنـه عدى روايتـه حتى أوصلها للراوى عنه .

وزاد العلامـة اللغـوى ابـن فارس المسألة وضوحا فى جزئـه فى المصـطلح « حين قال : استجزت فـلانا فأجازني اذا أسقاك ماء لأرضك أو ماشـيتك .. كذلك طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه ايـاه ، فالطالب مستجيز والعالم مجيز .

ولـلامام النـووى والقسـطلاني فى « الاجازة » عند رجال الحديث كلام جيد ينبغي لطالب التوسع فى البحث أن يرجع اليه ، على أن علامة الشام فى عصرنا هذا المرحوم الامام جمال الدين القاسمي ــ صاحب التفسير المشهور والمصـنفات القيمة ــ قد وفى هذا الموضوع حقه من البحث فى شرحه على « الأربعين العجلونية » ، للامام المحدث اسماعيل العجلوني ، وهو لا يزال مخطوطا فى الخزانة القاسمية ، على أنه رحمـه اللـه قد تناول الاجازة ببحث وجيز فى كتابـه المطبـوع حديثا « قواعد التحديث من فنون مصـطلح الحديث » الذى قام بتحقيقه والتعليق عليـه الأسـتاذ الجليـل محمد بهجت البيطار عضو المجمـع العلمي العـربي بدمشق .

ولم يكن موضوع « الاجازة » مما جاء فى خلال كتب مصطلح الحديث وحسب ، ولكن هناك من المؤلفين من تناوله بالدرس فى كتاب مستقل قائم بذاته . ونحـن نعرف من هذه الكتب كتاب « الوجازة فى صحة القول بأحكام الاجازة » لمؤلفه أبى العباس الوليد بن بكر ، وهو لما يزل مخطـوطا فى مكتبـة الأسـتاذ الباحث العـراقي المعاصر « عباس العزاوى » على أن المستشرق المجرى جولد تسهر يشير الى كتاب آخر لمؤلفه ميرزا على تقي عنوانه « الاجازات » وهو يشتمل على نصوص اجازات لكبار العلماء ، ويذكر أنه من مطبوعات سنة ١٨٦٩ م ، ولكنني لم أهتد اليه ، ولم أجد اشارة اليه فى معجم المطبوعات العربية لسركيس .

وقد تـكون « الاجـازة » بالروايـة الشفوية ، كما تكون مكتوبة . ونلاحظ أن الاجازات الشفوية كانت فى العصور الأولى للاسلام ، أما بعد ذلـك فاحتاج « المجاز » الى أن يحصـل فى يده على شـهادة مسـطورة ، تبيـح لـه الفتيا والتـدريس أو الروايـة على الأقـل ، واضطر « المجيز » الى أن يعطي تلـك الاجازة المكتوبة طالبها ومريد الحصول عليها .

أبو حنيفة وتلميذه

ومن الاجازات الشفوية ما ذكر من أن أبا يوسف ـ احد صاحبي أبي حنيفة ـ قد مرض مرضا شديداً ، فعاد أستاذه الامام قائلا : لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين . وعد أبو يوسف هذه شهادة له من شيخه وأستاذه أبي حنيفة بالفتيا .. فلما برىء من علته عقد مجلسا له للفتيا ـ اعتمادا على شهادة شيخه ـ فلما عرف ذلك أبو حنيفة أدرك أن أبا يوسف قد تعجل بتصدره للافتاء .. فبعث له رجلا يسأله الرأي في خمس مسائل .

أولها قصار جحد الثوب ثم جاء به مقصورا . هل يستحق الأجر أم لا ؟

وثانيتها هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة ؟

وثالثتها طير سقط في قدر على النار فيها لحم ومرق ، هل يؤكل أم لا ؟

ورابعتها مسلم له زوجة ذمية ، ماتت وهي حامل منه ، ففي أي المقابر تدفن ؟

وخامستها أم ولد تزوجت بغير اذن مولاها ، فمات المولى هل تجب العدة من المولى ؟ .

وكانت اجابات أبي يوسف خاطئة وغير قاطعة ، فأدرك من نفسه عدم القدرة على الفتيا ، وعاد الى شيخه الذى قال له ((تزببت قبل أن تحصرم ! . من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه)) .

على أن الاجازة بتدريس الحديث النبوى وروايته كانت موضع تدقيق كبير عند علماء المسلمين ، فلم يجترىء محدث على الرواية عن رسول الله دون اجازة من شيخه .

اقدم اجازة

ولقد كان التاريخ لأقدم الاجازات والشهادات موضع تحقيق عند كثير من العلماء . وتساءل الناس يا ترى ما هي أقدم اجازة وصلت الينا . ويذكر العالم المعاصر أغا بزرك أحد علماء النجف فى الجزء الرابع من كتابه « الذريعة الى تصانيف الشيعة » أن أقدم شهادة بقراءة كتاب وجواز روايته ، هي تلك التي منحها محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري فى سنة ٣٠٤ هـ الى أبى عامر سعيد بن عمرو لكتاب « قرب الاسناد » ونص الشهادة كما رواه المصنف : (بسم الله الرحمن الرحيم . أطلقت لك يا أبا عامر سعيد بن عمرو أن تروى هذا الكتاب عني عن أبي علي ، تمام هذا الكتاب وما كان فيه عن بكر الأزدى وسعدان بن مسلم ... وكتبه محمد ابن عبد الله بن جعفر الحميري بخطه فى صفر ٣٠٤ هـ) .

واذا كان العلامة الشيعي المعاصر أغا بزرك قد رجع بأقدم اجازة علمية معروفة الى سنة ٣٠٤ من الهجرة فان عالما سنيا من أهل عصرنا هذا ، هو المرحوم الامام جمال الدين القاسمي ، قد رجع بأقدم اجازة الى تاريخ قبل هذا بثمانية وعشرين عاما ، فهو يذكر فى فصل عنوانه أقدم اجازة عثرت عليها ، من كتابه ((قواعد التحديث)) أنه جاء فى شرح ألفية العراقي نقلا عن الامام أبي الحسن محمد بن أب الحسين بن الوزان قال : ((ألفيت بخط أبى بكر احمد بن ابي خثيمة زهير بن حرب الحافظ الشهير صاحب يحيى بن معين أو صاحب التاريخ ، ما مثاله)) قد أجزت لأبي زكريا يحيى بن مسلمة أن يروى عني ما أحب من كتاب التاريخ الذى سمعه مني أبو محمد القاسم بن الأصبغ ، ومحمد بن عبد الأعلى ، كما سمعاه منى ، وأذنت له فى ذلك ، ولمن أحب من أصحابه ، فان أحب ان تكون الاجازة لأحد بعد هذا ، فأنا أجزت له ذلك بكتابي هذا . وكتبه احمد بن أبي خيثمة بيده فى شوال من سنة ست وسبعين ومائتين)) .

أسلوب الاجازات

ولعلك تلاحظ أيها القارىء الكريم بساطة أسلوب هاتين الاجازتين فى القرن الثالث ، وأوائل الرابع الهجرى ، حيث

صارت أساليب الاجازات العلمية بعد ذلك تتسم بالصناعة اللفظية ، بل غلب على أكثرها فى عصر الأيوبيين والمماليك استعمال الاسجاع والمحسنات الكلامية تبعا لذوق ذلك العصر فى أساليب الكتابة . ولعل اجازة الامام ابن دقيق العيد لتلميذه شمس الدين بن المفضل بالفتوى والتدريس ، تمثل لنا طابع القرن السابع الهجرى فى أساليب الاجازات المسجوعة المصنوعة .

أما الاجازة التي منحها العلامة سراج الدين بن الملقن سنة ٧٧٨ هـ للقلقشندى العالم الموسوعي المؤرخ فهي تصور لنا عصر الصناعة الزخرفية فى الكتابة العربية ، وتؤكد لنا أن كتابة «الاجازات» أو الشهادات العلمية ، صارت فنا له قواعده وأصوله ومراسمه . وهي اجازة بالفتيا والتدريس على مذهب الامام الشافعي . وتمتاز بطول عبارتها حتى لقد بلغت أكثر من أربع صفحات كبار من حجم كتاب « صبح الأعشى » كما تمتاز بطول فقراتها وجريانها كلها على طريقة السجع من أولها الى آخرها .

وقد جرت عادة الشيوخ والأساتذة أن يضفوا على طلابهم المجازين من ألقاب العلم والحفظ والذكاء والفضل ما تشام منه دائما مكارم هؤلاء الشيوخ . وقد تواضع صاحب صبح الاعشى ،فلم يذكر الألقاب التي أضفاها عليه شيخه ابن الملقن قائلا فى سبيل ذلك : (وانما أهملت ذكر الألقاب فى هذه الاجازة ، من حيث أنه لا يليق بأحد أن يذكر القاب نفسه فى مصنف له ، لانه يصير كانه يثنى على نفسه ....) .

ولقد كان الطلاب وشداة العلم يحرصون أشد الحرص على طلب هذه الاجازات من شيوخهم ، ويعدون الظفر بذلك المأرب نجاحا ما بعده نجاح ، وكانوا يتباهون بحمل هذه الاجازات اينما حلوا ورحلوا .. فهذا المؤيد شيخ المحمودى الذى كان سلطانا على مصر فى العصر المملوكى — فى القرن التاسع الهجرى — كان قد أجازه الامام الحافظ سراج الدين البلقيني برواية صحيح البخارى ، قبل أن تصير اليه سلطنة مصر ، وكانت الاجازة بخط البلقيني نفسه ، فكان المؤيد يحملها معه دائما فى أسفاره لا يفارقها ، كما يروى ذلك المؤرخ المصرى العلامة السخاوى فى الجزء الثالث من « الضوء اللامع » .

ومن ألطف ما وقعنا عليه من الاجازات الحديثة ، تلك الاجازة التي كتبها الشيخ محمد الاشموني لمحمد حفني ناصف — الشاعر الناثر الرقيق وخريج الأزهر ودار العلوم — بتاريخ ٣ من رجب سنة ١٣١٦ الموافق ١٧ من نوفمبر ١٨٩٨ ، وقد استجاز حفني ناصف شيخه فكتب له بعد سطور (فأجبته لطلبه ، وحققت له شريف رغبته ، وأجزته بما رويته من المنقول ، وتلقيته من المعقول ، وألصقته بسلسلة أسانيدى فى العلوم والفنون ، ووصلته بنسب مشايخي الأعلام ، الجهابذة الفخام ، بل الله ثراهم ، وجزاهم جزاء يوازي عناهم ...)

ويلاحظ أن هذه الاجازة كتبها خطاط بخط النسخ الجميل ووقع عليها الشيخ محمد الاشموني بخاتمه .

ويذكرنا هذا باجازة العالمية التي منحها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده من الجامع الأزهر سنة ١٨٧٧ م ، فقد كانت — مع الأسف — من الدرجة الثانية ، لظروف ذكرها المرحوم السيد رشيد رضا فى كتابه عن تاريخ الامام ، وقد كانت موقعة بخاتم الخديوى اسماعيل ، وموجهة الى « العالم اللوذعي الأكمل ، والتحرير الألمعي الأمثل ، الشيخ محمد عبده خير الله الحنفي ، زيدت فضائله » ومحرر من ديوان الخديوى بناء على عرض (من حضرة مفتي الانام ، وشيخ الجامع الازهر قدوة الاعلام) وكلها كما ترى عبارات ديوانية محفوظة معروفة الا أنها أخف مغالاة ، وأقل عبارات من تلك الاجازات العلمية التي كان يفيض بها عصر المماليك بدولتيه البرجية والبحرية .

المجتمع الإسلامي

بين الواقع والمثال

هل الإسلام مسئول عن واقع المسلمين الآن كما

ما أسباب هذا الواقع

يوجه الباحثون الغربيون الى المسلمين نقدا لاذعا ، علينا ان نتأمل فيه ونبحثه صراحة ، سواء اعجبنا ام لم يعجبنا . وخلاصة ما يقولون : ان الاسلام شيء والمسلمين شيء آخر . وبعبارة أخرى : ان الاسلام كما هو فى القرآن الكريم ، وفى كتب المسلمين يتضمن مبادىء سامية ، كالصدق والامانة والوفاء والعدل والانصاف والرحمة والرأفة والتعاون والتعاضد ، وما الى ذلك من مبادىء أكدها الاسلام ، وحث عليها ، على نحو لا نكاد نجد له نظيرا فى الديانات الاخرى ، الامر الذى ينبغى ان ينتج مجتمعا مثاليا فريدا يقرب من « المدينة الفاضلة » أو « الايتوبيا » التى تحدث عنها الفلاسفة . هذا من حيث المثال .

اما من حيث الواقع فان المجتمع الاسلامى – كما نراه – مجتمع نخر ، قرضت قلبه مساوىء اجتماعية ، يضرب بقبحها المثل فى المجتمعات الراقية . وهو مجتمع متفكك ، متعدد الشخصية ، يخشى أن يظهر على حاله فيتلون حسب الظروف ، فى ظاهره صف واحد – كما يبدو فى الصلاة – وفى باطنه صفوف متناحرة ، يثب بعضها على بعض .

هذا النقد نقرأه حينا فى الكتب ، ونسمعه حينا آخر ، فنرتاع ونلتاع . ولكنه على أى حال ذو نتائج غاية فى الاضرار بديننا وسمعتنا ، وقضايانا القومية وعلاقاتنا الدولية، لا سيما فى هذا الظرف الذى نواجه فيه عدوا ذا قدرة فائقة على بث السموم والدعايات، وتأليب الدنيا علينا .

للاستاذ
اسحق موسى الحسيني

يقول بعض الباحثين؟ وما علاجه؟

فى كل مجتمع مساوىء

ويحسن بنا قبل ان نبين الاسباب ونصف العلاج ان نقف عند النقد نفسه، نزنه ونضبطه ونقيده .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو : اتخلو المجتمعات غير الاسلامية من مساوىء ؟ اتحافظ هذه المجتمعات على مبادئها الدينية ؟ وما اظن ان الجواب يحتاج الى اسهاب . ففى كل مجتمع مساوىء خاصة به، ناجمة عن الظروف المادية والمعنوية التى تحيط به . وكما ان مرض الانفلونزا يفتك فى البلاد الباردة الكثيرة الرطوبة ، فان المساوىء الاجتماعية تتأثر بالاجواء على مختلف انواعها . ففى البلاد الغربية المتحضرة – مثلا – تسامح فى العلاقة الجنسية لا نجد له نظيرا فى المجتمع الاسلامى . وفى العالم غير الاسلامى حكومات تشهر الحروب وتستبيح لنفسها التحكم فى رقاب امم مسالمة واذلالها ، ومنع تقدمها ، لتمتص دماء اهلها . والحكم الاسلامى لم يعرف هذا النوع من التحكم ، اذ كانت المصلحة العامة مقدمة على غيرها ، على نحو ما نقرأ فى تاريخ المسلمين فى الاندلس ، وشمالى افريقيا ، او على الاقل كان الخير عاما والبلاء عاما .

ولو كانت مبادئهم الدينيةهناك سائدة لما وثبتالدول الغربية بعضها على بعضها مناقضة تعاليم السيد المسيح – عليه السلام – التى تقطر رحمة ونبلا وتسامحا .

واذن ففى المجتمعات غير الاسلامية مساوىء من نوع آخر لا نظير له فى المجتمع الاسلامى .

الاسلام برىء

والحقيقة ان الاسلام لا علاقة له البتة بواقع المسلمين السيىء .. والدليل على ذلك ان المسلمين كانوا – يوم فهموا دينهم والتزموا بتعاليمه – من ارقى امم العالم . ولو كان دينهم هو علة واقعهم الحالى لوجب ان يكونوا فى مؤخرة العالم طرا ، فى كل مرحلة من مراحل تاريخهم ، ولا سيما فى المرحلة التى كانوا فيها اشد تعلقا بمبادىء دينهم ، واصدق فهما لها .

ودليل آخر: ان المجتمع الاسلامى ليس متساويا فى هذا البلاء الواقع فيه . والذى يتنقل فى العالم الاسلامي من أندونيسيا شرقا ، الى المغرب العربى غربا يجد

فروقا بينة اوضح من ان يشار اليها . ولو كان المصدر واحدا لجاءت النتيجة واحدة أيضا . بل ان المجتمع الواحد فى القطر الواحد متباين أشد تباين ، من مدنى وريفى وبدوى . وبعض المجتمعات الاسلامية يضرب بها المثل فى صدق القول والامانة ، حتى لا يكتب بعضهم على بعضهم صكوكا ، ولا مواثيق، بقدر ما يضرب بغيرها المثل فى عكس ذلك .

وامر ثالث : ان بعض الباحثين المغرضين يلفق الاقوال ويبهرجها . مثال ذلك ما رواه مؤلف عن (العقلية الاسلامية) من ان المسلمين يفصلون بين الدين والمعاملات ، فللمسلم ان يغش ويكذب ويحتال ما شاء ، وما عليه بعد ذلك الا ان يصلى ويصوم ، فيغفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر . ولو صح هذا القول لكان المسلمون جميعا لصوصا محتالين . والامر خلاف ذلك ، اذ حرم الاسلام السرقة، وبالغ فى عقابها، كي يقطع دابرها ، كما حرم الخيانة والاحتيال والكذب وما اشبه ذلك . وقد اشتمل على العبادات والمعاملات معا ، حتى جعل لها ابوابا تفرد بها من دون الديانات الاخرى . والباحثون الغربيون انفسهم يتذمرون ويتبرمون بما تشتمل عليه الشريعة من حدود وعقوبات وقواعد واحكام .

ولكن مساوئنا شوهتنه

وهل ننتهى الى ان المجتمع الاسلامى محافظ على مبادىء الدين مراع احكامه خال من المساوىء ؟

نستغفر الله من قول ذلك . فهذه المساوىء قد طمت وعمت ، حتى لا يستطيع ان ينكرها انسان . انها مساوىء تسىء الى الدين بقدر اساءتها الى المسلمين انها مساوىء تنغص على المرء حياته ، وتزري بكرامته ، وتهيب به احيانا الى ان يدعو الله ان يرحمه فيريحه من امته او ان يريحها منه !! انها مساوىء تثقل الصدر والقلب والعقل ، وتحمل على الاعتقاد بأن الكفاح الاجتماعى لا يقل شرفا عن القتال الحربى، وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اضحى فريضة ، لا تقل شأنا عن الفرائض الاخرى . انها مساوىء شوهت هذا الوجه السمح الكريم الذى تجلى فى بعض صفحات التاريخ الاسلامي فازدهت به الدنيا ردحا من الزمن ، ثم غاب وراء سحب دكناء . .

سبب هذا الواقع

وما الذى حدث حتى انقلب الحال الى اسوأ منقلب ؟

تبدو للمتأمل ثلاثة اسباب نجملها فيما يلى .

الاول : فساد الادارة بفساد الحكام الذين جعلوا من انفسهم طبقة تعبد من دون الله ، واتخذوا من حولهم حاشية تكون طبقة اخرى تسكت عن الفساد بفساد مثله . وهكذا ضاع الشعب المؤمن بربه ، وفقد ثقته بنفسه وبمبادئه، وانحرف وظل ينحرف حتى ضاعت القيم الاجتماعية ، واصبح القابض على مبدئه كالقابض على جمرة .

والثانى : الموقف السلبى الذى وقفه المسلم من مجتمعه ، نتيجة للمآسى التى عاناها والتجارب المريرة التى قاساها ، فانزوى بنفسه لا يبالي بمن حوله ، اعاشوا ام هلكوا . وما يفيده لو بالى وهو

لا يملك ضرا ولا نفعا . لقد كان المؤمن يملك ازالة الجبال يوم كان يؤمن فردا كان أم حاكما بأن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ضرب من ضروب الايمان ، من فقده ضعف دينه . لقد كان المجتمع يومذاك مسئولا عن الفرد وكان الفرد مسئولا عن المجتمع ، كرب الاسرة ، يعنيها ما يعنيه ويعنيه ما يعنيها . كان الفرد ملتزما التزاما كاملا بدفع الاذى حيثما كان ، ومن أين جاء ، وبجلب النفع ولو من الصين واقاصى الدنيا . ثم همدت الهمم وفترت، وذهب كل فى سبيله متمثلا بالقول المأثور « انج سعد فقد هلك سعيد » . ولم يؤسس المجتمع الاسلامى على هذه القاعدة ، بل اسس على « الايجابية » التامة وتكافؤ الفرص ، والاندفاع فى معترك الحياة بكامل العدة ، وتوزيع خيرات الله على عباد الله .

والثالث : فهم الدين فهما هزيلا سطحيا . جعل بعض الناس يفهمون — خطأ — ان الدين عبادة ، وان العبادة هى — وحدها — القربى الى الله . اما ما سوى ذلك من ايمان عميق بالله ، ونية خالصة فى معرفته ، وحب الله بحب عباده وحسن معاملتهم فقد غاب عن اذهانهم . مع أن الاسلام قد اوثق الربط بين العبادات والمعاملات، بل امتاز باحكام الربط بينهما حتى جعل حسن المعاملة عبادة يثاب المرء عليها ، فجاء قوم فصلوا بينهما، وقطعوا الدين عن الدنيا ، ففقدوا الاثنين معا .

لقد توهموا ان العبادة غاية ، مع ان الله تعالى منزه عن الحاجة الى عبادة . ولم يفطنوا الى ان العبادة وسيلة الى توثيق الصلة بالله ، والالتصاق به ، وتنفيذ احكامه ، وتكوين ضمير الهى ، ومجتمع انسانى كامل .

وبعد فما العلاج ؟

ان المجتمع الانسانى — كالفرد — مفطور على المرونة والتكيف بالظروف والاحوال والمجتمع اما ان يسير الى الامام واما الى الوراء . اما المجتمع الثابت فلا وجود له واذا قيض الله للمجتمع قادة اولى حكمة وعزم وقوة يصدقونه النصح والقيادة ، ويؤثرونه على انفسهم بالحب والسعى ، يجددون انظمته ، ويحددون ادواءه ، ويحسنون علاجه ، ويؤسسونه على العدل والانصاف وتكافؤ الفرص ، ويشرحون الدين شرحا سليما ، فان المجتمع الاسلامى يسترد مكانته ، ويبرأ من ادوائه ، ويعود الى حيث اراده الله ان يكون فى طليعةالامم قيادة وريادة وبناء وابداعا . وما ذلك على الله بعزيز .

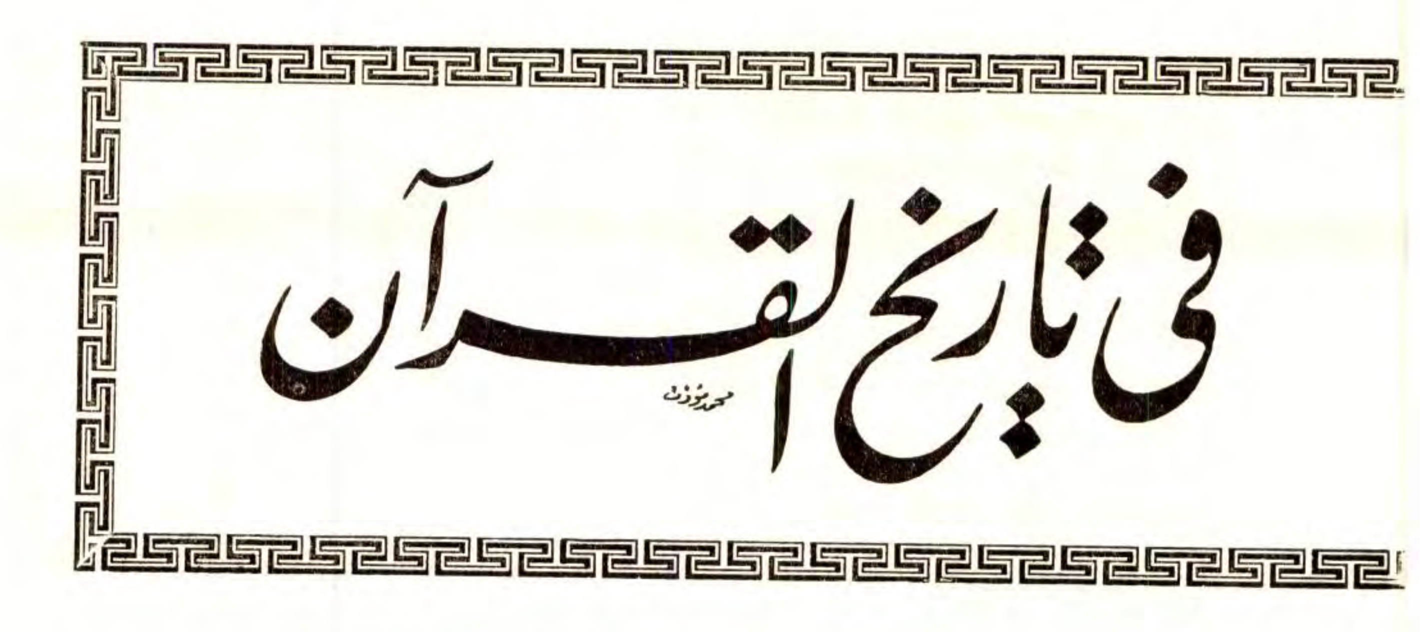
● وفد الربيع بن زياد على عمر ابن الخطاب فأعجبته هيئته ، فشكا عمر طعاما غليظا اكله فقال الربيع . يا أمير المؤمنين ، ان احق الناس بمطعم طيب ولباس لين ومركب وطيء لأنت ، فضرب عمر رأسه بجريدة وقال . والله ما أردت بهذا الا مقاربتي ، وان كنت لاحسب ان فيك خيرا . الا اخبرك بمثلي ومثل هؤلاء ، انما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم ، وقالوا انفقها علينا . فهل له ان يستأثر عليهم بشيء ؟ .



نبى الهدى لبيك ، في كـل لمحة   إذا هاجت الذكرى هتفتُ بمدحتي
وان عابها تقصيرُ شعرى فانني   أؤمل منك العفوَ عن كل هفوة
ومن أين لى قول يحيط بيانُه   بقدرك وهْو الشمس في أوج رفعة
ومن ناولتْه الشمسُ يوما بنانَها   فيزعم أن الشمس مُسَّتْ بلَمْسة ؟
وهل يعبُر السَّبَّاح بحرا تعلقت   سواحلُه فوق النجوم البعيدة ؟
لقد رامت الدنيا مديحَك فانْثَنَتْ   وما في يديها منه مثقالُ حبَّة
إذا أنزل الرحمنُ مدحَك جامعا   فما لِلُغَات الخلق نفس المزيّة
ولكنها أشواق أُمتك التى   بذَلْتَ لها في النصح أصدقَ دعوة
هى الملة البيضاء حق ورحمة   وسلم واحسان وعدل السوية
دعوتَ اليها والحياةُ طريحةٌ   على مذبح الآلام فى ليل كُرْبَة
فأشرقتِ الأنوارُ في جنباتها   ودَبَّ الشفاءُ الحَتْمُ في كل علة
و حركتِ الأكوانَ بعد خمودها   وسيَّرتِ الآمالَ من بعد وقفة
وفتَّحتَ الآفاقَ للفكر فانبرى   يخط طريق النور للبشرية
تلَمَّستَ الدنيا على يد أحمد   مُنى مشرقات كُنَّ في طى غيبة
وداعبت الأعماقَ بشرى ترددتْ   مدَوِّيةً من قلب تلك الجزيرة
عجبتُ من الصحراء كيف تفجَّرتْ   حياة تُشيع اليُمْنَ في كل بقعة
وعهدى بها قفرٌ ركودٌ كأنه   مقابر للأحياء من غير ضجعة
فمن تلكُم البيداءِ هبَّت رسالة   فأنْعَشَتِ الانسانَ فورا وأحيت
بدين الهدى قد مهد الله أمرَه   وأصلح من أحواله كل ذَرَّة
أزاح به عن كل قلب غشاوةً   من الشك والاشراك والوثنية

للاستاذ المدني الحمراوى
ـ بوزارة العدل الرباط ـ

فقام بأمر الله دينُ محمد ... يزف إلى الانسان خيرَ شريعة
وحقق فوق الأرض أروع ثورة ... لها كلَّ يوم جِدةٌ إثر جِدة
مبادئُ من عدل وحق وحكمة ... وعلمٍ وتَمَدْينٍ وخُلْق ورأفة
تسوس البرايا بالهدى وتصدُّهم ... عن الخطر الفتّاك في كل شهوة
حقوق بنى الانسان فيها مصونة ... مواثيقها من قبل كل وثيقة
وما ملة الاسلام الا وقاية ... لمن أنعم التفكيرَ فيها بفطنة
ولو أنصف الأقوامُ من كل مذهب ... لعضوا عليها دون أى تَعلّة
وما شبهٌ قد شعبّوها ولفقّوا ... بمُغْنيَة يوما ، ولا بمُحقّة
وهل يستوى نورٌ من الله ساطع ... وظُلمةُ أهواء تُقال بغفلة ؟
الا ان هذا الدينَ دينَ محمد ... هو الحق لاتعلوه أية شُبْهَة
وهل ترك القرآن للناس مهرباً ... وفيه من الاقناع أبلغُ حجة ؟
فطوبى لقوم حكمّوه وطبّقوا ... تعاليمه . واستنطقوه بِعَبْرة
فما هو الا بَلْسَم وسعادة ... ورَوْحٌ وريَحانُ القلوب الزكيّة
إذا زاغت الأفكار بالناس لم تجد ... له أى زيغ عن سواء المحجّة
فطاب رسول الله إذ جاء بالهدى ... وعلّم بالتبليغ كُلَّ فضيلة
هو النور قد ألقى على الأرض رَفْرَفاً ... بدائعه تَفْتَر عن كل بهجة
حياته للأجيال أشرف قدوة ... وسيرته في الدهر أنبلُ سيرة
وأخلاقه عين الكمال ، وعلمه ... هو البحر لم تمخره أى سفينة
شهدت بأن المصطفى خير مرسل ... إلى الناس قد وفّى بكل وديعة
وَبلّغَ بالأعمال والقول شِرعة ... من الله قد خُصّت بنصر وعصمة
فجازى إلـه العالمين حبيبَه ... وصلّى عليه الله فى كل لمحة



بقلم : الدكتور عبد الصبور شاهين
المدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

الحديث فى اعجاز القرآن ، وخلود آياته البينات ، حديث لا نهاية له ، من حيث هو كلام الله ، الذى استودعه أسرار هدايته للبشر خاصة ، وللعالمين كافة ، ولذلك كان كل مفسر للقرآن آخذا من معانيه بطرف ، متناولا بعض ما تحتمله آياته من ارادة الله المنزلة الى خلقه على خير خلقه ، وهو السر فى هذا التباين الكامل بين محاولات تفسيره على مر العصور ، بل بين بعض هذه المحاولات وبعضها الآخر فى عصر واحد . وكلما مضى الزمن بالناس تكشفت لبصائر العارفين منهم بخاصة ـ جوانب من اعجاز هذا الوحي ، خفيت عن أعين السابقين وقلوبهم وهكذا شأن المخلوقات أمام كلام الخالق ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها ... وهذا هو معنى الخلود .

غير أن لهذا القرآن ، الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، خلال ثلاثة وعشرين عاما ، تاريخا حافلا بالمبهمات التي وقف الناس منها فى الماضي موقفا يحكمه الايمان بمضمون قوله سبحانه : ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) . وهو وعد صادق ، تم انجازه كما نزله ، فقد وصل الينا النص القرآني كاملا ، خاليا من التحريف ، أو التغيير ، سالما من التناقض الذى أصاب ما سبقه من الكتب المقدسة ، ((التوراة والانجيل)) ، بحيث اختلط فى هذه الكتب ما كان من كلام الله بما هو من حكايات البشر ، ووضع الكهان ، وتخيلات أصحاب الاهواء ، على صورة تجعل نسبتها الى رسالات الانبياء ازراء بمقام الالوهية والنبوة معا .

أما القرآن فقد تحقق له وعد منزله سبحانه ، ولذا كان ايمان الناس قديما بهذا الوعد المنجز عاصما لهم من الزلل فى مواجهة مبهمات تاريخه ، فشغلوا أنفسهم بما تضمنته آياته من أوامر ونواه ، هي قواعد للسلوك الفردى والجماعي ، ومن أحكام ـ وشرائع سنها الحق سبحانه لتكون قوانين للحكومة العادلة ما تلمس الناس العدل ، ومن نظم وعقائد ارتضاها الله لعباده دينا ان

ابتغوا من غيره ضلوا وذلوا ، وان تمسكوا بحبله أتاح لهم من أسباب القوة ما يعز به جانبهم ، ويعلو به سلطانهم فى الارض، هكذا كان الناس قديما ، وهكذا كان همهم الذى عليه يعكفون ، وان كان قليل منهم حاولوا الحديث فى مبهمات تاريخ القرآن بأسلوب موجز شديد الايجاز يعتمد على الرمز ، ويكتفي بالتلميح ، اذ كانت قضايا هذا التاريخ مسلمة الاساس فى أذهانهم ، وحسبهم أن يذكروا بعض أخبار السنة ، أو بعض الوقائع التي تمت على عهد الصحابة ليزدادوا ايمانا بسلامة نص القرآن على ايمانهم .

انحراف عن دين الله

وجاء العصر الحديث ، بغزوه الفكرى، وبالشكوك التي زرعها حول المسلمات العقائدية ، لا سيما ما كان من حقائق الدين ، وكان هدف جميع الفلسفات التي نادى بها مفكروا هذا العصر تقويض دعائم الاعتقاد بوجود اله واحد ، بغض النظر عن البديل المقترح ، فمنها من يقترح الوهية المادة ، ومنها من يمضي الى الوهية الانسان ، ومنها من يجعل الغريزة محور تفسير الوجود ، والجنس سر الاسرار فى تكون المجتمعات ونموها وارتقائها ... أمهاتهم شتى ، ولكن الهدف واحد . ولا ريب أن الدين الوحيد الذى صفت فيه عقيدة الوحدانية من شوائب الشرك ، انما هو الاسلام على حين استمد تصورات غيره من الاديان ، وبعبارة أصح : أهل هذه الأديان ، لوحدانية الاله بالعجز عن تجريد هذه الوحدانية ، فالاله فى عرف اليهود اله قومي ، لهم وحدهم ، دون غيرهم من الأميين ، وهو فى عرف النصارى واحد فى ثلاثة ، ولذلك لم تكن هذه التصورات ، بما خالطها من بقايا الشرك والانانية تمثل عقبة عقائدية أمام الفلسفات الحديثة ، لأن الفكر الانساني المتطور ماض ولا شك الى حد رفض هذه التصورات يوما ما ، فمشكلة هذه الاديان موقوتة بسيطرة بعض العوامل التاريخية ، زائلة بمجرد بلوغ الانسانية مستوى من الادراك الجماعي لمعنى المصير .

ولم يكن بد من أن تركز المبادىء والافكار الحديثة جهدها لهدم العقيدة التي تمثل فى نظر أصحابها جوهر رسالات السماء ، عقيدة الاسلام . فكان هجومها أحيانا يتخذ طابع التحدى والتزييف المتعمد ، وأحيانا أخرى يصطبغ بالتفلسف والتظاهر بالانصاف ، ومن تحت هذا التحدى أو التظاهر هدف واحد يجمع المحاولتين ، هو تدمير العقيدة الاسلامية ، لأنها العقبة الكؤود فى طريق سيطرة الاهواء الحديثة على مصائر البشر .

الصراع بين الاسلام والماركسية

واذا كانت الماركسية فى حقيقتها تدميرا لفكرة الالوهية ، وربطا للانسان ومصيره بمصير المادة المحسة ، وتفسيرا لحركة التاريخ بعوامل ليس منها ارادة الله وخلقه على أية حال فان عداءها الصريح لم يتوجه فى الحقيقة الا الى الاسلام باعتباره ـ معقل الفكر الديني ، ورمزا يجسد العلاقة بين الله الواحد والمخلوق الموحد . وهي تعد فى ذلك أصرح حملة وجهها الفكر الحديث الى معقل الوحدانية ، وان بدت عاجزة عن تحقيق أهدافها بعد أن شاخت وبارت فى نظر كثير من المفكرين ، بيد أن هنالك محاولة أقل غلوا ولكنها أشد مكرا من هذه ، هي محاولة الفلاسفة الوضعيين أن يهونوا من شأن ـ الاسلام وحركته التاريخية ، وربما كان ذلك مكشوفا فى المقالات التي كتبها فيلسوف الوضعية (أوجست كونت) عن الاسلام وجمعها من بعده تلميذه ((كريستيان شرفيس)) فى كتاب بهذا الاسم وقد سلك فيه المؤلف وهو فيلسوف الوضعية الحديثة

مسلكا يلتف بالنغمة الموضوعية ، فقد أشبع الرجل الاسلام مدحا وتمجيدا : ولكنه لم يزد على أن عده مرحلة كانت ضرورية ، كحلقة فى سلسلة تطور البشرية ، نحو الدين الجديد والنهائي ((الوضعية)) ... هكذا بكل صراحة .

وفى مواجهة هذا الاسلوب الملفوف يفقد القارىء العادى وعيه ، ويكاد يستسلم لما يعد فى نظر الاسلام خروجا على عقيدة الألوهية ذاتها ، اذ كان اعتبار الاسلام (مرحلة) مستتبعا انه وليد بعض الظروف ، وأنه سقط كما يسقط الحق ـ المتقادم بمضى المدة كيما تحل محله ديانة جديدة هي فى نظر صاحبها آخر حلقة فى سلسلة العقائد التي يؤمن بها الانسان والتي هي وليدة كفاحه ، على طريق التطور .

موقف المستشرقين من الاسلام

ولقد تشبعت أفكار الاوروبيين واتباعهم بهذه الفلسفات ، وأنشأوا يطبقون نتائجها المنهجية على تراثنا الذى هو عماد حياتنا ، وكانت وسيلتهم الى أهدافهم أن يتناولوا القرآن الذى صدرت عنه هذه الحياة الشاملة الكاملة بالدرس والتحليل ـ متظاهرين أحيانا باتباع المنهج العلمي فى البحث ، وكان أشدهم بأسا على الاسلام وكتابه أولئك الذين تناولوا تاريخ الاسلام أو تاريخ القرآن زاعمين دائما أن هدفهم هو الوصول الى الحق ، وازالة الغموض عن جوانب هذا التاريخ وكل ما يهدفون اليه فى الواقع هو خلخلة التماسك العقيدى بين المسلمين ، وزلزلة أركان هذا الدين بزرع الشكوك حول كتابه ودستوره ، وبذلك تتحقق لهم أهداف لم يبلغوها بقوة السلاح ومحاولات الغزو العديدة .

وهكذا ظهر فى الغرب وفى الشرق ((مستشرقون)) متخصصون فى دراسة تاريخ القرآن وذهب من عندنا دارسون ـ يتعلمون منهم هذا التاريخ على الطريقة الجديدة ، وجاء من قبل هؤلاء وأولئك خليط من الآراء ، وتلفيقات من النتائج يدهش لها من يقرأ مقدمتها ، ويعجب كيف ساغ لبعض العقلاء أو المتعاقلين أن يستخرجوا من الابريق بغلا ، وأن يصنعوا من الحبة قبة .

وهكذا أيضا بدت مبهمات تاريخ القرآن فى شكل أخطر مما كانت تبدو فيما مضى ، وأصبح من الغفلة بمكان أن نغمض عنها أعيننا ، وقد أمست ذريعة الى النيل من القرآن ذاته ، كنص مقدس موثق تمام التوثيق فان الذى يصل الى حد التشكيك فى وثاقة نص القرآن يدخل من هذه الطريق الى أنفس الاغرار من طلاب الثقافة ، وبذلك تعم البلوى .

ومما لا شك فيه أن العقل الحديث يتطلب ممن يكتب له أشياء لم يكن يقتضيها العقل القديم ، أشياء فى المادة المدروسة وأشياء فى المنهج المتبع ، أما المادة موضوع الدراسة فينبغي أن تكون شاملة لكل الجزئيات مستوعبة لجميع التفاصيل الهامة والتافهة فرب تفصيل يستهين به المرء يقوده الى نتيجة صادقة اذا هو أحسن النظر اليه ، وغلغل الفكر فيه ، وأما المنهج فقد شغل العقل الحديث ببعض المظاهر المنهجية وغفل عن بعض الاصول ولذلك بدا سعيه نحو الحق مضطربا أشد الاضطراب وحسبنا أن نقرأ هذا التحديد لمنهج باحثي المستشرقين على لسان واحد من كبارهم هو ((آرثر جفرى)) حيث قال : ((وأما أهل التنقيب (يعني أبناء جلدته من المستشرقين) فطريقتهم فى البحث أن يجمعوا الاراء والظنون والاوهام والتصورات بأجمعها ، ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ماكان مطابقا

للمكان والزمان وظروف الاحوال معتبرين المتن دون الاسناد)) (١)

وأغلب الظن أن أهل التنقيب هؤلاء لم يخدعوا عن الوسيلة الصحيحة وانما تعمدوا أن يسلكوا هذا المنهج الغريب الذى يغفل أهم ركن قامت عليه ثقافة المسلمين ، وهو نقد الاسانيد بجوار نقد المتون ، أى استعمال النقد الخارجي للنص الى جانب النقد الداخلي ، وأمثال هذه القواعد المنهجية لا يمكن أن تؤدى بجامعيها الى اصابة كبد الحقيقة ، فان من الروايات التاريخية ما يبدو فى ثوب الحق ، وهو خبيث المصدر ، فكيف يمكن من طريق الاقتصار على نقد المتن أن تكتشف الحقيقة على حين تختلط بالاوهام والتصورات والظنون ؟ وكيف يتم الوصول الى الحقيقة التاريخية المطابقة للزمان والمكان دون الاستعانة بالوسيلة الاولى وهو تاريخ الرجال الذين حملوا هذه الاراء أو بلغوا هذه التصورات ؟ ... هذا مع اختلاف زماننا عن زمانهم ، وظروفنا عن ظروفهم ، ووسائلنا عن وسائلهم .

ان هذا التصور المنهجي لا يصدق الا فى حدود ما عبر عنه بنسبية الزمان ، وذلك حين نفترض أن أحد هؤلاء المنقبين يسكن كوكبا بعيدا عن الارض بمسافة تبعد ألفا وثلثمائة سنة بحساب سرعة الضوء وأنه جالس الى منظار ((تلسكوبي)) يضع الأرض بين عينيه عبر هذا الزمان المترامى وأنه يرى ((الآن)) ما جرى على الارض منذ ثلاثة عشر قرنا ، باعتبار أن ذلك هو ما يحدث فعلا بالنسبة الى ظرفه الزمني .

فهل يمكن لمنهج الاستشراق أن يعبر صادقا مخلصا هذه المسافة من خلال نظره فى الظنون والتصورات والآراء ، ليستخرج منها ماكان مطابقا للزمان والمكان وظروف الاحوال ؟ وأغلب الظن أنهم انما أعرضوا عن الأخذ بموازين نقد الاسانيد استنادا الى شكهم فى صدق أحكام مراجعها مع أن مقتضى منهجهم أن ينصتوا الى كل ما قيل فى جرح الراوى وتعديله ، ولهم أن يوازنوا بين مختلف الاحكام ومصادرها ثم يختارون من الروايات والاخبار ما خرج من مصفاة النقد الخارجي ، ليزنوه بميزان النقد الداخلي للمتن ، فلا مناص من الجمع بين المنهجين .

ومن عجب أن نجد بعض المعدودين فى أفاضل العلماء يقتصر على هذا النقد الداخلي فى بحوث تمس صميم العقيدة — وتاريخ الصحابة ، دون أن يدرك أنه يقع فى مزلقة خطيرة ، منهجية ودينية ، ثم هو لا يقتصر على ذلك حتى يعد الدعوة الى مراجعة أسانيد النصوص ضربا من (الارهاب الفكرى) ، الذى يقيد انطلاقة المفكر الحر كأنما كان مفكروا الاسلام عبيدا بفحصهم للاسانيد .

ليس هذا استطرادا بل هو حديث فى صميم المشكلة التي سوف نتناولها .. مشكلة تاريخ القرآن لسوف نحاول فيما يلي من الدراسات التي يسمح بها مجال هذه المجلة الفتية أن نعرضه له من حيث هو قضية كبرى من قضايا العقيدة الاسلامية والثقافة الاسلامية ،والحضارة الاسلامية ، الى جانب علاقته الوثيقة بتاريخ هذه العربية الخالدة .

ولست أدعي مقدما أني واصل الى رأى قاطع أو تفسير نهائي لكل ما سنعرض له من المشكلات ولكني متذرع الى قولى بالنية الصالحة ، والرغبة الخيرة فى أن تتلقى الاجيال الصاعدة تاريخ القرآن ، بطريقة نقدية ، فيها الكثير من الحق والتمحيص لما يقال .

---

(١) « انظر مقدمته لكتاب المصاحف ص ٤ » .

عليه وسلم فحدثته فقال : من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن اليهن كن له سترا من النار) .

٧ ـ وكان من هديه صلى الله عليه وسلم يوم العيد ان يرخص فى المرح البرىء الذى لا ينتقص المروءة ، ولا يخل بالخلق الكريم ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت . ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تدففان وتضربان وفى رواية تغنيان بما تقاولت الانصار يوم بعاث ، والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه ، فانتهرهما ابو بكر ، فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال (دعهما يا ابا بكرا فانها أيام عيد) . وفى رواية يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا ، (١) وعن أنس رضي الله عنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال ((ما هذان اليومان))) قالوا كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى ، ويوم الفطر)) رواه ابو داود .

٨ ـ ويذكرنا العيد بأئمة المسلمين العادلين وقادتهم الفاتحين وعلمائهم العاملين ، والمثوبة العظيمة التي اعدها الله للمقسط فى رعيته الساهر على مصلحة أمته ، فقد روى الامام مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فى حديث مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يوم من ايام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام فى الارض أربى من مطر أربعين صباحا)).

وقوله صلى الله عليه وسلم ((ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا)) .

٩ ـ وها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرس فى نفوس الجميع الرجولة الحقة ، ويضع أسس الشخصية الفذة التي تسود وتحكم ، محملا كل عامل مسئولية عمله ، رجلا كان او امرأة ، تابعا او متبوعا والدا او ولدا ، فمما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال ((كلكم راع ومسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى اهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، قال ابن عمر وأحسب انه صلى الله عليه وسلم قال والولد راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته)) . فالرعاة جميعا مسئولون كل فى اختصاصه عما استرعى أمام من لا يضل ولا ينسى فلينظر كل امرىء أين يضع نفسه .

١٠ ـ تلك خواطر تجول وتتوارد على النفس أيام العيد ، ويمر امام المتأمل ركب الحياة فى نظام دقيق ثم يتلاشى رويدا رويدا ، ثم يعود ليظهر مرة أخرى وفى شكل آخر وهكذا حتى يرث الله الارض ومن عليها ، والعاقل من تدبر واعتبر ، وحاول سلوك الطريق الأقوم والسبيل الأهدى (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) .

١١ ـ وانا لنضرع الى العلي الكبير ان يحقق لأمة نبيه وحبيبه محمد عليه افضل وأزكى السلام ما أراد لها من العزة والكرامة ، وان يوفق كل عامل فى عمله ان يخلصه لوجهه الكريم ، وان يجعل هذه المواسم الاسلامية الكريمة ايام قبول لمن يتوب ورحمة وهداية لمن عصى ، اللهم اهدهم ووفقهم وأعزهم واسعدهم حتى يجتمعوا فى رحابك ويعملوا صالحا ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالمرحمة ، ويترابطوا ويعتصموا بحبلك المتين ، يسعى بذمتهم أدناهم ، لا تفاضل بينهم الا بالتقوى والعمل الصالح المنتج المثمر ، والتجافى عن الراحة فى سبيل اسعاد المجموع ، مقتدين بنبيك سالكين طريقه مؤيدين بنصرك وعونك وقوتك حتى يئوبوا اليك وأنت عنهم راض ويلتقوا فى كنفك اخوانا على سرر متقابلين .

١ ـ متفق عليه .

لك معناها فى عبارة واضحة جلية ، او يوقفك على عقدة فيها تستحق السؤال والنظر ، ثم يمضي بك بعد ذلك فى رحلة فكرية شائقة ، كل خطوة من خطواتها متاع لنفسك وروحك ، وغذاء لعقلك وقلبك ، فلا تنتهي رحلة منها الا وقد تزودت زادا قيماً صافيا متنوعا ، تشعر معه بالغبطة والسعادة والرضى .

ونحن نورد مثالا واحدا من هذا الكتاب ، ليعلم القراء طريقته ، واسلوبه فى الجمع بين العلم والادب .

فقد عقد مجلسا سماه « المجلس الثاني » وعنى فيه بتفسير قوله تعالى « والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون » واورد **ما ذكره فى معنى الآية ابو مسلم بن محمد ابن بحر الاصبهاني،حين يقول« انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين : احدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن ، لانسائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت فى باب الوزن ، وخرجت عن باب الكيل ، فكان الوزن اعم من الكيل ، والوجه الآخر : ان فى الوزن معنى الكيل : لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ، ومقايسته اليه ، وتعديله به وهذا المعنى ثابت فى الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل » .**

وهكذا نرى أن الرجل يذهب الى معنى الوزن والكيل فى الموزونات والمكيلات ، كأن الله يمن على عباده بأنه أنبت لهم ما يوزن أو يكال ، ولذلك يرفض السيد المرتضى هذا المعنى ويقول .

« ووجه الآية وما شهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم ، وانما اراد الله تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة ، فلا يكون ناقصا عنها ، ولازائدا عليها زيادة مضرة أو داخلة فى باب العبث، ونظير ذلك من كلامهم قولهم : كلام فلان موزون ، وافعاله موزونة مقدرة ، وانما يراد ما أشرنا اليه ، وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين فىالقرآن على أحد التأويلين ، وأنها التعديل والمواساة بين الثواب والعقاب ، قال الشاعر ــ وهو ذو الرمة .

لها بشر مثل الحرير ومنطق
رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

فالهراء الكثير ، والنزر القليل وكأنه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ، ولا يزيد عليها ، وهذا يجرى مجرى أن يقول هو موزون ، وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزارى .

وحديث ألذه هو مما
ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحيا
نا ، وأحلى الحديث ما كان لحنا

وهذا الوجه الذى ذكرناه،أشبه بمراد الله تعالىفى الآية ، وأليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم .

وقد استطرد السيد المرتضى بعد ذلك ، ففسر اللحن الذى فى شعر مالك ، وبين انه ليس اللحن فى الاعراب الذى هو ضد الصواب ، وساق شواهد من الشعر والحديث والاخبار تفيد فى معرفة المراد منه ، فطوف بذلك فى أودية خصيبة ، وأتى بما لا يزال يؤثر عنه ، ويؤخذ منه .

وهكذا كانت « الامالي » وكانت « المجالس » .



للاستاذ
ابراهيم محمد البطاوي

هذا حديث اسوقه الى شبابنا الناهض والى المسئولين عنهم فى كل بلاد الاسلام .

ان للشباب دائما جماله ونضارته ، ورقته وحماسته ، وآماله وقوته ، له مثله وحياؤه ، وعالمه المتفتح لكل كلم مستحسن ، ولكل فعل جميل ، برغم كل المغريات والمثيرات الشيطانية التي تحدق به ، ويستخدم فيها ابليس كل فتنه وجبروته ، وله مع هذا تصميمه الأكيد على حذف كلمة (مستحيل) من قواميس الاحياء . هكذا كان الشباب قبلنا .

ولم يزل كذلك الشباب حتى يومنا ، والى ان تنتهي الحياة .

التربية والثقافة

ومن أجل هذا يوجه اولو الأمر وذوو الرأي فى الأمم الحية الجادةمعظمعنايتهم الى تربية الشباب على المثل التي جعلوها غاية لهم فى الحياة ، ليجعلوا منهم حملة لواء نهضاتها وعقائدها وأمجادها فى معترك هذه الحياة .

ونحن هنا فى أرض التوحيد والمثل ، لا نكاد نهيىء لشبابنا المسكين منفذا أو رئة تتنسم منها روحه الفضة الطاهرة عبير الايمان والتوحيد لله خالصا من سموم الأهواء والتواء المقاصد ، وتناقض الأفكار ، والحاد المذاهب واضطراب المناهج ، مما يفضي فى النهاية الى تخبط الشباب ووقوعهم فريسة فى أيدى دعاة الهدم والتحلل والانحراف والبعد عن جادة الدين .

وقد ترتب على هذا ان صارت معظم افكار الناس وتصرفاتهم ومثلهم وفلسفاتهم وأحكامهم تلبية لنداء هذا الهوى المستحكم ، واستجابة لنزواته وجبروته، وتقديسا للضلالاتالاقتصادية والاجتماعية الزاحفة على شبابنا الأعزل البرىء من مهاد الشيطان فى الغرب

بشـــطريه الشـــيوعي المـــادى الملحـــد ، والاستعمارى الاباحي المنحل .

ولقد رحل عنا المستعمر بجيوشـــه ووجهه الاحمر الذى كان يصدر الأوامر هنا وهناك ، وفرحنا باستقلالنا وبرحيله عنا وصيرورة الأمور الى ايدينا ، ولكن لو فكرنا قليـــلا ، وبحثنا فيمـــا حولنا لوجدنا نفس العدو المستعمر لم يـــزل بدمه ولحمه جاثما فوق كواهلنا يهدم ما بقي مـــن عقائدنا وتقاليدنا وحضـــارتنا بقوة اشد فتكا من جيوشه وقنابله .

كان من صالح اقتصادياتـــه ان يجلو عسكريا عن بلاد المسلمين بعد ان تم لـــه الاحتلال الفكرى والسياسي والروحي والخلقي والاجتماعي لأمم الاسلام وضمن بقاء هذا الاحتلال برجال أعدهم لتمكينه واعطاهم مقاليد الامور .

وبلغ بنا الهوان وفقدان الثقة بالنفس ان مناهج خطط وزارات التربية والتعليم التي تنشىء أجيالنا ورجالنا ، لم تـــزل هي بعينهـــا تلـــك التي وضـــعها ربيب الكهنوت المسيحي الاستعمارى الانجليزي (دنلوب) مستشار المعارف المصرية أيام الاحتـــلال ، وكانت خطتـــه معروفـــة للجميع ، والغاية منها تدمير الاسلام وقتل مثله وتعاليمه وأخلاقـــه بعد تشـــويهها والتشكيك فيها وتنفـــير الشـــبيبة عنها بافتراء نعوت كاذبة عن التخلف ينسبونها لامجاد الاسلام الخالدة ، حتى يتسنى للمستعمر تربية جيـــل مـــن شـــباب المسلمين على الكفر بتعاليم هذا الدين العظيم الذى يربى فى نفوس المؤمنين به الثورة على كل مغتصب لارض الاسلام .

وكانت نقطة البدء بطبيعـــة الحال ـ هي الشباب ، وعلى الخصوص شـــباب مصر التي حملت أعباء الزعامة الاسلامية والفكرية والسياسية للعالم الاســـلامي قرونا طويلة بحكم وضعها فى هذا العالم ووجود اكبر جامعة اسلامية بعاصمتها فالأزهر الشريف كعبة المعارف والعلوم الاسلامية التي فرض الله على كل مسلم أن يتعلمها، واليه يبعث المسلمون بأبنائهم وشيوخهم من كل فج فى المشرق والمغرب وسائر بـــلاد العالـــم ، يتعلمون دينهـــم خالصا ، والقرآن وعلومه ولغته ونظـــم المجتمع الاسلامي الصحيح .

فـــلا بد اذن لكي ينجح المســـتعمر فى خططه ان يبدأ بالأزهر يهدمـــه بطـــرق ملتوية حيث عجز عن هدمه علانية، وأعد خطته على اساس الاغراء بالمال والوظائف الكبرى لخريجي التعليم غـــير الديني ، ليصرف الناس عن الدين والأزهر حتى يغلق أبوابه الى الأبد .

الغزو الفكرى للشباب

وهداه الشيطان الى وسائل الاعـــلام والثقافة ، فانشأ أجهزة النشر ، وزودها بالمال الوفير والعدد والرجال ، وخرجت تلك الأجهزة أجيالا ممن غزتهم بالأفكار ، واشترتهم بالمال ، وكانوا سببا لمعظـــم البلاء الذى تعانيه امـــم الاســـلام حتى اليوم . ، ولم يكن هم تلك الدور سوى ترجمة ونشر كتب الالحاد التي لم تجد رواجا فى بلاد مؤلفيها اذ حرم الفيورون هناك قراءتها . لخطورتها على الشباب ، كما عملت تلك الدور على اصدار بعض الصحف اليومية والشهرية والاسبوعية التي تحرض على الكفر علانية ، وتروج للانحلال بين الشبان والشابات فى المدرسة

والجامعة والمرقص والملعب ، وتنقل صور المنحلين ، وتجاهد لنشر الاباحية والاستهتار بالمقدسات وبذر بذور الشك فى صدور الشباب ، وهذا كله باسم التحضر والتحرر من الرجعية - أى ديننا الحنيف - فى زعمهم الكاذب . وصور للشباب رجل الدين والأزهر بصورة التخلف والرجعية والفقر الذى سجنوا فيه رجال الدين والفضيلة بحرمانهم من كل عمل لائق او ذى بال . وقصر ذلك على خريجي معاهد المعارف وجامعات التبشير .

كما كانت نظريات الملحدين من النشوئيين والطبيعيين ومدارس الدعارة النفسية الجنسية فى أوروبا مثل مدرسة فرويد تجد طريقها الى الشباب والشيوخ وتبلبل عقولهم وتزلزل طمأنينتهم .

فالتمسك بالدين الحنيف رجعية ! ! وتصون المرأة ومحافظتها على تعاليم دينها تخلف وجاهلية ، أما التسامح فى العرض ودفع البنات والنساء الى التيار المفضي الى الانحلال فهو نعم التقدم والتحضر والرقي والمدنية . . ! !

وتعددت تلك الدور والصحف المخربة ، وانشئت بجانبها مدارس التبشير وجامعاته ، وكانت من اخطر المصائب وأفدحها ، وأقيمت النوادى المختلفة العامة والخاصة لتشجيع هذا الانحلال وهدم عرف الاسلام فى التصون والاستقامة ، وبارك (كرومر) حينذاك كل هذا ، وتسابق بعض رجال الفكر الى دين المستعمر الجديد الذى يطلق عليه (التحرر الفكرى من التقاليد البالية) .

الجامعات

وانشئت الجامعة المصرية ، وكانت اشد اخلاصا للفكر الغربي والمثل الغربية من اهل الغرب انفسهم ، وكشف الغطاء عن الخبىء ، وابيح اختلاط الجنسين بين الشباب فى سن السعار الشهواني ، مع انه كان ولم يزل - فى الغرب حتى الآن كليات خاصة بالبنات ، ولم يستجب أحد لصراخ المصلحين ، بل كانوا يغرون الصحف ألا تنشر افكارهم ، لأنها رجعية مسمومة ! ! وكم تعرض اولئك المصلحون لحملات السخرية والهزؤ علنا فى الصحف والكتب والنوادى . ثم كانت المناصب القيادية والرئيسية فى تلك الجامعة اقرب الى الملحدين والمفتونين ، من الغربيين والشرقيين من غيرهم . اللهم الا فئة قليلة من المؤمنين غير ذات خطر أراد الله ان يحفظ بهم بعض الشباب ، وكان يكفي ان الرجل يخون دينه ، ويعلن عداوته لعقيدته ليتبوأ منصب الاستاذية والعمادة والوزارة ، وله فى كل هذا مدافعون وحماة ، والدين اعزل ، والشباب اعزل ، ولكن له رب القدرة جل علاه .

المعاهد والمدارس

اما المدارس والمعاهد التي تتبع وزارات المعارف فلم يكن تدريس الدين وفضائل الاسلام والخلق فيها الا رمزا غير جدى ولا اجبارى شأنه شأن مادة الموسيقى ورقص الباليه ، ان لم يكن هذا اكثر اهمية عند القائمين بأمر تلك المعاهد فلا يترتب على دراسة الدين فيها أثر فى تقرير مصير الطالب من النجاح او الرسوب - حتى يهتم باستذكارها

واستيعابها ، كانت فى نظرهم أمرا يضحكون به على البسطاء ! ! .

لم يشعر احد من المسئولين عن التربية والتعليم فى جميع بلاد الاسلام بفداحة الخطر على مجتمعاتنا حين يمسك بزمامها أشخاص يمكن أن نعدهم غرباء فى أفكارهم وتربيتهم ومثلهم عن هذا المجتمع العريق وثقافته الاسلامية الاصيلة اذ تربوا على مناهج لم تترك فرصة للطالب منهم أن يستوعب كتابا فى دينه أو تاريخ رجاله الافذاذ فى النواحي العلمية والحربية والطب والحكمة والسياسة والأدب واللغة ، وليس الذنب ذنب أبنائنا الابرياء المجني عليهم ، انما هو ذنب كل مسئول يعرف تلك المأساة العلمية التربوية الخلقية ، ويؤجل اصلاح فسادها وتقويم اعوجاجها بما يتلاءم وعرفنا وديننا يوما واحدا . وذنب كل مسئول يعرف تلك (الدنلوبيات) ويتكاسل عن العمل على التغيير الجاد المدروس بحكمة وسعة أفق ، وبرجال مخلصين أتقياء اكفاء .

انهم لا يعرفون عن الدين شيئا الا بحكم التقليد ، وليس للتقليد رسوخ ولا أصالة ، وكل معلومات على غير قاعدة لا تلبث أن تتبدد كالسراب امام اقل شبهة مغرضة . انهم يتلقون دينهم عن جداتهم بالأقاصيص الخرافية والفهم الابتر . ومع هذا فانهم يعرفون كل شيء عن تاريخ اوروبا وعظمائها وبطولاتهم ومعاركهم واختراعاتهم ونهضتهم وعظمتهم وتفوقهم علينا فى كل شيء ، مما يغرى بتقليدهم فى كل شيء بحجة اللحاق بهم ، ولا يعلمون انهم تتلمذوا على اجدادنا فى كل علم .

الاستعمار باق فى تشريعاتنا ونظمنا الاجتماعية

وانعكس هذا الفهم الضحل على افكارهم وتصرفاتهم بشكل كان له اثر كبير على المجتمعات المسلمة فالقوانين والنظم والدساتير والمعاملات والتشريعات كلها الا الأقل مستورد من الغرب ، ولهذا تجدها معبرة بوضوح عن الفكر والعرف والمجتمع الغربي ، وليس فيها ظل للعرف والخلق والشريعة الاسلامية فى غير الاحوال الشخصية الا ما أخذه الغرب نفسه عن الاسلام ، فالربا مباح والزنا فى غير فراش الزوجية جائز ممهد سبيله ، فما دام بغير اكراه ولا علانية فلا عقوبة عليه ، ونظم الاعمال لم يراع الاسلام فيها اطلاقا حتى وجدنا نسق حياتنا يسير على النسق الغربي دون اعتبار لتعاليم الاسلام وآدابه .

طريق الخلاص

ليفهم الشباب أن كلمة التوحيد ــ وهي روح الاسلام ــ اذا لم توجد فى كل خاطر ، ومع كل عمل حتى الأكل وحتى معاشرة الرجل لزوجته فليس صاحبها بصادق فى اسلامه فانفصال العقيدة عن الحياة وتشريعاتها كفر بحكمة الخالق جل علاه، وانكار لشمول شريعته وعموميتها، ومن قال بغير ذلك فهو بين الجهل او الكفر يقول الله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

وان الخلاص من سرطان مناهج ومواد وخطط التربية الاستعمارية ، ووضع مناهج وخطط تكفل نمو الاسلام ورسوخه فى النفوس فريضة جهاد واجبة على كل مسئول مسلم ان يعمل لها بالرجال المخلصين الأكفاء منذ الآن ، والا فالزوال للجميع امام خطر الشيوعية الداهم .

إسعاد الفرد والجماعة

ان الاسلام لا يعتبر الفرد مجرد آلة تتحرك وتتقلب فى الحياة للمعيشة ، وتأمين العيش الضروري ، وانما يعتبره ـ وفقا لفطرته وطبيعته ـ انسانا كريما يتمتع بروح أصيلة ، ومعان خالدة ، ومشاعر حيوية . فليس المهم الحصول على متع الحياة واطايبها المادية ، بل الشعور بالسعادة النفسية ، والارتياح الذاتي ، والاطمئنان الخالص النابع من الحفاظ على القيم الخالدة ، والمعاني الفاضلة ، كالعزة والكرامة والمحبة والشهامة والأخوة والتسامح والاحسان والتعاون .

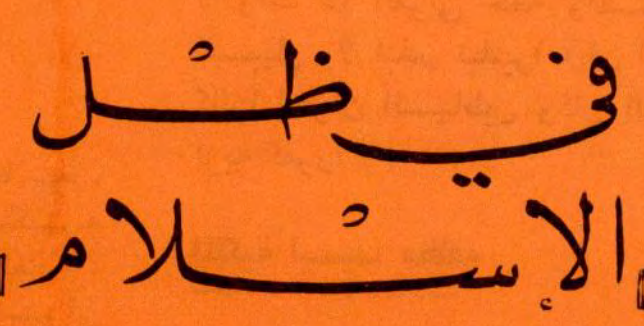
ولهذا كان النظام المعيشي للفرد والجماعة فى الاسلام قائما على أساس التعاون والتراحم ، والتكافل الاجتماعي واستغلال خيرات الأرض ، وموارد الطبيعة ، بما يعود بالنفع العام ، ويحقق المصالح الجماعية ، ويحمي كيان الفرد من التسلط عليه سياسيا أو اقتصاديا او اجتماعيا، فلا يكتفى احد بتأمين غذائه وكسائه ومسكنه ، وانما يشارك فى جميع حقوق الحياة الطبيعية،وتجتهد الدولةفى الحفاظ على ما يعرف بحقوق الانسان ، فى حفظ دينه وحفظ نفسه وحفظ عقله ، وحفظ ماله ، وحفظ عرضه أو نسبه .

واذا كان من هدف النظام الاشتراكي اشباع حاجات الأفراد وتوفير « الرفاه للجميع » ولكن بمقدار ضرورة هذه الحاجات فقط ، فان الاسلام يتخطى هذه الضرورة القاصرة ، ليؤمن للفرد والجماعة حياة طيبة كريمة ، لا تحدها حدود ولا قيود ، الا قيود الصالح العام ، وأهداف الأمة الاسلامية ، وذلك ضمن الاعتبار الذى اشرنا اليه . وهو النظر الى الانسان كمادة وروح يسيران متلازمين وفى خط واحد فى الحياة .

ومن هذا المنطلق كان من الواجب أن تعني الدولة الاسلامية ـ ليس فقط بتحقيق المساواة أمام القانون بين المواطنين جميعا ـ وانما ينبغي توفير المساواة فى تكافؤ الفرص ، كما يتطلب الاسلام ، اذ لا قيمة للمساواة أمام القضاء وأمام القانون اذا انعدمت المساواة بين الناس فى فرص تحسين احوالهم ، واصلاح أمورهم ، بالاسهام والاستفادة من خيرات الحياة كلها ، ونعم الله الشاملة ، لا فرق بين غني وفقير ومحروم ومجدود .

وبذلك يمكن للمجتمع أن ينتعش فى ظل العدالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة ، وهذا ما يتطلبه الاسلام من ولاة الأمور . ويمكن ضرب الأمثال على ذلك .

اذا اشترك الأفراد فى وسائل الانتاج ، وتفتحت أمامهم مجالات العمل والكسب ، وساهموا فى توزيع الدخل العام ، وتمتعوا بمطالب الحياة الحديثة من تعليم وطب وعلاج ، فان الرفاهية والرخاء والسعادة والارتقاء ، تعم جميع أوساط المجتمع ، ويشعر كل فرد بالاغتباط والارتياح ، لأن الدولة الحاكمة استطاعت تحقيق العدالة بمختلف نواحيها ، فلم يطغ المنتج الصناعى على المنتج الزراعى ولا ذوو المال على الكادحين بأيديهم



للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة بجامعة دمشق

او بعقولهم . وبعبارة اخرى قضت على الاحتكار بين فئات المجتمع ، لان الاحتكار طريق للتسلط على مقدرات الامة ، بل وعلى سياسة الدولة الحاكمة .

وهكذا فان الاسلام ينظر الى الامة والشعب نظرة مزدوجة كجماعة وكأفراد ، للجماعة واجبات على الأفراد ، وعليها حقوق لهؤلاء الأفراد ، وعلى الأفراد واجبات للجماعة ولهم حقوق فى ذمة الجماعة . ومن واجب الجماعة أو الدولة أن تهيء للأفراد فرص الحياة المختلفة كالعمل والتعليم والتداوي وكفالة العجز والشيخوخة ، وحماية الانوثة والطفولة من الخضوع للاستغلال أو الزج بهم فى مهن لا تلائمهم . ولهم حق التملك وفقا لمشيئتهم كما أن لهم حق التمتع بالحريات العامة كحرية ابداء الرأى ، وحرية الفكر ، وحرية الاعتقاد ، ونحو ذلك .

الاسلام بين نظامين

واذا كان العالم اليوم يتحكم فى مصيره دولتان كبيرتان ، تمثلان مبدأين معينين مبدأ الرأسمالية وعلى رأسه أمريكا ، ومبدأ الاشتراكية وعلى قمته روسيا ، فانه ينبغي أن نظهر معالم النظام الاسلامي ، لتخفيف حدة الصراع فى العالم ، بسبب هذين المبدأين،وبسبب تلك النظرة المادية المحضة التى شوهت معالم الحياة ، وفصلت الانسان عن مشاعره ووجدانه واحساساته حتى اصبح لا يشعر بمعنى السعادة الحقة ، ولا يتمكن من الاستمتاع بالاستقرار النفسي أو البشاشة التي ترتسم على ثغور الوادعين المطمئنين . وقد يغتر بعض الناس بمظاهر المدنية والحضارة السائدة فى الغرب أو الشرق ، ولكنهم لا يحسون المرارة والقلق اللذين يحيا فيهما الفرد فى تلك البلاد ، فان الحضارة اذا لم تغذ ضمير الامة ووجدانها ، ولم تترجم عن متطلبات الروح أو آمالها العذبة فهي حضارة زائلة فى يوم من الأيام .

ولهذا نرى الاسلام يقيم حضارته وسعادة بنيه على أساس اسعاد الروح ، عن طريق ذلك الايمان الذى ينزرع فى قلب المسلم ، فيشعره بالسعادة تفيض بين جوانحه وفى حياته ، ذلك لأن العقيدة التي تتفق مع الفطرة تلازم نظام الحياة فى الاسلام .

ويمكنني الآن أن أضع الخطوط العامة لتحقيق السعادة الفردية والاجتماعية ، كما يقرها الاسلام فى ظل اقتصاد قوي متميز ، غير معتمد على الأفكار الرأسمالية أو الأفكار الاشتراكية .

اولا ــ وظيفة المال

ينبغي أن يكون المال فى خدمة مصالح

الفرد والجماعة فللفرد أن يتملك ما شاء ، وعلى السـلطة الحاكمة حماية ملكيتـه الخاصة ، ولكن فى ظل المصلحة العامة ، بحيث تتـوازن المصلحتان ، وتسيران جنبا الى جنب فيراقب الفرد عن طرق استثمار ماله ، فاذا أنفقها فى المحرمات ، او عبث بها،كان من حق ولي الامر ان يراقبه فى ذلك وان يجعل عليه قيما يدير لـه شؤونه . قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أمـوالكم التي جعل الله لكـم قياما ، وارزقوهم فيها ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا » (النساء ـ ٥) .

وقد حرم الاسلام اكتناز الأموال ، وعدم انفاقها فى المصالح العامة : والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هـذا مـا كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا مـا كنتم تكنـزون (التوبة ـ ٣٤ ، ٣٥) .

وحارب الاسلام الشح فقال عليـه السلام : « اياكم والشح ، فانما هلك من كان قبلكم بالشح » ، كما حارب مظاهر الترف والبذخ والاسراف لانها تخلـق الحقـد والضغينة بين الناس ، وتهدد الأمـن والسكينة والاستقرار ، قـال سبحانه : « واذا أردنا أن نهلك قريـة أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا(١) » ، « واصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ، انهم كانوا قبل ذلك مترفين (٢) » « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبـذرين كانوا اخوان السياطين وكان الشيطـان لربه كفورا (٣) » .

الملكية ليست مطلقه

ومن هنا فان الملكية فى الاسلام ليست مطلقة يتصرف فيها المرء حسب أهوائه ، وانما هى مقيدة بقيود المصلحة العامة ، مما يجعل للمال وظيفة اجتماعية فى هذا الكون ، لانه وسـيلة لتعميره وطريـق لاستغلال كوامن خيراته .

ويخطىء بعض الناس اذا ظن أن الزهد فى الدنيا معناه التخلى عن كسب المال الا بقدر الحاجة ، فان المال أساس لقوة الاقتصـاد وقـوة المجتمع والتهاون فى كسبه يؤدى الى افقار الأمة وضعفهـا كما انامساكه والشحبه يؤدىالىالنتيجة نفسها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوى خير وأحبالى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » . « نعم المال الصالح للرجل الصالح » اى أن الرجل الذى يستغل ماله فى الخير ، وفيما يعود بالنفع العام له فضله وثوابه عند الله ، لذلك قـال علماؤنا « الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر » .

ثانيا ـ حق الدولة فى التدخل

للدولة الاسلامية الحـق فى توجيـه النشـاط الاقتصادى فى الوجـوه التى تحقق خير البلاد وسعادة الافراد لان ولى الامر مسؤول عن تنظيم مصالحالامة

(١) سورة الاسراء (١٦)
(٣) سورة الاسراء (٢٦)
(٢) سورة الواقعة من (٤١ ـ ٥٦)

وتوجيهها وجهة سليمة . وقد أجمع فقهاء الاسلام على أن لولى الأمر حق انتزاع ملكية أى فرد مع تعويضه عنها التعويض المناسب لتوسيع مسجد أو شارع أو مصنع أو غير ذلك . وللدولة أيضا حق الاشراف والرقابة على طرق استثمار الأموال في ظل ما يسمى حديثا بنظام الاقتصاد المختلط حتى لا يسيء اصحابه طرق استغلاله ، او يوجوه ضد مصالح الامة .

ثالثا ـ تقديس العمل

قدس الاسلام العمل ، وجعله أساس الحياة الحرة الكريمة ، وحارب العوز والفقر والسؤال قال تعالى « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور » . « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » وقال أيضا « اليد العليا خير من اليد السفلى » . « لان يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل ، فيأتى بحزمة من حطب على ظهره ، فيبيعها فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه او منعوه » ، وقال عليه السلام : « من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر » .

واذا كانت الحياة كفاحا وصراعا فان الاسلام يهيب بأبنائه ألا يعجزوا أو يكسلوا ، وانما عليهم ان ينشطوا فى الحياة بهمة لاتفتر وعزيمة لاتكل ، ولذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فقال « واستعن بالله ولا تعجز » وكان يستعيذ من العجز والكسل ، فيقول : « اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل » .

رابعا . قوانين التكافل الاجتماعي ـ

صان الاسلام مجتمعه من العيوب الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، فقرر ضرورة القضاء على الفقر والجهل والمرض ، والبطالة والتخلف الاقتصادى ، والضعف العسكري والخضوع السياسي ، أو الاذلال المدني ، ويظهر ذلك من جعله التكافل الاجتماعي شاملا للحياتين المادية والمعنوية كما يظهر مما يأتي ـ

١ ـ **التكافل الأدبي** « أحب للناس ما تحب لنفسك »

٢ ـ **التكافل العلمى** « ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا »،« ومن كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

٣ ـ **التكافل السياسي** «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » .

٤ ـ **التكافل الدفاعي** « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » .

٥ ـ **التكافل الجنائي** « لا يطل دم فى الاسلام » اى لا يذهب هدرا . « ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب » ، « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله » .

البقية على ص ٤٩

عالم لم تسلط عليه الأضواء

الماوردي

محمود ...

الفقيه الدستوري، الأديب العربي

دستورى ، قاض فقيـه ، اديب . مرب ، هكذا كان الماوردى ، طرازا غريبا بين علماء الاسلام ، لا نحسب ان نظراءه كثيرون . فقد نقرأ فى تراجم الكثير من علماء الاسلام أن فلانا فقيه ، أو أديب ، أو قاض ، أو نحو ذلك من ألقاب الادب والفقه والحديث الا أنه يعوزنا الدليل على ما ذكر المترجمون من تلك الالقاب .

أما الماوردى فقد ترك لنـا الادلـة على فقهه ودستوريته وأدبه على أنصع ما تكون الادلة ، وحسب الماوردى أن يترك لنا « الاحكام السلطانية » لنعرف كيف كان قانونيا دستوريا فى الاسلام ، وأن يترك لنا « ادب الدنيا والدين » لنعرف مبلغ تضلعه فى الادب، وتذوقه للاساليب، وفقهه فى تخير المستجاد منها ، وأن يترك لنا كتاب « الحاوى الكبير » فى فقـه الشافعي لنعرف غزارة علمه بالفقـه وقدرته على استقصاء مسائله . وهكذا تجد للماوردى شخصيات علمية متعددة، وينبغي لمن يتحدث عنه أن يفرد كـل شخصية بحديث خاص .

الماوردى القاضي

قال المترجمون للماوردى أنه أقضى القضاء ، وأنه لقب بذلك اللقب سـنة ٤٢٩ هـ وأنه ولي القضاء فى بلاد كثيرة ، ولكنهم لم يذكروا لنا نادرة غريبة مـن نوادره فى القضاء ، كما ذكروا عن غيره ، الا أنهم ذكروا فى ترجمته حادثة فى الفتيا، تدل على حريته واستقلاله فى الرأى ، وهى فتيا تتصل ببعض كبار رجـال الدولة فى عصره . فقد أمر الخليفة أن يزاد فى لقب جلال الدولة ابن بويـه لقب شاهنشاه الاعظم ملك الملوك ــ وخطب له بذلك ، فأفتى بعض الفقهاء بالمنع ، وأنه لا يقال ملك الملوك الا لله ، وانحاز

اليهم العامة ، ورموا الخطباء بالطوب ، وأفتى بعض الفقهاء بالجواز ، على تأويل أن المراد بلقب ملك الملوك : ملك ملوك الارض — والعبرة فى ذلك بالقصد والنية، وكان ممن أفتى بالمنع ، وشدد فيه ، الماوردى ، مع أنه كان صديقا لجلال الدولة ، ولما أفتى بالمنع انقطع عن جلال الدولة ، فطلبه وقال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحدا لحابيتني لما بيني وبينك، وما حملك الا الدين ، فزاد بذلك محلك عندى »

الماوردى الدستورى القانونى

لقد كان الماوردى — بلغة عصرنا — دستوريا بأوسع معانى الكلمة ، وكان دستوريا اسلاميا ، واذا قلنا دستوريا اسلاميا ، فمعنى ذلك ايضا انه قانونى

بقلم الاستاذ أبو الوفا المراغي
مدير مكتبة الأزهر

« تسهيل النظر وتعجيل الظفر » . ولم يصل الى ايدى العلماء فيما نعلم الا الاول ، وضاع الاخرون فيما ضاع من تراث الاسلام ، ولم تبق الا اسماؤها فى كتب التراجم .

الاحكام السلطانية

واذا كان الكتاب مرآة الكاتب . فالاحكام السلطانية بترتيبه وتقنينه وصياغته مرآة صافية لشخصية الماوردى الدستورية القانونية ، فلقد كانت القواعد الاسلامية ، الدستورية ، والاقتصادية ،

التعمق في العلم كالسابح في البحر ليس يرى أرضاً ، ولا يعرف طولاً ولا عرضاً

بأوسع معانى الكلمة ايضا ، فالدستورى الاسلامى يستمد مادته من الشريعة الاسلامية ، والشريعة تناولت كل ما تحتاج اليه الدولة فى علاقتها بغيرها من الدول ، او علاقات رئيس الدولة بالمواطنين ، او علاقات الافراد بعضهم ببعض ، واذا تناول العالم هذه العلاقات بالتقنين والترتيب كان دستوريا وكان قانونيا ، وهكذا كان الماوردى . فلقد تناول هذه العلاقات بالدراسة والتصنيف فكان نمطا غريبا بين علماء الاسلام .

تناول هذه العلاقات فى كتب اربعة ، وهي : الاحكام السلطانية و « قانون الوزارة » و « السياسة والملك » و

والادارية ، والجنائية ، والعسكرية ، ممتزجة بغيرها ، مبعثرة هنا وهناك ، موزعة قبله فى ابواب كتب الفقه وفصولها فانتدب لها واستخلصها من مظانها ، ووحد موضوعاتها فجمع النظير الى نظيره ، والشبيه الى شبيهه ،وجعلها كتابا موضوعيا خالصا ، يسهل على الولاة والمسئولين سبيل الرجوع اليها ، والبت فى الامور بدقة وسرعة ، وفى ذلك يقول فى خطبة — اى مقدمة — كتاب الاحكام السلطانية « ولما كانت الاحكام السلطانية بولاة الامور احق، وكان امتزاجها بجميع الاحكام يقطعهم عن تصفحها ، مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، افردت لها كتابا امتثلت فيه امر من لزمت طاعته،

ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له منها فيستوفيه ، وما عليه منها فيوفيه » .

وقد سبق الماوردى بعض العلماء فألفوا فى موضوعات خاصة من القانون ، فألف الامام ابو يوسف صاحب ابى حنيفة كتابا فى ناحية من نواحى الاقتصاد الاسلامى ، وهو كتاب الخراج ، الذى تناول فيه حقوق الدولة فى الاراضى المملوكة ثم توسع بعده الامام ابو عبيد القاسم بن سلام فألف كتابا شاملا فى النواحى الاقتصادية وهو كتاب الاموال. ولكن الماوردى كان اشمل نظرا واعم موضوعا ، فتناول فى كتابه ما سبق به ، ثم ضم اليه كل ما تحتاج اليه الدولة فى عصره ، من القوانين الدستورية والاقتصادية والجنائية والعسكرية .

فقد تناول الماوردى فى كتابه موضوع اختيار رئيس الدولة ، وقواعد اختيار الوزراء ، وفصل حقوقهم ، وهذا مما يدخل الآن فى القواعد الدستورية ، ثم تناول اختيار امراء الاجناد ونوابهم ، مما يدخل فى القوانين العسكرية ، ثم تناول طرق تحصيل الاموال للدولة من فىء وغنيمة وجزية وغيرها مما يدخل فى القوانين المالية ، ثم تناول احكام الجرائم والمظالم وغيرها ، مما تتناوله القوانين الجنائية .

تناول الماوردى ذلك كله ، وصاغه صياغة قانونية ، ليس بينها وبين الصياغات القانونية الحديثة الا الشكليات والاصطلاحات ، كتسمية القاعدة مادة ، والجملة منها فقرة ، ونحو ذلك مما لا ينقص من حظ الكتاب وقيمته العلمية . ولقد كانت طريقة تأليف الكتاب وترتيبه وصياغته ، حدثا غريبا فى عالم التأليف فى عصره ، حتى قال ان قاضى شهبة فيما نقله عنه ابن العماد فى الشذرات : « انه تصنيف عجيب » .

واخذ ذلك الكتاب مكانه بين تراث الاسلام القانونى قرونا عديدة ، وما زال مرجع المتحدثين فى تاريخ التقنين الاسلامى فى سائر فروعه ، ويعتبر هذا الكتاب من وجهة نظرنا مرحلة هامة من مراحل التقنين الاسلامى الموضوعى والشكلى ، وقد ترجم هذا الكتاب قديما الى اللغة الفرنسية ، اذ كانت فرنسا من الامم التى عرفت بالتخصص القانونى .

الماوردى الاديب

ليس الماوردى فى حاجة الى دليل على انه اديب بعد كتابيه ادب الدنيا والدين ، والاحكام السلطانية ، فما من اديب الا وكان ادب الدنيا والدين من مناهل ادبه، وما من واعظ الا وكان عدته وزاده ، وعليه اعتماده ، والكتاب فى اختياره وصياغته آية من آيات التضلع فى الادب والحكمة ، فقد جمع الى حكمة العرب حكمة الهند ، وآداب الفرس ، وفلسفة اليونان واذا كان الماوردى نسيج وحده فى تصنيف كتاب الاحكام السلطانية على ما اشرنا ، فهو نسيج وحده فى تصنيف ادب الدنيا والدين ، فقد صنف الاول ليكون دستور الحكام والامراء والولاة ، وصنف الثانى ليكون دستور المسلم فى دينه ودنياه ، وقد بناه على اساس اخلاقى ، فأدار الحديث فيه على الفضائل ، وما يقابلها من الرذائل، ليطمع المسلم فى الاولى ، ويكون على حذر من الثانية فيسير فى حياته على بصيرة تفضى به الى سعادة الدنيا والاخرة ، وتحدث عن الفضائل واصولها فى القرآن والسنة، وعن رسومها فى فلسفة اليونان ، وادب الفرس والعرب ، بما وسعته ثقافة عصره وثقافته ، فكان الكتاب مزيجا من الاخلاق والادب والحكمة ، افرغ فيه الماوردى ثقافته الادبية الخصبة التى ندر ان يتوافر مثلها لفقهاء الاسلام .

على أن الاحكام السلطانية أيضا آيـة من آيات الثقافة الادبية للماوردى ، فقد تناول ما اودعه فيه من الاحكام باسلوب سهل ، بعيد عن تعقيدات المصنفـات الفقهية ، ولا يعسر على الدارس المتوسط تفهمه ، والافادة منه ، ورصعه فى بعض المواضـع بفرائد مـن الشعر والمثـل والحكمة ، لينسى القارى انه يقرأ في كتاب فقه او قانون .

وقال المترجمون للماوردى انه شاعر ولكنهم لم يذكروا من شعره الا بيتـين لم يقطع المترجمون بنسبتهما اليه ،فقد قال صاحب معجم الادباء : قرأت فـي كتاب سر السرور لمحمود النيسابورى ، هذين البيتين منسوبين للماوردى .

وفي الجهل قبل الموت موت لاهلـه
واجسـادهم دون القبـور قبـور
وان امرؤ لم يحى بالعلم صـدره
فليس له حتى النشـور نشـور

مع ان الماوردى ذكرها فى كتاب أدب الدنيا والدين بعنوان : وأنشدت لبعض أهل هذا العصر .

اسلوب الماوردى

واذا صح ان نتخذ من كتابـي ادب الدنيا والدين والاحكام السلطانية نموذجا لثقافـة الماوردى الادبيـة ، واسـلوبه فى الكتابة ، حكمنا بأن الماوردى قد تشبع بثقافة عصره الادبية ، عربية كانت ام غير عربية ، ووعاها وحفظ كثيرا منها .وكان ينفق منها متى اراد ، ويستشهد بها فى مواطن الاستشهاد شعرا ونثرا ، وحكمة ومثلا ، وحكمنا بأن اسلوبه الكتابي من الاساليب الادبية المسجوعة على المعتاد من الاساليب فى ذلك العصر ، مع مراعاة حق المعنى . على انه كان يترسل احيانا وهاك نموذجـا من كتابته فى « ادب الدنيا والدين » عن سلطان الهوى على النفوس : —

ولما كان الهوى غالبا ، والى سـبيل المهالك موردا ، جعل العقل عليه رقيبـا مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته ويدفع خداع حيلته ، لان سلطان الهوى قوى ، ومدخل مكره خفي ، ومن هذين الوجهين يؤتي العاقل حتى تنفذ احكام الهوى عليه ، أعني بأحد الوجهين قوى سلطانه وبالآخر خفاء مكره ، فأما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه ، حتى تستولي عليه مغالبة الهوى والشهوات فيكل العقل عن دفعها ويضعف عن منعها ، مع وضوح قبحها فى العقل المقهور بها ، وهذا يكـون فى الاحداث اكثر ، وعلى الشباب اغلب ،لقوة شهواتهم وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم ، وانهم ربما جعلوا الشباب عذرا لهم كما قال محمد بن بشير : —

كل يـرى ان الشـباب لـه
في كـل مبلـغ لـذة عذر

وللماوردى رأى فى الادب ، وهـو انه يتغير بتغير الاحوال . وتنقل العادات وان لكل عصر اسلوبا فى الادب خاصا به يكون اوقع فىالنفوس،واسبق الى الافهام ويقول فى ذلك فى ادب الدنيا والدين : ان لاهل كل وقت فى الكلام عادة تؤلف وعبارة تعرف ، ليكون اوقع فى النفوس واسبق الى الافهام . وله حكمـه فى استصفاء الادب وقبول بعضه ورفض بعض .

الماوردى الفقيه

احتل الماوردى مكانا بارزا بين فقهاء الشافعية ، وتردد اسمه . وشاعت اقواله فى المراجع الكبرى من كتب الشافعية وقد قال الخطيب عنه : « كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعية ، وله فى الفقه كتابا الحاوى والاقناع ، ولا يخطىء من يعد كتاب الاحكام السلطانية كتابا من كتب الفقه ، حيث عالج ناحية خاصة منه ، وهي الاحكام المتعلقةبتنظيم الحكم الاسلامي ، وكتابه الحاوى من أشهر كتب الفقه ، وهو من اكبر الكتب واشهر المراجع المعتبرة فى المذهب . قال فى كشف الظنون : انه كتاب عظيم يقع عشر مجلدات ، ويقال انه لم يؤلف مثله وقال العلامة الاسنوى : لم يصنف مثله ، وقال ابن خلكان : لم يطالعهاحد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب .

وكتاب الاقناع كتابمختصر فىالاحكام المجردة عن الادلة ، قال الاسنوى عنه : يشتمل على غرائب . وقد نقل ابن السبكي فى طبقاته مختارات من فوائده الفقهية فى كتابيه الحاوى والاحكام السلطانية ، ولشهرة كتاب الحاوى عرف به الماوردى فقيل عنه انه صاحب كتاب الحاوى .

الماوردى المربي

قبل ان اتكلم عن الماوردى كعالم من علماء التربية ، يحسن ان اشير الى معنى التربية عند علماء التربية الاسلامية . . فهى عند هؤلاء ما يشمل تثقيف الذهن بالعلوم والمعارف ، وتزكية النفس بالآداب والفضائل . فهي تربية لسعادة الدنيا والآخرة وقد الح علماء التربية الاسلاميون فى أن تسير الترتيبات جنبا الى جنب لان الاخلال باحداهما اخلال ببناء الشخصية الاسلامية الكاملة ، فالعلم بلا خلق جهل او كالجهل . وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بنفسه وبرايه ، او يتكثر بعلمه ، والخلق بلا علم اجحاف بالعقل ، واهدار لمواهب الانسان .

ولقد تحدث الماوردى فى التربية بمعناها الواسع ، ولم يكن حديثه في كثير من مسائلها حديث الراوىوالحافظ والمقلد . ولكن كان حديثه حديثالملاحظ والمجرب والمبتكر . فقد مارس مهنة التعليم ، وعانى رياضة المتعلمين ، ودرس طبائعهم وأمزجتهم وتفطن الى تفاوت مواهبهم ، واختلاف درجاتهم فى الذكاء والاستعداد والتلقي . وخرج منتجاربه بنتائج فى التربية ، تكان تكون خلاصة لما اتفق عليه علماء التربية من القواعد : قديما وحديثا ، اودعها كتابه أدب الدنيا والدين .

ولا ندرى لماذا أهمل الكاتبون الماوردى كعالم من علماء التربية ، حين تحدثوا عن علماء التربية الاسلامية ، ورأيناهم جميعا حين تصدوا للحديث فى التربية تخطوه الىمن بعدهبنصف قرن أو قرون، فتحدثوا عن الغزالي ، وهو بعده بنصف قرن ، وعن ابن جماعة ، وابن خلدون، وهما بعده بحوالي ثلاثة قرون . ويأخذ اللاحق من الكتاب عن السابق ، ولايتنبه احد منهم الى مكان الماوردى فى تاريخ التربية ، وهو أولى بأن يحتل مكان الصدارة فى هذا التاريخ ، فهو اسبق من الغزالي وابن خلدون وغيرهما ، وادق حديثا منهما فى مسائل التربية . فله

فضل السبق والابتكار، واذا انعمنا النظر فيما كتبه هؤلاء ، مما اتفقوا فيه مع الماوردى من مسائل التربية وجدناهم قد ساروا على خطاه ، واقتفوا آثاره فى كثير مما عالجوه منها . وللمقارنة بينهم وبينه مجال فسيح ، وهاك شيئا مما سجله الماوردى فى أدب الدنيا والدين من مسائل التربية .

١ ـ العلوم شريفة ، ولكل منها فضيلة، والاحاطة بجميعها محال ، والمتعمق في العلم كالسابح فى البحر ليس يرى ارضا ولا يعرف طولا ولا عرضا .

٢ ـ اذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل، وجب صرف الاهتمام الى معرفة اهمها ، والعناية بأولاها وافضلها .

٣ ـ لكل علم أثر فى النفس ، فمن تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن تعلم الفقه نبل مقداره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن تعلم اللغة رق طبعه .

٤ ـ ينبغي الا يمنع كبر السن من التعلم استحياء ، لان العلم اذا كان فضيلة فرغبة ذوى الاسنان فيه اولى، والابتداء بالفضيلة فضيلة ، ولان يكون شيخا متعلما ، اولى من ان يكون شيخا جاهلا ، والجهل بالكبير اقبح ونقصه عليه أفضح .

٥ ـ ينبغي على الانسان ان يجعل للعلم حظا من زمانه ، فليس كل الزمان زمان اكتساب ، ولا بد للمكتسب من اوقات استراحة ، وأيام عطلة ، ومن صرف كل نفسه الى الكسب ، حتى لم يترك لها فراغا ، فهو من عبيد الدنيا واسراء الحرص .

٦ ـ ليس الكبير اقل استعدادا للتعلم من الصغير، ولكن شواغله اكثر،تستوعب زمانه وتستنفذ أيامه ، والصغير أفرغ قلبا ، واقل شغلا ، واكثر تواضعا .

٧ ـ يجب ان يتجنب المتعلم الحفظ دون فهم للمعنى، حتى لا يروى بغير روية، ولا يخبر عن غير خبرة ، فيكون كالكتاب الذى لا يدفع شبهة ، ولا يؤيد حجة ، قال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا للعلم رعاة ، ولا تكونوا له رواة ، فقد يرعوى من لا يروى ويروى من لا يرعوى .

٨ ـ ينبغي الا يكتفي العالم بما تعلم، بل عليه ان يزداد منه وليكن مستقلا للفضيلة منه ، ليزداد منها ، ومستكثرا للنقيصة فيه لينتهي عنها . ولا يقنع من العلعم بما ادرك ، لان القناعة فيه زهد ، والزهد فيه ترك ، والترك له جهل .

٩ ـ على العالم ان يرفق بالمتعلمين ولا يعنفهم ولا يحقرهم . ويبذل النصح لهم ، فان ذلك ادعى اليه واعطف عليه ، واحث على الرغبة فيما لديه ، وفي الآثار : علموا ولا تعنفوا ، فان المعلم خير من المصنف .

هذه بعض مسائل التربية التي تحدث فيها الماوردى ، فماذا كان موقف علماء التربية الاسلاميين ؟ ان بعضهم اقتبس منه ، واشار الى ذلك ، عملا بالامانة العلمية، واعترافا بالفضل لاهله،وبعضهم اقتبس منه وتغافل عن فضله عليه . والباحث فى تاريخ التربية ، والمتتبع لجهود علمائها بانصاف ، يعرف الى أي مدى كان فضل الماوردى فى بناء علم التربية ويعرف الى أي مدى كان جحود الكاتبين فى تاريخها لفضل الماوردى .

وبرتغالي يتكلمان ، انك لو فعلت او قدر لك ان تفعل ذلك فى حين من الاحيان ، لرايت بينهما من التقارب والتدانى ، مـا هو اكثر من تقارب العربية المحكية بـين اقليم واقليم . فما السبب الذى باعـد بينهما فجعلهما قومين) وما السـبب الذى قارب بين التونسي والفلسطيني والمصري واليمني والجزائري والاردني والليبي والمغربي فجعل من السكان فى كل هذه الاقاليم اخوانا يرجعون فى لغتهم الاصيلة الى نفس اللســان ، ويهتدون بهدى لغة واحدة هي لغـة القـرآن . فالقرآن ـ اذن ـ هو موحدهم وجامع شملهم ، ولولاه لكانوا امما مختلفة الشأن واقواما مختلفي اللسان ، ولعلك تدرك بعد ذلك يا اخي ! لم استمات الاستعمار فى تشجيع اللهجات المحلية وتشجيـع العرب على التأليف فيها انه لم يفعـل ذلك الا أملا منه فى ان ينتزع بعض القوة من هذا السياج القدسي ، وذلك القرآن المبين الذى تسور العرب به ، فحماهم من الـزوال ، وكتب لهـم الخلود ، مهمـا تبدلت الاحوال .

يا اخي القارىء ، يا من خيل اليـك ، امكـان اتهامي بالجنـوح فى حديثي الى مقتضيات العاطفة ، فكر معي وتساءل ما عساه ان يكون شأن العرب لولا القرآن ، لقد حكمهم العثمانيون اكثر من ستمائة عام ، كان جزءا واحدا منها كافيا لتبديل امم بامم ، واقوام باقوام ، اين الرومان ؟ اين الآشوريون ؟ اين البابليون ؟ ايـن الفينيقيون ؟ ؟ اين الفراعنة ، انها امم واقوام كانت فى هذه البلاد ثم اندثرت ولولا معالمها الباقية لطواها النسيان . مع ان هذه الامم لم تتعرض للنكبات التي تعرض لها العرب ، ومع ذلك فما زال العـرب موجوديـن ، وسـوف يبقون خالدين ، يحميهم القرآن ، وينبههم الى ما يلحق بهم من الذل والهوان ، انهـم حملة رسالته الازلية ، الرسالة الخالدة الحقة ، وسدنة تعاليمه الابدية ، فهـم باقون ما بقي القرآن ، فالقرآن المعجز دوحة عظيمة ، وما العروبـة الا احدى ظلالها الوارفة . لقد كان القرآن الكريم الاساس المكين فى حفظ اللغة العربيـة والعرب ، وكان بالامكان ان يستمر اكبر وسيلة لتعريب الكثير من العالمين لـو وجد العرب الحكم الصالح لانفسهم كما يقـول « دوزى » ، وأحسن خلفاؤهـم وملوكهم وسلاطينهم وزعماؤهم حسـن التبشير به ، والافصاح عـن مقاصـده الانسانية ، واهدافه فى اسعاد البشرية .

ولقد نزل قرآنا عربيا ووصف بذلك اشارة الى ان العرب هم الاصل فى حمل الرسالة الانسانية .

وانني الخص كلماتي فى هذا الشأن مستنتجا خلاصتها مما ذكرت ، معبرا عنها فى كلمات معدودات هي : ان العرب أمة خلدها القرآن ، فرفع شأنها فى كل مكان ، مشفعا هذه الخلاصة بالتعجب من حال اناس يدعون العروبة ، ويقولون بنبذ القرآن، ناقلا لهم قول الكاتبة الاديبة « مي زيادة » فى فضل الكتاب الـكريم على العرب بقولها : من ذا الذى لا يعرف للكتاب الكريم فضله فى بقاء هذه اللغة ؟ ومن ذا الذى يجهل ان اللغة العربية باقية ما بقي الاسلام حيا سائلا المولى ان يهدى هذا النذر اليسير من الناس الى الطريق القويم والصراط المستقيم .

ويحلو لي ختاما ان أقول ان القرآن الكريم بكلماته ، وأحاديث من اوحي بـه اليه ، أملنا الوحيد فى القضاء على التفرقة والطائفية والانانية التي ظهرت فى العالم العربي ففرقته الى ألوان من انقسامات يوقظ الأعداء لهيبها ، كلما هجعت نارها منذ وجد الرسـول الى يومنـا هذا ، ناسين ما جاء بالقرآن الكريـم « انمـا المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكـم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

بقية أسعاد الفرد والجماعة

٦ ـ التكافل الكفائي : ويظهر ذلك فى فروض الكفايات الواجبة على كل مسلم ومسلمة كصلاة الجنازة ورد السلام وانكار المنكر .

٧ ـ التكافل الاقتصادى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلو بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

٨ ـ التكافل الاخلاقي : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

٩ ـ التكافل الحضارى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

١٠ التكافل المعيشي : وله أنواع كثيرة كتب فى بيانها كثير من الكتاب لحماية العجز والفاقة وتنشيط الضعفاء .

وموارد ذلك الزكاة والوقف والنفقات والوصايا ، والغنائم والركاز والمعادن والنذور والكفارات والأضاحي ؛ وصدقات الفطر والصدقات العامة ، وكفاية الفقراء . وما ترى الدولة تحصيله لتحقيق هذا التكافل بأنواعه اذا لم تف الموارد السابقة به .

« ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا أو عروا ، الا بما يصنع اغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا اليما » .

والكلمة الأخيرة هي انه يجب ان نطبق الاسلام كله وأن نحييه فى قلوبنا ونفوسنا ، وأن نأخذ أحكام الاسلام كلها ، دون اخلال بجانب من جوانبه ، فاذا قال بعض الناس لانجد مجالا لتطبيق الاسلام فى الحياة الحديثة ، فذلك من قصور العقل وضعف الهمة والتفكير ، وعداء الجاهلين ، فان الاسلام كل لا يتجزأ ، صالح لعمارة الكون ، وللملاءمة مع كل زمان ومكان .

ونستطيع تلخيص أصول الاسلام بما يلي فى ضوء ما ذكرناه .

١ ـ ان نظرة الاسلام الى الحياة نظرة مادية وروحية معا وان قيام الحضارة الحديثة على الصعيد المادى فحسب يعجل بانهيارها وزوالها .

٢ ـ ان الاسلام عقيدة ونظام واخلاق .

٣ ـ ان الاسلام يتجاوب مع الفطرة الانسانية السليمة وينشد تحقيق المثل العليا .

٤ ـ ان السلطة الاسلامية مسئولة عن تأمين الرخاء والرفاهية لشعبها ، .

٥ ـ ان النظام الاسلامي يجمع بين مزايا النظام الرأسمالى ، ومزايا النظام الاشتراكي، بحيث يعد مثلا اعلى للاعتدال، والوسط وموازنة الاوضاع : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .



صرحٌ – مدى الازمان – ناطقْ يروى اقاصيص البواشقْ
يروى اقاصيص العُلى والمجد من أيام طارق
ويحدث التاريخ في صحف مطهرة نواطق
صحف تشامخ مجدها فتعطرت زهر المناطق
وبدتْ تُعطّر بالشذى بيض المرابع والمرافق
شهد البطولة ذلك الجبل الاشم ، رأى الحقائق
فمضى – يمجد باللسان الطلق أحداثا شوائق
ويسجل الدرر الخوالد في سجلاّت صوادق
شهدت ذراه طلائع الجُلّس واعلام الفيالق
وبداية الفتح المبين وموكبًا في الدهر سامق

***

يا شامخًا في الافق حدّثْ فالحديث اليوم رائق
حدث عن الابطال للاجيال والعُصُر اللواحق
حدث ولا تبخل فقد حدثتَ اجيالاً سوابق
حدث عن السفن المواخر وهى تقتحم المغالق
وتميس فوق الماء تيهاً والخلود لها مرافق
تشتاق اندلسَ الجميلة شوق معشوق لعاشق

طارق

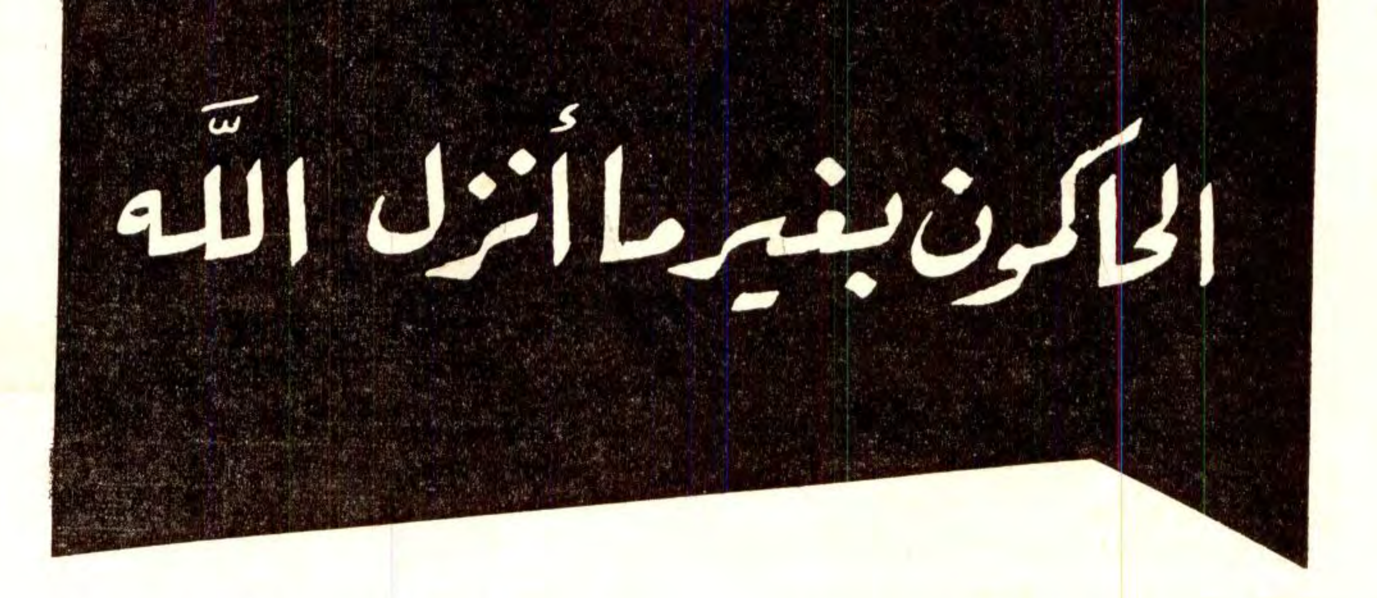
محمد مؤذن

للاستاذ فاضل خلف سفارة الكويت ـ تونس

وبطولة ابن زياد تلهب في الجنود قوىً بواسق
يذكي النفوس بخطبة شماء حطمت العوائق
قد احرق السفن المنيعة وانبرى في الجندناطق
في قوله فصل الخطاب لعسكرَ يهوى الشواهق :
ياأيها الابطال هيا لا مفر من المخانق
إن العدو أمامكم متربصٌ بكم المآزق
والبحرُ صار وراءكم والبحر صخابٌ ودافق
هيَا فليس لكم سوى الصبر الجميل على الضوائق
وأنا اقود الصف لا أخشى النوازل والخوارق
فانقضَّ جندُ المسلمين على الجحافل كالصواعق
وغدا الخصيمُ ممزقاً رغم التحصن في الخنادق
واذا بصخرة طارق تزهو برايات خوافق
واذا بطارق خالد متلألئ في كلّ خافق

***

ياصخرة الفتح المبين لقد أتيت من المشارق
في قلبي الخفاق حب للحمى و هوى معانق



ترد الينا رسائل كثيرة تسأل عن الحكم فى المسلم الذى يترك أحكام دينه الواضحة فى القضايا والمسائل المعروضة عليه ، ويأخذ بغيرها من القوانين المستوردة المخالفة لأحكام الاسلام .. ويقول أصحاب هذه الرسائل . أليس هؤلاء ممن ينطبق عليهم قول الله تعالى ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) .

ونحن نحيل أصحاب هذه الرسائل الى فتاوى المرحوم الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السابق فى الرد على هذا السؤال نفسه . وهي منشورة فى كتابه « الفتاوى » ولكن اسعافا للسائلين وغيرهم ممن لا يتوفر لديهم هذا الكتاب ننقل نص ما جاء فيه قال رحمه الله وطيب ثراه : —

هذا السؤال لا يختص بالقاضي الذى يحكم حكما غير اسلامي ، وانما يتناول الحكام المسلمين الذين يأمرون بتقنين احكام غير اسلامية ، والمقننين المسلمين الذين يتولون وضع هذه الاحكام ، والمتخاصمين المسلمين الذين يتحاكمون اليها ، ويرضون بها ، بل ان حاجة هؤلاء الى معرفة حكم الاسلام فيهم أشد من حاجة القضاة الذين يحكمون بتلك الأحكام ، وخاصة من يكونون منهم فى بلد اسلامي ، ليس لغيره عليه سلطان فى تشريعه وأحكامه .

وقد شاع على ألسنة كثير من المسلمين المتدينين ان القضاة الذين يحكمون بالقانون الوضعي الذى تخالف احكامه احكام الاسلام كفار مرتدون عن الاسلام، معتمدين فى ذلك على ظاهر قوله تعالى من سورة المائدة ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) ويلزمهم أن يحكموا بكفر المقننين والآمرين بالتقنين ، فان هؤلاء — وان لم يكونوا يحكمون بها — قد وضعوها بأنفسهم ، أو أمروا بوضعها ، ولا شك أن واضعيها والآمرين بوضعها تبعتهم أشد من تبعة الحاكمين بها .

الحكم الاسلامي نوعان : قطعي واجتهادى

ولمعرفة الجواب الحق لهذا السؤال يجب أن نعلم أولا أن الحكم الاسلامي نوعان : حكم نص عليه القرآن أو السنة نصا صريحا لا يحتمل التأويل ، ولا يقبل الاجتهاد . ومثاله فى الاحوال الشخصية حرمة المطلقة ثلاث مرات على مطلقها حتى تتزوج غيره .

وفى المدنيات حرمة الأرباح التي استغلت فى سبيل الحصول عليها حاجة الفقير المحتاج المستحق للمعونة ، وتقسيم الميراث الذى ورد فى القرآن .

ومثاله فى العقوبات قطع يد السارق الذى توافرت فيه وفى سرقته شروط العقوبة .

هذا نوع ، والنوع الآخر حكم لم يرد به قرآن ولا سنة ، أو ورد به أحدهما ،

ولكن لم يكن الوارد به قطعيا فيه ، بل محتملا له ولغيره ، وكان بذلك محلا لاجتهاد الفقهاء والمشرعين ، فاجتهدوا فيه ، وكان لكل مجتهد رأيه ووجهة نظره . وأكثر الأحكام الاسلامية من هذا النوع الاجتهادى .

فى النوع الاجتهادى متسع للقاضي

واذا علمنا هذا استطعنا أن نقول فى الجواب عن السؤال ان الحكم فى النوع الثاني – وهو النوع الاجتهادى – ولو خالف جميع الآراء والمذاهب الاسلامية ما دام أساسه تحرى العدل والمصلحة لا اتباع الهوى والشهوة ، فان الاسلام لا يمنعه ، ولا يمقته فضلا عن أن يراه ردة يخرج القاضي به عن الاسلام ، ذلك أن الاسلام ليس له فى هذا النوع حكم معين وانما حكمه هو ما يصل اليه المجتهد باجتهاده المبني على تحرى المصلحة والعدل ، فمتى وجد العدل والمصلحة فثم شرع الله وحكمه .

متى يحكم بالكفر ؟

أما النوع الأول وهو الحكم القطعي المنصوص عليه فى كتاب الله ، أو سنة رسوله الثابتة التي لم يظهر فيها خصوصية الوقت أو الحال – فان الحكم بغيره ان كان مبنيا على اعتقاد أن غيره أفضل منه وأنه هو لا يحقق العدل ولا المصلحة كان ولا شك ردة يخرج به القاضي عن الاسلام .

أما اذا كان القاضي الذى حكم بغيره مؤمنا بحكم الله وانه هو العدل والمصلحة دون سواه ، ولكنه فى بلد غير اسلامي أو بلد اسلامي مغلوب على أمره فى الحكم والتشريع ، واضطر أن يحكم بغير حكم الله لمعنى آخر وراء الجحود والانكار ، فان الحكم فى تلك الحالة لا يكون كفرا ، وانما يكون معصية ، وهو نظير من يتناول الخمر وهو يعتقد حرمتها .

الواجب على القاضي المسلم

واذن يجب على القاضي المسلم أن يرد نفسه عن الحكم متى استطاع الى ذلك سبيلا ، واذا لم يستطع أن يرد نفسه خوفا من ضرر فادح يلحقه أو يلحق جماعته فان الاسلام يبيح له ذلك ارتكابا لأخف الضررين ما دام قلبه مطمئنا الى حكم الله .

تخريج آية المائدة

أما قوله تعالى « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » فقد جاء فى قوم يملكون أنفسهم وتشريعهم ويعرفون حكم الله ، ويرفضونه مؤثرين عليه حكم الهوى والشهوة ، وفى شأنهم يقول الله « من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » ويقول « ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » ومن هنا يتبين أن الآية الكريمة وهي « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ليست فى حق كل من حكم حكما غير اسلامي فى قضية ما .

الوعى : وحكم الاسلام على من قضى بغير ما أنزل الله بالكفر تارة ، وبالظلم ثانية ، وبالفسق مرة أخرى – أمر طبيعي ، فاننا نرى أصحاب المذاهب والمبادىء القديمة والحديثة يحاكمون كل من خرج على قوانينهم ومبادئهم ، ويعتبرونه متمردا ، وينزلون به أقسى العقوبات .

والقرآن الكريم أحكام الله التي شرعها لعباده ، وهو سبحانه غيور على شرعه وأحكامه وخلقه ، ومن الطبيعي أن يعتبر كل خارج على حكمه متمردا على الله ، مستحقا لعقابه فى الدنيا لخروجه عن السنن الحكيمة ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

(١) الآية ٤٢ من سورة المائدة .

حتمية انتصار الاسلام

بقلم الاستاذ احمد العناني

((كيف يمكن أن تـرد الناس الى كـذا وكيت مـن أنواع الملابس ؟)) .

((لا يا أخي ــ أتريد أن تبعث الطائفية من جديد ؟)) .

دع عنك ما تقول ــ الدين خاصية من خصائص مراحل زالت من التاريخ)) .

هاه ! الناس يصعدون الى الكواكب وأنتم تحدثوننا عن عهود الحريم والرقيق)) .

((لا ، لن يسمحوا لنا باعادة أيام الجهاد)) .

((الناس تقدمت يا أخي ، نريد مصانع .. نريد صواريخ)) .

((الدين لله والوطن للجميع .. ما لنا حتى ولعبارة دين الدولة الاسلام)) .

((ماذا ؟ نحن عرب وكفى !)) .

((كيف ؟ تريد أن تحرمنا من السينما وصالات الموسيقى ؟))

((هذه أيام الحرية ــ المرأة مثل الرجـل تماما .. هذه هي علامات الحرية)) .

((أين يوجد الاسلام ؟ تلك أيام جميلة مرت ! ايه ! أين هـم المسلمون ؟)) .

هـذه المجموعـة مـن الملاحظـات والتساؤلات تعبر عن الظواهر الانخذالية والمضللة ، وتكاد تلخص ما ينطلق مـن الكثيرين اما بغباء عفوى مصحوب بهـز الأكتاف ، أو بحقد ممرور يدب خفيـا ليموه على النوايا السـود ، أو بنذالـة مترهلة على السنة الذيـن تورطوا الى الأذقـان فى الفواحش ، وبهـروا حتى الجنون بالبهارج ، وارتدوا عن وعي أو غير وعي منهم عن دين الله الخالد .

ولقد توحي النظـرة السـطحية فى الأمور لأول وهلة أن سفينة الاسلام قد مزقت اشرعتها الرياح وتدفق فىخروقها الماء ، فلن تبق الا ساعات حتى يبتلعها اليم وتزول ، لكن النظرة العميقة التي تعرف الأوزان الحقيقية للاشياء،وتنطلق من تقييم دقيق نزيه للامور ، وتفهم عما يكون اليوم وما كان ، وتستشف بفطنة مواقع اقدام المستقبل وخطاه ، مثـل هذه النظرة تستطيع بسهولة أن تخترق ضباب الأزمة الراهنة ، وتنفذ من أستار الوهن البادى ، وترى الاسلام الظافـر وقد علا صوته على كل صوت ، وارتفعت رايته فوق كل راية ، وتداعت اليه الامم المحزونة المفجوعة أفواجـا تحت كـل كوكب تتفيأ فيه ظلال الأمن بعد هجير الضياع ، وتتعوض سكينة اليقـين مـن شـقاوات التشرد ، وتلتمس سـعادة السلام الحق بعد عذاب الهدوء المريب الخادع .

هذه النظرة الى المسـتقبل مردهـا الاحترام العميق للانسانية ، وأساسها أن الانسان أعظم قيمة دنيويـة ، وهي ليست ناشئة من أرقـام تحصى عـدد المسلمين ، أو تقدر مدى قوتهم وتسلحهم وعمرانهم كما يفعل السياسيون .. انها النظـرة التي تسـتنكف أن تحكم على متانة العمارة بفحص دهان الأبواب وطلاء النوافذ ،أو حياة الشـجرة بتسـاقط أوراق لها فى دورة العام المتجددة ... ان الذين يحكمون على الاسلام ومستقبله بمجرد النظر فى جزئيات قشرية مـن سرحته الضرابة الجذور فى الارض ، انما يشبهون طائفة العميان فى الأقصوصـة المعروفة حين يتعرف واحدهم على الفيل لأول مرة فيحكم على حجمـه بالقياس لأذنه التي تقع عليها يدهبمحض الصدفة.

صحيح أن البـون شاسع بـين مـا ينبغي أن يكون من حال المجتمعالاسلامي وبين ما هو كائن فعـلا ، وصـحيح ان انحرافات خطيرة قد حدثت فى الماضي ، وحادثة فى الحاضر ، ولكن كل النكسات التي حصلت وكل الزيغ الذى يحصل وأضعافذلك وهذا ــ هيجميعها أضعف مـن أن تتحـدى الوجـود الاسـلامي وقابلياته المتوفرة للانطلاق ، وهي كلها أعجز عن أن تكم ومضات نـوره الباقي بين غيـوم التحديات المتنوعـة كتنوع الأجيال وحوادث الأيام .

ومن الخطأ الفادح أن يقارن مصـير الاسلام بأية مصائر انتهت اليها الاديان أو المبادىء الثورية اللادينية لأسـباب كثيرة اليك أهمها :

أولا ــ ان القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لم يلحق به تغيير أو تبديل أو تحريف ، أو اصابه مس أو غامت صفحته بشك أو ريبة مـن أى نوع .. فهو قائم موجود ، حامل آيته المعجزة بكل روائها على هامات الأجيال

وفى هذا الكتاب الكريم كل الدلائل على الوهيته لم يناقضها أى نشاط لتطور الذهنية البشرية ، بل ان هذا التطور انما يكشف الآفاق المستورة لمعانيه العجيبة ، ويقيم فى كل يوم دليلا على أنه حق وتنزيل ، وأنه الوعاء الهائل السعة الذي ينتظم التوجيه المستوعب لنشاطات الوجود البشرى فى كل مجالات الحق والخير والابداع ، والذى ما يزال يشع الدوافع الباعثة لسمو النشاط الانساني الايجابي فى متاهات المجاهيل الشواسع .

وثانيا ــ ان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحمل جميع نماذج التطبيق فى نطاق النفس الانسانية وسلوكها لمبادىء القرآن الكريم على الحياة الناجحة المثلى فى أروع صور الحياة الكريمة .

وثالثا ــ حقق الاسلام أسمى أحلام الانسانية الشريفة باقامته نموذجا عمليا للدولة السعيدة التى تصور هدف البشر فى قيام الحكومة المثلى التي يتمثل فيها أقصى حد ممكن التحقيق من الحياة الطيبة حيث لا يضار الفرد بالحكومة فى نطاق كفاءته وحرياته ، ولا تضار الحكومة بطغيان فرد أو طموحه ، وحيث الشريعة الالهية السمحة فوق كل سلطة كائنة ما كانت ، وحيث تنعدم فرص الاستغلال والاستغفال بسلطان الشرع ، وبعزوف الفرد واستنكافه عن التضحية برضا ربه لمطامح الأهواء الجانحة ، وحيث الكفاية هي وسيلة الرفعة من دون العصبيات والاحساب والالوان ، وحيث الزكاة عبادة وضريبة يسارع الفرد لأدائها من قبل التفكير فى سلطان الدولة ، وحيث يقوم التوازن الرائع الذى يحفظ الفروق بين الأفراد فى حظوظ الحياة فروقا معقولة ، بالقدر الذى يجعل الحياة مفتوحة المجال لعلو الهمة صحيحة الشهية للعمل والانتاج ، وحيث العمل والحرفة واجب،والاحتكار والربا والغبن والغش تخرج أصحابها من الجماعة المتآخية الربانية المتعاونة على المعروف المتناهية عن المنكر .

رابعا ــ ان الهندسة المعجزة لنظام الاسلام تجعل فيه قابليات هائلة لمواجهة الظروف المختلفة ويبدو لي هذا البنيان وكأنما أنشىء من حجيرات فسيفسائية على أمتن جانب من الصلابة تتشكل فى مجموعات متلاحمة الالتصاق فوق سطح داخلي مصبوب فى قطعة مستحيلة التمزق ، ولقد تستطيع الرجات والهزاهز وعوامل الزمن أن تغشى ظاهر الفسيفساء بالغبار ، أو تنتزع بعض حصبائها أو تفتت بعض زوايا الحصباء الصغيرة ، ولكن يستطاع فى كل وقت أن يفسل ظاهر البناء وأن يرمم فى مكان الحجيرات المنزوعة عن السطح الداخلي الثابت فاذا كل شيء فى جدته وعظمته .

ولن أترك هذا التشبيه التمثيلي كما يقول البلاغيون قبل أن أوضح عناصره واحدا فى أثر واحد . ان الحصباء الكثيرة الأعداد من الفسيفساء تمثل الأفراد المسلمين فى مختلف العصور ، والمجموعات المتقاربة منها تمثل الأسر المسلمة ، والسطح الداخلي هو العناصر الثابتة من القرآن والسنة مندرجةفيهما صورة الحكومة الاسلامية المثلى وعلى رأسها رجل الانسانية الأمثل محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد أثبتت عبقرية الاسلام الخاصة على مدى التجارب التاريخية أن الفرد المسلم الواحد له من القدرة على البقاء، والشجاعة فى المواجهة بحيث يستطيع الاحتفاظ بدينه ووجهة نظره فى الحياة تحت أقسى النظم الاجتماعية والسياسية التي تخالف دينه كل المخالفة، وسر ذلك فى التجاوب الكامل بين الذات المسلمة وغايات الحياة المثلى .. فمن اخذ الاسلام واعيا فاهما وجد نفسه تحت فيض متواصل من أشعة النفس الداخلية .. فالمسلم كفرد يطلب منه الا يخاف شيئا الا ذنبه، ولا يرجون أحدا الا ربه، وهو يعلم أن العمر والرزق موقوفان على ارادة الله، وأن الله محييه وموفق سعيه وناصره ما احتمى بالمسلك المؤمن المستقيم، وهو يعلم أن المطلوب بذله منه هو جهد طاقته، ويعلم أن الله تعالى الذى يرانا حيث لا نراه، ويطلع على سرائر أنفسنا وما خفى منها هو اله عادل لا يظلم أبدا، ورحيم لا تخفى دلائل رحمته الا حيث يريد رب الغيوب خيرا دق عن الفهم .. هذا المسلم الفرد الذى لا يخاف الا من ذنوبه ومنها الكسل والعزوف عن احتراف العمل ومجانبة السعي الايجابي فى كل درب خير، يستطيع أن يعيش مع أقسى الظروف المعادية له طالما أنه لا يستطيع مخلصا مدافعتها .. ان له عالما فى داخل نفسه يتحدى كل عادية لا ترد، ويطمئن الى كل قدر لا يغالب، وهو يمارس الوعي على عالمه هذا فى صلواته، وفى تذكره الدائب لعلاقته بربه والكون الذى أحاطه به ربه، وهو يحاول جاهدا أن يجعل المحيط الذى حوله محيطا مهتديا بارادة الله الخيرة، ولكنه يعلم أنه غير مسئول عما يتجاوز اصلاحه . طاقته الفردية .

ويتصل هذا الفرد المسلم بربه مباشرة يناجيه ويستأنس باستلهام عونه وتلاوة كتابه، وهو يعرف أن صلاته ونسكه ومحياه ومماته لربه، يؤدى فروض الله ويعبد الهه فى علاقته بوالديه، ورعايته لأطفاله، وصلته لرحمه وفى كيفية العمل والمتاجرة والتقارب أو التباعد عن خلق الله .. كل ذلك وفق المرسوم فى القرآن والسنة، و فى خارج ذلك يتنشق المسلم أنسام حرية مثلى، ويتجاوز مع الاقارب والأباعد فى حدود ما أحل الله ـ هذا بالنسبة للفرد والى بقية الحديث فى العدد القادم باذن الله .

قيمة الرجل عقله

عن أنس بن مالك قال : أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا، فقال رسول الله كيف عقله ؟ فقالوا : نخبرك عن اجتهاده فى العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله ! .

فقال عليه الصلاة والسلام ان الأحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر، وترتفع العباد غدا فى الدرجات على قدر عقولهم .

■

● ان القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة .

● رحم الله عبدا تكلم بخير فغنم او سكت فسلم .



يخطىء بعض الذين تصدوا لكتابة التاريخ الاسلامي اذ يصورون الفتوحات الاسلامية على انها مجرد أعمال عسكرية استهدفت تحقيق الامجاد وتوسيع رقعة الارض التي يسيطر عليها المسلمون .. فهم ينظرون اليها بمنظارهم المادى البحت ، وقد أدت هذه النظرة الخاطئة الى جنوحهم لتكريس بطولات نفر قليل من أبطال تلك الفتوحات ـ باعتبارهم شخصيات فذة طامحة الى السلطة .. مما سهل عليهم بناء «الامبراطورية العربية » فى زمن قياسي ..

والحقيقة التي يجب ألا تغرب عن البال لدى دراسة الفتوحات الاسلامية ـ هى أنها استهدفت نشر الدين الاسلامى أولا ـ وأخيرا ـ باعتباره دين الهداية البشرية جمعاء ، وأما الاهداف الفرعية الأخرى فهي ان وجدت فانما هي تابعة للهدف الأساسي .. وعلى ضوء هذه الحقيقة نستطيع فهم أسرار التضحيات الكبيرة والبسالة الفائقة فى مواجهة العدو فقد كان المجاهد يقاتل بائعا دنياه بآخرته مرتضيا لنفسه الشهادة باعتبارها الطريق الى جنان الخلود ..

الى جانب الهدف السامى والايمان العميق به والاستعداد للتضحية فى سبيله فقد هيأ الله تعالى لهذه الفتوحات نخبة ممتازة من الرجال ، أتقنت فن الحرب وابتكرت أروع أساليب القتال حتى أن المعاهد العسكرية الراقية لا تزال تدرس خططهم واستراتيجيتهم حتى اليوم ..

ولئن كانت الفتوحات الاسلامية لم تحتل مكانتها التاريخية الرفيعة الا فى عهد الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب ، فان الحديث عنها يجب أن يتجه أولا الى البداية الفذة التي انطلقت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تلك البداية التى نسج على منوالها خليفته أبو بكر الصديق وجاء من بعده عمر ليتابعها .

مقدمة فتح الشام فى عهد الرسول

كانت معركة مؤتة ذات طابع استطلاعي كمقدمة لفتح الشام ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جهز حملة عددها (٣٠٠٠) مقاتل بقيادة زيد ابن حارثة وان استشهد فجعفر بن أبي طالب، وان

دراسة أعدها
الاستاذ موفق بني المرجة
محرر بمجلة الكويت

السيطرة وإنما نشر الدعوة مازالت خططهو تدرس حتى اليوم

استشهد فعبد اللهبن رواحة،فاناستشهد فعليهم بانتخاب أميرهم ، وكان هدفها تأديب القبائل القحطانية التي كانت تعتدى على قوافل المسلمين والانتقام من أمير بصرى لسكوته على قتل رسول النبي صلى الله عليه وسلم والاستيلاء على السيوف المشرفية وأماكن صناعتها في مؤتة والمدن والقرى المجاورة كي يستعملها المسلمون في هجومهم المقبل على مكة ، فنمىخبر الحملة الى الغساسنة، فاستعدوا استعدادا عظيما واستنجدوا بهرقل فارسل لمساعدتهم جيشا كبيرا بلغ عدده (١٠٠) ألف مقاتل بقيادة أخيه تيودور .

خالد والانسحاب العبقري

تقدم المسلمون حتى دخلوا البلقاء في شرق الاردن ، ولما رأوا ضخامة جيش الاعداء تراجعوا الى قرية مؤتة (جنوب شرقي البحر الميت بين الكرك والطفيلة) ولوجود الموانع الطبيعية التي يستطيعون التحصن بها (لقلة عددهم) فهاجمهم البيزنطيون والغساسنة واستشهد زيد ثم جعفر ثم عبد الله ، فتحرج موقف المسلمين حتى تولى القيادة خالد بن الوليد ، فأعاد تنظيم قواته ليلا وانسحب بالمسلمين انسحابا عسكريا دل على عبقريته وخططه المحكمة ، وجدارته بلقب سيف الله المسلول الذى اطلقه عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعد تلك المعركة وحينما عادوا الى المدينة المنورة استقبلهم أهلها بقولهم : (يا فرار فررتم في سبيل الله) ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أجابهم : « انهم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار أن شاء الله » (١) .

ثأر المسلمين بعد الرسول

هذا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اعد حملة بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة ــ وجهتها مشارف الشام للأخذ بثأر ابيه الذى قتل في معركة مؤتة ، فحال مرض النبي صلى الله عليه وسلم دون ارسالها . فلما ولي أبو بكر الخلافة

(١)من كتاب « الرسول القائد » للعقيد أ . ح . شيت خطاب ــ المطبعة الاسلامية .

بادر بارسال الحملة تنفيذا لأمر الرسول الكريم فوصلت الى أيلة (العقبة) وجبال الكرك ، ثم عادت الى المدينة غانمة بعد غياب أربعين يوما . وكانت هذه الحملة ـ كحملة مؤتة ـ مقدمة للفتوحات الاسلامية فى بلاد الشام ، وقد عرفت بغزوة «ذات السلاسل» التي اعادت للمسلمين هيبتهم كما مكنتهم من الحصول على الكثير من المعلومات الاستطلاعية للفتوحات القادمة ..

فتح الشام فى عهد أبى بكر

وفى سنة ٦٣٢ م . ارسل ابو بكر أربعة جيوش لفتح الشام بقيادة يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق ، وشرحبيل بن حسنة ووجهته الاردن (وقد اتخذ الاثنان طريق تبوك ـ معان) ، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين (وقد اتخذ الطريق الساحلية الى ايله) ، وأبى عبيدة ووجهته حمص (وقد اتخذ طريق الحجاج المشهور من المدينة الى دمشق) واليه اسندت القيادة العامة . وقد اختلف المؤرخون فى عدد هذه الجيوش فجعلوه يتراوح بين ٢٥ ـ ٣٦ ألفا .

أول اشتباك فى فلسطين

وقع الاشتباك الاول بين العرب من جهة و(سرجيوس) حاكم فلسطين الرومى من جهة اخرى فى وادى العربة ، فانتصر المسلمون وأخذ عمر يتقدم فى فلسطين .

فتح مصر والعراق والشام

كان هرقل فى أورقة ولما رأى تقدم الجيوش العربية الكاسح قام بتجهيز جيش لجب لصد العرب بقيادة أخيه تيودور . ويقول بعض المؤرخين انه عندما رأت جيوش المسلمين ـ تجمع الروم فى جيش واحد ، خافوا أن يغلبوا منفردين فاجتمعوا على اليرموك ، وحصروا الروم فى شهر صفر والربيعين دون أن ينالوا منهم شيئا ، فاستنجدوا بأبي بكر الذى كان ما يزال حيا فى ذلك الوقت ، واستشاروه فى توحيد جيوشهم كما أشار بذلك عمرو بن العاص فوافق الخليفة ، فجمع كنانته وعجم عيدانها فلم يجد أصلب من خالد ولا أمرَّ منه مكسرا فاستطاب فكرة ارساله مددا الى الشام وقال : « خالد لها ، والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » . وبعث اليه لتوه بكتاب (١) يأمره بالسفر الى الشام سنة ٦٣٤ م :

فترك القيادة العامة فى العراق للمثنى ومعه نصف الجيش وسار هو بالنصف الآخر الى سوريا ، وقد اختلف المؤرخون فى الطريق التي سلكها خالد بن الوليد فيقول المؤرخ (فيليب حتي) انه سار من الحيرة الى دومة الجندل المسماة اليوم بالجوف . وكان يمكنه أن يسير منها الى بصرى عن طريق وادى سرحان لولا وجود قلاع رومية محصنة فى طريقه ، ولذلك سار من دومة الجندل الى قراقر ، ثم اقتحم البوابة الثانية لسوريا ، وبين المكانين صحراء مجدبة ، استغرق فى قطعها خمسة أيام كان دليله فيها رافع ابن عمير الطائي ، وقد ذاقوا خلال هذه الايام صنوف المشاق وألوان العذاب ، فوصل الى أطراف دمشق بعد ١٨ يوما ، وظهر فى مؤخرة الجيش الرومي وهناك بدأ عملياته العسكرية ، فهزم الغساسنة فى مرج راهط شرقي دمشق .

خالد ومرج راهط

لكن أكثر المؤرخين يقولون ان خالدا سار من الحيرة الى تدمر ومنها الى مرج راهط ، ونحن نستصوب هذا الرأى لقصر الطريق وصلاحيتها بعكس الطريق الأول الملتوية التي تستغرق وقتا اطول ، وثانيا لا لزوم للمسير الى دومة الجندل ما دامت القلاع المحصنة قائمة فى الطريق الى بصرى البوابة الاولى لسوريا .

(١) وكان نص الكتاب كما يلي : « امض مخففا فى أهل القوة من اصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك من الطريق ، وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى ابا عبيدة الجراح ومن معه من المسلمين واذا التقيتم فانت امير الجماعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

سار خالد بعد انتصاره فى مرج راهط الى بصرى فافتتحها ثم تقدم ليلتقى بالجيوش العربية عند اليرموك .

التمهيد لمعركة اليرموك

فى أثناء ذلك كان هرقل قد اتم جمع جيشه الكبير وتقدم ليواجه العرب عند اليرموك بجزيرة العرب وهناك وقعت المعركة الفاصلة فى شهر آب سنة ٦٣٤ م.

معركة اليرموك

اجتمع الفريقان عند اليرموك وهو رافد لنهر الأردن يصب فيه جنوب بحيرة طبرية بقليل ، وكان جيش الروم يتراوح بين (١٤٠) الفا حسب تقدير المصادر الاجنبية و ٢٤٠ الفا حسب تقدير المصادر العربية ، ويقول المؤرخ (جبون) انه كان فى جيش الروم ٦٠ الفا من الجنود العرب بقيادة جبلة بن الايهم آخر ملوك الغساسنة ، كما كان فيه عدد كبير من الارمن بقيادة ملكهم ماهان .

المعركة الفاصلة

عبأ خالد جيش المسلمين البالغ أربعين ألفا تعبئة ممتازة ، فجعل فى قلبه كردوسا ، (الكردوس ١٠٠٠ جندى) ، وعليهم أبو عبيدة ، وفى ميمنته ١٠ كراديس عليهم شرحبيل بن حسنه وعمرو بن العاص،وفى ميسرته ١٠ كراديس عليهم يزيد بن أبى سفيان وعين أبا سفيان قاصا لتحميس الجنود ، وجعل على كل كردوس بطلا من المسلمين كالقعقاع وعكرمة وعياض ، واشتركت النساء المسلمات فى القتال وتضميد الجراح وتقديم الماء ، وبينما المعركة على اشد ما تكون جاء البريد من المدينة حاملا الى خالد رسالة العزل ، فطلب الى رجل البريد الا يخبر الجند لئلا تهن عزائمهم ووضع الرسالة فى كنانة سهامه ، ولسان حاله يقول :

انا نحارب كي يرضى الجهاد بنا
ولا نحارب كي يرضى بنا عمر

ودامت المعركة يوما وليلة، انتصر فيها المسلمون وقتل وغرق من الروم عدد كبير ، ولم يزد عدد شهداء المسلمين عن ٣٠٠٠ جندى .

كانت هذه المعركة فاصلة لأن سوريا كلها قد سقطت بعدها فى يد العرب دون قتال يذكر،وارتحل هرقل الى القسطنطينية تاركا سوريا لمصيرها ، وودعها قائلا : (سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده .. فهاهم جرذان الصحراء قد استولوا على ملكنا وحطموا سلطاننا) .

تعيين أبى عبيدة

كان عمر قد عيّن ابا عبيدة قائدا عاما للجيوش، بينما كان أبو بكر قد ذكر فى رسالته السالفة الموجهةالىخالد التى يأمره فيها بالمسيرة الىالشام ويعينه أميرا للجماعة بشكل صريح ،ويقول بعض المؤرخين بأن قواد الجيوش كانوا قد انتخبوا خالدا لقيادة معركة اليرموك ، والبعض الآخر يقول بأن الجيوش الأربعة كانت تحارب الروم على انفراد ، فخطب خالد الامراء والقواد وطلب اليهم توحيد الجيوش وقال (فلنتعاور الامارةوليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدا ودعوني أليكم اليوم) .

وفىهذهالسنة،أىسنة ٦٣٤م حمَّ وتوفى أبو بكر رضي الله عنه ، بعد ان استخلف على المسلمين الفاروق عمر بن الخطاب ، حيث اشرف على الناس وقال « أترضون بمن استخلف عليكم فاني والله ما وليت ذا قرابة وانيوليت عليكم عمر بنالخطاب فاسمعوا له واطيعوا » فقالوا (سمعنا واطعنا) . وقد بويع عمر بالخلافة فى يوم وفاة أبى بكر ، واشتهر بالعدل والحزم واتصف بالزهد والتفاني فى خدمة الدين ، وكانت فاتحة أعماله ارسال المدد الى المسلمين فى العراق وتعيين ابي عبيدة قائدا عاما للمسلمين فى الشام .

وبعد المعركة اعيدت القيادة لأبي عبيدة فسار شمالا واستمر فى فتح مدن شمال سوريا حتىوصل الى جبال طوروس ولم تقف فى طريقه سوى قنسرين .

فتح دمشق

تقدم خالد فحاصر دمشق ، فسلمت له سنة ٦٣٥ م بعد حصار ستة أشهر على رأى المؤرخ (فيليب حتي) وسبعين يوما على رأى غيره ، بفضل مهارة المسلمين ومؤازرة رجال الدين المسيحيين وبعض السكان فيها ، وكانت الجزية دينارا واحدا وجريبا من القمح عن كل فرد . وكانت دمشق اذ ذاك منيعة جدا وكانخالد ساهرا دائما يراقب تحركات العدو حتى شاهد غفلة من

الحراس الذين غادروا اماكنهم ، فاستنتج هـذه الفرصة وتسلق السور بواسطة سلالم من الحبال اعدها لهذا الغرض ، فتبعه القعقاع ساعده الأيمن ومذعور بن عدى ، فقتلوا الحراس ونصبوا سلالم اخرى من الحبال رقي بواسطتها اركانهالى السور ثم انحدروا الى الداخل وفاجأوا حراس الابواب ، فقتلوهم وفتحوا الابواب وراحوا يكبرون ، فهجم المسلمون ودخلوا من الابواب المفتوحة . وذعـر الروم لهذه الواقعة وسارعوا لمصالحة ابي عبيدة ، فدخل المدينة صلحا والتقى القائدان فى منتصفها هذا مقاتل وهذا مصالح ، فطلب ابو عبيدة الى خالد أن يكف السيف عنهم ، وفتحت المدينة ثم فتح بعلبك وحمص وحماه .

معركة فحل

ثم تقدم المسلمون الى فحـل ، ـ مـن أعمال الاردن ـ وكان على مقدمة الجيش البطل الخالد خالد بن الوليد ، وفى ربى فحل اشتبك الجيشان فى معركة خاطفة انهار فيها الروم، فتقدم المسلمون واحتلوها سنة ٦٣٥ م ومنها تابعوا زحفهم الي دمشق .

فتح قنسرين

وهي قلعة حصينة لجا اليها أهلها والجنود المنهزمون من المعارك وصمموا على الثبات فيهـا فامر أبو عبيدة خالدا بفتحها ، فزحف عليها ابو سليمان (كنية خالد بن الوليد) والتقى بجموع الروم بقيادة (ميناس) فدافعـوا دفاع اليائس ولكنه أطبق عليهم وفلجموعهم،ثم تابع زحفه الى المدينة فاعتصم اهلها بها وقرروا مواصلة الدفاع ، فغضب خالد وبعث اليهم (انـكم لو كنتـم فى السحاب لحملنا الله اليكم أو لأنزلـكم الينا) فصالحوه على صـلح فابى ودخل المدينـة عنوة وخربهـا .

وصار كل قائد الى المنطقة التي خصصت لـه سابقا ، ورجع عمرو بن العاص الى فلسطين التي لم يبق فيها معاقل سوى قيسارية وعسـقلان والقدس ثم اقتحم هو وشرحبيل بنحسنة بيسان، عندئذ جمع الروم لعمرو جيشا عظيما بقيادة شقيق هرقل،ودارت بين الفريقين معركة هائلة انتصر فيها المسلمون وهى معركة اجنادين وبعدها أصبحالطريق ممهدا لفتح مصر .

فتح القدس

وقد سلمت القدس صلحا بعد حصار شديد سنة ١٥ هـ و ٦٣٧ م ، للخليفة عمر بن الخطاب الذى كان قد قدم من المدينة الى الجابية لتفقد جيوش المسلمين ومباحثة قواده فىادارة ما فتحوه، وكان فى استقباله خالد بن الوليد وأبـو عبيدة الجراح ، ولقد شهد خالد فتح القـدس وشارك فى حصارها ، ومن هناك سار الخليفة الى القدس ومعه كبار قواده وتسـلمها مـن البطريـرك (صفرونيوس) .

مرض الطاعون .. ومجيء معاوية

صادف أن حدث طاعون فى فلسطين اثناء وجود أبو عبيدة وبعض القواد ، سمي طاعون عمواس ، نسبة الى قرية عمواس وهي قرية تبعد نحو ١٧ كم الى الشمال الغربي مـن القدس ، فأباد ٢٠ ألفا من الجنود ومات فيه القائد أبـو عبيدة ، فاسندت الادارة العامة لمعاذ بن جبـل ، فمات بنفس الوباء فاسندت الى يزيد بن أبى سفيان فمات أيضا ، فتولى ولاية الشام كلها من بعـده اخوه معاوية .

يهودى يساعد على فتح قيسارية

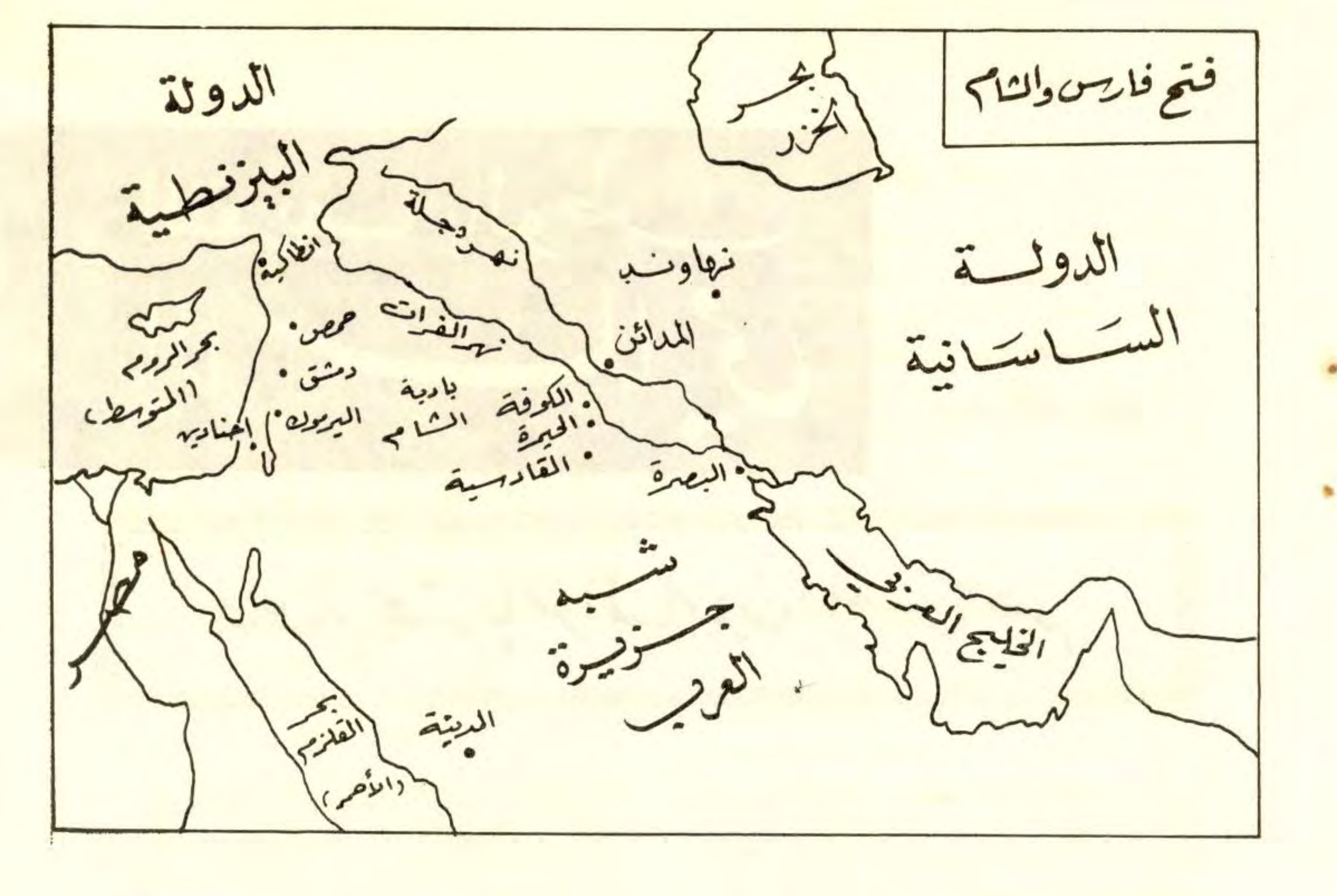
اما قيسارية فقد استعصت على المسلمين مدة لوصول المدد اليها من البحر ولم تسقط الا سنة ٦٤٠ م ، على يد معاوية الذى قام بهجوم ضـار ساعدته فيه خيانة يهودى داخلها دلته على نفق تسلل منه الجنود . وقد أبدى عمرو بن العاص بسالة ودهاء وحنكة فى التحضير للمعركة ..

وهكذا تم للمسلمين فتح جميع المناطق السورية وبسطوا سلطانهم على أراضيها وأخذوا يتوطنون فيها تدريجيا حتى اصبح الملك بايديهـم فاعدوا قاعدة للانطلاق نحو الفتوحات الواسعة التي تمت فيما بعد ..

ادارة سوريا

قسم العرب سوريا بعد الفتح مباشرة الى (٤) مناطق عسكرية سميت اجنـادا كما كانت زمـن الرومان والبيزنطيين وهي :

أ ـ جند فلسطين ومركزه الرملة ويشمل الجزء الجنوبي من فلسطين وشرق الاردن جنوبي مـرج ابن عامر .



ب ـ جند الاردن ومركزه طبرية ويشمل القسم الشمالي من فلسطين وشرق الاردن أى يضم جبال الجليل حتى بادية الشام .

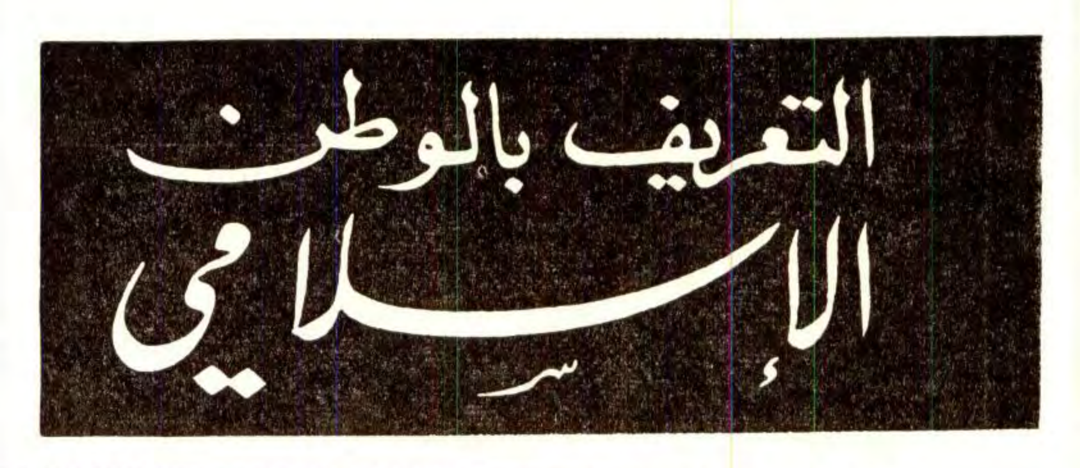
ج ـ جند دمشق ومركزه دمشق ويضم القسم الجنوبي من سوريا ولبنان .

د ـ جند حمص ومركزه حمص ويشمل القسم الباقي من سوريا .

أما جند قنسرين الذى كان يشمل الجزء الشمالي من سوريا فقد اقتطع من جند حمص وأصبح وحدة ادارية خاصة زمن يزيد الاول الاموى وكانت تسمى مدنه بالثغور لمجاورتها للروم، وفى أيام الرشيد فصل الجزء الشمالي من جند قنسرين وجعل جندا خاصا سمي العواصم .

فتح العراق

قام المثنى بن حارثة الشيباني بمهاجمة العرب اللخميين التابعين للفرس على حدود العراق متشجعا بانتصار الشيبانيين السابق على الفرس فى معركة (ذى قار) سنة ٦١٠ م . لكن لما بدأ الفرس يرسلون المدد الى عرب الحيرة خاف المثنى سوء العاقبة فاستنجد بأبي بكر وهوّن عليه امر الفرس واظهر له سهولة انتصار العرب ، ومن هذا نرى أن الظروف هي التي جعلت ابا بكر يرسل جيشا لفتح العراق وهو بادىء فى حملة الشام ، ارسل ابو بكر مددا للمثنى بقيادة خالد بن الوليد وعياض بن غانم ، وكانت وجهة عياض الشمال ووجهة خالد الحيرة ، فقام خالد بسلسلة من المعارك ضد الفرس اتسمت بطابع الجرأة والاقدام والمباغتة وسرعة الحركة، ففتح خالد والمثنى الحيرة سنة ٦٣٣ م ،وفتح خالد وحده عين التمر حتى تم تأمين حوض الفرات ، ثم اتجه الى دومة الجندل وانقذ زميله عياض وعاد الى قاعدته الحيرة . ولما أمره ابو بكر بالسفر الى سوريا سنة ٦٣٤ م ترك القيادة العامة وأمور البلاد المفتوحة فى العراق للمثنى ومعه نصف الجيش . وسار هو بالنصف الآخر الى سوريا لنجدة الجيوش الاسلامية التي تجمعت فى اليرموك .



بقلم
محمد الحسناوي

ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم

يوماً بعد يوم تبدو أهمية التعريف بالوطن الاسلامى(١) أرضا وسكانا واحوالا، فالوطن الاسلامي هو التجسيد المادي للاسلام بشكل ما ، وهو مهد البطولات والأمجاد والحضارات فى الماضي ، ومنبع الثروات والقوة البشرية ، ومحط الانظار والمؤامرات فى الحاضر . ولما كان الناس ينظرون الى المسلمين نظرهم الى الاسلام ، ولما كان مصير الاسلام ذا علاقة بمصير المسلمين ، ولما كانت الجماهير والنفوس البشرية اكثر تحسساً وفهماً للمدركات الحسية(٢) ، ولما كانت مشكلات بعض الاقطار الاسلامية ترتد بالأثر على الاقطار الاخرى . وجب تقدير هذا الميدان حق قدره .

لقد خطت بعض الشعوب الاسلامية لا سيما العرب – خطوات فى التعرف على وطنهم المباشر ، فالوطن العربي مثلا بحدوده (من المحيط الى الخليج) وجغرافيته واقتصاده ، ومشكلاته السياسية والاجتماعية ، أضحى بمثابة الأحرف الابجدية فى أفواه الاجيال العربية ، وعقولها وضمائرها . ومن يقصر فى هذه الامور فانه متهم فى وعيه أو عقله أو ثقافته ، بل فى وطنيته كذلك . ولم يصل العرب الى ما وصلوا اليه فى التعرف على وطنهم المباشر بالوراثة او التحصيل العفوي ، بل بالتخطيط والدراسة ، واستخدام أجهزة التعليم والتوجيه والتوعية جميعا . فمن أناشيد الاطفال ، الى مناهج التعليم ، الى اجهزة الاعلام ، الى انظمة الدولة والجمعيات والاحزاب والنوادي ، الى كل مسألة صغيرة وكبيرة

---

(١) الوطن الاسلامي : هو العالم الاسلامي بأسره ، أو هو مجموع الاقطار التي يدين اهلها او غالبية اهلها بالاسلام حرة كانت ام مستعمرة . وهو يمتد (من المحيط الى المحيط) اى من المحيط الهندي الى المحيط الاطلسي . من أبرز اقطاره : العالم العربي – ايران – تركيا – اندونيسيا – باكستان .

(٢) – يراجع كتاب (التربية وطرق التدريس) لصالح عبد العزيز وزميله فى موضوعي (التعلم بطريق الادراك الحسي ص ١٩٥ – ج ١) و (وسائل الايضاح ص ٢٨١ – ج ١) .

تتصل بمعايش العرب وتفكيرهم . وكان **لهذا أثره على الوعي ، والرغبة فى ازالة** الحواجز بين الاقطار العربية،والاحساس المشترك فى السراء والضراء ، والتعاون المتزايد العاطفي والعملي على حل المشاكل ، وكل ما من شأنه تحقيق الوحدة والسلامة والرفاه . ومثل هذه الخطوة الضرورية لكل شعب مسلم هي حلقة فى سلسلة التعريف بالوطن الاسلامي . فاذا قعد العاملون للاسلام ، والحريصون على خير شعوبهم ، عند هذه الحلقة ، ولم يصلوا فيما بين **الحلقات الاخرى بالربط والمقارنة ،** وتبادل الخبرات ، انعكست الآية،وانقلب التعريف بالاوطان المحلية اقليمية وانغلاقاً . وربما اصبح عصبية جاهلية ، يؤججها الجهل ، او المصالح الخاصة ، او التوجيه المعادي للاسلام .

هناك امثلة حية توضح مغزى معرفة الوطن الاسلامي أو الجهل به : فكم تذيع الاذاعات انباء عن كشمير ، او قبرص ، او عن اريتريا ، او الصومال،اومدغشقر، **وهي تنطوي على الثبور وعظائم الامور .** والمواطن المسلم العربي وغير العربي لا يعيرها الاهتمام اللازم ! ! انه يسمع بهذه الاسماء لاول مرة ، او من خلال وجهة نظر معينة ، ما انزل الله بها من سلطان ، فما هي كشمير ، وأين تقع ؟ ومن هم القبارصة الاتراك ، وما صلتنا بهم ؟ ! لماذا تقف بعض الحكومات « الاسلامية » موقفاً مخزياً من قضية فلسطين ؟ ! لماذا يضرب المسلمون بعضهم بعضاً وهم يعلمون ان المؤمنين اذا التقيا بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار ؟ ! .

اما وقد بلغت الشعوب الاسلامية حداً جيدا من معرفة أوطانها المحلية ، ونما الوعي الاسلامي فى كثير من الاقطار **الاسلامية ، فان الحاجة تدعو الى تعريف** المسلمين بعضهم ببعض ، مما يساعد على لقاء شعوبهم ، وتعاون حكوماتهم،وتكامل هيئاتهم الاسلامية والعلمية ، وتوحيد **جهودهم جميعا في التحرر** والاستقلال والبناء ، ودفع العدوان ، **ونبذ الاحلاف الاجنبية وتبادل الخيرات** والانتاج والعلوم من جهة ، وقطع السبيل على الاستعمار ، والاقليمية والعنصرية والصهيونية أن تفت فى عضدهم ، أو تستغل جهلهم وتجزئة اوطانهم .

فاذا اقتنعنا باهمية التعريف بالوطن الاسلامي وخطورته ، فالواجب ان نتلمس السبل الملائمة المؤدية اليه . وقبل الشروع فى بحث هذه السبل ... **يحسن ان نلاحظ فى أساليب العروض** ثلاثة امور :

١ ـ ان عقد صلة بين الوطن الاسلامي العام ، والوطن المحلي الخاص : كتصوير القطر المحلي حلقة من سلسلة الاقطار الاسلامية ، أو ركنا فى اطار لوحة اكبر ، **وابراز صلات القربى الفكرية والتكامل** الاقتصادى ، أو وحدة التاريخ والآمال والآلام المشتركة ووحدة المصير .

٢ ـ **الاهتمام بجوانب الوطن الاسلامي** الرئيسية مثل : (الارض ـ السكان ـ الثروات ـ العواصم ...) .

٣ ـ افراد أبحاث خاصة للمشاكل التي تهم كل قطر على حدة ، أوتهم العالم الاسلامي بأسره مثل مشكلة (فلسطين) و (كشمير) و (اريتريا) .

وسبيل التعريف بالوطن الاسلامي

البقية على ص ٦٨



التوحيد فطرة

سعى الاساقفة الى تنصير المنذر الثالث ملك الحيرة ، وبينما كان المنذر ينصت الى حديثهم اذ دخل عليه أحد قواده فأسر اليه بضع كلمات ، فبدت على اسارير الملك امارات الحزن ، فسأله احد القسس عما أشجاه فقال لـه : أن رئيس الملائكة قد مات ، فرد القسيس : يستحيل ، فقال المنذر : أحق ما تقول ، وتريد أن تقنعني بأن الله ذاته صلب ومات .

هيبة النبوة

أراد فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت ، فلما دنا منه التفت اليه النبي فقال له :

أفضاله ؟ قال : نعم . فضالة يا رسول الله .

قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء . أذكر الله .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : استغفر الله .. ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه .

قال فضاله : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله أحب الي منه .

الرخاء فى عهد عثمان

قال الحسن البصرى : شهدت منادى عثمان رضي الله عنه ينادي يأيها الناس اغدوا على اعطياتكم ، فيغدون ، ويأخذونها وافية .. يأيها الناس اغدوا على ارزاقكم ، فيغدون فيأخذونها وافية ، حتى قال والله سمعته اذناى يقول : اغدوا على كسوتكم ، فيأخذون الحلل ، واغدوا على السمن والعسل .

قال الحسن : أرزاق دارة ، وخير كثير ، وذاتُ بينٍ حسن ، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمنا الا ويوده ، وينصره ويألفه .

البراطيـــل

من نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الأباطيل .. والبراطيل جمـع برطيل بكسر الباء وهو الرشوة ، وأصل البرطيل المعول الذى تحفر بـه الأرض ، ويستخرج به ما فى باطنها ، فسميت به الرشوة لأنهـا كالمعول فى تحطيم الفضائل والاخلاق واستخراج رذائل الطباع .

دين لا خمر فيه

قال القس اسحق الانكليزي :

اني آسف من أن السكر والقمار انتشرا مع دعوة التبشير فى البلاد الشرقية ، وأنا اختار اسلاما لا سكر فيه على مسيحية فيها سكر .

موقع المستشفى

اراد السلطان عضد الدولة أن يبني مستشفى فى بغداد ، فطلب من الرازى الطبيب أن يبحث له عن أفضل مكان له ، فأوصى الرازى خدمه بتعليق قطع كبيرة من اللحم فى أطراف بغداد ، ثم انتظر أربعا وعشرين ساعة . فانتقى المكان الذى ظل فيه اللحم أحسن حالة ليكون موقعا للمستشفى .

أهداف المؤمنين

بعث سعد بن أبي وقاص ربعى بن عامر الى رستم قائد جيوش الفرس ، فدخل عليه بفرسه القصيرة وترسه الفليظة وثيابه الخشنة ، وحول رستم الأتباع والجنود فقال له رستم . من أنت ؟ ... وما أنتم ... ؟ فقال ربعى . نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

دار الضيافة

قال حبيب بن عمرو : قدمنا وفد «سلامان» على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن سبعة نفر لنبايعه ، وصادف ان كان الرسول خارجا من المسجد لتشييع جنازة ، فالتفت الى غلامه ثوبان وقال له : انزل هؤلاء حيث ينزل الوفد ، فخرج بنا ثوبان الى دار واسعة فيها نخيل وبها وفود العرب فاذا هي دار رملة بنت الحرث .

رباطة جأش

لما أمر الحجاج بقتل سعيد بن جبير قال له سعيد : « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » فقال الحجاج : شدوا به الى غير القبلة . فقال سعيد « فأينما تولوا فثم وجه الله » فقال الحجاج : كبوه على وجهه ، فقال سعيد « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » .

من كلام الحكماء

لا يكونن منكم المحدث لا ينصت له ، ولا الداخل فى سر اثنين لم يدخلاه فيه ، ولا الآتي الدعوة لم يدع اليها ، ولا الجالس المجلس لا يستحقه ، ولا الطالب الفضل من أيدى اللئام ، ولا المتعرض للخير عند عدوه .

رحلة الخلود

وما الموت الا رحلة غير أنها من المنزل الفاني الى المنزل الباقي

عبد بطنه

يقول بني عمي وقد زرت مصرهم تهيأ أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابي ومزودى سلام عليكم فامكثوا بسلام
فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر علي ولا مناع أكل طعام

بقية التعريف بالوطن الاسلامي

واسعة ، يمكن تحقيقها على صعيد الدولة ، او على صعيد الهيئات الشعبية ، كما يمكن الجمع بين الصعيدين وهو الافضل .

فعلى صعيد الدولة تظهر اهمية :

أ ـ التعليم بمختلف مستوياته (الابتدائية ـ الثانوية ـ الجامعية) وفى اكثر المواد (الجغرافيا ـ التاريخ ـ المجتمع ـ الديانة) .

ب ـ اجهزة الاعلام : كالصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما .

جـ ـ مكاتب السياحة والمتاحف والرحلات .

د ـ المعارض الموسمية والدائمة .

هـ ـ البعثات الدراسية والتدريسية و (الدبلوماسية) .

و ـ الطوابع البريدية وغير البريدية .

ز ـ اسماء الشوارع والمحلات العامة .

ح ـ تنسيق علاقات الصداقة والاقتصاد والسياسة فى ضوء الاسلام .

ط ـ تنظيم الحج ، والتشجيع عليه لا سيما بين الشباب ، وتيسير التعارف فيه .

ى ـ انشاء مكاتب خاصة للتعريف والتعارف تلحق بالبعثات (الدبلوماسية) .

ك ـ اصدار مطبوعات خاصة لهذا الغرض من نشرات الى مجلات وكتب ودراسات (١) .

وعلى صعيد الهيئات الشعبية تبدو امور عدة منها :

١ ـ مطالبة الحكومات بالقيام بواجبها فى هذا المضمار كما وصفنا سابقا .

٢ ـ تأليف الابحاث والدراسات والكتب والنشرات حول هذا الموضوع .

٣ ـ الاكثار من الرحلات وتبادل الزيارات .

٤ ـ تأسيس ناد او نواد للمراسلة أو التشجيع عليها .

٥ ـ الافادة من اساليب الاعلان والتوجيه الاعلامي الحديث ، كالاستعانة بالصور والمصورات (الخرائط) .

والعمل على توزيعها عن طريق الاهداء ، او البيع ، او المسابقات ، او نشرها على صفحات التقويم ، وغير ذلك .

٦ ـ الاهتمام بهذا الجانب فى انواع التوجيه .

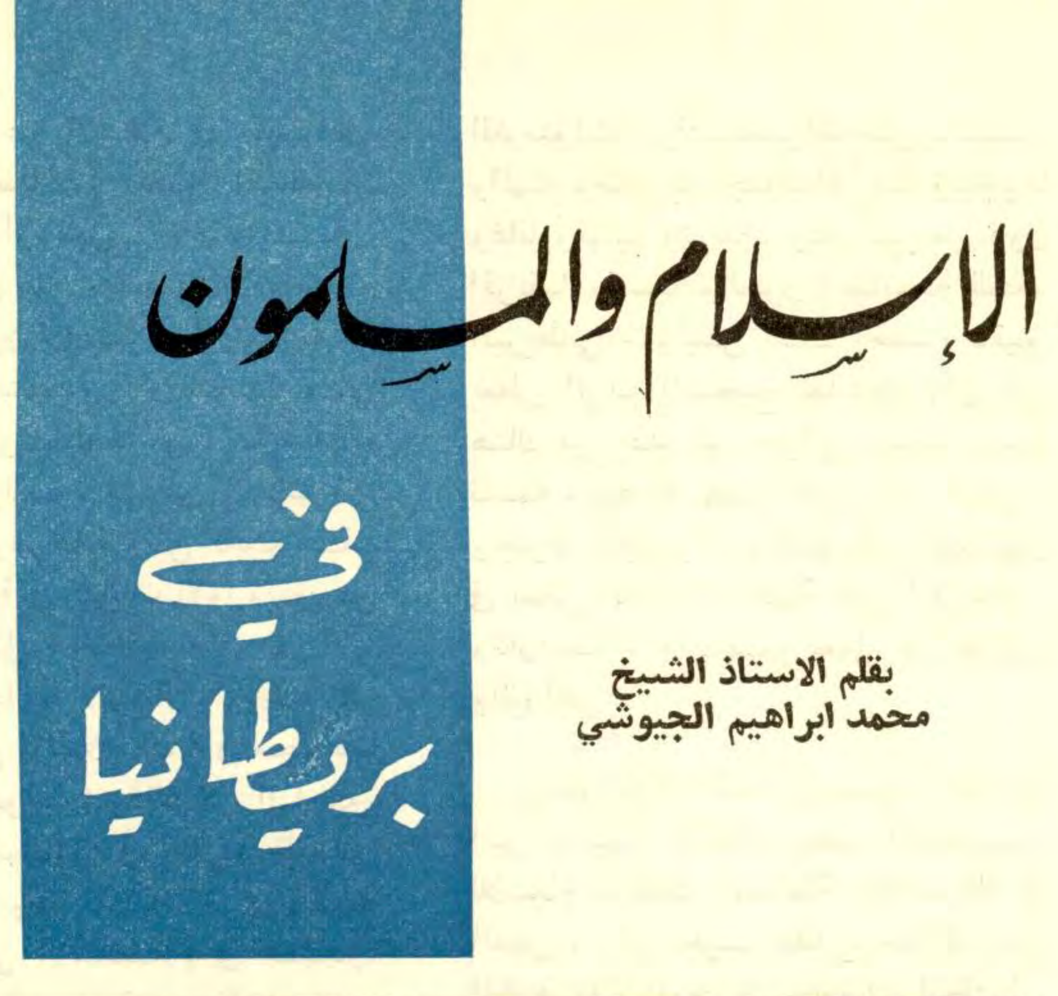
٧ ـ رعاية الطلاب الموفدين واعضاء البعوث الثقافية والحجاج والسياح .

وبهذه الاساليب كلها يمكن التعريف بالوطن الاسلامي واحياء روح التعاون والتعاطف بين أبنائه ووقوفهم صفا واحدا على اختلاف لغاتهم وأقطارهم أمام أعدائهم . يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على سواهم .

---

(١) ـ مما يؤسف له ان دولة معادية لقطر اسلامي فى مشكلة ما كانت تزود القراء العرب عن طريق البريد بمثل هذه النشرات لتوضح وجهة نظرها ، على حين يغفل هذا القطر الاسلامي وغيره عن التعريف بنفسه ووجهة نظره . ؟ ؟ .

« الوعي الاسلامي » لعل فيما ننشره تحت عنوان « اعرف وطنك » مساهمة متواضعة فى القيام بهذا الواجب ، وتعريف المسلمين بوطنهم الأكبر ، ونرجو أن تتاح لنا الفرص فى المستقبل لتقديم مادة اوفر عن البلاد الاسلامية بطريق السفر اليها والكتابة عنها .



الإسلام والمسلمون في بريطانيا

بقلم الاستاذ الشيخ
محمد ابراهيم الجيوشي

لم يصرح للآن بإقامة مسجد بالمركز الإسلامي في لندن!

المسلمون البريطانيون أصلا قليلون لا يتجاوز عددهم الخمسة آلاف، وليس هناك احصاء دقيق لهم، وانما ذلك تقدير تقريبي قابل للزيادة والنقصان، ويرجع تاريخ ذلك الى أوائل هذا القرن، وبالتحديد حوالي عام ١٩١٣م حينما أسلم أحد اللوردات الانجليز وأعلن ذلك فى كتابات له تناقلتها الصحف أيامها، ولو راجعت مجلة المنار التى كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا فى مصر لوجدتها تنقل أحاديث عن هذا الرجل الذى أسلم، وفيها يكشف عن الاسباب التى جعلته يعتنق الاسلام.

(وبدأ الاسلام يعرف طريقه الى الاسر الانجليزية منذ ذلك التاريخ، ولكن على مهل لان الحكومة البريطانية كانت ـ ولا زالت تضع عقبات كثيرة أمام الانجليز الذين يدخلون فى الاسلام، وتحاربهم فى كل الميادين، حتى ان المتحدثين عن الاسلام فى هذه البلاد يذكرون ان أحد اللوردات أسلم، وأعلن ذلك، فجردته الحكومة البريطانية من لقبه وحرمته من كل الحقوق، حتى صار فى حالة مزعجة، فاضطر الى اعلان عودته عن الاسلام، وبذلك عاد اليه كل ما كان له من حقوق وهذا مثل يعطي اجابة عن سؤال ربما يتبادر الى ذهن القارىء حينما يعرف هذا العدد الضئيل من المسلمين الانجليز.

أما طريقة معرفتهم بالاسلام فترجع

الى قراءاتهم عن الاسلام فى مصادره السليمة ، وصلاتهم ببعض المسلمين صلات جوار أو عمل أو صداقة ، جعلتهم يقفون على حقيقة الاسلام الصحيحة بدون أن يشوبها أى تشويه من هؤلاء الذين يتعمدون أن يجنوا على الحقائق ، أو يعطوها لونا يتفق مع طبيعتهم ونظراتهم ، من غير التفات الى الحقيقة فى جوهرها ، ولئن كانت هذه الظاهرة سائدة فى كتابات الاوروبيين عن الاسلام من قبل ، الا أنها بدأت الآن الى حد ما تأخذ جانب الاعتدال ، ووجد كثير منهم يكتب عن الاسلام كتابة فى مجموعها أقرب الى الصواب ، وذلك لان الباحثين احسوا ان الاستمرار فى الطريق السابق غير السليم ، ومن ناحية أخرى اطلع كثير منهم على الاسلام فى مصادره الاصلية ، وعرف حقيقته ، فأخذ يكتب عنه كتابة غير بعيدة عن الاسلام الحق ، الا فى نقاط قليلة ، ربما يرجع اختلاف الرأى فيها الى أثر البيئة والمنهج . وبعض الانجليز عرفوا اللغة العربية ودرسوها دراسة وافية ، ومن ثم فهموا الاسلام فهما صحيحا فأسلموا ، ووالوا الدعوة اليه فى محيطهم الفردى ، وأخذوا يكتبون عنه فيما تسمح لهم فيه المجالات المحيطة بهم .

هذه هى الطريقة التى انتقل الاسلام بها الى انجلترا وأسلم بها بعض الاسر الانجليزية . أما اللغة التى يتحدثون بها فهي الانجليزية ، ويحرص كثير منهم ان يتعلم اداء الصلاة بالعربية ويحاول أن يتعلمها ليقرأ القرآن . والى جانب هؤلاء يوجد عدد ضخم من المسلمين يعيشون فى انجلترا ليسوا من الانجليز ولكن من البلاد الاخرى ، وخاصة البلاد التى لها علاقة سياسية بانجلترا مثل دول الكومنولث ، والمستعمرات مثل باكستان والهند وماليزيا وجنوب افريقيا ونيجيريا وغانا وكينيا وترنداد وعد كبير من دول أفريقيا وآسيا والجزر الخاضعة للحكم البريطاني ، وليس هناك احصاء دقيق يعطي الرقم الصحيح لعددهم وان كان هناك من يقدرهم بحوالي نصف مليون نسمة ، وهناك بعض العرب من اليمن ، وجنوب الجزيرة ، والصومال ، يعيشون فى بعض المدن الساحلية مثل ليفربول ، وكارديف ، وأغلبهم يعمل فى الموانيء والبواخر .

ووجود هؤلاء المسلمين يعتبر من العوامل التى تسبب اعتناق بعض الانجليز للاسلام ، بحكم المخالطة والاشتراك فى العمل ، والى جانب هذا يوجد كثير من الطلبة المسلمين فى جامعات انجلترا ، وكثيرون منهم يتمسكون باسلامهم وينعكس ذلك على مخالطيهم من الانجليز .

أما الاجهزة المسئولة عن الاسلام فى بريطانيا فليس لها الصبغة المعروفة عن الاجهزة المسيحية فى البلاد الاسلامية ، وتستطيع أن تقول انها فيما عدا واحدا منها تقوم على نشاط الافراد المسلمين ، ومحاولاتهم ان يوجدوا لهم جمعية ترعى شؤونهم ، وتنظم صلاتهم ، وعادة تنشأ هذه الجمعيات فى الاماكن التى يوجد فيها مسلمون، فانهم يحاولون أن يتماسكوا حتى لا يذوبوا فى المجتمع الانكليزى ، ويؤلفوا لهم رابطة تجمعهم ، لتتطور هذه الرابطة حتى تأخذ شكل جمعية ، ولا يجدون اسما جامعا لهم غير الاسلام فيسمونها باسمه ، ويسعون ان يوجدوا لهى مكانا يجتمعون فيه للصلاة ، وقد يتحول ذلك المكان الى مسجد فيما بعد ، كما هو الحال فى مدينة كارديف ، فانهم

بنوا لهم هناك مسجدا ومدرسة ، وهم يعتمدون على المعونات التى تأتيهم من البلاد الاسلامية ، وخاصة من الجمهورية العربية المتحدة ، لوجود وزارة الاوقاف والازهر فيها ، ويتلقون كثيرا من الكتب والمطبوعات الاسلامية وغالبا ما تجد عند كل جمعية من هذه الجمعيات نسخة أو أكثر من المصحف المرتل المسجل على اسطوانات ، يرسلها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة الى كل بلاد العالم .

وهذه الجمعيات التى حدثتك عن نشاطها ، ودوافع تكوينها ، توجد فى كثير من المدن الانجليزية مثل ليفربول ومانشستر وبرمنجهام واكسفورد وكمبردج وادنبره .

وكما حدثتك تعتمد هذه الجمعيات على نشاط افرادها وتعاونهم ، وعلى ما تتلقاه من معونات من الدول الاسلامية . وتستطيع ان تسميها جمعيات اهلية .

المركز الاسلامي

أما المؤسسة الاسلامية الكبرى فى انجلترا فهي المركز الثقافي الاسلامي ، وهو يعتبر المصدر الرئيسي المسئول عن المسلمين فى انجلترا ، وله صبغة رسمية وتشترك كل الدول الاسلامية فى مجلس ادارته المكون من سفراء الدول الاسلامية فى انجلترا ، واليه يرجع المسلمون فى انجلترا فى كل شؤونهم الخاصة بهم كمسلمين ، ومديره دائما من كبار رجال الازهر، وهو بمثابة شيخ الاسلام فى هذه البلاد ، ويقوم المركز بتعرف أحوال المسلمين ، والاجابة على فتواهم ، وعقد الزواج الخاص بهم بالطريقة الاسلامية ، والقاء محاضرات تنظم عن الاسلام، يلقيها كبار المسلمين فى انجلترا سواء كانوا من المسلمين المقيمين بانجلترا أو الزائرين لها . واحيانا يشترك فى هذه المحاضرات بعض الباحثين غير المسلمين من المهتمين بالدراسات الاسلامية ، من المستشرقين، وعادة يكونون من اساتذة الجامعات الانجليزية .

ويصدر المركز مجلة اسلامية باللغة الانجليزية ، مرة كل ثلاثة أشهر ، يشترك فيها مسلمون من مختلف جهات العالم الاسلامي ، الى جانب بعض الانجليز المهتمين بالدراسات الاسلامية .

ويوجد بالمركز مكتبة اسلامية ضخمة اغلبها باللغة العربية ، وبها جانب باللغة الانجليزية ، الا انها تحتاج الى نمو كبير لتؤدى واجبها كمكتبة اسلامية هامة .

ويعتبر المركز مكانا رئيسيا بالنسبة لجميع المسلمين فى انجلترا ، افراد وجماعات ، وتعقد فيه الجمعيات الاسلامية اجتماعاتها ، وتقيم حفلاتها فى المناسبات الاسلامية المختلفة على اختلاف مذاهبها سواء كانوا من أهل السنة أو من الشيعة .

واذا ما عرض على المحاكم الانجليزية موضوع يتصل بالاسلام ، فانها تعود الى المركز ، تطلب رأى الاسلام فى هذا الموضوع ، وتعتبره الرأى الاخير ، لانه جهة الاختصاص .

لا يوجد مساجد بالمركز

ويوجد بالمركز مكان خاص بالصلاة ، وتقام فيه صلاة الجمعة كل اسبوع ، وحتى الآن لا يوجد مسجد، لان الحكومة البريطانية لم تصرح حتى الآن ببنائه ، ويوجد فى لندن حوالي ستة عشر مكانا

البقية على ص ٧٥

خواطر

من هنا .... وهناك

بقلم ع . النمر

احتفل العالم الاسلامي والعالم المسيحي فى هذه الأيام بعيد الفطر وعيد الميلاد .. وللأعياد خواطر وشجون .. ان المفروض فى اعياد كل امة انها مظهر خاص من مظاهر شخصيتها الدينية أو الاجتماعية لأن الأعياد اما ان تكون نابعة من دينها او من تاريخها وأحداث حياتها .. ومن‌هنا كانت الأعياد الدينية لكل أمة خاصة بها دون بقية الأمم التي لا تشاركها دينها . او لا تشاركها عواطفها نحو ايامها واحداثها التاريخية ..

وهذا هو الذى حدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو قائد هذه الأمة ومربيها وموجهها ـ حدا به الى أن يكمل شخصيتها من هذه الناحية فجعل لها اعيادا خاصة بها .. فعندما هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة وجد المسلمين فيها كغيرهم وكسابق عهدهم قبل الاسلام يحتفلون بعيدين فى السنة .. فلم يترك اتباعه يحتفلون بهما كما كانوا فى الماضي ، بل قال لهم ان الله ابدلكم بهما يومين خيرا منهما : يوم الفطر ويوم النحر ..

شيء قد يظنه بعض الناس أمرا صغيرا ، ولكنه فى الواقع يتصل بصميم شخصية الأمة وكيانها .. فالأمة التي تتبع غيرها فى اعيادها أمة مهزوزة الشخصية ، تنماع فى غيرها ، والرسول صلى الله عليه وسلم حريص كل الحرص على ان يجعل لأمته شخصيتها المستقلة ، سواء فى ذلك ما يتصل باللب او المظاهر ..

كان عليه الصلاة والسلام يكره ان يتشبه اتباعه بغيرهم من المشركين ، او من اهل الأديان السابقة ، وكثيرا ما كان يشير على اصحابه بالعمل ، ويعلل ذلك بقوله ((وخالفوا اليهود والنصارى)) .

ثم وضع لأتباعه قاعدة عامة فى هذه الناحية فقال ((من تشبه بقوم فهو منهم)) ((ليس منا من تشبه بغيرنا)) وذلك كله من اجل بناء الشخصية المستقلة للأمة ، لا لمجرد التعصب او كراهية الغير ، لأن الاسلام ـ مع احترامه لشعور الغير ـ لا يرضى

من المسلم ان يدفعه احترامه لشعور غيره الى حد التنازل عن شعوره هو ، واهدار خصائصه ، والذوبان فى غيره ـ فاحترام شعور الغير شيء والذوبان فيه شيء آخر .

ثم ان تقليد الغير فى خصائصه وشعائره ومظاهره الخاصة امر يدل على ضعف المقلد ، واهتزاز شخصيته . ويحمل الغير على ازدرائه وعدم احترامه .. ويزداد هذا كلما كان هذا الغير لا يشارك المقلد احتفاءه بأعياده ، او بمظاهره الخاصة ، لأنه يمثل التهافت من جانب ، والترفع او عدم الاكتراث من الجانب الآخر ..

وقد مر بنا فى الأيام القريبة عيد الميلاد . وعيد رأس السنة الميلادية .. وهما عيدان خاصان باخواننا المسيحيين يرتبطان بعقيدتهم الدينية ، واذا كنا نحن المسلمين نؤمن بعيسي عليه السلام رسولا من عند الله ، فان العيد الذى يتخذه اتباعه الآن يعتبر من خصائصهم ، وليس عيدا لنا .. ومع ذلك فاننا نرى كثيرا من المسلمين يهتمون بهذا العيد ، ويستعدون للاحتفال به اكثر مما يهتمون للاحتفال بأعيادهم . يعملون ذلك تقليدا لغيرهم ، وحبا فى الجرى وراءهم ، مندفعين بعامل خفي ، يمكن ان يفسره علماء النفس والاجتماع بعقدة النقص ، او عقدة الاحساس بالضعف ، ضعف الشخصية ومحاولة تكميلها بما يظنونه كمالا لها حين يتشبهون بالأقوياء ..

ان كل واحد منا لمس مقدار عناية المسلمين وتفننهم بعيد الميلاد فى مجتمع اكثريته الكاثرة من المسلمين .. فى الوقت الذى يلمس فيه فتور هؤلاء فى شعورهم نحو اعيادهم مع الأسف .

ما صلة المسلمين دينيا او اجتماعيا بهذا العيد ، حتى يتفننوا فى احتفالاتهم به .. قد يكون ذلك أمرا مقبولا اذا كان غيرنا يقف من اعيادنا ، مثلما نقف من اعيادهم ، ويشاركوننا شعورنا فى اعيادنا ، أما وموقفهم من أعيادنا كما نعرف ، فان من ضعف الشخصية ومما لا يقبله الاسلام من اتباعه أن يتهافتوا على أعياد غيرهم ، ويقحموا أنفسهم فى احتفالات لا صلة لهم بها فوق أن فيها مخالفات صريحة لدينهم .

كم تألمت .. وأنا أرى اناسا من المسلمين بلغ بهم ضعف كيانهم وشخصيتهم وتعلقهم بدينهم ان يفطروا رمضان ، ثم يهتموا بعيد ((الكريسماس)) ويحتفلوا به ، كما يحتفل الغربيون تماما ! ! ولعلك تعرف معنى تماما .. وفى رمضان ! ! . يخيل لهم وهمهم ان ذلك من مظاهر التقدم والمدنية ! .

همسة فى اذن المقلدين .. الا تشفقون على ولدكم الصغير الذى يقلد أخاه الكبير فى كل شيء وتخشون عليه ان يعيش فى الحياة ضائعا بلا شخصية محترمة ؟ ! .

ان الحياة لا تعطي مقاليدها هؤلاء المقلدين الضائعين ، وسيظلون ضائعين (صايعين) ! ! .

مكتبة المجلة

محمد مؤذن

الموسوعة العربية الميسرة

موسوعة عالمية أصدرتها دار القلم بعد مجهود ضخم استغرق حوالي ست سنوات ، واشترك فيه اكثر من مائة عالم عربي ، والموسوعة العربية الميسرة تعتبر أول دائرة معارف عربية حديثة تضم (٢٠٥٠) صفحة من القطع الكبير وبها ٢١ ألف مصطلح فى مليون ونصف مليون كلمة و (٢١٠٠٠) موضوع فى شتى أنواع المعرفة تاليفا واقتباسا وترجمة و ٣٠ لوحة و ١٩ خريطة و ٦ جداول ، رئيسية . وقد ترجمت معظم مواد هذه الموسوعة عن دائرة المعارف الامريكية ((كولومبيا)) وأضيفت اليها مصطلحات عربية كثيرة . وقد أشرف على اعداد هذه الموسوعة المرحوم محمد شفيق غربال .

قادة فتح بلاد فارس

تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب ، وهذا الكتاب هو الكتاب الثاني من كتب قادة الفتح الاسلامي ، أما الكتاب الأول فكان عن قادة فتح العراق والجزيرة .

والكتاب الذى بين ايدينا يحتوى على سير القادة المسلمين الذين اصبحوا قادة العرب وسادة الدنيا قرونا طويلة .

ان قصة حياة هؤلاء القادة تبهر العقول والأبصار ، ولعل جهادهم يخرس الأصوات المنكرة المريبة التي تعمل جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا ، لتستورد لنا تاريخا وتراثا من وراء الحدود ، وسنقرأ فى هذا الكتاب سير قادة فتح بلاد فارس الذين نشروا الاسلام فى ربوعها وجعلوا منها قاعدة أمامية للفتح الاسلامي الذى امتد الى الصين شرقا والى سيبريا شمالا والى البحر العربي جنوبا .

وطبع هذا الكتاب طباعة فاخرة بمطبعة شركة الطبع والنشر اللبنانية ببيروت ويحتوى على (٤٠٨) صفحات وقد اشتمل الكتاب على سيرة ٢٦ قائدا من بينهم حذيفة بن اليمان ، وابو موسى الأشعرى ، والأحنف بن قيس ، وغيرهم . واشتمل ايضا على خمس خرائط توضح اماكن الفتح الاسلامي فى تلك البقاع الفارسية .

المواعظ السنية فى ارشاد البرية

ثلاثون موعظة من المواعظ التي تتناول احكام الصيام وآدابه وفضل شهر رمضان والحث على الكرم والجود والانفاق فى وجوه الخير وفضل صلاة الجماعة ووجوب اخراج الزكاة وغير ذلك مما يتعلق بشهر رمضان المعظم من العبادات والفرائض وقد جمع هذه المواعظ والأحكام الشيخ عبد الرحمن ابن احمد بن يحيى الكمالي امام وخطيب مسجد الجهراء . وطبع الكتاب على نفقة جماعة من المحسنين ويوزع مجانا بدولة الكويت وهو يقع فى ١٨٠ صفحة .

قبس من الاسلام

كتاب من تأليف فضيلة الاستاذ معوض عوض ابراهيم الواعظ العام وهو يقع فى ٣٢٠ صفحة وطبعته دار النشر للجامعيين ضمن السلسلة التي تنشرها باسم ((سلسلة الثقافة الاسلامية)) وكتاب ((قبس من الاسلام)) يحتوى على أربعة وثلاثين موضوعا كلها تبصير بالشريعة الاسلامية ورد للناس الى دين الله واقامة الدليل على سعة الاسلام وشموله واحاطته بما ينبغي للحياة الطيبة من وسائل .

تقام فيها الصلاة يوم الجمعة ، ولكن ليس لها صفة المسجد ، كما هو الحال فى بلادنا ، الا أنه يوجد مسجد فى مكان على بعد خمسين ميلا من لندن ، يسمى « ووكنج » له صورة المسجد ومئذنة (منارة) صغيرة .

أما اللغة التى تؤدى بها الصلاة فهي العربية لان كل مسلم يحرص على أن يتعلم كيف يصلي باللغة العربية من قراءة الفاتحة الى حفظ بعض آيات القرآن الكريم ، الى التكبيرات والتسبيحات والتشهد ، وبعض الادعية ليؤدى الصلاة بها ، اما خطبة الجمعة فتكون باللغتين العربية والانجليزية ، حرصا على أن يفهم المسلمون ما يأمر به الاسلام لأن كثيرا منهم لا يفهم اللغة العربية ، وان كان يعرف منها (السلام عليكم) وكيفية الصلاة .

أما اهتمام الحكومة البريطانية بالاسلام فهذا الاهتمام غير موجود بل الحقيقة التى يدل عليها الواقع ان الحكومة البريطانية لا تقدم أى مساعدة للاسلام ، ولا للمسلمين فى بلادها واذا عرفت ان المسجد الذى كان مفروضا ان يقام فى حديقة المركز الثقافي الاسلامي بلندن منذ عام ١٩٤٥ م لم يوافق على بنائه حتى الآن من الاجهزة البريطانية المسئولة عن المباني ، اذا عرفت ذلك ــ امكنك ان تعرف بسهولة مدى اهتمام الحكومة البريطانية بالاسلام .

عراقيل

ويمكن أن يقال ان الاهتمام موجود، ولكن للوقوف فى سبيله ، ووضع الحواجز أمام تقدمه ، وصرف انظار الناس عنه .

وكان المنتظر الا يجد بناء مسجد للمسلمين فى لندن هذا الموقف الشاذ من المسئولين البريطانيين ، ذلك الموقف الذى يثير تساؤلات كثيرة ،عن الدوافع الحقيقية التى تقف وراء هذا المنع حتى الآن ، فى بلد يدعي أهله ان حرية العقيدة فيه مكفولة للجميع ، وحرية اقامة الشعائر ، وكنا نود أن نرى من المسئولين البريطانيين فى قضية المسجد تفهما لها وتقديرا لمشاعر الملايين فى العالم الاسلامي، واعطاء الفرصة لنصف مليون مسلم كي يزاولوا شعائر دينهم بدون تضييق .

أما ما يقوله البعض من ان نظام بناء المسجد يخالف الطريقة المتبعة فى المنطقة التى سيقام فيها المسجد فهذه حجة لا يؤيدها الواقع ، ذلك لان المباني الشاهقة اصبحت تتناثر فى احياء لندن ، وتخرج على النظام المألوف قديما ،والذى يزور لندن يطالعه ذلك المنظر فى كل شارع من شوارعها ، زد على هذا اننا لم نشترط على الجاليات الاجنبية فى بلادنا ان تبني معابدها على نسق المساجد ، لئلا يخرجوا على النظام المألوف للمباني عندنا ، ذلك لاننا نؤمن بحق اهل كل دين ان يزاولوا شعائرهم على الطريقة التى اعتادوها ، وهذه هي السماحة الحقة كما جاء بها الاسلام . فلماذا يتذرع الانجليز فى قضية المسجد بهذه الشكليات التى لا يلتزمونها فى مبانيهم العادية ؟ . وهل كانوا يظنون اننا سنبنى كنيسة من الخارج ومسجدا من الداخل ؟

انني أرجو أن يفهم المسئولون البريطانيون هذه الحقيقة واضحة ،ولعلنا نجد من صفحات هذه المجلة متسعا يسمح لنا بأن نتحدث عن واجب العالم الاسلامي فى هذه القضية فى عدد قادم .



اعرف

عدوك

... ثم تعصب عيناه بعصابة سوداء .. ويوضع حبل المشنقة في رقبته .. ويصحبه جنديان شديدان الى الغرفة .. وينام في التابوت الخالي لمدة تتراوح بين ساعة وساعتين ... (١)

ليس هذا جزءا من قصة او اسطورة قديمة ، او مشهدا من مسرحية رمزية ، بل انها مراسيم تكريس لعضو جديد في الجمعية الماسونية ..

فما هي هذه الماسونية ؟! الها مفهوم ظاهرى خاص ؟ ام ان حقيقتها تختلف عن وجودها ؟ هذه التساؤلات سنحاول الرد عليها في هذا المقال للتحذير من هذا الاخطبوط الخطير الذى يهدد كياننا ووجودنا ..

وهذا البحث يتناول الماسونية من زوايا ثلاث :

١ : الماسونية بحسب ظاهرها الذى تعرضه للناس .

٢ : الماسونية بحسب وجودها التاريخي وأدوار نشأتها وكيفية تطورها ووصولها الى شكلها الحاضر ..

٣ : الماسونية من حيث الحقيقة والواقع .. (٢)

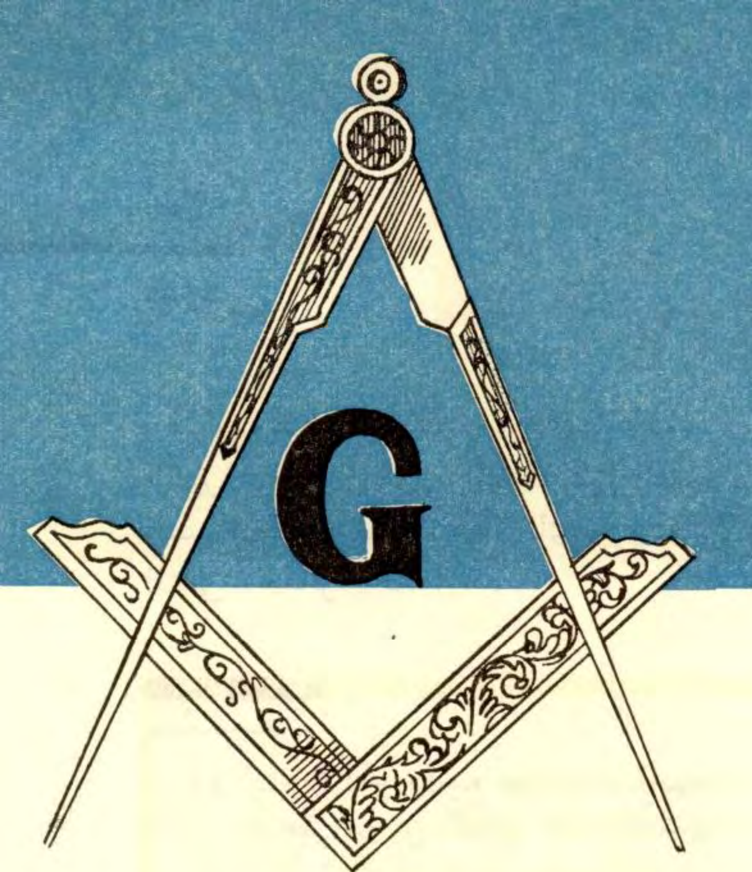
الماسونية بحسب ظاهرها

يزعم المروجون للماسونية والمخدوعون بها أن الماسونية هيئة غرضها محبة الانسان والحكمة والفلاح وممارسة التعاضد والاصلاح المادى والأدبى والاتقان وعمل الخير ، ومن مبادئها التسامح وحرية الضمير المطلقة والتضامن البشرى وترك ما يتعلق بما وراء الطبيعة للقناعة الشخصية وصرف النظر عن الحماس الديني والمذهبي وشعارها الاخاء والمساواة .

---

(١) مجلة القوات المسلحة المصرية ـ العدد (٤١٢) .

(٢) كتاب الماسونية اخطر الجمعيات السرية وأقدمها



العالمية

اعداد : محمد أبو غوش

ولكن الماسونية وهي تعرض مبادئها على الناس تتلون بكل لون ، وتلبس لكل مناسبة لبوسا ، وليس أدل على ذلك من قول « كلافل » وهو من اقطابها البارزين حين يوصي الماسونيين : « ان اراد اخواننا الماسون ان يدخلوا احدا فى شيعتنا فعليهم ان يقولوا لكل شخص ما يوافق حاله وعقله وميوله ، ليجذبوه بما يوافق هواه ، فان كان من اهل الفضول لمعرفة الأسرار قالوا له ان فى الماسونية اسرارا لا يعرفها غيرهم ، وان كان من اهل التجارة والصناعة أغروه بالربح وزيادة عدد المستهلكين(٣) .

وبهذه الصورة من النفاق يخرجون على الناس بين الحين والآخر ببيانات وتصريحات ونشرات ، يوهمون الناس فيها بأنهم دعاة خير ومحبة ، وان غاياتهم انسانية خالصة ، ولكن هذا الظاهر الزائف ينكشف أمره ، وتظهر حقيقته حين يطلع المرء على الاغراض البعيدة ، التي تعمل لها الماسونية ، والأهداف الأساسية التي ترمي اليها ، مما سنورده فى هذا البحث .

الماسونية بحسب وجودها التاريخي

ان استقراء الحوادث التاريخية المتعلقة بهذه الجمعية ، يمكن أن يقودنا الى قول نعده أقرب ما يكون الى الحقيقة على الرغم من التناقض الموجود فى أقوال الباحثين عن تاريخ الماسونية . . ولعل أقرب الروايات الى الحقيقة بهذا الخصوص هي رواية الاستاذ « عوض الخورى » فى كتابه تبديد الظلام فقد جاء فيه : ـ

« ان مؤسس ـ القوة الخفية ـ التي انقلبت الى الماسونية عند تجديدها هو « اغريبا » هيرودوس الثاني ، والي الرومان ، على بعض مناطق فلسطين من عام ٣٧ ـ ٤٤ م ويلقبه اليهود بالملك . وكان هيرودوس يهوديا مغاليا ، يرى حق الحياة محصورا على شعبه المختار ، ولا يقبل معذرة اله اسرائيل بايجاد شعوب ، الا اذا كانت مستعبدة لاسرائيل،

---

(٣) صفحة ٢٠٠ من كتاب تبديد الظلام « لعوض الخورى وصفحة ٨٠ من كتاب « الماسونية منشئة ملك اسرائيل » .

وهيرودوس نفسه هو حفيد« هيرودوس الكبير » الذى حاول القضاء على السيد المسيح طفلا ، فورث هذا (أى هيرودوس الثاني) مكابرة جده(١) .

القوة الخفية

وفى عام ٤٣ م راجع طواغيت اليهود ملكهم « هيرودوس الثاني » وتناقشوا فى موضوع انتشار المسيحية ، فرأوا فيها وفى امتدادها قوة دينية شيطانية منظمة ، خرجت من شباك المؤامرات . فاقترحوا على الملك تأسيس جمعية باسم « القوة الخفية » ليقابلوا المسيحية بقوة تفوقها ، وكان يتزعم هذه الجماعة فى بلاط هيرودوس زعيمان يهوديان هما « حيروم آبيود وموآب لاوى » .

وفى أول اجتماع خطبهم هيرودوس قائلا : « ان الغاية من جمعيتنا هي ارجاع العالم الى اليهودية » وقال حيروم « على المؤسسين بالدرجة الأولى ان يقوموا بالقتل وصنع كل محرم فى سبيل حفظ كيان الدين اليهودى – وأن يبقى سر جمعيتنا محفوظا بيننا نحن التسعة وهو الاتحاد اليهودى » (٢) .

البناءون الاحرار

وبقيت هذه الجمعية تحمل اسم « القوة الخفية » حتى عام ١٧١٧ م ففي ٢٤ حزيران ١٧١٧ عقد فى « لندن » مجلس خفي ضم ورثة السر الثلاثة ، واثنين من العميان الكبار (أعلى مناصب الماسونية) هما (ديجون كوزالييه ورفيقه جورج) فحذفوا من القوة الخفية ما أراد ورثة السر حذفهمن المصطلحات الغريبة، والرموز البالية ، واصدروا قراءات تعيد القوة الخفية الى قوة جديدة تغرى العميان ومطموسي البصائر بسمومها ومكرها .. وقد جاء ورثة السر الثلاثة الى (ديزاكولييه) وهو الجندى الأول فى اخطبوط القوة الخفية ، والجندى الأول فى خطوط البروتستانتينية ، مما جعله أشد الناس نقمة على رومية وسعيا لزوال كرسيها من الوجود .. جاءوا اليه وأملوا عليه القرار التالي :

– يبدل اسم هيكل « بمحفل » .

– يبدل اسم القوة الخفية باسم « مزى سوزى » أى البنائين الأحرار .

هذا وقد استغل ورثة السر اسم البنائين الأحرار ، وشرعوا بلسان ديزا كولييه (الأعمى الكبير) يستغلون جمعيات (البنائين الأحرار أو الرفاق البنائين الانجليزية) (٣) .

(١) براجع « كتاب تبديد الظلام » وكتاب « الماسونية منشئة ملك اسرائيل لحمد الزغبي » وكتاب « اوقفوا هذا السرطان للدكتور سيف الدين البستاني » وكتاب « اسرار الحركة الماسونية » اصدار كلية الشريعة الاردنية – عمان .

(٢) يراجع كتاب « الماسونية اقدم الجمعيات السرية وأخطرها ص ١٠٣ » .

(٣) جمعية كانت فى بريطانيا منذ القرن الثامن عشر هدفها الاستفادة من كل جديد يطرأ على فن البناء ورعاية مصالح البنائين .

حقيقة الماسونية وعلاقتها باليهودية العالمية

على الرغم من محاولة الماسونيين اخفاء حقيقة علاقتهم باليهودية العالمية ومسارعتهم الى تكذيب(١) ونفي كل ما من شأنه الكشف عن تلك العلاقة ، فان ما ورد فى كتبهم ونشراتهم وما جاء على السنة قادتهم ليؤكد هذه العلاقة ..

فلقد جاء فى الصفحة ٧٤ من العدد الخامس للصحيفة اليهودية (لافارينا اسرائيليت :) ((ان روح الحركة الماسونية هي الروح اليهودية فى اعمق معتقداتها الاساسية ، انها افكارها ولغتها ، وتسير على نفس تنظيماتها ، وان الآمال التي تنير طريق الماسونية ، وتسند حركتها هي نفس الآمال التى تساعد وتنير طريق اسرائيل . وتتويج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المصلى الرائع الذى ستكون اورشليم (القدس) رمزه وقلبه النابض)) .

وجاء فى البرتوكول الرابع من (برتوكولات حكماء صهيون) قولهم « من وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن ، المحفل الماسوني المنتشر فى كل انحاء العالم ليعمل فى غفلة كقناع لأغراضنا . ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة (الماسونية) فى خطة عملنا ، وفى مركز قيادتنا ، لا تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا » (٢) .

وكتب محرر انجليزي مبينا العلاقات بين الماسونية واليهودية قائلا : **((ان الماسوني وان لم يكن يهوديا بالولادة الا انه رجل متهود))** وقد عبر « هولت زنكر » رئيس محاكم فينا عن هذا الرأى بسخرية قائلا : « ان بين الماسونية المائة فى فينا مائة واثنين من اليهود » وهذا (الاتحاد الماسوني) الذى تعمل له الماسونية تظهر حقيقته حين نسمع رئيس منظمة (الياس يونيفد سال اسرائيليت) الياس الفرس اسحق بيرم يقول : « ان الاتحاد الذى نعمل لاجله هو اتحاد يهودى عالمي ، وان عملنا عظيم مقدس وانتصاره مؤكد ، وان «الشبكة» التي القاها بنو اسرائيل تبتلع العالم يوما بعد يوم ، وانها آخذة فى الاتساع .

ويقول السيد يوسف الحاج (الحائز على رتبة الاستاذ الاعظم والرئيس الأول والمندوب السامي العام فى الماسونية فى كتابه ((هيكل سليمان ص ٣٣)) : ((ان مبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها ترمي الى تقديس ما ورد فى التوراة واحترام الدين اليهودى والعمل على تجديد المملكة اليهودية فى فلسطين واعادة هيكل سليمان)) .

وجاء فى كتاب الرمزية الصادر فى تموز عام ١٩٢٨ ((ان تمجيد العنصر اليهودى يجب أن يكون أهم واجبات الماسوني)) .

وقال الماسوني اليهودى : ((فيندل)) فى كتابه ((اليهودية والماسونية)) لا تبلغ

البقية على ص ٨٥

(١) يراجع بيان الماسونيين الاردنيين الصادر بتوقيع الدكتور سيف الدين الكيلاني وعبد المجيد مرتضى فى ٦٤/٥/١٠ .

(٢) كتاب حاضر العالم الاسلامي .



الوحيدي

للاستاذ محمد لبيب البوهى

خيل الى صاحبنا انه أصبح قطبا من أقطاب العلم والمعرفة ، فقد قرأ من الكتب الكثير وفوق الكثير ،وطوف فى البلاد شرقا وغربا ، وجاس خلال الاقطار قطرا فقطرا ، ولكنه مع كل هذا كان يشعر فى اعماق نفسه بفراغ قاتل ، وان روحه تسبح فى ظلاف كثيف .

كان ينتهب اللذات انتهابا ، ولكنه لم يكن يجد فيها راحة البال ، وهدوء النفس ، ورضوان الضمير ، فشتان بين اللذة والسعادة ، ان الفرق بينهما كالفرق بين الزجاج والماس .. ولكنه كان ما يزال يبحث ، ويفتش عن شيء يملأ فراغ نفسه .

وكان ابوه رجلا حكيما يتحدث اليه فى بعض الاحيان ، فيقول لقد ابتعدت كثيرا يا بني عن مركز الدائرة . فكان يعلو وجهه الغضب ، ويثور فى نفسه الفيظ، ولكنه كان يكظم هذا كله ، ويمنعه شيء من أدب ان يسيء الى ابيه فى الجواب .

ومع هذا فقد كان يظن ظنا يقرب من اليقين ، انه ربما كان ابوه على شيء من الحق .. وانه يعنى بابتعاده عن مركز الدائرة انه ضل سواء السبيل . فقد كان ابوه يسترسل احيانا فى الحديث ، فيقول ان الحياة القويمة كالدائرة الكاملة الاستدارة ، وان الانسان السعيد هو الذى يستطيع ان يرسم لحياته دائرة كاملة ، يكون هو مركزها ، وراسم اتجاهاتها ، وان الدائرة لن تكون منتظمة كاملة الاستدارة ، ما لم ترسم بهندسة دقيقة ، وما هندسة الحياة غير القيم الفاضلة والخلق والدين .

ومع ان هذه الاقوال لم تكن تجد لها صدى فى نفسه ، اذ كان هناك جدار صفيق من الاهواء ، ومن الكلمات الخبيثة التى شربتها نفسه من بعض ما كان يحب ان يطالع ـ يحول بين قلبه وبين كلمات ابيه ، غير ان اباه كان ينتهز كل فرصة لمواصلة الحديث ، فكان يستطرد فيقول :

وعلى اطراف دائرة الحياة يا بني مصابيح مفتاحها فى يدك انت عند المركز ، ودوائر حياة الطيبين تتماس فى رفق ونظام فى نطاق الكون العظيم الذى جاء محمد صلى الله عليه وسلم بمفتاحه ، وما مفتاح دائرة الكون كله غير القرآن .

وكان صاحبنا عندما يصل الحديث الى هذه الغاية يتسلل لواذا من مجلس ابيه ضيق النفس ، ملتاث الفؤاد منطلقا الى وجوده الخاص يخبط فيه خبط عشواء ، يسخر مما سمع ، مما تأباه اذن الحضارة فى زعمه ، ثم يلوذ ببعض الكتب التى تمجد الفلسفة الوجودية والتى تقول للانسان فى خبث خبيث ، اهواؤك جزء منك ، ان هواتف نفسك التى تدعوك الى اللذة هى انجيلك وقرآنك .. فاقبل على كل ما تدعوك اليه نفسك تحقق وجودك ، واذا كفرت بأهوائك فانت كافر بالحياة مبتعد عنها نافر منها .

ويتنفس عند هذه المعانى فى عمق ، فقد وجد الاقراص المنومة التى تجعله يسبح فى عالم وردى الاحلام .

وكان ابوه قد اهداه بعض كتب الحديث والسيرة والتفسير من سنوات ، فكان ينحى هذه الكتب جانبا فى شيء من الرفق ، ويقبل على آخر ما اخرجته المطابع لسارتر ، او سيمون دى بوفوار ، فتمر ساعات الليل الطوال وهو ينهل من معين افكار ارباب المذهب الوجودى الحبيب .. لقد كان ذلك دأبه حتى انتهى الى اعتبار نفسه وجوديا معالوجوديين . اليست الوجودية تقول « ايها الانسان، لقد ولدت على ما انت عليه ، كل رغباتك وشهوات نفسك قد ركبت فى كيانك تركيبا ، فأصبحت جزءا منك ، فاذا ذهبت تقاوم لنفسك رغبة ، او تقف فى طريق شهوة كنت كمن يعترض مجرى النهر ، ان النهر حينئذ سيفيض على الجانبين ، ويهلك الحرث والنسل ، وما رغباتك وشهواتك الا نهر حياتك ، فان حاولت ان تلوى عنانها فخذ آلام الكبت واحتراق الاعصاب وما الى ذلك من الامراض التي هى ميراث الاخذ بالتقاليد الاجتماعية والقيم والدين .

ومن الذى صنع هذه القيم ، وحدد خطوط الدين .. ؟ سيقولون لك الله .. فاسخر منهم ، ونح هذه الاحجار عن طريق نهر حياتك .. نفذ ما تريد ، واضرب بكل القيم والنصائح عرض الهواء ، فما هذه القيم وتلكالنصائح الا هذيان اقوام قد ماتوا فيجب ان يموت معهم كلامهم ، فاياك ان تجعل الموتى اوصياء عليك ، سيقولون لك : ولكن الله باق لا يموت ، وانه كلامه سيظل ما بقيت السموات والارض فاهزز كتفيك ، وامض عنهم بعيدا ، فما الله غير خرافة ، لانك لم تره ، وكل ما لا تراه فهو غيب والغيب جهل ، وانت وحدك الموجود ، فاصنع من اهواء نفسك دستور حياتك ، وامض على طريق اللذة تغنم فرصة الحياة التى تحياها مرة واحدة ، ثم تتبخر فى دنيا العدم كما تذهب فى الافق فقاعة الصابون .

انتهز ايام الحياة واصنع ما تريد ، فليس بعد ايامك هذه من شيء ..

* * *

وهكذا وجد صاحبنا لحياته فى تعاليم الوجودية دستورا ، ومضت الايام والشهور والسنون وهو يبشر بهذا الدستور ، ويكسب كل يوم الى صفه الانصار والاعوان ، فالامر كله لذيذ .. ، الدستور لذيذ .. والكلمات لذيذة .. ، والحياة على هذا المنوال مواتية ، فليس هناك من تبعة نحو شيء .

وانتشى صاحبنا ، ونبت له ريش وجناحان ، وراح يحلق فى اجواء الوجودية ، وخيل اليه انه

اصبح قطبا من اقطاب المذهب اللذيذ .. وامسك فى بعض الاحيان بالورق والقلم ، وحاول ان يسطر كلمات يدفع بها الى المطبعة ليؤكد لاصحابه ان له فى هذه الفلسفة مذهبا وتوجيها ، وسماه اصحابه بالوجودى العظيم ، وطاب له ان يتصور نفسه نبيا يبشر بمذهب يريح الناس ، وكان يصيح كالديك فى مناسبات شتى فى جماعة من تلاميذه مبشرا بآيات مذهبه « يا شارب الخمر اجرع فى لذة ونهم كأسك مثنى وثلاث ورباع ، ويا طالب الفاكهة المحرمة اقطف من كل الاغصان ما تشاء لا يردك عن كل ما تشتهى راد ، فليس بعد ايام الحياة من معقب وكان نفر من اصحابه يصفقون له ، ويحملونه فى مجلسهم الخاص على الاعناق ، ويطوفون به رحاب المجلس ويصبون الخمر فى راحتيه ، ثم يرشفونها فى نشوة يطلبون الى نبيهم المزيد من الوصايا ، فيسترسل مسيلمة قائلا : سيقول لكم المخلفون من الناس انكم تتبعون طريق الشيطان ، فلا تحاولوا ان تجدوا لهذه الكلمات معنى ، هى كلمات فحسب قالها جدى لابى ، وقالها ابى لعمى ، وقالها عمى لخالى ، ولكن عهد الجدود والآباء والاعمام قد زال ، وبقى لنا عالمنا نحن .

وعند ذلك تصدح الموسيقى .

وسافر صاحبنا الى الخارج ، ونزل بكثير من ديار الغرب ، وحج الى كعبة الوجوديين ، واختار من بينهم زوجه وجودية ، وعاد بها الى الحواريين والتلاميذ ، ورزق الزوجان الوجوديان بطفلة لم يحب ابوها شيئا كما احبها .. لقد اصبحت قرة عينه يسعد بالحديث اليها ومداعبتها اكثر ساعات النهار ، ولاتخلو احلام الليل من صورتها فى كثير من الاحيان ، واخذ يرعاها وهى تشب عن الطوق عاما بعد عام ، واخذت السنون تنال منه وهو يدب الى الشيخوخة حتى نيفت الصبية على العشرين ، وكانت لها سيارة تلهو بها ، ولا تستمع الى نصح ابويها فى الانصراف عن جنون السرعة فى قيادتها حتى حدث ذات يوم ما كان يخشاه ، وما كان يود ان يدفع كل ما يملك من مال كثير ليتحشاه ، وما كان ليتردد فى ان يبذل حياته رخيصة دونه ، فقد اندفعت الفتاة فى جنون ، وكانت الى جانبها امها ، فتحطمت السيارة على جذع شجرة كبيرة ، واصيبت الفتاة بكسر فى ساقيها ، واصيبت امها باصابات شديدة استعصت على العلاج ، وران الهم على قلب الرجل وأظلمت الدنيا فى عينيه وشعر ان كل كلمات العزاء التى يصبها اصحابه وتلاميذه لا تزيده الا شعورا بالمأساة ، فقد كانت كلمات جوفاء لا روح فيها وهي تصدر من قلوب خلت من كل معانى المودة الخالصة التي تشيع فى الكلمات وفاء الحياة .. وخيل اليه ان هناك كلمات تقولها امه ـ ويقولها ابوه ـ ويقولها الناس حين تلم بهم الكوارث ، او يصابون بسوء وهم يرفعون بصرهم الى السماء ، وفى عيونهم امل ورجاء .

وتذكر من ذلك اشياء واشياء ، وتذكر كيف انه كان ينظر الى من تلم بهم الكارثة فيراهم ـ ببعض كلمات يقولونها فى صدق وحرارة وهم يرفعون اكف الضراعة الى السماء ـ يستردون كل اسباب الراحة والهدوء .

هناك قوة تحمل عن الناس همومهم ، وتمسح عنهم احزانهم ، وهو فى هذه الساعة فى شديد الحاجة الى عون من هذه القوة .. ولكنه نسي كل ذلك من زمن بعيد .

وخيل اليه انه فقد شيئا عظيما .. ثروة هائلة ، واحس بأنه يتيه فى وديان من الضياع لا تمتد اليه فيها يد حانية .

نظر الى ابنته الكسيحة ، فبكى ، والى امرأته المهشمة فأغمض عينيه ، ونهضت من اعماق الماضى كلمات جده .. وأبيه .. وعمه .. الكلمات الدافئة الصادرة من يقين رسخ على مدار الاجيال ، واحس بأنه غريب عن كل هذا ..

وضاق صدره ، فخرج فى جوف الليل الى العراء يلتمس بعض الهواء . وكان حزنه قد صار مضرب الامثال فى الناس . فمر بجماعة سمعهم يتذاكرون امره ، ويعيدون الحديث عن قصته ووجوديته وزواجه ومأساة حزنه ، فتوقف ليستمع من حيث يسمعهم ولا يرونه ، فاذا بكلمة انخلع لهـا فؤاده ، وطاش صوابه قال احدهم :

لماذا الحزن ؟ الم يكن وجوديا .. الم يكن لامرأته الوجودية ان تصنع ما تشاء ؟ الم تكن تسافر كل عام لتقضي بضع شهور مع اصحابها هناك . ترى هل هو على يقين من .. وغامت الدنيا فى عينيه .. وترنح حتى كاد يقع ارضا ، فهز رأسه فى عنف وهو ينطلق مرددا لا .. لا .. من المحال ان يكون الامر فظيعا الى هذا الحد .

وعاد الى الدار ، وكان الطبيب قد اعطى الفتاة وامها المخدر ، فراح يمعن فى وجه الفتاة النائمة وراح يفتش ملامحها بصورته فى المرآة .

لقد استبد به خاطر واحد .. وفى ليلته تلك لم ينم ، واحصى فى الصباح مائة عقب من اعقاب السجاير فى المنفضة .

* * *

واشار عليه اصحابه ان يذهب بابنته وامرأته الى العلاج فى الخارج، فسافر بهما ، واستودعهما احدى المصحات ، وعاد ليقضي اياما محمومة فى انتظار مريع .. تلسع فؤاده مئات المرات فى كل لحظة كلمة واحدة .. ويدور فى خاطره سؤال واحد يحمل الى رأسه الحميم .. وشك قاتل يلسع قلبه بشواظ من نار .

حتى جاءه الجواب ذات يوم فى خطاب كتبته امرأته فى ساعاتها الاخيرة ، قبل ان تموت هناك فى المصحة البعيدة .

وداعا .. انني اموت .. اسير الى العدم .. لقد انتهت ايامي .. واما الفتاة فسيرعاها البير .. انه هو ابوها .

اهمية الكفاح فى سبيل الانسانية مبلغ أهميته فى سبيل اليهودية ، وسيادتها العالمية ، واليهودية تبتدىء فى ذلك الكفاح كقوة قاهرة ينبغي أن تخضع الماسونية لها ، ولا عجب فى ذلك لان اليهودية هي المسيطرة فعلا بطريقة خفية مقنعة على كثير من محافل اوروبا)) .

وقال الحاخام الدكتور اسحق وايزمن فى كتابه((اسرائيليو امريكا)) : انالماسونية مؤسسة يهودية ، فتاريخها ودرجاتها وأهدافها ورموزها السرية ومصطلحاتها يهودية من أولها الى آخرها)) .

وجاء فىمجلة « ذى جويش تريبيون » ـ وهي مجلة يهودية ـ المجلد ٩١عدد ١٨ « ان الماسونية قائمة على اليهودية فاذا استؤصلت اليهودية من شعائر الماسونية ومصطلحاتها فما الذى يبقى بعد ذلك» .

ويقول رتشارد كارليل فى كتابه « الحركة الماسونية مبسطة وان المحفل الماسوني الأعظم يهودى برمته فى الوقت الحاضر (١) .

وجاء فى كتاب المؤامرة اليهودية « ان المحفل الامريكاني الماسوني الذى يدير الماسونية الكونية كل اعضائه من اعاظم اليهود وحدهم (٢) » .

وقالت الكاتبة اليهودية « بربارة توخمان » فى كتابها « التوراة والسيف » ص ٢١٧ « ... ان المؤسسين الأصليين للوطن القومي اليهودى ، وبالتالي لاسرائيلفى فلسطين ،هم الماسونيون(٣) » .

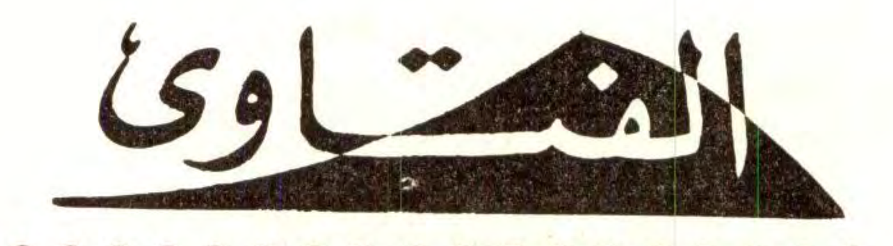
هذه النصوص الكثيرة التي أوردناها فى هذا المقال توضح بجلاء حقيقة الحركة الماسونية ، ومدى اتصالها بالصهيونية ، وخطورة هذه الحركة المستترة على الشباب،الذين يستهويهم بريقها الخلاب، ودعايتها المغرية ، وقد فطنت بعض الدول الاسلامية والعربية الى هذه الخطورة ، فحلوا المحافل الماسونية التي كانت فى بلادهم ، وجنبوا أممهم شر ويلاتها ، وقد نشطت حركة التأليف عنها ، فصدرت كتب كثيرة لكبار الكتاب المسلمين والمسيحيين على السواء ، تكشف النقاب عن النوايا المدخولة التي تستتر وراء الماسونية والماسونيين .

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . والله ما من احد احق بهذا المال من احد ، والله ما من احد من المسلمين الا وله فى هذا المال نصيب ، والله لئن عشت لهم ليصلن الراعي فى صنعاء حظه من هذا المال ، وهو يرعى مكانه .

(١) يراجع مجلة « المسلمون » المجلد السادس العدد الثامن .

(٢) كتاب اسرار الماسونية و كتاب اخطر الجمعيات وأقدمها .

(٣) كتاب التبشير والاستعمار .



سيارات الأجرة

السؤال : ـ

رجل يملك عددا من السيارات يؤجرها للغير ، ويقبض اجرتها ، فهل تجب عليه زكاة هذه السيارات ؟ .

الاجابة : ـ

صرح الفقهاء بأن الزكاة لا تجب فيما اعد للكراء من حيوان وعقار وغيرهما كالسيارات وعلى هذا فلو كان للانسان عدة بيوت او عقارات او حيوان او سيارات ، او تليفزيونات او غيرها يؤجرها ، ولم يتخذها للتجارة فلا زكاة عليه فيها ، ولكن يجب عليه ان يزكي ما ادخره من ريعها وأجرتها اذا بلغ نصابا بنفسه ، أو بضمه الى بقية ما له بشرط ان يحول عليه الحول . وذلك لأن الزكاة لا تجب الا فى الاموال المعدة للنماء والزيادة اما اذا تملك السيارات او البيوت بقصد التجارة فيها بالبيع والشراء فحكمها حكم سائر عروض التجارة تجب فيها الزكاة .

الغناء والموسيقى

السؤال : ـ

ما حكم سماع الغناء والموسيقى ، هل هو حرام ، أم جائز ؟ .

الاجابة : ـ

رخص الاسلام فى الغناء وضرب الدف وهو نوع من الموسيقى والاستماع اليهما فى المناسبات السارة كأيام العيد ، وعند الزفاف وقدوم الغائب ، وفى العقيقة والولادة ، عن عائشة ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام من (عيد الاضحى) تغنيان وتضربان ، والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوب ، فانتهرهما ابو بكر ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه ، وقال « دعهما يا أبا بكر فانها ايام عيد » رواه البخارى ومسلم .

وعن عائشة انها زفت امرأة الى رجل من الانصار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ، ما كان معهم من لهو ؟ فان الانصار يعجبهم اللهو » رواه البخارى .

وذكر الامام الغزالي فى كتابه الاحياء عند الكلام على السماع احاديث غناء الجاريتين ولعب الحبشة فى مسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وتشجيعه لهم بقوله « دونكم يا بني أرفده » وقوله لعائشة تشتهين ان تنظرى . وقال الغزالي هذه احاديث كلها صحيحة ، وهي نص صريح فى ان الغناء واللعب ليس بحرام .

الا أنه يجب ان يقيد هذا بالقيود العامة التي تضمنتها الشريعة الاسلامية ومنها ان تكون الفاظ الاغنية ومعانيها متفقة مع الآداب الاسلامية ، فالاغاني التي تتناول الهجاء او تغرى بالفاحشة ، او تشيد بالخمر وغير ذلك والاداء الذى يشيع الاغراء بالشهوات واثارة الغرائز . كل هذا يجعل الغناء والموسيقى من اللهو المحرم ، حماية للمجتمع وسدا للفتنة .

دخول السينما

السؤال : —

هل يحل للمسلم ان يدخل السينما والمسرح ام يحرم عليه ذلك .

الاجابة : —

السينما والمسرح وغيرهما — اذا احسن استخدامهما للتوجيه والتوعية وذلك بعرض الافلام والتمثيليات الهادفة التي تصور مشكلة من المشكلات الاجتماعية كبيان اضرار شرب الخمر أو التدخين او عاقبة شاب طائش اسرف على نفسه او قسوة أب على اولاده واهمالهم وتركهم فريسة للتشرد والضياع ، او نتائج انتشار الرشوة فى المجتمع مثلا ، او كان الفيلم او الرواية يدور حول تمجيد البطولة والفداء والتضحية الى غير ذلك — اذا كان ما يعرض فى السينما من هذا القبيل فهو من اللهو المباح وبناء على هذا يجوز دخولهما والاستمتاع بما يعرض فيهما بشرطين : الا يكون هناك اختلاط بين الجنسين ، والا يترتب على ذلك ضياع او تأخير فرض من فرائض الصلاة مثلا .

التلقيح الصناعي

السؤال : —

وجاءنا من السيد م . س . ف . الموظف بالكويت هذا السؤال : —

حيواناتي المنوية قليلة ، ولا يمكن الانجاب الا بواسطة التلقيح كما قال المختصون حيث تؤخذ حيواناتي المنوية بواسطة طبيب وتحقن بها زوجتي بواسطة طبيبة . فهل هذا التلقيح مباح أم لا . . حيث ان لي رغبة ملحة فى الانجاب : —

الاجابة : —

التلقيح الصناعي ان كان بنطفة الزوج حل ولا شيء فيه ، وكثير من الاطباء يلجأون الى هذا عندما يعالجون مشكلة العقم بين الزوجين ويرون ان سببها سرعة القذف عند الزوج بحيث لا توجد فرصة لدى المادة المنوية للدخول فى رحم الزوجة .

اما اذا كان التلقيح بغير نطفة الزوج فهو محرم شرعا والولد الناتج عن هذا التلقيح لا يصح نسبته الى الزوج . قال المرحوم الشيخ محمود شلتوت فى التلقيح بماء الاجنبي « هو جريمة منكرة واثم عظيم يلتقى مع الزنا فى اطار واحد جوهرهما واحد ، ونتيجتهما واحدة » .

الوسيط التجارى

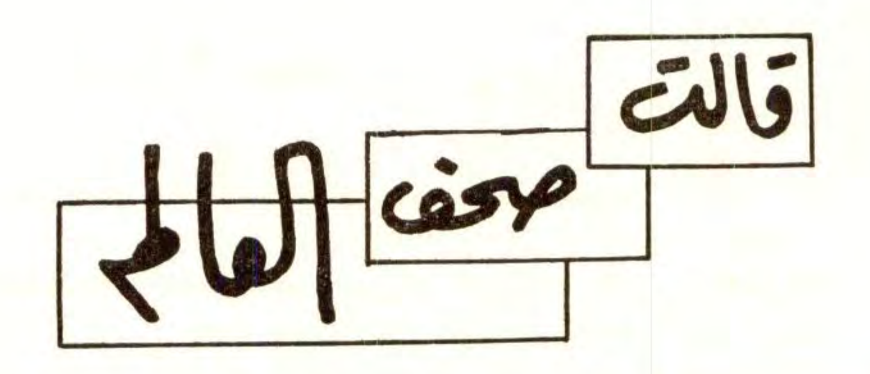
السؤال : —

وجاءنا من ع . م . الكويت سؤال يقول فيه : —

عملي اني اقوم بالتوسط بين البائع والمشترى ، وأسهل عملية البيع والشراء بين الطرفين ، ولي على ذلك عمولة . فهل هذا كسب حلال ؟ .

الاجابة : —

المعاملات التجارية اتسعت فى هذا العصر وتنوعت اشكالها وصورها ، وكثيرا ما تحتاج الى وسيط يسهل للبائع والمشترى تبادل السلع ، وهذا الوسيط او الدلال او السمسار يقوم بدور كبير فى اتمام الصفقة والتعاقد عليها ، فلا باس ان ياخذ هذا السمسار على عمله هذا نقودا أو عمولة بنسبة معينة طبقا لما يتفق عليه من الشروط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون عند شروطهم » وعلى السمسار الا يلجأ الى الغش والخداع لأى من البائع والمشترى .



فضل الإسـلام على العرب

نحـو أدب إسـلامي

الـوعي الإجتمـاعي

فضل الاسلام على العرب

كان هذا الموضوع مدار الحديث فى الندوة الشهرية لمجلة لواء الاسلام القاهرية ، ومما قاله فضيلة الشيخ محمد الغزالي فى هذه الندوة .

عندما نتحدث عن العروبة والاسلام اريد ان اتجاهل ما حدث فى التاريخ الانساني خلال المائة سنة الاخيرة ، فان القوميات نبتت فى بيئات شتى ، وأصبح تعلق الناس بأوطانهم وأجناسهم شارة العصر الحديث . ثم استمعنا الى من يقول المانيا فوق الجميع ، وأيطاليا فوق الجميع وغير ذلك من هذه النزعات الضيقة التي مزقت الانسانية بمفهومها الواسع ومعناها النبيل .

ثم للاسف وجدت نهضة عربية . هذه النهضة لحقها من وثنية القوميات التى نضج بها العصر الحديث ما جعلها تظن انها تستطيع الانسلاخ عن الاسلام ، او استصحابه كعامل مساعد او عامل ثانوى ، لكي يعيش فى ظل عروبة تستطيع ان تشمخ بأنفها بنسبها العربي وحده .

ان هذه النزعة العروبية المجردة البعيدةعن الاسلام نزعة سفيهة وجاهلة ومتجنية على التاريخ ، لان العرب ما كانوا من غير الاسلام وقبل الاسلام أمة ، بل كانوا أمة ذنبا لغيرهم او تابعا يدور فى فلك الآخرين ، أو أمة ليس لها من الموضوع ولا من العنوان ما يجعل لها شأنا مذكورا فى الحياة ، حتى جاء الاسلام فاذا الامة التابعة تصبح امة قائدة ورائدة ؟ هل هو المأثور من شعرهم الجاهلي ؟ هل هي مواهب بعض الفرسان

وبعض الفرسان وبعض الرجال الذين نبغوا بين القبائل ؟ لا : ان العرب بمواهبهم العربية وحدها لايصلحون لشيء ولا يمكن انيكونوا فى الدنيا الا كشعب كمبوديا فى آسيا أو شعب شيلي فى أمريكا أو الكونغو فى افريقيا أو أي شعب من مثل هذه الشعوب ، حتى جاء الاسلام فاذا هو يصنع من هؤلاء الناس وبطريقته السماوية الفريدة أمة لها رسالة ، أمة تقود العالم ، فاذا نظرنا الى المعنى الذى قادت به الامة العربية فانما هو الاسلام (وانه لذكر لك ولقومك فسوف تسألون) ـ (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

بم تفتخر الامم ؟ أو بم تفتخر الشعوب ؟ تفتخر برقيها العقلي،بتطورها الاجتماعي برسوخها فى ميدان التشريع ، بكل المآثر الانسانية الضخمة التي يمكن ان تستفيد منها القارات الخمس ، فاذا نظرنا الى العرب من الناحية التشريعية من غير اسلام نجدهم صفرا ، وكذلك الناحية العقلية . كقصب السكر اذا استخرج منه السكر فانه لا يبقى الا حطام يرمى فى النار ما بقي منه بعد ذلك كذلك العرب قبل الاسلام . ويجب أن يفهم هذا كل من يغالي بعروبته ويريد أن يجعل للعرب أمجادا موهومة ، وأن يجعل لهم فى تاريخ الدنيا حضارة لم يعرفها الانس ولا الجن . فان العرب كانوا فى صحرائهم أمة تائهة ، لا وزن لها فى حضارات البشر القديمة ، ولا مكان لها فى دنيا الناس الا مكان الاتباع ، او مكان الذى يطلب من الدنيا الاكل والشرب فقط (المستوى المادى) . لكن الذى دفع بالعرب ودخل بهم التاريخ وجعلهم امة تلقى ظلالها على القارات المعمورة هو الاسلام . هذا المعنى اريد أن ابرزه جيدا .

نحو ادب اسلامي

وكتبت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تحت هذا العنوان تقول :

الاديب المسلم بتصوره الاسلامي تتسع نظراته ، وتكبر دائرة مشاعره ، ويزداد تفاعله مع الكون كله بما فيه من نبات وحيوان وانسان ، ويصبح صوته المبدع وأدبه الاصيل ، هو صوت الانسان اينما كان ، لانه صوت الفطرة الشاعرة الاصيلة بل يزيد ابداعه ويغزر حتى يشمل مظاهر كثيرة يغفل عنها أدباء غيره .

ان المسلم الذى يعتقد انه خليفة الله فى الارض ، يستطيع ان يكون اديبا مبدعا ، وان ينتج ادبا عالميا انسانيا . يتسم بالاصالة والجمال والحقيقة ، ادبا يجد تجاوبا عميقا مع احساسات الانسانية ، ومظاهرها الطبيعية .

وعلى ضوء هذه النظرة ايضا تساهم فروع الادب كلها فى خلق الادب الاسلامي . من قصة ومسرحية ، وشعر ومقال ، وبحث ، ونقد ، وغيرها .

بهذا يختفي من عالم الادب او يتضاءل ادب الميوعة والجنس ، وأدب الاثارة واللذة وادب المناسبات والقرابات لانه ادب مصطنع لا يعبر عن مشاعر الشعب ، ولا يمثل حقيقة المشاعر الانسانية ، ولا يعطي الشعب ادبه المنتظر .

ويختفي أيضا من عالم الادب ، مدعو الأدب ومروجو الزيف ، وتجار الكلمة ، ودعاة الدعارة باسم الادب والفن والكلمة .

ان الامة الاسلامية التي تدين بالاسلام عليها ان تخلق ادبا اسلاميا بمشاعره وتصوراته وتطلعاته حتى لا يمثل هذا الشعب ادعياء الادب وهم تجار الزيف والفساد .

ان الادب الاسلامي هو الادب الاصيل حين ينبع من التصور الاسلامي الصحيح ، لأنه يعبر عن روح الامة ومشاعرها وآمالها ، ويستطيع أن ينقد الحياة والمجتمع، فيهدم

الصور المشوهة للادب ، ويرسم الصورة الصادقة لادب يعبر عن مشاعر النفس واحاسيسها وتطلعاتها وتعاطفها مع ما حولها .

ان الحياة كلها ، والفطرة الانسانية ، والطبيعية الواسعة عالم رحب ، وحافز قوى للادب الاسلامي ولكن مسؤولية خلق هذا الادب تقع على عاتق الاديب المسلم الذى يعي رسالته ، ويعرف مواقع اقدامه وينطلق حاملا هذه الامانة ليرسم معالم ادب جديد لمجتمع اسلامي منشود ، ولن يكون احد اجدر من الاديب المسلم فى الحداء لهذا المجتمع الذى يؤمن بالاسلام فى اعماقه لانه عقيدة الفطرة .

الوعى الاجتماعي

وكتبت مجلة الايمان المغربية تحت هذا العنوان تقول : ـ

ان الغريزة الاجتماعية حالة مشتركة بين الناس من كان منهم واعيا وعيا اجتماعيا صحيحا ، او من كان على غير ذلك . والغريزة هذه ـ وان كانت تدفع عن الانسان السوى شدة ميله الى العزلة والتوحش ، شأن بعض الحيوانات المنعزلة حتى عن بني جنسها ـ فانها لا تخلق فيه بالضرورة .. الاستعداد الكافي ليتجاوب مع المجتمع الذى ينتسب اليه تجاوبا عميقا يحقق به مجتمعيته فى ابعادها الكاملة ووجوهها الصحيحة ، وانما الذى يخلق فى الفرد مثل هذا الاستعداد، هو توافر الشعور الاجتماعي عنده ، لا مجرد الغريزة الاجتماعية ، والشعور الاجتماعي حالة نفسانية ايجابية لا تجعل المرء يحس بانعطاف عميق نحو مجتمعه . انعطاف ليس من قبيل العاطفة السطحية . والنزعة المتهافتة ، بل هو انعطاف يقود الفرد الى الاحساس بعمق الرابطة التي تصله بكل فرد من افراد المجتمع ، وبما يمثله هؤلاء الأفراد من حضارة قائمة ، وقيم متوارثة ، وفاعليات مؤثرة وأوجه للحياة عديدة ومتميزة .

والانعطاف هذا لا يعنيمجرد التعصب لكل ما هو موجود فى البلد من قيم وحقائق ، ولو كانت غير صالحة ، ان الانعطاف اولا هو غير التعصب ، انه يناقض فقط حالة الانفصال العشوائي عن المجتمع هذه الحالة التي تعترى بعض الأفراد الذينيعوزهم الوعي الاجتماعي ، او اصيبوا فى مجتمعيتهم لسبب أو آخر ، ان الانعطاف الواعي نحو المجتمع يقتضي الانعطاف نحو الحالة الأمثل ، التي يجب ان يكون عليها المجتمع . ومعنى ذلك ، ان الفرد ، وهو ينزع الى الارتباط بمجتمعه بما فيه من مساوىء ، فان هذا النزوع الى الارتباط ، لا بد ان يكون ممتزجا عند الفرد بفكرة العمل على التخفيف من المساوىء التي تلتصق بالمجتمع وتنمية الاوجه الايجابية التقدمية ، التي قد تكون بادية فى محيطه ، او بالتالي السعي الى التعاون مع الآخرين ـ على خلق هذه الاوجه التقدمية بشكل من الاشكال ، ويجب الا يغرب عن الذهن ، ان الدافع الى الانعطاف نحو شيء من الاشياء ، يكون ـ فى كثير من الحالات ـ دافعا نفسانيا قبل كل شيء ، لكن الحالة الشعورية التي تتمثل فى هذا الانعطاف ، يجب الا تبقى ذات أبعاد نفسانية فقط ، بل يجب ان تتطور ، ويتسع مداها لتصبح حالة ادراك منطقي ، تتبين فيه الحدود والمزايا والسبل المؤدية ، وعلى هذا ، فمن الضرورى ، ان يتشكل الوعي الاجتماعي ـ بعد ان تدفعه قوة الشعور الى مداه النفسي الاكثر عمقا ـ من الضرورى ان يتشكل هذا الشعور حينئذ فى اطار فكرة واضحة المعالم ، لها كل ما للأفكار من قوة الارتباط بالعقل . والاستمداد من وحيه ، وذلك ما من شأنه ان يساعد على تكييف مدركات الفرد حول الموضوع الاجتماعي الذى يحيط به ، واكساب هذا الفرد عقلية اجتماعية سوية ، يتبين بها وضعيته المنطقية داخل مجتمعه الضيق (المدينة) ومجتمعه الكبير (البلاد) ومجتمعه الاكبر (العالم العربي ـ الاسلامي مثلا) .





حول زواج الشيوعية بالمسلم

تلقينا الرسالة التالية من السيد : ن ش ق من الكويت .

لقد لفت نظرى ما جاء فى مجلة الوعي الاسلامي العدد السابع حول زواج الشيوعية بالمسلم « .. وكذلك الحال بالنسبة للمرأة الشيوعية ، لا يجوز التزوج منها .. الخ » .

فاذا كان هذا لا يجوز شرعا فهل هناك من آية او حديث يمنع ذلك صراحة ، وما رأيكم بمن تزوج بفتاة شيوعية من هنغاريا (المجر) منذ خمس سنوات وقد تم عقد القرآن حسب العادات الاسلامية فى بلد عربي شقيق .

هذا علما بأن الزوج مسلم محافظ على الدين بكل ما فى الكلمة من معنى ، واما الزوجة فانها تبدى احترامها البالغ للشعائر والطقوس الدينية التي يقوم بها زوجها ويؤديها ، وهما يعيشان حياة سعيدة هادئة طوال مدة زواجهما .

وبهذه المناسبة لا يفوتني ان اذكر لكم ان لهما ابنا عمره اربع سنوات نشآه تنشئة دينية قويمة .

هل يبقى الزواج بينهما قائما او انه يجب عليه ان يسرحها باحسان وبذلك يهدم بيته السعيد ؟ ! ماذا يفعل ، ارجو ان يكون جوابكم واضحا على صفحات مجلة الوعي الاسلامى العدد المقبل .

ونحن نقول للاخ الفاضل ان مناط عدم الزواج بشيوعي او شيوعية هو انكارهم لوجود الله . وقد قلنا فى سياق التعليق على الفتوى ص ٩٣ العدد السابع ما نصه « واذا كان الاسلام لم يجز زواج المسلمة بمشرك او كتابي يعترف بوجود الله فمن البديهي انه لا يجيز زواجها بملحد يحارب الاديان وينكر وجود الله » .

وأنا اشير بهذا الى قوله تعالى فى الآية (٢٢١) من سورة البقرة **« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه .. »** وهذا دليل واضح وصريح ومعلل بقوله فى آخر الآية « اولئك يدعون الى النار .. » وهو يقطع بعدم صحة زواج المسلم من شيوعية تعتنق المذهب الشيوعي . اما اذا كانت من بلد حكومتها شيوعية كالزوجة التي تتحدث عنها فليس بلازم

ان تكون معتنقة للمذهب الشيوعي وما دامت قد ابدت احترامها البالغ للشعائر والطقوس الدينية التي يقوم بها زوجها ويؤديها وأن لهما ابنا عمره اربع سنوات نشآه تنشئة دينية قويمة » ما دام امر هذه الزوجة كذلك ولم يصدر عنها ما يدل على رفضها للأديان فهي كما اظن قد بقيت على دينها المسيحي . والزوج هو الذى يستطيع ان يلمس ذلك ويكيف روحها من ناحية الدين .. فاذا اطمأن الى احترامها لدينه ، وبقائها على المسيحية ابقى على الصلة الزوجية بينهما ولا يهدم بيته السعيد ..

وأحب ان تكون هذه هي القاعدة العامة فى تكييف حالة الزوجة اذا كان يظن فيها انها شيوعية ..

المذاهب الاسلامية

وتلقينا الرسالة التالية من الاستاذ محمد مهدى الخالصي بجامعة مدينة العلم بالكاظمية فى بغداد .

تابعت جامعتنا ومكتبتها وانا شخصيا ، الاعداد التي صدرت من مجلتكم فلفتت انظارنا من جملة ما لفت نقطتان حيويتان فى مجلتكم .

أولا : المستوى العالي من الوعي الذى ينعكس على المقدمات التي تكتبونها ، وعلى الاجوبة التي يرد بها على اسئلة القراء ، والذى من مظاهره ايضا حسن اختياركم المواد التي تأخذ طريقها للنشر .

ثانيا : المستوى الاسلامي الذى عصمها من ان تقع فريسة للمذهبية الضيقة التي تكون غالبا آفة المجلات والصحف وسائر النشاطات الدينية ، الأمر الذى يفقد تلك الصحف قيمتها العلمية ، كما يفقدها قيمتها الاستدلالية ثم يطبعها بطابع التعصب المقيت ، فتعجز عن اداء مهمتها ، ثم تنتهي ، وفى الحقيقة ان النقطة الثانية من مظاهر النقطة الأولى بل من أهم مظاهرها ؛ نظرا لان الواعين المخلصين من دعاة الاسلام هم الذين يدركون حقيقة المعركة التي هي معركة بين الاسلام بجميع مذاهبه ، التى لم تخرج عن اصول الدين الاساسية ، وبين الكفربجميع اشكاله ، بينمايغفل المتعصبون - مذهبا - عن هذه النقطة مما يجعلهم فى دوامة من الصراع الجانبي الذى لا يخدم الاسلام ، بل يعمل على تفتيت الجهود ، واننا اذ نبارك لكم هذا الجهد المشكور ، وهذا النهج الواعي ، نسأله تعالى لكم مزيد التوفيق ودوام التسديد ، لخدمة الاسلام ، والاسهام فى تنبيه الامة الى حقائق الاسلام ، ومساهمة منا فى دعم هذا النهج القويم ، اقترح ان يشتمل ما تنشرونه من آراء واحكام شرعية على جميع وجهات النظر الفقهية ، وفى المذاهب الاسلامية المحترمة ، بغية ابراز الوحدة الاسلامية ، وعرض الخصوبة الوافية فى الفقه الاسلامي ، ولا اشك بانكم سوف لا تغفلون هذه الناحية خاصة وان للمجلة قراءها فى كل من العراق وايران ولبنان والخليج والكويت ممن يتوقعون الا تغفل المجلة هذه الناحية ..

« والوعي الاسلامي تشكر للاستاذ الكبير روحه الطيبة وحسن استقباله هو واخوانه للمجلة . ونعده باننا سنضع اقتراحاته أمام أعيننا فى المستقبل ان شاء الله ..

التحلي بالفضة

وتلقينا من فضيلة الشيخ محمد احمد علي صالح المراقب بمعهد اسيوط الديني التعقيب الآتي على الفتوى التي نشرناها فى العدد السابع تحت عنوان : « السن الذهبية »

فقد اطلعت على الفتوى « السن الذهبية » بالعدد السابع من السنة الأولى شهر رجب ١٣٨٥ هـ من مجلة الوعي الاسلامي والسؤال « ما حكم الشريعة الاسلامية فى السن الذهبية والعين الزجاجية » وجواب المجلة « يحرم على الرجال التحلي بالذهب والفضة ويحل للنساء ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : احل الذهب والحرير لاناث امتي وحرم على ذكورها . الخ » .

فقد نص الحديث على حرمة الذهب والحرير على الذكور دون الاناث ولم ينص على حرمة الفضة على الذكور ، كما جاء بصدر الفتوى . وحيث ان الحديث الذى معنا لم ينص على حرمة الفضة على الذكور فيكون التحلي بالفضة للرجال جائزا فى الامور الآتية : —

١ — اتخاذ الخاتم من الفضة فى وزن درهمين .

٢ — تحلية جلد المصحف الشريف تعظيما له .

٣ — تحلية السيف فى حق الرجال دون النساء وذلك ارهابا للعدو .

٤ — وفى تحلية السرج واللجام والسكين وتمويه الآنية النحاسية والرصاصية والاناء المضبب سواء كان من الخشب او الصيني ليلحم بسلك من فضة او ذهب قولان : المنع والكراهية على حد سواء .

أما الأول فقد روى البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب أو فضة وجعل فصه مما يلي كفه ونقش فيه « محمد رسول الله » فاتخذ الناس مثله ، فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال : لا البسه ابدا ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة ، قال ابن عمر : فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان فى بئر أريس » وبئر اريس قريبة من مسجد قباء ، ومثل هذا الحديث رواه مسلم فمن هذا الحديث يعلم بطريق النص ان الرسول صلوات الله عليه نهى عن اتخاذ الخاتم من ذهب وقال لا البسه ابدا ثم اتخذه من فضة ، واتخذ الناس خواتمهم من الفضة ، ولم ينه الناس عنه حينما اتخذوا الفضة كما نهاهم عن الذهب، واستمر العمل به بعده من اصحاب رسول الله كأبي بكر وعثمان والحسن والحسين رضي الله عنهم اجمعين . وكلمة « الناس » الواردة فى الحديث أعم من الخلفاء الراشدين فقد تخطاهم العمل الى غيرهم كما جاء فى موطأ مالك رضي الله عنه عن صدقة بن يسار انه قال : (سألت سعيد بن المسيب عن لبس الخاتم قال البسه واخبر الناس اني افتيتك بذلك) .

وروى البخارى ايضا ان حميدا يحدث عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان خاتمه من فضة وكان فصه منه .

وروى البخارى ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم (كان يلبس خاتمه فى خنصره الاصبع الصغرى) لأنه ابعد عن الافتنان والعجب . والاحاديث فى ذلك كثيرة على اتخاذ الخواتم من الفضة للرجال دون الذهب .

واشترط السادة المالكية فى لبس هذا الخاتم من الفضة شروطا منها :

ان يكون وزن درهمين كخاتم الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يجوز ما زاد على درهمين وان يكون واحدا فلا يجوز تعدده ولو كان وزن المتعدد درهمين فأقل كما لا يجوز ان يكون بعضه ذهبا وبعضه فضة .

وحكم التختم بالفضة انه مستحب اقتداء بالرسول ويستحب ان يكون فى خنصر اليسار منعا للتعجب ويكره وضعه فى اليمين .

اما عن الثاني والثالث والرابع من تحلية المصحف والسيف والسرج الى آخره فهذه الاحكام على مذهب الامام مالك رضي الله عنه .

والوعي الاسلامي تشكر لفضيلة الاستاذ عنايته وتتبعه وتعليقه الوافي : ومع ان الظاهر أن كلمة (الفضة) ذكرت سهوا لأن الحديث الذى استدل به ليس به الفضة الا ان هذا السهو كان سببا فى تعليق الأخ الفاضل هذا التعليق الوافى الدقيق. شكرا .

ردود قصيرة

الاستاذ توفيق بازرعه — المحامى — بالجيزة —

شكراً لكم على تهنئتكم للمجلة وأسرتها

السيد ابراهيم عبد الله — المنصورة بالجمهورية العربية المتحدة —

مع شكرنا لكم نأسف لعدم استطاعتنا ارسال الاعداد السابقة . ويمكنكم الاتصال بشركة توزيع الاخبار شارع الصحافة بالقاهرة . والاشتراك عن طريقها ..



الكويت

* أصدرت حكومة الكويت أمرا باغلاق المطاعم والمقاهي أثناء النهار حتى قبل الغروب بساعتين وذلك بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك وجريا على العادة المتبعة فى البلاد طيلة ايام هذا الشهر الكريم .

* انتقل الى رحمة الله الشيخ خالد العبد الله السالم الصباح وزير البرق والبريد سابقا والنجل الثاني لسمو الامير الراحل وشقيق الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع . وقد وافته المنية فى سويسرا يوم ٣ يناير ١٩٦٦ عن ٣٦ عاما ، ونقل جثمانه الى الكويت .

والوعى الاسلامي تقدم تعازيها لسمو أمير البلاد وللشيخ سعد العبد الله وللأسرة الكريمة وتسأل الله للفقيد الرحمةوللأسرة جميل الصبر .

* صرح الشيخ جابر الاحمد الصباح رئيس حكومة الكويت لمندوب صحيفة الأهرام القاهرية بأن الكويت يؤمن بسياسة العمل العربي الموحد ويؤيدها بكل قواه ، ((ونرى أن مؤتمرات القمة العربية هي أسلوب ايجابي لممارسة ذلك العمل الذى يقوم على وحدة الهدف ويكون طريقا لتحرير الأرض العربية فى فلسطين من الاستعمار الصهيوني)) . وقال ان حكومة الكويت قررت ان تستمر معونتها لامارات الخليج ، وأضاف انه لا يقبل ان تكون هذه المعونة عن غير طريقة مباشرة الى ان تتاح الظروف لممارسة صندوق الجامعة العربية مشروعات التنمية فى الخليج .

وأوضح ان الضغط الخارجي هو سبب تأخير تقديم المعونة الى الخليج عن طريق الجامعة العربية لانه لا يمكن ان يكون شيوخ الخليج هم السبب . وقال ان اهم ما يشغل وقت الحكومة الآن هو العمل على وحدة الشعب الكويتي والموضوع الثاني هو تنفيذ مشروع تزويد الكويت بالمياه من نهر الفرات الذى يتكلف ٧٠ مليون جنيه ويتم تنفيذه فى ٣ سنوات ويؤدى الى ان تقلل الكويت من اعتمادها على دخل النفط كمصدر للثروة القومية ، اذ تستطيع ان تستغل فائض المياه فى الانتاج الزراعي والحيواني .

القاهرة

* بلغ عدد القراء الذين أوفدتهم وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة الى انحاء الأقطار الاسلامية نحو ٥٠٠ قارىء . والجدير بالذكر أن النفقات الخاصة بهؤلاء القراء تتكفل بها الجمهورية العربية المتحدة .

* حددت جامعة الازهر عام ٦٦/٦٧ لافتتاح كلية الطب التى ستكون تابعة لها ومقرها مدينة القدس تيسيرا للطلاب العرب من ابناء الدول الشقيقة ...

* جرى اتصال بين الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الازهر والشيخ أحمد هريدى مفتى الجمهورية ، تناول موضوع توحيد رؤية الهلال فى العالم الاسلامي ، والاتفاق على مقاييس ثابتة ويمكن الاعتماد عليها فى اعلان بدء الصيام . وقد أرسل مفتي الجمهورية مذكرة مفصلة بوجهة نظره الى شيخ الأزهر .

وتم الاتفاق على عرض جميع البحوث التي تناولت هذا الموضوع على مؤتمر المجلس الأعلى للبحوث الاسلامية الذى سيعقد بالقاهرة فى الصيف القادم ، للاتفاق على كيفية توحيد رؤية الهلال .

* طلبت حكومة سنغافورة ٢٢ طبيبا مصريا مقيما واخصائيين باثولوجيين للعمل بمستشفياتها لمدة سنة على ان تتحمل مرتباتهم . وقد بدأت وزارة الصحة فى ترشيح هؤلاء الاطباء .

* وافقت شركة الطيران العربية المتحدة على تخصيص ٤ طائرات نفاثة لنقل افواج الحجاج بين مدينة بلانتير - عاصمة مالاوى - ومدينة جدة ، ابتداء من ١٥ مارس القادم .

* صرح الدكتور احمد رياض تـركي رئيس مجلس البحث العلمي بأن مشروع الاكاديمية يحدد مهمتها فى تتبع التقدم العلمي داخل الجمهورية وفى العالم الخارجي ، وتعبئة الجهود العلميـة وتنسيقها ، ومناقشة البحوث التي تعرض عليها ، وفحص الانتاج العلمي واختيار المستحقين لنيل جوائز الدولة .

العراق

* ارسل السيد محمد مهدي الخالصي عـن الهيئة العلمية فى جامعة مدينة العلم - الكاظمية - البرقية التالية الى السيد اسماعيل الأزهـرى رئيس مجلس السيادة السوداني .

تحريمكم الشيوعية الملحدة تأكيد لشـخصية السودان الاسلامية ، ودعم لحقوق الانسان على الأرض ، الهم الله حكام المسلمين السداد للاقتداء بكم وألهم الانسانية الرشاد للتخلص من اعدائها اعداء اللـه .

السعودية

* ستوفد المملكة العربية السعودية خمسين داعية للاسلام يقومون بنشر الديـن الحنيـف فى شتى البلدان الافريقية ، وستقام دورة تدريبية لتعليم الوعاظ اللغة الانجليزيـة والفرنسـيـة ليستطيعوا أداء رسالتهم .

* قرر مجلس الوزراء انشاء وحدات ذبـح تجريبية فى منى للاستفادة من لحوم الهدى .

* أصدرت المملكة العربية السـعودية أمـرا يحظر به على المبعوثين الدبلوماسيين منالسعوديين اصطحاب زوجاتهم معهم فى الحفلات الرسـمية التي يقيمها الدبلوماسيون كذلك حظرت عليهم المجاهرة بشرب الخمر فى هذه الحفلات ..

لبنـان

* قررت مديرية الشؤون الثقافية فى وزارة الخارجية اللبنانية ايفاد معلمين لتدريس اللغة العربية ، الأول الى نيجيريا والثاني الى السنغال بالاضافة الى بعثة المعلمين اللبنانيين الموجودة فى كل من البلدين ، وذلك استجابة لرغبة الافريقيين وتزايد اقبالهم على درس اللغة العربية فى المعهدين اللذين انشأهما لبنان فى دكار ولاغوس بموجب برنامج المساعدات الثقافية اللبنانية لافريقيا .

السودان

* حكمت المحكمة العليا بالسجن ستة أشهر على طالب شيوعي اتهم بالتطاول على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اثناء اجتماع حلقة دراسية شيوعية .

وكان هذا الطالب ويدعى شوقي محمد علي قد اثار موجة من الاستياء فى صفوف الشـعب السوداني مما أدى الى قيام حملة اسلامية على الحزب الشيوعي انتهت بحل الحزب واعتبـار وجوده غير شرعي ..

وقد عدلت حكومة السيد محمد احمد محجوب الدستور لتمكينها من سن قانون لمنع الحـزب الشيوعي وجعل نشر الشيوعية والالحاد جريمة يعاقب عليها القانون .

* اوصى المؤتمر الثامن للمحامين العرببان تتم محاولات توحيد قوانين البلاد العربية على اساس استمداد تلك القوانين من الشريعة الاسـلامية باعتبارها المصدر الرئيسي للتشريع فى قـوانين تلك البلاد . كما ناشد المؤتمر حكومة السودان الاسراع فى وضع قانون مدني يـكون مصـدره الاساسي هو الشريعة الاسلامية وأصدر المؤتمر ايضا توصية مماثلة بحق القانون المدني الجديد فى الأردن .

عمـان

* ينتظر ان يدعى العائدون الذين يحملون بطاقة اعاشة للتبرع بعشرة فلوس (١٢ قرشا لبنانيا) شهريا لانفاق حصيلتها على تحسـين بعض الخدمات فى مخيمات العائدين . وما تزال الفكرة مطروحـة للبحث وتحتاج لتنفيذها الى قرار من الحكومة .

* ذكرت صحيفة « الديلى تلغراف » اللندنية ان الأردن قرر ان يشترى من بريطانيا طائرات نفاثة مقاتلة تزيد سرعتها على سرعة الصوت .

وقالت الصحيفة ان مفاوضـات شراء هذه الصفقة قد قاربت على الانتهاء وتبلغ قيمتها ٣٠ مليون جنيه .



اخي القارىء

هذا الباب لك .» ربما تكون عندك فكرة طيبة . ربما تنفعل نفسك بموضوع تود أن ينتقل منك الى غيرك . ويشاركك فيه أكبر عدد من اخوانك . ربما تكتب الينا رسالة قصيرة تحمل دعوة كريمة ومع ذلك قد لا تتسع صفحات المجلة لها أو تطغي عليها البحوث والمقالات الطويلة .. ولاجل هذا فتحنا هذا الباب لتتلاقى فيه معنا ومع قراء المجلة .. المهم ان تكون الافكار والكلمات أصيلة .

صلاح الدين هل هو عربي ؟

كتب الينا السيد / عبد الله الشاكر من الموصل ـ العراق يقول : ـ

كان ظهور مجلتكم الفراء آية من آيات الوعي فى العالم الاسلامي الذي يضم ما يقارب ال ٦٠٠ مليون نسمة من الذين شرفهم الله بهذا الدين الحنيف ، وجعلهم ينعمون بالاخاء والمودة فى ظل عقيدة التوحيد السامية ... الى ان قال .. ولا يسعنا الا الابتهال الى البارى عز وجل ان يكلل جهودكم وجهود جميع المخلصين لاعلاء راية دينه واعادة بناء صرح الامة الصامدة . ثم قال تعليقا على ما نشر بالعدد الرابع عن اصل صلاح الدين .

أريد أن أعرض لكم حقيقة التاريخ عن أحد أبطال الجهاد الأفذاذ الذى كان فريد عصره فى بطولته وجهاده الا وهو صلاح الدين الايوبي محطم قوى الضلال ومحرر بيت المقدس من ايدي العابثين السفاكين .

لقد اختلفت المصادر فى تحديد اصل اسد الدين شيركوه واخيه ايوب والد صلاح الدين ، فذكر ابن الأثير (ان اصلهم من الاكراد) فى حين أنكر جماعة من ملوك بني أيوب نسبتهم الى الاكراد وقالوا « انما نحن عرب نزلنا عند الاكراد ، وتزوجنا منهم » وبعض من قالوا بهذا الاصل العربي نسبوا الايوبيين الى بني امية . ويبدو من دراسة موطن الايوبيين الاصلي ونشأتهم وسيرتهم بعد ذلك انهم اكراد الجنس، ويؤيد هذا الرأى مايرويه ابن خلكان عن شيخه واستاذه بهاء الدين ابن شداد كاتب سيرة صلاح الدين ـ اذ ذكر انه سمع شيخه بهاء الدين يحكي عن السلطان صلاح الدين انه عندما سمع هذا النسب العربي انكره وقال « ليس لهذا اصل اصلا » (١) فى حين جاء فى هامش الصفحة (٥٥) من مجلتكم العدد الرابع من مقال « فروسية العرب فى الاسلام » للدكتور احمد شوكت الشطي ما يلي « يخيل الي ان القارىء سيتهمني بفقدان الصلة بين العنوان والبحث

(١) نقلا من كتاب « الناصر صلاح الدين » ص ٦٥ ـ ٦٦ للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .

عن صلاح الدين ما لم أثبت عروبته» ويمضي الدكتور الشطي ليثبت عروبة صلاح الدين ببعض الادلة ومنها . ما جاء فى الجزء ٦ ص ٣ من كتاب ملوك مصر والقاهرة ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر حديث له (من تكلم بالعربية فهو عربي) .

وكثيرا ما يحتج بعض الناس بهذا الحديث ليجعلوا من بعض شخصيات الاسلام عربيا فى قوميتهم تعصبا ـ وارجو الا يؤول كلامي هذا بالطعن فى مقال الدكتور الشطي ـ مع العلم بان الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال بشان سلمان الفارسي (سلمان منا اهل البيت) لم يرد بهذا ان سلمان من اهل البيت حقيقة ـ ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها ليجعلها شرفا لسلمان على خدماته الجليلة (ومن الاكيد ان غير العرب من المسلمين يتشرفون بان يكونوا عربا لا من اجل جنس العرب بل لكونهم مسلمين فلغة القرآن العربية ونبي الاسلام عربي . فمن الذي يستنكف من الانتساب للعرب بعد كل هذه المزايا ؟ واسالكم بالله هل يمكن لغير العرب من المسلمين ان ينتسبوا لعروبة ابي جهل مثلا ؟ كلا والف كلا ، وختاما اقول نحن اخوة فى الدين لا فضل لأحد على احد الا بتقوى الله .

ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس أو تميم

« مناجاة »

وتلقينا من الاخ عبد الفتاح محمود الدربى / من طنطا بالجمهورية العربية المتحدة كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها :

يا رسول الله : أيها الباحث عن الحقيقة فى غار حراء طيلة خمسة عشر عاما ، لم يصبك فيها ملل ولم تقعد بك عن طلبها ملامة أهل أو شماتة عدو .

اية نشوة احسستها فى خلوتك ، واي جمال راته عين بصيرتك ، واي سناء هامت فيه مشاعرك ، أية حلاوة ذقتها فأضاعت مرارة يتمك ، وأي كأس تلك التي شربتها ، فبدلت وحشتك أنسا .

يا رسول الحق وصفي المعرفة : لقد قسم الناس العلم مراحل ، وجعلوا لكل مرحلة منه شهادة يحصل عليها من يتمها ، ومع ذلك فلم يصل منهم أحد الى النهاية ، فأي معرفة هي معرفتك أيها الامي الرسول .

يا نجي العرش : لقد أخبرتنا عن بعض ما رايته فى رحلتك الالهية ليلة الاسراء والمعراج ولم تخبرنا عن أشياء كثيرة لانها فوق مستوى عقلنا المحدود . ما المفاتيح التي اعطاكها جبريل . أية كلمات قيلت لك وأية كلمات قلتها فبان كل محجوب ، وفتح كل مغلق . أي مقام هو هذا المقام .

يا رسول الله : ان صورتك الصبوحة تتراءى لي وأنت بين أصحابك فى ذلك المسجد من اللبن المسقوف بسعف النخيل تعلمهم الكتاب والحكمة ، وترسي قواعد حضارة وتاريخ أمة ومجد انسانية .

وارى وجهك الباسم وأنت تؤاخي بين المهاجرين والانصار ، وتبذر المحبة فى قلوب المسلمين فعرفتهم العدالة الاجتماعية قبل ان يعرفها دعاة العصر الحديث .

وأراك بين صفوف المسلمين فى غزوات الحق تقاتل قتال قائد يريد أن يعلي كلمة الله ، ثم أرى السماحة كلها يوم الفتح وأنت تقف بين من أخرجوك من ديارك ، وآذوك فى اهلك ومالك ، تقول لهم لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

سيدي يا رسول الله :

اني أسير ولا زاد لي الا هديك . ولا طريق لي الا سنتك ، ولا ضياء لي الا الكتاب الذي انزل عليك (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) فسلام عليك يوم ولدت ، ويوم مت ويوم تبعث حيا .

المجلات الاسلامية الهادفة

جاءنا من الاخ عبد الله بن مشارى العلي من الرياض الرسالة التالية : ـ

سرني ـ كما سر كل مؤمن ـ صدور مجلة من الكويت القطر الشقيق تحمل آمال المسلمين ، وتبحث مشاكلهم وتدل على الاسباب التي أدت الى ما وصلوا اليه الآن من غربة فى ديارهم ، وتنكر لاعمالهم المجيدة ، حيث انطووا على أنفسهم ، ولولا وعد من الله اكيد وتنفس للاسلام طويل وعقيدة راسخة وفدائيون فى سبيل الحفاظ على العقيدة والذب عنها ، ولو انهم يلاقون فى هذه الدنيا الفانية كما لاقى سنمار ، الا ان ما اصابهم دليل على قوة ايمانهم ورسوخ عقيدتهم وتفانيهم فى مرضاة خالقهم وطاعة نبيهم ـ لكان لله شأن آخر فى مصير البشرية .

ان الحيارى التائهين الكثيرين فى ظلمة هـذا العصر من المسلمين عامة يستطيع النور ولو كان ضعيفا أن يريهم مواقع اقدامهم ، ثم يهديهم الى المنهج القويم . أليست الظلمات الكثيفة المصطنعة والتي تكاد تغطي كل شبر فى مجتمعاتنا هي مصدر الحيرة والقلاقل المتتابعة .

فما السبيل المؤدي الى انقشاع الظلام الرهيب ـ الذي كلما زاد امتداده اشتدت ظلمته ـ الا مشاعل من النور تهدى الى السبيل الواضحة المعالم .

ان المجلات الاسلامية الهادفة تمثل المشاعل الهادية .

ان أثر المجلات « المشاعل » لا يظهر بوضوح ـ فيستدل بهـا من تنكب عن الطريق ـ الا فى الظلام وان الطريق الذي ستسير فيه القوافل من المهتدين تلتقي عند نقطة واحدة بالسائرين السابقين لماذا لأن الغاية واحدة والزعيم واحـد والدستور واحد والاماني واحدة ، لذلك ستتمزق الحجب التي منعت النور برهة من الزمن ، وسينقشع الظلام الذي أورث الحيرة والضلال ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولينصرن الله من ينصره .

انني لو ارخيت للقلم العنان لباح بما يجول فى خاطري من آلام وآمال ولكني آثرت الوقوف عند هذا الحد .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجيب .

عمـان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضي ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية .

الخبـر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

عـدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكـلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبـى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

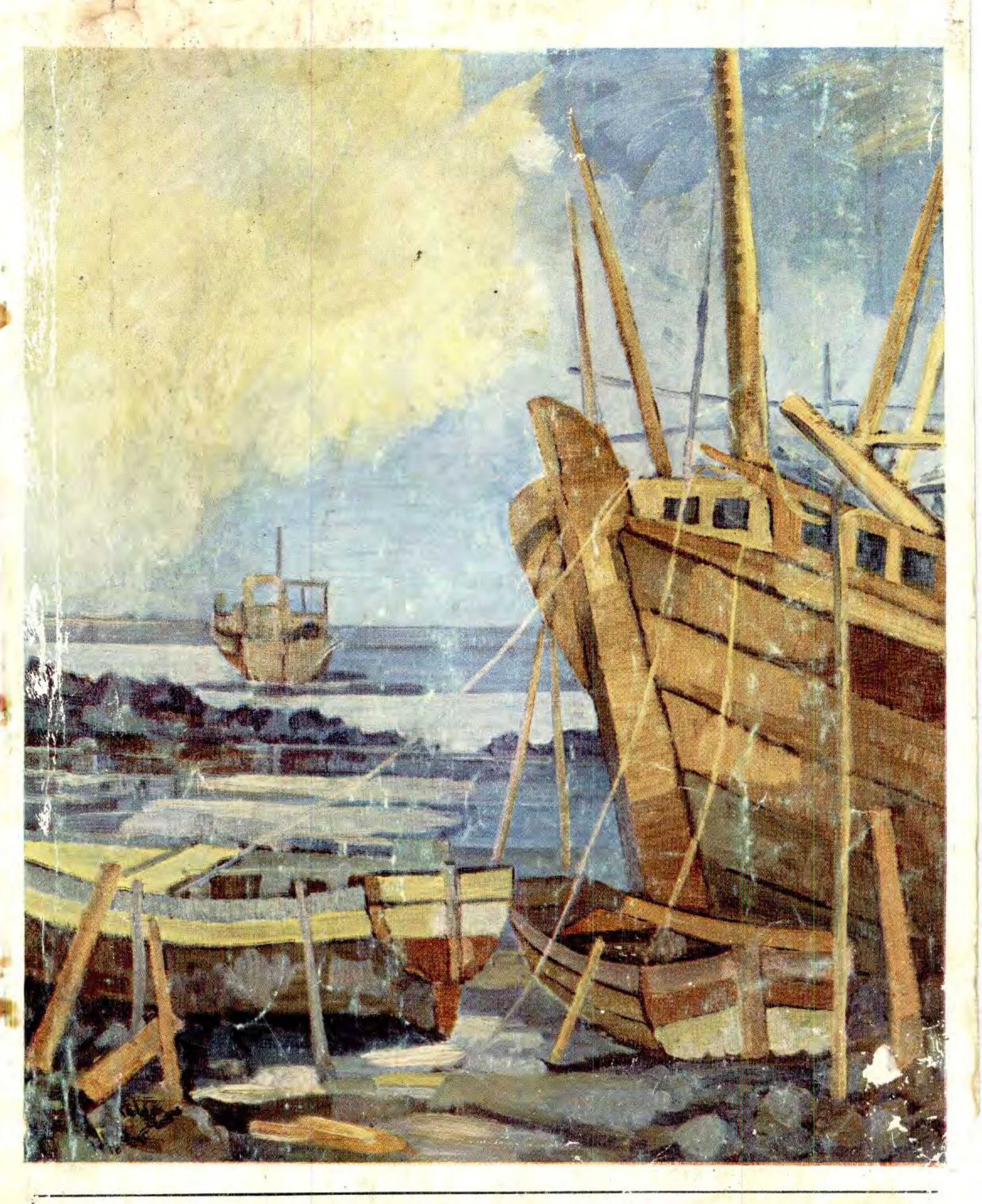
مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطـر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢) .

السودان : ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ ص.ب (١٩٥٦) .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



على شاطىء الخليج العربى بالكويت

لوحة زيتية بريشة **محمد مؤذن**

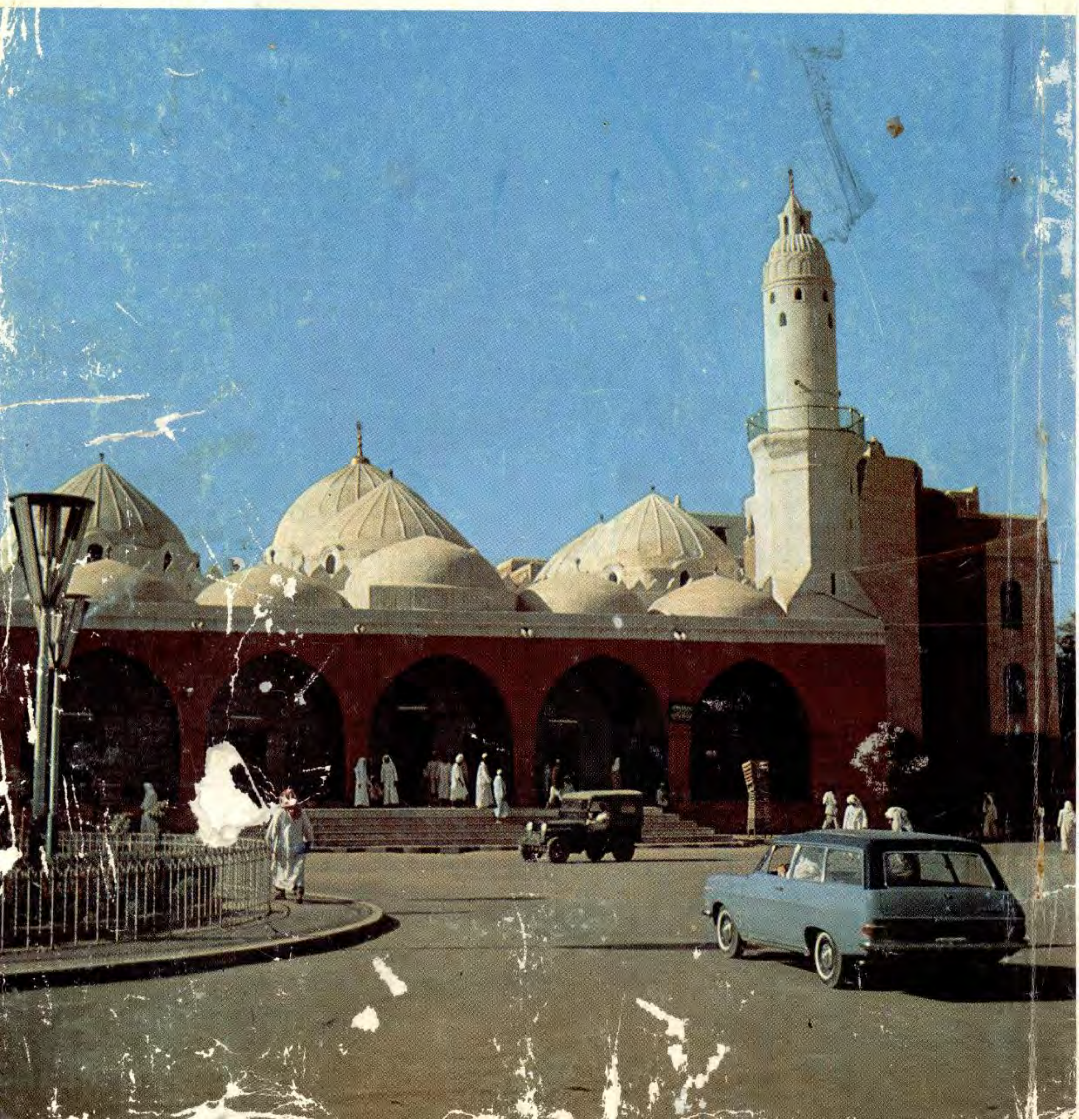
مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

اطلب
((رسالة الحج))
هديتك مع هذا
العـــدد

السنة الأولى ـ العدد الحادي عشر ـ غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٥ هـ ـ ٢٠ فبراير ١٩٦٦ م





((قصة العدد))

عمير بن وهب

اقرأ فى هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

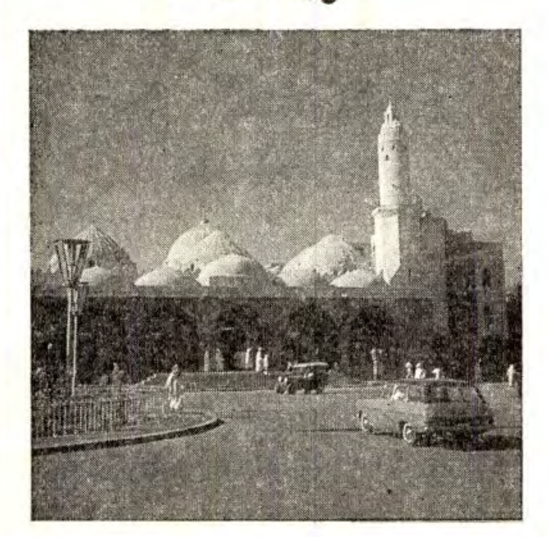
العدد الحادى عشر السنة الاولى

ذى القعدة سنة ١٣٨٥ هـ

٢٠ فبراير ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

صورة الغلاف



مسجد الغمامة بالمدينة المنورة ويقع فى نهاية شارع المناخة بالمدينة المنورة تصوير العربى

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
المغرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ــ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ــ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



الدين شيء والسياسة شيء آخر

تلك قضية يطلقها فى عالمنا الاسلامي كثير من الناس ، يريدون بها ان الدين لا دخل له فى سياسة البلد ، وتنظيم حياتها ، وعلاقاتها مع غيرها ، وعليه ان يخلى الطريق فى ذلك للسياسة ، تسير فيه كما يحلو لها ، ويتخذ له طريقا آخر بعيدا عنها ، فى ركن أو محراب !!

ويذهب الكثير منا الى القاء تبعةشيوع هذه الفكرة علىالمجتمع الغربي، وما ورثناه او اخذناه عنه من نظم وأفكار . ذلك أن هذا المجتمع ، ضج فى وقت من الاوقات من تدخل رجال الدين المسيحي ، فى امور السياسة ، وتحكمهم فى كل شيء ، حتى كان البابا يصدر قراراته بحرمان اى ملك او امبراطور ، او عالم يخرج على أوامر الكنيسة او يقرر حقيقة لا تراها ، فيهوى الملك من فوق كرسيه ، لا رجلا عاديا ككل الناس ، بل رجلا ينبذه كل الناس ، لان البابا قد غضب عليه ، وبالتالي غضب الله عليه .. فلما قامت الثورات فى اوربا ، وفى مقدمتها الثورة الفرنسية ، كان من اهم اهدافها التخلص من تحكم رجال الدين ، والعمل على حصار نفوذهم ، داخل كنائسهم ، وترك العمل خارجها لرجال آخرين ، بعيدين عن الكنيسة ونفوذها ، يصرفون أمور الدولة حسب آرائهم غير مقيدين بآراء الدين ورجاله ...

وقد تم لاوربا الثائرة على نفوذ الكنيسة ما أرادت ، وحصل رد فعل عنيف للمرارة التي خلفها تحكم رجال الدين فى شؤون الحياة ، وتمثل ذلك فى عزل الدين ورجاله عزلا تاما عن سياسة الدولة ، وتنظيم امورها فى الداخل والخارج ، واتخذوا شعارهم ((اتركوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) .

ثم انتقلت الينا هذه الفكرة مع ما نقلناه من اوربا من مفاهيم ونظم دون وعي وأصبح الفصل بين الدين وسياسة الدولة كأنه امر طبيعي ، وأصبح الكثير منا يردد فى اقتناع ((اتركوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)) دون أن يدركوا أن الاسلام انما هو تنظيم عام وشامل لعلاقة الانسان بربه ، وعلاقته مع الآخرين ، وأنه تكفل بهذا التنظيم فى كل ناحية من نواحي الحياة ، وفى حالتي الحرب والسلم معا ..

ثم أنهى كل ما تردد فى الاخذ بهذا التنظيم ، حين قال ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) .

واذا كنا نقول مع القائلين بأن الفصل بين الدين والحياة مفهوم وارد لنا من الغرب ، فاننا لا نقف عند هذا القول ، اننا نقول ان هذا صدق ولكن ليس كل الصدق . ان هذا جانب من الصورة لكن هناك جانب آخر يجب ان نعرفه كحقيقة من حقائق تاريخنا الماضي وآثارها في الحاضر .

لا نريد ان نبالغ ، ونلقي تبعة كل عيب فينا على غيرنا ، فان ذلك قد يخفي عنا عيوبنا ويسدل ستارا كثيفا عليها ، يحول بيننا وبين معرفتها ، فنعيش بها دون ان نعالجها ، ونقضي عليها ...

اذا كان من الحق ان نقول ان هذا المفهوم هو بعض ما وفد علينا ، او استوردناه من مفاهيم او انظمة غريبة ، فان من الحق كذلك ان نقول : ان هذا الفهم الوافد لم يكن ليأخذ طريقةالى النفوس ، ويسيطر عليها كما يسيطر الآن ، لو لم يجد أرضا مهيأة من قبل لتقبله ، ويجد من يتعهده بالسقي والعناية منذ زمن ، حتى نما وترعرع ، ومد فروعه وظلاله هنا وهناك ..

ان الشجاعة التاريخية الأدبية تحتم علينا ان نقول ، اننا نحن الذين مهدنا الأرض لتقبل هذه المفاهيم ....

كان حكام المسلمين ـ منذ قرون مضت ـ قد بعدوا في تصرفاتهم عن أحكام الاسلام ، وتحللوا من أنظمته ، ان لم يكن كلها فأغلبها ، حين لم تهضم نفوسهم ، ولم يرض غرورهم ورغبتهم في السيطرة ان يتقيدوا بالنظم والمبادىء والآداب الاسلامية في مباشرة سلطاتهم ، ومعاملة رعاياهم .. تلك المبادىء التيتلزمهم بالشورى والعدل والتسوية بين الرعية ، وحسن التصرف في شؤونها وأموالها .. فأصبح كل واحد منهم يتصرف حسب هواه ، لا حسب رأى الدين . لا يعرف الدين واحكامه الا اذا وجد في ذلك مصلحة له تؤيد حكمه ، او تدعم رأيه ، او حين يحتاج الى التفاف الشعب حوله .

فكانوا يستغلون الدين ورجاله في مآربهم الشخصية ، حتى اصبح وأصبحوا سلعة يقبلون عليها حين يحتاجونها ، ثم يهملونها حين لا يكونون في حاجة اليها .. كان الدين كالثوب المعلق على ((شماعة)) يلبسونه ويتدثرون به في مواسم او ظروف خاصة ، ثم يتركونه ويعيدونه الى ((شماعته)) يعلوه الغبار !! .

وأصبح رجل الدين ، او بالأحرى الرجل الذى تخصص في امور الدين ، لا مكان له الا في محراب المسجد ، ينظر اليه المجتمع كما ينظر الى رجل متخلف ((ثقيل الدم)) لا يهتم به ولا بتوفير الحياة الكريمة له كما يُهتم بغيره ..

وأصبح القرآن الكريم لا يعني به الا للبركة ، أو للأحجبة ، او للقراءة على الأموات ، او الاستماع اليه من قارىء حسن الصوت ..

وكان هذا ـ مع الأسف الشديد ـ هو الذى هيأ الأرض جيدا ، لتقبل هذه البذرة الوافدة ونموها ، وأتاح للمستعمرين حرية التصرف ، ليبعدوا الدين تماما

عن الحياة ، ويزيدوا من ضعفه فى نفوس المسلمين ، وتعلقهم به حتى يطول مكثهم ويصفو الجو لهم ولعملائهم ، فعملوا على بث هذه الفكرة فى الكتب الدراسية وغيرها حتى اصبحت فى اذهان الجيل الذى تربى فى اجوائهم ، كأنها من البدهيات التي يستهجن الخروج عليها ، وحتى اصبح كل من يتحدث من العلماء فى مبدأ من مبادىء الاسلام يتصل بحكم الشعوب وادارة امورها متدخلا فيما لا يعنيه ، (أى فى السياسة) .. اذا كان هذا الحديث لا يتفق مع رغبة الحاكمين .. ومن تدخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه .. ذلك لأن الدين شيء ، والسياسة شيء آخر ! !

واذا نقد وضعا اجتماعيا شاذا لا يتفق مع آداب الاسلام ، وتعاليمه سلط عليه الماجنون السنتهم ، وأقلامهم حتى يعود الى محرابه ..

وكانت تبعة الذين مهدوا الارض لتقبل البذرة الوافدة أشد ممن جاء بعدهم وألقى البذرة فى الأرض الممهدة .

لكن كل هذا تقييم للتاريخ ورصد له .. ، وأولى بنا الآن ان نجابه الحاضر معا ..

لست أدعي انني اكثر غيرة على الدين وتعاليمه ، وعلى مصير شعوبنا وكيانها ومستقبلها من غيري من المسئولين عن هذه الشعوب .. فذلك احتكار لا ارتضيه لنفسي ، ولا لغيري .. فكلنا ابناء الاسلام ، وكلنا غيارى عليه ..

لكن قد تكون هناك حجب من الماضي ، او عقبات من الحاضر .. ولا بد ان نتعاون جميعا فى ازالة هذه الحجب ، والقضاء على هذه العقبات ، ولو بالتدريج تقديرا لظروف وجودها ، .. حتى نتلاقى جميعا على بدء الطريق ، الذى يجب ان نسير فيه متكاتفين يشد كل منا على يد أخيه فى سبيل توفير حاضر اسعد ، ومستقبل أرغد لهذه الأمة فى ظل من مبادىء الاسلام ، ورضاء من الله ..

ولا بد لنا من اجل هذا كله ان نفهم جيدا ان التحضر والتمدن والترقي ليس فى تقليد الغرب فى مباذله ، وتقاليده الخارجة على الدين ، حتى على الدين المسيحي الذى يدين به .. ، ونفهم كذلك ان ديننا لا يحول بيننا وبين الرقي العف والتمدن غير المبتذل ، بل يوجب علينا ان نتعلم كل علم ، وفن ، ونكون سباقين اقوياء فى كل ميدان من ميادين الحياة ...

ونفهم ان رقي أية أمة لا يقاس فقط بما وصلت اليهمن تقدم فى مضمار العلوم والمخترعات والآلات ، ولكن يقاس أولا بالروح الفاضلة التي تكمن وراء هذه المظاهر وتوجهها الى خير الانسانية .

وان الاسلام الذى تحمل رسالته ، هو الدين الذى يحقق للانسانية تقدمها المادى ، والروحي معا .

وان العالم فى أزمته الروحيه الراهنة ، ووسط ضجيج الآلات ، وزمجرة الطائرات ، ودوى القنابل فى مسيس الحاجة الى ان يقدم له المسلمون العلاج مما يعانيه عن طريق الرسالة التي يحملونها ..

وأنه لا بد لهم لكي يضطلعوا بمسئوليتهم تجاه دينهم ، وتجاه العالم حولهم ان يقدموا للعالم النموذج الحي الخير ، الذى يصنعه هذا الدين لأتباعه ..

ونفهم ان ديننا يهدف فى كل تشريعاته الى تيسير الحياة ، وتحقيق مصالح المجتمع ، وتوفير السعادة والاطمئنان له ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) .

وان ما نراه احيانا من صعوبة الأخذ باحكام الدين ، انما هو تهيب ولدته فينا النظم الغريبة التي تعودناها ، ورتبنا حياتنا عليها زمنا طويلا ..

وان هناك من المبادىء والنظم الجديدة على العالم ما استطاع المؤمنون بها ان يفرضوها على امم لم تكن تعرفها ، ولم تلبث ان صارت نظاما جندوا لحراسته والدعوة اليه كل امكانيات الدول التي آمنت به .

وان المسلمين حين يعقدون العزم ، على احياء مبادىء الاسلام فى النفوس لا يحاولون جديدا ولا يتكلفون امرا صعبا أو غريبا ، فليس احب الى المسلمين من العودة الى دينهم ، وتحكيمه فى امورهم .

ان مما لا شك فيه ان هناك فجوة ، او فراغا فى النفوس يملؤها بالحسرة والألم والتطلع . فالقرآن الكريم ، وسنة رسول الله ، وأفعال السلف الصالح ، وأمجاد المسلمين الأول ، كل ذلك يتردد على مسامعهم صباح مساء فيفهمونه ، وينظرون الى الحياة حولهم . فيحسون الفجوة بين ما كان وما هو كائن . ، . ويتطلعون حولهم الى من يملؤها ، ومن الخطر على دينهم ، وعلى المجتمع ، ان تبقى هذه الفجوة ، ويستمر هذا التطلع فربما حملهم ذلك على التماس ما يريدون من طريق آخر ، غير طريق الاسلام . وهذا هو الخطر الاكبر الذى كاد يحيق بدول اسلامية ، لولا ان تنبهت له ولكنها لا تزال تعاني آثاره ..

ان من الخير كل الخير للذين يسيطرون على الشعوب الاسلامية ان يقبلوا على علاج الاسلام لأدواء مجتمعاتهم وتحكيمه فى كل شئونهم ، حتى يوفروا لأنفسهم الطمأنينة ، ولشعوبهم الراحة والاستقرار بدلا من العلاج الآخر المستورد الذى لا يبقى شره ولا يذر ..

لا أشك فى اخلاص مسئول مسلم لدينه ، ولكني ارجو شيئا من الشجاعة والحكمة ، . حتى الذين لا يخلصون لدينهم قدر ما يحافظون على مراكزهم ، اقول لهم حتى المحافظة على المراكز والمال تدعوكم الى اللجوء لبعث الدين فى النفوس والتزامكم مبادئه وتعاليمه ، ففى ذلك ضمان لمراكزكم واموالكم من العواصف المدمرة ..

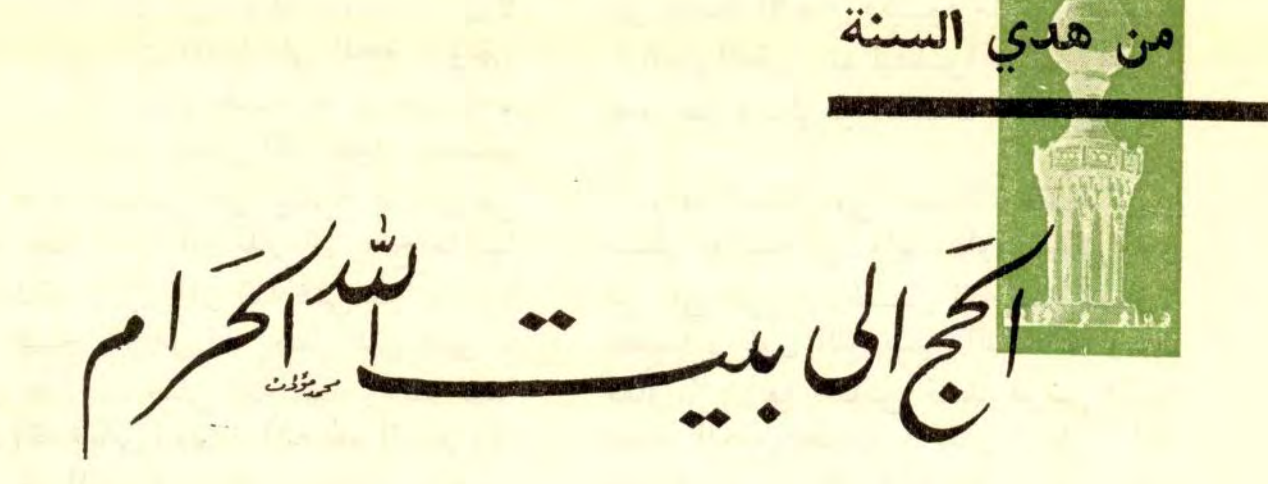
آمالنا وآلامنا كل شيء حولنا يدعونا الى ان نلبي نداء الله ، ونعيش فى ظلال دينه ونعتصم به ((ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)) ..

فالى متى نظل نتأرجح . ونبعد الاسلام عن واقعنا ، وكتاب الله بيننا هدى وشفاء ((ومن التمس الهدى فى غيره أضله الله)) .

ماذا نريد بأنفسنا . وهذا صوت النذير ؟

رب أن الهدى هداك فاهدنا ووفقنا الى رضاك ..

رئيس التحرير



لفضيلة الشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

روى الامام مسلم في صحيحه ، عن عبدالرحمن بن صخر رضي الله عنه قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أيها الناس ، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه) .

الحج في التاريخ

الحج من الشؤون الدينية التي عرفت لدى جميع الأمم منذ فجر التاريخ الانساني ، فما من أمة خلت الا ولها مكان معين تحج اليه .

فقد كان لقدماء المصريين والبابليين هياكل مقدسة يحجون اليها، وللصينيين اماكن مقدسة يقصدونها للحج ، وللهنود كذلك ، واليونانيون القدماء كان لهم في بلادهم اماكن يمضون فيها اوقاتا للعبادة والنسك ، وقد أمر قوم سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام ان يحجوا الى اورشليم .

ويختلف الحج في الاسلام عنه في جميع الأديان السابقة فقد كان اتباعها ـ ولا تزال بقيتهم ـ يحجون بقصد التبرك بقبور القديسين وما تركوه من الآثار والمباني ، وكان افضل الحج عندهم ما تحمل الانسان في سبيله المشاق وخاض المهالك ، وكان الكهنة والرهبان يفتنون لهم في تعيين ضروب المرهقات البدنية، فمنهم من يثقل كاهله بالسلاسل والاغلال ، ومنهم من يمشي على قدميه المسافات الشاسعة ، ومنهم من يسير داخل كيس يتعثر فيه كل خطوة وكان بعض الصينيين يطوفون حول معابدهم زحفا على بطونهم .

ولكن الاسلام كره ذلك ، وشرط ان لا يحج الا من كان قادرا على الحج ، ونهى ان يحمل الانسان نفسه ما يرهقها . روى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى هرما يمشي بين ولديه فسأل عن شأنه فقيل له : انه نذر ان يحج ماشيا فكره ذلك وقال : ان الله غني عن تعذيب هذا نفسه ، وأمر ان يحمل على بعير . وكان هذا منه صلى الله عليه وسلم عملا بقول الله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله سبحانه : (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقوله عز وجل (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) .

الحج في الاسلام

الحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة ثبتت فرضيته بالقرآن والسنة واجماع الامة على فعله منذ ان شرع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الخامسة وقبل السادسة من الهجرة الى يومنا هذا ، وسيظل الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

اما الدليل من القرآن الكريم : فقول الله تبارك وتعالى : (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وقال تعالى : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) .

واما الدليل من السنة : فقد روى مسلم والنسائي وأبو داود والترمذى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : اكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فانما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه ، وروى الترمذى وأحمد عن علي رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا)وذلك لقول الله تعالى فى محكم كتابه : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) . وجاء في حديث بنى الاسلام على خمس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) . ، واما الاجماع فتواتره لا يحتاج الى دليل .

فالحج في الاسلام ثابت ومن انكره كان كافرا ، وهو في الشريعة : القصد الى بيت الله الحرام لأداء ركن من اركان الدين . وبيت الله الحرام : هو الكعبة المشرفة (١) فقد من الله على عباده فعين لهم مكانا وسماه بيته واضافه الى نفسه تتنزل فيه رحمته ويتجلى فيه

---

(١) قال الله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس .. الآية ٩٧ من المائدة) .

رضاه ، وفيه جمع لقلوب الناس في التوجه الى جهة واحدة توحيدا للقصد ، وافرادا للغاية ، وارشادا لهم الى ان المراد هو التوجه الى الله لا الى ذات المكان، ويدل على ذلك أي على ان المقصود هو الانقياد لله وحده ، ان الايحاء الى ابراهيم عليه وعلى نبينا افضل وأزكى السلام باتخاذ البيت كان مقيدا بنفي الشرك قال تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا) وكان اول ما طلب اليه هو تطهيره ليكون معبدا يعبد الله فيه عبادة صحيحة ، قال عز وجل : (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) . وقال عز شأنه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) أي معبدا تعبدون فيه ربكم ورب البيت ، وجعل سبحانه الصد عن زيارة البيت كفرا كالصد عن سبيل الله اي دينه ، فقال سبحانه (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد. ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) . وكان اول شيء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فاتحا هو ازالته الاصنام والتماثيل من فوق سطح الكعبة وخارجها ، وكان عددها ثلاثمائة وستين صنما كما حكت كتب التاريخ .

وقد اهتم بالكعبة وكسوتها عظماء العرب ورؤساء القبائل من قبل ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده ، فقد كساها (تبع) ملك حمير قبل الهجرة بما يقرب من مائتين وعشرين عاما ، كساها بالبرود المقصبة وعمل لها بابا ومفتاحا ، وفى زمن قصى من اجداد سيد الخلق كانت القبائل تكسوها ،وكان ابو ربيعة بن المغيرة يكسوها سنة وغيره سنة ، وكستها والدة العباس بن عبد المطلب ، وكساها اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم برودا يمانية ، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده واستمر الأمر كذلك الى ان استقر امر كسوتها عن طريق مصر ، وقد مرت بالكعبة المشرفة احداث كثيرة قبل الاسلام ، فقد اعادت جرهم بناءها بعد ابراهيم ، ولما آل امرها الى قصي بن كلاب هدمها وبناها فأحكم بناءها وجعل سقفها من جذوع النخيل ، وقد حاول الاعتداء عليها ابرهة الحبشي ولكن الله تبارك وتعالى رد كيده الى نحره وحكى ذلك القرآن الكريم فى سورة خاصة هي سورة الفيل ، وقبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هدمها السيل فبنتها قريش ، ولما انتهوا الى وضع الحجر الأسود اختلفوا فى أى القبائل تختص بشرف رفعه الى محله وكاد الأمر يقضي الى قتال لولا ان حسم النزاع مجيء الأمين سيدنا محمد بن عبد الله اليهم فحكموه فيما شجر بينهم ، فبسط رداءه ووضع فيه الحجر وأمر القبائل فأخذت كل قبيلة بطرف من الرداء ورفعوه فلما وصلوا الى مكانه حمله بيده الشريفة الى مقره وأنهى النزاع . ولما قصرت بقريش النفقة تركوها على ما هي عليه الآن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة رضى الله عنها (لولا ان قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألصقتها بالارض وجعلت لها بابين ، بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر) .

هذه لمحة او فذلكة يسيرة عن الكعبة جر اليها الحديث عن الحج وكان لا بد منها ليلم المسلمون بشيء من تاريخ البيت الذى يؤمونه كل عام استجابة لأمر الله تعالى ، ونسأل الله القادر ان يوفقنا لاداء اركان الاسلام كاملة غير منقوصة ، والله يهب المسلمين نصره وعونه ، ان ربي سميع الدعاء .

مناهج التفكير في الشريعة الإسلامية

"١" مواضع الاتفاق

"٢" الخلاف لا

لفضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

ان الاحكام التي وردت بها الشريعة الاسلامية ترجع الى نوعين لا ثالث لهما : ـ

النوع الأول : هو ما كان قطعيا ثابتا فى وروده ومعناه،بطريقة لا تحتمل الشك، وذلك كأصول العقائد والعبادات التي اتفقت عليها الامة ، وجاءت بها النصوص واضحة قاطعة ، كوحدانية الله تعالى ، واتصافه بكل كمال ، وتنزهه عن كل نقصان ، وأن من شأنه ارسال الرسل ، وانزال الكتب ، وان هناك دارا بعد هذه الدار يلقي فيها الناس ما قدمت ايديهم « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وان محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، وان القرآن هو كتاب الله المبين ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وان الله فرض خمس صلوات في اليوم والليلة ، وحدد على لسان رسوله وفعله عدد ركعات كل صلاة منها ، وبين

هذا المقال بدء سلسلة من المقالات يكتبها لنا فضيلة الشيخ الاستاذ الجليل عن الأسس التي قام عليها اجتهاد الفقهاء وأسباب اختلاف وجهات نظرهم ، ومدى سماحتهم تجاه مخالفيهم ، وهي أبحاث أحسسنا ضرورتها لدى القراء فى الوقت الذي ارتفعت فيه الاصوات لفتح الاجتهاد ، وبذل محاولات فى هذا السبيل بغية الوصول الى حل المشاكل التي يواجهها المجتمع الاسلامي

ومواضع الاجتهاد

يمنع الانصاف

هيآتها واقوالها وأفعالها ، وأنه تعالى أوجب صيام رمضان ، وزكاة الاموال ، وحج البيت الحرام ، وحرم الربا ، والزنا وأكل الاموال بالباطل ، وقتل النفس بغير الحق ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، الى غير ذلك من الاحكام القطعية في الشريعة .

وهذا النوع من الاحكام ليس محلا للاجتهاد بين العلماء ولا يسوغ للامة الاختلاف فيه ، وهو الرباط الوثيق الجامع بين الأمة افرادا وطوائف وشعوبا ، من ارتبط به فهو منها ، ومن شذ عنه فقد شذ عنها ، وخرج من الدين خروجا لاشك فيه .

النوع الثاني : ما ثبت بطريق ظني ، بأن جاء هو أو ما يدل عليه على نحو يمكن ان تختلف فيه الافهام ، وتتعدد وجهات النظر ، اما لأمر يتعلق بأصل الورود ، واما لأمر يتعلق بالدلالة والافادة .

وهذا النوع هو موضع اجتهاد المجتهدين ، وهو مجال النظر والتفكير والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع ، وتقدير المصلحة والعرف وتغير الحال ، الى غير ذلك من وجوه النظر ، وأسباب الاختلاف .

ونمثل لهذا النوع بمثالين ، **احدهما** يذكر في علم الكلام أي « علم التوحيد » على اعتبار أنه من النظريات الخلافية الحرة ، أي ان لكل باحث فيه ان يدلي برأيه دون الزام للناس به لأنه من المعارف الفكرية،لا من العقائد الاساسية، **والثاني** يذكر فى علم الفقه ويبين طريقة استدلال اصحاب المذاهب الفقهية على ما يرون من احكام .

فالأول : ـ اختلاف النظر في شأن القضاء والقدر .

فمن الناس من تأملوا في القرآن والاحاديث ، فوجدوا اشياء ظاهرها ان الناس مجبورون مكرهون ، كقوله

تعالى « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة » وكقوله صلى الله عليه وسلم « السعيد من سعد في بطن امه ، والشقي من شقى في بطن امه » فبنوا هذا النوع على ان العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة ..

ومن الناس من نظروا الى آيات أخر ، وأحاديث أخر تدل على ان العبد مستطيع ، مفوض امره اليه يفعل ما يشاء ، كقوله تعالى « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم « ما من مولود الا يولد على الفطرة ، حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » ـ اي هما اللذان يجعلانه يهوديا ان كانا يهوديين ، او نصرانيا ان كانا نصرانيين او مجوسيا ان كانا مجوسيين ، فأخذوا من هذه النصوص رأيا أصلوه على ان العبد مخير ، مفوض اليه أمره ، يفعل ما يشاء .

ثم عمدت كل طائفة من هاتين الطائفتين الى ما خالف مذهبها من الآيات والاحاديث فأولته ما أمكنها التأويل وردت منه ما استطاعت رده .

وطائفة ثالثة توسطت فجمعت بين مشيئة العبد ، ومشيئة الرب ، على معنى ان للعبد مشيئة ، ولكنها لا تتم الا بمشيئة ربه ، وذلك اخذا من مثل قوله تعالى « وما تشاءون الا ان يشاء الله » « ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » .

وروى عن الامام جعفر الصادق رضى الله عنه ان رجلا سأله ، هل العباد مجبرون ؟ فقال الله اعدل من ان يجبر عبده على معصية ثم يعذبه عليها ، فقال له السائل ، فهل امرهم مفوض اليهم ؟ فقال جعفر : الله اعز من ان يقع فى ملكه ما لا يريد ، فقال السائل فكيف الامر اذن ؟ فقال جعفر : أمر بين الامرين ، لا جبر ، ولا تفويض « وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين » .

وروى عن امير المؤمنين علي رضى الله عنه ، انه لما انصرف من « صفين » قام اليه شيخ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أرأيت مسيرنا الى صفين أبقضاء وقدر ؟ فقال علي رضي الله عنه « والله ما علونا جبلا ولا هبطنا واديا ولا خطونا خطوة الا بقضاء وقدر » .

فقال الشيخ : « فعند الله احتسبت عنائي ، اذن ما لي من أجر » . يريد انه ما دام مسيرا بقدر الله الذى لا مرد له ، فليس له عمل حتى يثاب .

فقال له علي : مه يا شيخ فان هذا قول اولياء الشيطان، وخصماء الرحمن ، قدرية هذه الامة ـ اى الذين يقولون ان القدر هو الجبر ـ ان الله تعالى امر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، لم يعص مغلوبا ، ولم يطع مكرها ـ بكسر الراء ـ فضحك الشيخ ونهض مسرورا ، ثم قال

أنت الامام الذى نرجو بطاعته
يوم القيامة من ذى العرش رضوانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا
جزاك ربك عنا فيه احسانا

ويتلخص هذا في ان الله تعالى علم كل ما هو كائن ، قبل ان يكون ، ثم خلق الانسان ، فجعل له عقلا يرشده واستطاعة يصح بها تكليفه ، ثم طوى علمه السابق عن خلقه ، وأمرهم ونهاهم ، وأوجب عليهم الحجة من جهة أمرهم ونهيهم ، لا من جهة علمه السابق فيهم ، فهم يتصرفون بين مطيع وعاص ، وكلهم لا يعدو علم الله السابق فيه ، والا انقلب العلم جهلا ، تعالى الله عن ذلك .

وليس العلم من صفات التأثير حتى يكون في ذلك جبر للعبد واكراه ، فمن فعل شيئا فقد فعله باستطاعة منه في ظل المشيئة الالهية ، ولم تجر المشيئة

الالهية بأن تجبر احدا على اطاعة او معصية ، ولكن جرت على ان تخلى بين الناس وانفسهم اختيارا لهم .

هذه هي مقالات الطوائف الثلاث في القدر ، وذلك سر اختلافهم في هذه المسألة ، والخير كل الخير في عدم الخوض في ذلك وأمثاله ، لأنه ليس فيه فائدة عملية ، ويكفينا ان نؤمن بقضاء الله وقدره دون محاولة للدخول في فلسفات تشغلنا عن العمل النافع .

والمثال الثاني : ــ يقول الشافعية ان الحيوان اذا ذبح وتركت التسمية عليه عمدا يحل اكله ، فيقول لهم الحنفية ان هذا مصادم لنص صريح هو قوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق » فالله تعالى ينهى عن الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، ويصفه بأنه فسق ، فكيف جاز للشافعية ان يصادموا هذا النص ، ويحلوا فعل شيء وصفه الله تعالى بأنه فسق ؟

والى هنا قد يبدو موقف الشافعية امام الحنفية حرجا ، ولكنهم يتخلصون من هذا الحرج في براعة ولباقة ، اذ يقولون لهم : ان الله تعالى يقول في آية اخرى « قل لا أجد فيما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا أهل لغير الله به » فهذه الآية تفيد أن المحرم من الذبائح ــ في مسألة التسمية ــ انما هو الحيوان الذى اهل لغير الله به ، كأن يذكر اسم الصنم عليه ، وهذا غير الحيوان الذى لم يذكر اسم الله عليه عمدا او سهوا ، وبذلك يحمل النهى في قوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » على ما أهل لغير الله به ، جمعا بين الآيتين .

وهذا الذى يقوله الشافعية له وجه من النظر مقبول ، فان الله تعالى وصف الفعل مرة بأنه فسق، ومرة أخرى وصف الفسق بأنه أهل لغير الله به ، فعلمنا من ذلك أنه يريد تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه بل ذكر عليه اسم سواه ، ويؤازر ذلك ما روى من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم » .

وبهذا يتبين ان كلا من الحنفية والشافعية له وجهة نظره فى أمر محتمل، يسوغ الاجتهاد فيه .

وقد عهدنا العلماء الراسخين يتبعون الدليل من أي أفق ظهر ، ولا يعبأون بمخالفة مذاهبهم اذا وجدوا الحق في غيرها .

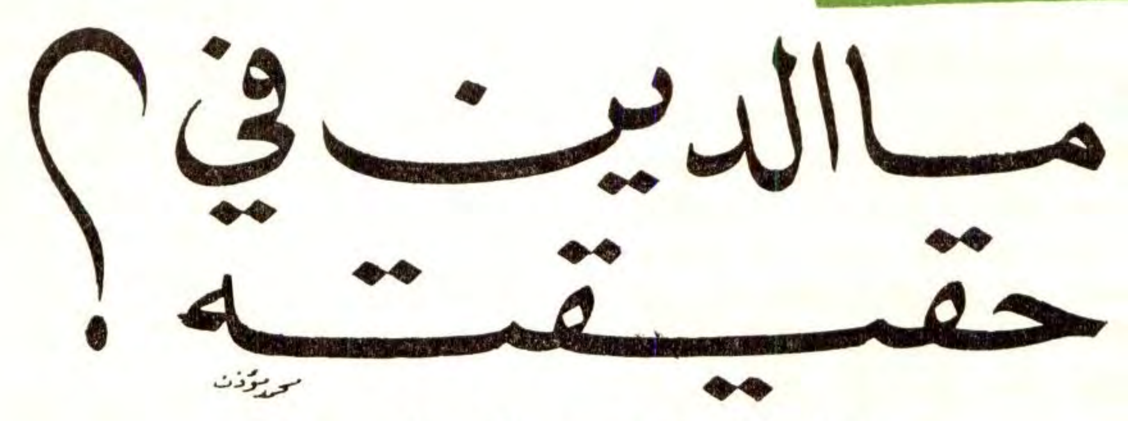
الاختلاف فى النظر امر طبيعي

ويجب أن نذكر هنا ان كلا من الاتفاق والاختلاف امر لازم لا مناص منه ، فلا يمكننا ان نتصور المسلمين ، أو أية أمة من الامم متفقين في كل شيء ، ولا أن نتصور هؤلاء واولئك مختلفين في كل شيء ، ولكن الذى هو واقع فعلا ، ولا مناص من أن يقع ، هو ان الامة الواحدة لها مواضيع كثيرة تتفق عليها ، وهي التي ربطت بينها ، وجعلتها أمة واحدة ، ولها مع ذلك مواضيع كثيرة تختلف فيها ، لاختلاف العقول ، والمصالح ، والادلة ، وهي بحكم اتفاقها فيما اتفقت فيه أمة واحدة ، وبحكم اختلافها فيما اختلفت فيه مذاهب متعددة ، والمذهبية الخاصة لا تخرج أهلها عن كونهم من الامة ، ولا تعطيهم في نفس الوقت حقا ليس لغيرهم ، ومن ثم لا يستطيع منصف ان يقول : مذهبي حق كله ، وصواب كله ، ومذهب غيرى باطل كله ، وخطأ كله ، ولكن يقول : ان هذا هو ما رأيته حسب فهمى واجتهادى وما علمته ، فأنا أرجحه ولا أقطع به، ويحتمل أن يكون ما رآه غيرى هو الحق والصواب

البقية على ص ٢٣

الإســلام ورســوله وتعــاليمه بــلغة العصــر

بقلم الاستاذ
احمد حسين المحامي



رحلة العقل البشري للبحث عن الله

لا يستطيع الإنسان أن يعيش
والذين أنكروا الأديان وحاربوها أوجدوا لهم ديناً جديداً له كل

معنى ان يكون الانسان مسلما ، ان يدين بدين الاسلام ، تمييزا له عمن يدين بالمسيحية او باليهودية أو البوذية او غيرها ، وفي المجتمع البشري عديد من الاديان بعضها عالمي يعتنقه افراد من سائر الامم والشعوب ، والبعض الآخر محلي اقليمي لا يدين به سوى قبيلة معينة او جماعة من الناس مخصصة ، وبعض الاديان يناهز اتباعه مئات الملايين، بينما البعض الآخر قد لا يتجاوز معتنقوه بضعة آلاف (١) .

وقد سرى في القرنين التاسع عشر

---

(١) جاء فى بعض الاحصائيات الامريكية ان عدد المسيحيين حوالى ٩٠٠ مليون وعدد المسلمين وهم الذين يلونهم فى العدد حوالى ٤٤٥ مليون ثم الهندية ٣٨٦ مليون فالكنفوشيوسية ٣٤٢ مليون ، وهناك الزرداشتية التى لا يزيد اتباعها عن ١٤٥ الف واليهودية ١٣ مليونا .

يسر مجلة « الوعى الاسلامي » ان تواصل تقديم هذه البحوث القيمة التي يكتبها لها الاستاذ احمد حسين الذى عكف منذ ان ترك ميدان السياسة على الدراسات الدينية وقدم للمكتبة العربية فى هذه الناحية كتبا تعتز بها . وهو يعالج فى هذا البحث وما بعده ان شاء الله مشكلة من اخطر المشكلات التي تجابه الانسان المتدين وبخاصة المسلم فى عصرنا الحديث مشكلة الالحاد الذى تبشر به دول لها قوتها ووزنها وتضع فى خدمته كل قواها » .

بغير دين

مراسم الأديان الأخرى .

والعشرين تيار فكرى ، يقول ان الدين نظام من مخلفات الماضي ، لم يعد يليق بالعصر الحديث ، وذهب البعض الى حد وصفه بأنه أفيون الشعوب ، وأنه وسيلة استغلال الاقوياء للضعفاء (١) .

فما حقيقة الدين في جوهره ؟ اهو شيء عارض باستطاعة الانسان ان يستغني عنه ، ام هو شيء اصيل في حياة الانسان ، كل انسان ، ولا يمكن ان يقوم مجتمع انساني الا به ؟ .

جوهر التدين

الحق ان التدين فى جوهره ، ليس الا محاولة لتفسير علاقة الانسان بالوجود من حوله ، ومعرفة مكانه منه : لماذا هو حي ؟ من اين جاء والى اين يذهب ؟ ما علاقته بمن يحيط به من البشر والحيوان والنبات والعناصر ؟ ما حقه عليها وحقها عليه؟ ما قدرته عليها وقدرتها عليه ؟ وليست الحياة ـ حياة اى انسان الا الرد عن طريق الواقع والفعل على هذه الاسئلة ، والدين بهذا المعنى لا يمكن ان يكون شيئا زائدا عن الانسان . . انه الانسان ذاته حياته وعلاقته بالوجود . ولنرد الامر تفصيلا او بالاحرى تبسيطا .

عجز الانسان وقصوره

قد يتنبه الانسان الى نفسه ويدرك امره وامر الوجود من حوله ، وهو يحس من نفسه الضعف والقصور عن فعل كل ما يريد ان يفعله ، وهو يرى من حوله ظواهر تفزعه ، وتذكره بضعفه **وعجزه ، وقوة الطبيعة من حوله ، عندما تتزلزل الارض زلزالا ، او تثور البراكين ، او تنطلق الاعاصير ، او تتدفق الامطار سيولا جارفة ، او تظلم الدنيا فى غير اوانها .**

على ان الظاهرة الكبرى التي روعت الانسان ، وستظل تروعه وتشعره بعجزه وقصوره ، وانطواء الوجود من حوله على اسرار كانت لا تزال حتى الآن مغلقة عليه ، هي ظاهرة الموت التي تعرض **لكل كائن حي ، ويرى الانسان فى نفسه القدرة على وضع حد لحياة الكائنات الاخرى بذبحها وأكلها احيانا ، ولكنه هو نفسه يموت ، وقد لا** يروعه الموت بقدر ما يروعه ما بعد الموت، حيث يتجيف **الانسان وينتن ، ويصبح اقوى الاقوياء ، واجمل الجميلات ، شيئا تعافه النفس . فتسرع بالتخلص منه عن طريق الدفن او الحرق او التغريق ، ثم** لا يلبث الكائن الحي الذى دفن ان يتحول الى **تراب كبقية تراب الارض .**

وكان مستحيلا على اى انسان ان لا يقف امام هذه الظاهرة متخلما والها ، وان يتساءل ، ما هذا

---

(١) وهم الشيوعيون كما صرح بذلك زعماؤهم . بل قال لينين « الدين نوع من سيفوخا » . وسيفوخا اردأ انواع الفودكا ذو رائحة كريهة « الوعى » .

الموت ؟ من الذى يميتني ؟ ، ما الذى يحل بي بعد ان اموت ؟ اين يذهب هذا الضحك وهـذه البشاشة ، هذا الفكر وهذا العقل ، هذا الكمال وهذا الطموح ، أين يذهب ذلك كله وما هـو مصيره ؟ ... اهذه الجيفة النتنة هي خاتمة المطاف ، ويرتد السؤال الى الجانب المقابل ، من الذى جاء بنا ، لماذا جئنا ، ويروح الانسان منذ طفولته يسأل كل من حوله عن جواب لهذه الاسئلة، فيرد عليه الكبار بما يعلمون ، فيقنع بما يقال له ، ويرى فيه تفسيرا لما يشكل عليه ، اولا يرى فيه مقنعا ولا غنى ، فيواصل سؤاله ، ويواصل بحثه ، ويواصل تطلعه لايجاد حل لهذه المعميات.

وليست هذه مجرد مباحث نظرية او خيالية كما قد يتصور البعض ، بل هي أساسية لكي يستطيع الانسان ان يحيا ويعايش الآخرين ، لانه على اساس هذا الفهم كما قدمنا تقوم سائر العلاقات الانسانية مع كل ما يحيط به من عناصر وكائنات .

تطور التفسيرات بتطور الانسان

والطفل لا يتساءل فى طفولته المبكرة هذه الاسئلة ، فالكون كله يتلخص في هذا الثدى الذى يرضع منه ويمده بالحياة ، وكلما ازداد ادراكا وازداد احساسا ، اتسع الكون امامه ، فأصبح في هذه اليد الحانية التي ترفعه ،وهذا الصدر الذى يضمه ، وهذا الحجر الذى يطمئن اليه . ويظل الكون يتسع باتساع حواس الطفل ومداركه ، ولكن الام التي حملته في احشائها ، وانفصل عنها ، والتي يرضع من ثديها ، والتي تطعمه اذا جاع ، ويفزع اليها اذا خاف ، بقيت محفورة في عقل الانسان الاول ، كأصل لهذا الوجود . ويسأل الولد امه التي جاء منها من اين جاءت ، فتقول له أنها جاءت من ام اخرى هي جدته، والجدة من ام سابقة عليها .. وهكذا ، ومن العبث ان تظل السلسلة الى ما لا نهاية ، أن العقل الانساني لا يستطيع تصور ذلك ، فلا بد اذن أنه كانت هناك أم أولى قد وجدت بطريقة غير هذه الطريقة المألوفة ، ويجب الاطمئنان الى ذلك كنقطة ابتداء لكي يبني الانسان معارفه ويكيف تصرفاته وسلوكه ، ويعرف مآله وانه بعد ان يموت سيعود الى هذه الام الكبرى التي انبثق منها كل شيء .

هذا اللون من التفكير الذى يعرض للانسان فى مرحلة من مراحل حياته ابان طفولته ، وطفولة البشرية فى مجموعها ، قد ترك أثره في اللغة التي يتكلم بها ، حيث ترى العناصر الكبرى كلها في الطبيعة مؤنثة ، بل ان كلمة الطبيعة نفسها مؤنثة ، والسماء مؤنثة ، والشمس مؤنثة ، والارض مؤنثة ، والحياة مؤنثة ، وما اكثر ما نقول في حديثنا « امنا الارض » وهذا التأنيث للعناصر في اللغة ليس وقفا على لغة دون لغة ، بل هو عام وشامل .

فاذا تجاوزنا دلالة اللغة ، فان تاريخ العبادات القديمة تنطق كلها بأن الالهة الانثى ، كان لها دائما النصيب الاوفى من حب البشر وتعلقهم ، واسماء ايزيس وعشتروت وأثينا وهنرفا وافروديت وفينوس واللات والعزى معروفة من قديم .. (١)

ولا يظن كائن ان ذلك وقف على المجتمعات القديمة الوثنية ، بل هو عام وشائع في سائر المجتمعات ، فالمسيحيون الكاثوليك يقدسون الامومة ممثلة فى مريم حيث يرسمونها دائما

(١) الى هذا المعنى ألمح القرآن الكريم بقوله « ان يدعون من دونه الا اناثا » .

وهي تحمل الطفل (الالهي) كما كانت ايزيس تحمل حوريس .

الابوة الى جوار الامومة

ولكن العقل المتفتح ابدا ، المتسائل دوما ، الذى يكتشف فى كل يوم معارف جديدة ، ويلاحظ ويبحث وينقب، سرعان ما اكتشف ان الامومة وحدها ، لا يمكن ان تكون السبب الاول للوجود ، فلو ظلت الانثى وحدها ، ما بقيت ، فلن تنجب طفلا ، ولا بد من اتصال الذكر بها لتتم عملية الخلق والايجاد ، فكأن الذكورة اذن — وليست الأنوثة — هي السبب الاول، ومن هنا قامت عبادة الآباء والاجداد ، وخاصة هذا الاب الاول ، الذى منه تسلسلت بقية الآباء ، والذى لم يوجد بالطريق المألوف وانما اوجد نفسه ، او وجد بطريقة ما ، لا يستطيع العقل ان يدركها وانما ينبغي ان يسلم بها .

ولا تزال كلمة الأب كاسم للاله الخالق مما يستعمل فى المسيحية .

تأليه العناصر

ويمضي العقل الانساني في تجوله وتطلعه ، ومن يحظر على العقل الانساني ان يتطلع ويتسأل ويرتاد المجهول ، فكأنه يطلب منه ان يخرج عن طبيعته ، ان لا يؤدى وظيفته ، ان يتحول الى قطعة حجر او خشب او حديد ، او على احسن الفروض يطلب منه ان يهبط الى مخ الحيوان ، حيث لا يعرف الا ان يأكل ويتناسل ويموت . ومضى العقل فى تجوله وريادته : لا يمكن ان يكون اب او ام من لحم ودم هما معا او أحدهما على انفراد هو سبب الاسباب في هذا الوجود ، ذلك ان كل ما كان من لحم ودم قصير الاجل يموت وينحل ويعود ليكون ترابا اذا دفن ، او دخانا اذا احترق ، فلا بد ان يكون التراب او بالاحرى الارض التي يدرج عليها كل كائن حي ، والتي تخرج النبات والشجر والغابات وترتفع فوقها الجبال والهضاب وتجرى في وديانها الانهار .. لا بد ان تكون هذه خالقة كل شيء وهي سبب الاسباب..!!

ولكن النبات لا ينبت ، الا اذا هطلت مياه السماء على الارض ، ونحن البشر لا نستطيع ان نعيش ، اذا لم نشرب الماء، وكل شيء يموت اذا لم يرو بالماء حتى الارض نفسها ، اذا غابت عنها المياه ، ماتت وتشققت ، واصبح شكلها مخيفا موحشا . والمطر يهطل من السماء ، فلا بد ان تكون السماء هي السبب الاول ، ويروح الانسان — كل انسان — يتحدث عن السماء والارض ، وان الحياة والوجود هما ثمرة تلاقيهما وتفاعلهما وتلاقحهما .

ويتطلع العقل للسماء بعد أن ينتقل من الارض بحثا عن السبب الاول ، عن العلة الاولى لهذا الوجود ولعلك قد لاحظت معي كيف ان معارف الانسان تزداد نموا ، من خلال هذه التطلعات . كيف ان علوم الانسان ومعارفه كلها ، تنبثق من هذا البحث ، البحث عن العلل والاسباب ، فليس باستطاعة الانسان ان يتحرك حركة واحدة ، او ينشط اى نشاط من اى نوع كان ، الا اذا حدد الغاية التي يسعى اليها ، وادرك الاسباب والعلل التي يستطيع عن طريقها تحقيق هذه الغاية .

الشمس والنور

واذ تطلع الانسان الى السماء تاركا الارض ، فقد كانت الشمس بانتظاره كاعظم ظاهرة في هذا الوجود ، فهي لا تكاد تغيب حتى يعم الظلام ، وتوحش الدنيا وتمتلئ بالاشباح ، وتهجع الكائنات، ويعترى الانسان هذا النوم العجيب ، الذى يكف فيه عن كل حركة ، وكأنه انسلخ من الحياة .

ثم تطلع الشمس ، فيشرق الكون بالضياء والبهاء ، وتتجلى الالوان ،وتبعث الكائنات ، ويفور الكون بالحياة والنشاط اتكون الشمس هي سبب الأسباب ؟

ولن نجد عبادة فى القديم الا وتؤلف الشمس سداها ولحمتها ، فالشمس كانت معبودة بطريق مباشر ، او بطريق غير مباشر ،فالاله المعبود هو رمز الشمس، او المنبثق عن الشمس،انه ابن الشمس.

ولكن الشمس في خاتمة المطاف ، ليست الا احدى الظواهر التي تضمها السماء ... ففي الليل تتجلى الكواكب والنجوم التي تبدو بحيث لا يدركها الحصر ، وهذا القمر المضيء بالاشعة الفضية الساحرة ، وهذه النجوم اللامعة ... ان الامر اعمق واوسع واشمل من الشمس او القمر او كليهما معا . (١)

سبب يعلو فوق الاسباب

وتزداد معارف الانسان وتجاربه وخبرته : ان الرعد لا يخيف . انه مجرد زمجرة ، والحيوانات الكاسرة بكل وحشيتها يستطيع الانسان ان يتغلب عليها ، ويخضعها لسلطانه بل وأن يقتلها، والظلام والأشباح ان الانسان يستطيع ان يبدده ويطردها لو انه اشعل نارا ، والنهر لا يؤلف عقبة ، او حاجزا امامه ، فانه يستطيع ان يعوم فى مياهه ويسبح، بل انه يستطيع ان يعتليه ، ويستخدمه بالانتقال من مكان الى مكان ، عندما يطفو على قطعة من الخشب .. والشمس الحارقة ، يستطيع الانسان ، ان يتقيها اذا آوى الى كهف ، او استظل بشجرة.

والارض ... الارض الجرداء يستطيع الانسان أن يشقها ، ويرويها ويستنبتها ما يشاء ، انه يستطيع ان يسخر الحيوانات لخدمته ، والرياح ، والمياه ، والشمس وان يستفيد من ذلك كله ، لصالحه ومنفعته .

ويهتف الانسان ــ وقد وصل الى كمال نضجه العقلي ــ ان الام الاولى ، او الاب الاول ، ان سبب الاسباب والعلة الاولى ، كما لا يمكن ان تكون من لحم ودم ،فكذلك لا يمكن‌ان تكون من تراب ، او ماء،او نار ،او حجر،او شمس ،اوقمر، انها لا يمكن الا ان تكون شيئا ، يغاير ذلك كله ، ويعلو على ذلك كله .. شيئا لا تستطيع ان تراه ، او تلمسه او تذوقه لان كل ما استطعنا ان ندركه بحواسنا ، فنحن ارقى منه ، ونحن اقدر منه ما دام باستطاعتنا ان نحيط به ، وان نقيسه او نزنه او نكيله ، فليس يحيط بالشيء الا ما هو اوسع منه واعمق . لابد أن يكون سبب الاسباب ، او العلة الاولى ، شيئا لا يدرك بالحواس ، بل لا يستطيع العقل الذى كون كل معارفه واحكامه من خلال الحواس ، ان يحيط به ، وليس باستطاعة العقل ان يدرك الا أنه موجود اما كيفية هذا الوجود فضلا عن ماهيته ، فشيء يستحيل أدراكه ، لان سبب الاسباب هو الكل ، والانسان بما فيه عقله ، ليس سوى جزء ، ويستحيل فى العقل ان يحيط الجزء بالكل .

وسوف نتحدث فى مقال تال عن ادلة العقل على وجود الله . اما الان فحسبنا ونحن نتابع رحلة العقل البشرى كما يسجلها تاريخ الاديان والمعتقدات ، ان نقف عند هذه الذروة .. عندما استطاع العقل البشرى عن طريق التفكير المجرد،

---

(١) صور القرآن الكريم هذه الحركة العقلية فى قصة ابراهيم عليه السلام « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا، قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال‌لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون . انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » . الانعام ــ ٧٦ ــ ٧٩ .

ان يصل الى ادراك وحدانية السبب الاول بالدليل والمنطق . وكان ذلك على يد فلاسفة الاغريق العظام من امثال سقراط وافلاطون وارسطو .

الوجدان كطريق للمعرفة

على انه يخطيء من يتصور ان سبيل المعرفة الانسانية هو العقل والحواس او على الاقل ـ لتكون داخل النطاق العلمي من البحث والتفكير ـ لا تزال التجربة تثبت ، ان ثمة معارف تنبثق فى ضمير الانسان ، ووجدانه ، دون ان يكون من المستطاع تفسيرها عن طريق الحواس ، فللحيوان احساسات اكمل وانضج من حواس الانسان ففى الحيوانات ما يسمع بأقوى مما يسمع الانسان ، وفيها ما يرى بأحد مما يرى الانسان . ومع ذلك فالانسان وحده من دون الكائنات الحاسة يقول شعرا ، ويرسم صورة ، ويؤلف قصة ، فلا بد اذن ان يكون فى الانسان طاقة تعلو طاقات مجرد الحواس والمعارف العقلية التى ترد عن طريق الحواس .

وبهذه الطاقة التى جرى الاصطلاح على تسميتها بالوجدان او الحدس ، والتى تعلم الانسان عن طريق الالهام ، وبهذا الوجدان ، وبهذا الالهام ، قال الانسان الشعر ، وعزف الموسيقى ، ونحت وصور وغنى وتكلم واكتشف واخترع .

وقد عرفت البشرية رجالا ، جاءوا يخاطبون هذا الوجدان الانسانى ، فاذا البشر يجدون فى خطابهم ، حلا لمشكلاتهم وتفسيرا لمعمياتهم ، وعزاء لالمهم ، واملا فى مستقبلهم فانصاعوا لهم ، واهتدوا بهديهم ، واستضاءوا بنورهم . اما هذا النفر ، الذين استطاعوا ان يقوموا بهذا الدور فى حياة البشر ، فهم من نطلق عليهم اسم الرسل ، وليس الآن مجال التحدث عنهم ، فنحن لا نزال فى دائرة استعراض تفسير ماهية الدين ، والذى يمكن تلخيص جوهره وعناصره فى ثلاثة خطوط .

الخط الاول : ـ هو محاولة كل انسان تعرف ما حوله ، ومكانه فى هذا الوجود ومن اين جاء ، والى اين يذهب .

الخط الثانى : ـ هو تكييف النشاط الانسانى ، وعلاقة الانسان بما يحيط به ، من كائنات على هدى ما يسفر عنه البحث وتستقر له النفس ، من اجابات على الاسئلة السابقة .

الخط الثالث : ـ هو ان السبيل لتعرف الانسان على هذه الحقائق ، لا يتم الا بواسطة نفر من البشر ، يفوقون البشر العاديين علما وادراكا ، وحساسية وقوة يقين .

لا يقوم مجتمع انسانى على غير هذه الاصول

هذه الخطوط الثلاثة ، او هذه العناصر الثلاثة ، التى تؤلف جوهر التدين ، لا يمكن ان تتصور اى مجتمع انسانى ، يقوم بغيرها ، الا اذا قلنا ، ان باستطاعة الانسان فضلا عن الجماعة ، ان تعيش بغير عقل ، فلا تحاول ان تعرف مكانها من الكون ، **وان تعيش بغير قانون ، او تشريع ينظم علاقتها ، وبغير نظرية ، تكون المنطلق لكل مناشطها فالقول اذن** بأن الدين هو عنصر زائد على حياة الانسان ، وانه **يستطيع ان يعيش بغيره ، وانه من تراث الماضى الذى يجب ان يزول ، هو قول ينطوى على عدم ادراك ماهية الدين ، وانه النظرية المنظمة لحياة الانسان ، والتي لا يمكن ان تستقيم حياة انسانية بغيرها ،** والصحيح ان يقال (من وجهة نظر القائلين **بهذا القول**) : انهم قد جاءوا بدين جديد ، **له كل خصائص الاديان من حيث كونه نظرية شاملة لتفسير الوجود وبرنامجا كاملا لتكييف حياة الانسان ، على هدى هذه النظرية ، وان الذى يقول بذلك ، هم نفر من الناس ، تلقوا عن انسان كامل تهيأ له من العلم ، ما لم يتهيأ لانسان من قبله ، او بعده .**

وما علينا الا ان نبحث هذه النظرية الجديدة ، التى ينادى بها الماديون والمحدثون ، وتتابع سلوكهم لنرى اننا بازاء دين جديد ، او بالاحرى دين قديم خلفته البشرية وراءها فى سيرها الطويل ، وهو عبادة المادة والعناصر الاولى من هواء وتراب وماء وزمان(1) يقولون (ولسنا الآن فى مجال مناقشة ما يقولون) **انه ليس ثمة فى هذا الكون غير المادة ، او بالتعبير**

---

(1) وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (سورة الجاثية)

الفنى (المادية الجدلية) وان هذه المادية الجدلية هى الاصل الذى انبثقت منه سائر الاشياء، والعناصر والكائنات ... ولا تسأل : من الذى اوجد هذه المادة ، انها موجودة هكذا منذ القدم ، وستبقى حتى الازل ، وهذه حقيقة يجب ان نسلم بها وان نتخذ منها نقطة الانطلاق !!!

دين جديد

ويجب ان تشاد الحياة الانسانية والعلاقات بين الانسان وسائر الكائنات على اساس هذه المادة الجدلية وقوانينها وان انسانا ما وهو ((كارل ماركس)) هو الذى اهتدى الى سر الوجود ، والحياة، بعلم يفوق علم العلماء وادراك يفوق ادراك المدركين، حيث لم يسبقه سابق، وهيهات هيهات ان يلحق به لاحق !!!!

وتصبح كتابات كارل مارس كتبا مقدسة ، تفوق قداسة الكتب المنزلة ، فكل باحث ، وكل مفكر ليس يقبل منه قول او رأى الا اذا نقل سطرا ، او عبارة او كلمة واحيانا حرفا من كتاب ((كارل ماركس)) حتى يجد سميعا . وتعلق صور كارل ماركس كما تعلق صور مريم العذراء ويحاط جسد تلميذه لينين ليكون مزارا، تكتحل بمرآه عيون المؤمنين ، وتصبح موسكو ــ حيث يقال انها تطبق الدين الجديد ــ كعبة يحج اليها ، ويتولى الجالسون فى هذه الكعبة مهمة تفسير كتب كارل ماركس ولينين ، وليس لاحد حق التفسير الا هم ، وليس من يفهم نواميس المادية الجدلية الا هم !! فاذا جاء اقوام جدد ، يزعمون انهم يفهمون فهما مغايرا لتعاليم السيد الكبير، وان مقتضيات المادية الجدلية ان يكون السلوك على هذا الوجه او ذاك فهذا هو الانحراف والمروق، وهذه هى الخيانة والردة . ولو كان القائلون بذلك هم سبعمائة مليون من البشر !! لو ان القائل بذلك كان يقيم فى موسكو، اذن لكان نصيبه القتل ، او الحرق تماما كما كان يحرق اى مخالف لاى دين من الاديان .

وهكذا نرى المذهب الجديد الذى جاء ليحرر البشرية ــ فى زعمه ــ من نير الاديان القديمة، قد جاء بنير اثقل واقسى والذى جاء ، ليقوض سلطان الكنيسة ، والكهنة، قد خلق طائفة اعتى من القسس ورجال الدين ، والذى جاء يسخر من فكرة القداسة ، قد خلع القداسة على رجاله !! والذى يسحر من الوحى والالهام قد جعل كتب صاحبهم هى الوحى نفسه ، والالهام ذاته ، هى الحقيقة وقد تحولت الى كلام !! .

فالثائرون على الدين اذن ، والقائلون بان المجتمع لا يحتاج الى دين ، لم يستطيعوا الا ان يوجدوا دينا جديدا ، أو بالاحرى ان يعبدوا دينا قديما ، فعبادة الانسان للسماء ، او الشمس ليس شيئا جديدا ، كما قدمنا .

ويكون التدين اذن ــ بمعنى العيش وفق نظرية شاملة، تفسر الكون، وتستلهم نواميسه ، وسننه ، وتلقى هذه النظرية الشاملة ، والتفسير الكونى بواسطة نفر من البشر ، يكونون ائمة ، ويكونون قادة للانسانية ــ ظاهرة انسانية وضرورة اجتماعية ، لا يقوم الاجتماع البشرى بغيرها .

واذ وصلنا الى هذا الحد ، فقد بقى ان ننتقل الى السؤال الثانى :

اذا كان جحود الاله ، لا يمكن ان يتم الا من خلال دين ــ تماما ــ كالاديان ، التى تؤمن بوجود الاله ، فايهما افضل : ان نؤمن بالله ، ام ننكر وجوده ؟ ان نؤمن بالمادة ، كسبب الاسباب لهذا الوجود ام نؤمن بسبب يعلو على المادة ؟ وما هو الفارق بين النظريتين من حيث اثر كل منهما على الانسان ، وتحقيق اكبر قدر له من الخير والطمأنينة والسعادة ؟

موعدنا فى الرد على هذا السؤال المقال التالى «««

ولست مكلفا الا بما وصلت اليه ، وليس مخالفي مكلفا الا بما وصل هوايضا اليه.

وما من مجتهد الا روى عنه ما يدل على سماحته العلمية ، وأنه كان يأبى على الناس ان يقلدوه في كل ما قال ، ويلغوا ما سواه .

فأبو حنيفة رضي الله كان يقول لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي ، وكان اذا أفتى يقول : هذا رأى النعمان بن ثابت ـ يعني نفسه ـ وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

والشافعي رضي الله عنه كان يقول : اذا صح الحديث فهو منهبي وقال مرة للمزني . يا ابراهيم . لا تقلدني في كل ما أقول ، وانظر في ذلك لنفسك فانه دين .

سماحة

وقد صلى الامام الشافعي صلاة الصبح مرة في مسجد الامام ابى حنيفة بالاعظمية ، فلم يقنت ـ أي لم يأت بدعاء القنوت كما هو منهبه ـ فسئل بعد الصلاة . لماذا لم تأت بدعاء القنوت ؟ فقال لقد كان ابو حنيفة رحمه الله لا يرى القنوت في صلاة الصبح ، فرأيت أن أتأدب معه ، وأنا في جواره .

وهكذا بلغ من سماحة الشافعي ان يترك سنة من السنن في نظره ،ليقوم بواجب التأدب مع هذا الامام الجليل ، في قبره وطبعا لو كان القنوت في نظره فرضا لما تركه ، وانما فعل ذلك لأنه سنة مظنونة فنزل عن رأيه فيها تأدبا مع صاحبه .

وقد ابى الامام مالك ان يفرض على الناس كتابه « الموطأ » لما استشاره أمير المؤمنين ابو جعفر المنصور في أن يبعث به الى اقطار المسلمين ليحكموا بمقتضاه ، فقال مالك : **« لا تفعل يا أمير المؤمنين ، ودع الناس يأخذون بما علموه ، وبما يصلح لهم ، فقد سبق الى كل قطر مناقطار المسلمين بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فربما رووا عنهم ما ليس في كتابي هذا .**

وكان الامام احمد رضي الله عنه يقول « ليس لاحد مع الله ورسوله كلام » وقال يوما لرجل « لا تقلدني ، ولا تقلد مالكا ، ولا الاوزاعى ، ولا النخعى ، ولا غيرهم ، وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة » .

ومراده بذلك من له قدرة على النظر والاجتهاد ، واما من لا يقدر على ذلك ، وليست لديه شروطه وأدواته ، فيقلد اماما معروفا بالعلم والورع والرجاحة ، ويأخذ بما شاء من آراء العلماء .

وهذه النظرة المنصفة تغيب أحيانا عن بعض اهل العلم ، او تغمرها العصبية او المصلحة الشخصية،فيشتد الخلاف، وينقلب لجاجا وخصومة ، وان خير ما يقدمه خاصة اهل العلم الى امتهم فى هذا العصر ان يتناولوا بحوثهم العلمية في انصاف ورفق ، وان يكون رائدهم الحق من أي أفق ظهر ، وأن يحسن كل منهم الاستماع الى ما يقوله الاخرون ، فربما وجد عندهم صوابا، وربما استعان بهم على الوصول الى درجة الكمال .

هل تأثر الفقه الإسلامي

هل تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني ؟

ان طالب العلم طالب الحق . فيجب علينا أن نبحث في الحق ثم نتبعه ، فان الحق يعلو ولا يعلى عليه . فاذا كان القانون الاسلامي مأخوذا من القانون الروماني فلا ينقص قدره ، وان لم يكن كذلك فلا يزيد قدره . فهو ما هو .

وهذه المسألة لها نواح عديدة ، ولا يمكن احصاؤها في مقالة صغيرة ، ولهذا أكتفى بهذه العجالة ، فما لا يدرك كله لا يترك كله .

فمن ناحية التسمية نجد أن أهل روما عبروا بكلم « يس » (Jus) عن مجموعة الاحكام العملية عندهم لاحوال البشر فى مختلف الاحوال و «يس» معناه اللغوى « حق » . واستعمل الفرنسيون والالمان والطليان عين المصطلح لهذا العلم، فترجموا وقالوا : diritto, recht, droit أما العرب المسلمون فاستعملوا كلمة « الفقه » لهذا المفهوم . ومعناه « المعرفة » . أما كلمة « حقوق » المستعملة الآن فى البلاد العربية والفارسية والتركية ، فهي محدثة ، مترجمة من الفرنسية ، ولم يستعملها قدماء المسلمين ابدا فى هذا المعنى ، عربا كانوا أم عجما . فثبت ان الفقه لم يتأثر فى مسألة المصطلح لهذا العلم من القانون الروماني .

ومن ناحية المنهج نجد ان مؤلفي القانون الروماني ، قسموا المسائل في كتبهم الى ثلاثة اقسام الاشخاص ، والاشياء والخصومات او القضايا امام المحكمة العدلية . ولكن الفقهاء وضعوا كتبهم على اساس العبادات ، والمعاملات والعقوبات . فاذن لم تتأثر الكتب الفقهية بكتب القانون الروماني فيما يتعلق بالمنهج والترتيب ايضا .

ذلك ان المسلمين لم يفرقوا بين الروح والجسد، ولم يهملوا أحدا منهما ،وفكروا أن الانسان مركب منهما جميعا .

فلو اعتنى احد بواحد منهما فحسب، لم يتحقق الفرض من وجودنا ، فنصير اما ملائكة (وهناك ملائكة غير الانسان) ، واما شياطين (وقد خلق الله شياطين غيرنا) . فالنشوء المتعادل للانسان كله (فى روحه وجسده) يحتاج الى الاعتناء بكلا الامرين . ولهذا السبب ذكر الفقهاء فى كتبهم العبادات ، كما ذكروا المعاملات وليس كذلك عند الرومانيين . فكتب القانون أي (يس) عندهم لا تذكر المسائل الروحانية (أى العبادات) أبدا .

ان اساس القانون الاسلامي مستمد

بالقانون الروماني؟

للدكتور محمد حميد الله

من كلام الله (المنزل بالوحي) ،وأساس القانون الروماني مستمد من مشيئة الانسان . وخلاصة القانون الاسلامي كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » أى المقنن هو الله الواحد ، وهو الذى أنزل أوامره على رسوله ليبلغها الى سائر البشر . ومآخذ القانون الاسلامي ومصادرها تشتمل على كلام الله وسنة نبيه واستنباط المتخصصين بواسطة الاجماع أو القياس . بينما الرومانيون يبنون أحكامهم اما على اوامر رئيس الحكومة او على العرف والعادة . ومعنى هذا بوضوح ان المسلمين لم يتأثروا من روما في مصادر القوانين .

وبما ان المسلمين لم يفرقوابينالمسائل الروحانية ، والمادية ، نجد أن كتبهم لا تكتفي بذكر العبادات والمعاملات فحسب، بل تذكر أيضا المسائل الدستورية ، وأحكام الحقوق الدولية ، وغير ذلك أيضا . وليس كذلك فى كتب القانون الروماني ، فانها أهملت تماما حتى هذه المسائل العمومية ، وجعلتها من علم السياسة . فالامام عند الفقهاء هو امام صلاة الجماعة ، كما هو امام دولة المسلمين . ومسائل السير (الحقوق الدولية) قسم من الفقه ، تتعلق بها حقوق الناس ، كما فى سائر أجزاء المعاملات والعقوبات هذا فضلا عن ان العبادات تختلف تماما بين الموحدين (المسلمين) والمشركين عابدى الاصنام والاوثان (الرومانيين) .

والقانون الاسلامي والروماني يختلفان حتى في المسائل التي تذكر فى كتبهما على سبيل الاشتراك . مثلا فى العقوبات نجد أن الفقهاء قسموا الجرائم الى قسمين : الحدود ، والمظالم . فالحدود تتعلق بالجرائم التي لو ثبتت بالبينة تكون العقوبات معينة محددة ، لا تتحمل زيادة ولا نقصانا . أما المظالم فالعقوبات فيها حسب رأى القاضي ، ويجوز له العفو أيضا (والحدود تتعلق بقتل الانسان ، والسرقة ، والزنا ، والقذف ، وشرب الخمر ، والارتداد . والزنا والقذف وشرب الخمر ليست محرمة عند الرومانيين ومن ثم فلا عقاب عليها ، وأما عقوبة الارتداد بالقتل فكانتموجودة عند الرومانيين . أما القتل والسرقة فهما محرمان عند سائر الامم منذ أقدم العصور . ولكن العقوبات عليها عند المسلمين والرومانيين تختلف كثيرا . فقطع اليد لا يوجد عند الرومانيين . وفى القتل تتشكل العقوبة عند المسلمين حسب النية من حيثالعمد والخطأ وهي لا توجد عند الرومانيين فيما أعرف . وكذلك الدية والقصاص عند المسلمين من حقوق ورثة المقتول، وعند الرومانيين

القصاص حق الدولة . وكذلك يوجد ما يسمى بالعاقلة عند المسلمين منذ عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، وهي لا توجد عند الرومانيين (وهي عبارة عن تضامن الاسرة او القبيلة لاداء ما يفرض على أحد أفرادها من الدية) . فنرى من هذا أن القانونين لا يتشابهان حتى فى جريمة القتل . والفرق بين الحدود والمظالم لا يوجد عند الرومانيين .

وفى المعاملات لا مشابهة بين القانونين فى النكاح والطلاق . فالاسلام لا يعرف الا قسما واحدا من النكاح وهو عقد يجمع الزوجين برضاهما . وعند الرومانيين توجد اصناف عديدة للنكاح الجائز ، بينما يعتبر أكثرها عند المسلمين كالزنا . وحدد المسلمون النكاح بحيث لا يزيد عن أربع زوجات حسب أوامر القرآن وليس كذلك عند الرومانيين . والطلاق غير متشابه فى القانونين .

وقانون الوراثة وتقسيم التركة عند المسلمين يغاير ما عند الرومانيين . وكذلك نظام القضاء وآداب القاضى ، ولزوم شاهدين اثنين عند المسلمين ، وتزكية الشهود كذلك لا توجد عند الرومانيين . وعند الرومانيين يلتزمون فى الخصومة كلمات معينة وحركات معينة ، لا تعرف عند المسلمين .

والقانونان يختلفان حتى في المعاملات المالية فمثلا الربا غير محرم عند الرومانيين . وحتى أساس التجارة يختلف عندهما . فالبيع عند الفقهاء عقد برضا العاقدين، وهو عند الرومانيين عقد يتعلق بالمال .

ومن البديهي ان قانون العرب في جاهليتهم كان مبنيا على عرفهم وعادتهم من قبل الاسلام ، فلما جاء النبي عليه السلام قال فيما روى الامام احمد بن حنبل « يعمل في الاسلام بفضائل الجاهلية » ، فأقر عليه السلام بعض تلك العادات الجاهلية وغير أخرى . وبعض هذه القوانين العربية القديمة قد تطور من حضارات سبأ ومعين ، والبلدتان كانتا قبل تأسيس بلدة روما . وكانت حضارات راقية لم تمت ولم تندرس ، بل دامت حتى اتصلت بالعهد الاسلامي . فنحن نعرف ان آخر ملوك الحميريين هو سيف بن ذى يزن ، وقد وفد عليه عبد المطلب جد النبي عليه السلام فى وفادة سياسية ، وهنأه لما تمكن من اخراج الحبشة من اليمن . وهذا يدل على قيام العلاقات ومتانة الصلات بين مكة واليمن .

ومما يذكر ان المسلمين فتحوا فى نفس الوقت البلاد التي كانت قبل ذلك عند البيزنطيين وعند الساسانيين وغيرهم . فتأثير قانون روما دون قوانين سائر الامم المفتوحة ترجيح بلا مرجح . ومما يذكر انه لم يمض على وفاة النبي عليه السلام مدة حتى طرق المسلمون أبواب اوروبا من جهة والصين من جهة وارمينيا من جهة وفي الهند من جهة . فقد ذكر الطبرى والبلاذرى تلك الفتوح، وقررت تواريخ الصين ما ذكره البلاذرى من فتح ما وراء النهر الصينية . ففي هذه البقاع الممتدة كانت توجد عدة من الحضارات وانظمة القوانين الراقية .

ومما لا ينسى أن المسلمين لما فتحوا العراق، لم يغيروا قوانين الخراج للاراضي هناك (كما يؤكد المؤرخ المسعودى) بينما المسلمون لم يتبعوا ذلك فى سوريا ومصر، بل غيروا كثيرا من قوانين الخراج البيزنطية فى تلك البلاد ، لانها كانت ظالمة . فلا يقال اذن ان القانون الروماني أثر على الفقه الاسلامي .

ان الفقهاء زمن « ولادة » القانون الاسلامي وتدوينه كانوا اما في الحجاز أو في العراق ، من اهل السنة كانوا أو الشيعة او الزيدية أو من الخوارج (الاباضية) ، ولم يكونوا من سوريا . والفقيه الوحيد من سوريا هو الامام الاوزاعي . فقد ذكر الذهبي فى تذكرة الحفاظ عن احواله : انالاوزاعي كان من سبي اهل السند (أى من باكستان الحالية) لا ممن نشأوا فى جو القانون الروماني ، حتى ينقل آثار الروم الى الفقه . والامام مالك من المدينة . والائمة ابو حنيفة والشافعي وابن حنبل وزيد ابن علي وجعفر الصادق كلهم اما من الحجاز او العراق. ولم يذهب الشافعي الى مصر الا فى آخر عمره حتى يقال انه تأثر من قانون روما فى مصر .

نعم كانت فى بيروت والاسكندرية مدارس القانون الروماني . ولكن عطلت وقفلت فى القرن الذى مضى قبل الاسلام .

ولما فتح المسلمون البلاد ، أعطوا لكل طائفة ــ حسبما امر به القرآن الكريم ــ الحرية التامة فى القضاء والقانون . فالنصارى كانوا يحضرون الى محاكمهم حيث الحكام كانوا نصارى ، وكانوا يطبقون قوانين الطائفة . وكذلك اليهود والمجوس وغير ذلك . فلم يكن هناك محل لتأثير قانون طائفي على القانون الاسلامي .

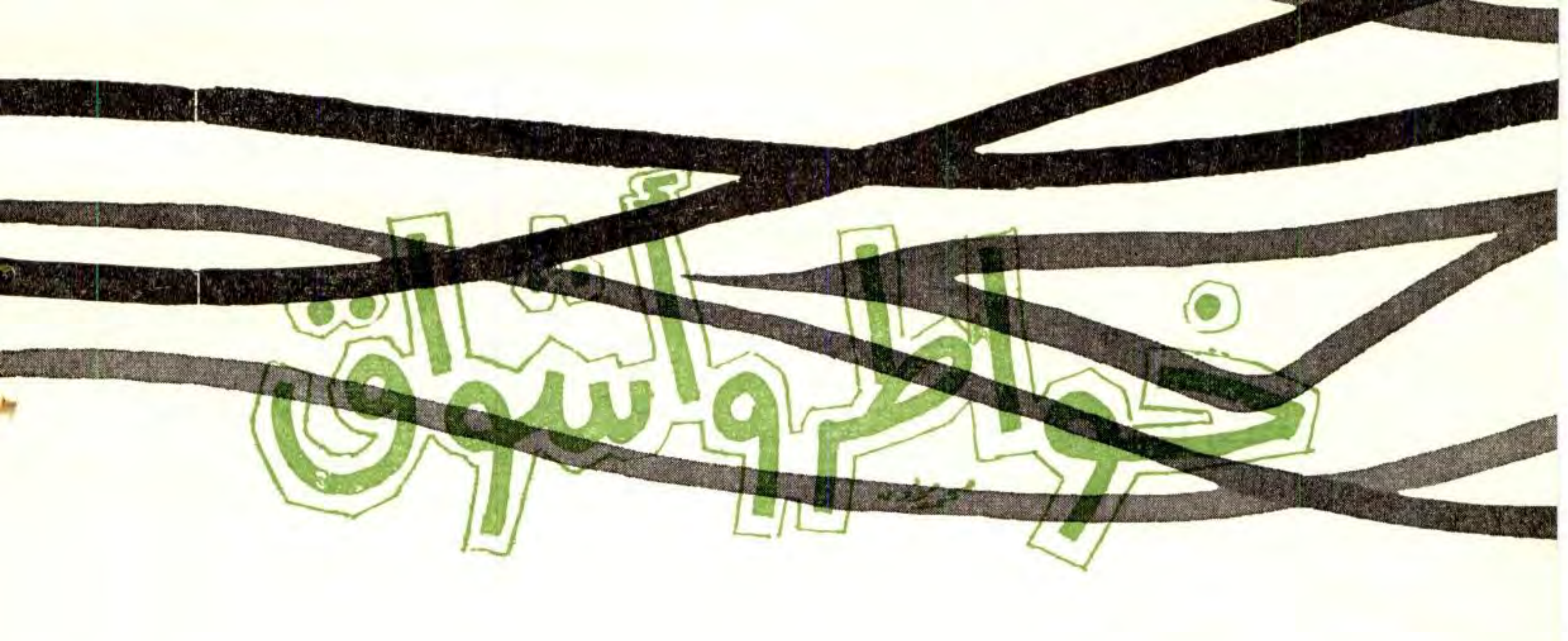
وما كان الفقهاء يعرفون اللغة اللاتينية (التي كتب بها القانون الروماني) ولم تترجم تلك القوانين الى العربية ابداقبل القرن العشرين الذى نعيش فيه . وأكد المستشرقون ان تلك القوانين لم تترجم حتىالىالسريانيةاو القبطية او العبرانية او الحبشية او الفارسية القديمة .

ومن المعلوم ايضا ان القانون الروماني لم يكن يطبق حتى فى بلادهم من الشرق الادنى . وهذا الاهمال كان منذ العصور الاخيرة قبل الاسلام . اذا استثنينا عواصم الولايات ومراكزها . اما فى سائر البلاد فالناس كانوا يتحاكمون امام أساقفتهم ، وهؤلاء كانوا لا يعرفون القانون الروماني ، بل كانوايعملونحسب عادات بلادهم وتقاليدها وعرفها ، اما الحكام فى كبار البلدان فقد غادروا البلاد على فور ما بدأ المسلمون بصولتهم . حتى ان المدن التي فتحت فى خلافة سيدنا عمر ، كانت تعلن طاعتها على ايدى الاساقفة ، كما نرى فى كتب التواريخ والفتوح . ولم يذكر ابدا الموظفون المدنيون ولا قضاة المحاكم فى هذا الصدد .

المقنن عند الرومانيين هو موظف الدولة . اما المسلمون ، فالفقيه لم يكن ابدا الا رجل عادى من عامة الناس تعلم وتفقه فافتى ودون كتب الفقه .

ولما نشر المؤلف بوست Post كتاب قوانين الرومانيين لكايوس Kaius ذكر فى مقدمة ذلك الكتاب ان قانون اهل روما كان اولا همجيا ، متأخرا جدا ، ولم يتطور الا عندما تماسه قوانين اهل الشرق الادنى .

هذه نقط لا ينبغي للمتعلم الباحث ان يجهلها او يهملها عندما يتعرض لدراسة الصلات بين القانون الروماني والقانون الاسلامي (الفقه) . فلا يسمع الىادعاء أصحاب الفرض والعصبية بدون حجة قاطعة او برهان واضح .



ياساعيا من فجاج الأرض في ولـه قد أوهن الظلف لما أبعد السفرا

جهد المحبة أشواق تبلّغنا وغاية الجهد ان نحظى به فنرى

لله ما تبذل الأقدام ساعية يمضى بها الشوق أو تقضى له وطرا

فان دنوت لدى العتبات مفتقرا فأسعد الورد حتى تحمد الصدرا

***

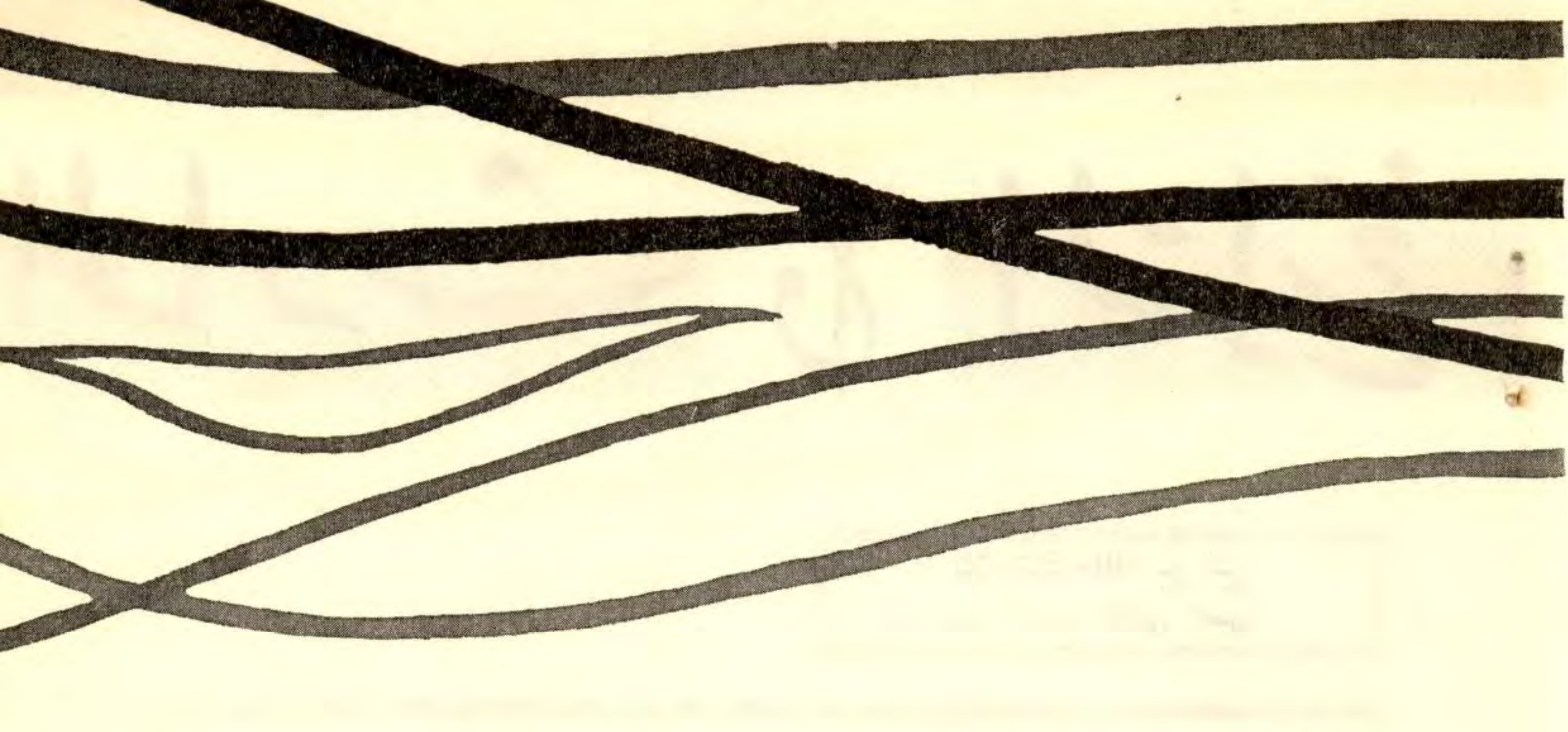
ياساعيا من فجاج الأرض في وله قد أحسن الظن لما أزمع السفرا

يروى على الجهد من ريا روائحه ويستحثّ المنى من ذكره عطرا

وافي حمام الحمى للركب منطلقا فبلغ السفر عن خير الورى خبرا

قد أمن الحب من وافي على وله وبارك الشوق بيعا رابحا فشرى

***

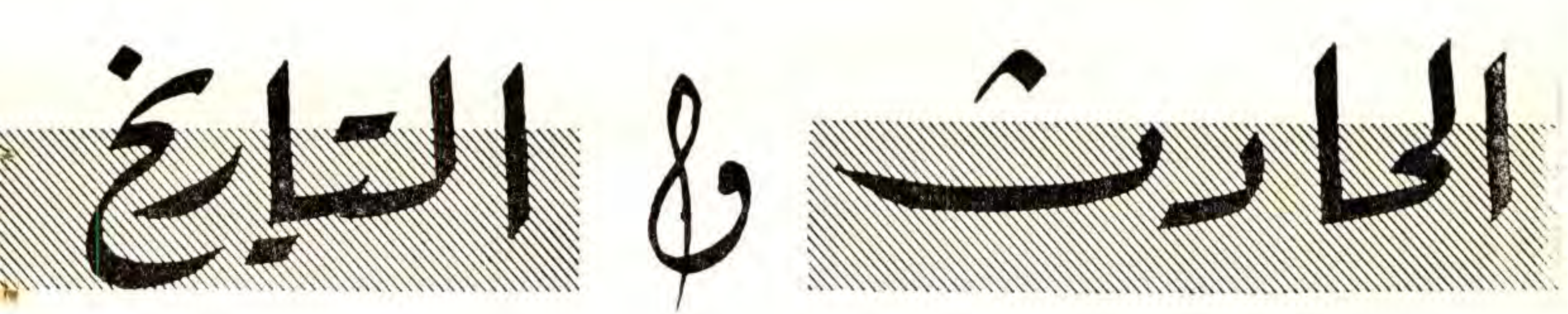


يا ساعيا من فجاج الأرض في ولـــه ملئ ركابك ان الشوق قد عـــبرا
قد يحبس الحب للأفواه ما نطقـــت ويسبق الشوق للأقدام ما سطـــرا

* * *

مددت كفك نحو الستر ملتمســـا غفر الشفيع فسال الدمع وانهمـــرا
وبان في العين لما سال مدمعهـــا شوق المحب إلى من نطق الحجـــرا
وقلت للسيد المتبوع معـــــذرة ياخير من أكرم المعذور واعتـــذرا
يا خير من وطئت رجلاه أرض منى فحال منها ثرى حصبـــائها دررا
لى عصبة من بناتى شاقهن هـــوى إلى رحابك جم بالحنين ســـــرى
حملتنى شغفا جاءت لتشرحـــــه ام ترى عند خـــير الرسل مدخـــرا
قدمتها بين ايدى من اليه ســـعت كل البرايـــا إلى اعتابه زمـــرا
ويافع من عزيز النجل حملـــنى مثل البنـــات فهل اكرمت من حضرا

محمود محمد الجرف (القاهرة)



للاستاذ مالك بن نبي
مدير التعليم العالي بالجزائر

الاستاذ مالك بن نبي من كبار المفكرين الاسلاميين الجزائريين جمع بين الثقافتين العربية والفرنسية .. وهو هنا يعالج موضوع كتابة التاريخ فى القديم والحديث : هل يكون مجرد سرد حوادث يشبه المتحف التاريخي او نبحث مع الحوادث اسبابها القريبة والبعيدة التي أثرت فيه ؟ ..

وقد قضى فترة من الزمن فى مصر اخرج فيها مؤلفاته التى تمتاز بالغيرة والعمق منها : الظاهرة القرآنية ومشكلة الحضارة . ووجهة العالم الاسلامي . ثم عاد الى الجزائر بعد تحريرها ليشارك فى بنائها عربية اسلامية مع ابنائها المخلصين » .

(الوعي الاسلامي)

لقد كان التاريخ الى حد القرن العشرين شبه متحف حيث كان يأتي المؤرخ ليتزود بالمعلومات عن شعب ما وذلك فى زاوية معينة مخصصة لهذا الشعب وسياسته وفنه وأدبه وفلكلوره .. ذلكم هو التصور التقليدى للتاريخ .

بيد انه كان من الممكن بالنسبة للمؤرخ أن يلاحظ فى بعض الاوقات السمة المشتركة وصلة الرحم بين بعض زوايا المتحف .. فهو اذ ذاك أمام « وحدة » تاريخية معينة .

ولقد يسمى ج.أ. توينبي هذه الوحدة بحقل الدراسة أو مجال البحث . ومجال البحث هذا عبارة عن المساحة التى يتم فيها النسيج التاريخي بفعل حوادث تجد تفسيراتها وغاياتها وأسبابها ومسبباتها فى هذا المجال أو الحقل .

وهكذا يوسع توينبي التصور التقليدى توسيعا ملحوظا يعمقه وذلك بتطعيمه بمفهوم « مجال البحث » الذى يطيح بالاطار الوطني حيث كان ينحصر تصور المؤرخ اليوناني (توسيديد) .

الا أن الاطار الجديد الذى يقترحه المؤرخ الانجليزى الكبير كان قد تداعى هو الآخر خلال القرون تحت وطأة دفع حوادث تاريخية اقوى واكثر تشابكا من ان نلتمس لها تفسيرا فيما يسميه المؤرخ الكبير بمجال البحث .

فسقوط الدولة الرومانية مثلا ظاهرة ينسبها المؤرخون الى موجة المهاجرين العارمة التى تدافعت على شعوب الشرق الاوروبي ، فدفعت بهم الى غزو الغرب اللاتيني . ويفسر فعلا الحادث فى مشكلة كهذه فى نطاق « مجال البحث الاوروبي » بيد اننا اذا ذهبنا بالتحرى مذهبا أبعد بأن نطرح هذا السؤال .. ترى كيف نشأت هذه الموجة التى يسميها المؤرخون الالمان « الفولكار فاندرونغ » .

أى موجة الشعوب هي الاخرى ؟ ففي الحال يحطم سؤالنا هذا نطاق ما يسميه المؤرخ الانجليزى بحقل الدراسة لان الظاهرة التي كانت الى الآن شيئا أوروبيا تصبح فجأة « حدثا » أسيويا . وبالفعل فان تداعي اسرة مالكة صينية قبل ذلك بقرون هو الذى دفع قبيلتين منغوليتين على المسارعة للنهب والسلب بحيث اصطدمتا ،فكان لاصطدامهما اثره البعيد فى دفع شعوب الشرق الاوروبي فى التيار المسمى « موجة الشعوب » أو «الفولكار فاندرونغ » . فهاهنا حدث معبر على تصور تاريخ عالمي على مستوى ذلك الزمن .

وهناك حدث آخر وقع بعد الف عام من ذلك لا يقل كشفا عن التصور التاريخي العالمي فى العصور الوسطى .. ذلكم هو تدخل « تيمورلنك » الذى يغير مجرى التاريخ لان حفيد جنكيز خان قد ظهر بالضبط فى الوقت الذى كان يستعد الامير العثماني « بايازيد » وملك القبيلة الموغولية المسماة بالقبيلة الذهبية « توغطاميش » ـ احدهما فى الغرب والثاني فى الشرق على غزو أوروبا تلك القارة التى كانت تنفض عنها غبار القرون الوسطى، وأخذت تدخل طريق النهضة.

وهكذا ينقذ عمل تيمورلنك جميع آمال هذه النهضة التي تشكل من غير منازع المقدمة التاريخية لعصر الذرة الذى نعيش فيه .

هل « تيمورلنك » جد عصرنا ؟ فهذا تصور لم نعهده فى التاريخ وبزيادة على ذلك فهو تصور لا شك أنه كان يغيب عن وعي الامير التتارى نفسه .

وما هي قيمة معركة « مارينيان »على سبيل المثال اذا قيست بأحداث على هذا المستوى من التأثير العالمي ؟ وعلى هذا يبدو لنا ان التاريخ نسيج معقد مما هو عارض وما هو مقدر .

وانني أتذكر وأنا اكتب هذه الجملة انتقادا وجه الي فى صحيفة باريسية غداة نشر كتاب « وجهة العالم الاسلامي » بانني أحمل السببية فى التاريخ أكثر مما تتحمل . ولو أجبت على هذا الانتقاد لقلت بكل بساطة انني لست أحمل التاريخ ، بل هو الذى يحملني . ولست ارى داعيا لازاحة البصر عن تصور يفرض نفسه علينا . والواقع ان هذا يستدعى اقامة نظرية كاملة للحادث التاريخى .

ان الحادث عند انقذافه يكون محملا بكل ما تستطيع الطبيعة البشريه أن تودعه فيه من غرض مصلحي وهوى وطموح وبغض ووهم الخ ...

انه صاروخ منطلق فى الزمان مدفوع بكل ما يحرك الانسان . ولا ريب أن اثره ذو بال ولو اقتصرنا على النظر اليه من هذا الجانب البشرى . فقد يكون غزوا يغير الخريطة السياسية أو ثورة تغير حياة أمة أو ميلاد دولة أو سقوط اخرى أو ظهور فن صناعي او اختفاء فن آخر .

وكل هذا يتحقق ما يكون قد سبق تصميمه وتدبيره عند منشئه وقد لا يحققه ولكن دائما فى اطار « مجال بحث معين ».

لقد كانت الحرب العالمية الاولى حادثا تسببته ارادة التوسع الألمانية ـ اذا وضعنا حادث سراجيفو البسيط جانبا ـ

البقية على ص ٣٧



أحمد بن حنبل

● امام من ائمة الفقه والحديث والورع

● والامام الاوحد في التمسك بالحق والاستهانة بصنوف العذاب والوان التنكيل التي قاساها عدة سنين .

● حياته درس وعبرة للعلماء والحكام .

هو احمد ، بن محمد ، بن حنبل ، بن هلال الشيباني ، ويمتد نسبه الى نزار بن مسعد ، ثم يصعد في هذا الاصل الشامخ الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ...

في سنة اربع وستين ومائة من الهجرة خرج محمد بن حنبل من بلده (مروة الى بغداد مقر الخلافة العباسية .

وكانت زوجه صفية بنت عبد الملك الشيباني رفيقة سفره : وهي حامل حينذاك ... ، وفي ربيع الأول من السنة عينها وضعت الزوجة في بغداد طفلها ــ احمد بن حنبل ــ وهو امامنا الذى نتحدث عنه .

كان جده حنبل واليا على مرخس فى ظل العباسيين ، وكان ابوه محمد قائدا في الجيش بعد ، ولعل عمله في الجيش سبب انتقاله الى بغداد قاعدة الحكم ، وملتقى القواد .

غير أن احمد نشأ يتيما لوفاة والده ايام طفولته ، فلم ير أبا ، ولا جدا ، ولم يكن ابوه حين الوفاة قد جاوز الثلاثين من عمره ، فلم يدرك ان يدخر مالا او عقارا الا دارا ببغداد كان يسكنها ، وبعد وفاته اقامت الزوجة مع طفلها احمد فى جانب من الدار ، واجرت الجانب الآخر بدريهمات ، كانت تستعين بها على العيش ، حاضنة لولدها الصغير ، وعلى هذا الحال تعهدت الام صفية ابنها احمد حتى بلغ مبلغ الفتيان ، وانتهى من تعلم القرآن ، مبرزا فيه تبريزا لفت اليه الانظار ، وأثار حوله العجب .



لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
رئيس لجنة الفتوى وشيخ الحنابلة بالأزهر

٢ : ــ في السادسة عشرة من عمره نهض الى طلب الحديث وجمعه في نشاط غريب من مثله ، وكثير على سواه حتى قال هو عن نفسه بعد : (كنت ربما اردت البكور في الحديث ، فتأخذ أمي بثيابي وتقول : حتى يصبح الناس توفر على الرواية .. ، وأكب على التحصيل .. فلم يشغله عن هذا طلب عيش ولا رقة حال ، ولا تعرف الى ذى سلطان ، ولم يقعد به خلو يده عن الاسفار والسعي وراء العلماء في كل واد :

رحل من بغداد الى الكوفة ، ونزل البصرة ومكة .. وطاف بالمدينة واليمن وقصد الشام والجزيرة ، وهبط على خراسان وفارس ، ويمم بلادا أخرى كثيرة يتتبع شيوخها ، ويلقى علماءها ، ويأخذ عن كل ما لديه من الحديث .

مما يصح عنده ، ويطمئن اليه . فلم يفته عالم سمع به ، ولا بعدت عليه جهة يستقي منها العلم بسنة الرسول ، وما أثر عن اصحاب الرسول ، ولقد اعيته النفقة يوما عن الوصول الى بلاد الرى ليأخذ عن عالمها جرير بن عبد الحميد ، فكان يتأسف لعجزه ويقول : لو كانت عندى خمسون درهما كنت خرجت الى الرى الى جرير بن عبد الحميد ، ولكن خرج بعض اصحابنا ، ولم يمكنى الخروج،ولم يزل حريصا على لقاءجرير هذا حتى لقية ببغداد فى رحلة جاء فيها جرير ، والتمس احمد من علمه ما تهيأ له ، ويحدثنا عنه احمد بن سنان من سراة القوم فىواسط فيقول : قدم علينا احمد بن حنبل فى جماعة من البغداديين الىالشيخ يزيد بن هرون ــ واستقرضوني كلهم مالا وردوا الا احمد بن حنبل ، لم يستقرضني بل اعطاني فروة له فبعتها له بسبعة دراهم »

وقد هون على احمد هذه المشاق ، وسهل عنده تلك المصاعب حفظ نادر ، وفهم ممتاز ، ورغبة لا يلحقها ملل ، وتوفيق لم يعهد مثله الا في رجال اختصهم الله تعالى بفضله ، وقيضهم لحفظ السنة ، وضبط الشريعة وصيانة الاحكام . قال أبو زرعة : كتب احمد بن حنبل ليس في اوائل اجزائها اسماء

المحدثين الذين سمع عنهم ، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه ، وقال كذلك حرزت كتب احمد في اليوم الذى مات فبلغت اثنى عشر حملا وعدلا ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا فى بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه من ظهر قلبه ، والروايات عنه في تقدير مواهبه تملأ الصفحات ، وقد دأب احمد على رواية الحديث ، والتردد من بلد الى بلد ، ومن شيخ الى شيخ ، حتى بلغ الأربعين من عمره فاستوى له ان يجلس للتحديث ، وكان قبل يمتنع أن يجلس لذلك ويمتنع ان يجلس للفتوى ، الا ما كان يسأل عنه من علم عنده . وكثيرا ما كان يحيل السائلين على معاصرية من العلماء بعدا عن التورط في الفتوى وهي سنة الصحابة والتابعين .

مكانته في الحديث

استطاع احمد ان يجمع من الحديث خمسين الفا وسبعمائة الف حديث ثم نقدها نقد الصيرفي الخبير حتى صفاها من الدخيل ، واستقر به الأمر على نحو من اربعين الفا دون احمد هذه الاحاديث في كتابه المشهور بالمسند وحرص عليه حرص البخيل على ماله ، وكان يقول لابنه عبد الله « احتفظ بهذا المسند فانه سيكون للناس أماما » ، ويقول اسحق بن حنبل قريبه وتلميذه جمعنا احمد : انا وصالح وعبد الله ابنا الامام ، وقرأ علينا المسند ، وما سمعه منه غيرنا ، وقال لنا (هذا كتاب قد جمعته وانتقيته من اكثر من سبعمائة الف وخمسين الف حديث فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه فان وجدتموه فيه والا فليس بحجة) وكانت هذه هي مكانته في الحديث .

محنة الامام احمد

على عهد الرشيد توقدت جمرات الخلاف المذهبي بين المعتزلة وغيرها من الطوائف ، ونبتت الفكرة بان القرآن مخلوق — يعني ليس بقديم — ثم اندلع لهيب الفتنة أيام المأمون والمعتصم من بعده ، وأخذت بدعة القرآن في مد وجزر بين الداعين اليها من امثال بشر المريس واحمد بن داود قاضي بغداد وبين المعارضين لها من أمثال احمد بن حنبل ومحمد بن نوح وغيرهما من وجوه العلماء ، وكان المأمون يشد ازر المبتدعين لهذه الاحدوثة ، ويعمل على كسب انصار لها من امثال احمد بن حنبل ممن هم في مكان القدوة بين الناس ، وبعد محاولات عدة ومناظرات حادة يئس المأمون من احمد ومن معه من المعارضين فأعمل سيفه في رقاب نفر منهم وزج فى السجن بآخرين . منهم ابن حنبل .

فلبث في السجن ثمانية وعشرين شهرا — بين اخريات عهد المأمون واول عهد المعتظم — لقي فيها من ضروب الهوان والايذاء ، ما لا يطيقه انسان ولا يصفه قلم ، تقلبت عليه احداث وحيكت له الدسائس من رجال المعتصم ، وهو لا يلقى ذلك الا بيقين راسخ ، وصبر لا يهين ، وجلادة تزيد الخصوم بأسا منه وحيرة في أمره .

تمسكه برأيه

كان يؤتى به من السجن مقيدا مهانا الى مجالس المناظرة ، ويواجه فيها بأحمد ابن أبى داود ، واحمد بن رباح ، وأبى شعيب الحجام ، وأمثال هؤلاء من بطانة الخلفاء فيقيم عليهم الحجة ، ويلزمهم الخزى ، فيضاعفون القيد في رجليه ، ويعاد الى السجن مخلوع النعلين مسحوبا في مذلة ، ثم تتجدد المأساة من ساعة الى ساعة ويضرب بالسياط المبرحة مرة بعد مرة ، ويقطع عنه الزاد يوما وأياما ، فما يكون منه الا ثبات على حقه وازدراء لباطلهم ، واستهانة بكل ما يصنعون ، ومما اثر

عنه في ابان هذه المحنة ان الخليفة المعتصم أمر به يوما فجيء به من السجن وأوقفه بين يديه وقال له — وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربنك بالسياط حتى تقول كما اقول بخلق القرآن ، ثم التفت الى الجلاد ، وقال له خذه اليك ، فأخذه ناحيته وبدأ يضربه ، وحينما ضربه السوط الاول قال احمد باسم الله وفي الثاني قال ولا حول ولا قوة الا بالله ، وفي الثالث قال القرآن كلام الله غير مخلوق ، وفي الرابع قال لن يصيبنا الا ما كتبه الله لنا . ثم ما زال الجلاد يضربه الى تسعة وعشرين سوطا ويقول ميمون بن الاصبغ حينما بلغ الضرب الى السوط التاسع والعشرين انقطعت التكة من سراويل احمد (رباط اللباس) فقلت الساعة ينهتك ، فرمى احمد بطرفه الى السماء ، وحرك شفتيه ، فثبت السروال ولم ينزل ويقول بن الاصبع هذا فدخلت الى احمد فى سجنه بعد سبعة ايام ، وقلت له يا أبا عبد الله ارايتك يوم ضربوك قد انحل رباط سروالك فرفعت طرفك نحو السماء ، وحركت شفتيك فأى شيء قلت) قال احمد : قلت اللهم اني على الصواب فلا تهتك لي سترا . ولما تضاعفت المأساة بعد هذا تأذت نفس المروزى وهو صاحب احمد وتلميذه ، فدخل عليه السجن يوما ، وقال له : يا استاذ قال الله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم) يريد منه ان يوافق الخليفة على قوله — ولو ظاهرا — لينجو من الهلاك ، فقال احمد : يا مروزى اخرج فانظر أي شيء ترى ، فخرج المروزى الى رحبة دار الخليفة ، فوجد جمهرة من الناس لا يحصيها العدد ، وبأيديهم الأقلام ، والمحابر فسألهم المروزى اى شيء تعلمون ؟ فقالوا ننتظر ما يقول احمد فنكتبه ، فدخل المروزى على احمد وأخبره بذلك فقال له احمد يا مروزى هل أضل هؤلاء كلهم ؟ ؟ انا اقتل نفسي ولا اضلهم .

وفى هذه المحنة واحاديثها فصول طوال ، وقصص عجيب ، كلها تدل على كمال الايمان ، ورسوخ العلم ، وقوة الحجة ، كما تدل على ان بطانة السوء شر ما يبتلى به الامراء والرؤساء .

تراجع المعتصم

وأخيرا يئس المعتصم من اخضاع احمد فأشار عليه بعض بطانة السوء ان يقتله ، ولكن آخرين منهم تخوفوا أن يكون قتله سببا فى فتنة شديدة ، وهياج عام لتعلق الناس به ، وتخوفوا كذلك ان يكون القتل سببا فى فتنة أخرى فى زيادة حب الناس لأحمد ، وتعلقهم به اكثر اذا رأوه وصبر حتى قتل .

هم يحسدوني على موتي فواعجبا
حتى على الموت لا اخلو من الحسد

وقد جنح المعتصم لهذا الراي وحضر عم الامام احمد ، وبعض اهله، واشهدهم على ان احمد صحيح البدن ، وقال قد سلمته اليكم صحيح البدن .

فى عهد الواثق

وبهذا سكت الناس وهدأوا ، ولم يكد يخرج احمد من سجنه ويعود الى مجالس العلم اياما حتى توفي المعتصم وخلفه الواثق بالله فاستدعى احمد ، وافهمه انه سوف لا يتعرض له ، وانما يطلب منه الا يظهرفى بلد يسكنه الخليفة ، فاعتكف احمد بعد ذلكنحو اربع سنوات من سنة ٢٢٨ — ٢٣٢ وكان اعتكافه فى دار ابراهيم بن هانىء النيسابورى .

ويروى عنه ابراهيم هذا انه طلب منه يوما ان ينقله من مكانه الى مكان سواه ، فقال ابراهيم اني اخشى عليك يا ابا عبد الله ان تراك العيون ، فقال له احمد ان فعلت افدتك ، فنقله الى دار اخرى ، فقال له يا ابراهيم اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثة ايام ثم تحول ، وليس ينبغي ان يتبع رسول الله فى الرخاء وفى الشدة .

تحول فى صالح الامام

وظل احمد على اختفائه هذه المدة حتى توفى الواثق ، وولي من بعده المتوكل . جاء المتوكل بسياسة جديدة ، فأنكر ما كان يدعو اليه المأمون والمعتصم، وقاوم المفسدين بشجاعة لم تتهيأ للواثق ، وآزر أهل السنة وشجعهم بماله وسلطانه ، حتى خبت نار الفتنة ، وعاد الحق الى نصابه واستطاع الامام احمد وتلاميذه ان يستردوا حريتهم المغصوبة ويعودوا الى مجالس العلم آمنين والى اعلان كلمة الحق مطمئنين .

مذهبه فى الفقه وما يقال عنه

غلبت على الامام احمد نزعته الى روايات الحديث وتدوينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعني بالتأليف فى الفقه ، ولا يدعو الناس الى التدوين عنه ، بل كان ينهي أن يكتب كلامه سائله ، ويود لو ان الناس سلكوا مسلكه ، وتتبعوا حديث الرسول والمأثور عن اصحابه وكان يقول عليكم بالحديث ، ويقول انما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق . ومن اجل ذلك لم تكن له مؤلفات بعد المسند ، الا رسائل محدودة فى الورع،وفى الصلاة وفى الناسخ والمنسوخ، وفى المتقدم والمؤخر فى القرآن ، وفى جوابات القرآن ، وفى المناسك .

وهذا التمنع عن التأليف لئلا يضيق وقته عن خدمة السنة ، والسنة عنده بعد القرآن هي كل شيء ، وأعز من كل شيء ، والله سبحانه وتعالى يعلم حسن قصده ، فحفظ علمه ونفع به عباده ، اذ وفق تلاميذه ان يدونوا مسائله ، ويثبتوا كل ما عرفوا عنه من احكام ، فكتبوا فى هذا اكثر من ثلاثين سفرا ، وظلت هذه الثروة العلمية تراثا خالدا للاسلام ، وشاء الله ان يمتد فضل هذا الامام فلم يبق مذهبه فى العراق ، بل امتد الى الشام ومصر ، بل صار المذهب السائد المعتمد به فى المملكة العربية السعودية ، وأن مذهبا يقوم على السنة ويستظل بلوائها ، لجدير به ان تخفق رايته فى بلد تزعزعت فيه السنة ، وأشرقت فيه شمس الاسلام .

مكانته فى الفقه الى جانب مكانته فى الحديث

لم يكن احمد معنيا بجمع الحديث لمجرد الحفظ والشهرة ، بل جمعه وعنى نفسه فى تحصيله ـ ليصل الى كل ما شرع الله ، وليعرف ما يتجه الينا فى خطاب الله ، وقد تسنى له ذلك على ضوء علمه الغزير بالسنة ومعرفته الواسعة بكتاب الله ، وقدرته الممتازة على تأويل الآيات او تفسيرها ، وأخذ ما يؤخذ من الفاظها ومعانيها فكان له فى الفقه مجال فسيح ، وفهم صحيح ، وكانت لمذهبه اصول وقواعد كلها موضع القبول عند الآخذين عنه ، كما كانت موضع الاجلال عند معاصريه من عظماء زمانه .

وأى الناس أعرف بالامام احمد من اقرانه وشيوخه وتلاميذه وهذا هو الشافعي رضي الله عنه يقول « خرجت من بغداد ، وما تركت فيها احدا اورع ولا اتقى ولا افقه ولا اعلم من احمد بن حنبل » وهذه شهادة من شيخ لتلميذه ، وتلميذ لشيخه فقد اخذ كل منهما عن الآخر ، وكل يعرف صاحبه حقا ، وكذلك يقول قتيبة بن سعيد « لو أدرك احمد عصر الثورى ، ومالك والاوزاعي والليث ابن سعد ، لكان هو المقدم » وكان ابو القاسم بن الخليلي يقول كان احمد بن حنبل اذا سئل عن المسألة كأن علم الدنيا بين عينيه ، ويقول اسحق بن راهوية ، كان احمد اماما للدنيا . فنحن ازاء هذه الشهادات وأمثالها ، وازاء ما نعرف عن مذهبه بمزاولتنا له ، لا يسعنا أن نضعه فى الفقه الا فى الصف الأول من الائمة ، كما اعتبروه فى الحديث امام الائمة .

« يتبع ـ البقية فى عدد قادم »

تلكم كانت شحنتها التاريخيـة عنـــد انطلاقه .

وقد كانت الحرب العالمية الثانية حادثا مماثلا اطلقته ارادة القوة « الهتلرية » . ولكن الصاروخ يذهب الى أبعد . انه يخرج بعد انقذافه عن المسار الذى قدره العقـل البشرى له . فكأني به تتفـير شحنته تدريجيا فى الطريق فلم يعـد يندفع فى الزمان او التاريخ تبعا لسببية ولكن بمقتضى غاية . وفى نهاية مستقره وغاية مطافه يصيب الحادث الوجـدان البشرى . ولا يحدد وقعه فى مجال حقل دراسة معين أى فى حياة أمة أو مجتمع ولكن فى مجال شامل للانسانية .

ان الحرب العالمية الاولى لا تطيح بآل « الهوهانزولارن ، والهابسبورغ » فقط، ولكنها تنشىء فكرة جديدة تجسدت فى شكل « عصبة الامم » .

ان وقع الحادث لم يهدم بعض البناءات السياسية فقط ولكنه ولد مفهوما دوليا للمسؤولية الا ان بعض التركيبات الذهنية الخاصة بالقرن التاسع عشر قد تخلفت كما نرى ذلك عندما تتوزع عصبة الامم المنبثقـة من وعـي الانسـانية رغيف المستعمرات الاخرى .

ان الحرب العالمية الثانية لم تكتسح المطامـح الهتلرية والنظريات العنصرية فحسـب ولكنـها اخـرجت الـى الوجود هيئة الامم المتحدة . وربمـا يقول حفدتنا ان القنبلة الذرية لم تهدم « هروشيمـا » و « نجازاكي » فقط ولكنها وترت وأرهفت الشعور بالمسؤولية الدولية فعجلت بتكوين وعي عالمي .

ومن الغرور أن يقال ان هذا الامر كان يشغل العالم الفـزيائي أوبانهايمر عندما كان فى فيافى النيفادا يضع آخر لمسة على القنبلة التى ستهدم هيروشيما .

ان وقع حادث ما اطلقت عنانه الارادة البشرية يخرج فى النهاية عن رقابتها . انه صاروخ مقذوف فى الزمان يتجاوز دائمـا تقديراتنا وحساباتنا الامر الذى اشار اليه عز وجل فى قوله .. (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) . والواقع ان المؤرخين الذين يصنفون التاريـــخ يعوزهم شيء من الحرية . أو بعبارة اخرى فالتاريخ الذى تهدف اليه ارادتنا يكون دوما دون التاريخ الذى تحققـه فسبب المنطق الكارتزيائي الذى يقتصر حكمه على الحوادث على النظر اليها من زاوية الاسباب يغيب على نظرهم جـزء اساسي من مدار الاحداث .

وبما ان الصاروخ لا يندفع ـ فى هذا الجـزء بفعـل قـوى تحصر فى مبـدأ السببية ولكنه يخضع فيما يبدو لمبدأ فان . فان المؤرخين يهملون بهذا جانبا عظيما من فلسفة التاريخ .

مع ان الحادث يحقق معناه الكامـل ومؤداه الشامل عندما يبلغ مرساه وغايته فى التاريخ . الا ان اكتشاف هذا الجانب الثاني من معنى الحادث يتطلب مـن المؤرخ مزيدا من الحرية على ما يمنحه المنطق الكارتيزيائي .

وان « ايمانوال مونيي » أحد هؤلاء « المتحررين » استطاع بصره ان يرى ـ على حد تعبيره ـ شمولا فى الظاهرة التاريخية بحيث يأتي كل حدث فيهـا ليقوم بدوره لخير المجموع ونجاته .

وهذا التصور لا يحيط رغم تعمقـه الا ببعض جوانب الموضوع . فعلينا ان نغوص فى قلبه وان نميز فى الظاهـرة التاريخية جانبين .. الجانب العرضي البشرى والجانب القدرى كمـا يـراه « مونيي » .

ولا أظن ان هذا التصـور التاريخى يمكن الاستغناء عنه فى لحظة بلغت فيها مأساة الانسـانية اشد توترها ، حيث نرى بروقا مهددة فـوق اعالي جبـال الكاشمير ومستنقعات الفيتنام .

بل صحيح البخاري

أصح الكتب بعد كتاب الله

نشرت مجلة العربي في عددها الاخير الصادر في فبراير ١٩٦٦ كلمة عن صحيح البخاري جعلت عنوانها « ليس كل ما في البخاري صحيحا ، وليست هذه الاحاديث مفتراة فحسب بل منكرة » بقلم سكرتير التحرير الاستاذ عبد الوارث كبير .. وجعلت عنوان هذا الموضوع مادة للاعلان عن المجلة في الاذاعة والتلفزيون والصحف .. مما لفت انظار الناس بشدة نحو هذا الموضوع وأثار كثيرا من تساؤلهم واستنكارهم ، وشغلنا منذ صدور هذا العدد بكثير من الرسائل والمكالمات الهاتفية التي تسالنا رأينا فيما نشر ..

والحق اننا عنينا منذ قرانا وسمعنا الاعلان عن المجلة بقراءة ما كتب في هذا الموضوع وخرجنا من هذه القراءة باسف عميق ، فان كل كاتب يتصدى لما تصدى الكاتب له يجب عليه أن يدرس ويتثبت قبل أن يطعن ، ولا يكفيه مجرد الاعتماد على فهمه السطحي للحديث ...

وتوضيحا للحقيقة وتطمينا للنفوس نضع أمام القراء ما يلي : ــ

١ ــ : الاقوال التي أوردها الكاتب على أنها أحاديث في بدء كلامه موهما القارىء أنها من صحيح البخاري مثل : « اختلاف أمتي رحمة » ، و « الدنيا حرام على اهل الآخرة » و « الطاعون وخز اخوانكم الجن » . « اتخذوا الحمام المقاصيص » « عليكم بالقرع » «زينوا موائدكم بالبقل» الخ.. كل هذه الاحاديث موضوعة أو ضعيفة ولا يعتد بها ، ولم ترد في صحيح البخاري ، وقد نبه علماء الحديث الى ذلك في كتبهم المتداولة ، ومن الممكن لمن يتصدى لمعرفة قيمة هذه الأحاديث أن يرجع الى هذه الكتب .

ولذلك لم يكن يصح ايراد هذه الاقوال وايهام القراء أنها من صحيح البخاري ، لأن المجال مجال التحدث عن صحيح البخاري ..

٢ ــ : بعد ذلك أورد الكاتب ثلاثة أحاديث أنكرها ، وصرح بأنها غير معقولة مع أن اثنين منها وردا في صحيح البخاري .

الحديث الاول :

عن عائشة رضى الله عنها قـالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى فأتزر فيباشرنى وأنا حائض » (رواه مسلم والبخارى ..) وقد فهم الكاتب ـ خطأ ـ ان المباشرة معناها هنا الوطء ، ورتب على هـذا الفهم أن فى الحديث مخالفة صريحة لقوله تعـالى « فاعتزلوا النساء فى المحيض .. » وقال « فليس هذا الحديث صحيحا لأنه لا يعقل أن يصدر الفعل المنكر عن نبى بل عن سيد الانبياء » .

والحقيقة : أن هذا الحديث صحيح ، وليس معناه كما فهم الكاتب ، فقد فسر العلماء المباشرة هنا بملاصقة البشرة للبشرة ، فيما دون ما تحت الازار ، ولم يفسروها بالوطء كما فهم الكاتب ، وقد استند العلماء فى فهمهم هذا الى ما روى فى حديث آخر قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم « اصنعوا كل شىء الا النكاح » والاحاديث يفسر بعضها بعضا . وقد نقل الاجماع على جواز مباشرة الزوج لزوجته فى فترة الحيض فيما فوق السرة وتحت الركبة ..

وحكمة التشريع فى هذا واضحة ، اذ أن فى جواز ذلك تنفيسا عن الغريزة لدى الزوجـين بعيدا عما أمر الله بالبعد عنه حالة الحيض .. وقد كان اليهود يتجنبون المرأة اجتنابا تاما فى هذه الحالة كأنها منبوذة ، فلا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يضاجعونها ، بل ولا يقيمون معها فى مكان واحد ، حتى ينقطع حيضها ، وأثرت هذه العادة على العرب الذين يعيشون معهم ، وفى ذلك من العنت ما فيه ، فكان توضيح الرسول صـلى الله عليه وسلم لمعنى الآية تصحيحا لهذا الوضع الخاطىء ، وازالة للعنت وتمشيا مع دين الفطرة الوسط .

روى مسلم فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لـم يؤاكلوها ولم يجتمعوا معها فى بيت واحد ، فسأل الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فنزلت آية « ويسألونك عن المحيض .. الآية » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شىء الا النكاح ، فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل « يعنون النبى » ان يدع شيئا من أمرنا الا خالفنا فيه ، والحديث بتمامه مروى فى صحيح مسلم ، وفى كتب التفاسير لآية المحيض الواردة فى سورة البقرة ، وبهذا يتضح معنى الحديث الذى أنكره الكاتب ، ولو كلف نفسـه الاطلاع على شرحه لما أنكره ، بل لأشاد بحكمة الشارع فيما ذهب اليه .

الحديث الثانى :

« ان رجلا أتى عمر فقـال « انى أجنبت ، فلم أجد ماء ، فقال عمر لا تصل » هذا الحديث أنكره الكاتب بناء على فهمه الظاهرى أو السطحى له اذ كيف يجهل عمر أن الجنب اذا لم يجد الماء تيمم كما ذكرت الآية « أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا ... » وبناء على فهمه هذا سارع فأنكر الحديث وطعن فى صحيح البخارى كله ..

والحقيقة : أن هذا الحديث صحيح وعمـر رضى الله عنه لم يجهل آية التيمم ولكنه ـ وهو الرجل الحصيف دائما ـ لم يأمر الرجل به لأن التيمم مع مظنة وجود الماء قبل فوات وقت الصلاة باطل وعمر كان يرجح وجود الماء ويرى أن الرجل متهاون فى طلبه . فكان بذلك يعالج حالة خاصة ويخشى ارتكان الناس على الرخصة واستعمالهم اياها دون وجود مبرراتها ، فلم ينه عمر ـ اذن ـ عن الصلاة مطلقا فى هذه الحالة بل نهاه عن الصلاة حتى يحمله على طلب الماء وعدم الكسل فى البحث عنه .. وهذا وجه من وجوه الفهم للحديث ويقويه

حديث آخر صريح فى هذا المعنى (رواه البخارى ومسلم) فقد روى عن شقيق بن سلمة قال : كنت عند عبد الله وأبى موسى فقال له أبو موسى: أرأيت يا أبا عبد الرحمن اذا أجنب الرجل فلم يجد ماء كيف يصنع ؟ فقال عبد الله لا يصلى حتى يجد الماء الى أن قال .. انا لو رخصنا لهم فى هذا لأوشك اذا برد الماء على أحدهم ان يدعه ويتيمم ، فقلت لشقيق فانما كره عبد الله لهذا ؟ قال نعم، فكأن منعهم الناس من الصلاة حين عدم وجود الماء ليس معناه سقوط الصلاة عنهم نهائيا بل التشديد عليهم ، وعدم فتح باب الرخصة لهم ليستعملوها فى غير مكانها .. كما هو واضح صراحة من قول عبد الله .

وهذا المعنى جميل ، وكم كان لعمر رضى الله عنه من نظرات أصيلة فى فهم الدين أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده . منها على سبيل المثال منعه أبا هريرة من أن يبلغ قول الرسول « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » خوفا من أن يتكل الناس على ظاهرها ، وقد أقره الرسول على ما فعله ..

وكان على الكاتب أن يرجع الى شرح الحديث وما قاله العلماء فيه قبل أن يسارع بانكاره بناء على فهمه السطحى له ..

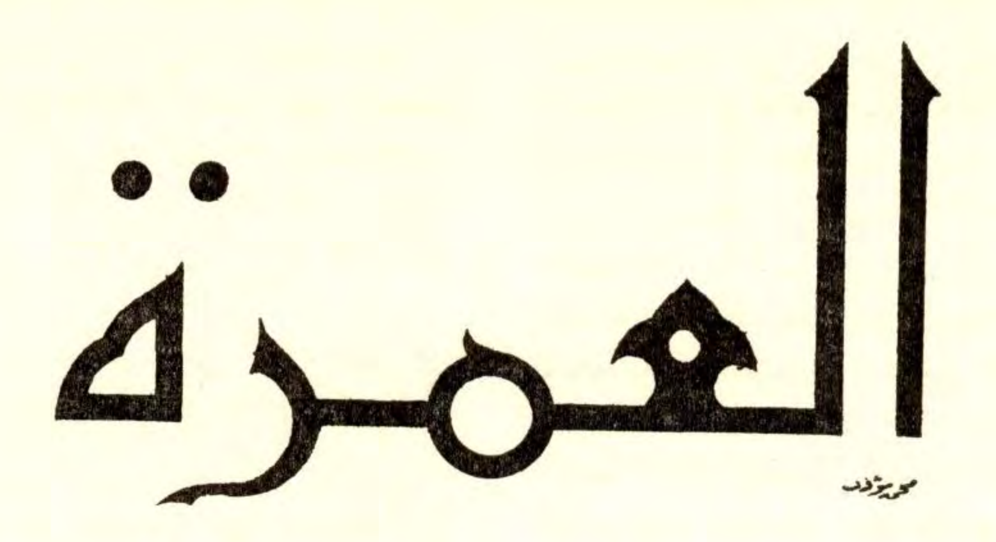
أما الحديث الثالث :

الذى أورده وهو الخاص بأكل البرد النازل من السماء فى رمضان والذى يفيد أن أكله لا يفطر الصائم .. فقد طعن فيه نقاد الحديث ولم يأخذوا به ،وقالوا عنه : انه منكر واسناده ضعيف ،وليس مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم . وبالرغم من أن كثيرا من رواة الاحاديث رووه ، لكن نقاد الحديث تعقبوه وطعنوا فى رواته حتى بينوا ضعفه ، وعدم الثقة به ، أو الاعتماد عليه ولا سيما ما جاء فى آخره « فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال خذها عن عمك » مما يوهم أن الرسول أقر ذلك .. فيبقى على أكثر تقدير فهما لاحد الصحابة لم يقره عليه أحد .. ولم يقل الذين تحدثوا عن هذا الحديث أنه موجود فى صحيح البخارى حتى يشنع عليه به.

وبعد . فاننا نرى من الواجب أن نقول لكل الذين يعتمدون على عقولهم فى قبول الاحاديث ورفضها أن هذا الطريق ليس مامون العواقب ، فان العقول كثيرا ما تضل وتزل ، ولو تركنا الباب مفتوحا للعقل يتحكم فى كل ما جاء فى كتب الحديث الصحيحة ـ فيقبلها أو يرفضها ـ لكان معنى ذلك تأرجح الاحاديث فى العصور المختلفة ، تبعا لافهام الناس ، فقد يرفض حديث فى زمن ، ثم يقبل فى زمن آخر ، وبالعكس وتكون النتيجة ضياع الثقة بالاحاديث ، ولا سيما تلك التى أفنى العلماء السابقون عمرهم فى البحث عنها وغربلتها ونقدها ، ونقد رجالها ، وانتهوا من كل ذلك الى أحاديث صحيحة لا يتطرق اليها الشك .

لقد وضع العلماء السابقون موازين مضبوطة لقبول الحديث أو رفضه ، وخدموا بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمة كانت ولا تزال مثار اعجاب العالم كله . وكل حديث من الاحاديث المروية بينوا درجته من الصحة أو عدمها .. وفتح الباب للطعن على هذه الاحاديث بناء على عقل الطاعنين ، ودون دراسة أو تبصر ، أمر يهدم ثقة الامة بأحاديث رسولها ، ويضيع عليها المصدر الثانى من مصادر التشريع بعد كتاب الله .. وفى ذلك من الخطر ما نرجو أن يحفظ الله الامة منه .

والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .



(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما) حديث متفق عليه

للاستاذ الشيخ محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الاسكندرية الازهرى

كانوا يسمونها قديما « الحج الاصفر » ومعناها زيارة البيت الحرام بقصد التعظيم والتحية ، والتقرب من هذا السبيل الى رب البيت العتيق ، وكثيرا ما قرنت بالحج فى مقام التعبد والذكر .. ومن ذلك حديث عائشة رضى الله عنها ، وفيه تقول للرسول صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. هل على النساء من جهاد .. ؟ قال : « نعم .. عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة »، وبهذا الاسلوب نطق القرآن الكريم « واتموا الحج والعمرة لله .. » ويقولون حج فلان واعتمر ، ويقال الحجاج والعمار ، ..

وارجح الاراء انها سنة مؤكدة (كما يرى المالكية) ، وان من اتى بها مرة فى العمر كله .. فقد اقام السنة .. وكلما تكرر فعلها .. تضاعف اجرها ، وان افضل اوقاتها ابان شهر رمضان .. وهذا بالنسبة لمن يؤديها منفردة عن الحج .. اما من جمعها مع الحج فى اشهر الحج فلا شك فى افضلية هذا الجمع على الانفراد (على رأى الحنفية) وهذا يعنى ان من اراد الاتيان بالعمرة على أحسن وجوهها منفردة ففي رمضان ومن أراد الاتيان بالحج على أحسن وجوهه ، قرنه بالعمرة فى أشهره ، وان كان للمالكية والشافعية رأي اخر .

وقد فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته اربع مرات كلهن بعد الهجرة .. وكلهن فى ذى القعدة .. كلهن من خارج مكة .. بمعنى انه احرم بهن جميعا فى شهر ذى القعدة ..

ولم يحرم الرسول عليه الصلاة والسلام بعمراته فى رمضان ، مع انه ارشدنا الى ان شهر الصيام هو افضل اوقات العمرة .. لان رحمته بأمته اقتضته

احيانا ان يترك الشيء لا رغبة عنه .. بل تلطفا بأمته لانه كان بالمؤمنين رحيما .. حتى لا تقع الامة فى الحرج بمواظبتها على ذلك ، ونظير هذا قوله عليه الصلاة والسلام : (لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

روى ابن عباس رضى الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم « عمرة فى رمضان تعدل حجة » وفى طريق لمسلم « .. تقضى حجة » او « حجة معى » وفى رواية لابى داود « تعدل حجة معى من غير شك » .

وكانت عمرات الرسول عليه الصلاة والسلام فى فترات متباعدة .

الاولى : عمرة الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة ، وقد صده المشركون عنها عنادا وتعنتا .. وانتهى الامر الى صلح الحديبية الشهير .. ونحر الرسول الهدى ، وحلق هو واصحابه ، ورجع الى المدينة .

الثانية : عمرة القضاء .. وكانت فى العام التالى ، لتكون قضاء عما فاته فى السنة السابقة ، وقد سماها بهذا الاسم جمهور الصحابة والسلف رضى الله عنهم .

الثالثة : عمرة الجعرانة حيث قسم غنائم حنين ، وذلك انه فى عودته من تلك الغزوة سنة ثمان دخل مكة ليلا بهذه العمرة .. وخرج منها ليلا الى الجعرانة .. ومن ثمة خفيت على كثير من الناس .

الرابعة : عمرته التى قرن بها حجته الاخيرة في السنة العاشرة ، والتي سميت حجة الوداع وقد احرم بها فى ذى القعدة ، وفعلها فى ذى الحجة .

وليس لأدائها وقت محدد .. فجميع السنة وقت للاداء .. الليل والنهار فى ذلك سواء .. ما عدا خمسة ايام يكره فيها فعلها وهي يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق الثلاثة ، ومع هذا فلو اداها فى هذه الايام الخمسة صح اداؤها ، ويبقى محرما بها فيها .. لان الكراهة ليست لذات العمرة فهي عبادة .. وانما لغيرها .. وهو تعظيم امر الحج وتخليص وقته له .. فيصح الشروع فيها مع الكراهة . . قال ابن عباس رضى الله عنهما « يوم عرفة ويوم النحر وثلاثة أيام التشريق .. اعتمر قبلها او بعدها ما شئت » .

والصحيح انها سنة مؤكدة لا فريضة (1) ... لان الفرض هو الحج وحده بقوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » فقد نزلت هذه الآية الكريمة فى آخر السنة التاسعة بعد العاشر من ذى الحجة على ارجح الاقوال .. وبها فرض الحج .. اذ كان وقته الصحيح قد حل اوانه ، ودخل مرحلة التوقيت الحقيقى .. وذلك ان الزمان بعد نزول هذه الآية الكريمة مباشرة، كان قد دار دورته ولف لفته بعد ان اخرجه عن سننه المنظم .. ما ادخله اهل الجاهلية من النسيء الذين كانوا يقدمون فيه بعض الشهور على بعض ويتلاعبون بمواقيتها .. حتى انتهى به المطاف فى السنة العاشرة للهجرة الى وضعه الطبيعي كما خلقه الله تعالى يوم فطر السماوات والارض ، وبذلك استقر يوم عرفة فى التاسع من ذى الحجة فى السنة العاشرة ، وهذا هو السر فى تأخير فريضة الحج الى تلك السنة الاخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم .. اذ علم الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه

---

(1) ويرى الشافعى واحمد أنها فرض كالحج . بينما يرى أبو حنيفة أنها واجبة وقد سار الكاتب فى ذلك على رأى مالك (الوعى)

ان الزمان سيستدير كهيئته ، فتعود عشر ذى الحجة الى مقرها من العام ، ويشهد لذلك قوله عيه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض» ولذا لم يحج عليه الصلاة والسلام فى السنة التاسعة .. وانما ارسل لامارة الحج ابا بكر رضى الله عنه .

واما قوله تعالى : « واتموا الحج والعمرة لله » فقد نزلت فى السنة السادسة من الهجرة ، وهى لا تفيد الا وجوب الاتمام ، وذلك بعد الشروع فيهما .. وكل من شرع فى عبادة ولو نفلا وجب عليه اتمامها . بقوله تعالى « ولا تبطلوا اعمالكم » واقترانها بالحج لا يفيد حتمية الوجوب ، فهو مثل قولنا « صم رمضان وستا من شوال » !!

وتتركز اعمال العمرة فى الامور الآتية على الترتيب : الاحرام من الميقات ، والطواف سبع مرات ، ثم السعى بين الصفا والمروة سبعا كذلك ، واخيرا الحلق او التقصير الذى تنتهى به اعمال العمرة . والمراة فى جميع ذلك كالرجل غير انها لا تكشف رأسها ، وتكشف عن وجهها، ولا ترفع صوتها بالتلبية ولا ترمل فى الطواف ولا تهرول بين الميلين ولا تحلق راسها ولكن تقصر .. ويرى ابو حنيفة رضى الله عنه ، ان كل من يمر بمواقيت الاحرام فى طريقه الى مكة لا يجوز له المرور الا محرما بحج او عمرة ، ووافقه فى ذلك مالك والشافعي فى القديم الا اذا تكرر مروره لقضاء مصالحه .. فلا يلزمه الاحرام فى كل مرة .

وبهذا صارت العمرة تعبيرا عمليا عن تحية البيت الحرام ، اتخذ طابعا منظما لا ينبغى لغير الكعبة ولا يليق بمن يؤم الاراضي المقدسة ان يجهله او يتجاهله ، ولقد تشدد بعض الائمة فى المطالبة بالعمرة حتى جعلها الشافعي واحمد رضى الله عنهما فريضة كالحج ، وابو حنيفة رضى الله عنه قد رأى فيها عبادة فوق السنة ودون الفرض وسماها « واجبا » ، ومالك رضي الله عنه قال : انها سنة مؤكدة مستدلا بما روى ان اعرابيا قال يا رسول الله : العمرة واجبة مثل الحج ؟ قال «لا، ولكن ان تعتمر خير لك» وروى عنه عليه الصلاة والسلام «الحج جهاد والعمرة تطوع » ويدل لذلك قراءة على وابن مسعود والشعبى « واتموا الحج والعمرة لله » برفع العمرة ونصب الحج كانهم قصدوا بذلك اخراجها من حكم الحج وهو الوجوب .

وبعد :

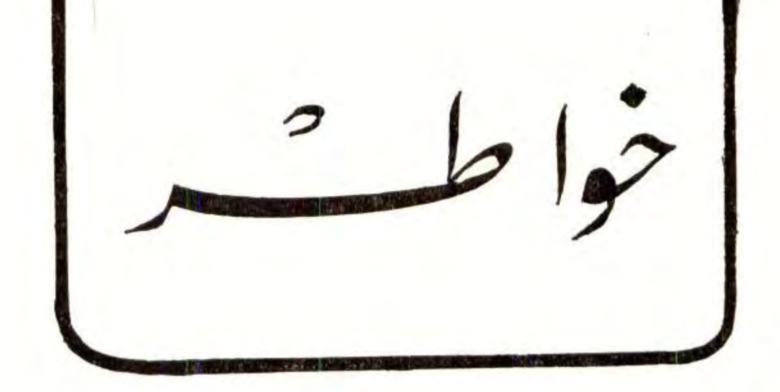
فقد تبين مما تقدم :

ان العمرة سنة مؤكدة . وانه لا وقت لها .. ويكره ايقاعها فى خمسة ايام . يوم عرفة . ويوم النحر وثلاثة ايام التشريق .

وان الرسول اعتمر اربع مرات كلهن فى شهر ذى القعدة ، وان افضل اوقات ادائها هو شهر رمضان .

وان اعمالها : احرام ، وطواف، وسعى بين الصفا والمروة ، وحلق ، وتقصير .

وان من الواجب على كل من جاوز المواقيت الى مكة (الا اصحاب المصالح فيها) ان يحرم بحج او عمرة تعظيما للبيت ، ورب البيت « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .



من هنا .... وهناك

واجبنا نحوهم

في التاسع عشر من يناير الماضي يكون قد مضى على سيطرة الاستعمار على عدن والجنوب العربي نحو مائة وسبعة وعشرين عاما وهي مدة تساوى مدة الاستعمار في الجزائر .. ولقد تحررت الجزائر بحمد الله وبجهود ابنائها ومعاضدة المسلمين والعرب لهم فى كل مكان .. وبقيت عدن والجنوب للآن تعاني الآلام من السيطرة الاجنبية .

ونحن لا نذكر هذا الآن رصدا منا لتاريخ الاستعمار فى بلادنا ، ولكنا نريد ان نقول ان البلاد الاسلامية التي نالت استقلالها ، وتمتعت بحريتها تقع على عاتقها مسئولية كبرى نحو أخوان لهم لم ينالوا طعم الحرية بعد .. ويجاهدون الآن ، ويبذلون اموالهم ، ودماءهم طمعا في تذوق هذه الحرية .. والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ..

ومن هنا يتحمل كل مسلم على وجه الارض مسئولية نصر أخوانه ، ومساعدتهم على التحرر ، ويتحمل المسلمون العرب النصيب الأوفى من هذه المسئولية ..

ولقد اعتبر الاسلام المسلمين جسدا واحدا ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .. واعتقد ان المسلمين الذين تمتعوا بحريتهم واستقلالهم لا يطيب لهم طعم هذه الحرية ، ولا يهنأ لهم بال بالاستقلال ، ولهم أخوان لا يزالون يئنون ، ويقاسون من وطأة الحكم الاجنبي .

وكيف ينامون هانئين ، وأخوان لهم لا يغمض لهم جفن من الألم ، ويبيتون ويصبحون وهم يقاسون الام الذل والاستعباد ، والتخلف الذى فرضه عليهم الحاكم الدخيل ؟ !

ولست ادعو بهذا الى مساندة هؤلاء الاخوان في مطاردتهم لاعدائهم فقط ، وانما اريد كذلك ان افتح عيون وقلوب المسلمين الاحرار في كل مكان الى ان اخوانهم في هذه المنطقة ، لا يزالون يعيشون متخلفين في ميادين العلم ، والصحة ، ومرافق الحياة الأخرى .. وليس من الاسلام في شيء ان ننعم بأموالنا حتى البذخ والترف ، ونوفر لأنفسنا مظاهر التقدم العلمي والصحي ، ولنا اخوان يحتاجون الى ما نبعثره في لهونا ومتعنا ، ليسدوا به ضرورة من ضروراتهم الملحة فى نواحي التعليم والصحة وغيرها ..

وليس مما يشرف المسلم مهما يكن حظه وافرا من العلم ، والثقافة ، والصحة ، والتقدم الحضارى بصورة عامة ان يكون له أخوان متخلفون .. فأن الجسم لا يحس طعم الصحة والراحة وعضو من اعضائه مريض .

ومعانني اعرف ان الدول الاسلامية ، أو بعضها لها جهود مشكورة في هذه

الناحية ـ ومنها الكويت ـ فأنني اطالب بالمزيد ، أو بتركيز العناية على هذا المجال لا من الحكومات فحسب ، ولكن من اثرياء المسلمين كذلك ..

تحريف

جاء في الصفحة الاخيرة من مجلة هدى الاسلام التى تصدر فى الاردن عدد رجب ١٣٨٥ هـ سؤال موجه الى مفتى المملكة يقول السائل فيه « انه قرأ فى مجلة الوعي الاسلامي » الكويتية العدد الرابع (ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ) تحليلا بأخذ فائدة من البنك وقدرها ٢٪ على ان تستغل لصالح المسلمين » هكذا !!

وأحب ان أبادر اولا فأقول للسائل ان الذي قرأه ليس فيه تحليل لأخذ الفائدة . ولم يذكر فيه مطلقا لا ٢٪ ولا اكثر ولا اقل ولا أدرى من اين أتى السائل بها . .

والذى قرأه السائل هو رد لجنة الفتوى بالأزهر على سؤال وجهته « الوعي الاسلامي » عما يفعله المسلم الذى أودع ماله فى بنك اجنبي وترك فائدته فاستغلها البنك فى مشاريع تتنافى مع الاسلام ومصلحة المسلمين . فهل للمسلم ان يأخذ الفائدة ويستغلها لمصلحة المسلمين بدلا من تركها للأجانب يستغلونها ضد مصالح المسلمين . . فكان رد لجنة الفتوى بالازهر ان هذه الفائدة حرام . ولكن امام هذه الحالة يمكن المودع ان يتسلم الفائدة من البنك ويصرفها فى مصالح المسلمين عملا بارتكاب اخف الضررين . وهذا لا يقتضي اباحة التعامل الربوى بوجه ما .

وأرجو من السائل ان يكون دقيقا فى كلامه ونقله كما أرجو من فضيلة المفتى ان يرجع الى ما جاء بالعدد الرابع من مجلتنا . ـ وقد ارسلناه لفضيلته ـ ويوافينا برأيه بعد الاطلاع عليه .

مع الأسـف

تكرر فى عيد الفطر ـ مع الاسف ـ ما حدث فى بدء الصوم وما حدث فى كل سنة من بلبلة حول تحديد موعدهما كأنه أصبح من لوازمهما هذه البلبلة وهذه المرارة التي تملأ النفوس ، وتنطلق الألسنة تتحدث عنها مع فرحة العيد وبدء الصيام . . ولا أعتقد أن هناك انسانا لم يتحدث عن هذا الموضوع مرة ، ومرتين وفى كل مجلس . وكان أغرب ما نشر هو ما حدث فى باكستان فبالرغم من ان بعض البلاد العربية كالكويت والسعودية كان العيد فيهما يوم الجمعة ، وكان فى البلاد العربية الأخرى كما أعلم يوم السبت ، فان حكومة باكستان اعلنت ان العيد عندها هو يوم الاحد ، ومـع ذلـك ثار بعض الناس هناك على ما اعلنته الحكومة ،يريدون ان يكملوا رمضان ثلاثين يوما بصيام يوم الاحد .. يعني انهم بدأوا الصوم هناك متأخرين عن أغلب البلاد العربية بثلاثة أيام !!

وهذا شيء فى منتهى الغرابة . االى هذا الحد يقع الاختلاف بين البلاد الاسلامية فى بدء عبادتها السنوية وتعيين يوم عيدها ؟ ! !

أعود فاقول بلسان كل مسلم الى متى تستمر هذه الظاهرة ، وتتكرر كل عام . .

ان المسئولين فى كل دولة مسلمة مدعوون من كل مسلم ان يضعوا حدا لهذه البلبلة . . وفى امكان الجامعة العربية ان تتقدم بعمل مشكور فى هذا الامر الهام . بعد أن يقدم المجلس الاعلى للبحوث الاسلامية بالازهر رأيه بناء على المذكرة المرفوعة من فضيلة مفتى الجمهورية العربية المتحدة الى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر فى هذا الموضوع . .

لعل وعسى ، حتى نستريح ، ولا نعود فى العام القادم ، لنكرر مع الناس كافة نغمة الاسى والأسف من هذا الاختلاف . . .

الإسلام بين العـ

محمد يوذن

للاستاذ
حسن الشيرازي

١ : ـ تحديد الموقف

اننا حريصـون على تبيان موقفنـا ، فى هذا العالم المزدحم بالأهواء والأفكار ، علما بأنه لا ينفعنا اليوم وكـل يـوم لا الانتهازيون ولا المنافقون : الـذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلـوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مسـتهزئون ، وانما يعتـز الاسـلام بالمخلصين : الذين لا تزعزعهم الزوابـع والأعاصير ، لذلك نبالغ فى وضع النقاط على الحروف .. فالزرع لا يهتز على ساق الا بعد استئصال الاشواك، وتطهير التربة من السموم والديدان ، والبنـاء الشـامخ الوطيد لا يتركـز عـلى بقايا العهـد المبـاد . وانما يـكون بالهدم ، والتشييد مـن جديد . كما هي سيرة الأنبياء والمفكرين ، وسنة الله التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا .

فنحن على أى حال فى معترك صارم ، فيجب أن نعاضد الداخلـين ، ونطارد الدخلاء ! ! .

وهذا المقال يحتـوى على موضوعين متباينين نسبيا ، ولكن تجمعهما فـكرة واحدة هي : ان الاسـلام دين يجب ألا يعتمـد لا عـلى الاسـتشراق ولا على العلـم الحـديث . لذلـك أوردناهما كموضوع واحد .

ـــلم الحديث والاســـتشراق

لقد أولــع البعض بتطبيق الاســلام على العلم ، زاعمين انهم يــؤدون بذلك أوسع رســالة انســانية ، ويوفــرون للاسلام عوامــل البقــاء والخلود .. !
وهؤلاء فى موقفهم هذا يشبهون أولئك الذين عاشوا فى القرون الهجرية الأولى ، وكانوا يتكلفون تطبيــق الاســلام على اكتشــافات (بطليموس) ، وفلســفة (افلاطون) و (أرسطو) و (سقراط) .. !!

موقف الدين من العلم

كان هؤلاء يجهلون موقف الدين من العلم . ! ويحســبون ان الدين يجب ان يؤخذ من العلــم .. ! ولا يعلمون انهما أمران متمايزان ــ وفى نفس الوقت ــ متجاذبان متداعمان ، فالعلم يدعو للايمان والايمان يدعو للعلم .

وكلاهما يرمى لهدف واحد ، فالله تعالى لما اطلق الانسان فى متاهات الحياة وملتويات الاجتمــاع ... جعــل لــه رسولين فى مسراه الطويل ! هما الرسول الظاهــر (النبي) والرســول الباطــن (العقل) .

فهمة الدين تنظيم الحيــاة بأقــرب الطرق ، وأدق الأساليب...!ومسئولية العلم ان يوفر للانسان وسائل الراحــة والهدوء والرفاه !! .

على ضوء ذلك نرى ان الدين والعلم يعمــلان لســعادة الانســان .. فهما كمصراعي الباب .. لا يستغني البشر عنهما كما لا يستغني احدهما عن الآخر ، فلا خير فى دين يمنع عن العلم .. كما لا خير فى علم ليس معه دين !! .
غير ان الدين لما كان أدق وأثبت ــ حيث انه مأخوذ عن الله تعالى بمباشرة الوحي ــ كان على العلم ان يسير على ضوء الدين ، حتى لا يضر المجتمع عن قصد أو غير قصد ... اما اذا استقل العلم عن الدين ، فأخذ يكشف المــوت والحياة ، ويخطىء ويصيب فليس على الدين أن يسايره ويقرر أخطاءه ...

التطبيق خطأ

فاذن ليس من واجبنا تطبيق الاسلام على النظريات الحديثة ، بل ربما يضر الاسلام ذلك ، ويعرضــه للتضعضــع والانهيار !! فانا لــو اعترفنا بمبادىء الاسلام لأن العلم الحديث يقررها ، كان ذلك ــ فى الحقيقة ــ تصديقا للاسلام ، تبعا للايمــان بالعلم الحديث ، والعلــم ليس مضمون البقاء ، لأنه يعتمد أكثر ما يعتمد على النظريات والتجريبات ، وهي أبدا مضطربة المنقلب والمصير ، فالعلم اثبت بالامس ما خطأه اليوم ، وسينكر الغد اكثر ما قرره اليوم !! .

ولقد جاء (دارون) يهز العالم بفلسفته .. فلما عرضت مزاعمه على مختبر الحياة ، وتناولتها افكار المدققين، انقشعت عن أوهام وأخطاء .. وانني أؤكد ـ على ثقة ودراية ان اكثر النظريات الحديثة التي لا تعتمد على الحس ، سوف تتبخر ـ بعد سنوات ـ ضبابا هائما ، يتضاءل امام اشعة العلم ، التي تحملها الينا نوافذ الغد .

فلو آمنا بالاسلام لشهادة النظريات الحديثة فحسب ، لكان مخاطرة بالاسلام كله .. لأن هذه الأفكار أو أكثرها ، ستنهار على عتبة المستقبل ، ويتبعها الاسلام على هذا الحساب .

قصور العلم الحديث

ولو ان العلم الحديث وحده كان يستقل بتنظيم الحياة تنظيما شاملا دقيقا ، لما بعث الله رسولا ...

واذا كان العقل والعلم يستغنيان عن الرسل ، لكافحا المآسي والويلات المتفشية اليوم فى كل قطر من العالم . ، فلا بد لنا من الاعتراف بأننا فى حاجة ماسة الى اتباع تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وان لم نعقل فلسفتها . ، لانه لا ينطق الا عن الله الذى احاط بكل شيء علما ، وأن نرضخ له بالطاعة المستمرة ، كما نخضع للطبيب وكما يسمع الجندى الأمين لقادته .. ـ على أقل تقدير ـ ...

غير أن هناك قوما يرفضون بعض شرائع الاسلام، بمجرد ما يسمعون بها ، ودون أن يراجعوا مصادرها ويطلعوا على فلسفتها ، وكأن هؤلاء يتصورون ان ثقافتهم المحدودة مقياس الخطأ والصواب فى كل شيء ... حتى اذا لم يلتئم شيء مع ذوقهم الفني المحيط حكموا بسخافته

وهؤلاء يشبهون ذلك المريض ، الذى يصف له الطبيب دواء ، فعندما يسمع المريض باسم الدواء يرفضه ، ويحكم حكما باتا بخطأ الطبيب دون أن يعرف المرض او الدواء ، لمجرد ان الاسم بدا متنافرا مع ذوقه .

ومما يجدر بالذكر ان جماهير المسلمين اليوم لا يعرفون شيئا من مصادر التشريع الاسلامي ، دع عنك فلسفة التشريع الاسلامي ... ، وأريد ان اوقفك الآن على مثال نموذجي لما أقول .. فانت ايها القارىء العزيز ! راجع ثقافتك ومحفوظاتك هل تحفظ الف حديث من الاسلام . ! ! اكثر الظن ان الجواب ٩٨٪ يكون سلبيا وأظنك تصدقني فيما أقول ... !

واذا كان ٩٨٪ من خيار المسلمين الذين يقرأون مثل هذه المجلات لا يحفظون الف حديث من الاسلام .. فبالطبع ان ٩٩٪ لا يعرفون فلسفة الاحكام .

ومتى كان الأمر هكذا فهل من الجائز على المسلم .ان يرفض بعض احكام الاسلام لأنه لا يتفق مع ثقافته البدائية .. ؟ كلا .. ثم كلا ..

ايمان ناقص

ثم ان من يتوقف فى ايمانه بالاسلام على موافقة العلم الحديث ، لن يكون مستسلما لله والرسول .. لأنه لا يعترف الا باحكام تتفق مع ثقافته المحدودة ، واكثر الناس لا يستطيعون الاحاطة بفلسفة الاحكام .. وانما يرضخون لما عرفوا حكمته ، ويرفضون ما لم يفهموا منه شيئا .. فيكونون أشبه باليهود الذين تهكم القرآن بهم صارخا فى وجوههم (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) .

فلهم الخزى فى الحياة الدنيا ، لأنهم لا ينخرطون فى سلك واحد ، وانما يأتمرون بهواجسهم التائهة ، فيكونون عقدة فى الصف ، ومبعثا للتفرقة والانشقاق ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب ، لأنهم لم يؤمنوا بدين ، وانما آمنوا بآرائهم الخاصة .

نؤمن بالحقائق

ولكنا نؤمن بالاسلام ، وقد كنا وسنبقى ، ولا نزال مؤمنين به ، لاننا نملك ملايين الأدلة الحسية والفطرية الصادقة على صحة مبادىء الاسلام كلها ، وبين يدينا البراهين التي استدل بها النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء لاقرار حقائق الاسلام . ولا يعوزنا دليل حتى نطلبه فى العلم الحديث ، وان كان يتفق مع أصول الدين وفروعه ، بيد انا لا نفرح بموافقته ، ولا نستاء لمخالفته .

لذلك سواء علينا . أأشرق الصباح عن غياهب المستقبل الغامض ، أو انتشرت سدف الظلام .. وسواء لدينا أأضمر الغد فشل العلم الحديث ، أو نجاحه ..

فلسنا نهاب فشل العلم الحديث ، لأننا لم نبن ديننا عليه ! ! ولا نخشى اتساعه ، لأنه معنا على أى حال ! ! . وان كنا نحب العلم اكثر من كل احد ، حيث اننا نعرف قيمته الذاتية والاجتماعية اضافة على ان ديننا يحفز على انتشاره وتوسعه .. وقد كنا آباء العلم الحديث وسنعود ..

لا نرفض الحق !

كل ذلك ! ونحن نعترف بحقائق العلم الحديث!ونعرفها احدى بينات الاسلام. وان كنا لا نعول عليها وحدها !! فلسنا من المتطرفين الذين يدوسون تراثهم الفكري العتيد بما يلقى اليهم من طارف جديد ، وكثيرا ما نستدل للاسلام بالعلم الحديث ، ونضفيه على تلك الحجج الواضحة ، لأولئك المسلمين الذين طال عهدهم بالاسلام الموروث ، على حين ابتعادهم عن الاسلام الفكرى الاصيل العميق .. تبعا لافتتانهم بالغرب ، وكل ما يأتي من الغرب من غث وسمين ، حتى اصبحوا وهم لا يعرفون الاسلام الا ترفا عقليا ، وطقوسا خاوية ، وتقاليد مموهة ..

مع العلم بأننا لا نرفض البراهين العلمية الواقعية المقتبسة من الحقائق على ضوء العقل ، والفطرة الثاقبة ، لا الآراء التي تنبثق من الافكار الضيقة ، والعقول الصلفة التيطفتعليها العواطف والاسماء ، والبيئات ، والضمائر التي ماتت فى معترك الصراعبينالمادةوالتيارات الجانبية المتخثرة ، والأدمغة النفعية الموتورة والمأجورة .

موقف الاستشراق

كبعض المستشرقين الذين يحاولون الوقيعة فى الاسلام . ولا أنكر ان فيهم من يشعر بوخز الضمير ، وطهارة الايمان ، ولكنهم على أى حال ، ينتمون الى زمرة تحمل مسؤولية التجسس والاغتيال ،لأنهم بحكم وظيفتهم يترصدون للاسلام ، ويكشفون عورات المسلمين ، والمستشرقون – جميعا – من ذيول الحروب الصليبية ، التي لا تزال خيوطها ممتدة فى بلاد المسلمين ! !

حروب باردة

ولقد زحف الغرب المسيحي – اكثر من مرة – على بلاد المسلمين،فباء بالفشل الذريع ، عند ذلك علم ان القوة لن تنال من المسلمين ما داموا مسلمين، فاستخدم بعد الحروب الصليبية هذه الطريقةوهي العمل على التفرقة بين الاسلاموالمسلمين ... حتى لا يبقى مجتمع اسلامي فى بلاد المسلمين ، وذلك انما يكون عن طريق نشر المستشرقين ، لأنهم يؤدون واجب التجسس والاستهتار بالاسلام فى وقت واحد ، فمهمة الاستشراق : ان تضعف ثقةالمسلمينبالاسلام ليفارقوه قليلا .. قليلا .. ثم يعتنقوا مبدأ أى مبدأ ؟ وعند ذلك يسهل للاستعمار السيطرة عليهم متى شاء ، لأن الاسلام

هو الدين الوحيد الذى يتمكن من مقاومة المبادىء الهدامة والمستعمرين ، والتغلب عليهم فى كل مجال . فالاستشراق اذن رائد الحملات النكراء ضد الاسلام ، والمستشرقون دهاة متلصصون جندهم الاستعمار ليحاربوا الاسلام بهذا الاسلوب (١) ....

أحسنوا الظن

غير ان المسلمين يحسنون الظن بالمستشرقين ، ويحسبونهم اناسا طيبين محايدين يرحلون الى الشرق الاسلامي ليعرفوا الحقائق ، ويختاروا الدين الصحيح ... ولذلك عندما يزور بلادنا مستشرق من أى مكان نحتفى به ونضع بين يديه اسرارنا وأوضاعنا ، ونحدثه عن كل ما يريد برحابة صدر ، وتدفق ايمان .. ، ثم نصغي اليه طويلا ، ونلتقط كلماته بكل دقة واكبار ، فاذا كان فى اقواله كلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، او الاسلام ، او القرآن ، تهللت أسارير وجوهنا فرحا واستبشارا بهذا الفوز والنجاح ، حيث نظن ان احتفاءنا به وتحدثنا اليه جعله مسلما اصيلا سوف يرجع الى بلاده وينشر الاسلام فى اقطارها ، فيكون ثواب ذلك عائدا الينا ــ والحمد لله ــ .

أما لو كتب فى الاسلام كتابا ، فكأنه الوحي المقدس ــ ما فى ذلك من شك ! ولا يستطيع احد منا مناقشته ، ولا الرد عليه ، فهو لا يتكلم الا عن خبرة واطلاع (٢) .

وهكذا يكتبون فى الاسلام الكتب ، والمقالات الطوال ، ليدسوا السم فى العسل ويثبتوا معاولهم على كيان الاسلام من حيث نحسن الظن بها ، ونأمل كل الخير منها ...

وهؤلاء ان اختلفت اساليبهم ومخططاتهم لكنهم لا يتفرقون فى شيء الا ليتحدوا فى نقطة واحدة هي تشويه معالم الاسلام فى الصميم ، لانهم لا يهدفون الا المراكز الرئيسية ، والنقاط الحساسة .. واليك بعض منهم .

١ ــ بلييف .

المستشرق الكبير ، يقول عن الاسلام : (الاسلام ليس سوى صورة من صور الحنفية) . ويضيف قائلا (ان ابلغ مثال كامل غير متذبذب للحنفية يوجد فى تعاليم (مسيلمة) .. ثم يستطرد قائلا : (ان مسيلمة كان معاصرا أسبق ، ومعلما ثم حليفا فيما بعد لصاحب الشريعة الاسلامية ..) وقال (ان المؤرخين العرب احتفظوا بمقتطفات من المواعظ التى ادلى بها مسيلمة ، فاذا بها فى محتوياتها ونصوصها تكاد تسابق السور المكية ..) .

ويزعم هذا المستشرق (.. ان القرآن اشترك فى وضعه اناس من جزيرة العرب وخارجها ، وليس من تأليف شخص فرد (يعني النبي !) اذ أنه يجد مادته شديدة

(١) هذا الاسلوب هو دراسة تراث الشرق والكشف عن ذخائره . وقد انتجوا فعلا فى هذه الناحية ما لا يمكن انكاره ولكنهم عن هذا الطريق ينفثون ما يريدون من زعزعة لعقيدة المسلمين (الوعي) .

(٢) ربما كان فى هذا الحكم شيء من المبالغة ولكنه رأى الكاتب (الوعي) .

التنـــوع والاختـــلاف ، وكـذلـــك ديباجته ..) (١)

أرأيت هذا المستشرق كيف ينـادي بوقاحته المطبوعة ان مسيلمة كان معلما للنبي ونصوص قرآنه تكادتسابق نصوص القرآن ؟؟

أرأيت شخصية المستشرقين الذيـن يكتبون عن الاسلام ؟ انهم جميعا من هذا النـــوع ، وان اختلـفت منـاهجهـم وأساليبهم ... !!

٢ ــ كارل بروكلمان .

يقول ــ فى تاريخ النبى صلى اللـه عليه وسلم (.. ولكنه على ما يظهـر اعترف فى السنوات الاولى بآلهة الكعبة الثلاث اللواتى كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله . وقد اشار اليهن فى احدى الآيات الموحاة اليه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ...) (٢)

وعندما يتكلم عن ثقافة النبى صلـى الله عليه وسلم يأتى بهذه الكلمات (.. وليس من شـك فى ان معرفته بمـادة الكتاب المقدس كانت سطحية الى ابعد الحدود ، وحافلة بالأخطاء ، وقد يكون مدينـا ببعض هذه الاخطـاء للاساطير اليهوديـة ، التي يحفل بهـا القصص التلمودى . ولكنه مدين بذلك دينا اكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرفوه بانجيل الطفولة ، وبحديث اهل الكهف السبعة وحديث الاسكندر وغيرها ..) (٣)

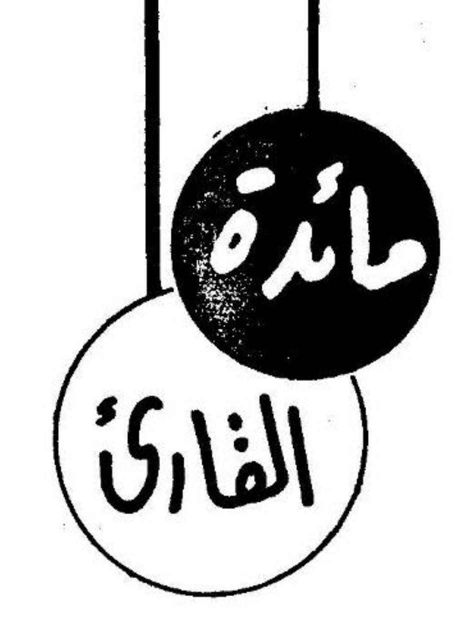
وحينما يبحث عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود ، ويقرر ان النبي صلى اللـه عليـه وسلم تأثـر فى اتجاهاته الدينية باليهود ، وانه وضع الصلوات الخمس ، وصلاة الليل، وصلاة الجمعة ، والاذان والوضوء .. ليكسب اليهود .. بعد ذلك يقول (.. ولم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه ، وبين احبار اليهود ، والواقع انهم على الرغم مما تم لهم من علم هزيل فى تلك البقعة النائيـة كانـوا يفوقـون النبي الامي فى المعلومات الوضعية وفى حـدة الادراك ...) (٤)

ولما يكتب عن الجانب اللاهوتى من تعاليم محمد يستطرد الى حيث يقول (.. ولكن القسم الاعظم من الحديث المتصل بسنة الرسول لم ينشأ الا بعد قرنين مـن ظهـور الاسـلام ..) (٥)

وحيث يقلب صفحة يزيد بن معاوية ، ويعد الناقمين عليه يقول (... وكان زعماء الارستوقراطية الاسلامية الحسين ثانى ابناء على (٦) . ورجلين آخـرين لم يتحدا مع الحسين فى فكره ، ثـم يسترسل الى حيث يقول (.. والحق ان ميتة الشهداء التي ماتها الحسين ، والتي لم يكن لها أى أثر سياسي ..) (٧)

البقية على ص ٧١

(١) انظر ثورة الاسلام ص ١٣ ــ ١٤ احمد زكى ابو شادى
(٢) اقرأ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ٣٧
(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣ .
(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٥٢ ــ ٥٤
(٥) نفس المصدر ج ١ ص ٨٤ .
(٦) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٥٣
(٧) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٤



المحافظة على امــوال الشعب

جاء عتبة بن سعيد الى امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وكان صديقا له فقال : ان سليمان ابن عبد الملك كان قد أمر لي بعشرين الف دينار ، حتى انتهت الى ديوان الختم ، ولم يبق الا قبضها ، فتوفى على ذلك وأنت يا أمير المؤمنين أولى باتمام الصنيع ، فقال عمر : عشرون الف دينار تغنى أربعة آلاف بيت من المسلمين ، وأدفعها الى رجل واحد ؟ والله ما لي الى ذلك سبيل .

اتخذ خاتما من حــديد

بلغ عمر بن عبد العزيز ان احد اولاده اتخذ خاتما واشترى له فصا بألف درهم ، فكتب اليه : أما بعد . فقد بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم ، فبعه ، وأشبع به الف جائع ، واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه « رحم الله امرأ عرف قدر نفسـه » .

ثلاث من كن فيه كن عليه

البغي قال تعالى : يأيها الناس انما بغيكم على انفسكم .

والمكر قال سبحانه : ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .

والنكث قال عز من قائل : فمن نكث فانما ينكث على نفسـه .

افضــل الطعــام

قيل لبعض الحكماء اى وقت الطعام فيه اطيب وافضل ؟ قال أما لمن قدر فاذا جاع ، وأما لمــن لم يقدر فاذا وجد .

ما يحمد فى القاضي وما يكره

ثلاث اذا كن فى القاضي فليس بكامل اذا كره اللوائم ، وأحب المحامد وكره العزل .

وثلاث اذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وان كان عالما ، ولا يسمع شكية من احد حتى يكون معه خصمه ، ويقضى اذا علــم .

طول العمــر

قال الاصمعى لاعرابي جاوز المائــة : ما أطول عمرك يا أعرابي !!

فرد عليه : تركت الحسـد فعمرت !

حـــلم

تحدى أعرابي صديقا له ، فلم يلتفت اليه ، فقال له : يا هذا اياك أعنى فأجابه : وعنك أعـــرض !

النمام مخذول

جاء رجل الى الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز فذكر عنده وشايةفيرجل فقال ان شئت حققنا هذا الامر الذى تقول فيه ، ونظرنا فيما نسبته اليـــه فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » وان كنت صادقا فأنت من أهل هـــذه الآية « هماز مشاء بنميم » وان شئت عفونا عنك .

فقال الرجل النمام : العفو يا أمـــير المؤمنين ، لا أعود اليه أبدا .

الكبر والمشيب

قيل لشيخ : ما بقي منـــك ؟ قال يسبقني من بين يدى ، ويدركنـــي من خلفي ، وأنسى الحديث ، واذكر القديم ، وانعس في الملا ، واسهر فـــي الخلا،وان قمت قربت الأرض مني،واذا قعدت تباعدت عني .

أسرع من الضوء

قيل لعلي كرم الله وجهه : كـــم بين السماء والأرض ؟ قال : دعـــوة مستجابة . قيل : فكم بين المشـــرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعنـــي للشمس) .

دعـــاء

اللهم اني استغفرك مـــن كل ذنب قوى عليه بدني بعافيتك ، ونالته يدى بفضل نعمتك ، وانبسطت اليه بسعة رزقك ، واحتجبت فيـــه عـــن الناس بسترك ، واتكلت فيه عـــلى اناتـــك وحلمك ، وعولت فيه على كريم عفوك .

يطعمه ثم يقيده

سمع ابو الاسود رجلا يقول : مـــن يعشى الجائع ؟ فقال : علي به .فعشاه ثم اراد السائل الانصراف ، فقال له ، أين تريد ؟ قال أريد أهلـــي . قـــال هيهات علي الا تؤذى المسلمين الليلة ، ووضع في رجله القيد حتى أصبح .

نصيحـــة

شهد الحسن البصرى جنازة فقـــال لصاحبـــه :

أترى لو رجع الىالدنيا لعمل صالحا ؟ فقال صاحبه نعم .

فقال الحسن : فان لم يكن هو فكن انت !!

رد حكيـــم

قيل لحكيم : كيف حال اخيك ؟ فقال : ان اخي قد مات . فقيل له : وما سبب موته ؟ فأجاب : حياته !!



تطور القضاء عند العرب

للاستاذ محمد شمس الدين
مستشار محكمة الاستئناف بطرابلس ـ لبنان

عرف العرب القضاء ـ احد مقومات دولتهم الكبيرة ـ مؤسسة تطورت وازدهرت ، ولم تلبث بعامل التفاعل الحضاري والنمو الذاتي ان اصبحت فى اواسط العصر العباسي على شأن عظيم من الرقي تنظيماً وشمولاً ..

ولا بد للباحث فى تاريخ القضاء عند العرب من أن يرجع قليلا الى ما قبل الاسلام حيث لم يكن للقضاء شخصية مميزة ، وحيث كان نظام التحكيم السائد آنذاك ، هو كل شيء ..

والواقع ان التحكيم على ما عرفته الجاهلية لا يعد قضاء بالمعنى الموضوعي والاصطلاحي ، وانما يصح اعتباره مخرجا يلجأ اليه المتخاصمون لحل قضاياهم ، يرتكز عنصر « الالزام » فيه على رضى الطرفين ، وليس على القوة التي يتمتع بها حكم القاضي ، اذ ينفذ بالاكراه عند التمتع ..

ولمعرفة ميزات كل من القضاء والتحكيم على وجه دقيق نذكر الفوارق التالية : ــ

أولا : ــ القضاء منصب رسمي ، ومظهر من مظاهر الدولة وتنظيماتها ، اما نظام التحكيم فعماده افراد مختارون من قبل الناس لفض النزاعات التي يعرضها ذوو العلاقة ، بمعنى ان القاضي يضع يديه على الخلاف تلقائيا وباسم الدولة ، بينما يظل المحكم بعيدا عن المشكلة حتى تعرض عليه .

ثانيا : ــ لا أثر للالزام فى التحكيم اذ باستطاعة احد الطرفين ان لا يحضر مجلس الحكم ، اما فى القضاء فان للقاضى





سلطان السير فى المحاكمة بغياب المدعى عليـه .

ثالثا : ـ فى حال صدور قرار مـن قبـل المحكم ، يبقى الخيـار للطرفـين المتخاصمين فى تنفيذ القرار او اهماله ، او الانتقال الى محكم ثان فثالث،فالولاية هنا مرهونة برضى المتخاصمين ، أمـا قرار القاضي فله حرمته وقوته الملزمة المؤيدة بسلطة الدولة . .

يتبين مما تقدم ، ان التحكيم يستمد قوته من تراضي المتخاصـمين ، بينما يرتكز القضـاء على عنصر الالـزام فى المحاكمة والتنفيذ كما أسلفنا . .

ولا نكران فى أنه كانت عند العـرب طائفة من المحكمين ، اشتهرت بسـعة الاطلاع ، ونفوذ الفكر ، وقوة الاستنتاج، والتجرد والنزاهة ، عـرف منهـم بنو سهم فى مكة ، والاقرع بن حابس ، واكثم ابن صيفي ، وعبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليـه وسـلم ، وهند الايادية ، وحذام بنت الريان التي قيل فيها : ـ

اذا قالت حـذام فصـدقوها
فان القـول مـا قالت حـذام

على انه فى سياق الكلام على التحكيم والمحكمين فى العصر الجاهلي لا محيد عن ذكر رئيس العشيرة الذى كان يفصـل بحكم منصـبه بين الافراد التابعين لـه خشية اضـطراب حبل الأمن داخـل العشيرة ، وكذلك فان الكهان والعرافين كانوا مفزع كثير من المتخاصمين .

كل هذا اذا لم يتعد الخلاف افراد القبيلة او العشيرة الواحدة ، امـا اذا كان مدار الخلاف افردا من عدة قبائل فالحكم هو السيف وما يستتبعه مـن حرب وافناء ودمـار ، وليسـت عادة الثأر والتربص للقاتل ، او لأحـد أفراد عشيرته بغية اراقة دمه الا شاهدا على صـورة قائـمة مـن صـور الحيـاة الاجتماعية فى عصر الجاهلية . .

النبي والقضاء

فى مطلع العهد الاسلامي كانت لا تزال تهيمن على الناس عادات الجاهلية ، فهناك التحكيم ، وهناك الاقتصاص بالذات ، وهناك اللجوء الى الكهان، وكانوا يحتكمون الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكونوا ملزمين بما حكم به ، واستمرت الحال على هذا المنوال ، حتى نزلت الآية الكريمة « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقيل ان سبب نزول هذه الآية الحادثة التالية : —

اختصم رجلان الى رسول الله فقضى بينهما ، فقال الذي قضي عليه : ردنا الى عمر بن الخطاب . فقال عمر : اكذاك ؟ ! قال نعم . قال عمر : مكانكما حتى أخرج اليكما فأقضى بينكما . فخرج اليهما مشتملا على سيفه، فضرب الذى قال ردنا الى عمر فقتله ! وقد أصبح لحكم الرسول قوة ملزمة ، بمقتضى الآية المشار اليها « ويسلموا تسليما » وبذلك تكون صفة جوهرية من صفات القضاء ، قد تحققت ...

وإذا كان المحكم من قبل غير قادر على اجبار اى من الطرفين بالحضور لديه الا اذا رضي الطرف الآخر ، فقد أصبح الرسول يجبر محكميه ، على ان يحضروا بعد نزول الآية

« واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون.وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون .

انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون (١) وهذه هي الخطوة الثانية نحو القضاء —

— الأولى هي ان حكم الرسول اصبح ملزما .

— الثانية ان واحدا من الخصمين اذا دعي الى الرسول وجب ان يلبي الدعوة ، ولا ضرورة الى وقوع التراضي بينهما على ذلك من قبل .

« خطوتان لم يكن الناس فى زمن النبي يحتاجون الى اكثر منهما ، وبهما تمت صفتا القضاء الجوهريتان،فالخصم يلزمه خصمه بالمسير الى النبي ، والنبي يلزم الخصمين معا بحكمه » وبذلك تسقط حجة الذين زعموا أن العرب لم يعرفوا القضاء ، بل انهم اقتبسوه عن الأمم التي تغلبوا عليها كالفرس والرومان.

التنظيم القضائي .. (أول من تولى منصب القضاء)

ليس فى المصادر اية اشارة جازمة الى اول من تولى منصب القضاء ، اذ ان النبي حين كان يقضي بين الناس ، انما كان يعمد الى ذلك بحكم ما تنطوى عليه شخصيته ، من سلطة زمنية وروحية ، واذا كان بعض المؤرخين قد ذهبوا الى القول بأن علي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل اللذين ولاهما الرسول على اليمن هما اول قاضيين فى الاسلام فلأنهم كانوا يرون ان القضاء بين الناس هو من اكبر مهمات الوالي فى الولاية التي يدير شؤونها .

على ان الأمر يختلف فى عهد الخلفاء الراشدين ، حيث يجمع المؤلفون ، على ان عمر بن الخطاب هو اول من عين قاضيا ، ومن هذا القبيل نقرأ فى مؤلف الكتاني « ما اتخذ رسول الله قاضيا ولا ابو بكر ولا عمر ، حتى كان فى وسط خلافة عمر اذ قال لعلي اكفني بعض الأمور ، لأن عليا كان أقضى الصحابة

---

(١) سورة النور

وأعلمهم ، ودفع اليــه امر القضــاء فى بعض الأمور » .

وقد سار معاوية على هذا النهـج ، فتخلى عن القضــاء وتـرك أمـره الى بعض الرجال الذين كانوا على مقدرة فى الفقـه وأمور الديـن ، وتمشى ســائر الخلفاء الامويين على هذا النمط ، فولوا القضاة على الأمصار .

واختلف الامر فى العصر العباسي ، حيث استحدث الخلفاء منصب « قاضي القضاة» الذى تولاه «أبو يوسف» ووكلوا اليه أمر انتقاء القضاة وتعيينهم ، وبذلك اصبح للقضاء استقلاله ، ومؤسسـتــه الخاصة به .

صلاحية القضاة

كانت صلاحية القاضي بادىء الامــر مقتصرة على القضايا المدنية والشرعية ، ثم اخذت تزداد سعة وشمولا حتــى اصبحت تتناول كافة الأمور المعروفـة فى عصرنا ، وحصرها بعضهم فى المسائل التالية .

١ ــ النظر فى الخلافات الحقوقية بين المتخاصمين .

٢ النظر فى الدعاوى الجزائية ، وهي التي يرفعها المتضررون،او المتعلقة بالحق العام .

٣ ــ النظر فى تنفيذ الاحكام المقضي بها .

٤ ــ النظر فى الحجر على السـفهاء والمبذرين والولاية على القاصرين .

٥ ــ النظر فى تزويــج الايامى ، اذا امسك اولياؤهن عن تزويجهن .

٦ ــ تصفح احوال الشهود وتزكيتهم.

٧ ــ النظر فى امور الاوقاف ، ، وتولية المتولين عليها .

وفيما يتصل بالصلاحية المكانية ، فقد كان القاضي يولي على مدينة بكاملها ، او ببعض الامور المحكي عنها آنفا ، او يعهد اليه بالقضاء فى جزء من المدينــة ولمدة معينة .

وكان اسلوب « القاضي الفرد » هو المعول عليه ولم تشر امهات الكتب الى نظـام محاكم الجماعــة ، الا ان بعض المؤرخين، يذكرون انه اذا اشكل امر هام، فان عددا من كبار القضاة كان يجتمع لدرسه ، واعطائه الحل الملائم ، على غرار ما نعرفه فى عصرنا الحاضر ، حين تجتمع غـــرف محكمــــة التمييز « النقض والابــرام » بكاملهــا للنظـر فى توحيد الرأى ...

مظاهر القضاء

كان القاضي يجلس للفصل بــين الناس ، اما فى المسجد ، او فى منزله ، او فى مكان يعرف بدار القضاء . وكان القضاة يعنــون بمظهرهــم ، ويديرون مجلس الحكم بوقار وهيبة ، ويتخذون كتابـا لتسجيل الوقــائـع ، وضبـط الافادات ، وحجابـا لتبليـغ اصحاب الدعاوى ، كما كانوا يساوون فى مجلسهم بــين المتخاصمــين ، وينظــرون فى الخصومات بترتيب ودون محاباة ... وكانوا يتمتعون بحصانة ضد النقــل والعزل الا فى الحالات النادرة ، ويروى فى هذا الصــدد ان الخليفــة اذا ولى وزيرا وقاضيا ثم مات ينعزل الوزيــر بموته ، ولا ينعزل القاضي باعتبار ان الوزير مرتبط بالخليفة فيذهب بذهابه ، اما القاضي فمرتبط بالامة فلذا يستمر فى منصبه ...

طلب القضاء

طالب الولاية لا يولي ، تلك هي القاعدة التي كانت متبعة فى تعيين القضاة ، ولذا كان على الخليفة او وكيلــه او قاضي القضاة ان يولى الكفء الصالح ، وكان

البقية على ص ٦١

الرسول العظيم

سأحكى لـــكم قصـــة يقتـــدى ... بها عن زمـــان قـــــديم مضى

زمان بـــه الناس مثل الســــوام ... تنـــام وتصحو بأم القـــــرى

الههم حجـــــر بالمــــــــزاد ... يبـــاع ببخس كما يشـــــترى

وليس بمكة من يــــرعــــــوى ... عن الغـــى أو كاشف للعمـــــــى

تشـــد العقـــول بأوتادهــــــا ... ويسرح في اللهـــــو أهل النهـــى

وتشهق قافيـــة من هـــــــوان ... بسوق عكاظ وما قـــد حــــوى

وعود حزين إلى قينـــــــــــة ... وعشاقها في ليـــالى الهــــــوى

تغـــنى لمجـــد ملوك القيــــــان ... بليل النــــــدامى ورشف اللمى

وفي الغـــار قد وكنت نجمـــــــة ... وأوراق فجر عظيم البهـــــــــا

بـــه يبـــدأ الدهـــر من أول . . . ... وفي الفـــكر يسهـــــل ما يعتصى

بـــه تفهم الأرض حكم السمـــا ... ويفهم ما في السما من سهـــــا

هو العقل أعظم ما ينطـــــوى ... عليه الوجود وما قد حـــــوى

وفي الغار زيتونة عرشـــــــــت ... ليأوى اليها التقى والهـــــــدى

وفي الغار تسبيحة الكـــائنـــات ... ويقظتهـــا من هزيـــع الـــكرى

بـــنى العنكبوت به عشـــــــه ... ليهدم قصرا لمن قد طغـــــــى

للأستاذ/محمد الفايز ـ الكويت

هناك تجلت إلى العالمين ... خفايا الحياة وسر البقا
وربة عوسجة في الفلا ... حوت الف سر بعيد المدى
تجل السماء بأن يرتقى ... لا قمارها عنكب قد قعى
وان تخضع الأرض مهما يطل ... ظلام السنين لأهل الهوى
فلم تشرق الشمس كى يستضىء ... عليها أبو لهب في منى
ولم ترتفع نجمة في السما ... ليسرى عليها لصوص الدجى
فكل له دورة في الوجود ... كأن الفناء وريث البقا
وقالو له: أين مأوى الذى ... تراه وتزعم أن لا نرى
فقال لهم: ملء هذا الزمان ... وملء المكان وملء الرؤى
أراه . ولكننى لا أراه ... ويسرى بعرقي مسرى الدما
وقالوا له: خل عنك الخيال ... وأحلام معتزل ما ارعوى
فقال لهم: ليتكم تفهمون ... ويا ليتكم تسمعون الهدى
وقالوا له: أنت ذو جنة ... تخبط في ليلها وانزوى
فكيف نصدق ما يدعى ... خيالك هذا البعيد المدى
فقال لهم: لست ذا جنة ... ولكننى ملهم قد سما

الرسول العظيم

ولا أكذبنكم أنـــــــــــه ... رأى من تعسفهم مـــــا رأى
وكانت رسالتــه كالضيـــــاء ... بتلك الزوايـــا وتلك الهـــوى
وكانت رسالتــه كالحيـــــاة ... ومثل الدواء ومثــل الغـــذا
ففيهـــا الرغيف إلى الجائعـــين ... وفيها الملاذ وفيهـــا الذرى
وفيهــــا الطريق إلى التائهين ... بصحراء مكة حيــث العـــرا
وما هى إلا مرور الغمـــــام ... وغمضة جفــن وطيف سرى
وتهويمــة الفجــر في خاطـــر ... تخامـــره خطوات الكـــرى
أتاهم مشعــا كدفق السنــــا ... فــتى يعــربى سريــع الخطى
وأوقد في ليلهـــم نجمـــــة ... إلى الآن في هديهـــا يهتــدى
وفي الأرض روح الالــه العظـيم ... وروح الحيـاة وكل القـــوى
تتــابع موكب هذا الزمـــــان ... وتدرى بأى الشواطى رســـــا
وليس العظيم الذى من يقـــيم ... كيانا ويــترك كهفا سجـــا
ولـكنه من يهز الحيـــــاة ... بأعظم ما في القوى من قـــوى
ويهــوى بمعوله هادمـــــا ... ويبنى جديدا إذا ما انتهـــى

بقيــة
تطور القضاء

العلماء يتورعون عن طلب القضاء نظرا ، لخطورة المنصب ، وعظيم المسئولية . ومن القصص الرائعة فى هذا المجال ما حدث للامام الاعظم ابي حنيفة ، حين طلب اليه ان يقبل منصب قاض فرفض قائلا للخليفة المنصور « اتق الله ولا ترع فى امانتك الا من يخاف الله ، والله ما أنا بمأمون الرضى فكيف اكون مأمـون الغضب ، ولو اتجه الحكم عليك ، ثـم تهددتني ان تغرقني فى الفرات ، او تلي الحكم لاخترت ان اغرق ، ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ، ولا أصلح لذلك » . .

فقــال المنصــــور : كذبت ، أنـت تصلح ! . .

فقال قد حكمت لي على نفســك ، كيف يحل لك ان تولي قاضيا على امانتك وهو كذاب .

ويقال ان المنصور حبسه ثـم عاد فدعــاه الى القضــاء وهدده بالضرب فقبل وعاش بعد القضــاء ســتة أيام ، ويقال انه مات فى السجن . .

أسباب الحكم وأصوله

لا نرى فى ختام هذا البحث افضل من تثبيت رسالة عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى ، عاملة على الكوفة التي تعد بحق دستورا للقضاء، ونبراسا للقضاة ، يسيرون على ضوئه فى مجلس الحكم ، وحين تدقيق اضبارة الدعوى . . . « من عمر بن الخطاب الى ابــي موسى الاشعرى عامله على الكوفــة . اما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا اولى اليك ، وانفذ اذا تبين لك ، فانه لا ينفع تلكـم بحق لا ينفــذ ، وآس بــين النــاس فى مجلسك ووجهـك وعد لـك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على المدعي واليمين على من انكر . والصلحجائز بين المسلمين، الا صلحا احل حراما ، او حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس ، ثـم راجعت فيه نفسك ، وهديت فيــه لرشدك ، أن ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، والرجوع الى الحق خـير مـن التمادى فى الباطل . الفهـم الفهـم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الامثال والاشبـاه وقس الامور بنظائرها ، واعمد الـى احب الامور الى الله تعالى ، واشبههـا بالحق فيما ترى » .

واجعل لمن يدعي حقا غائبا ، او بينة اجلا ينتهي اليه ، فان احضر بينة اخذ بحقه ، والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أجلى للعمى وأبلغ للعذر . والمسلمـون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد ، او مجربا عليه شهادة زور ، او ظنينا فى ولاء ، او نسب ، فان الله تعالى تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم بالبينات والايمان . وايــاك والقلـق والضجـر والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر ، فانه من يصلح بينه وبين الله ــ ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله منه شانه الله ، فما ظنك بثواب الله تعالى فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

تصويب

وقع خطأ مطبعي فى آيتين كريمتين فى مقال « اسعاد الفرد والجماعة » فى العدد العاشر من المجلة ، وتصويبه « فدمرناها » و « اخوان الشياطين » .



الخمر والمجتمع الأوروبي

علماء الغرب

ويطالبون

انه لمن المؤسف ان نجد فئات من الناس ـ ممن بهرتهم مظاهر الحضارة الغربية دون لبابها ـ يدعون الى أخذ وتقليد كل ما هو غربي (حضارى) ونبذ كل ماهو شرقي أو على حد تعبير آحادهم رجعي . وانهم يأخذون القشور المتداعية التي تلقي هوى فى نفوسهم لاشباع رغباتهم الجامحة . ولنأخذ مثلا الخمر .

هؤلاء الناس يدعون الى اباحتها ونشرها بين الناس ، وهم يتوهمون أن من علامات الرقي أن يكون فى منزل احدهم (بارا) يحوى العديد من صنوف الخمر ولا يعلمون ان الخمر ـ كما وصفها رسولنا الاعظم بأم الخبائث ـ هي معول يقوض الحضارات ولا يبنيها ولا هي من مستلزماتها . ولقد عشت فى بلاد الغرب حوالي الخمس سنوات وتعرفت على طباع الاوروبيين وعاداتهم وأخلاقهم . وكثيرا ما اثير النقاش حول ضرورة الخمر لمجتمع ما من حيث العادة الاجتماعية .

يدعون الى تغيير عاداتهم الاجتماعية

بحظر المشروبات الكحولية

وأقول ان الكثير منهم يصفون الخمر بالذع الصفات ويجدونها سوءة فى مجتمعاتهم يودون التخلص منها بكل الوسائل وليس أدل على ذلك مما نشر فى المجلة الطبية البريطانية فى مقالها الافتتاحي بتاريخ ١٩٦٦/١/١ ص ٣ ، ٤ والمجلة اسبوعية وهي لسان حال اتحاد الاطباء البريطانيين ، والمقالة مبنية على بحث قام به مجموعة من كبار العلماء الاطباء بتكليف من مجلس البحوث الطبية البريطانية ، والموضوع يبحث فى آثار الخمر على قيادة السيارات ، ولقد أصدرت الهيئة تقريرا أسمته الكتاب الابيض وهذا نص ترجمته :

Alcohol and Driving

ان الادلة تشير الى ان تعاطي الخمر ولو بكمية قليلة يؤثر تأثيرا سيئا على قدرة الانسان فى الحكم على الاشياء وعلى مهارته اليدوية . وعلى هذا فيجب على الشعب ان يتبين حاجته الملحة الى تغيير العادات الموروثة فى الحياة الاجتماعية المبنية على شرب الخمر . ومنذ زمن مضى وقبل ان يستبدل الحصان بالسيارة فان مدمن الخمر اذا ما تولى قيادة مركبة ما فانه يعتبر خطرا على المارة . والآن فلقد تعلم الجمهور ان الشخص الذى يتناول المشروبات الكحولية مع اصدقائه فى ليلة ما من الممكن ان يكون خطرا على الطريق .

والخطورة تزداد اذا ما ازدحمت الطرقات بالمارة وزاد من سرعة مركبته . ولقد نجح الكثير من الدول في استصدار القوانين التي تحرم شرب الخمر قبل قيادة السيارات والتزام تطبيقها بشدة على المخالفين . وتواجه الحكومة كثيرا من المشاكل فى تحديد نسبة المواد الكحولية فى دم السائق الذى يستحق العقاب فى حالة مخالفته لقوانين الحظر . فالمعمول به حاليا فى انجلترا وكثير من بلاد الغرب ان المخالف يستحق العقاب اذا بلغت نسبة الكحول فى دمه ٨٠ مجم فى ١٠٠ سم من الدم غير ان الكتاب الابيض الذى اصدرته اللجنة المنبثقة عن مجلس البحوث البريطانية توصي بأن يعاقب السائق اذا ما بلغت نسبة الكحول فى دمه ٥٠ مجم فى كل ١٠٠ سم من الدم مع العلم بأن هناك الكثير

من الحالات التي تقل نسبة الكحول فيها عن ٥٠ مجم والتي تحدث خللا عقليا يعرض السائق والمارة الى اخطار محققة .

ليست هناك نسبة مأمونة

There is no safe level

فان أية كمية من الخمر مهما قلت فان لها تأثيرا خطرا على حياة مستعملي الطرق ومنهم الشارب نفسه ثم يمضي التقرير فى وصف القوانين الاضافية التي استصدرت لحماية المارة من شاربي الخمر . ثم يتعرض للاحصائية التي قام بها الدكتور بوركين ستاين من الولايات المتحدة فى مدينة ميتشجن حيث يقارن أرقامه بالارقام الانجليزية فى مدى تأثير الكحول على حوادث المرور . ولقد دلت الاحصائيات على انه من الممكن تفادى (٣٥٠٠٠) خمسة وثلاثين الف حادثة فى العام فى بريطانيا وحدها اذا ما انقصت نسبة الكحول فى الدم عن ٤٠ مجم فى ١٠٠ سم . ويشير تقرير ميتشجن الى أن حوادث المرور الناتجة عن شرب الخمر اكثر خطورة من الحوادث العادية الاخرى . ولقد جاء دور الجماهير فى ان تتبين الحاجة بأن تمنع أى شارب خمر من أن يقود سيارته ولكن دور الحكومة فى سن القوانين وتنفيذها يجب ان يكون العامل الاساسي فى معالجة المشكلة . وقد يتساءل بعض الناس ما هو القدر من الخمر الذى يتعاطاه السائق دون ان يؤثر على قدرته فى قيادة السيارة والجواب (None لا شيء) غير ان هذا الجواب لا يمكن ان يكون عمليا حيث ان عادات المجتمع فى الشرب مستحكمة ، ولهذا فنقول اذا نويت ان تقود فلا تشرب واذا شربت فلا تقد .

كما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ان الاجهاد الذى يصيب الشارب له دخل كبير فى الحد من قدرته على قيادة سليمة مأمونة وخاصة فى سن الشباب اكثر منه بين متوسطي الاعمار من الشاربين .

الحاجة الى عادات اجتماعية جديدة .

New Social Traditions

مما لا شك فيه ان عادات اجتماعية غير مبنية على الخمر بدأت تأخذ طريقها فى المجتمعات الغربية وسوف تنمو بمرور الزمن وذلك لوعي الجماهير المتزايد وشعورها بالخطر المترتب على شرب الخمر .

وعلى هذا فالاجيال القادمة سوف لا تواجه مشاكل اليوم بسبب الخمر ، ولكن بدون انقلاب اجتماعي فى عاداتنا الغربية ـ سوف نجد صعوبات شديدة فى تطبيق القوانين . ثم يختتم الكتاب الابيض تقريره عن الخمر بقوله :

(اذا أردنا ان نتجنب الوفيات والعاهات المترتبة عن حوادث المرور فيجب ان تتغير عاداتنا الاجتماعية . والناس يجب ان يمتنعوا عن شرب المواد الكحولية قبل قيادة سياراتهم وأن يمتنعوا عن قيادتها بعد الشرب وليس هناك طريق ثالث .

ان تعليم الجمهور بواسطة الخدمات الصحية والمنظمات الاصلاحية يجب ان يلعب دورا هاما لا يقل اهمية عن القوانين المقترحة لابعاد شاربي الخمر عن الطريق بسياراتهم) . انتهى الكتاب الابيض .

ان الهيئة التي قامت ببحث هذه المشكلة وكتابة هذا التقرير تتألف من فطاحل العلماء البريطانيين الاخصائيين

فى هذا الموضوع ، وذلك بتكليف من مجلس البحوث البريطانية (أعلى هيئة طبية رسمية فى (بريطانيا) تساندهم فى ذلك جمعية الاطباء البريطانيين وهي اكبر هيئة طبية حرة فى المملكة المتحدة بل فى العالم اجمع .

ويكفي ان نعلم أن مجلتها الاسبوعية ـ حيث نشر هذا المقال الافتتاحي ـ يطبع منها حوالي مائة الف نسخة توزع على نخبة الأطباء فى العالم . وبعد ان أبان التقرير خطورة الخمر على مستعملي الطرق وأن حوادث المرور سببها الرئيسي شرب الخمر وأنه من الممكن تجنب وقوع الحوادث التي يذهب ضحيتها الآلاف من المواطنين فضلا عن العاهات المستديمة الناتجة عن ذلك نجد ان التقرير يحتم الحد من شرب الخمر ، ويقضي بضرورة تغيير اجتماعي شامل فى الحياة الاجتماعية الغربية المبنية حاليا على شرب الخمر كضرورة اجتماعية . ولقد بدأت الهيئات الرسمية فعلا فى بلاد الغرب بالعمل على الحد من استعمال المشروبات الروحية واستبدالها بمشروبات أخرى كالقهوة وعصير الفواكه . ومن الشذوذ حقا ان نجد فى مجتمعنا من ينادى بإباحة الخمر جريا على عادة الغربيين فى الوقت الذى هم انفسهم يودون التخلص منها بل وقطعوا شوطا بعيدا فى ذلك . اننا لا نأخذ هذا الدرس من بيئتنا وتقاليدنا وديننا بل ـ ويا للاسف ـ نأخذه من بلاد الغرب . وتلك حجة كبرى تدمغ حجة من ينادى بإباحة الخمر ليظهر تقدمه وتحضره .

قارئي الكريم تلك هي عين الرجعية . ألا توافقني على ذلك !!

ومن الجدير بالذكر ان ننقل للقارئين هنا صورة « زنكوغرافية » لما نشرته جريدة الاهرام القاهرية الصادرة فى السابع من رمضان ١٣٨٥ هـ الموافق ١٩٥٦/١٢/٢٩ عما يجرى ازاء الخمر فى دول غير اسلامية :

قانون سوفيتي جديد لمعالجة مدمني الخمر "اجباريا"

ادمان الخمور أدى الى الاضرار بالاقتصاد القومى نتيجة انخفاض الكفاية الانتاجية

موسكو فى ٢٨ ـ لمراسل الاهرام ـ يجرى الان اعداد قانون جديد ضمن « قانون الصحة العامة » فى الاتحاد السوفييتى يقضى بمعالجه مدمنى الخمر اجباريا . كما يقضى بأن يقدم الاطباء مساعداتهم الاولية » فى أى وقت وفى أي مكان » لمدمنى الخمر

وينص القانون ـ الذى يعد الاول من نوعه فى تاريخ الدول الشرقية ـ على مسئولية المديرين الصناعيين وغيرهم من المسئولين الحكوميين فى تقديم كل عون ضرورى فى هذه الحالات

وقد نشر دكتور بوريس بتروفسكى وزير الصحة العامة السوفييتى ـ فى حديث له مع صحيفة ازفستيا ـ جزءا من مشروع القانون الجديد الذى يجرى اعداده الان أمام اللجان القانونية المختصة فى مجلس السوفييت الاعلى . ويشترك فى اجتماعات هذه اللجان دكتور بتروفسكى نفسه وعدد من الاطباء البارزين وكبار المحامين وكبار الشخصيات العامة فى الاتحاد السوفييتى

ويرجع الاهتمام بقانون معالجة مدمنى الخمر اجباريا الى اشتداد الحملة فى الاتحاد السوفييتى اخيرا ضد شرب الخمر . وكانت الصحف السوفييتية قد دعت الي سن مثل هذا القانون كما دعت الى معاقبة العمال الذين يتعاطون الخمور بعقوبات من بينها الخصم من مرتباتهم والغاء أجازاتهم وشطبهم من قوائم المنتفعين بالمساكن الجديدة .

وتثير مشكلة ادمان الخمور قلق السلطات السوفييتية، لا لنتائجها الاجتماعية فحسب ، وانما بسبب الاضرار التى تصيب الاقتصاد القومى نتيجة لانخفاض الكفاية الانتاجية .

ويحدد القانون الجديد حقوق وواجبات الاطباء وكذلك حقوق والتزامات المرضى . كما يؤكد حق المرضى فى الرعاية الطبية المجانية . وينص على أن المواطنين السوفييت « ملزمون بالعناية بصحتهم وصحة أفراد عائلاتهم وصحة الاعضاء الاخرين فى المجتمع ، ومراعاة قوانين الصحة العامة »

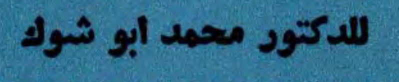
اعلام
الطب
فى الاسلام

ابن سينا

عزيزي القارىء قبل ان اريك الصورة الساطعة لابي الطب ، وامام العلوم الشيخ الرئيس ، والمعلم الثاني ابن سينا ، دعني اعرض عليك ما قاله عنه الغربيون لتحس معي بفخر العرب وعزهم ، وما وصل اليه الطب في ظل الاسلام الحنيف ، دين العلم والمعرفة ، فاستظل تحت لوائه كل مفكر ، وخرجت الى العالم العربي المؤلفات الرائعة ، والاستكشافات المحيرة ، التي شع نورها ، فعم انحاء المعمورة ، فصنعت التاريخ ، وامدت اجيالا من الاطباء الاوروبيين المبتكرة ، والموسوعات الضخمة ، التي كانت اساسا متينا للنهضة الحديثة .

يقول سودهوف : اية عظمة ، واية عبقرية هذه التى جمعت مثل هذه المعارف النظرية والعملية للطب مع كل فروعها ، ونظمتها بشكل فريد فى نوعه ، فاصبح كتاب « القانون » لابن سينا تحقيقا هاما فريدا من نوعه ، بين كتب الطب فى كل العصور .

وقال فيلادموفيتز مولندروف : ان الرئيس قد تفوق على الجميع بتنظيمه المنهجي وبتقسيمه المنطقي ، وبوضوحه البليغ ، وبترتيبه الباهر ، وتماسكه المحمود ، لقد تفوق بهذا كله على كل طرق جالينوس المعقدة حينا ، والعميقة احيانا ، والمغلوطة غالبا . ولقد وفق ابن سينا فى القاء الظل على شهرة جالينوس والاغريق ، وصار اعظم معلمي بلاد الغرب خلال سبعمائة سنة .



مولده ونشأته

ولـد ابو علي الحسـين بن عبد الله ابن سـينا فى « بلخ » فى عـام ٩٨٠ م (٣٧٠) هـ وانتقل ابواه الى بخارى ، وفيها تلقى العلم ، وحفظ القرآن ، ولما يبلغ العاشرة من عمره ، ثم تفقه فى الدين ودرس الحساب والمنطـق والهندسـة والنجوم . ثم قرأ كتاب ما بعد الطبيعة . ويقول أنه اعاد قراءته اربعين مرة ، فلم يفهمه ، الى أن عثر على كتاب لابي نصر الفارابي فى اغراض مـا بعد الطبيعـة ، فأعانه ذلك فى فهم ارسطو . ولما بلـغ السادسة عشرة من عمره رغب فى الطب، فتأمل الكتب المصنفة فيه ، وعالج تأدبا لا تكسبا ، ثم ارتقى علمه حتى فـاق الأوائل والأواخر فى اقل مدة ، واصبح فيه عديم القرين فقيد المثل . قال ابن سينا « وبرزت فيـه حتى بدأ فضـلاء الطب يقرأون علي علم الطب ، وتعهدت المرضى ، فانفتح علي من انواع المعالجات المقتبسة ما لا يوصف ، وكنت ارجـع فى الليل الى دارى ، واضع السراج بين يدى ، واشتغل بالقراءة والكتابة ، ومهما بلغني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم ارجع الى القراءة حتى استحكم معي جميع فنون العلم ووقفت عليهـا بحسب الامكان الانساني » .

ولقد اطلع ابن سينا على مكتبة نوح ابن منصـور ، الذى كان قد عالجـه ، وشفي على يديه ، فنهل منها ما شاء الله ان ينهل ويشبع رغبته فى الاطلاع ، فظفر بفوائدها ، وألم بما فيها .

ولما مات ابوه ارتحل الى خوارزم ، ومنها الى جوزجان ، ثم الى الرى، ومنها سار الى همذان ، فاستـوزره ، شمس الدولة فحدثت فتنة فى المعسكر ، ادت الى خلع ابن سينا وسجنه . وبعد مدة

مرض شمس الدولة فاخرج ابن سينا من سجنه ، وعالجه حتى شفي فأكره واعاده الى سابق مكانته .

وقال الجوزجاني « كان ابن سينا يقضي النهار فى خدمة الامير ، والليل بين القراءة والتدريس والتأليف ، وكان يجتمع فى داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء نوبة ، وكان يقرأ غيرى من القانون نوبة ، فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم ، فغنوا واطربوا » .

ثم تولى تاج الدولة ولم يستوزره ، فذهب ابن سينا الى اصفهان وحل على اميرها علاء الدولة بن جعفر بن كاكاويه فرحب به وقربه اليه وظل معه حتى وافته منيته .

منزلة ابن سينا فى الطب :

لقد كان لابن سينا باع واسع فى الطب ، عمل فيه بفكره ووجدانه، وتطرق الى جميع فروعه ، فنبغ فيها ، وألف فاجاد التأليف . وهذا كتابه « القانون » اكبر دلالة على ذلك . فلقد كان نبراسا وموردا عذبا للغرب ، اخذ عنه، وارتشف منه مدة سبعمائة عام .

ولننظر معا فى بعض النواحي التي تطرق اليها ابن سينا لنرى ما وصل اليه من علم ودراية .

تحليل البول :

خذ مثلا فيما قاله عن البول « علينا الا نثق بنتائج تحليل البول الا اذا توافرت الشروط التالية :

ان يكون البول اول بول من المريض ، اى بول الصباح ، على ان لا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة ، او اكل ما يسبب تلوين البول كالزعفران ، كذلك يجب على المريض الا يقوم بحركات خاصة ، او يتبع نظاما على غير عادته ، كالصيام والتأخر فى النهوض، او الامعان فى التعب، لأن كل هذا يؤثر كثيرا فى تركيب البول ، كما ان القيء يؤثر على تركيبه . اذن فالنتائج التى نصل اليها من تحليلنا للبول تعتمد على لونه وكثافته ومدى صفائه او تعكره وعلى رائحته ورغوته » .

فنظرة واحدة الى هذا تجعل الطبيب منا يحس كل الاحساس قدرة هذا الرجل : فنحن لم نزد على ما قاله من شروط من الف سنة مضت الا النذر اليسير .

سبق الطب الحديث :

ثم كان اول من شرح التفرقة بين اليرقان الناشيء من انسداد القنوات الصفراوية، وبين الذى ينشأ من انحلال الكرات الدموية الحمراء .

وكان ابن سينا أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية ، كما سبق غيره الى معرفة بعض الامراض التي تنتقل بواسطة مياه الشرب ، وقال ان السبب فى ذلك يرجع الى وجود حيوانات دقيقة لا ترى بالعين ، يتعاطاها الانسان فى الماء دون ان يحسها . ومن هذا نرى انه يطابق ما توصلنا اليه بعد اكتشاف الميكرسكوب .

ثم انظر الى ابن سينا عندما خالف القدامى من ان الانسجة : مثل المخ والانسجة العظمية لا تلتهب فكان اول من اكتشف التهابات غشاء المخ وميزها عن الالتهابات المزمنة ووضع اول وصف دقيق عن التهاب السحايا فى تصاب عضلات الرقبة وانحنائها الى الوراء بالضبط كما نصفها ونشاهدها الآن . وينسبها الاوروبيون الى انفسهم .

ثم ان الشيخ الرئيس كان أول من وضع تشخيصا دقيقا عن التهاب الاضلاع ، والالتهاب الرئوى وخراج الكبد وفرق بين الالتهاب الرئوى والتهاب

البالورا . ثم وصف بدقة عوارض المغص المعوى والمغص الكلوى . وكذلك وصف سبب شلل عصب الوجه عن سبب مركزى بالمخ ناتج من التهابات او ضغط على العصب فى طريقه من المخ الى الوجه .

ابن سينا الجراح :

ثم نظرة الى طريقة علاجه للجروح . فلقد كان فى وقته فكرة تقول ان تقيح الجروح عملية طبيعية مرغوب فيها ، ويسعى الطبيب الى الاستمرار عليها ، ودعمها لكي يشفى الجرح . فخالف كل هذا ، وعمل كل ما فى وسعه لتجنب التقيح ، او استعمال اى مادة تسبب التقيح ، وأخذ يستعمل اللزوقات الساخنة ، مع الخمرة المعتقة القوية ، التي على ما يعتقد كانت السبب فى قتل الميكروب الذى يسبب التقيح .

وبهذه الطريقة العجيبة انتصر ابن سينا فى قديم الزمان ، ايام لم يكن هناك المضادات الحيوية كالبنسلين وغيرها ، انتصر على الجروح المزمنة المتقيحة ، التي كانت تستمر مددا طويلة وتقضي على المريض .

عنايته بنفسية المريض :

ثم نظرة واحدة الى فلسفة ابن سينا نحو الاثر النفسي فى حالة المريض ، التي ننادى بها الآن ، والتي كانت تنكرها اوروبا فى عصور الظلام ، ايام كان العلم يرفرف على الامبراطورية الاسلامية ، ويشع منها الى اجزاء العالم المختلفة ، فهذا قوله الخالد : علينا ان نعلم ان احسن العلاجات وانجعها هي العلاجات التي تقوم على تقوية قوى المريض النفسية والروحية ، وتشجيعه ، ليحسن مكافحة المرض ، وتجميل محيطه واسماعه بما عذب من موسيقى وجمعه بالناس الذين يحبهم . ولقد تطرق ابن سينا الى الأمراض الجلدية العديدة ، ووصفها بدقة فائقة ، وكذلك الجهاز البولي ، والاجهزة التناسلية .

كيف نبصر :

ثم انه خالف الأطباء اليونانيين فى نظريتهم التي تقول بان شعاع الضوء يخرج من العين ويصطدم بالمرئيات فتحصل الرؤية ، وقال ما معناه ان اشعة الضوء القادمة من الجسم المرئي ، هي التي تدخل العين ، وتحولها العدسة الى شيء يمكن ادراكه ، وهذه اقرب الى الصواب من النظرية الحالية .

ثم ان ابن سينا وصف عضلات العين الداخلية وصفا دقيقا ، سبق به المشرحين الغربيين فى هذا المضمار .

اوروبا تتلمذ على كتابه :

وكتاب ابن سينا « القانون » كان منارا للطب فى الشرق والغرب » ولقد اعتمد عليه الغرب فى بدء نهضته ، فظهر فى ميلانو سنة ١٤٧٣ ، ثم بعد مرور سنتين طبع للمرة الثانية ، وظهرت له تعليقات وشروح بقلم ايطالي لقب « بروح ابن سينا » وظهرت الطبعة الثالثة للكتاب قبل ان تطبع مخطوطات جالينوس ، وحتى عام ١٥٠٠ م كان هناك ستة عشر طبعة للقانون ، مقابل طبعة واحدة لجالينوس فى جزأين اثنين .

وفى القرن الذى يليه زاد عدد الطبعات الى عشرين وظلت الطبعة تلي الطبعة الى منتصف القرن السابع عشر . وبهذا يكون كتاب « القانون » اكثر كتاب طبي درسه طلاب العلم فى تاريخ العالم .

وهذا والله فخر اى فخر ولا عجب فكتاب « القانون » يعتبر موسوعة علمية كبرى ، قال ابن سينا فى مقدمته « اما الآن فانني أجمع هذا الكتاب ، واقسمه الى كتب خمسة على هذا المثال : الكتاب الأول فى الأمور الكلية فى علم الطب . الكتاب الثاني فى الأدوية المفردة . الكتاب الثالث فى الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الانسان عضوا عضوا من الفرق الى القدم ظاهرها وباطنها . الكتاب الرابع فى الامراض الجزئية التي اذا وقعت تختص بالعضو . وفى الزينة

كذلك . الكتاب الخامس . فى تركيب الأدويــة .

ولكي نحس بعظمة « القانون » تعالوا نتصفح ما حوى من علم لتعرفوا مــدى ما وصل اليه ابن سينا . فالكتاب مــن كتب القانون مقسم الى ابواب ســماها ابن ســينا فنونا ، والفــن مقســم الى مقالات سماها تعاليم ، والتعاليم مقسمة الى فصول .

ففي الكتاب الأول . بحث فى تعريف الطب وموضوعاته ، ويحتوى على اربعة فنون .

الفن الأول / به ست تعاليم
أ ــ تعريف الطب واغراضه
ب ــ ابحاث العناصر الاربعة
جـ ــ ثلاث فصول فى الامزجة
د ــ فصلين فى الاخلاط
هـ ــ خاص بالتشريح
و ــ ابحاث فى وظائف الاعضاء وعلم النفس .

الفن الثالث فى خمسة تعاليم
أ ــ ثمانية فصول فى تعريف الامراض واسبابها وأنواعها .

ب ــ مسببات الامراض وعوامــل البيئة المختلفة ، واثرها فى صحة الانسان كالطقس ، والتربة والغذاء والماء .

جـ ــ اعراض الامراض وعلامتهــا ، وبه ملحق فى النبض وفصول فى فحص البول والبراز .

الفن الثالث فى خمسة تعاليم
أ ــ تدبير المولود وفصله عن الرضاعة وامراض الصبيان وعلاجهم .
ب ــ فى الرياضة والحمــام وتدبــير الغذاء .
جـ ــ ســـتة فصــول فى امــراض الشيخوخة وتدبير الشيوخ .
د ــ فى تدبير الامزجة واصلاحها .
هـ ــ فى تدبير المسافرين .

الفن الرابع فى العلاج

الكتاب الثاني من القانون خاص بعلم الصيدلة .

والكتاب الثالث يحتوى على نيف وعشرين فنا فى امــراض الــرأس والدمــاغ والعقــل والأعصــاب والعــين والأنف والاذن والحنجــرة والفــم والاســـنان والرئــه والقلب واعضــاء الهضــم والتناســل للذكور والاناث .

الكتاب الرابع يحتوى على :
١ ــ الحميات وعلاجها
٢ ــ مآل المرضى
٣ ــ فى الاورام والبثور
٤ ــ الكسر والخلع والتجبير
٥ ــ فى السموم
٦ ــ فى الزينة

الكتاب الخامس كتاب الاقرباذين أعني تركيب الأدوية .

ونظرة الى ما احتواه كتاب « القانون » تظهر جليا عظمة الفيلســوف والطبيب والعالم ابن سينا .

ولقد احصيت مؤلفات ابن ســينا فبلغت مائة وسبعة ، فلم تقتصر جهوده على الطب بل تعدتها الى سائر علــوم عصره ، فبرز فيها ونبــغ ، فاســتحق لقب الشيخ الرئيس .

وفاتــه :

لقد مرض بتقرح فى امعائه ، واشتد عليه المرض اثناء سفره مع علاء الدولة الى اصــفهان ، فازداد ضــعفه ، ولمــا احس انه لا امل فى شفائه ، اغتســـل وتاب ، وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه واعتق مماليكه ، ومات فى رمضان عام ٤٢٨ هجرية وعمره ثمان وخمسون سنة .

رحم الله الشيخ الرئيس فلقد خلف وراءه ذكرى وعلما وأدبا سيبقى عــلى مر الزمن مخلدا فى سجل الخالدين .

تعليــق

هذه لقطات من الجزء الاول من كتابه .. وليس ما سجلناه هو كل الشذوذ من هذا الرجل ، ولو شئنا ان نحاسبه فى محكمة العدل والانصاف ، ونحصي عليه أخطـاءه لوجب ان نثبت جميـع كتابه ، ونؤاخذه بكل كلمة .. كلمة ، ونصدر فى رده مجلدات لاني لم أر فى كتابه موضوعا نقلـه بأمانة ، وانما شوه تاريخ الاسـلام كما يشـاء الاستعمار ..

فـانـظر الــى هـذا المسـتشرق المفـرض الذى يسترسل فى خدمة الاستعمار المسيحى الى ابعد الحدود ، ولا يعرف ذلك الشىء الذى يسمى : ب ((الضمير)) ولا يؤمن بالتواريخ والسير .

فهو أولا ـ يعتبر النبى صلى الله عليه وسلم مشركا فى السنوات الاولى من بعثته ، والقرآن من تأليفه وجماعة آخرين من جزيرة العـــرب وخارجها ، ولا يعتبره من عند الله .. ثم يسجل فى القرآن آية لم يعرفها حتى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه (تلك الفرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) ... وذلك يدلنا على مدى ثقافـة المستشرقين وتضلعهم فى الاسلام .. وأظن ان هذا الرجل حسب ان القرآن كتاب كالانجيل يحرف كل يوم .

ومثل هذا العميل الذى لا يشعــر بوخز الضمير ، ولا يعرف مضض الكذب والافتراء على اى شىء كان ، من الهين عليه بعد ذلك ان يقول ان معرفة النبى بالكتاب المقدس كانت ضئيلة مغلوطة ، أو يفرض على الناس كثيرا من العبادات تلبية لرغبات اليهود .. او ان احبار يهود المدينة كانوا اوسع ثقافة من النبى العظيم او أن اكثر الاحاديث دخيلـة موضوعة بعد ظهور الاسلام بقرنين ..

يقول هذه وأكثر منهـا ، ويحسـب ان المسلمين معتوهون مثله ، او انهم لا يميزون اعدأءهـم مـن احبائهم ، ولكن المسيحى المأجور لا بد ان يكتب هكذا عن الاسلام ...

غير ان الذى يثير العجب من غباوته ان يدلف نحو الامام الحسين (عليـه السلام) ويجعله منزعماءالارستوقراطية الذى لم يكن لموته اى اثر سياسى ، مع العلم ان الحسين (عليه السلام) هو من يعرفه الجميع ، ولم يكن جنديا تائها ، يتحدث عنه الناس بما يشاءون .. ولكنه ابو الاحرار ، وبطل الثورة عـلى الظلم والطغيان التىعصفت بالعروش والتيجان حتى جعلتهـا هشيمـا تذوره الرياح ، وحولت السياسة العـالمية ووسمتهـا بطابعها الثورى العتيد ، البارز الصور ، والالوان ، والجوانب ، والالـواح .. ولكن المستشرقين لا يعقلون ..

ولكن هــذه فلسفــة المستشرقين ، وهكذا تكون ثقافتهم الواعية العميقة ، وكذلك تكون حقوق الابطال والتاريـخ محفوظة عندهم ، وتلك هى امانة القلم ، وطهارة البيان فى منطقهم ، وذلك هــو حرصهم على نواميس الحقائق وأمجـاد المسلمين ..

● قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم . ليس خيركم من تــرك الدنيا للآخرة ، ولا الآخـرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه .

في جوار الله



اكبر دولة في افريقيا تضم نحو ستين مليونا من السكان ، واكبر دولة اسلامية من حيث تعداد المسلمين فيها اذ يبلغون نحوا من خمسة وثلاثين مليونا .. اكثرهم في الولاية الشمالية التي كان يرأس وزارتها المغفور له الشهيد احمدو بيللو ، وكـان من الطبيعي ان يكون رئيس الجمهورية من المسلمين ، لكـن مقتضيات التوازن الداخلي دعت لأن يكون رئيس الجمهورية من غير المسلمين على أن يكون رئيس الوزارة الاتحادية او المركزية مسلما ، وكان هو المغفور له الشهيد أبو بكر تيفاوا باليوا .. اى ان المسلمين كانوا يمثلون بذلك السلطة العليا تقريبا في الدولة ، وكان الزعيمان الشهيدان يمثلان مع هذه السلطة زعامة اسلامية مخلصة متفانية في خدمة دينها وبلادها ولا سيما احمدو بيللو الذى كان يعتبر الاب الروحي لجميع المسلمين هناك ، عرفت المغفور له احمدو بيللو عن طريق الشيخ ابى بكر جومى قاضي قضاة نيجيريا الذى مثل نيجيريا في مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، وقابلته مرتين : مرة في مكة اثناء الحج عام ١٣٨٣ هـ ومرة ثانية عندما زار الكويت أخيرا وكان يصحبه في المرتين قاضي القضاة الذى يجيد العربية والذي يعتبر هناك من ابرز الشخصيات العاملة في الحقل الاسلامي ..

كان احمدو بيللو حريصا دائما على تنمية العلاقات بينه وبين البلاد العربية ، وكان يقف في وجه كل نفوذ أو تسلل اسرائيلي في نيجيريا الشمالية ، لأن اى نشاط اسرائيلي سيكون موجها ضد العرب وهو يقف في الصف الأول مع العرب المدافعين عن قضية فلسطين . وطالما عرضت عليه اسرائيل مساعدات فنية او غير فنية فرفضها برغم شدة حاجة بلاده اليها ، وكان كثيرا ما يناشد العرب الا يتركوا فراغا في بلاده أو غير بـلاده يمكن اسرائيل ان تستغله لصالحها . فكان بذلك يعيش مع العرب في آمالهم والامهم .. أثناء التقائي بالحاج ابى بكر في القاهرة حدثني عن جمعية « نصرة الاسلام » التي تعمل هناك فى نشر الاسلام بين الوثنيين، وتعمل فى الوقت نفسه على تعميق المفاهيم الاسلامية بين المسلمين أنفسهم وقدم لي كراسة عن مبادىء الجمعية ومناهجها وعما أنجزته من اعمال .. فرجوته ان يبتعد بنشاط الجمعية عن ميدان السياسة ، ويقصر جهودها على بث الوعي الاسلامي الخالص وجذب أكبر عدد ممكن من الوثنيين اليه حتى لا تصطدم برجال السياسة فطمأنني قاضي القضاة وقال لي ان رئيس الجمعية فعلا هو الرئيس احمدو بيللو ، وهو الذي عمل على تأليفها ويرعى جهودها ، وأخرج لي برقية مرسلة اليه من الجمعية تبشره بأن عدد الذين اعتنقوا الاسلام بلغ ستين الفا في خمسة شهور .

وقبل اغتياله بنحو اسبوع كان يؤدى العمرة ويزور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ويقضي بضعة ايام من رمضان فى الرحاب المقدسة . وكان من المتفق عليه ان ينعقد في نيجيريا مؤتمر اسلامي في ١٥ شوال الماضي لبحث ما يهم المسلمين تحت اشرافه ..

وقبل ان ينعقد المؤتمر امتدت الايدى الآثمة لتغتاله هو وزوجته ، الشمال ، بينما تمتد يد آثمة

أخرى لتفتال الزعيم المسلم الآخر أبابكر تيفاوا في الجنوب ، ثم توافينا الانباء بأن الهدف الأساسي من التمرد الذى تزعمه « نزوجو » كان اغتيال احمدو بيللو « بينما كان الجيش فى المناطق الاخرى يعمل فى تناسق كامل وأن العملية كانت مخططة باحكام شديد » وانباء أخرى تقول : بأن يد الوثنيين كانت من وراء ما حدث هناك . « ترى ما المقصود اذن من هذا التخطيط المحكم » وأية ضربة وجهت الى المسلمين هناك وفي كل مكان .. وأية خسارة أصيب بها العرب وقضية فلسطين في نيجيريا الشمالية باغتيال احمد وبيللو .

ثم ماذا كان صدى هذه الحادثة المشئومة في البلاد العربية وصحافتها وأجهزة اعلامها ؟

وما مدى عنايتها بفقد نصير عظيم للعروبة والاسلام هناك ؟

هل اهتمت به كما اهتمت بغيره ممن لم نعرف لهم مواقف كريمة في سبيل العروبة والاسلام ؟ آسف

رابطة العالم الاسلامي

وقد تلقينا من رابطة العالم الاسلامي بمكة هذه البرقية التي تنعي فيها الشهيد احمدو بيللو .

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »
(صدق الله العظيم)

بمزيد من الاسى والحزن العميق تنعي رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة علما من اعلام الاسلام وركنا من اركان هذه الرابطة هو الشهيد الحاج احمدو بيللو ، عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي ، ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية ، ورئيس جمعية نصر الاسلام فيها الذى نذر نفسه لنشر الدعوة الاسلامية في القارة الافريقية ، مضحيا بكل غال وثمين في سبيل ارضاء الله ولقد كان ماضيا في مسعاه بالنجاح ، الى ان انسلت يد الاثم والغدر والخيانة وطعنت القلب الكبير الذى كان لأيام خلت في هذا البلد الأمين يؤدى نسك العمرة ، ويردد قوله : « ان المسلمين لن يستقيم لهم حال ، ولن يقوم لهم مجد الا اذا جمعتهم اخوة الاسلام ، وبغير ذلك سيظلون مغلوبين على امرهم ، يتحكم فيهم اعداء الله جميعا » .

لقد صدق الشهيد اذ ادرك ان طريق الدعوة محفوف بالمخاطر ، وان الأعداء بالمرصاد ، ولكن هذا الدم الزكي الذى اريق على أرض نيجيريا المسلمة ، سينبت بأذن الله اغراسا طيبة ، تعمل بهدى الله ورسوله ، والمخلصين من عباد الله والشهداء والصديقين والصالحين ، وان الدعوة ماضية في أمرها ، وهذا أول شهيد لها ، نرجو ان يكون مسكنه جنات عدن مع الخالدين .

هذا هو الرجل الذى فقده العالم الاسلامي ، تغمده الله برحمته العظيمة اذ يقول « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وانا لله وانا اليه راجعون .

الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي

اعرف
وطنك

موريتانيا الإسلامية

محمد يونس

(بلاد شنقيط)

اعداد
ادارة الشؤون الاسلامية بالوزارة

موريتانيا ليس الاسم العربي الاسلامى لهذه البلاد،وانما جاءها معالاستعمار حيث تعنى كلمة (مور) فى الاسبانية السمر ، والاسم يدل على بلاد السمر أى ان سكان البلاد سمر الوانهم ، وكان الرومان يطلقون هذه الكلمة على كافة البلاد التي تقع غربي تونس .

اما الاسم العربي الاسلامي فهو (شنقيط) نسبة الى قرية صغيرة وسط البلاد ومعنى الكلمة البربرية عيون الخيل .. وحين وصل الاسلام الى هذه البلاد اخذت المنطقة بكاملها اسم هذه القرية التى اشتهرت بكثرة علمائها وقد بقى هذا الاسم يدل على هذه المنطقة طيلة العهود الاسلامية والى فترة قريبة جدا حيث جاء الاستعمار ، واحتلت فرنسا البلاد وقسمت المغرب ففصلت منه هذا الجزء واطلقت عليه الاسم الروماني القديم وهو ((موريتانيا)) .



موقعها :

موريتانيا او شنقيط كما سماها المسلمون من قبل هى تلك البلاد الواقعة فى افريقيا الشمالية الغربية ، ويحدها من الشرق جمهورية مالي ، ومن الشمال الشرقي الصحراء الجزائرية ومن الشمال الغربي الصحراء الاسبانية ، ومن الغرب المحيط الاطلسي ومن الجنوب نهر السنغال وحكومة مالى وتمتد على مساحة (٤١٩) الف ميل مربع .

يسكنها ما يقارب المليون نسمة .. وهو عدد قليل الى هذه المساحة الواسعة وسيزداد هذا العدد بسرعة بعد ان اكتشفت المعادن وبدت علائم نهضة صناعية حديثة تظهر .

طبيعة البلاد :

تمتد موريتانيا بين خطى عرض ١٥ — ٥ر٢٧ شمال خط الاستواء .. اى ان مدار السرطان يخترقها من قسمها الشمالى مما يجعل هذه المنطقة صحراوية المناخ .. ويمكن ان نميز فى موريتانيا منطقتين :

اعرف وطنك

١ ــ منطقة تمتد بمحاذاة الساحل وتتألف من تلال وسهول وأثر البحر فى مناخها ضئيل .

٢ ــ منطقة صحراوية تمتد فى الداخل وتتألف من تلال وسهول حجرية .

ثم هناك السهول فى الجنوب على ضفاف نهر السنغال كسهول شمامة وبراكنا .

حالة البلاد الاقتصادية

يعتبر الرعي هو الطابع المميز لاقتصاديات البلاد ، ويرعى فى هذه البلاد سبعة ملايين رأس من الأغنام ومليون رأس من الأبقار ومليون من الابل بالاضافة الى الخيول التي يعتني أهل موريتانيا بتربيتها .. ولكن مما يؤسف له انه لا توجد اسواق لبيع المواشي فى موريتانيا ولا توجد الا فى السنغال مما يجعل اهل البلاد فريسة سهلة فى ايدى المحتكرين بالسنغال .

والزراعة فى موريتانيا بدائية جدا .. وهي اكثر ما تكون فى الجنوب حيث السهول الخصبة على ضفاف نهر السنغال ، فأرض شمامة هي أرض الزرع والضرع وعليها يعتمد سواد الموريتانيين من اهل الفلح والحيوان واهم المزروعات هي البطيخ والقمح والشعير والنخيل والصمغ العربي .

وهناك بعض السدود التي تقوم على نهر السنغال والتي ينتظر ان تحسن الزراعة ووسائلها فى القريب ويعتبر الشاطىء الموريتاني من اغنى سواحل العالم بالاسماك .. ويمكن ان تكون موريتانيا من أكثر دول العالم المصدرة للأسماك ومع ذلك فلم ينتبه سكان موريتانيا الى هذه الثروة .. وان كان من المقرر ان تقام هناك عدة مصانع للأسماك وتحضيرها .

اما الصناعة فلا تكاد توجد .. اما خامات البلد .. فقد كانت تقتصر على الملح اما الآن فقد اكتشفت فى البلاد كميات هائلة من اجود انواع الحديد والنحاس فى العالم كما يظن بأن البلاد غنية بالنفط .

اما طرق المواصلات فهي قليلة بل نادرة ولولا خط واحد انشىء اخيرا لكانت المواصلات معدومة وعلى كل فان موريتانيا تتقدم بسرعة مدهشة .. بالنسبة لثروة البلاد ومصادرها .. واهم مدنها (نواكشوط) . وهي العاصمة ، اطار ، شنقيط ، بويتمليت .

موريتانيا عبر التاريخ

لا يعرف شيء عن تاريخ هذه البلاد قبل الفتح الاسلامي ، ويعود تاريخ الاسلام فى تلك البلاد الى النصف الثاني من القرن الهجرى الأول .. حيث تم فتح تلك البلاد على يد عقبة بن نافع ثم موسى بن نصير ومن تلك الفترة خلت بلاد شنقيط من كل ديانة عدا الاسلام .

ولقد كانت بلاد شنقيط مراكز لدولة الادارسة التي اسسها ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب رضى الله عنهم فى عام

١٧٢ هـ والتى دانت لها دول المغـرب بأكملها .

وكذلك كانت شنقيط مركز دولـــة المرابطين التي كان لها فضل الجهاد ورد خطر الصليبيين عن المغـرب وتأخـير سقوط الاندلس بيد الاسبان بعد معركة الزلاقة معهم عام ٤٧٥ هـ وقـد أسس هذه الدولة العظيمة (يحيى بن ابراهيم الجدالى) من قبيلـة (المتونـة) احدى قبائل صنهاجة يساعده ويشد عضـده اخوه ابو بكر بن عمر الذى تولى الامامة بعده .. وقد استعان بابن عمه (يوسف ابن تاشفين) (١) الذى اتجه نحو الشمال وجاز البحر الى الاندلس ليرد الاسبان ويقف فى وجه الطغيان ..

وكذلك كانت بلاد شنقيط مركـزا لدولة الموحدين التى سارت على نهج المرابطين فعملت لنشـر الدين وضمت اجزاء المغـرب واجتازت البحـر الى الاندلس لتقف فى وجـه الاسبان ورد الطغيان الصليبي ، وهكذا نجد فى الاسلام قوة وحيوية متجددة على مدى الايام ، تهزأ بالجيوش ، وتدك العروش ، وهي وان فترت بعض الوقت فحكمة من الله يرسمها ليؤمن من آمن عن بينة ويكفر من كفر عن بينة ، ففي الاوقات العصيبة يلجأ ضعاف الايمان الى أصحاب النفوذ، يبغون عرض الحيـاة الدنيـا ، ويقنـع المؤمنون بالكفاف ويصبرون على العذاب، ويطلبون النصر من الله ، (انا جعلنا ما على الارض زينة لهـا لنبلوهـم أيهـم احسن عملا ، وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) « الكهف » ثم قامت فى شنقيط الدولة السعدية سنة ٩١٥هـ ثم جاءت أخيرا الدولة العلوية منذ (١٠٦٩) هـ وفى عهد هذه الاسرة تعرضت البـلاد للاستعمار .. الذى قسمهـا اقساما سمى بعضها موريتانيا وبعضها المغرب .. وخضـــع بعضـها للاسبان وبعضـها للفرنسيين .. ولقد استطاعت فرنسا ان تحتل البلاد نهائيا فى عام ١٩٣٤ ، وقد

---

(١)هو يوسف بن ابي بكر ابراهيم المصالي الصنهاجي (نسبة الى صنهاجة وهى من اشـهر قبائل البربر) أمير المسلمين وملك الملثمين وبانى مدينة مراكش واول من دعى بأمير المسلمين ، ولد فى صحراء المغرب وولاه ابن عمه ابو بكر بن عمر امارة البربر ، كان ابن تاشفين هذا رجلا حازما شجاعا عادلا ، شديد التمسك بالاسلام ما زال يترقى فى المراتب حتى شمل سلطانه المغرب الاقصى والاوسط ودانت له الاندلس (اسبانيا) وكان لعدم افتتانه بابهة الملك يخطب لبنى العباس تمسكا بالوحدة الاسلامية وهو يشبه صلاح الدين الايوبي او يشبهه صلاح الدين من عدة وجوه فكما ان صلاح الدين انقذ فلسطين من ايدى الصليبيين وحرر المشرق العربى باسم الاسلام وهو من غير العرب فكذلك حرر ابن تاشفين المغرب العربى (اسبانيا) اذ انقذ هذا القطر من نصارى الشمال وسحق جيوشهم فيه باسم الاسلام وهو من غير العرب ولقد كان هذا الملك لا يعرف العربية الا قليلا ولذلك كان له مترجم يعرف العربية والبربرية ، ومن مظاهر تمسكه بالاسلام ووفائه للجامعة الاسلامية ان كتب على دنانير مملكته (لا اله الا الله محمد رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب فى دائرة الدينار (ومن يبتغ غـير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وكتب على الصفحة الاخرى مـن الدينار) الامير عبد الله امير المؤمنين العباسي) (ومن ابرز صفاته العالية عزوفه عن الدنيا مع تراميها تحت قدميه فقد حدث ان جمعت الغنائم بعد معركة (زلاقة) التى طحن فيها جيوش الاذفونش الصليبية باسبانيا فلما جمعها الجند بين يديه عف عنها ولم يأخذ منها فلسا واحدا بل تركها لعرب الاندلس بعد ان افهمهم انه لم يأت للسلب والنهب وانما جاء للجهاد فى سبيل الله فاكبره اهل الاندلس واحبوه فبايعه ملوكها (وكانوا ثلاثة عشر ملكا) وهؤلاء الملوك هم ملوك الطوائف الذين قضت على وحدتهم الاسلامية (نعراتهم القومية) مما اضطرهم امام تفرقهم وخطر الصليبية الزاحف من فرنسا عليهم الى الاستنجاد بهذا الملك البربرى المسلم الذى حضر ساعة الصفر فانقذهم بكفاحه واظلهم برماحه .... كان مولد هذا الملك العظيم (بصحراء المغرب) سنة ٤١٠ هـ ووفاته كانت بمدينة مراكش سنة ٥٥٥ هـ رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .

اعرف
وطنك

ظهرت فى هذه المعارك بطولات الاسلام الاولى وقتل فيها كثير من ضباط الاستعمار وجنوده واستشهد فيها عدد غير قليل من مجاهدى وابناء البلاد .

ولولا تفرق البلاد الى سبع امارات متخاذلة لما استطاع الاستعمار ان يقهر هذه البلاد الاسلامية ابدا .. وحين انتهت مقاومة الموريتانيين نهائيا عام ١٩٣٤ هـ احتلت اسبانيا منطقة (ايفنى) المراكشية واصدرت قرارا بضمها لبلادها وما زال الامر كذلك حتى اليوم .

ومنذ ان استتب الامر للمستعمرين عملوا قصارى جهودهم لمحاربة الاسلام والعربية بعد ان هالهم وادهشهم انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ، فالاسلام دين الفطرة ، يدعوا الى المساواة ، فلا فرق بين الابيض والاسود ، وقد خطط المستعمرون لمحاربة الاسلام مناهج عديدة منها

١ ــ محاولة الفرنسيين فى بداية الامر التفريق بين المسلمين من بيض وزنوج . ولكنهم فشلوا حيث ان الاسلام لا يعبأ بالالوان والاجناس .

٢ ــ الغاء اللغة العربية واستبدالها بلغة المستعمر الدخيل .

٣ ــ محاولة نشر المخدرات والمسكرات وذلك لافساد الشباب وصرفهم عن قضايا دينهم .

٤ ــ الدعوة الى السفور والاختلاط وذلك لبث الفساد واشغال الناس بقضايا الجنس لتقتل فيهم الرجولة ــ والفضيلة .

ثم ما كان من فرنسا ان الحقت البلاد بالسنغال واصبحت عاصمتها فى سان لويس . ولكن فى عام ١٩٥٧ م اضطرت فرنسا امام تصميم الشعب الموريتاني الى اعطاء البلاد حكما شبه مستقل وتألفت اول حكومة برئاسة مختار بن داده وانتقلت العاصمة الى نواكشوط .

وفى عام ١٩٥٨ منحت فرنسا موريتانيا استقلالها ضمن الاطار الفرنسى وتشكلت بذلك الحكومة الاسلامية الموريتانية .

ثم فى عام ١٩٦٠ حصلت موريتانيا على الاستقلال التام وذلك فى ٢٦ تشرين الثانى ودخلت هيئة الامم المتحدة .

وأخيرا ....

فهذه موريتانيا الدولة المسلمة العربية التي أخرجت فطاحل العلماء والدعاة المسلمين والتي كانت فى فترة ما حامية لكل المغرب العربي من هجمات الصليبيين ، وأهلها كما وصفهم المؤرخ بن حوقل فى القرن الرابع الهجرى بقوله (وهم اهل بأس ومعجزة ، مفطورون على الفروسية ويسرعون فى اختراط السيف وخوض غمار الحرب) .

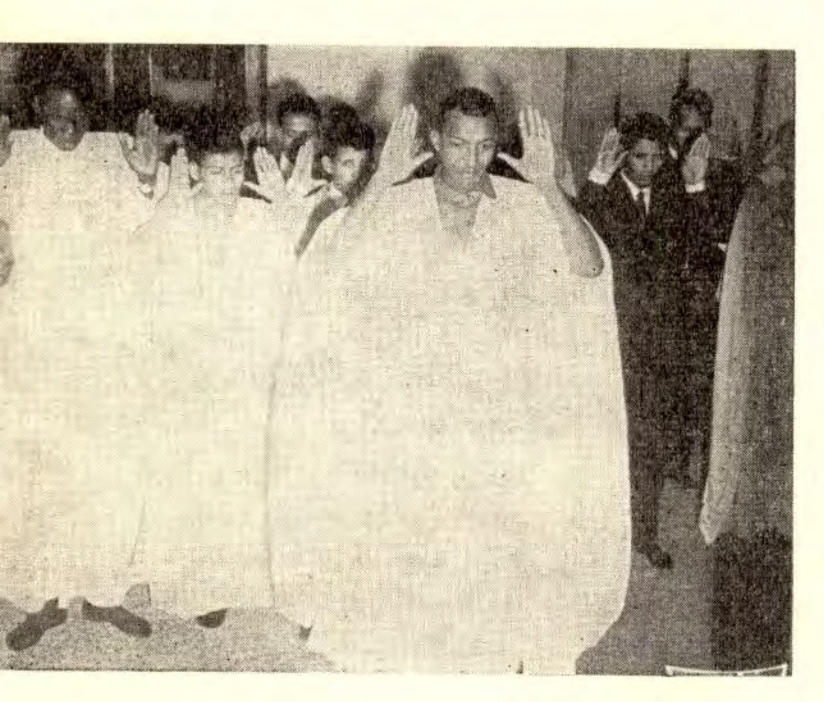
ان موريتانيا تدعونا اليوم ان لا ندعها وحدها تخطط لنفسها بعيدة عن اخواتها الدول العربية والاسلامية الاخرى ، لأن المعارك الضارية التي تخوضها الأمة الاسلامية ضد قوى البغي والعدوان تستلزم تضافر جهود وتوحيد القوى وتوجيه الطاقات لضرب خصوم الاسلام المتربصين بنا الدوائر والذين لا يريدون للأمة الاسلامية ان تعيش فى ظل الاسلام وتحت راية القرآن (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) .



مجموعة من طلبة موريتانيا الذين يتلقون تعليمهم فى مدارس الكويت وهم موزعون على الكلية الصناعية ومعهد المعلمين والمعهد الديني ..



فريق من الطلبة الموريتانيين فى قاعة الاستراحة بمساكن وزارة التربيـــة الكويتيـــة .



يظهر فى الصورة بعض من طلبـــة جمهورية موريتانيا الاسلامية العربية وهـم يؤدون الصـلاة ، ونلاحـظ فى الصورة الزى الوطني التقليدى .

الفتاوى

التجارة فى الحج

السؤال : ـ

بعث الينا السيد جعفر اسماعيل من البحرين بالسؤال الآتي : ـ
أنا احترف التجــارة ، وقد تعودت السفر الى مكة المكرمة فى موسم الحج بقصد التجارة وأداء مناســك الحــج ، ومضى عــلى اكثر من عشريــن ســنة وأنا على هذا الحال ، فهل يكتب لي ثواب الحج فى كل مرة من هذه المرات مع العلم بأني فى غنى ويسر عن الكسب فى المواسم ؟

الاجابة : ـ

كان بعض التجار المسلمين ـ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلقون حوانيتهم ، ويتركون الاشتغال بتجارتهم فى موسم الحج ، ويتفرغون لأداء المناسك ظنا منهم ان التكسب بالتجارة يتنافى مع اداء هذه الشعيرة ، وقد لجأ كثير منهم الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يستفتيه فى هذا الشأن ، فنزل الوحي يعلمهــم ان الاعمــال بالنيات وأن مدار الثواب والجزاء هو الاخلاص ، وانه لا مانع من التكسب فى الحج بأى وسيلة من الوسائل المشروعة ـ تجارة كانت او غيرها ما دام الانســان قد أخلص نيته لله تعالى ، وابتغى بحجــه ثــواب اللــه ورضاه كما علمهم القــرآن الكريــم ان السعي على الرزق عبادة أيضا لأنه طلب لفضل الله والتماس لرزقه .

روى البخارى عن ابــن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فتأثمــوا ان يتجروا فى الموسم (امتنع المسلمون عن التجارة فى ايام الحج مخافة ان يحبط ذلك ثواب عبادتهم او يقلل مثوبتهــم) فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت الآية « ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم » .

فأباحت الآية الكريمة لهم ذلك مــع وجوب تجنب الجدال والرفث والفسوق قال تعالى « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

الرشوة حرام

السؤال : ـ

انا شاب مسلم وأبواى شيخان كبيران ولي زوجة وثلاثة اولاد ، ولا عائل لهــم سواى ولا نملك شيئا من حطام الدنيــا وقد حفيت قدماى فى البحث عن عمل فلم اجد ، وأخيرا وجدت من يتوســط فى الحــاقي باحدى الشركات ولكنـــه اشترط علي دفع مبلغ من المال ليشتري به هدية يقدمها الى مسئول فى الشركــة بيده الأمر والنهي ، فهل يجوز لي شرعا ان اقترض هذا المبلغ ، وأقدمه لطالبه كي احصل على عمل ؟

س.ع (طرابلس لبنان)

الاجابة : ـ

الرشوة السافرة والمقنعة محرمة فى الاسلام ، حرام على المسلم ان يدفعها ، وحرام عليه ان يقبلها ، وحرام عليه ان يكون وسيطا فيها بين المعطي والآخذ . هذا فضلا عن ان كل الأديان السماوية والقوانين الوضــعية تمنعها منعــا باتا وتعاقب كل من تثبت عليه ، فهي جريمة

منكرة تنشر الفساد ، وتشيع الظلم والفوضى فى المجتمع ، ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من يتصل بها بسبب من الاسباب فقد روى الامام احمد والحاكم عن ثوبان قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش . وهذا هو الوسيط فى عملية الرشوة .

وخير لك ان تمتنع عن السير فى هذا الطريق الشائك ، وأن تأخذ نفسك بالصبر وتسلك طريقا أخرى حتى يجعل الله لك من امرك يسرا . ان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا . وعليك بتقوى الله فانها السبيل الأقوم لتفريج الكروب قال سبحانه « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

فان ضاقت فى وجهك السبل ، واستنفدت جميع الوسائل المشروعة ، وقدمت هذه الرشوة المقنعة فلا اثم عليك ، والاثم على الآخذ ، بشرط الا يؤدى ذلك الى اخذ حقغيرك او تقديمك على من هو أكفأ منك .

وخير ما نذكر به هؤلاء الذين ولاهم الله امور الناس فخربت ذممهم وفسدت ضمائرهم ـ قول الله عز وجل « ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

الطلاق المعلق

السؤال : ـ

نشب نزاع بيني وبين زوجتي تدخلت فيه اختها ، فأثارني هذا التدخل فقلت لزوجتي علي الطلاق بالثلاثة لا تحكي مع اختك . فما حكم الشرع فىهذا اليمين .

احمد سيد محمود

الكويت ـ نقرة الطوارىء

الاجابة : ـ

هذا اليمين من قبيل الطلاق المعلق ، والطلاق المعلق نوعان :

نوع قصد فيه الزوج ربط الطلاق بحادثة معينة ، لو وقعت يقع الطلاق ، كأن يعلق الزوج الطلاق على سفر زوجته مثلا او التكلم مع اختها كما فى هذا السؤال . والنوع الثاني . لا يقصد به ربط الطلاق بحادثة معينة ، بل قصد به الحمل على فعل شيء معين كمنع الزوجة من السفر او منعها من التكلم مع اختها .

ويرى جمهور الفقهاء وقوع الطلاق فى النوعين عند وقوع المعلق عليه ، وهناك رأى للامام علي كرم الله وجهه وشريح وعطاء والحكم بن عتبة وداود الظاهرى وابن حزم بعدم وقوع الطلاق فى النوع الثاني وهو الذى قصد به الحمل او المنع من فعل الشيء ولم يكن قصد الزوج فيه الطلاق عند وقوع المحلوف عليه ، وبهذا الرأى افتى كثير من العلماء فى الايام الاخيرة تيسيرا على المسلمين ومحافظة على كيان الأسرة .

وأما الطلاق الثلاث فيرى جمهور الائمة انه يقع ثلاثا ، وبعض العلماء يرى ان الطلاق بلفظ الثلاث او بثلاث تطليقات متتابعات فى مجلس واحد يقعطلقةواحدة استنادا الى ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : كان الطلاق على عهد رسولالله وابيبكر وسنتين من خلافة عمر ـ طلاق الثلاث يقع واحدة ، فقال عمر بن الخطاب ان الناس قد استعجلوا أمرا لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه ، فجعل الطلاق ثلاثا بلفظ واحد يقع ثلاثا .

وانا ننصح السائل وأمثاله بالا يلجأ الى الحلف بالطلاق فى مثل هذه الامور التافهة فان هذا لعب بدين الله واستخفاف برابطة الزوجية وعقدها ، وقد سماها الله سبحانه ميثاقا غليظا ، وما لمثل هذه الأسباب شرع الطلاق .

ونفتيه بأنه اذا كان قصد بيمينه هذا تطليق زوجته عند تكليمها مع اختها فانه يكون طلاقا واحدا وله مراجعتها فى عدتها اذا كان هذا الطلاق هو الأول او الثاني .

بقلم الأستاذ لطفي ملحس
المدرس بالكلية العلمية الاسلامية فى عمان ـ الاردن



ياشباب الاسلام ان الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب يحول النار نورا ، والشياطين ملائكة ، والقساة رحماء ...

كان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش ، فاتكا لا تؤمن بوائقه ، غضوبا للتوافه ، لم يعرف بحلم ساعة ، فان استعصى عليه مطلب اقتنصه بحد السيف مجابها ، او غادرا ، او خائنا . فلما كرم الله الانسانية بالرسول الأعظم مبشرا ونذيرا اندفع (عمير بن وهب) ينكل بالمؤمنين ، فلقوا منه اشد الايذاء وكذلك من ابنه (وهب) الذى وقع أسيرا فى غزوة بدر ، اما الاب فقد افلت من القتل والأسر .. ومضت أيام وأيام على يوم بدر ، وعظماء قريش منكسة رؤوسهم مما لحقهم من الخزي ، والعار ، ومن هول ما فقدوا من ابطالهم ورجالاتهم .

وفى صبيحة يوم تلاقى عمير بن وهب مع صفوان بن امية ، فأخذا يتشاكيان ، ويتحرقان من شدة ما لحق قومهما من الانكسار على يد رجال محمد بن عبد الله ، وقد



ترك صفوان أباه (امية) قتيلا فى ساحات بدر ، واما الآخر ، وهو عمير فيكاد يتمزق الما على ابنه (وهب) المأسور لدى المسلمين . . وجرى بينهما حوار :

عمير (وقد بدت على وجهه علائم الاستخفاف بصفوان) : قل لي يا صفوان ، أراك تبرق وترعد ، وتزمجر وتهدد ، فما الذى انت فاعله بعد ان رأيت فيك الرعب ، يأكل كبدك ، مذ لاقيت ابن عبد الله ، وبعد أن خلفت عند جماعته من بقى لنا من الاعلام الصناديد ؟!..

صفوان : والله ما فى العيش بعدهم خير يا عمير ، ولست ارى بعدهم الا هما ملفوفا بهم ، وحياة مجللة بالعار ، وقوما يرسفون فى الذل عند اعدائنا الاشرار ، ولست اعلم بعد ، اى مخلص ينجينا مما لحقنا ، ومما نحن فيه من آلام .

عمير (وقد لمعت عيناه بالشر) : اجل يا صفوان ان عارنا لا يمحوه الا ان نركب الشر ، ولو فى اوعر الدروب ، فنقتل محمدا ، او نقتل دونه ، ونخلص اسرانا العديدين ، ومن بينهم ابني وهب وحيدى ، وفلذة كبدى ..

صفوان : انت لها ، انت لها يا أبا وهب ، انه لا ينقذنا مما نحن فيه سواك ، انك لتغسل عن قومك عار الأبد ، وترفع رؤوسا قد نكسها الذل والكمد ، وتقيم اعوادا قد احناها الهوان ، وترغم الدنيا على التحدث باسمك فى كل مكان . فهيا ايها البطل المغوار ! ..

عمير (وقد اربد وجهه) : وديوني وعيالي يا صفوان ؟

صفوان (مطمئنا عمير) : علي ديونك اقضيها عنك ، واما عيالك فليكونوا بمنزلة عيالي ، لا يسعني شيء وأعجز عنهم .

عمير : احقا ما تقول) ؟

صفوان : نعم ، نعم ،

عمير : اذن اكتم شأني وشأنك ..

الى المدينة

ومضى عمير لتوه فشحذ سيفه وسممه وانطلق الى المدينة يقصد قتل الرسول ، وهناك فى مسجد الرسول فى المدينة كان نفر من المسلمين يتحدثون الى عمر بن الخطاب عما شاهدوه فى يوم بدر من شجاعة المسلمين ، وجبن المشركين ، وقد اخذوا يسردون اسماء اشخاص من كلا الفريقين ، كل بما قام به من افاعيل ، وقد اخذ الفتى (معاذ بن الجموح) يحدث عما شاهده بنفسه والله يا ابا حفص ، لقد كنت اعمد الى الرجل بسيفي اضربه ، فاذا برأسه تطير قبل ان يمسها السيف ، ولا يكاد يقترب مني آخر الا وكأنه هو نفسه يقدم عنقه للقتل ، فأيقنت انها ارادة الله ، وان الله لا بد ناصر جنده وبالغ امره .

فقال عمر نعم ، انه ليوم من أيام الله ، واني اعتقد ان له ما بعده ، (وبينما القوم على احاديثهم (البدرية) هذه استلفت انظارهم رجل متوشح سيفه ، وقد ظهر الغدر والشر على وجهه ، فاناخ بعيره على باب المسجد ، وسرعان ما عرفه بطل المسلمين عمر أبن الخطاب (أبو حفص) فقال لجماعته خذوا حذركم . هذا والله هو (عمير بن وهب) ما جاء الا لشر ، فاقطعوا عليه الطريق .. حتى ادخل الى رسول الله فاعلمه بمجيئه ، فان اذن له بالدخول ، فعليكم ان تحيطوا به ، وتجلسوا عنده ، لانه شيطان رجيم .

عند الرسول الكريم

ودخل عمر الى الرسول ، وحدثه بمجيء الرجل ، فقال النبي (ادخله علي) . فخرج عمر اليه ، فاخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، فلببه بها ، ثم قاده الى حيث يجلس الرسول .

فقال عمير : عموا صباحا .

فقال الرسول : لقد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، فالسلام تحية اهل الجنة . ثم قال النبي : وما مجيئك ياعمير ؟

قال عمير : جئت من اجل ابني (وهب) اسيركم .

قال النبي : وما هذا السيف فى عنقك ؟

قال عمير : قبحها الله من سيوف ، وهل اغنت عنا يوم بدر شيئا ؟

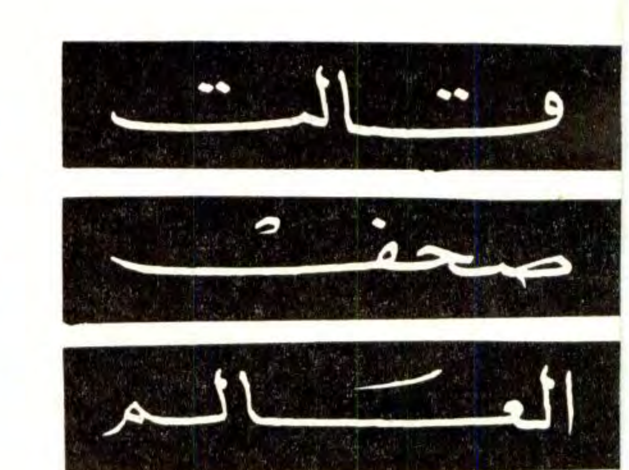
قال النبي : اصدقني ما الذى جئت له ؟ .. فسكت عمير .. وتحدث النبي ، فقال : (اسمع ياعمير انك قعدت انت وصفوان بن امية فى الحجر) فذكرتما اصحاب القليب (بئر بدر) من قريش ، وبعد أن تحدثتما حول العار الذى لحق بقومكما ، تعهد لك صفوان بتسديد ديونك ، واعالة اهلك على ان تجيء جيئتك هذه لقتلي . فثق يا عمير ان الله حائل بينك وبين ما تريد .

اسلام ...

بهت عمير ، وبعد صمت طويل ، قال : الله .. اشهد انك رسول الله ، فوالله ان ما ذكرته لم يحضره احد غيري وغير صفوان .. وانه لم يخبرك به احد غير الله .. فالحمد لله الذى هداني للاسلام ، واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .. ثم وقع مغشيا عليه ..

ولما افاق قال النبي لاصحابه : فقهوا اخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، واطلقوا له اسيره ومنذ هذه الساعة تحول عمير الفاتك الجبار ، والشيطان الرجيم الى ملاك رحيم ، قد انقلب الى شعلة من الايمان الحي الصادق ، وقد ذكر عن نفسه فقال (اني قدمت المدينة ، وأنا عازم على قتل محمد، ولو حال بيني وبين ذلك أهل الارض قاطبة ، وبقيت على هذا العزم ، فما ان وصلت المدينة حتى القى فى روعي أن السماء توشك ان تنقض على الأرض ، وخيل الي ان بعيري يسخر مني ، وان الأرض قد كرهت أن تحملني . وتبدى لي مسجد الرسول اسيافا متلاصقة ، وخلت كل ذرة من الهواء قد غدت سيفا مشدودا لمحاربتي . وما ان لببني عمر حتى خلتني بين صخرتين عظيمتين تضغطان عظامي . ولما دخلت على الرسول وجدت من حوله رجالا قد شدت ابصارهم الي ، وأن لهما لبريقا يصرع الشجعان غيري ولكنني لم احفل بهم . وحادثت الرسول .. وقد كان القوم كلما نطق الرسول ، خشعت ابصارهم ، فأريد اغتنام الفرصة ، فاذا بيني وبين الرسول حائل ، واقسم لقد كنت كلما تحسست مقبض سيفي وجدت حول المقبض عشرات من الايدى كالحديد احسها ، ولكن لا ارى اصحابها ، وكلما هممت بذلك رأيت اسيافا وحرابا تسد الفضاء بيني وبين الرسول ــ وتبدى لي الرسول بعيدا . فايقنت ان الله حائل بيني وبينه ، كما قال لي ذلك محمد نفسه .. فلما كذبت على الرسول وما اراني الا كارها للكذب ، ولكنها الحرب خدعة ، واجهني بما كان بيني وبين صفوان فأيقنت ان الأمر جد لا هزل فيه ، فارتج علي وعرضت على عقلي ما انا فيه ، واختبرت نفسي ، وخبرت ما لدى من شواهد ، على صدق محمد فلم اتمالك ان قلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . واضحى قلبي معلقا بمحمد ، وما من احد من خلق الله احب الى قلبي منه .

البقية على ص ٨٩



الإسلام تجاه تحديات الحياة العصرية

ثم لم يحملوها

الاسلام تجاه تحديات الحياة العصرية

نشرت مجلة الحوادث اللبنانية تحت هذا العنوان : مقالا مستفيضا نقتطف منه ما يلي :

نعتقد ان مسؤولية مسلمي لبنان مسؤولية بالغة . ان الذى يغلب علينا بتأثير الوضع الطائفي الذى نعيشه فى لبنان ، هو التحدث عن الحقوق الطائفية .

وحقوق المسلمين لا تختلف فى شيء ، ولا يجب ان تختلف فى شيء عن حقوق وواجبات جميع طوائف اللبنانيين .

ولكن الأهم والأعمق من الحديث عن حقوق الطوائف فى لبنان اذا شئنا كمسلمين ان نرتفع للمستوى الالهي الانساني للرسالة الاسلامية هو أن نتحدث عن المسؤولية الاسلامية فى لبنان والمسؤولية الاسلامية فى لبنان هي قبل كل شيء مسؤولية بناء لبنان بكامله بناء جديدا . ومسؤولية صنع المجتمع اللبناني بكامله ، صنعا جديدا .

فهذه المسؤولية ، هي فريضة العقيدة علينا ، بقدر ما هي فريضة المواطنية ، وهي فرض عين لا فرض كفاية . اى ان على كل منا ايا كان ، أن يؤدى واجبه فى تحمل المسؤولية عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) . وهذا الوعي العميق ، والمتجدد لمسؤوليتنا كبشر ، وكعرب ، وكمواطنين لبنانيين هو الوعي المطلوب منا بصورة خاصة تجاه تحديات الحياة العصرية لنا فى لبنان وفى العالم العربى ، وفى العالم كله ، فنتجه فى فعاليتنا الفكرية ، والعملية اتجاهين متكاملين : الاتجاه الأول ، هو نحو المشاركة مع سائر المواطنين اللبنانين فى تحضير لبنان وتنظيمه تنظيما حديثا ، تتبلور فيه الحرية والعدالة معا ، ونتجه فى نفس الوقت نحو تحضير وتنظيم مؤسساتنا الاسلامية الخاصة بمختلف فروعها ورفعها الى مستوى العصر الذى نعيش فيه ، والى مستوى الروح الاسلامية الحق . فلا يكفي بعد اليوم أن تكون لنا مؤسسة تربوية ، كالمقاصد نعتز بها ونفخر بما ندين به لها ، ولكن هذه المؤسسة لا تحقق اليوم غاية وجودها الا اذا كانت طليعة من طلائع التقدم التربوى لا فى لبنان ، او فى العالم العربي فحسب ، بل فى العالم كله .

ولا يكفي ان تكون لنا مساجد ، وان يكون لنا ائمة ووعاظ فى هذه المساجد ، ولكن يجب ان يكون لهؤلاء الوعاظ من الثقافة الدينية والعصرية ومن السمو الخلقي والتشوق الروحي ، ما يجعل مواعظهم ذات معنى لا للجيل الاسلامي الجديد فحسب ، بل ذات معنى ومغزى وتأثير بالنسبة للجيل الانساني الجديد كله .

لماذا نتخلى عن روحانيتنا

المساواة الروحية

ثم لم يحملوها

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

ان الطريق طويلة وشاقة ، والتحالف الطبيعي الذى نراه دائما بين الصهيونية والاستعمار ، حيث يسير الركب الآثم ، وتنطلق المخططات الرهيبة الماكرة ، هو الذى كنا نراه فى صدر تاريخنا بين اليهود الوثنيين والمنافقين ، وليس لهذه العقدة الصماء اليوم الا السلاح الذى سحقها بالأمس ، وعبثا يحاول اعداؤنا ان يجعلونا بحربهم النفسية على صعيد ننكر فيه ذاتنا ، ونتخلى عن مقومات وجودنا ، فالأمر أبعد مما يتصورون ، والاحداث الكبيرة التي يترنح تحت مطارقها صلد الصخور لا تزيد المؤمن الا صمودا ورسوخا بما هو فيه ، وصدق انطلاق الى الغاية التي تناديه من اعماقه « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

لقد وقفت أمتنا فى الماضي سبعين عاما تقارع اولئك الذين غزوا بلادنا تحت شعار الصليبية ، ثم كان لنا ما كان من النصر والتمكين ، لقد ثارت ريح المعارك من اول الطريق .. من اول يوم وطئت هذه الأرض أقدام الغزاة ، ثارت ريحها على كل شبر من ارضنا ، وفوق كل رابية من روابينا ، وفى البحر وعلى كل ساحل ، واشترك فيها تحت راية الاسلام كل قلب وكل عقل وكل ساعد ، وتعطر الثرى بالدماء ، وتوالت قوافل الشهداء ، ولم يهن المناضلون ... وارتحل الدخيل .

هذا وبعد الذى ذكرت ، اننا حين نقف على مستوى الوقائع وما تمليه طبائع الأشياء ، نستطيع ان ندرك الأبعاد التي يعطيها قول الله تبارك وتعالى « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

هذا جانب من حديثنا مع الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها .. فهل تظل امتنا على خط البناء .... تحمل القرآن وتتابع الطريق ؟) .

لماذا نتخلى عن روحانيتنا

وكتبت صحيفة الحياة البيروتية تحت هذا العنوان تقول :

زار بيروت الفيلسوف الاميركي بيتر فيريك . وألقى محاضرة فى نادى الخريجين ، طرق فيها موضوعا حساسا وخطيرا ، من زاوية فلسفية .

قال فيريك ان الثورة الادبية التي نشهدها الآن فى الاتحاد السوفييتي ضد التزمت الحزبي والفكرى والمادى ، ليست ثورة عقائدية أو سياسية ، بل هي شبيهة بما يجرى تماما فى الولايات المتحدة . فالدولتان قد بلغتا العظمة عن طريق التقدم الآلي . فأصبحت الحياة فى كل منهما منظمة تنظيم الآلة . تحت رحمة المادة الصماء والخبراء الفنيين ، وفقدت الحياة انطلاقها الانساني الحر ، فجاء الجيل الجديد فى روسيا وأميركا يثور الآن على صنمية الآلة والخبراء .

وأضاف الفيلسوف مخاطبا العرب « أنتم فى العالم الثالث ، لم تحرركم التكنولوجيا بعد كما حررت اميركا وروسيا ، حتى تشعروا بالحاجة الى ردة من المادة الى الرومانطيقية ! » .

اقف عند هذه العبارة من محاضرة الفيلسوف الشاعر « فيريك » لاتساءل اذا كانت المادة ستضطرنا للعودة الى الروح ، فلماذا نتخلى عن روحنا ، ومن شرقنا نبعت جميع الروحانيات التي انارت ضمائر البشر ، انطفىء نورنا بأنفسنا ، ونعيش فى الظلمة ، لنعود بعد ذلك نفتش عن قبس ؟ .

ليسمع من في آذانهم وقر ، وفي عقولهم فراغ ! .

المساواة الروحية

ومن مقال « العدالة الاجتماعية الذى نشرته مجلة رابطة العالم الاسلامي نقتطف الكلمة التالية » : ـ

المساواة فى الاسلام لا تعني بالجانب المادى الضيق وحده ، بل تمتد الى نفوس المسلمين ، وتحررها من كافة صنوف العبودية وترفع معنوياتها ، وتصقل مشاعرها حتى يحس المسلم انه اخو المسلم لا يرهبه ولا يخشى الا الله . وهذا النوع من المساواة النفسية التى أغفلها الغرب هي فى نظرى مفتاح النجاح الذى أحرزه مبدأ المساواة عندما طبق فى المجتمع الاسلامي . فنقطة البداية عندنا ايماننا المطلق برب واحد هو وحده يميت ويحيى ويملك كل أمرنا ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ، وليس بيننا وبينه وسيط او شفيع ، والكل له عبيد مهما علت مراتبهم او انخفضت مواهبهم . وقد حرص القرآن على تصوير هذه العبودية المطلقة فابرزها حتى بالنسبة للانبياء (قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا) (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لاذقناك ضعف الحياة وضعف المماات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) .

وعندما يؤمن المسلمون بهذه المعاني الاساسية فى العقيدة الاسلامية يحس كل فرد مسلم باتصال شخصه الضعيف الفاني بقوة الاله القادر الرحيم اتصالا مباشرا لا وساطة فيه ، فيستمد من ذلك شجاعة وعزة تشعره بتساويه مع جميع افراد المجتمع امام الله سبحانه وتعالى ، وقد حرص الاسلام على تقرير هذه الصلة المباشرة بين العبد الضعيف والرب الرحيم حرصا ردده القرآن فى اكثر من موضع (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) (واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

وعندما يتحرر المسلم من خوف الفقر الا الى الله الرزاق ، وعندما يتحرر من عبودية المنصب فيؤمن بأن الله هو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وعندما تسمو روحه عن الخوف على الحياة لأن الله وحده يحيى ويميت ، عندئذ يجتاز المجتمع الاسلامي العقبة الاولى نحو المساواة الحقة ، وعندئذ فقط تعطى التشريعات الاسلامية مفعولها الاكيد لخلق الامة التي وصفها القرآن بأنها خير امة اخرجت للناس .

الى مكة ...

وغادرت المدينة وكل قطرة من دمي قد وهبتها لرب محمد ، ولفداء محمد ، ودين محمد .. فلما رآه صفوان وكان ينتظر قدومه بذاهب الصبر تلقاه قائلا : مرحبا بالحبيب ، مرحبا بأبي الابطال وفخر الرجال ، ثم مد ذراعيه ليحتضنه ، ولكن عميرا راح يبتسم فى سخرية واضحة ، ثم يقول ويده تجرد السيف من غمده يا صفوان بن امية .. لقد علمت قريش ان محمدا بن عبد الله من أشرفها بيتا ، واصدقها حديثا ، واعرقها بالأمانة .. الم تستبشر قريش بمولده يوم ولد ؟ الم تحكمه فى امورها شابا ورجلا ؟ الم تلقبه بالأمين وهو أعز القابها ؟ هل جربتم عليه كذبا ؟ هل عرفتموه بخيانة ؟

يا قوم ، لقد آمنت بالله ورسوله ، وشهدت واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . والذى شرف محمدا بالرسالة العظمى لادعون الى الله فى اجوافكم ، ولأملأنها عليكم حربا ، او تؤمنوا بالله ورسوله ، وهذا سيفي ، فمن شاء ان تثكله امه فليلقني بما اكره .. قال هذا ، ومضى الى بيته ..

اما صفوان ، فقد زاغت منه العينان ، وخارت قواه ، وفغر فاه ، وبقي جامدا لا يدرى ما يقول .. وبعد أن عاد اليه صوابه سار واصحابه الى البيت الحرام ذاهلين من اقوال هذا الذى كانوا يعقدون عليه الرجاء فى قتل محمد واصحابه الاعداء .. وكان عمير قد سبقهم الى البيت الحرام وهو متقلد سيفه .

يدعو الى الاسلام

وفى البيت الحرام اخذ ـ وهو كالأسد الهائج ـ يتلو ما حفظه من الآيات ، فقرأ ما يأتي (ق . والقرآن المجيد . بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم . فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج ، أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ..

اعرض عنه من اعرض ، واستمع اليه من استمع . فدخل كثير من المشركين فى دين الله على يد عمير بن وهب الذى جاهد فى سبيله حق الجهاد بعد ان حارب بضراوة ضد الاسلام .

انه عمير الذى ذاق حلاوة الايمان بعد ان رفع راية الشرك والعصيان .. عمير (ابو وهب) الذى وصفه المسلمون ايام الشرك بالشيطان الرجيم ، قد انقلب وهو المسلم المؤمن حقا ، الى ملاك رحيم .

فرضي الله عن عمير بن وهب مجاهدا عظيما وبطلا فذا فى الأبطال الخالدين ...



حول تعدد الزوجات

كتب الاستاذ حلمى محمد قاعود من الجمهورية العربية المتحدة تعقيبا على ما نشر فى هذا الباب من العدد التاسع تحت هذا العنوان يقول :

للباحثين الاسلاميين اساليب مختلفة فى اخراج افكارهم وطرحها على صفحات الكتب أو الجرائد أو التكلم بها شفهيا .. فبعضهم يميل الى البساطة بحيث يقرأ أفكاره كل مثقف عادى ، وبعضهم يجنح الى العمق والدخول الى الجوهر مع الاحتياج لكل كلمة وكل حرف يذكره فى كلامه .

تماما مثل الثوب القطنى .. والثوب الصوفى .. فان نسيج الاول يختلف عن الثاني .. كما ان مادته تختلف عن مادة الآخر ، ولاختبار النسيجين طرق خاصة يجب ان يلم بها من يريد شراء الثياب والا لوقع فيما لا يرغب ..

وهذا بالضبط ما حدث حين فهم الاخ مصطفى مدنى محمود من جمهوريتنا ، قول العقاد فى تعدد الزوجات (العدد ٩ من مجلة الوعى الاسلامى ــ البريد) .

فهو يذكر ما يفيد ان رأى العقاد لا يسير مع المنطق والعقل وقد ايدته الوعى فى ذلك ــ والحق ان الاستاذ العقاد رحمه الله عرف عنه انه ذو منهج تحليلي فى البحث يقوم على المنطق والموضوعية ، كذلك عرف عن اسلوبه .. انه اسلوب دقيق ، لكل كلمة فيه وزنها وقيمتها .. وبين يدى كتاب العقاد (حقائق الاسلام واباطيل خصومه) .. وقد قرأت الفصل الذى تناول فيه هذا الموضوع وهو بعنوان « الاسرة » فلم اجد سوى دفاع العقاد عن « اباحة تعدد الزوجات » ولم تؤثر فيه حملة الغربيين على اباحة التعدد .. وقد استشهد على وجود التعدد بدلائل كثيرة لدى الديانات السماوية والوضعية ، وهو مع ذلك يقول ما تقوله « الوعى » فيه ، يقول العقاد : وينبغى ان ننبه

الى وهم غالب بين الجهلاء والمتعجلين من المثقفين ، عن سنن الاسلام فى تعدد الازواج قبل الاسلام .. اذ الغالب على أوهامهم ان الاسلام هو الدين الوحيد الذى اباح تعدد الزوجات او انه اول من اباحه بعد الموسوية والمسيحية » ص ١٧٧ من حقائق الاسلام .. ويمضي العقاد بعد ذلك فى بيان كيف كان التعدد مشروعا قبل الاسلام وفى الشرائع القديمـة ..

وعليه فان العقاد لم يكن من الذين أثرت عليهم حملة الغربيين فى اباحة التعدد .. بل هو الباحث الاصيل الذى يتكلم بصدق وموضوعية قلما نجدها عند باحث آخر ..

ويبدو ان الأخ مصطفى لم يمعن النظر فى الفقرة التي اوردها من كتاب العقاد ، .. فالمساواة بين العدلين اللذين وردا فى الآيتين الكريمتين لم يقل بها العقاد .. بل قال « وكذلك صنع الاسلام بعد اباحة تعدد الزوجات للضرورة القصوى فانه اشترط فيه العدل .. (الى هنا والكلام فيما اعتقد لا خطأ فيه) .. ونبه الرجال الى صعوبة العدل بين النساء مع الحرص عليه .. (وهناك فرق بين الصعوبة والاستحالة) »

اذا فان العقاد لم يسو بين العدلين !! وعلى ذلك فالصعوبة هنا تقترن بالميـل القلبي الذى قال به الشيخ عمر بن عبد الله .

ويقول العقاد فى موضع آخر من الكتاب نفسه ص ١٧٦ « ان الاسلام لم يمنع الاكتفاء بزوجة واحدة بل استحسنه وحض عليه ، ولم يوجب تعدد الزوجات بل انكره وحذر منه ولكنه شرع لأزواج يعيشون على الأرض ، ولم يشرع لأرواح تعيش فى السماء ، ولا مناص فى كل تشريع من النظر الى جميع العوارض ، والتقدير لجميع الاحتمالات ، وفى هذه الاحتمالات ــ ولا ريب ــ ما يجعل اباحة التعدد خيرا وأسلم من تحريمه بغير تفرقة بين ظروف المجتمع المختلفة أو بين الظروف المختلفة التي يدفع اليها الأزواج ... » .

ولعل بعد هذا يتبين لنا الصدق الاسلامي عند العقاد ، فهو من الذين لم تبهرهم الحضارة الغربية ، او اغرتهم بالانشقاق على حضارتهم الاسلامية العظيمة ، فقد وقف عند كل آرائهم وفلسفاتهم نظرة المدقق الباحث لا المستقبل السلبي ، وقد كان رحمه الله يفرد بابا خاصا فى مجلة الأزهر يدفع فيه عن الاسلام التهم والأباطيل التي تقال عنه ، ويثبت فيه كذلك كل نصر له وكل انتصار .. وصدر له كتاب بهذا الاسم تحت عنوان « ما يقال عن الاسلام » .

وهذه كلمة اقولها لوجه الحق ، واكتبها لمجلة صاعدة ، أود ان تفسح صدرها ، حتى تكون النتيجة مثمرة وشافية لكل المتسائلين والقارئين .. والله يهدينا الـى الصـواب .

الى الحق . . .

وتلقينا هذا النشيد من الاستاذ حسان المجذوب بالمدينة المنورة الى العصبة المؤمنة التي آلت على نفسها حمل لواء الاسلام .. في دياجير الظلام .. ولم تخدعها زيوف البراقع .. فهي مطمئنة للنصر نصر الشهادة .. او نصر المعركة ..

الى الحق هيا شباب الفدا — لنرفع رايات مجد ثوى
بظل الأمين رسول العلا — بظل السنا والتقى والهدى

***

لنا سالفات من السؤدد — سيوف من العز لم تغمد
سهرنا عليها ولم نرقد — لنهدم ما قد بناه العدى

***

سلام ونور على كل من — يريد الاخاء وعز الوطن
ونارتدك صروح الفتن — لنقذفها في جحيم الردى

***

ركبنا المخاطر في كل حين — صفعنا الطغاة من العالمين
فنحن الأماني لدنيا ودين — ونحن أسود الشرى والندى

***

سل المجد عنا وعن عدلنا — فانا الهداة حماة الأبا
ستشرق أوطاننا بالمنى — لنحيا جميعا بظل الهدى

حسان المجذوب
المدينة المنوره

هيكل المجدد وتاريخ الاسلام

وأرسل الينا الأستاذ محمود زايد بالجامعة الامريكية كلمة تحت هذا العنوان تناول فيها حياة الاستاذ الكبير المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل بالبحث والتحليل ، وتعرض لنشأته ، والمؤثرات فى حياته العلمية ، والأدبية والحوافز التي حولته الى الناحية الروحية الاسلامية ، وقد جاء فيها : « قال الدكتور هيكل » ، وقد حاولت أن انقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية ، وحياته الروحية لنتخذهما جميعا هدى ونبراسا . لكنني أدركت بعد لأى أنني أضع البذر فى غير منبته ، فاذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه ، ولا تبعث الحياة فيه .

فانقلب من ثم يلتمس فى تاريخ مصر البعيد ، فى عهد الفراعنة ، موئلا يستمد منه الثقافة المعنوية ، والحياة الروحية التي ينشدها . ولكنه وجد أن الركود العقلي قد قطع الصلة بين ذلك العهد الغابر وحاضر الأمة ، فقرر انه لا يصلح بذرا للنهضة الجديدة .

ولم يجد بعد هذا مفرا من التحول الى الاسلام ، وتاريخه ، وحضارته ، يلتمس فيه مقومات الحياة المعنوية ، وذلك لكي يخرج بأهله من الجمود الذى سيطر عليهم منذ قرون . وحفزه كذلك الى التحول الى الاسلام حملات الغرب وبعض المستشرقين والمبشرين على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى تاريخ الاسلام والمسلمين . وتبين ان هناك خطة ترمي الى القضاء على الروح المعنوية فى مختلف بلاد الشرق. فشعر بأن عليه واجب الذب عن قومه ، وترائهم بافساد تلك الخطة ، التي لا يصيب ضررها الاسلام والشرق فحسب ، بل والانسانية كلها . وهداه التفكير آخر الأمر الى دراسة صاحب الرسالة الاسلامية الرسول الأعظم ، الذى جمع شمل العرب ، وأقام صرح الأمة الاسلامية ، ووضع أسس نهضتهم الكبرى .

وكانت ثمرة جهده فى هذا السبيل كتاب « حياة محمد » صلى الله عليه وسلم ، وقد شجع كتابه هذا غيره من الكتاب على دراسة تاريخ الاسلام ، والاحتذاء بالمنهج الذى التزمه ، فقد شدد هيكل على ضرورة اتباع الطريقة العلمية فى الدراسة كما يفعل الغربيون . فواجب الباحث عنده « الا يثبت مسألة من المسائل ، وألا ينفيها قبل أن يصل من تمحيصه وبحثه الى الاقتناع الذاتي الصحيح بأنه اطمأن كل الطمأنينة ، الى الوقوف فيها على الحقيقة كاملة غير مشوبة بشائبة « فشأن المؤرخ عنده هو شأن العالم فى الأمور الطبيعية ، وفى غيرها من العلوم جميعا . وكأن هيكل كذلك من اوائل من نبهوا الكتاب الى أن القرآن الكريم هو أصدق مراجع السيرة ، وانه غني بالاشارات الى كل حادث فى حياته الشريفة ، وأنه لا بد من أن يمحص الكاتب على ضيائه ، ما ورد فى كتب السنة ، وما جاء فى مختلف كتب السيرة .

ولم يلبث هيكل ان أدرك ضرورة الاهتمام بالحجاز منزل الوحي ، وموطن الرسول الاعظم . وهاله انصراف الكتاب والأدباء والشعراء عن الديار المقدسة ، وقلة ما كتب عنها مما له قيمة علمية . ووجد أن ما كتبه العلماء الأجانب بعيدا عن تناول الظواهر الروحية التي تغير لها وجه التاريخ منذ أربعة عشر قرنا ، والتي ستظل عاملا خالد الأثر فى حياة العالم ما كان للقوة الروحية فى توجيه العالم أثر وسلطان .

على أنه عند ما وقف على ما كتب عن موطن الوحي ، شعر بأنه سيظل ينقصه الجوهر ، اذا لم يذهب الى بلاد النبي العربي بنفسه ، ويقف حيث وقف فى مختلف مراحل البعثة النبوية الشريفة . فتوجه الى الحجاز ، وأدى فريضة الحج .

وكانت ثمرة هذه الزيارة كتاب « فى منزل الوحي » الذى رسم فيه صاحبه صورا دقيقة لمعالم الحجاز غنية بوصف الآثار وأهميتها ، وما بعثت فى نفسه من مشاعر وأحاسيس .

واندفع هيكل بعد ذلك يتابع دراساته الاسلامية القيمة ، وأمد القراء العرب بترجماته المعروفة لأبي بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعا . وبهذا أرخ للفترة الاسلامية الأولى التي كان يرى أنها شهدت وضع القواعد الاسلامية الصحيحة ، كما شهدت ، وحدة المسلمين فى ظل الخلفاء الأول .

ولم تكن هذه الأبحاث العظيمة فى تاريخ الاسلام ورجالاته ـ على أهميتها ـ الا جانبا من نتاج هيكل . فقد ألف فى مواضيع أخرى سياسية ، وأدبية وفلسفية واجتماعية . وبقي وفيا لأبحاثه لا يضن عليها بوقت ولا بجهد ، حتى عندما تقدمت به السن ، وغلبت على جسده العلل . فصح فيه قول معاصر للطبرى المؤرخ :

ما زلت تكتب فى التاريخ مجتهدا حتى رأيتك فى التاريخ مكتوبا



انصح جارك

تقدم احد اصدقائي لخطبة ابنة جار من جيراني ، وقد جاءني هذا الجار يستشيرني ، ويسألني رأيي فى هذا الصديق ، ولما كنت أعلم عن صديقي الشيء الكثير من النقائص ، والمساوىء الخلقية بحكم اختلاطي به واطلاعي على الكثير من دخائله وافشائه لي اسراره ، فأنا فى حيرة من أمري ، وفى شدة الحرج الديني ، والدنيوى ، فواجب الصداقة يحتم علي أن أكتم ما أعلم من امره وان احفظ غيبته ، وحق الجار يتقاضاني ان اطلع جاري على كل ما أعلم ، أداء لحق الجوار ومنعا لحدوث كارثة أراها محققة الوقوع لو تمت المصاهرة بين الطرفين ، وأراني أميل الى أن أقف على الحياد تخلصا من هذا الحرج ، فلا أفضح صديقى ، ولا أنصح جارى ، بل أتجاهل واطلب منه ان يلجأ الى غيري بحجة ان معلوماتي غير كافية عن الخاطب ، وأن عليه أن يتحرى من طريق آخر ، غير أن قلبي لا يطمئن كل الاطمئنان الى هذا الحل الأخير .

ابعث بهذه المشكلة الى بريد الوعي رجاء ان تنيروا لي الطريق الذى أسلكه حتى ابرىء ذمتي وأرضي الله . .

ابو خالد
الكويت ـ خيطان

يا أبا خالد لقد وازنت فى رسالتك بين أمرين ، الاول حفظ غيبة الصديق باخفاء نقائصه ، والتستر على عيوبه ، والثانى اخلاص النصيحة لجارك باطلاعه على حقيقة صديقك ،والاشارة عليه بعدم انفاذ هذه الخطبة وقد رجحت فى رسالتك الأمر الثاني ، وهو أن واجبك ، يحتم عليك مصارحة جارك ، بكل ما تعلم منعا لكارثة محققة الوقوع ، لو تمت هذه الخطبة ، وبهذا تكون أنت قد أفتيت نفسك ، وأزلت الحرج الذى يعتلج فى صدرك ، ووضعت المصابيح على الطريق الذى تسلكه ، وتبرأ به ذمتك وترضي به اللـه .

والحل الوسط الذى عرضته فى رسالتك ، وهو وقوفك موقفا سلبيا ، وفرارك من ابداء النصيحة بالتزام الحياد ، واحالة جارك على غيرك . هذا الحل هو كما قلت لا يطمئن اليه كل الاطمئنان ، بل قد يكون سببا فى وقوع الكارثة التي تجزم بوقوعها ، لو تمت الخطبة ، فقد يلجأ جارك الى من يغشه ، ولا يخلص له النصح ، وهذا السلوك

نوع من كتمان الشهادة ، التي أمر الله باقامتها بالحق ، ولو على الوالدين والأقربين قال سبحانه ((ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه)) وقال ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين)) .

ولا بأس عليك ، ولا حرج فى الافضاء بعيوب صديقك الى جارك ، فهذا مما رخص الشرع فيه ، وأذن به الله ، بشرط ألا تتجاوز القدر اللازم للنصيحة ، وأن تقتصر على التصريح بالامور التى ترى أنها تمنع من المضي فى انفاذ الخطبة ، وبشرط الا يكون قصدك التشهير والانتقام ، فهناك فرق كبير بين الغيبة المحرمة والنصيحة الواجبة التي قال الرسول فيها ((الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله . قال : لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم)) .

وأنت يا أخي مستشار والمستشار مؤتمن ، ولن تبرأ ذمتك لا بالسلبية ولا بالكتمان .

وقد أباح الله للمظلوم ان يفضي بما يعرف من امور ظالمة ولم يعد هذا غيبة قال تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) .

ولكي يزداد قلبك اطمئنانا الى هذا الرأي ، أقص عليك ما روى من ان فاطمة بنت قيس ، أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم عن اثنين تقدما لخطبتها . فقال لها عن احدهما . انه لا مال له ، وقال عن الآخر انه لا يضع عصاه عن عاتقه .. يعني انه كثير الضرب للنساء .

التربية لا التبني

أنا رجل كبرت سني ، ووهنت عظامي ، ولم أرزق بذرية ، وقد لجأت الى كل الوسائل الطبية المشروعة دون جدوى ، وانفقت فى ذلك أموالا طائلة ، وتزوجت أكثر من زوجة ، ولكن هكذا أراد الله ، وأحس بحنين شديد الى صوت طفل ، يملأ علي البيت ، ويدخل علي السرور ، ويعوضني ما حرمت من الولد ، وكذلك تشعر زوجتي بهذا الحنين ، وتشاركني الرغبة ، وتلح علي فى أن احضر طفلا لقيطا من أحد المستشفيات ، تحتضنه وتربيه ، ونخصه بجزء من اموالنا . وقد طالعت فى مجلتكم الغراء أن التبني حرام فى الاسلام ، فهل يوجد لديكم حل لهذه المشكلة النفسية ، التي اعانيها أنا وزوجتي .

اسماعيل الحافظ

عمان

نبادر أولا الى أن نطمئن السيد اسماعيل الى أن مشكلته سهلة ميسورة الحل وأنه يمكن ان يحقق رغبته عن طريق التربية لا التبني ، والفرق بينهما كبير . فمعنى التبني الذى حرمه الاسلام ، ان يلحق الرجل بنسبه طفلا ، او طفلة ليس من صلبه ، ويثبت له كل ما يترتب على البنوة من آثار كالميراث ، وحرمة الزواج ، واباحة الاختلاط الى غير ذلك مما هو معروف . هذا هو الذى حرمه الله ، وقال فيه « وما جعل ادعياءكم ابناءكم » اما ان يضم الانسان اليه طفلا ، سواء أكان لقيطا ، أو يتيما ، أو غيرهما ، ويربيه ، ويحنو عليه ، ويطعمه ، ويكسوه ويعلمه فهذا أمر مشروع اباحه الاسلام ، بل رغب فيه ، ووعد فاعله الثواب الجزيل ، وما دمت يا سيدي لم تلحق هذا الولد بنسبك ، ولم تثبت له حقوق البنوة واحكامها فلا حرج عليك فى ان تؤوى الى بيتك من تشاء ، وتعامله هذه المعاملة الكريمة ، وبهذا تروى غلتك ، وتطفىء حنينك ، وحنين زوجتك الى الولد ، واذا أردت أن تمنح هذا الذى ربيته شيئا من مالك فى حياتك ، فلك ان تفعل ، ولا حرج ، واذا رغبت فى أن توصي له بجزء منه بعد وفاتك ، فلا بأس بشرط أن يكون فى حدود ثلث التركة .



الكويت

تفضل صاحب السمو أمير البلاد المعظم فأمر بشراء قطعتي الأرض اللتين تقام عليهما المدينتان السكنيتان فى مكة والمدينة للحجاج الكويتيين من ماله الخاص ، وقد بلغ ثمن هاتين القطعتين حوالي ثلاثمائة الف دينار كويتي .

وصرح معالي السيد عبد الله مشارى الروضان وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بأنه سيتم ايفاد عدد من المهندسين والمساحين الى المملكة العربية السعودية خلال الشهر القادم لاجراء الترتيبات اللازمة فيما يتعلق بالأراضي التي اشترتها الحكومة من اموال حضرة أمير البلاد فى السعودية بغية اقامة المباني المخصصة للحجاج .

وقال معاليه انه سيتم حاليا بناء مقر لأمير الحج وبعض المنازل المتعلقة بسكن بعثة الحج ريثما يتم بناء مدينة الحجاج خلال هذا العام .

تقيم جمعية المعلمين الكويتية معرضا للكتاب العربي فى اوائل شهر مارس القادم تشترك فيه الدول العربية .

افتتح الاستاذ مصطفى احمد الزرقا استاذ الحقوق المدنية بجامعة دمشق الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية فألقى محاضرتين : فكرة مجمع الفقه الاسلامى ، والفقه الاسلامى مزاياه وخصائصه .

وقد استمع الى الاستاذ المحاضر عدد كبير من الشباب ورجال الفكر وكان في مقدمة الحاضرين بعض كبار المسئولين .

القاهرة

يعد المجلس الأعلى للفنون أول مشروع للتعريف بالشريعة الاسلامية واهدافها وأوجه الشبه والخلاف بينها وبين الشرائع الدولية المختلفة وذلك على مستوى دولي .

يقوم المجلس بترجمة عن الكتب والبيانات المختارة الى اللغتين الانجليزية والفرنسية تحقيقا لهذا الفرض .

ترجمت منظمة اليونسكو ٣ كتب اصدرها هذا العام وزير الأوقاف السابق د . محمد البهي عن ((التأمين ـ الاسلام ونظم الحكم المعاصر ـ الفكر الاسلامي المعاصر)) الى الانجليزية والفرنسية . تجرى أيضا ترجمتها الى اللغة الالمانية .

بعث الدكتور احمد حلمي شاهين السكرتير العام بالهلال الاحمر الى لجنة الفتوى فى الأزهر يسالها راى الشرع الاسلامي فى التطوع بنقل الدم .

وقد اجابت اللجنة بان التطوع بنقل الدم جائز بشرط أن تكون صحة المنقول منه قوية وان يكون الدم خاليا من الامراض المعدية حتى لا تنتقل العدوى الى غيره .

تدرس وزارة الأوقاف مشروعا بانشاء مراكز دائمة لتحفيظ القـرآن الكريـم في بلاد العالم الاسلامي لتخريج اكبر عدد من حفاظ القرآن من ابناء هذه البلاد .

السعودية

أعلنت الحكومة السعودية ان ميناء ينبع قد تم اعداده من الناحيتين البحرية والفنية لاستقبال السفن على اختلاف حمولتها .

كما تم اعداد جميع الترتيبات الكفيلة بتوفير الراحة للحجاج فى ينبع حيث اقامت مدينة للحجاج على الطراز الحديث .

ويستقبل الميناء الحجاج القادمين من شمال البحر الاحمر الراغبين فى الزيارة قبل الحج حتى ٢٥ من ذى القعدة على ان تكون عودتهم بعد اداء الفريضة من ميناء جدة .

ويستقبل ميناءجدة الحجاج القادمين من جنوب البحر الاحمر والقادمين من الشمال بعد ٢٥ من ذى القعدة على ان تكون عودتهم بعد الزيارة من ميناء ينبع .

العـــراق

أعلن رسميا ان مجموع سكان العراق بلغ ثمانية ملايين ومائتين واثنين وستين نسمة بزيادة حوالي مليوني نسمة عن تعداد ١٩٥٧ .

اذاع راديو بغداد تصريحا للرئيس العراقى عبدالسلام عارف نفي فيه ما تردد بأن العراق ينوى الانضمام الى حلف اسلامي فى الشرق الأوسط .

الأردن

زار جلالة الملك فيصل البلاد بدعوة من صاحب الجلالة الملك الحسين واستغرقت الزيارة اسبوعا ومرحبا بهذه الزيارات الكريمة التي توثق العلاقة الاخوية بين العاهلين الكبيرين العظيمين ...والشعبين الكريمين .

اكتشف فريق من علماء الآثار العرب والغربيين مبنى يرجع تاريخه الى عام ٦٨٠٠ق.م ويقع هذا المنزل فى قرية بيرا بالقرب من « البترا » المدينة الاثرية القديمة . وقد عثر داخل المبنى على عظام لحيوانات وبعض الآلات البدائية كما وجدت بعض القواقع التي تعيش فى البحرين الأبيض المتوسط والاحمر .

أندونيســيا

تتلقــى المنظمــات التبشيرية فى اندونيسيا كثيرا من الدعم المادي والسياسي من دول اوروبا وأمريكا فقد نشرت احدى الصحف اليومية الاندونيسية بأن المانيا الغربية تبرعت للمبشرين بمركبين لنقلهم بين جزر اندونيسيا وان استراليا تبرعت بـ ٥٪ من حاصل مبيع سيارات هولدن ولحقتهم امريكا فبنت من تبرعها الســنوى لطائفــة الادفينست مستشفى بجزيرة نياس بسومطرة تعد من احدث المستشفيات بالشرق الأقصى بعد أن سبق لها تبرع آخر من نوعه فى بندونغ وفى كديرى بجاوا الشرقية مع العلم ان المستشفيات من الوسائل التبشيرية الهامة التي تستخدمها الحركة التبشيرية العالميــة .

نيجيريا

أصدر الميجور حسن كاسينا الحاكم العسكري لاقليم نيجيريا الشمالية ، اكبر الاقاليم الثلاثة فى اتحاد نيجيريا ، امرا بالغاء جميع الاحتفالات بعيد الفطر حدادا على الحاج أحمد وبيللو وأبو بكر تيفاوا باليوا رئيس وزراء الاتحاد الذى عثر على جثته ملقاة فى بركة قرب لاجوس ، وكان الذين قاموا بحركة التمرد الأخيرة قد اختطفوه من منزله مع وزير المالية الذى قتل هو الآخر .

وقد دفن باليوا قرب موطن أسرته فى بلدة « بوشي » فى نيجيريا الشمالية ، وحضر مراسم الدفن مئات من المواطنين .

الجزائر

أعلن السيد عبد القادر حاج علي الامين العام لوزارة العدل انه سيتم خلال هذا العام تعريب النظام القضائي فى البلاد .

أخبار متفرقة

صدر العدد الأول من مجلة افريقيا [illegible] التي يصدرها الاتحاد الوطني لجمعيات [illegible] الاسلامية فى [illegible] السنغال ، [illegible] مجلة [illegible] ية ثقافية شهرية تعني بنشر ومعالجة الموضوعات الاسلامية .

عقد [illegible] من نوعه [illegible] في منطقة الكاريبي وامريكا الجنوبية وقد ضم المؤتمر وفودا من [illegible] ترينداد [illegible] جومايكا – باربادوس – [illegible] واساو – سورينام – غو[illegible] فنزويلا .

اصدر بعض الطلاب الالمان [illegible] الاسلام مجلة [illegible] بصورة بدائية سموها صوت الاسلام للرد على [illegible] مة ضد الاسلام فى التلفزيون والصحف والاذاعة .

يصدر فى المانيا الغربية مجلة [illegible] شهرية اسمها بالالمانية Wadst - turn وترجمتها بالعربية (برج الحراسة) و[illegible] هذه المجلة على [illegible] الاسلام والقرآن الكريم ومما ذكرته فى [illegible] الصادر فى [illegible] نوفمبر ١٩٦٥ فى [illegible] القرآن الكريم انه من وضع البشر واستدلت على ذلك من مصادر يهودية صهيونية [illegible] وأن المجلة تصدر بجميع اللغات الاجنبية والعربية ولها مراكز عديدة فى العالم للتوزيع .

سيقوم رئيس الاتحاد الفدرالي الاسلامي فى [illegible] الدكتور عبد الخالق القاضي بجولة علمية حول العالم خلال العام الحالى ١٩٦٦ ، راجين له التوفيق . وقد وصل الكويت فى الشهر الماضي .

بدأ اتحاد الطلبة المسلمين فى اوروبا بالتحضير للمؤتمر السنوى الذى يعقدونه كل عام حيث تجتمع [illegible] وفود من الطلبة المسلمين فى اوروبا يتدارسون فيه شؤونهم الخاصة ويعرضون [illegible] صورا من نشاطهم الاسلامي كما يدرسون الخطط [illegible] للعمل الاسلامي فى العام القادم .. نرجو الله لهم السداد والتأييد .

واصلت العصابات الصهيونية حملات الارهاب والضغط على السكان العرب [illegible] منازل من منازلهم .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة . ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافي قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضي ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية .

الخبر : ـ [illegible] ـ ص ب ـ ([illegible]) .

مكة المكرمة : ـ [illegible] السعودية .

[illegible] : ـ مكتبة [illegible] السعودية .

عدن : ـ وكالات الاهرام [illegible] ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية [illegible] ـ السيد فاروق ابراهيم .

[illegible] ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٣٨) المكلا ـ حضرموت .

دبي : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢) .

السودان : ـ السيد احمد النور علي ـ الخرطوم ـ ص ب (١٩٥٦) .

الكويت : ـ مكتب منار التوزيع ـ شارع الجهراء .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

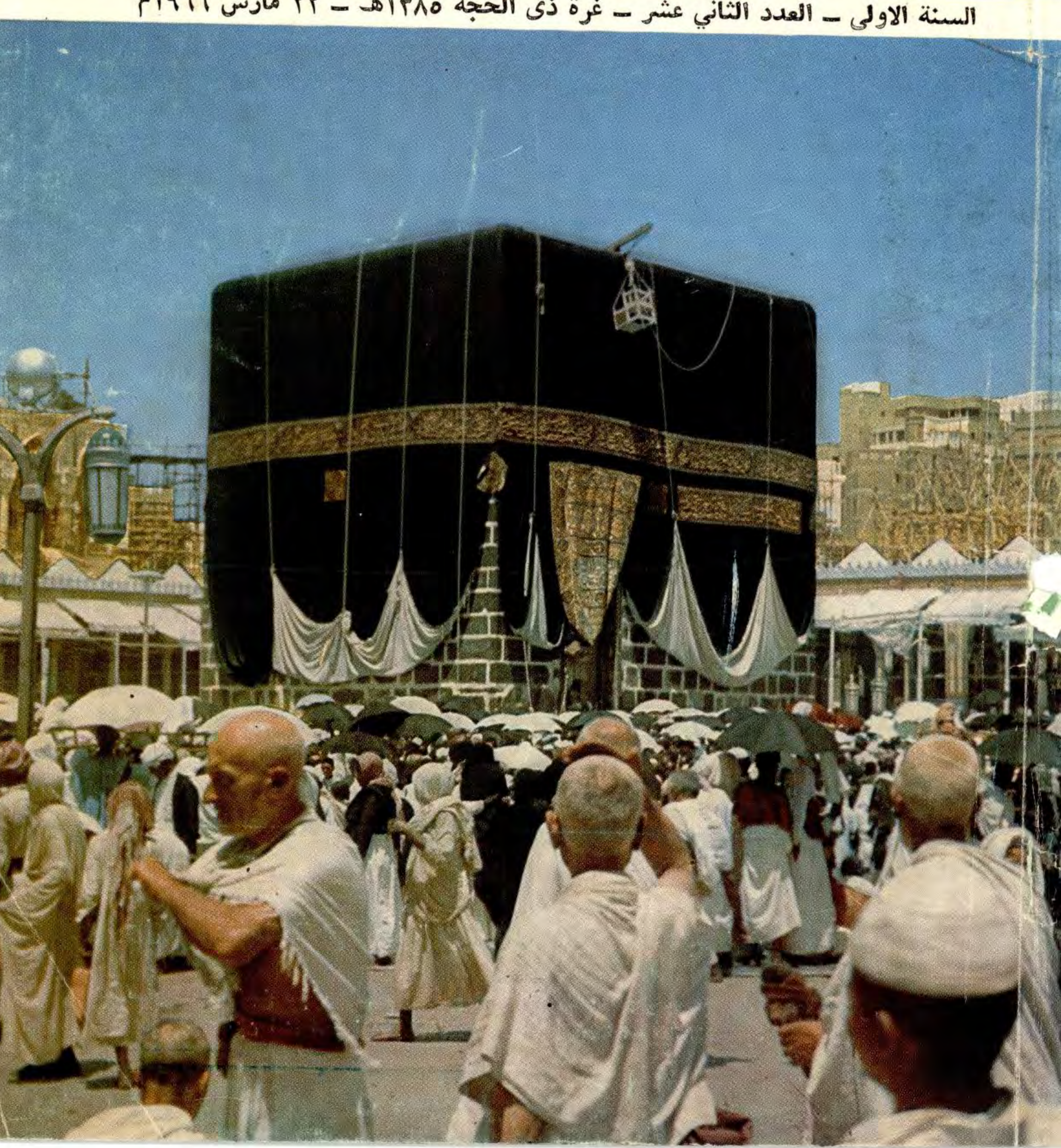


الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

ترقب عدد
الهجرة الممتاز
الذى يصدر فى
أول المحرم ١٣٨٦ هـ

السنة الاولى ـ العدد الثاني عشر ـ غرة ذى الحجة ١٣٨٥هـ ـ ٢٢ مارس ١٩٦٦م





وفى اداء مناسك الحج والعمرة تتجلى المساواة بين المسلمين فى أروع صورها

سمو الامير الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت وهو يهم بتقبيل الحجر الاسود
حين أدى العمرة وهو فى زيارته الاخيرة للمملكة العربية السعودية

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثانى عشر السنة الاولى
غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٥ هـ
٢٢ مارس ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

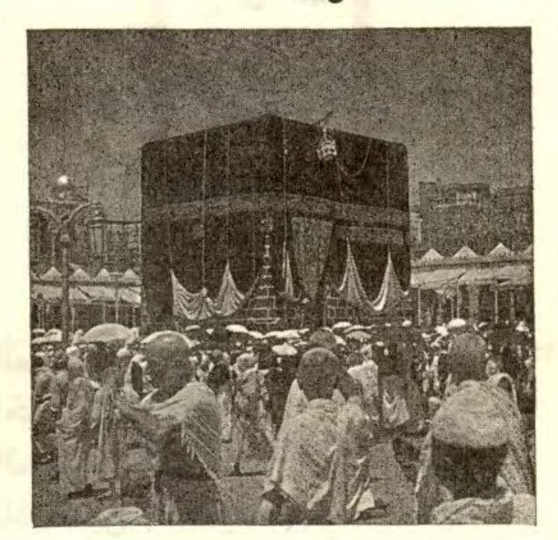
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلى

صورة الغلاف



وفود الحجاج تطوف بالكعبة المشرفة

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العـراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
المغـرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيئات
وما يعادل ذلك فى البلاد الاخرى
مع اضافة أجرة البريد
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

اقرأ فى هذا العدد

العيد الوطني لدولة الكويت

احتفلت دولة الكويت في يوم الجمعة الخامس من ذى القعدة ١٣٨٥هـ الموافق ٢٥ فبراير ١٩٦٦ بالذكرى الخامسة لاعلان استقلالها ، وشاركتها هذه البهجة الدول الشقيقة والصديقة .

وعبر الشعب عن فرحته بشتى وسائل التعبير ، وتوافد بمختلف طوائفه وهيآته ورجال السلك الدبلوماسى على القصر الاميرى يهنئون سمو الامير الشيخ صباح السالم الصباح بهذه المناسبة الكريمة ، واقامت وزارة التربية مهرجانا رياضيا كبيرا على ملعب ثانوية الشويخ تحت رعاية سمو الامير وقد افتتح سموه المهرجان بهذا التوجيه الابوى الكريم الى أبنائه الشباب : ـ

انه لمن دواعي سروري أن التقى بكم في هذا اليوم المبارك ، يوم العيد الوطنى للكويت العزيز لاشارككم وأتحدث اليكم .

أبنائى ، انكم الثروة الحقيقية لامتكم ، فأنتم أغلى ما نملك وأسمى ما نعتز به ، انكم أمل يومنا ، وصورة غدنا ، ووسيلتنا الوحيدة لصنع مستقبل عظيم يساهم فى رقى أمتنا العربية وحضارة الانسان .

ان ثروة الكويت ليست بمالها فحسب ، بل ثروتها الحقة تكمن فى القلوب المؤمنة من أبنائها الذين يسعون لاسعادها ورقيها ونهضتها ويبذلون الروح والحياة رخيصة لحماية حريتها ووحدتها . وهكذا تدركون مدى المسؤولية التى تقع على كواهلكم والدور العظيم الذى تنتظره أمتكم منكم ، ولقد توفرت لكم بحمد الله وفضله كل الاسباب ، فاغتنموا هذه الفرصة وقدروا هذه النعمة ، ولئن عانى الشباب فى أماكن أخرى القلق والضياع الروحي ، فأنتم بنعمة الله فى أمن وطمأنينة بهدى الاسلام العظيم وتعاليمه وهو الداعى الى السلام والامن ، سلام النفس بالايمان ، وسلام المجتمع بالتآزر والتكاتف وسلام البشر بالمساواة والتعاون ، فكونوا يا أبنائي الاعزاء اقرياء قوة الحق الذى تدعون له ، رجالا قدر المهمة العظيمة التي تتطلعون لحملها لنهضة أمتكم ، وخذوا أنفسكم بالجد ، واحرصوا على المحبة والود فيما بينكم ، فما اختلف قوم الا ضاعوا وهلكوا ، وتسلحوا بالعلم فهو وسيلة الامم الى القوة والعزة والى مستوى اجتماعى يحقق الحياة الكريمة ، وكونوا الدرع الحصين لأمتكم العربية العريقة .

رعاكم الله وسدد خطاكم وكتب على أيديكم الخير . والسلام عليكم ورحمة الله .

« والوعى الاسلامى » التى يخفق قلبها بكل معنى من معانى العزة والسيادة والقوة للمسلمين ، ويسرها كل السرور ان تتاكد معانى الاستقلال والنهضة للدول الاسلامية المستقلة لتهنىء الامير والشعب بهذه الذكرى . وترجو أن ينعم المسلمون الذين لا يزالون يئنون من سطوة الاستعمار بحريتهم وسيادتهم بفضل جهادهم ، ومساعدة اخوانهم الذين أنعم الله عليهم بنعمة الحرية والاستقلال .



كلما اقبلت علينا اشهر الحج هاجت في نفسي الأشواق للأماكن المقدسة ، واسترجعت ذكريات السنين التي قضيتها في تلك الربوع الطاهرة ، ونعمت فيها بنسماتها الروحية الطيبة .

كنت خلال هذه السنين ، وكلما اديت الحج او العمرة ، او سرت في رحاب مكة او المدينة اشعر انني لا اعيش حاضري ، بل تشدني من هذا الحاضر الزاخر بالحوادث من حولي ، ذكريات الماضي الطويل الذي مر على هذه الاماكن ، منذ تفجر منها ينبوع الهدى ، وشع فيها نور المصطفى عليه الصلاة والسلام .

كنت اجدني اردد من اعماق نفسي كلما خطوت هناك أو هناك : هل أنا حقا اخطو الآن في أرض القرآن ، أرض الرسالة والبطولة ، هل اخطو في مكان خطا فيه الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته المجاهدون الابرار ؟

.. وأشعر أنني قزم أسير في أرض عمالقة الايمان والجهاد .

كنت كلما نظرت الى جبل حراء من بعيد او قريب تحيا في نفسي ذكريات الرسالة على رؤيته من سفحه الى قمته .. وأقول :

على هذه الصخور الوعرة ، والى هذه القمة الصعبة المرتقى كان يتكلف الرسول قبيل بعثته الصعود اليها ، حتى يستقر بغار في اعلاها ، ليخلو الى تفكيره في ربه وخالقه ؟! وهناك على هذه القمة العالية الشامخة التي تصارع الزمان فتصرعه تلقى محمد رسالة ربه .. نور السماء للأرض ، حتى سمى ذلك الجبل ((جبل النور))؟!

وأنظر احيانا الى جبل ((ثور)) فأعيش اللحظات الرهيبة التي مرت على الرسول وصاحبه ، وهما مختفيان في غاره .. يسمعان وقع اقدام المطاردين . كنت أشعر بخفقات قلبي تضطرب ، واعصابي تتوتر ، وأنا افكر في هذه اللحظات ، وفي الاحتمالات التي كانت متوقعة فيها حينذاك ، ولا ينقذني من هذه الحالة النفسية الا جمال الواقع الذي كان ، ويعظم في نفسي حينذاك فضل المنة ، والحماية الربانية ، ((الا تنصروه فقد نصره الله ....)) .

وكنت اذا طفت أثقلت مشيتي ، كأن لقدميّ لذة في التصاقهما بأرض المطاف ، وأعمل ـ ما استطعت ـ على ان اكون قريبا من الكعبة ، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف .

واذا تسلمت الحجر الأسود ـ في غير زحام ـ قبلته ، ودرت بوجهي ويدى في فجوته ، لعل وجهي يمس مكانا مسه وجه الرسول صلى الله عليه وسلم .. وأنا بهذا الخاطر جد سعيد ..

واذا صليت فى ، مقام ابراهيم ، يغلبني هذا الخاطر حتى اذا سجدت تذكرت مع سبحات الفكر فى الله جل جلاله قول القائل الهائم :

لعلك أن تنال بحرّوجه مكانا مسه قدم النبي

ثم أقول فى شبه تحسرة كيف ؟ وهذا رخام

واذا سعيت بين الصفا والمروة ، مر بذهني شريط من التاريخ طويل ، منذ ايام الخليل ابراهيم عليه السلام وزوجه هاجر ، حتى ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعشت فى جو هذه الذكريات .

هنا على الصفا أو هنا على المروة اصعد كما صعد الرسول ، وأسعى بينهما كما سعى ؟ ! وشعرت حيذاك بلذة الأسوة وجمال القدوة ، وانطلق لساني يردد قول الله ((لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة)) وأدركت حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنه على تحرى الاماكن التي كان يجلس فيها الرسول ، أو يمشي ، أو يصلي ، فيفعل كما فعل الرسول ولو لم يكن فى عبادة .. لأنه كان يسعد بالاتباع والاقتداء .

يا لله اية لحظات تمر بي .. واى ارض اسير عليها ؟ !!

انها لحظات الصفاء .. انها ارض الرسالة والرسول .

لحظات طالما تمنيتها ، وعشت احلم بها من صغرى ، حتى عشتها مرة ومرات ، ولا ينفك قلبي عن الشوق الى استرجاعها مرة ومرات ، بل طول الحياة .

ذهبت للمدينة مرات واقمت فيها سنة .. ولكن لم اشعر بسعادة تعادل ما غمرني منها أول مرة ذهبت اليها .

انني اذكرها . نعم ، واذكر كل لحظة مرت بي اثناءها ، بأجوائها وأضوائها ، واذكر بالخير والدعاء دائما كلما ذكرتها المرحوم الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف السعودية حينذاك .

كنت وقتها مدرسا بالطائف ، وكنت كلما استبد بي الشوق للمدينة أقول : سبحان مقسم الحظوظ !! لو أن الطائف هداها الله ، وفتحت قلبها للرسول ، لكان لها شأن المدينة الآن ، لقد اتيح لها في يوم من الأيام ان تكون البلدة المحظوظة ، التي تتعلق بها قلوب المسلمين ، وتكون مهوى أفئدتهم ، فرفض زعماؤها في عناد وقسوة هذه المنحة التي ساقها الله اليهم : يوم ان جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدعوهم للاسلام ، ويلتمس فيهم حماية دعوته ، بعد ان تحجرت قلوب المكيين امامها ، فردوه الرد القاسي العنيف ، الذى ترك آثاره الحزينة فيقلوب المسلمين علىمر التاريخ كلما ذكروه .. وحرم الطائف من مجد وعظمة ودور هام فى تاريخ الاســـلام .. ليكون ذلك كله ليثرب .. للمدينة التي يعيش كل مسلم على حبها ، ويهفو قلبه دائما اليهــا ..

ما أحلى تلك الساعات التي قضيتها في طريقي مع زملاء كرام ، نستبطىء السيارة في سيرها .. كأننا نريدها طائرة .. ومن يدرى ؟ لعلها لو كانت طائرة لاستبطأناها .. انه الشوق الى ارض الحبيب .. الشوق الذى لا نجد وصفا له الا في قول الشاعر :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ※ ولا الصبابة الا من يعانيها

فلا تسلني يا أخي كيف كان . وجرب لتعرف . والله يعينك، ويرزقك حلاوته..

لم يفتر لساننا لحظة عن الصلاة والسلام على رسول الله ، في حداء جميل .. وكانت حماستنا تزداد ، وشوقنا يضطرم ، واصواتنا ترتفع ، كلما احسسنا اننا نقترب شيئا فشيئا من مدينة الرسول .. حتى اذا اقتربنا منها اشرأبت الاعناق لنرى المآذن .. ثم لنرى المعالم ، ونبحث عن القبة الخضراء ، حتى نراها .. فتضج الأصوات تخنقها العبرات : الله أكبر . صلى عليك الله وسلم يا حبيب الله ومصطفاه ..

كنا ولا تسل كيف كنا ! رزقك الله جمال هذه اللحظة وحلاوتها .

وحين بدأنا ندخل المدينة ونزلنا من السيارة على ارضها ، كانت احاسيسي كلها توحي الى : خفف الوطء . هذه أرض رسول الله .

كم مشى عليها هو واصحابه ، وكم سعدت بهم مجاهدين ومرتلين وذاكرين الله .

حبيبي رسول الله .. هذه مدينتك التي سعدت بك وأحسنت استقبالك ونصرك ؟!

هذا مسجدك .. هذه روضتك .. وتحت هذه المقصورة جسدك الطاهر انت وصاحبيك ؟!

كم أحسست السعادة تغمرني ، وانا اصلي بالروضة بجانب المنبر ، وحسن ظني بالله يجعلني اعتقد انني أصلي في مكان صلى فيه رسول الله .

لحظات قضيتها في الروضه،بين المنبر والقبر ،أشد نفسي من فخامتها ،والسجاد الفاخر الذى يغطي أرضها ، والرخام الناصع والملون الذى يبدو في جوانبها ، ويكسو قواعد اعمدتها ، لأتذكر الصورة الأولى لمسجد الرسول : كيف بناه ؟ وكيف كانت بساطته ؟ وكيف صنع مع ذلك كل هذا التاريخ ؟ وتمنيت ان لو حافظ المسلمون ـ حين وسعوه ، وأدخلوا فن العمارة فيه ـ على صورته الأولى ، ولو في جزء منه ، لنراه ونعتبر به ونستعيد برؤيته ذكرياته الغالية .

وامام قبر الرسول ، وقفت في ادب وخشوع ، اسلم على خير خلق الله ، واناجيه ، وأسلم على صاحبيه ، وكأنني في غيبوبة عما حولي ، أعيش أسعد لحظات عمرى ، واحفلها بالحب ، والايمان ، والخشوع .

قد يهون العمر الا ساعة وتهون الأرض الا موضعا ..

عليك افضل الصلوات والتسليم يا حبيب الله ومصطفاه ، ورزقنا الله القرب منك على قدر حبنا لك ، والغيرة على دينك ، ووفق امتك لتحيا في ظل هدايتك ، وتسعد بحسن شفاعتك . آمين ،

رئيس التحرير

الحياة المثالية الفاضلة تحققها أركان الإسلام

لفضيلة الشيخ علي عبدالمنعم عبدالحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » متفق عليه .

بين يدى البحث

١ : ـ للانسان المكانة الأولى فى الوجود ، من أجله خلق الله كل شيء ، وله سخر ما فى السموات وما فى الأرض، ومنحه ما يوصله الى اكتناه أسرار المخلوقات ، والوقوف على دقائق خفاياها ، وايضاح مبهماتها ، يعمل فكره فى المحسات، ويعكف مجيلا عقله فيما يرى وما يبصر ، ولا يقف عند حد الظواهر التي تناجيه من قريب أو من بعيد ، وانما يحاول رفع الغطاء والنفوذ الى ما وراء ما يحيط به ، باحثا عن الحقيقة ، آملا فى واحة يلقى عندها عصا السير ، بعد أن يعييه الجهد وينال منه الكد والوصب كل منال ، وقد يصل الى ما صبت اليه نفسه ، فيطيب عيشا ، ويقر عينا ، وقد يقضي نحبه دون هدفه ، ويجيء من بعده من يحاول ان يتم ما بدأه ، ويظل ركب البشرية متلاحقا فى متاهات الحياة ، يستقيم له الدرب مرة ، ويلتوى به أخرى ، تطلع عليه شمس وتغيب ، ويجنه ليل يقشعه فجر ، واذا سئل الى اين؟ اجاب : ننشد الراحة ونبحث عن المثالية المسعدة، حيث لا آلام ولا شكوى، ولا تبرم ولا ضيق ، ولا عدوان ولا معتدين ، حيث لا بطنة مفزعة ، ولا خواء قاتل .

٢ : — ونعود فنتساءل : هل وقعت الانسانية على الخبير الذى يحيل بؤسها نعيما ، ويصير شقاءها سعادة ؟ . والجواب : قلب طرفك شرقا وغربا ، وارجع البصر وانظر على ماذا يقع . فلا تجد الا معذبا للون لا يد له فيه ، ومستعبدا بغير ما اكتسب ، ومقتولا دون جناية فى حرب لم يسعرها ، ولم يشعل نارها ، وانما يصطليها كارها ، ويخوض غمارها مرغما ، حرب تأتي على أخضره ويابسه ، واذا عن له أن يقول متى تنتهي ؟ تلاشى صوته فى ضجيج اصوات المبيدات ، دون ان يحظى بجواب او يقع على خبر . فهل من نطاسي بارع يبتر الداء ويقضي على العلة ؟ وبعد ان تثوب الانسانية العاقلة الى رشدها ، وتتسامى قليلا عن الماديات التي ظاهرها الرحمة وفى باطنها يكمن الهلاك ، عندئذ تجد الجواب سهلا هينا فى متناول الآخذ ، تجده قويا فى رفق واضحا فى غير خفاء ، تجده فى قواعد الاسلام ، فى رسالة السماء ، فى هداية الرحمن الرحيم فى تدبير العلي الحكيم ، فى الطريق الذى خططه من يعلم السر وأخفى ... هنا الأمل المنشود ، والغاية المرجوة ، وليس هذا قولا يلقى على عواهنه ، أو يقال تعلة ، وانما معه برهانه وفى طياته حكمته، هنا حين تفهم التوجيهات الاسلامية ، ويعي الناس ما تهدف اليه الدعوة الالهية، هنا السر الكامن فى اركان الاسلام .

كلمة التوحيد

١ : — تترابط اركان الاسلام ترابطا ، عجيبا ، ويأخذ بعضها برقاب بعض ، لتسير بالانسانية فى طريق مستقيم يبدل خوفها أمنا وجفاءها صلة ، وظمأها وجوعها شبعا وريا ، وبغضاءها محبة ، وحقدها شعورا بالمودة والاخاء ، فقد دعا رسل الله جميعا الى توحيد الله وافراده سبحانه بالعبادة ، فلا يطأطىء من اسلم رأسه لغير بارئه ، ولا تعنو جبهته الا لخالقه ، ورسول الله خاتم الأنبياء وصفوة الله من خلقه ، دعا قومه الى التوحيد مقتفيا بذلك آثار الرسل من قبله، فمن آمن به نبذ عبادة الحجارة، وأسقط الاصنام من حسابه ، وقد كان آخرها ما فتته بيده الشريفة يوم الفتح ، وبذلك انتهى عصر الاوثان من دنيا المسلمين الى الأبد .

الصلاة

٢ : — ولا بد ان تدوم الصلة بباريء السموات والأرض ، وأن يلقى المسلم رحاله فى رحابه حتى يقوى على مواجهة شدائد الحياة والتغلب عليها ، ففرض الله عليه الصلاة ، وكلفه ان يقيمها خمس مرات فى اليوم والليلة، فأول ما يفعله بعد ليل طويل ونوم عميق هو صلاة الفجر يستقبل بها اضواء النهار ، ويسعى بعدها بهدى الله ضاربا فى الأرض ماشيا فى مناكبها مبتغيا من فضل الله ، متعاونا مع رفقائه وعشرائه فى اسعاد مجتمعهم الذى فى جوه يعيشون وعلى ارضه يدرجون ، وبخيراته ينتفعون ، فاذا أكدهم العمل ونال منهم الدأب عاجوا الى ربهم يطلبون منه قوة على قوتهم وعونا على اعمالهم ، واستقامة لطريقهم ، ثم استراحوا فترة من النهار يقومون بعدها قانتين ، ويعوجون الى مسالك حياتهم يلتمسون ما عند الله من الرزق فى تجارة يديرونها بينهم ، وزراعة يرجون جناها ، ويؤملون خيرها ، وفى اعمال اخرى مما هيأهم الله لها ، حتى اذا اقبل الليل وآذنت شمس النهار بالمغيب آبوا الى ربهم يستقبلون بلقائه ليلهم الذى فيه يسكنون ومن وعثاء الجهد يستريحون ، وقبل ان يأووا الى فراشهم يتجهون الى خالقهم ومن يمسك بأنفسهم ليرسلها الى اجل مسمى ان كان لها عيش لا زال ، او يقبضها اليه ان حل ميعاد الرحيل اليه .

وجعل الصلاة فى جماعة افضل منها فى الانفراد بدرجات كثيرة ليتلاقى

المسلمون ما امكنهم التلاقي وليكونوا على علم بأحوال بعضهم ، فيعطى السائل ، ويطعم المحروم ، ويكسى العارى ، وتقضى لكل ذى حاجة حاجته ويعيش ابناء المنطقة الواحدة متعاونين متراحمين ، حتى اذا كان يوم الجمعة ونودى للصلاة اجاب كل مسلم النداء وتوافدوا على الجامع الكبير من اطراف البلد فيصلون ثم يبحث بعضهم احوال بعض فى اخوة صادقة ، ورعاية حقة ، واخلاص النية فى العمل لخير الجميع .

الزكـاة

٣ : ـ ما دام المسلمون قد التأم جمعهم فى الصلاة ، وتداعوا الى البر والتقوى ، وجادت نفوس الواجدين بعطاء المحتاجين، فقد شرع الله لهم الزكاة حقا لمصارفها المذكورة فى القرآن الكريم ، ليشعر غنيهم بأن عليه واجبا فى ماله لا يعطيه تفضلا ولا يجود به منة ، وانما هو ما الزم به شرعا فى مال الله الذى أتاه اياه وجعله مستخلفا فيه ، حتى يجتث بـه الحقد والكراهية من المجتمع ويقيم الحب والتراضي مكانهما ، فتعم السعادة ، وتقتلع جذور الجريمة التي يبعثها الفقر وينميها البؤس وينمو المال المزكى ويزيد ، (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

وهذا الركن من اركان الاسلام يكاد يكون معطلا ، ولو ان المسلمين اقاموه ونفذوه ما وجد فى بلاد الاسلام شاك ولا عان ولا محروم ، ولماتت المبادىء الهدامة فى مهدها وقضى على اكثر العلل الاجتماعية والافكار الوافدة التي تعانى منها مجتمعاتنا والتي لا تنمو الا فى بيئة الفقر والحرمان ، ومنع الغنى زكاة ماله يجنى ثماره فى الدنيا كراهية وحقدا من مواطنيه ، وسيمثل له ثعبانا اقرع ينهشه يوم القيامة ، وحبذا لو تدخلت الحكومات الاسلامية كلها فى جمع الزكاة من الأغنياء المانعين وصرفتها فى مصارفها الشرعية ، واذن لأقامت ركنا من اركان الاسلام يكاد يندثر ، وفتحت بابا كريما يجد فيه المعوزون ما يسد حاجتهم فى كرامة وعزة .

ومما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل الزكاة والصدقات عامة ما رواه البخارى عن عبد الرحمن ابن صخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان لي مثل احد ذهبا ، لسرني انلا يمر علي ثلاث ليال وعندى منه شيء ، الا شيء ارصده لدين » . وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث متفق عليه « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ، فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » . وعن اسماء رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انفقى ولا تحصي فيحصي الله عليك ، ولا توعى(١) فيوعى الله عليك ، ارضخي (٢) ما استطعت » متفق عليه ، وعن ابي ذر رضي الله عنه قال : انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة ، فلما رآني قال « هم الاخسرون ورب الكعبة ، فقلت : فداك ابى وأمى من هم ؟ قال هم الاكثرون اموالا ، الا من قال : هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم » متفق عليه .

وأعتقد اعتقادا جازما انه لو زكى الاغنياء اموالهم ، وبذل الواجدون للمحتاجين وأعطوا فضول ما يملكون كما أمر الله ورسوله لقضى على العوز والفقر

---

(١) الايعاء حفظ الأمتعة بالوعاء ، والمراد هنا لا تمنعي فضل الزاد عمن احتاج اليه .

(٢) ارضخي اي اعطي ولو شيئا يسيرا .

قضاء مبرما ، ولما وجد فى ديار الاسلام من يستطيع رفـع صـوته بما يخالف الاســلام ولعمـت المـودة والرحمـة والاستقرار والأمن والسلام ، ويا ليت قومي يعلمون .

الصـيام

٤ : ـ وقد شرعه اللـه تبارك وتعالى لمعان عديدة ومقاصد كثيرة سبق الحديث عنها فى اعداد مضت (من مجلـة الوعي الاسلامي) ، والذى نقصد اليه هنا مـن فوائده ومراميه هو ان الزكاة والصدقات لازمة لزوما لا شك فيه يقدمها اصحاب الأموال الى من ليس بيدهم مال ، ولكنهم قد يبخلون لأنهم لا يشعرون بحاجـة غيرهم ، فمن طعـم وشرب لا يحس ألم الجائع الظامىء ، كمـا ان المعافي لا يدرك قسوة المرض ، فكان حبس المسلم الغني عن الطعام والشراب طوال ايام رمضان تمكينا لاحساس الجوع والظمأ ان يلج علي الغني رغم كثـرة ما تحت يده من طعام ، ليدرك مدى حاجة الخاوى الذى لا يجد ما يسد رمقه ويمسك ذماءه ، فتسخو نفســه وتجود يده بالعطاء مما افاء الله عليه من الخيرات التي يملكها .

الحـج

ومتى تجافى الناس عن عبادة الأوثان وصدقوا برسالة خـير الانام ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصاموا رمضان ايمانا واحتسابا ابتغاء مرضاة اللــه ورضوانه ، فقد سعدت بهم اوطانهـم ، وارتقت مجتمعاتهم ، وسادت فيهم روح المحبة والتعاون ، والتفاني فى حب الله ورسوله ، وتوطدت بينهم اركان العدل والمساواة .

بعد ذلك تتهيأ نفوسهم وتتشوق الى آفاق أخرى واسعة ، تنتظم المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فيرتحلون من اقاصي المعمورة وأدانيها ، آمين البيت الحرام ، تلكم هي رحلة السلام الى ارض السلام ، رحلة الحج المقدسة التي تتم بها اركان الاسلام .

حكمة الحـج

١ : ـ يرتحل الناس من بلد الى بلد فتصح اجســامهم ، وتنمو مداركهم ، ويروا مالا يستطيعون رؤيته لو أقاموا حيث نشأوا ، واستقروا حيث ولدوا ، ويتلاقى بعضهم ببعض فيتحقق ما أراد الله ان يتحقق (قل سيروا فى الأرض) ، (يا أيها الناس انا خلقناكم مـن ذكـر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وفى لقاءاتهم يتدارسون احوالهم المختلفة فتروج سلعهـم ، ويتبادلون المنافـع ، فيعمهم الخير ، ويرتفع مستواهم الادبى والمادي .

٢ : ـ فقد شاء الله تبارك وتعالى ان تختلف أقاليم الأرض فى المناخ ، وتتباين فيما تثمر ، فينتج هذا البلد الصناعي عديدا من المصنوعات ، ويخرج الآخـر كنوزا خبيئـة تحت ترابـه لا توجد فى غيره ، ويغـل ثالث الحبوب والأقوات ، فضلا عن التقدم الحضارى فى بعضها ، والتخلف عن الركب فى اماكن لم ينتشر فيها العلم ولا الوعي المفيد الدافـع الى الرقي ، ومن انزوى فى عقر داره، او لبث مقيما حيث هو لا يتعدى حدود وطنه كيف يعلم علم الآخـرين ومتى يسـاير المتحضرين ؟ لذا كان لا بد مـن لقـاء الناس مـن مختلف الأوطان ، فى اقطار الأرض ، حتى تمتـزج الحضـارات ،

وتتقدم الانسانية جمعاء فى طريق واحد وسبيل مستقيم .

٣ : — والذين جمعهم الاسلام عقيدة ، ووحدهم منهاجا ، ووجههم فى عباداتهم اليومية نحو بيت الله الحرام ، هم اولى من فى الوجود ، بالتلاقي ، والتعارف ، والتقارب بالاجسام بعد التقارب بالافكار والارواح وبعد ان ازال الاسلام من بينهم كل اختلاف ، حتى يتزودوا روحيا من مشاهد الاماكن المقدسة التي سار على ثراها سيد الخلق ، ودوت فى ارجائها كلمة الله اول ما نودى الرسول للتبليغ ، ورفرفت فى سمائها اجنحة الملائكة ، وحمل الروح الأمين سائرا فى دروبها رسالة الله يبلغها رسوله ، ونهض من وديانها حملة الدعوة الى الناس كافة ، فبلغوا اهل المشارق والمغارب ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمكن لهم فى الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور . ويشهدوا منافع لهم ، تجارية وعلمية وثقافية ، فتقوى الروابط وتشتد الأواصر .

٤ : — فالحج سفارة بين المسلمين ، وتجارة رابحة رائجة ، وتعود على تحمل مشاق السفر وفراق الأهل والولد ، وسعادة روحية ما بعدها سعادة ، وتحصيل علوم وتبادل معارف ، وتزود للدنيا والآخرة ، وما جزاء الحج المبرور المبارك المقبول المؤدى باخلاص نية وصدق عزيمة وسلامة طوية الا الجنة ، فقد ورد عن ابى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ... والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وهو افضل الاعمال بعد الايمان والجهاد . كما اخرج الشيخان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل « أى الأعمال افضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال ثم جهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال ثم حج مبرور » .

والخلاصة

ان اركان الاسلام تضمن للبشرية نجاحا دنيويا فى شتى المجالات حين تجمعهم على التعاون الصادق ، والاخاء الكامل ، والتعاطف الذى يحل فيه المسلم أخاه محل نفسه فيضعه حيث يضع نفسه ، فيتأخر ليقدمه ، ويجوع ليشبعه ويعرى ليكسوه ، ويسهر الليالي كادحا ليريحه ، يشاركه بؤس الحياة ونعيمها، ومخاوفها وامنها وشقوتها وسعادتها فى اخلاص خالص من الريب ، بعيد عن الشكوك لا يخالطه هوى الانفس ، ولا تنفك عنه القلوب .

ان أركان الاسلام تجمع البشرية فى وحدة روحية عبوديتها خالصة لله ، لتقف صفا قويا كالبنيان المرصوص امام عدوها الشيطان ، الذى يفرق الجمع ويشتت الشمل ويقضي على كل كمال ، وليلتقى البشر عامة متى آمنوا بالله ورسوله حين يرجعون الى ربهم آمنين مطمئنين ، احبابا على سرر متقابلين .

فلنتداعى الى الله ، ولنسلك طريقه ، ولنكن هداة بررة ، نحمل الرسالة ونؤديها الى الدنيا كافة ، ولا ننى ، ولا نضعف ، ولا نتقاعس ، ولا نخاف عدونا ، ما دمنا لا نريد الا الخير للكافة ، والهداية للعامة ، والسلام للأوطان ، والرحمة للعباد ، والله الموفق لكل صواب وسداد ، انه نعم المولى ونعم النصير .

لك الدين يارب الحجيج

لامير الشعراء المرحوم احمد شوقى

لك الدين يارب الحجيج جمعتهم   لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس اصنافاً ومن كل بقعة   اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت   لديك ولا الأقدار مختلفات
عنت لك في الترب المقدس جبهة   يدين لها العاتى من الجبهات
منورة كالبدر شماء كالسها   وتخفض في حق وعند صلاة
ويارب لو سخرت ناقة (صالح)   لعبدك ما كانت من السلسات
ويارب هل تغنى عن العبد حجة   وفي العمر ما فيه من الهفوات
وأنت ولى العفو فامح بناصع   من الصفح ما سودت من صفحاتى
ومن تضحك الدنيا اليه فيغتر   يمت كقتيل الغيد بالبسمات
اذا زرت بعد البيت قبر محمد   وقبلت مثوى الأعظم العطرات
وفاضت من الدمع العيون مهابة   لأحمد بين الستر والحجرات
وأشرق نور تحت كل ثنية   وضاع اريج تحت كل حصاة
فقل لرسول الله : ياخير مرسل   ابثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها   كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران : ذكر وسنة   فما بالهم في حالك الظلمات ؟
وذلك ماضى مجدهم وفخارهم   فما ضرهم لو يعملون لآتى ؟
وهذا زمان أرضه وسماؤه   مجال لمقدام كبير حياة
مشى فيه قوم في السماء وانشأوا   بوارج في الأبراج ممتنعات
فقل رب وفق للعظائم أمتى   وزين لها الأفعال والعزمات



ان كلمة « الاسلام » التي هي عنوان على دين الله الخالد تشعر ـ في وضوح ـ بالهدف الذى أراده الله سبحانه من رسالته التي لم يختلف جوهرها على مر العصور .

هذا الهدف هو اسلام الوجه لله ، والتسليم له ، والدخول في رحابه . وذلك ـ بالنسبة للانسان ـ كمال وبالنسبة للمجتمع امن وطمانينة .

للدكتور عبد الحليم محمود
عميد كلية اصول الدين السابق ـ جامعة الازهر

وقد اختلفت وسائل الاسلام في قيادة الانسان الى اسلام الوجه لله ، وتعددت نظرا لاختلاف طبائع الانسان وتعددها ، وما كانت العبادات في الاسلام على اختلاف الوانها ، الا وسائل لتزكية النفس ، وكمال الانسان حتى يستأهل لمرضاة الله تعالى ، وحتى يفلح بالقرب من الله والانتساب الى عباد الرحمن .

« قد أفلح من زكاها » ، « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » .

وان من هذه العبادات الحج ، انه وسيلة من اسمى وسائل قيادة الانسان الى الله تعالى ، وهو مجموعة رائعة من الرموز الروحية ، التى تنتهي — اذا اقيمت على وضعها الصحيح — بالمسلم الى الدخول في المحيط الالهي .

وتبدأ أعمال الحج — بتوفيق الله تعالى — بالاغتسال الظاهر ، بالنظافة الجسمية . فاذا ما تم ذلك يتوب المسلم توبة خالصة نصوحا ، نادما على ما فعل من آثام ، مقلعا عن الذنب ، عازما عزما لا يلين على الا يعود الى ذنب أبدا ، متجها بتوبته الى الله تعالى طالبا منه العون والتوفيق راجيا مرضاته .

وتأكيدا لهذا التطهر الباطن ، والتطهر الظاهر يلبس ملابس الاحرام ، بيضاء ناصعة ، يلبسها على طبيعتها التى نسجت عليها دون ان تدخلها صنعة ، فتغير من معالمها ، او تبدل من اوضاعها انه يلبسها على الفطرة وعلى النقاء ، تاركا ما عساه ان يكون قد تلوث بالاخطاء من ملابسه .

ثم يسجل العزم المصمم على استمرار الطهر ، فيما يستقبل من ايام ، بهذه الكلمات التي تعبر عن الاستجابة الكاملة لله سبحانه وتعالى .

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » .

ان هذه الاستجابة الى الله سبحانه وتعالى عهد منه الى الله بالتزام اسلام الوجه له سبحانه ، يكرر هذا العهد فى كل آونة بقوله اذا صعد ، وبقوله اذا نزل ، بقوله مصبحا ، وبقوله ممسيا ، فيرتسم في فؤاده بأحرف من نور الايمان ، ومن سناء الهداية .

حتى اذا ما وصل الى البيت الحرام ، فان من السنة ، ان يبتدىء الدخول في المسجد الحرام بالتعبير عن الاستجابة الى الله بصورة أخرى هي :

« بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وهذه الكلمات في روحها ومعناها تلبية واستجابة .

ويبدأ الطواف — يبدؤه ببسم الله ، والله اكبر .

وما كان البيت — هيكلا وبناء — في يوم من الايام المقصد الاخير ، للطائفين والعاكفين ، والركع السجود ، وانما هدفهم الاول والاخير ، رب البيت .

ويستلم الحجر الاسود .

والحجر الأسود انما هو الحجر الذي بقي يتسم بطابع سيدنا ابراهيم الذي لم يكن يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، والذي تضرع الى الله سبحانه وتعالى ، أن يبعث في الجزيرة العربية ، رسولا عربيا هاديا ومزكيا ، فقال « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم » .

وكأن المسلم بهذا الاستلام ، لهذا الاثر الابراهيمي ، يعاهد الله على الا ينحرف عن الملة الحنيفية ، وان يكون على مر السنين تابعا لهذا الرسول العربي الذي بعثه الله رحمة للعالمين .

انه يطوف معلقا قلبه وبصره وسمعه وكيانه كله برب البيت .

انه يطوف لعل الستائر ترتفع ، لعل الحجب تنكشف ، لعل الأقنعة تزول لعل الباب يفتح ، لعل رب البيت يتفضل بالقبول ، لعل الله يرضى .

انه يطوف خاشعا خاضعا ، يدعو ويتضرع ، لعله يشعر بنسمات الرضى بنفحات الانس ، بكأس المحبة، بسلسبيل المعرفة .

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

ويذهب الى السعي يبتدىء من الصفا أي من الصفاء ، ذاهبا الى المروة ، أي الى الرى والى المروءة يتزود منهما ، ويكر راجعا الى الصفاء من جديد ، ليزداد صفاء ، وليزداد نورا . . . وهكذا، من الصفاء الى الرى ، ومن الرى الى الصفاء . . . .

وفيوضات الله لا تنتهي ، ومنحه سبحانه وتعالى لا تحدها حدود . انه يسعى وهو متذكر لتلك السيدة الكريمة التي كانت تسعى وكلها رحمة بابنها .

انه يسعى رحمة بنفسه ، ويسعى ليكون رحمة في اسرته وفي عشيرته وفي وطنه وفي العالم بأسره .
انه يسعى ليصير رحمة .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » ويذهب الى عرفات للتعرف على الله ، سبحانه وتعالى ، وليقف متلقيا منه سبحانه رحمته .

والحج عرفة ، كما يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم انه تعرف على الله سبحانه وتعالى ، مصدر الخير كل الخير، ومصدر النعمة كل النعمة ، ومصدر الكمال على المعنى الصحيح للكمال الانساني .

ان الذي يتعرف على الله يصبح من الكمال الانساني في الذروة . وما كانت طريقة التعرف على الله في يوم من الايام قراءة آراء الفلاسفة وهي متضاربة متعارضة .

وانما سبيل التعرف على الله توبة نصوح ، واستجابة مخلصة ، وطواف بالبيت في تضرع وابتهال الى رب البيت ، وسياحة من الصفاء الى الرى ، ومن رى يزداد الى صفاء يصفو .

فاذا ما تزكت النفس بكل ذلك ، يفيض الله سبحانه وتعالى عليها نورا يعرفها به ، فتتعرف عليه وتلتزمه وتقف عنده وتنتهي اليه . « وان الى ربك المنتهى » .

وليس هناك منتهى دون الله سبحانه وتعالى ، وكل منتهى دونه هو منتهى مزيف فاسد ، أما المنتهى الحق فهو الله سبحانه وتعالى .

« ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير »

وتنتهى أعمال الحج بالذهاب الى منى والمكث فيها لرجم مصدر الشر . ابليس مرة ومرة ومرة . . . .

وما كان رجم ابليس الا رجما لعامل قوى من عوامل الفساد والمعصية والاثم .

ان المسلم يرجمه مؤكدا بذلك الرجم انه تخلص الى الابد من الشر ، من المعاصي من كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى ، وذلك هو العيد حقيقة والبهجة والسعادة .

والعيد الاسلامي عقب الحج انما هو احتفال عام في الأمة الاسلامية باكملها بمن انتهى بهم الحج الى اسلام الوجه لله .

ان العيد الاكبر انما هو حفل تكريم لمن استقام أمرهم على الجادة ، لمن دخلوا بالحج في عباد الرحمن ، لمن أسلموا وجههم لله سبحانه وتعالى لمن أسلموا .



بقلم الدكتورة بنت الشاطىء
الاستاذة بكلية البنات ـ جامعة عين شمس

أعنى بالعيد هنا : عيد الأمومة ...
ذلك الذى استوردناه من الغربيين ، ونقلنا عنهم يومه المختار للاحتفال به وبعض طقوس هذا الاحتفال ....
ثم اضفنا اليه من عندنا :
ضجة اعلانية فى الصحف والمجلات ، حيث تنتهز المتاجر هذه الفرصة ، فتتفنن فى الاعلان عن هدايا للامهات ترويجا للبضاعة .
وتهلل الصحف لهذه المناسبة ، لأنها تتيح لها الكسب المادى بالثمن الذى تقبضه من المعلنين .. وهو ثمن غال تضيفه المتاجر الى سعر البضاعة ، ثم تزيد عليه مبالغ اخرى ، نظير ما تتكلفه فى تنسيق الهدايا فى واجهات المتاجر ، وتغليفها تغليفا انيقا ، وربطها بشريط من الحرير الزاهى البراق ..
والى جانب هذه الضجة الاعلانية ، ضجة أخرى عن أخبار احتفال بالعيد يقام هنا أو هناك ، تدق له الطبول والاجراس ، وتؤخذ صور منه للنشر ، نرى فيها السيدة فلانة أو السيد علان ، أثناء التفضل بتقديم اكياس من الحلوى الى نزلاء الملاجىء ممن فقدوا أمهاتهم ، او للامهات المسكينات فى الاحياء الشعبية المنبوذة ..
ولا يخلو الامر من نشر صورة (تلفزيونية) للسيد الكريم وهو يتنازل فيصافح غلاما مسكينا ، او للسيدة صاحبة المقام العالى وهى تتواضع فتربت

نعت الينا الصحف ـ والعدد ماثل للطبع ـ فقيد العروبة والاسلام الاستاذ الشيخ أمين الخولى زوج الدكتورة بنت الشاطىء ، والمجلة تشاركها الأسى فى هذا المصاب ، وتسأل الله للفقيد الرحمة ولأسرته وتلاميذه جميل الصبر .

«ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم»

(قرآن كريم)

على كتف أم فقيرة ، أمام عدسات التصوير (التلفزيونية) ! ...

على هذا النحو نحتفل بعيد الامومة :

صور ...

واعلان ..

وانتهاز للفرصة ...

وترويج للتجارة ...

او هكذا مسخنا عيد الامومة عندنا ، فى احتفالنا به على هذا النحو فى اليوم الحادى والعشرين من مارس كل عام نقلا حرفيا من الغرب ، وليتنا مع ذلك ندرك مغزى اختيار الغرب لهذا اليوم فى مستهل الربيع حيث يتفتح الكون ، وتدب الحياة فى الكائنات ايذانا ببعث جديد من الاكفان الثلجية التى تكفنها فى الشتاء ..

ومن ثم يذكرون فى هذا البعث الامومة، واهبة الحياة وصانعة البشر !

أجل نقلنا العيد من الغرب بيومه وطقوسه ...

دون أن ندرى أن لنا عيدنا الأصيل ، يأتى كل عام فى موعده الذى لا يتخلف ونحتفل فيه بالامومة على مدار السنين ، منذ ما لا يحصى من دهور وأحقاب ..

الزمان : قديم موغل فى اعماق الماضى السحيق ...

والمكان: «مكة» عندما كانت قفرا يبابا فى الوادى الاجرد ، لا يعمرها انس ، وانما تلم بها بين حين وآخر جماعات من الرعاة ، يحطون رحالهم عند أطلال البيت العتيق ، التماسا للراحة والبركة ، ثم لا يلبثون أن يشدوا الرحال ويضربوا فى تيه الصحراء بحثا عن مساقط الغيث ومنازل المطر ..

فى تلك البقعة المهجورة ، وفى ذلك الزمن الغابر وراء التاريخ ، جاء « ابراهيم » عليه السلام يسعى من الشمال ومن ورائه « هاجر » تحمل فى حضنها وليدها « اسماعيل » ...

وفيم كان المسعى ؟

كان « ابراهيم » قد بلغ الشيخوخة ، وامرأته السيدة « سارة » عاقر لا تلد ، وبدا لها يوما أن تهبه جاريتها المصرية « هاجر » لعلها تعطيه الولد الذى يشتاق اليه ، او لعلها هى ايضا تعقم فلا تلد ، فيسكن « ابراهيم » الى راحة اليأس ويكف عن التعلق بالسراب .

وحملت « هاجر » فما كادت السيدة تراها أمامها فى حملها ، حتى خيل اليها انها مزهوة بهذا العطاء وأحست سيدتها بلواذع الغيرة ، لكنها كتمت قهرها ، وأقامت تنتظر وهى تعلل النفس بأن التجربة لم تتم بعد ، ومن يدرى .. لعل الجنين يسقط باجهاض !

لكن « هاجر » وضعت وليدها اسماعيل ، فكأنما أصابت سيدتها العاقر بسهم قاتل ، افقدها تماسكها فحدثت « ابراهيم » عن هذه الأمة التى تتعمد جرح كبرياء الانوثة فى سيدتها، بما تبدى من زهو بالغلام . قال ابراهيم :

ــ هى امتك تصنعين بها ما شئت !

وشاءت السيدة ان تطرد هاجر وولدها ، وآلت على زوجها « الا يضمها وهذه الجارية سقف واحد » .

وخرج ابراهيم من أرض كنعان ، ضاربا فى طريق الجنوب الى البلد العتيق ومن ورائه الام « هاجر » مهزولة فى أعقاب نفاسها ، منصرفة عن التفكير فيما كان ويكون بهذا الصغير الرضيع الذى يسكن الى حضنها فينسيها كل الدنيا .

وعند اطلال البيت العتيق حط ابراهيم رحله ، ثم تهيأ للعودة من حيث جاء ، تاركا « هاجر » وولدها ، مع جراب فيه تمر ، وسقاء فيه ماء .

وأدارت هاجر عينيها فى هذا التيه القفر فسألت مرتاعة :

ــ أتتركنا هنا بهذا القفر الموحش ؟

قال :

ــ بلى

فأمسكت هاجر عن الكلام برهة ، ثم سألت سيدها ابراهيم :

ــ آلله أمرك بهذا ؟

أجاب :

ــ بلى

قالت :

ــ اذن فالله لن يضيعنا !

ولم تزد ...

وسار ابراهيم منصرفا ، حتى اذا بلغ ثنية الوادى رفع رأسه الى السماء وقال فى ضراعة وابتهال :

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ومضى ...

وظلت « هاجر » تتبعه عيناها حتى غيبه منعطف الوادى ، فأقبلت على وليدها تستمد منه الانس فى وحشتها والقوة على احتمال محنتها !

حتى نفد الزاد الضئيل الذى تركه لها سيدها « ابراهيم » ونفد الماء .

وجف ثديها فلم يعد يبض بقطرة ..

اذ ذاك بدا لها أن تبحث هنا وهناك عن شىء يمسك الحياة على طفلها ، فراحت تضرب فيما حول الاطلال ... دون ان تهتدى الى شىء ....

وسعت الى جبل « الصفا » فعرجت الى قمته لتشرف من عل على الوادى ، لعلها تلمح من بعيد أثرا لحياة، ولا أثر..

وهبطت من « الصفا » وسعت مهرولة الى المروة فصعدت وحدقت فيما حولها لعل أحدا غيرها يضرب فى التيه .. ولا أحد .

وأعادت الكرة ..

ظلت تسعى مهرولة بين الصفا والمروة مرتين وثلاثا وسبعا ، حتى وهنت قواها وهدها اليأس ، فارتمت الى جانب طفلها ، لكنها لم تقو على احتمال رؤيته وهو يلهث ظمأ ، والحياة تتسرب من كيانه اللطيف .

« وغطت وجهها بلفاعها ، وقالت لا أنظر موت الولد » .

ثم استسلمت لما يقضى به الله ..

وتفتحت السماء لمشهد « الام » فيما تكابد من هموم أمومتها ..

وتجلت رحمة الله فى طائر حط قريبا من هاجر وراح يحفر فى الارض المجدبة بمنقاره ، فتفجر « نبع » زمزم وهرولت الام الى النبع ، فارتوت وسقت وليدها

وردت الروح الى الطفل وامه ..

وبعثت الحياة فى الوادى الاجرد ، وقد استجاب الله لدعاء « ابراهيم » ! ..

اقبل قوم من الرعاة من جرهم ، يضربون فى التيه قريبا من موضع هاجر واسماعيل ، فما لمحوا الطير محوما على على المكان حتى ايقنوا انه لا يحوم الا على ماء .

ونزلوا حيث نزلت الام « هاجر » واستقروا حول نبع زمزم ، فعمر بهم المكان الموحش ، وشب « اسماعيل » فاصهر الى « جرهم » من العرب العاربة الاصيلة ، وبدأ تاريخ جديد لمكة والعرب منذ تلقى اسماعيل وابوه ابراهيم العهد الالهى باعداد البيت العتيق لعبادة الله :

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود. واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم .

من ذلك العهد السحيق ، دخلت « هاجر » تاريخنا الدينى ، فكان مسعاها (مهرولة بين الصفا والمروة) شعيرة من شعائر حج العرب فى الجاهلية والاسلام .

(ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) .

و « هاجر » لم تدخل هذا التاريخ بشىء ما سوى هموم امومتها، فما كانت سوى أمة منبوذة غريبة عن الاهل والوطن ..

وتمضى الدهور والاحقاب ، والام « هاجر » ملء الحياة ، فكلما دار عام القمر دورته وأهل عيدنا الاكبر ، سعى الالوف من الحجيج بين الصفا والمروة مهرولين سبعة اشواط ، كما سعت « هاجر » من قبل التاريخ ! .

وهاجر هى ام العرب العدنانية ، من بنى ولدها اسماعيل ، ومنهم بعث محمد ابن عبد الله الهاشمى القرشى العدنانى « المصطفى خاتما للانبياء » .

ونحن المسلمين لا يكمل لنا ديننا حتى نحج بيت الله ، وهناك يتكرر المشهد الحى لذكرى الام الخالدة .

فى مكان بعينه بين الصفا والمروة ..
وبالحركة نفسها : هرولة بينهما سبعة اشواط .

وفى موعده الذى لا يتخلف ، من عام القمر ... على مدار السنين من قديم بعيد والى الابد ! .

ذلك هو عيد الامومة عندنا ..

شعيرة من شعائر الله ..

فكيف جاز لنا ان نغفل عنه ونستبدل به هذا العيد الطارىء المجلوب ، قد مسخت فيه حقيقة عيدنا فصار الى ضجة اعلان وبريق صور وسوقا للبضاعة .

وانه لفى تاريخنا : دين وشعيرة مقدسة ! .

ألا هل بلغت .

اللهم فاشهد .



لفضيلة الشيخ
السيد سابق

الحج عبادة قديمة

الحج عبادة من العبادات القديمة التي عرفتها الامم جميعا منذ اقدم العصور ، فقد كان لكل امة مكان معين . او اكثر تحج اليه وتؤمه مرة او مرات ، عرفه قدماء المصريين . والسريان . والصينيون . والهنود . واليونانيون ، وعرفه الاسرائيليون . فقد كانوا يذهبون الى اورشليم ليقضوا عيد الفصح بها حاجين متعبدين حسب ما امروا به .

ولما جاءت المسيحية جعلت الحج فى اول عهدها الى قبور الاولياء والشهداء والقديسين ثم اتجهت به الى اورشليم .

وكان العرب فى العهد الجاهلي يحجون الى البيت الحرام الذي بناه بمكة ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

الا ان حج العرب كان قد شابه الكثير من الوثنية ـ كما شابه الكثير من السيئات . فقد كانوا يلبون ويقولون فى تلبيتهم . « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك » كما كانوا يطوفون بالبيت عراة الاجسام رجالا ونساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون . ويتعللون لذلك بانه لا ينبغي لهم ان يطوفوا بالبيت فى ملابس عصوا الله فيها . فسجل الله عليهم ذلك فقال : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) .

والمكاء هو الصفير .. والتصدية هي التصفيق . وأمرهم الله ان يستروا عوراتهم فقال :

(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) .

واذا كانالحج قد عرفته الامم القديمة جميعها . فالظاهر ان ذلك مستمد من الشرائع الالهية . ومن الاصل السماوى. باعتباره من دين الله الذي كلف به جميع الامم والشعوب . والى هذا تشير الآية الكريمة .

(لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) .

الحج في الاسلام

فلما جاء الاسلام فرض الحج على المسلمين كما فرضته الشرائع السابقة ، وجعله احد اركان الاسلام الخمسة وفريضة من الفرائض التى علمت من الدين بالضرورة . فلو انكر وجوبه منكر كفر وارتد عن الاسلام . يقول الله سبحانه : (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين .)

متى فرض

والذي اختاره اكثر العلماء ان ايجابه كان سنة ست بعد الهجرة ، لأنه نزل فيها قولالله تعالى(وأتموا الحج والعمرة لله ..) وهذا مبني على ان الاتمام يراد به ابتداء الفرض . ويؤيد هذا قراءة علقمة ومسروق وابراهيم النخعي وأقيموا ـرواه الطبرانيباسناد صحيح.

الترغيب فيه

اما ابن القيم فقد رجح ان افتراض الحج كان سنة تسع او عشر .

وقد رغب الشارع في اداء هذه الفريضة فاعتبرها من أفضل الاعمال . فعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنافضل الاعمال . قال (ايمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا . قال ثم جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال ثم حج مبرور) .

والحج المبرور هوالحج الذيلا يخالطه اثم وقال الحسن ان يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة .

ومن الحسن ابن علي رضى الله عنهما ـ ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال (اني جبان واني ضعيف ، فقال هلم الى جهاد لا شوكة فيه : الحج ومن ثم كان للحجاج عند الله المنزلة الرفيعة والمقام المحمود ـ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه اجابهم وان استغفروه غفر لهم .

شروط وجوبه

وقد اشترط الفقهاء لوجوبه الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ، وانما تتحقق الاستطاعة بصحة البدن وأمن الطريق وملك ما يكفيه ويكفي من يعوله كفاية فاضلة عن حوائجه الاصلية

من مطعم وملبس ومسكن ، والا يوجد ما يمنع الناس من الذهاب الى الحج كالحبس والخوف من سلطان جائر يمنع الناس منه .

حكمتــــه

قد يبدو أن الحج عبادة رمزية غير معقولة المعنى ، ولا ظاهرة الحكمة وأن ما يأتيه الانسان من أعمال انما هو امتثال للأمر واظهار للعبودية ، وقيام بحق الله ولكنه عند المتأمل تتجلى اسراره وتظهر آثاره النفسية والخلقية والاجتماعية .

أسراره النفسية

ان شعائر الحج تثير في النفس ذكريات عذابا ، اذ انها ترتبط بالواقع التاريخي لابي الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعا . والحج يلقي على هذه الذكريات من الظلال والالوان ما يجعلها شاخصة للعيون ماثلة في الاذهان . ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي رفع قواعد البيت واسماعيل . وهو اول بيت وضع لعبادة الله في الارض . ومن ثم أمر الحنفاء ان يتوجهوا اليه كلما توجهوا الى الله في صلاتهم ، وأن يتلاقوا عنده كل عام يحدوهم الحب في الله والاجتماع عليه ليعلنوا تضامنهم واتفاقهم على اقامة شريعة الله الواحد .

ولا تزال النفس الانسانية تهفو الى مصدر اشعاعها الاول وتحن اليه ، وتقيم لذلك المعالم الهادية وتتخذ منها حافزا يرقى بحاضرها وينهض بها الى حياة أهدى وأزكى .

ولقد جاشت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفعلت بهذه الذكريات فبكى وهو عند الكعبة وقال :

(يا عمر : هنا تسكب العبرات) .

آثاره الخلقيـــة

والحج نوع من السلوك ولون من الوان التدريب العملى على مجاهدة النفس من اجل الوصول الى المثل الاعلى ، والاندماج في حياة روحية خالصة تمتلىء فيها القلوب بحب الله ، وتنطلق الحناجر هاتفة بذكره مثنية عليه . بينما يرتدى المرء ملابس الاحرام وهي ملابس خالية من الزينة ومن كل ما يثير في النفس دواعي العجب والخيلاء يقول الله تعالى « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله) . تشير هذه الآية الى ان المرء حينما يدخل في اعمال الحج يجب عليه أن يعيش في جو من العفاف والادب العالى فلا يتدلى الى رفث ولا يميل الى فسوق ولا ينطق بكلمة طائشة . او ينظر نظرة فاحشة . كما تشير ايضا الى فعل الخير . وهو عمل ايجابي يجمل بكل مؤمن أن يهتم به ويحرص عليه .

آثاره الاجتماعيــة

يمكن تلخيص الحكم الاجتماعية للحج فيما يلي .

١ : ان الحج رحلة سياحية لتجميع اكبر عدد ممكن من افراد الامة الاسلامية ليشهدوا المنافع التي تعود عليهم بالخير والبركات . سواء اكانت منافع روحية ام منافع اقتصادية ام منافع سياسية .

٢ : ان فيه تعارف الشعوب الاسلامية وتوحيد غاياتهم التي توجههم الوجهة التي تأخذ بأيديهم الى حياة القوة والعزة والعلم والعمل . بما يفيده بعضهم من بعض ومن تبادل الآراء المختلفة والثقافات المتنوعــة .

٣ : يمكن عقد معاهدات واتفاقات في موسم الحج ودراسة الوسائل لتيسير

التبادل الاقتصادي والثقافي مما تحتاج اليه هذه البلاد .

هذه هي بعض حكم الحج وأسراره .

فلننظر الى أرض الله الواسعة ولنستحضر كل المؤتمرات والتجمعات ، فهل نجد مجتمعا أطهر وأبر من هذا المجتمع مع هذا العدد الوفير . والكثرة الكاثرة ؟ . وصدق الله العظيم اذ يقول :

(واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) .

كيفيته . ومن الثابت ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حج حجة واحدة ، وكان ذلك في السنة العاشرة من الهجرة وسميت حجته تلك بحجة الوداع ، وقد بين فيها الرسول صلوات الله عليه مناسك الحج وقال :

(خذوا عني مناسككم) . فمن اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم واهتدى بهدية في حجه كان حجه صحيحا . وهذا بيان حجه كما رواه الامام مسلم . قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ، واسحق بن ابراهيم جميعا ،عن حاتم ، قال ابو بكر حدثنا حاتم بن اسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن ابيه قال : دخلنا على جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، فسأل عن القوم حتى انتهى الي . فقلت انا محمد بن على بن حسين فأهوى بيده الى رأسي ، فنزع زرى الاعلى ، ثم نزع زرى الاسفل ، ثم وضع كفه بين ثديي ، وانا يومئذ غلام شاب .

فقال مرحبا بك يا ابن أخي ، سل عما شئت ؟ فسألته ــ وهو أعمى وحضر وقت الصلاة، فقام فى نساجة (١) ملتحفا بها ، كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها اليه من صغرها ، ورداؤه الى جنبه على المشجب (٢) فصلى بنا ، فقلت اخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بيده فعقد تسعا ، فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين (٣) لم يحج ثم أذن فى الناس في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله .

فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت (أسماء) بنت عميس : محمد ابن أبي بكر فأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع ؟ قال : اغتسلي واستقرى (٤) بثوب واحرمي. فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، ثم ركب « القصواء » (٥) حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت الى مد بصرى بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهل (٦)

---

(١) نساجة ثوب يشبه الطيلسان

(٢) المشجب اسم لأعواد ــ يوضع عليها الثياب ــ ومتاع البدن أشبه بما يسمى عندنا بالشماعة .

(٣) تسع سنين . أى بالمدينة قبل أن يحج .

(٤) الاستثفار . ان تشد فى وسطها شيئا وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها فى ذلك المشدود فى وسطها لمنع سيلان الدم ــ وفى هذا دليل على صحة احرام الحائض والنفساء بعد استثفارهما . وعلى ان غسل الاحرام سنة لهما . ولغيرهما من باب أولى .

(٥) القصواء . اسم لناقة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) أهلّ . من الاهلال وهو رفع الصوت بالتلبية .

بالتوحيد (لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك) وأهل الناس بهذا الذي يهلون به ، فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئا منه ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبيته . قال جابر رضى الله عنه. لسنا ننوى الا الحج ، لسنا نعرف العمرة ، حتى اذا اتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ، ومشى اربعا ثم نفذ الى مقام ابراهيم عليه السلام فقرأ :

(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى « فجعل المقام بينه وبين البيت . فكان يقرأ في الركعتين « قل هو الله احد » « و » قل يايها الكافرون » ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ « ان الصفا والمروة من شعائر الله » « ابدأ بما بدأ الله به » فبدأ بالصفا ، فرقى عليه حتى رأى البيت ، « واستقبل القبلة ، فوحد الله وكبره ، وقال « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله وحده، انجز وعده، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده » (١) . ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة ، حتى اذا انصبت قدماه فى بطن الوادى(٢) سعى ، حتى اذا صعدنا مشى ، حتى اتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا . حتى اذا كان آخر طوافه على المروة فقال « لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم اسق الهدى ، وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل ، وليجعلها عمرة » . فقام سراقة بن مالك بن جعشم ، فقال يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه ، واحدة في الاخرى ، وقال « دخلت العمرة في الحج مرتين ، لا ، بل لأبد ابد » .

وقدم « علي من اليمن ببدن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضى الله عنها ممن حلّ .. ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت ، فانكر ذلك عليها، فقالت : ان أبي أمرنى بهذا . قال فكان علي يقول بالعراق . فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا (٣) على فاطمة للذي صنعت ، مستفتيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه ، فأخبرته انّي انكرت ذلك عليها ، فقال صدقت صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ . قال :

قلت اللهم اني اهلُّ بما أهل به رسولك « صلى الله عليه وسلم قال : فان معي الهدى فلا تحلُّ .

قال فكان جماعة الهدى الذي قدم به علي من اليمن . والذي اتى به النبي صلى الله عليه وسلم « مائة » . قال فحلُّ الناس كلّهم وقصروا (٤) ، الا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى ، فلما كان يوم التروية (٥)

---

(١) هزم الاحزاب وحده . أى هزمهم بغير قتال من الآدميين . ولا بسبب من جهتهم والمراد بالاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق .

(٢) بطن الوادى . هو الذى يقال له بين الميلين ـ والمراد بالسعى الرمل وهو مشروع فى كل الاشواط السبعة .

(٣) محرشا التحريش الاغراء ـ والمراد به انه كان يعتب عليها .

(٤) يؤخذ من هذا ـ جواز فسخ الحج الى العمرة ـ لمن لم يسق الهدى ـ كما فعل الصحابة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) يوم التروية ـ هو اليوم الثامن من ذى الحجة وسمى بذلك لانه مشتق من الرواية لان الامام يروى للناس مناسكهم . وقيل من الارتواء لأنهم يرتوون الماء فى ذلك اليوم ويجمعونه بمنى .

توجهوا الى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب ، والعشاء والفجر (١) ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقيَّة من شعر تضرب له بنمرة . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام . كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية (٢) . فأجاز (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس، أمر بالقصواء فرحلت (٤) له فأتى بطن الوادى (٥) .

فخطب الناس قال : « ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا الا كلّ شيء من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع . ودماء الجاهلية موضوعة ، وان أول دم اضع من دمائنا ، دم ابن ربيعة بن الحارث . كان مسترضعا في بني سعد ، فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع (٦) وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب ، فانه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء . فانكم أخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ... الى قوله : ولهن عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده ، ان اعتصمتم به ، كتاب الله وأنتم تسألون عنى ، فما أنتم قائلون . ؟ قالوا . نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فقال باصبعه السبابة (٧) يرفعها الى السماء ينكتها الى الناس ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات ، ثم اذن ، ثم اقام فصلى الظهر ، ثم اقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا (٨) ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات، وجعل حبل المشاة (٩) بين يديه . واستقبل القبلة .

---

(١) يؤخذ من هذا أن من السنة صلاة خمسة اوقات بمنى . والمبيت بها هذه الليلة وهي ليلة التاسع من ذى الحجة . ومن السنة كذلك الا يخرج يوم عرفة من منى الا بعد طلوع الشمس ولا يدخل عرفات الا بعد زوال الشمس ، وهذا كله بحسب الاستطاعة .

(٢) كانت قريش فى الجاهلية تقف بالمشعر الحرام ــ وهو جبل فى المزدلفة يقال له قزح وقيل ان المشعرَ الحرام كل المزدلفة . وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات فظنت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم يقف فى المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه فتجاوزه صلى الله عليه وسلم الى عرفات لان الله تعالى أمره بذلك فى قوله (ثم افيضوا من حيث افاض الناس) أى سائر العرب غير قريش ــ وانما كانت قريش تقف بالمزدلفة لأنها من الحرم ــ وكانوا يقولون نحن اهل حرم الله فلا نخرج منه .

(٣) (٣) فأجاز ــ أى جاوز المزدلفة ولم يقف بها . بل توجه الى عرفات .

(٤) فرحلت ــ أى جعل عليها الرحل .

(٥) بطن الوادى ــ هو وادى عرفه .

(٦) ربا الجاهلية موضوع . أى باطل .

(٧) فقال باصبعه السبابة أى يقلبها ويرددها الى الناس مشيرا اليهم .

(٨) فيه دليل على مشروعية الجمع بين الظهر والعصر هناك فى ذلك اليوم بسبب النسك او بسبب السفر ــ على خلاف فى ذلك .

(٩) حبل المشاة أى مجتمعهم .

فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص، وأردف اسامة خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شنق(١) للقصواء الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحله (٢) ويقول بيده اليمنى (٣) أيها الناس : السكينة السكينة كلما أتى جبلا من الجبال ارخى لها قليلا حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا (٤) ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر . وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة . ثم ركب القصواء ، حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفا حتىاسفر جدا. فدفع قبل ان تطلع الشمس .

وأردفالفضل بن عباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما (٥) فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن (٦) يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل . فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل، وجههمنالشق الآخر ينظر حتى أتى بطن محسر . فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى (٧) التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخزف ، رمى من بطن الوادى (٨) . ثم انصرف الى المنحر . فنحر ثلاثا وستين بيده (٩) ثم أعطى عليا . فنحر ما غبر (١٠) وأشركه فى هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة (١١) فجعلت في قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأفاض الى

---

(١) شنق أى ضم وضيق .

(٢) المورك الموضع الذى يثنى الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل اذا مل من الركوب .

(٣) ويقول بيده اليمنى أى يشير بها قائلا الزموا السكينة . وهي الرفق والطمأنينة .

(٤) لم يسبح بينهما شيئا أى لم يصل بينهما شيئا من الصلوات وهذا الجمع متفق عليه من العلماء .

(٥) وسيما جميلا .

(٦) ظعن جمع ظعينة وهي البعير الذى عليه امرأة ــ ثم سميت به المرأة مجازا لملابستها البعير .

(٧) فيه دليل على ان سلوك هذا الطريق من عرفات سنة . وهو غير الطريق الذى ذهب فيه الى عرفات . وكان قد ذهب الى عرفات من طريق (ضب) ليخالف الطريق كما كان يفعل فى الخروج الى العيدين فى مخالفة طريق الذهاب والاياب .

(٨) بطن الوادى اى بحيث تكون منى وعرفات والمزدلفة عن يمينه ومكة عن يساره .

(٩) فنحر ثلاثا وستين بيده ــ فيه دليل على استحباب تكثير الهدى ــ وكان هدى النبي صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة مائة بدنة .

(١٠) ما غبر ما بقى .

(١١) ببضعة أى بقطعة من اللحم .

البيت (١) فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال انزعوا (٢) بنى عبد المطلب فلو لا أن يغلبكم الناس على سقايتكم (٣) لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه . قال العلماء واعلم ان هذا الحديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد ، ونفائس من مهمات القواعد . قال القاضي عياض قد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا ، وصنف فيه ابو بكر بن المنذر جزءا كبيرا أخرج فيه من الفقه مئة ونيفا وخمسين نوعا . قال ولو تقصى لزيد على هذا العدد قريب منه . قالوا وفيه دلالة على ان غسل الاحرام سنة للنفساء والحائض ولغيرهما بالاولى . وعلى استثفار الحائض والنفساء ، وعلى صحة احرامهما، وان يكون الاحرام عقب صلاة فرض او نفل ، وان يرفع المحرم صوته بالتلبية ويستحب الاقتصار على تلبية النبي صلى الله عليه وسلم . فان زاد فلا بأس ، فقد زاد عمر : لبيك ذا النعماء والفضل الحسن ، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا اليك .

وانه لينبغي للحاج القدوم اولا الى مكة ليطوف طواف القدوم وأن يتسلم الركن ـ الحجر الاسود ـ قبل طوافه ويرمل في الثلاثة الاشواط الاول . والرمل اسرع المشى مع تقارب الخطا وهو الخبب وهذا الرمل يفعله في ما عدا الركنين اليمانيين .

ثم يمشى اربعا على عادته وانه ياتي بعد تمام طوافه مقام ابراهيم ويتلو « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » ثم يجعل المقام بينه وبين البيت ويصلى ركعتين . ويقرأ فيها ـ في الاولى ـ بعد الفاتحة ـ سورة الكافرون ـ وفى الثانية بعد الفاتحة « سورة الاخلاص » . ورد الحديث على انه يشرع له الاستلام عند الخروج من المسجد كما فعله عند الدخول . واتفق العلماء على ان الاستلام سنة . وانه يسعى بعد الطواف ويبدأ من الصفا ويرقى الى اعلاه ويقف عليه ، مستقبل القبلة ويذكر الله تعالى بهذا الذكر ويدعو ثلاث مرات ويرمل في بطن الوادى وهو الذي يقال له « بين الميلين » وهو ـ أي الرمل ـ مشروع في كل مرة من السبعة الاشواط . لا في الثلاثة الاول كما في طواف القدوم بالبيت وانه يرقى ايضا على المروة كما رقى على الصفا ويذكر ويدعو .

وبتمام ذلك تتم عمرته .

فان حلق او قصر صار حلالا . وهكذا فعل الصحابة الذين أمرهم صلى الله عليه وسلم بفسخ الحج الى العمرة .

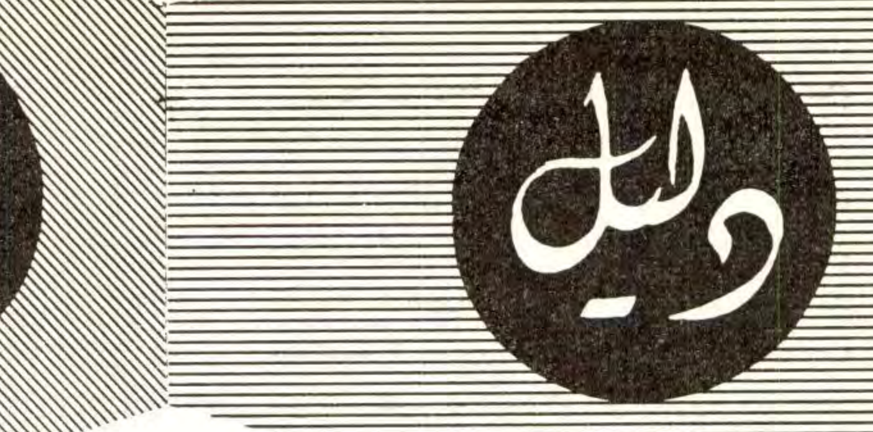
وأما من كان قارنا ، فانه لا يحلق ولا يقصر ويبقى على احرامه ثم في يوم التروية ـ وهو الثامن من ذى الحجة ـ يحرم من اراد الحج ممن حل من عمرته ويذهب هو ومن كان قارنا الى منى، والسنة ان يصلى بمنى الصلوات الخمس وان يبيت بها هذه الليلة ـ وهي ليلة التاسع من ذي الحجة ـ ومن السنة كذلك ان لا يخرج يوم عرفة من منى الا بعد طلوع الشمس ولا يدخل (عرفات) الا بعد زوال الشمس . وبعد صلاة

ـ البقية على ص ٣٥ ـ

(١) أفاض الى البيت أى طاف بالبيت طواف الافاضة .

(٢) انزعوا أى اسقوا بالادلاء وانزعوها بالرشاء أى الحبال .

(٣) ان يغلبكم الناس على سقايتكم معناه لولا خوفي ان يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحموا عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستسقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء .



بقلم الاستاذ علي الطنطاوي
مكة المكرمة

— ١ —

ياعازمين على الحج ، يا من يشد الرحال ، ويعد الاحمال ، ليصل الى فناء الحرم ، ويقوم عند الملتزم ، ويشرب من ماء زمزم ...

قفوا قليلا ، فاستمعوا مني كلمة ،ثم امضوا على بركة الله .. انكم ما حملتم مشاق السفر ، ولا رضيتم بفراق الاهل ، ولا انفقتم هذا المال ، الا ابتغاء ثواب الله ، وادخارا من الحسنات ليوم الحساب . فهل علمتم قبل أن تمشوا ان الحج حجان : حج مبرور وردت الاحاديث الصحاح بأنه ليس له ثواب الا الجنة ، وان صاحبه يرجع منه كيوم ولدته أمه .

وحج ما فيه الا انفاق المال وارهاق الجسد ، وفراق العيال . فماذا تعملون ليرفع الله حجكم اليه ، ولا يرده عليكم ، فيضرب به وجوهكم . انا اقول لكم : هل ترتفع الطيارة اذا أثقلتها بالحديد ، وحملتها أضعاف ما تطيق ، ثم ربطتها بحبال الفولاذ الى صخور الجبل ؟ .

انها لا ترتفع الا اذا خففت أحمالها ، وقطعت عنها حبالها وكذلك الاعمال . فاذا أردتم ان يصعد حجكم فخففوا عن عواتقكم اثقال الذنوب ، واقطعوا الحبال التي توثقكم بأرض الشهوات ، أو حلوها .

فاقعد يا أخي الحاج وحدك ، واحصر فكرك قبل ان تخطو اول خطوة فى طريق الحج ، وحاسب نفسك ، وانظر فى حياتك فى بيتك ، وصلاتك بأهلك ، وروابطك بأصحابك ، وسلوكك فى (وظيفتك) «١» او تجارتك وفى مصادر ثروتك . وطرق انفاقك ، فكر فيها كلها ، وقسها بمقياس الشرع ، فما وجدته منها محرما فتب منه ، واستسمح أصحابه قبل ان تمضي الى الحج .

---

(١) **الوظيفة فى اللغة الراتب ولكني استعملتها بالمعنى الذي يفهمه الناس .**

انظر هل انت تارك لفريضة من الفرائض ؟ هل انت مرتكب لمحرم من المحرمات ؟ هل اسأت رعاية من استرعاك الله امره من اهلك وولدك ؟ هل انت ظالم لزوجتك قد كرَّهت اليها بسوء معاملتك عيشها ، او انت منقاد اليها تتبع رغباتها التي تغضب ربها ؟ هل رضيت بترك اولادك الصلاة ؟ هل وضعتهم فى مدارس غير المسلمين . ؟ هل اكلت مال احد ، او تعديت عليه ؟ هل لاحد فى ذمتك دين لم تقضه ، او حق لم تسدده ؟ هل تقصر فى عمل الوظيفة ان كنت موظفا ؟ هل تأخذ الرشوة ؟ هل تعامل الناس بالربا ان كنت تاجرا ؟ هل تعقد عقودا مخالفة للشرع ؟ انظر فى هذا كله وامثاله ، فتب منه ، وليس يكفي ان تعزم على ترك الذنب بقلبك ، او ان تعلنه بلسانك ، بل ان تتخذ الاسباب لذلك .

فان كنت تتعامل بالربا ، واردت ان تتوب منه ، والاتعود اليه . فصف حساب عملائه ، واقطع صلاتك بهم . وخذ راس مالك ودع موارد الربا ، ولا يغررك ان الربا سمي بـ (الفائدة) فلقد ورد ان الناس فى آخر الزمان يسمون المحرمات بغير اسمائها ليستحلوها .

وان كنت تتكسب من عمل محرم ، كأن تكون عاملا فى ناد يسقي الخمر ، ويجمع الجنسين . اوفى مصرف يرابي وأنت تشتغل فيه كاتبا للربا . او كنت فى مؤسسة او مصلحة تنشر الالحاد ، او تؤذى المسلمين وأردت أن تتوب ، ففتش لنفسك عن عمل آخر ، والا لم تنفعك توبتك عنه وأنت ملازم له .

واعلم ان الله هو الرزاق ، وان من يتق الله لا من يعصه يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب . وكذلك الحال فى كل محرم .

ثم تدبر امورك وامور عيالك فى غيبتك ، لتريح بالك منها ، فلا تفكر فيها وانت فى الحج . فتعطي اهلك من النفقة ما يكفيهم فى غيابك ، وتوكل بهم من يقوم بأمرهم الى حين عودتك ، وتعهد بعملك الى من تثق به ، وتعتمد بعد الله عليه ،

واعلم يا أخي الحاج ، ان الحج غسل للقلب من اوضار الذنوب ، فهل يغسل احد جسده من الاوساخ بالماء الوسخ؟ فكيف اذن تبغى أن تتخلص بالحج من تبعات الحرام . اذا كان حجك بمال حرام ؟ ان الله طيب لا يقبل الا طيبا . فليكن اول ما تصنعه ان تعد لنفقات حجك مالا حلالا .

لا اريد بالمال الحلال ان يكون خاليا من كل شبهة فلقد ذكر العلماء من قرون طوال ان ذلك كان كالمتعذر فى ازمانهم ، فكيف بزماننا ؟ ولكن اريد الا يكون المال الذى اعددته للحج ، مالا ظاهر الحرمة ، كأن يكون مغصوبا او متحصلا من الربا ، او من مهنة يحرمها الشرع كالاتجار بالخمر ، او زراعة الحشيش ، او نشر الكتب والمجلات المفسدة للدين وللأخلاق .

المال الحرام ردوه الى اصحابه الذين اخذ منهم ظلما . فهذا افضل من الحج ، ثم ان وجدتم بعد ذلك ما تحجون به من المال الحلال . والا فانتظروا حتى يبعثه الله اليكم فتحجوا .

ومن كان منكم موسرا فليحمل معه ما يزيد عن نفقات حجه ، ونفقات اهله فى غيابه ، ولينو بذلك مساعدة المحتاج واسعاف المنقطع ، لا يوزعه على الشحاذين الذين اتخذوا السؤال حرفة ، ولعل فيهم من هو غني ، بل يعطي من يثق بحاجته ، ومن يكون عفيفا ، فيظنه الناس من عفته وابائه غنيا وهو فى اشد الفقر .

امثـال هؤلاء فاعطوهـم ، واذا لم تعرفوهم فأسألوا عنهم من تثقون به من افاضل اهل الحرمين .

الرفيق قبل الطريق

واعلموا ان على السنة الناس أقوالا سائرة يلقونها ، لا يفكرون بمعناها ، وكأنها من كثرة الترداد قـد صارت الفاظـا بلا معان ، وهي ثمرة تجارب بشرية طويلة ، منها قولهم (الرفيق قبل الطريق) .

وأولى سفرة باختيار الرفيق الصالح سفرة الحج ، ورب رفيق حججت معه فاستفدت من علمه ، واسترحت الـى حلمه، وأطمأننت الى امانته، ورب رفيق نغص عليك حجتك ، واضـاع عليـك ثوابك .

رفيق يجعل الحج مردودا مرفوضا ، ورفيق يجعله مبرورا مقبولا . فاختر لك رفيقا عالما بالمناسك ، فان لم تجد فخذ كتابا من كتب المناسك لعالم موثوق به ، ولا تركن الى هذه الكتب التى يؤلفها من ليسوا بعلماء ، ولو رأيت الاعـلان عنها ، والدعوة اليها ، فان فيهـا خطأ كثيرا ، ولا تأخذ كلام المطوفين قضيـة مسلمة فان اكثرهم من غير العلماء ، ولا تقبل من كل من يتكلم فى العلم . فربما تكلم فى العلم فى زماننا ، وتصدر للافتاء من ليس بعالم ولا بطالب علم .

فاذا أعددتم المال الحلال ، وانتقيتم الرفيق الصالح ، وتبتـم من ذنوبكم ، واديتم الحقوق التي عليكم ، فاخـلوا اذهانكم من همـوم العيش وخلفوهـا وراءكم ، وفرغوا قلوبكم ما اسـتطعتم لربكم ، فانكم تفكرون فى الدنيا العمـر كله ، ففكروا فى الآخرة هذه الايام فقط ، وتعملون طول حياتكم لما لا ينفعكم بعد موتكم ، فاعملوا هذه الايام فقط لما يبقى لكم ، ويفيدكم يوم العرض على ربكم .

ـ ٢ ـ

يا اخوتي الحجاج

انكم تقومـون للصلاة ، تنظرون الى مسير الشمس فى النهار ، وتبحثون عن نجـم القطـب فى الليـل ، وتضعـون (البوصلة) امامكم وتستحضرون موقع البلد فى اذهانكم لتعرفوا اين تقع الكعبة ، فتجعلوها قبلتكم فى صلاتكم . وبينكم وبينهـا الابعـاد والآماد وبينكم وبينهـا الصحـارى والبحـار . والجبـال والانهار ، لا يمنعكم بعدها ولا تصدكم العوائق دونها ، عن أن تتوجهوا اليهـا باجسادكم وقلوبكم ، وأن تتصوروهـا على الغيبة ، وتحنوا اليها على البعد ، فها انتم هؤلاء تمشون اليها كما يمشي المحب الى لقاء المحبوب ، ودونه الحجب والاستار ، فكلما جزتم اليها بادية ، أو ركبتم بحرا ، رفع لكم من دونها حجاب ، وكلما دنوتم منها شبرا ، رفع لكم ستر ، حتى وصلتم الى (المواقيت)

لباسه الرسمي

هذى مواقيت الحرم يا حجاج فقفوا ، هذه أعتاب ديار المحبوب ، هذه مشارف بيت المليك ، أن من يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا، يلبس للمقابلة لباسها الرسمي، وهـذه ابواب حضرة ملك الملوك ، رب العالمين ، فاخلعوا عن اجسـادكم ثياب الدنيا ، والبسـوا للنسـك لباسـه الرسمي .

البسوا ثياب الاحرام ، التي لا يمتاز فيها غنى عن فقير ، ولا امير من أجير ، وانزعوا معها حب الدنيا وانزعوا مشاغلها ومشاكلها عن قلوبكم ، واغسلوا بالمـاء اجسادكم ، واغسـلوا بتجديد التوبة نفوسكم ، وانووا اما الحج وحده ، واما العمرة والحج مقرونين ، تدخلون بالعمرة فتطوفون وتسعون وتبقون محرمين الى انتهاء اعمال الحج ، واما العمرة وحدها فاذا اكملتـم مناسـكها (اى طفتـم وسعيتم) حلقتم ولبستم ثيابكم وحللتم ،

ثم احرمتم بالحج يوم الحج ، والاول هو الافراد ، والثاني القران ، والثالث التمتع ، وكل ما تنوون حسن ، وكل من **الثلاثة هو الافضل فى احد المذاهب ،** وان كان التمتع هو آخر ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل به اولى .

اجيبوا داعي الله

ثم اصغوا تسمعوا صوت الشرع فى قلوبكم يأمركم بالتوحيد واخلاص العبادة لله ، واتباع سبل الخير ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، اسمعوا اوامر الله فى آيات كتابه واقوال نبيه ، فاذا تمثلت لأذهانكم ، فاجيبوا بالسنتكم وبقلوبكم :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

لبيك امرتنا فاطعنا ، ونهيتنا فاجتنبنا ، فاعنا اللهم على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، فانا لا نستطيع ان نقوم بها بغير معونتك ، لا شريك لك فنطلب منه ، ولا اله سواك ، فنفر اليه ، لقد فررنا اليك ، وجئنا قاصدين بيتك ، فهل تردنا عن بابك خائبين ، وأنت اكرم الاكرمين ؟

هذه يا حجاج مواقيت الحرم (آبار علي) على ابواب المدينة ، و (الجحفة) عند رابغ (وقرن) عند السيل الكبير ، ووادى محرم قرب الطائف ، (ويلملم) فى الجنوب الشرقي من مكة . .

هذه حدود منزل الوحي ، لقد جزتموها الآن محرمين ، فجدوا السير ، واحدوا المطي أو استحثوا سائق السيارة .

لقد دنوتم الآن من الحرم ، اتعرفون يا اخوان ما الحرم ؟

هنا دار السلام ان عمت الأرض الحروب . هنا دار الأمن ان شمل الناس الخوف .

كل حي ها هنا آمن ، الناس والحيوان والنبات ، ليس ها هنا حرب ولا قتال ، **الحيوان هاهنا لا يصاد ، والاشجار لا تقطع . لاعدوان على أحد ، ولا تجاوز على شيء .**

هذه حدود الحرم ، الا ترون اعلامها ؟

لقد أقام هذه العلامات ابو الأنبياء ابراهيم ، وبقيت حيث أقامها . **لقد دخلتم الآن الحرم ،** فجددوا التلبية واجهروا بها ، وقولوا بقلوبكم مع السنتكم .

لبيك اللهم ، قد دعوتنا فأجبنا ، سمعنا المؤذن يؤذن بالحج فجئنا رجالا وعلى كل ضامر ، اتينا من مكان بعيد ، نجزع الأرض ، نطوى البيد ، نركب الريح ، ونمتطي اللجج ، امتثالا لامرك ، وابتغاء رضاك .

لبوا يا حجاج ، واجهروا بالتلبية ، لبوا عند كل رابية وجبل ، تلب معكم الروابي والجبال ، لبوا كلما صعدتم نشزا ، لبوا كلما هبطتم واديا ، لبوا **فهذه جبال مكة ،** بدت لكم .

لقد وصلتم ، لم يبق الا قليل ، فجدوا المسير .

هذه مكة فادخلوها من اعلاها ، من جهة ذى طوى (حي الزاهر) ثم اهبطوا من الحجون ، من عند المقبرة ، فمن هناك دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم امشوا من عند المسعى حتى تدخلوا من باب السلام (باب بني شيبة) .

لقد زالت الحجب حجابا بعد حجاب ، وتقاربت الابعاد ساعة بعد ساعة ، حتى

بلغتم الأرب فنسيتم التعب ، فهنيئـا لكم،نلتم المرام،هذا باب السلام وهذه زمزم، وهذا المقام ، وهذه الكعبة البيت الحرام.

فلبوا وهللوا ، وادعوا فـان دعـاء المسلم اول ما يرى الكعبة مستجـاب ، هذا هو المشهد الذى قطعتم من اجـل رؤيته الآفاق ، وحملتم المشاق ، أني لن أنسى يوم وقفت هذا الموقف أول مرة ، من احدى وثلاثين سنة ، لقد سلكنـا الصحارى من دمشق ، فكنا كلما دنونا يوما زاد الشوق بنا شهرا . حتى تمنيت ان تطوى لي الأرض ،وان يتصرم الزمن.

واكثر ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام

حتى اذا وقفت على باب السلام صفق من الفرحة القلب ، وبكت مـن السرور العين ، فما رأيت الكعبة الا من خلال الدموع .

هـذه دارهـم وانت محب
ما بقاء الدموع فى الآماق !

اني لا اتمنى الا امنية واحدة ، هي أن انسى هذا المشهد لا ستمتع برؤيته من جديد . هذه مكافأة الحاج أنها لذة من لذائذ الروح لا مثيل لها ، فأشبهه بهـا لأدل عليها من لم يعرفها .

لذة لا يدرك مداها الا من ذاقها ، لذة لا توصف ولا تعرف

لايعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

اسأل الله ان يمن بذلك على كل راغب فيه ، مشتاق اليه .

الظهر والعصر جمعا بعرفات فانه صلى الله عليه وسلم نزل بنمرة وليست من عرفات . ولم يدخل – صلى الله عليه وسلم – الموقف الا بعد الصلاتين . ومن السنة ان لا يصلي بينهما شيئا ، وان يخطب الامام الناس قبل الصلاة وهذه احدى الخطب المسنونة في الحج .

والثانية – أى من الخطب المسنونة يوم السابع من ذى الحجة يخطب عند الكعبة بعد صلاة الظهر .

والثالثة – أى من الخطب المسنونة يوم النحر

والرابعة يوم النفر الاول . وفي الحديث سنن وآداب منها :

أن يجعل الذهاب الى الموقف عند فراغه من الصلاتين ، وأن يقف فى عرفات راكبا أفضل . وأن يقف عند الصخرات ، عند موقف النبي صلى الله عليه وسلم . او قريبا منه ، وان يقف مستقبل القبلة . وأن يبقى في الموقف حتى تغرب الشمس . ويكون في وقوفه داعيا الله عز وجل . رافعا يديه الى صدره . وأن يدفع بعد تحقق غروب الشمس بالسكينة ، ويأمر الناس بها ان كان مطاعا فاذا أتى المزدلفة نزل بها وصلى المغرب والعشاء جمعا بأذان واحد واقامتين ، دون ان يتطوع بينهما شيئا من الصلوات ، وهذا الجمع متفق عليه بين العلماء ، وانما اختلفوا فى سببه ، فقيل انه نسك ، وقيل لأنهم مسافرون – أى السفر هو العلة لمشروعية الجمع –

ومن السنن المبيت بمزدلفة وهو مجمع على انه نسك . وانما اختلفوا فى كونه – أى المبيت – واجبا أو سنة .

ومن السنة ان يصلي الصبح فى المزدلفة ثم يدفع منها بعد ذلك . فيأتي المشعر الحرام فيقف به ويدعو .

والوقوف عنده من المناسك . ثم يدفع منه عند اسفار الفجر اسفارا بليغا ، فيأتي بطن محسر ، فيسرع السير فيه ، لأنه محل غضب الله فيه على أصحاب الفيل ، فلا ينبغي الاناة فيه ولا البقاء فيه ، فاذا أتى الجمرة – وهي جمرة العقبة – نزل ببطن الوادى ورماها بسبع حصيات كل حصاة كحبة الباقلاء – اى الفول – يكبر مع كل حصاة . ثم ينصرف بعد ذلك الى المنحر فينحر ان كان عنده هدى ثم يحلق بعد نحره .

ثم يرجع الى مكة فيطوف طواف الافاضة وهو الذى يقال له طواف الزيارة .

ومن بعده يحل له كل ما حرم عليه بالاحرام . حتى وطء النساء ، واما اذا رمى جمرة العقبة ، ولم يطف هذا الطواف فانه يحل له كل شيء ما عدا النساء .

* * *

هذا هو هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجه والآتي به مقتد به صلى الله عليه وسلم وممتثل لقوله (خذوا عني مناسككم) وحجه صحيح .

المنهاج العلمي

للبخاري ورجال الحديث عندنا من خصائص الأمة الإسلامية

أثار المقال الذى نشرته مجلة العربى فى عدد فبراير ٦٦ حول صحيح الامام البخارى نفوس الغيورين على السنة النبوية ، والعارفين لقدر الامام البخارى ومكانته العلمية ، وقد نشرنا فى العدد السابق من مجلة ((الوعي الأسلامى)) كلمة هادئة موضوعية فيها انصاف للامام البخارى ، وبيان صريح لما التبس على كاتب المقال .

وكان فى تقديرنا ان الموضوع سينتهي عند هذا القدر . ولكن نفرا منهم الكاتب نقلوا هذا الموضوع الى بعض الصحف والمجلات المحلية .

وبعث الينا الكثيرون من مختلف الاقطار بردود كثيرة ، ولهذا رأينا ان ننشر هذا الرد للاستاذ ابراهيم البطاوى ، نائب رئيس لجنة احياء تراث السنة التي تشرف عليها جامعة الازهر ووزارة الثقافة بالجمهورية العربية المتحدة . وردا مختصرا آخر للاستاذ محمد الشيخ صالح آل ابراهيم من الكويت . مؤكدين للقراء أن الاسلام وان كان دين العقل الا ان اطلاق الزمام لكل عقل ليحكم فى قضايا الدين أو غيره من العلوم دون دراسة وتثبت أمر يتنافى مع العقل .

((الوعي))

القرآن والسنة :

قال رجل ـ ذات يوم ـ للتابعي المحدث الزاهد مطرف بن عبد الله ((لا تحدثونا الا بالقرآن !!)) فقال له مطرف ((والله ما نريد بالقرآن بدلا ... ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا !!)) .. يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعم : فقد نزل القرآن دستورا لجميع الخلائق مجملا للاحكام الالهية وما فرض الله ، جامعا فى

بقلم الاستاذ ابراهيم محمد البطاوى

ايجاز لمكارم الاخلاق ، وتاريخ الامم والرسل والحضارات ، وحقائق الكائنات ، ومصائر البشر .

ولكن من يكشف كنوز القرآن فيفصل مجمله ، ويبين مشكله، ويبسط مختصره ، ويوضح معالمه ، - بقوله وفعله - من غير شطط فى الرأى ، او بعد عن القصد ، او ضلال من الهوى والجهل ؟ . ليس هناك قط غير المعصوم الذى رباه ربه وطهره وأهله، ثم اختاره لاشرف الرسالات وأكملها محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . الذى أمره ربه أن يبين للناس كل هذا بسنته حين أنزل عليه قوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم).

البيان المحمدى (السنة) : -

والبيان الذى نشره الرسول صلى الله عليه وسلم بين الناس جميعا بنص الآية السابقة هو ما يسميه المسلمون (السنة) ، ويراد بها منهج النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته المطهرة .

وعلم السنة يعنى فى اصطلاح العلماء تدوين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من الافعال والاقوال مما ليس من القرآن ، مع أنه قد يتضمن معنى ورد فيه - وكما يقول الشاطبي رحمه الله فى (موافقاته) : فلا تجد فى السنة أمرا الا والقرآن قد دل على معناه دلالة اجمالية أو تفصيلية ...، فالاستقراء التام دل على ذلك .

ليس هذا فحسب ، وانما لوجاء فى السنة أمر لم يوجبه القرآن وجب اتباعها كما يقول ابن القيم (فى اعلام الموقعين) جـ ٢ ص ٢٨٨ : فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته، ويقول « فالله سبحانه وتعالى ولاه منصب البيان لما أراد بكلامه . بل ان كلامه كله بيان من الله « ص ٢٩٤ من أعلام الموقعين » .

ومما يدخل فى السنة اقرار النبي لكل فعل أو ترك ، فعله صحابي أو قال به وعلم بذلك الرسول فأجازه .

ومن هنا تظهر أهمية البيان المحمدى (السنة) فى الفهم الصحيح المعصوم للقرآن - ولهذا أمر الله المسلمين بأن يتبعوه فى كل حال ويطيعوه ، وجعل هذا الاتباع برهان حبه وثمن مغفرته (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم).

بل ان الله حكم بأن طاعة الرسول هى طاعة الله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) . كما دعا النبي لكل مسلم سمع عنه شيئا من أمر أو نهى أو فعل أو ترك فبلغ ما سمع بالامانة والدقة اللازمتين ، فقال صلوات الله وسلامه عليه (رحم الله امرا سمع مقالتي فأداها كما سمعها ، ورب مبلغ اوعى من سامع) رواه ابن حبان والترمذى وابو داود ، وقال صلوات الله وسلامه عليه ، « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . رواه ابن عبد البر .

منهاج المسلمين العلمي فى رواية الحديث ونقد الرجال :

من أجل هذا كانت عناية الصحابة والتابعين من بعدهم وسائر المسلمين بعد ذلك - بتبليغ السنة ، والرحلة فى طلبها وجمعها ، والتدقيق فى ذلك كله ، الى حد المغالاة فى تحرى عدالة الرواة وعدالة الشاهدين بعدالتهم ، وبعد هؤلاء وأولئك عن مظان الشبهات او الغفلة او السهو ، وكانت عنايتهم هذه معجزة فى ذاتها ، لانها لم



تحدث فى تاريخ أمة من الامم على الاطلاق بشهادة أعمالهم أنفسهم ، ومناهجهم المدونة فىبحثالسنة المروية أولا من حيث هي ومدى انطباقها على المتواتر من عمل المسلمين ، أو ما روى من طرق أخرى .

ثم البحث ثانيا فى رواتها وعرض ذلك كله مع سائر وثائقه على مختبرات القواعد المضبوطة فى علوم (الجرح والتعديل) ، (ومصطلح الحديث) ، و «أنسابالرجال»، ومنالاهمية بمكان حسبأصول مناهجهم معرفة تواريخ ميلادهم ووفاتهموشيوخهم ومعايشهم ، حتى أنهم لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة فى حياة الرواة مما يتصل بالشرف والامانة والصدق وما اليها الا جمعوها ، وعرضوها على مشرحة اصولهم العادلة وقواعدهم المحكمة ، لتحكم للراوى فى النهاية بالعدالة فتقبل روايته . او السقوط والتجريح فيترك حديثه أصلا ، ويتنبه جميع الباحثين الى ضعفه ـ وهم يقررون ان هذا العمل من أجل العبادات شرفا ، وأفضل أنواع القربات الى رب العالمين .

وقد أبدى جميع الدارسين للسنة دهشة لهذه الدقة المتناهية ، ولم يكتمها حتى اعداء الاسلام مثل « دوزى » و « مرجليوث » .. اذ صار هذا التدقيق عادة متأصلة فى الرواة العرب سواء رواة الحديث الشريف،أو رواة التاريخ والانساب ، أو رواة الفقه ، او حتى رواة الاشعار والادب بما فيها من جد أو مجون . فدققوا فى قبول كل أصناف الرواة والروايات وخاصة فى روايتهم لما يتعلقبأمر الدين،لدرجة حسدنا عليها كبار مفكرى الغربمن المستشرقين الذين درسوا تراثنا ، وهذه نعمة عظمى انفرد بها الاسلام فحفظه الله بها صحيحا كاملا .

تاريخ بدء تدوين الحديث النبوى

١ ـ بدأ تدوين الحديث الشريف مبكرا فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم . برغم ان من الصحابة من كانوا يخافون ان يلتبس عليهم بالقرآن فيما يروى البعض . ويرد على هذا بأن اعجاز القرآن لا يخفى نوره عن الرجل الامي فى عصرنا فضلا عن كل ذى بصر ، فضلا عن الصحابة ـ وبهذا الفهم كتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة بأمر رسول الله فيما يروى البخارى فى حديث قتيل خزاعة عام الفتح ، حيث قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك « ان الله حبس عن مكة القتل أو الفيل الخ » .. قال فجاء رجل من أهل اليمن فقال اكتب لي يا رسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام « اكتبوا لابى شاه » رواه الستة .

٢ ـ صحف الصحابة التي كانوا يدونون فيها أحاديث رسول الله حال سماعها ، مثل صحيفة عبد الله بن عمرو التى كان يسميها (الصادقة) وقد روى خبرها الامام أحمد والبيهقى ، كما يذكر ابن الاثير انها كانت تحتوى على الف حديث وقد روى احمد فى مسنده كثيرا من احاديث تلك الصحيفة . ويروى ابن عبد البر ان بعض الصحابة راجع عبد الله فىأمر كتابة الحديث وكانوا يكرهون ذلك غيرة على القرآن فىأولأمرهم بالاسلام ،فرجع عبد الله بن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول « اكتب عنى فوالذى نفسى بيده ما خرج من فمي الا حق » (جامع بيان العلم ٧٦/١) .

٣ ـ الا ان التدوين لم يأخذ شكله العلمي على مستوى الدولة الا فى عهد امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز،الذى كتب أمرا الى عامله علىالمدينةالمنورة قال له فيه « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فاني خفت دروس العلم وضياع العلماء»،كما كتب الى جميع عماله فى الامصار والمدن والى العلماء مثل الزهرى وغيره حتى شاع التدوين وأخذت السنة طريقها الى حياة الناس،وبدأت الرحلات الطويلة الشاقة فى طلب الحديث ونقله عن الثقات العالمين من التابعين وتابعيهم .

وكان من أئمة هذا العلم الامام مالك والليث بن سعد وسفيان الثورى وأصحاب المسانيد مثل أحمد وابن أبى شيبة ، حتى جاء العصر الذهبي للحديث بظهور امام المحدثين والمحققين محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله فى أوائل القرن الثالث الهجرى،فجمع كتابهالجليل مقتصرا فيه على ما صح سنده فقط من الاحاديث

وفق شروطه المحكمة وقواعده الدقيقة التي أشرنا الى بعضها .

ماذا وراء الحملات على البخاري والحديث؟

ولقد كان مما يلفت النظر حقا بعد هذا الضبط تلك الحملات التي تبدأ هجومها من نقطة واحدة هى (السنة المحمدية)،وبالذات على ما هو مسلم بصحته بداهة عند جميع المسلمين مثل (صحيح البخارى) الذى أجمع على صحته أهل العلم الذين وهبوا أعمارهم كلها لخدمة الشريعة بالبحث فى سنة خير الانام ، وقد ذكرنا يسيرا من تلك الجهود الباهرات بايجاز فيما قدمنا من هذا البحث .

بدأ الهجوم صليبيا غربيا

والعجيب أن تعرف أن هذه الحملات بدأها الصليبيون من المستشرقين الحاقدين على الاسلام فى العصر الحاضر باسم ((العلم)) وخدمة تراث العرب ، من أمثال ((سبرنجر Sbrenger)) صاحب كتاب (الحديث عند العرب) ، وفيه من الطعن الصريح ما فيه ، ثم جاء من بعده وعلى نفس المنهاج المستشرق (جولد زيهر Gold Ziher) واستخدم نفس العبارات ، وزاد عليها طعنات فى الاسلام والسنة وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم بالذات . ومع هذا كانت لكليهما بعض مواقف لم يستطيعا فيها كتمان ما لمساه أثناء دراستهما للحديث من جهود علمائنا الامجاد ، ودقتهم فى تحرى الروايات ، فيما يختص بالحديث الشريف على أسس علمية ، لم توجد قبل العرب، وليس لها فى تاريخ الحضارة العالمية قبلهم نظير. وان كان (جولد زيهر) بعد أن أشار الى تلك الحقيقة عاوده حقده فشكك فى متن الحديث بعد ثنائه على الروايات والاسانيد ،مدعيا أن العرب تهاونوا فيه(1)، لانهم جعلوا مقياس صحة الحديث عندهم السند ورواته فصرفوا جهودهم اليه مهملين المتن - فى زعمه - واتخذ هو وأمثاله من هذا التدليس الكاذب ذريعة للتشكيك فى الاسلام ، والصحابة أنفسهم،والحديث الشريف متنه وسنده، لانه اذا هدم المتن انهدم السند تلقائيا وتلك خطتهم .

وكان أمر المستشرقين جميعا مكشوفا لخاصة المسلمين ، محجوبا عن غالبيتهم ، لان كتاباتهم كان أغلبها بلغاتهم ، وقل من يطلع عليها من العرب المسلمين . وكان الاستعمار الصليبى فى أوج سطوته على بلاد الاسلام بالذات ، وكان المسلمون من أمرهم على حذر ، فبدأ الاستعمار يفكر فى وسيلة أخرى لا ينفر منها المسلمون ، حتى يصرع بسمومه عقائدهم ، فاستطاع بدهائه وخبرته وماله واغرائه أن ينفذ الى صفوف المسلمين أنفسهم ويتخذ منهم أسماء لامعة، أو بعبارة أخرى يتعهدها ويسخر لها جميع أسباب الظهور لتقوم بدوره الخبيث فى الكيد للاسلام .

ولقد كان من المؤسف حقا أن يطلع علينا كاتب بمجلة ((العربى)) - ولها مكانتها فى النفوس - فى اعداد متلاحقة بآراء فى الدين، ويطالب باحراق كتب التفسير والتصوف ثم ما نشره أخيرا تحت عنوان ((ليس كل ما فى البخارى صحيحا ..))

وما نشره بعد ذلك فى الصحف المحلية من طعن على البخارى تحت عناوين مريبة مثل (أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يحفظوا من كلامه الا أسطرا فكيف صارت عند البخارى ٧٢٧٥ حديثا) مستغلا استغلالا سيئا بعض عبارات لفضيلة الشيخ محمد ابو زهرة ، نترك لفضيلة الشيخ الرد عليها .

ولقد ترك ذلك كله آثاره فى بلبلة الافكار وزعزعة الثقة فى نفوس بعض القراء.وانا لنتساءل: ماذا يبقى للمسلمين من تراث لو استجبنا لرأيه وأحرقنا هذه الكتب وماذا يبقى للمسلمين من المصدر الثانى لتشريعهم لو كذبنا البخارى وهو اصح كتب السنة؟!!

ان هذا الا شيء يراد

ان القضية ليست قضية حديث بذاته ، ولا مائة حديث دار حولها مقال ، والا لهان الخطب ، الا أن تكرار استعمال نفس المعول وفى نفس الاتجاه دق امام جميع المسلمين ناقوس الخطر الى ما بيت من جديد ضد الدين المظلوم ، الذى استغل أعداؤه سماحته فولجوا أمن حماه ، وجعلوا يطعنون فيه بكل قواهم لمحو أثره من النفوس بعد أن

(1) Etudes sur la Tradition Islamique (Gold - Ziher) - t t . - Par (Leon Bercher)

تمكنوا من محو نظامه وأحكامه ، ومحو جميع حدوده ومعظم أخلاقياته من تشريعات جميع الامم الاسلامية تقريبا ، ولم يبق منه بعد هذا الا شكليات فقط .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

لذا كان لا بد أن ننظر الى هذه الزوبعة الاخيرة بعين الاهتمام ، وأن نناقش كل ما أثير حول البخارى لان الشريعة كلها قرآنا وسنة وفقها مقصودة بالتشكيك .

فعكفت على تخريج كل الاحاديث التى اوردها الكاتب فى العربى وجريدة اخبار الكويت كدليل يبرر به طعنه الصريح فى السنة،فوجدت أن معظم ما أورده واوهم نسبته الى البخارى أو الى كتب الصحاح تدليس ليس له أصل فى صحيح البخارى أو مسلم أو أى كتاب من كتب الصحاح ، وانما وجدناه فى كتب الموضوعات وليس فى الصحاح اطلاقا والعجيب أنه يتكلم عن الصحاح وما أوردت . ثم يأتى بما ليس فيها وينقله من الكتب التى تخصصت فى بيان الاحاديث الموضوعة مثل كتاب ابن الجوزى فى الموضوعات وكتاب السيوطى (اللآلىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة) أو الطحاوى فى (مشكله) او الاحاديث الموضوعة والضعيفة للالبانى ، اذ تقصاها العلماء منذ بدأ علم الحديث فى صدر الاسلام ، وأظهروا زيفها ، ولهذا لم يضيفوها الى كتب الحديث الصحيح وانما أفردوا لها كتبا خاصة كنماذج للعملات الزائفة حتى لا يضل بها العوام .

وبعد أن أورد هذه المقدمات الخاطئة وصل سريعا الى أحاديث فى البخارى وادعى أنها أحاديث مكذوبة،مع أن جميع رجال الحديث أثبتوا صحتها ولكنه هو لم يستطع فهمها .

أولا ـ فمن هذه الاحاديث الصحيحة التى ادعى أنها مكذوبة حديث المباشرة فى المحيض فقد زعم أن المباشرة جنسية وهى فى الحقيقة لا تعدو فى هذا الحديث بالذات مقاربة جسم بجسم ، أو كما يقول علماء اللغة ملامسة بشرة ببشرة . ولكن سوء الفهم حمله أن يقول ان المباشرة هنا هى الجماع ، وكأنه لم يقرأ قول أم المؤمنين فى نص الحديث ((يأمرنى فأتزر)) فتجاهل الحكمة فى أن الرسول أمرها لتتزر لتكون المباشرة فى غير ما ستره الازار وهذا ما بينته احاديث أخرى كالحديث الذى رواه مسلم(اصنعوا كل شىء الا النكاح)وأجمع شراح الحديث عليه . وحاشانا أن يفهم أحد منا معشر المسلمين غير القصد الصحيح بالنسبة لرسول الله الذى أراد به تصحيح عقيدة لليهود خاطئة بالنسبة للمرأة حين تحيض .

وكل ما طعن به على الصحاح فى أحاديثه القليلة التى اوردها للتمويه بجانب حشد كثير من الاحاديث الموضوعة انما هو من هذا القبيل الذى لم يحسن فهمه .

احمد امين والبخارى

نقل كاتب ((العربى)) عن أحمد أمين اعتراضه على البخارى ((اقتصاره على نقد الرجال دون نقد المتن)) وأن الحفاظ انتقدوه فى بعض احاديث بلغت ١١٠ واستدل بحديث العجوة من الجنة وأمثاله . هذه خلاصة ما نقل الكاتب عن أحمد أمين بعد تهجم وجرأة فى القول لم أشأ تكرارها .
ولا بأس أن نوضح هنا موضوع نقد متن الحديث عند المسلمين،ثم نرد على شبهته ودعواه اعتراض نقاد الحديث على البخارى .

أولا ـ نقدهم لمتن الحديث

الحق أن الحفاظ لم يعنوا بالسند وحده دون المتن ، كما زعم المستشرقون وتابعهم احمد أمين ، فذلك قول لا يدعيه عاقل درس أوليات علم الحديث ، ويعرف أن من أصولهم :الحديث (رواية ودراية) و (فقه الحديث) . فهم يدققون فى المتن بنفس القدر والصراحة التى يدققون بها فى الرواة ، ولم ينفك هذا عن ذلك ، مع أن سلامة الطريق ـ وهى التدقيق فى الرواية ـ لا بد أن توصل الى المقصود ، ومع هذا كله نراهم لا يسلمون بجميع ما يرويه الثقات اذا كان فى الحديث لحن لغوى مثلا .

فعلم الحديث دراية كما يفهم من تعريف حجة الحفاظ ابن حجر يعنى بالجانب الموضوعى فى متن

الحديث لمعرفة حال المروى بعد معرفة حال الراوى من حيث القبول أو الرفض .

ولهذا كانوا يردون روايات سلمت أو حسنت، ولكن الراوى لحن فى الحديث ، كما قدمنا ، أو كان فى اسلوب المروى تعقيد أو تكلف كأقـوال الفلاسفة والمتأخرين أو كان فيه ركة أو عيب فى لفته وبلاغته يجعل من المحال نسبته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح البلغاء، الذى اعطاه الله جوامع الكلم ، وهذا شىء سهل معرفته على العـرب الاول ، ومن هم فى درجة بلاغتهم من بعـدهم فى تذوق العربية ، وفهم أسرارها وفنون بلاغتها ، ولهذا قال بعض الحفاظ « ان للحديث ضوءاكضوء النهار تعرفه به »،ويقول ابن حجر فى الركة «ان هذا الدين كله محاسن،والركةترجع الى الرداءة» ، فهذا حكم بسقوط كل قول ركيك لانه لا يناسب أن يصدر عن نبينا جليل القدر فصيح البيـان رفيع الكمالات .

تحكيم العقل

وحين يقولون فى أصولهم برد المخالف للعقل ، فليس فى حسبانهم عقل زائغ أو منكر . ولكنهـم يقصدون بالعقل عقل الاجماع الاسلامى التقـى الورع ـ أى عقل جماعات من علماء المسـلمين العاملين المختصين ، فهو عقل يسير على هدى من نور الايمان ، وليس عقل فرد تضله الاهـواء والشهوات .

نكتة سفينة نوح

جاء رجل يروى على مسمع من الامام مالك ، ويزعم فى روايته أن سفينة نوح طافت بالبيت الحرام ، وصلت خلف المقـام . فضحك الامـام وصحبه من سذاجة هذا الراوى وجعلوها مثـلا يتفكهون به حين تأتى مناسبة غير معقولة ، فكان الامام مالك حين يذكر له أمر مستحيل يقول فيه: « هذا مثل سفينة نوح ! »

السنة بحر محيط
لا يدرك حقيقته الا الرجال

وقد أفنت اجيال متلاحقة من العلماء أعمارها فى بحث الحديث وكل ما يتعلق به جيلا بعد جيـل ، واستعانوا بكل وسيلة يمكن أن توصلهم الى أسرار الهدى المحمدى غير مشوه بفعـل الدس ، أو الزيادة ، أو الادراج ، أو التبديل . فلم يقبلوا من الحديث الا القليل الذى تيقنوا صـدقه ، وكانوا يقبلونه وجلين برغم شروطهم المحكمة .

فكان البخارى لا يكتب حديثا الا على وضوء ، وبعد صلاة ركعتين لله تعالى ، ليلهمه السداد فيما ينقل عن الرواة من كلام النبوة ، ومع هذا فقـد رد البخـارى وعلماء الحديث آلاف الاحاديث من آلاف الرواة ، لانها فقدت شرطا من شروطهم التى اتفقوا على وجوبهـا فى قبول الاحاديث .

فتصور مشقات جساما يترك فيهـا الرجـل أهله وماله ووطنه فى سبيل جمع حديث واحـد أو بضعة أحاديث ، وربما يعود من غير أن يروى شيئا بسبب تلك الشروط القاسيات التي كانت قسوتها فى سبيل الوصول الى الحق المحمدى ، ولقد بلغ عدد الشيوخ الذين تلقى عنهم البخارى (١٠٠٠ عالم) فيقول « تلقيت عن الف نفر من العلماء وزيادة » .

من أجل هذا لم يصل الينا علم السنة الا بعد أن انتهى العلماء من تمحيصه ودراسته وتحقيقه وغربلته ، فجاءنا سليما نقيا من كل شائبة ومعه نوره يسعى بين يديه ، فعرفنا صحيحه وحسـنه وضعيفه من غير أن نتحمل ما تحملوا من جهـد وعناء .

فالذى وضحوا لنا صحته من الحديث هو ما بلغ غاية الكمال . وأما ما دون الصحيح فلم يتركوا فيه مجهولا وانما وضعوا مع كل لفظ مفتاحه ، ولكل حديث وزنه ، انه علم جد دقيـق محكم وهو من أجمل العلوم متعة وافادة لدارسه .ولكن الويل كل الويل للجاهلين به اذا عادوه .

امتحان البخارى

ولقد تعرض البخارى فى حياته كما تعـرض صحيحه من بعده لامتحانات عسيرة ، وشـدائد متكررة .

يروى ابن خلدون فى (مقدمته) وصـاحب (الوفيات) انه حين سافر البخارى الى بغـداد

اراد المحدثون امتحانه ، فسألوه عن مائة حديث قلبوا أسانيدها فقال (لا أعرف هذه ـ ولكن حدثنى فلان عن فلان .. ثم أتى بجميع تلك الاحاديث ، وأسانيدها على الوضع الصحيح ، ورد كل متن الى سنده فأقروا له بالامامة .)

اجماع المسلمين على صحة البخارى

وقد أجمع المسلمون فى جميع أقطارهم على صحة كل أحاديث البخارى (متنه وسنده) ولم يشذ عن هذا الاجماع أحد ولهذا سموه (صحيح البخارى) .

فاذا جاء مستشرق أو غير مستشرق فطعن فى حديث كالذى قالوه فى حديث التمر حين أشار النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يقى من السحر ، لانه لم يدرك حقيقته . فان هذا لن يكون أبدا سببا فى أن نشك فى تراثنا الجليل المحكم .

عقدة السحر والتمر

والدليل على زيفهم وسوء طويتهم انك لو سألت الرجل منهم : ما الذى حملك على الطعن فى حديث صحيح باجماع المسلمين فأنكرت تحقق الحصانة بأكل التمر على الريق.هل عرفت حقيقة السحر حتى يكون الحكم على بينة ؟ .

واذا كان بعضهم يجهل حقيقة السحر فكيف يدعى العلم بما يشفى منه أو يضر ثم يحكم ببطلان أمر يجهل هو منه كل شىء .

١ ـ واذا كان ينكر وجود السحر اصلا فانكر الحديث لهذا السبب فانا نقول له : انك انكرت العلم والتجربة وانكرت القرآن لان هذه كلها أثبتت السحر كحقيقة واقعة ، وليس مجازا ، كما توهم البعض .

٢ ـ أما انكارهم لحديث العجوة وانها فى الجنة فانا نسألهم : هل رأى أحد منكم الجنة وفتش جميع اركانها فلم يجد فيها نخيلا ولا عجوة مما يثمره النخيل فانكر الحديث وعاد ينفخ فى مزماره يجمع الناس ليقول لهم انه تأكد من بطلان الحديث بنفسه حين شاهد الجنة وليس فيها العجوة ؟!! . حتى ينصرف الناس عن الحديث هيهات هيهات فان أقل أمى من المسلمين يدرك بفطرته السليمة ما خفى عن هؤلاء ويؤمن مصدقا بمقالة الحق فى جنتين من جناته فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨ سورة الرحمن) .

٣ ـ أما أن يكون للمسلم فى الجنة عدد من الحوريات كما يشاء فتلك مسألة تخص أهل الجنةوحدهمدون محروم ـ فقد وعدهم ربهم بأن يعطيهم كل ما يطلبون ! « ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » جزاء طاعتهم لله ورسوله عن يقين وايمان ، وتسليمهم لله فى كل الامور .

تعليقات النقاد على البخارى
أو شبهة أل ١١٠ من الاحاديث

لم يدر ببال احد من الحفاظ الذين علقوا على صحيح البخارى ، فأبدوا ملاحظاتهم الفنية على نيف ومائة حديث منه ، ان شخصا سيسىء فهم هذه الملاحظات العلمية ، ويتخذ منها ذريعة لمهاجمة أهم مصادر الشريعة بعد القرآن وهو الحديث الشريف ، واثارة التشكيك فى أصح كتبه .

وذلك لان هذه الملاحظات واضحة المعانى وليس فيها انكار واحد على البخارى فيما يختص بصحة متن الحديث ، وانما كانت ملاحظاتهم على طرق الرواية ، ومع ابدائهم لهذه الملاحظات ، فانهم لم يقولوا ان فيه حديثا مكذوبا بل شهدوا له بأن عمله كان معجزة فى حد ذاته ،وان كتابهأصحكتاببعد القرآن،حتى قال ابن خزيمة«ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله من محمد بن اسماعيل البخارى » وهو الذى وصفه الامام مسلم بأنه « طبيب الحديث » .

وقد جمع البخارى صحيحه وفيه ستة آلاف حديث من بين ستمائة الف حديث كانت لديه ، بنسبة واحد بالمائة وذلك

لانه كما قال عن عمله « لمأخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا . وما تركت من الصحيح أكثر » لانه لم يجمع فى كتابه الا ما أجمع الحفاظ على صحته .

أما ذلك النقد المزعوم للمتن وتكذيبه فان أحدا منهم لم يقل به ، وهذا رجل من الحفاظ الـذين يوزن كلامهم بميزان الذهب وهو ابن حجـــر العسقلانى يقول فى هذه الاحاديث « وليست عللها كلها قادحة، بل اكثرها الجواب عنه محتمل » .

وهذه العلل سببها فقدان شرط كمالىلاجوهرى بالنسبة لرواة الاحاديث واليك البيان :

معنى صحة الحديث وضعفه عند البخارى

١ ـ الحديث الصحيح: « وهو ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة » ـ « فاذا قيل غير صحيح فمعناه انه لم يصح اسناده وقد اشترط البخارى لاثبات صحة الحديث انه لا بد له أن يثبتبشهادة عدلين صادقين أن الراوى لقى بنفسه من يتحدث عنه . ولا يذكر البخارى فى كتابه حديثا الا اذا رواه صحابى مشهور عنالنبى صلى الله عليه وسلم . له راويان ثقتان فاكثر ـ ثم يرويه عنه تابعى مشهور بالثقة والرواية عن الصحابة له راويان ثقتان فأكثر . ويرويه عنه من اتباع الاتبــاع حافظ متقن مشـــهور على ذلك الشرط » انتهى من كلام العلامة الحافظ العينى فى مقدمة (شرح البخارى) .

٢ ـ الحديث الضعيف

فاذا سقط أحد رواة الحديث صار ضعيفا معتلا ـ فالضعف ضعف الرواية وليس ضعف المتن كما يتوهم اكثر الناس . وربما روى الحـديث رجلان حسب شرط البخارى ولكن سقط احدهما فرفضه البخارىولميثبته، فبقيت رواية أخـذها محدث آخر وأثبتها ، لان عنده رواية من طريق ثانية وعن صحابى اخر مستوفية لشروطه ، فهى تعضد الاولى وتنهض لها بالحجة فارتقت بها الى مرتبة الصحيح ، ومن هنا لم تكن الاحـــاديث الصحيحة قصرا على البخارى وحده، وانما بلغت ستة كتب (البخارى ـ ومسلم ـ وابى داود ـ والترمذى ـ والنسائى ـ وابن ماجة وبعضهم يستبدل بهذا موطأ الامام مالك) . وهناك غير هذه الستة من الكتب المشتملة على الصحيح من الاحاديث .

تعليقات الحفاظ على البخارى

١ ـ لم يوجه احد من الحفاظ نقدا لمتنحديث واحد من البخارى قط ، وانما تعليقهم وليس نقـدهم علـى بعض رواة الاحـــاديث المـــائة المذكـورة بكـــلام محـــدد يجل البخـــارى ولا يقـدح فى جهـده العظيم . يقـول العينى فى شرح البخارى:« فى صحيح البخارى جماعة جرحهمبعض المتقدمين ، وهو محمول على انه لم يثبت جرحهم بشرطه (أى البخارى)»فان الجرح لا يثبت الا مفسرا مبين السبب عند الجمهور » ثم عدهـم بالاسم . ثم اثبت رد العلماء لبعض هذا الجرح اى تعديلهم اى ان بعضهم صار عدلا وهذا سر قول العسقلانى ان علل البخارى « ليست بقادحة » .

٢ ـ عكرمـة

وأحد هؤلاء الرواة (عكرمة) لان الامام احمد قال فيه « انه يرى رأى الخوارج الصـفرية » ، ومعلوم أن الخوارج كانوا شجعانا شعارهم الصدق القولى والشجاعـة فى الرأى لدرجـة التمـرد والهلاك . ولكن كون المحدث يرى رأيهم فان علماء الحـديث انتقـدوا البخارى فيما رواه عنــه ، والسبب عندهـم هو مذهبـه السياسي الـذى لا يرتضونه فى راو لحديث رسول الله ، فهم يربأون به عن كافة الخصومات الشخصية ـ زيادة منهم فى التحوط والحذر ، ولهذا فضلوا ان لو كان البخارى اسقط روايته فى حديث كان عكرمة أحد رواته ، لان مذهبه أعله ، وان كانت العلة لا تقدح فى الحديث ذاته كما علمت ، فربما روى من طريق آخر ليس بين رواته عكرمة .

وللدار قطنى كتاب تتبع فيه رواة الاحاديث الذين كان لأولئك العلماء عليهم مقال عند البخارى ـ سماه « الاستدراكات والتتبع » ذكره العينى فى شرحه على البخارى .

فتأمل دقة القوم العجيبة فى استقصاء كل امر

ـ البقية على الصفحة ٨٧ ـ

ردٌ على رد

بقلم الاستاذ محمد الشيخ الصالح آل ابراهيم

قرأت فى العدد (٨٧) من مجلة العربي ردا على رسالة وردت اليه وقد تعرض فيها صاحب الرد الى الحديث النبوي وكتبه ، ولقد أثارني ماقرأت فى الـرد من اقوال لـم تكن تعتمد على المنطـق الصحيح ،ولم يكنفيهامايعتمد علىالتحقيقالعلمي، وليعلم كاتب ذلك الرد انني لا اريد ان امسه بشيء ، ولكن ظهر لي ان هذا البحث الذى طرقه ليس من أهله ، وقد يكون متقنا لعلم آخر . ومن الغريب ان نرى فى مجلة العربي مثل هذا الرد ومثل هذا البحث الذى يتعرض لتراث ضخم قيم على الرغم مما فيه ومما قيل فيه . ولقد هالني ان يتهجم على هذا التراث الضخم بمثل هـذا التسرع المخل والبحث المتهافت ، ولقد كان الاولى ان لا ارد لولا انى رأيت ذلك واجبا لا مفر منه .

وكان احجامي عن الرد حذر ان يأتي منطق فى الجواب كالذى قرأت لان ذلك لا طائل من ورائه .

ولم يترك الاقدمون للمحدثين فى جميع الامم تراثا خالدا ، واصالة فنية ، مثل هـذا التراث الذى تركه له اسلافنا ، ولم تحظ حضارة بمثـل ذلك الا فى عصرنا الحاضر ، وفى التحقيقات العدلية فقط . وقد أتى اصحاب الحديث وعلماؤه بما لا مزيد وراءه منحرص علىالامانة العلمية ونقلدقيق وتتبع شامل ، فهم يأتون بالحديث على عدة وجوه مع احتياطهم وضبطهم وتدقيقهم ، لمجرد ان يأتوا برواية تثبت زيادة حرف او نقصه ، وقد يأتون بالحديث وبما يعارضه وما ذلك الا امانة للعلم وحرصا للتحقيق ، وليجعلوا ذلك أمام من اراد التحقيق والتأكد ، وقد يأتون بذلك لسبب النسخ وقد يأتون بذلك لاسباب غيره . وفى تحقيقهـم للرجال والاسانيد وللمتن ما يدل على انهم بلغوا شأوا من العلم لم يتوصل اليه فى عصرنا الحاضر . وهم فى بعض الاحيـان قد يأتـون بالمكررات من الاحاديث واسانيدها ، ليعطوا تصورا للواقـع وموضوعه ، وهم لم يغفلوا عن تأثير النقـل على الكلمة وما يعتورها من تغيير وتحوير دون قصد على الأكثـر ، أو بقصـد على الأقـل النـادر ، وهـذا منتهـى الأمـانـة العلميـة ، وهـو سـبق حـازتـه هـذه الأمـة دون غيرها . ولكن مع الاسف أن يأتي أبناؤها فيتهجمون من حيث لا مجال للتهجم . واني لا أعارض البحث والتحقيق فى الاحاديث، ولكن ليكن ذلك باطلاع ومقدرة وتفهم تؤهل للبحث وتساهم فى النفع لا تخرصا لم يبن على اساس علمي او منطقي .

ونظرة عابرة على ما كتب فى الرد تكشف بوضوح ان كاتب ذلك الكلام ليس له علم فيما تعرض له . فهو قد ضرب امثالا كان فى غنى عنها لو كان يفقه ذلك العلم ، ولو تفهم معناها لأحجم عن الاسترسال فى عدم فهم النصـوص وادراك المقصـود ، فهو يعترض على القول (اختلاف أصحابى رحمة) وما الى ذلك ويضرب الامثال بأن ذلك مسـتحيل ، لأنه يعارض ما جاء فى القرآن عـن عدم التفرق والاختلاف . واريد ان انبه ان هذه الاقوال سواء

ادافع فيه عن قضايا الدين وكان لصديقي كتب تنشرها له المكتبة .. فحدثني عن رواج كتابه ـ وكان فيه انحراف ـ وتوزيع الكميات الضخمة منه..وكان توزيع كتابي أقل منه .. فدعاني لأن اشترك معه فى كتاب يهاجم او يخالف عقيدة من عقائد الناس لأن هذا هو الطريق لرواج الكتاب . فقلت له : وماذا بعد رواج الكتاب ؟ مبلغ نقبضه ، واسم يتردد على ألسنة الناس ! ! .

وما قيمة هذا كله فى رصيدنا عند الله حين نلقاه ونترك الدنيا وما عليها ؟! وهبنا وصلنا الى انكون من اصحاب الملايين ـ ولن يكون ـ وهب ان شهرتنا طبقت الآفاق واجتازت الحدود فماذا يغني ذلك كله عند الله ؟ الشهرة والمال ! ما قيمتهما فى ميزاننا عند الله ان لم يكونا عن طريق يحبه الله ويرضى عنه ؟ دعك يا صديقي من هذا كله فلأن تعيش مغمورا فقيرا فى ظل كلمة حق تقولها وتتمسك بها وتدافع عنها خير لك من الشهرة والمال تصل اليهما عن هذا الطريق المنحرف .

ولكن هل العيب عيب هؤلاء الذين يطلبون الشهرة والمال وحدهم عن هذا الطريق ؟ .. لا ، فان العيب عيب الذين يمهدون لهم الطريق ويتقبلون كلامهم ويتشدقون به ، ويسارعون الى كتبهم فيبذلون فيها أموالهم . عيب الذين يعظمون هؤلاء ويضفون عليهم القابا تزيد من غرورهم وتجرئهم على الحق واستهتارهم بالعقائد.

كان الأزهر يبحث مرة فى شان احد المتهجمين على بعض قضايا الدين .. واشيع يومها ان اللجنة المؤلفة لذلك تبحث فى سحب شهادة العالمية منه .. فصرخ احد الذين وصلوا الى المراكز العليا عن طريق الطعن فى الدين وقضاياه .. وقال .. لو سحبوا العالمية منه فاني اتنبأ له بانه سيكون وزيرا ! ! ! .. وقابلت فى تيار هذه الاشاعات هذا الرجل الذى يبحثون فى أمره .. فقال لى : ان فلانة ـ وكانت تعمل لحساب امريكا ـ عرضت علي اثناء محنتي التي امر بها سيارة وبيتا فخما اقيم فيه .. وعرضت علي ـ اذا سحبوا مني الشهادة ـ ان تعمل على سفرى لأمريكا لآخذ أرقى الشهادات من هناك .. فرفضت كل ذلك .

ماذا يعني هذا .. يعني ان هناك منظمات واشخاصا يعملون لتحطيم الروح الدينية واحتضان كل شخص يسير فى هذا الاتجاه حتى يتجرأ ويتجرأ آخرون لخوض هذا الميدان .

كنت فى معركة صحفية مع انسان دعا الى التحلل من بعض التعاليم الاسلامية .. وكان الصحفي الكبير رئيس تحرير هذه الصحيفة يحتضن هذا الانسان ويعني بابراز ما يكتبه ويكتب له العناوين الضخمة .. وذهبت اليه مرة اعطيه ردى على هذا الانسان .. فاخذ يجادل عنه وقامت بيننا مناقشة طويلة انهيتها بطلب مناظرة هذا الانسان فى احدى قاعات الصحيفة امام جميع الصحفيين .. فلف ودار وقال لي بصوت كان فيه شفقة علي .. يا فلان قد عرفناك شيخا متحررا فلماذا تقف هذا الموقف ؟ لماذا لا تكتب وتهاجم كذا ، او تهاجم فلانا ـ وكان شخصية دينية محترمة ـ وانا اضع الجريدة كلها تحت تصرفك فقلت له :

يا فلان قد اكون متحررا ولكني لست متحللا .. ثم ما الهدف من وراء هذا كله ؟

تريد تحطيم الروح الدينية وتحلل المسلمين من واجباتهم . وزعزعة الثقة بالعلماء ؟ ! انك بهذا تمهد الطريق للمذاهب الهدامة التي تقضي عليك وعلى أمثالك فى هذا البلد .. تريد الشهرة لي كصديق .. لا لست من طلابها عن هذا الطريق الملوث .

لقد كان من أشهر الصحفيين بل أشهرهم .. ولكن أين هو الآن ؟ ! .

((وتزودوا فان خير الزاد التقوى)) .

آفة الأديان

وتكملة الحكمة المشهورة«من جهل الدعاة» وليس الجهل آفة الأديان فقط بل هو آفة لكل فكرة يتولى الدعوة لها جهال بها .. وقد قيل :

اذا كنت في حاجة مرسلا　　　فأرسل حكيما ولا توصه

وليس الجهل معناه هنا فقط عدم العلم بالموضوع أو الفكرة أو الرسالة التي يحملها ويدعو اليها،بل الجهل أيضا عدم الحكمة والتبصر ووضع كل شيء فى موضعه، والتمييز بين النافع والضار واختيار الوسيلة الحكيمة فى الدعوة وتبليغ الرسالة .. فليست الغيرة وحدها كافية فى الوصول الى الهدف والا لم يقل الله لرسوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » والرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن تنقصه الغيرة .. فلا بد اذن من الحكمة والتفاهم بالحسنى .. والا انقلب الغرض وانعكس المقصود على الداعى .

وقد قابلتنا فى الحياة أنماط من الناس .. لم أشك أن عندهم غيرة وفيهم ايمان ، ومع ذلك كنت آسف لهم لأنهم كانوا منفرين للناس من التدين ــ وهم لا يشعرون ــ لاداعين اليه . ومن قبل هؤلاء من قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم « ان فيكم منفرون .. انكم مضرون .. من صلى بالناس فليخفف، فان فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة .. » وكانوا من أشد الناس غيرة على الدين وحبا فى التدين .

من الناس من تراه يثور ويغضب على انسان لأنه ترك سنة مثلا وهو فى غضبه وحنقه يغتاب أخاه ويسبه ويرميه بالمروق عن الدين .. وما علم المسكين انه كان من الأولى له عند الله والناس الا يغضب ولا يسب ويغتاب .

ومنهم من يدعو للاسلام ويذوب غيرة عليه ولكنه يرتكب الآثام ويستحلها فى سبيل دعوته . والاسلام لم يعرف ذلك وليس من مبادئه « الغاية تبرر الوسيلة » .

ومنهم من يتمسك ببعض مبادئه لانها لا تكلفه مجهودا أو انفاقا وبذلا، أما ما يتطلب الجهد أو يقتضي البذل أو التنازل عن شيء من المال أو السلطة أو تقاليد الأسرة وهيبتها فلا .

وكلهم يتظاهرون بالغيرة على الاسلام ويدعون ان ما هم عليه هو الاسلام .

وكل يدعي وصلا بليلى　　　وليلى لا تقر لهم بذاكا

« الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

خطر

نسمع أو نقرأ بين حين وآخر من بعض المسلمين كلمات لها خطرها ، ومن الواجب على كل مسلم أن يدرك مغزاها وأثرها .. هؤلاء الذين يقولون مثلا ان تعاليم الاسلام لم تعد صالحة لهذا العصر .. أو أن كذا من تعاليمه معناه التأخر والرجعية . أو يقولون لك اذا دعوتهم للعمل بالشريعة .. نحن فى القرن العشرين .. يعني أن الشريعة لا تصلح له .. الى غير ذلك من الأقوال المتفرقة المتنوعة التي يجمعها هدف واحد هو أن تعاليم الاسلام التي صلحت فى العصور الأولى لا تصلح لعصرنا .

هؤلاء يحكمون على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بانها غير خالدة .. وكانهم يقولون انها استنفدت اغراضها .. وهذه ردة عن الاسلام يأخذ صاحبها حكم المرتد .

وهم بهذا يكذبون القرآن ، ويحكمون بأن منزله سبحانه وتعالىوقد أراده حكما لنا الى يوم القيامة غير عالمبمقتضيات كلعصر ..وهذا منأشد أنواع الكفر والارتداد..

أعتقد أن أغلبهم لا يدركون ما ينطوى عليه كلامهم ولكن هل يعذرون فى جهلهم ؟ لو قالوا نعم يجب تطبيقها وهي صالحة لاقامة المجتمع الفاضل ولكن هناك أشياء يتعذر تنفيذها دفعة واحدة ومن الواجب أن نمهد لذلك لقبلنا قولهم .

أما أن يقولوا ان تطبيق احكام الشرع رجعية وتخلف فهذا هو الخطر علىدينهم، ومن أجله أسوق لهم ما قاله الله لأمثالهم « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » (١) « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون . انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » (٢) .

وأخيرا

ماذا نريد بأنفسنا ؟ .. لو أن أعدى أعدائنا اختار لنا أعز أمنية له فينا لما وجد أمنية أحسن من واقعنا الذى نصنعه بأيدينا .. كلما لاحت لنا بارقة أمل فى الاتحاد تفرقنا .. وكلما فرحنا بما نراه من تقارب تباعدنا .. نفوس تغلي هنا وهناك لا على العدو الذى طردنا من ديارنا ولا على المستعمر الذى يستمر فى عدوانه علينا واستهتاره بنا ، ولكن على بعضنا البعض ! ! الواقع المر الذى مر بنا منذ سلبت فلسطين منا لم نأخذ منه الدرس الكافي ! ! .

يا قوم : ثوار فيتنام يدوخون امريكا ويمرغون سمعتها فى التراب .. وعدوكم فى طريقه الى صنع القنبلة الذرية وبعدها لا تستطيعون حتى الكلام ، وتفقدون حتى مجرد الأمل . وبعدها تقولون : ليت . ولكن . هل ينفع شيئا ليت ؟ .

---

(١) سورة النساء (٢) سورة النور .

١

قيام الخلافة العثمانية وسقوطها

بغداد

محمد موذن

كيف ذبحت ثم انتصرت

للاستاذ محمد صبيح

دولة الخلافة العثمانية ومواقفها فى خدمة الاسلام وامتداد رقعته وموقف الغرب المتعصب منها وتحالفه عليها . هذه امور قد تخفى على الجيل الحاضر . وقد آثرنا ان نكشف عنها وأن يتولى الاستاذ محمد صبيح هذه المهمة ، وهو كاتب معروف ومؤلف أخرج للمكتبة العربية عشرات الكتب فى التاريخ الاسلامي تعتز بها المكتبة .

قبل ان نعرض لاحداث التاريخ التي أدت الى قيام الخلافة العثمانية نقدم بين يدى البحث عرضا سريعا لسقوط الخلافة العباسية فى بغداد .

وكلنا يعلم ان بغداد سقطت صريعة امام الزحف المغولي الذى يشبه اعصارا مدمرا ، والذى بدأ به جنكيز خان من بكين وشواطىء المحيط الهادى حتى دمر به دولة المسلمين الشرقية فى خوارزم وخراسان . وقد سقطت تحت سنابك خيله مدن عظيمة شهيرة ، مثل بخارى التي وصفها المقدسي بانها كانت مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع افراد



احدى عربات المغول الضخمة تجرها عشرات من الثيران

الزمان ومطلع نجوم ادباء الارض،وموسم فضلاء الدهر ، .. ولقيت سمرقند مصير بخارى ، ولحقت بهما بلخ ، وهراة والرى ونسا وهي من بلاد خراسان ، وكذلك مرو ، ونيسابور ، ثم توقف هذا الزحف ، بعد موت جنكيز ... وبعد سنين قليلة تولى حفيده هولاكو متابعة الزحف الى بقية البلاد الاسلامية ، وكان ذلك فى منتصف القرن السابع الهجرى.

بغداد تكفي ! !

وبينما هذه الاحداث الكبرى تجرى الى الشرق من بغداد ، كانت هذه المدينة الاسلامية العظيمة ، حاضرة الخلافة العباسية ترتعد خوفا وفرقا ..

يصف ابن الاثير صاحب الكامل فى التاريخ احساسه ، وهذه الاحداث تجرى فى ايامه ، وصفا مروعا .. اذ يقول « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها . فأنا اقدم اليه رجلا ، وأؤخر أخرى . فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين . ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك . فيا ليت امي لم تلدني ، ويا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسيا منسيا ، .. فلو قال قائل ان اهل العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا. فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ، ولا ما يدانيها » .

وكان يمكن للخلافة العباسية ، وقد توقف الزحف المغولي حوالي ربع قرن بعد وفاة قائده الاول جنكيز ، ان تحزم أمرها ، وتعد للدفاع عدتها ، ولكن عوامل الشيخوخة كانت قد اصابت بالضعف الميت أوصال الخلفاء من هذه الاسرة ، بعد ان استمر حكمهم اكثر من خمسة قرون ، وخالطهم الاعاجم ، حتى غلبوهم على امرهم ، بل زاحموهم فى سرير حكمهم ، واصبح الخليفة العباسي فى هذه الظروف شبحا .. بل ربما اخافت **الاشباح بعض الناس ، وهؤلاء كانوا** لا يخيفون احدا .

كان المستعصم باللهآخر هؤلاء الخلفاء البغداديين ، يقول على ما روى ابن العبري « انا تكفيني بغداد . ولا يستكثرونها (اى المغول) على اذا نزلت لهم عن باقي البلاد . وهم لا يهجمون علي، وانا بها وهي بيتي،ودار مقامي !! » .

واذا استثنينا الخلفاء الخمسة أو الستة الأوائل من بني العباس ، فانا نجد مصائب هذا البيت جاءت من وزرائه . وعندما كانت خلافتهم في اوج قوتها ، كان مصير الوزراء المنحرفين الابادة ، بل لقد حدث هذا لابى مسلم الخراساني ، ثم للبرامكة في فجر حكمهم، وكان وزير اخر خلفائهم هو مؤيد الدين بن العلقمي ، الذى كان يعتنق مذهب الشيعيين سرا ، والذى اعتمد عليه المغول في تيسير مهمتهم عندما جاء دور بغداد في قائمة المدن التي يستولون عليها ، وكانت اعظم الجوائز التي يطمعون فيها بعد زحفهم الهائل ، الذى كانت المسافة من حده الشرقي الى حده الغربي تقطع في عام كامل بأسرع وسائل المواصلات في وقتهم ذاك ..

المغول سادة الحروب

وقد يظن البعض ان المغول غلبوا آسيا وشرق اوروبا كله بالكثرة العددية ، والثقل العسكرى وحده . وانهم كانوا مثل قبائل الهون والوندال التى اكتسحت الدولة الرومانية قادمة من وسط اوروبا . وسموا وقتها بالبرابرة . وربما ساعد على نشر هذا الرأى ، عاطفتنا الاسلامية ، وقد رأينا من وصف ابن الاثير وغيره كيف تمت هذه المذابح الكبرى ، وكيف جرت الدماء انهارا في طريق الزاحفين ، ولكن الدراسات الحديثة لخطط المغول الحربية أثبتت عكس هذا الرأى تماما ، وكشفت لنا عن كثير من اسرار هذه الموجة التاريخية العجيبة .

فلفظ « سياسة » الذى نستعمله الآن ، اصله من لغة المغول جاء من كلمتي (سى . يسا) أي المبادىء الثلاثة وكان من اهم عناصر النجاح في معارك المغول الاستطلاع ودراسة المواقع ، وظروف الحكم والناس قبل القيام بالهجوم ، ونشر شبكة واسعة من الجاسوسية تساعدهم على جمع المعلومات التي يريدونها ، حتى أن احد وزراء «جنكيز» كان محمود بلواج ، او محمود الرسول الذى كان يبعث به للمفاوضة . وكذلك صنع هولاكو ، وهو وثني مثل سلفه ، اذ اختار مسلما استوزره هو نصر الدين الطوسي . وكان للمغول نظام متقن للاشارة ، بحيث يمكن تبليغ اوامر قياداتهم الى اطراف الجيش في اسرع وقت ، على الرغم من ان جبهة القتال قد تمتد عشرات من الكيلومترات . وساعد ايضا على اتقانهم للعمل العسكرى انهم يتكلمون لغة واحدة ، وهم من عنصر واحد ، وكانت طاعتهم لقوادهم تامة .. ويزيد على هذا كله انهم احضروا معهم من الصين البارود ، واستعملوه فكانت مفاجأة كبرى لاعدائهم في كل مكان .

ويصف المؤرخ هـ . ج . ويلز معركة المغول على نهر الفستولا ، ضد خيرة جيوش اوروبا الالمانية والمجرية ، بأنهم لم يصمدوا امام الغزاة اكثر من ثلاثة ايام ، وبدوا امام الزحف الاسيوى كأنهم اطفال من البرابرة ! !

مصير بغداد

نحن الآن في عام ٦٥٦ هـ . وقد بلغت هولاكو الانباء من جواسيسه، بانحصونا جديدة تقام حول بغداد ، فأرسل كتابا الى الخليفة يقول له « عليك ان تهدم الحصون ، وتطم (تردم) الخنادق ، وتسلم ابنك الملكة ، ثم تتوجه لمقابلتنا .



زعيم المغول
جنكيز خان

وقد رد الخليفة ردا مضحكا ، اشار عليه به وزيره ، قال فيه :

« ياأيها الشاب الغر الذى لم يخبر الايام بعد ، والذى يتمنى قصر العمر .. الا تعلم انه من الشرق الى الغرب ، ومن الملوك الى الشحاذين ، ومن الشيوخ الى الشباب ، ممن يؤمنون بالله ويعتنقون الأديان ، كلهم عبيد هذا البلاط ، وجنود لى . اننى حينما اشير بجمع الشتات الخ . غير انى لا اود الحقد والخصام . فاذا كنت مثلي تـزرع بذور المحبـة ، اسلك طريق الود وعد الى خراسان » .

وفى شتاء ذلك العام (١٠ فبراير سنة ١٢٥٨ م) كان هذا الخليفة الغافـل ، يستسلم مع ابنائه الثلاثة والجسور تمد عبر نهر دجلة ، والمغول يتدفقون كسيل العرم .

وتوجه هولاكو الى قصر الخلافـة ، وأمر باحضار المستعصم بالله ، وأمره بفتح خزائنه ، فاخرج منها اكداسـا لا تحصى . حتى الذهـب الذى دفـن فى حفر عميقة بحدائق القصر دل عليـه الخليفة بنفسه .

وجاءت المكافأة .. فقد امر هولاكو بوضع الخليفة وابنائه فى اجولة ، وامر حرسه بان يسيروا فوقهم وزفوا جميعا الى الموت ، وكان الوزير الخائـن ابـن العلقمي ، قد زعم ان ولي العهد سيتزوج بنت هولاكو ! .

يقول ابن كثير « ولما نودى بالامان ، خرج من تحت الارض من كان بالمطامير (السراديب) والقنـي والمقابر كأنهـم الموتى ، اذا نبشوا قبورهم ، وقد انكر بعضهم بعضا ، فلا يعرف الوالد ولده ، ولا الأخ أخاه . واخذهم الوباء الشديد فتفانوا (هلكوا) وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى .

وكان من نتائج سقوط بغداد ما ذكره

براون فى تاريخ الادب العربى ، اذ قال « ان تحطيم بغداد كعاصمة للمسلمين ، وانزالها الى مرتبة المدن الاقليمية ، اصاب رباط الوحدةبينالامم الاسلامية، بلطمة شديدة .

كما اصاب مكانة اللغة العربية فى ايران بضربة قاصمة . فاذا وصلنا الى نهاية القرن السابع الهجرى ، لم نصادف الا القليل النادر من الكتب العربية التي تم تأليفها فى ايران .

وما لبثت القاهرة ودمشق بعد هذه الفاجعة ، ان استقبلت الناجين من رجال الدين والفكر والأدب الذين تمكنوا من النجاة قبل سقوط بغداد وغيرها او بعدها .

معجزة الاسلام

وبينما كانت مصر تستعد لمعركة فاصلة مع المغول ، وقد ابت مصر الاستسلام الذى اختارته بغداد ، وجيوشها تتجمع فى غزة بقيادة الظاهر بيبرس ، اذ حدثت مفاجأة مذهلة ..

فقد تلقى سلطان مصر وفدا ، جاءه من قائد جيش المغول فى اوروبا ، يقول له فيه : ان عالما مسلما شرح له تعاليم الاسلام ، وان الله شرح صدره لهذا الدين ، فاعتنقه هو ورجاله ، وانه يريد من الظاهر بيبرس أن يرسل له وفدا كبيرا من العلماء ، لكي يفقهوا جيشه فى تعاليم هذا الدين .. ويقول له أيضا ، انه اذا كان يشعر بضيق او عجز عن مقابلة جيوش هولاكو ، فانه مستعد ان يزحف بجيشه من منطقة الدانوب الى الشام ، ويحارب هؤلاء الكفار كمسلم تجب عليه مؤازرة اخوانه المسلمين .. ويختم رسالته بامضائه ، وكان الاسم الذى اختاره هو « بركة خان » طارحا الاسم المغولي (اقطاى) الذى عرف به ، وحمله فى بداية زحفه مع جيشه وكان يسمى القبيلة الذهبية .

وجاءت الانباء الى هولاكو بهذا النبأ العظيم ، ووجد ان الوسيلة التي يمكن ان يدرأ بها خطر حرب المسلمين الجدد ، وهم من بني قومه ، ان يتحالف مع الصليبيين ، الذين كانوا يحتلون بعض شواطىء الشام .

وخشي امبراطور بيزنطة ، من خطر القبيلة الذهبية التي اسلمت فآزر جهود هولاكو ، بل بعث بابنته ليتزوجها هولاكو وولي‌عهده . . وهرع السفراء والقسيسون من انحاء العالم المسيحى يحاولون نشر عقائدهم ، وتجنيد هذا الفريق من القوى المغولية الجبارة ، لمعاونتهم فى حربهم الصليبية ضد المسلمين فى مراكزهم بروسيا وشرق اوروبا .

وبلغ من تأثير الحملة المسيحية ـ فى معسكر هولاكو ، ان ابنه الثاني ، وكان اسمه «تكوار» تنصر واسمي‌نفسه نقولا . وقد ملأت هذه الاحداث نفوس المسلمين المعسكرين فى غزة بقوة عظيمة ، وتمكنوا من هزيمة الجيش المغولي الذى وصل الى فلسطين .

ومات هولاكو ، وتولى ولي عهده ، وكان قد اعد جيشا هائلا يجتاح به مصر ، ولكن الموت فاجأه ايضا . وتولى القيادة أخوه الذى أسمى نفسه فى‌الصغر نقولا .

وهنا نجد المعجزة الثانية تحدث ، فان نقولا قد سمع لدعوة الاسلام ، واقبل عليه بنفس راضية وطرد قساوسة المسيحية من بلاطه . وقد كتب احدهم يقول « ما ان بلغ نقولا سن الرشد ، حتى ترك المسيحية ، واستمع الى دعاة



جيوش المغول تندفع عبر نهر دجلة مجتاحة بغداد

الاسلام ، واعتنـق دينهـم ، واصـبح مسلما (١) !! وقد تسمى باسم احمد)) .

قال القلقشندى فى صبح الاعشى : ان سلطان مصر قلاوون تلقى كتابا من هذا الامير المغولى مع وفد راسـه « قدوة العارفين ، كمال الديـن عبد الرحمن » يقول فيه انه وقد انعم الله عليه بالاسلام حرم على عسـاكره الغارة على بـلاد المسلمين .

وكان وصول هذه الرسالة فى شـهر رمضان سنة ٦٨١ هـ اى بعد سقوط بغداد بربع قرن .

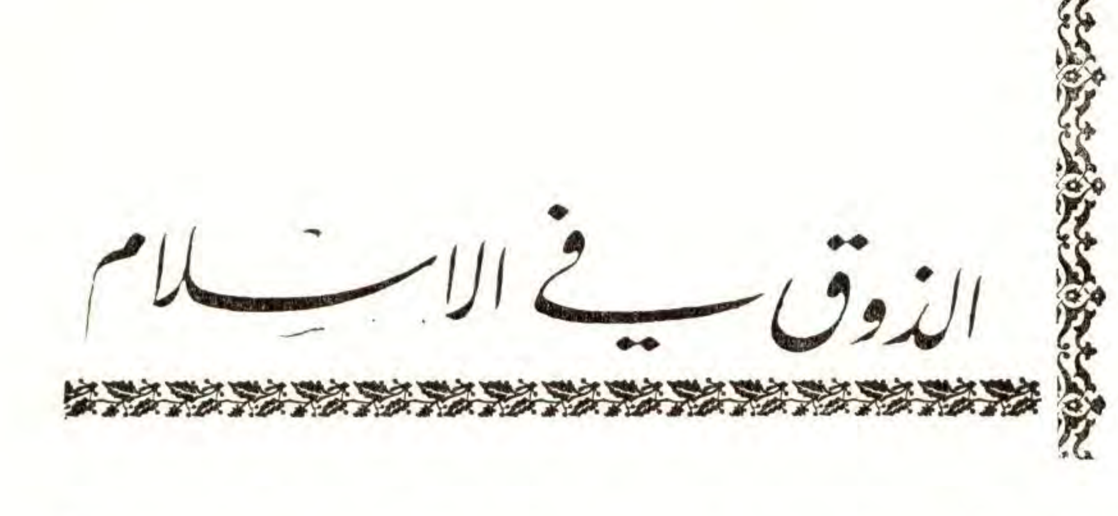
وقد اهتز العالـم الاسـلامي لهذا الحادث ، وعلق عليه السـلطان قلاوون بقوله ان الله تعالى « انبت احسن النبت فى اخشن المنابت » .

وهكذا ارتفعت راية القرآن ، وعمل الايمان ما عجز عـن صـنعه السـيف والطعان ، واخذت بغداد تضمد جراحها ، وتبتسم ابتسامـة النصر الذى جاءها بغير قتال ، وافاقت مصر مـن كربها ، واوى اليها الهاربون من خلفاء العباسيين يعيشون فى كنف سلطانها ، حتى جاءهم الغزو العثماني ليحمل عنهم اللقب ، وينهي وجود الخلافة العباسية .

وفى بحثنا التالي سوف نتحدث ان شاء الله ، عن قيام القسطنطينية التي كانت عاصـمة المسـيحية فقدر لها ان تحمل رايـة الاسـلام بدلا مـن بغداد والقاهرة .

---

(١) توماس ارنولد ـ الدعوة الاسلامية ص (٢٦٠) .



نعني بكلمة الذوق ما يتوخاه المسلم الكامل في قوله أو عمله من اساليب تنم عن الكمال ودقة الشعور ، وسمو الادراك ، وتمام التهذيب ، وان يصل في علاقته بالناس ومداخلته لهم الى معاملة نبيلة ، لو عومل بها من سواه لعجز عن شكرها وناء بحمدها ، وغمرته بفنون من البهجة والسعادة .

وكلمة الذوق التي يقصر التعبير عنها ، وعن وصف اشراقها ، وروائها ، يكاد يدنو من معناها ما في عرف الناس من حكمة ، او لباقة ، او كياسة ، او ادب .

ان الذوق الذى يرسمه الاسلام ليكون نسقا رفيعا يسلكه ذوو البصيرة والفطنة ، وينتهجه اولو الحس واليقظة ، يدق في معناه ، ويرق في مغزاه ، حتى يسمو على القوانين ، ويجل عن ان تسعه النظم واللوائح فلا تبلغ من دقائقه وأسراره شيئا ، فهو كالنور يرى ولا يلمس ، وكعبق المسك يشم ولا يمس .

ولم أجد فيما عرفت شرعا لغير المسلمين عنى بالذوق ، واحتفل به وعول عليه وهدى اليه مثل دين الله الذى شرح له الصدور ، واطمأنت به القلوب، وكان للمؤمنين روحا وريحانا.

ان جميع القوانين التي تحدد معاملة الناس في اقطار الأرض جافة بغير ذوق ، نابية ما لم ترع الذوق وتعش في ظلاله ..

حتى القوانين التي يحتكم اليها (المسلمون) وليست من كتاب الله ولا سنة رسوله ، انما هي أخذ من قوانين غيرهم ومزج بين اشتاتها ، اقفرت من التعويل على الذوق ، والاحتكام اليه والاهتداء به .

والعلائق بين الناس في عرف هذه القوانين علائق مادية تشبه ان تكون بيعا وشراء . لا روح فيها ولا شعور . ولا تعول القوانين فيما بينك وبين جارك الا على صيانة عرضك ومالك ، وسلامة هذين من كل اعتداء مادى .

اما الاسلام فانه يقيم بين المسلم وجاره محكمة الذوق . تحكم في رفق وحب ، واناة وحنو ، ورحمة واخاء ، لا تضل ولا تجور ..

فالله يقرن بالأمر بعبادته الأمر بالاحسان الى الجار « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب » .

وفى الأدب النبوى « ما زال النبي

صلى الله عليه وسلم يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » .

وفى الأدب النبوى أيضا ألا تباهي بالنعمة ، ولا تتطاول بها على جارك المحروم ..

للدكتور محمد كامل الفقي
الاستاذ بكلية اللغة العربية
جامعة الازهر

للساكن فى الدور الأول ان ينال من الماء ما شاء . لكن منطق الذوق الاسلامى يصده عن الاسراف الذى يظمىء جاره الأعلى ، ولا يكمل ايمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .

الذوق الاسلامي يبصرك بأساليب راقية ، وبسلوك شريف فى معاملة جارك ، فهو يحملك وأنت قرير العين على ان تحفظ عرضه ، وتهنئه وتعزيه فيما يحب ويكره ، وتهب لنجدته بغاية مروءتك ، وتميط عنه الأذى ما استطعت الى ذلك سبيلا ..

الذوق الاسلامي المهذب يأخذك بكرم المعاملة مع جارك ، ولو خالفك فى الدين . وبذلك يؤسس هذا السلوك المحمود حبا فى نفس جارك واخاء له وحرصا عليه ، ويقيم منك ومنه اسرة واحدة متحابة لا يصيبها شقاق ولا ضعف ولا فتور .

ارأيت الى ذوق الاسلام فيما يقوم بين المالك وعبده ، والسيد وخادمه ؟ . ان العلاقة بينهما لم تكن فى شرعة هذا الذوق الرفيع علاقة مادية جافة ، ولا صلة نفعية يابسة ، انه يأبى ذل العبد لمكينه ، بل انه ليحرص على عتقه ويهيىء لذلك الوسائل والأسباب ، انه ليوصيك بالعبد ان تأخذه باللين والحسنى والعطف والرحمة .

حتى لقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول السيد لمملوكه عبدى ، ولكن أن يقول فتاى وفتاتي .

ولعلنا لا نغفل اثر الذوق الاسلامي فى معاملة الخدم حين نرفق بهم ، ونحنو عليهم ، ونراقب فى السيطرة عليهم وجه الله . فنبلغ فيهم غاية الرحمة والاحسان ، واذ نأخذ أنفسنا بالأدب الاسلامي الراقي ، ونقبس من قول الرسول صلى الله عليه وسلم هدى اذ يقول (اخوانكم خولكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس) .

فاذا ما انتهينا الى الذوق الاسلامي الكريم فى معاملتنا للحيوان والطير ، فاننا نجد من رقة هذا الذوق ومن شرفه آيات وآيات . فالقسوة فى سوق الحيوان والعنف عليه ضراوة تجافى الاسلام وتنافيه ، وتعذيب الحيوان يبس فى القلوب . ولأمر ما كره سن السكين على مرأى من الحيوان والطير ، ودخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هي اطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

الرحمة فى معاملة الطير من آثار الذوق وغاياته ، وقد ظفر بالمغفرة رجل سقى بنعله كلبا فدفع عنه الموت ظمأ .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (فى كل كبد رطبة أجر) .

ان كثيرا من تصرف الناس سكت عنه القانون ، فلم يرسم فيه سلوكا ، فللمرء أن يرعاه وله أن يغضى عنه ، فالقوانين الوضعية لم تلزم احدا بنجدة الفريق ، ولو كان المنجد ممن يحسن السباحة ، اما المسلمون الذين مس الذوق قلوبهم وبلغ ان يكون لديهم حاسة وعاطفة ، فهم امام تشريع يؤرقهم ويخزهم ان لم يرعوا دقائقه فى كل ما يأتون ويدعون.

ان جميع المعاملات والعبادات ، تحكم بدوافع قوية ، وأواصر متينة من ذوق الاسلام ، ولو

حرصنا على رعايتها لوجدنا مجتمعا اسلاميا قوى البناء ، (لا حسد فيه ولا خصام ، ولانتفى من محيط المسلمين كل مظهر من مظاهر المشاكل التي تأكل القلوب ، وتحيل الحياة الى لظى وجحيم) .

بحسبك ان تمعن النظر فى فريضة الصلاة ، ومدى هيمنة الذوق الاسلامي عليها ، وتوجيهه الى اشرف السلوك والمقاصد فى دقائقها ، لينطبع الناس حينما ينهلون من وردها خمس مرات كل يوم على توخى الذوق فى شتى تصرفهم ، واحوالهم مع الناس جميعا . فهي مدرسة تعلم وتهذب ، وتهدى وتصقل وتوجه .

من سنة الذوق للمسلمين ان يدخلوا الخلاء برجلهم اليسرى ، وأن لا يستقبلوا القبلة ولا يستدبروها ، ولا يستقبلوا الشمس والقمر عند البول والحاجة . وان يحرصوا على السواك لتطييب نكهة الفم ، وقد قالوا ان اربعة تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين ومجالسة العلماء وقد شدد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى استعمال السواك . فقال : لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة .

ومن جلالة هذا الذوق ، ان تكون المضمضة باليد اليمنى ، والاستنشاق باليد اليسرى . وما كان ترتيب الوضوء عبثا ، فالذى هدى الى تقديم هذا وتأخير ذاك انما هو الذوق ، فلا ينبغي مثلا ان يكون الاستنشاق قبل المضمضة ، ولا غسل الرجل قبل غسل الوجه .

والذوق الاسلامي العظيم هو الذى قضى ان لا نغشى المساجد وفى افواهنا ريح ثوم او بصل ، ومولانا النبي الأعظم عليه صلوات الله وسلامه يقول فى ذلك (من اكل ثوما او بصلا فليعتزلنا ــ او فليعتزل مساجدنا ــ وليقعد فى بيته) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التطيب ، وتشتد عليه الرائحة الكريهة ، وتشق عليه . وشبه الجليس الصالح والجليس السوء بصاحب المسك وكير الحداد . وقال فيما رواه احمد فى مسنده (من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان له ولبس من احسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد ، ثم يركع ان بدا له ، ولم يؤذ احدا ، ثم انصت اذا خرج امامه حتى يصلي ، كانت كفارة لما بينهما) .

ومن أثر هذا الذوق ان كان التطيب فى يوم الجمعة افضل منه فى غيره لشهود مؤتمر المسلمين،وأن السواك فيه احمد منه فى سواه .

وفى سنن ابي داود عن عبد الله بن سلام ، انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر فى يوم الجمعة (ما على احدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته) .

وبالذوق الرفيع كره للمسلم حين يغشى المسجد ان يتخطى الرقاب ، وأمر أن يجلس حيث ينتهي به المجلس ، فاذا صلى لم يجهر بصلاته جهرا يشوش على المصلين ، واذا قرأ القرآن لم يصل بصوته الى حد أن يشغل مصليا عن خشوعه واستحضاره .

اما من أم بالناس فعليه ان يتخفف حتى لا يؤذي المأمومين . وفى ذلك يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (من ام بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة) .

وما أملح قول القائل :

رب امام عديم ذوق
يؤم بالناس ثم يجحف
خالف فى ذاك قول طه
من أم بالناس فليخفف

وقد روى صاحب زاد المعاد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل فى الصلاة وهو يريد اطالتها ، فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة ان يشق على أمته .

أنفاس النبوة في اصحاب محمد

للاستاذ عبد العزيز الخياط
عميد كلية الشريعة ـ عمان

عمل النبوة فى الانسان كعمل الربيع في النبات ، يبعث القوة فى كل الاجزاء ، وينشر العطر فى كل الارجاء .. وكما ان للربيع امتدادا يستمر الصيف كله ثمرا وخيرا ، كان عمل حوارى النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته امتدادا للنبوة فى معناها الرائع ، وعملها البناء .

ومحمد عليه السلام كان فى عمله النبوى تضحية تبذل ، وفكر يعصر ، وقدوة تحتذى .. الليل للعبادة والتفكير والنهار للجهاد والبناء، والوقت فى التعليم والتوجيه .

ولئن بنى محمد صلى الله عليه وسلم هذه الامة على قواعد تثبت على ارض صلبة لا تميد ، وأقام بواسقها امتدادا سامقا فى شرفات السماء .. فى ارض جزيرة العرب ، فلقد كان بناؤه فى نفوس اصحابه اشد غورا وأبعد اثرا .

فالصحابة الذين خلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم امثلة حية على روعة البناء ، واعجاز يضاف الى معجزات محمد وكبراها القرآن .. هؤلاء الصحابة كانوا الضياء الوهاج المشع خلال الاعوام المضنية المجهدة التي تلت وفاة رسول الله .

والصحابة كانوا ترجمة عملية للاسلام فى تعاليمه او ان شئت فقل انفاس النبوة تتهدج فى نسيم الصحراء . فماذا عمل هؤلاء ؟!

انحيي آثارهم ، منشورة الـوية متعددة مركوزة فى عالم الفخر والثناء ؟

أم نذكر اعمالهم لواء جامعا يظلل كل باحث فى التاريخ ، او مسجل للنشاط الفكرى فى اوجهه المختلفة .

أجل : ان الصحابة فى جهادهم الحربي والفكرى والسياسي مثال لم يكن على مثال ، وقدوة لم تقتد بأحد .

وكانوا فى اخلاقهم آيات تدب على الارض ، تعيد الى الدنيا معنى طالما فقدته فى السمو والرفعة ، وأشعة تخترق كل شيء انارة او تدميرا ، استبصارا او تفطية .. انارة وتبصيرا لمن حاد عن الطريق السوى وآثر الهوى والغى ، وتدميرا للباطل فى أصحابه دولا او افرادا .

لما اشتد الاذى باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو بكر مهاجرا الى الحبشة فلما بلغ برك الغماد (١) لقيه ابن الدغنة سيد القارة (٢) فقال اين تريد يا ابا بكر ؟ ، فقال : اخرجني قومي ، فأريد ان اسيح فى الارض فأعبد ربى !

قال ابن الدغنة : ان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ، وأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلدك .

ورجع ابو بكر فى حماية ابن الدغنة ، وقد علم اشراف قريش بذلك ، فقالوا لابن الدغنة : مره فليعبد ربه فى داره ولا يؤذنا بذلك ، ولا يستعلن به ، فأنا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا ، وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن ، فكانت نساء قريش وشبانها يزدحمون عليه وينصتون فى اعجاب الى قراءته ،وعلمت قريش بذلك فهرعت الى ابن الدغنة ، وآذنوه بخروج ابى بكر على عهد الجوار، وخيروه بين لزوم البيت او استرداد الجوار .

وهرع ابن الدغنة الى ابي بكر يخيره بين العبادة داخل بيته ، وبين استرداد عهد الجوار ، فقال ابو بكر قولة الرجل المطمئن المؤمن بربه ، المستعصم بدينه ومبدئه : فانى أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله تعالى .

ومثل آخر فى الخلق القرآني المتسامح، ما رواه البخارى عن أبي الدرداء قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل ابو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى ابدى عن ركبته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم فقد غامر .

وجاء ابو بكر فسلم وقال : اني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت اليه ، ثم ندمت فسألته ان يغفر لي فأبى علي فأقبلت اليك !

فقال النبى صلى الله عليه وسلم يغفر الله لك يا ابا بكر (قالها ثلاثا) .

ثم ان عمر بن الخطاب ندم فأتى منزل ابى بكر فسأل : أثَم ابو بكر ؟ فقالوا لا ، فأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسلم فجعل وجه النبى صلى الله عليه وسلم يتمعر (يتغير) حتى اشفق ابو بكر فجثى على ركبتيه ، وقال يا رسول الله والله انا كنت اظلم ! (قالها مرتين) فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدق ، وواسانى بنفسه وماله . فهل انتم تاركو لى صاحبى (قالها مرتين) فما اوذى ابو بكر بعدها .

فما أروع هذه النفسية عند ابى بكر وعند اصحاب رسول الله !!

---

(١) موضع وراء مكة بخمسة اميال (٢) القارة أكمة سوداء نزل عندها جماعة من العرب فسموا بها

وشهد سعد بن معاذ سيد الأوس غزوة الاحزاب ، ولما شاع ان يهود بنى قريظة نقضوا العهد ، وحالفوا قريشا ارسله النبى صلى الله عليه وسلم وسعد ابن عبادة سيد الخزرج ليتبينا جلية الامر ، ويناشدا اليهود الا ينقضوا العهد والخطر محدق بالمدينة من كل جهة ، وقد حصنت بالخندق وتركت جهة اليهود غير محصنة اعتمادا على محالفتهم ، فأساء اليهود استقبال الزعيمين ، وتطاولوا عليهما وعلى رسول الله فحنق سعد بن معاذ عليهم لأنهم كانوا حلفاء قومه فى الجاهلية ، ووقفوا هذا الموقف الغادر ، فرجع الى القتال وفى نفسه شىء ، فلما اصيب بسهم من الاحزاب دعا الله قائلا : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، فاستمسك عرقه فلم تقطر منه قطرة ، حتى امكن الله للمسلمين من الاحزاب فهزموا ، ومن بنى قريظة فحوصروا ، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بما يرضى الله ورسوله . ان يقتل كل من حمل السلاح منهم وتسبى نساؤهم وذراريهم .

والصحابة فى تقواهم كانوا اطوع لله ورسوله من طاعتهم لانفسهم ، يتبعون ما يأمره الله ورسوله ولو اشارة او رمزا . روى الذهبى فى سير الاعلام والنبلاء عن سالم عن ابيه عبد الله بن عمر كان الرجل اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت غلاما عزبا شابا فكنت انام فى المسجد فرأيت كأن ملكين أتياني فذهبا بي الى النار فاذا هى مطوية كطى البئر ولها قرون كقرون البقر ، فرأيت فيها ناسا قد عرفتهم فجعلت اقول « اعوذ بالله من النار ، فلقينا مالك (اى خازن النار) فقال لن ترع ، فذكرتها لحفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل ، قال سالم فكان بعد (اى عبد الله بن عمر) لا ينام من الليل الا القليل .

وهم فى كل ناحية من نواحى الحياة على بصيرة وفهم ، ودراية وعلم ، فكم خلفوا من ثروة لا تقدر فى الفقه والتشريع ، وكم تركوا من آثار لا تلحق فى ادارة الدولة والحكم ، وكم كانت لهم من روائع فى فهم كتاب الله والعمل به ، ويستوى فى ذلك كبارهم وصغارهم على السواء ، اما كبارهم فما اكثر ما علم المسلمون منها ، وردد المؤمنون من اتباعهم اخبارها ، واما صغارهم فهم على نحو كبارهم ، قرأت فى سيرة صحابى صغير هو جندب ابن كعب فيما روى أبو عثمان النهدى ان ساحرا كان يلعب عند الوليد بن عتبة فكان يأخذ سيفه فيذبح نفسه ولا يضره ، فقام جندب الى السيف فأخذه فضرب عنقه ثم قرأ (أفتأتون السحر وانتم تبصرون) وفى رواية انه قال (ان كان صادقا فليحيى نفسه) .

ومرجع ذلك الى ايمانهم القوى الغلاب قبل أى شىء فبه تعلموا القرآن ، وبه حفظوا الاسلام ، وبه نشروه فى الدنيا وفتحوا به الامصار ، وشادوا دعائم حضارة الاسلام .

وروى جندب بن عبد الله قال كنا غلمانا حزاورة (اى على وشك البلوغ) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا الايمان قبل ان نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا ، وبهذا الايمان استطاعوا ان يقيموا دعائم الاسلام منارات هدى ، ورواد علم ، وحملة رسالة وأساتذة أجيال .

للاستاذ قدري حافظ طوقان
نابلس ـ الاردن

الطريقة العلمية عند علماء المسلمين

ظهر من علماء المسلمين من دعا الى الدقة في العمل واجراء التجارب والاحتياط فى الاستنتاج . ومن هؤلاء ((جابر بن حيان)) من أعلام علماء المسلمين الذين أسدوا أجل الخدمات الى الكيمياء والعلوم الطبيعية .

لقد دعا ((جابر)) الى الاهتمام بالتجربة وحث على اجرائها مع دقة الملاحظة ،كما دعا الى التأني وترك العجلة وقال : ((... انواجب المشتغل في الكيمياء هو العمل واجراء التجربة وان المعرفة لا تحصل الا بها ..)) وطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية ان لا يحاولوا عمل شيء مستحيل أو عديم النفع ، وعليهم ان يعرفوا السبب في اجراء العملية ، وأن يفهموا التعليمات جيدا (لأن لكل صنعة اساليبها الفنية) على حد قوله . وطالبهم بالصبر والمثابرة والتأني باستنباط النتائج . وكان لجابر هذا . فضل كبير على من أتى بعده من كيميائي العرب والمسلمين ، حتى ان بعض العلماء اعتبر الكتابة غير دقيقة ان لم تسبقها تجارب .

وقال الجلدكي عن الطغرائي ((... كان الطغرائي رجلا على جانب عظيم من الذكاء ولكنه لم يعمل الاقليلا منالتجارب وهذا أمر يجعل كتاباته غيردقيقة...)).

ومن علماء المسلمين الذين اشتهروا بالتدقيق ـ حين البحث فى النبات ـ رشيد الدين بن الصورى. فقد كان يستصحب معه مصورا (حين البحث عن الحشائش في منابتها) ومعهالاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها .

ونتنقل الآن الى الدستور الذى وضعه بعض علماء المسلمين للبحث العلمي والفلسفي كما ورد في رسائل « اخوان الصفا » وقد وصف بعض العلماء المحدثين بأن هذا الدستور محكم ورائع ، ويرى الباحثون انه وليد المنطق الذى اقتبسه المسلمون عن اليونان ، ويدللون على ذلك بالمقارنة بين مواده والمقولات العشر المسماة عند اليونان (قاطيغورياس) ، فلقد شرح الاستاذ « مظهر » في مقال ظهر له في كتاب (نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية) ابواب دستور البحث العلمي ، ثم اعقب ذلك بشرح المقولات ، فثبت له « ان اسلوب البحث عند اسلافنا اصله يوناني ، او بالحرى مستمد من أصل يوناني » . ولا يخفى ان ليس في هذا ما يغير أو ينقص من قدر المسلمين العلمي ، فالانسان دائما وابدا يأخذ ما عمله غيره ويزيد عليه اذا استطاع . وزيادات المسلمين في هذا الميدان أساسية .

ومن الرسالة السابعة من رسائل اخوان الصفا التي تبحث في الصنائع العلمية يتبين ان المسلمين اتبعوا دستورا محكما في البحث العلمي ينحصر في تسعة أحكام وهاهي كما يلي :

السؤال الأول : ـ هل هو ؟ يبحث عن وجدان شيء أو عدمه ، والجواب نعم أو لا .

السؤال الثاني : ـ ما هو ؟ يبحث عن حقيقة الشيء .

السؤال الثالث : ـ كم هو ؟ يبحث فى مقدار الشيء .

السؤال الرابع : ـ كيف هو ؟ يبحث عن صفة الشيء .

السؤال الخامس : ـ اى شيء هو ؟ يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل .

السؤال السادس : ـ أين هو ؟ يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته .

السؤال السابع : ـ متى هو ؟ يبحث عن زمان كون الشيء .

السؤال الثامن : ـ لم هو ؟ يبحث عن الشيء المعلوم .

السؤال التاسع : ـ من هو ؟ يبحث في التعريف للشيء .

وتدل هذه الاسئلة على الاتجاه العلمي الذي كان يسير عليه بعض العلماء المسلمين فى بحوثهم وكتاباتهم وهو يحصر اتجاهات العقل (... ولكن لا يقر المتجه الذي ينبغى ان يتجه فيه العقل ازاء كل بحث بعينه ..) .

ولا يقف الامر عند هذه الحدود ، بل نجد انه وجد فى المسلمين وبين علمائهم من كشف عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن ، والتي تميز هذه الحضارة عن التي سبقتها . وقد جعلنا بحثنا يدور حول السؤال الآتي : **هل وجد فى المسلمين من سار على الطريقة العلمية وسلك فى اصولها ؟ .**

ما كنت اظن ان للمسلمين أثرا فى كشف عناصرها والتمهيد الى اصولها حتى بحثت فى مآثر المسلمين في الفيزياء ، واطلعت على كتاب (الحسن بن الهيثم) بحوثه وكشوفه البصرية للاستاذ مصطفى نظيف .

ويشتمل هذا الكتاب النفيس القيم على بحوث علم الضوء الموجودة فى كتاب المناظر لابن الهيثم ، وفى مقالات اخرى . وبعد ان درسها الاستاذ مصطفى نظيف وفحصها واعمل فيها التحليل والموازنة والمناقشة ثبت له ان ابن الهيثم « .. قد توافرت فيه (ميزات التفكير العلمي الصحيح) ، وهي تدل على مدى نضج الفكر ، وعمق النظر فى عصر ابن الهيثم على النحو الذي وردت في بحوثه في الضوء » .

وأرى قبل التدليل عليهـا ان الفت النظر الى ان علماء المسلمين لم يتوسعوا في الطريقة ، ولم ينقلوها على النحـو الذي توسع فيها واستغلها علماء اوروبا واميركا الآن ، كما انهم لم يدركوا مـا لهذا الاسلوب من شأن خطير ،كما ادركه علماء هذا العصر . ولكن يمكن القـول ان كتاب (المناظر) لابن الهيثم يدل على أنه وجد فى المسلمين من سار فى بحوثه على الطريقة العلمية ، كما وجـد بـين علمائهم من سبق (بيكون Bacon) في انشائها ، بل ومن زاد على طريقته التي لا تتوافر فيها جميع العناصر اللازمة فى البحوث العلمية .

اما العناصر الاساسية في طريقـة البحث العلمي الحديث فهى « الاستقراء والقياس والاعتمـاد والمشاهـدة ، او التجربة والتمثيل .

ولقد أدرك (ابن الهيثم) الطريقـة المثلى وقال بالاخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل ، وضرورة الاعتماد علىالمواقع الموجودة على المنوال المتبع فى البحوث العلمية الحديثة . ففي كتاب (المناظر) عند البحث مثلا في كيفيـة الابصـار واختلاف العلماء فيه يقول « ونبتدىء في البحث باستقراء الموجودات وتصفح احـوال المبصرات ، وتمييـز خـواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الابصار ، وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشـتبه من كيفيـة الاحساس . ثم نترقـى فـي البحث والمقاييس على التدريج والتدريب مـع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا في جميع مـا نستقريه ونتصفحه استعمال العدل ، لا اتباع الهوى، ونتحرى فيسائر ما نميزه وننتقده طلب الحـق الذي بـه مثلـج الصدر ، ونصـل بالتدرج واللطف الى الغاية التي عندها يقع اليقين ، وتظهر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف وتنحسم به مواد الشبهات

.. وما نحن مع ذلك برءاء مما هو في طبيعة الانسان من كدر البشرية ولكننا نجتهد بقـدر ما هـو لنا مـن القـوة الانسانية . ومن الله نستمد العون في جميع الامور ... » .

ومن اقواله هذه تتجلى لنا الخطـة التي كان يسير عليها في بحوثه ، وان غرضه في جميع ما يستقريه ويتصفحه (استعمال العدل لا اتباع الهـوى) . وبعد ذلك نراه رسم الروح العلميـة الصحيحة ، وبين ان الاسلوب العلمي هو في الواقع مدرسة للخلق العالي ، فقواعده التجرد عن الهوى والانصاف بين الآراء ، فيكون قد سبق علماء هـذا العصر في كونه لمس المعاني وراء البحث العلمي الحديث .

وكان يرى في الطريق المؤدى الـى الحق والحقيقة (ما يثلج الصدر) على حد تعبيره وهذا ما يراه باحثـو هـذا العصر من رواد الحقيقة العاملين عـاى اظهار الحق . فان وصلوا الى ذلك فهذا غاية ما يبغـون ويؤملـون ... وابن الهيثم في طريقته العلمية التي اتبعها في بحوثه وكشوفه الضوئية قد سبق (Bacon بيكون) فيطريقتهالاستقرائية وفوق ذلك سما عليه . وكان اوسع منه افقا وأعمق تفكيرا . وهو وان لم يعن كما عني (بيكون) بالبحث النظـرى ، وتأليف المؤلفات التي يعرض فيها الآراء النظرية في طرق البحث ويلزم العلماء بها الزاما ، فحسبه انه اتبع الطريقة الصحيحة في بحوثه ، وجرى عليها عملا وفعلا . وان الامر جاء منه عـلى بينـة وروية وامعان فكر وحسن تقدير .

ويـذهب الاسـتاذ مصطفى نظيـف « الى أكثر من هذا فيقول » ... بل وان ابن الهيثم قد عمق تفكيره الى ما هـو أبعد غورا مما يظن اول وهلة فأدرك ما قال به من بعـده (مـاك) و (كـارل بيرسون) ، وغيرهما من رجـال العلـم

الحديث في القرن العشرين . أدرك الوضع الصحيح للنظرية العلمية، وادرك وظيفتها الحقة بالمعنى الحديث . ويمكن القول من نصوص اقوال ابن الهيثم أن تفكيره اتجه الى الوجهة التى يتجه اليها التفكير العلمي الحديث (وأنه ليس من المغالاة ايضا القول أنه قد أدرك عن بينة الطريقة الحديثة في البحث العلمى وأدرك الاوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية) . وفعلا سلك ابن الهيثم في بحوثه الطريقة الحديثة في البحث . وقد وصل بسلوكه الى الحقيقة التي ينشدها بالمعنى الذي رآه. وهذا يتجلى بأجلى بيان وابلغ صورة فى الكتاب النفيس « الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية» تأليف الاستاذ مصطفى نظيف .

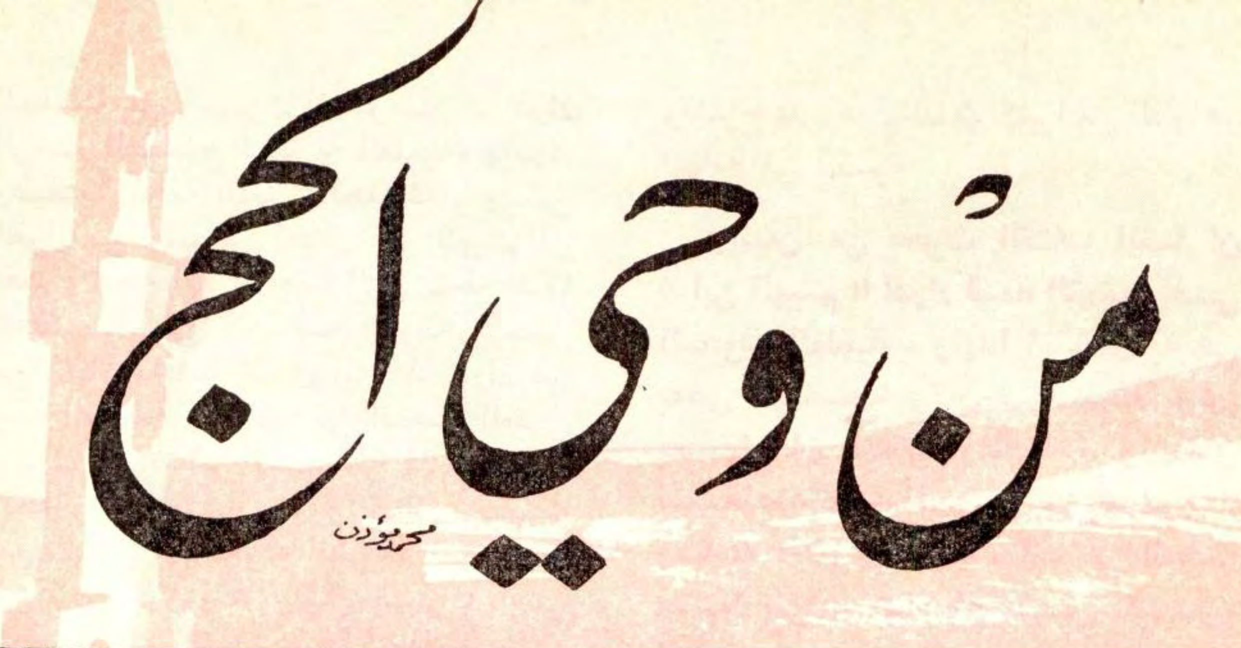
ومن الحق ان اشير اشارة بسيطة الى موضوعات كتاب (المناظر) فلقد استدل ابن الهيثم في جميع بحوثه في الضوء على القواعد والقوانين الاساسية بتجارب ، واستعان باجراء التجارب بالمعنى الذي نعنيه الان . وذهب الى ابعد من ذلك ، فلقد أدرك قيمة التجربة في البحوث العلمية ، فهو لا يعتمد على التجربة فى اثبات النتائج التي تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القواعد والقوانين .

ومن مميزات ابن الهيثم انه كان يشرح الجهاز ويبين وظيفة اجزائه المختلفة ، واستعمل اجهزة مبتكرة لشرح الانعكاس والانعطاف ، وتدل تجاربه وحساباته انه استطاع ان يجمع بين مقدرته الرياضية وكفايته العلمية الممتازة (... يدل عليها صنع الاجهزة واستعمالها فى الأغراض المختلفة ..) .

وكذلك يمتاز كتاب (المناظر) بعناية (ابن الهيثم) بالقياس . فهو بعد أن يثبت المبادىء الاولية بالتجربة ، يتخذ تلك المبادىء قضايا يستنبط منها بالقياس النتائج التى تفضي اليها ، ويشرح على هذا النمط كثيرا من الظواهر الهامة في الضوء .

ويتبين من بحوث الكتاب ايضا ان ((ابن الهيثم)) أدرك قيمة التمثيل في البحوث العلمية ، ولهذا استعان به في بعض المواضع ، وكان فيها موفقا وفي بعضها كان مبتكرا وملهما . والذي نستخلصه من مآثر ((ابن الهيثم)) ونتاجه الفكرى ، انه سلك في البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمي .

وقد خرج الاستاذ مصطفى نظيف من دراسته بحوث ابن الهيثم فى الضوء بالآتي ((.. ليكن ابن الهيثم قد استفاد بمعلومات من تقدموه وبحوث من نقدوه ، فقد استفاد حتما طوعا او كرها ، ولكنه أعاد البحث عن كل هذه الامور من جديد ، ونظر فيها جميعا نظرا جديدا لم يسبقه اليه احد من قبله . واتجه في هذا النظر وجهة جديدة لم يولها أحد من المتقدمين واصلح الاخطاء وأتم النقص ، وابتكر المستحدث من المباحث ، وأضاف الجديد من الكشوف، وسبق فى غير قليل من ذلك الاجيال والعصور ، واستوفى البحث اجمالا وتفصيلا ، وسلك في البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمي ، مع ما في هذه الطرق من قصور ومع ما فيها من ميزات . واستطاع ان يؤلف من كل ذلك وحدة مترابطة الاجزاء على قدر ما كان يمكن أن ترتبط به اجزاؤها في عصره ، وان وجدنا فيها عيبا او نقصا فتلك سنة الله في المباحث العلمية وهو فيها لم يبدع ولم يبتكر فحسب ، بل هو ايضا أقام بها الاسس التي انبنى عليها صرح علم الضوء من بعده ...) .



أمرَ الحقُّ – جلَّ ربُّ السَّماءِ … فاستجابتْ عبادُه للنِّداء
أيُّها الناسُ سارِعُوا كُلَّ عامٍ … لِلدِّيارِ القُدْسِيَّةِ الأنحاءِ
وتعالَوْا مِن كل فَجٍّ عَميقٍ … لِترَوْا غامِراً من الآلاء

* * *

شُرِعَ الحجُّ رحمَةً للبرايا … من اله يَجُودُ بالنَّعْماء
وَحْدَةٌ تحشُدُ الصفوفَ جميعاً … في مضاءٍ وعزَّةٍ وإباء
تجمعُ الشَّملَ للملايين جاءت … من بلادٍ قَصِيَّةِ الأرجاء
وتضمُّ القلوبَ حولَ معانٍ … خالداتٍ من السَّنَا والسَّنَاء
من إخاءٍ بين الحجيج وعطفٍ … سابغٍ ظلُّه على الفقراء
وخضوعٍ لله جلَّ عُلاَه … مالِكِ الكَوْنِ مُبدعِ الأشياء
وسلامٍ للنَّاسِ في كلِّ أرضٍ … وكفاحٍ دونَ العُلاَ وفِداء
ولقاءٍ لنيْلِ عُلْيَا الأماني … واطِّرادِ الجهودِ نحوَ البِنَاء

* * *

يا لَهذا الصفاءِ في كلِّ صَوْبٍ … وَصَلَ الأرض – بوركَتْ – بالسماء
فَهَفَتْ أنفسٌ إلى منزل الوحْـ … ـي وَرَقَّتْ شمائلُ الأحياء
وارتَوَتْ مُهْجةٌ وقَرَّتْ عيونٌ … واستفاضَ الوئامُ في الأجواءِ
وقلوبٌ ذابت بمكةَ شوقاً … لِلرِّحَابِ الظَّلِيلَةِ الأفياء
ها هُنا كَمْ سَرَى الخليلُ نبيُّ الـ … ـلهِ بالحقِّ والهدى والصفَاء
وَفَدَى الطَّاهِرَ المكرَّمَ اسمَا … عِيلَ ، أنعِمْ بالمُفْتَدى والفداء
وأقامَا البيتَ الحرامَ ليَسْعَى … نحوهُ النَّاسُ في تُقىً وولاء

للمقدم حسن فتح الباب

وهُنَا جَاءت الرسالـةُ بُشْـرَى للحَيَارَى ومَنْهــلاً للظِّمَاء
وتوالى الكتابُ آيـاً فآيـا قَبَسـاً للسُّراة في الظَّلمـاء
وسـلامـاً للعالمـينَ جميعـاً وشِفَاءً لِلنَّفْس من بُرحـاء
أيُّ نَهْجٍ أوفَى، وأيُّ جَـلالٍ شَـعَّ من مَشْـرَعٍ طَهـورِ الضِّياءِ

* * *

والْتَقَى الأصفياءُ في عَرَفَـاتٍ ومنـىً والشعـائـرِ العَصْمـاءِ
في ابتهـالٍ من القلوبِ وذكـرٍ لِلْعَلى القديرِ ربِّ العطـاء
وخشـوعٍ لله في كـلِّ آنٍ في صباح وضَحْوَةٍ ومسـاء
والدعاءُ الحبيبُ: لبيـك لَبَّيْك يَشُـقُّ الفضـاءَ نحـوَ السمـاء
وعـلى الروضـةِ الشريفـةِ في يَثْـربَ نورٌ يضيءُ للأتقيـاء

* * *

وتجلَّـى الاسـلامُ أكرمَ ديـنٍ وتداعت بشائرُ النَّعمـاء
فازدهـتْ أمةُ الحضـارةِ ذكـراً للبطولات والهدَى والوفـاء
أمةٌ أُنـزِل الـكتابُ مبينـاً في ذُراها، على روابي «حـراء»
أمةُ الصـادقِ الأمـين نبيِّ الرحمـةِ المرتجـى المجـابِ الدُّعـاء
أمة الأمـر بالمـروءة والمعـروف والـبر والتقى والنقـاء
أمةُ النَّهْـيِ عن فجـورٍ وجـورٍ وغـرورٍ وشِرَّةٍ رَعْنَـاء
أمة العـدل والـكرامة والاحسـان والنبل والحجـا والعـلاء
أمـةُ الفاتحـين بالحـق والأبطـال والمصلحينَ والحـكماء
انها خـيرُ أمـةٍ أنزلتهـا شرعةُ اللهِ مرسـلِ الأنبيـاء

حديث مع الدكتور عبد الكريم زيدان

تنهض وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى عهدها الجديد باداء رسالتها الروحية على الصعيدين العربى والاسلامى ، وتنطلق نحو تحقيق اهدافها فى ابراز القيم الاسلامية ، وتنقيتها من الشوائب الدخيلة والتيارات الغريبة ، محلقة فى آفاق واسعة ، سواء عن طريق العون المادى للمنشآت الاسلامية فى الشرق والغرب ، او عن طريق الاشتراك فى المؤتمرات الاسلامية التى تعقدهنا وهناك او عن طريق اصدار الرسائل او الصحافة او المحاضرات العامة .

وكان من مخططها فى مجال الدعوة اقامة مواسم ثقافية ، تستقدم للمشاركة فيها قادة الفكر والراى فى العالم الاسلامى الذين يجمعون الى قوة الايمان وصدق العزيمة سعة الثقافة وغزارة العلم ، وعديد التجارب فى ميادين الدعوة الاسلامية باقلامهم والسنتهم .

وقد اقامت الموسم الثقافى الاول فى الفترة من ١٦ شوال الى ٨ من ذى القعدة ١٣٨٥ هـ واستقدمت ثلاثة من كبار المحاضرين هم الاستاذ مصطفى احمد الزرقا استاذ الحقوق المدنية بجامعة دمشق ، والقى محاضرتين فى فكرة مجمع الفقه الاسلامى،والفقه الاسلامى مزاياه وخصائصه .

والدكتور عبد الكريم زيدان استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة بغداد والقى محاضرتين فى دور الفرد فى اصلاح المجتمع والضرورة فى الشريعة الاسلامية .

والدكتور محمد محمد حسين أستاذ الادب العربى الحديثفى جامعة الاسكندرية وكان موضوع محاضرتيه الاسلام والحضارة الغربية .

وقد احتشد لسماع هذه المحاضرات جمهور كبير من الشباب والمثقفين ، وفى مقدمتهم بعض السادة الوزراء ورجال السلك السياسى الاسلامى فى الكويت ، وكان لهذه المحاضرات اثر طيب فى الجماهير الغفيرة الذين امتلات بهم قاعة المحاضرات فى دار الثقافة والتوجيه بالشامية .

وحرصت المجلة على ان تستطلع رأى هؤلاء الاساتذة المحاضرين فى كثير من الامور التي تشغلبال المسلمين فى العصر الحاضر،فأوفدت السيد محمد ابو غوش المحرر بالمجلة للقائهم ، وستنشر المجلة تباعا الاحاديث التى جرت معهم فى هذه اللقاءات ، ولقاؤنا فى هذا العدد مع الدكتور عبد الكريم زيدان وهو من المتخرجين فى كلية الحقوق العراقية ، وحصل على درجة الدكتوراه فى الشريعة الاسلامية ، وتولى تدريس هذه المادة بجامعة بغداد ، ومن مؤلفاته الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام ، والوجيز فى أصول الفقه ، والمدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، والفرد والدولة فى الشريعة الاسلامية .



الدكتور عبد الكريم زيدان أثناء القاء محاضرته فى قاعة الثقافة والتوجيه الكبرى بمنطقة الشامية

المشكلات المعاصرة

قال مندوبنا لسيادته : تواجه المسلمين فى الوقت الحاضر معاملات مستحدثة ، ومشكلات تحتاج الى حلها وعلاجها فىضوء الشريعة والمصلحة ، فما هى الطريقة التى ترونها محققة هذا الهدف ؟

فأجاب : الطريقة المثلى لتحقيق ما ذكرته فى سؤالك تكوين مجمع فقهى يضم فقهاء العالم الاسلامى ، ويخصص لهذا المجمع كل ما يلزم لقيامه بمهمته التى تتلخص فى بحث جميع مشكلات العصر ومسائله الجديدة ، وما قد يرد اليه من مسائل لبيان حكم الشرع فيها ، ثم ينشر هذا المجمع ابحاثه وفتاواه فى نشرات دورية يوزعها فى مختلف البلاد الاسلامية ويطلب ممن عنده علم وفقه ولم يدع الى المجمع ان يبين رأيه فيما وصل اليه المجمع من آراء . وترسل هذه الملاحظات والآراء الى المجمعرأسا او بواسطةمعتمد به فى الاقطار الاسلامية ليبحثها فقهاء المجمع ، ويعدلوا آراءهم على ضوئها ان وجدوا فيها ما يدعو الى التعديل ، او يصروا على آرائهم التى اعلنوها اذا لم يجدوا فيما وصل اليهم من آراء ما يدعو الى التعديل ثم يعلنوا آراءهم الاخيرة فى نشرات يوزعونها . ولا بأس بالاستعانة بالاذاعات اللاسلكية للبلاد الاسلامية لاذاعة آرائهم فىالمرة الاولى والمرة الثانية، والرأى الذى يصلون اليه بالاتفاق يعتبر قريبا من الاجماع الذى يتحدث عنه الفقهاء وعلماء اصول الفقه ، ويكون ملزما للمسلمين . اما اذا لم يصلوا الى اتفاق فيعتبر رأى الاكثرية ورأى الاقلية كلاهما رأيا سائغا يجوز الاخذ بواحد منهما ، ويمكن الترجيح بينهما بموجب النظر الفقهى وعلى ضوء ادلةالشريعةالاسلامية وحسب موازينها .

هذا ويجب ان يكون هذا المجمع الفقهىالمقترح بمعزل عنتقلباتالسياسة والسياسيين وتدخل الحكام ، حتى يمكن لاعضاء المجمع ان يبحثوا المسائل بحثا موضوعيا مجردا من الهوى والتأثير الخارجى . ويستحسن ان تكون نفقات هذا المجمع من صندوق خيرى عام يسهم فيه جميع المسلمين ويرصد للمصالح العامة التى تهم المسلمين ومنها هذا المجمع الفقهى .

قادة الفكر

ولكن : ما مدى تحمسكم لضرورة لقاءات مفكرى الاسلام ، وما هى الآثار البعيدة لهذه اللقاءات فى نظركم)

فأجاب : الاسلام يأمر بالاهتمام بامور المسلمين ومن مظاهر هذا الاهتمام تلاقى مفكرى المسلمين لبحث ما ينفع المسلمين

ويصلح امــورهم واحوالهم . لان هــذا البحث ومناقشة الآراء فيه يظهر الرأى الصواب ويكون منطلقا للعمل الجـدى المثمر .. على ان يكون هذا التلاقى بين مفكرى المسلمين خالصا لخدمة الاسلام والمسلمين بعيدا عن اى غرض ، فــان الاسلام اجل واعظم من ان يتخذ تكأة لاحد او خادما لاحد ينــاديه متــى اراد ليقدم له ما يشتهى ثم يأمره بالانصراف .

حملات الالحاد

واستطرد بنا الحديث الى ما تتعرض له الشعوب الاسلامية من حملات الالحاد والتحلل الخلقى ، وضرورة وضع مخطط لمجابهة هذه التيارات فقال سيادته :

وسائل احياء الروح الدينية فى النفوس وتحصينها ضد الافكار الدخيلة تقــوم على اشاعة الوعى الاسلامى بنشر مفاهيم الاسلام وتعميقها فى النفوس بكل وسيلة مشروعة كالكتابة والخطابة والمناقشة ، وبيان فساد الافكار المخالفــة للاســلام بالحجة والبرهان ؛ لان الاسلام هو الحق وما عداه باطل واضح البطلان ، قــال تعالى « قل ان هدى الله هو الهدى » وقال تعالى « فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون » فالآراء المخالفة للاسلام باطلة والادلة على بطلانها كثيرة ، والاسلام لا يخشى المناقشة ولا يخاف عرض افكاره واحكامه، فكلها قائمة على الدليل والبرهان ويقبلها العقل الصحيح الذى ينشد الحق الصريــح . ولتحقيــق نشر مفاهيــم الاسلام يجب التمكين لهذا النشر وتسهيل مهمة الدعوة الى الاسلام ولا يجوز منع ذلك فى الشرع الاسلامى لانه صــد عــن سبيل الله ومصادمة لحق المسلم فى نشر دينه وبيان احكامه فى ديار الاسلام .

واما عن المناهج الدينية المقررة على الطلاب وهل هى كفيلة بذلك .

فالجواب ان المناهج الدينية قد تكون بذاتها صالحة ولكن صلاحها بذاتهــا لا يكفى ، بل لا بد من توفر المدرس الصالح المؤمن بهذه المناهج التى يقــدمها الى الطلاب ، ويجب ان ينضم الــى المنهــج الصالح والمدرس الصالح حملة اصلاحية لتطهير المجتمع من الفساد الذى يهــدم ما يبنيه المعلم الصالح فى نفوس طلابه ، ولكى يزول التناقض بين مــا يــدرسه المعلم من تعاليم الاسلام وبين ما هو واقع فعلا فى المجتمع . وتطهير المجتمع مــن الفساد المناقض لمناهج الاسلام واجب مشترك على الراعى والرعية ، الحاكــم والمحكوم ، ويتحمل قسطه الاكبر الحاكم لان بيده الامر والنهى « واللــه تعالــى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

نشر الدعوة

قلت لسيادته : نسمع اصواتا تطالب بالدعوة الى الاسلام فى القارة الافريقية وسائر دول العالم ، فما هى المقترحــات التى ترونها كفيلة بخدمة هذا الغرض .

فقال : الدعوة الى الاسلام فرض من فروض الاسلام قال الله تعالى « قــل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا مــن المشركين » . وهذه الدعوة يقوم بها كل مسلم حسب قــدرته واستطاعتــه فى



وقد غصت القاعة بالمستمعين الذين تابعوا المحاضرة باهتمام كبير

بيئته ، فى مدرسته ، وفى سوقه ، وفى سائر اعماله ، بالقول وبالسيرة الحسنة. كما تجب هذه الدعوة فى سائر بلاد العالم الاسلامية منها وغير الاسلامية ، **ولا شك** ان واجب تبليغ احكام الاسلام على هذا النطاق الواسع يستلزم جهدا كبيرا جدا وامكانيات واسعة لا يستطيع الفرد ان يقوم بها ، ولهذا وجب ان تقوم جماعة تتفرغ لواجب التبليغ لامر الله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» . ويجب على المسلمين معاونة هذه الجماعة بكل انواع المعاونة حتى تقوم بواجب التبليغ فترسل الدعاة الى القارة الافريقية وسائر بلاد العالم وتكوين المراكز لنشر الدعوة الاسلامية وانشاء المدارس والمساجد لتعليم الناس هناك امور الاسلام ، كما تقوم بنشر النشرات الاسلامية وطبع الكتب اللازمة لتوضيح معانى الاسلام .

وكما يجب قيام هذه الجماعة يجب على حكام المسلمين فى سائر ديارهم الاسهام فى مهمة التبليغ فيخصص كل واحد منهم فى ميزانية دولته مبلغا معينا سنويا لانفاقه على امور تبليغ الاسلام فى القارة الافريقية وسائر دول العالم .

ان دول العالم اليوم تنفق مبالغ كثيرة للتبشير بعقائدها وافكارها ومبادئها خارج اقليمها ، فحكام المسلمين اولى ان يقوموا بتبليغ معانى الاسلام فى القارة الافريقية وسائر دول العالم ، لان الاسلام يأمرهم بذلك ولانهم بهذا العمل سينقذون الملايين من الضلالة والغواية .. وانى واثق لو ان جهود المسلمين من حكام ومحكومين اتجهت هذه الناحية لصارت القارة الافريقية قارة اسلامية فى بضع سنين ، لان الاسلام دين الفطرة ليس فيه شيء يقول العقل السليم ليت الاسلام لم يأت به ..

مفتريات المستشرقين

وجرنا هذا الى الحديث عن المستشرقين ، ومفترياتهم على الاسلام فقلت لسيادته :

هل تؤيد سيادتكم الحملة على المستشرقين واعتبارهم اعداء طبيعيين للاسلام .

فقال الغالب على المستشرقين الهوى وسوء القصد والجهل ، فمن علم منهم الحق وعرف الاسلام كما هو لم يسلم من الهوى وسوء النية ، ومن سلم منهم من سوء النية اوقعه جهله بمعاني الاسلام باباطيل وافتراءات ، والقليل جدا منهم من سلمت كتابته من الهوى ، واقل من هذا القليل من سلمت كتاباته من الهوى وسوء النية والجهل .

ولهذا لا ارى اخذ احكام ديننا من المستشرقين ، ولا ارى اتخاذ كتاباتهم مصدرا للمعرفة بالاسلام . فان اهل مكة ادرى بشعابها ، وعلماء الاسلام الاعلام المشهود لهم بالعلم والتقى اولى بالاخذ عنهم ومعرفة الاسلام عن طريقهم . ان مثل ما يكتبه المستشرقون عن الاسلام مثل الغابة الكثيفة الملتفة الاغصان ، يدخلها الانسان فى ظلمة الليل ولا مصباح معه فهو ان امن لسع العقارب والحيات لا يأمن نخس الاشواك .. ولا عبرة بالقلة القليلة من كتابات بعض المستشرقين الجيدة ، فالعبرة للغالب الشائع لا القليل النادر .

وعلى هذا فمن الخير تنبيه ابنائنا واخواننا المسلمين وتحذيرهم من شرور المستشرقين .

دور الصحافة

ثم استطلعت رايه فى الصحافة واثرها فى خدمة الدعوة الاسلامية .

فقال : للصحافة تأثير بالغ فى توجيه الرأى العام الوجهة الصالحة او الوجهة الطالحة ، فهى تصلح ان تكون اداة خير ووسيلة نفع وسبيل ارشاد وتقويم ، كما تصلح ان تكون اداة شر ووسيلة ضرر وسبيل اضلال وافساد .. وهى تكون بهذه الكيفية او تلك بناء على صلاح او فساد القائمين عليها، فان صلحوا صلحت وان فسدوا فسدت . وعلى هذا فالصحافة الصالحة بصلاح القائمين عليها تكون اداة فعالة جدا فى خدمة الاسلام وخدمة قضاياه العادلة ، ويكون ذلك بتجلية مفاهيمه وافكاره ومناهجه بامانة وصدق ووضوح ، وبيان أحكامه فى جميع قضايا العصر ومشكلات الحياة . اننا ـ فى الواقع ـ بحاجة شديدة لمثل هذه الصحافة الصالحة التى تقوم باصلاح المجتمع فى ضوء تعاليم الاسلام وحسب مناهجه ، كما اننا بحاجة شديدة الى اسكات الالسن الباطلة التى تنفث سمومها فى الصحف والى تخليص الناس من شرور الصحافة الفاسدة التى ترى الاصلاح فى محاربة الاسلام وابعاد الناس عنه .

ثم قلت لسيادته : البلاد الاسلامية اليوم تستهدف لمحاولات نشر اللغة العامية والتشكيك فى السنة النبوية .

فقال : اللغة العربية هى اللغة التى اختارها الله تعالى لتكون وعاء لوحيه الذى انزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم « انا جعلناه قرآنا عربيا » فأية محاولة تستهدف زعزعة كيان اللغة العربية انما تستهدف فى النهاية زعزعة كتاب الله والكيد للاسلام، وقد قامت محاولات من هذا القبيل اتخذت اشكالا مختلفة وراء دعاوى باطلة مضللة لتخفى وجهها القبيح وقصدها السيىء .

فمرة : المحاولات الدعوة الى الاخذ باللغة العامية بحجة تسهيل الفهم على العامة .. ومنها الدعوة الى تحوير الخط العربى او تغييره بحجة تسهيله على المتعلمة والناشئة . ومنها الدعوة الى نبذ اللغة العربية جملة وتفصيلا والاستعاضة عنها بلغة اجنبية كما فعل كمال اتاتورك فى تركيا .

ان الاجهاز على كيان اللغة العربية قطع لصلة المسلمين بتراثهم الاسلامى العظيم الذى تكون عبر القرون . وان الابقاء على كيان اللغة العربية ابقاء للصلة بين جيلنا وبين تراثنا الاسلامي بينابيعه الاصيلة من قرآن وسنة .

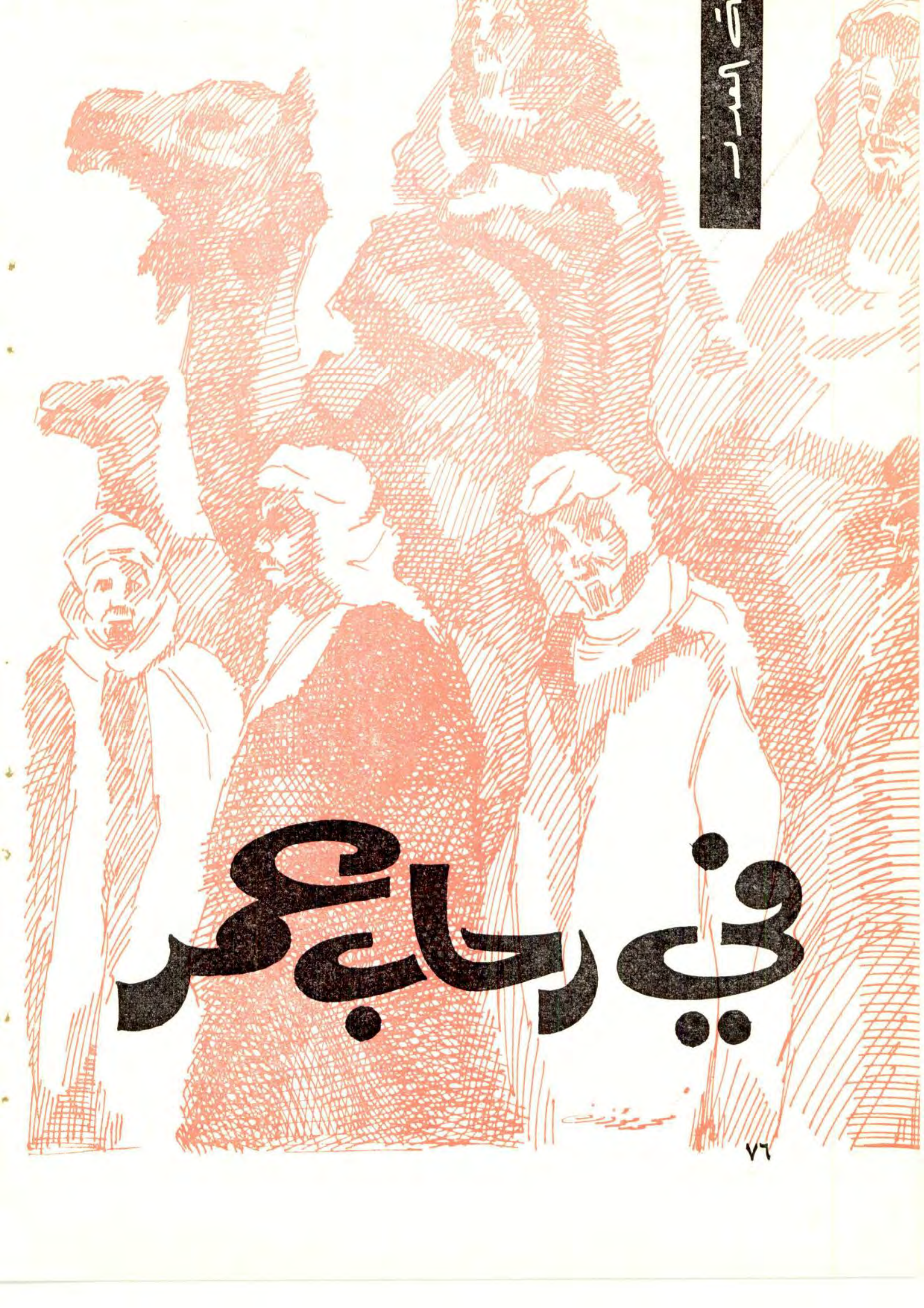
وأما التشكيك فى الاحاديث النبوية الشريفة فهو جهد غير شريف يقوم به نفر من ابناء جلدتنا يتكلمون لغتنا ويتسمون بأسمائنا تبرعا منهم لوجه الشيطان او عمالة للحاقدين على الاسلام ، ومع هذا التشكيك فاننا واثقون من عدم جدواه وفشل مسعاه ، لان صرح الحديث النبوى الشريف امنع واقوى من ان تنال منه تخرصات المشككين . لقد فرغ المسلمون منذ الف سنة من تمحيص الحديث النبوى الشريف ووضع قواعده واصوله ومعرفة رجاله ،حتى اقاموا علما جليلا لا مثيل له قط عند امم الارض ذلك هو علم الرجال او علم الجرح والتعديل، خدمة لحديث رسول الله من تلفيقات الملفقين وكذب الوضاعين، وقد استطاعوا بهذا العلم الجليل ان يميزوا السنة الصحيحة مما سواها واودعوها كتب السنة الشريفة، وبهذا لم يتحقق الفرض الوضيع الذى اراده كل وضيع من الوضاعين. فمن اراد اعادة الكرة وترديد ما ذكره القدامى من الخراصين فلن يأتى بتشكيك جديد ،وانما يأتى بنغم قديم بال لم يستطع يوم كان جديدا مجهولا على الناس امره ان ينال من حديث رسول الله ، فكيف يستطيع ذلك اليوم وقد انكشف امره وبانت حقيقته .

وفى نهاية هذا اللقاء حييت سيادته باسم المجلة ، واعربت له عن الشعور الطيب والاثر العميق الذى تركته محاضراته فى نفوس الجماهير المؤمنة .

اعتراف

قال المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون :

لم نبحث فى الشرق الا عن منفعتنا ، لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم ، فدمرنا فلسفاتهم ولغاتهم وادبهم ، والشرقيون ليسوا من السذج حتى يعتقدوا بكرم اخلاقنا ، وقد تحققوا بالشواهد أننا نرغب أن نبقيهم ضعفاء .


في رحاب عمر

بقلم

محمد الخضيرى عبد الحميد



في طريقه الى رحاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخذ (عمرو بن العاص) يسترجع فى ذهنه دقاق الفقرات والتفاصيل ، ويستعيد ويتفحص كل « حيثية » من حيثيات القضية الانسانية الصغيرة التي كان قد قبل - بدافع الاشفاق والعطف - الدفاع فيها حتى وان لم يُجْدِ دفاع.. وكان لا بد ل (ابن العاص) من هذا الاستعداد وذلك الاستظهار . . فانها لكبيرة أن تثار من جديد « قضية عدل » فى ساحة رجل : العدل أسلوبه . . الرجل العظيم الذى هو - فضلا عن مكانته السامية الرفيعة عند نبي الهدى (محمد صلى الله عليه وسلم) فانه وارث العدل ، وممارسة القضاء منذ الجاهلية قبل أن يعمر بنور الاسلام قلبه ، وتضيء بالايمان روحه - وارثه من قبيلته وعن آبائه أنبه بيوت (بني عدى) ، فأبوه (الخطاب) وجده (نفيل) من سلالة عريقة ضاربة جذورها الى أعمق الاغوار فى مجالي الحكم بين الناس .

ولو أن الامر - على صغر القضية - كان سهلا يسيرا لهان الخطب .. ولكن الموضوع يتصل بـ « الحطيئة » .. ذلك من جانب كما يتصل بـ (عدل عمر) الذى لا ولن يوجد من يمارى فيه . . من جانب آخر . فأما (الحطيئة) فهو من هو من سوء فى الشعر ، وسوء فى الطباع، وسوء فى الخلقة، وسوء فى .. كل شيء ، أو ليس هو الذى لم يجد يوما « شيئا يهجوه » وآلمه ذلك كثيرا ، كأنما لا بد له فى كل يوم تطلع شمسه من « شيء » ينصب عليه هجاؤه المقذع المر . . فلما أعياه البحث بغير جدوى وهو يدور حول نفسه فى قلق وحيرة ، اذا به يطالع وجهه هو ، وجهه غير الوسيم منعكسا على صفحة مياه بئر ، فتهلل اذ رأى - أخيرا - شيئا مفتقدا ، جديرا بالهجاء . . فقال :

أرى لي وجهـا قبـح الله خلقه
فقبح من وجـه وقبـح حاملـه

بمثل تلك الخواطر والرؤى المستعادة انشأ (عمرو بن العاص) يناجي نفسه ،ويتدبر أمره ، ويقف فى متابعة خفية صامتة على أركان القضية التى أزمع فى يومه ذاك الدفاع فيها أمام عمر ابن الخطاب .

وأما عدل عمر فكيف يكون ثمّ راد له ، وقد قال قولته ، وأطلق كلمته ؟ . . من ذا الذى يمارى فى حكم أصدره (عمر) ؟ . . ان عمر قضى بحبس (الحطيئة) جزاء وفاقا لما نال الناس وأعراض الناس من بذيء لسانه ، ولاذع كلمه ، .. معنى ذلك الا سبيل الى نقض لمثل ذاك الحكم ، أو - على الاقل - (استئناف) ؟ . . لكن . . ماذا لو كان (المدخل) الى (قلب) عمر هو استثارة شفقته واستنفار بره وعطفه، واعادة بسط المصير الكئيب الذى يتعرض له أبناء الحطيئة بعد اذ قضى الامر ، وانتهى الى سجنه الرأى ؟

وعندما كان (ابن العاص) يصل فى ارتياد خواطره ، عودا على بدء ، الى نقطة الاستنجاد بعواطف الرحمة والخير من قلب (عمر بن الخطاب) لا يلبث أن يستشعر راحة ويحس ارتياحا وتفاؤلا ، ثم يوقن من أن (تفاؤله فى محله) وأن



القضــية ناجحــة كاســبة باذن اللــه « أوليس (عمر) على ما عرف به وشهر من الدقة البصيرة فى عدالته ، والحزم الواعي الحاسم فى تنفيذها . . هو هو الذى لم يأخذ بـ (حرفية) نص خطير من نصوص الاحكام ، فلم يقطع يد السارق فى عام المجاعة ، رعاية لفعل الزمــن ، وتقديرا لحرج الظرف ؟ . . لا لا . . انها والله لسهلة هينة مهمتي عندك يا ابن الخطاب » .

وفي المجلس الذى اعتيد أن يتصدره عمر والذى لم يكن بحــال ايوانــا ولا روضا .. وانما هي البساطة الرفيعة تأخذ بمجامع القلوب لم يكن « عمر بن الخطاب » حاضرا حين أقبل عمرو .

ووقف القوم مــن مقيمــين ورحــل قادمين ، يحيون (عمرو بن العاص) ، تحايا تقدير وحسن احتفاء ، وأخذ هو بعد أن حيا بدوره الحاضرين مكانه ، ثم طعم مما قدم له من تمر وعسل ولبن ، وبعد أن تململ بعض الــوقت تضجــرا مكبوتا من طول غيبة عمر ، والحاضرون كثيرون ويتكاثرون .. لم يجد بدا مــن أن يميل على اذن جاره في المجلس ،وكان (اياس بن سلمة) فأخذ يهامسه .

ما على هذا النحــو جــرت عادة .. أين عمــر ؟

عمر ذهب الى بطحاء بعيدة ، يستقبل أحد الولاة !

بخ بخ .. يستقبله بنفسه ، وعلى هذا المدى البعيد ؟ .. ولم كل هــذا التكــريم ؟

ما هذا هو التكريم .. بل هو ــ لو علمت ــ التهذيب الرائع والتأديب العظيم !

فماذا اذن ، أصدقني جعلت فداك ؟

ذلك الوالي العائد ثبتت عليه شبهة التصرف في مال المسلمين داخل امارته التي ولي أمرها ، أقول ثبتت شبهة ياابن العاص ولم أقل (تهمة) .. ومن أجل تلك الريب التي أحاطت به استدعاه عمر وذهب بنفسه يستقبله ، ليس عن تكريم ، ولكن امعانا في ضــمان الاقتضــاء . فهناك على المشارف سيقاسمه نصــف ماله .. يدع له النصف ، ويضم النصف المأخوذ منه عنوة الى بيت المال .. تلك يا صاح ــ حتى على الولاة ــ عدالة عمر .

وتمتم ابن العاص مبهورا (لله در ابن حنتمة) !

وكأنما كانت عبارة اياس تلك الأخيرة ــ عدالة عمر حتى على الولاة ــ معــولا قوض دعائم حججه القوية المنمقة ، التي كان من كثرة ترديده اياها في ذهنه يكاد أن يحفظها عن ظهر قلب .. فاذا هي تتخلخل وتضطــرب حتى لتوشــك أن

تتداعى .. وعاد جاره في المجلس الموقر، يسأله .

ما أراك يا ابن العاص الا ويشغلك أمـر جلـل !

هو والله ذاك يا اياس .

فهات ما عندك ، ان لم يكن سرا من الأسرار ، نقطع الوقت حتى تحين أوبة عمـر ..

وحدثه (ابن العاص) بمجمل الأمـر في كلمات قصار ،بدأها بقوله .الحطيئة

قبحه الله ! .. أو قد أصـابك ـ حتى أنت ـ شيء من هجائه ؟ !

لا يا أخي اياس ! .. ولكني أعتزم التشفع لـه !

بالله لا تفعل ! .. دعه في غياهبه ، فلقد أراحنا الله حينا ، نأمل أن يكون طويلا ، من بذيء قوله !

لكن للرجل أبناء ، وأبناء كثار ، يا ابن اياس !

فليعملوا ، والله رازقهم .. أما أبوهم فليتجرع الغصة حتى يتعفف فى مقبل أيامه عن قول الباطل والبهتان .. أو لم يأتك نبأ ما قال في (الزبرقان) ؟!

كان عمرو بن العاص قد علم بنبأ الزبرقان والحطيئة .. ولكنه لم يرد أن يظهر بمظهر العارف بأمر هذه السـوأة أيضا .. وأدرك محدثه أنه قد لا يكون عليما بها فانطلق يسـرد على مسامعـه خبرها .. و (ابن العاص) ساهم يرسل بصره وذهنه بعيدا بعيدا الى حيث (أبو العدل) الذى خرج بنفسه ينتزع بيده لبيت مال المسلمين حقه !

.. الزبرقان رجل كريم .. وأولى الناس اقرارا وعرفانا بذلك الكرم هـو الحطيئة نفسه ، ذلك الذى جئت ـ يا ابن العاص ـ تتشـفع لـه ! .. كـان الزبرقان قادما الى هنا ، الى رحاب عمر، يؤدى عن صدقات قومـه .. فلقيـه الحطيئـة ، وشـكا اليـه مـن فاقة ومسغبة ، واستنجد به أن يدله على قوم يخصهم بالمدح مدى حياتـه ، فقط يجد عندهم (من يكفيني مئونـة عيالي) ! .. فرق له قلب (الحصين) الذى يكني بالزبرقان ، وأرسله الى بيته بعد أن مناه أنه سيجد هناك لدى زوجه (هنيده) وأمه (أم شـذرة) وعمـه (الفرزدق) فوق المأمول ، مـن كـريم الطعام وحسن الجوار ، وقد كان ... وهنا قاطعه ابن العاص .

لكن مهلا اياس ... مبلغ علمي أن (الزبرقان) أى الحصين ، عاد فأهمله بعد ذلك .

بئس ما قال ان كان هو الذى زعم هذا ! .. انك تعلم ان بني (أنف الناقة) على غير وفاق مع آل الزبرقان ! .. فلم يزل أولاء يحتالون عليه حتى جذبوه الى حمـاهم .. وكـانت (هنيدة) زوج الحصين (الزبرقان) وأمه قد ذهبتا الى النجعة طلبا للكلأ على أن يلحقهم هـو وبنوه لكنه كان تحت تأثير وعود شخص من الحي الآخر يقال له (علقمة) من بني أنف الناقة قد استجاب للاغراء .. ونبذ الموطن الكريم والعيش الرغيد ، واختار جوار (أنف الناقة) ! ..

أهـذا هو الذى أحفظ (الزبرقان) عليـه ؟ !

كلا وأيم الحق ! .. فلقد قال لـه الزبرقان بعد أن عاد فعلم بمـا كـان (أفارقت جوارى عن سـخط وذم) ؟ قال (لا) قال (فلك ما شئت) وتركه لحال سبيله ، ورجع الزبرقان الى رحاب الخطاب يطلب ها هنا المشورة .

فكيف كانت ؟

حكم عمر أن يخرج الحطيئة حتى يقوم

في موضع خال بين الحيين ـ حي آل الزبرقان وحي بني أنف الناقة ـ وحده، ويخلى سبيله ثم يكون جار أيهما يختار.

فاختار أنف الناقة ؟؟

ذلك ما كان ! .. وقال لهم شعرا بين فيه أن مكان (الأنف) من الناقة هو خير مكان .

قوم هم الأنف والاذناب غيرهم
ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وأخذ يهجو الزبرقان !

على ما كان منه من بر وكرم وحسن جوار ؟

أو ما قلت انه سوء الطبع يودى بأهله ؟!



لكن مع ذلك ...

صمتا ! .. اصغ الى هدير الابل ! .. لقد عاد عمر !

وكأنما ثغاء النوق آتيا من بعيد ترجع البيداء صداه قدآذن القوم بمقدم الرجل العظيم المهاب الذى كانوا ينتظرون .. فحدثت جلبة وهرج وضجيج .. ثم لم تلبث أن أهلت طلعة (عمر بن الخطاب) فدلف هاشا محييا ، بخطوه القوى ، وهامته السامقة المرفوعة ، ورقته العظيمة ، وبساطته السحرية الآسرة المذهلة .. وذهبت النوق المحملة الى بيت مال المسلمين تودع فيه مالا رأى من بيده مقاليد الامور أن ذاك الوالي الذى أثرى لم يستول عليه بحكم خاصية فريدة في شخصه وانما هو ثراء (المنصب)، فوجب ـ اذن ـ اقتسامه ، عنوة واقتدارا ، صيحة تقول (من أين لك هذا) ؟! .

وان هي الا هنيهات حتى كان (عمر) قد فرغ ـ بمعهود حصافته ، ومضاء عزيمته ـ من تصريف غالبية القضايا التي عرضت عليه .. والتي كان ختامها حديثا ترفيهيا لطيفا آية في الرقة والطلاوة والعذوبة ، تبادله عمر مع بعض آل هرم بن سنان .. وهم الذين اختصهم الشاعر (زهير) بمدائحه .. فقال لهم عمر وهم يستأذنونه شاكرين في الرحيل .

أما وان زهيرا كان يقول فيكم فيحسن .. فعقب أحدهم يقول :

كذلك كنا يا ابن الخطاب ، نعطيه فنجزل العطاء !

لكن تعقيب « عمر » كان تعقيبا المعيا ذكيا دل على شاعريته وأدبيته الى جانب اشتغاله بالحكم وشواغله .. فقد قال .

ذهب .. ما اعطيتموه ... وبقي ما أعطاكم !

هنا فحسب تهلل وجه (عمرو بن العاص) وانبسطت أساريره ، وانفلتت من فيه في همسة جياشة بالاكبار جملته التي كان يرددها في اعجاب عظيم كلما بهره (عمر) .

« لله در ابن حنتمة .. أى رجل أنت » !

وهو قد رأى في اختتام المجلس بتلك الخاتمة الأدبية الشعرية خير (مناسبة) يدخل من خلالها قدماالى بسط قضيته.

وكان (عمر بن الخطاب) قد أشار الى ابن العاص فقربه اليه وراح يحاوره في شؤون الولاية ، حتى اذ فرغ تطرق ابن العاص الى الحديث عن .. عن (الحطيئة) !!

قطب عمر جبينه ، وصمت قليلا ، وهم بالكلام .. ولكن ابن العاص ؟ وقد لحظ يسر المسلك لم يدع له فرصة فمضي يصور بؤس العيال ، ويبين أثر التوبة وأصداء العفو .. حتى اذا توقف ليبتلع ريقه عاجله (ابن الخطاب) بقوله :

لقد أساء الحطيئة الى كثيرين من العرب .. ويسمى بضاعته تلك شعرا . . !

بضاعة مزجاة يا أمير المؤمنين ، سوف يشتغل بغيرها أفضل له ولقومه منها .

جاءني هنا الزبرقان يشكو هجو الحطيئة له، بعدما كان من مكارمه عليه. اليك هذا الذى قاله الحطيئة عن الزبرقان .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي!

يومها قلت (ما أسمع هجاء ، ولكنها معاتبة) ! .. فقال الزبرقان (أو ما تبلغ مروءتي الا أن آكل والبس) ؟ ! ..

وكان الحق بيده ! .. وتلك واحدة من آحاد ! .

ولكن (عمرو بن العاص) ظل يواصل استجداء الرحمة والعفو حتى أمر عمر أن يؤتى بالحطيئة ..

فجيء به.. فوقف خاشعا تائبا كمن ثاب وأناب ، وأنشد بين يدى عمر :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ولم يكد يتم الأبيات حتى بكى عمر .. بكى وهو يردد (ماذا تقول لأفراخ)!! ..

عند ذاك قال ابن العاص :

ما أظلت الخضراء ، وأقلت الغبراء ، أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة)!

وقال عمر للرجل —

اياك يا حطيئة وهجاء الناس ، والله لولا أن تكون سنة لقطعت لسانك ، ولكن اذهب ولن يجوع عيالك !

وأمر له بثلاثة آلاف درهم ، عوضا له عن تركه الهجو والهجاء !

ولربما لعاشر مرة ، أو للمرة العشرين في يوم واحد ، قال عمرو بن العاص وهو ينصرف من رحاب الشدة في الحق والنزاهة فى القصد والعدالة فى الحكم .. رحاب عمر بن الخطاب .. قالها وهو يرقا دمعتي اكبار وانبهار ترقرقتا على خديه قبل ان يمتطي راحلته عائدا بركبه الى مقر ولايته .

((لله در ابن حنتمة .. أى رجل كان)) !



الوسوسة لا تضر

انا شاب مسلم ، اؤدى ما افترضه الله علي ، واتقرب اليه سبحانه ببعض النوافل واجتنب المحرمات ، وأتقي الشبهات ، اللهم الا ما يقع منى لماما دون قصد ، او نتيجة فهم خاطىء ، وهوايتي قراءة الكتب الاسلامية ومطالعة الصحف والمجلات التي تسير في هذا الاتجاه ، وكل عمل اباشره انظر اليه من الزاوية الاسلامية .

ومشكلتي التي تؤلمني اشد الألم ـ انه بدأ ينتابني الوسواس في أعز ما احرص عليه في ايماني ، في عقيدتي ، وقد صدق علي المثل العربي « من مأمنه يؤتى الحذر » وهذا الوسواس لم يصل الى مرحلة الجهر والعمل ، فهو لا يتعدى حديث النفس وخاطرة القلب ، وكلما عرضت لي هذه الحالة تبت الى الله واستغفرته ، واستعذت به .

وكل ما اريد ان اتبينه هو : هل هذا الوسواس يؤثر في ديني وايماني او يحبط ثواب عبادتي وما هو العلاج الذى تنصحون به . ؟

م . ح
الخرطوم

هذه الوسوسة لا تضرك في عقيدتك ، ولا تؤثر في ثواب طاعتك ، وتخوفك منها ، واستعظامك للتصريح بما يعرض لك من هواجس دليل قوة ايمانك وصدق عقيدتك ، وقد عرضت مثل حالتك هذه على طبيب القلوب والأرواح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولا يثلج صدرك ، ويطمئن خاطرك . روى مسلم عن عبد الله رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة ، فقال تلك محض الايمان .

ومداخل الشيطان الى القلوب العامرة بالايمان كثيرة متشعبة ، والطريق الوحيد لسد هذه المنافذ هي الا يلقى الانسان بالا لما يعرض له في هذه الناحية ، بهذا يفوت على الشيطان قصده ، ويحصن نفسه من أبلسته وفتنته ، وكثيرا ما تعرض بعض الصحابة رضوان الله عليهم لهذه الخواطر ، وهم كما نعلم ارجح الناس ايمانا ، واصدقهم يقينا ، فنصحهم رسول الله بالاعتصام بالايمان ، والتعوذ بالله من كيد الشيطان . عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يأتى الشيطان احدكم ، فيقول من خلق كذا ، من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ، ولينته (رواه الثلاثة) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يأتى الشيطان احدكم فيقول من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول الله ، فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ورسوله .

فلعلك يا سيدى بعد هذه النصوص الصحيحة الصريحة المروية عن رسول الله . تهدأ بالا وتسير في الطريق الذى وفقك الله له ، ثبتنا الله واياك على الايمان ، وحمانا من كيد الشيطان .

ردود قصيرة

الأخ احمد محمد عبد الكريم ـ القرية ٦ حلفا الجديدة ـ السودان .

نشكرك على تحيتك الرقيقة ونعتذر عن نشر الأبيات التي بعثت بها لعدم صلاحيتها .

السيد مزيد المحمود السليمان المزيد ـ السعودية ـ عنيزة ـ

مرحبا بك ايها الصديق الغيور على دين الله ومحارمه ، وانا نرحب بكل ما تبعث به للمجلة من افكار وآراء تستهدف خير الاسلام والمسلمين .

الجندى عبد الرحمن احمد حمبوز ـ الأردن ـ الزرقاء ـ شارع الملك حسين .

نحييك وانت في ميدان الجهاد ، ونناشد اصحاب المكتبات والقراء الذين يوجد لديهم العدد العاشر من المجلة ان يبعثوا به اليك على عنوانك .

الأخ عبد الجليل سعيد احمد ـ مطار البحرين الدولي / البضائع الجوية .

المجلة ترحب بجميع ما يرد لها وتنشر ما يصلح للنشر منه ، وهي لا تفرق بين مذهب ومذهب ، ومقترحاتكم موضع الدراسة .

السيد محمد عبد الله احمد ـ عدن ـ شارع العيدروس ـ كرير .

لم يغب عنا هذا الفراغ الروحي الذى يحس به المؤمنون بالتقليد ، ونوجه انظار شبابنا الىالمقالات التي تنشرها المجلة تباعا تحت عنوان الاسلام ورسوله وتعاليمه للأستاذ احمد حسين ، فان فيها ما يعينهم على افحام الملحدين .

السيد احمد بن سعيد ـ مسقط .

يعنى علماء المسلمين في الوقت الحاضربموضوع توحيد الاعياد الاسلامية ، ونامل ان يوفقوا بعد الدراسة الى راى يحل هذه المشكلة .

وتلقينا من السيد / محمد عبد القادر من المنامة بالبحرين الرسالة التالية : ـ

لقد قرات فى مجلة العربي العدد ٨٥ كلاما ضد الصوفية،حيث تفضل صاحب المقال وهاجم كبار رجال الصوفية كابن العربي والامام الشعراني والامام الجيلي . ومما لا يخفى ان هؤلاء الائمة كانوا حجة فى الفقه مع تعمقهم فى علوم الحقيقة ، ولا اظن انهم يكتبون او يقولون قولا يخالف الشريعة من بعيد او قريب كما ادعى صاحب المقال ، وطالب بحرق كتب الصوفية لكي تنقذ سمعة الدين . ارجو ان تبينوا صحة ما نشرته تلك المجلة .

يا سيد محمد :

ان الصوفية الخالصة منهج فى التعبد انتهجه وينتهجه صفوة مختارة من المسلمين ممن اوتوا حظا من صفاء النفس ورقة الحس وقوة اليقين ، وقد برز من هؤلاء المتصوفين اعلام تركوا آثارا خالدة فى التراث الاسلامي لا تزال مرجع الكثير من العلماء والادباء ، كما قامت الصوفية بجهود كبيرة فى نشر الدعوة الاسلامية فى كثير من بقاع الارض فى آسيا وافريقيا والى هذه الجهود المخلصة يرجع الفضل فى دخول ملايين من البشر فى دين الله .

وهذا لا ينفي ان لبعض الصوفية شطحات لم يستسغها او يهضمها كثير من الناس فعدوها مآخذ عليهم ، كما ان سلوك بعض مدعيها اساء الى حقيقتها وخاصة فى العصور المتاخرة ـ عصور الجهل والفاقه التي ألمت بالأمم الاسلامية فى عهود التخلف والاستعمار .

ولعل هذا هو السبب فيما نسمع ونقرا من شن الحملات عليهم دون تفرقة بين الغث والسمين .

وهؤلاء الاقطاب الذين وردت اسماؤهم فى هذه الرسالة قد تكون لهم عبارات غير مهضومة فى بعض كتبهم ، ولكن ليس معنى هذا ان تشن عليهم وعلى هذه الكتب مثل هذه الحملة التي تنادى بحرقها، والاولى ان تعمل على تهذيب الكتب تهذيبا يبقى على الصالح منها شانها شان الكتب الاخرى فى العلوم المختلفة ، فما من علم من العلوم الا وقد احتوت المؤلفات فيه على بعض الهنات، ولو اتخذنا الحرق مبدأ لكان معنى هذا القضاء على الكثير من تراثنا وهذا كما ترى غير معقول ولا مستساغ .



تحديد النسل . وحد النصل

مصطفى عبد الرازق

تحديد النسـل . وحد النصـل

بعث الينا الأستاذ محمد احمد فرج الباحث الفني بنيابة كفر الشيخ ج . ع . م بهذه الرسالـة .

طلعت علينا مجلة المصور القاهرية في عددين صادرين ليس بينهما كبير وقت برأى لكاتبين لا معين حول تحديد النسل .

والرأى ساقه الاستاذ صالح جودت في عدد المصور رقم (٢١٥٠) الصادر في ٦٥/١٢/٢٤ تحت عنوان « هل نحن جادون في تحديد النسل ؟ » وصل فيه الى فقرة عنوانها « الاجهاض المشروع وغير المشروع » قائلا .. « واخيرا نصل الى الحل الجذرى الذى سبقتنا اليه الدول التي تعاني موقفا كموقفنا » وفي طليعتها اليابان ، وكانت وسيلتها الأولى في هذا النجاح ، اباحة الاجهاض ، في اوسع الحدود ، ولكننا لا ننادى بأوسع الحدود حفاظا على كيان المجتمع « !!! » بل ننادى به كوسيلة لا بد منها للحد من التناسل في الحدود الآتية . ثم ساق امثلة ثمانية يهمنا منها ثلاثة .

١ ـ اذا ثبت ان الزوج في وضعه الاقتصادى الراهن لا يستطيع اعالة مزيد من الأولاد .

٢ ـ اذا كان للزوجين اكثر من ولدين .

٣ ـ اذا حدث انفصال او طلاق بين الزوجين اثناء الحمل . مما يعرض الولد

المنتظر للضياع والتشرد .. ثم ختم كلمته قائلا وهذا رأى اعرف انه جرىء واحتمل مغبة جراته .. الخ ما قال .

ونحو هذا الرأى اورده الاستاذ فكرى اباظة في عدد المصور الصادر في ٢٨ يناير ١٩٦٦ . وقال انه ينادي به من ثلاثين عاما ــ وهو مخضرم !! ــ فأثبت الاستاذ فكرى بذلك انه لم يستورد رأيه من الشرق الأقصى ــ وهذه حسنة !!

ولنرجع الى الرأى لمناقشته غاضين النظر عن كونه مستوردا . لأن الكاتب ادخل عليه تعديلات حرصا على كيان المجتمع !!! فلم يناد بالاباحة الا فيما ساق من امثلة . اوردنا منها ثلاثة . وكلنا يعرف ان الاجهاض جناية .اذ هو قتل نفس رعاهاالله عز وجل نطفة منذ بدايتها . فقال عز وجل « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » وعلى هذا تكون المناداة به مناداة صريحة بقتل نفس حرم الله قتلها الا بالحق . بل انه اخس انواع القتل .. لأنه قتل جنين لم يرتكب جرما ما . بل ان هذا الجنين قد يكونمفتاحا لسعادة البشرية جميعا .. وهذا يدخل تحت نص القرآن الكريم حين . قال صراحة : « ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم » وقال « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » .

فأية كارثة تصيب البشرية اذا سمحنا لهذه الآراء ان تروج بيننا لنقول للرجل الفقير بادر الى قتل الجنين في بطن زوجتك فسيكون حملا عليك !! ؟ من أين يأكل ؟! . اليس القتل له رحمة ؟!

وكأن السماء لم تعد تمطر . والأرض لم تعد تنبت . وكأننا ضمنا حياة هذا الجنين سلفا ، وكأن العسر قد أصبح ضريبة على هذا الشخص . فلا يعقبه يسر ابدا . وكأن الله عز وجل لم يقل « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » .

ونقول لمن حملت زوجه وعنده ولدان يا للداهية التي دهتك !! ؟ والمصيبة التي نابتك !!! ؟ سيكون اولادك ثلاثة ! قم يا رجل !! بادر وحل مشكلتك !! .. اقتل الجنين، هذا هو الحــل .

وأنت ايتها الثكلى ! مالك تتحسسين ظاهر احشائك ؟! ان الجنين يتحرك ؟! دعك من الوفاء ! فالمرحوم تركك عروسا لاشهر قليلة !تمتعى بشبابك !!تخلصي منالجنين.. وأنت الأخرى ايتها المطلقة انك تحملين مشكلة فتخلصي منها .

.. اقسم لو ان اعدى اعداء الانسان اراد الاضرار به ما دعاه الى اكثر من هذا !!! وان امثال هذه الدعوات ان هي الا حد نصل يساق ضد دعوة تنظيم الأسرة بمنع الحمل . قبل ان يكون جنينا بأية وسيلة من الوسائل . فتنظيم النسل او تحديد النسل قد يكون رأيا قابلا للمناقشة . تترك فيه حرية الاختيار للشخص الذى يريد ذلك دون ضغط او ارهاب .

اما اذا اطلقنا العنان لهذا الشطط في القول حول هذا الموضوع فليس ببعيد ان تسمع غدا من يقول اجمعوا ما زاد عن ثلاثة اطفال في كل اسرة في عربات كعربات الكلاب الضالة لنتخلص منهم بأى غاز سام كي يعيش الباقون في بحبوحة ويسر .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

مصطفى عبد الرازق

وبعث الينا الأستاذ عبد المنعم البحقيرى من نوسا الغيط ج . ع . م بكلمة تحت هذا العنوان يقول فيها : —

مرت ذكرى وفاته .. فتذكرنا رائدا صاحب مدرسة اسلامية حديثة .. وتذكرنا استاذا للفلسفة الاسلامية تلك الفلسفة التي قد تعرضت للاهمال زمنا طويلا.

وتذكرنا هذه الذكرى برجل رسم الخطوط الاساسية للفلسفة الاسلامية ووقف في وجه اولئك الذين انكروا على فكرنا العربي الاسلامي قوته واصالته ، وقال موجها قوله لهؤلاء المنكرين (ان الفكر الاسلامي الحقيقي لا يلتمس في فلسفة الفارابي وابن سينا بقدر ما يلتمس في علم الكلام وفي اصول الفقه الاسلامي) .

وتذكرنا ذكراه بكفاحه من أجل تحقيق مبادىء أستاذه الامام محمد عبده بالتوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية فنراه يفعل الكثير من اجل ذلك .

وأستاذنا يرى ان الاخلاق ينبغي ان تكون فنا للحياة !! بمعنى ان يكون للانسان في حياته خطة مرسومة يسير عليها ، ويحقق اهدافها بعيدا عن الاهواء والانفعالات ، ومتى بلغ الانسان هذه المرتبة اصبح حكيما .

وعلامة الحكمة هنا ما يلازم سلوكه من اعمال طيبة ، بعيدة كل البعد عن اللذات ، او حب المال وغيرها من متاع الدنيا الزائف ، بل الخير عنده هو جمال الروح .. هو التسامح والحب .. هو المودة والصلة .. والهدف الأساسي من كل ما سبق هو الحب الطاهر النقي . البعيد عن المطامع والأغراض .

وكم نادى بتحقيق الحب والتعاطف بين ابناء الانسانية ، كما كان يرى ان علاج امراضنا الاجتماعية لا يتحقق الا اذا قمنا باصلاح اخلاقي ، يرشدنا الى الخير ، ويوجهنا الى الصالح من الأمور ويطهرنا من الحقد وادرانه ، ومن الأنانية ورقها ، وكان يقول في ذلك (يجب ان يقوم بناء المجتمع على السماحة والسلام اى على الشعور باننا جميعا اسرة واحدة متآزرة اصلها واحد ومصيرها واحد) .

ولقد اتفق المفكرون على ان مصطفى عبد الرازق كان فيلسوفا على الحقيقة ، او بالأحرى حكيما ، وحياته خير برهان ودليل على ذلك ، فحياته كانت مملوءة بنوازع الخير وبالتسامح والتواضع وضبط النفس والعواطف النبيلة ، ولقد توسم الامام محمد عبده فيه هذه الصفات ، فكتب اليه رسالة يسأل الله فيها ان يديم اخلاصه وحبه للخير ، وان يشد من ازره لدعوة قومه الى العمل النافع ، وطريق الخيروالسلام. ولقد قدم لنا الامام مصطفى عبد الرازق عديدا من المؤلفات مثل ((تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية)) ((وفيلسوف العرب والمعلم الثاني)) ((وسيرة الكندى والفارابي)) ((والدين والوحي والاسلام)) ((والبهاء زهير)) ((ومحمد عبده)) ((ومذكرات مسافر)) ((والامام الشافعي)) ((ومذكرات مقيم)) وترجمة فرنسية لرسالة التوحيد .

وقوام منهجه في البحث هو الاستقراء الذى يكاد لا يغادر مقدمة من المقدمات الا احصاها وعرفها ، وكانت له قدرة فائقة على جمع النصوص ، فهو صاحب الفلسفة التي خاطبت العقل ، وناصرت العلم ، وقدست الدين ، ودحضت افكار المستشرقين ودعاواهم على الاسلام والمسلمين ... وانتهت حياته — لكن افكاره وآراءه وأبحاثه ما زالت وستظل دليلا على الدور الذى قام به الرجل في خدمة الاسلام .. وخدمة اللغة العربية والفلسفة الاسلامية ..

رحمه الله وجزاه عن الاسلام والمسلمين والانسانيةخير الجزاء

مهما خفى عن حال الرواة . وكأنهم يطلبون فى البشر عصمة الانبياء كمالا .

ومع هذا فان فى سعة اللغة العربية واساليبها البلاغية شؤونا لا بد من مراعاتها عند دراسة الحديث كمخرج للشبهة ان وجدت ، وما اقل حاجة الانسان للمجاز لان السنة غاية فى الوضوح والاحكام .

تلك اصول عقيدتنا واحكام شريعتنا نقية قوية الاركان ، شامخة البنيان ، ناصعة نصوعا ليس يحتاج الى بيان .

والآن :

وبعد أن قطعت معك هذا الشوط فى الرد على ما أثاروه من شبهات يحق لى ولك أن نتساءل عن القصد من اثارة مثل هذه الطعون فى وقت نشكو فيه جميعا من التحلل ومن انصراف الناس عن دينهم ومن الهجمات التى توجه للاسلام من أعدائه؟

يقولون انهم حسنو النية ونحن لا نريد أن نحرمهم من شرف حسن النية ولكنهم اذكياء ولا يفوتهم بحال من الاحوال تلك الآثار السيئة التى تترتب على نشر مثل هذه الطعون .

فهل من حسن النية أن ينشر هذا الطعن بالاساليب والعناوين المثيرة التى نشر بها ؟

وهل من حسن النية أن يختار هذا الطعن مادة للاعلان عن المجلة فى الاذاعة والتلفزيون وكثير من الصحف العربية الواسعة الانتشار وفى صفحاتها الاولى ؟ والمجلة توزع اكثر من مائة الف فى العالم العربى . والذين قرءوا الاعلانات عنها يعدون بعشرات الملايين .

لقد التقط الشباب والمنحلون والشيوعيون وغيرهم هذا الكلام واطلقوا ابواقهم واتخذوا منه سلاحا جديدا ينفذون منه لما يريدون أو يجابهون كل من يذكر حديثا عن البخارى بما قرأوا ، وربما زادوا عليه لهوى فى نفوسهم ..

فهل خدم الكاتب الاسلام بما كتب أو خدم أعداءه المتربصين به ومهد الطريق للمتحللين والمستهترين ليزدادوا فى تحللهم واستهتارهم .

وشىء آخر لا بد من حسمه وان كنت قد ذكرته باختصار أثناء المقال .. لقد اعترض المعترضون على ما جاء فى رد الوعى الاسلامى فى العدد السابق من أنه لا يمكن الاعتماد على عقل الطاعنين ودون دراسة وتبصر فما وجه اعتراضهم؟

ان العقل فى الاسلام له اعتباره وهو دين العقل هذا صحيح .. ولكن أى عقل ؟ أهو عقل المختصين من الدارسين أم غير المختصين الدارسين ؟ واذا كان كل علم أو فن لا يستطيع الحكم فى قضاياه الا أهله الدارسون له فلماذا نجعل قضايا الدين نهبا مباحا لكل انسان ولو كان غير دارس أو فاهم ؟ وهل الدين أهون علينا من غيره من العلوم والفنون الاخرى ؟ واذا كانوا يقولون لا رجال دين فى الاسلام فانهم لا يستطيعون أن يقولوا انه لا اختصاص فى فهم القرآن والسنة والشريعة عموما.

واذا كان الكاتب المهاجم نفسه لم يستطع أن يدرك مغزى قول السيدة عائشة فى الحديث « كان الرسول يأمرنى فأتزر » ، ولم يدرك الهدف من حرص الرسول على أن تلف مكان الجماع بالازار ... ولم يكلف نفسه تتبع بقية الاحاديث فى هذا الموضوع ومنها أن الرسول - فيما رواه مسلم فى صحيحه - قال حين نزلت آية الحيض « افعلوا كل شىء الا النكاح » . بل لم يكلف نفسه تتبع بقية الحديث الذى اتى ببعضه . وتكملته « وأيكم كان يملك اربه كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يملك اربه » ومعنى ذلك أنه كان ينام بجانبها ويلاعبها لكنه كان يملك شهوته فلا يجامع . لتدفع عائشة بذلك ما قد يلتبس على بعض البسطاء .

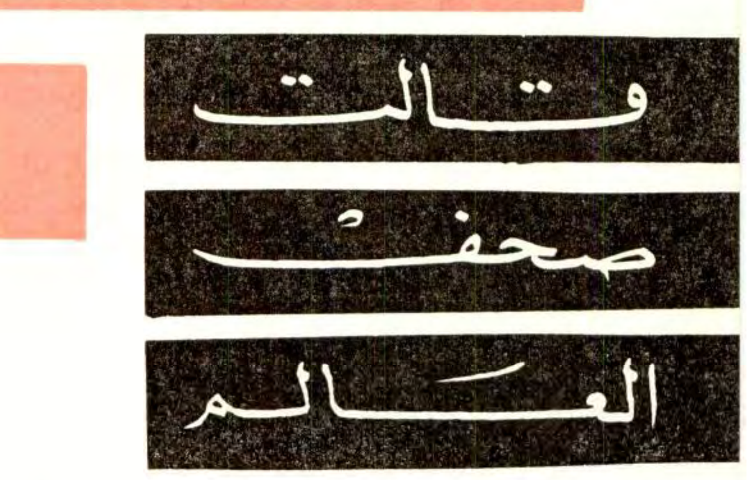
اذا كان الكاتب لم يدرك هذا الكلام الصريح فكيف يريد أن ينصب عقله ميزانا فيما اجمع العلماء الفطاحل الاتقياء على صحته؟ الا انه الهوى لا العقل ! .. والاسلام دين العقل السليم الدارس لا دين الهوى .

ما كان أغنانا عن هذا كله لو أن الكتاب اتقوا الله فى حمل الامانة التى حملوها .

رحم الله امرأ قال خيرا فغنم أو سكت فسلم.
هدانا الله واياهم .

مسئولية داروين والأسلحة الذرية عن موجة الإلحاد

الإنسان والعلم



مسئولية داروين والأسلحة النرية والحروب العدوانية عن موجة الالحاد

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الجمهورية القاهرية في ملحقها الديني تقول :

الانسان كلما توغل في العلم ، تعمق في الايمان والتقوى ، وخشية الله تعالى ، وقد جاء فى كتابه الكريم « ... انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور .. »سورةفاطر ولهذا دعا سبحانه وتعالى عباده للأخذ بالعلم وحثهم على الاستزادة منه ، وفي هذا يقول الحق في سورة الزمر « .. قلهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

ومع ذلك فمن الغريب ، ان تجد دعاة للعلم في هذا العصر ، يزعمون ان العلم لا يتفق مع الدين .. كل دين ، بل ويمضون في ضلالهم يحاولون ان يتخذوا من تقدم العلم في هذا العصر ، مادة للاستدلال والبرهان على أن الانسان قادر على كل شيء ، بعيدا عن سلطان ربه وارادتــه .

ويرجع تاريخ هذه الموجة من الالحاد المقرون ظلما وعدوانا بالعلم ، الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد ظهور نظرية داروين التى ضمنها كتابين ، الأول : عن اصل الاجناس ، وصدر عام ١٨٥٩ ، والثاني عن سلالة الانسان وقد صدر عام ١٨٧١ .

ورغم ثورة الكنيسة على نظرية « داروين » العالم البريطاني الشهير ، فقد انبرى اكثر من عالم يؤيد داروين ، وتزعم الفريق العالم البريطاني الكاتب الكبير « جوليان هكسلي » وهو والد الكاتب المعاصر الاشهر « الدوس هكسلي » الذى مات في العام الماضي فقــط .

وتمادى هكسلي الاب فى دفاعه الحار عن نظرية داروين ، ومن ثم بدأت موجة الالحاد ، التي التصقت بالعلم ظلما وعدوانا كما سبق ان ذكرت .

ورغم ان « جوليان هاكسلي » وجد من يجادله ويدحض مزاعمه ، ويثبت له بالدليل العلمي القاطع ان قدرة الله فوق كل شيء ، وانه سبحانه الواحد القهــار ، والخالق الذى لا يمكن ان يشاركه سواه ، رغم هذا فلا زالت هناك ظلال من الشك

والزيغ في قلوب البعض من شباب العلم المخدوعين الواهمين .. وكانت هذه النقطة الاخيرة هي الخيط الذى بدات به الحديث مع قادة العلم واساتذته .

ونبدأ بالاستاذ الدكتور احمد رياض تركي رئيس المجلس الاعلى للبحث العلمي ، وهو العالم الانسان الذى قدم فجر شبابه في المانيا ، وامضى بها ما يقرب من اثنى عشر عاما ، حتى يتم دراسته الجامعية ودراسته العليا ايضا ، وعاد الى وطنه لا يقرب الخمر ، ويؤدى فروض ربه كاملة ، ولا تقتحم عليه جلسته الهادئه الا وتراه ممسكا بحبات دقيقة صفراء يسبح ربه ويطلب المغفرة والرحمة .. !

قلت للدكتورتركي . هل يوجد فى العلم ما يتعارض مع الدين .. أم ان العكس هــو الصحيح .

وأجاب سيادته على الفور . الحقيقة ان العلم يؤيد الدين ، ويقدم البرهان والدليل على قدرة الله الواحد الأحد ، يثبت ان خلق الكون لا يمكن ان يكون مجرد صدفة ، بل هو نظام متكامل تحكمه قوى هائلة ، تعمل بحساب دقيق منظم . يحفظ لها تناسقا ، وتضامنا ، وتكافلا ، يعجز العقل عن تصوره .

بل هناك ما هو ابعد من ذلك ، هناك تلك الحقائق التي يكشف العلم عنها يوما بعد يوم ، وكانت فى الماضي بعيـــدة عن متناول عقـــل الانســـان وفهمه ، وامكـــن بعد التقدم التكنولوجي الهائل في هذا العصر سبرغورها واكتشاف اسرارها ، هذه الحقائق تؤكد ان معجزة الخلق واحدة لا تتغير في كل صغيرة وكبيرة ، معجزة الخلق في الكون كله ، تتمثل في قلب اصغر وحدة من المادة ، اعنى الذرة .

الانسان والعلم

وطالعتنا مجلة التمدن الاسلامي التي تصدر في دمشق بمقال تحت هذا العنوان للاستاذ محمد كمال الخطيب . يقول فيه :

ان زمننا هذا قد تنوعت فيه الثقافات والنظرات والمصالح والأهواء باحتكاك الامم ويسر التعريب والترجمة ، وانتشار الطباعة والتبادل الثقافي بين الحكومات على اختلاف العقائد والسياسات ، فاصبح الانسان بذلك تلقاء بحر خضم هائل ، ما يكاد يمسك بكتاب حتى تقذفه المطابع بكتب ، وما يكاد يمسك بمجلة حتى تقذفه بمجلات ، وما يكاد يسمع دعاية ثقافية مجردة اولها خبيء من مطامع الدعاة وأهوائهم ونظراتهم حتى تعترضه صحف ودعايات، وفي هذا من الوفرة والخير ما يشبه البحر الزاخر بأمواجه ودرره ووافر صيده واخطار صيده فهو يفيد السباح الماهر والغواص المتمكن، ويقتل الضعيف ويخيف الجبان، فيصبح على طرف الموج همه من خداع الثقافة (شهادة) كاذبة يعلو بها مدارج الحياة، ويتكسب عيشا (بوظيفة) و (راتب)، الى جانب ما تقذفه به الدعاية او تمر به العاصفة العابرة بكلمة تملأ سمعه ، فاذا هو يتقلب تقلب الدعايات يستحسن ما استحسنته ، ويقر ما أقرته ، هذا من اشراط الساعة واخطار الحياة ونكسة الانسانية (يمسي الرجل مؤمنا ويصبح كافرا ، ويصبح مؤمنا ويمسى كافرا) كما حذرنا ذلك الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كان « التعليم » و « التثقيف » الحق بحاجة الى صخرة يرتكز عليها ، وسفينة يمخر العباب بها . ان العالم بحاجة الى هداية وامن واستقرار وطمأنينة ، والقلق يعصف في الأمم والأفراد وهذا من ادق ميزات العصر ، فمتى يجد العالم رسالة المعلم الهادية ..

اننا اذ عملنا بما علمنا الله ، وعلمنا ما سخر لنا الله ، وعلمنا اقدار انفســـنا ومكانتنا في الحياة فان (من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم) وزادنا العلم شرفا ورفعة وتربية وحكمة ، وجلدا وسموا ،وهذا ما نفتقد في تعليم اليوم سيرته ومناهجه.

وكتبت صحيفة الاخبار القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

الشذوذ الجنسي أصبح مشروعا في انجلترا . ياللعار ! الانحلال الاخلاقي اصبح دستورا ! ولا يمكن ان تكون انجلترا قد لجأت الى تشريع الشذوذ الا اذا كان الشذوذ ظاهرة اجتماعية اخلاقية لا يمكن القضاء عليها .

وابتداء من اليوم لن يفصل تلميذ من مدرسة ، ولا شاب من جامعة ولا موظف من عمل، ولا جندى من كتيبة .. فشذوذهم لا يهم اطلاقا .. ولا يهم ابدا شذوذ اعضاء مجلس العموم ولا اعضاء اللوردات .. فالشذوذ سلوك شخصي . وحتى اذا لم يكن شخصيا فهو قانوني !

ولا بد ان يعاد نشر المسرحيات والروايات التي منعتها الرقابة لأنها تصورالشذوذ الجنسي في انجلترا .

ولا بد ان تظهر مسرحية الكاتب الكاثوليكي جراهام جرين ، فقد حذفت الرقابة معظم صفحاتها التى يهمس فيها شاب همسا طويلا فى اذن شاب آخر .

ولا بد ان يصدر عفو شامل عن اوسكار وايلد صاحب الفضيحة الاخلاقية المشهورة . الفضيحة التي ختم بها القرن التاسع عشر .. ولا بد ان يصدر عفو آخر عن لورنس العرب وعفو آخر عن جلوب باشا .. فلم يكونوا شواذا وانما كانوا روادا لتشريع الشذوذ الاخلاقي في انجلترا !

ولا بد ان تعتذر الحكومة البريطانية للفتاة كريستين كيلر .. فما الذى فعلته هذه الفتاة ؟ أنها كانت ضمن اخريات يعملن في احد بيوت الدعارة الانيقة .. ومـا دامت انجلترا ترى الشذوذ شيئا طبيعيا فكريستين كيلر طبيعية جدا .. والسبب الحقيقي لفضيحة كيلر ليس هو انحلالها الخلقي ، ولكن وقوع وزير الحربية البريطانية فريسة في شبكة الجاسوسية السوفياتية .. فكريستين كيلر وغيرها لسن الا ضحايا ساذجات وقعن في مصايد الجاسوسية .. اما سفالتهن الاخلاقية ، فشيء يوافق عليه القانـون !

ان انجلترا قد دخلت عصرا جديدا عصر الخنافس الذين يجمعون بين الانوثة والرجولة ، انوثة الصوت والشعر والرجولة الفسيولوجية . ان انجلترا اذا كانت قد بدات تصفية امبرطوريتها السياسية والاقتصادية فانها ولا شك قد فتحت جبهة جديدة من اجل امبراطورية الشذوذ الجنسي ! .

واذا كانت انجلترا قد واجهت هذا المرض الاخلاقى بصراحة ، ولا أقول بشجاعة، وان هذا يدل على الواقعية ، فانها فى نفس الوقت قد استسلمت للأمر الواقع ..

والاستسلام للأمر الواقع ليس شجاعة .. وليس جرأة ، وانما هو اقصى درجات الافلاس امام مرض بدأ من عشرات السنوات وأصبح مستحيل العلاج .. فلم يملك القانون الا ان ينحنى امام ظواهر الطبيعة .. المنحلة !

استفتاء

أخي ... هذه مَجلتك

وأنت مدعو لإبداء رأيك

بهذا العدد تقطع المجلة سنة من حياتها الموفقة ان شاء الله .

والنجاح المنقطع النظير الذى لاقته فى سنتها الاولى لا ينسينا أن نراجع أنفسنا وأعمالنا فى هذه السنة استعدادا لوثبة أقوى فى سنتها الجديدة .

ومن حقك بل من الواجب عليك أن تشترك معنا برأيك ، والقاء ضوء على الطريق لنحث الخطى نحو المستوى الذى ترجوه ونرجوه .

اكتب الينا برأيك

ما الذى أعجبك فيها ؟

ما أحسن مقالات قرأتها ؟

ما الذى تحب أن تقرأه ؟

ما النقد الذى تراه وما الطريقة المثلى للعلاج ؟

من هم الكتاب الذين تحبهم ولم تقرأ لهم ، وما عنوانهم وتخصصهم ان عرفته ؟

ما هى اقتراحاتك ؟

ارسل الينا بردك سريعا واكتب على الزاوية العليا من الظرف « المجلة فى عام » .

أكثر الاصوات اتجاها واتفاقا ستجرى قرعة بين أصحابها .

ويمنح الفائز الاول هدية مع اشتراك سنة فى المجلة مجانا .

والاربعة الباقون يمنحون اشتراك سنة فى المجلة مجانا .

ويمنح أصحاب الاقتراحات المفيدة والهادفة اشتراك سنة فى المجلة مجانا .

وتنشر النتيجة فى المجلة والصحف وتذاع بالاذاعة والتلفزيون .

« مجلة الوعى الاسلامى . ص.ب ١٣ الكويت »



الدعاء فى الصلاة

السؤال : —

هل تصح الصلاة اذا دعا المصلي فى سجوده بأدعية دنيوية كأن يقول اللهم وسع رزقى وبارك فى ولدى واشف ابنتى وربحنى فى تجارتى الى غير ذلك .

اسماعيل سالم
البحرين

الاجابة : —

مذهب المالكية ان الدعاء فى الصلاة جائز بكل ما يطلب المصلي مما يجوز الدعاء به شرعا ولو كان الدعاء بأمر دنيوى من اللذائذ والنعيم . والصحيح من مذهب الشافعية والحنابلة كمذهب المالكية .

اما الاحناف فانهم لا يجيزون الدعاء فى الصلاة بما يشبه كلام الناس ومعاشهم الدنيوى .

ونفتى السائل بأنه يجوز الدعاء فى الصلاة بما شرع الله لعباده من المباح والمندوب والواجب كطلب الستر والغنى عن الناس والتوفيق لقراءة القرآن وأداء الحج .

فى الطلاق

السؤال : —

رجل طلق زوجته طلاقا اول ، وقبل ان يردها الى عصمته طلقها مرة ثانية ، ويريد الآن ان يعيدها اليه ، فهل يقع عليه طلاقان ، او طلاق واحد ؟ .

عوضين المبارك
الخرطوم

الاجابة : —

اذا طلق الرجل زوجته طلاقا اول بائنا بأن طلقها قبل الدخول مثلا ، او طلقها على عوض ولم يجدد لها عقدا ، او طلقها طلاقا رجعيا ولكن عدتها انقضت قبل ان يراجعها ، ثم طلقها مرة ثانية فان الطلاق الثاني لا يلحق الطلاق الأول ، ولا يحسب عليه الا طلاق واحد لان الطلاق الثانى صدر بعد أن أصبحت الزوجة أجنبية عنه .

اما اذا طلقها طلاقا رجعيا ، ثم طلقها ثانية أثناء العدة فان هذا الطلاق يلحق الطلاق الأول لأن الطلاق الرجعي لم يخرجها عن كونها زوجة ، فيحسب عليه فى هذه الحالة طلاقان .

فى الميراث

السؤال : ـ

توفي رجل وترك زوجة وثلاث بنات ، واما وسبعة اخوة اشقاء منهم اربعة ذكور وثلاث اناث ، فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث وما نصيب كل وارث .

محمد الفلاييني
غـزة

الاجابة : ـ

جميع المذكورين فى هذا السؤال يرثون ، وتقسم بينهم التركة على النحو التالى للزوجة ثمن التركة فرضا لوجود الفرع الوارث وهو ثلاثة قراريط من اربعة وعشرين قيراطا تنقسم اليها التركة .

وللأم سدس التركة وهو أربعة قراريط منها لوجود الفرع الوارث .

ولبنات المتوفى ثلثا التركة وهو ستة عشر قيراطا توزع بينهن بالتساوى،وللاخوة الاشقاء ذكورا واناثا الباقي وهو قيراط واحد يقسم بينهم . للذكر مثل حظ الانثيين .

السؤال : ـ

توفى رجل عن ابوين وزوجة ، وثلاثة اخوة ذكور ، وأربع اخوات اناث ، والجميع اشقاء فما حكم الشريعة فى تقسيم هذه التركة .

د . سعيد
البحرين

الاجابة : ـ

لا يستحق الاخوة الذكور منهم والاناث شيئا فى هذه التركة لان الأب حجبهم حجب حرمان . وتقسم التركة على النحو التالي :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود فرع وارث .

وللأم السدس فرضا لحجبها حجب نقصان بوجود جمع من الاخوة، قال تعالى فى سورة النساء (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس . وللأب الباقي فرضا وتعصيبا .

فى العـدة

السؤال : ـ

رجل طلق زوجته طلاقا رجعيا ، وقبل ان تنقضي عدتها منه توفى ، فهل تعتد عدة الرجعية ، او عدة المتوفى عنها زوجها ، ومتى تبدا هذه العدة .

سالم الخزنوى
طرابلس ـ لبنان

الاجابة : ـ

اذا طلق الرجل زوجته طلاقا رجعيا ، ثم مات عنها وهي فى العدة ، انتقلت الى عدة الوفاة ، وتحسب من يوم وفاته ، فعليها أن تنتظر أربعة أشهر وعشرا ان كانت غير حامل اما اذا كانت حاملا فان عدتها تنقضي بوضع الحمل .

وانما سقطت عنها عدة الطلاق ، وانتقلت الى عدة المتوفي عنها زوجها لأن زوجها توفى وهي فى العدة ، فهي زوجة له لها احكام الزوجية من ميراث وغيره .

● حجرت المحكمة على رجل لعجزه عن ادارة املاكه بسبب فقدان ذاكرته ، وأقامت زوجته قيما عليه . ثم حدث ان هذه الزوجة اساءت التصرف فى املاك زوجها فهي تزور فى كشف الحساب اليومي .

ولهذا الرجل بنتان من زوجة اخرى متوفاة تخشيان ان تبدد زوجة أبيهما ثروته . وقد تركت والدتهما المتوفاة بعض العقارات التي استولى عليها والدهما وباع جزءا منها وسجل الجزء الآخر منها باسم زوجته الثانية .

والمطلوب الاجابة عما ياتي

١ : ــ هل يحق لهاتين البنتين المطالبة بحقهما فى ثروة ابيهما وهو على قيد الحياة ؟.
٢ : ــ هل يحق لهاتين البنتين المطالبة بنصيبهما فى تركة امهما ؟ .

أ . ش .
الكويت

والجــواب

اما عن السؤال الأول فلا يحق لهاتين البنتين المطالبة بنصيبهما فى ثروة ابيهما لأنه لا يزال على قيد الحياة .
ولهما ان يرفعا الأمر للمحكمة الشرعية ويطالبا بعزل هذه الزوجة من القوامة على أبيهما للمحافظة على ثروته وستستجيب لهما المحكمة اذا قدمتا الادلة التى تثبت سوء تصرفها .
واما عن السؤال الثاني فلهما شرعا المطالبة بنصيبهما فى تركة امهما .

عدة المتوفى عنها زوجها

السؤال : ــ

ما هي عدة الزوجة اذا توفى زوجها ؟

الاجابة : ــ

اذا كانت الزوجة غير حامل وتوفي زوجها فعدتها أربعة شهور وعشرة أيام قال تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا » سورة البقرة .

واذا كانت حاملا فعدتها تنتهي بوضع الحمل من غير تقييد بمدة قال تعالى « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » سورة الطلاق .

أخرج مالك والشافعى وعبد الرزاق وابن ابي شيبة وابن المنذر عن ابن عمر أنه سئل عن المرأة يتوفى عنها زوجها وهي حامل،فقال اذا وضعت حملها فقد حلت ، فأخبره رجل من الأنصار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لو ولدت وزوجها على السرير لم يدفن لحلت ، وأخرج عبد بن حميد فى زوائد المسند وأبو يعلى والضياء فى المختار وابن مردويه عن أبي بن كعب قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم « وأولات الأحمال أجلهن ان يضعن حملهن » . أهي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها زوجها . قال هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها زوجها ، وصح أن سبيعة بنت الحرث الاسلمية كانت تحت سعد بن خولة ، فتوفي عنها فى حجة الوداع وهي حامل ، فوضعت بعد وفاته بثلاثة وعشرين يوما ، وفى رواية بخمس وعشرين ليلة وفى أخرى بأربعين ليلة ، فاختضبت ، وتكحلت ، وتزينت تريد النكاح ، فأنكر ذلك عليها ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ان تفعل فقد خلا أجلها .

وذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما الى أن عدة المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين ــ أطول المدتين ــ أربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل.



الكويت

* زار حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الأردن بدعوة من أخيه صاحب الجلالة الملك حسين ، تفقد فيها سموه معالم النهضة الحديثة فى البلاد كما زار المواقع الامامية ، ولا شك أن من ثمار هذه اللقاءات العربية الاسلامية الكبيرة الخير كل الخير للاسلام والمسلمين ، وهذه ثاني زيارة لسموه خارج بلاده منذ اختياره أميرا لدولة الكويت ، وكانت الزيارة الأولى للسعودية .

* شكلت لجنة برياسة سعادة الشيخ صباح الاحمد الجابر وزير الخارجية والمالية للعمل على تنظيم حملة التبرعات لصالح جيش التحرير الفلسطيني ، وأعلن سعادته أن الكويت وضعت وستضع كل طاقاتها وامكانياتها لنصرة القضية الفلسطينية .

* سافر سعادة عبد الله مشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى الرباط لتمثيل الكويت فى احتفالات عيد استقلال المغرب .

* عقد السيد احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن الدور الكبير الذى تقوم به المنظمة من اجل قضية فلسطين ، كما أشار الى الانجازات التي حققتها المنظمة حتى الآن ، وفى مقدمتها انشاء كتائب التحرير الفلسطينية .

* تلقت الجهات المختصة مذكرة من سفارة الصين فى بغداد أن وفدا صينيا اسلاميا يرغب فى زيارة البلاد لتنمية الصداقة بين المسلمين ، وينتظر ان تتم هذه الزيارة خلال الشهرين القادمين .

القاهرة

* اقامت جامعة الأزهر حفل تابين لأمير الكويت الراحل الشيخ عبد الله السالم الصباح .. حضره فضيلة الامام الشيخ حسن مامون شيخ الازهر .. والقيت كلمات من الاستاذ احمد حسن الباقورى مدير الجامعة وبعض أساتذة الجامعة . والقى الاستاذ خالد العدسانى سفير الكويت كلمة شكر فى نهاية الاحتفال.

* من الخطوط العريضة لوزارة الثقافة .. اعداد اكبر مجموعة من الافلام الدينية التسجيلية والدرامية ، وتهدف من انتاج هذه الافلام الرد على كل دعاية صهيونية تبثها اسرائيل فى الافلام العالمية التي تدعو لوجودها واحقيتها فى سلب فلسطين من اصحابها الشرعيين .. وطردهم فى العراء نزلاء فى المعسكرات والخيام .

* انتهت الادارة العامة لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر من الاعداد للمؤتمر الثالث لعلماء المسلمين الذى يعقد بالقاهرة عقب موسم الحج . وسيدعى اليه ممثلون لعلماء المسلمين فى ٤٠ دولة افريقية وآسيوية وأوربية ، وبينهم بعض الزعماء والوزراء وأساتذة الجامعات . ويتولى أمانته الدكتور محمود حب الله الامين العام للمجمع والمؤتمر ، وسيعرض المؤتمر شؤون ٦٠٠ مليون مسلم فى مختلف انحاء العالم لتوحيد

قواهم الفكرية وأهدافهم ، كما يعرض عليه تقرير للأمانة العامة عن متابعة تنفيذ قرارات المؤتمرين السابقين ، وتقارير اللجان الفرعية عن تنظيم العلاقات الاسلامية واحياء التراث الاسلامى .

* اعتمد مبلغ (٧٥) الف جنيه لمشروع الكتاب الاسلامي ، فى الخطة الخمسية الثانيــة لوزارة الأوقاف .. ستقوم الوزارة بطبع ونشر الكتب الاسلامية ، التي تتناول اصول العقائد والفقه والاخلاق والتاريخ الاسلامي على نحو مبسط يجمع بين النظرة الواقعية والنظرة العقلية الروحية .

كما ستعد الوزارة كتابا خاصا لتقريب العقيدة الاسلامية ونشرها بين مسلمي افريقيا وآسيا .

السعودية

* زار صاحب الجلالة الملك فيصل الجمهورية السودانية تلبية للدعوة الكريمة التي تلقاها جلالته من فخامة الرئيس اسماعيل الأزهري رئيس مجلس السيادة واستغرقت هذه الزيارة ثمانية أيام استقبل فيها جلالة العاهل الكبير بالحفاوة والترحاب .

* قامت وزارة الحج والأوقاف بتأمين فرش جديد للمسجد النبوي الشريف .

الاردن

* يطالب بعض المسئولين باجراء بعض التعديلات على قانون منع بيع الأراضي فى القدس .

ويطلب هذا التعديل ادخال نص صريح على مواد القانون يجيز محاكمة كل شخص يتبين أنه يسيء التصرف فى قطع الاراضي التي يمتلكها ، اذ ان القانون خلو من هذه المادة .

وتضمين القانون نصا صريحا لا يجيز بيع اراضي القدس العائدة لمواطنــين اردنيــين خارج المملكة الاردنية الهاشمية .

* تبرع حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت اثناء زيارته للاردن بمائة الف دينار لانشاء معهد لابناء الشهداء العرب .

الخرطوم

* قررت الوزارة السودانية تنفيذ مشروع احياء مصلحة الشؤون الدينية ، وقررت ايضا انشاء مركز تجريبى نموذجى للمحافظة على القرآن الكريم باحدى ضواحى الخرطوم وسيقام مركز اخر بمديرية دار فور

باكستان

* اوصت احدى دور الطباعة الباكستانية على عدد من آلات الطباعة البريطانية لكي تطبع بها الوف النسخ من القرآن الكريم بقصد توزيع هذه النسخ فى مختلف انحاء الشرق الأوسط وشمال افريقيا وآسيا .

المغرب

* صرح وزير العدل المغربي بأن المحاكم فى المغرب ستوحد توحيدا كاملا وستصبغ بالصبغة العربية

المغربية اعتبارا من مطلع العام الجديد ، وستكون اللغة العربية اجبارية فى جميع الاجراءات والمرافعات عوضا عن الفرنسية والاسبانية اللتين تستعملان حتى الان ، واعلن الوزير المغربى أيضا سلسلة من الاصلاحات دعت اليها حركة التوحيد والتعريب ، ولا سيما وضع نظام جديد بالعربية لاصول المحاكمات المدنية يحترم التقاليد الاسلامية .

اندونيسيا

* لأول مرة يفتتح فى مدينة فاكن بارو عاصمة منطقة ريو فى جزيرة سومطرة كلية تربية تعلم الشريعة الاسلامية واللغة العربية فقط . ومدينة فاكن بارو بها كليتان للحقوق والعلوم الفقهية تدرس فيهما اللغة العربية والعلوم الدينية الاسلامية .. وبعد افتتاح كلية التربية اعترفت الحكومة الاندونيسية بأن هذه الكليات تشكل جامعة سومطرة الاسلامية احدى جامعات اندونيسيا .

* دعا أحد كبار المسلمين فى جاوا الغربية الاندونيسية الى مراجعة وتنقيح جمعية القوانين والانظمة التي صيغت تحت الضغط الشيوعي .

نيجيريا

* رفع تقرير عام للجامعة العربية من رؤساء البعثات الدبلوماسية فى نيجيريا قبل وقوع الانقلاب العسكري يتضمن معلومات خطيرة عن زيادة النفوذ الاقتصادى والسياسي للشركات الاستعمارية والصهيونية وسيطرتها على كثير من اجهزة الاعلام . وحذر التقرير من تزايد هذا النفوذ وضرورة قيام الدول العربية باجراءات موحدة لمقاومة النشاط الاستعماري الصهيوني الهدام .

الصومال

* اعلن سفير الصومال فى السودان السيد محمد عبد الرحمن ان ٢٥ نائبا صوماليا قدموا عريضة الى البرلمان الصومالى يطالبون فيها بانضمام بلادهم الى الجامعة العربية .

أخبار متفرقة

(تانزانيا)

* قاطع سفراء الدول العربية فى دار السلام حفل افتتاح فندق ـ كلمنجارو ـ فى دار السلام كمظهر استنكار لقيام اسرائيل بانشاء هذا الفندق .

(كندا)

* بلغ عدد المسلمين فى مدينة تورينتو (٥٠٠٠) . وهم يجتمعون اسبوعيا فى المركز الاسلامى بها لاداء فريضة الجمعة والاستماع الى المواعظ الدينية .

(تايلاند)

* ستنشا لأول مرة مدرسة اسلامية بتايلاند ستقوم بخدمة ابناء المسلمين فى هذه المنطقة وتدريس اللغة العربية والتعريف بالاسلام .

مكتبة المجلة

محمد مؤذن

انا والنـــاس

كتاب طبعته دار العلم للملايين ببيروت في ١٧٦ صفحة لكاتبه الاستاذ حسن عبد الله القرشي وهو مجموعة من المقالات القيمة والفصول القصيرة تحمل افكارا يرى كاتبها انها تؤدى دورا في مجال الخدمة العامة الذى نجند له جميعا كل امكانياتنا ، وندخر له كل طاقاتنا واسلوب الكتاب سهل ممتع يحقق فعلا رأى مؤلفه .

تحديد النسل من وجهة نظر اسلامية

وهو الكتاب العاشر من سلسلة كتب « مختارات اسلامية » التي تصدرها مدرسة الخليلي بالنجف الأشرف ، والكتاب من تأليف الاستاذ عبد الرسول السيد علي خان ، وهو يبحث في مسألة تحديد النسل التي هى من أهم المسائل الاجتماعية التى عني بها الباحثون عناية كبرى بما كتبوه حولها من احكام وآراء . والمؤلف يعالج هذه المسألة من وجهة نظر اسلامية وبروح موضوعية ، وبحث مركز ، يلمس القارىء خلاله رأى التشريع الاسلامي فيها ، والكتاب يقع في ٧٦ صفحة وقامت بطبعه مطبعة النعمان بالنجف الأشرف .

تأملات فى قرآن الله وأوضاع الناس

كتاب يحتوى على ١٩٢ صفحة اهداه الى المجلة مؤلفه الاستاذ محمد محمد ابو علو ، وتناول فيه شرح سورة النور بما تعالجه من امراض اجتماعية ومشاكل نفسية واخلاقية ودينية وسياسية وجد الكاتب انها جديرة بالعناية والدراسة والتحليل ، وقامت مطبعة الفتوح بدمنهور ج . ع . م بطبع الكتاب ونشره .

الاسلام دين هداية

كتاب من تأليف فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب احد العلماء الفلسطينيين المجاهدين ، وهو فصول متتابعة شرح فيها المؤلف بطريقة أدبية دينية آيات من الذكر الحكيم ، رابطا بين الآيات وبين المشكلات ، مبينا لنا كيف قام هذا الدين على الاخاء والسماحة والسلام والعمل الصالح لا على العصبية او الانساب .

والكتاب من منشورات دار الحياة ببيروت ، ويقع في ٤٢٤ صفحة .

محاضرات الاساتذة الزائرين

ان برنامج الاستاذ الزائر الذى تطبقه كلية المعلمين بالكويت صورة طيبة للتعاون المثمر بين دولة الكويت وشقيقاتها العربيات في مجال الثقافة والتربية . فقد ادخلت كلية المعلمين في برنامجها خلال العام الدراسي ٦٤/٦٥ نظام الاستاذ الزائر ايمانا منها بأهمية هذا النظام في تفهم اسس التربية وعلم النفس للجيل الناشىء من معلمى المستقبل ، وحرصت الكلية على دعوة قادة التربية في العالم العربي لالقاء تلك المحاضرات التربوية .

وقد حققت هذه المحاضرات المتتابعة اهدافها المرجوة منها وحرصا من الكلية على ما تحمله هذه المحاضرات من خبرات وافكار جديدة في حقل التربية وعلم النفس رأت ان تقوم بجمعها وطبعها في كتاب حتى يكون نفعها اعم وأشمل ،وقد احتوى هذا الكتاب على تسع محاضرات في ٩٦ صفحة .

للأساتذة الدكتور عبد العزيز القوصي ، والدكتور محمد نسيم رافت ، والدكتور عبد الله عبد الدايم ، والدكتور محمد خليفة .

وقد طبعته حكومة الكويت طبعا انيقا قيما ، وقامت كلية المعلمين مشكورة باهداء هذا الكتاب الى مكتبة المجلة .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : ـ

بغداد : ـ مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب .

عمان : ـ وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى .

بيروت : ـ دار الصياد ـ السيد رشيد القاضى ـ لبنان .

القاهرة : ـ توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : ـ مكتبة النجاح الثقافية بالرياض ـ السعودية .

الخبر : ـ مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ـ (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

الطائف : ـ مكتبة الثقافة ـ السعودية .

المدينة المنورة : ـ مكتبة المنار .

عدن : ـ وكالات الاهرام التجارية ـ ص ب (٦٣٩) .

البحرين : ـ المكتبة الوطنية وفروعها ـ السيد فاروق ابراهيم .

المكلا : ـ مكتبة الشعب ـ ص ب (٢٨) المكلا ـ حضرموت .

دبى : ـ المكتبة الاهلية ـ ص ب (٢٦١) .

مسقط : ـ المكتبة الاهلية ـ السيد حسن قمر سلطان .

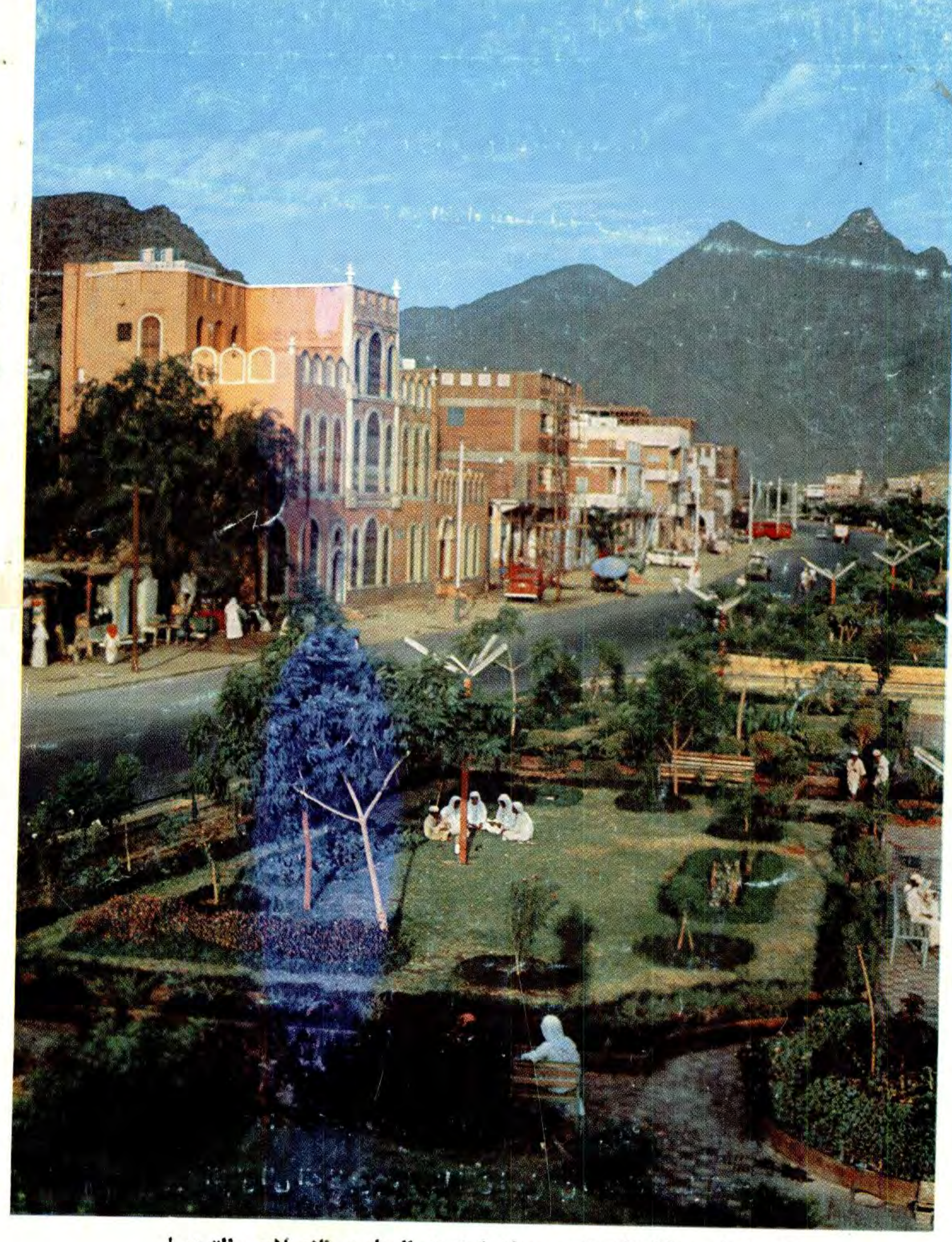
قطر : ـ مكتبة الثقافة ـ الدوحة ـ ص ب (٨٤٢) .

السودان : ـ السيد أحمد النور علي ـ الخرطوم ـ ص‌ب (١٩٥٦) .

بورسودان : ـ مكتبة كرري ـ السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الكويت : ـ مكتب منار للتوزيع ـ شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



أحد شوارع مكة المكرمة بعد أن امتدت اليها يد الاصلاح والتجميل